الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات الرسمية والشركات عدا النفقة البريدية
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٣٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

الجزء الاول – السنة الخامسة – رجب ١٣٩٠ – أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠

"الرّس" في القرآن الكريم
وآراء الباحثين حوله

ورد ذكر الرس في القرآن الكريم : ١ – ﴿ وعاداً وثمودا وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا ﴾ – سورة الفرقان ، الآية : ٣٨ –

٢ – ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ، وأصحاب الرس، وثمود ﴾ – سورة ق الآية : ١٣ –

وقد سار المفسرون والمؤرخون في سبيل إيضاح مدلول كلمة (الرس) في بيداء خفية الصُّوى ، مجهولة المعالم ، يصدق عليها قول الطيب المتنبي :

يتلون الخِرّيتُ من خوف التوى فيها كما تتلوّنُ الحِرْباء

وسبب ذلك : ١ – ان الرس كلمة يقصد بها معاني كثيرة ، منها : ١ – البئر . ٢ – والبئر القليلة الماء . ٣ – والبئر التي لم تطو بالحجارة أو غيرها . ٤ – والمعدن . ٥ – وإصلاح ما بين القوم. ٦ – والرّسُّ : الدّسُّ: رسوه في بئر أي دسّوه فيها، وعلى هذا نشأ كثير من اختلافهم. الأمر الثاني: أن الرس لم يوضح مدلول الكلمة منه في القرآن الكريم، ذلك أن القرآن يعني من الخبر بموقع العبرة ، وبما تؤخذ منه الحكمة والتجربة ، والاقتداء بالعمل الصالح ، فالقرآن ليس كتاب تاريخ أو تحديد مواضع ، ولكنه كتاب هداية عام ، ولم يرد نصٌ صحيح عن الرسول ﷺ في تحديد موقع الرس ، ولذلك

وقع من المفسرين والمؤرخين قديمهم وحديثهم اضطراب كبير ، واختلاف واسع حول مدلول هذه الكلمة ، ولا يعنيني في هذه الكلمة سوى أمرين : أحدهما : عرض المشهور من أقوالهم ، وثانيها : ذكر المواضع التي تسمى باسم الرس وهذا مما قد يفيد الباحث .

يختلف المتقدمون في كلمة الرس هل يقصد بها قرية بعينها أو موضع بعينه أو يقصد بها بئر ، وعلى هذا فقد نشأ رأيان أحدهما يرى أن الكلمة تطلق على موضع بعينه .

١ – فمنهم من يرى أن المقصود قرية من قرى اليمامة تسمى الرس وتسمى الفلج – بفتح اللام – وأقدم من عرف عنه هذا الرأي قتادة التابعي الجليل ، وفي بعض الكتب ينسب إلى ابن عباس الصحابي الجليل ، مع أن لقتادة قولاً آخر ستأتي الإشارة إليه .

٢ – ويرى آخرون بأن المقصود من كلمة الرس المعدن وممن ذهب إلى هذا القول أبو عبيدة معمر بن المثنى ، العالم اللغوي المعروف ، وابن قتيبة ، صاحب التآليف المشهورة .

وذهب آخرون إلى أن المقصود بكلمة الرس البئر، وينسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه ويرى آخرون أن المقصود بئر دون اليمامة، وهو رأي ابن الكلبي ، ويرى فريق ثالث أن المقصود بئر باذربيجان ، وينسب هذا القول لابن عباس أيضاً ، وفريق ثالث يرى ان البئر المقصودة تقع في مدينة انطاكية ، التي لا تزال معروفة تابعة للبلاد التركية في إقليم الاسكندرونة ، وينسب هذا الرأي لكعب الأحبار ، ومقاتل بن حيّان ، وهما تابعيان ، كما ينسب للسُّدّي الذي عرف بِنَقْل كثير من الأخبار الغريبة والخرافية .

ويأتي أناس آخرون من المفسرين فيرون أن كلمة الرس يقصد بها الأخدود ، ويطبقون ذلك على موقع الأخدود في نجران في جنوب الجزيرة ، ويؤيد هذا الرأي العلامة ابن جرير في تفسيره ، ويقول آخرون بأن المقصود أرض واسعة في جنوب الجزيرة بين نجران إلى اليمن إلى حضرموت، ويذهب

فريق ثالث إلى أن الرس موضع في جنوب الجزيرة بـدون تحديد ، وفريق رابع يراه في شمالها في بلاد بني أسد .

ثم يختلف المتقدمون في النبي الذي أرسل إلى أهل الرس ، فيراه بعضهم حنظلة بن صفوان ، ومن أقدم من ذكر ذلك سعيد بن جبير التابعي الجليل ، ويرى وهب بن منبه الذي نقل لنـا كثيراً من أخبار أهل الكتاب أن النبي هو شعيب ، وأن أهل الرس قوم أصيبوا بالخسف ، فانهارت بئرهم وخسف بهم ، وفريق رابع يرى أن ذلك النبي هو حبيب النجـار من أهل انطاكية المتقدم ذكرها ، وان قومـه قتلوه في بئر ، وينسب هذا القول لكعب الأحبار ومقاتل بن حيان والسدي[١] .

هذا ملخص ما ورد عن المتقدمين في تحديـد موقع الرس وفي ذكر من أرسل إليهم ، وهذان أمران لا يستطاع البت فيهمـا بدون الرجوع إلى نصوص واضحة صريحة ،ويعتبر هذا الأمر مما يصعب على الباحثين الوصول إليه .

ويحسن الرجوع إلى ما ورد في الشعر القديم وهو من أهم المصادر التاريخية في تحديد المواضع ، مـع ان كلمة الرس تعتبر شاملة وواسعة، بحيث ان بعض الشعراء أطلقها وقصد من إطلاقه المعنى اللغوي ، إلا أن ذلـك لا يمنع من الاستئناس بأقوال أولئك الشعراء .

فمما ورد من أقوالهم قول الشنفرَى [٢] :

أمَشّي بأطراف الحمـاط وتارة تنفض رجلي مسبطيـّا معصفرا
وأبغي بني صَعْب بجرٌ ديارهم وسوف ألاقيهم إنِ اللهُ يَسّرا
ويومٍ بذات الرّس، أو بطن منْجَل هنالـك تبغي العاصر المتنورا

وقول عامر بن عمرو الحصيني ثم المكاري :

وأقفرت العبلاء والرس منهم وأوحش منهم يثقُب فقُراقر[٣]

(١) أنظر زاد المسير لابن الجوزي ج٦ ص٩٠ والبحر المحيط لابي حيان ج٦ ص ٤٩٩ .
(٢) « معجم البلدان » – منجل.
(٣) نفس المصدر – ملحوب –

وقول زهير بن أبي سلمى[1] :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله ؟ عفا الرس منه ، فالرسَيْس فعاقله

وقولـه :

بكرن بكوراً ، واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم

وهناك شعراء كثيرون ذكروا الرس ذكراً لا يخرج عن المواضع التي ذكرها الشعراء الثلاثة ، وهي فيما يظهر من أقوالهم في جنوب الجزيرة كما في قول الشنفرى ، وفي وسطها كما في قول زهير ، وفي شمالها كما في قول عامر بن عمرو ، الذي قرنه بقراقر .

بقي ذكر المواضع التي يطلق عليها اسم الرس في الجزيرة وفي غيرها :

١ – يطلق اسم الرس على البلاد المعروفة الآن باسم الافلاج ، الواقعة في جنوب الجزيرة وهي إقليم واسع يحوي عدداً من القرى والأودية وكان في الماضي مشهوراً بخصبه وعمرانه ، وقد أورد الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب »فصلاً وافياً عن تحديد مواضعه ، وعن الآثار العمرانية القديمة فيه وكان مما قال :(سوق الفلج الذي تسوقه نزار واليمن وهو لبني سمرة من جعدة ثم على أثرها من سيحي جعدة حصن يقال له مُرغم ، أي يرغم العدو بامتناعه دونه ، وهو لبني أبي سمرة ، والقصر العادي بالأثل من عهد طسم وجديس ، وصفته أن بانيه بنى حصناً من طين ثلاثين ذراعاً دكا ، ثم بنى عليه الحصن ، وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، والأثل والنخل ، وساكنه اليوم بنو أبي شمسة ، وسوق الفلج عليها أبواب الحديد ، وسمك سورها ثلاثون ذراعاً ، ومحيط به الخندق وهو منطق بالفضاض والحجارة والشاروق ، قامة وبسطة، فرقاً أن يحصر أو يرسل العدو السيوح عليه ، وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات ، يشا كل ماء السماء ولا يغيض، وأربعمائة حانوت، ولبني جعدة سيحان يقال لأحدهما الرقادي وللآخر الأطلس،وأما سيح قشير فاسمه سيح إسحاق، فأما الرقادي

---

(١) « معجم البلدان » – الرس – .

فان مخرجه من عين ابن اصمع ، ومن عين يقـــال لها الزباء مختلطتين ، وأما الأطلس فان مخرجها من عين الناقة ويقول أهل الفلج في اشتقاق هذا الاسم : إن امرأة مرت بها على ناقة لها فتقحمت بها الناقة في جوف العين فخرج بَعْدُ سوارُها بنهر مُحَلّـمٍ بهجر البحرين)[1] .

وينسب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير وهشام بن محمد الكلبي القول بأن أهل الرس من أهل فلج الأفلاج وكان هذا الرأي معروفاً إلى منتصف القرن الخامس الهجري، كما أشار إلى ذلك ناصر خسرو في « سفر نامة » .

٢ – الرس قرية ذات نخيل وعيون في العهد القديم ، وقد غارت مياهها ومحلت ارضها ، وأصبحت ذات سباخ ، وهذه القرية لا تزال آثارها موجودة في مداين صالح ، حسبما ذكر الاستاذ عبد الحميد مرداد [2] . وتحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين ذكر ان أصحاب الرس هم بقية ممن آمن بصالح ولكنهم كفروا وعوقبوا بعد ذلك [3].

٣ – هناك من يرى بأن أصحاب الرس كانوا من أهل بلاد مدين ، وأول من رأيته قال هذا القول هو الشيخ عبد الله فلبي ، فقد ذكر في كتابـــه «أرض مدين» موضعاً دعاه الرس – بالسين بخلاف ما ينطقه أهل تلك الجهـة فهم يقولون الرص ، بالصاد – وقال : (ولم يستطع أحـد التعرف على الرسّ والأيكة ، وان كان يبدو أنهما يجب أن يكونا في المنـاطق المجاورة لمدين . ولعله يبدو من التسرع القول بأنني قد وصلت إلى خرائب الأولى ، ولكنني لم أعرف مكاناً آخر يدعى الرس في شبه الجزيرة العربية غير هذا الموقع، ومكان آخر في القصيم ، والثاني يُشك في أنه المذكور في القرآن الكريم. والأيكة وادٍ يتفرع من وادي عفال ، الذي ينحدر من جبل اللوز الكبير . وقد قيل إن الرس تقع على مرتفع يطل على الضفة اليمنى لوادي الأبيض ، من نقطـة

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٦٠ .
(٢) « مدائن صالح » ص ١٧١ .
(٣) تاريخ ابن خلدون

يلتقي فيها هذا الوادي برافد ينحـــدر من الجهة الشمالية الغربية ، يدعى شعيب الوُسَيْطـَى ، ومن الممكن أن هذا الموقع كان مزاراً يؤمه الناس قبل الاسلام ، وأشار موسيل إلى هذا المكان في خريطته غير أنه لم يزره ، وأكاد أجزم بأن هذا المكان لم يزره أوربي قبلي(١) . انتهى كلامه باختصار .

٤ – وهناك موضع في غرب القصيم يطلق عليه اسم الرس ، وهو الذي ورد في شعر زهير المتقدم . وأول من رأيته نسب أهل الرس إليه ما نقله أبو حيان التوحيدي عن من تقدمه في تفسيره «البحر(٢)» والقرطبي في تفسيره(٣) ومن بعده من المتأخرين الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب»(٤) ثم الاستاذ محمد حسين زيدان (٥) وإن لم يصرح بذلك ، غير ان القول بأن أهل الرس من هـذا الموقع الذي لا يزال معروفاً في القصيم قائم على أساس مجرد التسمية وليس هناك ما يدل على صحة القول به ، لأن عمران هذا المكان كان حديثاً بخلاف الافلاج وغيره من الأمكنة .

٥ – وموضع خامس يطلق عليه الرّس ، ولكن لم يرد عن المتقدمين ما يدل على أنه هو المقصود بأصحاب الرس ، ذلـــك الرس من أودية القبليّة ، والقبلية على ما نقل الزمخشري عن شيخه الشريف عُلَـيّ بن وهاس الحسني المكي : سراة فيما بين المدينة وينبع ، فما سال منها إلى ينبع يسمى الغور ، وما سال في أودية المدينة يسمى بالقبَلَيّة ، وحَدُّها من الشام مـا بين الحت من جبال بني عرك من جهينة ، وما بين شرف السيالة ـ والسيالة أرض يطؤها طريق الحاج – فأودية القبلية : الثـــاجة ، وحزرة ، ومثعر ، والرس ، وحورة ، وحراضان ، وظلم ، وملحتان ، وبواط ، ومنكثة ، ورسوس ، والعشيرة ، والبلياء (البلدة؟) وتَيْتَد – وهو المعروف بأذينة – وفيه عرض

---

(١) The land of midian ص ٢٨٥ الترجمة العربية و 206 النص الانجليزي .
(٢) ج ٦ ص (٤٩٩)
(٣) ج ١٣ ص ٣٣
(٤) ص ٢٢٤ الطبعة الأولى
(٥) جريدة عكاظ ، تاريخ : صفر ١٣٩٠

فيه النخل من صدقة رسول الله ﷺ نحلها فاطمة (ض) وشمَيْسيّ ، والناصفة[1] ثم ذكر جبال القبلية .

وإلى هذا الموضع ينسب الإمام الهادي جد الأئمة الزيديين المعروفين في اليمن إلى عهدنا الحاضر ، وبهذه المناسبة أذكر أنني ضمني مجلس من بين من فيه عبد الله بن الوزير أثناء عقد المعاهدة اليمنية السعودية في الطائف فتحدث قائلا : نحن منكم يا أهل نجد من بلاد الرس . فقلت : أنتم من الرس القريبة من المدينة ولستم من رس القصيم ، ومع هذا فأنتم إخواننا في النسب والدين ، فطلب مني إيضاحاً لتحديد هذا الموقع فأوضحته له .

٦ — وذهب كثير من المتقـدمين إلى أن الرس المذكور في القرآن الكريم من بلاد اليمن ، وها هي الأقوال الواردة في ذلك نسوقها بالتتابع حسبما ورد من أقوال المتقدمين .

١ — قال محمد بن هشام بن السائب الكلبي: وأما الحارث — بن قحطان — فولد (قينا) يقال لهم الاقيون، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي أهل الرّسّ ، والرس فيما بين نجران واليمن من حضرموت إلى اليمامة ، وكانوا يسكنون الرس[2] .

٢ — وقال ابن هشام صاحب « السيرة » قال أبو محمد : لما بلغ سليمان إلى عجز الأحقاف أمر الريح فأمسكت ، ثم قال — وأشار بيده — : هناك ولي الله حنظلة بن صفوان صدق وكذّبوه ، فنجا وهلكوا ، وإلى الله المصير.

— ثم أورد قصة طويلة جاء فيها — : فدخلنا وهدة من الأرض فأصبنا على على بابها حجراً مطبقاً فاعتورنا قلعه ، فقلعناه ، فإذا رجل عليه جبة صوف، في يده خاتم عليه مكتوب: أنا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس، رسول الله — وعند رأسه صحيفة نحاس مكتوب فيها: بعثني الله إلى عريب وهمدان والعرب

---

(١) : « الجبال والأمكنة والمياه » .

(٢) « النسب الكبير » الورقة ٨٦ نسخة دير الارسكوريال في اسبانية .

من اليمن بشيراً ونذيراً ، فكذبوني وقتلوني . فأعادوا عليــه الحجر كما كان ، والصخرة في مكانها كما كانت [١] .

وقال أبو محمد الهمداني مؤلف « صفة جزيرة العرب » : وأمـــا الحارث – بن قحطان – فولد قـَيْنـاً ، بطن يقال لهم الاقيون ، دخلوا في حمير ، وهم رهط حنظلة بن صفوان ، ووجد في قبره لوح مكتوب فيه : أنا حنظلة بن صفوان ، أنا رسول الله بعثني إلى حِمْيَـر وهمدان ، والعريب من أهل اليمن فكذبوني وقتلوني) .فمن يقول بهذا الخبر يرى أنه إلى سبأ بمأرب، فلما كذبوه أرسل الله عليهم سيل العرم . قال ابن هشام:هو حنظلة بن صفوان من الاقيون نبي الرس ، والرس بناحية صيهد ، وهي بلدة منحرفة مـــا بين بيحان ، فمأرب، فالجوف، فنجران ، فالعقيق ، فالدهناء، فراجعاً الى عبر حضرموت.

وذهب في صيهد بعهدنا – ٣٤٠ تقريباً – قطار فيه سبعون محملا من حاج الحضارم، صادرين من نجران،لحق هذا القطار في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل فساروا ليلة وأصبحوا قد تياسروا عن الطريق ، وتمادى بهم الجور، حتى انقطعوا في الدهناء فلم يُدْرَ ما خبرهم ، لأن أحداً لا يدخل ذلك المكان ، ولو دخله لم يظفر بموضعهم لسعة ذلك المكان الخرق ، وهي فلاة صداد (؟) فيها بقايا قصور هذه الأمة، فيما يصلى العمران من جانبها الغربي يُعَدّنها الناس في زماننا هذا ، فيجدون فيها الذهب وما قد أسرع إليه أكل التراب من الفضة [٢] .

وقال الهمداني:ويقال:بل كان أهل الرس قبائل من نسل من سمينا من قحطان، وهم أسلم ، ويامن ، وابو زرع ، ورعويل، وقدمان، فبعث الله اليهم حنظلة بن صفوان بن الاقيون – كذا رواه النساب مثل الاملوك والاصنوع والاخضوض وإنما هذا اسم كأنه جمّاع قبيلة – فكذبوه فقتلوه وطرحوه في بئر رس ماؤها

(١) « التيجان » لابن هشام ص ١٦٣ ، ١٦٤

(٢) : « من الاكليل » ١ / ١٢١ والمخطوطة الورقة الـ ٢٣ .

فأهلكهم الله كما قال (وأصحاب الرسّ ، وقروناً بين ذلك كثيرا) فقال رجل من قحطان يرثيهم :

بكتْ عيني لأهل الرّسِ ، رَعْويْلِ وقِدْمانِ
واسلم وابي زرع نُضَّار الحيّ قحطان [1]

٤ – وقال ابن حزم في كتابه : « جمهرة النسب » : فولد الحارث – بن قحطان – فهم ، يقال لهم الأقيون وهم رهط حنظلة ابن صفوان ، نبيُّ الرّسّ ، والرسُّ ما بين نجران إلى اليمن ، ومن حضرموت إلى اليمامة[2]. وأورد نحو هذا القول البلبيسي في رسم (الرسي) وقبله الصحاري في «الأنساب» وقبلهم ابن الكلبي في «النسب الكبير» كما تقدم ص٧.

٥ – وقال نشوان بن سعيد الحميري اليمني : الرّسُّ في قوله تعالى : (وأصحاب الرس) بئْرٌ بمأرب . قال مجاهد : رَسُّوا نبيَّهمُ فيها . وقال كعب الأحبار : هم أصحاب الأخدود ، والرّسُّ الأخدود . والرس اسم ماء [3] .

وقال ابن كثير : وبعث إلى العرب شعيب صاحب مدين ، وحنظلة بن صفوان ، فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر ، فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني اسرائيل ، وذلك في زمن معدّ بن عدنان [4] .

- وقال ابن خلدون في « تاريخه » :

١ – واما حضورا فكانت ديارهم بالرس ، وبعث اليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع ، فكذبوه فهلكوا) [5] .

---

(١) : « الاكليل » : ١ / ١٢٢ / ١٢٤ .
(٢) « جمهرة النسب » لابن حزم – ٣٢٩ – الطبعة الثانية – .
(٣) : نشوان بن سعيد الحميري « منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم » ص – ٤١
(٤) : « البداية والنهاية » ٢ / ٢١٢ .
(٥) : « العبر » لابن خلدون ٢ ص ٥٣ / ٨٧ .

٧ – وقال : فولد فيما يقال له لا سور (؟) وهم رهط حنظلة بن صفوان نبيُّ الرّس ، والرس ما بين نجران إلى اليمن ، ومن حضرموت إلى اليمامة .

٨ – وذهب آخرون إلى أن أصحاب الرس من بني إسرائيل،فقد ذكر ابن جرير في تاريخه ما نصه : وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه يذكر أن معد بن عدنان لما ولد ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتل يحيى بن زكريا ، عدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، فلما اجترأوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بخت نصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المسجد – سار إلى بلاد العرب – فالتقى عدنان وبخت نصر بذات عرق ، وسار في بلاد العرب حتى قدم حضور ...[1] وبقيت بلاد العرب خرابا .

٩ – ويرى غير من تقدم ذكرهم أن أصحاب الرس من بلاد العجم ، فقد فقد ذكر ياقوت في كتابه ما نصه : وقال آخرون في قول الله عز وجل : (وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً) الرّسّ : وادي أذربيجان وحدُّ أذربيجان ما وراء الرس ، ويقال بأنه كان بأرّان على الرس ألف مدينة ، فبعث الله إليهم نبياً يقال له موسى ، وليس بموسى بن عمران ، فدعاهم إلى الله ، والإيمان به فكذّبوه وجحدوه، وعصوا أمره فدعا عليهم ، فحول الله الحارث والحويرث من الطائف ، فأرسلها عليهم ، فقال أهل الرس تحت هذين الجبلين ومخرج الرس من قاليقلاء ، ويَمُرُ بارّان ، ثم يمر بورثان ، ثم يمر بالمجمع ، فيجتمع هو والكر وبينهما مدينة البيلقان ، ويمر الكرُّ والرس جميعاً فيصبان في بحر جرجان ، والرس هذا وادٍ عجيب فيه من السمك أصناف كثيرة [2] .

وروى ابن الفقيه أنه كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة ، فبعث الله اليهم نبياً يقال له موسى وليس بموسى بن عمران، فدعاهم إلى الله والإيمان به فكذبوه وجحدوه ، وعصو أمره، فدعا عليهم، فحول الحارث والحويرث

---

(١) : تاريخ ابن جرير » ١ ص ٦٧٢ ، ٦٧٤ (باختصار) .
(٢) « معجم البلدان » – الرس –

– وهما جبلان – من الطائف ، فأرسلهما عليهم ، فيقال ان أهل الرس تحت هذين الجبلين (١) وقال أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبعي : وإلى جانبه – البذ – نهر الرس ، وعليه رمان عجيب ، لم أر في بلد من البلدان مثله ، وبها تين عجيب ... ونهر الرس يخرج إلى صحراء البلاسجان ، وهي إلى شاطىء البحر ، وفي الطول من برزند الى بردعة ،وفي هذه الصحراء خمسة آلاف قرية أو أكثر خراب ، إلا أن حيطانها وأبنيتها قائمة ، لم تتغير لجودة التربة ، ويقال أن تلك القرى كانت لاصحاب الرس ، الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن (٢).

وقال ابن الأثير عن الملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد – عندما ذكر فتوحاته – : فوطىء بلاد الرّان ، وفتح ما بين النهر المعروف بالرس إلى شروان (٣) .

وقال المسعودي المؤرخ المعروف : ١ – نهر الكُرَّ : يجتمع بنهر الرس الذي هو نهر ورْثان ، فيصبان جميعاً فيه (٤).

ويتلخص من الأقوال المتقدمة :

١ – ان أكثر المؤرخين والمفسرين يرون أن الرس في بلاد العرب ، ولكنهم يختلفون في تحديد موقعه ، فاليمنيون من الباحثين يرونه في بلاد اليمن ، ومن أقدم من يرى هذا الرأي ابن الكلبي ، ثم هم يختلفون في أي موقع هل هو في بلاد الاقيون أو في الأخدود أو في مأرب بل ويمتد من حضرموت إلى اليمامة كما في قول ابن الكلبي في «النسب الكبير» .

٢ – بينما يذهب آخرون إلى أنه في بلاد الافلاج في جنوب نجد ، وهي بلاد عريقة الحضارة ، مجهولة التاريخ ، والآثار الباقية فيها تدل على قدمها .

٣ – وهناك من يرى ان الرس في شمال الحجاز ، في العلا أو في أرض مدين ، كما تقدم النقل عن الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، ويؤيده ما نقل

---

(١) « معجم البلدان » مادة الحارث .

(٢) : « رسالة مسعر » ص ٦ ، ٧ و « معجم البلدان » – البذ – الرس – .

(٣) : « الكامل لابن الأثير ١ ، ١٤ : – طبعة بيروت .

(٤) : « التنبيه والإشراف » – ٦٢ .

القرطبي : الرس اسم بئر لبقية ثمود[1] والشيخ عبد الله فلبي ، مع ان هذا الأخير يوجد ما يؤيد قوله من آراء المتقدمين من أن نبي أهل الرس هو شعيب، ومدين هي بلاد شعيب، وهناك نصٌّ أصرح من هذا وهو ما أورده القرطبي في تفسيره[1] عن قتادة قال : أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمّتانِ أرسل الله إليهما شعيبا فكذبوه ، فعذبهما الله بعذابين . اهـ . والرس – على ما يرى فلبي – مجاور للأيكة ، قريب أحدهما من الآخر .

٤ – أما القول بأنه الرس المعروف الآن في القصيم ، فهو قول بعيد عن الصواب ، ذلك ان هذا الرس لم يعمر إلا حديثاً ، وإن كان معروفاً لدى الشعراء المتقدمين ، ولم يبرز فيه من الآثار ما يدل على سكناه في القديم .

٥ – والقول بأنه في بلاد العجم ، فلعله ناشيء من وجود موضع هناك باسم الرس ، غير ان المعروف ان الأسماء العربية في تلك البلاد الاعجمية ما نشأت إلا بعد انتقال العرب إليها بعد ظهور الاسلام ، وقد يكون للعصبية من الأثر في ذلك ما حمل بعض المتقدمين إلى القول بأن الرس هناك .

٦ – ويماثل هذا القول في الضعف ما روي من أن نبي أهل الرس هو حبيب النجار من أهل انطاكية ، وقد كفانا مؤونة ابطال هذا الرأي الحافظ ابن كثير في تاريخه .

وبعد: فكل ما تقدم لا يعدو عرضاً موجزاً لأقوال القدماء ، ومن خطل الرأي الحكم بأن الموضع الفلاني هو المعين بالنص القرآني الكريم ، ما لم يرد نص صريح صحيح عن المصطفى ﷺ ولو ورد ذلك لكان القول الفصل . وقد لا يعدم القاريء فائدة من عرض ما تقدم من الأقوال حول قدم تلك المواضع وما قد يكون حافزاً لمواصلة البحث ، ومن يدري ؟ فقد تكشف لنا الآثار في المستقبل ما نجهله الآن .



(١) « الجامع لأحكام القرآن » ١٣ / ٣٣ .

- ٧ -

[ويمضي الادريسي في كتابه « نزهة المشتاق » في الحديث فيقول] :

الطـــائف(١) :

وفي شرقي مكة : الطائف ، وبينهما ستون ميلاً ، ومن ارادها من مكة سار منها إلى بئر إبن المرتفع ، وهي قرية عامرة ، فيها عرب بادية ، ثم إلى قرن المنازل ، وهو سوق عامرة ، وهو حصن عامر بأهله ، على قارعـــة الطريق ، ومنه إلى الطائف .

ومن أراد من مكة إلى الطائف على طريق العقيق: يأتي عرفات على ثلاثة أميال ، ثم إلى بطن نعمان ، وهو موضع فيه نخيلات ، ثم يصعد عقبة كرا ، ثم يشرف على الطائف،والطائف منازل ثقيف، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، مياهها عذبة ، وهواؤها معتدل ، وفوا كهها كثيرة ، وضياعها متصلة ، وبها العنب كثير جداً ، وزبيبها معروف ، يتجهز به إلى جميع الجهات ، وأكثر فواكه مكة تصدر عنها ، وبالطائف تجـار مياسير ، وجُلُّ بضائعهم صنع الأديم ، وأديمها عالي الجودة ، رفيع القيمة ، وبالنّعل الطائفي يضرب المثل ، وهذا مشهور ، والطائف على ظهر جبل غزوان ، وعلى ظهر جبل غزوان ديار بني سعد ، المضروب بهم المثل في الكثرة(٢). وبه جملة من قبائل هذيل ، وليس في بلاد الحجاز بأسرها جبل أبرد من رأس هذا الجبل ، وربمـا جمد به الماء في الصيف لشدة برده .

---

(١) العناوين من وضع المجلة .

(٢) لعله يقصد المثل : (في كل واد بنو سَعْد) ولكن هذا لا ينطبق على هؤلاء «العرب» .

سكان مكة :

والغالب على نواحي مكة مما يلي الشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ، ومن غربها قبيلة مدلج ، وغيرها من قبائل مضر .

مخاليف مكة :

وبمكة مخاليف، وهي الحصون ، فمنها بنجد : الطائف ، ونجران، وقرن المنازل ، والعقيق ، وعكاظ ، ولية ، وتربة ، وبيشة ، وكتنة ، وجرش ، والسراة .

ومن حصونها بتهامة : ضنكان ، والسرين ، والشعيبة ، وعشم ، وبيش ، وعك .

مخاليف المدينة :

ومن مخاليف المدينة المنسوبة إليها : تيماء ، ودومة الجندل ، والفرع ، وذو المروة ، ووادي القرى ، ومدين ، وخيبر ، وقرى عربية ، والوحيدة، والسيارة ، والرحبة ، والسيالة ، وسبابة ، وواسط ، وغراب ، والأكحل ، والحمية .

الطرق إلى مكة ومنها :

والطريق من مكة إلى صنعاء : تخرج من مكة إلى صنعاء ، إلى بئر ابن المرتفع ، وفيه بئر ، ثم إلى قرن المنازل ، وهي قرية كبيرة ، ثم إلى ضفن ، وهي قرية صغيرة ، وبضفن بئران ماؤهما غدق ، عذب ، يشرب منهما ، ثم إلى كرا وهي قرية عامرة ، كثيرة النخل ، وبها عيون مطّردة ، ثم إلى رنية ، وهي قرية كبيرة ، فيها نخل كثير وعيون جارية ، ثم إلى مدينة تبالة ، وبها عيون كثيرة ، ونخل ومزارع، وهي صغيرة ، في منخفض أكمة، ثم إلى بيشة بعطان ، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، فيها ماء ظاهر ، وقليل نخل ، ثم إلى قرية جسداء ، وفيها بئر فيها

ماء قليل، ثم إلى بنات حرب، وهي قرية عظيمة، بها بشر كثير، ونخل كثير، وبها عين ماء عذبة ، ثم إلى سنخة ، وهي منزل أخلاط عامر؛ ثم إلى كتنة ؛ وهي قرية عظيمة ؛ فيهـــا عيون وكروم ؛ ونخل باسق ؛ وبقول ؛ ثم إلى النجم ؛ وهي قرية عامرة ؛ فيها بئر ، ومنها إلى سروم راح ؛ وهي قريـة كبيرة فيها سكان ؛ وعمارتها متوسطة ؛ وفيهـــا عيون كثيرة ؛ وكروم ؛ ومدينة جرش ؛ منها على ثلاثة أميال ؛ وجرش ونجران متقاربتان بالكبر ؛ وبهما نخل كثير ؛ وبهـــا مدابغ الجلود ؛ وهي بضائعهم ؛ وبها تجاراتهم ؛ وأهلها مشهورون بذلك .

ومن سروم إلى المهجرة ، وهي قرية عظيمة ، فيها عيون وفيها بئر بعيدة القعر ، غزيرة الماء ؛ وبهذه القرية شجرة عظيمة ، تسمى طلحة الملك ، تشبه شجر الخلاف ، غير أنها أعظم منها ، وهي حدّ ما بين عمل مكة واليمن .

ومنها إلى عرفة ، وهي قرية حسنة ، ثم إلى صعدة، وهي مدينة صغيرة، لكنها متحضرة ، وبها دور الدباغة يدبغ بها الأديم الجيد ، ويتجهز بـه إلى كثير من الأماكن من اليمن والحجاز ومنها إلى صنعاء، مئة وثمانون ميلاً، ومنها إلى الأعمشية، وهو منزل به عين صغيرة، ولاساكن بها ثم إلى مدينة خيوان، وهي حصن منيع، وفيها بركتان للماء وأهلها أخلاط من العمريين، وفيها كروم، تحمل عنباً كبير الحب جداً، ويصنع منه زبيب طيب الذوق جليل المقدار ويحمل إلى البلاد المجاورة لها، والبعيدة منها.

ومنها إلى صنعاء إثنان وسبعون ميلاً ، وكذلك من خيوان إلى صنعاء ثمانية وأربعون ميــــلاً ، وبخيوان قرى وعمارات ، ومزارع ومياه ، معمورة بأهلها ؛ وبها أصناف من بطون غسان ، وجمـل من قبائل العرب .

ويقرب من خيوان ، بلاد الإباضية ، وبلادهم عامرة ، وحصونهم مانعة ، وزراعاتهم كثيرة ، وعماراتهم متصلة .

ومنها إلى أثافت ، وهي مدينة ، فيها كروم كثيرة ، وقليل نخــــل ، ويشرب أهلها من بركة كبيرة ، فيها ينابيع ماء .

ومنها إلى الربوة ، وهي مدينة صغيرة كالحصن ، حفت بها كروم كثيرة وزروع متصلة ، وعيون دفاقة ، ولأهلها مواش وجمال ، وفي الربوة البير المعطلة والقصر المشيد الذي ذكر في الكتب .

ومنها إلى صنعاء مرحلة ، وقد ذكرنا مدينة صنعاء في ما تقدم من ذكر موضعها من الأقاويل في الإقليم الأول ، وهذا الطريق الذي ذكرناه ، تأخذه القوافل في عشرين مرحلة .

والطريق من مكة إلى ذي السحيم من خولان . تخرج من مكة إلى ملكان ، وهو ماء ينزل به المسافرون ، ومنه إلى يلملم مرحلة ، وهو جبل معترض من المشرق إلى المغرب ، وبه ميقات أهل تهامة ، ثم إلى ... منزل ، بقربها عين ماء ، مرحلة ، ومنه إلى منية وهي قرية صغيرة فيها بئران مرحلة ، ومنه إلى دوقة وعليب ، وهما قريتان عامرتان بأهلها ، مرحلة ، ومنها إلى الحسبة ، وهي قرية صغيرة فيها ماء كثير مرحلة ، ومنها إلى قنونا ، مرحلة ، وفيها منزل فيه بئر ، مرحلة ، ثم إلى بيشة جازان ، وهو منزل فيه بقايا عرب ، وبه بئر عذبة ، مرحلة ومنها إلى مدينة حلي ؛ وهي على الهجر صغيرة ، مرحلة ، وقد ذكرناها في مكانها ومن حلي الساحلية إلى وادي ضنكان الواصل إلى مدينة ضنكان مرحلة ، ومنه إلى بيشة بعطان التي ذكرناها في طريق صنعاء ، مرحلة ؛ ثم إلى جازان القرين ، وهي قرية صغيرة ، لكنها عامرة ، فيها مياه جارية ونخيلات قليلة .

ومنها إلى خولان ذي سحيم ، وهي قلعة حصينة ، ولأهلها منعة ؛ وفيهم عزة .

وجميع هذه البلاد التي ذكرناها هي في أرض تهامة ؛ وتهامة قطعة من اليمن ؛ وهي جبال مشبكة ؛ أولها من البحر القلزمي ، ومشرفة عليه ؛ وتمر منها قطايع في جهة الشرق .

وحدود تهامة في غربيّها : بحر القلزم ؛ وفي شرقيها : جبال متصلة من

الرسائل المتبادلة

بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية

مقدمة تاريخية :

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي — حينما بدأ الانحلال السياسي يدب في جسم الدولة الأموية ، أظهر عدد من الشخصيات الهاشمية طموحاً سياسياً ملحوظاً وبدأ كل منهم ينظم حركة معارضة سرية مستقلة ضد الأمويين .

ولم تكن الفكرة الشائعة بين الناس في تلك الفترة أن يكون خليفة رسول الله ﷺ بالضرورة فرداً معيناً بذاته أو فرعاً هاشمياً بعينه ، بل كان من حق كل هاشمي علوياً كان أو عباسياً أو جعفرياً (نسبة إلى جعفر بن أبي

الجنوب إلى الشمال ؛ وطول أرض تهامة ، من السرحة إلى عدن ؛ على الساحل اثنتا عشرة مرحلة ؛ وعرض أرض تهامة اليمن من الجبال إلى عمل غلافقة يطوق مسير أربعة أيام ؛ وفي شرقيها أيضاً ؛ مدينة صعدة ؛ وجرش ونجران ، وفي شمالها مكة وجدة ، وفي جنوبها صنعاء ، على نحو عشر مراحل ، وبأرض تهامة صرحاء العرب ، من جميع القبائل .

ومكة قطب ومقصد لأهل جزيرة عربة ، وهي بلاد اليمن ؛ فمن مكة إلى صنعاء عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى زبيد عشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى اليمامة إحدى وعشرون مرحلة ؛ ومن مكة إلى دمشق ثلاثون مرحلة ؛ ومن مكة إلى البحرين خمس وعشرون مرحلة ؛ وسنأتي بهذه الطرقات المذكورة في أماكنها بعون الله .

(للبحث صلة)

طالب) أن يدّعي الخلافة ويعمل لها باسم (أهـل البيت) ولذلك انقسم شيعة الهاشميين الى كتل : فمنهم من التف حول محمد بن الحنفية العلوي ، ثم نقلوا ولاءهم الي ابنه ابي هاشم عبد الله الذي أسند قيادة حركته من بعده الى محمد بن علي العباسي ، ومنهم من اتبع عبد الله بن معاوية بن جعفر الطالبي ، ومنهم من ناصر زيد بن علي (زين العابدين) ودعوا الى شهر السلاح وقتـال الأمويين ، ومنهم من شايع الإمـام جعفرا الصادق الحسيني (رض) الذي لم يعرف عنه انه دعى الى الثورة ضد الحكم الأموي بـل كانت معارضته سلبية سلمية .

وحين بدأ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس دعوته السرية كان حذراً وأسند ادعاءه بالخلافة الى وصية ابي هاشم عبد الله كما كان شعاره الدعوة إلى (الرضا من آل البيت) . واستطاع ابراهيم الإمام [1] الذي خلف أباه محمدا العباسي في قيادة المنظمة السرية (العبـاسية) أن يوجه جهوده الى خراسان حيث القبائل العربية المتذمرة من الادارة الأموية . وقـد تكللت جهوده هذه بالنجاح ، إلا انه قتل من قبل مروان بن محمد قبل وصول الشيعة العباسية إلى العراق واحتلالها الكوفة . وقد بايـع قادة الثورة العباسية أبا العباس عبد الله بن محمد خليفةً للدولة العباسية .

وما أن تسلم العباسيون السلطة حتى بدأوا ينظرون الى العلويين نظرة شك باعتبارهم المنافسين لهم على الخلافـة ومصدر خطر على الدولة الجديدة . أمـا العلويون فقد نظروا الى العباسيين كمغتصبين مبتزين للسلطـة من أصحابها الشرعيين . وهكذا دخل النزاع حول الخلافة مرحلة جديدة حيث أصبح نزاعاً بين الهاشميين أنفسهم : بين العباسيين والعلويين .

على ان العلويين لم يكونوا متحدين أو متفقين على زعامة واحدة تنظم كفاحهم المسلح وغير المسلح تجاه العباسيين . ثم ان كثرة القيادات العلوية يعني بالتالي ان ولاء الشيعة العلوية في تلك الفترة لم يكن باتجاه واحد واضح نحو فرع علوي معين . وتدل الأحداث التاريخية في القرنين الأول والثاني الهجريين بأن هؤلاء

الأتباع كانوا على العموم يغيّرون ولاءهم من فرع لآخر بكل سهولة وحسب الظروف .

فبعد وفاة زيد بن علي سنة ١٢٢ هـ – ٧٤٠ م وابنه يحيى سنة ١٢٥ هـ – ٧٤٣ لم يبق بين العلويين سوى شخصيتين رئيسيتين هما الامام جعفر الصادق الحسيني وعبدالله بن الحسن (المحض) من الفرع الحسني . وكان الصادق مسالماً لا يؤمن بالعنف وقد اعطى هذا الموقف من الامام الصادق الفرصة لعبدالله بن الحسن المحض ليجمع حوله الشيعة العلوية التي تميل إلى الثورة ضد الأمويين .

والطريف ان طموح عبدالله المحض لم يكن شخصياً فهو لم يطلب الخلافة لنفسه بل إلى ابنه محمد ذي النفس الزكية ، حيث اشاع عبدالله المحض الفكرة القائلة بان ابنه محمد هو (المهدي المنتظر) الذي سينقذ الناس من الجو العباسي وكان هذا الادعاء خطوة مهمة في تصاعد الثورة العلوية لأنها جذبت الى محمد ذي النفس الزكية اعداداً متزايدة من الاتباع من بينهم المتطرفين اتباع المغيرة ابن سعيد البجلي وبيان بن سمعان النهدي . وكذلك انضم اليه المتذمرون والضعفاء الذين ربما لم يكن لديهم أي ولاء للعلويين أو تفهم للقضية العلوية ولكنهم أملوا بأن المهدي الجديد سينقذهم من الظلم ويوفر لهم حياة أفضل[٢].

وقد حاول الهاشميون أن يوحدوا صفوفهم بتكوين جبهة موحدة تحت قيادة متفق عليها ضد الأمويين فعقدوا اجتماعاً سرياً في الابواء [٣] قرب مكة سنة ١٢٧ هـ ، سنة ٧٤٤ م حينما كانت كل البوادر تتنبأ بتدهور دولة الأمويين بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، سنة ٧٤٣ – ٧٤٤ م حيث زادت الشكوك والتكهنات حول إمكانية صمود الكيان الأموي طويلاً ، وهذا بطبيعة الحال زاد من آمال الهاشميين وطموحهم في الخلافة . وقد دعى عبد الله المحض الحاضرين إلى البيعة لابنه محمد المهدي ولكن المجتمعين انشقوا على انفسهم واختلفوا في الرأي وانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار معين . إن القارىء المتمعن في الروايات المتعلقة باجتماع الأبواء يدرك حقيقة بارزة وهي أن الرواة

ذوي الميول المختلفة قد جعلوا من هذا الإجتماع مسرحاً لتلفيقاتهم ليعزز كل منهم وجهة نظره التي تنسجم مع عاطفته السياسية . على أننا نتساءل هل من المعقول أن يبايع العباسيون شخصية هاسمية أخرى (غـــير عباسية) وهم يعلمون علم اليقين بأن هناك حركة سرية في خراسان تعمل من أجل انشاء دولة عباسية منذ سنة ٩٨ هـ، سنة ٧١٦م .؟! ولو أن العباسيين بايعوا محمداً في هذا الاجتماع لما سكت هذا الأخير من الاشارة إلى هذه البيعة في رسالته المشهورة إلى الخليفة المنصور سنة ١٤٥هـ ، ٧٦٢م (٤) .

وحين تسلم الخليفة العباسي الأول أبو العباس عبد الله بن محمد الخلافة حاول أن يخلق جواً من الوفاق الهاشمي (العباسي – العلوي) وأن يجعل من فترة حكمه القصيرة (١٣٢ هـ – ١٣٦ هـ) رمزاً لانتصار الحق الهاشمي .(٥) ورغم إدراك الخليفة بوجود تحركات موالية للعلويين في العراق وخراسان ومعرفته باتصالات يزيد بن عمر بن هبيرة مع محمد ذي النفس الزكية، ومراسلات أبي سلمة الخلال مع شخصيات علوية، وثورة شريك بن شيخ المهري باسم العلويين في خراسان (٦) فإنه استقر على سياسة الترضية واللين التي تظهر في محاولاته التقرب من العلويين ومن اشعار شعراء البلاط العباسي في ذلك العهد . ولكن يجدر بنا القول بأن أبا العباس أعلنها منذ البداية وبوضوح لا يقبل الشك بأن الخلافة عباسية وستبقى عباسية وانكر أن يكون لأحد غيرهم الحق فيها .(٧)

إن حالة الموادعة التي يشوبها جو التأزم والحرج لم تدم طويلاً فلم تكن هذه السياسة لتوافق المنصور الخليفة العباسي الثاني (١٣٦هـ – ١٥٨هـ) الذي أظهر بجلاء أثر تسلمه الحكم بأن « الملوك لا تحتمل القدح في الملك » وان هدفه تثبت كيان الدولة العباسية مهما كان الثمن . وقد ركز الخليفة جهوده على الحركة العلوية لادراكه بأن هذه الحركة أصبحت رمزاً للمعارضة ضد العباسيين(٨) حيث ان الكتل المتذمرة والتي أخفق العباسيون في كسبها نقلت ولاءها إلى العلويين وأخذت تدعو لهم سواءً كان ذلك باخلاص أو بمجرد التظاهر لا تخاذهم واجهة سياسية لغايات أخرى مبيّتة .

وقد زار المنصور الحجاز مرتين سنة ١٣٦هـ و سنة ١٤٠ هـ للحج ولكي يقف عن كثب على الجو السياسي . وطلب من عبد الله الحض أن يخرج بنيه محمد وابراهيم اللذين اختفيا عن الأنظار ولكن المحض لم يعطـه أية إشارة إلى مكان وجودهما ولا عن فعالياتهما. والظاهر أن فعاليات محمد ذي النفس الزكية كانت شغل الخليفة الشاغل « فلم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه » . ومن « أجل أن يستخرج الثعلب من حجره » على حد قول الخليفة نفسه كان لا بد من إجراءات جديدة وقوية، فصرف الأموال وأرسل العيون والجواسيس على هيئة تجار ، وكتب الرسائل على لسان القادة والشيوخ إلى محمد ذي النفس الزكية يتظاهرون بالولاء للقضية العلوية . ولكن هذه الاجراءات كلها لم تحقق نتائج إيجابية ولذلك قرر الخليفة إرسال رباح بن عثمان المري والياً على المدينة حيث وصلها في ٢٣ رمضان سنة ١٤٤ هـ .

ويعتبر تعيين رباح المري بداية النهاية لتحديات محمد ذي النفس الزكية ذلك لان الاجراءات التي اتخذها كانت من الشدة بحيث اجبرت محـــمداً على الظهور واعلان الثورة. ولعل عنف رباح المري يظهر منقوله لعبدالله المحض: ايها الشيـخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ولا يد سلفت اليه والله لا لعبت بي كما لعبة بزياد بن عبيد الله الحارثي] ومحمد بن خالد القسري والله لازهقن نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وابراهيم » .

وخاطب اهل المدينة قائلا :«يا أهل يثرب لا مقام لكم فأرجعوا . أنا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة عليكم الوبن الوقعة بكم ، الخبيث السيرة فيكم. ثم انتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وأيم الله لاحصدن منكم عقب الذين حصده ، ولألبسن الذل عقب من البس » . (٩)

وسجن المري بأمر الخليفة عـــدداً من العلويين والطالبين وحين عـاد المنصور من الحج سنة ١٤٤هـ قرر جلبهم معه إلى هاشمية الكوفة حيث سجنوا جميعاً، ثم قتل منهم ثلاثة هم عبدالله بن الحسن المحض ومحمد بن عبدالله العثماني ومحمد بن ابراهيم بن الحسن بأمر من المنصور . (١٠)

اعلن محمد ذو النفس الزكية ثورته في أول رجب سنة ١٤٥ هـ / أيلول سنة ٧٦٢ م في المدينة وتعتبر ثورة المدينة ثم ثورة ابراهيم بن عبد الله المحض في البصرة ذروة الكفاح العلوي ضد العباسيين الأوائل .

رسالة المنصور الاولى لمحمد ذي النفس الزكية :

ومن اجل ان يضع التبعة على عاتق محمد ذي النفس الزكية .. ثم من اجل ان يكسب مزيداً من الوقت ليجمع القوات الخراسانية المتفرقة في الاقاليم ، دخل المنصور في سلسلة من المراسلات مع محمد ذي النفس الزكية فأرسل رسالته الأولى [١١] قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله أمير المؤمنين الى محمد بن عبدالله . (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .

ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ ، إن تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك ان أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمائكم وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن اطلق من في حبسي من أهل بيتك وأن أؤمن كل ما جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه ابدا ، فإن اردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به » .

جواب محمد :

فأجابه محمد ذو النفس الزكية قائلا :[١٢] « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله ، الى عبدالله بن محمد . (طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح

أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريـــد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونـُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت عليّ ، فان الحق حقنا ؛ وانما أدعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا . وان أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا . لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله ﷺ ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم. إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد ﷺ ومن السلف أولهم إسلاماً علي ، ومن الأزواج افضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة . البنات خيرهن فاطمـة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإن هاشماً ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين ، وان رسول الله ﷺ ولدني مرتين من قبل حسن وحسين، وإني أوسط بني هاشم نسبا وأصرحهم أبا ، لم تعرق فيّ العجم ، ولم تنازع في أمهات الأولاد فما زال الله يختار لي الأباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار ، فأنا أبن ارفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذابا في النار، وأنا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار . ولك الله عليّ ان دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي ، ان أومنك على نفسك وما لك وعلى كل أمر أحدثته إلا حدا من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك منذلك،وأنا أولى بالأمر منك،وأوفى بالعهد لأنك اعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجـالا قبلي فأي الأمانات تعطيني؟ أأمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ؟ أم أمان أبي مسلم ؟

رسالة المنصور ثانية :

فرد عليه الخليفة المنصور « بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد ! فقد بلغني

كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل بـه الجفاة والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعُصبة والأولياء ، لأن الله جعل العم أبا ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا. ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً ، وأعظمهن حقا ، واول من يدخل الجنة غدا .

ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفائه لهم . وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ابناً. ولو أن أحداً رزق الاسلام بالقرابة ، رزقه عبدالله، أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء قال الله عز وجل (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي وأبىَ اثنان أحدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلاّ ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار . وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار وسترد فتعلم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي ، وأن هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين ، وأن النبي ﷺ ولدك مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ ،لم يلده هاشم إلا مرة،ولا عبدالمطلب إلا مرة . وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً وأباً ، وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتـك فخرت على بني هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ؛ فإنك قد تعديت طورك ،

وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولا وآخراً ، ابراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وعلى والد ولده وما خيار بني أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد .

وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن حسين وهو لأم ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن . وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدّته أم ولد ، ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر ، وجدّته أم ولد ولهو خير منك ، وأما قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى يقول في كتابه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) .

ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف ترث بها ؟. ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ومرضها سراً ، ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلها ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أب الأم والخال والخالة لا يرثون .

وأما ما فخرت به من علي وسابقته ، فقد حضرت رسول الله ﷺ الوفاة فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها . أما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه . ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه وشكّ فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ثم كان كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حله ، فإن كان لكم شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه ،حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان . وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية

والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه ، فاتخذت ذلك علينا حجـة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر . وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلماً منهم ، مجتمعاً عليهم بالفضل وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنــه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله، وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي ﷺ غيره ، فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله إلا ولده : فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا في إسلام في دنيا ولا آخرة، إلا والعباس وارثه ومورثه .

أما ما ذكرت من بدر، فان الإسلام جاء والعباس يمون آل أبي طالب وعياله، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته . ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً ، لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ؛ ثم فدى عقيلاً يوم بدر . فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء . وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ؟ والسلام عليك ورحمة الله (١٣) .

إن الرسائل التي تبودلت بين محمد ذي النفس الزكية وأبي جعفر المنصور

ربما كانت أهم وأطرف وجه للعلاقات العباسية العلوية في العصر العبـــاسي الأول لأنها :

١ ــ عكست آراء زعيمين متنافسين حول مسألة شائكة هي الخلافة .

٢ ــ لقد كانت الرسائل هذه ذات أهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفـين المتنازعين حيث بينت وجهة نظرهما ودافعت عنها بشدة .

٣ــ اعتبرت الرسائل بمثابة إعلان للحرب، وتبرير للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم. فلقد كان واضحاً منذ البداية أن الطرفين لم يكونا يتوقعان الخضوع أو الصلح كنتيجة لهذه المراسلات . والحقيقة أن الرسالة الأولى لأبي جعفر تـدل على استحالة الصلح لأنها تهدد وتتوعد قبل أن تمنّـي أو تعفو. وقد كان محمد ذو النفس الزكية يدرك ذلك حيث كتب إلى عيسى بن موسى القائد العباسي بأن العباسيين لو ظنوا بأنه سيقبل الوعود والامتيازات التي قدموها له لما ذكروها .

النقـد الخارجي :

أ ــ **ظروف الأزمة** : لقد راسل الخليفةُ محمداً ذا النفس الزكية بعد أن ظهر وأعلن ثورته . ويشير ابن الطقطقي إلى ذلك فيقول بأن الأمور كانت تمر ببطء، والتأزم بلغ أشده حين«تكاتبا وتراسلا». وحين يصف هذه الكتب يقول بأنها كتب نادرة تعد من محاسن الكتب ، وأنهـــما أي الخليفة والثائر « احتجا وذهبا في الاحتجاج كلّ مذهب » [١٤]. أما المبرد فيعتبرها «طريفة ومستحسنة جداً »[١٥].

ولعلنا نعيد الى الأذهان القول بأن محمدا ذا النفس الزكية أجبر على الخروج من محل اختفائه على حد قول بعض الروايات حيث تذكر أن الخليفة قال ما معناه بأنه استطاع أن يخرج الثعلب من مخبئه .ولذلك فالخطوة التالية بالنسبة للخليفة كانت على حد قول نفس الروايات « انذره قبل قتاله » [١٦] . وعبر الخليفة في رسالته عما كان يجول في خاطره من أفكار وقد منع الخليفة

وزيره أبا ايوب المورياني من أن يرد عليه وفضل ان يرد عليه بنفسه قائلا : « إذا تقارعنا على الأحساب فدعني له »[١٧] .

ولعلنا نذكر كذلك أن الخليفة كان دؤوباً في التفتيش عن محمد يقول عمر بن شبة عن الخليفة : « لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه ». وتقول روايه أخرى أنه « جدّ في طلب محمد وألح في طلبه » أو « لم تكن له همة الا طلب محمد »[١٨] . اما اجراءات الخليفة الذي كان يعرف انه ينـــازع شخصاً « لا يؤمن وثوبه عليه وأنه للذي لا ينام عنه »[١٩] فتتلخص بالآتي :

(١) ارسال العبيد للتجسس على محمد ذي النفس الزكية في الحجاز على هيئة تجار وبياعي عطر وغيره[٢٠]

(٢) محاولة اقناع عبدالله بن الحسن المحض باظهار ابنه محمد الذي اجـاب دون وجل . « لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه » .

(٣) حبس الحسنيين والطالبيين من أقرباء محمد وخاصة ابيه .

(٤) اقصاء الولاة الذين لم يجدوا في طلب محمد وتعيين ولاة آخرين .

(٥) ولم يتورع الخليفة عن استخدام السحر لمعرفة مكان اختفاء محمـــد كما تذكر بعض الروايات .

(٦) ارسال كتب على لسان الولاة والقواد والأقاليم يدعون محمدا الى الظهور ولعل هذه الاجراءات[٢١] تعكس مقدرة الخليفـة في استغلال الموقف لصالحه عن طريق الاستفادة من النزعة الشريرة لدى اتباعه وتوجيههم ضد محمد الثائر . كل ذلك يوضح لنا الموقف السياسي المتأزم والحـــالة النفسية الحرجة لكلا الزعيمين .

ب – مصادر الرسائل التاريخية :

لقد ذكر هذه الرسائل عدد كبير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ورغم أن المتأخرين نقلوا حرفياً أو مختصراً أو اشاروا الى هذه الرسائل معتمدين

على المتقدمين من المؤرخين الا ان سند هذه الروايات والمصادر التي ذكرت فيها لا تدع مجالا للشك في كونها حقيقة تاريخية معترف بها .

ولكن نصوص هذه الرسائل ربما حرّفت هنا وهناك من قبل رواة ذوي ميول علوية أو عباسية ، يقول الأزدي [٢٢] « فأنبأني محمد بن يزيد عن عمر ابن عبيدة عن محمد بن يحيى قال : سمعت هذه الرسائل من محمد بن بشر وكان يصححها وحدثينها ابو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق عن ابن ابي حرب وكان يصححها » .

ولعل أقوى دليل على صحتها هي وجودها في مصادر متقدمة رئيسية : مثل البلاذري والأزدي والطبري والمبرد وابن عبد ربه وابن مسكويه وكتاب « غرر السير » وكتاب « العيون والحدائق » وابن الجوزي والتبريزي صاحب كتاب « تحفة الأولياء والاتقياء » وابن الاثير والنويري والذهبي وابن كثير وابن خلدون . ويعلق هذا الأخير على الرسائل المتبادلة فيقول بأنها كانت تتعلق « بالانساب والأحوال » وان كلا من الخليفة ومحمد « انتصف لنفسه » وان الأمور التي عرضاها كان « ينبغي الاعراض عنها »[٢٣]. ويتفق صاحب كتاب « غرر السير » مع ابن خلدون حين يصف هـذه الرسائل ويقول : « وعلا الأمر عن العتاب والخطب عن الخطاب »[٢٤] .

ثم اننا نستطيع أن نفهم سبب تحــرج اليعقوبي والاصفهاني من ذكر هذه الرسائل بسبب ميولهما العلوية المعتدلة ولكن ما هي الأسباب التي دفعت مؤرخين آخرين لاختصار هذه الرسائل أو الاكتفاء بالاشارة إليهــا فقط وخاصة فيما يتعلق بالرسالة الثالثة . هل انه طول الرسائل أم عدم الثقة فيها لأن يد الوضع حرفت وبدلت فيها أو التحرج منها ؟!.

إن المصدرين الرئيسيين للرسائل هما الطبري والمبرد ، مع ان نص الطبري يختلف عن نص المبرد فإنهما يتشابهان في المعنى العام. وقد تبع بقية المؤرخين أحد هذين المصدرين الرئيسيين .

أما التبريزي فيذكر رسالة رابعة من محمــد ذي النفس الزكية إلى الخليفة

وينفرد بها حيث لا يذكرها غيره بهذا الشكل المطول . ويعبّر التبريزي عن ميوله العلوية فيقول مثلاً على لسان محمد : « واني لم أخرج طالباً الدنيا وزخرفها وإنما خرجت لأريح الأمة من ظلمكم وخروجكم وتعديكم (٢٥) » .

وأخيرا فإن إجابة الخليفة على رسالة الثائر محمد نقطة نقطة ، وسيره في جداله معه فكرة بعد أخرى ، حيث لم يترك رأياً جاء به محمد ذو النفس الزكية إلا ردّ عليه برأي مضاد ، إن هذا يدل دلالة واضحة على حقيقة الرسائل وصحتها .

النقد الداخلي :

أ – ان الرسالة الأولى للخليفة كانت نذيراً ببدء النزاع المسلح وكانت صفتها دعائية ، ذلك لأنها في الوقت الذي تدعو الى الاتفاق والسلم فانها تجعل ذلك السلم مستحيلاً بالتهديدات . فهي توعد بالقتل قبل أن تمنّي بالصلح والوفاق ، كما أنها تسأل من محمد ذي النفس الزكية أكثر مما تعطيه فعلاً . وهي لذلك بمثابة الإنذار قبل القتال .

ب – ان جواب محمد ذي النفس الزكية على رسالة الخليفة يعبّر بصورة واضحة وصحيحة عن موقف المعتدلين من العلويين حول مسألة الخلافة ، ويمكن اجماله بالآتي :

(١) لقد استند محمد في ادعائه الخلافة لا على كونه من نسل الامام علي (رض) فقط ولكن على كونه من نسل فاطمة (رض) ابنة الرسول (ﷺ) . وكان على محمد أن يؤكد هذا المفهوم الجديد في نزاعه مع العباسيين وذلك لأن العباسيين هم احفاد العباس عم النبي (ﷺ) بينما علي (رض) كان ابن عم النبي (ﷺ) . والعم أقرب من ابن العم .

(٢) افتخر محمد على أبي جعفر بكونه ابن أم عربية حرة. وهذه الاشارة لا بد أن تكون قد اغضبت الخليفة الذي كان ابن أمة بربرية اسمها (سلامة) بينما كان محمد ابن أم عربية هاشمية من نسل الحسين (ض) . وكان هذا

المفهوم الارستقراطي في النسب سائدا في عهد الأمويين بصورة خاصة الذين حرموا الكثير من اولاد الاماء مثـــل مسلمة بن عبد الملك من الخلافة رغم مقدرتهم .

ثم ان افتخار محمد بنسبه العربي الأصيل لا يمكن أن يكون قد لاقى تقبلاً من الموالي (المسلمين من غير العرب) في الحجاز وخراســـان والعراق الذين كانوا أنصار للعلويين خاصة وأنه كان بحاجة الى الأنصار لأن أكثر القبائل الحجازية لم تكن علوية كما هو الحال في الكوفة . وربما كان الناس في الحجاز يعطفون على ما لاقاه العلويون من شدة وعنف ولكن الذين يعتقدون بأحقية آل علي في الخلافة كانوا قلة في الحجاز .

(٣) لقد ذكّر محمدٌ ابا جعفر بان جده العباس كان من بـين الطرداء والطلقاء واللعناء . أما الطلقاء فهم أهل مكة من الكفار حيث اطلق عليهم الرسول ﷺ هذه التسمية بعد فتح مكة . أما الطرداء واللعناء فهم بعض الأمويين أيضاً ولعلها تشير كذلك بصورة عامة الى اولئك الذين حاربوا الرسول ﷺ ولم يدخلوا الاسلام الا بعد فتح مكة سنة ٨ هـ ٦٣٢م . والمعروف ان العباس حارب في جانب قريش في معركة بدر وأسر من قبل المسلمين .

(٤) ولم يلقب محمد نفسه امير المؤمنين أول الأمر وانما سمى نفسه المهدي وهي الفكرة البراقة التي كانت تجذب اليها الجماهير اكثر من أية فكرة اخرى لأنها تبعث فيها الآمال وترضى التطلعات نحو المستقبل .

(٥) يستهزيء محمد بأمان الخليفة مذكراً إياه بالأمان الذي أعطاه قبل ذلك لعبد الله بن علي ولأبي مسلم الخراساني وليزيد بن عمر بن هبيرة .

٦ ـ ولم يترك الخليفة المنصور في جوابه على رسالة محمد ذي النفس الزكية دعوى علوية إلا وأجاب عليها بدعوى عباسية والواقع أن إجابته تسلسلت نقطة فنقطة دون أن يهمل شيئاً من ذلك . وأهم ما في رسالته الجوابية هو :

(١) دحض أبو جعفر ادعاء عليٍّ اعتبار أنه يستند على قرابة النساء بينا تعتبر قرابة العمومة (العباس) أقرب من قرابة النساء (فاطمة) . لقد كانت

محاولة بارعة من الخليفة ان يبني ادعاءه على أسس شرعية ودينية وأسس تستند على التقاليد العربية فالعم يصبح كالأب بالنسبة لأبناء أخيه المتوفي، والعم أب كما هو معروف لدى العرب .

(٢) ذكّر أبو جعفر محمداً بأن العباس كان مسؤولاً عن سقاية الحجاج عند الكعبة في الجاهلية والإسلام . وهذا ما يسمى «بحق الحرمة» التي زادت من شهرة العباس بين الناس حتى أن عمر بن الخطاب (رض) استغاث به حين حصل الجفاف في الحجاز في إحدى السنوات .

ولعل ذكر أبي جعفر لقرار عمر بن الخطاب كانت له دلالته حيث جعل نفسه في صف (أصحاب الحديث) الذين تطوروا فيما بعد إلى ما يسمى (بأهل السنة والجماعة) .

(٤) وكان أبو جعفر متعمداً في رسالته حين مدح الفرع الحسيني وفضلهم على الفرع الحسني . ففضل علياً زين العابدين على عبد الله بن الحسن وفضل جعفراً الصادق على محمد ذي النفس الزكية . وبما أن زين العابدين والصادق من أبناء أمهات أولاد وأن عبد الله ابن الحسن وابنه من أمهات عربيات هاشميات فإن الخليفة يدحض بذلك فخر محمد بقرابة النساء ونقاءَ الدم بصورة غير مباشرة ، ويثبت مركزه باعتباره ابن أم ولد نفسه .

(٤) إلا ان أهم نقطة في رسالة الخليفة هي حين تتكلم الحقائق المبسطة من الوقائع التاريخية ، وهنا يحقق أبو جعفر كسباً قوياً في منافسته لمحمد حيث يبيّن الخليفة بوضوح أن العلويين حاولوا مرات الثورة ضد الأمويين ولكن ثوراتهم فشلت المرة تلو الأخرى . ثم حاول العباسيون محاولتهم الثورية فنجحت .

وكرّر الخليفة فكرته قائلا بأن بني هاشم وأهل البيت عموماً لهم نفس الحق في الخلافة وبما أن العباسيين قد حققوا الانتصار بالقوة فإن انتصارهم يبرر حصولهم على السلطان على عكس العلويين الذين حاولوا ففشلوا .

وقد بين الخليفة هـذه النظرة نفسها في خطبة ألقاها على قواده ومواليه وأهل بيته حين سمع بنبأ ثورة محمد حيث قال : [(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيـــامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به فما شكروا القائم ولا حيوا القائم . كلا والله لأن أموت معززاً أحب إلي من أحيا مستذلاً ولئن لم يرض بالعفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي والسعيد من وعظ بغيره] .

(٥) ويظهر الخليفة نفسه بأنه يستطيع أن يكون كمنافسه فخوراً ومتعالياً حينما يرد في آخر رسالته على ما ذكره محمد من أن العباس كان من الطلقاء فيقول : بأن العباس نفسه خلص طالبا وعقيلا وفداهما من الأسر . وذكّره كذلك بأن العباسيين قسموا الكثير من الأراضي الأموية على العلويين وأكرموهم.

(٦) كما أشار الخليفة بأن الأمويين أخذوا بثأر أبناء عمهم العلويين من الأمويين .

د — ولا تذكر مصادرنا التاريخية أن محمداً ذا النفس الزكية أجاب على هذه الرسالة، ولكن المستشرق تريني يذهب إلى وجود رسالة رابعة موجودة في مخطوطة « زهرة العيون وجلاء القلوب » في ١٨ صفحة الموجودة في القسم الثالث المسمى « بتحفة الأولياء والأتقياء » . ولكننـا نتفق مع المستشرق فان أريندونك بأن لا صحة لهذه الرسالة الموضوعة من قبل بعض الرواة ذوي الميول العلوية ، خاصة وإننا نعلم أن الرواة العرب مولعين بتصوير امثال هذه المساجلات والمناظرات وإضفاء صيغة اسطورية عليهافيها الكثير من المبالغة .

وهناك نقطة ثانية أثارها تريني الذي يفترض بان جزءاً من رسالة محمد الى الخليفة قد حذف من قبل الرواة خشية من العباسيين أو ولاءاً لهم . ان النص المحذوف يشير إلى تذكير محمد ذي النفس الزكية للخليفة ببيعته له في اجتماع الأبواء حيث يعتقد تريني بان الهاشميين بايعوا محمدا في ذلك الاجتماع [٢٨] .

ولا شك بإن بعض الروايات تذكر ان الهاشميين وفيهم أبو جعفر قد بايعوا محمدا في الأبواء .ويذكر تريني مثلا الرواية التي تذكر بان الهـاشميين في

الحجاز ذكروا الخليفة المنصور الذي كان يسألهم عن مكان اختفاء محمـــد قائلين « يا امير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ... » . ولكن هذه الرواية لا تدل على البيعة ولا تشير اليها . وهناك رواية ثانية تقول بان الخليفة هدد عثمان بن خالد الزبيري لاعانته لمحمد فقال له. «بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة فوفيتُ ببيعتي وغررتَ ببيعتكَ» فأمر المنصور بقتله . ثم إن الازدي يظهر بان الرسائل قـد صححت مرات من قبل الرواة ، كما أن المبرد يعترف بانه قد اختصر بعض نصوصها مبرراً ذلك بالقول « ان الراوية احد الشاتمين » ، ويطلب من قرائه الا يسألوا عن النص كاملاً الذي ربما لا يستطيع تقديمه لأسباب تتصل بالسلطة العباسية .

ويقترح تريني بأن الفقرة التي تتعلق ببدر في رسالة ابي جعفر لا يمكن ان ترد في الرسالة دون مقابل لها في رسالة محمد. ولذلك فان محمدا — ، على رأي تريني — لا بد أن يكون قد ذكر البيعة في الابواء ولذلك فقد رد عليـــه ابو جعفر ذاكراً بأن العباس كان المطعم لقريش ومنهم آل عـــلي في الأبواء في طريق بدر وانه فداهم بعد بدر .

على أن تخريج الاستاذ تريني لا يستند على أساس تاريخي قوي ومن الصعوبة تصديقه خاصة إذا علمنا أن محمدا ذا النفس الزكية على عكس ما يقول تريني أشار إلى بدر فعلا في رسالته حين اتهم أبا جعفر بانه من ابناء الطلقاء واللعناء والطرداء .

الخاتمة

لقد اظهرت الرسائل والخطب التي تبادلها الخليفة ومحمد ذو النفس الزكية شخصية الطرفين المتنازعين فالروايات تبرز ما يتصف بـــه محمد ذو النفس الزكية من صفات الشهامـــة والكرم والنبل والشجاعة ولعلنا نستطيع ان نختصرها (بالفروسية) . ثم إن تربيته ورعاية والده الشديدة له حيث سماه ذا النفس الزكية (التي تدل على المثالية في الخلق) والمهدي (الذي يظهره بمظهر المنقذ السياسي المنتظر) جعلته شخصاً ذا كرامة يعتبر الموت بعز أفضل من النجاح اذا لم يستطع تحقيقه .

ولكن هذه الصفات التي جعلت من محمد شخصاً يعيش في احلام من الخيال وكذلك تلك الانفعالية الملتهبة التي تعكسها رسائله وخطبه في اتباعه بالحجاز ، كان لها الأثر الفعال في خلق الأعداء وتنفير الأتباع ، وبالتالي فشل الثورة .

وعلى العكس فقد كان الخليفة ابو جعفر يتكلم بلغة الواقعي الواثق من نفسه ، وكانت نبرته اكثر دقة واتزانا وتأثيراً لا بسبب ان دعواه افضل من دعوى محمد بل لأنه كان أقـــل انفعالية وأكثر هدوء ، كما أنه سمح لنفسه بمقارعة أكثر عنفاً وأقل احتراماً من مقارعة محمد له . هـــذا بالاضافة إلى استعماله اسلوباً تهكمياً استهزائياً حتى لكأنه ظهر أو لعله تظاهر ببراعة على حبه واستهوائه لهذه الفرصة التي سنحت له ليجادل بها العلويين في الحسب والنسب والأولوية بالامر والوفاء بالعهد .

الدكتور فاروق عمر

الحواشي :

(١) أنظر مقالة « إبراهيم الإمام » في دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية) كتبها الدكتور فاروق عمر .

(٢) أنظر : الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية ١٣٢ هـ - ١٧٠ هـ ، (بالانكليزية) ، ص ٢١١ فما بعد ، بغداد ، ١٩٦٩ .

(٣) البلاذري ، مخطوط أنساب الاشراف (استانبول) ص ٦٠٨ ب . - الاصفهاني: مقاتل الطالبيين ، ص ١٤٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٣ ، ص ١٤٤ طبعة ليدن الأوروبية .

(٤) الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ . - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٤ ، ص ١١٥ - ١١٨ ، - الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٣ بـ . الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٩ . - المسعودي : مروج الذهب - جـ٦ ص ١١٦ .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ص ٦٨٠ أ . - الاصفهاني : الأغاني : جـ١٠ ، ص ١٠٥ .- الطبري: جـ٢ ، ص ١٧١٣ جـ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٧٨

(٧) البلاذري: المصدر السابق : ص ٧٨٤ بـ - ص ٧٨٥ أ . - الطبري : المصدر السابق: جـ٣ ، ص ٢٩ فما بعد .

(٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦١٠ أ . ـ المؤلف المجهول : العيون والحدائق ، الطبعة الأوروبية ، ص ٢٤٦ . ـ المسعودي : مروج الذهب : جـ٣ ، ص ٢٢١ .

(٩) عن هذه الاحداث وتفاصيلها أنظر الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية : ص ٢٢٠ فما بعد .

(١٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٤ . ـ الاصفهاني : مقاتل : ص ١٤٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ . ـ الطبري : جـ٣ ص ١٨٢ ، ١٨٥، ١٨٨ العاملي : أعيان الشيعة : جـ٥ ، ص١٤١ .

(١١) الطبري : جـ٣ ص ٢٠٩ . ـ ابن الأثير : الكامل : جـ٥ ، ص ١١٥ . ـ العيون والحدائق ، ص ٢٤٠ فما بعد .

(١٢) الطبري جـ٣ ، ص ٩ ٢ ـ ٢١٠ . ـ الأزدي: المصدر السابق: ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(١٣) الطبري : المصدر السابق . ـ الأزدي ص ١٨٣ فما بعد . ـ غرر السير ، مخطوطة (جامعة أكسفورد) ص ١٨٣ أ .

(١٤) ابن الطقطقي : الفخري ، الطبعة الأوروبية ، ص ٢٢٥ .

(١٥) المبرد : «الكامل» ، الطبعة الأوروبية ، ص ٣٠٢ .

(١٦) الطبري : جـ٣ ، ص ٢٠٦ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل : الطبعة الأوروبية ، جـ٥ ، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

(١٨) الطبري ، جـ٣ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٤٤ .

(١٩) المصدر السابق:جـ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢٠) البلاذري ، أنساب الاشراف:ص ٦١٠ أ (مخطوطة) . ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : جـ٣ ، ص ١٧١ .

(٢١) عن هذه الاجراءات أنظر : الطبري : جـ٣ ، ١٦١ فما بعد . ـ الأزدي : تاريخ الموصل . ـ البلاذري أنساب الاشراف ، ص ٦٢٠ أ ، أنظر كذلك فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٢٢٠ فما بعد .

(٢٢) الأزدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨١ .

(٢٣) ابن خلدون : العبر : جـ٣ ، ص ١٩١ ، جـ٤ ، ص ٤ — ٦ .

(٢٤) المؤلف المجهول : غرر السير مخطوطة (مكتبة بودليان . جامعة أكسفورد) ص ١٨٢ أ — ١٨٣ أ .

(٢٥) التبريزي : تحفة الأولياء والأتقياء ، (مكتبة بودليان . جامعة أكسفورد) .

(٢٦) R. Traini, la corrispondenza tra al - Monsur Muhammad, Annali.

(٢٧) Van Arendark : les débuts de l'imàmat zaidite au yémen, trad. franc. par, J. Ryekmans, leyde 1960, p. 53 .

(٢٨) أنظر : R. Traini, o p. cit, P. 797

الرُّبَّان سُليمان المَهْري
ومؤلفاته في علمي الملاحة البحرية والفلكية

– القسم الاول –

مقدمات لا بد منها :

عُرف سليمان المهري لدى الدوائر العلمية الأدبية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق كتاب « المحيط في علم الافلاك والأبحر » للملاح الشاعر الكاتب التركي سيدي علي بن حسين ريس ، الذي اعتمد اعتماداً كلياً على مؤلفات ابن ماجد والمهري .

وعلى ذلك تمّ اكتشاف هذه المؤلفات الجديدة في مادتها، على يد المستشرق الفرنسي غبريل فيران ، فعندما كان أحد زملائه المستشرق غودفرو ديمومبين يبحث في مخطوطات المكتبة الاهلية بباريس عن موادِ لزميله فيران تساعده في إعداد مؤلفه الذي أصدره عام (١٩١٣ – ١٩١٤ م) بعنوان « قصص الرحلات والنصوص الجغرافية العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالشرق الاقصى من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر » حالفه التوفيق بالكشف عن مخطوطتين تضمان مصنفات أحمد بن ماجد وسليمان المهري . غير أن المستشرق الفرنسي دي سلان وهو اول من وصف هاتين المخطوطتين قد سبق ديمومبين إلى ذلك ، حين عمله في إعداد فهرس المكتبة الذي تم طبعه عام ١٨٩٥ م . بينما كان المستشرق الفرنسي رينو حافظاً لمخطوطات المكتبة الاهلية قد تحدث عن سليمان المهري في مؤلفه « مقدمة عامة لدراسة الجغرافيا عند المشارقة »[١] معتمداً على كتاب امير البحر التركي سيدي علي ريس .

ومع ذلك فقد تأخر هذا الكشف إلى عام ١٩١٢ م ، وكان عليه أن

(١) Introductıon Géuéraleaia Ceographie .

ينتظر إلى عام ١٩٢٥ م، حينما نشره فيران بالتصوير الفوتوغرافي . وقد كرس فيران طاقته العلمية لهذه المصنفات ، فأصدر في سبيل ذلك سلسلة من الأبحاث والمقالات التي تتمثل في الأبحاث مما أسهم بها في « دائرة المعارف الإسلامية » وكتابه « مقدمة في الملاحة الفلكية عند العرب »[٢] . وإلى جانب فيران فإن العلامة السويسري ليوبولددي سوسر (١٨٦٦ – ١٩٢٥ م) وهو الخبير في علم الفلك والمسائل البحرية ، قد قام بقسط وافر في معالجة بعض المسائل ذات المفردات البحرية الفلكية ، التي وإن بدأت عسيرة الفهم إلا أنها أبعدمن تكون مستحيلة أمام جهودهما ، فكان نصيبها التوفيق في حالات عديدة ، وأسهمت بهذا في غنى المعجم العربي – كما يقول كراتشوفسكي – .

– ٢ –

أما المستشرق الفرنسي غبريل فيران فإنه يكفينا لكي نعرفه أن نورد هنا ما ذكره المتشرق الروسي كراتشوفسكي في كتابه عن « الأدب الجغرافي العربي » ، الذي تحدث حديثاً ممتازاً عن ابن ماجد والمهري . ومما قاله عن فيران: المستشرق الفرنسي غبريل فيران G. Ferrand عالم ممتاز، تركز نشاطه العلمي في الثلث الأول من القرن العشرين ، ويعد من كبار المتخصصين في الجغرافيا التاريخية للمحيط الهندي والجزائر الشرقية المنتشرة من ساحل أفريقية الشرقي إلى سواحل الصين ، ويعتمد نشاطه العلمي في هذا المجال على تدريب بعيد المدى وسعة في الأفق العلمي لا مثيل لها ، وقد كان فيران في بادىء الأمر من تلامذة رينيه باسيه R. Basset وقد تخرج عليه في محيط الدراسات العربية والافريقية ، ثم أمضى جميع حياته بالتقريب في الخدمة الدبلوماسية بالمستعمرات الفرنسية بالمحيط الهندي من مدغشقر إلى الهند الصينية ، وتمثل أهمية كبيرة في هذا الصدد دراساته عن اللغة الملغاشية وآثار مدغشقر القديمة ، ولم يلبث أن صرف هذا الاتجاه الى الاهتمام بأرخبيل الملايو ودفعه لا إلى دراسة لغة الملايو وحدها بل لغات الشرق الأقصى الأخرى والى التعرف على تاريخ

---

(٢) Introduction à L'astromomie Nautique arabe (1828) .

تطور علم الفلك في تلك النواحي ، ولم يكتف بهذا بل ألم بجميع ما يمت بصلة إلى ذلك العالم القائم بذاته ، أعني ذلك المحيط الحضاري الذي امتزجت فيه الحضارة العربية بالحضارتين الهندية والملايوية . وقد توج جانباً من مجهوده في هذا الصدد بإخراج مؤلفه الأساسي الذي جمع فيه المادة العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالجغرافيا التاريخية للهند والشرق الأقصى . وقد حالف التوفيق فيران أثناء جمعه لمادة هذا الكتاب في أن يكشف عن مصنفات لمؤلفين عربيين من الذين دونوا في محيط الجغرافيا الملاحية ، هما أحمد بن ماجد وسليمان المهري . وإذا كان الكشف عن هذه المصنفات وليد الصدفة البحتة إلا أن توضيح الأهمية الكبرى لهذه النصوص وإلقاء الضوء على محتوياتها ما كان ليأتي إلا لعالم متعدد النواحي من طراز فيران الذي أمضى جميع حياته العلمية بهذا الميدان، بل أن آخر خطوة في نشاطة العلمي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه المصنفات الأخيرة كشفت عن آخر صفحة مشرقة في تاريخ الأدب الجغرافي العربي . » [1]

وتوفي فيران (١٣٥٤ – ١٩٣٥ م) وقد أعاد طبع « مروج الذهب » للمسعودي ، و « رحلة ابن بطوطة » وكان من أعضاء « أكاديمية » أمستردام وتوفي بباريس [2] .

— ٣ —

ومع كل ذلك فإن هذه المؤلفات التي تحتفظ بقيمة مادتها العلمية الى اليوم، لا تزال مجهولة لدينا نحن العرب وبحاجة إلى جهود علمائنا العلمية ، ونشرها وفق ما تمليه علينا الأمانة العلمية والأدبية لهذا التراث العظيم الذي وصفه كراتشوفسكي (بأنه يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة البشرية جمعاء ، فهي تصور لنا بدقة كبرى طبيعة الأوضاع الملاحية الأوقيانوسية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، وذلك في المجال البحري الممتد بين ساحل

(١) تاريخ الادب الجغرافي ، ٢ (٥٦٨ – ٥٦٩) .
(٢) «الاعلام» ، الزركلي ، ج٢ ص (١٠١) .

افريقية الشرقي ابتداء من رأس الرجاء الصالح بالتقريب ، وبين ميناءالزيتون الشهيرة بالصين ، وهو يشمل البحر الاحمر والخليج العربي وجميع جزر المحيط الهندي وأرخبيل آسيا الشرقية باستثناء الفيلبين واليـــابان وحدهما . والى جانب هذا فهي تمثل أهم مصدر للمعلومات الجغرافية التي كانت معروفة في العصور الوسطى المتأخرة عن البحار الجنوبية ، ويمكن اعتبارهاإلى حد كبير جمعاً للمعارف التي وجدت تحت تصرف جميع ملاحي بحر الهند بمـــا فيهم العرب والزنوج والهنود الغربيون والشوليان والاندونيزيون بل وحتىالصينيون وعلى هذا فهي تمثل أهم مصدر لتاريخ الملاحة والتجارة في البحار الجنوبية في الفترة السابقة للفتح البرتغالي مباشرة . وقد أثبتت المصادر البرتغالية أن أقدم مادة سجلتها في هذا الشأن تحمل آثار النفوذ العربي بوضوح ، أضف إلىذلكأنبعض الاصطلاحاتالفنية البرتغالية ليست سوىترجمة صرفة لمثيلاتها العربية ، ويضيف كراتشوفسكي : واذا كان تأثير أدب الجغرافيا الملاحيـة العربية على أهل الغرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر جلياً بهـذا القدر فقمين أن يكون تأثيره على أهل المشرق أوسـع ، ويمكن تتبع هذا بصورة خاصة على الجغرافيا الملاحية في الأدب التركي التي مرت في القرن السادس عشر بفترة من الازدهار والانتعاش تدين بها ليس قليلاً الى هـــذه المصنفات العربية .

— ٤ —

ولقد كان من أسباب هذا التجاهل—إن لم يكن— إهمالاً،انعز علىالباحث أن يجد طرفاً من أخبار هذا الربان العالم ، مما يعد نقصاً في حق حضارتنا الفكرية والعلمية . ففي مصادرنا العربية ، وبعد تتبع لها ، لم نجد إشارة عن المهري تعزز فينا عزيمة البحث والإعتداد بمصادرنا ، فهي وإن لم تكن المنبع الأول لما نكتب فيه عن جوانب حضارتنا فلحماية هذه الجوانب من أن تهدم ، ولا خير فيمن لا يصون حماه بعد أن شيده .

ولهذه الأسباب كان المجال مفتوحاً لبحثنا هذا أن يكون رائداً في موضوعه بلغته، فـلا تثريب عليه ان اعتوره نقص أو شط به قصر، مع التقصي والحرص اللذين كانا عنوان هذا البحث.

الأصل والمنشأ :

لم يتضح حتى الآن - بالتحديد - متى ولد سليمان بن أحمد بن سليمان المهري المحمدي. ويعتقد أمير البحر التركي سيد علي، وهو ممن انتفع بمؤلفات المهري في إعداد كتابه «المحيط» أنه لم يكن في عداد الأحياء سنة ٩٦١ هجرية (١٥٥٤ م) وعلى هذا التاريخ اعتمد فيران في مقدمته لرسائل المهري التي نشرها بالتصوير الفوتوغرافي [١] .. ولا مشاحة إذا ما اعتبرنا هذا التاريخ أساساً نعتمد عليه في معرفة ميلاده التقريبي.

والمهري أتم كتابه العمدة المهرية سنة ٩١٧ هجرية (١٥١٠م) فيكون قد عاش بعد تأليفه لكتابه هذا أربعاً وأربعين سنة، ومن الجائز أن يكون قد عاش قبل تأليفه لهذا الكتاب أربعين سنـــة، وعلى هذا الافتراض يكون ميلاده سنة ٨٧٧ هجرية (١٤٧١م) تقريباً.

وينتمي سليمان المهري الى قبيلة مهرة بن حيـدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وتمتد مساكن بني مهرة على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية حتى عُمَان، ويحدده ياقوت الحموي بمسيرة شهر واحد وطوله أربع وستون درجة، وعرضه سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة في الاقليم الأول من ناحية الشّحْر.

وقد امتدت مساكن بني مهرة حتى جزيرة سُقُطْرَى، فجاوروا فيها قوماً من الوثنيين يعتقد الهمداني انهم من الروم، وأن كسرى انزلهم بجزيرة سقطرى، ولكنه يعود فيستشهد بأهل عدن الذين يؤكدون أنه لم يدخلها أحد من الروم، غير أن أهلها الرهابنة فنوا فسكنها بنو مهرة، وقوم من الشُّراة، وقد ظهرت فيها دعوة الاسلام [٢].

---

(١) الادب الجغرافي ص ٥٨١ (الترجمة العربية) صلاح الدين عثمان هاشم.

(٢) صفة جزيرة العرب - الهمداني ص ٥٣

وبقي المهريون بجزيرة سُقطرى بعد ذلك حتى سنة ٨٩٤ هـ ، وكانت السلطة فيها بيد محمد بن علي بن عمرو بن عفرار ، وابن عبد (رب) النبي السليماني الحميري ، وكلاهما من مشائخ مهرة [١] .

وبينما تنقطع عنا أخبار بني مهرة التي شحت بها المصادر التاريخية ، نجد ابن ماجد وهو من المعاصرين لبني مهرة في ذلك التاريخ يسرد لنا بالتفصيل اخبار المهريين في جزيرة سقطرى ويذكر اخباراً طريفة على درجة من الأهمية وفي ذلك يقول : « إن بني مهرة بنوا فيها – في جزيرة سقطرى – حصاراً وحكموا على بعض أهلها وسخروهم ، يأخذون من الرجل مَنّ سمن ومن المرأة شَمْلة من نسيج بلدهم ، وكان قد ملكها في زمان العباسيين رجل من العجم فاحتالوا عليه أهلها وأسكروه هو وأصحابه وقتلوهم ، وقد قتلوا أحمد بن محمد بن عفرار الذي تولى عليهم بعد موت أبيه ، فجاء أعمامه وقبيلته وأخذوا بثأره وسخروهم وولوا عليهم ابن عبد (رب) النبي ، فمن ذلك قالوا : إنها شؤم على من ملكها . وهم قوم وطيئين الجانب (أي سكان سقطرى) إذا دخل عليهم الغريب يعرضون عليه الماء والزاد ، ويعرضون عليه ثيابهم ونساءهم ، وحاكمة عليهم امرأة ، واما تزويجهم بيد قسيس النصارى الذين يسكنون الكنائس ، ويقيمون بها بمشورة تلك الامرأة ، فانقضى ملكها في عصرنا وضعف ، وما ملكها المهرة إلا أنهم يريدونها لعاقبة أمرهم يجتمعون فيها لخوفهم وضعفهم من سلاطين حضرموت وغيرهم ، وكان محمد بن علي بن عمرو قد استشارني فيها سنين فلم اطمعه في ذلك ، فلما تولى على المهرة صرف المال وملكها ، فلما مات وأقامت قبيلته مكثوا فيها سنين ، وشعاوت ملوك أهل الشحر مخرجين منها مدة ثلاثين سنة ، فعاونوهم أخوالهم المهرة على الشحر وأخذوها ، وتولى عليهم محمد بن مبارك بن فارس بعد أن حاصرها مدة ثلاثة أشهر كاملة ، وجاءوا فأخرجوهم من حصار الشحر الى بلادهم حضرموت وكان عليها حينئذ بدر بن محمد الكثيري ، فخرجوا فأجاروهم ومن عنده

---

(١) الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، شهاب الدين أحمد بن ماجد(مخطوط) ورقة ٧٩ ب : نسخة الظاهرية بدمشق .

في عام أربعة وتسعين وثمانماية ، وفي هـــذا التاريخ جزيرة سقطرى للمهرة مشتركين فيهـــا بني سليمان وبني عفرار ، وهم بطن من بطون المهرة وبني زياد [1] . انتهى .

مما ذكره ابن ماجد عن بني مهرة ، نقف على الحالة التي كان فيها سليمان المهري موجوداً ، ومن ذلك يتضح أنه نشأ في ذلك الجو فتمرس في فنون البحر والقيادة فيه ، وقد أغرب المهري حينما جاء على تعريف جزيرة سقطرى في كتابه « العمدة المهرية » فلم يذكر شيئاً عن قبيلته في هذه الجزيرة مع أنه كان أعلم الناس بها ، في الوقت الذي ذكر أن بها نصارى [2] . وقد تكون الروح العلمية التي سيطرت على كل ما كتبه السبب في ذلك ، وعدم تطرقه لأخبار ثانوية يعتبرها خارجة عن موضوع كتابه .

الثقافة ومحيط التجارب :

عرف عن المعلم سليمان المهري أنه ربان ماهر ، ومؤلف صرف علمه لفنه دون الخروج منه الى أي مجال آخر ، ومن هنا أضحت حياته العامة مجهولة لولا ذلك الاسم المسلسل الذي ينتهي بالاسم الخامس .

واذا ما بحثنا عن مناهل ثقافة المهري ، فإننا نجد أن اتصال سكان بلاد الشحر وسواحل الجزيرة العربية ، وجزرها الجنوبية ، قد مهد له اكتساب مهارة في الملاحة ، تبدو أصولها واضحة في مادته العلمية .

فتبدو ثقافته خليطا من التجارب الملاحية المتعددة ، فهو يشير إلى « معالمة البحر الهندي وهم العرب والهرامزة وأهل الهند والشوليان (سكان ساحل كروماندل) والزنوج والمغاربة (معالمة المغرب) والفرنج والروميين » .

ومع هذا فانها بقيت عربية صرفة ، حيث اقتصرت على المذهب الشرقي وحده ، ولا يوجد أي أثر للنفوذ البرتغالي عليهـــا ، رغماً من أن نشاطه

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٨٠

(٢) العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، ورقة ٢٣ (النسخة الباريسية) .

الملاحي وقع في عهد السيطرة البرتغالية ، ويفسر ذلك بأن النفوذ العربي بقي قوياً على البرتغاليين الذين تعرفوا على التجربة العربية في الملاحة منـــذ لحظة دورانهم حول رأس الرجاء الصالح . من هنا كان أقدم ما دونوه في هـــذا المجال يحمل آثار النفوذ العربي بوضوح،أضف إلى هذا أن بعض الاصطلاحات الفنية البرتغالية ليست سوى ترجمة صرفة لمثيلاتها العربية (١) .

ومجموعة مؤلفات المهري التي بين يدينا ، تشهد له ببراعته العلمية في عـلم الملاحة البحرية والفلكية ، ووصف الطرق الملاحية التي سلكها ، وقياسات الجزر التي قاسها عن خبرة وتجربة .

وهو في ذلك وإن بدا واضحاً اعتماده على مؤلفات معلمه أحمد بن ماجد ، فانه لا يسجل من ذلك الا ما قام فعلاً بالتحقق من صحة تجربته .

بين المهري وابن ماجد :

المقارنة هنا تقوم أساساً على توضيح مايتميز به كل واحد منهما، فتكون عوناً في فهم حياة المهري ، وفي هذا الصدد نجـد تقارباً واختلافاً بين كل منهما ، فكلاهما ربان ولقب بالمعلم ، غير أن ابن ماجد لقب بألقاب أخرى منهـا أسد البحر ، وشاعر القبلتين ، وكلاهما صنف مؤلفات في علم البحر والفلك وفي ذلك يبدو ابن ماجد أطول باعاً من زميـــله المهري ، اذ توسع فيما كتبه ووضع مؤلفاته شعراً ونثراً ، وامتاز بأراجيزه لسهولة عبارتها على البحارة ، بينما وضع المهري مؤلفاته نثراً ، تميزت بأسلوبها العلمي المغلق ، لذلك امتاز ابن ماجد بالوضوح في مؤلفاته ، فنعتبر مؤلفه « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، كتاب أدب وتاريخ وعلم ، وقـــد لمس كراتشوفسكي هذا المستوى فقال : (ان مصنفات المهري تبدو قاحـــلة وفقيرة اذا ما قورنت بمصنفات ابن ماجد من وجهة نظر الاطلاع الأدبي والمستوى الثقافي العام) (٢)

---

(١) كراتشوفسكي - ٢ / ٥٨١

(٢) نفس المصدر - ٢ / ٥٨٠

وما من شك في أن المهري اعتمد على ما كتبه ابن ماجد ، وقـــد صرح بذلك مرتين في كتابه « العمده المهرية »[1] ويكاد يكون اعتماده واضحاً في الباب الثالث من كتابه « المنهاج الفاخر في عـــلم البحر الزاخر » ، عندما يذكر صفة الجزر الكبار المعمورة المشهورة ، كان ابن ماجد قد كتب عنها وصفاً ممتازاً في « الفوائد » ، ومما قاله عن جزيرة سقطرى : أنهم شؤم على من ملكها[2] ، والمهري يقول : (جزيرة سقطرى يقال إنها شؤم على من ملكها)[3] .

وقد وضع ابن ماجد أربعين مؤلفاً ، عرفنا منهـا خمسة وعشرين مؤلفاً ، أما المهري فقد وضع أربعة مؤلفات ورسالة واحدة، وأسلوب أحدهما يشابه اسلوب الآخر ، حتى لكأن تأثر المهري بابن ماجد يبدو أكثر وضوحاً في هذه الناحية من غيرها .

ويمتاز ابن ماجد بتجاربه التي خرج منها بقواعد جديدة في علم الملاحة البحرية والفلكية كتثبيب الإبرة المغنطة فوق سن من الوسط لتتحرك حركة حرة فوق قرص وردة الرياح ، بعكس المهري الذي لم يحقق من خلال تجاربه قواعد جديدة في مجال تخصصه . وهو يصل إلى نفس النتيجة التي توصل اليها ابن ماجد قبله ، وهي أن المعرفة بالشؤون البحرية إنما تقوم على أساس مزدوج من سلامة التفكير والخبرة العلمية . وفي ذلك يقول : أصل علم البحر إنما هو مستخرج من نظرية العقل مع كال التجربة ، وهما أصلان له . ويضرب لذلك أمثلة لما يستخرج بالعقل ، وما يحقق بالتجربة ، وينتهي من ذلك إلى القول :

(فإن قال قائل: أي العلمين أصح العقـلي أم التجريبي ؟ قلت : في بعض التجريب وفي بعض العقل، فبعض العقليات أصح من بعض التجريبات ،وبعض التجريبات أصح من بعض العقليات ، وهذا البحث من أعلى المراتب لأنه يحتاج لتميز العقليات من التجريبات).

---

(١) الفوائد ، ورقة ٧٩ ب (ظاهرية) .
(٢) ورقة ١١٦ ، ١٤١ (النسخة الباريسية) .
(٣) المنهاج الفاخر ، ورقة ١٧٤ .

ومع ذلك فإن علينا أن نقول إن في تاريخنا الحضاري في علم الملاحة البحرية والفلكية إثنان لا ثالث لهما : شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي وسليمان بن أحمد المهري ، ومن حسن حظ تاريخنا أن بقيت مؤلفاتهما حتى زماننا هذا لتبقى خالدة تسد ثغرة فيه .

مؤلفاته :

مؤلفات المهري التي عثر عليها حتى الآن خمسة ، والنسخة الفريدة من هذه المؤلفات توجد في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (٢٥٥٩) ، وقد قام بنشرها بالتصوير الفوتوغرافي غبريل فيران في عام ١٩٢٥م ويضم ما نشره فيران إلى جانب مؤلفات المهري ثلاثة مؤلفات أخرى لابن ماجد هي :

١ — الأرجوزة المسماة بالسبعية. ٢ —القصيدة. ٣—القصيدة المسماة بالهدية.

أما مؤلفات المهري فأولها :

١ — رسالة قلادة الشموس واستخراج قواعد الأسوس .

وتقع في ثلاث ورقات في علم التواريخ للسنوات : القمرية ، والشمسية والرومية ، والقبطية ، والفارسية . وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وستة فصول :

المقدمة : في معرفة أيام السنة القمرية .

الفصل الأول : في معرفة استخراج أس السنة القمرية ، وهو معرفة تعيين مطلع السنة باليوم والشهر .

الفصل الثاني : في معرفة استخراج السنة الشمسية .

الفصل الثالث : في معرفة السنة الشمسية ويومها ابتداء من برج الحمل ، ومعرفة فصول السنة من بروج السنة الشمسية .

الفصل الرابع : في معرفة استخراج اس السنة الرومية وعدد كل أيام كل شهر من شهورها .

الفصل الخامس : في معرفة أس السنة القبطية وشهورها .

الفصل السادس : في معرفة أس السنة الفارسية ..

٢ ـ تحفة الفحول في تمهيد الأصول :

تقع هذه الرسالة في سبع ورقـــات في معرفة بعض الشؤون البحرية والفلكية ، قال في مقدمتها : (هذا كتاب لطيف حجمه صغير كثيرة تحفه ، وهو سبعة أبواب وخاتمة) :

الباب الأول : في صفة الأفلاك والكواكب .

الباب الثاني : في تجريب الدورة ، وهي على اثنين وثلاثـين جزءا كل جزء يسمى خناً من أقسام البوصلة ويحتوي هذا الباب على فصلين.

الباب الثالث : في معرفة الأزوام ، والزام قياس المسافات المطلقة من البحر وهو يعادل مسيرة ثلاث ساعات بالشراع أي حوالي أثني عشر ميلا بحرياً .

الباب الرابع : في معرفة الدير وبيانها على الديرة . وهي طريق ملاحي على البوصلة . وبيان الآفات الخمس التي تفسد الآلة ـآلة الدير ـ.

الباب الخامس : في القياسات واصطلاح أهل البحر ، وهو ارتفاع الكواكب وانحطاطها على الأفق ، لتعيين الأمكنة .

الباب السادس : في المسافات بين الرؤوس .

الباب السابع : في الرياح وأصلها .

وينهي رسالته هذه ببيانيوضح فيه أن التجربة أصل في هذا الفن، كما أن العقل أصل فيه ، ويلحق الخاتمة بتنبيه يؤكد فيه أن أخـذ علم كل مكان من أهله أصح من غيره . وهذا من دلائل التجربة ، أما إذا ما أردنا أخذ علم من الغير ، فيشترط المهري أن يكون هذا العلم مُجرّبـــاً وهو ممن يعتبر به في هذا الفن .

٣ – العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية :

من أهم مؤلفات المهري إذ جمع كل تجاربه وخبرتـه ، وجمع فيه (تجربة المحققين الثقات) ويقول في مقدمته :

« الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على محمد عبــده ورسوله ، وعلى آله وصحبه التابعين لرشده ، لما رأيت علم البحر قليلة تآليفه المحققة ، بل في وريقات ملفقة،وأراجيز متفرقة ، فعن لي أن أؤلف كتاباً يكون ضابطـــاً لمسائله الأصليات والفرعيات ، من الإختلاف الكائن في الديرات والقيــاسات بالتجربة المتواترة والنتخـــات والجارات ، مما عاينته ، ومما لم أعاينه فمن تجربة المحققين الثقات ، مع صحة قرينة الأصل لقــانون التدريج في الفرعيات، وجعلته على سبعة أبواب وسميته بالعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية .وقد قسم المهري كتابه إلى سبعة أبواب – كما يقول – هي :

الباب **الأول** : في معرفــة الأصول في فن البحر . وقد قسم هذا الباب إلى ثلاثة عشر فصلا هي :

الفصل الأول : في معرفــة الأخنان في اصطلاح أهل البحر . والخنُ جزء من أجزاء الدائرة الأفقية الإثنين والثلاثين خناً .

الفصل الثاني : في معرفة أبعاد الكوكب المستعملة عند الجمهور ، وعن معدل النهار من الدرج .

الفصل الثالث : في معرفــة مدارات الكواكب من الدرج ، ودورة الكرة ٣٦٠ درجة .

الفصل الرابع : في معرفة غاية ارتفاع الكواكب في أي مكان .

الفصل الخامس : في معرفة اعتدال الكوكب في خشبة واحدة .

الفصل السادس : في معرفة الأصبع – يعادل درجة واحدة ٣٧ دقيقة – ويمكن الوقوف على مزيد من التفاصيل عن ذلك وغيره من المصطلحاتالبحرية في القسم الثاني من هذا البحث .

الفصل السابع : في الزام – وهو وحدة لقياس المسافات المطلقة من البحر وتعادل مسيرة ثلاث ساعات بالشراع ، أي حوالي ١٢ ميلا بحرياً ، وأصل هذه الكلمة هندية – .

الفصل الثامن : في معرفة دليل بطلان الأزوام الموضوعة بين الأخنان .

الفصل التاسع : في معرفة دليل بطلان الترفات .

الفصل العاشر : في معرفة أصل القياس .

الفصل الحادي عشر : في معرفة المسافة عند أهل البحر .

الفصل الثاني عشر : في معرفة تقسيم أنواع الحساب .

– **الباب الثاني** : في معرفة أسماء الكواكب وما يتعلق بها . وهذا الباب مقسم إلى ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : في معرفة عدد الأصابع القطب الشمالي والجاه والفرقد والميخ (؟) .

الفصل الثاني : في معرفة دورة الفرقد على القطب .

الفصل الثالث : في معرفة صاحب الدرك .

– **الباب الثالث** : في معرفة دير فوق الزنج وتحت الزنج – وهي في اصطلاح المهري وابن ماجد : المناطق الواقعة شرق رأس كمران – .

الفصل الأول : في معرفة دير رؤوس الجزر البحريات من بر العجم .

الفصل الثاني : في معرفة دير بر (العرب) كأرض الجزر والأحقاف والأطواح وسواحل عمان وجزر جرون .

الفصل الثالث : في معرفة دير بر العجم .

الفصل الرابع : في معرفة دير بر الزيالع والمرجان والسومال (الصومال) والريم والسفال .

الفصل الخامس : في معرفة دير المطالق .

الفصل السادس : في معرفة دير بر تحت الزنج .

الفصل السابع : في معرفة دير بر السيام .

الفصل الثامن : في معرفة دير الصين .

الباب الرابع : وهو معرفة الجزر وديرهن .

الفصل الأول : في جزيرة القمر .

الفصل الثاني : في جزيرة زرين – وهن سبع جزر جنوبيات ، ويقول المهري: (اعلم أن كل مجنب مجهول !) .

الفصل الثالث : في جزيرة سقطرى – سنورد كل ما ذكر عنها في القسم الثاني من هذا البحث .

الفصل الرابع : في جزر الفال .

الفصل الخامس: في جزر الذيب – وهن آخر الجزر المعمورات من الجنوب عند المهرى،ويقول : (ولها شعب عاري !) .

الفصل السادس : في جزيرة سيلان .

الفصل السابع : في جزيرة اندمان وجزر ناج باري .

الفصل الثامن : في الجزر البحريات على بر السيام .

الفصل التاسع : في جزيرة شمطرى .

الفصل العاشر : في جزيرة جاوة .

الفصل الحادي عشر : في الجزر الجنوبيات الشرقيات .

الباب الخامس : في معرفة القيـــاس على البراري المشهورة – وهو في عشرة فصول – .

الفصل الأول : شروط القياس .

الفصل الثاني : قياس بري العرب والعجم وجزرهما .

الفصل الثالث : قياس الجاه في بري العرب والهند .

الفصل الرابع : قياس الفرقدين والنعش على بري الزنج والسفال .

الفصل الخامس : قياس تحت الزنج الشرقي والغربي .

الفصل السادس: قياس جزيرة سيلان .

الفصل السابع : قياس جزيرة سقطرى .

الفصل الثامن : قياس جزيرة جاوة .
الفصل التاسع : باشيات المنازل الثمان والعشرين في جميع السنة .
الفصل العاشر : قياس الكواكب المشهورة عند الجمهور .

الباب السادس : خاص بمعرفة المواسم على أيام النيروز .

الباب السابع : يصف في هذا الباب الطرق البحرية في البحار الجنوبية الشرقية ، ويبدأ بتعريف جزر (البحر الكبير) .

الفصل الأول : معرفة جزر (بحريات) بر العجم .

السفر من سيبان إلى جـدة – السفر من سيبان إلى سواكن – السفر من سواكن إلى عدن – السفر من زيلع لجوزرات – السفر من بربرة لجوزرات – السفر من عدن لجوزرات – السفر من قشن لجوزرات -- السفر من خلفات لجوزرات – السفر من ظفار إلى جوزرات – السفر من قلهات لجوزرات – السفر من عدن إلى منيبار (مليبار) – السفر من عدن إلى هرموز – السفر من الديو إلى المشقاص – السفر من الديو إلى الشحر وعدن – السفر من مهايم وشيول ونواحيها إلى بر العرب – السفر من هذه البنادر إلى آخر موسم – السفر من الديو إلى الذيب – السفر من دابول إلى الذيب – السفر من الديو إلى مسكت – السفر من كنباية إلى عـدن – السفر من دابول إلى عدن – السفر من جوة سندابور إلى عـدن – السفر من هنور وبادقلا إلى عدن – السفر من قاليقوط إلى جردفون – السفر من الديو إلى ملاقـة – السفر من الديو إلى بنجالة – شاتي جام – السفر من ملاقة إلى عدن – السفر من شاتي جـام إلى بر العرب – الخاتمة في العشر المحذورات .

كتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر :

المؤلف الرابع للمعلم سليمان المهري ، وهو في هذا الكتاب ، يكرر مـا قدمه لنا في المؤلفات السابقة وإن اختلف في السياق وطريقة العرض ، وهو هنا يقدم لنا وصفاً للجزر التي سبق أن وصفها في كتابه العمدة المهرية ، ونجد نفس الوصف لبعض الجزر لدى ابن ماجد .

ومن معاد القول أن نقول : أن ابن ماجد والمهري يقدمان لنـــا مادة لم يسبق لنا الاطلاع عليها قبل الاطلاع على مؤلفاتهمـــا ، وهذا ما يدفعنا إلى سرد بيان مفصل لمحتويات هذه المؤلفات ، وفي يقيننا أنها بحاجة إلى دراسـة عميقة تلقي مزيداً من الضوء على قيمتها وتسهل سبل الانتفاع بها في محيـــط الدراسات البحرية والفلكية .

أما مواد هذا الكتاب فهي في سبعة أبواب وكل باب مقسم إلى عدة فصول، وللأستاذ كراتشوفسكي ملاحظة طريفة على الطريقـــة التي يوزع بها المهري مادة مؤلفاته ، تقول هذه الملاحظة : (يلوح أن الرقم (سبعة) كان محبباً إلى سليمان ، وواحد فقط من مصنفاته وهو رسالة غير كبيرة في حســاب التقويم القمري والشمسي والرومي والقبطي والفارسي ينقسم إلى ستة أبواب).

المقدمة في صفة الأزوام الموضوعة بين الأخنان، وفصل يسبق الباب الأول في الترفات .

الباب الأول : في معرفة الديرة .

الفصل الأول : في ديرة بر العجم كبرّ مكران والسند وجوزات وكنكن وتلوان ومنيبار .

الفصل الثاني: في دير بر السودان كالعيمة والمرجان والسومال والزنج والسفال.

الفصل الثالث في ذكر بر سوبيان كبر الشوليان والنات ووريسا .

الفصل الرابع : في دير بَرِّ بنجالة والسيام وملاقة .

الفصل الخامس : في دير برّ فهنج وماه (صين) والصين .

الفصل السادس : في دير القسم الثاني وهو دير المطلق الديرة من جوريـا لامي سقطري .

الفصل السابع : في دير مطلق كم هرموز (وهو ثلاثة سطور) .

الفصل الثامن : في مطلق بر الهند .

الفصل التاسع في دير مطالق سيوباد (كذا) .

الباب الثاني : في القياسات على البرور المشهورة المعمورة .

الفصل الأول : في قياس الجاه .

الفصل الثاني : في قياس الفرقدين .

الفصل الثالث : في قياس النعش .

الفصل الرابع : في الباشيات على المنازل الثمان والعشرين .

الفصل الخامس: فيذكر قياسات الكواكب المشهورة بالصحة عند الجمهور.

الباب الثالث : في صفة الجزر الكبار المعمورة المشهورة، والتعريف الأول بجزيرة القمر ٢ – جزر زرين ٣ – جزيرة سقطرى ٤ – جزر الفالات ٥ – جزر الذيب ٦ – جزيرة سيلان ٧ – جزر اندمان وجزر ناج باري ٨ –جزر تاكوا التي يجري برالسيام (كذا) ٩ –جزيرة شمطرة ١٠ – جزيرة جاوة ١١ – بعض الجزر الجنوبيات الشرقيات .

الباب الرابع : في المسافات ، ويبدأ من جاه احد عشر .

الفصل الأول: في ذكر مسافات تحت الريح ابتداء من الجاه خمسة عشر .

الفصل الثاني : في ذكر المسافة على قياس الفرقدين .

الفصل الثالث : في ذكر مسافة بعض المواضع .

الباب الخامس: في معرفة الرياح والمحذورات الفصل الأول في الطوفانات (كذا) الفصل الثاني في المحذورات.

الباب السادس : في معرفة علامات قرب البرورمن أرض الهند . الفصل الأول : في معرفة علامات قرب بر العرب وبر الصومال .

الباب السابع : في معرفة حلول الشمس والقمر في البروج والمنازل الفصل الأول: في حلول الشمس والقمر في المنازل . الفصل الثاني : في الساعات .

الخاتمة في معرفة بعض الاسفار سيوباد (؟) السفر من الديو إلى مالقه . السفر من ملاقة للذيب : السفر من الذيب إلى منصور ، السفر من مرطبان وتناصرى ، السفر إلى بنجالة .

كتاب شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول :

الكتاب الخامس للمهري ، وهو شرح للكتاب السابق (تحفة الفحول في تمهيد الاصول) ويقول المهري عن كتابه هذا انه الأول في بابه اذ لم يُسبق اليه ، وقد ألفه لينتفع به من له اشتغال بالكتاب الأول – تحفة الفحول – ويعتذر في مقدمته عن النقص الذي قد يحدث في الكتاب والسبب في ذلك كما يقول : (ألفته بعجل مع تشويش الخاطر ، والثاني لم اسبق لمثله فتكون مادتي من ذلك السابق) ومع كل ذلك يقول : انه استخرجه من علوم شتى ، وجمعه لنفسه ولسائر الاخوان ، ومع انه استقى مادته مما سبقه من المصنفات وبالاخص مصنفات ابن ماجد، فان مؤلفه هذا لا يؤخذ على أنه الأول في بابه كما قال مؤلفه ، إلى جانب هذا فانه يكرر نفسه في هذا الكتاب . وقد نعتبره شرحاً وافياً للكتاب السابق ويبلغ فيه القمة بالنسبة لبقية مؤلفاته ، فهو خلاصتها .

والكتاب في سبعة ابواب يعرض فيها وصفاً للافلاك والنجوم والمغناطيس وبيت الإبرة ، وتقسيم الدائرة إلى اثنين وثلاثين جزءاً وهي (الأخنان) ويحدد لفظ (الزام) مع وصف استعماله ، ثم يُفرد باباً للطرق البحرية الساحليّة والتي في عرض البحر ، فباباً خاصا يحدد ارتفاع النجوم ، ويعرض للمسافات بين الموانيء ، ويختتم الكتاب بالحديث عن الرياح الموسمية في المحيط الهندي ..

ونورد الآن تفصيلاً لمواد الكتاب كما أوردها المؤلف :

الباب الأول: في صفة الافلاك والكوكب. **الباب الثاني**: فيتجزية الدورة، **الباب الثالث** : في الازوام ، **الباب الرابع** : في البدير ، **الباب الخامس** : في القياس ، **الباب السادس** : في المسافة ، **الباب السابع** : في الرياح .

وبعد .. هذه مؤلفات المعلم سليمان المهري ، قصدنا من استعراضها الوقوف على مكانته ولكي تكتمل دائرة البحث فإننا سندرس في القسم الثاني من هذا البحث ، أبحاث المهري وما وصل اليه في محيط تجاربه .

الرياض — عبدالله علي الماجد

- ١٤ -

عمر المختار ـ أسد الجبل الاخضر

أفلتت شمس العرب ، وزال حكمهم ، وتقلص ظلهم عن قارة أوربا التي ظلوا عدة قرون أساتذة ومعلمين ، وهداة ومرشدين لها ، فلقد أبعدوا عن جزيرة صِقِلِّيَة وجنوبي إيطاليا عام ١٠٦٠ م . كما أجلوا نهائياً بالقتل والنفي والتشريد أو التنصير عن اسبانيـــا (الأندلس) على يدي فرديناند وإيزبيل زوجته اللذين احتلا مدينة « غرناطة » آخر مدينة للعرب من تلك المملكة الزاهرة التي أضاعوها بخلافهم وقتالهم لبعضهم وترفهم وانحلال اخلاقهم فطفقوا يخرجون من مقاطعة بعد مقاطعة ، ويفقدون مدينة بعد مدينة ، حتى انحازوا أخيراً إلى «غرناطة» هذه التي تجمع فيها من هرب من مدائن الأندلس ومن جزيرة «صقلية» ومن كل مراكزهم التي أسسوهـــا في جنوبي أوربا ، ولم توقظهم المصائب من غفلتهم ، ولم تفتح عيونهم كثرة العبر لشقوتهم ولم يربط بين قلوبهم آلاف الضحايا وضياع أموالهم ومزارعهم وأنهارهم ، فانتهى أمرهم وعفا رسمهم عام ١٤٩٢م بعد أن قاتل الإبن أباه .(١)

وآن لعجلة الزمان أن تدور دورتها فترفع أقواماً وتخفض آخرين ، وآن للمغلوبين بالأمس اللائذين بقمم الجبال وأطراف الكهوف أن يسودوا الأرض ويملكوا المعمورة ، فلقد اتحدوا وحدة تلاشت فيها القبلية والإقليمية اللتين ابتـلى بهما قومنا ، فأضاعوا بسببهما عزهم في الماضي ، ولا يزالون بسببهما يعجزون عن نيل ما تحصل عليه أمم الأرض في أيامنا هذه .

---

(١) ثار على ابن الحسن « علي » آخر ملوك غرناطة ولداه أبو عبد الله « محمد » وأبو الحجاج « يوسف » .

ومع الوحدة وبسببها ارتفع شأن العلم والعلماء عندهم ، وبسبب الاقليمية والعنجهية القبلية راج سوق الخرافات لدى أمتنا ، فسبحان رابط الأسباب بالمسببات، والقاضي على كل قبيل بما جنته وتجنيه يداه . إن الإسبان والبرتغاليين اشرأبت أعناقهم بعد انتصارهم إلى أرض المغلوبين المطرودين وتجارتهم وأموالهم بعد أن عرفوا من فرقة قومنا ما عرفوا ، وخبروا في عجزهم وضعفهم مـا خبروا ، فبنوا الأساطيل التي شرعت تجوب البحار والمحيطات شرقاً وغرباً وأسسوا المستعمرات التجارية ، والمراكز البحرية وكانت البرتغـال متفوقة على الاسبان حتى تمكن هؤلاء من اكتشاف العالم الجديد « أمريكا » فتنافستـا وتسابقتا وعظم ثراؤهما لاتساع تجارتهما وارتفع شأنهما لوفرة ممتلكاتهما ، ولا تزالان حتى اليوم وقد ضعف شأنهما وزال عهد الاستعمار ذواتي مستعمرات في هذا العالم .

واستيقظت اوربا كلها، وحسدت أمم من تلك القارة هاتين الدولتين على اتساع تجارتهما ووفرة ثرائهما فقدمت إلى ميدان الاستعمار فرنسا وهولندة ثم أتت إلى هـذا الميدان بريطانيا فبزّت من سبقها وشأت جميع منافساتها ، كسفت شمس اسبانيا بعد أن أغرقت معظم أسطولها ، واضطرت البرتغال لأن تكون ذيلا ،وهولندا لأن تكون تابعاً ونازلت فرنسا في الهند فغلبتها وفي أمريكا فتفوقت عليها، ولكنها لم تستطع إذلالها بل ظلت تنازع سيدة البحار ثوب السيادة وصولجان الملك والإمارة، تختلفان وتكادان تقتتلان على المستعمرات ثم تتساومان فتتفقان على اقتسام أراضي النـائمين الغافلين وهم لا يحسون ولا يدرون،ثم تنقض كل منهما على حصتها بعد أن أمنت شر منافستها لا تقيم لأهل الأرض وزناً لأنهم لا يقدرون على مقاومتها. ثم اتحدت الأمة الألمانية الكبيرة فخرجت آخر الليل تبحث عما ترك اللصوص من متاع تأخذه فلم تجـد سوى بعض الجزر والرقع الضيقة فرضيت بها على مضض وسكتت على غضب تتحين الفرص وترقب حوادث الأيام ، وتبني الأساطيل استعدادا لليوم الموعود فلما شعرت بذلك بريطانيا خشيت أن تقوى قوادم النسر فأعلنت عليها الحرب قبل أن تتم استعدادها فكانت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

وأخيراً جاء دور إيطاليا التي اتحدت بعد تخلص أجزائها من احتـــلال جاراتها، وخرجت تركض لاهثة تفتش عن مستعمرات. فوجدت (أرتيريا) على ساحل أفريقيا واندفعت منها الى الحبشة فهزمها الأحباش هزيمة نكراء ووجدت في شمالي أفريقيا بلداً تركته الدولتان الكبيرتان لقلة ما رأتا فيه من من خيرات فلم تتعرضاله ولم يدخل في ميدان تنافسهما فقد كان معظمه صحراء مقفرة فاكتفت بريطانيا بمصر أرض القطن والخيرات وقناة السويس فاحتلتها عام ١٨٨١ م كما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٣٨٠م وتونس ١٨٨١ م ومراكش عام ١٩٠٧ م وبقيت طرابلس الغرب وبنغازي تتبعان الدولة العثمانية الهرمة التي ضعف شأنها بعد عهد سلاطينها الكبار الذين كان آخرهم سليمان القانوني والتي أخذت تفقد كل يوم قسماً من أراضيها وبلداً من ممتلكاتها .

اتجهت أنظار الإيطاليين هؤلاء إلى ليبيا وسألوا الإنجليز والفرنسيين عن رأيهم فلم يجدوا لديهم معارضة بل لقد عقدت فرنسا معهم اتفاقاً عام ١٩٠١ أصبحت بمقتضى نصوصه برقة وطرابلس الغرب منطقة نفوذ إيطالية وأعلن في البرلمان الإيطالي « مجلس النواب » .. : أن الدول اعترفت بالوضع الممتاز الذي تتمتع به إيطاليا في طرابلس .

وما إن أطلقت «الدول» يدها في هذا البلد العربي حتى شرعت تمشي على هدي الأمم السابقة في مضمار الاستعمار فتوجد الذرائع والأسباب التي تتذرع بها لاحتلال البلاد .

شجعت مواطنيها على الهجرة إلى ليبيا وطرابلس. وأقامت المدارس لتعليم البنات والأبناء مجاناً ! خدمة للعلم وعطفاً على الانسانية المعذبة ! وبنت بجانب المدارس المشافي والمصحات لعلاج المرضى بدون مقابل، وأرسلت البعثات العلمية للبحث عن المعادن في الظاهر ولوضع المصورات والخرائـط الحربية خفية وسراً وأقامت مصانع ومعامل بنتها بناء الحصون والمعاقل ، وأسست عام ١٩٠٥ فرعاً لبنك « دي رومة » ومكتب بريد فتم لها بذلك معرفة أحوال البلاد صغيرها وجليلها والاتصال بالسكان قريبهم وبعيدهم .

لم تكتف بذلك ، بل التفتت الى الدولة العلية حاكمة هذه البلاد فرشت رئيس الوزارة فيها ابراهيم حقي باشا بالمال ، وما أسهل رشوته وشراءه عليها فقد كانت زوجه إيطالية كما كان رفاقه في شرابه ولعب الورق، وندماؤه ليله ونهاره أيضاً إيطاليين، فلبى لهم جميع طلباتهم: سحب قسماً من الجيش في ليبيا وأرسله إلى اليمن ، وأبعد الموظفين الأكفاء عنها لينتشر الفساد فيهـا ، ومن قبل هذا الوزير كانت الدولة التركية بعلمها بمطامع إيطاليا قد أرسلت قائداً كفئاً هو « رجب باشا » فمرن السكان على استعمال السلاح ووزع كثيراً من البنادق عليهم ، فأبطل رئيس الوزارة كل ذلك .

وظل سفير تركيا في إيطاليا يرسل التقارير يتلو بعضها بعضا محذراً ومنذراً مما تعده إيطاليا لغزو ليبيا وظل رئيس الوزارة سادراً في غيه .

وفجأة! وفي عام ١٩١١ أرسلت إيطاليا إنذاراً لتركيا بعزمها على احتلال طرابلس وبنغازي وقالت في إنذارها : إن الحكومة التركية تبدي عداء نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي حتى أصبحت الحالة شديدة الخطورة بسبب التحريض ضد الرعايا الطليان ، لهذا فإن إيطاليا مضطرة لاحتلال طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً وتطلب من الحكومة التركية أن تصدر أوامرها حتى لا تصادف قواتهـــا معارضة ولا تجد صعوبة ثم تتفق الحكومتان بعد ذلك على تقرير ما يلزم .

لقد نضجت الثمرة ، وآن للطليان أن يقطفوها وفي يوم ٣ أكتوبر ١٩١١ أطلق الأسطول الإيطالي على مينـــاء طرابلس قذائفه وبدأت الحرب التي لم تثبت لها تركيا عاماً واحداً وثبت لها الشعب الليبي بقيادة عمر المختار عشرين عاماً.

ضج المسلمون في جميع أنحاء المملكة العثمانية لهذا العدوان، وطالبوا بالقتال فاضطر الخائن المرتشي للاستقالة وأرسلت تركيا خيرة ضباطها إلى ليبيـــا «أنور باشا» و «مصطفى كمال» ولكن الحكومة التركية أعلنت بعد مفاوضات مع الطليان تخليها عن ليبيا وعقدت معهم معاهدة « أوشي » سنة ١٩١٢ م وتعهدت بموجبها بإجلاء جنودها عن تلك البلاد ورجا الليبيون الجنود المنسحبين من الأتراك المسلمين وقائدهم يومئـذ عزيز المصري أن يتركوا لهم

أسلحتهم فأبوا مدعين بأن من العار على الجندي أن يترك سلاحه، ناسين أنه من العار على الجندي أن يسلم بلاده .

لقد حارب عمر المختار مع الجيش العثماني جنباً لجنب، فلما شرع هؤلاء في الانسحاب وطلب منهم – إن صمموا على الرحيل – أن يعينوه بترك أسلحتهم فأبوا محتجين بحجج واهية كاذبة فاضطر هذا المجاهد البطل أن يطلق النار على الذين لا يعرفون لهذه البلاد حقها عليهم ، جبوا خيراتها سنين طويلة وأزماناً غير قليلة ، فلما جاء العدو سلموها له وهربوا ، ثم أبوا أن يعينوا السكان بما لا يكلفهم شيئاً وهو بالنسبة لهؤلاء المجاهدين كل شيء ، في تلك الساعات الحرجة ، وسقط من رجال المختار ستون شهيداً في قتاله مع الأتراك .

هذا هو تاريخ أمتنا في عصرنا الحديث : يقتلك ابن دينك قبل أن يقتلك عدوك .

وارتحل الأتراك وثبت عمر المختار، وثبت الشعب الكريم يدافع عن شرفه وأرضه وعرضه، وأخذت إيطاليا تتفنن في أساليب القتل والتدمير وهتك الأعراض والاعتداء على المحرمات :

١ – في مدينة طرابلس أباح الجنرال « كانيفا » ناحية المنشية لجنوده ثلاثة أيام قتلوا خلالها من الأهلين ما بين أربعة وسبعة آلاف وهتكوا أعراض النساء . وذلك بعد أسبوع واحد من احتلالهم لطرابلس .

٢ – في سنة ١٩٣١ احتلوا بلدة الكفرة في الجنوب فقتلوا من فيها من المجاهدين وفر النساء والأطفال فلحقوا بالفارين وأخذوا مائتي امرأة اعتدوا على شرفهن جهاراً نهاراً .

٣ – أغلق الإيطاليون آبار الماء بالاسمنت وأخفوا معالمها ليهلك سكان الصحارى عطشاً .

٤ – جمعوا أكثر من ثمانين ألفاً في معسكرات محاطة بالأسلاك ليمنعوا اتصالهم بالمجاهدين . وهكذا سجنوا شعباً كاملاً .

٤ — أنشأوا محكمة طائرة لتتنقل من مكان إلى مكان لمحاكمة الأسرى من المجاهدين محاكمة لها قضاة وليس لها قوانين ، تمد المشانق للأسرى قبل أن تسمع حجتهم وما حاجتها إلى سماع الدفاع عن النفس وهي لا تؤمن بالدفاع عن النفس ؟

كانت هذه المحكمة تنتقل بالطائرة إلى مكان الحادث وتعقد جلساتها في الهواء الطلق في الميادين العامة ، ثم تصدر أحكامها بالإعدام لا على المجاهدين فحسب بل على من يشتبه به بأنه قدم ماء أو طعاماً للمجاهدين .

٥ — ألقوا بعض المجاهدين من الطائرات على مشهد من أهلهم وكلما هوى شخص صفق ضباطهم تصفيق السكارى .

٦ — اغتصبوا الأرض من أصحابها وسكانها وأعطوها الطليان الوافدين فشردوا بذلك أصحاب البلاد فهاجروا إلى البلاد العربية مصر وسوريا والحجاز أو بقوا عبيداً وخدماً لدى مغتصبي أرضهم كما فعلت بريطانيا بأهل فلسطين إذ اغتصبت منهم أجود الأراضي وأخصبها مثل مرج ابن عامر ووادي الحوارث وسلمتها لليهود ثم أذاعت في العالمين أن أهل فلسطين باعوا أرضهم كذباً وزوراً . ومحاكمها — التي قضت بأن الأرض لليهود — شر محاكم عرفها التاريخ أما مجلس الملك أو الملكة الخاص في لندن الذي لجأ إليه سكان الأرض فكان مثالاً للظلم والكذب والافتراء .

٧ — في عام ١٩٢٣ قتلوا من أهالي جفارة وغيرها ألف رجل أمام نسائهم وأولادهم وشنقوا عشر سيدات من أهل هذه المنطقة عاريات أمام الناس وأبقوهن سبعة أيام على هذه الحالة .

٨ — نصبوا الاسلاك الشائكة على طول الحدود بين مصر وليبيا لمنع وصول المؤن وبعض المعدات التي كان افراد الشعب المصري يتبرعون بها لأخوانهم . ولكن الاسلاك الشائكة جعلت وصول أية مؤن صعباً ومتعذراً فقد أقاموا حرساً لهذه الاسلاك كما جعلوا فوقها طائرات استكشاف ليلاً ونهاراً .

وقد وقف الخديوي عباس حلمي موقفاً شائناً لا يقل قبحاً عن موقف الاتراك الذين رفضوا تسليم الاسلحة للمجاهدين .

يقول شكيب أرسلان : إنه حضر مجلساً في قصر هذا الخديوي دار فيه حديث بين شكيب ارسلان والشيخ علي يوسف بشأن طرابلس حاول فيه علي يوسف أن يعلن أن المصريين لا يمكن أن يستمروا على مساعدة الليبيين لأنهم رعية ثائرة على إيطاليا . وكان الخديوي ساكتاً لا يقول شيئاً تعلو وجهه حمرة الخجل فلما سمع شكيب ارسلان هذا غضب وقال : لا تساعدون أهل طرابلس فالله يغنيهم عنكم .

وقاموا للصلاة بعد هـذا الحديث فقرأ الامام : فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً . نعم العزة لله والذل للخونة اللؤماء !!.

لقد رشت إيطاليا هذا الخديوي بصفقة تجارية رابحة فباعهم اخوانه لأجلها لكنه لم ينل شيئاً لأن الانجليز حكام مصر يومئذ نسفوا تلك الصفقة التجارية، وباء الخديوي بالخسران المبين . وليته توقف عند حد منع المعونة عن الليبيين لكنه تعدى ذلك إلى ارسال وفد مصري إلى المجاهدين ليقنعهم بالصلح مع الطليان والتسليم لهم فعاد وفده بالخزي العار .

ذلك ما فعلته إيطاليا بأهل ليبيا وما أعانها عليه بعض الضالين فافنت منهم « ٥٧٠ » ألفاً نعم نقص عدد السكان نصف مليون خلال احتلال تلك الدولة المستعمرة لهذا الشعب .

وقد سارت الحرب الليبية بين إيطاليا ومجاهدي الشعب الليبي خلال المراحل التالية :

١ ـ كانت المرحلة الأولى قتالاً بين إيطاليا وتركيا ومع تركيا أهل البلاد يقاتلون تحت قيادة الجيش التركي فلما عقدت تركيا معاهدة « أوشي » سنة ١٩١٢ وانسحبت تركيا من البلاد قاد عمر المختار المجاهدين ضد جيوش إيطاليا.

٢ ـ صمد أهل برقة وطرابلس لجيوش إيطاليا وطائراتها واساطيلها

التي كثيراً ما قذفتهم بالقنابل من البحر خلال معاركهم حتى قيــام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ .

٣ – خلال الحرب العالمية الأولى عادت تركيا تدعو المجاهــدين لمساندة حملتها التي جهزتها لغزو مصر ، وطرد الانجليز منها ، ولم يخيب المجاهدون رجاءها فلقد اتجهت جموعهم إلى الحدود المصرية. كأن عزائمهم القوية لا تكفي لحرب دولة بل لقتال دولتين . واشتبكوا مع القوات الانجليزية ، وشغلوا قسماً كبيراً منها عن جيش جمال باشا التركي الذي لم يحقق نصراً ، وفشل في عبور قناة السويس . ولقد هرب بعض الجنود المصريين الذين كانوا في خدمة الجيش الانكليزي في مصر ، وانضموا إلى اخوانهم المجاهدين الليبيين بقيادة الضابط المصري الشجاع صالح حرب وحارب الانجليز معهم .

ونقمت بريطانيا على الثوار الليبيين فحاربتهم وقاومتهم وأعانت إيطاليا عليهم .

٤ – بعد الحرب العالمية الأولى حيث غدا أهل ليبيا جميعاً في معتقل بعد أن أغلقت أبواب مصر وتونس وإفريقيــا في وجوههم ، وبعد الانقلاب الفاشستي في إيطاليا ، ومجيء موسوليني إلى الحكم الذي اشتهر بالغطرسة والعنجهية ، فمات الأهالي جوعاً وتفرقوا في البلاد ، وبقي بطل الجبل الأخضر يزأر زئير الأسد الجريح لا تهمه الطائرات ولا الأساطيل ولا المائــة وعشرون ألف جندي مع دباباتهم ومدافعهم بل ظل ينازلهم معارك تلو معارك ، ينتصر في بعضها وينال العدو منه في البعض الآخر .

أما وسائل إيطاليا لقتال المجاهدين الليبيين فاتخذت أشكالاً متعددة :

١ – القتال في البر والبحر والجو لشعب صغير مجرد من السلاح الحديث ، كل ما يملكه بنادق حصل عليها بدريهماته او غنمها من أعدائه ، وذخيرة كثيراً ما نفذت وسط المعارك الشديدة فأبيد المجاهدون ولم يستسلموا .

٢ – الاستعانة بالدول الكبرى فلقد اضطرت تركيا إلى الانسحاب من طرابلس بتأثير الدول الأوروبية الكبرى ومساعدة مثل بريطانيا وفرنسا

ولقد حدث بعد القتال الذي جرى بين المجاهدين والانجليز على حدود مصر الغربية معونة للأتراك المهاجمين لحدود مصر الشرقية أن جرت مفاوضات بين الانجليز والمجاهدين الليبيين ، واشترط الانجـــليز لأي اتفاق معهم أن يجري صلح بينهم وبين الطليان أولاً .

٣ — التفريق بين المجاهدين وبث الفتنة بين سكان البلاد وقـــد وجدوا أنذالاً حققوا لهم رغباتهم ولكنهم كانوا قلة لا يعبأ بها ولم تحدث أثراً .

٤ — إرسال الرسل الداعين إلى المفاوضات والتظاهر بالرغبة في السلام ، فعقدت مفاوضات بينهم وبين المجاهد الكبير عمر المختار حاولوا خلالها أن يخدعوه ويلقوا القبض عليه عند اجتماعه بهم ، ولكنه كان حذراً لا يلقاهم إلا مع عصبة قوية من المجاهدين ، كما حاولوا خديعته بتقديم الوعود لرفع مكانته وإعلاء شأنه فرد عليهم بأن اشترط حضور مندوبين من مصر وتونس هذه المفاوضات ، ورفض الطليان طلبه ، وقال المفاوض الإيطالي « دودياشي » : الطليان لم يسلكوا مع العرب في علاقاتهم مسلكاً يدل على الخيانة فلم يحضر المصريون والتونسيون المفاوضات ؟ وأثار جوابه عمر المختار ، فقـال محتداً: كيف عاملتم قبيلة العبيدات ؟ لقد سالمتكم هذه القبيلة فاغتصبتم كل ما كانت تملكه حتى حلي النساء من آذانهن . وقبيلة العواقير سالمتكم أيضاً فأخذتم منهم أربعين رجلاً قتلتموهم رمياً بالرصاص، ثم جعلتم السيارات تمر على جثثهم ذهاباً وإيابـــاً حتى اختلطوا بالتراب . ثم قام المختار إلى معسكره . واستمرت المفاوضات مدة طويلة لم يقصد الطليان منها سوى كسب الوقت لإنجاز استعداداتهم واستمالة بعض الزعماء إلى جانبهم .

٥ — إلقاء المناشير والبيانات في طول البلاد وعرضها وقد جاء في أحدها ما يلي:يا سكان طرابلس والمقاطعات التابعة لها اذكروا أن الله قال في كتابه العزيز :(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) . وقد جاء أيضاً (وإن جنحوا للسلمفاجنح لها وتوكل على الله(وجاء أيضاً:(لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) . أي الذين يصلحون الأرض ويعمون في الفساد وينشرون فيها العدل والعمران . وجاء أيضاً : (قل اللهم مالك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . فإرادة الله ومشيئته قضت أن تحتل إيطاليا هذه البلاد لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد، فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير . فمن أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهره مالك الملك رب العالمين المتفرد بتصرفاته في ملكه الذي لا شريك له فقد كان من المترمين وجمع الجهل بأنواعه ، وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الإرادة الربانية ، وأبرزته القدرة الإلهية ، فالملك لله يؤتيه من يشاء ، وإيطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية إيطاليا وملكها المعظم ، يخفق فوقها العلم المثلث الألوان ؛ أبيض وأحمر وأخضر .

٦- مقاومة الحركات المؤيدة للثورة الليبية في البلاد العربية في مصر وسوريا وغيرهما ، بمعونة الانجليز في مصر ، حيث منعوا المعونات المصرية أن تصل إلى المجاهدين ، وبمعونة الفرنسيين في سوريا الذين أطلقوا النار ، وقتلوا الناس في شوارع دمشق ، لما قامت المظاهرات ضد الأعمال الهمجيـــة في ليبيا ومنعوا المعونة أن تصل لأولئك المجاهدين .

وبهذه الجهود الحربية والسياسية والإعلامية تم لهم احتلال القطر الليبي ومحاصرة الجبل الأخضر مركز المجاهد الشريف عمر المختار ورفاقه الكرام .

قد أظلم الليل وغاب القمر وحار الدليل وبلغ السيل الزبى وابن السبعين عاماً ذو اللحية البيضاء كالثلج تحيط بالوجه الكئيب الحزين ، القوى البنية ، المعتدل القامة ، ثابت كالطود ، وقلبه الذي قد من الصخر جرأة وشجاعة لا يجرؤ الخوف أو التردد أن يصلا اليه أو يحوما حواليه .

طائرات الطليان في الجو تحوم مفتشة عنه ، تحرق الأخضر واليابس بقنابلها ، ودباباتها بدروعها الفولاذية تسعى إليـــه وتدور حواليه ، وألوف الجنود يضطربون خوف الإقدام عليـــه ، وهو كالأسد لا يتحرك حركة إلا ويفترس منهم عدداً ، أو يعطل لهم دبابة ، أو يسقط لهم طائرة .

والأقارب المهاجرون إلى مصر ، والزعماء الذين فروا من ميدان القتال ، ينادونه : هلم إلينا وأرح نفسك من معركة خاسرة لا أمل فيها ! فيجيبهم : وكيف أترك الصبية والنساء والبلاد لهؤلاء الأعداء ؟؟!.

لقد كان الرجل حفيد الأبطال موسى بن نصير وعقبة بن نافع والسمح بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي الذين حالفوا الشهامة والمروءة فلم يجبنوا في قتال،ولم يتخاذلوا أمام النكبات والأهوال،ولم يفروا عن الأهل والأولاد.

ما أعظم الشبه بين معارك المختار في الجبل الأخضر وبين معركة بلاط الشهداء في جنوب فرنسا!! ما أقرب المختار من الغافقي في الشيمة والطباع !!

أتظن أني أستطيع أن أذكر لك معارك المختار مع جيوش الطليان ؟؟ ذلك تاريخ طويل استمر عشرين عاماً مع الطليان والفرنسيين والانجليز أيضاً.

حسبك أن تعلم أن الرجل في آخر معركة نفدت ذخيرة رجاله وسقط عليه جواده فأسروه وهم لا يعرفونه لولا بعض من كان يقابله منهم في المفاوضات فنقلوه إلى بنغازي .

أجل أسروه بعد معركة دامت يومين كاملين بين جيش وأربعين مجاهداً هم رفاق المختار الذين فنوا جميعاً ، ولم يبق سواه تحت حصانه الذي قتل أيضاً وقد خاطب آسريه قائلاً : إن أسري بإرادة الله وهو وحده يتولى أمري ، الآن افعلوا ما تشاؤون ،واعلموا أني ما كنت في يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً !.

كان قائد جيوش الطليان يومئذ (جرازياني) وكان ذاهباً إلى باريس فعلم وهو في القطار بأمر أسر المختار فلم يتم رحلته بل نزل من القطار إلى الطائرة التي حملته إلى بنغازي ليقابل المختار ويدعي شرف الانتصار .

جيء إليه بالبطل مقيداً – كما يقول في كتاب ألفه وملأه بالتبجحات – وقد غطى وجهه بحرامه وأخذ الإيطالي المغرور يسأل أسيره :

– هل أمرت بقتل الطيــارين الإيطاليين ؟!.

– نعم فالحرب هي الحرب .

– هذا إذا كانت هناك حرب فعلاً وليست أعمال لصوصية إجراميــة مثل أعمالــكم .

المختــار : هذا رأيك .

جرازياني: هل توافق على المساعدة في اخضاع الثوار ؟

المختــار : أبداً أبداً قد أقسمنا جميعاً أن نموت واحداً بعد واحد ولا نسلم أنفسنا بتاتاً ومن المعروف أني لم أسلم نفسي .

جرازياني: لا شك أنك كنت طوال حياتك رجلا شجاعاً وإني لأرجو أن تظل شجاعاً مهما حدث لك أو نزل بك .

المختــار : إن شاء الله .

ويقول جرازياني في كتابه: إن السيد عمر المختار قد فهم في تلك الآونة مصيره المحتوم .

ومع ذلك استدعى (جرازياني) محكمته الطيـــارة وانعقدت المحكمة وجيء بالمختار مكبلا بالحديد وأتوا بترجمان لم يستطع أن يستمر في الترجمة لما أصابه من تأثر وارتباك ، فاستدعي أحد اليهود واسمه «لمبروزو» فقام بالترجمة واستمرت هذه المحاكمة الكاذبة ساعة أصدروا في نهايتها الحكم بالاعدام وسأل هؤلاء الحكام المترجم أن ينقل إليهم ما يقوله المختار لدى سماعه بالحكم ، فقال لهم إنه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم يزد .

ونفذوا حكم الاعدام أمام حشد كبير جمعوهم بالاكراه ليبكوا بطلهم وقد شنقوه مرتين لأنه لم يمت في المرة الأولى وذلك عام ١٩٣١ .

لقد ولد عام ١٨٦٢ وتوفي والده في طريق الحج فشب يتيماً، ودرس في الجغبوب وانضم إلى جماعة السنوسية وهي فرقة دينية أسهمت في الجهاد ضد إيطاليا .تأسست في مكة المكرمة ثم انتقلت إلى ليبيا .

هذا هو الفدائي الكريم أحد أبطال شعبنا في العصر الحديث هذا الشعب الذي لا يزال حتى اليوم يقاسي الأمرّين من التفرق والخلاف والجهل والقبلية والإقليمية، والتأخر في الصناعة بينما صحت شعوب كثيرة في آسيا وفي أفريقيا وألقمت أوربا حجراً وطرحتها أرضاً في كثير من المباريات والمبارزات وحق أن اختم هذه الكلمة بأبيات من قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي رثى بها أمير الفدائيين عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواءً ... يستنهض الوادي صباح مساءَ
يا ويحهم نصبوا مناراً من دم ... يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد ... بين الشعوب مودة وإخاء
جرح يصيح على المدى وضحية ... تتلمس الحرية الحمراء
تلك الصحاري غمد كل مهند ... أبلى فأحسن في العدو بلاء
خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاهاً أو تلم ثراء
إن البطولة أن تموت من الظما ... ليس البطولة أن تعبّ الماء
في ذمة الله الكريم وحفظه ... جسد ببرقة وسّد الصحراء
لم تبق منه رحا الوقائع أعظما ... تبلى ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسر أو بقية ضيغم ... باتا وراء السافيات هباء
لبّى قضاء الأرض أمس بمهجة ... لم تخش إلا للسماء قضاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فناء
يا أيها الشعب الكريم أسامع ... فأصوغ في عمر الشهيد رثاء؟!
أم الجمت فاك الخطوب وحرمت ... أذنيك–حين تخاطب – الأصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالد ... فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على فتيانك الأعباء

الكويت : محمد علي العبد

الصحافة في الحجاز في العهد الهاشمي

من ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) إلى ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)

يبدو أنه لم يبق من صحف الحجاز عند قيام الحرب العالمية الأولى سوى جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية « حجاز »[١] . إن تاريخ انقطاع هذه الجريدة عن الصدور غير معروف ، ولكن من المرجح أنها لم تصدر بعد ٩ يوليو ١٩١٦ حين قضى الشريف حسين على الحكم التركي بمكة . وبعد خمسة أسابيع من هذا التاريخ صدرت «القبلة» أولى صحف العهد الهاشمي ، وهكذا فإن الظروف السياسية التي أودت بجريدة « حجاز » قد أوجدت وسائل دعاية سياسية أخرى ، فصدرت في الحجاز في هذه الفترة أربع جرائد هي : « القبلة » و « الحجاز » و « الفلاح » و « بريد الحجاز » ، ومجلة واحدة هي « مجلة مدرسة جرول الزراعية » .

القبلة :

إن أول ما ظهر من صحف العهد الهاشمي هي جريدة « القبلة » التي صدرت في مكة في ١٥ – ١٠ – ١٣٣٤هـ / ١٥ – ٨ – ١٩١٦م ، والتي كانت تصدر مرتين في الأسبوع . وإلى جانب ما يدل عليه اسم هذه الجريدة من صبغة دينية ، فإن « القبلة » قد صرحت بأنها « جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الإسلام والعرب » . وقد اتخذت من الآية الكريمة «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه»[٢] شعاراً لها .

---

(١) انظر مقالة « الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني » لكاتب هذه السطور ، مجلة « العرب » : ج ١١ ، (١٩٧٠) .

(٢) حذفت هذه الآية من الجريدة بعد ذلك ، ويبدو أنها قد حذفت خوفاً من أن يهان القرآن حين يرمي القراء الجريدة بعد الفراغ من قراءتها ، ولقد عبرت « القبلة » عن هذا الخوف في العدد ١٤١ (١٣ – ٣ – ١٣٣٦ هـ / ٢٧ – ١٢ – ١٩١٧م) .

لم تبين « القبلة » في افتتاحية عددها الأول المبادىء التي ستسير عليها ، ولكنها آكدت في هذا العدد بأنها ستجند نفسها لشرح قضية الشريف حسين في صراعه مع جمعية الإتحاد والترقي التي كانت تسيطر حينئذ على الدولة العثمانية.

وإذا لم تكن « القبلة » قد أوضحت منذ البدء سياستها الصحفية فإنها قد فعلت ذلك في عام ١٩١٩ عندما أعلن محررها رأي الجريدة في الصحافة فقال : « نحن نعلم أن الصحافة لم توجد بين الأمم إلا لترشدهم إلى الخير وتبين لهم أبوابه ، ووسيلة تظهر لهم أوجه الشر والضر وتعين لهم أسباب الوقاية منه ، وتطلعهم على أحوال العالم ومظاهره إن كانت خيراً أو شراً »[١].

وقد أكدت « القبلة » رأيها هذا بمناسبة الاحتفال بعامها السابع حيث وعدت بأن تكرس نفسها لخدمة القضية الإسلامية ، وافتخرت بتمسكها بأهدافها الدينية والوطنية ، وبكونها « كل هذه السنوات السبع التي انقضت مثال الصدق والإخلاص والنزاهة »[٢].

ورغم أنه لم يصرح بأن « القبلة » جريدة رسمية ، فقد كانت صلتها بالشريف حسين وحكومته قوية ، ذلك لأنها كانت تطبع في المطبعة الحكومية التي كان يشرف عليها « مدير الجريدة المسؤول »[٣] نفسه ، ولقد كانت تتبع أي سياسة يتبناها الشريف حسين ، حتى ليبدو أن ما فيها من آراء لم يكن يعبر عن وجهة نظر رئيس تحريرها بقدر ما كان يعبر عن وجهة نظر الشريف حسين نفسه ، ولذلك فعند ما حاولت « القبلة » أن تفسر سبب استمرارها في مناقشة موضوع الخلافة كانت كمن يتحدث بلسان الشريف حسين حين قالت : « رغماً عما يفرض مما نتهم به من توالي بحثنا في الخلافة ، فضرورة حرصنا على عدم ما في تطفل الغير على أهم مسألة اسلامية وهي الخلافة تلجؤنا

---

(١) « حول الصحافة العربية » ، عدد ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) .

(٢) العدد ٦٩١ (٣١ – ٥ – ١٩٢٣) .

(٣) من المرجح أن يكون منصب « مدير الجريدة المسؤول » في « القبلة » هو منصب رئيس التحرير ، لأن « المدير المسؤول » كان يتولى الإشراف على التحرير ، ولأنه لم يشر في « القبلة » إلى منصب أعلى من منصبه .

إلى الخوض في هذا البحث مع ما فيه من التهمة التي يعلم القاريء أننا منها براء كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب »[١] . فالتهمة التي تحرص الجريدة هنا على نفيها هي أن يكون الشريف حسين قد أراد منصب الخلافة لنفسه . هذه الخلافة التي تخلى الأتراك عنها بعد عدة أشهر من نشر هذا القول فبويع بها الشريف حسين .

وبالاضافة إلى ماتدل عليه سياسة جريدة «القبلة» من صلتها القوية بالشريف حسين ، فإن هناك أدلة أخرى تعزز القول بأن « القبلة » كانت شبه رسمية . فيذكر الشيخ محمد حسين نصيف – أحد معاصر الشريف حسين – بأن « القبلة » كانت لسان حال الشريف حسين ، ويؤكد أنه هو وحده الذي كان يرسم سياستها[٢] ويشبه هذا القول ما كتبة خير الدين الزركلي الذي زار مكة في عهد الشريف حسين فتحدث عن جريدة « القبلة » وصلتها بالشريف حسين قائلا بأنها : لسان حاله والمعبرة عن آرائه وأفكاره »[٣] ويضيف إلى إلى ذلك قوله بأن أمر الجريدة والمطبعة في يد الحسين[٤] ويقول أحمد السباعي كذلك بأن الحسين قد « أنشأ في عهده جريدة «القبلة» للدفاع عن حركته وللدعاية لها ... وكان يشرف بنفسه على سياستها[٥] » .
كان محب الدين الخطيب[٦] أول « مدير مسؤول لجريدة « القبلة » ، ولكن اسمه لم يظهر فيها إلا منذ العدد الثاني ، واستمر ذكره بعد ذلك في كل عدد من أعدادها حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ عندما خلفه حسين الصبان الذي دام في منصبه حتى انقطاع الجريدة عن الصدور . ورغم أن اسم محب الدين الخطيب قد ظل يظهر في « القبلة » كمدير مسؤول لها إلى حين تعيين حسين الصبان في

---

(١) العدد ٧٤٠ (٢٦ – ١١ – ١٩٢٣) .
(٢) لقد تفضل الشيخ محمد نصيف علي بهذه المعلومات القيمة وبمعلومات أخرى – سيشار اليها فيما بعد – في مقابلة شخصية عام ١٩٦٤ .
(٣) « ما رأيت وما سمعت »، (القاهرة ١٩٢٣) : ص ١٣٥ .
(٤) المصدر نفسه : ص ١٣٥ .
(٥) « تاريخ مكة » ، جـ٢ (مكة ١٣٨٣ / ١٩٦٣ أو ١٩٦٤) : ص ٢٣٨ .
(٦) انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٨٩ هـ .

عام ١٩٢٠ ، إلا أنه يبدو أن الجريدة قد بقيت بدون مدير مسؤول مـدة تزيد عن عام،ذلك لأن الخطيب قد ترك العمل فيها في عام ١٣٣٧–١٩١٩[١] ولعل «القبلة» كانت تشير إلى هذه الحقيقة عندما قالت بمناسبة تعيين حسين الصبان : « حيث أنه لا بد من أن يكون لإدارة المطبعة و « القبلة » مدير حاضر مسؤول يتولى شؤونها فقد عهد إلى الشيخ حسين الصبان بذلـــك ، وستصدر باسمه من هذا التاريخ »[٢]. لم تذكر الجريدة سبباً غير هذا لإحلال الصبان محل الخطيب ، ولكن الخطيب نفسه قد ذكر بـــأنه ترك العمل في جريدة «القبلة» لأنه لم يكن راضياً عن عمله فيها ، وقال متذكراً أيام عودته إلى الحجاز مع مساعده وصديقه احمد شاكر الكرمي[٣] في شهر رجب عام ١٣٣٦ مارس أو إبريل ١٩١٨ للعمل في جريدة «القبلة» : « وانقضى عام تمكن فيه اليأس من قلبين لم يكن لليأس سبيل إليهما ، فقررنا أن نبتعد عن تلك البيئة ، فحمل البحر صديقي إلى وادي النيل ، واخترقت أنا البادية بطريق المدينـة إلى دمشق ... »[٤].

وممن تولى التحرير في «القبلة» وشارك في الكتابة فيها كذلك فؤاد الخطيب وعبد الملك الخطيب ومصطفى فهمي والطيب الساسي . ويقول الزركلي بأن الحسين نفسه قد كتب « مقالات كثيرة فيها يعرفها قراؤها بأسلوب كتابته الذي لا يتغير ولا يتبدل »[٥] . ويقول الشيخ محمد نصيف كذلك بأن الحسين كان يحرر بعض افتتاحيات « القبلة » ولا سيما تلك التي كانت تتعلق

---

(١) انظر مقالة محب الدين الخطيب : « أحمد شاكر الكرمي » في كتاب « أحمد شاكر الكرمي مختارات من آثاره الأدبية والنقدية والقصصية » ، جمع عبد الكريم الكرمي ، (دمشق لا . ت) ص ٢٨٢ . في ٩ – ٥ – ١٩١٩ ذكرت « القبلة » (عـــدد ٢٨٠) خبر سفر محب الدين إلى سوريا ، ولكنها لم تشر إلى أنه قد ترك العمل فيها إلا في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٢) « القبلة » ، عدد ٤٢٠ (١٧ – ١ – ١٣٣٩ / ٣٠ – ٩ – ١٩٤٠) .

(٣) في ٢٥ نوفمبر ١٩١٩ نشر أحمد شاكر الكرمي بعد مغادرته الحجاز مقالاً عن الصحافة العربية في جريدة « الكوكب » المصرية. وقد ناقشت « القبلة » (عدد ٣٣٩ في ١١ – ١٢ – ١٩١٩) هذه المقالة نقاشا حاد اللهجة ، إذ وصفت آراء الكرمي بالفساد والبطلان .

(٤) مقالته السابقة .

(٥) كتابه السابق ، ص ١٣٥ .

بالقضايا السياسية الهامة، وأن القارىء يستطيع معرفة أسلوبه بما يتسم به من إكثار في استخدام مثل هذه الكلمات: «حسيات» و«كالات» و«معنويات» [1].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من رعاية الشريف حسين للقبلة واهتمامه بها فإن القارىء ليشعر بأن «القبلة» لم تكن سوى مرآة تعكس نشاط الحسين السياسي منذ عام ١٩١٦، وبأن سلسلة القضايا التي خصصت لها صفحاتها كانت متفقة — من حيث الزمن والاتجاه — مع مراحل هذاالنشاط ومظاهره. ولذلك فقد كانت «القبلة» مشغولة في سنتيها الأوليين بالإشادة بمن قاموا ضد الأتراك، وبمدح الحلفاء ومهاجمة جمعية الاتحاد والترقي وحلفائها الألمان. ولقد أفاضت «القبلة» في الحديث عن هذه الجمعية حتى أن محررها أعلن في لحظة من لحظات سأمه بأنهم قد ملوا معالجة القضية «التورانية»، وأبدى شعوره بأنه لا بد من أن القراء قد أحسوا بمثل ذلك [2].

أصيب الجنود العرب بنشوة النصر حين افتتحوا دمشق في عام ١٩١٨ بقيادة فيصل بن الحسين، وبدا للشريف حسين حينئذ أن آماله قد أصبحت قريبة المنال، فأخذت «القبلة» في تمجيد العرب والتبشير بمستقبلهم الزاهر، ولكن الفرحة لم تطل، إذ لم تمض سوى بضعة أشهر حتى أبدى بعض السوريين امتعاضهم من أن تربط بلادهم بحكومة الحجاز. ولذلك فما كادت «القبلة» تنتهي من مهاجمة جمعية الاتحاد والترقي حتى بدأت تهاجم المنشقين من السوريين، وتدعو إلى جمع الكلمة.

كانت فرنسا وبريطانيا قد وعدتا الحسين بالمساعدة في إنشاء دولة عربية مستقلة تتكون من الحجاز ومن المناطق العربية التي كانت تحت حكم الأتراك، ولكن «القبلة» أدركت في عام ١٩١٩ أن هاتين الدولتين كانت تنويان سراً إقامة حكم انتدابي في بعض هذه المناطق. ولم يأت عام ١٩٢٠ حتى حقق الفرنسيون نيتهم، فاستولوا على دمشق وقضوا على الحكم الهاشمي فيها. وقد

---

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد نصيف.

(٢) انظر «القبلة»، عدد ١٢٧ (٢٣ - ١ - ١٣٣٦ / ٨ - ١١ - ١٩١٧).

وجدت « القبلة » نفسها – إزاء موقف هؤلاء الحلفاء – تحارب عدواً آخر ، ولكنها كانت في هذه المرة تحارب بروح غير متحمسة ، ونفس مليئـة بخيبة الأمل .

وقد تخلت « القبلة » بعد هذا الخوض في شؤون السياسة ، واتجهت إلى معالجة الموضوعات الإرشادية . وقد أوضح محرر « القبلة » في ٢٤ أكتوبر ١٩٢١ سبب هذا الاتجاه حين تحدث عن مهنة الصحافة فقال : « رأينا في الآونة – ولا نشك أن الفضل والكمال رأى – ما رأيناه من انتحال صحفنا بل صحف العالم بأجمعه المسلك الذي انتحلته ، المخالف لأساس تشكيلها وتأسيسها في العام ، وهو أن تكون مظهراً للإرشاد ومرآة للحقائق والفضائل والكمالات ولإلزام المصلحة لنا بالاشتراك في المباحث والمواضيع مع رؤيتنا لهذه العلة التي التي جعلت الغاية المقدسة العالية النزيهة من الصحافة عاليها سافلها – رأينا أن تشتغل «القبلة» في هذه الآونة بنشر السيرة النبوية المشتملة على مفاخر الدنيا وسعادة الآخرة مادية كانت أم معنوية ، وألا تنشر عدا ذلك سوى شيء من أنباء العالم نقلا عن صحفه وشركاته البرقية ، ومع ذلك فالعهدة فيما ننقله على الراوي . » وقد حققت «القبلة» وعدها هذا ، فتركت الاهتمام بالشؤون السياسية وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الدينية المطولة تحت عنوان « للعظة والذكرى » . واستمرت في ذلك حتى عام ١٩٢٣ عندما تأثرت بما جدّ في قضية الخلافة من تطور سياسي سريع ، فتخلت عما فرضته على نفسها من اعتزال للأمور الدينية ، ودخلت معترك الحياة السياسية ، وبدأت في مناقشة موضوع الخلافة من ناحيتيه السياسية والروحية . وحين بويع الحسين بالخلافة في ١١ مارس ١٩٢٤ شغلت « القبلة » بهذا الحدث ، وعادت مرة ثانية إلى صخب الحياة السياسية الذي كانت قد هجرته منـذ عامين ، وأوقفت نشر سلسلة المقالات التي كانت تنشر بعنوان « للعظة والذكرى » ، والتي بلغت حينئذ ١٢٥ حلقة . ومهما يكن ، فلم تعش «القبلة» بعد هذا طويلاً ، إذ ما لبث أن احتجبت عن الصدور في ٢٥ – ٢ – ١٣٤٣ / ٢٥ – ٩ – ١٩٢٤ ، وإذ ما لبث الحسين أن تنازل عن السلطة لابنه علي في ٥ أكتوبر ١٩٢٤ .

ومن هذا يتبين أن « القبلة » لم تكن بالنسبة للشريف حسين مجرد وسيلة من وسائل الدعاية السياسيـــة ، بل كانت مرآة تعكس مشاعره الخاصة ، وتصور تفاعله مع الأحداث الجارية . ولقد كانت «القبلة» ذات صبغة ذاتية قوية ، ولكن الذي لونها بهذا اللون الذاتي لم يكن رئيس تحريرها ، بل كان راعيها الشريف حسين .

كانت «القبلة» أشبه ما تكون بالجريدة الحزبية ، لذلك فقد كان معظم ما نشر فيها عبارة عن مقالات جدلية وتعليقات سياسية لم تكن تلتزم دائمـــاً بالموضوعية . وفي سنتها الأولى كان فؤاد الخطيب ومحب الدين الخطيب غالباً ما يحرران مقالاتها الافتتاحية ، ولكن هذه الافتتاحيات قد أصبحت فيما بعد غير موقعة . وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب – الذي كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة الهاشمية ، والذي لم تذكر « القبلة » قط أنه كان محرراً رسمياً فيها – تتميز بأسلوبها الخطابي الأدبي ، أمـا مقالات محب الدين الخطيب فيبدو أنها كانت أقرب إلى طريقة التحرير الصحفي الحديث ، إذ أن أسلوبهـــا كان أقل تأنقاً ، وأن مضمونها كان أقرب إلى طبيعة عرض الأحداث السياسية الجارية والتعليق عليها . وفي السنوات الأخيرة غلبت هذه الطريقة على أسلوب تحرير الافتتاحيات .

أما الأخبار التي كانت توجد – في العادة – مفرقة ما بين أعمدة الصحفات الثانية والثالثة والرابعة ، فتتلو الافتتاحيات في الأهمية، وكانت هذه الأخبار تتلون – أحياناً – بآراء الجريدة المختلفة ، وتستغل لخدمة أغراضهـــا الدعائية . ولم تكن القبلة تنشر شيئاً من الأخبار والأحداث المثيرة ، بل كانت تتسم دوماً بالجد والرزانة ، ولم تكن تلجأ إلى النقد الحاد واللهجة القاسية إلا في مجال الخصومة السياسية .

إنه لما يشك فيه أن تكون « القبلة » قد حققت تلك المبادىء الصحفية المثالية التي أعلنتها ووعدت باتباعها . ومهما يكن فقد كانت صحيفة متزنة، تراعى القيم الأخلاقية والتقاليد ، ولم تكن « القبلة » مجرد نشرة رسمية ، إذ

أن أعمدتها كانت مليئة بمواد أكثر حيوية وإمتاعاً من تلك الإعلانات الرسمية والتقارير الحكومة التي تحفل بها – عادة – الجرائد الرسمية .

لم تكن « القبلة » مجرد صحيفة محلية ، بل كان مجال اهتمامها يتعدى نطاق الحجاز ، فقد كان يكتب فيها – احياناً – كتاب من مختلف البلدان العربية ، وكانت – كما يقول إبراهيم عبده – تقرأ في مصر والشام وسائر البلدان العربية والإسلامية [١] ورغم أن « القبلة » لم تغفل عن معالجة شؤون الحجاز ، إلا أنها كانت غير قانعة بشهرتها المحلية ، وكانت تشعر بشخصيتها كجريدة تجاوز انتشارها حدود الحجاز . فعندما ذكر أحمد شاكر الكرمي – احد محرريها السابقين – في مقالة نشرها في جريدة « الكوكب » المصرية بأن « القبلة » تقرأ على نطاق واسع في الحجاز [٢] ، غضب محرر « القبلة » من هذا القول الذي اعتبره تقليلاً من أمر انتشارها في سائر أرجاء العالم ، وأبدى شيئاً من عدم الاهتمام بالشهرة المحلية حيث رد على الكرمي بجفاء فقال: « ... الحقيقة أن « القبلة » لا يباع منها في القطر الحجازي إلا بضع مئات من النسخ ، وبقية الخمسة آلاف نسخة منتشرة في العالم كله » [٣] .

ويبدو كذلك أن « القبلة » لم تكن تعير الرأي العام شيئاً كبيراً من اهتمامها ، ذلك لأن محرر « القبلة » قد سخر من الكرمي الذي قال – في مقالته السابقة – بأن الرأي العام هو « محور نجاح الصحافة وقطب رحاها ، وهو وحده الذي يعلي شأنها ويشرف قدرها أو يحكم عليها بالموت والفناء كما هو مشاهد في البلاد المتمدنة التي يظهر فيها أثر الرأي العام واضحاً جلياً . » وقد حاول محرر « القبلة » كذلك تفنيد رأي الكرمي مستشهداً بحال الصحافة

---

(١) انظر « سيرة من الحرمين » (القاهرة ١٩٦١) ص ١٩.

(٢) لقد قال هذا في ٢٥ – ١١ – ١٩١٩ في مقالته : « الصحافة العربية ».وقد اقتبست « القبلة » هذه المقالة بأكملها في عددها ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) . كما أن المقالة قد طبعت مرة ثانية في كتاب : « أحمد شاكر الكرمي ، مختارات من آثاره ... » جمع عبد الكريم الكرمي ، ص ٥١ – ٥٤ .

(٣) « حول الصحافة العربية » ، « القبلة » ، عدد ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) .

الغربية فقال : « جعل حضرة الكاتب المحور الذي تدور عليه حركة الصحافة الرأي العام ، فهل ينظر معنا حضرة الكاتب إلى ما نشرته وتنشره صحف لندن وباريس واميركا في رؤساء وزاراتهم وقادة امورها ، والصحف هي ترجمان الرأي العام الذي قام بالأمس في اميركا فمنح الحكومة ثقته وبعثها على اعلان حرب جاءت لأجلها الملايين من خلاصة الأيدي العاملة ، والتهمت مئات الألوف من الأنفس الاميركية والمليارات الكثيرة من الليرات ، وأصبح اليوم يسفه آراء قادته ويشبعهم طعناً ويضرب بكل ما يتطلبونه عرض الحائط كأنه نسي أنه كان بالأمس مؤيداً لهم ، محبذا عملهم حتى اقدموا على إعلان الحرب التي وقف اليوم يعارضهم في التدبر في نتائجها ! فيا أفاضل العالم إننا نناشدكم الحقيقة كيف نحكم على هذا الرأي العام الذي هو أساس العمران وهو لم يستطع أن يفرق بين الضر والنفع في ظرف هذه المدة اليسيرة ! (١)

ويظهر أن هذا الموقف الذي وقفته « القبلة » من الرأي العام لم يكن سببه أنها كانت تعتبر نفسها جريدة فئة مختارة من القراء ، ذلك لأنها لم تعالج من القضايا إلا ما كان يتصل بالرأي العام ويهمه ، ولكن من المحتمل انتكون قد قصدت بموقفها هذا تأكيد تلك الفكرة التي تقول بأن على الصحافة أن ترشد قراءها وتعلمهم لا أن يكون الأمر بالعكس . وقد اوضحت « القبلة » هذا المبدأ حين قالت في هذه المقالة نفسها : « نحن نعلم أن الصحافة لم توجد بين الأمم إلا لترشدهم إلى الخير وتبين لهم ابوابه ، ووسيلة تظهر لهم أوجه الشر والضر وتعين لهم اسباب الوقاية منه .. »

كانت « القبلة » تحرر تحريراً جيداً ، ولكن كتابها – الذين يبدو أنهم لم يكونوا شاعرين بما تدعو إليـــه نظريات التحرير الصحفي الحديث من إيجاز وسهولة في التعبير – كانوا يميلون إلى الاطناب وإلى جزالة الاسلوب العربي

(١) « حول الصحافة العربية » ، « القبلة » ، عدد ٣٣٩ (١١ – ١٢ – ١٩١٩) .

القديم ، ولذلك فقد كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بهذه الجزالة، وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية .

كانت « القبلة » تصدر في أربع صفحات كبـــار تتسم ببساطة المظهر والترتيب ، وربما كان لضعف وسائلها الطباعية [1] دخل في خلو صفحاتها من تلك المظاهر الصحفية الحديثة كالتحقيقات والصور والمقابلات الصحفية ، ولقد حاولت « القبلة » اجتذاب المعلنين إليها ، ولكن ما نشر فيهـا من إعلانات تجارية كان قليلاً جداً . ومهما يكن فإنه يبدو أن « القبـــلة » لم تعانِ من المصاعب المالية ، وذلك بسبب رعاية الشريف حسين لها ، ولكن يظهر أن دخلها من الإعلان كان يقل كثيراً عن دخلهـــا من التوزيع الذي بلغ خمسة آلاف نسخة في عام ١٩١٩ [2] .

إن جريدة « القبلة » التي ظلت تصدر مدة تزيد عن ثمان سنوات هي أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيراً في الحياة الثقافية والاجتماعية في الحجاز، إنها سجل للحياة الفكرية والسياسية التي عاشها الحجاز في تلك الحقبة . ولقد حققت « القبلة » من النجاح في الميدان الصحفي ما لم تحققه أية صحيفة من صحف العهدين الهاشمي والعثماني ، كما أنها قد اسهمت في تطوير صحافة الحجاز اكثر مما اسهمت به جريـــدة « حجاز » أو أي صحيفة أخرى من صحف الفترة السابقة .

---

(١) لقد ورثت « القبلة » مطبعة الحكومة اليدوية التي أسسها العثمانيون في مكة عام ١٣٠٠ / ١٨٨٢ أو ١٨٨٣ ، والتي وصفتها جريدة « حجاز » الرسمية في ٢٨ — ٣ — ١٣٢٨ / ٩ — ٥ — ١٩١٠ فقالت: بأن بعض أجزائها قد أصيبت بالخراب والبلى . ويتفق كل من محرر « أم القرى » في مقالته عن الطباعة والصحافة في الحجاز (عدد ٢٠٧ في ١٤ — ٩ — ١٩٢٨) ومحمد سعيد عبد المقصود (صوت الحجاز عدد ٣٤٣ في ٢٥ — ١ — ١٩٣٩) في القول بأن الحكومة الهاشمية لم تدخل أي تحسين على المطبعة الحكومية التي ورثتها من العهد العثماني ، ولكن خليل صابات: « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » ، (القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣١٠) يقول بأن الحكومة الهاشمية قد اشترت من القاهرة في سنة ١٩١٩ مطبعة صغيرة لجريدة « القبلة » .

(٢) انظر « حول الصحافة العربية » ، « القبلة »، عدد ٣٣٩ (١١ — ١٢ — ١٩١٩).

الحجاز :

حين قام الشريف حسين ضد الاتراك استطاع الاستيلاء على معظم اجزاء الحجاز ، ولكن المدينة بقيت في ايديهم حتى نهايـــة الحرب العالمية الأولى . وهناك صدرت جريدة « الحجاز »[1] في ٩ – ١٢ – ١٣٣٤ / ٧ – ١٠ – ١٩١٦ كجريدة « سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية » . وقد صدرت – في بادىء الأمر – ثلاث مرات في الاسبوع ، ثم صدرت خمس مرات في الاسبوع ثم اصبحت يومية . وكانت « الحجاز » تطبع في مطبعتها الخاصة بهـــا ، وتتألف من أربع صفحات صغار أنقصت – فيما بعد صفحتين .

كان حمزة غوث هو « المدير المسؤول » في جريدة « الحجـــاز » ، ولكن يبدو أن شؤون التحرير كانت منوطة بالصحفي السوري بدر الدين النعساني الذي كان يكتب المقالات الافتتاحية ويوقعها باسمه الأول.. لم توضح الجريدة مركز النعساني فيها ، ولكن خير الدين الزركلي قد أشار إلى طبيعة عمـــل النعساني في جريدة « الحجاز » فقال بأنه قد « عهدت إليه السلطة العسكرية العثمانية في خلال الحرب العامة الأولى بإصدار جريدة« الحجاز » بالمديـــنة المنورة »[1].

وتشبه جريدة «الحجاز» «القبلة» من حيث أنه لم يصرح فيها قط بأنهـــا جريدة رسمية ، ولكن مما لا شك فيه هو أنها كانت على صلة قوية بالسلطة التركية في المدينة ، تلك السلطة التي جندت الجريدة نفسها للدعاية لقضيتها والدفاع عن موقفها السياسي والعسكري . وقـــد أكد الزركلي – كما ذكر سابقاً – بأن السلطة العثمانية هي التي أصدرتها .

ذكر أحمد السباعي بأن جريدة «الحجاز» ليست سوى استمرار لجريدة « حجاز » الرسمية التي صدرت في مكة عام ١٣٢٦/١٩٠٨ ، والتي كان

---

(١) لم استطع الاطلاع إلا على الأعداد التالية : ١ و ٤ و ٧ و ٩ و ١٠ و ٢٨ و ٣٩ و ١٠٤ و ١٠٥ .

(١) « الأعلام » : ج ٧ (القاهرة ١٩٥٦) ص ٣٢٣ .

- كما يقول - قد « انتقل صدورها إلى المدينة » بعد سقوط مكة في يد الشريف حسين[1] . ولكن يبدو أن هذا القول لا يعدو أن يكون تسجيلاً للانطباعات الخاصة التي يحملها الكاتب عن جريدة « الحجاز » تتبعان سياسة واحدة ، فإن الجريدة الأخيرة تختلف عن الأولى من حيث أنه لم يصرح بأنها جريدة رسمية ، ومن حيث أنها لم تكن تصدر نسخة من موادها باللغة التركية وهي تختلف عنها كذلك بما تمتاز به من جودة في التحرير والطباعة . ومما يلاحظ كذلك هو أن جريدة « الحجاز » قد تجاهلت أمر سميتها التي يقول السباعي بأنها أصل لها ، فوصفت سنة ١٣٣٤/١٩١٦ بأنها سنتها الأولى ، وبدأ ترقيم أعدادها بالعدد رقم (١).

ورغم ما ادعته جريدة « الحجاز » من اهتمام بميادين السياسة والأدب والاقتصاد والاجتماع ، فإن السياسة - كما يبدو من الأعداد الموجودة - قد حظيت بأكبر قدر من اهتمامها . فمواد جريدة « الحجاز » تتكون - في العادة - من مقالات وأخبار تهدف إلى الإشادة بأعمال القوات التركية وحلفائها ومهاجمة الحلفاء الغربيين والشريف حسين . وقد كانت الجريدة - في أكثر ما يوجد من أعدادها - مهتمة بالقضايا العثمانية وقضية الحرب الدائرة في الجبهة الأوروبية أكثر من اهتمامها بمعالجة الأحداث المحلية . وحيث أن جريدة «الحجاز» كانت ذات موضوع واحد ، وأنها كانت مجندة للدعاية السياسية ، ولخدمة القوات التركية المحاصرة في المدينة ، فإنه لم يكن فيها سوى القليل مما يمكن أن يحظى باهتمام القارىء المدني العادي، ولولا ذلك الأسلوب المشرق البليغ الذي كان يكتب به محررها بدر الدين النعساني لكانت موادها أقل إمتاعاً .

ويظهر أن ظروف الحرب قد جعلت توزيع جريدة « الحجاز » خارج المدينة أمراً صعباً ، ذلك لأنه بعد ستة أشهر من صدورها أشار إليها محرر «القبلة» وقال بأنه قد « وقع في يدنا عدد من جريدة تصدر في المدينة المنورة

(١) انظر كتابه السابق ، ص ١٩٠

اسمها « الحجاز» ...»[١]. . والمهم في هذه الملاحظة هو أن محرر « القبلة » قد بدا كا لو كان يقدم إلى قرائه جريدة لم يعرفوا مجرد اسمها ويلاحظ كذلك ان معظم من سجلوا أسماء جرائد الحجاز كانوا غير شاعرين بوجود جريدة « الحجاز» وذلك بسبب ندرة ما بقي من اعدادها ، فلم يرد ذكرها إلا عند فيليب دي طرازي[٢] وأحمد السباعي[٣] ، أما أحمد علي فلم يشر اليهـــا في مقالته التي نشرها عن تاريخ الصحافة السعودية في مجلة « الحج »[٤] . وكلما جاء في المقالة التي كتبها محرر « أم القرى » عن تاريخ الصحافة في الحجـاز هو أن السلطات العسكرية التركية في المدينة قد أصدرت صحيفة أسبوعية اسمها « المدينة المنورة » في عام ١٣٣٥[٥] (١٩١٦ أو ١٩١٧) ، ويبدو أن هذا الكاتب قد خلط بين جريدة «الحجاز» هذه وبين جريدة «المدينة المنورة» التي أصدرت قبل الحرب العالمية الأولى[٦] ولا بد - كذلك - من أن عبدالله عبدالجبار[٧] ومحمد سعيد العامودي[٨] كانا يقصدان جريدة « الحجاز » هذه عندما قالا بأن جريدة تركية - لم يسمياها - كانت تصدر في المدينة خلال الحرب العالمية الأولى[٩].

إن تاريخ انقطاع جريدة « الحجاز » عن الصدور غـير معروف ، فلقد قال الزركلي بأن بدر الدين النعساني قد « اصدر الجريدة [الحجاز] ستة

(١) « القبلة » ، عدد ٧٢ (٢ - ٧ - ١٣٣٥ / ٢٤ - ٤ - ١٩١٧)
(٢) انظر « تاريخ الصحافة العربية » ، ج ٤ (بيروت ١٩٢٣) ، ص ٩٢
(٣) انظر كتابه السابق ، ص ١٩٠
(٤) انظر العدد ٥ ، ١٩٦٤
(٥) « أم القرى » عدد ٢١١ (١٠ - ١ - ١٩٢٩)
(٦) إن التاريـــخ الذي ذكره محرر « أم القرى » ينطبق - إلى حد كبير - على جريدة « الحجاز » ، وحيث أن أحداً سواه لم يذكر «المدينة المنورة « كجريدة من الجرائد التي صدرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وحيث أن هذا المحرر لم يذكر - في حديثه عن صحف الحجاز التي صدرت قبيل الحرب العالمية الاولى جريدة المدينة المنورة التي صدرت في المدينة في ١٦ - ١١ - ١٩٠٩ ، والتي لم تعش سوى فترة قصيرة ، فإن من المرجح أن يكون قد اختلط عليه الأمر ، وأنه إنما يقصد هنا جريدة « الحجاز » .
(٧) انظر « التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية »،(القاهرة١٩٥٩)ص ١٥٦
(٨) أنظر « من تاريخنا » (بيروت ١٩٦٧) ص ١٨٩
(٩) لقد أضاف العامودي إلى ذلك قوله بأنه لم ير هذه الجريدة ، ولا يتذكر اسمها .

اشهر ، ورجع إلى دمشق ... » ،[1] ولكنه لم يبين ما حدث لجريدة « الحجاز » بعد رحيل النعساني .

وقد تحدث محرر « القبلة » عن جريدة « الحجاز » بعد ستة اشهر من صدورها ، وأشار إشارة لا تخلو من تعريض إلى أنها قد عانت كثيراً من قلة الورق ، وأن ذلك قد اضطرها إلى الاحتجاب موقتاً فقال بأن : « ... في العدد الذي اطلعنا عليه منها اموراً لا بأس أن نذكرها ، فمن ذلك أنها مطبوعة على وريقة صغيرة من نوع رديء ، وفيها اعتذار عن احتجابها قبل صدور ذلك العدد لعدم وجود الورق ، وأن أحد الموظفين اهدى لإدارتها مقداراً من ذلك الورق الذي لا يصلح للطباعة والكتابة فنشرت به ذلك العدد الذي اطلعنا عليه ، ولكن على وجه واحد بسبب رقة الورق »[2] .

إن آخر ما استطعت الاطلاع عليه من اعداد جريدة « الحجاز » هو العدد ١٠٥ المؤرخ في ٢٤ مارس ١٩١٧ . ومهما يكن فلا بد من أن جريدة « الحجاز » قد احتجبت عن الصدور قبل أول يناير ١٩١٩ ، وذلك حين سلم الأتراك المدينة لقوات الشريف حسين .

الفلاح :

في عام ١٩٢٠ حكمت السلطات الفرنسية في دمشق على عدد من السوريين بالإعدام ، وكان من بينهم عمر شاكر صاحب ومؤسس جريدة « الفلاح » التي صدرت في أول الأمر في دمشق في ٣١ اكتوبر ١٩١٩[3] . وحيث أن عمر شاكر قد تمكن من الهرب إلى مكة ، فقد عاد إلى اصدار صحيفته فيها ، فظهرت في ٢٤ – ١٢ – ١٣٣٨ / ٨ – ٩ – ١٩٢٠[4] ،

---

(١) « الأعلام » ، ج ٧ ص ٣٢٣ .
(٢) « القبلة » ، عدد ٧٢ (٢ - ٧ - ١٣٣٥ / ٢٤ - ٤ - ١٩١٧) .
(٣) انظر فيليب دي طرازي ، كتابه السابق ص ٤٦ .
(٤) يقول فيليب دي طرازي (كتابه السابق ص ٩٢) بأن « الفلاح » قد صدرت بمكة في ٢٦ - ٩ - ١٩٢٠ : ولكن قوله هذا لا يتفق مع تاريخ أول عدد من أعدادها المكية الذي أرخ في ٨ - ١٩٢٠ .

واعتبر عمر شاكر عام صدورها في مكة سنتها الثانية [1] .

تتكون « الفلاح » من أربع صفحات كبيرة الحجم فكانت تظهر مرتين في الاسبوع في باديء الأمر، ولكنها أصبحت أسبوعية بعد ١٧ أكتوبر ١٩٢٠ وقد وصفت الجريدة نفسها بأنها «جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعربية» وكان شعارها هو : « حي على الفلاح » ، أما هدفها فقد كان العمل من أجل استقلال بلاد العرب ، والدفاع عن حقوقهم [1] . وكانت « الفلاح » في سنتها الأولى بمكة متأثرة بشخصية محررها الذي كان – كما وصفه ناظر الصحة في الحكومة الهاشمية بجدة – « صريحاً مفرطاً في اندفاعه »[2]، فكانت مقالاتها تتسم بالحماسة واستثارة العاطفة ، وكانت تكرس نفسها لخدمة القضية السورية . ولكن هذا الحماس بدأ يتضاءل بعد ذلك ، وصار اهتمامها بشؤون الحجاز يزداد يوماً بعد يوم حتى أصبحت شبيهة بجريدة «القبلة» في آخر الأمر.

لقد كانت جريدة «الفلاح» أكثر الصحف الهاشمية تأثراً بالمفاهيم والاتجاهات الصحفية الحديثة ، إذ أنها قد خصت الأخبار بجزء كبير من صفحاتها ، وإذ أنه قد كان لها مراسلون ومخبرون صحفيون . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت مواد الجريدة متنوعة ، فلم تقصر نفسها على المقالات السياسية ؛ بل كانت تنشر مقالات اجتماعية وعلمية ومواد فكاهية ، وكانت تحرص – كذلك – على نشر الصور الفوتوغرافية التوضيحية . ولهذا كان مظهرها أكثر حيوية وإشراقاً من مظهر أي صحيفة أخرى من صحف هذا العهد .

لم تول «الفلاح» ميدان الأدب شيئاً من اهتمامها ، ولكنها لم تكن وحدها في ذلك ، فإن جميع صحف العهد الهاشمي قد شاركتها في هذا الاتجاه . ومهما يكن فإنه يبدو أن إسهامها الأدبي الوحيد هو أن مقالاتها السياسية والوطنية قد كتبت بأسلوب أدبي مؤثر ، فأسلوب تحريرها يشبه أسلوب

---

(١) حيث أن عمر شاكر قد نسي - كما قال هو نفسه- في العدد الثالث (١٠ - ٩ - ١٩٢٠) « أصل العدد المتسلسل اعتباراً من صدور الجريدة في دمشق » فقد كان يرقم اعداد كل سنة بأرقام خاصة بها .

(٢) انظر « الفلاح » ، عدد ٣ (١٠ – ٩ – ١٩٢٠) .

(٣) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ – ١ – ١٩٢٥) .

«القبلة» من حيث الإشراق والوضوح ، ومن حيث تأثره القوي بطرق التعبير الأدبية الجزلة . ولم تكن صفحات « الفلاح » مجالاً تلتقي فيه أقلام عدد كبير من الكتاب ، ذلك لأن رئيس تحريرها – كما يبدو – هو الذي يحرر معظم موادها ، أما اسهام كتاب الحجاز المحليين فيها فقد كان ضئيلاً جداً .

ويبدو أن « الفلاح » قد عانت من الصعوبات المالية ، ذلـــك لأن ناظر الصحة في الحكومة الهاشمية قد قال عن عمر شاكر – حين تأبينه له [1] – بأنه قد أصبح في وضع مـــالي حرج بعد عام ١٩٢٢ [2] . وإلى جانب هذه الصعوبات المالية فقد توقفت «الفلاح» عن الصدور مرات،فاحتجبت حين صدر بلاغ رسمي نشر في جريدة القبلة في ٤ أكتوبر ١٩٢٠ جاء فيه : « بناءً على بحث صحيفة الفلاح في مواضيع غير مناسبة تقرر تعطيلها لمدة غير معينة »، ولكن احتجابها لم يطل ، إذ أنها ما لبثت أن عادت إلى الصدور في ١٧ أكتوبر ١٩٢٠ . ولعل أطول فترات هذا الانقطاع هي تلك التي أشارت إليهـــا الجريدة نفسها في ٢٥ أغسطس ١٩٢٣ ، وذلك عندمـــا قالت بأنها كانت قد توقفت عن الصدور « طول هذه المدة »[3] . إن مدة هذا الاحتجاب غير معروفة ، ولكن في مجموعتها التي اطلعت عليها انقطاعاً لا يعرف سببه بين العدد ٢٦ المؤرخ في ١٣ – ٢ –١٩٢١ (السنة الثانية) والعدد الأول المؤرخ في ٢٥ – ٨ – ١٩٢٣ (السنة الخامسة) ، وربما كان سبب هذا الانقطاع هو ما أشار إليه ناظر الصحة بجدة من أن عمر شاكر قد هاجر إلى القاهرة حول عام ١٣٤٠/١٩٢١ أو ١٩٢٢ هجرة لم يلبث أن عاد بعدها إلى الحجاز[4] وحين عادت « الفلاح » إلى الصدور في ٢٥ أغسطس ١٩٢٣ وصف محررهـــا سنة ١٩٢٣ بأنهـــا السنة الخامسة من عمر الجريدة ، ولكنه ليس بواضح هل صدرت الجريدة طوال عام ١٩٢١ وفي عام ١٩٢٢، أم أن المحرر كان يعد سنواتها ابتداء من تاريخ صدور أول أعدادها صارفاً النظر عما تعرضت له الجريدة من انقطاع موقت عن الصدور .

---

(١) لقد قتل في مطلع عام ١٩٢٥ في حادث جوي .

(٢) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ – ١ – ١٩٢٥) .

(٣) « الفلاح » : عدد ١ ، السنة الخامسة .

(٤) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ١٩ (٢٨ – ١ – ١٩٢٥) .

وربما كان لندرة اعداد « الفلاح » ، وقلة ما يوجد عنها من معلومات أثر كبير في اختلاف من حاولوا تحديد عدد ما صدر بمكة من اعدادها . فحيث أن حسين نصيف قد ظن بأن « الفلاح » لم تصدر في مكة إلا في عامها الخامس ، فقد ذكر بأن اعدادها المكية قد بلغت ٤٦ عدداً [١] ، ولكن محرر « أم القرى » قال بأن اعدادها المكية قد بلغت بضعة وخمسين عدداً [٢]. والحقيقة أنه لم يصل احد من هؤلاء الكتاب إلى معرفة العدد الصحيح ، ذلك لأن مجموعة « الفلاح » التي اطلعت عليها والتي ليست كاملة تحوي ٧٨ عدداً . ومما يحيط به الغموض – كذلك – هو معرفة التاريخ الذي احتجبت فيه « الفلاح » عن الصدور ، إن تاريخ آخر ما اطلعت عليه من اعدادها هو ٢٠ سبتمبر ١٩٢٤ ، ولو فرض أن هذا العدد لم يكن آخر اعدادها ، فإن من المرجح أن الجريدة قد احتجبت في مطلع الشهر التالي ، وذلك عندما انسحبت القوات الهاشمية من مكة .

لقد كانت جريدة « الفلاح » شبيهة بسائر صحف العهد الهاشمي من حيث تأثرها بظروف الحرب التي كانت تعيش في ظلها ، ومن حيث غلبة روح الحماسة والاستثارة العاطفية على ما كان ينشر في صفحاتها . ولكن حيث أنها لم تكن جريدة رسمية أو حزبية ، فقد كانت تتمتع بشيء من الحرية في التعبير عن ميولها ، والتنويع في اساليبها الصحفية ، ولذلك فقد كانت متنفساً لمشاعر محررها الذي عاش في الغربة منذ أن حكم عليه الفرنسيون بالإعدام وحاولت أن توسع من افقها الصحفي ، وأن تدخل الواناً صحفية جديدة في ميدان الصحافة الهاشمية .

بريد الحجاز :

لقد ادى تطور الأحداث السياسية في الحجاز في نهاية عام ١٩٢٤ إلى انقطاع في صحافة الحجاز دام حول شهرين ، ولكن الحزب الوطني الحجازي الذي ظهر في جدة على أثر هذه الأحداث السياسية قد اصدر جريدة « بريد

(١) أنظر « ماضي الحجاز وحاضره » (القاهرة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ أو ١٩٣١) ، ص ١٠٣ . إنه لمن المؤكد أن أعداد السنة الخامسة قد بلغت ٤٦ عدداً. ولم يكن حسين نصيف وحده في القول بأن « الفلاح » قد صدرت في مكة مدة عام واحد ، إذ أن عبد الله عبد الجبار (كتابه السابق ، ص ١٥٦) قد اتفق معه في هذا .

(٢) أنظر « أم القرى » ، عدد ٢١١ (١١ – ١ – ١٩٢٩) .

الحجاز » في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ لتكون لساناً لحاله [١] ، ولتكون – كما قالت الجريدة – مصدراً « تستقي منه انباء هذه البلاد » [٢] . وقد اعلنت الصحيفة منذ أول عدد من اعدادها بأنها ستكون « جريدة سياسية » ، والحقيقة أنها قد اقتصرت على المجال السياسي ، ولم تعالج موضوعاً آخر سواه ، حتى لقد اعتذر محررها إلى القراء من إهمال الجريدة للميادين الصحفية الأخرى [٣].

كان محمد صالح نصيف – الذي كان موظفاً في حكومة الملك علي بجدة وعضواً بارزاً في الحزب الوطني الحجازي – صاحب «بريد الحجاز» ومديرها المسؤول ، ولم تذكر الجريدة اسم رئيس تحريرها في السنة الأولى ، ولكنها ذكرته في السنة الثانية وفي ٩ ديسمبر ١٩٢٥ حين اصبح الطيب الساسي – الذي كان محرراً سابقاً في جريدة « القبلة » – رئيساً لتحريرها .

وفي افتتاحية العدد الأول من « بريد الحجاز » اعلن المحرر استقلال جريدته وقال بأن « مورد الجريدة الوحيد هو ما يجمع من الاشتراكات والاعلانات فقط دون أن نقبل أي مساعدة كانت من أي شخص كان، لنتمتع بالحرية التامة » . ولم تنكر الجريدة صلتها بالحكومة الهاشمية في جدة فحسب بل وعدت بأنها ستنتقدها وستظهر لها « مواطن الخلل اتماماً للفائدة ومحافظة على المصلحة العامة .. » [٤] . ومهما يكن ، فإنه يبدو أن الظروف السياسية التي كانت سائدة حينئذ في مدينة جدة قد حدت من هذه الحرية التي كان يأمل محرر « بريد الحجاز » أن تتمتع بها جريدته ، وجعلها خاضعة للسياسة الرسمية ومجندة في سبيل خدمتها .

لقد وعد محرر « بريد الحجاز » قراءه في افتتاحية العدد الأول بأن الأعداد المقبلة ستكون أكبر حجماً ، وبأن موضوعاتها ستكون اكثر تنوعاً ولكن شيئاً من هذه الوعود لم يتحقق ، وذلك بسبب ضعف وسائل التحرير والطباعة التي كانت مهيأة للجريدة . ولم تكن « بريد الحجاز » إبان نشأتها قانعة بان تصبح نشرة سياسية محلية ، بل ارادت أن توسع من آفاقها الصحفية وأن تشارك في نشر الأخبار العالمية ، ولكنها ظلت حتى آخر عدد من

---

(١) انظر « بريد الحجاز » ، عدد ٣٨ (١٢ – ٤ – ١٩٢٥) .
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٢٨ (١ – ٣ – ١١٢٥) .
(٣) انظر المصدر نفسه ، عدد ٣٧ (٥ – ٤ – ١٩٢٥) .
(٤) المصدر نفسه ، عدد ١ .

اعدادها مجرد نشرة محليـــة صغيرة كرست نفسها – كسائر صحف العهد الهاشمي – لخدمة قضية سياسية معينة ، حتى إذا ما فشلت هذه القضيـة انقطعت عن الصدور .

كانت « بريد الحجاز » تصدر مرتين في الأسبوع ، وكانت تتألف من اربع صفحات صغار ، تطبع في المطبعة الشرفية بجدة. وحيث أن الجريدة قد عانت من ضعف وسائلها الطباعية والتحريرية ، فإنها لم تصدر سوى ٥٤ عدداً في سنتها الأولى وعددين في سنتها الثانية . وقد اعتذر المحرر في افتتاحية اول اعداد السنة الثانية مما حدث للجريدة من اضطراب في مواعيد صدورهـا ، ووعد القراء بتلافي ذلك في اعدادها المقبلة [١] ، ولكن الجريدة لم تعش بعد هذا طويلا ، ذلك لأنها قد احتجبت بعد اسبوعين [٢] حين تنازل الملك علي عن العرش وغادر جدة في ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥ .

مجلة مدرسة جرول الزراعية :

في مطلع شهر رجب ١٣٣٨/٢١مارس ١٩٢٠ صدرت بمكة هذه المجلة التي تعتبر أول مجلة تظهر في الحجاز ، وكانت « مجلة فنية زراعية تجارية صناعية تصدر في أول أسبوع من كل شهر » . ويتكون عددها الأول من ٣٠ صفحة ، أما العددان الثاني والثالث فيتكون كل منهما من ٣٢ صفحة . وقد أصدرها أساتذة وطلاب المدرسة الزراعية بمكة ، وكان هاشم المعري هو مديرهـــا المسؤول . وحيث أن هذه المجلة لم تكن تنشر من المواد إلا ما كان ذا صلة بالزراعة والعلوم الطبيعية ، فإن ظهورها يعتبر مهماً من الوجهة التاريخية ، ذلك لأنها تمثل لوناً جديداً من ألوان الصحافة في الحجاز ، وترسم اتجاهاً يخالف ذلك التيار السياسي الذي سيطر حينذاك على الصحافة الهاشمية . لم تعمر هذه المجلة طويلاً ، بل انقطعت عن الصدور – كما جاء في مقالة محرر « أم القرى » (عدد ٢١١) – بعد صدور عددها الثالث [٣] .

(١) انظر العدد ٥٥ (٩ – ١٢ – ١٩٢٥) .
(٢) إن تاريخ العدد ٥٦ الذي هو آخر ما يوجد من اعدادها هو ١٣ – ١٢ – ١٩٢٥.
(٣) يتفق كل من محمـــد سعيد العامودي (كتابه السابق ص ١٩٣) وعبد الله عبد الجبار (كتابه السابق ص ١٥٧) مع مـــا جاء في « أم القرى » من أن هذه المجلة لم تصدر سوى ثلاثة أعداد . والحقيقة أنه لا يوجد منها الآن – كما أعلم – سوى ثلاثة أعداد . ومهما يكن ، فليس في العدد الثالث الذي صدر في غرة شوال ١٣٣٨ / ١٨ يونيو ١٩٢٠ ما يشير إلى أنها كانت تنوي أن تحتجب عن الصدور .

خاتمـة :

وختاماً لما سبق ذكره ، فإن من الملاحظ أنَّ صحف العهد الهاشمي تمثل مظهراً من مظاهر التطور في صحافة الحجاز ، فقد توافر لهـا من الكفاءة في التحرير ما جعلها تمتاز على صحف العهد العثماني – التي كانت أقصر عمراً وأقل نجاحا في تحقيق أهدافها الصحفية – بوضوح الفكر وجمال الأسلوب .

لقـــد تطورت الصحافة في هذه الفترة من حيث شكلها ومضمونها ، واتسمت أساليب تحريرها بالوضوح والجزالة ، ولكنها تشبه صحف العهد العثماني في أن موضوع السياسة قد استحوذ على أكبر قدر من صفحاتها. وحيث أن الصحف الهاشمية قد ظهرت في ظروف سياسية حساسة ، وأنها كانت ذات صـلات رسمية قوية ، فقد غلبت الصبغة الرسمية عليها ، وقللت هذه الأحداث السياسية من فرصة إسهامها في ميادين أخرى غير الميدان السياسي .

لقد كان إسهام كتاب الحجاز المحليين في الصحف الهاشمية قليلاً إذا مـا قورن بما أسهم به زملاؤهم العرب المهاجرون ، وربما كان هذا يعود إلى أن هذه الصحف التي أنشئت لمعالجة القضايا السياسية المعاصرة لم تجد بين أبناء الحجاز صحفيين مجربين يتولون القيـــام بهذه المهمة . ومهما يكن فإن إنتاج هؤلاء الكتاب والصحفيين المهاجرين قد كان من أهم العوامل التي أثرت في كتاب الحجاز الناشئين ، وكانت تلك المقالات البليغة الجزلة التي كتبها فؤاد الخطيب وزملاؤه مصدراً من المصادر التي أوحت لهؤلاء الشبـــاب بالتعلق بالصحافة والأدب . ولقد سد هؤلاء الصحفيون والكتاب الفراغ الذي وجد حينئذٍ في الحجاز بسبب تأخر نهضته الصحفية، كما أنهم قد سقوا تلك البذور التي نمت في العقدين التاليين حيث قام كتاب الحجاز الناشئون بأمر الصحافة في وطنهم وتولوا توجيه الحركة الأدبية في بلادهم .

الرياض – **محمد الشامخ**

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

١ ـ ملاحظات واستدراكات

[طالع الأخ الاستاذ حمد بن محمد العبيدي أجزاء متفرقة من مجلة « العرب » وسجل هذه الملاحظات التي ننشرها مقرونة بالشكر والاستزادة]

جاء في الجزء الأول من السنة الثانية صفحة ٩٢ سطر٣ . الغريف الخ تعلمون انه يوجد في جنوب مدينة الخرمة بوادي سبيع قرية عمرت في السنين الماضية واتسعت بالمزارع تعرف باسم الغريف ويسكنها فخذ من قبيلة سُبيع يقال لهم العَمْرية يجاورهم بعض الحضر من أهل بلدة الخرمة .

وجاء في الجزء الثاني من نفس السنة صفحة ١١٤ سطر ٧ الدهلوي الخ فقد كان المرحوم الشيخ عبد الستار الدهلوي من اصدقاء المرحوم والدنا محمد العبيدي وكثيراً ما حضرت جلساتهما في ديوان الوالد، أو في دكان الدهلوي في جهة سويقة القديمة قرب باب الدُّريبة وكثير مـا كان يستعلم من والدنا عن القبائل وما إلى ذلك .

وجاء في نفس الجزء صفحة ١٨١ سطر ١٥ ابن حريب الخ فالمعروف ان آل حريب او الحربة من البيوت القديمة المعروفة في مدينتي الطائف وتربة ، ومنهم الشيخ حامد بن حريب وأخيه عبد الإله وكانا من أصدقاء والدنا رحمهم الله جميعاً وفي أثناء حديث لهم علمت انهم من الحريبات فخذ من قبيلة جُهَيْنة وتحضروا .

وجاء في الجزء الرابع من نفس السنة صفحة ٣٧١ سطر ٤ الرايس الخ فالجار ما زالت معروفة للآن وتقع شمال الرايس بحوالي ٨ ـ ١٠ كيلاً ويمكن الوصول اليها من الكيل ٢١٠ طريق جده المدينة ثم من هـذا الكيل إلى الرايس حوالي ٢٨ كيلا ومنه إلى الجار أو البريكة كما تعرف .

وجاء في الجزء الخامس من نفس السنة صفحة ٤٢٢ سطر ١٧ واحتي معان وددان الخ فمعروف ان واحة (دَدَان) هي مدينة العلا وقد جاء في سفر حزقيال ذكر لددان بانها كانت تبيع إلى صور طنافس اكركوب كما جاء في بعض النقوش التي وجدت في الجنوب ذكر لها بانها مكان يستورد منه خدام المعابد .

وفي الجزء السادس من نفس السنة صفحة ٤٩٧ سطر ٧ الرين الخ الرين نبات شجيري ينمو برياً وهو من العائلة الخبازية ولا تأكله الماشية مـا عدا ازهاره فقط .

وفي نفس الجزء صفحة ٥٠٢ سطر ٤ القضب الخ هو اسم البرسيم في عسير وأعالي الحجاز كما يوجد نبات شجري ينمو في منطقة جازان يعرف أيضاً بهذا الإسم ولنا أمل كبير في أن يفصل الأستاذ العقيلي في وضع مؤلف عن النباتات في تلك الجهة يصف فيه النبات كله مع وضع أسمه المحلي وحبذا لو يضيف رسوماً ولو برسم اليد لشكل الورقة والزهرة والثمرة الخ ليكون عوناً لمن يبحث مستقبلاً في تصنيف تلك النباتات .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٥١٠ سطر ١٩ البيض الخ فالمعروف أن المرحوم الشريف خالد بن منصور بن لؤي وهو من القـــادة المشهورين الذين شاركوا المغفور له الملك عبد العزيز قد توفي على أثر مرض في ذلك الوادي ودفن فيه أثناء الخلاف بين السعودية والمتوكلية اليمنية سابقاً .

وجاء في الجزء الثامن من نفس السنـــة صفحة ٧٦٢ سطر ١٨ تعليقكم الخ فالاقحوان أو القحويان كما يعرف بلهجة البادية نبات عشبي عرف منذ القدم في نجد، وشاهدته في روابي الحجاز والسراة أما نبات عباد الشمس فهو مستورد حيث جلبه المهاجرون من أمريكا وبهذه المناسبة أذكر شطراً من بيت لشاعر من البادية يصف أسنان حبيبته بقوله : أبو ثنايا كأنها القحويان الخ .

كما جاء في الجزء التاسع من نفس السنة صفحة ٧٨٠ سطر ٣ كثيراً ما يضع

بعض الكتاب ساية ورهاط ضمن القرى التي قرب المدينة المنورة مع أنها بعيدة عنها وهي إلى مكة المكرمة أقرب .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٨١٠ سطر ٧ التقيين بمعنى التزيين الخ فـــاسم القينة وخاصة في جنوب نجد يطلق على العبدة فيقولون فلانة قينة فلانة كما يقولون فلانة تُقَيِّن فلانة أي تزيّنها كما أوضحتم أيضاً .

وجاء في الجزء الحادي عشر من نفس السنة ص ٩٦٥ سطر ٢ الخرار الخ يوجد مرفأ يقع بعد رابغ شمالا يعرف بهذا الاسم منذ القدم كما يوجد شعيب يسار الداخل إلى وادى رهجان لمن كان مصعداًمن نعمان يعرف أيضاً بالخرار.

وجاء في نفس الجزء صفحة ٩٧٦ سطر ٢١ تعليقكم الهـدة ألخ فالهدا أو الهدة أو هدة الشام ليست قريبة من رهاط بل هي وادٍ مقفل يمتد في الشمال إلى الجنوب ويمكن الوصول إليه من وادي مَرّ أو وادي عسفان عبر طريق مكة إلى المدينة وتوجد في أعلى وادي هدة الشام ثنية يمكن الطلوع منها إلى قرية البرزة ومنها إلى قرية مدركة ومنها إلى رهاط عبر عقبة مهدت أخيرا ومنها إلى قرى رهاط العديدة .

وجاء في الجزء الثاني عشر صفحة ١٠٦٦ سطر ١٤ الكيني الخ فالمعروف أنه يوجـــد قماش نسائي يعرف باسم كيناوي أو كين بكسر الكاف وكانت النساء في نجد يعملن منه ثياباً ومقاطع تعرف أيضاً بهذا الاسم وأرجح أنه تحريف شيناوي أي صيني – والصين تشتهر بالأقمشة المصنوعة من الحرير .

وفي نفس الجزء صفحة ١١٠٨ سطر ٩ صرْوعة الخ فصروعة قرية قديمة معروفة في أسفل وادي مَرّ (فاطمة) قبل حداء لمن انحدر من الوادي وهي الآن دامرة بسبب نضوب مياهها ولا يمر بها طريق مكة المدينة لا قديماً ولا حديثاً، ويمكن الخروج بعدها عبر عقبة صغيرة تسمى كرى إلى الفج الكريمي الذي كانت تمر به القوافل فيما بـين مكة والمدينة ويوجد اليوم فيه الطريق المسفلت فيما بين مكة والمدينة .

وفي نفس الجزء صفحة ١١٢١ سطر ١٤ باب الجار الخ فالجار كما هو معروف ميناء المدينة قديماً ويقع شمال الرايس وهي معروفة لليوم وما زالت آثارهـا ظاهرة للعيان .

وجاء في نفس الجزء صفحة ١١٢٨ سطر ٢١ ودك الخ فالودك هو الدهن المستخرج من الشحم الحيواني وعلى الذكر الدهن المستخرج من نخاع العظم يسمى قطفة والمستخرج من الزبد يسمى دهن وسمن .

وجاء في الجزء الأول للسنةالثالثة صفحة ١٤ حاشية ١ القوبع الخ فالقوبع أيضاً طائر معروف من فصيلة القنابر يوجد في بلادنا وله تغريد عذب ، ومن أقربائه المكاء وهو طائر معروفمن قديم الزمن ويسمى الآن أم سالم وقد ورد ذكر للمكاء في شعر امرىء القيس بقوله : كان مكاكي الجوا الخ والقوبعة التي يلبسها سكان تهامة ويصنعونها من سعف الدوم تسمى طفشة .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٣٦ سطر ١٥ شجر الكينا الخ شجر الكينا لا ينمو فيبلادنا والذي يعنيه الأستاذ العقيليهو شجر الكافور أو (اليوكالبتوس) وهو يعرف خطأ باسم الكينا ،كذلك شجر الشورة وهو نبات معروف ينمو في الشواطىء الطينية للبحر ويعرف بهذا الاسم العلمي (افسينا) نسبة إلى ابن سيناء .

وجاء فينفس الجزء صفحة ٢٦٥ سطر ١٦ طفيل ألخ فطفيل الجبلالمشهور يقع جنوب شرق جدة ويمكن مشاهدته من مرفأ الشعبية جنوب مدينة جدة على بعد حوالي ٨٥ كيلا ويرى في جهة الشرق منها وخلفه جبل شامة وقد قرنهما بلال رضي الله عنه في شعره : وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وطفيل .

وجاء في الجزء الساس نفس السنة صفحة ٥٧٤ سطر ١٣ الجار الخ الجار ما زالت آثاره ظاهرة للعيان ويعرف الآن باسم البريكة وقد شاهدتها مع بعض الزوار أكثر من مرة حتى أن رصيف الميناء ما زالت بعض أحجاره باقية حتى الآن .

وجاء في الجزء السابع صفحة ٥٨٢ سطر ١٥ الا انه يبيل الدم ، الـخ . فهذا يُؤيد وجود قواقع (البلهارسيا) في بلادنا من قديم والقوقع يعيش في المياه الراكدة وعندما يتعرض له الإنسان يصاب بالمرض .

وفي نفس الجزء صحفة ٦٠٧ سطر٢٢ عقرباء الخ..روضة عقرباء عمرت منذ سنوات خلت وبها الآن عدد من المزارع .

جدة : حمد بن محمد العبيدي (للبحث صلة)

حول الأفلاج

جاءتنا رسالة من أحد أبنائنا ، هو وقيّان بن عمر آل لحيان يعلق فيها على مقال الأستاذ عبد الله الماجد الذي نشر في صفر ١٣٨٨ ، ومما جاء في ذلك التعليق :

١ – قرن ليس هو السيح ، لأن الأصفهاني ذكر أنهـــا على فرسخ من من الزرنوق . وقال الأستاذ عبد الله بن عبد العزيز الفالح : إن آثار قرن باقية الآن ، شرق قرية الصفو على بعد إثنا عشر كيلا من ليلى، وأطلال قرن وآباره واضحة ، وخط الإسفلت يشكل الخط الغربي لقرن .

٢ – الزهدمي يقع جنوب شرقي السيح .

٣ – إن قرية السيح قامت على أنقاض سيح الرقادي وسيح أطلس ، وليس على أنقاض قرن .

٤ – حصن مرغم يعرف الآن باسم قصر العنقري .

٥ – وادي كرز ووادي أكمة ، ووادي الأحمر كلها تطلق على مسمى واحد هو وادي أكمة ، الذي ينحدر من أمكنة تشرف على الهضب وينتهي إلى السيح ثم إلى النهدين وفي هـــذا الوادي قرى الأحمر وواسط والخرمة والروضة والصفو ثم السيح شرق هذه القرى ، وفي شمال الخرفة على جزع الوادي يقع الزرنوق وسوق الفلج القديم ، وآثارهما ماثلة للعيان ، ويفصل بينهما خط الإسفلت .

٦ – حاضرة بني جعدة التي ذكر الهمداني هي الباحة المعروفة اليوم باسم واسط وعلى أنقاض الباحة قامت واسط ، وما زالت آثار الباحة ماثلة للعيان .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيا لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● – الاعلام

كتاب « الاعلام » لاستاذنا ابي الغيث خير الدين الزركلي أوفى كتاب حديث في التراجم فيا أعلم ، فهو عصارة فكر بحاثة جليل قل ان يضاهيه

---

٧ – الجدول يمتد من الجنوب إلى الشمال أكثر من ٤٥ كيلا ، ويصب فيه من الأدوية شطاب وحرم والثوير والهدار والأحمر إذا جاد سيله، وفيه النهيدان – وهما هضبتان صغيرتان – والثلثان وأبيض نثيل والحسينية ، وهذه مناهل للباديتين وفي أبيض نثيل يقول الشاعر الشعبي :

يا الله اليوم لا يسقيك يا ابيض نثيل   يوم شدّوا عرب خلّي وانا فوق ماه

والجدول : أرض خصبة يجود نبتها أيام الربيع ، وفيها آبار كثيرة قديمة وحديثة .

٨ – سمي وادي أكمة لوجود هضبة كبيرة شرق منهل الروقية ببعد ١٥٠م تقريباً ، والهضبة على جزع الوادي من الجنوب منعزلة عن الجبال ، وسمي الأحمر نسبة لقرية بهذا الإسم يقال إنها سميت بذلك لكثرة ما أريق في شوارعها من الدماء عندما حاولت قبيلة الدواسر الاستيلاء على تلك القرية ، ونزعها من سكانها القدماء آل داود وآل راجح ، وقد استولى الدواسر عليها وسكانها الآن الشكرة منهم .

هذا ملخص ما ذكر الأديب الفاضل وقيان بن عمر آل لحيان من بلدة واسط في الأفلاج .

و « العرب » تقدم له شكرها متمنية له التوفيق .

احد في سعة اطلاعه على المؤلفات قديمها وحديثها ، وهو خلاصة مئات من الكتب والمطبوعات ألفت في التراجم ، بحيث يصح القول بأن « الاعلام » من مفاخر عصرنا الثقافية ، وقد صدر في طبعته الاخيرة في مجلدات عشر ، وفي هذه الايام صدر المجلد الحادي عشر ، وهو المستدرك الثاني لما وقع في الطبعتين الاخيرتين ، وهذا الجزء لا يستغني عنه من يقتني احداهما ، لأنه يضيف اضافات قيمة على بعض التراجم ، ويصحح تطبيعات ، وينبه إلى اخطاء ينبغي تصحيحها ، وجاء هذا الجزء في ٢٩٤ صفحة في طباعة انيقة فاخرة .

● – اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب

ويوالي صديقنا الاستاذ عبد الكريم الجهيمان دراسة تراثنا الشعبي ممثلاً في قصصه وامثاله ، وقد اخرج عنهما كتابين يقع كل واحد منهما في ثلاثة مجلدات وها هو الآن يصدر المجموعة الرابعة من « اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب » يحوي ٣١ سالفة (سبحونة) والأخيرة هي الكلمة المستعملة في نجد للقصص الشعبية ، وهذا الجزء الأخير يقع في ٤١٥ صفحة بطباعة حسنة ، وقد ازدانت كل سبحونة برسم خيالي طريف ، وقد وعد الاستاذ الصديق في هذا الكتاب بأنه سيعود لنشر الجزء الرابع من كتاب « الامثال الشعبية » .

وإن مما يُحمد لأبي سهيل اتجاهه إلى هـــذه الناحية من تراثنا بالتدوين والنشر ، وهو من الأفذاذ الذين خصوا هذا الجانب بجهودهم واهتمامهم .

● – مدائن صالح

صديقنا الأستاذ محمـــد عبد الحميد مرداد من أكثر أدبائنا وباحثينا أسفاراً وأطولهم رحلات في كثير من أنحاء العالم ، وفي داخل بلادنا ، وكان من أثر هذه الرحلات مؤلفه القيم الذي دعاه « مدائن صالح أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية » وهو جزء ستتبعه أجزاء إن شاء الله وهذا الجزء حافل بوصف مدائن صالح وذكر سكانها قديماً وحديثاً ، مع معلومات قيمة عن البلاد المجاورة لها ، وهو يضيف معلومات جديدة طريفة حقاً ، ولهذا كان على درجة من الإمتـــاع تستهوي القارىء وعلى جانب من التحقيق يفيد الباحث ، وقد جاء هذا الجزء في ٤١٦ صفحة .

● – إصلاح المساجد من البدع والعوائد

عـــلامة الشام السيد جمال الدين القاسمي كما وصفه الأستاذ محب الدين الخطيب – رحمه الله – مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي ، التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر ، ومن أجل كتبه فائدة في الجانب الاصلاحي « إصلاح المساجد من من البدع والعوائد » وعنوانه يدل على موضوعه ، وهو لا يقف عند حد ما يتعلق بالمساجد بل يتناول كثيراً من البدع التي أضيفت إلى الدين وليست منه . وراجت في هذا العصر وقبله ، وقد طبع الكتاب للمرة الثانية طباعة حسنة في ٢٨٠ صفحة ، وقام بنشره المكتب الإسلامي بعد أن قام أستاذنا محدث الشام الشيخ ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديثه وبالتعليق عليه تعليقاً أكمل جوانب من الكتاب ، وأوضح بعض ما يحتاج إلى إيضاح .

● – تاريخ الكويت السياسي

وصدر للاستاذ حسين خلف الشيخ خزعل القسم الاول من الجزء الخامس من «تاريخ الكويت السياسي» ويتضمن تاريخ احمد الجابر الصباح (١٣٣٩هـ–١٩٢١م) إلى (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م) . وهذا القسم كأجزاء الكتاب السابقة حوى كثيراً من الوثائق التي تتعلق بتاريخ الجزيرة لا الكويت وحدها ، وفيه تفصيلات وافية يسوقها المؤلف عرضاً ذات فائدة كبيرة في تاريخ الامة العربية كلها ، ويقع هذا الجزء في ٢٨٠ صفحة ، قد ازدان بالرسوم لكثير من مشاهير العرب ، وطبع طباعة حسنة على ورق صقيل .

● – جُلّنار

صديقنا الاستاذ ابراهيم خليل علاف من شعراء بلادنا المعروفين ، وشعره – وان كان قصير النفس في كثير من الاحوال – الا انه يتسم بالجدة وبالجمال ايضاً وقد صدر له هذه الايام ديوانه الثالث الذي سماه « جلنار » وجلنـار – كما هو معروف – كلمة فارسية معناها : زهر الرمان . ويقع هذا الديوان في ٩٦ صفحة من القطع الصغير ومن ألطف مقطوعات هذا الديوان ما نظمه وهو في لبنان ، مع كثرة لطائفه .

● رسالة افتتاح الدعوة

قام العبديون الذين حكمون مصر حقبة من الزمن بنشر مذهب باطني معروف رأي علماء الاسلام فيه ، غير أن جوانب كثيرة من ذلك المذهب كان يكتنفها الغموض، وفي الآونة الاخيرة نشرت مؤلفات كثيرة لعلماء هذا المذهب ودعاته ، وكان من آخر ما قرأنا « رسالة افتتاح الدعوة » لقاضي قضاة تلك الدولة النعمان بن محمد من أهل القرن الرابع الهجري ، قامت الآنسة وداد القاضي بتحقيق هـــذه الرسالة ونشرها ، تحقيقاً ينم عن عمق ادراك ومعرفة بقواعد النشر، واطلاع واسع على ما يتعلق بموضوع الرسالة من مؤلفات. وقد جاءت في ٣١٠ من الصفحات في مقدمة تقع في ٢٧ صفحة ، وفهارس وافيــة ومصور جغرافي عن مواطن الدعوة العبيدية

والواقع ان هذه الرسالة تفيد الباحثين لا في موضوعها بل يضاف إلى ذلك الجانب التاريخي الذي نرى أن الرسالة بما حوته مما يتعلق به من اهم المراجع التاريخية عن حكم العبيديين وانتشار مذهبهم .

● – الحدود والحقائق

وكرم صديقنا الدكتور حسين علي محفوظ باتحافنا بنسخة من « الحدود والحقائق في شرح الالفاظ المصطلحة بين المتكلمين من الامامية » تأليف القاضي أشرف الدين صاعد البريدي الآبي، وهو رسالة تقع في ثلاثين صفحة وطباعتها حسنة .

● – محمد روحي الخالدي

ألقى صديقنا الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد محاضرات على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية عن « محمد روحي الخالدي » رائد البحث التاريخي عـن فلسطين ، ومن فضول القول وصف هـــذه المحاضرات بالشمول والعمق ، وقد جاءت في ١٥٨ صفحة ، وهي من منشورات المعهد المذكور ، وكل من يعنى بدراسة تاريخ أمتنا في ابان نهضتها الحديثة لا يستغني عن مطالعة هذا الكتاب القيم .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الأجرة البريدية
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

ملحق الجزء الاول – السنة الخامسة – رجب ١٣٩٠ – ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠

دعوة للعلماء لتبيين :

حدود عرفات ـ مزدلفة ـ منى

كانت صحيفة « الدعوة » الزاهرة قد نشرت في عددها الـ ٥١ الصادر بتاريخ ١٩ / ١ / ١٣٨٦ – سؤالاً عن حدود عرفة ، وجواباً لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل أحـــد قضاة المحكمة الشرعية الكبرى في الرياض . وقد رأى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ناصر بن حمـد آل راشد الرئيس العام لمدارس البنات ، وأحد مشاهير علماء بلادنا – رأى أن الجواب بحاجة إلى زيادة إيضاح وتعقيب ، بل إلى أكثر من ذلك ، وهو قيام لجنة من العلماء لبحث حدود الأمكنة المقدسة التي يتوقف أداء شعائر الحج على عدم تجاوزها ، والقيام بتحديدها ، فكان أن كتب هذا البحث الممتع الذي تورده « العرب » بنصه ، وتعقب عليه بما هو معروف من أقوال المتقدمين من العلماء في الموضوع .

مقال الاستاذ الشيخ ناصر :

نشرت صحيفة الدعوة الغراء في العدد (٥١) الصادر بتاريخ١٩/١/١٣٨٦هـ في باب الفتاوى من إعداد الشيخ عبد الله بن عقيل لسؤال سائل عن حدود عرفة قال فيها : إنها من الجبل المشرف على عرفة إلى الجبال المقابلة له إلى ما يلي حوائط بني عامر . ا هـ

ولما كان أكثر هذا التحديد غامضاً ، فقد رأى فضيلة المجيب إيضاح هذا الغموض بما نقله عن كتاب « مفيد الأنام » ونصه : (إن الجبل المشرف

المذكور هو الجبل العالي شمالاً عن جبل الرحمة وهو شرقي عرفة والجبال المقابلة المذكورة هي الجبال الجنوبية وهي حدٌّ عرفة من جنوب. وحوائط بني عامر هي بساتين لبني عامر وكان فيها عين ونخل تنسب إلى عبد الله بن عامر ابن كريز . وهي الآن خراب وموضع العين فيما يظهر غربي مسجد عرنة الذي يسمى الآن مسجد ابراهيم، وآثار العين المذكورة موجودة الآن قرب المسجد. فحدٌّ عرفة من هذه الجهة ليس هو حوائط بني عامر بل هو الذي يلي الحوائط المذكورة والذي يليها هو المسجد . ومنه يتضح أن المسجد ليس من عرفة لأن الحد لا يدخل في المحدود والحد الشامي لعرفة بطن وادي عُرَنة ، لأنه يأتي من الشمال الى الجهة الغربية الجنوبية، ووادي عُرَنة أيضاً حدٌّ لعرفة من جهة الغرب لأن نفس المسجد في وادي عرنة ، فهـــذه حدود عرفة من الجهات الأربع . قال : ولم أر من حددها غيري ولكن بالوقوف والتطبيق وفق الله لي ذلك . قال : وهناك علمان فاصلان بين عرفة ووادي عرنة من جهة الغرب عن عرفة فما كان شرقاً عن العلمين فهو من عرفة وما كان غرباً منهما فهو من عرنة . انتهى .

مجال النقاش لتحديد عرفة :

ونظراً لأنني أحد السائلين والباحثين عن تحديد عرفة وغيرها من المشاعر فإن في هذا البحث مجالاً للتدقيق والمناقشة ، ورغبة مني في المشاركة في هذا فقد رأيت التعليق الآتي : سبق لي أن قمت بمحاولة لتطبيق ما رأيته من كلام الفقهـــاء في مناسكهم وبعض المؤرخين على حدود عرفة ، فتبين لي أن التطبيق المسرود بهذه الإجابة لا يتفق من حيث تعيين موقع حوائط بني عامر ، ولا من حيث الحد الشامي لعرفة وإن ثمة قصوراً في تحديد عرفة من الناحية الشرقية .

الحد الشرقي فالجنوبي :

والذي تبين لي أن حزام حدود عرفة هو على الوجه التالي :

سلسلة الجبال والهضبات الواقعة شرقي جبل الرحمة ومصلى الصخرات .

وتبدأ هذه السلسلة من الجبل العالي المسمى جبل سعد والذي يقع أدناه شمالاً عن جبل الرحمة، وتمتد السلسلة جنوبا إلى طريق نعمان، طريق الطايف الآن . والحد الجنوبي الجبال المقابلة الواقعة على يمين المسالك لطريق نعمان إلى الطائف وتمام الحد الفضاء الممتد من مقطع هذه الجبال حتى وادي عُرَنة وهذا الفضاء فيما يظهر لي هو الذي عبر عنه الفقهاء بما يلي حوائط بني عامر، حيث تقع الحوائط جنوباً عن هذا الفضاء وهناك شاهدنا آثاراً لبعض القناطر وآثاراً لبعض الآبار هناك .

الحد الغربي :

والحد الغربي هو بطن وادي عرنة الممتد من الشمال إلى الجنوب حتى يتجاوز منطقة عرفة وهناك العلمان اللذان أشار اليهما صاحب كتاب « مفيد الانام » المنصوبان على شفير وادي عرنة الشرقي .

الحد الشمالي :

والحد الشمالي الواجهة الغربية للجبل العالي (سعد) الواقع شمالاً عن جبل الرحمة، وهناك فضاء واسع واقع بين جبل سعد وبين وادي عرَنة لم أرَ أحداً من الفقهاء والمؤرخين تعرض للبحث فيه من حيث تعيين التحديد . وهذا الفضاء مقابل للفضاء الموالي لحوائط بني عامر حد عرفة من الناحية الجنوبية ، ولا يقل عنه في الاتساع ، وهنا تتضح الفروق بين هذا التحديد الذي قمنا بتطبيقه عدة مرات وبين ما نشر ، فالتحديد المنشور باعداد الشيخ عبد الله العقيل يرى أن حوائط بني عامر تقع غرباً عن مسجد عرنة ، وان ما يلي الحوائط هو المسجد .

غربي المسجد جزء من وادي عرنة :

وانه ليبدو جليا لمن تتبع هذه الآثار ان الذي يلي المسجد غرباً هو جزء من وادي عرنة يليه غرباً سفح يتصل بجبل نمرة ، ولعل الآثار التي شوهدت هناك بقية من آثار كانت بقرية نمرة التي نزل بها النبي ﷺ ورُحلت له ناقته منها ، وأتى بطن عُرَنة وخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر جمعاً هناك

ثم توجه إلى عرفة . لأن هذا الموضع هو الذي ينطبق عليه وصف مكان قرية نمرة كما ذكره أبو الوليد الأزرقي وغيره حيث ساق بسنده عن ابن جريج قال: سألت عطاء : أين كان رسول الله ﷺ ينزل يوم عرفة ؟ قال : بنمرة ، منزل الخلفاء إلى الصخرة الساقطة بأصل الجبل عن يمينك وأنت ذاهب لعرفة يلقي عليها ثوب يستظل به ﷺ . ومعلوم أن هذا يقع لمن يأتي عرفة عن طريق (ضبٍّ) من حيث أتى إليها النبي ﷺ وإذا أقبلت إلى عرفة تحف هذا الجبل فإن مسجد عرنة أمامك . ويزيد هذا وضوحاً ما نقله المحب الطبري عن الشافعي رحمهما الله ونصه : وعرفــــة ما جاوز وادي عُرَنَة ، وليس الوادي ولا المسجد منها إلى الجبل المقابل مما يلي حوائط بني عامر ، وطريق الحصن ، ومما جاوز ذلك فليس من عرفة . فعلم أن الشافعي والمحب الطبري لا يريان أن حوائط بني عامر غربي المسجد لأن المسجد يقع في نفس وادي عُرنة . يؤكد هذا ما ذكره كثير من المؤلفين في المناسك وبعض المؤرخين وتؤكده المشاهدة ، وفي المقال فإن ما نشر بصحيفة الدعوة في باب الفتاوى الذي أعده الشيخ عبد الله العقيل ينص على أن ما يلي حوائط بني عامر هو مسجد عرنة في حين أن الذي يلي المسجد هو بقية وادي عرنة .

سيل عام ١٣٦٠ هـ :

ولقد أتى سيل جارف في عام ١٣٦٠ هـ . فانحسر السيل غرباً وشرقاً عن المسجد ، وصار جزيرة في بطن الوادي ، ومعروف أن العلمين المنصوبين لحدود عرفة من الناحية الغربية قد وضعا على شفير الوادي وقد ذرع تقي الدين الفاسي ما بين ركن المسجد مما يلي عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن — فبلــغ سبعمائــــة بتقديم السين وأربعة وسبعين ذراعاً بالحديد عن ثمانمائة وخمسة وثمانين ذراعاً بذراع اليد . هذا وقد سألت أشياخا من الجوابرة (هذيل) سكان منطقة عرفة عن الفضاء الذي ذرعه تقي الدين الفاسي وعن المظلة المقامة فيه والتي أقامها الشيخ عبد الرؤوف الصبان ، إبان توليه مديرية الأوقاف فقالوا : إن هذه المواضع ليست من عرفة ، وأكدوا لي هذا في ثقة مما يقولون . وأضافوا على حد فهمهم بأنه لما بنت الحكومة المظلة أصبحت من

عرفة . ولهذا ينبغي الاهتمام بتنبيه الحجاج بأن الوقوف بالمظلة غير مجزىء عن الوقوف بعرفة .

ومقتضى مفهوم ما نشر أن ما دون المسجد بينه وبين العلمين أنه من عرفة ويجزىء الوقوف فيه وهذا ليس بمراد قطعاً من صاحب كتاب « مفيد الانام » .

وادي عرنة ومآتيه :

وقد تضمن ما نشر بأن حد عرفة من الناحية الشمالية هو وادي عرنة ، وأن وادي عُرنة تحدد به عرفة من الناحيتين الغربية والشمالية ، والأمر ليس كذلك حيث أوضحنا تحديد عرفة آنفاً من الناحية الشمالية لأن مَن تتبّع تلك الأماكن يتضح له أن وادي عرنة يأتي من الناحية الشمالية أعلاه من « الشرايع » و « حنين » و « المغمّس » ، ويصب فيه رافد هو وادي المجاز – السوق العربية القديمة المشهورة – المتجمعة سيوله من جبل (هذيل) (كبكب) فإذا أقبل على عرفات فانه يحف الجبال الغربية ، وقبل أن يصل عرفة قد شق منه خليج لمزارع الجوابرة من (هُذيل) الواقعة غرباً شمالاً عن عرفة ، وغرباً عن وادي عرنة ، تلك المزارع التي تحف الطريق السالك للمأزمين ، ويستمر من الشمال إلى الجنوب حتى يتجاوز منطقة عرفة ، وبهذا يكون واضحاً جلياً أن وادي عُرَنة لا ينعطف من الغرب إلى الشرق ، فيمكن حينئذ أن تحدد به عرفة من الناحية الشمالية .

وادي عرنة لا ينعطف على عرفة :

ويزيد هذا وضوحاً ما ذكره صاحب كتاب « شفاء الغرام » في بحثه لحدود عرفة ، وتصحيحه لبعض التصحيفات حيث قال : « ولا يصح أن يكون وادي عرنة – بالنون – لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة ، بل هو ممتد مما يلي مكة يميناً وشمالاً » .

هذا ما عنّ لي من تعليق على حدود عرفة .

حدود المزدلفة ايضاً :

وبمناسبة بحث حدود المشاعر فإنّ ثمة اشتباهاً لديّ في حدّ مزدلفة من الناحية الجنوبية . لأن حدود المزدلفة من الناحية الشمالية جبل ثَـبير الذي

تحفه . وغرباً وادي محسّر وشرقاً مَفْضَى المأزمين ، وجنوباً من الناحية الشرقية الجبال ، هذا ملخص التحديد الذي نقله أبو الوليد الأزرقي عن ابن جريج عن عطاء .

وبعد مقطع الجبال فهناك فضاء من الناحية الغربية ممتد حتى جبال المَفْجر لم أطلع على بحث لأحد من المؤلفين في تحديد المزدلفة من ناحية هذا الفضاء .

كذلك فإنه يوجد فضاء في شرقي مِنى من الناحية الشمالية بعد مقطع مَسيل السيل الذي يصب في محسر ما بين الوادي وواجهة جبل (ثَبِير) الغربية . وهذا الفضاء ليس من مزدلفة حتماً .

وينبغي بحث ما إذا كان من منى فيصح المبيت فيه أم لا ، لأنه إذا صح أنه من منى فإن فيه متسعاً للناس ومفهوم كلام العلماء أن حد منى من الناحية الشرقية وادي محسر ، فهل محسر له حدود من الناحية الشمالية ينتهي إليها وما بعدها يكون من منى حتى ولو كان بعد تجاوز مسيل السيل من الناحية الشرقية بها ؟ أم أن محسراً يمتد شمالاً حتى يكون مسيل السيل هو الفاصل وحد منى من الناحية الشرقية حتى يتصل بالجبال الشمالية ؟ والحقيقة أن هذا بحث مهم ينبغي أن يؤلف له لجنة علمية تبحثه، وتضع قراراً ضافياً عنه ، وتضع كذلك قراراً عن الفضاء الشمالي من عرفة والفضاء الجنوبي من مزدلفة ، لأن حجاجاً كثيرين ينزلون في هذه الأمكنة ولا تحصل الطمأنينة التامة إلى أنهم نزلوا في المشاعر وقضوا بذلك أركان الحج ، وواجباته المتعلقة بتلك المشاعر .

فإذا صدر مثل هذا القرار ينبغي وضع أعلام تحدد المشاعر من هذه الجهات وتكتب عليها الإيضاحات باللغات العربية والأوردية والجاوية والفارسية.

وبالله التوفيق ›› وحرره : ناصر بن حمد الرشيد

العـــرب

لقد أصبحت هذه الدعوة التي وجهها هذا العالم الجليل في عصرنا الحاضر من أولى ما يعنى به علماء المسلمين ، ذلك — ١ — أن العمران بتقدمه وازدهاره أزال كثيراً من المعالم

القديمة ، والحدود المعروفة لكثير من المواضع . – ٢ – قد أصبح عدد الحجاج يزداد في كل عام ازدياداً يتطلب سعة في الأمكنة، وقد تضطر الحاجة إلى تجاوز الحدود ، إذا لم تكن موضحة ، جهلاً أو اضطراراً . – ٣– أن متقدمي العلماء جاءت عباراتهم مطلقة في الغالب حول تحديد تلك المشاعر المقدسة – ٤ – يخشى – بمرور الزمن واندارس العلم – أن تصبح حدود تلك المشاعر مجهولة ، وخاصة بعد أن تزول الأسماء القديمة ويحل محلها أسماء أخرى ، وهذا من الأمور التي تحدث في كل مكان بمرور الأزمان ، ومن الأدلة على ذلك أن هناك من المواقع الأثرية في المدينتين الكريمتين – مكة والمدينة – ما أصبح بمرور الزمن مجهولاً ، إما بسبب امتداد العمران ، كما حدث لمواضع ودور ومنازل بقرب المسجد النبوي زال أثرها ، وانطمست معالمها ، إما لإضافتها للمسجد الكريم بعد توسيعه في فترات متعاقبة من الزمن ، وإما بامتداد بعض الأيدي التي ألحقتها بأماكن أخرى وغيّرت أسماءها ، ومثل هذا يقال في أماكن في مكة ، وفي مِنَى ، وقد يتصل عمران مكة بمنى اتصالاً يخفي الحدود التي لا بدّ من معرفتها لمن يريد أن يؤدي شعيرة الحج على أكمل الوجوه .

حدود عرفات :

١ – قال ابن عباس : حَدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى أجبال عُرنة إلى الوصيق ، إلى ملتقى الوصيق ، إلى وادي عرفة [١] .

وَصيق : قال الهجري : ووادي وسيق الذي يدفع في نعمان ، مَنشَفُهُ من كبكب، يدفع منه حيث يدفع رهجان، وقال الهذلي: وصيق بالصاد[٢].

وقال صاحب كتاب « بلاد العرب [٣] » :

وجبلان يقال لهما لُبنَانِ لُبن الأسفل ولُبن الأعلى ، وفوق ذلك جبل يقال له المَبْرَك،وفيه برك الفيل بِعُرَنَةَ ، وفوق ذلك جبل يقال له وصيق،

(١) : « أخبار مكة » للازرقي ٢ – ١٥٧

(٢) : « ابو علي الهجري » – ص ٣٨١

(٣) « بلاد العرب » ص ٢٠

أدناه لقوم من بني عبد بن عديّ من بني الدّيل ، وشقّه الآخر لبني هُذَيل . ثم بنعمانَ من جبال هُذَيل . ونعْمانُ وادٍ يسكنه عمرو بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل .. الخ

وأقول : يقع شمال جبل عرفات جبل يدعى جبل سعد ينحدر منه واد فيما بينه وبين جبل كبكب ، يتجه غرباً حتى يجتمع مع وادي رَهجان ، الوادي الذي بطرف عرفات من الشمال .

ويظهر أن اسم هذا الجبل في القديم وصيق ، وأن اسم سعد أطلق عليه لأن سكانه من بني سعد بن هُذيل ، ويدعون في الوقت الحاضر السّعايدة .

ومتى عُرف وادي وصيق اتضح الجواب عن حكم الفضاء الواقع بين جبل سعد وبين وادي عُرَنة .

وقد ذكر صاحب كتـــاب « بلاد العرب » أن أدنى وصيق لبني عدي ابن الديل .

١ – وروى الأزرقي بسنده إلى يزيد بن شيبان قال : كنا في موقف لنا بعرفة – قال يبعده عمرو بن دينار من موقف الامام جدّاً – قال يزيد : فأتانا ابن مربع الأنصاري فقال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم ، يأمركم أن تقفوا على مشاعركم هذه ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام .

ويزيد بن شيبان هذا – قيل أنه أزدي – وقيل ديلي ، فإذا ثبت بأنه ديلي فقد يكون موقف قومه في جهة وصيق إذ أسفله من بلادهم.

وقد أوضح الفاسي – كما سيأتي – أن الصواب في كلام ابن عباس : التقاء وادي وصيق بوادي عَرَفة – لا عُرَنة – .

٢ – وأورد ياقوت رواية أخرى عن ابن عباس (رض) في تحديد عرفة قال : حَدُّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة ، إلى جبالها ، إلى قصر آل مالك ، ووادي عرفة (١) .

ولم يحدد ياقوت موقع قصر آل مالك ، ولا شكّ أن هذا التحديد يتفق مع التحديد الأول وإن اختلفت العبارة .

---

(١) : « معجم البلدان » مادة عرفة .

٣ـ وقال ابن رُشَيْدٍ الفهريُّ الأندلسي: عرفة عنهما حددها الامام أبو عمرو النصري[١] عن الأزرقي في « كتاب مكة » بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة، إلى وصيق، إلى ملتقى وَصيق ووادي عرنة: قال الإمام أبو عمرو: بطن عرنة، ووادي عرنة يضافان إلى عرنة، وقد تقدم ضبطهما. ووصيق هذا بواو مفتوحـــة، ثم صاد مكسورة غير منقوطة، وياء، وفي آخره قاف. وقال الشافعي: عرفة ما بين الجبل المشرف إلى بطن عرنة إلى الجبال المقابلة يميناً وشمالاً، مما يلي حوائط ابن عامر، وطريق الحصن. قال أبو عمرو: هو الحضن ــ بالحاء غير المنقوطة، والضاد المنقوطة، والمفتوحتين، وبعدهما نون، وهو اسم جبل. قال صاحب « النهاية »: وتطيف بمنعرجات عرفة جبال وجوهها المقبلة من عرفة. وقال أبو زيد البلخي: عرفة ما بين وادي عرنة، إلى حائط ابن عامر، إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الإمام، إلى طريق حضن، قال: وحائط ابن عامر عند عرنة، وبمقربة المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر، وهو حائط نخيل، وفيه عين، وينسب إلى عبد الله بن عامر بن كريز. قال الإمام أبو عمرو: هو الآن خراب، ووادي عرنة المذكور هو من جهه منى ومكة، يقطعها من يجيء منها إلى عرفات. وذكر بعض من حدد عرفات من أصحابنا أن الحدّ الواحد منها ينتهي إلى جادة طريق المشرق وما يلي الطريق، والحد الثاني: ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات، والحد الثالث: الى الحوائط التي تلي قرية عرفة، وهـــذه القرية على يسار مستقبل القبـــلة إذا صلى بعرفة، والحد الرابـع: ينتهي إلى وادي عرنة الذي شرحنا عنه وليس من عرفات وادي عرنة، ولا نمرة، وهي في بطن عرنة، ولا المسجد الذي يجمع فيـــه الإمام الصلاتـين، ويقال له مسجد ابراهيم ﷺ وليست عرفات من الحرم[٢].

---

(١) يعني ابن الصّلاح.

(٢) رحلة ابن رشيد ــ مخطوطة ــ وانظر مجلة « العرب » من ص ٤٤٢ الى ٤٥٨ ومن ص ٥٠٧ الى ٥٧١ ــ السنة الثالثة.

٤ — وقال الزركشي في « إعلام الساجد » : عرفات لها أربعة حدود ، واحدها ينتهي إلى جادة طريق السرف — ككتف — موضع قرب التنعيم . والثاني : إلى حافات الجبل الذي وراء أرض عرفات . والثالث: إلى البساتين التي تلي قرية عرفة ، وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفة . والرابع : ينتهي إلى وادي عُرَنة — وليس من عرفات وادي عرنة، ولا نمِرة ، ولا المسجد الذي يصلي فيه الإمام المسمى بمسجد ابراهيم ، بل هذه المواضع خارج عرفات ، على طريقها الغربي مما يلي مزدلفة ومنى ومكة .

٥ — وأما المأزمان فهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عُرَنة وهو وادٍ بين المأزمين وعرفة ، وليس من عرفة ، وعرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط بني عامر إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الامام وإلى طريق حصن وحائط بني عامر نخيل عند عرفة ، وكذلك في غربي عرفة ،وعرفة بقرب المسجد الذي يجمع فيه الامام بين الصلاتين الظهر والعصر، وهو حائط نخيل ، وبه عين وينسب إلى عبدالله بن عامر بن كُرُيز [١] .

٦ — وقال ياقوت : المأزمان : موضع بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عُرَنة ،وهو إلى ما أقبل على الصخرات[٢] التي يكون بها موقف الإمام ،إلى طريق يفضي إلى حِصْن وحوائط بني عامر، عند عرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الصلاتين الظهر والعصر ، وهو حائط نخيل ، وبه عين تنسب إلى عبدالله بن عامر بن كريز ، وليس عرفات من الحرم .

وقال : عرفة حدُّها من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة . وقرية عرفة موصل النخل بعد ذلك[٣] .

٧ — وقال مؤرخ مكة أبو الطيب الحسني الفاسي : عَرَفَة —بالفاء—موضع الوقوف هي خارج الحرم قريب منه وقد ذكر حدَّها ابنُ عباس لأنه قال : حدّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى أجبال عرفة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق ووادي عرنة أخرجه الأزرقي ، وقوله : وادي عرنة اختلف في

(١) « المسالك والممالك » للاصطخري - ص ٢٢ - طبعة مصر سنة ١٣٨١ . و « صورة الأرض » لابن حوقل - ص ٣٦ - بيروت .

(٢) في المطبوع (الصحراء) خطأ . (٣) « معجم البلدان » .

ضبطه ففي بعض نسخ الأزرقي بالفاء وفي بعض بالنون وممن ضبطه بالنون ابن الصلاح واعترض عليه في ذلك المحب الطبري لأنه قال بعد أن ذكر ضبط ابن الصلاح قلت : وفيما ذكره نظر لأنه أراد تحديد عرفة أولاً وآخراً فجعله من الجبل المشرف على بطن عرنة بالنون فيكون آخره ملتقى وصيق وبطن عرفة بالفاء . ولا يصح أن يكون وادي عرنة بالنون لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة بل هو ممتد مما يلي مكة يميناً وشمالاً فكان التقييد بوادي عرفة أصح والله أعلم . وهذا التحديد يدخل عرنة في عرفة انتهى ، وحد عرفة من جهة مكة قد صار معروفاً بما بنِيَ في موضعه من الأعلام ، وهي ثلاثة سقط منها واحد وبقي اثنان وفيها أحجار مكتوب في بعضها ان المظفر صاحب إربل أمر بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفة ، ووادي عرنة لا يجوز لحاج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الأعلام قبل غروب الشمس ، وفيه مكتوب: بتاريخ شعبان سنة خمس وستمائة ، ورأيت مثل ذلك مكتوباً في حجر ملقى في أحد العلمين الباقيين ، وفي هذين العلمين مكتوب : أمر بعمارة علمي عرفات ـ وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستنصر العباسي ثم قال: وذلك في شهور سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ومقتضى كون هذه الأعلام بين منتهى أرض عرفة ووادي عرنة لا يكون المسجد الذي يصلّي الإمام بالناس فيه الظهر والعصر في يوم عرفة من عرفة ولا بعضه منها لان المسجد المذكور مروى [1] بالاعلام المشار إليها إلى جهة الحرم وبين ركن المسجد المشار إليه مما يلي عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن ثمانماية ذراع وخمسة وثمانون ذراعاً باليد ، وذلك يشكل مع قول الشيخ أبي محمد الجويني وابنه إمام الحرمين والقاضي حسين الرافعي ان مقدم هذا المسجد من عرنة – بالنون – هو جزء من عرفة – بالفاء – فإن ما ذكر هؤلاء الأئمة يقتضي ان الاعلام المشار إليها ليست على منتهى حد عرفة وان حدها ينتهي إلى أثناء المسجد المشار إليه وذكر الشيخ أبو محمد الجويني أن ذلك متميّز بصخرات كبار فرشت في ذلك الموضع يعني من المسجد ، ولا أثر الآن لهذه الصخرات والله أعلم بالصواب ، وصرح النووي وابن الصلاح بأن هذا المسجد ليس من عرفة

---

(١) كذا ولعله : (من وراء الأعلام) .

بالفاء، وتظهر ثمرة الخلاف في إجزاء الوقوف بهذا المسجد. وتوقف مالك في ذلك، ولأصحابه قولان فيه بالإجزاء وعدمه [1].

طريق الحصن أو طريق سرف :

تكررت كلمة طريق الحصن وحصن وحضن – في العبارات المتقدمة، وفي كلام الزركشي : جادة طريق السَّرِف وهذا يوضح الجهة . أما ضبط الكلمة فقد قال نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتـــابه : « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها، المذكورة في الأخبار والأشعار » ما نصه : (الحِصْنُ – بكسر الحاء وبسكون الصاد المهملتين، وآخره نون : ثنية مكة ،) بينها وبين دار يزيد بن منصور فضاء يقال له المَفْجِر [2]. انتهى . وعن نصر نقل الحازمي وياقوت كلامه حرفياً . أما يزيد بن هارون هذا فهو الحِمْيري، خال المهدي، من مشاهير أمراء الدولة العباسية، فقد تولى البصرة للمنصور سنة ١٥٢ هـ. ثم تولى اليمن سنة ١٥٣ حتى اشتاق اليه خاله المهدي سنة ١٥٩ فولاه إمارة الحج، ويظهر أنه اتخذ داراً بمكة، أو دارين إحداهما تعرف بدار العروس، وردت في كلام الأزرقي في مواضع منها :

١ – شعب قعيقعان : هو ما بين دار يزيد بن منصور التي بالسويقة يقال لها دار العروس، إلى دور ابن الزبير إلى الشعب الذي منتهاه في أصل الأحمر إلى فلق ابن الزبير الذي يسلك منه إلى الأبطح. والسويقة على فوهة قعيقعان.

٢ – جبل زرزور : الجبل المشرف على دار يزيد بن منصور الحمـــيري خال المهدي بالسويقة [3] .

٣ – وقال عند ذكر أبواب الحرم في وصف باب قعيقعان – وكان بـين باب القطبي وباب الزيادة إن لم يكن باب القطبي نفسه – : يقال له باب حجير ابن ابي اهاب وله داران أحدهما لاصقة بدار العروس .

٤ – حد المعلاة من الشق الأيسر من زقاق البقر الذي عند الطاحونة ودار عبد الصمد بن علي اللتان مقابل دار يزيد بن منصور الحميري خال المهدي

---

(١) « شفاء الغرام » ص ٨٥ إلى ٨٧ (طبعة اوربة) .
(٢) الورقة الـ ٥٦ من مخطوطة المتحف البريطاني .
(٣) « أخبار مكة » ج٢ – ص ٢٢٩ / ٢٣٩ / ٧٤ / ٢١٥ .

يقال لها دار العروس ، مصعداً إلى قعيقعان .. وما حاز سيل قعيقعان إلى السويقة وقعيقعان مصعداً فذلك كله من المعلاة . انتهى كلام الازرقي .

ويظهر أن دار العروس ليست المقصودة بعبارة نصر الاسكندري ، وان المقصودة تقع في أسفل مكة،يمر بها الطريق الذي يدع مكة ذات اليمين حتى يصل إلى سَرف ، ماراً بالمفجر ، تاركاً مزدلفة وجبالها يميناً .

والمفجر: قال الأزرقي ١- فاقتتلوا [جرهم وخزاعة] بمَفضى مأزمي منى، فسمي ذلك المكان المفجر،لما فجر فيه وسفك من الدماء، وانتهك من حرمته.

٢- كانت طريق النبي ﷺ من حراء إلى ثور في شعب الرخم على الثنية التي تخرج على بئر خالد بن عبد الله القسري ، التي بين مأزمي منى – وهي الثنية التي على يسار الذاهب إلى منى من مكة، ثم سلك النبي ﷺ في الشعب الذي بنا ابن شيخان سقاية بفوهته ، ثم في الثنية التي تخرج على المفجر ...

٣ - المفجر مـــا بين الثنية التي يقال لها الخضراء إلى خلف دار يزيد بن منصور ، يهبط على حياض ابن هشام التي بمفضى المأزمين مأزمي منى إلى الفج الذي يلقاك على يمينك إذا أردت منى ، يفضي بك إلى بئر نافع بن علقمة ، وبيوته حتى تخرج على ثور ، وبالمفجر موضع يقال له بطحاء قريش ، كانت قريش في الجاهلية وأول الاسلام يتنزهون به، ويخرجون إليه بالغداة والعشي، وذلك الموضع بذنب المفجر في مؤخره،يصب فيه ما جاء من سيل الفدفدة .

٤-شعب حواء في طرف المفجر على يسارك وأنت ذاهب إلى المزدلفة من المفجر ، وفي ذلك الشعب البئر التي يقال لها كُسُر آدم .

أين يقع حائط ابن عامر ؟

يفهم من كثير من عبارات المتقدمين أنه بقرب عُرَنة ، غير أن عُرَنة كثيراً ما يصحف بـ (عرفة) وبالعكس . ويفهم من عباراتهـــم أن عرفة – بالفاء – فيها قرية تقع في الجهة الغربية منها ، يدعها طريق المأزمين للقادم من منى على يساره، بعد مجاوزتها . وأرى أن حائط ابن عامر (أو حوائطه) تقع غرب قرية عَرَفة ، لا عُرَنة ، ويستأنس لهذا بما يلي :

١ – أن الحدّ الشرقي الجنوبي أوضحه الرسول ﷺ بقوله : « وارفعوا عن بطن عرنة » وإذن فالقول بأن حوائط ابن عامـــر تقع غرب المسجد يخرجها من أن تكون حدّاً لعرفات ، إذ الجزء الغربي من المسجد ليس من عرفة فكيف بما يقع غربه أو جنوبه .

٢ – ورد في تحديد أبي الفداء [١] لعرفات ما نصه :

(عرفات ما بين عرنة وحائط بني عامر والمأزمين ، وليس وادي عرنة من عرفات ، وهو حدّ عرفات مما يلي منى ، وبالقرب من حائط ابن عامر المسجد الذي يجمع فيه الأيام بين الظهر والعصر يوم عرفة ، وبعض المسجد المذكور واقع في عرنة وبعضه في عرفات . اهـ

وأرى كلمة (عرنة) الأولى صوابها عرفة ، لأنه أوضح ذلك بقوله : (وهو حدّ عرفات مما يلي منى) ولا يتنافى هذا مع قوله : (وبالقرب من حائط ابن عامر المسجد) . فهو قريب من الحائط قُرْباً نسبيّاً .

٣ – وقال الأزرقي : (ثبير الأعرج مشرف على حق الطارقيين ، بين المغس [٢] والنخيل [٣]) وعلق الأستاذ رشدي ملحس – رحمه الله – قائلاً : (النخيل هي بساتين ابن عامر التي كانت في جهة عرنة ، وبقربها مسجد ابراهيم المسمى مسجد عرنة . انتهى وأراه تصحف عليه اسم (عرفة) بعرنة كغيره ، ذلك أن ثبيراً الأعرج لا يشرف على عُرَنة إلا إذا قصد شمال الوادي ، ولكنه قد يشرف على بساتين ابن عامر إذا كانت واقعة في الشمال الغربي من عرفة .

٤ – وقال الأزرقي : (ذو مراخ بين مزدلفة وأرض ابن عامر [٤]) . وهذا يدل على أنها في جهة مزدلفة .

٥ – قـــد يكون لابن عامر – الصحابي الجليل – حوائط متعددة في الشمال الغربي من عرفات بقرب قرية عرفات ، وفي الجنوب الغربي – أي عند اتصال وادي عرنة بوادي نعمان – وهو الحدّ الجنوبي لعرفات فالرجل كان كثير العمران ، مغرماً بإحياء الأرض ، وله آثار عظيمة في نجد وفي الحجاز وفي غيرهما من البلاد .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، وارفعوا عن بطن عُرَنة [٥]

---

(١) تقويم البلدان لأبي الفداء – ص ٧٨ –

(٢) في المطبوعة : (المغمس) وأراه تصحيفاً إذا الأزرقي ذكر ان المغس من طرف اللبط إلى خيف الشبرق بعرنة (٥٠١ ص الطبعة الأوربية) .

(٣) « أخبار مكة » ٢ / ١٨٥ (طبعة مكة) .

(٤) « أخبار مكة » ٢ / ٢٣٦ (طبعة مكة) .

(٥) « البداية والنهاية » ٥/١٧٤ .

حدود المزدلفة :

١ – قال الازرقي : قال ابن جريج : قلت لعطاء : وأين مُزْدَلفة ؟ قال : المزدلفة إذا أفضْتَ من مأزمي عرفة فذلك إلى مُحَسِّر ، وليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما. قال : قِفْ بأيّهما شئت ، وأحب إليّ أن تقف دون قزَح هَلُمّ إلينا . قال عطاء : فإذا أفضت من مأزمي عرفة فانزل في كل ذلك عن يمين وشمال . قلت له : أنزل في الجرف إلى الجبل الذي يأتي عن يميني حين أفضي إذا أقبلت من المأزمين ؟ قال : نعم ، إن شئت . وأحبّ إليّ أن تنزل دون قزح هَلُمّ إليّ ، وحذوه. قلت لعطاء : فأحبُّ إليك أن أنزل على قارعة الطريق ؟ قال : سواء إذا انخفضت عن قزح هلُمّ إلينا . وهو يكره أن ينزل الناس على الطريق، قال : يضيّق على الناس ، فإن نزلت فوق قُزَح إلى مفضَى مأزمَيْ عرفة فلا بأس – إن شاء الله – ! قلت لعطاء : أرأيت قولك : انزل أسفل قزح أحب إليك من أجل أيّ شيء تقول ذلك ؟ قال : من أجل طريق الناس ، إنما ينزل الناس فوقه فيضيقون على الناس طريقهم ، فيؤذي ذلك المسلمين في طريقهم . قلت: هل لك إلا ذلك ؟! قال : لا . قلت : أرأيت إن اعتزلت منازل الناس ، وذهبت في الجرف الذي عن يمين المقبل من عرفة ، ولستُ قُرْبَ أحدٍ . قال : لا أكره ذلك ! قلت : أذلك أحبُّ إليك أم أنزل أسفل من قُزَح في الناس ؟ قال : سواء ذلك كله ، إذا اعتزلت ما يؤذي الناس من التضييق عليهم في طريقهم. قلت لعطاء : إنما ظننت أنك تقول : نزل رسول الله ﷺ أسفل من قزح ، فأنا أحب أن أنزل أسفل منه ؟! قال : لا ، والله ما بي ذلك ، ما لشيء منها أثرة على غيره . قلت لعطاء : أين تنزل أنت ؟ قال : عند بيوت ابن الزبير الأولى ، عند حائط المزدلفة ، في بطحاء هناك . قال ابن جريج : أخبرني عطاء عن ابن عباس كان يقول : ارفعوا عن مُحَسِّر ، وارتفعوا عن عُرَنات. قلت: ماذا؟ قال: أما قوله : ارتفعوا عن عرنات فعشيّة عرفة في الموقف – أي لا تقفوا بعرنة – وأما قوله : ارفعوا عن مُحَسِّر . ففي المنزل بِجَمْعٍ – أي لا تنزلوا محسّراً ، لا تبلغوه . قلت لعطاء : وأين مُحَسِّر ؟ وأين يبلغ من جَمْع ؟ وأين يبلغ الناس من منزلهم من محسر ؟

قال : لم أرَ الناس يخلّفون بمنازلهم القرن الذي يلي حائط محسّر الذي هو أقرب قرن في الأرض من محسر على يمين الذاهب الذي يأتي من مكة عن يمين الطريق . قال : ومحسّر إلى ذلك القرن ، يبلغه محسّر وينقطع إليه . قال : فأحسب أنها كُدْية محسّر حتى ذلك القرن . قال : فلا أُحِبُّ أن ينزل أحدٌ أسفل من ذلك القرن ، تلك الليلة (١) .

٢ — وفي كتاب « المناسك » : أول حد المزدلفة انقطاع محسر ، حيال القرن الذي وَصَفْتُ لك،وآخرها انقضاء المأزمين،وليس المأزمان ومفضاهما قبل ان تدخلها وأنت ذاهب إلى عرفات . وإذا كنت جائياً من عرفات إلى منى فأنت تصير بين جبلين ، وهما المأزان ، في ضيق ، قال كثير :

وقد حلفت جهداً بما نحرت له قريش غداة المأزمين وصلت

فإذا جاوزت المأزمين حتى تخرج منهما إلى الفضاء فذلك الفضاء أول المزدلفة وأنت جاي منعرفات إلىحيال القرن الذيوصفت لكوهو الآنوأنت مقبل من عرفات عن يسارك . عن ابن جريج قلت لعطاء : أين محسر ؟ وأين يبلغ من جمع ؟ وأين يبلغ الناس بمنازلهم من محسر ؟ — يعني مبيتهم بجمع المزدلفة فقال عطاء . لم أرهم يخلفون بمنازلهم القرن ، يعني لا يتجاوزن قال عطاء : هو أقرب قرب في الأرض من محسر عن يمين الذاهب من مكة عن يمين الطريق . قال : ومحسر إلى ذلك القرن يبلغه [محسر] وينقطع اليه .

قال عطاء : لا أحب أن ينزل أحد أسفل من ذلك القرن تلك الليلة ، يعني ليلة جمع . قال ابن جريج : قلت لعطاء: وأين المزدلفة؟قال: إذا أفضت من مأزمي عرفة كذلك إلى محسر . قال : وليس المأزمان مأزما عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما. قال : قف بأيها ما شئت يعني بأيهما عند المفضى ، أو دون هذا االقرن . قال : وأحب إلي أن يقف دون قُزح هَلُمّ الينا — يعني بقزح موضع لمارة التي عليها السرج — يقول : تكون أمامها إلى مكة ، وتجعلها خلفك. **(البقية في الجزء الآتي)**

---

(١) « أخبار مكة » ج ٢ - ١٥٥ و ١٥٦ (ط : مكة) و ٤١٧ ط : اوربة .

العنوان : مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف : ٢٢٩١٥
الرياض : المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد ، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الأجرة البريدية
الإعلانات : يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء : ريالان عربيان

الجزء الثاني – السنة الخامسة – شعبان ١٣٩٠ – تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٠

من خصائص بعض المدن والقرى

في أمثالها ، وما يقال عنها

– ١ –

للموضع أثر في طباع ساكنه لحظه المتقدمون ، وأثبتت الحقائق العلمية صحته . فقد عرف – فيما عرف – ان طبيعة الارض لها تأثير كبير في سكانها ، وقد أشار الجاحظ في احد كتبه إلى ذلك ، فذكر أن من أقام بالبحرين مدة ربا طحاله وانتفخ بطنه ، وممن مشى في طرقات المدينة وجد رائحة عجيبة ، وان في البحرين تمراً من شرب من نبيذه وعليه ثوب أبيض صبغ عرقه ، وذكر أموراً من هذا القبيل [١] ، وأشار أيضاً إلى صفات خُلُقية ترتبط بسكان بغداد ومصر والرّي (طهران) ونيسابور [٢] ، كما وصف أهل الحجاز بالفقه ، وأهل العراق بالدهاء ، وأهل الشام بالطاعة ، وينقل يا قوت الحموي ان من امثال العجم : بخل أهوازيّ ، وحماقة شيرازي ، وكثرة كلام رازيّ [٣] .

ومما تجب ملاحظته أن هذا الباب دخله كثير من التقوّل ، الذي لا يقوم على أساس صحيح ، ذلك أن كل بلدين متجاورين يحصل بينهما من المنافسة ما يحمل أهل كل بلد على أن يضيف إلى البلد الآخر ما هو بريء منه ، كما نجد

(١) « البلدان » للجاحظ ص ٤٥٧ من مجلة كلية الآداب البغدادية .
(٢) المصدر السابق ص ٤٥٩ .
(٣) « معجم البلدان » مادة زنجان .

أمثلة ذلك فيما تتناقله المؤلفات عن أهل حمص وحماة في الشام ، ومثل ذلك كثير في مختلف الأقاليم ، ولهذا فإن الباحث يجب أن يفرق بين ما هو من اثر البيئة الطبيعية للموضع ، وبين ما هو من أثر التجاور والتنافس .

وفي كلمتنا هذه نود أن نقدم للقارىء معلومات قد تكون طريفة بالنسبة لمواضع في بلاد العرب ، ونحن نوردها لا على أساس أنها حقائق علمية يجب الأخذ بها ، وإنما لكونها في الغالب ذات صلة بالتراث الشعبي المتناقل بين الأجيال ، ولهذا نرى أن ينظر إليها نظرة مجردة من كل غاية لا تَمُتُّ إلى الحقيقة. وقد يكون في إيرادها ما يوضّح أمراً يحتاج الباحث إلى إيضاحه ، ونعول – أكثر ما نعول – على جمل أصبحت أمثالاً تتناقل، وأخرى أصبحت عند كثير من أهل العصر من الأمور المسلم بها، وقديماً ألف العلماء في خصائص البلدان مؤلفات لم يصل إلينا سوى جمل متناقلة موجزة ، وجل ما نقل إلينا خارج عن موضوعنا ، ولهذا فنحن بحاجة إلى تسجيل ما يتصل بالموضوع فيما يتعلق ببلادنا قديماً وحديثاً .

١ – أُثيفية : قرية من قرى نجـد لا تزال معروفة وهي قديمة جداً ، فقد ذكر المتقدمون انها بلاد آل جرير الشاعر ، وتدعى أيضاً (ذات الأثافي) ، وتقع في إقليم الوشم ، وهي مما لا شك فيه من بلاد بني تميم في القديم ، وتجاور هذه البلدة بلدة أخرى تتصل بها من حيث الموقع ، ومن حيث الاشتراك بين سكان القريتين في النسب ، وهي بلدة ثرمداء ، ومعروف ان ثرمداء كانت أقوى من هذه البلدة ، وان أمراء ثرمداء كانت لهم السيطرة على بلاد الوشم حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري حيث نجد في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وهو في معرض التقريع لأهل شقراء وهي من أكبر مدن الوشم بانقيادهم لأمراء أهل ثرمداء من العناقر (واحدهم عنقري) من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فيقول ما معناه : كنتم تدفعون الأخاوة للعنقري، حتى أعز كم الله بقبول الدعوة المباركة. كان هؤلاء الأمراء يسيطرون على البلاد غير أن الشاعر حُميدان الشويعر الخالدي النسب أذكى في أهل أثيفية روح الحماسة والإقدام عندما التجأ اليهم ومدحهم بقوله :

زبَنتْ لاولاد العزاعيز دِيْرَهْ وهم لهم في عالي (تميم) فروع

(وقصته معروفة) ؛ فصمموا على الخروج عن طاعة العنقري ـ أمير ثرمداء ـ وفعلوا فعلة يعرفها أهل نجد ، فما كان من العنقري إلا أن عزم على إخضاع بلدة أثيفية بالقوة ، ولكن أهلها لم يكونوا غافلين ، فقد تهيأوا للأمر ، وأعدوا له عدّته ، مما دحر العنقري وقومه وجعلهم أمام شجاعة خصومهم يختلقون سبباً يتعللون فيه عن عار الهزيمة ، فكان أن قالوا بأن أهل أثيفية قد ساعدتهم الجن ، والجن لا قبل لنا بحربهم ، ومن ثم نشأت خرافة (جنّ أثيفية) حتى أصبحت من الأمور المتعارفة في نجد ، وحتى قال شاعر الكويت عبد الله الفرج في إحدى قصائده :

متعوذين منهُ جنّ حريملا أيضاً وجنّ أثيثيهْ العيّالَهْ

والواقع أن الأمر لا يعدو حزماً وتصميما وقوة أعقب كل ذلك نجاح ، ولكن الخرافة لا تزال قائمة ، بحيث ألصق بأهل هذه البلدة الكريمة ظلماً وعدواناً انهم يكرهون (البسملة) وان من فعل ذلك عندهم غطسوه في مجتمع المياه الراكدة المسمى عندهم (المغيريب) ، وما هذا سوى خرافة من الخرافات ، فالبلدتان ـ وإن كانتا في القديم على شيء من الخلاف ـ قد أصبحتا بفضل الله في عهدنا الحاضر متآلفتين متآخيتين ، تجمع بينهما قربى النسب وقربى الجوار ، وفوق ذلك اخوة الاسلام ، والحمد لله على نعمة الاستقرار .

وتقع أثيفية بقرب الدرجة : ٢٨َ/٤٥° طولا و٨َ/٢٥° عرضاً تقريباً .

وتقع ثرمداء بقرب الدرجة ٣/٤ ٢٩َ / ٤٥° طولاً و ١/٢ ٦َ / ٢٥° عرضاً تقريباً .

وأثيثية هي أثيفية ـ أبدلت الفاء ثاءً ، لتقارب مخرجي الحرفين وهي لهجة قديمة .

أما المثل فيورد الآن مورد التندُّر ، ويدلُّ على قوة اهل هذه القرية وشجاعتهم .

٢ – الأجْفَر : من أمثال أهل العصر : (الدّين مَرَدّه الأجفر) ، وهذا المثل نشأ في عهد متأخر ، وذلك أن سكان الأجفر وهو من قبيلة شمّر بقوا محافظين على دينهم ومتمسكين به – بعد أن طرأت في نجد موجة من الضعف – من جراء كون كثير من أهل البادية من أهل الهجر رجعوا الى بدواتهم بخلاف أهل هذه البلدة التي تعتبر الآن من أهم مدن إقليم حايل، وهي من أقدم المناهل المعروفة في جزيرة العرب ، وتقع على طريق الحج البصري ، وقد أوفى صاحب كتاب « المناسك[1] » الحديث عنها ، وشهرتها تغني عن تحديدها ، ولا يزال سكانها على الطريقة القديمة ، من حب التمسك بطباعهم وعاداتهم العربية الإسلامية ، كغيرهم من أهل البلاد ، ويقع الأجفر بقرب الدرجة ٠٠/٤٠° طولاً و ١/٢ ٢٩/٢٧° عرضاً .

٣ – ابنا شَمَام : في سلسة جبال العِرْض رأسان بارزان متجاوران من جبل واحـــد في الأصل يدعيان بابني شمام في الشعر القديم ، ويُحَرَّف اسمها الآن فيقال (أذْني شمال) وكثيراً ما تحرف العامـــة الأسماء ، فهم يقولون في طرف جبل يقع في الطريق من الرياض إلى الخرج ، (ثنايا بلال) واسمه القديم : أسْنان بلالة ، ويسمون قَـرَماء البلدة المعروفة (ضرماء) وهكذا .

وابنا شمام يضرب بهما المثل في الاقتران وطول الصحبة .

قال لبيد :

فَهَلْ حُدِّثْتَ عنأخَوَيْن داما على الأيام إلا ابني شمام[2]

(وابنا شمام يقعان بقرب الدرجة ٣٥/ ٤٤° طولا و ٠٠/ ٢٤° عرضاً)

٤ – أبو قُبَيْس: منأشهر جبال مكة، يشاهد منالحرم رأي العين،ويقع جبل الصفا في سفحه، وعن أبي قبيس أخبار تتناقلها الكتب، منها أنه يسمى الأمين قبل الإسلام ، لكون الحَجَر الأسود استودع فيه أيام الطوفان ،

---

(١) هو الحلقة التاسعة من منشورات « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر »
(٢) « ديوانه » و « ثمار القلوب » : ٢٦٩

وغير ذالك مما أوضح بعضه ابن هشام في كتاب « التيجان » وياقوت في « معجم البلدان » والسهيلي في « الروض الأنف » وغيرهم .

وأبو قبيس من الجبال التيضربت العرب بها المثل في القدم، وفي الثّقل..
قال أبو الفتح البستي :

عَصَى السُّلطان فابتدرت إليه   جيوشٌ يقلعون أبا ُقبيس [(١)]

وله في الأخبار القديمة ذكر كثير (أنظر كتاب « التيجان في أخبار ملوك حمير » المنسوب لابن هشام) .

٥ – أُحد : ورد فيه الحديث « أُحُدُ جبل يحبنـــا ونحبه » وهو من الجبال التي يمثل بها في الثقل ، قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز [الجرجاني] من قصيدة :

وصِرْتُ في ثِقْل أُحُدٍ عنده ورآى   فيطلعتي رَأيَ أهل الرّفْضِ في ُعمَر

وجبل أحد أشهر جبال المدينة الكريمة يشاهد منها رأي عين في الجهة الشمالية ، وبقربه يقع مطار المدينة ، ويبعد عن المدينة بما يقارب ميلين ، وقد أوفى الكلام عنه السمهودي مؤرخ المدينة في « وفاء الوفاء » .

٦ – البحرين : يقصد بها في الكتب القديمة ما عرف باسم الأحساء ، أو بالمنطقة الشرقية حديثاً ، من حدود العراق إلى ُعمَان ، وعرفت هذه البلاد بكثرة مياهها المتفجرة منالعيون، والراسبة في بعض الجهات، مكوّنة بحيرات ومستنقعات فيكثر فيها البعوض المسبب لداء الحُمَّى (الملاريا) فكان سكان هذا الإقليم يصابون بهذا الداء بدرجة تؤثر في ألوانهم تحيلها إلى الصفرة، وتولد في بطونهم تَضَخُّماً ، ومن هنا كان من خصائص هذه البلاد – على ما نقل الثعالبي عن الجاحظ – مَنْ أقام بالبحْرَين مُدّة ربا طحاله ، وانتفخ بطنه ،

---

(١) « ثمار القلوب » : ١٤٦ / ٢٥٠ / ٥٥٦

- ٨ -

[العناوين من وضع المجلة]

ويتحدث الإدريسي عن الجزء السادس من الاقليم الثاني قائـلا : (ففي هذا الجزء من قواعد البلاد المعلومة جرش وبيشة وتبالة وعكاظ ونجران وعلو يحصب وظفار ومأرب والشحر ، وسفل يحصب وشبام وحضرموت وصور وكلهات ومسقط وصحار والعصر (؟) وسفال ومنـح (؟) وعُمَان ويثرون(؟) وحجر وخضرمة والقريتين ووجرة ورامة ومعدن النقرة وسلمية وبرقة واضح وحجر وتومان (؟) والجبل وجلفار .

وفي البحر الفارسي مما تضمنته حصته جزيرة أبرون(؟)وجزيرة حير (؟) وجزيرة كيش وجزيرة ابن كاوان والدردور وجبلا كُسَيْر وعُوَير .

وفيه من بلاد كرمان السرين (؟) وجبال مسكن .

ومنْ يسكن البحرين يعظُمْ طِحالهُ ويغبط بما في بطنه وهو جائع(١)

وقال ابن الفقيه: الناس يقولون: حُمّى خيبر ، وطواعين الشام، ودماميل الجزيرة ، وحرب الزنج ، وطحال البحرين (٢).

أما في عصرنا الحاضر ، فقد أصبحت بلاد البحرين المعروفة باسم الاحساء على درجة من النظافة ، وقامت الحكومة باتخـاذ الوسائل للقضاء على ما يسبب الحمّى (الملاريا) فردمت المستنقعات وهيأت المياه النقية الصالحة للشرب وأوجدت المستشفيات حتى زال هذا الوباء – ولله الحمد – .

للبحث صلة

عبد الله كنون (؟)

---

(١) « نزهة المشتاق »

(١) « الحيوان » للجاحظ ٤ - ١٣٩ « قوت القلوب » : ٣٥٢

(٢) « مختصر البلدان » ١١٨

وهذه البلاد كلها قواعد وبلاد يعمرها طوائف وأمم نذكرهم الآن بحول الله فنقول :

جرش وخيوان ونجران :

(ان مدينة جُرَش ومدينة خَيوان ومدينة نَجران كلها بلاد متقاربة في المقدار والعمارة ، وبها تدبغ الجلود اليمنية التي لا يبلغها شيء في الجودة ، كما سبق ذكره ، ولها مزارع وضياع ومكاسب وتجارات ، يتقلبون فيها ويتعيشون منها ، وبين جُرش وخيوان اربع مراحل ، وبين خيوان ونجران ست مراحل ، وكذلك من جرش إلى نجران مثل ذلك .

تبالة :

(وأما تبالة فإنها من مخاليف مكة وبينهما أربع مراحل ومدينة تبالة صغيرة ، وبها عيون متدفقة ومزارع ونخل، وهي في أسفل أكمة من تراب ولما وليها إلى الحجاج بن يوسف من قبل عبد الملك بن مروان سار اليها فلما بلغ إليها لم يرها فسأل عنها فقيل له : إنها في أسفل هذه الاكمة التي بين يديك .

فقال : إن بلدة تسترها أكمة لخليق أن يقال فيها: أهون بها!! ثم انصرف عنها فصار ذلك مثلاً يقال : (أهون من تبالة على الحجاج).

ومن تبالة إلى بيشة خمسون ميلا وكذلك من بيشة إلى جرش أربع مراحل ومن تبالة إلى سوق عكاظ ثلاث مراحل .

سوق عكاظ :

وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة لها مزارع ونخل ومياه كثيرة ، ولها سوق [يقام] يوماً في الجمعة ، وذلك يوم الاحد يقصد اليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات ، المحوج اليها أهل تلك الناحية ، فإذا أمسى المساء انصرف كل أحد إلى موضعه ومكانه ، ومن سوق عكاظ إلى مدينة نجران خمس مراحل .

ظفار :

وظفار هي قصبة يحصب وكانت ظفار فيما سلف من البلاد الكبار الشهيرة وكان فيها قصر ريدان المشهور وبه كانت تنزل ملوك اليمن وهي الآن اكثرها خراب قد تهدم بناؤها، وقلّ ساكنها ، لكن بها في هذا الوقت بقايا من أهلها ساكنون فيها ، ولهم فضول أموال وبضائع ، ولهم مزارع قليـــلة ونخل فيه كفاية لأهله . ومن مدينة – يحصب التي اسمها ظفار – إلى ذمار ستة وثلاثون ميلا وكذلك من ذمار إلى صنعاء أربعون ميلا، ومن صنعاء إلى علو يحصب إلى الثجة ستة وثلاثون ميلا، ومن الثجة إلى الجند سبعة وعشرون ميلا .

الجند :

والجند حصن عامر ، وبه قوم من خولان ، وبه آبار ماءٍ وهو على تلّ كبير ومن الجند إلى صنعاء مئة وأربعون ميلا ومن صنعاء إلى حصن علق (؟) أربعة عشر ميلا .

حصن علق ؟ :

وهو حصن حصين وبه حلة من العرب القديمة وبه مياه جارية وقليل نخيلات ومنه إلى حصن سفل يحصب ستة عشر ميلا وبه نخل ومياه جارية من عيون عــذبة .

مأرب :

ومن ظفار إلى قرية مأرب ثلاث مراحل وهذه القرية كانت في القديم مدينة كبيرة، عامرة بالخلق مشهورة في بلاد العرب، وبها قصر سليمان بن داود ويسمى هذا القصر صِرْوَاح ولم يبق منه الآن إلا طلل دارس ، وأثر غابر ، وبمأرب قصر القشيب وهو قصر بلقيس زوج سليمان ، وبها كان السد المسمى بالعرم ، وهذا السد ذكره مشهور، وخبره معلوم في جميع الأمم، وذلك أن هذه المدينة المسماة مأرب كان أكثر أهلها من قبائل العرب الحِمْيَرِيّة وكان لهم من التيه

- ١٧ -

٢٤٠ — يَا الله لا شَرَقْ ولا غَرَقْ .

هذا دعاء أصله في طلب السيل ، يَقولون : اللهم ارزقنا سيلاً كثيراً ، ولكن لا يكون بحيث يغرق البلاد ، أو يشرق به الزرع ، فيفسده لكثرته.

ثم ضُرب للقصد في الأمور ، وطلب الوسط من الأشياء .

والعجب والكبر على سائر الأمم ما قد شاع ذكره، وكانوا مع ذلك يكفرون بأنعم الله سبحانه ، وكان لهم في هذه المدينة في مَجْرى الماء سدّ عظيم البناء وثيق الصنعة، قد أمنوا من خلله، وكان الماء يرتدع خلفه نحواً منعشرين قامة وكان الماء محصورا من جوانبه قد أتقنوه وأوثقوا صناعته وكانت مساكنهم عليه ، وكان لكل قبيلة شرب معلوم ينصب إليهم فيسقون منه ، ويصرفونه في مزارعهم بقسمة عدل ، وكان السد يعلو هذه المدينة كالجبل المنيف فلما أراد الله انقطاع دولتهم ، وتشتت جماعتهم ، وانصرام أيامهم ، أرسل إليهم السيل الكثير ، فجاءهم وهم نائمون فوقع السد ومرّ بالمدينة وما جاورها من القرى والبهائم والأمم والبناءات،وقتل الكُلّ بالكلّ،وفرّقهم شَذَرمَذَر ، وتفرقت العرب وتبلبلت الألسن وساروا في المشارق والمغارب ، وبقي من المدينة آثار تراجع اليها قوم من حضرموت فعمروها إلى الآن ومن مأرب إلى شبام من بلاد حضرموت أربع مراحل)[1]. (للبحث صلة)

(١) « نزهة المشتاق » — مخطوط .

أصله قديم ، فمن الأمثال العربية القديمة لمن يضرّ كل ما يأتي منه: ما هو إلا شَرِق ، أو غَرِق [1] .

وقد صنف السبّحي كتاباً أسماه : « كتاب الغرق والشرق » فيمن مات غرقاً أو شرقاً [2] .

وفي معناه من الشعر [3] :

أمطر عليّ سحاب جودك مَرّةً   وانظر إليّ برحمة لا أغرقُ

٢٤١ – يا حافر البِئْرْ لا تِقَعّره .

وبعضهم يزيد فيه « كم حافر طاح بما حفر » . وقولهم : لا تقعره ، أي: لا تجعله ذا قعر بعيد ، والسبب في ذلك انه كم حافر لبئر عميقة القعر ، وقع فيها حفره ، فلو كان جعلها قريبة القعر لما ناله كل ذلك الضرر .

يضرب في النهي عن تدبير المكائد للناس ، وأنه إنما يحيق المكر السّيء بأهله .

أصله مثل عربي قديم لفظه : من حفر مُغوّاة وقع فيها [4] والمغواة : بئر أو حفرة تحفر للذيب ليسقط فيها ، فيصاد .

ويروى : من حفر مهواة وقع فيها [5] .

وقد تطور نطق هذا المثل بعد ذلك عند العرب والمولدين حتى روي بألفاظ وصيغ كثيرة منها : –

---

(١) خاص الخاص ص ١٦ ومجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٤٨ والمستقصى ج ٢ ص ٣٣٤ وقال في الشرق : الغصص والغرق : دخول الماء في سميّ الأنف حتى تمتلىء منافذه .

(٢) وفيات الاعيان ج ٤ ص ١٢ والوافي بالوفيات ج ٤ ص ٨ .

(٣) فاكهة الخلفاء ص ١١٥ .

(٤) جمهرة الامثال ص ١٩٥ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٤٠ والمستقصى ج ٢ ص٣٥٤ وفرائد الخرائد ق ٩١ – ا ومجمع الأمثال ج٢ ص ٢٥٣ والعقد الفريد ج٣ ص٦٥(التجارية).

(٥) شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٠٧٧ .

من حفر لأخيه ُجبّاً ، وقع فيه منكبّاً [١] و: من حفر قليباً وقع فيه[٢] و : من حفر بئراً لأخيه ، وقع فيه [٣] و : من حفر بئراً وقع فيها [٤] . و : من حفر لأخيه قليباً أوقعه الله فيها قريباً [٥] و : من حفر لأخيه المؤمن قليباً ، أوقعه الله فيه قريباً [٦] . و : من حفر بئراً للمكر وقع فيها [٧] . و : من حفر لأخيه حفرةً وقع فيها [٨] . و : من حفر لأخيه بئراً وقع فيها [٩] . و : من حفر حفرة هوى فيها [١٠] . و : من حفر لأخيه بئراً سقط فيها [١١] . ويروى من كلام علي (ض) : من حفر بئراً وقع فيها[١١].

كما ورد في الشعر من ذلك [١٢] .

يا حافر الحفرة ، أقصِرْ ، فكَمْ ... من حافر يصُرع في حفرته

وقال آخر [١٣] :

ولا تحْتَفر بئراً تريد بها أخاً ... فإنك فيها دونه سوف تُصرع

وقال غيره [١٤] :

كم ماكرٍ حاق به مكره ... وواقعٍ في بعض ما يحفر

(١) أساس الاقتباس ص ٢٨ والمستقصى ج ٢ ص ٣٥٤ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٤٥ وتفسير النسفي ج ٣ ص ٣٤٤ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٩٧ وهو في أسنى المطالب ص ٢١٢ بزيادة (لأخيه)

(٣) التمثيل والمحاضرة ق ٥٦ - ب كذا في النسخة المخطوطة ، وفي المطبوعة (ص ١٧) « من حفر بئرا لغيره سقط فيها » .

(٤) زهر الأداب ص ١٠٦٣ والخلاة ص ٨٧ وخاص الخاص ص ١٩

(٥) تمييز الطيب من الخبيث ص ٢٠٣ . وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٦) الكنز المدفون ص ٢٤٦ (الحلبي) .

(٧) الكنز المدفون ص ٣٣٣ (الحلبي) ،

(٨) جمع الجواهر ص ١٧ (الحلبي) .

(٩) المستطرف ج ١ ص ٩٧ (بولاق) .

(١٠) المحاسن والمساوىء ص ٥٣٢ .

(١١) حياة الحيوان ج٢ ص ١٠٤ منسوباً لجعفر الصادق .

(١٢) جليس الاخيار ص ٢١٧.

(١٣) جليس الأخيار ص ١٣٨ .

(١٤) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٨٥ . والكشكول ص ١٥٨ .

وقال شاعر آخر [١] :

ومن يحتَفر بئراً ليوقع غـــيره   سيُوقَـع في البئر الذي هو حافر

وقال آخر [٣] :

لا تحفرنّ لصاحبٍ لكَ حفرةٍ   فلرُبَّ حافر حفرةٍ هـــو يُصْرَعُ

وأنشد ابن شمس الخلافة [٤] :

ومن يحتفر في الشرّ بئراً لغيره   يَبِتْ وهو فيها لا محـــالة واقــــع

و [٥] :

قــــل للذي يحفر بئر الرّدى   هَيِّىءْ لرجليـــكَ مراقيهـــا

وأنشد ابن جرير [٦] :

أحفرتمُ لأخيكمُ فوقعتمُ   في قعر مظلمة أخوها المِعْوَرُ

وانشد الراغب [٧] :

وكم من حافرٍ لأخيه ليلا   تَرَدّى في حفيرتـه نهـــارا

وقال شهاب الدين الخفاجي [٨] :

ومَنْ لأخيــه يحفر قعر بئرٍ   تراه فيــه من بعـد الحبـــال

وقال أيضاً [٩] :

سترى كل حــــافر لأخيــه   حفرة واقعـــاً بها عن قريب

---

(١) كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٤٥ .
(٢) دستور معالم الحكم ص ٢٧
(٣) فرائد الخرائد ق ٨٧ / ب .
(٤) الآداب ص ١٤٠ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) تاريخ ابن جرير ج ٥ ص ١٩٣ .
(٧) محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٤٠ .
(٨) ديوانه ق ١١٧ / ١ .
(٩) ديوانه ق ١١٧ / ب .

وقال آخر [1] :

من يحتفر حفرة يوماً يصير لها فإن حفرْتَ فوسّعْ حين تحتفر

وقال غيره [2] :

ودع السؤال عن الأمور وبحثها فلرُبّ حافرِ حفرةٍ هو يُصْرَعُ

وقال غيره [3] :

فلا تحفرن بئراً تريد بها أخاً فإنّك فيها أنت من دونه تَقَعْ
كذاك الذي يبغي على الناس ظالماً تُصِبْهُ ـ على رغمٍ ـ عواقب ما صنع

وقال مروان بن أبي الجنوب – وهو شاعر نجدي قديم – يهجو محمد بن عبد الملك بن الزيات بعد أن ألقي في التنور الذي كان يعذب به الناس [4] :

وقيل لِيَ :الزيّاتُ لاقى حِمامهُ فقلتُ : أتاني الله بالفتح والنصرِ
لقد حفر الزياتُ بالغدر حفرة فألقِيَ فيها بالخيانة والغدر

وذكر ابن قتيبة أن بعض الحمقى مرّ بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرقّ لها وقال : مَنْ هذا الميت ؟ قالت زوجي ؛ قال : فما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور . قال : ابعده الله ، أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها [5] ؟

وذكرها أبو حيان التوحيدي بوجه آخر قال : اجتاز جحا بامرأة تندب زوجها ، فقال لها : ما كانت صنعة زوجكِ ؟ قالت : كان حفار القبور ، قال : أفلم يعلم أن من حفر لأخيه حفرة فسوف يقع فيها [6] ؟

---

(١) أخبار الاول للإسحاقي ص ١٢٦ .
(٢) عين الأدب والسياسة ص ٢٣٩ .
(٣) نفح الطيب جـ ٧ ص ٣٥١ .
(٤) المحاسن والمساوىء ص ٢٣٩ .
(٥) عيون الأخبار جـ ٢ ص ٥١
(٦) البصائر والذخائر جـ ٢ - ١ ص ١١٥ (دمشق) .

ونقل الحصري أن الخليفة المتوكل لما نكب محمد بن عبد الملك الزيات وألقاه في التنور الذي كان يعذب به الناس طلع عليه عبادة ... فقال له : أردت أن تخبز في هذا التنور فخُبِزْتَ فيه ، فضحك المتوكل .فقال عبادة: هذا – يا أمير المؤمنين – مثل رجل كان حفاراً للقبور مات ، فمرّت به واحدة من أصحابنا فقالت : أما علمت أنه من حفر لأخيه حفرة يسقط فيها [1] ؟

٢٤٢ – يأخـذ مِنَ الحافي نَعالْ :

يضرب للماهر في استخلاص الحق . وهـذا من باب المبالغة ، إذ الحافي الذي لا نعل معه كيف تؤخذ منه ؟ وهذا كما يقول العراقيون : من الحافي نعل ، ومن الأقرع شمر [2] ويقول المصريون : خذ من الحافي نعله [3] .

٢٤٣ – يَاعِيِ سَنَة كِسْرِهْ .

ياعي : يعي ، من الوعي والإدراك. وكسره : محرفة عن كسرى : ملك الفرس . يضرب للشيء القديم . وقد يضرب للشخص المعمر . يريدون – مبالغة – أنه أدرك حكم الأكاسرة في فارس وقد سبق في هذا المعنى قولهم : ياعي سنة نوح [4] .

وهذا المعنى ورد في الشعر . قال أبو دُلامة يصف فرسه [5] :

وكانت قارحاً أيام كِسْرى وتذكُرُ تُبَّعاً عند الفِصال

وقال آخر [6] :

بِرْذَوْنُ عِمْرانِ أبي عَبّاد يذكر كِسْرى وَزَمان عاد

---

(١) جمع الجواهر ص ١٨ (الحلبي) .
(٢) أمثال وأقوال بغدادية ص ٤٨ .
(٣) الأمثال العامية ص ٢١١ .
(٤) القسم الاول ص ٣٦١ .
(٥) محاضرات الراغب ج ٢ ص ٣٦١ .
(٦) المصدر نفسه .

وقال أبو نواس في وصف خمر [١] :

فقال: عروسٌ كان كسرى ربيبها   معتّقة مِن دونها الباب والسِّتْرُ

وقال الحاجري [٢] :

والراح من عهـــد كسرى   تُجرى بكفٍّ مُـــدير

ولابن الحجاج الماجن [٣] :

قوما اسقياني قهوةً رُوميّةً   من عهد كسرى دَنُّها لم يُمْسَسِ

٢٤٤ - يمُوت الحمَارْ وَلا يمُوتِ ضْرَاطِهْ .

يضرب للشيء يذهب النافع منه ويبقى الضار . كما يضرب لمن لا تنتهي عقابيل أذاه . أصله مثل عربي قديمَ لفظه : أوْدَى العيرُ إلا ضَرْطه [٤] .. فأدوى : هلك . قال العسكري : يضرب للشيء يذهب إلاّ أخسّهْ . وقال الزمخشري . يضرب لفساد الشيء حتى لا يبقى منـــه إلاّ ما لا ينتفع منه .

٢٤٥ - يَوْمْ كِلّ شيّـ يحْكِي .

أي عندما كان كل شيء من الحيوانات يتكلم .

وذلك ان من خرافات عوامهم ان كل الحيوانات والطيور في قديم الزمان كانت تتكلم كما يتكلم الإنسان . إلا أنها استعجمت بعد ذلك ، وبقي الإنسان وحده القادر على الكلام .

---

(١) ديوانه ص ١٠٠ والمثل السائر ص ٨٩ .
(٢) ديوانه ص ١٥
(٣) محاضرات الراغب ج١ ص ٣٢٨ .
(٤) جمهرة الامثال ص ١٣ والمستقصى ج ١ ص ٤٢٨ ومجمع الامثــال ج ٢ ص ٣٥٦ والتمثيل والمحاضرة ص ٣٤٣ .

وهذا زعم قديم للعرب . قال الجاحظ : كانت العرب تقول : كان ذلك إذ كل شيء ينطق [1] .

هذا والخاصّة من العامة في نجد يضربون المثل لاستبعاد وقوع الشيء ، كما يستبعد نطق الحيوانات في القديم ، أما العامة فإنها تقول ذلك على سبيل التقرير والتصديق ، وكانوا يفتتحون به حكاياتهم وأمثالهم التي اخترعوها على ألسنة الطيور والبهائم .

ونحب أن ننقل هنا كلاماً للقاضي أبي الحسن عبد العزيز الجرجاني نقله عنه الثعالبي . قال : أما قولهم : أيام كانت الحجارة رطبة ، وإذْ كل شيء ينطق. فهما من الأمور التي يتداولها جهلة الأمم، وهو الظاهر بين أغفال العرب والعامة . هذا وأميّة ابن أبي الصلت ، وهو من حكماء العرب ، والمتخصصين فيها بالرواية يقول :

وإذْ هم لا لَبُوسَ لَهم عُراة ... وإذْ صُمُّ السِّلام لهم رطابُ [2]
بآيةِ قـام ينطق كل شيء ... وخان أمانةَ الذئبَ الغُرابُ [3]

ثم قال : ولكن الأوهام التي صورت لهم أن البائم كانت ناطقة عاقلة ، وفروع السّعدان [4] ملساء ليّنة هي التي أدتهم إلى ذلك . ولا يبعد أن يكون القوم قصدوا استعطاف القلوب إلى الحكمة ، وأرادوا تألفهم على

---

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٩٦ - ١٩٨ وراجع لذلك ايضا : الكامل للمبرد ج ١ ص ٣٥٦ ورسالة التربيع والتدوير ص ٩٦ من مجموعة رسائل الجاحظ والمزهر ج ٢ ص ٥٠٤ ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٣١٥ والشريشي ج ٢ ص ٦١ وثمار القلوب ص ٥١٥ والحيوان ج٤ ص٢٠٢ وبلاد العرب للغدة ص ٨١ .

(٢) السلام : الحجارة ، رجم الحجارة ، صلبها ، ورطاب : رطبة .

(٣) يشير الى خرافة عربية قديمة ملخصها أن الديك كان نديما للغراب، وانهما شربا الخمر عند خمار ، ولم يعطياه ثمنها ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن ، ورهن الديك ، ولكنه غدر به ، فلم يرجع ، فبقي الديك محبوساً ، راجع الحيوان ج ٢ ص ٣٢٠ وص ٣٢١ منه هذا البيت .

(٤) السعدان شجر له شوك حاد ، لا يزال اسمه في العامية النجدية دون تحريف.

الفهم ، فوضعوا أمثالاً ، وَشَوْها ببعض الهزل ، وأدرجوا الجِدّ في أثناء المزح ، ليخفّ على القلوب احتمالها ، وليسوغ إليها التفاتها ، ظنٌّ من لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم أنها كانت تنطق وتفصح ، وتبين عن نفسها، وتُعرِبُ [1] ، فاختلقوا أحاديث أضافوها إليها .

وكان للعرب في ذلك خصوصاً — ما زادت على سائر الأمم به ، بفضل ما فيها من اللهج بالكلام، وما أوتيت من الاقتدار على التصرف في المنطق[2].

٢٤٦ — جِدَارٍ عايِبْ :

أي كالجدار الذي به عيب ، والمراد : الآيل للسقوط ، فكل من قرب منه معرّض لأن يسقط عليه .

يضرب للشخص كثير العيب ، وكثيراً ما يضرب في النهي عن التعامل مع المَدِين الذي هو على وشك الإفلاس .

أصله مثل قديم ذكره ابن الطالقاني من أمثال العامة في زمنه — أي في القرن الخامس الهجري — بلفظ : هو حائط مائل [3] .

ومن أمثال المولدين : استندت منه إلى خُصّ مائل [4] ، والخُص : البيت من القصب ونحوه . نظمه ابن الحجاج فقال [5] :

الحمد لله ، أنّ لي أملاً أنا الى الخُصّ منه أستندُ

ومن طريف ما روي في الجدار المائل ما ذكره السيوطي ان جميل بن محمد البغدادي ، كان إذا أراد الركوب كل يوم يقول : اللهم اني أعوذ بك من السبع ، فقيل له : أنت تركب الى الكرخ ، وأيُّ سَبُعٍ في الكرخ ؟ فقال:

---

(١) تعرب ، أي تعرب عما في نفسها بمعنى تبين عنها بالكلام .
(٢) ثمار القلوب ص ٥١٦ - ٥١٧
(٣) أمثال عوام بغداد (حرف الهاء) .
(٤) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٧١ .
(٥) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٤٦ .

لو أردت ذلك لقلت السَّبُع ، ولكني أعوذ بالله من سبع خصال ، وأضمرُها وهي : السعي الخائب ، والربح الغائب ، والحائط المائل ، والميزاب السائل، والمتخمات الرذايا ، والمطايا التي تحمل البلايا ، والتهور في البلاليع والركايا[1].
ومن كلام أبي العبر العباسي : أستودعك الله حائطاً مائلا [2] . وفي أثر عن مُطرِّف : من نام تحت صدَف مائل وهو ينوي التوكل فليرمِ نفسه من طمار – وهو الموضع العالي – . وقيل : هو اسم جبل ، أي : لا ينبغي أن يعرض نفسه للمهالك ، ويقول : قد توكلت [3].

٢٤٧ – جِدَارٍ قِصِيرْ كِلّ يَطِمْرُهْ :

يطمره ، أي : يثب فوقه ويتجاوزه ، وهي في الفصحى : الوثب ومنها الطِّمر أي الفرس الجواد . أي كالحائط القصير ، الذي يستطيع كل أحد أن يثب فوقه . يضرب للمستضعف الذليل .

وهو موجود عند العامة في مصر بلفظ : الحيطه الوطيه ينطُّوا عليها الكلاب [4] .

وعند اللبنانيين بلفظ : الحيط الواطي تركبه الناس [5] .
ومن الشعر فيه قول السَّرَاج الورّق [6] :

يمنعني باخلٌ وسَمْح ... وليس لي منهما نصيرُ
وغايتي أن ألوم حظي ... وحظّيَ الحائطُ القصيرُ

هذا وبعضهم يبدل كلمة « يقمزه » بـ « يطمره » وهي عندهم بمعنى وثب أو قفز . ولم أجدها فصيحة بهذا المعنى .

---

(١) المحاضرات والمحاورات ورقة ٧٤ / ب .
(٢) محاضرات الراغب ج ١ ص ١٩٨ .
(٣) اللسان ج ٤ ص ٥٠٢ مادة : ط ، م ، ر .
(٤) الأمثال العامية ص ٢٠٦ .
(٥) الأمثال العامية اللبنانية ج ١ ص ٢٨٠ .
(٦) الغيث السجم ج ٢ ص ٢١٢ – ٢١٣ .

٢٤٨ ـ الـجَدّ وَالِد :

يضرب في عظم منزلة الحفيد عند الشخص ، وأن له كولده لصلبه . ولم أجد له أصلاً عند العرب إلا ما كان عند بعض الفقهاء الذين قالوا: الجد والد. وأنزلوه بمنزلة الأب في الإرث عند عدم الأب وحجبوا به الإخوة عن الميراث، ولكنه ليس مذهب الحنابلة الذي يتمذهب بـه أهل نجد في الوقت الحاضر .

والذي ورد في الحديث والأثر هو : « العم والد [1] » . وسيأتي للعامة قولهم : ما يلد مرّتين إلا الجد ، وذلك في القسم الثالث من هذا الكتـاب بإذن الله .

٢٤٩ ـ جَرَادٍ تِهَامِي :

تهامي : نسبة الى تهامة ، وذلك لأن الجراد يأتي اليهم في العادة أول ما يأتي من جهة تهامة ، وذلك في أوائل فصل الشتاء . وقبل أن يمتاز ذكوره من إناثه باللون المميز .

يضرب للكثرة . وقد سبق من أمثالهم في ضرب المثـل بكثرة الجراد قولهم : أكثر من الجراد . وذكرنا أصله العربي القديم هناك .

٢٥٠ ـ جرَادٍ قفْصَانْ :

قفصان ، أي : قَفِص ، والقَفَصُ في الفصحى : التـقَبُّضُ والتـشَنُّج من البرد . أي : جراد قد أصابه البرد الشديد . والمراد : انه لا يستطيـع أن يطير بسبب ذلك . وكثيراً ما يخصصون القَفَص لبرد الغداة .

يضرب لما يسهل الحصول عليه .

وأصل المثل قديم ، قال الأصمعي : أصبح الجراد قَفِصاً إذا أصابه البَرْد فلم يستطع أن يطير [2] .

---

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٠ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٦٩ .
(٢) اللسان ج ٧ ص ٧٩ مادة : ق ، ن ، ص .

وقال الجاحظ : الجراد إنما يصطاد بالسَّحَر . وإذا وقع عليه الندى طلب مكاناً أرفع من موضعه ؛ فإذا كان مع الندى بَرْد لَبَدَ في موضعه [1]. ونقله ابن قتيبة عنه بنصه في كتاب « المعاني » [2] .

ومن أمثال العرب : « أصْرَدُ من جَراد [3] » من الصَّرَد وهو البرد ، أي : أنها لا تطير في البرد .

٢٥١ – الْجَرَادُ لَهُ فَزَّةٌ

الفَزَّة : الفَعْلة من فزّ البعير ونحوه عندهم إذا نفر وفزع ، فصيحة [4] .

من عادتهم في عهود الامارات أن يتلبعوا الجراد إذا رأوه قريباً منهم ليعرفوا المكان الذي يبيت فيه حتى يذهبوا اليه ويأخذوا منه ما استطاعوا ليأكلوه .

يقولون هنا إن الجراد وإن كان من عادته أن يبيت في الليل فإنه قد يحدث له في أول الليل أن يفزع ويترك مكانه إلى غيره . وكذلك قالوا :

٢٥٢ – الْجرادُ ما يْبَيِّتِهْ خَامِلْ :

يبيته : أي يعرف المكان الذي سيبيت فيه ولا يغادره حتى الصباح .

والخامل عندهم : الغبي الذي لا يحسن تقدير الأمور . فصيحة . ففي

---

(١) الحيوان ج ٥ ص ٥٥٢ – ٥٥٣ .

(٢) كتاب المعاني الكبير ج ٢ ص ٦١٢

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٥٥٢ والمعاني الكبير ج ٢ ص ٦١٢ وفيه « أجرد من جراد ، بالجيم وهو تحريف في هذا الموضع ، المستقصى ج ١ ص ٢٠٨ والميداني جـ ١ ص ٢٥ ، وقالا : لأن الجرادة لا تظهر في الشتاء لقلة صبرها على البرد وهذا غير صحيح لأن الجراد المعروف الآن بالصحراوي والذي يسميه الجاحظ الجراد الاعرابي لا يأتي للجزيرة إلا في الشتاء . وانما الصحيح ان شدة البرد يوقفها عن الطيران وبخاصة في الليل

(٤) تاج العروس جـ ٤ ص ٦٧ مادة : ف ، ز ، ز .

« اللسان » الخامل: الخفي الساقط الذي لا نباهة له، يقال : هو خامل الذكر والصوت .. لا يعرف ولا يُذْكر [١] .

يضرب في عدم الاعتماد على كلام شخص غير حاذق ادعى أنه قد رأى الجراد وهو يحط في أول الليل في مكان معين .

٢٥٣ – الجَرَادُ ما يَشْبَعُ آكِلُهُ ، وَلا يستحِي سَائِلُهُ .

واصل ذلك أن من عادتهم إذا نزل الجراد بأرضهم ، أو قريباً منهم ، أن ينفروا إليه ليصطادوا منه ما يمكنهم ، وقد يكون الجراد كثيراً ، والليل شاتياً ، فيصطادون منه وقر دوابهم وملء أدواتهم ، حتى يحصل الرجل منهم على ما يكفيه الأيام الكثيرة فيهدي إلى من لم يخرج . وإذا لم يُهْدِ الجراد إلى أحد منهم ، فإنه لا بأس – عرفاً – أن يستهدي غيره شيئاً منه ، ولا يكون في ذلك ما في السؤال من معرة الاستجداء . فهذا ماعبروا عنه بقولهم : ولا يستحي سائله .

أما ما يختص بعدم شبع آكل الجراد فقد جاء في كلام الجاحظ قال : والجراد الأعرابي – يقصد الصحراوي – لا يتقدمه في الطيب شيء ، وما أحصي كم سمعت من الأعراب من يقول : ما شبعت منه قط ، وما أدعه إلا خوفاً من عاقبته ، أو لأني أعيا فأتركه[٢] .

وأما تهادي الجراد فقد ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن أزواج النبي ﷺ كنّ يتهادين الجراد على الأطباق [٣] .

٢٥٤ – جَرَادٍ يَا كُلْ حَيّهُ مَيّتَهُ .

يضرب للقوم الذين يتقوّى كبيرهم على حساب صغيرهم ، ولا يتراحمون فيما بينهم . أما أصل المثل فقد جاء في أثر عن عائشة رضي الله عنها : كيف

---

(١) اللسان (جـ ١١ ص ٢٢١ . مادة : خ ، م ، ل) .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٥٦٥ .
(٣) ذخائر المواريث جـ ١ ص ٢٦ .

الناس بعد ذلـــك ؟ قال : دَبَا يأكل شداده ضعافه ، حتى تقوم عليهم الساعة (١) .

والدبا : صغار الجراد . وقد شاهدت الدبا بنفسي يأكل الحيُّ منه الميّتَ هذا ويقول المصريون في معناه : زيّ السمك يأكل بعضه (٢) .

٢٥٥ — الجَرَادُ يُرَخّصَ اللّحْم .

لأن بعض الناس قد يجتزي بأكله عن شراء اللحم .

يضرب للأشياء الرديئة يستغنى بها عن الجيد .

أما عن أكل الجراد في القديم،فقد قال الجاحظ : الجراد يطيبُ حاراً ، وبارداً ، ومشوياً ومطبوخاً ، ومنظوماً في خيط ، ومجعولاً في مَلّة (٣) .

بل ورد في أثر ضعيف : ان مريم سألت الله أن يطعمها لحماً لا دم فيه ، فأطعمها الجراد (٤) .

ومن كلام أبي سعيد السيرافي قوله : الجراد طعام طاهر حياً وميتاً وميتاً ونُقْلٌ (٥) تجدب أقواماً ، وتخصب آخرين ، فقيل له : ما معنى قولك : تجدب أقواماً وتخصب آخرين ؟ قال : انها إذا حلّت البوادي ، والفيافي ، ومواضع الرمال ، فهي خصب لهم ومِيْرَةٌ (٦) .

(للبحث صلة) المدينة المنورة : **محمد العبودي**

---

(١) النهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ١٣ واللسان جـ ١٤ ص ٢٤٨ مادة : د ، ب ، ي ، وحياة الحيوان جـ ١ ص ٣٢٦ .
(٢) الأمثال العامية ص ٢٦٤ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٥٦٥ .
(٤) الجامع الصغير جـ ١ ص ٩٨.
(٥) النقل : ما يتنقل به على الطعام مثل المكسّرات كالفستق والجوز الخ .
(٦) معجم الأدباء جـ ٨ ص ١٦٥

المحمدون من الشعراء

ألفه علي بن يوسف القفطي ، حققه حسن مَعمّري ، راجعه
وعارضه بنسخة المؤلف حمد الجاسر — منشورات
دار اليمامة بالرياض — مطبعة المتني - بيروت ١٩٦٩

الكتاب نافع وفيه من الأخبار والأشعار ما يهم الدارسين والمحققين ، وقد بقي مخطوطاً مدة طويلة ، وطبعته الهند سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ في جزءين ، ثم حققه الاستاذ حسن معمري على مخطوطة باريس ، ثم إن الاستاذ حمد الجاسر رأى ان لا بد من معارضته — قبل الطبع — بمخطوطة الهند وحسناً فعل ، لما لمخطوطة الهند من فضائل ولما فيها من زيادات . وقد رأى ان طبعة الهند لا تمنع من طبعة جديدة .

ولا شك في ان أي تحقيق على النهج العلمي يتعب صاحبه ويلزمه بأشياء كثيرة تعرضه — بدورها — إلى سهو حيناً وشيء من تقصير حيناً آخر ، ومن هنا وجب على القارئين والباحثين الآخرين ممن لهم صلة بالكتاب المحقق او بجزء منه أن يبدوا ما يعن لهم من ملاحظات امتحاناً لصحتها وإسهاماً في الكمال ، وبمعنى من هذا سمحت لنفسي بتسجيل الملاحظات الآتية :

١ — الترجمة رقم ٤ ص ٢٢ : محمد ابن احمد ... اليشكري قال يمدح عبد الله بن محمد بن نوح ، صاحب خراسان لما أوقع بالديلم .

قرت بفتحك أعــين الأمصار   فنسيمه كالمسك في الأقطار » ..

أ — شرح المحقق في الهامش كلمة الديلم فقال : « من قرى اصبهان بناحية جرجان » (ياقوت) . ولا صحة لهذا ولم يرد شيء منه في « معجم البلدان » لياقوت على كثرة ما عدد من معاني « الديلم » . ومن الذي اورده

ياقوت وله علاقة بموضوعنا : « الديلم جيل سموا بأرضهم في قول أهل الأثر وليس باسم لأب لهم . قال المنجمون : « الديلم في الاقليم الرابع » ..

والديلم كما ورد في دائرة المعارف الإسلاميـــة المترجمة : الجزء الجبلي من جيلان وتسكنه قبيلة تعرف أيضاً بالديلم ، يحدُّه من الشمال جيلان نفسها ومن الشرق طبرستان...ومن الغرب اذربيجان ..ومن الجنوب نواحي قزوين »..

الخلاصة : إن الديلم جيل من الناس ... ومنهم البويهيون .

ب – الخامس من الأبيات الرائية :

الحق أبلج ، والسيوف عواري فحذار من أسد العرين حذار

كان المناسب ان يوضع بين أربعة أقواس « —— » لأنه مضمن فهو ليس من شعر اليشكري وانما هو مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام مدح بها المعتصم عند إحراق الأفشين . وترد عواري إلى عوار ، وأسد بفتح الألف لأنه أسد (مفرد) اي الخليفة .

٢ – الترجمة رقم ٥ ، ص ٢٥ :

وإن صلاة السيء الحال كلها مخارقٌ ليست تحتهن حقائق

صحيح مخارقُ : مخارقٌ بضمة واحدة .

٣ – الترجمة رقم (١١) ص ٣٠ – ٣١ .

ورد تناقض يحسن النص عليه ، فقد جاء أن محمد بن احمد ... المفجع « شاعو مكثر »، وجاء كذلك «شعره قليل جداً وديوانه كثير[١] الحلاوة».

وكان من المناسب أن يشار إلى هذا التناقض ، فقد ينبه ذلك على التفكير في الصحيح ، وقد يكون مرده تصحيف أو تحريف في كلمة « قليل » .

٤ – جاء في الصفحة ٣٣ لدى الكلام على محمد بن احمد المفجع : «وذكره أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بُشران بن ابراهيم بن العباس ابن محمد بن جعفر الاهوازي في تاريخه .. » وذكر المحقق مصدره في تحقيق

النص واصلاحه : ياقوت ، معجم الادباء ج ١٧ . واذا عدنا إلى هذا الجزء ص ١٩٦ وجدناه يقول : « ... ابو محمد عبدالله .. » وكذلك جاء في طبعة مرغوليوث للمعجم ٦ : ٣١٨ ، فهو اذاً بحكم المصدر ، عبدالله لا عبيد الله .

وقد ورد عبدالله في « المحمدين » نفسه ص ٣٣٤ .

أما مسألة كونه « ابن بشران » فقد ذكر المحقق في حاشية ص ٣٣ :« في الاصل شيران ، وهو تحريف كما نبه ياقوت في معجم الادباء » . اذاً فهو ابن شيران في اصل المحمدين وهو ابن شيران كذلك في معجم الادباء ، ولكن محقق المحمدين جعله « ابن بشران » لقوله « وهو تحريف كما نبه ياقوت في معجم الادباء » .

واذا عدنا إلى معجم الادباء الذي يشير اليه وهو ج ١٧ ص ١٩٦ من طبعة دار المأمون وجدنا انه ورد في المتن على : « ... ابن بشران » وقرأنا في الحاشية من صفحة المعجم هذه :« في الأصل «شيران» تحريف كما نبه بهامشه». والتعليق غامض ولكن خلاصته ان الاصل « شيران » وان تنبيهاً بهامش الأصل يقول أنه « ابن بشران » . ولم تشر صفحة المعجم هذه الى المقصود بالهامش ، أهو هامش مخطوطة أم هامش مطبوعة ؟

واذا عدنا الى تحقيق مرغوليوث للمعجم ٦ : ٣١٨ رأيناه يضع في المتن « ابن شيران » ويقول في الحاشية : لعله بشران ، واذاً فالاصل ابن شيران ولكنه قد يكون برأي المحقق : ابن بشران ، اي أن التنبيه صدر عن المحقق وليس عن ياقوت ولهذا ، فانه أبقى « شيران » في الأصل وكان المناسب أن تفعل طبعة دار المأمون هذا الفعل ، وأن يعمل محقق المحمدين كذلك، إلا أن يوجد دليل آخر غير شك المحقق الأول لمعجم الأدباء.

ومما يذكر أن محقق المحمدين لم يلتزم موقفاً موحداً وطيداً إزاء المؤرخ أبي محمد عبد الله الأهوازي ، لانه إذ أورده على الصفحة ٣٣ على : « وذكر أبو محمد عبيد الله بن بشران » أورده على الصفحة ٣٣٤ كما جاء في أصل المحمدين من دون تغيير : « وقال عبدالله بن شيران الأهوازي في تاريخه » .

وقد اضطربت طبعة الهند على ما يشبه اضطراب الطبعة البيروتية – تنظر من ط الهند ص ٢٠، ٤٥٧ .

٥ – ص ٤٧ : « محمد بن أحمد ... الأبيوري» من مصادره :« الخريدة » قسم العراق ١ : ١٠٦ » .

جاء ذكر الأبيوري في هذا القسم من الخريدة عرضاً ، وترجم له محقق القسم في الحاشية موجزاً ، وليس بذي بال ، لأن المهم من الخريدة في ترجمة الأبيوردي هو قسم بلاد العجم – وهو مخطوط ، منه جزء في ليدن – فهناك أشياء كثيرة عنه وعن شعره .

٦ – ص ٤٨ – ٤٩ : « سمعت الأبيوردي يقول في دعائه · اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها ، فلمته على ذلك وقلت له : « أي شيء هذا الدعاء ؟! » .

وضع المحقق رقم (١) على « أي شيء » وقال في الحاشية :« في المخطوط « أيش » . وهذا غير مناسب ، لأسباب منها :

أ – ليس من حق الحقق أن يغير ما في المخطوطة إذا كان لما في المخطوطة وجه مقبول .

ب – « أيش » عربية ، وإنها إن كانت مما يشك في سلامتها التامة ، فالمعقول أن ينقل كلام الناس كما صدر عنهم. علماً أنها قديمة وأذكر أني قرأت في الطبري أن عمر بن الخطاب قال : أيش صناعتك ؟.

ج – لم يذكر المحقق المصدر الذي اعتمده في التصحيح ويبدو أنه اعتمد معجم الأدباء طبعة دار المأمون ١٧ : ٢٣٧ ، وهذا غير مقبول .

د – الأولى . على أي حال أن تبقى رواية المخطوطة (أو المخطوطتين) كما هي ، ويبين المحقق ملاحظته في الهامش . وقد كررت طبعة بيروت هذا التعبير ص ١٣٩ . ومما يذكر أن طبعة الهند أبقتها كما هي : « أيش هذا الدعاء » ص ٣٨ ، ١٥٩ ، وأن طبعة بيروت لم تغيرها عندما وردت مرة أخرى ص ٣١٣ .

٧ -- ص ٨٦ « محمد بن احمد الدوابي الأديب ابو العلاء الاصبهاني .. اكثر شعره في وصف أصفهان .. وله :

.. بين شطّي رندٌ وردٍ   فتلال الجبلين »

أقول : بين شطيّ زندروذٍ، لأن الشاعر أصفهاني أكثر شعره في اصفهان وزندروذ نهر في اصفهان . وقد قال شاعر :

لتشرب مياه الزندروذ اذا اشتكت   من السقم نفسٌ كي يخف سقامها

ولدى ياقوت : زندروذ : نهر مشهور عند أصبهان عليه قرى ومزارع وهو نهر عظيم أطيب مياه الأرض واعذبها وأغذاها .

اما زندورد فهي لديه : « مدينة قرب واسط مما يلي البصرة خربت بعمارة واسط . ودير الزندورد ببغداد مشهور .. »

وقول الشاعر الأصبهاني : بين شطيّ الخ .. يؤكد أن المقصود نهر ..

٨ - ص ٨٧ - ٨٨ ، بعد ان ذكر القفطي ثلاث مقطوعات في ترجمة محمد بن احمد الدوابي .. الاصبهاني المذكور ، يقول منذ وسط الصفحة ٨٧ من ط . بيروت [الورقة ٢٧ من مخطوطة باريس] : « وأنشد له الشيخ ابو محمد الحمداني قال : أنشدني الشريف ابو المكارم المطهر بن علي :

يا أهل واسط إن صاحبكم صبا   من بعد طول تبتل وصلاح
تبع الهوى في حب ظبي شادن   ذي مقلة سكرى ولفظ صاح
في وجهه لذوي البصائر والنهى   نُزهُ العيون وراحة الأرواح
ذي غرة زينت بأحسن طرةٍ   كسواد ليل في ضياء صباح
كم ليلة قصرتها بمُدامةٍ   وقطعتها بفكاهة ومزاح
تقبيله نقلي ، وعذب رضابه   خمري ، وضوء جبينه مصباحي
ثم انثنيت وساعديّ قلادةٌ   في النحر منه وساعداه وشاحي
نفسي الفداءُ لمن أطعت له الهوى   وعصيت فيه ملامة النُصّاح

وأنشد له أيضاً ، قال : أنشدني له الرئيس ابن فضلان من قصيدة اخرى:

لولا تعرض ذكر من سكن الغضا   ما كان جسمي للضنى متعرضـا
لكن جفـا جفني الكرى بجفائهم   وحشا حشاي فراقهم جمر الغضـا
ولو أن مالي بالرياح لمـا جرت   والبدر لو يمنى به ما أومضـا

ثم تبدأ الصفحة ٨٩ بترجمة جديدة قصيرة (رقم ٥٥ – محمد بن احمد الفراقي الأمير الخراساني) وفي وسط الصفحة نفسها ترجمة اخرى (رقم ٥٦ – محمد بن احمد بن سهل الحنفي العدل النحوي الواسطي أبو غالب المعروف [٢٨] بابن بشران .. من أهل واسط .. له شعر أجود من شعر العلماء ... توفي أبو غالب بن بشران النحوي بواسط .. سنة اثنتين وستين وأربعمئة)

ونلاحظ على هذا :

أ – إن الأبيات الثمانية التي تبدأ بـ : « يا أهل واسط ... وصلاح » التي وردت في ترجمة الأصبهاني كأنها في غير مكانها . فما علاقة الاصبهاني بواسط ؟ أما يمكن أن يكون الاولى فيها أن ترجع إلى ترجمة لاحقة هي ترجمة « محمد ابن احمد ... الواسطي .. ابن بشران من أهل واسط [٢] » ؟

كان مناسبا أن يثير المحقق مثل هذا السؤال .

ب – ويمكن أن ترجع الأبيات الضادية إلى الواسطي كذلك بمقتضى السياق والسند .

جـ – ذكر المحقق مصادر الواسطي في هامش الصفحة ٨٩ ، وذكر فيها معجم الأدباء ١٧ : ٢١٤ ، وكان المفروض في هذا المعجم أن ينبهنا إلى شيء أو أن يؤكد منا ظناً، فقد جاء على الصفحة ٢١٦ من المعجم : وله حظ وافر من الشعر في قوله وعمله ، فمن شعره :

لولا تعرض ذكر من سكن الغضا   ما كان قلبي للضنا متعرضا ... »

فذكر عشرة أبيات ضادية بينها ثلاثة من الأربعة التي وردت لدى القفطي في المحمدين . وفي هذا دليل على أن الأبيات الضادية التي وردت في المحمدين في ترجمة محمد بن أحمد ... الأصبهاني وردت خطأ ، والصحيح نسبتها إلى محمد بن أحمد الواسطي ابن بشران ومن ثم تأخير مكانها من صفحات الكتاب ، مع النص في الهامش .

د – ويمكن اعتماد هذا دليلا على نسبة الأبيات الحائية إلى الواسطي ومن تأخير مكانها مع النص – مع الإشارة إلى ذلك في الهامش .

هـ – اننا نعلم جيداً اضطراب أوراق مخطوطة المحمدين ، وإذاً فيمكن ان يعزى هذا الذي حدث إلى ذلك الاضطراب ، زد على ان في نسخة الهند ما يؤيد الاضطراب في هذا الموضع ويشير على أن الأولى في الأبيات الحائية والضادية أن تنسب إلى محمد بن أحمد الواسطي .

لقد جاء في المطبوعة الهندية – بعد ترجمة محمد بن أحمد .. الأصبهاني وسط ص ٨٨: [فيه أخبار ابن بشران] .

وأنشد له ... يا أهل واسط...

وأنشد له ... لولا تعرض ...

وتذكر المطبوعة أن ما بين الحاجزين – أي [فيه أخبار بن بشران] في الأصل وليس في ب (أي مخطوطة باريس) .

وهذا دليل آخر على أن الأبيات الحائية والضادية ليست للأصبهاني وإنما هي لابن بشران الواسطي ، أو مما يتصل به .

و – كان بإمكان المحقق أن يفيد من وجود الضادية في « معجم الأدباء » فيقابل ويصحح ما في نسخته . فإن البيت الذي ورد في نسخته :

ولو أن ما بي بالرياح لما جرت والبرق لو يمنى به ما أومضا

ورد في المعجم هكذا :

ولو أن ما بي بالرياح لما جرت   والبرق لو يمنى بـــه ما أومضا

ورواية المعجم هي الصحيحة .

هذا وان « جسمي » وردت في المعجم على « قلبي » كما ووردت يجفائهم في الأصل الهندي أي يجفائهم وليس بفراقهم كما في نسخة باريس .

٩ — ص ٩٠ : محمد بن أحمد الواسطي :

يا شائداً للقصور مهلا   أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر   إلا ّ وقُصراهم الشتات ...»

علق المحقق أنه « وردت هذه الأبيات في المنتظم ٨ : ٢٥٩ » والتعليق صحيح ، ولكنهـــا وردت في كامل ابن الأثير أيضاً حوادث سنة ٤٦٢ (ط. الاستقامة ٨ : ١٠٨) . وليلاحظ ان « وقُصراهم » وردت عند ابن الأثير على « قصاراهم » والنص على هذا الاختلاف مهم . وقد رجعت إلى المعاجم المهمة فما عثرت على « قصراهم » وإنما ذكرَت قصاراهم وأشياء أخرى ليس بينها « قصراهم » — وتتفق طبعة الهند مع طبعة بيروت ، والنسختان تتفقان وما وردت عليه اللفظة في « انباه الرواة » و « المنتظم الوافي [٣] » .

١٠ — ص ٩١ : « أنشدنا ابو طاهر بن أبي الصقر لنفسه :

يا دهرُ صافيت اللئام معانداً   أبداً وعاديت الأكارم عامدا
فغدوت كالميزان يرفع ناقصاً   أبـــداً ويخفض لا محالة زائدا

هذا البيتان من قطعة لابن الرومي مشهورة ، ولعل ابن أبي الصقر أنشدهما متمثلا وظن الراوي أنها له .

وعلق المحقق في الحاشية : « ورد البيتان في النجوم الزاهرة . وقد نسب

القفطي هذين البيتين لابن الرومي ، وقد راجعنا ديوانه المطبوع فلم نعثر عليهما ...».

أ – لم يذكر المحقق لمن كانت نسبة البيتين في النجوم . ولو أننا رجعنا إلى النجوم الزاهرة ٥ : ١١٨ سنة ٥٧٧ (لا ٦ : ١١٨) لرأينا المسألة صريحة : « محمد بن أحمد ... بن أبي الصقر ... له شعر .

وأنشد لابن الرومي :

يا دهر صافيت اللئام مواليا　　أبداً وعاديت الأكارم عامدا
فغدوت كالميزان ترفع ناقصا　　أبداً وتخفض لا محالة زائدا

فالبيتان في النجوم الزاهرة لابن الرومي كما أراد لهما القفطي أن يكونا .

ب – ديوان ابن الرومي غير مطبوع ، والذي رجع اليه المحقق مختارات عملها كامل كيلاني . وكان الأنسب ان يقال : لم نعثر على البيتين فيما طبع من شعر ابن الرومي .

١١ – في الترجمة (٧١) ورد ص ١٠٧ :

لو خط في الخبز حرف من معائبه　　لم يأكل الكاتب منه وهو غرثان

وصحيح معائبه : معايبه [٤] .

وقد وقع في الطبعة الهندية ص ١١٨ ما وقع في البيروتية .

١٢ – ص ١١١ : « السميرمي » وفي الهامش : « وزر ببغداد للسلطان محمود وقتل سنة ٥١٦ (انظر العبر ٤ : ٣٨) ، وينظر هامش ص ١٥٤ » .

إن وزارة السلطان لا تكون في بغداد ، وإنما هي في مدن من بلاد الجبال [في ايران] وفي أصبهان بخاصة . والسبب في الغلط المصدر الذي اعتمده

المحقق أي «العبر» ٤ : ٣٨، ولكن العبر ليس مصدراً أولياً أو مهماً في مثل هذا الباب الضيق .

١٣ — ص ١٥١ : « مع أبي الفتح النظيري ... » .

الصحيح النطنزي ، قرأت عنه شيئاً في مخطوطه الخريدة .. قسم بلاد العجم (مخطوطة ليدن ٣٨٤) لدى كلام العماد على الأبيوردي . وفي معجم ياقوت للبلدان :« نَـطَـنْـزَة ... بليدة من أعمال اصبهان ... اليها ينسب... أبو الفتح . محمد بن علي ... مات سنة ٤٩٧ في المحرم ».

ووردت النطنزي على النظيري في طبعة الهنـد ١ : ١٧٥ كما في طبعة بيروت — وهو غير صحيح .

١٤ — ص ١٥٨ من الترجمة رقم ١٢٨ : « محمد بن أحمد بن منصور أبو الوزير المؤدب ... كان مؤدب الملك العزيز من بني بويه وله اليه مكاتبات ... فمن ذلك .. :

أبى الدهر إلا جوره وهو حاكم فكيف بإنصافي ودهري ظالم ...

ثم كتب بعد ذلك :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وعلق المحقق في الحاشية على البيتين الأخيرين : « في هذا من قول المتنبي ». ولم يزد ، فلم يعين ما فيه ولا المرجع في ذلك . ولعله إلى بائية المتنبي في كافور التي أنشده إياها في شوال سنة ٣٤٩ فقد جاء فيها :

إذا نلت منك الود فالمال هين فكل الذي فوق التراب تراب

ولكن الإشارة إلى المتنبي هنا ليست كل شيء لأن المهم أن نشير إلى أبي فراس الحمداني لأن البيتين : فليتك تحلو ... وليت الذي ... »

ومثبتان في ديوانه من قصيدته :

أما لجميلٍ عندكن ثواب ؟!　　ولا لمسيء عندكن مثاب ؟!

ينظر ديوان أبي فراس ، تحقيق الدهان ٢ : ٢٢ .

١٥ — ص ١٦١ : « محمد بن بشير الحميري البصري أبو جعفر مولى بني سدوس ، ويقال هو مولى بني هاشم ... وله مع أبي نواس أخبار ... »

الصحيح محمد بن يسير ، وهو الاسم الذي حقه أن يكتب في متن الكتاب أما المحقق فقد وضع في متن الكتاب « محمد بن بشير ... » وكتب في الحاشية أشياء لا تقطع بشيء إذ قال : ترجمته في معجم الشعراء : ٣٥٣ وهو فيه « محمد بن يسير الرياشي » ، والوافي ٢ : ٢٥١ وهو فيه « محمد بن بشير » .. وفي كتاب الورقة : ١١٢ وفيه هو « محمد بن يسير الحميري وفي حاشيته « قد ذكر في الأصل ابن بشير وهو تصحيف وقع فيه كثيرون » .

إن اسم الشاعر الذي ترجم له القفطي : محمد بن يسير ، دون شك ، ومن حق المحقق في مثل هذه الحالة الصريحة أن يصلح المتن ويشير إلى عمله في الحاشية مصحوباً بالبراهين — والبراهين ساطعة ولم يعد هذا الاسم أي محمد بن يسير مشكلة لدى الباحثين .

وحسبك أن ترجع إلى مصادره المهمة مثل الشعر والشعراء لابن قتيبة ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف ص ٨٧٩، والأغاني ١٤ : ١٧ من ط. دار الكتب ، وطبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٢٨٠ لتدرك ذلك ولتقتنع بأدلة المحققين .

وجاء في القاموس المحيط (مادة يسر) : وأبو جعفر محمد بن يسير البصرى شاعر .. » وللفيروز آبادى أهمية خاصة في الاعلام .

وقد يكون مناسباً أن نعلم أن هناك شاعراً اسمه : محمد بن بشير — وهو عدواني وأن القفطي نفسه سيتحدث عنه ص ١٦٤ .

إن الشعر والشعراء وطبقات الشعراء والأغاني من المصادر الواجبة الذكر إذا التزم محقق ذكر المصادر .

هذا إلىأن رسم الاسمفيالنسخة الهندية يدعو إلى التأمل،ويمكن أن يكون ذا دلالة،فقد ورد فيها يسير بإهمال الحروف، ومن يدري فقد تكون الشكوك قد راودت القفطي نفسه !

... ومثـــل هذا يمكن أن يقال في « البشيرى » التي وردت على الصفحة ١٦٢ :

صار البشيري الى ربه يرحمنـــا الله وإياهُ

وقد ذكر المحقق في الحاشية أنهـــا وردت على « اليسيري » في معجم الشعراء . قد يكون القفطي نفسه مصدر الخطأ إلا أن ذلك لا يسوغ الإبقاء عليه .

ولم تكن طبعة الهند ١ : ١٨٨ بأحسن حالا من طبعة بيروت .

وقد يكون مجدياً أن نذكر ان الاستاذ شارل بلاّ قد جمع أشعار محمد ابن يسير ونشرها في الجزء الثالث من السنة التاسعة والأربعين من مجـــلة « المشرق » البيروتية ١٩٥٥ .

١٦ — ص ١٦١ البيت :

ماذا يكلفك الروحات والدّلجـــا البرُّ طوراً وطوراً تركب اللُّججا ؟

ضبط المحقق « البرُّ » بالضم ، والمناسب ان تضبط — اذا كان لا بـــد ان يضبطها — بالفتح لأنها في حالة نصب . وهكذا فعل جملة المحققين مثـــل احمد محمد شاكر في الشعر والشعراء ص ٨٧٩ ، ومحققي الأغاني .

١٧ — ص ١٦٤ ورد البيت :

أقول لهم اذ نفرّتهم مقالــتي كأني (لا حولَ) وانتم أبالسهْ

وفي هذا ما يكسر الوزن ، والمناسب ان يشكلها بضمتين (لا حول) فيستقيم الوزن دون اية مجانبة لقواعد الإعراب ، لانها وجه من وجوه اعراب « لا حول ولا قوة » الكثيرة .

١٨ – ص ١٦٤ « محمد بن بشير الخارجي المدني »

وضبط الاسم « بشير » هنا هو الصحيح . وقد ذكر المحقق في الهامش مصادره ، وكان مناسباً جداً ان يذكر في هذه الحالة الاغاني ، فهو مهم جداً كا ترى ، لأنه استغرق اكثر من ثلاثين صفحة ١٦ : ١٠٢ – ١٣٤ من ط دار الكتب .

١٩ – ص ١٦٤ ، الأبيات الثلاثة التي مطلعها :

نعم الفتى فجعت به اخوانه يوم البقيع حوادث الايام ..

أ – ذكر المحقق انها وردت في معجم الشعراء . وكان مناسباً ان يذكر ايضاً (وقبل ذلك) انها وردت في حماسة ابي تمام (ينظر شرح المرزوقي ٢ ٨٠٨ – ٨٠٩) .

ب – ضبط المحقق ُفجعت (بضم الفاء) والصحيح ضبطها بفتح الفـــاء (لانها مبني للمعلوم) والفاعل حوادث . وهكذا وردت في شرح المرزوقي ، وقال : « وارتفع حوادث بفعلها وفعلها َفجَعَت »

وقد يدخل ما جاء في « المحمدين » في باب الخطأ المطبعي .

حـ – جاء البيت الثاني هكذا :

سهل الفناء اذا حللت ببابه طلق اليـــدين مهذب الخدام

وقال المحقق في الهمش : « في معجم الشعراء وهامش هـ [اي النسخة الهندية من المحمدين] بخط المصنف : « مؤدب » .

وهذا وحده يكفي لاثبات « مؤدب » في المتن وانزال « مهذب » الى الحاشية . فاذا اضفت الى ذلك ان « الحماسة » روته على « مؤدب » أيضـاً قوى الدليل لديك .

٢٠ – ص ١٦٥ « وهو القائل فيما رواه إسحاق الموصلي :

يا أيها المتمني أن تكون فتى مثل ابن زيد لقد خلّى لك السبلا
أعدد نظائر أخلاق عددن له هل ُسبٌ من أحد أو َسبٌ أو بخلا

وعلق المحقق : « ورد البيتان في معجم الشعراء » . وكان مناسباً أن يذكر الأغاني فقد أوردهما مع غيرهما بما ينتفع به محقق ودارس.

جاء في الأغاني ١٦ : ١١٣ : « قال سليمان بن عياش : ومات سليمان بن الحصين ... وكان خليلاً للخارجي [أي محمد بن بشير] مصافياً له وصديقاً مخلصاً ، فجزع عليه ، وحزن حزناً شديداً فقال يرثيه :

يا أيها المتمني أن يكون فتى مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
أعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سُبّ من أحد أو سَبّ أو بخلا

٢١ – ص ١٦٦ : محمد بن بختيار ... الأبله ... دفن بباب أبرز يحاذي التاجية » .

الجملة الأخيرة لا تستقيم على ما وردت عليه فقد تكون ... وقبره يحاذي التاجية أو يكون كما ذكر ابن خلكان : « ودفن في باب أبرز محاذي التاجية – علماً بأن التاجية وردت في المطبوع الذي رجعنا اليه من «وفيات الأعيان» على : الناحية – تنظر ط . الهند ١ : ١٩٤ من المحمدين أما صحيح عجز البيت الأول « والدجى في طرته » : ف « والدجى في لون طرته » .

٢٢ – ص١٦٩ «محمد بن البين الأندلسي. لم أر أحداً من مؤرخي الأندلس ذكره ، وإنما الرشيد بن الزبير الأسواني وأنشد له :

جمعلو رضابك ... »

وقد قال المحقق في الهامش : « انفرد القفطي في ذكر هذه الأبيات » . ولكنا إذا عدنا إلى الخريدة قسم المغرب ص ٢٢٠ من الطبعة المصرية أو ص ١٨٥ من الطبعة التونسية وجدنا أنه لم ينفرد ، فلقد سبقه العماد إلى ذلك .

ويمكن أن نفيد سبق العماد إليه في المقابلة والتحقيق ، ومن ذلك ما ورد في المحمدين ص ١٦٩ :

أمسى أجرأ منك طيفاً طارقاً ملأوا أعنتهم إليّ رياحا

فاتنا واجدوه في الخريدة هكذا :

« ومتى أحسوا منك طيفاً طارقاً» – وهي الرواية المقبولة بين الروايتين.

٢٣ – ص ١٧٠ – « محمد بن بحر بن محمد الحيري ... »

قال المحقق في الحاشية : ترجمته في دمية القصر ١٠٠ ، ... وقال عن الأبيات الثلاثة التي وردت له في المحمدين : « لم نعثر على هذه الأبيات [في الدمية » وقد اختار له صاحب دمية القصر أبياتاً أخرى » .

وكلام المحقق صحيح لأنه اعتمد الدمية المطبوعة بتحقيق الطباخ ، وهي ناقصة ، ولو اعتمد إحـــدى المخطوطات الكثيرة لوجد الأبيات الثلاثة التي ذكرها القفطي ورأى ثلاثة أخرى – تنظر الطبعة الجديدة للدمية ١ : ٥٠٩ ليلاحظ أن « ... عند من بادي .. » وردت في الدمية على « .. عند من يأوي ... » وهي الصحيحة . تنظر ط – الهند ص ١٩٨ من المحمدين .

٢٤ – ص ١٧٠ « محمد بن بشير العدواني ... كان بالعراق وبينه وبين رؤسائها مفاكهات ومخاطبات ... قال محمد بن عامر الحنفي : كان بين أحمد ابن يوسف الكاتب وبين محمد بن بشير مودة فكتب إليه يوماً يستزيره ليأنس كل واحد منهما بصاحبه ، ويتمتعا يومهما ذلك ، وكتب إليه ابن بشير :

أجيء على شرط فإن كنت فاعلا   وإلاّ فإني راجـــع لا أناظرُ

... الخ »

والملاحظ :

أ – اننا رأينا على الصفحة ١٦١ من الكتاب نفسه : « محمد بن بشير ... البصري .. » وأصلحناه بمقتضى مصادر كالشعر والشعراء وطبقات الشعراء والأغاني على « محمد بن يسير » .

ثم رأينا على الصفحة ١٦٤ من الكتاب نفسه « محمد بن بشير الخارجي » وقلنا إن التسمية صحيحة .

وها نحن إزاء « محمد بن بشير » جديد ، فمن يكون هذا ؟ .

لا شك في أن القفطي نفسه كان يخلط بـــين هذه الأسماء ، وقد عقـّد الموقف هنا ، إذ وصف محمـــد بن بشير الثالث . بالعدواني (والعدواني هو الخارجي) وذكر له أخباراً واشعاراً ذكرها من هو أوثق منه لمحمد بن يسير كما فعل ابن المعتز ص ٢٨٠ ، إذ ذكر هذا الخبر الذي يذكره القفطي هنا ص ١٧٠ ، وإذاً فلا بد من أن تكون هذه أخبار وأشعار مما يدخل في ترجمة محمد بن يسير ؛ فإذا زدنا على ذلك أن أبا الفرج قد روى الخبر نفسه ١٤ : ١٨ عن محمد بن يسير نفسه ازددنا ثقة ، ولا سيما إذا علمنا أن خبر الأغاني مما حدث بالبصرة ومحمد بن يسير بصري .

ب – لدى مقابلة الأبيات التي رواها القفطي بمثيلاتها في الأغاني نلاحظ فروقاً يحسن ذكرها في الهامش .

جـ – وروى القفطي في هذه الترجمة الثالثة خبراً آخر :

« فاخر ابن بشير يوماً رجل من الحلة ، فقال له ابن بشير : اتفاخرني يا هذا ، وجدي – رحمه الله – ركب يوماً الى الصيد في أربعة آلاف جارية.. فقال له الرجل : يا هذا : ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا الا اختلاق. ثم حمله الرجل على برذون أشهب ، وأمر له بجارية حسناء ... ونلاحظ هنا:

١ – قد ورد مجمل هذا الخبر في « طبقات » ابن المعتز ص ٢٨١ ، لدى الحديث عن محمد بن يسير ، وإذاً فالاولى به ان يلحق بخـــبر محمد بن يسير (الذي ورد على بشير) ص ١٦١ من « المحمدين » .

٢ – وفي كلمة الحلة شيء يثير الشك ، وقد جعلها محقق طبقات ابن المعتز الِجلة ، ولذلك وجه .

٣ – اسندت رواية القفطي الضمير في : أتفاخرني .. وجدي الى محمد بن يسير ، والضمير في « يا هذا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، ان هذا الا اختلاق ... الى الرجل . ويصعب ان تستقيم الرواية على هذا ..

أما رواية ابن المعتز فقد اسندت « اتفاخرني » إلى الرجل، «وماسمعنا..»

الى ابن يسير ، وذلك أنسب ، لا سيما ان الرجل يمثل موقف الكريم وانـه هو الذي أعطى ..

د – وذكر القفطي في هذه الترجمة الثالثة ابياتاً نونية :

وصاحب السوء كالداء العيـــاء إذا ما ارفض في الجلد يجري‌ها هناوهنا

وقد رواها ابن المعتز ص ٢٨٢ – ٢٨٣ إلى محمد بن يسير البصري – وفي هذا دليل آخر على أن مواد هذه الترجمة من مواد الترجمة الاولى ص ١٦١

واذا لم يرد المحقق في هذه الحالة ان يسمح لنفسه بالتصرف فينقل مواد الترجمة الثالثة (ص ١٧٠ – ١٧١) الى مواد الترجمـة الاولى (ص ١٦١) ورأى ان يبقيها في مكانها ، فالمناسب ان يشير في الهامش الى الاضطراب وان يبين للقارىءوجه الاضطراب او الغلط او التكرار – كما فعل في ترجمات تكررت مرتين لشاعر واحد . تنظر ص ١٣ من المقدمة .

وقعت ط طبعة الهند : ١ / ١٩٨ فيما وقع لطبعة بيروت .

٢٥ ص ١٨٥ « محمد بن جارية القصار ، وهو يعرف بها ، ولا يذكر أبوه، وهو محمد بن المبارك بن علي بن القصار ، وقد أوردت ذكره في باب الميم في [... ...]

وعلق المحقق في الحاشية : هذه الترجمة من ه ، [أي مخطوطة الهند] ومكان النقط كلمات غير واضحة » .

وقد ترجم العماد الأصبهاني لمحمد بن جارية القصار في قسم العراق: ٢٥٠– ٢٥٦ ، وكان من الممكن الاستعانة به على فك عدد من الكلمات الواضحة ، لا سيما أن العماد مصدر مهم من مصادر القفطي . أو كان – من الأقل – أن ندل القارىء على ترجمة العماد هذه ليفيد منها. وفيها : « ... جارية القصار : كانت عوّادة محسنة ، مستحسنة، حافظة للأشعار، عارفة بالأدب .. وأنشدني أبو المعالي الكتبي ... الخ »

ولمحمد بن جارية القصار ترجمة في الوافي بالوفيات كان ممكناً الانتفاع بها أو الإشارة إليها .

٢٦ – ص ١٩٢ «محمد بن حمزة الموصلي...ذكره علي بن الحسين الباخرزي في كتابه ... »

وعلق المحقق أن (لم نعثر في كتاب « دمية القصر » على ترجمته وعلى شعر له) .

وكان المناسب أن يقول : « لم نعثر في كتاب « دمية القصر » المطبوع – بتحقيق الطباخ – على ترجمته ، ومعلوم أن هذه الطبعة ناقصة كثيرا وكان مناسباً أن يعود المحقق إلى نسخة مخطوطة وهو مما يدخل في الممكن علماً أن التحقيق الجديد الذي صدر بالقاهرة١٩٦٨ يتضمنترجمة له وأشعاراً ص ٤٠٧– ٤٠٩ بينها الأبيات التي اوردها القفطي . وقد وقعت طبعة الهند في هذا بما وقع لطبعة بيروت . هذا إلى صحيح « من أولاد أكبادها » التي أوردها القفطي « من أفلاذ أكبادها » .

٢٧ – ص ١٩٥ – ١٩٦ : محمد بن حيدر ... له في بني مزيد » .

قال المحقق : « منهم سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي أمير البادية في العراق (أنظر الخريدة : قسم الشام ٥٧/١) .

أ – لا معنى لبـادية العراق لأن سيف الدولة المزيدي مصّر الحلة على الفرات واتخذها مقراً لإمارته وقد اتسعت الإمارة – في بعض الأحيان – حتى دخلت فيها واسط والبصرة – ويقال مثل هذا في التعليق على هامش طبعة الهند ١ : ٢٣٤ .

ب – وليست خريدة الشام مصدراً للتعريف به ، وإنما مصدره خريدة العراق – وهي مخطوطة –ونصرة الفترة وقد طبعت زبدتها ، ثم ابن الجوزي وابن الأثير ،ابن خلكان ..

٢٨ – ص ٢٠٥ – ٢٠٦ « محمد بن الحسن أبو عبد الله الأديب المدعو بالموفق النظامي ... »

أ – يقول المحقق في الحاشية :«لم نجد له ترجمة ولم نعثر على شعر له في غير هذا الكتاب » .

ونقول : ترجم له العماد في الخريدة قسم العراق وقد أخذها – أو أخذ عنها – القفطي دون أن يشير إلى مصدره .

ب – نستعين بالخريدة على إصلاح الخطأ الوارد في السينية التي رواها له القفطي أو أننا نجد فيها رواية ثانية – في الأقل . من ذلك .

١ – « اللون » الواردة في البيت التاسع : جاءت على « النور » في الخريدة .

٢ – جاء في رواية القفطي البيت قبل الأخير – وهو في عميد الدولة – هكذا :

والستان الذي يرد المقادير يجاري أقلامها في الطروس

ولم يرد هذا البيت في الخريدة ، وإن كانت الخريدة قد روت بيتين زيادة على ما في « المحمدين » ولا معنى بين لكلمة « الستان » هذه ولعلها في الأصل : السنان ، أو البنان[٥] .

٣ – وردت الكلمة الأخيرة من رواية « المحمدين » : شيب بالثلبيس : وصحيحها في الخريدة : شيب بالتلبيس

٣٩ – ص ٢١٦ : « محمد بن حبيب المهدوي القلانسي » .

من شعره قوله :

بدور وجوه ...

وقد علق المحقق في الهامش بقوله : « لم نعثر على هذه الأبيات في غير هذا الكتاب » . وهي لدى التحقيق في الخريدة قسم المغرب ص ١٩١ من الطبعة المصرية ، وص ١٦٤ من التونسية .

وفي رواية الخريدة هذه ما يعين على التحقيق ، فقد ورد البيت الثاني في المحمدين على :

ترفّعن من خوف العيون وانما طلعن شموساً تحت غر السحائب

ولكنه جاء في الخريدة على :

بترفعن من خوف العيون – وهو الأنسب[٦] .

٣٠ – ص ٢٢٦ : محمد بن الحارثان ... له : فالنار يعشِقها الظلام...».
وردت بكسر الشين وصحيحها يعشَقها (بفتح الشين) .

٣١ – ص ٢٤٤ الترجمة رقم ٢٢٤ : محمد بن الحسين بن أحمد بن الطبيب الأديب أبو علي من أهل الحمدية قرية بالعراق ، كان أديباً ... » قال المحقق : لم نجد له ترجمة ولم نعثر على شعر له » . وشرح الحمدية بأنها « قرية من نواحي بغداد في كورة طريق خراسان » ومصدره في ذلك معجم البلدان .

أ – نجد المعلومات التي ذكرها القفطي عن هـذا الشاعر لدى ياقوت – معجم البلدان – الحمدية ، بما في ذلك البيتان : إذا اغترب الحر الكريم..

ب – وقد ورد الاسم لدى ياقوت : ... بن الطيب ...

جـ – الحمدية مما حيّر ياقوتاً . وقد ذكر ثلاثة أماكن بهذا الاسم :

١ – قرية من نواحي بغداد من كورة طريق خراسان .

٢ – والحمدية أيضاً ببغداد من قرى النهرين .

٣ – بالجبال ... محلة بالري ... سميت الري المحمدية باسم المهدي –وهو محمد .

اختار منها محقق المحمدين الأول لغير سبب ولو استمر قليلاً مع ياقوت لاختار الثاني لأن ياقوتاً ينص عليه صراحة إذ يقول : « والحمدية أيضاً ببغداد من قرى النهرين منها أبو علي محمد بن الحسين بن أحمد ... » .

د – لو رجعنا الى خريدة العماد لأمكن أن نرى ما يجلو الموقف .

٣٢ – ص ٢٤٨ : في ترجمة محمد بن الحسين .. أبي شجاع أنه أنشد :

« تولاها وليس له عـدوٌ وفارقها وليس له صديق »

علق المحقق : « ورد هذا البيت في وفيات الأعيان ٤ : ٢١٩ » .

وأقول انه ورد في غير وفيات الأعيان ، وأهم ما ينص عليه – إن لزم النص – خريدة القصر ، قسم العراق ١ : ٧٧ وهي مصدر أولي في دراسة أبي شجاع وتحقيق شعره .

٣٣ — ص ٢٥٥ : « محمد بن الحسين بن هلال الدقاق أبو محمـــد من أهل بغداد قال محمد بن محمد بن حامد في كتابه ، وأنبأنا إياه — ذكره السمعاني في الذيل - وذكر أنه لقيه شاباً متودداً كيّساً ، لقي أسعد الميهني الفقيه وشدا عليه طرفاً من العلم . قال : سألته عن مولده فقـــال : سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . قال : «أنشدني لنفسه .. »

أ — وضع المحقق رقم (١) على الأربعمائة ولكنه لم يكتب شيئاً في الحاشية

ب — قول القفطي : « قال محمد .. في كتابه » يقصد العماد الاصبهاني في الخريدة . وكلام القفطي صحيح جداً لأن هذا الجزء من خريدةالعراق مطبوع ولم يزد القفطي على أن نقل ما جاء في الخريدة ٢ : ٣٣٣ — ٣٣٤ .

جـ — وضع المحقق : « ذكره السمعاني في الذيل » بين خطين كأنها جملة معترضة ، وهذا يدل - أو يوهم في الأقل - على أن الكلام بعد الخط كلام محمد بن محمد ، بينما هو — لدى التحقيق — كلام السمعاني ينقله محمد بن محمد أي ان الذي لقيه هو السمعاني وليس محمد بن محمد ، والمناسب اذاً أن نقول : « قال محمد بن محمد ... ذكره السمعاني في الذيل وذكر أنه لقيه .. »

والذيل هو ذيل تاريخ بغداد من مؤلفات السمعاني .

٣٤ - ص ٢٥٦ : « محمد بن الحسن الطوبي » ولكنـــه جاء في الخريدة ص ٥٦ من الطبعة المصرية ، و ص ٥٥ من التونسية على « محمد بن الحسن بن الطوبي » .

وورد في المحمدين البيت :

جسمك من ماء فما لي أرى قلبك جلمود على النـــاس

ولكنه ورد في الخريدة :

جسمك من ماء فما لي أرى قلبـــك جلموداً على الناس

وهو الصحيح .

٣٥ — ص ٢٥٧ :« محمد بن الحسين أبو الفتح ابن القرقوبي الكاتب الصقلي».

فقد جاء في الخريدة ص١٠٧ من المصرية و ص ٩٥ من التونسية: « ابن القرقوري » وزادت الطبعة التونسية في هامشها : « لعلها نسبة الى القرقور التي تقع في جنوب صفاقس بالقطر التونسي » . وجاء في المكتبة الصقلية ص ٥٩٥ « القرقودي » .

وورد في المحمدين من الفائية البيت :

لهم ما اقتنوا فليحرصوا في ادخارهم   ولي كنز شعر لا يبيد ويوسف

وتبقى المسألة بعد ذلك معماة ، ولكن التونسية والمصرية توضحانها إذ تقولان في الهامش ص ٥٦ ، ١٠٨ : « يوسف بن عبد الله بن محمد ابن أبي الحسن الكلبي الملقب بثقة الدولة ، من أسرة الكلبيين أمراء صقلية ... »

٣٦ – ص ٢٥٤٨ : « محمد بن الحسين الفُرني أبوعبد الله الصقلي الكاتب » جاء في الخديدة ص ١٠٩ من الطبعة المصرية ، وص ٩٦ من التونسية : « أبو عبد الله محمد بن الحسين بن القرني[٧] » ، وورد في المحمدين ص ٢٥٩ :

.. أو كغريق نجا بمهجته   يكابد الموج خشية الغرق

وفي الخريدة :

.. مثل غريق نجا بمهجته   وكابد الموج خشية الغرق

٣٧ – الترجمة رقم ٢٥٢ ص ٢٦٧ : « محمد بن حمد ... له نثر كثير الدرر ... »

المعقول فيه أن يكون « له نثر كنثير الدرر » . وقد وردت في الطبعة الهندية ص ٣٤٩ « وله نثر كثير الدر[٨] » .

٣٨ – بعد أن انتهى الكلام على الترجمة ٢٥٣ – محمد بن الحسين بن محمد بن طلحة . يفاجأ القاريء ص ٢٧٠ بـ « ٢٥٤ – بسم الله الرحمن الرحيم » عنواناً للصفحة ، ثم : « كتب إليّ ابو شهاب بن محمود الشذباني ، أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي بالجامع القديم من كتابه قال : محمد

ابن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل بن أسامة الشاعر أبو علي».. ثم تتوالى الأخبار والأشعار على شكل ديوان صغير فيعلم – أي القاريء – أنه إزاء ترجمة جديدة طويلة مهمة هي ترجمة : « محمد ... ابن الشبل » وكأن المؤلف لم يجعل لها عنواناً باسم المترجم له على عادته ، لسبب ولآخر . وكان ممكناً في هذه الحالة أن يتصرف المحقق ضمن حقوقه وبمقتضى الرموز المألوفة فيبدأ الصفحة الـ ٢٧٠ هذه بـ ٢٥٤ – [محمد بن الحسين ... بن الشبل] أو أن يذكر العنوان من غير معقوفين ويشير إلى زيادته في الهامش . علماً أن مخطوطة باريس كتبت على هامشها « وهذا أول ترجمة أبي علي المذكور » و « أبو علي بن شبل البغدادي » وهو مما يمكن أن يتخذ أساساً للعنوان . وفعلت مطبوعة الهند فعل مطبوعة بيروت ولكنها أشارت ٢ : ٣٥٥ إلى هامش مخطوطة باريس .

٣٩ ـ هامش ص ٢٧٠ ، ذكر المحقق مصادر ابن الشبل ، وقد نص على ما فيه دلالة على الاستقصاء. ولكن الملاحظ انه في كثير من المناسبات – وفي هذه المناسبة بخاصة – لا يعني بمصادر مخطوطة مهمة لا يستغني عنها لدى التحقيق والمقابلة . وبين هذه المخطوطات ما هو في متناول يده ، وأقصد به خريدة القصر للعماد الاصبهاني ، قسم العراق ، اذ تملك المكتبة الوطنية بباريس نسخة وشيئاً من نسخة اخرى ، وقد رأينا القفطي يكرر عبارة : « انبأنا محمد ابن محمد بن حامد في كتابه » وما اشبه ذلك ، ومحمد بن محمد بن حامد هذا هو العماد الاصبهاني وكتابه هو خريدة القصر ، ولو رجع المحقق اليه لأفاد كثيراً من قسم العراق ومن الاقسام الأخرى التي لا يستحيل الوصول اليها . ومنها ما هو مطبوع . اقول هذا بصدد ترجمة محمد بن الشبل لان الخريدة ـ قسم العراق أصلُ المحمدين ، وان القفطي اذ روى ما روى كان ينقل عما جاء في الخريدة وان هذا الديوان الصغير الذي جاء لدى القفطي مرتباً على حروف الهجاء للقوافي كان العماد الاصبهاني قد سبقه اليه . وليس من وكدي هنا المقابلة وانما التنبيه ، ويقع قسم العراق من الخريدة في باريس تحت رقم ٣٣٢٧ ، وتقع أخبار ابن الشبل واشعاره على الورقة ٩١ ب – ١٠١ – ا . وتنظر الخريدة رقم ٣٣٢٦.

ثم إن هذه الترجمة قد تدلنا على ان القفطي لم يكن صريحاً في ذكر مصادره وقد يكون وراء ذلك نوع من التعمية أو الكذب ، فهو اذ يبدأ ترجمة ابن الشبل بقوله : « كتب الي ابو الضياء شهاب بن محمود الشذباني، اخبرنا سعد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي بالجامع القديم من كتابه قال .. » انما ينقل عن الخريدة وان الشذباني لم يكتب اليه - في هذه الحالة وفي الحالات الكثيرة المناظرة - وانما كتب الى العماد ونقل القفطي .

ولم تكن مطبوعة الهند في هذا أحسن حالا من مطبوعة بيروت .

٤٠ - ويكثر المحقق من التعليق على أشعار ابن الشبل أن : «انفرد القفطي بذكر هذا الشعر وانفرد بذكر هذه الأبيات ، : « وانفرد .. بـ » وما انفرد القفطي ولكنه نقل عن العماد دون ان ينص على مصدره ، وقطف جهد الآخرين ، فحسن بنا ان نعيد الفضل إلى أهله .

٤١ - هذا ومن الابيات التي ذكر المحقق ان القفطي انفرد بها قول ابن الشبل ص ٢٩٠ :

خرجنا من قضاء الله خوفاً ... وكان فرارنا منه إليه
وأشقى الناس ذو حزم توالت ... مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرق العذر فيها ... ويقسو قلب راحمه عليه

ولم ينفرد القفطي بها ، لأننا واجدوها مع الظرف الذي أدى الى نظمها إذ كان الشاعر ممن هرب من طائفة « الغزّ » فوقع به غيرهم فأخذوا ماله . وذلك في كامل ابن الأثير حوادث سنة ٤٥٠ .

٤٢ - الترجمة رقم ٢٥٥ ص ٢٩١ : « محمد بن الحسن بن علي العراقي المخل (؟) الفصيح .. له شعر حسن ، وعارض القصيدة اليتيمة بقصيدتين على وزنها وقافيتها ... أول أحدهما :

« يا دعد حبك ما جنى الوجد » .

والملاحظ على هذا :

ا – مناسبة تعريف القصيدة اليتيمة ، وهي الدالية المشهورة بالدعدية أيضاً . ومطلعها :

هل بالطلول لسائل ردٌّ ؟ أم هل لها بتكلم عهد ؟

وفيها :

آهٍ على دعد وما خلقت إلا لطول بليّتي دعد

وهي من القصائد التي تداولها الناس دون تحديد تام لناظمها . ويبدو أن المقبول في نسبتها أن تكون للحسين بن محمد المعروف بدوقلة المنبجي . (وقد نشرت مؤخراً برواية القاضي علي بن الحسن التنوخي – بيروت، دارالكتاب الجديد ١٩٧٠) .

وكان الأستاذ عبد الله الجبوري قد حقق في أبياتها ونسبتها في كتابه الذي نشره ببغداد ١٩٧٧ باسم « أشعار أبي الشيص الخزاعي » لأنها مما ينسب الى أبي الشيص أيضاً .

ب – صحيح « أول أحدهما » : أول إحداهما – وقد وردت صحيحة في ط . الهند ص ٣٨٤ .

د – صحيح : « يا دعد حسبك ما جنى الوجدْ » :

يا دعدُ حسبك ما جنى الوجدُ (بضم الدال) .

لأن القصيدة معارضة بالوزن والقافية ، والقصيدة اليتيمة مضمومة الدال ومن البحر الكامل (٨) .

٤٣ – ص ٣٠٣ : محمد بن خليفة بن محمد السنبسي ... ذكره أبو المعالي [سعيد بن علي الكتبي] في زينة الدهر » .

وجاء في الهامش شرحاً لما بين المعقوفين – : « بياض في الأصل وفي ه [أي مخطوطة الهند] الخطيري ، والزيادة : [أي سعيد بن علي الكتبي من « المختصر المحتاج اليه » وأبو المعالي هذا هو الخطيري صاحب زينة الدهر » .

ومن الملاحظات على هذا :

ا ـ الافضل ان يتبنى التحقيق ما جاء في هـ (مخطوطة الهند) فيضع في البياض الاسم الذي جاء فيها ، ولا حاجة بعد ذلك الى القوسين .

ب ـ صحيح سعيد بن علي الكتبي : سعد بن علي الكتبي .

جـ ـ صحيح الخطيري : الحظيري .

د ـ ان طبعة الهند ص ٤٠٤ صححت ما جاء في متن المخطوطة الهندية اي الخطيري وجعلته الحظيري معتمدة وفيات الاعيان ـ وحسناً فعلت .

ولنلاحظ أن المحقق جرى على إيراد « الحظيري » بشكل الخطيري ـ وهو خطأ بالطبع . ولم ينتبه له أو ينبه عليه إلا في جدول « كلمات تحتاج إلى تصحيح .. مريدين الخروج من التبعة » . فقد ذكر على الصفحة ٤٥٩ أن ما جاء في السطر (١٨) من الصفحة ٦٧ صوابه : الحظيري . وذكرت حاشية الصفحة ٤٥٩ أنه قد وقع خطأ في صفحات أخرى منها : ٢٧٣ و ٤٠٥ » ، وهذا التنبيه في مكانه ، ويمكن أن نضيف هنا الصفحة ٢١١ والصفحة ٣٠٣ فقد ورد فيها الحظيري خطأ .

هـ ـ وذكرت حاشية الصفحة ٤٥٩ هذه أن الحظيري « هو الإسم الصحيح حسبما ضبطه ابن خلكان ومن بعده صاحب خزانة الأدب : ٣ / ٣١٨ بأنه منسوب للحظيرة من محلات بغداد » .

وقد تكون « منسوب إلى » أحسن من « منسوب لـ » . وليست الحظيرة من محلات بغداد ، لأنها لدى التحقيق « قرية بدجيل مجاورة عكبرا فوق بغداد » . وقد ورد ذلك في كتب مهمة منها خريدة القصر للعماد الأصبهاني (مخطوطة باريس رقم ٣٣٢٦ و ٥٠ أ ـ) وقال ياقوت في معجم البلدان: «الحظيرة قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دجيل .. » ولم يقل ابن خلكان انها من محلات بغداد ، وانما قال : « الحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى موقع فوق بغداد يقال لها الحظيرة » .

ويكوّن محمد بن خليفة السنبسي على الشكل الذي ورد في مخطوطة المحمدين مشكلة تحقيقية يحسن الوقوف لديها .

بدأت الترجمة – ورقمها ٢٦٩ – على الورقة ١٠٦ ب من مخطوطة باريس (= ص ٣٠٣ من طبعة بيروت) حتى إذا جاءت الورقة ١٠٧ وورد البيت :

وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن من النطق إلا رجعنا بالاصابع

ترد ترجمتان جديدتان ، إحداهما لمحمد بن خلصة الأندلسي وأخرى لمحمد بن الخضر المعري ، وتلحق بترجمة المعري أخبار وأشعار من أخبار محمد خليفة السنبسي لا شك في أنها له لأنها تبدأ هكذا :«ونقلت من خط ابن المارستانية ما مثاله : محمد بن خليفة السنبسي المكي بأبي عبد الله شاعر سيف الدولة صدقة ... » .

فماذا يفعل محقق في هذه الحالة ؟

المعقول أن يجمع ما افترق من ترجمة السنبسي في مكان واحد وهذا ما حدث لا سيما أن ناسخ الباريسية قد نبه في الحاشية إلى الاضطراب الواقع .

وقد علقت طبعة بيروت (ص ٣٠٥) على : « ونقلت من خط ... » ، هذا أول صفحة في هـ [أي مخطوطة الهند] ويظهر ان ترتيب الصفحات قد اختلف فوقعت هذه الصفحة بين الترجمتين ٢٧١ و ١٧٢ ولم يدرك هذا ناسخ الباريسية ففصلها عن موضعها وكتب في الحاشية : (هذه تتمة أخبار محمد بن خليفة السنبسي ، المتقدم على هذا الموضع بنحو ثلاثة أوراق) . وقد أضفناها الى مكانها وبقي شك في الشعر الذي أوله (تشرق من وجهه) ص ٣٠٦ الى: (فإني الى الغفران منك فقير) ص ٣٠٧ ، هل هو لابن السنبسي أو لغيره بسبب [اختلاف] ترتيب ورق نسخة المؤلف » .

وعلى هذا التعليق نذكر :

١ – ان ناسخ الباريسية « أدرك » اختلاف الصفحات ونص على ذلك صراحة مرتين ، الأولى عندما قطعت ترجمة السنبسي فقال : « هذه آخر

أخبار محمد بن خليفة السنبسي وله تتمة أخرى في الورقة التي بعد هذه فليعلم، وذلك لعدم ترتيبه في نسخة مؤلفه التي نقلت منه » . والثانية عندما انتهت ترجمة محمد بن خلصة فقال : « هذه تتمة أخبار محمد بن خليفة السنبسي المتقدم على هذا الموضع بنحو ثلاثة [كذا] أوراق » .

٢ – لم يكن الفصل بين اخبار السنبسي بترجمتين من عمل ناسخ الباريسية وإنما رأى هذا الناسخ الفصل في الأصل فأبقاه كما هو مع التنبيه عليه .

٣ – أما قول طبعة بيروت : « وبقي شك في الشعر الذي أوله: (تشرق من وجهه) ... الخ فيمكن إزالة هذا الشك باعتماد الهندية فإنها أوردت هذه الأبيات في القسم الأول من ترجمة السنبسي (تنظر ط الهند ص ٤٠٦ – ٤٠٨) .

٤ – ان الطبعة البيروتية لم تستوف من العينية ما جاء في النسخة الهندية (تنظر ط – الهند ص ٤٠٦ وتقابل بـ ٣٠٥ من ط – بيروت) .

٥ – مع ملاحظة ان (الدم) وردت ص ٣٠٦ منصوبة والصحيح ضمها .

٤٤ – ص ٣١٣ : « محمد بن داود ... أبو بكر الأصبهاني ... وله في « الزهرة » أحاديث ... » .

وعلق المحقق على « الزهرة » في الحاشية : « طبع هذا الكتاب في بيروت ... » .

والصحيح ان الذي طبع منه : « النصف الأول » .

٤٥ – ص ٢٣٤ « محمد بن سعد الحريري » « بصري » « مدحه نصر الخزاري ... » الصحيح كما في الهندية ص ٤٥٨ : نصر الخبز أرزي » .

٤٦ – ص ٣٤٨ : « محمد بن سلامة بن أبي زرعة الدمشقي الكناني ، شاعر [١٢٣] محسن ، وهو ديك الجن ، شاعر [الشام] قال ابن أبي طاهر: اسمه المعلى ، والأول أثبت ... »

وفي الحاشية : « ترجمته في خاص الخاص ١١٧ ، ومعجم الشعراء ٣٦٩ ، وفي الوافي ٣ : ١١٦ . وتوفي سنة ٢٣٥ على ما في مقدمة ديوانه ص ١٥ وفيها وهو أبو محمد عبد السلام وفي الهامش : ديك الجن ، وقد طبع ديوانه حديثاً بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب والأستاذ عبد الله الجبوري ، والمقطوعات الثلاث [التي ذكرها له القفطي في المحمدين] ليست في الديوان » .

أ - نظرة إلى الأصل أو إلى الحاشية تبين الاضطراب الحاصل والجمع بين اسمين مختلفين ؛ الأول اسمه : محمد بن سلامة..والثاني أبو محمد عبد السلام.. ديك الجن ، يجمع بينهما أنهما من الشام [٩] .

ب - يحسن أن يأتي الأصل هكذا : « محمد بن سلامة .. وهو وديك الجن شاعر الشام ...» . وقد انتبهت طبعة الهند إلى ذلك واستعانت بالمصادر الأخرى كمعجم الشعراء ، والوافي على إقامة نص المخطوطتين (٢ : ٤٧٦) .

جـ - سنة ٢٣٥ تذكر تأريخاً لوفاة ديك الجن .

د - لم يطبع ديوان محمد بن سلامة ، وإنما الذي طبع ديوان عبد السلام المعروف بديك الجن ، وكان طبيعياً ألا تدخل المقطوعات الثلاث التي ذكرها القفطي لمحمد بن سلامة في هذا المجموع .

٤٧ - وقـــد ختم المحقق « المحمدين » بفهارس نافعة يقتضيها التحقيق العلمي . ولكنا كنا نود لو كان بين هذه الفهارس فهرس للأعلام الواردة في الكتاب (من غير الشعراء) ، وأن تكون محتويات الفهارس أكثر دقة مما جاءت عليه ، فقد يمـــر بخاطر متصفح الكتاب أن بعض الأسماء لم تتضمنها الفهارس وأن بعضها لم يستوف عدد الصفحات التي ورد فيها .

إن مثل هذه الحال تزهد الباحث بالفهارس وتفقده الثقة بها فتضيع الفائدة التي وجدت من أجلها .

وفي ضبط الاعلام قد ترد كلمة واحدة مرتين فتضبط في الثانية على غير ما ضبطت به في الأولى مثل : كُله ص ٢٥٠ بضم الكاف أصبحت ص ٢٥١ كَله بفتحه مع ورود ما يرجح الضم .

وفي الأماكن يلاحظ أن « دُنَيْسَر » الواردة على الصفحة ٣٥٧ صارت في فهرس الأمكنة ص٤٠٠ «دُنَيسكر(١٠)» – والأولى هي الصحيحة . يقول ياقوت : « دنيسر ... بلدة عظيمه مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان ... رأيتها وأنا صبي ، وقد صارت قوية ، ثم رأيتها بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة وقد صارت مصراً ...» .

وتكرر ورود «زوزن» و«زوزني»(تنظر مثلاً ص١٠٩، ١٣٤، ١٦٤... وفهرس الأمكنة) . وكان المحقق يضبطها – حين يضبطها – بفتح الزاي ، وله وجه في ذلك ، إلا أن الوجه الأقوى ضم الزاي . قال ياقوت : «زُوزن بضم أوله وقد يفتح » .

ومما نلاحظه في فهرس الكتب أن زينة الدهر – مثلاً – وردت مرة واحدة هي ص ٢٨٣ ، ولكنها لدي التحقيق وردت مراراً ، منها ص ١١ ، ٣٠٤ . ومن الكتب ما لم يذكره الفهرس أصلاً مع تردده ، فكثيراً ما تقرأ – مثلاً – « أنبأنا محمد بن محمد الكاتب في كتابه قال ... » تنظر مثلاً ص١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٥٥ ، ٣٠٤، وكان مناسباً جداً أن يدخل كتاب محمد بن محمد هذا في فهرس الكتب على وجهه المعمى للقارىء أي « كتاب محمد بن محمد بن حامد . » أو على الوجه الذي يحسن أن يفسر بـه أي « خريدة القصر وجريدة العصر » أو بالجمع بينهما – ولكننا لم نلاحظ شيئاً من ذلك .

هذا ولمحمد بن محمد هذا (وهو المعروف بالعماد الأصبهاني) كتاب آخر ينقل منه القفطي ويذكره مرة بالذيل ومرة بالذيل والسيل ، ولكننا لم نجده في فهرس الكتب .

ونقرأ في المحمدين – مراراً – أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزى بالجامع القديم في كتابه » . ولكننا لم نجد هذا الكتاب في الفهرس ولم يذكره الفهرس الا مرة واحدة حين ورد ص ٢٥٥ صريحـاً : (ذكر السمعاني في « الذيل ») .

ومعلوم أن أبا سعد عبد الكريم ... المروزي هو السمعاني نفسه وكتابه ذيل لتاريخ بغداد .

إلا أن في فهرس الكتب والرسائل والمقالات نقص ملحوظ فيما يجب أن يكون عليه منطوق الفهرس ، ويكفي أنك لا تجد من الدواوين من حرف الدال إلا ديواناً واحداً ، مع أن الكتاب كتاب شعر وشعراء نص فيه صاحبه على كثير من الدواوين .

وخلا الفهرس من مجاميع شعرية لم تورد مسبوقة بكلمة ديوان . مثل : « النجديات » و « العراقيات » من شعر الأبيوردي الواردة على الصفحة ٥٠ .

وخلا من ديوان الشريف الرضي الذي رجع اليه المحقق ص ٢٤٤ .

وقد ورد بين مولفات الابيوردي ص ٤٨ « تَـعلة المقرور » بفتح التاء ، ولكنه أصبح ص٤٠٥ «تِـعلة المقرور » بكسر(١١) التاء. والفتح هو الصواب.

وفي فهرس « المراجع والمصادر » ما يدع مجالاً لسؤال القارئين والدارسين من ذلك ان المحقق رجع الى خريدة العماد الأصبهاني – ولا نعيد هنـا السؤال عن المانع من الرجوع إلى أجزائها المخطوطة ، ولكننا نسأل : لِمَ لمْ يستوفِ المحقق أجزاءها المطبوعة وبين ترجمات الأجزاء غير المستشارة ما يتصل بترجمات المحمدين ، بل كان مصدرا أولياً للمحمدين . ومن هــذه الأجزاء المطبوعة المهملة :

ا – الجزء الثالث من قسم شعراء الشام ،دمشق ، ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

ب – الجزء الثاني من قسم العراق بتحقيق محمـد بهجة الأثري ، بغداد ، ١٩٦٤ .

جـ – الجزء الأول من قسم شعراء المغرب وقد صدر بالقاهرة سنة ١٩٦٤ بتحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم (ثم صدر الثاني) .

وصدر بتونس ١٩٦٦ عن الدار التونسية بتحقيق محمــد المرزوقي ومحمد المطوي العروسي والجيلاوي بن الحاج يحيى .

هذا ، وكان ميخائيل أماري قد ضمن « المكتبة الصقلية » نبـذاً مما في الخريدة عن شعراء صقلية .

وفي المحمدين – كما رأينا – ما لا غنى فيه عن الرجـــوع الى مصادره الأولية أو أهم مصادره مثل الشعر والشعراء لابن قتيبة أو الأغاني لأبي الفرج. ولكن المحقق لم يرجع الى مثل هذه المصادر المهمة ومن ثم خـــلا منها فهرس المراجع والمصادر .

ومن الأسماء التي وردت في « فهرس المراجع والمصادر » : « الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء : تحقيق علي يوسف ، بدون تاريخ » .

وليس المؤلف لدى التحقيق : الانباري ، وإنما هو ابن الانباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧) .

ثم ان « علي يوسف » ليس محققاً ، وليست طبعته تحقيقاً لأنها الأردأ بين عدة طبعات للنزهة ، هي اردأ حتى من سابقتها الحجرية المطبوعة سنة ١٢٩٤ وكان ازاء محقق المحمدين بعد ذلك ان يختـــار بين تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي وتحقيق الدكتور عامر عطية .

وورد « ابن الدُبيثي : تاريخ بغداد : المختصر المحتاج اليه من هذا التاريخ لشمس الدين الذهبي .. »

ولا سبب لتسمية الكتاب بتاريخ بغداد لانه ليس التاريخ وانما المختصر المحتاج اليه منه .

أما ضم الدال في الدبيثي فقد تكرر (تنظر مثلاً ص ٤٣٩) وللمحقق في ذلك وجه . ولكن فتح الدال أولى لأن ياقوتاً يقول : « دَبيثا » بفتح الدال والباء وتسكين الياء ... » ويقول : ينسب إليها دَبيثاني ودَبيثي .

وقد درس الدكتور مصطفى جواد هذه النسبة وانتهى إلى أن « الصحيح فتح الدال وهو الوجه في الأسماء النبطية أي الكلدانية والآرامية ...» .

وإذا علمنا أن « المختصر المحتاج اليه لابن الدبيثي» صدر بتحقيق الدكتور مصطفى جواد وهو يفتح الدال ، اتضح أن الأنسب أن نفتح .

أما ما ورد على الصفحة ٤٤٣ على 1944 فصحيحه 1945 .

وبعد فهذه ملاحظات عنت لي لدى قراءة ترجمات معينة مما جـــاء في « المحمدين » ولدى المامة في بناء الكتاب ونهجه، اقدمها هنا امتحاناً لصحتها أولاً ، وإسهاماً في تحقيق الكتاب ثانياً ، لأن التحقيق من المهمات الصعبة — والصعبة جداً أحياناً — انـه لا بد من تضافر الجهود من أجل الكمال . وما يستطيـع محقق واحد أو اثنان أن يحققا كتاباً من دون سهو أو فوات ، ومن هنا وجب على الآخرين أن يدلوا بدلوهم في سبيل الوصول إلى نص أدق ومن ثم طبعة ثانية أكمل .

وإذا كان هذا واجباً في كل كتاب فانه واجب في بعض الكتب على وجه الخصوص ، ومن هذه الكتب « المحمدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي » ، ويرد الخصوص هنا من وجهين في الأقل :

الأول : ان المؤلف لم يترك كتابه — كما وصل إلينا — على شكل نهائي ، فكان نقص هنا واضطراب وتكرار وقطع وبياض ... هناك ، انه أولى أن أن يكون مشروع كتاب من أن يكون كتاباً .

الثاني : سعة الموضوع زماناً ومكاناً ... على مدى سبعة قرون من العالم العربي الاسلامي الواسع ما بين اليمن ... إلى آخر خراسان ووراء النهر ... إلى الغرب والأندلس وصقلية ... من شعراء مقلين أو مكثرين شعراء شعراء، أو شعراء علماء ..

وهنا يصعب على المحقق ضبط الموضوع والسيطرة عليه وتحديد مصادره .

بغداد — كلية الآداب   علي جواد الطاهر

العرب : هذا النقد القوّمُ الذي أراد منه صديقنا الدكتور علي جواد الطاهر ابراز الكتاب بصورة قريبة من الكمال ، قد اضاف إلى عمل محققه الاستاذ حسن معمري إيضاحات وتحقيقات مكملة يجب أن تضاف إلى الكتاب . وأنا – وإن كانت لي يد في حدوث بعض الاخطاء ولإشرافي على الطبع ولعـدم الدقة في مقابلة نسخة المعمري بمخطوطة المؤلف إلا ان عذري في ذلك – ١ – عدم تمكني من مقابلة النسخة في جميع مواضعها ، وانما عنيت بإبراز النقص أو بيان الحرف – ٢ – إن تحقيق النص هو من عمل الاستاذ حسن معمري ، ولا شك أنه بذل جهده . وهو جهد لا يسع كل قارىء لمطبوعته إلا أن يذكره شاكراً مقدراً . كما يقابل عمل الدكتور علي جواد الطاهر – في تتبعه لما في هذه المطبوعة من اخطاء موضحـاً ومصححا – بالاستزادة فعمله عمل الباحث المدقق القوم لما اعوج ، ومن ثم فهو جدير بجزيل الشكر ، وعميق التقدير ، وسنحاول التعليق بكلمات موجزة على بعض ما جاء في هذا البحث الممتع – ويلاحظ ان قسما منه (تطبيع) أي أخطاء مطبعية تندر مخطوطة تخلو منها –

الحواشي :

(١) في مخطوطة الهند – وهي بقلم المؤلف : شعره قليل جداً ، وقليله كثير الحلاوة .

(٢) الواقع – ١ – أن من جملة : وانشد له الشيخ ابو محمد ، الى آخر الأبيات الثانية هي في مخطوطة المؤلف مكتوبة في أول ورقة ملحقة بالصفحة التي فيهـا ترجمة (محمد بن احمد بن سهل الواسطي) – ٢ – أن ناسخ النسخة الباريسية نسخ الأوراق ومنها ما ترتيبه غير صحيح ، وقد أشرنا إلى ذلك في أحد هوامش مطبوعة بيروت. ولهذا فرأي الناقد الكريم في نسبة الشعر لمحمد ابن احمد الواسطي صحيح .

(٣) وكذا وردت (وقصرام) بخط المؤلف .

(٤) هي في مخطوطة المؤلف : (معايبه) غير مهموزة .

(٥) قد اصلحت الكلمة في جدول الخطأ والصواب (ص ٤٦١) وكان يحسن بالناقد الكريم اصلاح التطبيع (الأخطاء المطبعية) قبل التعليق عليها .

(٦) وهل يستقيم الوزن بهذه الرواية ؟!

(٧) وأيها أصح (الفرني) أم (القرني) ؟! تبقى المشكلة بدون حلٍّ !!

(٨) اسكان الدال تطبيـع – خطأ مطبعي .

(٩) المؤلف هو الذي وقع في الخطأ ، وقد اوضحنا ذلك بكلمة نشرت في مجلة «العرب»(*) وفيها صورة ما كتبه المصنف بخط يده .

(١٠) وهذا تطبيع أيضاً ، وما دام الأصل صحيحاً فالخطب سَهْلٌ .

وبعد : فان هفوات الطبع وهنواته لا يد للمحقق الكريم الاستاذ المعمري فيها وليس لي من يد لأرسم الكتاب تحقيقاً وتصحيحاً . وشكراً لاستاذنا الدكتور فقد أضاف إلى هذا الكتاب ما يكمل جزءاً مما فيه من نقص ، وقد يكون هذا حافزاً لإكمال جوانب النقص الأخرى .

(*) السنة الرابعة ص ١١٠٥ – ١١٠٦

نظرات في :

كتاب اللامات

لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي

المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

تحقيق

الدكتور مازن المبارك

الأستاذ المساعد بجامعة دمشق

كان هذا الكتاب الحلقة الثانية من «مكتبة الزجاجي» التي عقد الدكتور مازن المبارك عزمه على تحقيق ما يتيسر له منها وإخراجه إلى الناس لما أعجبه من علم الرجل ومنهجه في تناول قضايا النحو وتحقيقها . وكان أخرج له من قبل كتاب « الايضاح في علل النحو » الذي نال بتحقيقه ودراسته درجة الماجستير . وقد نشرته دار العروبة في القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ .

ويظهر أن كتاب « اللامات » هذا مما لم يشتهر عند المتقدمين من مصنفات الزجاجي على جودته في بابه. ومن ثم لا يكاد يحسّ له أثر في مصنفات الطبقات التالية له من النحويين . وما أعرف أحدا نقل عنه أو صرح بوقوفه عليه إلا ما كان من الصلاح الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) فإنه ذكره في « الغيث المسجم » ١ / ١٣٢ فقال فيه : « وقد رأيت مصنفا لأبي القاسم الزجاجي قد قسم اللام فيه إلى أحد وثلاثين قسما ، وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ، ولا بأس بسردها هنا من غير تمثيل .. » ثم نقل عنه تعداد هذه اللامات ، ومن بعد الصفدي نقل كلامه فيه البهاء العاملي (ت ١٠٣١ هـ) في « الكشكول » ١ – ٣٢٥ – ٣٢٦ (ط . طاهر الزاوي) بيد أنه صُحّف فيه « الزجاجي » إلى «الجرجاني» وكذلك وقع في تعداد اللامات فيه وفي «الغيث» أيضاً سقط وتصحيف . وعلى رغم ما نال هذا الكتاب من خمول الذكر سلمت – على عوادي الدهر – نسخة منه يسرت للدكتور المبارك أن يخرجه عنها في هذه المطبوعة التي قام بنشرها مجمع اللغة العربية بدمشق .

صدّر الدكتور المحقق الكتاب بمقدمة لم يخلها من تعريف بالمؤلف وآثاره ردّد فيه ما كان قاله من قبل في مقدمة « الإيضاح » إلا أليفاظاً يسيرة ، وخصّ فيها كتاب « اللامات » نفسه بحديث إلى الاقتضاب ما هو ، حتى إذا خلص إلى صفة مخطوطته التي أخرجه عنها وتقويمها – وهو أهم ما يعيننا هنا – لم يتردد في توثيقها توثيق من اطمأن إلى أصالتها وبراءتها من الآفات والعيوب ، فقال فيها : « وهي نسخة كاملة ، واضحة ، لم تعبها وحدتها ، ولم تقعد بنا عن تحقيقها » واستظهر لذلك بأن أبواب الكتاب متلاحقة ما بين عنوانه وخاتمته ، مما يوثق حكمه بكمال النسخة وتمامها . (انظر المقدمه ، ص 24 ، 25) .

وهذا الحكم الذي أرسله الدكتور المحقق لا يثبت – كما ظهر لي من مدارسة الكتاب وتأمل أحوال المخطوطة – على النظر ، ولا يخلو إطلاقه من تسرع ومجازفة وشطط . وقد أفضت به ثقته بهذه المخطوطة التي « لم تعبها وحدتها» كما يقول إلى أن تعثر في تحقيق نص الكتاب تعثراً كان يرجى له السلامة منه لو أنه أحسن تقويمها . وقدّم ما يجب في النشر عن مثلها من حيطة وحذر .

وتفصيل ذلك أن هذه النسخة – وإن لم يسقط منها أوراق وأبواب بأكملها – قد عريت من سمات الأصالة ، ولم يتهيأ لها من أسباب التوثيق الظاهرة إلا إجازة كتبها في آخرها عبد العزيز بن سحنون الغماري (ت٦٢٥ﻫ) لأبي العباس أحمد بن عبد الله ابن عزاز المعروف بـ « ابن قطبة » (ت٦٦٩ﻫ) وكلا الرجلين كان من أصحاب العربية المتصدرين لإقرائها . (أنظر ترجمتيهما في البغية ، ص ، ٣٠٨ ، ١٣٧) . وهذا نص الإجازة :

« قرأ علي الشيخ الفقيه العالم الفاضل المتقن المجود المقرىء الأديب زين الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه الأجلّ أبي محمد عبد الله بن عزاز بن كامل الشافعي أدام الله توفيقه وسلامته جميع هذا الكتاب المعروف باللامات تصنيف الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي رحمه الله قراءة

ضبط وبحث وتفهّم [1] ، وأذنت له في إقرائه إذ هو أهل لذلك حقيق به.
وكتب عبد العزيز بن سحنون بن علي الغماري والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وصحبه وسلامه ، في السادس والعشرين من شوال سنة عشرين وستمائة » . اهـ

إلا أن هذه الاجازة لا تعدم - على جلالتها في الظاهر - علة تخدشها . وذلك أن نصها يدل دلالة بينة أن الغماري لم يتلق الكتاب عن الاشياخ تلقياً، بل لم يقع إليه من طريق الرواية - ولو بالاجازة دونما قراءة - أصلاً ، إذ لو كان عنده رواية له متصلة السند بالمؤلف ما كان ليدع بيان ذلك في إجازته والقوم إذ ذاك حريصون على تحمل الكتب بأسانيدها إلى مؤلفيها لهجون بطلب العلو فيها . وإذا أضفنا إلى ذلك أن كاتب النسخة لم يلمع قط إلى الاصل الذي نقلها عنه كان لا بد من الإقرار بأنها منقطعة النسب .وما كانت هذه سبيله فمن خطل الرأي أن يرفع إلى مرتبة الأصول التي لا تعيبها وحدتها. بيد أن ذلك لا يوجب بالضرورة اطراح هذه النسخة وترك الالتفات إليها البتة، بل إن الإجازة التي تحملها - وكلا طرفيها موصوف، كما تقدم ، بالعلم بالعربية والانتصاب لإقرائها - كانت حرية بأن ترفع من قدرها وأن تكفل سلامة نصها من مستنكر الأغاليط على الأقل وإن لم يعرف لها مخرج، لولا أن قراءة الكتاب قراءة متبصرة - والظن بناشره أنه لم يخل بشيء مما في مخطوطته - تعصف بما تبقى لهذه الإجازة من قيمة في ظاهر الأمر ، وتشهد بأنها إلى أن تكون لغوا من اللغو أقرب منها إلى أن تكون من الإجازات المعتدّ بها، وتقدم الدليل تلو الدليل على أن النسخة مؤوفة قد نالها من عبث النساخ عنت شديد ، فصحّف غير قليل من ألفاظها تصحيفاً منكرا ، وسقط في مواضع كثيرة منها ألفاظ وعبارات أخلّ سقوطها بمعاني الكلام ، وفيها ما هو مظنة

---

(١) كذا في صورة الورقة الأخيرة المثبتة بعد المقدمة ، لا « تفهيم » كما قرأها الناشر . انظر مقدمته ، ص : 25 ، وآخر الكتاب ، ص : ١٨٢ .

أن يكون مقحما في كلام المؤلف أيضاً [١] . ومع ذلك كله كان في الإمكان « ترميم » هذه النسخة . واستدراك ما وقع فيها من وجوه الخلل أو أكثره بتدبر معاني الكلام ، والرجوع إلى مصنفات المتقدمين من أئمة العربية وفي طليعتها المعروف من كتب المؤلف نفسه ولا سيما كتاب « الجمل » الذي ذكره الناشر في عداد مراجعه في التحقيق . إلا أن الناشر لم يتنبه إلا إلى أقلّ ذلك وفاته جله وما فحش منه . وفيما يلي بسط ما وقفت عليه منه وما اتجه لي من رأي في تصويبه . وقد حرصت أن أنقل النصوص بتمامها وأعقب عليها بما ارتأيت – وإن أفضى ذلك إلى شيء من التطويل – ليتاح للقارىء أن يميز ، على بصيرة ، مواقع الخطأ من مواقع الصواب فيما ذهبت إليه .

١ – جاء في تعداد اللامات ص : ٤ برقم (١٨) ما نصه : « لام تدخل بين الفعل المستقبل لازمة في القسم ولا يجوز حذفها » .

وقد أثبت الناشر هذه العبارة كما جاءت في الأصل (أنظر صورة وجه الورقة الثانية منه ، بعد مقدمة الناشر) وفيها مـا ينكره الحس وتدفعه بداهة العقل ، وهو إضافة « بين » إلى لفظ « الفعل » . وذلك أن هذا الظرف لا يضاف بحكم معناه إلا إلى ما يدل على أكثر من واحد ، فلا يضاف إلى مفرد في اللفظ والمعنى إلا أن يعطف عليه غـيره بالواو خاصة فتكون إضافته في الحقيقة إلى مجموع المتعاطفين . ولهذا ما أنكر الأصمعي رواية العطف بعده بالفاء في قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وكان يرويه : « بين الدخول وحومل » . انظر شرح القصائد السبـع ، ص : ١٩ ، وشرح القصائد العشر ، للتبريزي ، ص : ١٠ (ط . الدكتور فخر الدين قباوة) . ولا ريب عندي أن «بين» في هذه العبارة من تصحيف

(١) وقد وقع نحو ذلك في كتاب « الإيضاح » الذي نشره الدكتور المحقق عن مخطوطة تحمل إجازة من الفهاري نفسه لابن قطبة أيضاً . بل لقد صح عندي ان مخطوطته غير تامة . ولعلي أفرد له مقالة خاصة إن شاء الله .

الناسخ ، والصواب : « ... تدخل في الفعل المستقبل » كما جاء في نقل الصلاح الصفدي عن هذا الكتاب في «الغيث المسجم»: ١٣٢/١، أو «وتدخل على الفعل المستقبل » كما جاء في كلام المؤلف نفسه في عنوان الباب الذي عقده لهذه اللام ص : ١١٣ ، وعبارته ثمة : « باب اللام الداخلة على الفعل المستقبل في القسم لازمة » .

٢ – جاء ص : ٦ في باب « اللام الأصلية » ما نصه : « ... وكونها لام الاسم قولك : خطل وجبل وإبل ووصل وحبل ، وكذلك ما أشبهه » .

وعلق الناشر على لفظ « لام الاسم » بقوله : « في الأصل (لام الفعل) وهو سهو من الناسخ » .

وما اختاره الناشر وأثبته قد يكون أوضح ، إلا أن لما في الأصل وجهاً لا يحكم معه عليه بأنه خطأ أو سهو ، وذلك أن يكون أراد بـ «الفعل» هذا اللفظ لا « الفعل » بمعناه الاصطلاحي ، فيكون معنى العبارة : وكونها واقعة موقع اللام من لفظ « الفعل» ونحو هذه العبارة كثيرة في كلام المتقدمين منه قول ابن جني في المحتسب ١٧٢/١ : « وأما « كاءٍ » فوزنه « كعْفٍ » وأصله « كيّاءٍ » ومثاله : « كعلف » فحذفت الياء الثانية وهي لام الفعل كما حذفت الثانية من « ميت » ... ». ونحو ذلك قول المؤلف نفسه ص : ١٠: « وأما كون اللام وسطاً في موقع عين الفعل في حروف المعاني فقولهم : ألا ... » . وقوله ص : ١٢ : « ... وألا تنبيه وافتتاح كلام ، وموقع اللام منها موقع عين الفعل » وكذلك قوله ص : ١٤ : « ... وأما الفراء فعنده أن اللام في إلا في الاستثناء أول الكلمة ، وموقعها موقع فاء الفعل .

٣ – جـــاء ص : ٨ في الباب نفسه أيضاً : « ... ألا ترى أن العرب قالت : يذر ويدع ، ولم يستعملوا منه الماضي ولا اسم الفاعل والمفعول به».

ومن البين أن لا معنى لتقييد اسم المفعول بـ « به » ، ولا شك أن هذا اللفظ مقحم في كلام المؤلف من قبل بعض النسَخة ، والصواب إسقاطه ، كما قال في الصفحة نفسها قبل أسطر : « ... ولما استغني فيه [يعني « ليس »]

عن المستقبل لم يبن منه اسم الفاعل ولا المفعول » . وكذلك قوله ص : ٧ « ودليل الكوفيين على أنه [يعني « ليس » أيضاً] حرف أنه ليس على وزن شيء من الأفعال لسكون ثانيه ، وأنه لم يجيء منهــا اسم فاعل ولا مفعول ولا لفظ المستقبل » .

٤ – جاء ص : ٢٢ في باب « لام التعريف » ما نصه : « وقد تدخل لضرب بالشبه من التعريف ... » .

وليس للعبارة – على هذه الصورة – معنى يعقــل ، والصواب البيّن : « لضرب من الشبه بالتعريف ... » . والظاهر أن ما في العبارة من قلب إنما هو من صنيع الناسخ .

٥ – جاء ص : ٢٤ في الباب نفسه أيضاً : « ... ومن هــذا النوع : الطبيب ، والفقيه والشاعر ؛ لأنهــا وإن كانت صفات مشتقات فلن تطلق معرّفة بالألف واللام إلا مخصوصة لمن وضعت له اتفاقاً » .

ولا موقع لـ « لن » – وهي لنفي المستقبل – في هذا الموضع ، والمؤلف أجلّ من أن يزل مثل هذه الزلة ، ولا ريب أنها من تحريف الناسخ ، ولعل الصواب « لا تطلق » أو « فما تطلق » .

٦ – جاء ص : ٢٤ وفي الباب نفسه أيضاً ما نصه: « وقد تدخل الألف واللام للتعريف في ضرب رابع ، وهو أن تدخل على صفات شهر بهــا قوم حتى صارت تنوب عن أسمائهم ، ثم غلبت عليهم فعرفوا بهــا دون أسمائهم كقولهم : الفضل والحارث والعباس والقاسم وما أشبه ذلك ، هكذا كانت في الأصل نعوتاً غلبت فعرف بها أصحابها ، ثم نقلت فسمي بها بعد ذلك » .

ولفظ « هكذا » لا يكاد يظهر له في هذا السياق وجه يعقل ، والعبارة معه غاية في السقم والثقل لا يكاد يطوع بها اللسان إلا على استكراه شديد ، وما أظنة إلا تحريفاً من الناسخ صوابه : « فهذه كانت ... » .

٧ – جاء ص : ٣٠ في « باب ذكر ما يمتنع اجتماعــه مع الألف واللام اللتين للتعريف ... » ما نصه : « اعلم أنــه لا يجوز اجتماع الألف واللام

والتنوين على حال من الأحوال نحو قولك: رجلٌ وفرسٌ وغلامٌ ، ثم تقول : الرجلُ والغلامُ والفرسُ ، فيسقط التنوين . وخطأُ الجمع بينهما والعلة في ذلك عند البصريين أن التنوين دخل في الأسماء فرقاً بين المنصرف منهـــا المتمكن وبين الممتنع من الانصراف بنقله مضارعاً للفعل ، فإذا دخلت الألف واللام عليه مكنته فردّته إلى الأصل فانصرف كله فاستغنى عن دلالة التنوين ...».

هكذا ضبط الناشر قوله : « وخطأ الجمـــعِ بينهما » بجر « الجمع » على إضافة « خطأ » إليه ، وجعله مفتتح كلام جديد . وصواب ضبطه فيما أرى: « وخطأ الجمعُ بينهما » بالرفع على أن « الجمع » مبتدأ ُقدّم خبره عليه ، وأن الجملة من تمام ما قبلها ، ثم يبدأ بقوله : « والعلة في ذلك عند البصريين ...». ويشهد بذلك قوله ص : ٣١ في كلام سيأتي نقله في الفقرة القادمة : « ... لو قلت : هـــذا الغلامُ زيدٍ ، والثوبُ عمرٍو ، كان خطأ . والعلة في امتناع اجتماع الألف واللام والإضافة ... » .

وأما عبارة « بنقله مضارعاً للفعل » فلا معنى لهـــا . ولفظ « بنقله » تصحيف صوابه : « لثقله » . يشهد بذلك ما نقله الناشر عن سيبويه في تعليقه على هذه العبارة ، وذلك قوله : « واعلم أن بعض الكلام أثقـــل من بعض ، فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هي الأول ، وهي أشد تمكنا فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون » وقوله : « فالتنوين علامة للأمكن عندهم والأخف عليهم ، وتركه علامة لما يستثقلون » . ويشهد به أيضاً مـــا أحال عليه الناشر من كلام المؤلف نفسه في كتاب « الإيضاح » ص : ٩٧ وهو قوله : « اعلم أن التنوين يدخل في الكلام لثلاثة معان . أحدها الفرق بين المتمكن الخفيف في الأسمـــاء وبين الثقيل الذي ليس بمتمكن ... » .

ولفظ « مضارعاً للفعل »– وإن كان لا يعدم وجهاً ضعيفاً من التأويل – يغلب على الظن أنه ممـــا حرفه الناسخ أيضاً ، وأن صوابه : « بمضارعته للفعل » .

٨ – ص : ٣١ جـاء في الباب نفسه أيضاً : « – ولا يجوز الجمع بين الإضافة والألف واللام نحو قولك : هذا غلامُ زيدٍ ، وثوب عمروٍ ، ودار بكر ، لو قلت : هذا الغلامُ زيدٍ ، ، والثوبُ عمروٍ ، كان خطأ . والعلّة في امتناع اجتماع الألف واللام والإضافة هي أن الألف واللام تعرف الاسم بالملك والاستحقاق ، ومحال جمع تعريفين مختلفين على اسم واحد » .

وفي عبارة التعليل فساد ظاهر مردّه إلى سقط فيها لا يخفى مكانه ؛ وذلك أن سياق الكلام يدل دلالة بينة أن المؤلف ذكر ضربين من التعريف، أحدهما تفيده الألف واللام ، والآخر تفيده الإضافة ، على حين لم يرد في هذه العبارة إلا ضرب واحد نسب إلى الألف واللام . ووجه الفساد في هذه النسبة بيّن؛ فإن التعريف بالملك والاستحقاق إنما تفيده الإضافة ، وأما الألف واللام فيعرفان الاسم بالعهد أو بالجنس كما ذكر المؤلف نفسه في كتابه هذا ص:٢١، وانظر في هذا المعنى أيضاً أمالي ابن الشجري ٢/٢٦١ ، والإنصاف، ص:٥٢٢ (الطبعة الرابعة) وشرح المفصل ٩/١٩ ، إلا أن من عادة المؤلف أن يقتصر في مثل هذا الموضع على ذكر تعريف الألف واللام الاسم بالعهد ، فينبغي أن يكون صواب العبارة : « ... هي أن الألف واللام [يعرفان الاسم بالعهد، والإضافة] تعرف الاسم بالملك والاستحقاق ... » . وبنحو هذه العبارة عبر المؤلف عن هذا المعنى في كتابه « الجمل » ص : ٧٦ ، كما أنه نص على تعريف الألف واللام الاسم بالعهد في اعتلاله لامتناع دخول حرف النداء على المعرف بالألف واللام ص : ٣٢ وأشار فيه إلى ما سلف من كلامه في الاعتلال لامتناع الجمع بين الإضافة والألف واللام ، وذلك قوله : « ... لو قلت : يا لرجل ويا لغلام لم يجز . والعلة في امتناع الجمع بينهما هي أن حرف النداء يعرف المنادى بالإشارة والتخصيص ، والألف واللام يعرفانه بالعهد ، فلم يجز الجمع بين تعريفين مختلفين كما ذكرت لك في هذا الباب » . وقد كان هذا وحده جديراً بأن ينبه الناشر إلى السقط في تلك العبارة ، ولا سيا أنه لم يفته أن المؤلف إنما يشير ههنا إليهـا . بل لقد جاء ذكر تعريف الألف واللام الاسم بالجنس أو العهد فيما علق به الناشر نفسه على تعليل بعض البصريين لبناء

« الآن » ص : ٣٨ التعليق (٢) . وقد نقل مادة هذا التعليق – غير مصرح بذلك – من كلام ابن الانباري في الإنصاف ، ص : ٥٢٢ بتصرف لا يخلو من إخلال .

٩ – ص : ٣٦ – ٣٧ جاء في الباب نفسه أيضاً ما نصه : « ومن نادر ما دخلت عليه الألف واللام للتعريف قولهم : (الآن) ؛ وذلك أنه مبني وفيه الألف واللام ، وسبيل المبني إذا أُضيف أو دخلته الألف واللام أن يتمكن ويرجع إلى التعريف كما قالوا : خرجت أمسِ ، وما رأيتك منذ أمسِ ، فبنوه على الكسر ، فإذا أدخلوا الألف واللام أو أضافوه عرّفوه . وليس في العربية مبنيّ تدخل عليه الألف واللام إلا عُرّف ، إلا الشيء في حال التنكير ؛ فإن الشيء في حال التنكير لم تمكنه الألف واللام ، لأن التنكير يخفف الأشياء ويمكنها فإذا وجب لها البناء فيه لم يمكنها غيره ، وذلك نحو العدد ما بين أحد عشر إلى التسعة عشر ، فإنه مبني إلا اثني عشر ، فإن أدخلت عليه الألف واللام لم يتعرف أيضاً فقلت : جاءني الخمسةَ عشرَ رجلا ، ومررت بالخمسةَ عشرَ رجلا ، لهذه العلة التي ذكرتها لك » .

وفي هذا النص ضروب من التصحيف أخلت بـه إخلالاً شديداً حتى استغلق معناه أو كاد . وفي طليعة ذلك لفظ « التعريف » في هذه العبارة : « وسبيل المبني إذا أُضيف أو دخلته الألف واللام أن يتمكن ويرجع إلى التعريف » ثم ما جاء في النص من الأفعال المشتقة منه . وقـد لمـح الناشر المعنى المراد بـه عندما قال في التعليق عليه : « هكذا في الأصل ، وهي مكررة غير مرة كما ترى . ولعله يريد ما يستتبع هذا التعريف من الإعراب ، لتصح مقابلته بالبناء » ثم لم يهتد إلى وجه الصحة فيه ، وهو أنه مصحف عن « التصريف » . وهم ما يستعملون « تصريف المبني » بمعنى إخراجه عن البناء إلى الإعراب ، ومن ثم عبّر المؤلف عن هـذا المعنى في كلامه على « أمس » في كتاب « الجمـل » بلفظ « الإعراب » وذلك قوله ص ٧٠ : « اعلم أن « أمس » في كلام العرب مبني عـلى الكسر أبداً كقولك : « خرجت أمسِ » و « وقدم بكر أمس » وإذا أضفته أو أدخلت عليه

الألف واللام أعربته فقلت : « كان أمسنا طيباً » . اﻫ . وممـــا جاء فيه « التصريف » بالمعني الذي ذكرت مــا قاله أبو البركات ابن الأنباري في الإنصاف ، ص : ٣١٠ – ٣١١ في الرد على من أجاز إضافة « النيف » إلى « العشرة » من الكوفيين ـ وقد نقله عنه البغدادي في الخزانة ٣/١٠٥ ـ وذلك قوله : « ... أما ما أنشدوه من قوله :

[كلف من عنائه وشقوته] بنت ثماني عشرة من حجته

فلا يعرف قائله ، ولا يؤخذ به . على أنا نقول : إنما صرّفه لضرورة الشعر ورده إلى الجر لأن « ثماني عشرة » لما كانا بمنزلة اسم واحد وقد أضيف إليها « بنت » في قوله :« بنت ثماني عشرة » رد الاعراب إلى الأصل بإضافة « بنت » إليها ، لا بإضافة « ثماني » إلى « عشرة » . وهم إذا صرفوا المبني للضرورة ردوه إلى الأصل .. ».

ومن المحتمل أيضاً أن يكون لفظ « التعريف » مصحفاً عن « التعريب » بمعنى « الإعراب ». وقد وقع بهذا المعنى في كلام لأبي بكر الأنباري – وهو كوفي المذهب وكان الزجاجي ربما ناظره، انظر الإيضاح، ص : ٦١ – وذلك قوله في « أمس » في شرح القصائد السبع ، ص : ٢٨٩ – ٢٩٠ : « وسبيل « أمس » أن يكون مكسوراً إذا كان معرفة لا ألف ولا لام فيه، كقولك : « مضى أمس » و « رأيته أمس » . فإذا دخلت عليه الالف واللام عُرّب بوجوه الإعراب ، كقولك : « مضى الامسُ بما فيه » و « لقيته الامسَ ».. وربما أدخل عليـــه الالف واللام وترك على كسره ... » . إلا أن التقدير الاول عندي أرجح ؛ لان المؤلف بصري المنزع ، وذلك هو المعروف عندهم.

ومما صحف فيه من هذا النص غير ما لفِظِ تصحيفاً منكراً قوله:«وليس في العربية مبني ..» إلى قوله : « ... لم يمكنهـــا غيره » . ومن ذلك : « ... إلا الشيء في حال التنكير ؛ فإن الشيء في حال التنكير .. » فإنه لا موقع لـ « الشيء » ههنا ، وهو مصحف في كلا الموضعين عن « المبني » يوضح

ذلك أنه في الموضع الاول مستثنى من مبني في قوله في أول العبارة : وليس في العربية مبني ... » .

وعبارة : « ... لم تمكنه الالف واللام » لا يستقيم بها المعنى ايضاً فإنه لا يحتمل المضي الذي تفيده «لم» . ولا ريب عندي أن إيقاعها ههنا من عبث الناسخ وأن ما كتبه المؤلف إنما هو « لا تمكنه ... » .

ومما جاء مصحفاً لفظ « الاشياء » في « لان التنكير يخفف الاشياء ويمكنها .. » والصواب الذي لا يقوم المعنى إلا به : « الاسماء » .

١٠ – ص : ٣٧ – ٣٨ وجاء في الباب نفسه أيضاً ما نصه : « قال أبو العباس المبرد : إنما بني (يعني الآن) لأنــه كان من شأن الأسماء أن يعرفها كونها اعلاماً نحو: زيد وعمرو ، أو مشاراً إليها مبهمات فتعرفها الإشارة نحو هذا وذاك وبابه ، أو مضمرات ، أو مضافات إلى معارف أو نكرات نحو رجل وفرس ، ثم يعرف بالألف واللام ، فلما وقع (الآن) في أول أحواله معرفاً بالألف واللام فارق بابه وبني » .

هكذا ضبط الناشر هذا النص ، جعل فاصلاً بعد قوله : « أو مضافاً إلى معارف أو نكرات نحو رجل وفرس» وذكّر الفعل في قوله بعده:«ثم يعرف بالألف واللام » وهو ضبط يفيد أن من أنواع المعرفة ما أضيف إلى معرفة أو نكرة ، وهذا خلف من القول ، فما من أحد يقول بأن المضاف إلى نكرة يتعرف بإضافته إليها . وصواب ضبط العبارة أن يجعل الفاصل بعد قوله : « أو مضافاً إلى معارف » ثم يؤتى بعده بقوله : « أو نكرات نحو «رجل» و « فرس » ثم تعرف بالألف واللام » بتأنيث الفعل . والمراد بذلك ما كان نكرة في أول أمره ثم ُعرف بإدخال الألف واللام عليه . ومن ثم عبر أبو البركات ابن الأنباري عن هذا المعنى في حكايته لقول المبرد في الإنصاف ، ص:٥٢٣ بقوله:«وسبيل ما يدخل عليه الألف واللام أن يكون منكوراً أولاً ثم يعرف بهما » وبنحو ذلك عبر عنه شيخه أبو السعادات بن الشجري في أماليه ٢/٢٦٠ أيضاً .

هذا ، ولم يخل النص السالف من تصحيف أيضاً ، وذلك لفظ « اليها » في عبارة « أو مشاراً إليها مبهمات » وصوابه (بها) فإن أسماء الإشارة إنما يشار بها ولا يشار اليها . وهذا هو المعروف في عبارة المتقدمين عن هذه الأسماء ، كقول ابن الشجري في أماليه ٢/٢٦٠ : « المبهم المشار به وفي بيانهم عن وجه إبهامها ، كقول ابن يعيش في شرح المفصل ٣/١٢٦ : « ... ويقال لهذه الأسماء : « مبهمات » لأنها [كذا ، ولعل الصواب : لأنك] تشير بها إلى كل ما بحضرتك ... » .

١٢ — ص : ٣٨ — ٣٩ جاء في الباب نفسه أيضاً في حكاية قول الفراء والكسائي في علة بناء « الآن » — : « وقال الفراء والكسائي : إنما هو محكيّ ، وأصله من آن الشيء يئين بمعنى حان يحين . وفيه ثلاث لغات ... » ثم جاء بعد تعداد تلك اللغات — وهي : آن ، وأنى ، وأنال بزيادة اللام — ما نصه : « قالوا فدخلت الألف واللام على اللغة الأولى فقيل : الآن فاعلم ، فترك على فتحه ، كما روى في الأثر أنه نهى عن قيلَ وقالَ ، ويحكى مفتوحا على لفظ الفعل المـــاضي ، وبعضهم يردّه على قيلٍ وقالٍ ، فيجعلها اسمين ويعربها » .

ولا موقع للواو في « ... ويحكى مفتوحا » والظاهر أنهـــا من إقحام الناسخ ، والصواب إسقاطها . وسيأتي فيما يستقبل نظير ذلك . وأما عبارة « وبعضهم يردّه على قيلٍ وقالٍ ... » فلا يكاد يظهر لها معنى ، وأظنها مما حرّفه الناسخ ، ولعل الصواب : « وبعضهم يرويه: « عن قيلٍ وقالٍ »..
يشهد بذلك قول سيبويه في « باب تسمية الحروف بالظروف وغيرهـــا من الأسماء » ٢ / ٣٥ : « ... فإن أردت حكاية هذه الحروف تركتها على حالها كما قال : « إن الله ينهاكم عن قيلَ وقالَ » ومنهم من يقول : « عن قيلٍ وقالٍ » لما جعله اسما ... » .

١٣ — عقد المؤلف ص : ٤٥ — ٤٦ بابا لـ « ذكر المذهب الذي ينفرد به الكوفيون من دخول الألف واللام بمعنى الذي على الأسماء المشتقة » جاء فيـــه :

« اعلم أن الأسماء المشتقة من الأفعال نحو : ضارب وقائم وذاهب وما أشبه ذلك يدخل عليها الكوفيون الألف واللام ، ويجعلونها مع الألف واللام بمنزلة الذي ، ويصلونها بما توصل به الذي ، فيقولون : القائمُ أكرمتُ عمرو ، فيرفعون القائم بالابتداء ، وعمرو خبره ، وأكرمت صلته ، كأنهم قالوا : الذي أكرمت عمرو ، قالوا : فإن جعلنا القائم بمعنى الذي قام ، قلنا : القائم أكرمت عمرا ، فينصب القائم بوقوع الفعل عليه وعمرو بدل منه ؛ لأن أكرمت لا تكون صلة الألف واللام وقد جعلت القيام صلتها . وهذا الوجه الثاني يوافقهم عليه البصريون . والوجه الاول ينفرد به الكوفيون .

« ونذكر مسائل هذا الباب على مذهب الكوفيين لتعرفه ، نقول من ذلك : الراكبُ ضربتُ زيد ، إذا جعلت الراكب بمعنى الذي ، وإن جعلته بمعنى الذي ركب قلت : الراكبَ ضربت زيدا . وكذلك تقول : القاعد أكرمت أخوك ، والقاعدُ أكرمت أخاك . فإن جئت بتوكيد أو معطوف أو منصوب حتى تصرّح بمعني الذي فعَلَ لم يجز أن تجريه مجرى الذي وتصله بصلة ، فتقول : القائمُ وعمرو ضربتُ زيدا في النصب . ولا يجوز رفعه . وكذلك : القاعدَ نفسه أكرمت أخاك ، والضاربَ زيدا رأيت أباك ، فقس على هذا ما يرد منه إن شاء الله تعالى » . ا هـ

وقد دخل التصحيف في الشق الاول من هـــذا النص هذه العبارة : « ...وقد جعلت القيام صلتها » والصواب الذي يدل عليه السياق : « ... وقد جعلت « القائم » صلتها ». وكذلك صحف في فاتحة الشق الثاني : « ...نقول من ذلك » والصواب الذي يدل عليه السياق أيضاً : « ... تقول » بالتاء ، ولعل الاول من خطأ الطبع . وأما المشكل فيه فهذه العبارة : « فإن جئت بتوكيد أو معطوف أو منصوب حتى تصرح بمعنى الذي فَعَلَ لم يجز أن تجريه مجرى الذي وتصله بصلة فتقول : القائمُ وعمرو ضربت زيدا ، في النصب . ولا يجوز رفعه » فقد جمعت إلى التصحيف فساد النظم بتقديم ما الوجه تأخيره والخطأ في ضبط ما مثل به أيضاً . والصواب الذي لا يقوم للعبارة معنى إلا به : « فإن جئت بتوكيد أو معطوف أو منصوب

لم يجز أن تجريه مجرى« الذي » وتصله بصلة حتى تصرح بمعنى « الذي َفعَلَ » فتقول : « القائمَ وعمرا ضربت زيداً » بالنصب ، ولا يجوز رفعه » . ولعل قوله : « حتى تصرّح بمعنى الذي فعل» سقط من متن الأصل الذي نسخت عنه المخطوطة التي وقعت إلى الناشر ، فاستدركه كاتبه في الحاشية ، إلا أن الناسخ الآخر أخطأ حاقّ موضعه فقدمه غير آبه إلى ما في صنيعه من فساد ، وزاد أن حرف قوله : « بالنصب » إلى « في النصب » كما أخطأ في المثال أيضاً فجاء بـ « عمرو » مرفوعاً وحقه النصب . ومن الغريب أن يفوت الناشر أن الوجه فيه نصب « القائم » وما عطف عليه وقد صرح المؤلف عقبه بأن رفعه لا يجوز .

١٤ – أبان المؤلف في « باب لام الملك » ص : ٤٧ – ٤٨ عن الفرق في المعنى بين قولنا : « هذا غلام زيد » وقولنا : « هذا غلام لزيد » . وجاء في كلامه على ثاني التعبيرين ما نصه : « وغلام في هذا الوجه نكرة وإن كانت اللام قد أدت عن معنى إضافته إلى زيد ، لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه من أن يتعرف المضاف به أو يكون المضاف إليه تماماً له » .

وعبارة التعليل لا تخلو من قلق ، وأظن أن فيها سقطاً ، ولعل الصواب: « لأنهـــا تفصل بين المضاف والمضاف إليه [وتمنع] من أن يتعرف المضاف به ... » .

١٥ – جاء ص : ٥١ في تعريف « لام الاستحقاق » ما نصه : « لام الاستحقاق خافضة لما يتصل بها كما تخفض لام الملك . ومعنياهما متقاربان ، إلا أنا فصلنا بينهما لأن من الاشياء ما لا تستحق ولا يقع عليها الملك » .

وفي عبارة التعليل إشكال ظاهر ، لا لتأنيث الضمير العائد على « ما » فإن ذلك جائز من باب الحمل على المعنى ، بل لان هذه العبارة لا يكاد يحصل منها – في صورتهـــا هذه – معنى يعقل . والصواب البين : « ... لان من الاشياء ما تستحق ولا يقع عليها الملك » باطراح « لا » الاولى ؛ فإنهـــا – لا ريب – مقحمة في كلام المؤلف ومن الغريب أن يخفى ذلك على الناشر

المحقق مع أن سياق الكلام يقتضيه بالضرورة . هذا إلى أن فيما جاء عقبه من كلام المؤلف ما يدل عليه أيضاً دلالة بينة ، وذلك قوله : « ولام الاستحقاق كقوله عز وجـــل : (الحمد لله رب العالمين) و (الحمد لله الذي هدانا) وكقولك : المنة في هذا لزيد ، والفضل فيما تسديه إلي لزيد ، ألا ترى أن المنة والفضل ليس مما يملك [كذا ، ولعل الصواب : « ليسا »] وإن كان المملوك والمستحق حاصلين للمستحق والمالك » .

وانظر في هذا المعنى شرح المفصل ٨/٢٥ — ٢٦ إلا أن ابن يعيش لم يميز بين معنى « الاستحقاق » و « الاختصاص » كما فعل المتأخرون .

١٦ — ص ٦٤ : جاء في (باب لام إنّ) ما نصه : (وهذه اللام هي لام الابتداء الداخلية للتوكيد ، فجاز دخولها على خبر إنّ وحدها لـما لم تغير معنى الابتداء . ولم تدخل على سائر أخواتها لأنها تغير معنى الابتداء لـما تدخل عليه من المعاني نحـــو دخول كأنّ للتشبيه والاستفهام والتقريب ، وليت للتمني ، ولعلّ للترجي والتوقع ، واستدراك لكن للجحد) .

وفي هذا النص إشكالان أكبر ظني أن مرجعهما إلى عبث الناسخ بأصل الكتاب . وكان يجدر بالناشر ألا يغفل عنهما فيمرّهما دونما تعليق .

أما أولهما فذِكْر (الاستفهام) في عداد ما تفيده (كأنّ) من معان ، وهو قول منكر ما أعرف في أصحاب العربية من قال به أو حكاه عـــن المؤلف . وأما المحكي عنه في هذا الباب فمعنيان وافق في كليهما الكوفيين . أولهما أنهـــا تأتي للتحقيق ؛ ذكر ذلك ابن هشام في المغني ، ص : ١٩٢ (ط. محيي الدين عبد الحميد) وص : ٢٠٩ — ٢١٠ (ط . الدكتور مبارك وزميله) والسيوطي في الهمع ١ / ١٣٣ . وقد ذكر هذا القول ابن مالك أيضاً في التسهيل ، ص : ٦١ إلا أنه لم يسم القائلين به . وهو قول واهٍ لا تقوم به حجة فالجة . والآخر أنها إذا كان خبرها جامداً كانت للتشبيه ، وإذا كان مشتقاً كانت للشك بمنزلة « ظننت » و « توهمت » ؛ ذكر ذلك السيوطي في الهمع ١ / ١٣٣ أيضا ، ونسب ابن هشام القول بذلك إلى ابن

السيد البطليوسي وجماعة لم يسمّهم ، ونسبه الرضي في شرح الكافية : ٢ / ٣٤٥ (ط. سنة ١٣١٠ هـ) إلى الزجاج ، وإذا صح ذلك يكون الزجاجي قد تابع فيه شيخه . وما لم يكن ذكر « الاستفهام » في هذا الموضع من « اللامات » مقحماً من قبل الناسخ فغير بعيد عندي أن يكون ما ذكره المؤلف فيه إنما هو « الشك » فخلط الناسخ وأثبت مكانه « الاستفهام » . وأما أن يكون قد ذكر « التحقيق » ثم غيّره الناسخ إلى « الاستفهام » فيبعده أن « كأنّ » توافق في هذا المعنى – لو صح – « إنّ » فلا تغير معنى الابتداء ، والمؤلف إنما عني ههنا بذكر ما يغيره من المعاني التي تفيدها أخوات « إنّ » .

وأما الإشكال الآخر ففي عبارة (واستدراك لكن بعد الجحد) وهي – إلى إشكالها – مختلة البناء أيضاً ، وصحتها كما يقتضي سياق الكلام : (ولكن للاستدراك بعد الجحد) . وأما إشكالها فلتقييدها الاستدراك بـ (لكنّ) الثقيلة بأن يكون بعد جحد ، وهذا إنما يعرف في الاستدراك بـ (لكن) الخفيفة إذا وليها مفرد خاصة على اختلاف بين النحاة أتكون إذ ذاك عاطفة أم لا . ومذهب المؤلف أنها تكون عاطفة ، ومن ثم ذكرها في باب العطف من كتابه (الجمل) في جملة حروفه ، ونص على إفادتها الاستدراك بعد الجحد بمثل ما ذكرت أنه الصحيح في العبارة التي هنا فقال ص ٣١ : (... ولكنْ للاستدراك بعد الجحد) . وأما (لكنّ) الثقيلة فلا خلاف – فيما أعلم – أنه يستدرك بها بعد الإيجاب كما يستدرك بها بعد النفي ، إلا أنه يشترط تغاير ما قبلها وما بعدها نفياً وإثباتاً ، والتغاير المعنوي في ذلك كالتغاير اللفظي . انظر في بسط ما تقدم المقتضب ١/١٢ و ٤/١٠٧-١٠٨ ، وشرح المفصل ٨/٧٩ – ٨١ ، و ١٠٦ – ١٠٧ ، وشرح الكافية ٢/٣٤٦ ، ٣٦٠ – ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ومغني اللبيب ، ص : ٢٩٠ – ٢٩٣ (ط . محيي الدين عبد الحميد) وص : ٣٢٢ – ٣٢٤ (ط. الدكتور مبارك وزميله) والهمع ١/١٣٢ – ١٣٣ و ٢/١٣٧ – ١٣٨ .

١٧ – ص : ٦٧ جاء في الباب نفسه أيضاً في تعليل كسر الهمزة من

من « إنّ » وامتناع فتحها في نحو (ظننت إن زيداً لقائم) و « علمت إن أخاك لمنطلق » ما نصه : « واللام التي هي خبر إن قد قلنا إنها لام الابتداء، وكانت مقدرة قبل إنّ ، ولام الابتداء تمنع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها ، فلم يجز لما قبل « إن » أن يعمل فيها واللام بينهما ، لان لام الابتداء حاجز يمنع ما قبله من التخطي إلى مـــا بعده . ألا ترى أنك تقول : علمت لزيد منطلق ، وحلفت لاخوك قائم ، ولا يكون لعلمت تسلط على ما بعد اللام ، فكذلك كان الاصل في قولك : علمت إن زيدا لقائم ، علمت أن زيدا قائم ، فمنعت اللام الفعل أن يعمل في (إن) فبقيت مكسورة على حالها، ثم أخّرت اللام إلى الخبر لفظاً ، وهي في المعنى مقدرة في موضعها ... » .

وفي هذا النص عدة أمور :

أولها : عبارة (واللام التي هي خبر إن ...) وما يفيده ظاهرها من أن اللام نفسها هي الخبر . على أنه لا كبير إشكال في ذلك ، إذ يمكن حمله على التجوز والاتساع ، وإن كنت لا أستبعد أن يكون الضمير (هي) مصحفاً عن (في) .

وثانيها : أن التمثيل بـ (حلفت لأخوك قائم) لتعليق لام الابتداء ما قبلها عن العمل فيما بعدها لا يستقيم؛ وذلك أن اللام في هذا المثال ليست لام الابتداء أصلا ، وإنما هي اللام التي يتلقى بهـا جواب القسم . ثم أن التعليق في هذا الباب خاص بأفعال العلم والظن و (حلف) ليس منها ، بل ليس مما يتعدى بنفسه البتة . وأظن (حلفت) في المثال تصحيفاً صوابه (حسبت) . يشهد بذلك أن المؤلف لما عرض ص : ٦٢ – ٦٣ المسألة التي يبسط ههنا جوابها كان فيما مثل به لذلك (حسبت إن أخاك لشاخص) . وقد مثل بهذه العبارة في جملة ما مثل به للمسألة نفسها في كتابه الجمل ص : ٧٠ أيضاً .

وأما الخطأ البحت الذي لا ريب أنه من تخليط الناسخ فما جاء بعد من أن الاصل في : (علمت إن زيدا لقائم) : (علمت أن زيداً قائم) . ومن الغريب أن يخفى فساد هذا القول على الناشر المحقق ! على حين أن كل مـــا

تقدمه من كلام المؤلف وما جاء عقيبه يدل دلالة لا لبس فيها أن الاصل في (علمت إن زيداً لقائم) : (علمت لإن زيدا قائم) بتقديم اللام على (إنّ) ومن ثم علقت الفعل عن العمل في (إن) لانها مقدمة عليها حكماً وإن كانت مؤخرة إلى الخبر لفظاً . وانظر شرح المفصل ٦٦/٨ . ويضاف إلى ما تقدم أن الاصل في المثال المذكور قد جاء على وجه الصواب فيما أشار إليه المؤلف في فاتحة هذا النص من كلامه ، وذلك عندما ذكر ص : ٦٤ أن هذه اللام هي لام الابتداء، ثم تطرق إلى بيان العلة في تأخيرها إلى الخبر بقوله : (وأما لزوم اللام في الخبر دون الإسم فإن أصلها كان قبل أن يقال : إن زيدا لقائم، كان : لإن زيدا قائم ، فاستقبحوا الجمع بين حرفين مؤكدين ، فجعلوا إن في الابتداء واللام في الخبر ليحسن الكلام ويعتدل) . وعلى مثل هذا القول في أصل موضع هذه اللام والعلة في تأخيرهـــا إلى الخبر جمهور المحققين على مذاهب أهل البصرة . انظر في ذلك المقتضب ٣٤٤/٢ ، والخصائص٣١٤/١، وشرح المفصل ٦٣/٨ و٢٥/٩ — ٢٦ ، وشرح الكافية ٢٥٥/٢ . وبقولهم قال ابن هشام في المغني ص: ٢٣٠—٢٣١ (ط. محي الدين عبد الحميد)و ص :٢٥٤— ٢٥٥ ط. الدكتور مبارك وزميله) وقد مثل فيه بالمثال نفسه فقال : (وذلك لان أصل (إن زيدا لقائم) : (لإن زيدا قائم) .

١٨ — استشهد المؤلف ص : ٧٠ ببيت لامرىء القيس جاء نصه :

ليوم بذات الطلح عند محجر أحب إلينا من ليال على وقرِ

وأنبه الناشر في تعليقه عليه أن روايته في ديوان امرىء القيس ص:١٠٩ (ليال بذات الطلح ... من ليال على أقر) . ويظهر أن (أقر) كما جاء في الديوان هو الصحيح ، فإني لم أصب مكاناً باسم (وقر) . ومهما يكن الامر فإنه ما كان يجدر بالناشر أن يضبط الراء من (وقر) بالكسر وقد رأى في الديوان أن القصيدة مقيدة الروي .

١٩ — ذكر المؤلف في (باب لام التعجب) ص : ٧٢ أن هـــذه اللام تدخل على المتعجب منه صلة لفعل مقدر قبله ، كقولك : (لِزَيد ما أعقله)

والتقدير : اعجبوا لزيد ما أعقله . ثم قال ص : ٧٣ : (وربمـا سبق لام التعجب حرف النداء ، كقولهم : يا لزيد فارساً ، أي اعجبوا لزيد فارساً ، ويا لك راكباً ، وكذلك ما أشبهه) .

وقـد ضبط الناشر اللام في (يا لزيد فارساً) بالفتح ، والصواب أن تكسر كما لو لم تدخل عليه (يا) . وهذا ما يفيده كلام المؤلف في فاتحة الباب ثم التقدير الذي قدره في هذا المثال ؛ فإن اللام وقعت فيه صلة لـ (اعجبوا) المقدر ، و (زيد) فيه ليس بمدعو ، وإنما هو مدعوّ له ، ومن ثم وجب له الكسر كما وجب للام المستغاث من أجله . وأما فتحها في (يا لك راكباً) فلدخولها على مضمر . وقد عقد سيبويه في كتابه ٣٢٠/١ لهذه المسألة باباً سماه (باب ما تكون اللام فيه مكسورة لانه مدعوّ له ههنا وهو غير مدعوّ) قال فيه : (وذلك قول بعض العرب (يا لِلعجب) و (يا لِلماء) وكأنه نبه بقوله : يا غير الماء للماء ...) . ومن بعده بسط المبرد هذه المسألة في المقتضب ٢٥٤/٤ ، وألم بهـا في الكامل أيضاً ، ص : ١٠١٦ (تحقيق أحمد محمد شاكر) فانظر كلامه فيهما .

٢٠- جاء في « باب اللام التي تكون جواب القسم » ص: ٧٩: «وربما أضمر جواب القسم إذ كان في الكلام دليل عليه كما قال تعالى : (والشمس وضحاها) ثم أضمر القسم في قوله : (قد أفلح من زكاها) التقدير : لقـد أفلح من زكاها ، وجاز هذا الإضمار لدلالة قد عليه ، لأنها مؤكدة واللام للتوكيد » .

وفي عبارة « ثم أضمر القسم ... » سقط أخل بمعناها، والصواب الظاهر: « ثم أضمر [جواب] القسم ... » . وقد أراد المؤلف بـ « جواب القسم » لام الجواب ، وسماها جواباً - كما فعل في فاتحة هذه الكلمة وفي عنوان الباب أيضاً - اتساعاً ومجازا .

وإلى إضمار اللام في هذه الآية ذهب سيبويه في كتابه ١ | ٤٧٤ ، والمبرد في المقتضب ٢/ ٣٣٧ ، وابن الشجري في أماليه ١ / ٣٦٩ ، وابن يعيش في شرح المفصل ٩ / ٢١ وابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة ، ص : ١٠٠ .

وسوغ إضمار اللام – عند سيبويه والمبرد – طولُ الكلام وتباعد ما بين القسم وجوابه ، وبذلك قال الزجاج أيضاً ، انظر البحر المحيط ٨ / ٨٤١ ، وتفسير القرطبي ٢٠ / ٧٦ . وقد خالف الزمخشري عن قول هؤلاء جميعاً فذهب إلى أن جواب القسم محذوف تقديره : ليُدَمْدِمنّ الله عليهم ، وأن قوله تعالى : (قد أفلح من زكاها) تابع لقوله : (فألهمها فجورها وتقواها (على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء . انظر الكشاف ٤ / ٦٠٦ .

٢١– ذكر المؤلف ص:٨٣ أن الأصل في لامي المستغاث به والمستغاث من أجله الكسر ، وأن لام المستغاث به إنما فتحت فرقا بينها وبين لام المستغاث من أجله ، ثم جاء ص : ٨٤ ما نصه: « فإن عطفت على المستغاث به بمستغاث به آخر كسرت لام الثاني ؛ لأن الفتح قد زال بضمك إياه إلى الأول بحرف العطف .. » .

وفي عبارة التعليل سقط غـــير خفي المكان ، وأظن الصواب فيها : « ... لأن [موجب] الفتح قد زال ... » . وانظر في هذه المسألة المقتضب ٤ / ٢٥٥ ، والكامل ص : ١٠١٧ .

٢٢– جاء ص: ٨٩ في التمثيل لجواز الكسر والإسكان في لام الأمر إذا كان قبلها واو أو فاء ما نصه : « ... وذلك قولك : فلينطلق زيد ، ولينطلق ، وإن شئت كسرت اللام ، وإن شئت أسكنتها ».

والصواب في العبارة الأخيرة : « إن شئت كسرت اللام وإن شئت أسكنتها » باطراح الواو الأولى فإنهـــا مقحمة . وقد مر ، فيما سلف ، نظير لهذا .

٢٣– جاء في ص: ٩١ في « باب لام الأمر » أيضاً:« وأجمع البصريون على أن هذا الفعل [يعني فعل الأمر] إذا كان بغير اللام فهـــو غير معرب ؛ قولك : إذهب يا زيد ، واركب ، وانطلق ، وما أشبه ذلك » .

وفي العبارة سقط قبل قوله : « قولك » وأظن الصواب : « [وذلك] قولك » كما جاء فيما نقل عنه في الفقرة السابقة .

٢٤– ص : ٩٥ جاء في «باب لام المضمر» ما نصه: « لام المضمر هي اللام الخافضة للأسماء في خبر إنّ أو غيره ، كقولك : هذا لك ، ولكما ، ولكم ، ولهم ، وله ، وما أشبه ذلك ، كما قال تعالى : (لكم دينكم ولي دين) و(لهم أجر غير ممنون) . وهي مفتوحة مع جميع المضمرات إلا مع ضمير الواحد إذا أخبر عن نفسه ، كقولك : لي غلام ، ولي ثوب ؛ وإنما انكسرت مع الياء هاهنا لأن من شأن الإضافة أن تكسر ما قبلها إلا أن يكون حرف مدّ ولين كقولك : هـــذا ثوبي وغلامي ، ورأيت ثوبي وغلامي ، ومررت بثوبي وغلامي ، يكون على حال واحدة كما ترى » .

وهذا النص مما لم ينج أيضاً من عبث الناسخ وإحالته الكلام عن وجهه بإقحام ما يخل بمعناه تارة ، وإسقاط ما لا يقوم المعنى إلا به تارة .

وأول ما يستوقف الناظر فيه ما جاء في شطره الأول من تعريف هذه اللام بأنها « هي اللام الخافضة للأسماء في خبر إنّ أو غيره » فإنه لا يكاد يظهر لذكر « خبر إنّ » في هذا السياق وجه يعقل . وأدنى تأمل للعبارة يهدي إلى أن « إنّ » مقحمة فيها ، وباطراحها يتّجه التعريف على أن المراد بـ « الخبر » فيه الخبر الذي هو أحد ضربي الكلام – يعني أن هذه اللام هي اللام التي تخفض الأسماء سواء أكان الكلام الذي وقعت فيه خبرا كالذي مثل به من الآي ، أم إنشاء كقوله تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى) [سورة النجم : ٢١] يصدق ذلك قول المؤلف في الباب نفسه ص ٩٧ : فإن قال قائل : فإذا كانت لام المضمر هذه التي ذكرتها هي اللام الخافضة بمعنى الملك والاستحقاق في الخبر وغيره» فلمَ فتحت مع المضمر وكسرت مع الظاهر. .» فقد أودعه معنى ذلك التعريف وأوقع فيه « الخبر » بالمعنى الذي ذكرت . هذا إلى أنه قد سلف أن نبه في « باب لام الملك » على دخولها في غير الخبر بقوله ص ٤٨ : « وقـــد تدخل لام الملك في الاستفهام إذا كان المملوك غير معروف مالكه كقولك : لمن هذا الثوب ؟ ولمن هذه الدار ؟ ... » .

وربما كان أصل عبارة المؤلف في تعريف هذه اللام : « هي اللام الخافضة للأسماء إنْ في خبر أو غيره» على أن «إنْ» هي إن الجزاء حذف بعدها«كان»

واسمها . وإذا صح ذلك فلعل الناسخ ظن أن (إنْ) هذه (إنَّ الثقيلة فأخرها وأضاف لفظ (خبر) إليها .

هذا ، ولم يخل الشطر الثاني من النص مما يستنكر أيضاً ، وذلك ما جاء فيه من أن (من شأن الإضافة أن تكسر ما قبلها) . ونكارة هذا القول أظهر من أن ما تحتاج إلى بيان ، ومردّها إلى سقط في العبارة فات الناشر استدراكه ، والصواب الذي لا يكاد يخفى : لأن من شأن [ياء] الإضافة أن تكسر ما قبلها ...) . وإنما قال (ياء الإضافة) – والحديث في الياء الداخل عليها اللام الجارة – جرياً على مصطلح المتقدمين من البصريين : وذلك أن (ياء الإضافة) عندهم هي ياء المتكلم الواقعة في موضع جر سواء أجُرَّت بالحرف أم بإضافة اسم اليها . ونحو مما قال المؤلف ههنا مما وقعت فيه (ياء الإضافة) بالمعنى الذي ذكرت قول سيبويه في (باب علامة إضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم) ١/٣٨٦ : وسألته [يعني الخليل] عن قولهم : (عنيّ) و (قدني) و (قطني) و (مني) و (ولدني) فقلت : ما بالهم جعلوا علامة إضمار المجرور ههنا كعلامة إضمار المنصوب ؟ فقال : انه ليس في الدنيا حرف تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحركاً مكسوراً ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التي في (قط) ولا النون التي في (من) فلم يكن لهم بد من أن يجيئوا بحرف لياء الإضافة متحرك إذ لم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ؛ لأنها لا تذكر أبداً إلا وقبلها حرف متحرك مكسور...) وكذلك قوله في (باب ما لا يجوز فيه الإضمار من حروف جر) ١/٣٩٢ : (.. ولو اضطر شاعر فأضاف الكاف إلى نفسه قال (كِي) وكَيْ) خطأ من قبل أنه ليس في العربية حرف يفتح قبل ياء الإضافة) . ومثله قول المبرد في المقتضب ١/٢٥٥ : ... (فإن قال : فما بالك تكسرها [يعني كاف التشبيه] إذا قلت : (لست كِي) . فإنما ذلك لأن ياء الإضافة تحول كل حركة إلى كسرة ، تقول (هذا غلامي) و (ضربت غلامي) و (المال لي) .

وإنما سموا هذه الياء في كلا الحالين (ياء الإضافة) من قبل أنهم مما يسمون المجرور بالحرف (مضافاً إليه) أيضاً ، كما يسمون حروف الجر (حروف

الإضافة) لأنها (يضاف بها إلى الإسم ما قبله أو ما بعده) كما يقول سيبويه : أنظر في ذلك (باب الجر) في الكتاب ٢٠٩/١ ، و (باب الإضافة) في المقتضب ١٣٦/٤ ، وباب (ذكر المجرورات) في شرح المفصل ١١٧/٢ ، وباب (حروف الإضافة) فيه أيضاً ٧/٨ .

ومما يحسن ذكره في هذا الصدد أن لمصطلح (ياء الإضافة) عند أصحاب القراءات معنى مغايراً لمعناه عند من ذكرت من النحويين ، فهم يعنون به ياء المتكلم إطلاقاً سواء أكانت في موضع جر أم موضع نصب . انظر في ذلك النشر ١٥٥/٢ .

٢٥ – جاء في (باب اللام الداخلة في النفي بين المضاف والمضاف اليه) ص : ٩٩ – ١٠٠ ما نصه : « اعلم أن اللام إذا دخلت بين المضاف والمضاف إليه فصلته منه لفظاً ، وعاقبت التنوين ، وزالت الإضافة ولم يتعرف المضاف بالمضاف اليه ولم يتنكر به ، لأن اللام قد حجزت بينهما ، وذلك قولك : هذا غلام لزيد ، وهذا ثوب لزيد ، وهذا الغلام لرجل ، وهذا الثوب لصاحب لنا . وهذا قياس مطرد فيها ، وقد ذكرناها فيما مضى بعلتها ، إلا أنه قد تدخل هذه اللام في النفي بين المضاف والمضاف اليه غير مغيّرة حكم الإضافة ، ولا مزيلة معناها ، ولا حاذفة للتنوين ، وذلك قول العرب : لا أبالك ، ولا غلامي لزيد ، ولا يدي لك بها ، وما أشبه ذلك . قال سيبويه : أدخلوا اللام ها هنا بين المضاف والمضاف اليه مشدّدة معنى الاضافة ومؤكدة له . قال : والدليل على أن هذا الكلام مضاف إلى ما بعد اللام ، وأن اللام لم تغير معنى الإضافة قولهم : لا أبالك ، لأن هذه الألف إنما ثبتتْ في الأب في حال النصب إذا كان مضافاً ، كقولك : رأيت أباك ، ولو لم يكن مضافاً إلى ما بعد اللام لم تثبت فيه الألف ، وكذلك قولهم : لا غلامي لك ، إنما حذفت منه نون الاثنين لتقدير إضافته إلى الكاف ، ولولا ذلك لثبتت النون ؛ لأن نون الاثنين إنما تحذف للإضافة . وكذلك قولهم : لا يديْ لك ، إنما حذفت النون لتقدير الإضافة » .

وفي هذا النص موضعان مشكلان جـــاء فيهما الكلام مضطرباً ينقض بعضه بعضاً .

أما أولهما ففي فاتحة النص حيث جاء : « اعلم أن اللام إذا دخلت بين المضاف والمضاف اليه فصلته منه لفظاً وعاقبت التنوين، وزالت الإضافة ..». وموضع الإشكال في عبارة « وعاقبت التنوين » فإن معنى معاقبتها إياه أن تخلفه ، وتحلّ محله ولا تجتمع معه ، وهو نقيض المعنى المراد ، وذلك أن دخول اللام يزيل الإضافة كما قال ، ويُبطل ما يلزم عنها ، فتجتمع مع التنوين كما هو بين فيما مثل به من قوله : (هذا غلامٌ لزيد) و (هذا ثوبٌ لزيد) . ولا ريب عندي أن هذا اللفظ مما صُحّف من كلام المؤلف ، ولعل الصواب: (وصاحبت التنوين ...) .

وأما ثاني الموضعين ففي فاتحة الشق الثاني من النص حيث جاء : (إلا أنه قد تدخل هذه اللام في النفي بين المضاف والمضاف اليه غير مغيرة حكم الإضافة ولا مزيلة معناها ، ولا حاذفة للتنوين، وذلك قول العرب : لا أباً لك ، ولا غلامَيْ لزيد ، ولا يدَيْ لك بها ، وما أشبه ذلك) . وموضع الإشكال فيه لفظ (ولا حاذفة للتنوين) فإنه يؤدي إلى نقيض المعنى المراد أيضاً ؛ وذلك أن هذه اللام – وقد دخلت توكيداً – لا تزيل : كما يقول ، معنى الإضافة ولا تغير حكمها، فيظل لحاق التنوين أو ما يقوم مقامه للمضاف ممتنعاً ، ومن ثم حذفت نون التشبيه فيما مثل به لذلك من قول العرب : (لا غلامَيْ لزيد) و (لا يدَيْ لك بها) . ولعل الصواب في هذا الموضع : (ولا مصاحبة للتنوين ...) .

وأيسر خطباً مما سلف تصحيف آخر وقع فيما حكاه عن سيبويه أنه قال: (والدليل على أن هذا الكلام مضاف إلى ما بعد اللام ، وان اللام لم تغير معنى الإضافة قولهم : لا أباً لك ، لان هذه اللام إنما تثبت في الاب في حال النصب إذا كان مضافاً كقولك : رأيت أباك ..) فإنه لا وجه لإيقاع الفعل الماضي في عبارة التعليل والصواب البيّن : (لأن هذه اللام إنما تثبت ...) بصيغة المضارع .

٢٦ — استشهد المؤلف ، بقول الأسود بن يعفر :

ومن البلية لا أبالك أنني ضَربتْ علي الأرض بالأسداد

وضبط الناشر (ضربت) بفتح الضاد على البناء لما سمي فاعله،والصواب: (ضُرِبتْ) بالبناء لما لم يسم فاعله . والبيت من مفضلية الأسود المشهورة ، ومعناه كما قال ابن الأنباري في شرح المفضليات ، ص : ٤٤٦ : (أي سُدّت علي الأرض للضعف والكبر ، أي عمي علي أمري فصرت لا أتجـه جهته ، فكأن المسالك مسدودة علي ...) .

٢٧ — عقد المؤلف ص : ١١٧ — ١٢٤ لـ (اللام الفارقة) باباً جاء عنوانه (باب اللام التي تلزم (إن) المكسورة الخفيفة من الثقيلة) ثم جاء في مفتتح هذا الباب : (أعلم أن لـ (إن) المكورة المخففة أربعة مواضع ...) .

والوجه أن يقال في العنوان (... المخففة من الثقيلة) كما جـاء في قول المؤلف : ... وذلك أن تكون مخففة من الثقيلة ، وأن يقال فيما تلا ذلك : (الخفيفة) . والظاهر أن عكس الأمر من تصحيف الناسخ .

٢٨ — ص : ١١٧ جاء في الباب نفسه أيضاً في الحديث عن (إن) الزائدة ما نصه :(وتكون زائدة كما تقول: لما إن جاء زيداً أحسنت اليه ، والمعنى، لما جاء زيد ، و (إن) زائدة .

وإني لفي شك من أن يكون هذا كلام المؤلف بنصه ، وأكبر ظني أن هذا الموضع مما عُبث فيه بكلامه أيضاً ؛ وذلك أنه ما من أحد من أئمة العربية المتقدمين يثبت – فيما أعلم – مجيء (إنْ) زائدة بعد(لما).والمعروف أنها تزاد كثيراً بعد (ما) النافية ، وقد تزاد بعد (ما) المصدرية الظرفية و (ما) الموصولة الاسمية لشبهها لفظاً بـ (ما) النافية ، وربما زيدت بعد (ألا) الاستفتاحية ، وقبل مَدّة الإنكار . انظر في كتاب سيبويه ١/٤٧٥، ٢/٣٠٥ ، ٣٠٦ ، والمقتضب ١/٥١، ٢/٣٦٣ ، وشرح المفصل ٨/١٢٨ — ١٣١ ومغني اللبيب ، ص ٢٥ ، ٦٧٩ (ط. محيي الدين عبد الحميد) . وأما ما يزاد بعد (لما) فإنما هو (أن) الخفيفة المفتوحة الهمزة ، كقوله تعالى : (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) [سورة العنكبوت : ٣٣] وقوله : (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه) [سورة يوسف : ٩٦] .

ولا أستبعد أن يكون أصل ما قاله المؤلف ههنا : (وتكون زائدة كما تقول : (ما إن جاء زيد) والمعنى : ما جاء زيد ، و (إن زائدة) . يعزز ذلك أن كل ما قاله ههنا في بسط وجوه (إن) الخفيفة يشبه أن يكون مأخوذاً من كلام أبي العباس المبرد – شيخ شيخه – في المقتضب ١/٤٩ – ٥١ و ٢/٣٦٢ – ٣٦٤. وكلام المبرد يشبه أن يكون بسطاً لما قاله سيبويه ١/٤٧٥ وكلا الرجلين لم يثبت – في المواضع المذكورة – مجيئها زائدة إلا بعد « ما » النافية .

وما أدري كيف فات الناشر المحقق أن يعلق على هذا الموضع من الكتاب وقد مر تحت ناظريه قول ابن هشام في ختام حديثه عن مواضع زيادة«إن» في مغني اللبيب ، ص : ٢٢ من الطبعة التي قام عليها هو وزميله : « وزعم ابن الحاجب أنها تزاد بعد «لما» الإيجابية ، وهو سهو ، وإنما تلك « أن » المفتوحة .

ومن الغريب أن المحقق الرضي تابع في شرح الكافية ٢/٣٨٤ ابن الحاجب على ما قال غير آبه إلى أنه سهو منه؛ إلا أنه نبه على أن زيادة «أن» المفتوحة بعد « لما » هي المشهورة .

٢٩ – ص : ١٢٠ – ١٢١ ذكر المؤلف في الباب نفسه أن الكوفيين يسمّون اللام اللازمة لـ (إن) المخففة من الثقيلة (لام إلاّ) وأنهم يذهبون إلى أن (إن) هذه هي النافية بمعنى (ما) ، وغلّطهم في ذلك ؛ لأن اللام – كما يقول – للإيجاب والتحقيق ، و (ما) للنفي ، فلا يجوز اجتماعها في حال فيكون الكلام محققاً منفيا . ثم أورد على ما قال اعتراضاً وأتبعه الجواب . ونص الاعتراض كما جـــاء في هذه المطبوعة : (فإن قال قائل : فإنك إذا اعتمدت على أنّ إذا كان في خبرها اللام لم تكن بمعنى ما ، لأن اللام للتحقيق وما للنفي، والجمع بينهما خطأ في شيء واحد ، فأنت قد تقول: ما زيد إلا قائم ، فتجمع بين (إلا) و (ما) في كلام واحد ، و (إلا) محققة و (ما) نافية ، فما أنكرت أن يكون معنى قولهم : إن زيداً لقائم :

بمعنى ما زيد إلا قائم ، فتكون إن للنفي واللام للإيجاب يجوز الجمع بينهما كما جاز الجمع بين (إلا) و (ما) .

وفي هذا النص قلق بيّن مردّه إلى سقط في موضعين منه وتأخير ما حقه التقديم في ثالث .

وأول السقطين في العبارة الأولى منه : (... فإنك إذا اعتمدت على أنّ إذا كان في خبرها اللام لم تكن بمعنى ما) فإنها خلت من اسم لـ (أنّ) والصواب الظاهر « ... فإنك إذا اعتمدت على أنّ [« إنْ »] إذا كان... »

وثانيهما في العبارة الأخيرة منه : « ... فما أنكرت أن يكون معنى قولهم : إن زيداً لقائم بمعنى : ما زيد إلا قائم ، فتكون إن للنفي واللام للإيجاب يجوز الجمع بينهما ... » والصواب الظاهر أيضاً : « ... فتكون إن للنفي واللام للإيجاب [و] يجوز الجمع بينهما ... » .

وأما التقديم والتأخير ففي هذه العبارة : « ... والجمع بينهما خطأ في شيء واحد » . والصواب :« وخطأ الجمعُ بينهما في شيء واحد » أو « والجمع بينهما في شي واحد خطأ » .

٣٠ – ص : ١٢١ جاء في الباب نفسه أيضاً ما نصه : « ... ومن ذلك قول الشاعر :

هبلتك أمك إن قتلتَ لمسلما   حلت عليك عقوبة المتعمد

معناه : أنك قتلت مسلما ، فلما خُففّت إنّ بطل عملها ... » .

والصواب : « معناه : إنك قتلت مسلما ، فلما خُففّت إنّ ... » .

والظاهر أن ما في المطبوعة خطأ مطبعي فات الناشر استدراكه في « مسرد الخطأ والصواب » .

٣١ – ص : ١٧٥ – ١٧٦ ذكر المؤلف أنه يمتنع تقديم شيء مما بعد لام الابتداء عليها لأنها حاجزة فاصلة . وأما لام « إن » فذكر أن البصريين والكوفيين جميعاً يجيزون أن يتقـــدم عليها معمول الخبر ، نحو « إن زيداً طعامك لآكل » وأنهم احتجوا في جواز ذلك بأن دخول هذهاللام وخروجها

سواء . ثم جاء عقب ذلك ما نصه : « وعندي أن الأمر على خلاف ما ذهبوا اليه . ولو كان كذلك لوجب اجازة تقديم المنصوب بخبر الابتداء على لام الابتداء في قولك : « لزيد آكل طعامك » فكان يلزم أن يقال : طعامك لزيد آكل ؛ لأن دخول هذه اللام وخروجها سواء ، كدخولها في خبر إن وخروجها ، فجاريت في ذلك أبا اسحاق الزجاج فقال : لام الابتداء مقدرة قبلها يمين فهي جواب القسم ، فألزمته مثل ما ذكرت لك في لام الابتداء في هذا الكتاب ، والفرق بينها وبين لام القسم من أن يكون الرجل اذا قال : لزيدٌ قائم ، وزيد غير قائم ، انه حانث وتلزمه كفارة اليمين . فقال: ذلك غير واجب ، لأن هذه اللام تؤكد تأكيد لام القسم ، والقول في ذلك أنه إنما امتنع من تقديم هذه اللام عليها ، لأنها لام الابتداء ، ولها صدر الكلام ، ولا يسبق الابتداء شيء ، وجاز تقديم ما بعد لام إن عليها من المنصوب بخبرها ، لأنها في الحقيقة مقدرة قبل إن ، فكأن المقدم قبلها وقع بينها وبين اسم إن مؤخر بعدها في الترتيب فجاز لذلك » .

وفي هذا النص أشياء من التحريف والسقط :

أما التحريف ففي هذه العبارة : « من أن يكون الرجل اذا قال : لزيد قائم ، وزيد غير قائم ، انه حانث وتلزمه كفارة اليمين » فإن ايقاع جملة « إن » خبراً لـ « الكون » لا يستقيم . فإما أن يكون لفظ « إنه » مقحماً فيجب انتصاب « حانث » وإما أن يكون صواب الشطر الأول من العبارة : « ... من أن يقال للرجل إذا قال ... » . وبنحو ذلك كان قد عبر عن هذا المعنى في الموضع الذي أشار إليه ، وذلك قوله ص ٧٠ : « ألا ترى أن من قال : لزيد قائم ، محققاً لخبره لم يقل له : حنثت ، إن كان زيد غير قائم » .

وأما السقط ففي موضعين :

أولها في هذه العبارة : « والقول في ذلك أنه إنما امتنعَ من تقديم هذه اللام عليها ، لأنها لام الابتداء ... » . والصواب الظاهر الذي يدل عليه السياق : « ... تقديم [ما بعد] هذه اللام عليها ... » كما قال في السطر التالي : « وجاز تقديم ما بعد لام إن عليها من المنصوب بخبرها ... » .

ويغلب على ظني أن « من » بعد فعل « امتنع » مقحمة في كلام المؤلف، وبإسقاطها تكون العبارة أشبه بأسلوبه . فإن لم تكن كذلك فالوجه أن يضبط « امتنع » بالبناء لما لم يسمّ فاعله .

وثاني الموضعين في هذه العبارة : « ... فكأن المقدم قبلها وقع بينها وبين اسم إن مؤخر بعدها في الترتيب فجـــاز لذلك » فإنها مضطربة ، وأظن صوابها : « فكأن المقدم قبلها [إذا] وقع بينها وبين اسم إن مؤخر بعدها ... » .

وكان يجدر بالناشر أن يجعل الشطر الأخير من هذا النص ابتداء من قوله: « والقول في ذلك ... » فقرة على حيالها ، أو أن يضع – على الأقـل – بينه وبين ما تقدمه النقطة (.) المؤذنة بابتداء كلام جديد ، لا أن يكتفي بأن يضع بينهما هذا الفاصل (،) فإن ذلك يوهم أن ما بعده داخل في مقول الزجاج ، على حين أنه من كلام المؤلف نفسه ، وقد بسط فيه ما اتجه له من رأي في علة جواز أن يتقدم على لام « إن » معمول خبرها، وهو القول الذي ألم إليه في فاتحة هذا النص عندما دفع مقالة من تقدمه من النحويين في ذلك.

٣٢ – جاء ص : ١٧٧ – ١٧٨ ما نصه : « ... وأما قول الشاعر :

... ... ولكنني من حبهـــا لكميد

فإنما أراد : ولكنّ إنـّني من حبها لكميد ، فأدخل اللام في خبر إن . وهذا مثل قول الله تعالى : (لكنـّا هو الله ربي) على قراءة من قرأ بإثبات الألف ، وأصله عند العلماء أجمعين على هذه القراءة : لكن أنا هو الله ربي ، فألقيت الهمزة تخفيفاً ، وأدغمت النون الأولى في الثانية ، وكذلك الشاعر لما قال : لكنّ إنني ، فحذف الهمزة ، بقيت نون لكنْ ساكنة خفيفة ، وبعدها ساكن ، فحذف نون لكنْ لالتقاء الساكنين ، وكان سبيله أن يكسرها ، ولكن حذفها في الشعر جائز ... » .

وقد ضبط الناشر « لكن » في قوله :« .. فإنما أراد : لكن إنني ..» وقوله : « وكذلك الشاعر لـــا قال : لكن إنني ... » بتشديد النون ،

والصواب « لكنْ » بإسكانها في كلا الموضعين ؛ يدل على ذلك ما ذكره في ثانيهما من أن نون « لكنْ » بقيت ساكنة خفيفة بعد حذف الهمزة — يعني من « إنني » — فحذفت للقائها ساكناً . وإلى نحو ما ذهب اليه المؤلف في تأويل هذا البيت ذهب ابن يعيش في شرح المفصل ٦٤/٨ وصرح بأن قائله أراد « لكن » الخفيفة ، وذلـــك قوله : « ... وصحة حمله على أنه أراد « لكن » الخفيفة فأتى بـ « إنّ » بعدها ، والتقدير : لكنْ إنني ، فحذفت الهمزة تخفيفاً وأدغمت النون في النون فقيل : « ولكنني » على حد قوله تعالى (لكنا هو الله) والأصل : لكن أنا هو الله ، فحذف وأدغم » . إلا أن ابن يعيش وهم حيث زعم أن النون أدغمت في النون بعد حذف الهمزة من«إنني»؛ إذ لا سبيل الى الإدغام في مشدد ، ثم انه لو أدغم لالتقى أربع نونات . والصحيح أن نون « لكنْ » حذفت كما قال الزجاجي . وانظر شرح الكافية ٣٥٨/٢ ، ومغني اللبيب ، ص : ٢٩٢ (ط. محيي الدين عبد الحميد) .

وفي هذا النص شيء آخر كان يجدر بالناشر أن يتنبه له فلا يخليه من تعليق عليه ، وهو ما جاء فيه من أن العلماء مجمعون على أن الأصل في قوله تعالى : (لكنا هو الله ربي) على قراءة من قرأ بإثبات الألف : لكنْ أنا هو الله ربي فتخصيص هذا التأويل بقراءة إثبات الألف — وهي كما في النشر ١٩٨/٢ قراءة أبي جعفر ، وابن عامر ، ورواية رويس عن يعقوب — دون قراءة من قرأ بإسقاطها — وهي قراءة باقي العشرة — قول غثّ يستغرب صدوره عن مثل الزجاجي . ولا يبعد عندي أن يكون ما يفيد التخصيص مما علقه من لا بصر له في العربية في حاشية أصل قديم من هذا الكتاب ثم أقحمه النساخ في متنه. وذلك أنه لا خلاف بين العلماء في أن التأويل الذي ذكره المؤلف هو الأصل في هذه الآية على كلتا القراءتين ، وإن اختلفوا فيما وراء ذلك مما سيأتي ذكره. ووجه ذلك أن هذه الألف هي ألف « أنا » والقراء مجمعون على إثباتها في الوقف ، وإنما اختلافهم في الوصل . وألف « أنا » إنما تجتلب — في اللغة العليا — في الوقف خاصة لتبيّن بها حركة النون ، وأما في الوصل فلا تثبت فيها إلا في اضطرار الشعر . ومن ثم غلا أبو حاتم فوصم قراءة من أثبتها في

هذه الآية وصلا باللحن ، على حين استحسن ذلك الزجاج لأن في إثباتها عوضاً من حذف الهمزة . وقد حكي أن من لغة تميم إثبات ألف « أنا » في الوصل ، وعلى هذه اللغة حمل بعضهم قراءة أبي جعفر ومن معه . وذهب آخرون إلى أنها مما أجرى فيه الوصل مجرى الوقف . انظر في ذلك كله معاني القرآن ، للفراء ٢/١٤٤ — ١٤٥ ، والكشاف ٢/٧٤ (ط. التجارية) وشرح الشافية للرضي ٢/٣٢٤، وشرح شواهده، ص: ٢٥٥، والبحر المحيط ٦/١٢٧ — ١٢٨ وإبراز المعاني ، ص٣٨٣ ، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ، ص : ٨٤٢ ، ومغني اللبيب ، ص : ٢٨٠ (ط. محيي الدين عبد الحميد) و ص : ٤٢٥ (ط. الدكتور مبارك وزميله) وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه، ص : ٥، وتفسير القرطبي ١٠/٥٠٤ . وشرح المفصل ٩/٨٢ — ٨٣ . وانظر أيضاً ما سلف نقله عن الأخير ٨/٦٤ ، وما أحيل عليه من كلام المحقق الرضي في شرح الكافية ٢/٣٥٨ .

ونظير هذه الآية ما أنشده الفراء من قول الشاعر :

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكنّ إيّاك لا أقلي

قال : « يريد : لكنْ أنا إياك لا أقلي » . وكذلك ما سمعه الكسائي من قول العرب : « لكنّ والله ... » يريدون : لكنْ أنا والله ، وقولهم : « إنّ قائم » أي : إنْ أنا قائم . وسُمِع أيضاً « إنّ قائمًا » أي : إن أنا قائمًا ، على إعمال « إنْ » النافية . انظر معاني القرآن ، للفراء ٢ / ١٤٤ — ١٤٥ ، ومغني اللبيب ، ص ٢٤ (ط. محيي الدين عبد الحميد) .

وأما ما تقدمت الإشارة إلى اختلافهم فيه فهو وجه حذف الهمزة من « أنا » في الآية وما أشبهها ، فذهب بعضهم إلى أن حركتها نقلت من النون الساكنة قبلها ثم أسقطت على القياس في التخفيف بالنقل ، ثم سكنت النون وأدغمت إجراء لغير اللازم مجرى اللازم ، وبهذا أخذ أبو الفتح بن جني في الخصائص ٢ / ٣٣٢ — ٣٣٣ ، و ٣ / ٩٢ ، والمحتسب ٢/٢٩ ، وابن الشجري في أماليه ١/٣٠٨ ، على حين ذهب آخرون إلى أن الهمزة حذفت اعتباطاً على غير قياس ، فأدغمت النون الساكنة في المتحركة ، وهو الظاهر من كلام

المؤلف ، وبه أخذ ابن هشام، ورد المذهب الأول بأن المحذوف لعلة كالثابت، فيمتنع الإدغام لأن الهمزة فاصلة بين النونين في التقدير .

على أن من النصفة للناشر المحقق أن يذكر له أنه كان حفيا بقارئه حريصاً على أن يذلل له ما استصعب ، فلم يخل تعليقاته من شرح لما قدّر أن يستغلق عليه ، وله في هـــذا الباب طرائف (أنظر مثلاً تعليقه ص : ٤١ على كلام للمبرد والمازني وغيرهما في بعض الآي، وتعليقه ص : ١٤١ على تعريف المؤلف للام التكثير) . وكذلك لم يدع أن يستدرك على المؤلف في مواضع صحّ عنده أنه أدركه فيها السهو ، أو أخطأه دقة التعبير . إلا أن في بعض شروحه واستدراكاته نظرا :-

فمن ذلك قول المؤلف ، ص : ١٤ - ١٥ في معرض الرد على الفراء : « ... وذلك أن العرب قد أجمعوا على أن الملغى لا يبتدأ به ، لا يجوز أن تقول : ظننت زيد منطلق ، على إلغاء الظن وقد بدأت به » . علق عليه الناشر بقوله : « لعل الأدق أن يقول : إن أكثر النحويين البصريين على أن الملغى لا يبتدأ به . وذلك لأن الإجمـــاع لم ينعقد على ذلك ، فقد خالف الكوفيون وغيرهم » ثم نقل عن ابن عقيل كلاماً جاء فيه أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز إلغاء المقدم وتبعهم في ذلك أبو بكر الزبيدي وغيره . وفات الناشر أن المؤلف إنما قال : « ... وذلك أن العرب قد أجمعوا » ولم يقل : « ... وذلك أن النحويين قد أجمعوا » ومراده أنه لم يصح عن العرب الموثوق بعربيتهم شاهد ألغي فيه المتقدم ، ولو أراد إجماع النحويين لصرح بذلك كما قال بعد سطرين : « ... وإجماع العرب والنحويين على إجازة : ما قام القوم إلا زيد » . فإن كان لا بد من اعتراض أو استدراك عليه فالوجه أن يكون ذلك بتصحيح ما احتج به المخالفون من شواهد على إلغاء المتقدم .

ومنه أيضاً أن المؤلف ذكر ص : ١٧ - ١٨ أن الخليل ذهب إلى أن الألف واللام اللتين للتعريف كلمة واحدة مبنية من حرفين ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

دع ذا وعجل ذا وألحقنا بذلْ　　　بالشحم إنا قد مللناه بجلْ

قال : « أراد أن يقول : ألحقنا بالشحم فلم تستقم له القافية ، فأتى باللام ثم ذكر الألف مع اللام في ابتداء البيت الثاني فقـــال : الشحم ... » وعلق الناشر على قـــوله : « في ابتداء البيت الثاني » مستدركاً فقال : « يريد : الشطر الثاني » وفـاته أن الرجل إنما قال مـا قال على بصيرة ، وأن الشاهد بيتان من مشطور الرجز لا بيت واحد من مصراعين . وبنحو ذلك عبر أبو الفتح بن جني عن هذا المعنى في كلامه على الشاهد في المنصف ١ / ٦٦ ، بل لقد ذهب أيضاً إلى أن إعادة الراجز لـ « ال » أحد ما يدل على أن ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف بيت على ما ذهب إليه أبو الحسن. انظر كلامه ثمة، وانظر أيضاً الخصائص١/٢٩١ .

ومنه أيضاً قول المؤلف ص ٩١ : « ... وأجمع البصريون على أن هذا الفعل [يعـــني فعل الأمر] إذا كان بغير اللام فهو غير معرب ... » . فسّره الناشر المحقق بقوله : « يريدون أنه مبني على السكون » وندّ عنه أن هذا التقييد لا يصح ، وأن فعل الأمر في نحو قول الشاعر :

تحلل وعالج ذات نفسك و(انظرن)   أبا جعل لعلّها أنت حـــالم

مبني على الفتح، وأنه في نحو « ارقَ على ظلعك » و« أرخ يديك واسترخ إن الزناد من مرخ » و « انجُ سعد فقد هلك سُعيد » مبني على حذف حرف العلة ، وأنه في نحو قوله تعالى : (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) [سورة ق آية ٢٣] وقوله : (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب) [سورة المرسلات : ٣٠ – ٣١] وقول العرب : « ليس هذا بعشّكِ فادرجي » مبني على حذف النون .

دمشق   أحمد راتب النفّاخ

العرب   الكلمة الآن للأستاذ الدكتور مـــازن المبارك . إذا رغب التعليق على هــذا النقد .

دعــــوة للعلماء لتبيـــين :

حدود عرفات ـ مزدلفة ـ منى

- ٢ -

وادي مُحسّر :

قال تقي الدين الفاسي : محسر الموضع الذي يستحب للحاج الإسراع فيه، هو وادٍ بين منى والمزدلفة على حدهما وليس منهما ، أشار إلى ذلك النووي في «الإيضاح» والمحب الطبري في « القرى » ونقل صاحب «المطالع» ما يدل على أن بعض محسر من منى وبعضه من المزدلفة وصوب ذلك ، وذكر سليمان بن خليل والمحب الطبري ما يدل على أن محسر الموضع الذي يقال له وادي النار وهو مشهور بذلك إلى الآن ، ويقال ذلك أيضاً للموضع الذي ينزله الآن بنو حسن بمنى ، وبينه وبين محسر غلوات . ولعل ذلك لقربه من محسر ، ويقال لمحسر المهلل لأن الناس إذا وصلوا إليه في حجهم هللوا فيه وأسرعوا السير في الوادي المتصل به ، والمهلل المشار إليه مكان مرتفع عنده بركتان معطلتان بلحف قرْنِ جبل عالٍ يتصل بها آثار حائط ويكون ذلك كله على يمين الذاهب إلى عرفات ويسار الذاهب إلى مِنى ، ولما عرّفه ابن الصلاح قال : وادي محسر من القرن المشرف من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى منى . ثم قال : وأهل مكة يسمونه وادي النار ، وكون محسر عند الموضع الذي يقال له المهلل أمر مشهور عند الناس ، ويؤيد ذلك بأن من رأس المهلل إلى منتهى منى من جهة مكة وهو طرف العقبة التي هي حد منى سبعة آلاف ذراع ومائة ذراع وتسعة بتقديم التاء وثلاثون ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد (١) .

وعن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال : « كل عرفات موقف وارفعوا عن عرنات ، وكل مزدلفة موقف وارفعوا عن محسر، وكل فجاج منى منحر »

---

(١) : « المناسك وأماكن طرق الحج » ص ٥٠٧ .

رواه أحمد والبزار والطبراني في « الكبير » إلا أنه قال : « وكل فجاج مكة منحر » ورجاله موثوقون [1] .

٣ – حدود منى :

١ – وقال الأزرقي : حدثني جدي قال حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ : « عرفة كلها موقف ، وفجاج منى كلها مَنْحر ، ومزدلفة كلها موقف »[2] .

٢ – ونقل الأزرقي عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أين منى ؟ قال من العقبة إلى مُحَسِّر . قال عطاء : فلا أُحِبُّ أن ينزل أحدٌ إلا فيما بين العقبة ومُحَسِّر .

٣ – وقال في كتاب « المناسك » : أول حد منى من ناحية مكة جمرة العقبة ، إذا جئت من مكة فأنت في هبطة حتى ترقى في العقبة إلى منى ، ومنى في ارتفاع ، ولا تزال في استواء في ارتفاع ذاهباً تريد المزدلفة ، فإذا صرت إلى أن تهبط فذاك آخر منى ، وذلك الهبوط في وادي محسّر ، فلا تزال في ذلك الوادي حتى تصعد مرتفعاً عن الهبوط ، فإذا صعدت فأنت حينئذ في الخروج من الوادي ، ثم إذا علوت فهناك من يمينك وأنت ذاهب من منى إلى عرفات قرن ، جبل مائي (؟) ، فذلك آخر وادي محسّر ، فإذا جاوزت آخر ذلك القرن فأنت في المزدلفة ، ومحسر بين مِنَى والمزدلفة ، فما كان من آخر محسر فليس من منى ، ومحسر يلاصق منى ، وما كان من آخر محسر مما يلي المزدلفة ، ومنتهى المزدلفة يلاصق محسراً ، هذا القرن الذي وصفت لك عن يمين الذاهب إلى عرفات وهو أول المزدلفة وآخر وادي مُحسّر ومنى بين واديَين [3] .

---

(١) « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » ٣ / ٢٥١ .

(٢) ص ٤٢٠ (طبعة اوربة) .

(٣) « المناسك » ٥٠٥ / ٥٠٦ .

٤ — وقال مؤرخ مكة أبو الطيب الحسني الفاسي :

منى : من أعلى العقبة التي فيها الجمرة التي تلي مكة المعروفة بجمرة العقبة إلى وادي محسّر، وقد حَدّ مِنى بذلك عطاءُ بن أبي رباح فيما ذكره عنه الفاكهي لأنه قال حدثنا الزبير بن أبي بكر قال حدثني يحيى بن محمد بن ثوبان عن رباح الزنجي بن خالد عن ابن جريج عن عطاء قال : حدُّ مِنى رأس العقبة مما يلي مِنى إلى المنحر ، وقوله : إلى المنحر تصحيف وصوابه : إلى محسر لأنه حد منى من جهة المزدلفة على ما قال غير واحد من العلماء ولم يقل أحد أن المنحر حدُّ منى ، وما ذاك إلا لبعده جداً عن محسر ، وقربه إلى حد منى من جهة مكة ، وما ذكرناه عن عطاء يفهم أن أعلا العقبة من منى . وذكر الإمام الشافعي ما يقتضي أن العقبة ليست من منى لأنه قال : وحد منى ما بين قَرْنَين وادي محسر إلى العقبة التي عندها الجمرة الدنيا إلى مكة ، وهي جمرة العقبة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار عندها وليس محسر ولا العقبة من منى ، أما الجبال المحيطة بجانبيها فما أقبل منها على مِنى فهو منها وما أدبر من الجبال فليس منها هكذا نقل عنه سليمان بن خليل في منسكه . وقال المحب الطبري ، بعد أن ذكر في حدّ منى معنى هذا : والعقبة التي تنسب إليها الجمرة منه . قلت : كلام المحب الطبري في « القرى » صريح في أن جمرة العقبة من منى ونقل عنه ابن جماعة في منسكه على ما أخبرني به عنه خالي انه قال : إن العقبة من منى . ولم ينقل عن أحد أن الجمرة ليست من منى وهذا يخالف ما يقتضيه كلام الشافعي والنووي من أن العقبة ليست من منى والله أعلم بالصواب ، وذكر الرافعي أن بين مكة ومنى ستة أميال، وتعقب عليه ذلك النووي وقال : إن بينهما ثلاثة أميال. وجزم بذلك في غير موضع من كتبه . وذكر المحب الطبري في « القرى » إن منى من مكة على أربعة أميال ذكر ذلك في الترجمة التي ذكر فيها اتّساع منى وأسماءها ، وقد حررنا ذلك بالأذرع والأميال على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل ، فأما مقدار ما بين باب بني شيبة ومنى بالأذرع فإنه ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعاً ، يكون ذلك أميالاً على

القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وأربعة أخماس ميل وخُمسُ عُشر ميل بنقص ذراعين، وأما مقدار ما بين باب المعلاة وحدِّ منى من جهة مكة فهو أحد عشر ألف ذراع ومائتـا ذراع واحد وأربعون ذراعاً وسبـع ذراع يكون ذلك أميالاً ثلاثة أميالوخمس ميل وخُمسُ خُمسِ عُشرِ ميلٍ يزيد ذراعاً وسُبْعُ ذراعٍ[1] . انتهى

وأقول : ألا يمكن الاستدلال بحديث : « فجاج منى كلها منحر» وبقول صاحب المطالع[2] بأن بعض محسر من منى ، وبأن النهي يتعلق ببطن محسر لا به كله كما يفهم من (قدر رمية حجر) وبحديث « وما سكت عنه رحمة بكم » على أن الموضع الذي أشار اليه فضيلة الأستاذ الشيخ ناصر في جنوب منى ، هو من منى ؟.

الفَجُّ لُغةً :

الفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ وقيل : في جبل أو في قُبُل جبل ، وهو أوسع من الشعب . الفج : المضرب البعيد ، وقيل : هو الشعب الواسع بين جبلين ، وقال ثعلب : هو ما انخفض من الطرق وجمعه فجاج وأفجة ، الأخيرة نادرة ، قال جندل ابن المثنى الحارثي :

يَجتْنَ من أفِجّة مناهج .

وقوله تعالى : (من كل فج عميق) قال أبو الهيثم : الفج الطريق الواسع في الجبل . وكل طريق بَعُد ، فهو الفج . ويقال افتج فلان افتجاجا إذا سلك الفجاج . وفي حديث الحج : « وكل فجاج مكة مَنْحَر » هو جمع فجّ ، وهو الطريق الواسع ومنه الحديث : أنه قال لعمر : ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجًا غيره ، وفج الروحاء سلكه النبي ﷺ إلى بدر ، وعام الفتح والحج[3] .

(١) : « شفاء الغرام » ص ٩٩ ، طبعه أوروبة .

(٢) : « مطالع الأنوار على صحاح الآثار » تأليف ابي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن قرقول المتوفى سنة ٥٦٩ .

(٣) : « لسان العرب » – فج – .

الخلاصة :

١ – القيام بتحديد أمكنة المشاعر في هذا العصر من الأمور التي تنبغي المبادرة إليها .

٢ – المسلمون في هذا العصر ممن يؤدي فريضة الحج بلغوا عدداً أربى على عددهم في عهد الرسول ﷺ أضعافاً مضاعفة .

٣ – المسمّيات القديمة عرضة للتغيّر في كل زمان، فعرفة ومزدلفة ومِنى قد تكون في عهد الرسالة معروفة لأهل ذلك العصر ، وهي وان كانت معروفة الآن غير أنه لا يمكن الجزم بأن المسمى ينطبق على ما كان معروفاً انطباقاً كامِلاً .

٤ – لعرفة حدود طبيعية من شرقها – الجبال – ومن غربها وادي عُرَنة ، ومن جنوبها وادي وصيق الذي ينحدر من جبلي سعد وكبكب ويجتمع بوادي عرفة . ويبقى الحدُّ الجنوبي .

٥ – حدود مزدلفة طبيعية وواضحة فمن جهة مِنى وادي محسر ، ومن جهة عرفة المأزمان ، وهما معروفان .

٦ – حدّاً مِنى من جهة مكة العقبة الكبرى ، ومن جهة مزدلفة وادي محسر ومن الجهتين الشرقية والغربية الجبال ، أما الفجاج والشعاب التي بينها وما أقبل منها إلى منى فهي داخلة في حدود منى ، وتبقى الأرض الواقعة فيما بين الشمال الشرقي من مزدلفة وبين منى ، فتلك محلُّ للنظر إذا لم تعتبر من فجاج منى ، ولم يؤخذ بقول صاحب « المطالع » أن جزءاً من محسر من منى .

وبعد : فما كلُّ ما تقدم سوى عرض لأقوال وآراء كلها محلٌ للنظر والدراسة من علمائنا المعنيين بالشؤون الدينية، ومن هم – دون شكّ – أوسع اطلاعاً وأغزر معرفة وأقوى علماً بهذه الأمور ، والله الموفق .

مَعَ ٱلقُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

١ ـــ ملاحظات واستدراكات

[طالع الأخ الاستاذ حمـــد بن محمد العبيدي أجزاء متفرقة من مجلة « العرب » وسجل هذه الملاحظات التي ننشرها مقرونة بالشكر والاستزادة]

ـ ٢ ـ

وفي نفس الجزء صفحة ٦٧٠ السطر ١ القواودة الخ .. الذي أعرف أن القواودة فخذ من البقوم لا من سُبَيع .

وفي الجزء التاسع صفحة ٨٢٣ سطر ١٧ الموارت الخ.. أعرف أن للبنادق أسماء عديدة لدى البادية فالمارتين بندقية فرنسية وهذا هو اسمها أيضاً كذلك النيمس بندقية نمساوية الصنع ، وأم اصبع بندقية إيطالية والحَدْش وأم عشر بندقيات إنجليزية ويابانية والمطبق والماني بندقيات ألمانية إلى جانب عديد الأنواع والمسميات الأخرى .

وفي الجزء العاشر صفحة ٩٦٠ سطر ٩ كراع عويمر الخ .. فالمعروف أن الكراع أو كراع الغميم هذا اسمه من قبل الإسلام ويوجد واد يقع جنوب شرق كراع يسمى وادي عُوَيمر وتجري سيوله نحو خليج أبحر بعد أن تلتقي بروافد أخرى من الحرة والجبال الشرقية .

وفي نفس الجزء ونفس الصفحة سطر ٢٠ الشاعر محمد سليمان الأحمد من بلدة جبلة الواقعة جنوب مدينة اللاذقية على بعد ٢٨ كيلاً .

وفي الجزء الحادي عشر صفحة ٩٩٦ سطر ٨ بستان ابن عامر الخ.. أرجح أن ما يعرف اليوم بالعين الجديدة وقد سحبت مياه عينها إلى مكة المكرمة حالياً هو بستان ابن عامر .

وفي نفس الجزء صفحة ٩٩٧ سطر ٧ كراع الغميم الخ .. لا أعرف فيما بين

الكراع وعسفان آباراً زراعية أو آثاراً تدل على أنه كانت هناك زراعة خلاف عين شمشاء ، وهي شهيرة وقديمة بزراعة النخيل .

وجـاء في الجـــزء الأول من السنة الرابعة صفحة ٦ البتيلة الخ أذكر شطر بيت لشاعر بدوي ركب سيارة ووصف مسراحها ومقيالها ولا يحضرني إلا قوله : والبتيلة مقيل له . والبتيلة كما هو معروف تقع في طريق مكة إلى الخرمة وهي عدّ .

وفي الجزء الثاني صفحة ١٠٧ سطر ١٥ مغيراء الخ .. أعرف قرية أخرى تقع في وادي القرى قبل العُلا ، تسمى أيضاً مغيرا .

وفي نفس الجزء صفحة ١٨٣ سطر ١٥ وادي البيض الخ وهو من الأدوية المعروفة في منطقة جازان ودفن فيه المرحوم الشريف خالد بن لؤي عندمـا توفي هنالك على أثر مرض والوادي مجـــاور لوادي عِتْـوِد وهما بعيدان عن الليث وليسا شمالاً عنه بل جنوباً وارجح انه جرى خلط عند ضف الحروف فيما بين البيض والبيضا التي تقع شمال شرق الليث .

وفي الجزء الرابع من السنة الرابعة صفحة ٣١٣ سطر ١٢ مثلثة الخ مثلثة تقع في الضفة الغربية لوادي الشُّبرم ويتركها القادم من المهد إلى عفيف على يساره كعلم واضح للطريق الصحراوي وهنالك مثلثة اخرى تشبهها كل الشبه يتركها القادم من عفيف إلى حِسْي عَلْيَا على يساره جنوب غرب .

وجاء في نفس الجزء صفحة ٣٤١ سطر ١٤ المنتهبة الخ توجد أيضاً صحراء تقرب من نفس الاسم وتسمى المتهبة وتقع خلف العرمة .

وفي نفس الجزء صفحة ٣٤٧ سطري ١٠ — ١٢ اشداخ واظلم الخ أعرف جبلين يقال للاول شدخ ويقع في طريق المدينة إلى المهد فبعد أن نترك الشقرة خلفنا والهرمة على يميننا يظهر شدخ جبـــل أسود منطقع عن حرة الهرمة وعندما نترك الشعبة ونحن في نفس الطريق أيضاً وقبل شعيب العرج يظهر جبل أظلم على اليسار ممتداً إلى قرب جبل صايد وقد كانا لسليم .

(للبحث صلة) جدة : **حمد بن محمد العبيدي**

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجور البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الثالث – السنة الخامسة – رمضان ١٣٩٠ – تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠

من خصائص بعض المدن والقرى

في أمثالها ، وما يقال عنها

– ٢ –

٧ – البُسيطة : قال القاضي عبدالعزيز بن علي الجرجاني: انه سأل من لا يحصي من الأعراب عن وحش وَجْرة فلم يروا لها فضلاً عن غزلان بسيطة[١]. فكأن بُسيطة هذه مشهورة منذ القدم بالغزلان ، وهذا صحيح .

وقد عرف ياقوت بسيطة ، فقال : بُسَيْطَة : بلفظ تصغير بسطة: أرض في البادية بين الشام والعراق ، حدها من جهة الشام ماء يقال له أمر ، ومن جهة القبلة موضع يقال له قعبة العلم ، وهي أرض مستوية ، فيها حصا منقوش ، أحسن ما يكون ، وليس بها ماء ولا مرعى ، أبعد أرض الله من السكان. سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر الى العراق ، فلما توسطها قال بعض عبيده وقد رأى ثوراً وحشياً : هذه منارة الجامع . وقال آخر منهم وقد رأى نعامة : وهذه نخلة ؛ فضحكوا ؛ فقال المتنبي :

بسيطة – مهلاً – سقيت القطارا ... تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل ... وظنوا الصوار عليك منارا
فأمسك صحبي بأكوارهم ... وقد قصد الضحك منهم وجارا

وقال نصر : بسيطة : فلاة بين أرض كلب وبلقين بقفا عفر أو أعفر . وقيل : على طريق طيء الى الشام[٢].

(١) « الوساطة » ص ٣١ طبعة الحلبي . (٢) « معجم البلدان » .

وأقول : تسمى بسيطة الآن البسيطاء ، ويقول الشاعرالعامي المعاصر الهربيد:

أللّي هُمْ بَاقْصَى بْسَيْطا مِدّالي

ولا تزال معروفة بكثرة الغزلان ، وقد رأيت عند مروري ببلدة النَّبْك قاعدة القُرَيّات في مزرعة الأمير نايف بن عبد العزيز السديري سِرْباً من الغزلان في حظيرة المزرعة ، ومعها أطلاؤها . وأخبرني بكثرة الظباء في تلك الجهات .

وتقع البُسيطة غربي وادي السرحان ، ممتدّة بامتداد الوادي ، مبتدئة من الشمال من وادٍ يدعى حِدْرج إلى قرب نهاية وادي السرحان من الجنوب وهي أرض كما وصفها ياقوت ، وفي أطرافها الشرقية الجنوبية أقواز من الرمال (وتقع بقرب الدرجة ٣٠َ / ٢٩° الى ٣٠َ / ٣٠° عرضاً شمالياً ومن الدرجة ٠٠/°٣٨ الى الدرجة ٣٥َ / ٣٨° طولاً شرقياً تقريباً) .

٨ — بيشة — بكسر الباء بعدها ياء ساكنة فشين مفتوحة فهاء — يطلق هذا الاسم على واد يقع في جنوب الجزيرة وتنحدر اليه أودية كثيرة من السراة سراة غامد وسراة خثعم وما حولها ، كما ترفده أودية أخرى من بلاد عسير غربها وجنوبها وشرقها ، ويسمى الوادي بأسماء مختلفة ، منها : ١— بيشة بعطان قديماً ، وهي التي تعرف الآن باسم بيشة بدون اضافة . ٢— وبيشة ابن مشيط وهي من روافد بيشة أيضاً — ٣ — وبيشة ابن سالم ، وكلها تجتمع في وادي بيشة الكبير الذي يعرف أيضاً باسم بيشة النخل ، وهذا الوادي على درجة من الخصوبة ، وفيه قرى زراعية ، وفيه نخيل وسكان كثيرون ، وليس هذا محل التفصيل عن الوادي ، ولكنه محل ايراد المثل المعروف اليوم:(لو مع بيشة بيشة سابت العيشة) وهذا يدل على خصب هذا الوادي ، فتربته طيبة ، ومياهه لا بأس بها ، وهي عذبة . (وتقع بيشة هذه بقرب الدرجة ٥َ٤ / ٤٢° طولا ٥َ١ / ٢٠° عرضاً شمالياً تقريباً) ، أما فروع هذا الوادي فتمتد إلى مسافات بعيدة .

٩ — تبالة : قرية تقع في واد يعرف باسم وادي تبالة . من روافد وادي

بيشة ، فيما بين قريتي الروشن والدّحو (بقرب الخط العرض الشمالي ٠٥َ/٢٠ْ) ويطلق اسم تبالة على القسم الأعلى من الوادي ، أمـــا أسفله فيعرف باسم (وادي الثنية) . وفي هذا الوادي عدد من القرى ، منها قرية تدعى الآن المضبة ، وهي التي كانت تعرف قديماً باسم تبالة . وورد فيها المثل : (أهون من تبالة على الحجاج) .

ويقول الادريسي [١] : (مدينة تبالة صغيرة ، بها عيون متدفقة ومزارع ونخل ، وهي في أسفل أكمة من تراب ، ولما وليها الحجاج بن يوسف من قبل عبد الملك بن مروان سار اليها فلما بلغ اليها لم يَرَها ، فسأل عنهـا فقيل له : إنها في أسفل هذه الأكمة التي بين يديك . فقال : إن بلدة تسترهـــا أكمة لخليقٌ أن يقال فيها : أهْوِنْ بها . ثم انصرف عنها ، فصار ذلك مثـــلاً ، يقال : (أهون من تبالة على الحجاج) .

ويسكن تبالة الآن فخذ المُصْعَبين من الفَزَع من قبيلة خثعم ، القبيلة الصريحة النسب ، المعروفة .

وقال ياقوت : َتبالة : بالفتح ؛ قيل: تبالة التي جاء ذكرها في «كتاب مسلم ابن الحجاج» موضع ببلاد اليمن ، وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف ، فإن تبالة الحجاج بلد مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن ، قال المهلبي : تبالة في الاقليم الثاني ، عرضها تسع وعشرون درجة ، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب فأقرّهما رسول الله ﷺ في أيدي أهلها على ما أسلموا عليـه ، وجعل على كل حالم ممن بها من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وكان فتحها في سنة عشر ، وهي مما يضرب المثل بخصبها ، قال لبيد :

فالضيف والجار الجنيب ، كأنما   هبطا تبالة مخصبـــاً أهضامهـا

وفيها قيل : أهون من تبالة على الحجاج ، قال أبو اليقظان : كانت تبالة

---

(١) « نزهة المشتاق » .

أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي ، فسار اليها فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة وعلى أي سَمْتٍ هي ؟ قال : ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة ، فقال : لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة ، أهون بها ولاية ! وكرّ راجعاً ولم يدخلها ، فقال هذا المثل . وبين تبالة ومكة اثنان وخمسون فرسخاً نحو مسيرة ثمانية أيام ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين بيشة يوم واحد ، قال : وسمّيت بتبالة بنت مكنف من بني عمليق ، وزعم الكلبي انها سميت بتبالة بنت مَدْين بن ابراهيم ، ولو تكلف متكلف تخريج معاني كل الأشياء من اللغة لساغ أن يقول : تبالة من التبل وهو الحقد ، وقال القتال :

وما مغزل تَرْعى بأرض تبالة	أراكاً وسدراً ناعماً ما ينالُهـا
وترعى بها البَرْدَين ثم مقيلها	غياطل ، ملتجٌ عليها ظلالهُـا
بأحسن من ليلى ، وليلى بشِبْهها ،	إذا هُتكت في يوم عيد حِجَالهـا

وينسب اليها أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي ، روى عن محمد بن عثمان بن عبد الله بن مقلاص الثقفي الطائفي ، سمع منه أبو حاتم الرازي [(١)] .

وأقول: تفريق ياقوت في غير محله، فالمتقدمون – عندما يكون الموضع في جنوب الجزيرة – يقولون بأنه في اليمن ، والتحديد بين أجزاء الجزيرة ليس دقيقاً ومن ثم وقع الخلط بين المتقدمين ، وبالإجمال ، فكل ما تقدم ينطبق على تبالة المعروفة ، وهي تقع بقرب الدرجة ٢٨َ / ٤٢ْ طولاً و ٢٠َ / ٢٠° عرضاً .

١٠ – تُرَبَة : بضم التاء وفتح الراء وبالراء وبعدها تاء ، يطلق هذا الاسم على واد من أعظم أودية الجزيرة تنحدر فيه أكثر أودية سراة زهران ، ثم تسير متجهة مارة بالخرمة نحو الشمال الشرقي حيث تحجز رمال ما يعرف باسم نفود سبيع دون استمرار جريان السيول .

---

(١) « معجم البلدان » .

- ٩ -

(العناوين من وضع المجلة)

حضرموت :

وقال الإدريسي: ومدينة حضرموت إحداهما تريم والأخرى شبام، فأما تريم فقد تقدم ذكرها ، وأما شبام فهو حصن منيع جامع بأهله في قنة جبل شبام وهو جبل منيع جداً لا يرتقى الى أعلاه إلا بعد جهد. وفي أعلاه قرى كثيرة، ومزارع ومياه جارية وغلات ونخل وخصب زائد . ويوجد في هذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الجست وأحجار الجزع وهي في ذاتها عند وجودها أحجار مفشاة أغشية ترابية ، لا يعرفها إلا طالبها بعلاماتها المشهورة فتعمل هذه الأحجار ، فاذا عملت وصقلت ظهر حسنها وصفا جوهرها ، ويحكي طلابها ومستخرجوها أنهم يجدون هذه الأحجار في أودية مخفاة ، وخطها ملوّن بأنواع من الألوان الحسنة ، فيلتقطون هذه الأحجار من بينها ويأتون بها الى صناعها فيحكونها ويتجر بها التجار من هذه البلاد . ويتصل بأرض حضرموت أرض الشحر وبها قبائل مهرة ، وهم عرب صرح ، والإبل المنتجة عند هؤلاء العرب لا يعدل به شيء في سرعة جريها ، ومن غريب ما ينسب اليها انها تفهم الكلام ، وتعلم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه ، ولها أسماء إذا دُعِيَتْ بها جاءت ، وأجابت بغير تأخر ولا توان في ذلك ، وقصبة أرض

ومن الأمثال القديمة حول تربة قول عامر بن مالك بن جعفر العامري المعروف بملاعب الأسنة ، وكان قد غاب عن بلاده مدة طويلة ، فلما عاد الى تربة وكانت بلاده ألصق بطنه بأرضها فوجد راحة فقال : (عرف بطني بطن تربة)[1]. يضرب في كل شيء يوصل إليه بعد تمنّيه. وتربة الآن بلدة ذات نخيل وسكان كثيرين، تقع على الدرجة ٣٢َ/٤١° طولاً و١٥َ/٢١° عرضاً تقريباً.

(١) « معجم البلدان » و « مجمع الأمثال » وغيرهما .

مهرة تُسَمَّى الشِّحْر ، ولسان أهل مهرة مستعجم جداً لا يكاد يفهم ، وهو اللسان الحميري القديم ، وأكثر أهل هذه الأرض قبائل ، وهي قفر ، يتنقل بها قبائل مهرة ، وجُلُّ مكاسبهم الابل والمعز ، وجملة دوابّهم التي في بلادهم تعتلف السمك — المعروف بالوذف — يصاد في ذلك البحر من بلاد عُمَان ، وهو حوتٌ صغير جداً ، يصاد ويشمَّس ، وتعلف به الدواب والابل ، وأهل مهرة لا يعرفون الحنطة ولا خبزها ، وإنما أكلهم السمك والتمور ، وشربهم الألبان وقليل الماء ، قد اعتادوا ذلك وألفوه ، فلا يعوّلون على غيره من الأغذية ، ومتى دخل أحد منهم البلاد المجاورة لهم وأكل شيئاً من الحنطة وَجَدَ لذلك ألماً ، وربما مرض لذلك ، ويقال إن طول بلاد مهرة ٩٠٠ ميل ، وعرضها في جميع طولها من ٢٥ ميلاً الى ١٥ ميلاً الى ما دون ذلك ، وهذه الأرض كلها رمل سيال ، والرياح لاعبة به تنقله من مكان الى مكان ، ومن آخر بلاد الشحر إلى عدن ٣٠٠ ميل ويتصل بأرض مهرة أرض عمان ، وهي مجاورة لها في جهة الشمال ، وبلاد عمان مستقلة بذاتها ، عامرة بأهلها ، وهي كثيرة النخل ، والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك .

صور وقلهات :

ومن بلاد عمان صور وقلهات وهما على ضفة البحر الخليج الفارسي ، وهما مدينتان صغيرتان ، ولكنهما عامرتان ، وشربهما من الآبار ، ويصاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلا . وبين صور وقلهات مرحلة كبيرة في البر ، وفي البحر دون ذلك ، ومن صور الى رأس الجُمْجمة خمسة أيام في البر ، وفي البحر (مجريان) ورأس الجمجمة هو جبل عال على ضفة البحر ، يمر بالعبر (؟) في غب الحشيش.(الخيس؟) ويندفن في الماء فلا يعلم حيث يصل، وربما تكسرت المراكب عليه ، وفي رأس الجمجمة مغايص لؤلؤ . ومن قلهات على الساحل الى مدينة صحار مائتا ميل ، ويقرب منها على الساحل :

قرية دَمَا : وهي قرية تكون في الشتاء عامرها قليل ومعايشها كاسدة وتصرف أهلها قليل ، وأما في الصيف فانها تكون كالمدينة العامرة ، وكان بها مغيص اللؤلؤ الجيد جدا ، وهي مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج بها .

مَسقَطُ وصُحَار :

(ومن مسقط إلى صحار – وهما قريتان عامرتان – أربعمائة وخمسون ميلاً ، لا ساكن بها ، ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسي ، وهي أقدم مدن عمان ، وأكثرها أموالاً ، قديماً وحديثاً ، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم ، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن ، ويتجهز منها بأنواع التجارات ، وأموال أهلها واسعة ، ومتاجرهم مربحة ، وبها نخل كثير ، ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل ، وكثير من الثمار الحسنة العجيبة الطيب . وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين ، فانقطع ذلك ،وسبب انقطاع السفر من مدينة عمان أنّ في وسط بحر فارس مما يقابل مسقط جزيرة تسمى جزيرة كيش ،وهي جزيرة مربعة ، طولها اثني عشر ميلاً في عرض اثنى عشر ميلاً ،وفيها مدينة كيش ،فوليها عامل من اليمن ،فحصّنها ، وأحسن الى أهلها ، وعمّرها ، وأنشأ بها اسطولا فغزا به بلاد اليمن الساحلية فأضرّ بالمسافرين والتجار ، ولم (يترك) لأحد مالاً ، وأضْعف البلاد ، وانقطع بذلك السفر من عمان ، وعاد الى عَدَن . وصاحب جزيرة كيش يغزو بهذا الأسطول مدينة الرانج (؟) ويصل الى بلاد (الغامرون (؟) وأهل الهند يخافونه ، ويهابون شرّه ، ويواسونه (؟) بالمراكب المساة بالمشعيات(؟) يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عود واحد ، يجدف فيه فيه مائتا رجل ، فأكثر [. . . .] . في وقت هذا التأليف ان عند صاحب كيش من هذه المراكب المساة بالمشعيات خمسون مركباً كل واحد منها من قطعة واحدة ، وعنده من سائر المراكب الملفقة جملة عديدة ، وهو الآن على هذه الحال يغزو ويسبي ، وعنده أموال كثيرة ، وليس لأحد به طاقة وبمدينة كيش زروع وأغنام وأبقار وكروم ، وبها مغاص اللؤلؤ الجيد . ومن صحار الى هذه الجزيرة مجريان ويحاذي هذه الجزيرة من بلاد اليمن مسقط وبينهما مجرى ، ومن ساحل كرمان التيزوشط (؟) .

سفال والعفر :

ويقابل صحار في البرية على مسير يومين بلدان متصلان بينهما واد يسمى وادي الفلج واسم آخر البلدين سفال (؟)، والآخر العفر، وهما مدينتان صغيرتان عامرتان بهما نخل كثير ومزارع وحدائق ونخل وثمر وهما متقاربتان في القدر، وشربهما من نهر الفلج ، وتسمى الارض التي هما بها نزوة ، ويتصل بهاتين المدينتين على مقدار نصف يوم مدينة ضنج وهي مدينة صغيرة في اسفل جبل يسمى جبل مشرح حيث ينبعث نهر الفلج وهو نهر كبير عليه قرى وعقارات متصلة إلى ان يصب في البحر بقربة قرية جلفار ، والغالب على بلاد عمان الشُراة ، وأكثر الشراة في وقتنا هذا منحشرون غامرون في بلدة تسمى يثرون في غربي بلاد عمان، ولهم هناك قرى وعمارات وهم متحصنون بجبل لهم ويثرون في أسفله، وفيما يقال ان حدود بلاد عمان تكون تسعمائة (؟) ، وهي بالجملة بلاد حارة ويذكر ان جبل مشرح ينزل باعلاها ثلج قليل ، وبين نجد وبلاد عمان براري متصلة ، وببلاد عمان حية تسمى العربد وإليها ينسب السكران المعربد ،وهي حية تنفخ ولا تؤذي وهي كثيرة التناقز ، ويحكى انها متى اخذت ووضعت في آنية زجاج وتوثق من رأسها ، ووضعت في وعاء وأخرجت من بلاد عمان ثم تفقدت الآنية لم توجد الحية فيها بوجه ،وهذا مثبت في هذه الحية والاخبار بها شايع، وفي بلاد عمان ايضاً دويبة صغيرة تسمى القراد اذا ظفرت بجارحة من الانسان عضته فلا تزال تعضه وتربو وتتزايد إلى ان تتورم وتتقيّح ، ولا يزال ذلك الدود يتبقى(؟)في جوف الانسان حتى يموت،وفي جبال عمان قردة كثيرة تضر بأهلها اضراراً كلياً ، وربما اجتمع منها العدد الكثير حتى لا يطاق دفاعها الا بالخروج اليها بالرماح والسلاح ، وحينئذ يقدر على دفاعها ، ومن بلاد صحار إلى بلاد البحرين نحو من عشرين مرحلة ، وطريق عمان في البرية إلى مكة او غيرها صعب جداً ، لكثرة القفار وقلة السكان ، وإنما يسافرون في المراكب إلى مدينة عدن ومن عدن يسافرون — ان شاؤوا براً أو بحرا وكذلك من صحار التي من ارض عمان إلى البحرين في جهة الشمال طرق متعذرة السلوك لتنازع العرب بها ، ومحاربتهم وغاراتهم بعضهم على بعض ، فليس لمسافر معهم امان في نفسه ، ولا في شيء من ماله . «نزهة المشتاق للإدريسي».

قبيلة العوامر: أصلها وبلادها

(نشرت « العرب » - ٦٠٩ / ١٠٣٩/٨٢٢- السنة الرابعة ، أبحاثاً عن أنساب آل مرة ، بني هاجر . المناصير ، من إعداد قسم البحث والترجمة في (شركةالزيت العربية الأمريكيـة) وسبقت الاشارة الى الغاية من نشر ذلك وفي البحث الآتي - وهو تتمة لما سبق نشره - تفصيل عن القسم الذي ينتشر في شرق الجزيرة من قبيلة العوامر ، فعسى أن يجد فيه القراء ما يفيد، وأن يصححوا ما فيه من أخطاء تقع تبعتها على من أعدّ البحث) .

تنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أقسام كل قسم يكاد يكون مستقلاً عن الآخر، يسكن قسم منها في حضرموت والثـــاني معظم الوقت في المملكة العربية السعودية والثالث في عمان . والثاني - أو القسم الأوسط - هو الذي يتناوله هذا التقرير .

الرئيس الأكبر : سالم بن حمد بن ركاض من الحيوان من آل بدر.

الديرة : والقسم الأوسط من العوامر ليس لهم ديرة خاصة ينتمون اليها ولكنهم يقضون معظم وقتهم في الختم الذي يفضلونه على الأماكن الأخرى ، ومع ذلك يترددون أيضاً على البقاع الواقعة شمالي البريمي والظـاهرة في عمان وكذا الأجزاء الجنوبية والشرقية من الربع الخالي ويتجولون أحياناً أبعد من ذلك .

والعوامر قبيلة تعيش على الفطرة ولهم دراية بالأماكن الشرقية من الربـع الخالي أكثر من غيرهم من البدو الآخرين كما انهم أدلاء بارعون .

النسب : يتضح ان العوامر (واحدهم عامري) ينتمون الى آل كثير من العرب الجنوبيين ، نسل قحطان ؛ وإن آل كثير هؤلاء هم اليوم من أكبر قبائل حضرموت . وتتكون قبيلة العوامر من ثلاثة فرق منفصلة تستوطن في

نواح مختلفة في شرق البلاد العربية؛ ويعتبر كل فريق مستقل أو شبه مستقل ومنعزل عن الفرق الأخرى .

الفريق الجنوبي : يقطن هذا الفريق في أواسط حضرموت وفي الشمال الأوسط منها حيث يقيم الحضر منه على المجرى الرئيسي لوادي حضرموت،بينما ينتشر البدو في المنطقة الواقعة ما بين الوادي ورمال القسم الجنوبي من الربع الخالي ؛ وجميعهم يمتّون بصلة القرابة والزمالة القريبة لآل كثير الذين هم من أشهر قبائل حضرموت [١] .

الفريق الأوسط : هذا الفريق الذى يتألف من البدو الذين ينتشرون في أنحاء الختم وفي عدة مناطق أخرى ، وهو الفريق الوحيد الذي له صلات وثيقة بالبلاد العربية السعودية ، ومن ثَمّ كان هو وحده الذي عولج أمره بالتفصيل في الدراسة الحالية .

الفريق الشمالي الشرقي : هذا الفريق الذي يتكون في الغالب من العرب الحضر الذين يسكنون في الواحات ، ينتشر في كافة أواسط عمان وشرقه وفي الباطنة ، وأفراده هم أنصار الحزب الهناوي [٢] ، ويعترفون بالمذهب الاباضي أما اولئك الذين يقطنون في عُمان فيظهر ان جميعهم من رعايا إمامة عمان بينما هناك ما يحمل على الظن ان اولئك الذين يقطنون في الباطنة جميعهم من رعايا سلطان مسقط .

ومع أن أفراد العوامر يزعمون أحياناً أن اسم جدهم الأعلى الذين انحدروا منه هو عامر بن صعصعة ، الجد الكبير لإحدى القبائل العربية العدنانية القديمة ، إلا انه ليس هناك دليل قوي يثبت رجوع نسبهم الى هذا الأصل

(١) يمكن الحصول على معلومات عن هذا القسم من العوامر وعن الحالة الاقتصادية والسياسية لبلاد حضرموت من تقرير : (و . هـ . انقرامز) مطبوع بلندن سنة ١٩٣٦ م وهو يحتاج الى تنقيح وتبسيط .

(٢) في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، كان عرب عمان منقسمين الى حزبين ، الهناويين والغافريين ، وينتمي الهناويون تقريباً الى العصبة القديمة للعرب الجنوبيين ، والغافريون الى العرب الشماليين .

العربي الشمالي ، وهذا بلا ريب مجرّد مثال آخر لصلات القرابة التي تفترض على أساس تشابه عرضي في الأسماء ، وقد ينطبق نفس الأمر على القول بأن العوامر يمثلون في الوقت الراهن بني عامر وهم فرع من بني هلال ، ومن أشهر القبائل ابّان العصور الوسطى في البلاد العربية وأن انحدار نسبهم إما من عامر بن صعصعة أو بني عامر ، قد يعني في كل الاحتمالات بأن العوامر دخلوا عمان من جهة الشمال الغربي بينما هناك أدلة جازمة تشهد بأنهم في الواقع جاؤوا من الجنوب .

وللعوامر اعتقاد آخر يبدو أنه يكشف عن هذا الأمر أكثر من غيره : وهو انهم قد انحدروا عن همدان من أصل العرب الجنوبيين التابعين لقحطان[1]. ويعترف العوامر بقرابتهم من القبائل الاخرى التي يرجع نسبها الى همدان وقحطان ، وعندما يلتقي عامري بفرد من آل مرة لا يعرف اسمه ، يحييه بقوله : « أهلاً يا ابن همدان » ، ويزعم عوامر الفريق الأوسط بأن وطنهم في الأصل كان بحضرموت في الأرض التي لا يزال يحتلها الفريق الجنوبي وانهم من نفس الأصل لآل كثير ، الذين يدعون أيضاًبانهم من سلالة همدان[2] ان ثلاثة على الأقل من أفخاذ الفريق الأوسط وهم آل كليلة وآل خميس والجعافرة — تحمل نفس الأسماء التي تحملها أفخاذ الفريق الجنوبي ، زد على ذلك ان استعمال الفريق الأوسط لكلمة « بيت » في تسمية الأفخاذ أو الفروع ، هو أمر مشاع على وجه الاطلاق بين القبائل الجنوبية . ومن المحتمل ان آل الحيو ، أسرة ابن ركاض الرئيس الأكبر الحالي للعوامر ، ليسوا من أصل عامري ، إذ أن احدى عقائد القبيلة تشهد بأن الحيوي الجد الأعلى للأسرة أجنبي انخرط في سلك القبيلة ، ومع أنه عند قدومه كان من البؤس إلى درجة انه لا يملك حتى رحل بعير[3] فقد استطاع هو وأحفاده ان يحلوا

(١) انظر سلسلة النسب لآل مرة (ص ٦٢٤ السنة الرابعة) .

(٢) يستعمل العوامر وآل كثير وَسْماً واحداً لإبلهم ويقال ان لديهم نداء واحداً للحرب (العِزْوة) .

(٣) يقال انه اقتبس اسمه « الحيوي » نسبة الى أنه « حوى » (بمعنى لف) عباءته على شكل يجعل منها مقعداً لنفسه على بعيره .

محل آل كليلة الرؤساء السابقين ، في السلطة على القبيلة ، وهناك رأي يشير إلى أن آل الحيو ربما كانوا قد انحدروا من قبيلة ُسبَيع في أواسط البـــلاد العربية ، ولعل ذلك يرجع الى التشابـه بين الاسم (ابن ركاض) والركاكضة (المفرد ركاضي) وهو اسم فخذ من سبيـع .

ومهما يكن الأمر فإن البقية من الفريق الأوسط تكاد تكون وحـــدة متجانسة الخصال الى حد كبير ، ومع ذلك يوجـــد غموض عظيم يكتنف العلاقات بين الفريق الأوسط والقبائل الأخرى التي تقاسمـه موطنه ولا تبتعد عنه كثيراً ، والتي كثيراً ما تعرف بالعوامر : وهي آل سلم وبيت قيمـال وآل محرم والعفار والحراسيس ، ومن هؤلاء ربما يكون آل سلم في الحقيقة على حد قولهم ، فرعاً من العوامر ، إذ انهم على صلة وثيقة بالعوامر أكثر من أية جماعة أخرى من اؤلئك ، كما انهم هم الوحيـــدون الذين لهم روابط قوية بالبلاد السعودية ، ولهذه الأسباب هم وحدهم الذين تناولهم البحث في شيء من الاسهاب في هذا التقرير ، كما سيأتي . أما بيت قيمال فيتكـــون من فريق صغير ، قد لا يتجاوز عدد أفراده الخمسين رجلاً يخيم بعضهم مع العوامر في الختم ، بينما يحتفظ البعض بكينونته الخاصة ، ولم يعرف شيء عن أصلهم . أما آل محرم ، وهم فريق صغير للغاية قائم بذاته ، يقال انه ينحدر من آل كثير ، حيث يقطنون مع العوامر بالختم . والعفار هم قبيلة صغيرة غير معروفة كثيراً تسكن في المحلات النائية المتطرفة ، وكثيراً ما تهتم بممارسة بعض العادات التي تنفر منها بعض القبائل العربية . أما الحراسيس فهي قبيلة موغلة في البـداوة تمتد ديرتها الى مسافة بعيدة جنوبي الفريق الأوسط للعوامر ، والواقع ان في لهجتهم غير العربية والخاصة بهم ، لدليل يكاد لا يقبل الجدل على انهم لا يمتون بصلة للعوامر ، أما العلاقة المعنية بين هذه القبائل والعوامر ، فلعلهـــا ناشئة فقط من الظروف التي جمعت بين سائر هذه القبائل لتسكن في الاقلـــيم ذي الحدود الجغرافية ما بين رمال القسم الشرقي من الربـع الخالي وسهول ُعمان ، بعيداً عن المدن التي تستخدم كموانيء لدخول العالم الخارجي .

ديرتهم : يزعم عوامر الفريق الأوسط أنفسهم بأنه ليست لهم ديرة قـد

يسلم بوجه عـــام انها تابعة لهم ، وهم على العموم يفضلون الختم على أي موضع آخر ، وما يمكثونه من وقت بهذا الموضع قد يفوق كثيراً مـــا يمكثونه بأية جهة أخرى ، بيد انهم يعترفون بأن الختم يقع داخـل ديرة اصدقائهم من آل بوشامس الذين يملكون بساتين النخيل هنالك. وفضلاً عن الختم يقوم العوامر في كثير من الأحيان بزيارة الأودية ، وهي إقليم به عدّة مجارٍ من الماء شمـــالي البريمي [1] .

وكذلك يزورون الصّفا ، أحد وديان الدروع ، الواقعة الى الجنوب الشرقي من الختم . هـــذا وليس من الغرابة في شيء أن تجدهم أيضاً في سهول الظاهرة بعمان ، ويذهب البعض منهم من وقت لآخر لزيارة أقاربهم من فريق العوامر الشمالي الشرقي في الشرقية .

ان العوامر التابعين للفريق الأوسط هم قبل كل شيء من أعراب البـــادية ومن المشكوك فيه ما إذا كان آل مرة الأجزاء الوسطى للربع الخالي أو آل راشد في الجنوب يمكن أن يجاروهم كرحالة مقدامين في الصحراء . ومن عادة آل مرة أن يعبروا الربـع الخالي بطريق أسهل من الطريق الشرقيـــة التي يفضلها العوامر [2] . أما آل راشد فيبدون أقـل تجوالاً في المناطق البعيدة مما يفعل العوامر ، ومن المناظر المألوفة أن ترى العوامر يتنقلون بعشرين أو اربعين بيتاً شهراً كاملاً عبر الرمال من الختم الى مقشن بالطرف الجنوبي للصحراء حيث يقضون فصل الصيف بجوار أشجار النخيل التي يقال انها زرعت بواسطة بيت روضة من الحيوان . وهناك يختلطون بـــأفراد المناهيل وآل كثير والحراسيس ومهرة ، ليس هناك قبيلة تعرف بطاح المنادر الجافة كما يعرفها العوامر ، كما انه يندر أن يوجد كثيب أو عرق من رمال الظفرة لم يشاهده العوامر في تجولاتهم لا سيما في المناطق الجنوبية من البطين والكدن ، وهناك

---

(١) للاطلاع على معلومات أكثر عن هذه المنطقة ، التي تعرف محلياً باسم الويدية ، [الأودية] انظر الفصل عن أواسط الطف في الباب الخاص بالظفرة

(٢) يعبر أفراد هذه القبائل والقبائل الأخرى الربـع الخالي مرات لا تحصى في سياق حياتهم العادية ، وهذه الرحلات تكون عادة من الشمال الى الجنوب أو من الجنوب الى الشمال دون تغيير تقريباً ، اذ ان ليس لهم مصلحة حيوية في السفر من الشرق الى الغرب أو بالعكس .

بعض منهم تكاد لا تنقطع زياراته للمغرب ، وهي المنطقة الجنوبية الغربية من الظفرة حيث تنتشر الرمال بصورة لا حد لها تقريباً .

وقد تركت هذه الحياة التي تسير على وتيرة واحدة في الرمال أثرها في رجال القبيلة .

ويتكلم العوامر لهجة من الصعب التعود عليها ولكنها ـ بالرغم من مزاعم بعض السواح الغربيين ـ لهجة عربية وتتميز لهجتهم بغرابة النطق ، ولكن عندما يتقنها الانسان يجدها قوية ومعبّرة ، وان طول الاقامة بالبادية تجعل من العوامر أدلاّء مهرة لهم ادراك للاتجاهات قل أن يخطئه التوفيق ، وخبرة مكينة بطبيعة الأرض ومواقع المياه فيها ، ولو انهم لا يضارعون آل مرّة كقصاصي آثار . ويتمتع العامري بجسم هزيل وهبت فيه قوة خارقة من الصبر والاحتمال ، ومما يساعده أكثر على ذلك أيضاً روحه المرحة التي يواجه بها الأرض الجرداء التي حملته الأقدار أو رغباته الخاصة على التجوال فيها [1].

ومع ان عوامر الفريق الأوسط هم من أهل البادية مولداً فتوجد فئة منهم تمكنت من امتلاك نخيل في بقع مختلفة . وهذه هي المواضع التي يملكون فيها نخيلاً :

في الجواء :

ظفير : مسلّم بن جوعان من آل عمرو من آل لز .

قطوف : سليّم بن محمد من آل عمرو .

مزيرعة : حمد بن عبيد من بيت عبيد من آل خميس من آل لز .

جفيف : حمد بن عبيد .

حمار : الرضة بن نعيف من بيت نعيف من آل خميس من آل لز .

العيد : سالم بن قناص من بيت قناص من آل خميس من آل لز .

السالمي : حمد بن عبيد.

---

(١) ذكر شاهين بن فلاح القصيلي من آل بو منذر وهو أحد شعراء المناصير أن دار العوامر كلها مجنونة (أي مسكونة بالجن) .

وآخرون يملكون نخيلاً في الظاهرة بعُمان وهم :

سالم بن محسن راعي الغزالة من الحيوان من آل بدر : يملك نخيلاً بالقابل .

الحلاطي من آل بدر : يملك نخيلاً بالقابل والهرموزي وضنك .

بيت العويني من آل بدر : وله نخيل بضنك .

بيت القتال من الجمافرة من آل لز : يملك نخيلاً بالسنينة .

بيت الجزرى من آل مبارح من آل لز : يملك نخيلاً بالمعمور ، وهي قرية يستوطنها بنو قتب ، تقع شمالي أفلاج بني قتب مباشرة .

ولاؤهم : ان العوامر التابعين للفريق الأوسط من رئيسهم الكبير ابن ركاض الى أدنى واحد منهم يؤدون الزكاة السنوية للحكومة السعودية ، وقد درجوا على ذلك ما ينيف عن ٢٠ سنة ، حيث ان العوامر من هذا الفريق ليس لهم موطن ثابت ، فقد يجدهم جباة الزكاة في موضع أو أكثر من المواضع المنتشرة من الختم الى الغرب . وحسب القواعد الخاصة بجباية الزكاة إذا وجد عامري خارج حدود المملكة تماماً في الوقت الذي تحصل فيه الزكاة فلا يطالب بدفع أي شيء ، ومع كل فتجولات السواد الأعظم من العوامر لا تتعدى نطاق المنطقة التي يسرح بها جباة الزكاة ، وليس هناك ميل من رجال القبيلة للتحرك خارج الحدود كي يتفادوا أداء الزكاة . والبدو من الذكاء بحيث يدركون ان أداء الزكاة يعود عليهم بالمنفعة تماماً ، كما يؤول بالمنفعة أيضاً على الحكومة طالما ان ما يدفعونه يمنحون مقابله سلماً وحماية .

العوامر (عامري) :

الرئيس الأكبر : سالم بن حمد بن ركاض من الحيوان من آل بدر .

أ ـ آل بدر (بدري) .

الرئيس : سالم بن ركاض من الحيوان .

آل الحيو أو الحيوان (حيوي) ـ ابن ركاض .

(١) ـ بيت ركاض ـ ابن ركاض (٢) بيت روضه (٣) بيت مرزوق (٤) بيت العبطنه (٥) بيت القرين (٦) بيت الخصوان (٧) بيت اللوبع

(٨) بيت يطبع (٩) بيت يزرب .

ب — آل كليلة (كليلي) — محمد بن سهيل بن حتممت الكليلي .

(١) بيت حتممت — ابن سهيل (٢) بيت عنوده (٣) بيت صادر (٤) بيت القرموش (٥) بيت صبيحة (٦) بيت غريب (٧) بيت عصيان (٨) بيت معيضد (٩) بيت صالح بن الماكب (١٠) بيت قدح (١١) بيت موزه (١٢) بيت طويرش .

ج — الحبانين (حبناني) الطشّة بن ثعيلب الحلو وسعيد بن الحوته .

(١) بيت ثنيه — ابن ثعيلب (٢) بيت الحوته — ابن الحوته (٣) بيت علوبه (٤) بيت قروان (٥) بيت منقاش .

الحلاطي (حليطي) — سهيل بن علي بو حسن .

(١) عيال بو حسن — ابن علي (٢) بيت الخنتيل (٣) بيت المطيب .

هـ — المقاضّه (مقيضّي) — العوف بن النوبي بن فويطم .

(١) بيت فويطم — ابن النوبي (٢) بيت ابن الكلب (٣) بيت غاضب (٤) المشابحة (مشبوحي) .

و — بيت العويني — حمد بن حمد بن حمرور .

(١) بيت حمرور — ابن حمد (٢) بيت عـله (٣) بيت ابن الاسود (٤) بيت مسلم .

٢ — آل لز (لزي) .

أ — آل عمرو (معمري) — سعيد بن سالم بن غريفه .

(١) بيت غريفه — ابن سالم (٢) بيت مزينـه (٣) بيت الربيعي (٤) بيت حوتان (٥) بيت زعيتر (٦) بيت المشحون (٧) بيت الهويمل (٨) بيت ضحية (٩) بيت الجابري (١٠) بيت ربيع (يقطن بالشرقية) (١١) بيت الجرو (١٢) بيت المرّ .

ب — آل خميس (خميسي) — مسعود بن سالم بن مضحيه .

(١) بيت مسعود — ابن سالم (٢) بيت ابن الروس (٣) بيت آل ناصر

(٤) بيت قهيّـه (٥) بيت نعيف (٦) بيت عبيد (٧) بيت ربزه (٨) بيت لوكش (٩) بيت طاسه (١٠) بيت قطو (١١) بيت بنيه (١٢) بيت الرخف (١٣) بيت مريود (١٤) بيت قناص (١٥) بيت صنباري (١٦) بيت عطيّ (١٧) بيت نوره (١٨) بيت كردوس (١٩) بيت حتروش (٢٠)آل عبد الله (٢١) آل وعيل .

ج ــ آل مبارح (مبارحي) ــ سالم بن سليم بن الجزري .

(١) بيت الجزري ــ ابن سليّم (٢) بيت وريقـــه (٣) آل السمح (٤) بيت الرضه (٥) بيت موره (٦) بيت عدله .

د ــ الجمافرة (جعفري) ــ سعيد بن الخالص بن القتال .

(١) بيت القتال ــ ابن الخالص (٢) بيت الذويب (٣) بيت حبتسور أو الحباترة (٤) بيت قضيم (٥) بيت الطيور (ابن الطير) .

هـ ــ آل عصيد (عصيدي) ــ الكعم بن سعيد بن بختان .

(١) بيت بختان ــ ابن سعيد (٢) بيت الثيا (٣) بيت خموشه (٤)عاطى (٥) العضيلي .

و ــ آل حيثول (حيثولي) ــ محمد بن سعيد بن الكيله .

(١) آل الكيله ــ ابن سعيد (٢) بيت الحوطي (٣) بيت الغاليـه (٤) بيت شنوه وأي بيت الشرقي .

المصادر الكتابية : في الواقع لا توجد مصادر كتابية عن الفريق الأوسط من العوامر .

المصادر الشفوية : (١) نعيلب بن صقر بن مسعود من بيت مسعود من آل خميس من آل لز ، وهـــو موظف بشعبة البحث بشركة الزيت العربية الأميركية .

(٢) حمد بن عبيد بن عوض من بيت عبيد من آل خميس من آل لز

(٣) عوض بن ناخي من بيت سبولة من المناهيل ، وهو مـوظف بشعبة البحث بشركة الزيت العربية الأميركيـــة ، وما مكثه من وقت في السنين الأخيرة مع العوامر أكثر من الوقت الذي قضاه بين قبيلته .

ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي

تحقيـــق : هاشم الطعـــان
بقلم : الدكتور يحيى الجبوري

عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله الزُبيدي فارس من فرسان العرب المعدودين ، وشاعر مجيد من شعراء اليمن ، وقد شهر الفرسان في الجاهلية والاسلام وكانوا ينسبون الى قبائلهم ، وقلمـــا نسبوا الى العرب إلا عمراً ، يقول صاحب «الحور العين»: (كان يقال لكـــل فارس من العرب : فارس بني فلان إلا عمراً فيقال له فارس العرب جميعاً) (ص ١١٠) .

كنيته أبو ثور وكان زعيم قومه كما كان أخوه عبد الله ، وقد وفـــد في الجاهلية على الملوك من آل جفنة الغساسنة في الشام ، ووفد على النعمان بن المنذر في العراق ، ويقال ان النعمان أوفده إلى كسرى (الأغاني ٨/٢٨٠) .

وكانت له أخبار وحروب مع أبطال العرب في الجاهلية والاسلام منهم

---

(٤) علي بن حميد من المراشيد من آل بو منذر من المنــاصير وهو موظف بشعبة البحث بشركة الزيت العربية الأميركية وقد رأى الكثير عن العوامر بالظفرة والختم .

(٥) سالم بن علي بن سعيد من المحاسنة من آل بوشاس ، وهو عربي شبه حضري من بلدة حماسا بواحة البريمي ،وملم إلماماً كبيراً بالعوامر الذين يزورون الظاهرة .

عنترة بن شداد ، وعامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث ، وسليك بن السلكة والعباس بن مرداس ، وله مع العباس معارك وأشعار .

وقد وفد عمرو مع من وفد على رسول الله ﷺ سنة تسع وأسلم ومكث في المدينة أياماً ثم رجع الى أهله (طبقات ابن سعد ٣٠٣/٥ ط أوروبا) ، ولما قامت الردة كان عمرو مع المرتدّين ، ثم أسر وجيء به الى أبي بكر الصديق فاعتذر عمرو اليه وعاد الى الاسلام وحسن بعد ذلك إسلامه (ابن الأثير — الكامل ٢٨٨/٢) . وشارك في الفتوح الإسلامية وأبلى في معركة اليرموك بلاء حسناً وأصيبت فيها احدى عينيه ، وشارك في فتوح العراق فقاتل في القادسية ونهاوند وفيها نال الشهادة سنة إحدى وعشرون للهجرة يرحمه الله (مختصر البلدان — ابن الفقيه ص ١٧٢ ومعجم ياقوت ٧٤٤/١) .

وقد ذكر رواة الشعر ديواناً لعمرو صنعه أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ ﻫ) كما صنعه أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥ ﻫ) (الفهرست — ابن النديم ص ١٥٨ ط أوربا) . وقد ضاع ديوانه كما ضاعت دواوين كثير من الشعراء ولم يصلنا أثر مخطوط له .

وجاء الأستاذ هاشم الطعان فجمع شعر عمرو من مظانه فرجع الى جملة صالحة من كتب التراث في اللغة والأدب والتاريخ والبلدان، وصنع ديواناً لعمرو بن معديكرب الزبيدي صدر في بغداد في سلسلة التراث التي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام ويقع في ٢٨٦ صفحة . وفي العراق نهضة علمية مباركة تتجه نحو خدمة التراث العربي في أدبه ولغته وتاريخه ، وبخاصة تحقيق كتب التراث وجمع الشعر وصنعة الدواوين ، ولو أتيح لهذه النخبة التراثية من الشباب قدر من الرعاية والظروف الطباعية الحسنة لآتت أكلها على خير ما تؤتي الثمار أكلا . ومن هذه النخبة الطيبة شاب له علم الشيوخ وحرصهم على القديم وغيرتهم على العربية هو الأستاذ هاشم الطعان ، وقد حشد في هذا الديوان علماً غزيراً وجهداً كبيراً ولم يبخل عليه من وقته فقد أعطاه من خيرة أيامه ونضرة شبابه ، فبذل في سبيله — كما أعلم — أربعة عشر عاماً أو أكثر ، وكان لتعلقه بعمرو شاعراً وإنساناً أن درس حياة اليمن وقبيلة زُبيد ولغة

الجنوب وألف فيها كتاباً صدر قبل عامين بعنوان (تــأثر العربية باللغات اليمنية القديمة) بغداد ١٩٦٨ .

وقبل أن أتسلم ديوان عمرو هدية كريمة من محققه كنت على صلة بعمرو ، فقد كان من جملة الشعراء الذين أجمع شعرهم ، فلما علمت ان الطعان منصرف الى جمع شعره وتحقيقه توقفت عن ذلك ، وأنا حين أعلم بـــأن أحداً يحقق الشعر الذي أحققــه لا أبالي بذلك إلا إذا تيقنت من عـلم ذلك المحقق وجدّه ومثابرته وانه قطع في عمله شوطاً كبيرا ، إذ كثيراً ما نسمع عن مشاريــع لا تخرج أبداً وما أسهل الاعلان عنها ، أو تخرج هزيلة غير أصيلة .

وأول ما تصفحت ديوان عمرو وقفت عنـــد جملة أمور أثارت عجبي وتعجبي ، فالديوان على قدر كبير من الأهمية ، أهمية شعر عمرو وأهمية النقاط التي أثارها وأهمية المنهج الذي اتبعه في التحقيق الذي يثير الإعجاب والرضى تارة ، ويثير السخط تارة ، ويثير الدهشة تارات ، وقد آثرت أن أسجل ملاحظاتي هنا لعلّ فيها فائدة له أو لغيره ، وملاحظاتي هـــذه لا تخرج عن كونها اجتهادات قد ترجح كفتها وقد تشيل :

عندي ان واجب المحقق ينحصر في تحرير نسخة من شعر الشاعر صحيحة خالية من التحريف ، صحيحة النسبة الى الشاعر ، واضحة القراءة ، ميسّرة اللغة ، مدعمة بالتخريج الذي يوثق الشعر ، وأن يكون أميناً في نقل النصوص دقيقاً ناقدا ممحّصاً للروايات ، وأن يجعل الهوامش في خدمة النص لا يثقلهـا بأمور خارجة عنه . هذه بعض مهمات المحقق ، فإذا جئنا الى ديوان عمرو فماذا نجد ؟

أحب أولاً أن أنبه الى ان تسمية الكتـاب (ديوان عمرو ...) تسمية غير علمية ولا دقيقة ؛ كلمة الديوان تعطي انطباعـــاً الى انه يشمل كل شعر الشاعر ، ولو كان المحقق وجد مخطوطة لديوانه وحققها لصحّ أن يسمي عمله (ديواناً) ، ولكنه جمع شعر عمرو من الكتب وليس كل شعر عمرو وصلت اليه يده وهذا ليس بوسع أحد ، إذن فهناك شعر لعمرو لم يعرف بعـد وهو

يقر بذلك ، والأبيات المفردة دليل عليه ، وكثرة المقطوعات هي بقاياالقصائد الضائعة ، ولذلك أرى أن تكون التسمية (شعر عمرو ...) .

والمحقق الفاضل مغرم بكثرة التحقيق التاريخي واللغوي والجغرافي والأثري ... ونتيجة لذلك فقد كثرت لديه المقدمات والملاحق والذيول ، فالكتاب عجب في بابه ، فهو يحتوي على مقدمتين ومستدرك وثلاثة ملاحق وإضافة تاريخية غير الفهارس والتصويبات . وافتح ص ٥ وهي صفحة المقدمة التي يتحدث فيها عن سيرة الشاعر ثم بعد صفحات تجد ملحقاً للمقدمة الأولى وذلك في ص ١٣ ، ثم في ص ١٩ مقدمة أخرى للديوان . ومقدمات الدواوين – عزيزي القارىء – إنما توضع بشكل موجز مركّز تكشف عن أهمية الكتاب وتوضح منهج المحقق فيه ، وليست دراسة مطوّلة للسيرة وتاريخ القبيلة ولغات اليمن وجغرافيتها ، فإن موضع هذا كتاب آخر في حياةالشاعر وبيئته ، وعمرو حقيق بدراسة موسعة توفيه حقه .

لقد ترجم المحقق لسيرة عمرو في الصفحات ٩ – ١٢ ثم وجد انالمصادر تختلف في المعلومات التي ترويها عن حياة عمرو ، فأعاد الحديث عن سيرته في الصفحات ١٣–١٥ تحت اسم (تحقيقات في سيرة عمرو) وحق هذه التحقيقات أن ترد ضمناً عند حديثه عن حياة عمرو فيحقق الموضوع الذي يتناولهويذكر اختلاف المصادر ثم يخرج بنتيجة حاسمة أو مرجحة يرتضيها ويتجنب بذلك التكرار كي يكون العمل منتظماً والحديث مترابطاً خالياً من الاعادة والتكرار .

ومن هذا التكرار الذي لا ضرورة له الملاحق ، فقد استنفدت هذه الملاحق الصفحات ٢٠٩–٢٤١ ولم تقدم أية فائدة تذكر ، وكان على المحقق أن يفيد من المعلومات التي حوتها في دراسة حياة عمرو وشعره في المقدمة ويضرب صفحاً عن الروايات والقصص والأساطير التي لا تخدم الشعر ولذلك أرى أن تحذف الملاحق : (عمرو بن معديكرب الزبيدي في أشعار معاصريه) و (أخبار عمرو بن معديكرب لابن الكلبي) و (الصمصامة).

وأرجو أن يلاحظ ان النصوص موجودة في الكتب وان جمعها وتدوينها لا يعد شيئاً ذا بال ، ويقدر قيمة البحث بمدى الافادة من هـــذه النصوص واستخلاص الآراء والنظريات من خلالهـــا ، ومن ثم استخدامها لفهم حياة الشاعر وشعره وروح العصر .

وقبل أن أغادر المقدمة ، ألاحظ عليه انـــه رغم التوسع والتكرار والتحقيق في سيرة عمرو لم يـدرس الشعر ولم يبيّن قيمته ولا خصائصه ولا منزلته بين الشعراء ، وهذه أمور لصيقة بالشعر لازمة لمعرفة الديوان .

وإذا جئنا الى أصل الشعر نجد المحقق قد رسم لنفسه منهجاً في أربـــع مراحل : أولاً : يقدم للقصيدة دراسة في نسبتها ويـــذكر إن كانت له أو لغيره ، ويستعرض الروايات في ذلك ثم يثبت القصيدة سواء أثبت صحتهـــا لعمرو أم أثبت نسبتها لغيره ، وهذا أمر عجب . ويذكر ثانيـــاً : مناسبة القصيدة والروايات التي قيلت عنها أو حولها . ويدوّن ثالثاً جريدة التخريج ، ولا يقتصر هذا التخريج على كتب التراث القديمة بـــل يدرج بعض المراجع الحديثة التي لا يصح الاعتماد عليها في مثل هذه الأبحاث . ويثبت رابعاً نص الشعر . وكل هذه المراحل في أصل الديوان أي في المتن .

فاذا نزلنا الى الهامش نجد هامشين بدلاً من واحد ، الأول : لبيان معاني المفردات والشروح اللغوية ، وهو ينقل ذلك عن معاجم اللغةوقليلاً ما يتدخل هو ، وهذا شيء حميد . والهامش الثاني : لمقـــابلة الروايات وبيان اختلاف القراءات ؛ ولكل من الهامشين أرقام خاصة تتبـع الأصل.وعندي ملاحظات على هذا الأسلوب في التحقيق :

لقد اختلط شعر عمرو بروايات المصادر بكلام المحقق ، فأصبح الديوان في متنه لا يقتصر على شعر عمرو ، بل يحفل بالأخبـــار والتعليقات والروايات والقصص والشروح ، وتداخل نتيجة لذلك أسلوب المحقق بأسلوب الاخباريين وصار الديوان في هذه الحال أقرب الى (مجالس الزجاجي) و (أمالي القالي) منه الى التحقيق العصري . ولو جعل المحقق كلامه وتعليقاته في هامش الديوان

لتحرر شعر عمرو من أسلوب الرواة والقصاص والاخباريين ، وحقاً ان القدامى كانوا يفعلون هذا في شرح الدواوين وكانت لهم أساليبهم وأسبابهم في عصور خلت ، أما المحدثون فقد شرحوا وعلّقوا وصوّبوا وخطّأوا، كل ذلك في الهامش وليس في المتن . لقد عمل الاستاذان شاكر وهارون في الأصمعيات والمفضليات عملاً جليلا حين ترجموا لصاحب القصيدة وذكروا جوّ القصيدة ثم خرّجوها وشرحوها ، وكل ذلك في الهامش ، وبقي النص سليما مبرّأً من التدخل ، وكان الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد يؤلف الكتب في هوامش الكتب كما فعل في « أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك » لابن هشام ، ولكنه ألف شرحه أو كتابه - كما يحب أن يسميه - في الهامش واحترم النص ولم يتجاوز عليه . أما الاستاذ الطعان فقد طعن هذا العرف أو التقليد أو المنهج، وراح يفعل ما فعله صناع الدواوين القدامى مثـــل السكري والشيباني والطوسي وغيرهم ، ان ميدان المحقق أو الشارح هو الهامش أو الحاشية يخدم النص من خلاله في حدود معقولة مقبولة .

وكان بودّي أن يفرد المحقق الشعر الذي تثبت صحته لعمرو بلا شبهة أو خلاف ويضبطه ويذكر رواياته في قسم ،ويفرد قسماً آخر للشعر الذي ينسب لعمرو ولغيره من الشعراء وهو كثير ، وبذلك يسلم شعر عمرو ، ويستطيـــع القارىء عندئذ أن يطمئن اليه . وتعال نُلقِ نظرة على قصائد الديوان فماذا نجد ؟

أما القصيدة الأولى فحقها أن توضع ضمن الشعر المنسوب لأنها لم ترد في المصادر التي ذكرها المحقق ، ذلك ان هذه القطعة - وأسمّيها تجوُّزاً قصيدة - لا تصحّ لعمرو بل هي ثابتة لسهم (أو سهل) بن حنظـــلة الغنوي صاحب الأصمعية الثانية عشرة ، وهذا الشعر من ذاك ولم ينسبها أحـــد لعمرو إلا صاحب الأغاني في رواية ضعيفة فقد قال : (ومما قاله عمرو بن معديكرب في ريحانة أخته وغنى فيه قوله :

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا إذ فارقتكَ وأمست دارها غربا

ثم رجع أبو الفرج عن هذه النسبة وذكر قول الأصمعي في نسبة الشعر الى سهم الغنوي من قصيدة طويلة حسنة كما يقول الأصمعي (الأغاني ١٥ / ٢٤٠) ولا يعقل ان يتغزل عمرو بأخته كما فطن الى ذلك المحقق نفسه . ولم يكتف الأستاذ المحقق بفعلته هذه بل وجد بيتاً هجيناً لا صاحب له ألحقه بالقطعة ، والمبرر عنده قوله : (وقد أضفت الى الأبيات التي رواها صاحب الأغاني (؟) البيت الذي رواه القالي غير معزوّ وعزاه البكري الى سهل بن حنظلة الغنوي ذلك لأنه غير موجود في الأصمعية وفيه ذكر للأبناء) وهذا لعمري عذر أقبح من ذنب ، فهل يقوم عدم وجود البيت في الاصمعية حجة على ان البيت لعمرو ؟ أم ان ذكر الابناء سبب كاف لنسبته الى عمرو ، لأن عمراً يمني والابناء كانوا في اليمن؟ انك تستطيع أن تنسب – وفق هذا المنطق – البيت الى أي شاعر آخر من اليمن وهم كثرة منهم قيس بن مكشوح المرادي والافوه الاودي وطفيل بن يزيد المازني والحارث بن وعلة الجرمي وعبد الله بن عجلان النهدي وزهير بن جناب ومالك بن حريم ومحرز بن شريك الحميري وفروة بن مسيك المرادي ، ولو أسعفتني الذاكرة لسردت لك العشرات منهم .

وإذا كان العمل الادبي يشدّنا الى صاحب الديوان ويجعلنا نتعاطف معه ، فإن الامانة العلمية تجعلنا نفحص النصوص ونمحص المصادر ونعزو الشعر لأهله دونما عصبية أو حماسة لأحد ، فالحب غير العصبية ، والامانة والدقة العلمية فوق كل ذلك .

أما القصيدة الثانية ففيها البيت الرابع :

عجّتْ نساء بني زياد عجة   كعجيج نسوتنا غداة الارنب

اضطربت المصادر في نسبته الى عمرو أو الى رجل من بني أسد ، وقد نسبه البحتري في حماسته (ص ٦٣) الى الاسدي وكذلك فعل القالي (الامالي ١ / ١٢٤) وسكت عن نسبته الزمخشري (المستقصى ٢ / ٤١٦) وكان حق البيت ما دامت النسبة قد تنازعته أن يوضع ضمن الابيات التي يشك في نسبتها وبخاصة ان في البيت رواية فيها هجاء لبني زبيد : عَجّتْ نساء بني زبيد

عجة) ، ولا يصح أن ينسب في هذه الحال لعمرو ، ويقول المحقق : (وروى البكري عن ابن حبيب نسبته للأسدي أيضا ، وفي زمن متـــأخر قفتّى على آثارهما صاحب اللسان ، ولكننا رأينا ان أقدم المصادر وأوثق المطلعين على ديوان عمرو يثبتون هذا الشعر له) (ص ٢٩) . ومن كلامه نفهم انصاحب «اللسان»نسب البيت للأسدي ولم يذكر عمراً، وإذا رجعنا الى اللسان(رنب) نجد البيت منسوباً الى عمرو نفسه ، وبهذا صار تعليقه الذي نقلناه حول اللسان لاغياً .

يبقى البيت العاشر الذي وضعه المحقق عاشراً ، وانفرد بروايته صاحب الموازنة ، وقدّر المحقق انه من القصيدة . وعنـــدي ان البيت العاشر ليس عاشراً بل ليس من القصيدة في شيء ، إذ لم يرد ضمن الابيـات وقـد جاء به صاحب الموازنة مفرداً ، وكان حقه أن يوضع مع الأبيـات المفردة ، وان اقحامه في القصيدة ضرب من المغامرة وحيث لا يقتضيه السياق ، وإذا كان لا بد من وضع هذا البيت في القصيدة ، فحقه عندئذ أن يوضع بعـــد البيت الثالث الذي يتحدث فيه عن بني زياد ويكون قوله :

واستيقنوا منا بوقع صادق	هربوا وليس أوان ساعة مهرب
تركوا السوام لنا وكل خريدة	بيضاء خرعبة وأخرى ثيّب
عَجّتْ نساء بني زياد عجة	كعجيـج نسوتنا غداة الارنب

واستكمالاً لهذه القصيدة عليه أن يشير الى رواية الحيوان في البيت السابع (لا يحسبن بنو طليحة) بالياء التحتية وليس التاء الفوقية ، وقد سقط واو العطف في البيت الثامن (بوفضة وبأ كلب) وبه يستقيم البيت .

والقصيدة الرابعة لا تصح لعمرو ، وكان عليـه أن يثبتها في الشعر الذي ينسب اليه وإلى غيره ، هذا القسم الهام الذي يفتقر اليه الديوان ، والقصيدة للعباس بن مرداس ، ونسبتها اليه راجحة ، ولذلك أثبتها في ديوانه ، وقـد جاءت في مخطوطة شعر العباس بن مرداس السلمي ، والمحقق الفـــاضل يقر قراراً صريحا بأنها ليست لعمرو : (القصيدة ليست لعمرو ... وكنت نفيتها دون تردد لولا شيء في نفسي من البيت العاشر فهو عند سيبويـــه منسوب

لعمرو) (ص ٣٣) . والبيت العاشر ورد منسوباً لأربعة شعراء عمرو واحد منهم هم : العباس بن مرداس وأعشى طرود وخفاف بن ندبـــة وعمرو بن معديكرب .

وقد قال المحقق في دراسة نسبة القصيدة : (وقد نشرها الدكتـور يحيى الجبوري في ديوان العباس بن مرداس ووعد بايراد التخريج ولم يفعل) وهذا كلام غير صحيح ، فالتخريج موجود في نفس الصفحة ٣١ من الديوان التي أشار اليها وجاء فيها : (القصيدة في المخطوطة ، والخزانة ١ / ١٦٦ والابيات ١-١٠ في المؤتلف والمختلف ص ١٦-١٧ ، والابيات ١ ، ٧ - ١٤ في شرح شواهد المغني ٢٤٨/١ وغيره) ، هذا هو التخريج ، وهناك تخريجات تفصيلية واضافات أردت إثباتها في الملحق أشرت اليها بكلمة (وغيرهـا) وقلت : (انظر التخريج بعد) وكنت أعددت ملحقاً في عشر صفحات كبيرة فيها تخريجـات واستدراكات ما أردت أن أثقل بها هامش الكتاب وأردت أن أرجئها الى الملحق ، وقد أودعت هذه الصفحات لدى المطبعة وسافرت الى مكة المكرمة للالتحاق بعملي آنذاك بكليتي الشريعة والتربية ، ولكن لأمر خارج علمي أهملت الصفحات أو ضُيّعَت ، وقد عانى المحقق عند الطبع في نفس المؤسسة بعض ما عانيت . وأرجـــو أن أستدرك ما فات في الطبعة القادمة .

البيتان في تسلسل القصائد ١٣ قوله :

جئتهم والطير تدعو إلفها في الرابياتْ
فسبينا كل عـذرا من بنـــات ناعماتْ

لم يرد البيتان في مصدر قديم ، وجاءا في مرجع معـــاصر هو « أحسن السبك في شرح قفا نبك» لمحمد يار جنك بهادر، ولا يمكن الاعتماد على مثل هذه المراجع ، عدا ان أسلوب الشعر لا يجانس شعر عمر ، وليس هو من أسلوب ذلك العصر ، وقد تنبه المحقق لهذا ، ثم ان مجزوء الرمل قليـل بل نادر في الشعر القديم ، وكان عليه أن يسقط هذين البيتين ولا يفسد بها شعر عمرو ، فهما من تأليف عصر العجمة والرطانة ، فما قال قط شاعر فصيح مثل قوله :

(من بنات ناعمات) ، فمثل هذا الشعر فاسد ، ظاهر الصنعة ، لا يقبل في حمى الشعر القديم .

ولا أريد أن أسترسل في تفلية القصائد ، ولكـــني أودّ أن أشير الى القصائد والابيات التي يجب أن يسقطها من الديوان أو يضعها مـــع الشعر المنسوب أو المتنازع عليه ليسلم شعر عمرو خالصاً له . والقصائد هي: الاولى، والبيت الرابع من القصيدة الثانية ، والرابعة ، والبيتان في ق ١٠ ، والبيتان في ق١٣ و ق ٢٢ غير الثلاثة أبيات الاولى ، والابيات الثلاثة في ق ٣٠ و ق ٣١ وق ٤١ و ق ٤٦ و ق ٤٨وق٥٨وق ٦٢ و ق ٦٤ و ٦٦ و ٦٧ و٨٤و٨٥ و ٨٧ و ٨٩ .

وبقيت هناك هنات هينات كنت أود أن يسلم الديوان منها ، وهي :

ص ١١ عند إشارته إلى صلة قيس بن مكشوح المرادي بعمرو ، وهو ابن أخته ، ذكر المصدر بقوله : (كتب الصحابة) وهذا لا يصح إذ أن كتب الصحابة كثيرة والتعميم مضلة، فكان عليه أن يعين الاصابة مثلا أو الاستيعاب أو أسد الغابة أو طبقات ابن سعد وهكذا ثم يذكر رقم الترجمة وموضعها من الجزء والصفحة ، وقد كرر مثل هذا في ص ١١ مرتين وكذلك في ص١٥ حيث قال : (وانه أدرك خلافة معاوية) وأشار إلى أن الخبر في الأغاني و«الشعور بالعور»و«كشف الظنون » وإذا كنا نتساهل في ذكر الصفحات في كتب التراجم فلا يمكن التساهل في مثل الأغاني ، وقد كثرت هذه المصادر المغفلة في مواضع متعددة .

وفي هامش ص ١٢ ذكر في مصادره الطبري وابن خـــلدون ثم العقد فالكامل ، وكان حق ابن خلدون أن يؤخر ، وقد التزم المحق في مصادره بذكر الوفيات واغفل ابن خلدون ووفاته سنة ٨٠٨ هـ كما أغفل وفاة ابن هشام صاحب السيرة وهي سنة ٢١٨ هـ وابن منظور ووفاتـــه سنة ٧١٦ هـ وغيرهم .

ص ١٣ بعض المصادر يضعها ضمن الكلام ولم ينزلها في الهامش وبخاصة في

الصفحات ١٣ – ١٥ ويبدو أن هذه الصفحات قد حشرت في الكتاب بعد أن جهز للطبع .

ص ١٥ أسلوب المؤلف أسلوب علمي فيـــه تواضع محمود ، فهو يتحدث بضمير الفرد حين يقول : (قلت وعملت ورتبت ..) ولكنه يخرج على هذا في مواضع أخرى فيتحدث عن نفسه بصيغة الجمع على شاكلة قوله : (على أننا قد ناقشنا ذلك ونفيناه في دراستنا) ولا يعجبني هذا الأسلوب في تفخيم الذات وبخاصة في الدراسات العلمية ، والأولى أن تختفي الضمائر كلياً إلا عند الضرورة فيستعمل ضمير المفرد .

في ص ٣٣ ذكر البيت :

له هامة ما تأكل البيض أمها   واسباح عادي طويل الرواجب

لا معنى لـ (أسباح) هنا ، والرواية هي (أشباح) بالشين المعجمة ، كما في الشعر والشعراء ط شاكر . والغريب أن يترك المحقـــق رواية ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ويأخذ برواية البغدادي في الخزانة (١٠٩٣هـ) .

ص ١٢٠ – ١٢١ ذكر تعليقاً لمحققي الأصمعيات في (جو القصيدة) ثم ذكر تعليق الهمداني صاحب « الاكليل » ثم عقب على ذلك بقوله : (وأنت ترى أن كلا من محققي الأصمعيات والهمداني لم يذكروا مناسبة القصيدة كما يجب) ومع ذلك فالمحقق الفاضل لم يذكر شيئاً من عنده إضافة إلى كلامهم ، أليس من الأصلح أن يذكر هـــو مناسبة القصيدة كما يجب ان كان هناك ما يقال فيها ؟ وعندها يكون تعليقه أو نقده ذا بال !

ص ١٨٦ البيت ٢١ :

فقذفنهنّ على كهول سادة   وعلى شراحة من الفتيان

الرواية الصحيحة في الأمالي الذي نقل عنه : (من الشبان) ولعل هذا من سهو الطبع .

ص ١٤٦ قوله :

فلولا سراة الحي من آل مالك وذروة عوف كان حوضك مترع

وقد سقطت (كان) من الشعر ، وفي الهامش : (وفي هامش الاكليل (كان تامة) ثم علـــق المحقق قوله : (قلت ولست أرى وجها لتامها) ، وأقول : بل الوجه هو تمامها وبه يستقيم البيت ، إذ أن البيت عند عمل كان يصبح : (كان حوضك مترعا) ويقع الشاعر في الاقواء .

وكنت أود بعد هذا لو أن الأستاذ المحقق عني بضبط الشعر وشرح بعض المفردات الصعبة وخاصة القصائد ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ولو ترك الأبيات المفردة دون أن يتدخل في محاولة جمعها وضم بعضها إلى القصائـــد . أما الأخطاء المطبعية فكثيرة والظاهر أن المحقق أو المصحح أهمل التصحيح في القسم الأخير من الديوان ، أما فهرس المصادر فيحفل بالأخطاء المطبعية ولم تمتد إليه يد بالتصحيح اطلاقاً .

ومهما يكن من شيء فإن الأستاذ الطعان بتحقيقه وجمعه شعر عمرو قدم خدمة جليلة للتراث العربي فقد أضاف إلى المكتبة العربية أثراً نفيسا عزيزا طال ارتقابنا إياه ، والقارىء لديوان عمرو يجد الجهد الكبير الذي بذله المحقق الفاضل ويلمس العلم الغزير والفهم الأصيل لطبيعة الشعر القديم وأصوله ومصادره وتمكنه الظاهر في اللغة وأساليبها .

وأنا وإن كنت اختلف وإياه في الشكل والمنهج فإني أبارك له هذا الكتاب القيم الذي لولا علمه الغزير وأدبه الأصيل ما عنّاني مشقة قراءته والكتابة عنه ، وأرجو لأخي الطعان مزيداً من الانتاج الجيد في دروب التراث العربي.

كلية الآداب — جامعة بغداد يحيى الجبوري

أبو علي الهجري

ونوادره

[نشرت – في عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨م) – بحثاً هو « أبو علي الهجري وأبحاثه في في تحديد المواضع » جاء في ٤٤٣ صفحة – وقدمته بهذه الكلمة : (الإهداء : عرف الهجري – في القديم –بطريق علماء المغرب الأقصى كابن حزم السرقسطي ، وابن سيده وغيرهما من أهل الأندلس ، وعرف – في الحديث – بطريق علماء من أقصى الشرق : أستاذنا العلامة الجليل أبي عمر عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، والأستاذ زبير الصديقي ، والأستاذ أبو محفوظ الكريم من بلاد الهند . فإلى تلك النخبة الممتازة من العلماء العاملين في سبيل العلم ، للعلم وحده ، أقدم هذا البحث رمز اعتراف بفضلهم ، وهو أقل من أن يفي باليسير من واجب الوفاء لهم ، غير أنه جهد المقل)ولقد حاولت معرفة عناوين هؤلاء العلماء بطريق الملحقين الثقافيين في سفارتي الهند وباكستان لأبعث اليهم نسخاً من هذا الكتاب ، فلم أتمكن . فبعثتها بواسطة سفيرنا في الهند وباكستان سابقاً وفي العراق الآن الشهم المفضال الشيخ محمد الحمد الشبيلي . ويظهر أن بعض النسخ لم يصل إلى من بعث إليه ، فقد اطلعت في جزء ربيع الأول سنة ١٣٨٩ (يونيه سنة ١٩٦٩م) على بحث ممتع للأستاذ أبي محفوظ الكريم المعصومي ، يدل على أنه لم يطلع على مؤلفي عن الهجري ، وقد رأيت نشر هذا البحث لما فيه من معلومات قيمة ، تدل على ما يتصف به كاتبه الأستاذ الجليل من سعة اطلاع وقوة اهتمام وعناية بالأدب العربي ، وباللغة العربية لغة القرآن الكريم] .

كنت عرفت أبا علي الهجري وكتابه في النوادر والأمالي اللغوية مما أورده عنه الأستاذ عبد العزيز الميمني في حواشيه على كتاب (١) اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري (المتوفي سنة ٤٨٧) اعتماداً على نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية ، وقد ذكرها في مقاله المنشور في مجموع المباحث العلمية (٢) .

ولما استقر بي الأمر في مدينة كلكتا ظهر لي في أثناء البحث عن نفائس المخطوطات أن خزانة المجمع الأسياوي تحوز نسخة جليلة (٣) من نفس هذا الكتاب للهجري، ويبدو أن الأستاذ وما اتفق للأستاذ الميمني لم يوفق في العثور

عليها أن يعثر عليها ، ولكنني مع ذلك لم أزل تصرفني معاكسة الظروف عن تلك النسخة الشيقة الفاردة ، إلى أن متعني الله أن تكتحل العين بسوادها عام ١٩٥٣ م . والنسخة البالية التي عثر عليها الميمني الجهبذ في الدار ، قد حصلت الجمعية الاسيوية على تصويرها الشمسي فقرأت النسختين معاً قراءة إمعان وتدبر ، وقد تبين لي أن النسختين صورتان من أصل عتيق من نوادر الهجري وليست احداهما عين الأخرى .

ترجمة الهجري : إن أبا علي هارون بن زكريا الهجري، ظل منذ أكثر من ألف عام مغموراً مثل آخرين من نظرائه الذين لم يرزقوا انتشار الذكر في المراكز الثقافية . فبقيت حياتهم تماماً وراء ستار الماضي السحيق .

قد عقد له ياقوت الرومي (المتوفي سنة ٦٢٦ هـ) وحده ترجمة قصيرة جداً في معجم الأدباء له ، وهي قصارى ما وصل الينا عن حياته في كتب التراجم والطبقات ، والترجمة [٤] بنصها كما يلي :

« هارون بن زكريا الهجري أبو علي النحوي ، صاحب كتاب النوادر المفيدة ، روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي وغيره ولا أعلم من أمره غير هذا » — ا هـ .

ولقد نقلها السيوطي نصاً في كتابه بغية الوعاة [٥] ، إلا أنه حذف منها الفقرة الأخيرة أعني « ولا أعلم من أمره غير هذا» ا هـ. وتابعها الحاج جلبي[٦] فذكر الهجري وكتاب النوادر المفيدة له وأما بروكلمان الألماني [٧] فانه دل على نسخة الدار فقط ثم نقل الخلاف في اسم الكتاب عن الحاج خليفة في الجزء الثاني من ذيل كتابه [٧] الحافل .

أما هذه النسبة إلى (هجر) فليس عندنا ما يفيد القطع في تحديدها ، فقد عرفنا بهذا الاسم مواضع عديدة في جزيرة العرب كما ذكرها أصحاب البلدان ولكن أشهرها هجر البحرين وقد أرادوها في أمثالهم السايرة منها

قولهم – « مبضع تمر إلى هجر » – فلا غروان تعتبر نسبته إليها أولى ما يوثق به ما لم نعثر على نص في ذلك .

تحديد عصره : ولا سبيل إلى تحديد عصره إلا أن نتشبث فقط بشتى الأمائر والقرائن المبعثرة في طوايا الكتاب وبعضها على وجه الايجاز كما يأتي :

١ – قرأنا فيما أنشد الهجري للشعراء المحدثين من قصائد طائفة ممن عاشوا في الغالب إلى منتصف القرن الثالث ولعل آخرهم جميعاً لم يجاوز أواسط ذلك.

من هذه الطائفة (٨) عمارة بن عقيل الذي مـدح الواثق بالله (المتوفي سنة ٢٣٢ هجرية) وعسكر بن عقبة المرداسي وكان بعد (٩) المائتين كما نص على ذلك الهجري نفسه ، وناهض بن ثومة الكلابي الذي ترجم له أبو الفرج الأصبهاني في أغانيه ترجمة (١٠) ضافية ولقـد روى عنه مباشرة أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي (المتوفي سنة ٢٥٧ هـ) وعبد الله (١١) بن هُبّة من بني هبيرة بن مرداس الذي مدح أبا المغيرة بن عيسى المخزومي وذكر ابن (١٢) حزم ان المخزومي هذا ولي مكة للمعتمد (المتوفى سنة ٢٧٩هـ) .

والظاهر أن الهجري عاصرهم بلا شك ، إلا أنه لم يلقهم ولذلك لم يرو شيئاً من شعرهم بدون واسطة أحد من الرواة .

٣ – وكذلك رأينا ، إلى جانب الاعراب الذين أخذ عنهم بالمشافهة أنه يروي عن اثنين من العلماء المثقفين وهما :

(أ) أبو ذكوان (١٣) ربيب التوزي وكان من أقران المبرد (المتوفي سنة ٢٨٥ هـ) وله كتاب معاني الشعر رواه ابن درستويه .

(ب) وابن الأعرابي (المتوفي سنة ٢٣١) من أئمة اللغة المشاهير (١٤) وعلى فرض أن الهجري لقيه في أخريات أيامه وأنه بلغ إذ ذاك الخامسة عشر من عمره يكون يكاد مولده سنة ست عشرة ومائتين أو ما يقاربها .

ومهما يكن من الأمر فانه من أقران أبي العباس ثعلب الذي ولد على رأس

المائتين وبلغ من العمر عتياً (١٥) ومن صغار أقرانه ابن درستويه الذي ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين . هذا ما يعن لي فيما يختص بمولده .

وأما بخصوص نهاية عمره ، فلا يخلو من الفائدة ما تقدم عن ياقوت أنه روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي وغيره ١٠هـ فقد اتفقت [١٦] رحلة ثابت الى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائتين وشاركه في الرحلة والسماع ابنه قاسم ومن هنا يتضح ان الهجري لم يتجاوز المائة الثالثة فانه عاش بلا شك الى بعض عقودها الناجزة . ولا يبعد أن نقدر أنه عاش نحو ثمانين سنة وتوفي بناءعلى ذلك سنة ست وتسعين ومائتين أو نحوها .

شيوخه ومصادر علمه : أخذ الهجري غالب علمه من أعراب البادية ورواتها وحداتها وأما غيرهم من أعلام الحواضر فرأيناه قلما يروي وقد تقدم أنه لقي ابن الأعرابي وأبا ذكوان على أنه ينقل أحيانا عن كتب بعض الأعلام فقد نقل من « المصنف » فقرة ولعله أراد « الغريب المصنّف » لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفي سنة ٢٢٤ هـ) وحكي عن الفراء مرتين وذكر كتاب لغات القرآن [١٧] له مرة واحدة فقط . وأحال على أبي محلم [١٨] وكتاب الأنواء له في موضع واحد كما أحال على التوزي [١٩] (المتوفىسنة ٢٣٣ هـ) دون أن يسمي مؤلفاً له .

وصف نوادره : تتفق طريقته في أماليه ونوادره تماماً بمنحى المؤلفين المعروفين في حقل الأمالي والنوادر . فبينما هو يأخذ في انشاد قصيدة أو مقطوعة شاردة تعن له شتى المناسبات يؤديه بعضها الى تفسير غريب الشعر وعويصه وبعضها إلى سرد الأنساب وإحصاء البطون والفصائل . وبينما هو يفري فريه في ذلك تداعيه الفكرة مرة إلىأن يأخذ في تحديد بعض الأماكن والمياه والجبال ومرة أخرى الى أن يتفاوض في وصف ما ينبت بالبراري والسهول والحزون من ضروب النبت والشجر .

وبعد التيا والتي فان كتابه من الأمهات العتيقة في اللغة وصنوف الأدب

يحتوي على مادة غزيرة معظمهاما يستدرك بـه على مختلف المواد المضبوطة في الكتب المأثورة عن اليزيدي والقالي والزجاجي وأمثالهم ، كما انه يمثل في حقل أسماء الجبال والأمكنة والمياه في جزيرة العرب باشياء غير يسيرة تضاف إلى جملة ما ورد في « معجم ما استعجم » للبكري و « معجم البلدان » لياقوت وما الى ذلك من كتب وصحف ورسائل شتى متداولة في صفة جزيرة العرب .

وبالجملة فنستطيع أن نتبين أن الهجري في الغالب يزودنا في كل واحد من الصنوف المتقدمة بمادة لا نكاد نعثر عليها عند غيره من كبار المؤلفين .

ومن هنا نجـــد القسم المشترك بينهم وبينه قليلا جدا . ونراه فيما ينشد ويروي لا يكاد يتعرض لمشاهير شعراء الجاهلية والاسلام إلا إذا وجد في وطابه شيئاً نادراً مما يعزى إلى بعضهم .

انه أورد مثلاً لامرىء القيس بيتاً جديدا رواه عن[٢٠] أبي الغطمش فقال: وزاد لامرىء القيس بيتاً لم أسمعه إلا منه، بعد قوله - فيا عجبا من رحلها:—

وواعجبا مني ومن حال ناقتي وواعجبا للجـــازر المتبذل

وقد كان شرط عليهن إذا نحر ناقته أن تقوم عنيزة متبذلة بجزرها فلهذا زاد البيت » – ا هـ .

وكذلك أنشد لعنترة بيتين فقط همـا :

فان ابن سلمى فاطلبوا عنده دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دم
يروح ويغدو في جبال حريزة باعطاف سلمى حيث لا يتهضم

ويلاحظ أنهما في الأغاني [٢٢] مع بيت ثالث هكذا :

وان ابن سلمى عنده فاعلموا دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي
إذا ما تمشى بين أجبال طيىء مكان الثريـــا ليس بالمتهضم
رماني ولم يدهش بأزرق لهذم عشية حلوا بـــين نعف ومخرم

وأنشد لمزاحم العقيلي فائيته[٢٣] الطويلة في مائة بيت وأربعة أبيات على أننا

لم نقف منها على أكثر من عشرين بيتاً وبيتين (٢٤) ولعل هذه الثلاثة التالية من روايته بقية من لامية (٢٥) مزاحم الطويلة التي نشرها الدكتور كرنكو نقلاً عن بعض المجاميع المخطوطة :

إذا سمعت لهو الحديث تنبرت شموس الصبا مزهوة لم تذلل
كما التفتت منسوبة أعوجيّة لحس لجـــام راعها متصلصل
وان جدوى الجن يستعلنوا لها وإن ير جدوى راهبالطور يغزل (٢٦)

وصف المخطوطين : وصل الينا من نوادر الهجري جزءان ضخمان فقط وهما من أجل النسخ الخطية أحدهما في دار الكتب المصرية (تحت رقم ٣٤٢ خصوصية) والآخر عندنا في خزانـــة المجمع الأسيوي في كلكتا (برقم ١٠٢٤ ع) . وكلاهما سيان خطاً ورسماً وقلماً ، لا مغايرة بينهما أصلاً باعتبار شيء من ذلك . وقـــد انتسخهما الناسخ بخط الثلث النسخي لخزانة واحدة وهي خزانة السيد الأجل الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي . فقد ورد على صفحة الغلاف لكل واحدة منهما :

« كتاب التعليقات والنوادر عن أبي علي هرون بن زكريا الهجري »

وجاء في الوسط هذه العبارة :

« للخزانة السيدية الأجلية الأفضلية الجيوشية السيفية العاصرية[1] الكافلية الهادية عمرها الله بدايم العز (٢٧). وفي نسخة الدار وحدها فوق هذه العبارة المتقدمة عبارة اخرى بقلم مختلف وهي :

« للخزانة السعيدة الفايزية عمرها الله بدايم العز والبقاء » .

والظاهر أن هذه النسخة فارقت أختها فانتقلت الى الخزانة الفايزية (٢٨) بعد أن كانتا معاً تحوزهما الخزانة الافضلية الجيوشية وأما الاخرى فلا ندري أين ترامت بها الليالي غير انه اتفق لهما بعد ذلك بزمن غير قصير ان تتواصلا

---

(١) : الناصرية (العرب) .

مرة أخرى كما يتضح من هذه العبارة التي نصها « طالعه ونقل منه فوائد الفقير الى الله تعالى احمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد القيسي » — اهـ . ورد هذا التوقيع على وجه النسختين وهو بخط ابن مكتوم تاج الدين ابي محمد (٢٩) القيسي الحنفي الذي لازم أباحيان الأندلسي دهراً طويلاً ومن أغر تصانيفه « التذكرة » في ثلاث مجلدات سماها (قيد الأوابد) ربما يخطر بالبال أنه أثبت في هذه التذكرة أشياء نقلها عن المخطوطتين مباشرة ولكن هذه التذكرة صارت أثراً بعد عين وتوفي ابن مكتوم في رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

وعلى كل حال فان المخطوطين بقيا مؤتلفين في ظرف القرن السابع والثامن الى أن طوحت بها الطوائح مرة أخرى فتفرق شملهما بأن [بقي] أحدهما في مصر والآخر ترامت به الأسفار حتى القى عصا التيسار بالهند النائية عن مهد العروبة ولكنه فيما يظهر لم يصل اليها قبل استيلاء عملاق الاستعمار على مقاطعة ثم على غيرها من أصقاع الهند . فدخل ذاك المخطوط في حوزة الخزانة التابعة لكلية فورت وليام في كلكتا .

وأخيراً لما انتقلت طائفة كبيرة من ذخائر كلية فورث (٣٠) وليام الى خزانة المجمع الآسياوي فوصلت هذه النسخة العتيقة من كتاب التعليقات والنوادر الى مستقرها في المجمع سنة ١٨٣٦م .

هذا وقد ثبت على وجه النسختين خطوط شتى وتوقيعات أخرى لسنا بصدد بيانها الآن الخطية والمزايا الرسمية ولكن ذلك موعد آخر في مقدمتي عليهما فقد هيأتها بتوفيق الله تعالى للطبع والنشر .

قضية ترتيبهما : ولقد ثبتت عندي نتيجة للبحث عن القرائن والشواهد التي نستند اليها أمور ثلاثة :

١ — أولها ان الجزئين المخطوطين ليس أحدهما عين الآخر بل انهما صنوان

شقيقان من أصل عتيق يتواشجان سدى ولحمة ويمثلان في حد ذاتهما جزئين تامين من الكتاب غير انهما لا يخلوان من انسلال وريقات عديدة من هنا وهناك لطول العهد وقدم الزمان .

٢ — وثانيهما ان الجزئين يعوزهما قسم مفقود عسى أن يكون الجزء الأول من الكتاب .

٣ — وثالثها ان الجزء المحفوظ في كلكتا متقدم قطعا على الجزء المحفوظ في الدار [١] ولعلهما على الولاء الثاني والثالث من أجزاء الكتاب بناء على أن يكون الكتاب بتمامه في ثلاثة أجزاء .

صحة انتمائها إلى الهجري : ومما يجب الانتباه إليه أنه ورد في مواضع من الجزئين قال أبو علي كذا أو « أنشد أبو علي » كذا ، فيتبادر إلى بعض الأذهان بادىء ذي بدء أن الهجري لم يكن مؤلف الكتاب وما كان له في صنعه يد ولا اصبع . لكنني لا أرى هذا الرأي سديدا ولا مستقيما وذلك لأن النقل إلى الغيبة من الأساليب الشائعة التي تعودها المتقدمون ولذلك أمثلة كثيرة في التآليف القديمة التي لا يتطرق أدنى ريب في صحة انتمائها إلى مؤلفيها . ومما يفيد القطع في الباب أنه صدر بعض فصول الكتاب بهذا العنوان الذي نصه وفصه — « ما سمعه أبو علي من أبي نافذ الخفاجي وعرضه عليه بعد سماعه منه وصححه بالمدينة [٣١] فالصواب إذن أن الهجري هو الذي جمع وأوعى ضروب علمه مما حمله عن الأعراب في هذا السفر الجليل وباشر تأليفه وتقييده ثم إنه أملى على بعض من رغب في ذلك واستملاه .

رواية الكتاب : انني مع افراغ وسعي في البحث لم أقف على من روى الكتاب عن الهجري وعلقه عنه ولا على طريق الرواية التي وصل بها تفاريق

---

(١) لعل الصواب المكس ، ذلك أننا نجد في جزء كلكته بيتاً واحداً من مرثاة ماعز بن مالك . بينا نجدها في جزء الدار المصرية ١٨ بيتاً ، فهو —فيما يظهر— وجد ذلك البيت بعد إيراد القصيدة فاستدركه.

مادته إلى طائفة من الأعلام الجلة الذين سيأتي ثبت أسمائهم ولكن الصواب بلا امتراء أن الكتاب ما زال معدوداً في المصادر الأصلية الموثوق بها كما أن رهطاً من علماء الأندلس اطلعوا على قيمته العلمية وسبقوا اخوانهم المشارقة إلى الاستسقاء منه ولا يستغرب بناء على ذلك أن نظن بأن الذي جلب الكتاب إلى الأندلس رواية عن مؤلفه مباشرة هو ثابت بن حزم وابنه قاسم بن ثابت فقد رأيناهما (٣٢) أدخلا كثيراً من كتب الحديث واللغة في الأندلس ولقد نصوا على أنهما أول من أدخل فيها كتاب العين — .

الذين وقفوا عليه واستقوا منه : يظهر ما حظى به الكتاب من التقدير والأهمية على مر العصور والأجيال ، من الثبت الآتي لأسماء جماعة من علية العلماء الذين اعتمدوا عليه واستقوا منه بلا واسطة أو بالواسطة وهم :

ابن سيدة ، علي بن اسماعيل الأندلسي (— ٤٥٨ هـ)
أبو عبد البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (— ٤٨٧ هـ)
أبو الوليد الوقشي ، هشام بن أحمد (— ٣٨٩ هـ)
ابن فتحون ، أبو بكر محمد بن خلف (— ٥١٩ هـ)
أبو محمد الرشاطي ، عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي (— ٥٤٢ هـ)
ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك (— ٥٧٨ هـ)
ابن بري اللغوي أبو محمد عبد الله المقدسي المصري (— ٥٨٢ هـ)
ابن الأثير الجزري المبارك بن محمد (— ٦٠٦ هـ)
ابن منظور الافريقي محمد بن مكرم (— ٧١١ هـ) (١)
أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (— ٧٤٥ هـ)
ابن مكتوم القيسي ، أحمد بن عبد القادر (— ٧٤٩ هـ)
علاء الدين الحافظ مغلطاي بن قليج (— ٧٦٢ هـ)
ابن حجر الحافظ ، أحمد بن علي العسقلاني (— ٨٥٢ هـ)

---

(١) قد تكون النقول التي في اللسان عن الهجري مما أورده ابن سيده فنقله ابن منظور بدون اطلاع على مؤلفات الهجري .

بدر الدين الحافظ ، محمود بن أحمد العيني (- ٨٥٥ هـ)
نور الدين السمهودي ، علي بن عبد الله (- ٩١١ هـ)
المرتضى البلجرامي محمد بن محمد أبو الفيض الحسيني الهندي ثم الزبيدي (- ١٢٠٥ هـ) [١] .

أمثلة النصوص المنقولة عن الهجري : أما النصوص التي أورد هؤلاء الجلة تفاريقها في كتبهم نقلاً عن الهجري فنكتفي منها بالاشارة إلى بعض الشوارد اللغوية فقط وهي مما عثرت عليه في بعض ذينك الجزئين المخطوطين فلتراجع الكلمات التالية في اللسان والتاج والمحكم :

التلفة : - الهضبة المنيعة التي يغشى من تعاطاها التلف عن الهجري وأنشد :

الا لكما فرخان في رأس تلفة ... اذا رامها الراقي تطاول نيقها

(اللسان ٧ : ٣٨٨ ومستدرك التاج ٦/٥٠)

الحومل : السيل الصافي عن الهجري وأنشد :

مسلسلة المتنين ليست بشثنة ... كأن حباب الحومل الجون ريقها

(اللسان / ١٣ - ١٨٩ وتاج العروس / ٧ / ٢٩١)

الخوشق : من كل شيء الرديء عن الهجري (اللسان ١١ : ٣٦٧ وانظر تاج العروس).

الذفاف : اذففت وذففت وذففته ، أجهزته عليه والاسم الذفاف عن الهجري وأنشد :

وهل أشربن من ماء حلية شربة ... تكون شفاء أو ذفافا لما بيا

(اللسان ١١ : ٩ والتاج ٦ : ١١١)

عضنج : عبد عضنج ضخم ذو مشافر عن الهجري (المحكم ٢ : ٣٠٠ واللسان ٣ : ١٤٩) .

---

(١) قد يكون اطلع على مؤلفات فيها نقل عنه فنقل عنها .
ويضاف إلى هؤلاء : الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد (٢٨٠ - بعد سنة ٣٣٤) مؤلف « صفة جزيرة العرب » و « الاكليل » و « شرح الدامغة » وفي هذا نصّ عن الهجري ذو قيمة تاريخية (أنظر كتاب أبو علي الهجري) .

العلفى : مقصور ما يحمله الإنسان عند حصاد شعيره لخفير أو صديق وهو من العلف عن الهجري (المحكم ٢ : ١١٥ واللسان)

عين : عان لهم كاعتان عن الهجري وانشد لناهض بن ثومة الكلابي :

يقاتل مرة ويعيين أخرى ففرت بالصغار وبالهوان

(المحكم ٢ : ١٨٠ واللسان ٧ — ١٧٨)

والبيت من كلمة طويلة لناهض وردت في المخطوط الاسيوي .

كممز : تكممز الفراش انتقضت خيوطه واجتمع صوفه عن الهجري . (اللسان : ٢٦٨) .

مشش : المشامش الصياقلة عن الهجري ولم يذكر لهم واحد أو أنشد :

نضا عنهم الحوك اليماني كما نضا عن الهند أجفان جلتها المشامش

قال وقيل المشامش خرق تجمل في النورة ثم يجلى بها السيف ا هـ (اللسان ٨ : ١٤٠) .

قلت : الشاهد من قصيدة ناهض بن ثومة التي وردت بطولها في القطعة الاسيوية .

من اطلع عليه من المعاصرين : أما من اطلع من علماء القرن الحاضر على قطعتي الكتاب أو أحديهما مباشرة فكان رائدهم الأول ، فيما أعرف الأستاذ عبد العزيز الميمني ولم يقف على نسخة كلكتا . واطلع الأستاذ أحمد راتب النفاخ (٣٣) على نسخة الدار فقط ونقل وانتشل ما ورد فيها من شعر ابن الدمينة الخثعمي ، ولقد استقى منها الأستاذ حمد الجاسر من علماء نجد في بعض مقالاته (٣٤) ثم انه اطلع على مخطوط (٣٥) كلكتا (١) إذ قرأ مقال هذا العاجز حول ما لم ينشر (٣٦) من شعر حميد بن ثور الهلالي .

ومنهم الأستاذ الدكتور محمد زبير الصديقي ، أحد علمائنا الكبار فانه قدم إلى المؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين المنعقد سنة ١٩٥١ م في استنبول ،

(١) بل وصفت المخطوطة في مجلتي « اليمامة » ج ١ ص ٣٦ سنة ١٣٧٢ هـ (أغسطس سنة ١٩٥٣ م . وصفاً يعتوره القصور والخطأ .

مقالاً موجزاً وصف فيه المخطوطين مع المامة بترجمة الهجري ولكنه ملأ مقاله ذلك بآراء مستغربة . وللتنبيه عليها موعد آخر .

ومسك الختام أن أقول أنني لما أزمعت على إخراج الكتاب وجلائه على الناس بذلت وسعي في تحقيقه اعتماداً على الجزئين الوحيدين ولا يتسع الوقت لوصف خطتي وعملي في اعدادهما للنشر – وقد تجمعت عندي في أثناء البحث والتنقيب عن نصوصها نقول كثيرة صحت وثبتت عن الهجري وجاءت في نحو خمسين صفحة أو أكثر وليس من المعقول أن ننسب هاتيك الفصول المتكاثرة كلها إلى ذينك الجزئين اللذين سقطت وريقات منهما من هنا وهناك بل الصواب ان غالبها ينتمي إلى الجزء المفقود من الكتاب .

ومهما يكن الأمر فانه قد تهيأ الكتاب عندي في جزئين ضخمين يثلثهما جزء لطيف غير طفيف . هذا ولعل الله يمهد السبيل لنشر هذه الأجزاء جميعاً وهو على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .

مراجع البحث :

(١) سمط اللالي (القاهرة ١٩٣٦) ص ٤١٠ .

(٢) مجموع المباحث العلمية ص ١٠ (دائرة المعارف العثمانية ، دكن) .

(٣) ظهور علي : الفهرس القديم لمخطوطات المجمع الاسياوي ص ١٠ رقم ١٠٢٤ (كلكته ، ١٨٣٧ م) والمرزا أشرف علي: الفهرس الجديد لمخطوطات المجمع الاسياوي (كلكتا، ١٩٠٤م) ص ٩٣ .

(٤) ياقوت الحموي معجم الأدباء (٧ : ٢٣٤) رقم : ١٤١ (طبعة مرجليوث) وأيضاً (١٩ : ٢٦٢) رقم : ٩٧ (نشرة دار المأمون) .

(٥) السيوطي : بغية الوعاة (مصر ، ١٣٢٦ هـ) ص ٤٠٢ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون (٦ : ٣٨٧) رقم : ١٤٠١٢ (طبعة فلوجل) أيضاً (٢ : ١٩٨٠) (الطبعة الحديثة) .

(٧) Brock. Gal, Suppt. II ٩١٩ Lieden ١٩٣٨ .

(٨) راجع له طبقات ابن المعتز ص ١٤٩ (تذكار جب) ، والأغاني (٢٠ . ١٨٣ – ١٨٨) طبعه الساسي) ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢٥٧ (ط . كرينكو) والجمهرة لابن حزم ٢١٤ ونوادر الهجري (خط ٢٧٨ ب والدار ٢٤٧) .

(٩) نوادر الهجري (خط) ص ٢٠٧ .

(١٠) الأغاني (١٢ : ٣٢ – ٣٨) .

(١١) نوادر الهجري (خط) ص ١٨٣ .

(١٢) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١٤٠ .

(١٣) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٦٠ : والحموي : معجم الأدباء (١٦ : ٢٣٦) (طبعة دار المأمون) .
القفطي : انباه الرواة (٣ : ١٠) ، السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٧٥ .
(١٤) انباه الرواة (٣ : ١٢٨) رقم . ٦٤٥ والمراجع المذكورة بالهامش .
(١٥) توفي ثعلب سنة احدى وتسعين ومائتين .
(١٦) ابن خير : الفهرست ص ١٩٣ .
(١٧) عند ابن النديم : كتاب اللغات . راجع الفهرست (ص ٩٨ – ١٠٠) ط ، مصر .
(١٨) المرجع الآنف : ص ٦٩ والمرزباني : معجم الشعراء ص ٥٢٨ (ط . كرينكو) .
(١٩) طبقات الزبيدي ص ١٠٠ .
(٢٠) نوادر الهجري (خط) ٣٥٣ (الدار) .
(٢١) المرجع السابق : ٢٣٠ (الدار) .
(٢٢) الأغاني (٧ : ١٤٥) .
(٢٣) نوادر الهجري (خط) ٤ ب – ٩ ب .
(٢٤) افريدس كرنكو : بقية شعر مزاحم رقم ١٥ (لأئيدن) .
F. Krenkow : The poetical Remains of Muzahim, Lieden, 1920
(٢٥) المرجع الآنف رقم ١ .
(٢٦) نوادر الهجري – (خط) ٢٧٣ .
(٢٧) هذه العبارة مقتضبة مما نعت به شاهنشاه بن بدر الجمالي ، راجع لالقابه (السجلات المستنصرية ص ١١١ وخطط القريزي ج (٢ : ٣٠٤ وأيضاً ٢ : ٣٠٨) .
(٢٨)هي خزانة الفائز بنصرالله أبي القاسم عيسى،ولي الخلافة سنة ٥٤٩ وتوفي سنة٥٥٥هـ .
(٢٩) راجع بغية الوعاة ص ١٤٠ والدرر الكامنة لابن حجر .
(٣٠) انظر الاستعراض الجيلي للمجمع الاسياوي (بنغالة) (١ : ٢٤ – ٢٥)
(Rejendralal Mitra : Centenary Review of the Asiatic Society of Bengal, I. 24 - 25, Calcutta, 1885) .
(٣١) نوادر الهجري (خط) ١١٧ ب .
(٣٢) راجع طبقات الزبيدي ص ٣٠٩ والفهرسة لابن خير .
(٣٣) انظر ديوان ابن الدمينة ، طبعـــة النفاخ سنة ١٣٧٩ . وهو دائماً يسمي الكتاب بالنوادر والتعليقات .
(٣٤) راجع مجـــلة المجمع العلمي العربي (دمشق) : ج (٢٨ : ٣٩٦ ، ٤٩٢ ، أيضاً ٣١ : ٦٨٩ .
(٣٥) المرجع السابق (٣٧ : ١٠١) .
(٣٦) ثقافة الهند عدد ابريل ١٩٦٠ (مجلس الهند للروابط الثقافية) .
(٣٧) مجموع اجراآت مؤتمر المستشرقين المنعقد باستنبول (٢ : ٢٤٢ – ٢٤٥ لائيدن)
Togan, Z. V. - procedings of the twenty - second Congress of Orientalists, Voll. II (Communications) Lieden, 1957) .

حول نقد :

المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٢ -

(تابع ما نشر في ص ١١٠٥ من السنة الرابعة)

بعد ذكر (الدرعية) و(العيينة) انتقل الاستاذ الجنيـــدل الى ذكر عقبتي (القدية) و(السقطة) ورآهما شيئين كبيرين ، ووقف عندهما ، ووصفهما، وقال عنهما : انهما منفذان مشهوران في جبل طريق من أهم الطـرق التي تمر منها القوافل ، والركبان ، الوافدان من أواسط نجد ، الى عاصمة الجزيرة العربية، حقبة من الزمن غير قصيرة .. حتى قال : ولقد حدثني بعض الذين مروا معه في قافلة يبلغ تعدادها خمسمائة بعير فقال : كنا نعتـاد المبيت تحته من ناحية الغرب ويبدأ أولنا الصعود معه قبل صلاة الفجر وتطلـع الشمس وآخرنا لم يدخله بعد .. الخ أرى ان الاستاذ الجنيدل ، اعطى هذين الممرين من الأهمية ما لا يستحقانه، وطول فيما لا يستحق التطويل ، فهما عقبتان حولهما عقبات، وقد عددناهما فيما عددنا من العقبات الأخرى ، وليسا من الاهمية بالمكان الذي يشير إليه الأخ الجنيدل جل من يمر منهما (الجمالة) ونحوهم وانا اعرفهما تماماً.

والذي يلفت النظر ويؤكد ما سبق ان ذكرناه عن وقوع الأخ الجنيدل في أخطاء كان أولى بالناقد ان لا يقع فيها، ما دام يتتبع سقطات الباحث قبله.. من هذه الأخطاء قوله : وهذا الطريق - يعني القدية - تراه على يمينك حينما تواكب ، او بعد ان تجاوز طريق المزاحمية والغطغط المعبد.

والواقع انك تراه على يمينك قبل ان تصل طريق المزاحمية بمسافة بعيدة ، لا بعده ، كما ذكر الأخ الجنيدل . والذي يحاذي طريق المزاحمية او بعـــده بقليل - كما يقول الأخ الجنيدل - هو طريق (زبيدة) - كما يسمونه- وبينه وبين القديمة مسافة بها نقـب وثنايا .

ولا ادري لماذا اطنب الاستاذ الجنيـدل في ذكر (القِديّة) و(السقطة) لم يذكر الطريقين حينما يفترعانها على اي شيء يخرجان من قمة طويق، بحيث يحدد اتجاهها، وما هنالك من الاعلام البارزة، قبل ان ينحدرا على وادي (حنيفة) ؟! ثم ان الاخ الجنيدل التزم تسمية العقبة الاولى بالقدية، بينما المشهو والاكثر استعمالاً (أبا القد).

ثم قال الاستاذ الجنيدل : وكذلك الحال بالنسبة لريع سمحان الذي تراه على يسارك حينما تكون في الكيل المائة، من الرياض، وهو من أشهر الطرق البرية – الى ان قال – : ومن حيث العموم فبحاثتنا لم يهتم بالطرق الفرعية القديمة والحديثة، وعلاقتها بالطريق الذي كان يسير عليه.

وقضية الطرق الفرعية يا سعد، التعرض لها خروج بالبحث المحـدد عن نهجه، وإشغال لسالك الطريق عن متابعة اعلامه، ووقوف عند كل خطوة لأقول له: انشعب الطريق الفلاني، وهو يذهب إلى كـــذا، ويمر بكذا، وينشعب منه طريق كذا، ويتصل بطريق كذا، وهلم جرا .. ألا يكفي يا اخي ان اشير إلى اهمها كما فعلت في الجـاز وحسب ؟ .

لأضرب لك مثلاً : ما بين هذه النقطة التي تتحدث عنها، ومـــا بين (أبا القد) كم هنالك من طريق ينشعب من الطريق الرئيسي، انها كثيرة جداً، ولنأخذ – مثـــلاً – طريق (ريع سعدون) ينطلق من الطريق الرئيس من محاذاة (أبا القد) ومن قبله ومن بعده بمعنى أن كل من استسهل ارضاً انطلق معها، أو كل من طلب القصد في سيره حسب اتجاهه انطلق من الطريق الأم، حتى تجتمع هذه في (ريع سعدون) وإذا افترعـــه الطريق ذهب طريق إلى روضة (الحلِيّة) يميناً وذهب آخر إلى وادي (الاوسط) يساراً واستمر الطريق الرئيسي مع (بطن الحويض) لينشعب منه طريق آخر يميناً إلى روضة (الخرارة) وما اليها وينشعب منه طريقان : احدهما يذهب يميناً إلى أعلى (نساح) فاللسين) فطريـــق (الرين) وينشعب منه

عشرات الطرق .. والآخر ينحدر مع (الفريشة) ويفضى إلى اوسط(نساح) ويتشعب منه طريق اخرى وهكذا .

ولنقول مثل هذا عن أي طريق نتحدث عنه ، مـــا بين (القدية) و (سمحان) هــذا الذي تتحدث عنه ، وما أقرب ما بينهما . فكيف إذا انحسرت الجبال ، والكثبان عن الطريق ، وأصبحت بنياته لا تحصى ؟! .

إن الزام الباحث بالتوسع في الحديث عن هذه الطرق ، اعنات ، والزام بما لا يلزم . إلا إذا كان المراد التماساً للنقد ، في المواضيع التي لا يجد صاحبنا فيها نقداً . من أجل اثبات وجوده ، عبر هذا الطريق ؟! .

وعلى النغمة اياها سار الاستاذ سعد فقال : وعندمـــا مر – يقصدني – بطريق (الحيسية) اكتفى بذكر مجرى السيول التي تتفرع منه ، وبلمحة تاريخية وجيزة ، ذكر انه هو الطريق الذي سلكه جيش خـــالد بن الوليد وسلكه جيش ابراهيم بن محمدعلي باشافي غزوه للدرعية – إلى أن قال: ويجدر بهذا الطريق ان يدرس دراسة تفصيلية ، من الناحيتين الجغرافية ، والتاريخية .. وأفاض في تعداد اهمية هذا الطريق ومكانته .

ولا ادري ماذا يريد الاستاذ الجنيدل أن اقوله ، اكثر مما قلته عن هذا الطريق ، الذي يبعد عن خط سيرنا مسافات ، والذي لو افضنا في الحديث عنه ، من الذاكرة فقط لاحتجنا إلى بحث كامل ؟ أيريد أن أقول ان هذا الطريق تتجمع فيه عدة طرق من الشمال ، والجنوب، والغرب .. وكل واحد منها له حديث طويل ، وتلتقي هذه الطرق في مكظم (شعب الحيسية) (الاحيسي) ما بين خشمي (خرشا) و(البركة) في منطقـــة تسمى (الهيش) حيث توجد صيران من النخيل العالقة في هذه المنطقة بدون غرس ، ولا سقيا . وتوجد سلان من السلم ، وحراج من الطلح ، وتوجد بئر عليهـــا حام يحمي الأشجار ، من ايدي المحتطبين والمخربين .. واذكر امتداد هذا الطريق بين جبلي (الاحيسي) حتى الثنية المسماة باسمه واذكر ثنية (بوضة) وثنية (غرور) وثنية (ابا الهشم) ثم انحدر ماراً (بالعيينة) و(الجبيلة) و(عقرباء) وهكذا الى

(الرياض) في وصف جغرافي يستوعب صفحات كثيرة .. ثم اعود الى الجانب التاريخي ، فأفيض فيه باسطاً أو مختصراً ، ليستوعب هذا الجانب مثل ما استوعب الجانب الذي قبله وكذا .. اين بحث من يصف طريق الحجاز يا أخا العرب من هذا ؟ وما هذه العلاقة ووجـه الشبه ؟ ألا يكفينا حينما مررنا به ، ان قلنا عنه : لمحة جغرافية ، وتاريخية موجزة ، وما كان يقتضينا منهج البحث ذلك لولا اننا نرى فوهة الفج على بعد حوالي عشرة اكيال.

ويا ليت الأخ الجنيدل اكتفي بالمطالبـة بالبسط في طريق (الحيسية) ثم وقف عند هذا الحد .. اذاً لكان الأمر محتمـلاً ، بل أمعن ووضع عنواناً لوادي (ابي قتادة) وقال : حينما ننكب (المبركة) عن يميننا ، وجبل قرادان عن يسارنا ، ويتقدم بنا الطريق ، ونخلف أرض البطين، وجبل طويق يسايرنا من اليمين ، والصفراء من اليسار ، تبدو لنا هضبة الظعينـة ، برأسها الأشقر، كطليعة لجبل عريض، وتبدو لنا معالم بلدة البرة، وحينما نحاذي الظعينة يكون طريق (ابو قتادة) على يميننا ، وهو ثنية تكبد في جبـــل طويق ، إلا أنها تسمح للسيارة بالعبور كما تسمح للابل المثقلة، وتبدو معالم هذا الطريق من ريع الحجاج ، الذي ينفذ بين هضبة الظعينة وجبل عريض ، ثم يتجه نحوالشرق، تاركاً بلدة البرة يميناً منه ، فينفذ مع ثنية ابي قتادة ، ثم يتسهل منحدراً على شعيب (ابو قتادة) .. الخ ومضى الأخ الجنيدل شارحاً ما يعرفه من اعلامهذا الطريق ، حتى الرياض . فما هي علاقة طريق الحجاز بهذا الطريق ؟! ان الثنية التي يذكرها تبعد عنطريق الحجاز بما لا يقل عن عشرين كيلا، ثم هي ايضاً لا ترى من طريق الحجاز ، فكيف بوادي ابي قتادة وما بعده ، الذي كلف الاستاذ الجنيدل نفسه بوصفه ، فأخطأ في الوصف ، وقصر في إعطـاء الحقيقة ..

وقوله: حينما نترك المبركة يميننا ، وجبل قرادان يسارنا .. ليس فيه دقة في الوصف . فمعقول ان يحدد بجبل قرادان من اليســار، وان كان بينه وبين الطريق مسميات وهي امتداد رياض سمحان . لكن قوله : المبركة يميننا ، اين انت والمبركة يا أخا العرب ، بإمكانك ان تصف بما دونها ، فتقول : شعب

(غددة) او (الحجيلاء) او (الصفراء) المحاذية لها . أما ان تصف بهذا الوصف فكأنك تقول وانت سالك طريق الحجاز: تركت الدوادمي يساري، و(عرجا) يميني. وهو وصف بين الخطأ لبعد ما بينك وبين عرجا من اليمين، وقرب ما بينك وبين الدوادمي من اليسار .

وقولك : تبدو لنا الظعينة ، بعد ان نخلف أرض البطين ليس بدقيق ، فالظعينة تبدو لك قبل ذلك بكثير . وفيما بين الطريق وثنية أبي قتادة ، تتشعب طرق كثيرة ، ليس طريقها الأم ما بين طريق الحجاز وثنية أبي قتادة ، فهذا الطريق - يا حضرة الأخ الفاضل - لا يسلكه إلا من يريد وادي أبي قتادة ، اما من يريد الرياض فما الذي يحمله على سلوكه ، إلا من يفضل أن يكون طريقه (أبعد وأوعر) اما سليم التفكير والتدبير ، فلن يسلك هذا الطريق، وتذكر يا سعدانك حينما سلكته مع رفقتك الخ.. فلا بد ان يكون هنالك دافع يحتم مرور (حريملاء) او (القرينة) او (ملهم) . او انك تريد ان تمثل ذلك السائح الهروي . أو ان ابن زريق أورثك خطته . ثم ان بين طريق الحجاز وثنية ابي قتادة اعلاماً ضربت عن ذكرها صفحاً ، فهنالك (السحَق) وهنالك (صفراء الثرماني) و (الثرماني) نفسه وهضبة (ام الرحال) تتركها يمينك .

ثم ان بين (المبركة) التي ذكرتها آنفاً ، وبين ثنية (أبي قتادة) ثنيتين تفترعان جبل طويق هما ثنيتا (فهرين) و(ام الغبطان) لم تذكرهما ما دمت تعنى عناية فائقة بالطرق .

وحينما انحدرت مع وادي ابي قتادة ، صادفتك طرق تفترع جبليه ، يميناً وشمالا لم تذكرها ، فمن يمينك لم تذكر طريق (حريملاء) - (صلبوخ) - (الرياض) المعبد، الذي يخرج مما يلي (القَرينة) بل ذهبت تمثل ذلك الذكي الحبشي ، الذي قيل له : اين اذنك ؟ فرفع يده اليمنى، وتخطى اذنه اليمنى، ورأسه ، ليضع يده على شحمة أذنه اليسرى ويهزها . ذهبت تنحدر مع أبي قتادة - رفيقك الحبيب - لتصل الرياض عن طريق قوس واسع القطر ، في إمكانك ان تختصره بثلث المسافة.. ولكنك لم تفعل ، بل ولم تكتف بل جئت

تطالب صاحب الجـاز بما لا يستطاع . وفاتـك المثل : اذا أردت ان تطاع فسل ما يستطاع .

اما الطريق التي تتركها يسارك حينما تنحدر مع ابي قتادة فهي على الترتيب طريق (مغطيّة) وطريق (حوّجان) وطريق (الشعبة) وطريق (المليح) .. لم تذكر من هذه شيئاً ..

وقلت : فيمر – يعني الطريق– (بجريملاء) (فالقرينة) ثم يعبر بلدة (ملهم) بعد ان يجوز وادي (الخنقة) الواقع بـين ملهم والقرينة .؟ ويفهم من قولك يا سعد ان وادي(الخنقة) هذا واد غير الوادي الذي تسير معه – ابو قتادة – وانه واد يعارض هذا الوادي ، أو يأتي بعده .. والصحيح أنه لا وادي آخر غير وادي (ابي قتادة) . اما (الخنقة) فهي تطلق عادة على الحراج ، وملتف الأشجار، في الأودية، كخنقة (القويعية) وخنقة وادي حنيفة .. وهكـذا، وكانت هذه المنطقة – ما بين القرينة وملهم – يومـاً ما كذلك . فلا واد جديد لدينا يا سعد .

ثم قال الاستاذ الجنيدل : وبعد ان يتجاوز الطريـق معالم (ملهم) يعبر أرضاً مستوية تسمة (المقمة) وفي ناحيتها قور تسمى قور حزام ..
فالأرض هذه يا أخي سعد ليس اسمها (المقمة) وانما اسمها (الفاقعـة) وتجـاوزت قبلهـا وادي (صلبوخ) ولم تذكـره . والقـور قـور خـزام بالخـاء لا حزام بالحاء كا ذكرت – ويجوز أن يكون هـذا غلطاً مطبعياً – حزام بدل خزام .

والفاقعة يا سعد وادي ينحدر من شمالي قمـة (سدحة) وجنوبي وادي (صلبوخ) وتسمى هذه الأرض باسمه . ثم قال الاستاذ الفاضل : وبعد ان يجوز هذه المعالم يواكب (بنبان) وبعد (بنبـان) يمر (بمغرزات) فمدينة (الرياض).

فبين (بنبان) يا سعد ، وبين (مغرزات) مسميات لم تذكرها ، مـا دام هذا الطريق مما استهواك ذكره .

ثم قال الاستاذ سعد : ولم يتعرض الاستاذ عبـد الله لذكر هذا الطريق رغم توغله في بحث هذه الناحية .

ولا أقول لأخي سعد حيال هذا إلا كما يقول المثل : رب ملوم لا ذنب له ، فما شأن من يتحدث عن طريق الحجاز على خطة رسمها ، أن لا يتحدث إلا عما يمر به أو يراه ، ما شأنه - وشأن طريق أبي قتادة ، والفاقعة ؟ ألأن أخانا سعداً قد مرّ منه مرّتين ، وأبى إلا أن يقحمه هنا ، رغم أنـه خبط وخلط في وصفه . يا للنقد ما أرخصه !!

بعد قضية (أبي قتادة) و (الفاقعة) انتقل الأستاذ الجنيدل الى موضوع جديد هو (ثرم) أخذ عليّ قولي عن ثرم هذا : وهو الذي عنـاه زياد بن منقذ في قوله :

والوشم قد خرجت منه وقابلها   من الثنايا التي لم أقلـها ثرم

على ما قرره صاحب المعجم . ا هـ .

أخذ عليّ الأستاذ هذا ، لأن مسيرة زياد بن منقذ حينما خرج من الوشم ، لا تتفق وما أقول ، حيث انه قاصد بلد (أشي) في (سدير) أما (ثرم) فهو ناءٍ عن طريقه . وأفاض الأستاذ الجنيدل في شرح ذلك وأطنب .

وللاجابة على هذا نقول :

أولاً — اننا تابعون لصاحب معجم البلدان في قوله ، وهو ينقل عن ثقات هم أعلم بحال البلاد وأهلها آنذاك منا حينئذ .

ثانياً — من يقول : ان زياد بن منقذ حينما اعتسفت راحلته خل النقا كان قاصداً (أشيّ)؟ فسياق القصيدة لا يعطينا هذا ، فهو بعد أن قال :والوشم قد خرجت منه . البيت قال :

وحبذا حين تمسي الريح باردة   وادي أشى وفتيـان به هضم

الى أن قال :

يا ليت شعري متى أغدو تعارضني   جرداء سابحة أم سابح قـدم

نحو الأميلح أو سمنان مبتكراً   في فتية فيهم المرّار والحـكم

فالذي يجعله يذكر (ثرم) بعد (خل النقا) هو الذي يجعله يـــذكر (الأميلح) و(سمنان) بعد (أشيِّ) وهما أبعد من (ثرم)عن (أشيِّ). فهو في قصيدته ليس له خط سير معروف ، بل هو يتشوق ، ويحن الى بلاده، ويذكر ما يذكر من معالمها . فلماذا نفترض خط السير ، ونردّ قول صاحب المعجم ، ونصدف عن هذه الأدلة ؟!

ثالثاً – قبل أن ينشر نقد الأخ الجنيدل كنت قد كتبت الى مجلة «العرب» فيما كتبته من الاستدراكات ، بحذف الجملة التي قلتها عن ثرم ، حيث تبين لي رأي في معنى البيت وهو ان قوله :

والوشم قد خرجت منه وقابلها من الثنايا التي لم يقلهـــا ثرم

على رواية من يرويه هكذا : يقلها ثرم .

ان في البيت استخداماً ، أراد بالثنايا الأولى : ثنايا جبل طويق ، وأعاد الضمير عليها بمعنى ثنايا الانسان ، التي يعيبها الثرم . أما هذه فلا يعيبها ثرم عنده ، حيث هي محببة إليه . وعلى هذا فلا دخل (لثرم) المكان في البحث . سواء ثرم الذي ذكره صاحب المعجم ، أو ثرم غـير المعروف الذي ذكره الأخ الجنيدل،وقال : انه إحدى ثنيتي النظيم أو دهين .

وذكر الأخ الجنيدل (الخلول) التي يجتاز منها السفر نفود عريق البلدان فذكر (خل النقا) و (خل السلم) و (خل القصب) و (خل رحين). وقال: انه لا يوجد خل باسم (خل الجُرَيفة) – كما أوردت ذلك – .

والواقع ان أهل المنطقة يقولون : (خل رحين) و (خل الجريفـــة) فكيف يستنكر الأخ الجنيدل هــذه التسمية ، ويقول : انهـا غير معروفة . وهذا اما جهل بالواقع ، واما تجاهل له . فتسمية الخل الواحـــد بأكثر من اسم ، موجودة غالباً في أكثر هذ الخلول ، فهم يقولون (خل السنيدي) و (خل ثرمداء) و (خل الاثلة) و (خل الجريفة) أربعة خلول لم يذكر الأخ الجنيدل منها شيئاً .. لماذا ؟ لا أدري !!

كما ان الاخ الجنيدل ذكر الثنايا التي تفترع جبل العارض ، شمالي الحمادة ، ولم يذكر بعضها ، سواء كانت تحمل أكثر من اسم ، أو تحمل اسماً واحداً . فلم يذكر (المقرح) و (أم هشم) و (الصفيحة) و (عقبة العودة) وكلها ثنايا تجتازها المطايا . وهناك ثنايا (أبا الهيال) و (دلادل) و (الشفيمي) و (القممي) .. هذه عقاب للراجل وللدواب الخفيفة ..

ومن هذا انتقل صاحبنا الى معنى جديد فقال : وقبل أن نغادر قرقرى فانه يجدر بنا أن نلفت نظر القارىء الى اننا اكتفينا بما نشرته (مجلةالعرب) عن بلدة ثادق .

ونحب أن نسأل الأخ الجنيدل : ما علاقة (ثادق) بهذا الطريق لكي تكتب عنه في نقدك هذا لو لم تكتب عنه مجلة العرب ؟ ؟ أين (ثادق) من هذا الطريق ؟ كم المسافة بينهما ؟ ثم ان هناك بلداناً وأعلاما بين ثادق وبين الطريق لم تذكرها مجلة العرب ، وهي أقرب الى الطريق من ثادق ، لمـــاذا لم تذكرها أنت ؟ هنـــاك بلدة (رغبة) وبلدة (الرويضة) و (مشاش المراطيب) ، كلها بين الطريق وبين (ثادق) ، لماذا لم تذكرها حينما كفتك مجلة العرب ذكر (ثادق) ؟ ؟ وهنالك رياض – جمع روضة – تحمل شهرة جديدة في المنطقة وتقع بين (ثادق) وبين الطريق ، لماذا لم تذكرها ؟ هناك (روضة آل كثير) ، و (روضة البردان) و (روضة أم الشقوق) ..

وهناك (نفود) يسمى (نفود رغبة) متحيزاً في مكانه ، بينك وبـــين (ثادق) لماذا لم تذكره ؟

وهنالك منطقة أثرية ، توجد بها آثار ، وآبار ، ومخلفات حضارة ، تقع بين الطريق وبين (رغبة) ، يقال لها : (الفقير) لماذا لم تذكرها ؟

وما دامت عنايتك بالطرق فائقة جداً ، لماذا لم تـــذكر الطرق التي بين (ثادق) وبين طريقنا هذا ؟ فهنـــاك الطريق الذي يأتي بين طرف جبل (عريض) الشمالي وبين (ُطريف الحبل) ، هذا يعتبر طريقاً معتبراً يتفرع منه بعد أن يترك (طريف الحبل) عدة طرق،طريق يذهب مشملا ويتفرع

الى طرق ، وطريق يذهب الى (العتك) وطريق يذهب الى (القصب) وما وراءه ومن كلٍّ يتفرع طرق أخرى .

وطريق يذهب مجنباً فيتجه نحو (السحق) ونحو (الثرماني) وما حول ذلك . وطريق يذهب مشرقاً فيمرّ (برغبة) و (الزويضة) وينشعب الى طرق ، طريق يذهب الى وادي (عبيثران) ، وطريق يجتـــاز وادي (عبيثران) مشرقاً ويعلو الجبل فيذهب منه شعبة الى بلد (البير) ومـــا حوله . وتذهب شعبة الى (حريملاء) وما حولها ، وهذه يقال لها (مغطية) وطريق يمر (بثادق) تاركاً (الغرابة) يساره ، ويفضي الى (العتـــك) تاركاً (البكرات) يساره أيضاً ، وينشعب منه شعبة يقـــال لها : طريق (المظل) تذهب مشرقة لتعارض خط (سدير) ، مما يلي (حسي دقلة) .

ومن كل يتفرع طرق كثيرة . وما أراك ذكرت عن هذه الطرق شيئاً . لماذا ؟ ما دمت قد ذهبت لذكر طريق (الفاقعة) و (بنبان) ؟ ألا يكون هذا أهم ، وألزم من ذلك ؟! أو لأن حضرة الأخ قد سلك ذلك مرتين(ووجه تعرفه ولا وجه تنكره) ؟!

ثم يا أخا العرب ، قولك : ان مجلة «العرب» تحدثت عن (ثادق) بما كفاك إعادة الحديث عنه ، أمر فيه نظر فمجلة العرب سئلت عن (ثادق) من الناحية التاريخية ، وأجابت بما حضرها من الناحية التاريخية ، لكن وصف (ثادق) وأين تقع ، ومن هم سكانها ، وما هي أهميتها ، وكم سكانها ، وما هو واديها .. الخ ، هذه الأمور لم تتعرض لها مجلة العرب ، فهلا أمتعت وأبدعت في وصف هذه المدينة ، ما دام شطّ بك المزار ، ونأت بك الدار ، عن خط سيرك لتريح نفسك قليلا ..

ثم قال سعد : أما فيما يخص هضبة الغرابة ، القريبة منها – يعني ثادقاً – والتي ذكر الاستاذ عبد الله انها هضبة حمراء ، فالواقع ان هضبة الغرابة جبل أسود ، له قمـــة ملساء .. الخ ، واستدل بقول ياقوت عن الحفصي ، انها كذلك .

والواقع يا سعد أن هضبة الغرابة حمراء ، لا سوداء ، وإذا أردنا أن نتجاوز ما نرجحه ، قلنا : انها ذات جدد بيض وحمر ، وفي بعض جددهـا كمتة . وأنا أتحدث عنها حديث العارف لا حديث السامع ، ولا نريد أن نكون كالظبي يتهم عينيه ، حينما يرى الشبح ، ويذهب يستفتي أنفه ، ومـا راءٍ كمن سمعَ يا أخا العرب .

وفي عودة الاستاذ سعد من (ثادق) وما حوله بالسلامة ، استأنف السير على الطريق الأم ، مما يلي (الظعينة) ، وفاته ان هناك طريقاً يذهب مما بعد (الحور) بقليل ، جاعلا صفراء (الشمس) يمينه ونفـود (قنيفذة) يساره مشملا حتى يأتي (مراة) وتذهب منه طرق تعتسف النـــفود ، مغربة ، وأخرى (للشمس) و (الشميسة) وما حولها مشرقة . فاته أن يذكر هذا الطريق ، رغم انه يتشبث بالطرق ، وبنيات الطرق ..

وفاته أيضاً حينما واكب جبل (عريض) ان به ثنية يقـال لها : (ثنية المتنة) والبعض (ثنية عريض) يختصر أهل السيارات طريق (رغبة) وما حولها وما بعدها مـع هذه الثنية ، بدلاً من طريق (طريف الحبل) ، وأخونا سعد وهو طلاع الثنايا ، والمشغوف بذكرها ، لم يذكر هذه الثنية،ويا لفوات الفرصة !!

وعند (طريف الحبل) أفـــاض الاستاذ سعد في ذكر (الوشم) أو (الوشوم) وأورد أقوال العلماء ، وذكر ان (الحمـــادة)تدخل في مسمى (الوشم) .. وحسناً فعل ، إلا انه لم يوضح الحدود بين (المحمل) وبـين (الوشم) ولا الحدود بين (الغاط) وبين (الوشم) ، ولم يوضح حـــدود (الوشم) من الشمال ، مما فوق النفود ، ولا حدوده من الغرب مما بعـــد الصفراء ، ولم يعط القارىء إلمامة موجزة عن (الوشم) ما دام قد استدرك على صاحب المجاز ، انه لم يفعل ذلك ، وما دام قد ذكر طرفاً من تاريـــخ (الوشم) وخبره ..

وفي حديثه عن الأودية والشعاب التي تنصب من صفراء الوشم مشرقة .. استدرك عليّ انني سميت شعب (ابي الفراوح) (بأبي الفروح) . وأنا لا

أعترف بهذا الاستدراك ، فهو (أبو الفروح) ، وهكذا سمعت أهل المنطقة ينطقونه فحفظته ، و(من حفظ حجة على من لم يحفظ)، وإذا كان هناك من ينطقه غير هذا فذلك لا يمنع من التسمية التي أوردتها ، ومعه لا يكون استدراكك وارداً أيضاً ، فلكل أن ينطق بالوارد كيف شاء .

وذهب الأخ سعد يعدد الأودية والشعاب التي تنحدر بعد أبي الفروح من (صفراء الوشم) مشرقة ، حتى وادي (الرعن) (فمراة) وأخذ على أنني لم أذكر شعب (كافت) الذي يسقي نخيل مراة، ويملأ حفرة الشرب هنالك، كما أخذ عليّ أنني لم أذكر وادي (مانح) الذي يسيل من شمالي (مراة) ويصب مشرقاً في الرحبة الواقعة شماليها وشرقيها .. وأود أن أنبه الأستاذ سعد أنني – غالباً – لا أذكر إلا الأودية الكبار ، وخصوصاً ما له شهرة أو ذكر تاريخي .. فتدبر منذ خرجت من (الرياض) مصطحبا المجاز ، كم مررنا من البلدان والقرى ، لها شعاب تسقيها وكم قطعنا ومررنا من الشعاب غير ذات قيمة ، مسماة وغير مسماة ، ومع ذلك لم نذكرها ، حفاظاً على أهمية البحث ، وتقديراً لشعور القارىء ، وتجنباً لذلك ما ليس من ذكره فائدة ، ولو ذهبنا نتتبع كل قلعة ، وشعب ، ومسيل ، وصنع .. لطال بنا المدى من ناحية ، ولانحدرنا بأهمية بحثنا من ناحية أخرى ..

ثم قال الأستاذ سعد – عفا الله عنه –:وحينما تطرق الأستاذ – يعنيني – لبحث (مراة) من الناحية التاريخيـــة ، ذكر ان (ذا الرمة) قد هجاها واقذع في هجائه ، واطنب في ذلك الهجاء ، وأورد منه أكثر من انموذج ، من عدة قصائد. وأرى انه لا داعي للاطناب في مثل هذا البحث ، وإن كان قد خيب الشاعر (ذا الرمة) في صنيعه .. وأفاض الأخ الجنيدل في هذا الموضوع ..

وأتساءل مع أخي الجنيدل : لماذا يثير هذا الموضوع ؟ ان القضية قضية تاريخ لجيل من الناس بادوا ، ولم تحس منهم من أحد ، ولم تسمع لهم ركزاً ، فما أظن حتى من العشيرة التي هجاها (ذو الرمة) بقي أحد يسكن مراة .

وهذه القبيلة حتى ولو هجاها (ذو الرمة) ماذا يضيرها من شاعر يرضى فيمدح ، ويسخط فيقدح ، هكذا درج الشعراء :

مدحت سعيدا ثم إني هجوته وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

لقد هُجيت المدينة وأنصارها ، ولقد وجه الهجاء إلى سادات العرب ، وإلى كرام الناس وأجوادهم .. فما منع ذلك رواة الأدب ومدوني الشعر من تدوينه وبقائه يتداول في الأسفار ، ويتناقل على السنة الرواة ..

تأخذ عليّ أخي أن حكيت قضية تاريخية . إذاً فأنت تدعو إلى اهمال التاريخ ، وإلى أن نكون في أفكارنا ونتاجنا مدلسين ، مخفين للحقائق التاريخية ، بسبب وبدون سبب .. انني في هذا لا أتهم اخلاص قلمك للحق وللعلم، ولا أتهم سمو نفسك ولكن مثلك إذا وجه النقد على هذا المستوى طمست الحقائق التاريخية ، وصدف الناس عن ذكرها ، ما دام من يشتغل بالنقد يقحم هذه وأمثالها في قضايا النقد ..

لقد قلت بالحرف الواحد : ولن يضير امرأ القيس من تميم ، ولا بلدتهم الطيبة .. أن يحرد عليهم شاعر لأمر تافه ، وهو أنهم لم يدخلوا رحله ، ولم يقروه حينما نزل عليهم ، قد تكون غفلة منهم ، وقد يكون احتقاراً له فيهجوهم . وما احسب انها كذلك ، فهي قرية كريمة ، وأهلها طيبون ..

قلت هذا ، ولكن أخي سامحه الله ضرب عنه صفحاً ، وأثبت ما وددت انه لم يثبته . ورب ملوم لا ذنب له !.

وأخذ عليّ الأستاذ الجنيدل قولي : ان وادي الجمل يسيل من تلقاء مراة ، هو ووادي الرعن ، وقال : انه لا يسيل من تلقاء مراة ، وانما يقطعه الطريق قبيل مروره بثرمداء .

فإذا عرفنا ان وادي الجمل يسيل من الصفراء الواقعة بين مراة وبين ثرمداء ، بميل قليلاً إلى الغرب . أدركنا أن التحديد لم يبعد النجعة ، لا سيما والمسافة التي بين ثرمداء ، وبين شمال مراة غربيها ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة من الأكيال ، فالخطب يسير ، والتحديد متقارب ..

واستدرك الاستاذ الجنيدل بعد هذا عليّ اطلاق اسم (المسمى) على وادي أثيثية .

والواقع ان ذلك وقع من سبق قلم ، وجلّ من تنزه عن السهو والغفلة . وقد نبه على ذلك اكثر من واحد، منهم الاستاذ عبدالكريم بن جهيمان، والاستاذ سعود بن بلهيد، وغيرهم ، فبادرت بالكتابة الى صاحب مجلة العرب ، بعد ان التقيت بالأخ ابن بلهيد ، بحكم ان هذه بلده ، وأرضه ، فحددنا معاً مسار هذه الأودية والشعاب ، بما هو ثابت ان شاء الله .

عاد اخي مرة اخرى الى شطحاته فقال : وقبل ان نخرج من دراسة الجزء الثاني عشر ـ السنة الثالثة نعود الى تحقيق المواضع التي مر بنا ذكرها في منطقة (الوشم) ، ولم يبحثها الاستاذ – يعنيني – بحثاً تاريخياً .

فتكلم الاستاذ (الجنيدل) عن (القصب) و(المشاس) و(الحرّيق) و(الصوح) و(الداهنة) و(الفروثي وفريثان) و(الجريفة) و(الضبية) و(العكرشية) تكلم عن هذه ، وكلها في الحمادة ، بينها وبين طريقنا (نفود عريق البلدان) وليست من منهج بحثنا في قبيل ولا دبير ، ولكنه ـ هداه الله ـ يصر على رحلاته الجانبية ، وينأى بسالك الطريق عن طريقه ، وسوف يعتسف به هذه المرة رمالاً متهايلة ، وحاجزاً طبيعياً تقصر الهمم دون افتراعه ، كل ذلك من أجل أن يجد للنقد منفذا يكثر به السواد في البياض ، ويقول ها نحن !! ونعم يا سعد ، لولا انه أدركك ما أدرك سميّك ، ذلك الذي أورد ابله وهو ملتف بشملته ، والابل يحتاج سقيها الى مشمر عن ساعديه ، ذي مِرّة ، ودربة وحصافة .. ولكن سعداً لم يكن كذلك ، فقيل له :

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وليتك حينما فعلت يا سعد لم تترك لقائل مقالا ، من حيث الدقة والاستيعاب ـ ولكنك أردت ان تتزود بشيء دخل عليك النقص منه ، عددت قرى الحمادة واهملت شيئاً ، وعددت رياضها واهملت شيئاً ، ثم أهملت ما لا يهمل من الطرق ، وصدفت عن أعلام جبالها لم تذكرها ؟

لا يخفى على أحد من اهل المنطقة ان هناك قرية تدعى (أسيل) ، تقع ما بين المتينة والداهنة) ، شمال الضبيات شرقيها ، في سفح طويق ، سكانها من السيايرة ، وآل جوفان من العجمان . ولها ذكر في كتب المنازل والديار ، انظر (بلاد العرب) صفحة (٢٦٤) و (٢٣٠) وتعليق الاستاذ حمد الجاسر عليه .. فلماذا لم تذكرها ايها الناقد الفاضل ؟!

وذكرت روضة (العكرشية) ، ولماذا لم تذكر (ام العصافير) ، وهي روضة شهيرة بواقعها ، وبتاريخها ، فبها وقعة على رأس القرن الثاني عشر ، بين الإمام عبدالله الفيصل ، وبين محمد بن رشيد ، وقتل بها عقاب بن حميد ولم تذكر روضة (العقيلات) ؟؟ ولم تذكر من جبالها (المتينة) و(الفريدة) و(ابو الهيال) و(القممة) و(البكرات) و(عبيد ام العصافير) و(الشفيعي) ، و(المعيقل) .. وغيرها ..

ولم تذكر وادي (الحريق) و (القصب) ولا وادي (اعيوج) ولا وادي (مشاش المراطيب) ؟ واهملت ذكر ما لا يهمل وهو (العتك) من اكبر فجاج (طويق) والمعبر الأول ما بين (نجد) و (العرمة) و(الدهناء) و(الصمان) والمنطقة الشرقية !

اننا ندرك هذا الذي عددته تماماً وندرك هذا الذي استدركناه عليك .. ولكن لنا منهجنا في البحث لم نشأ الخروج عليه . ان خطأك يا صاحبي مزدوج : أولاً : نقدت حيث لا يجب النقد ، وثانياً : وقعت في الخطأ في مادة نقدك والمفروض ان يكون الناقد متمكناً من نقده ، ملماً بجوانب موضوعه ، لانه مقدم على تخطئة غيره ، ممن بذل الجهد والعرق في تحقيق بحثه ، وعيب ان يقال له : أخطأ وهو لم يخطىء ، واكبر منه أن يقع في الخطأ من يقول له ذلك !!

وقال الاستاذ الجنيدل انني قلت : سمي نفود (قنيفذة) بهذا الاسم لأن (قنيفذة) اشهر منهل هنالك ، فأضيف اليه . وقال : انه لا يوجد منهل بهذا الاسم الآن ..

وأقول للأخ ان ياقوتاً في معجمه حينما قال : القنفذة : من مياه بني نمير ، عن ابي زياد . وهنالك نفود اسمه (نفود قنيفذة) في بلاد بني نمير ، تحصل معنا مضاف ، ومضاف اليه ، فالمضاف هو النفود ، وأين المضاف اليه ؟! لا بد ان يكون هذا المنهل ، الذي ذكره ياقوت ، فهذه الاضافة لم تأت عبثاً ، ففي هذا النفود من المسميات على هذا النحو : نفود (الغزيز) ونفود (الخبرا) و(الخبرا) ونفود (قنيفذة) كل جزء منه في جهة يضاف الى المنهل الذي حوله..

وهكذا اتجه رأيي بالنسبة للتسمية . أما أين (قنيفـــذة) الآن ؟ فليس فناؤها أو اندثارها بدعاً من كثير من المناهل التي توجد اسماؤها في المعاجم ولا توجد أعيانها ..

ثم أخذ الاستاذ في تعداد الاودية بعد وادي (اثيفية) فذكر (الأواعر) و(المِسْمى) ثم (القرائن) و (غسلة) و (الوقف) وفصل في ذكرها بما لم أشأ البسط فيه ببحثي «الحجاز» اكثر مما اورده عنها صاحب الدار الشيخ محمد بن بلهيد ـ رحمه الله ـ في كتابه «صحيح الاخبار» حيث انها بلده، وهو بها أعلم، بصفته مؤرخاً ومهتماً بشؤون الديار ، بعيداً فكيف ببـــلده ؟؟ فوقفت في الوصف حيث وقف.. اما انني قلت : ان وادي(النميري) هو وادي(العنبري) يلتقيان في (القرائن) ويرى الأخ الجنيدل أنهما يلتقيان قبل ان يصلا (القرائن) فالخطب يسير ، والخلاف تعبيري . فعلى فرض ان لقياهما قبل القرائن بخمسة اكيال أليسا بعد ذلك يسميان بوادي (القرائن) ؟ إذن هما يلتقيان في القرائن .

أما قوله : انني عللت اسمها (بالقرائن) بالهضبتين الواقعتين شماليها ، وان هذا تعليل جديد ، وان الصحيح انها سميا بذلك لاقترانها .. فما دمنا نعرف أن التسمية القديمة واقعة على ذات غسل ، وان الوقف حديثة ، فكيف نجمع بين هذا ، وبين قول الأخ الجنيدل ، ان التسمية القديمـــة علتها ان القريتين متجاورتان ؟ ألم يقل فيما بعد : وفي طرفها ـ قارة مقابلة المنصفة ـ من ناحية الشرق قارة منقطعة منها ، ويسميها البعض (القراين) ؟؟

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٥ -

(تابع ما نشر في ص ١١٤٣ من السنة الرابعة)

أما الوصف الجغرافي لرجم مُغيرا - أو رجوم مغيرا - فهو خشم صفراء ، مرتفع طبيعي وليس فيـــه أثر بناء ، يطل على وادي الضحوي من ناحية الجنوب وتمتد صفراؤه بانحراف تدريجي صوب المشرق وتبرز فيه قور صغار منفصلة برؤوس مدورة مستوية السّطوح تسمى (الرجوم البارزة) ويطلق على مجموعها رجوم مغيرا ،وعلى الأنف البارز الآنف الذكر رجم مغيرا ، ويلاحظ أنه ذكر في الخرائط الجيولوجية [١] باسم (رجم الضحوي) ولعل ذلك كان

بعد هذا عدد الاستاذ الجنيدل ما بين القرائن ، وشقراء ، وما أقصر ما بينهما !! عدد ما هنالك من مسميات ، كميت ، خشم الكربة ، خشم المنصفة . هذا من اليمين ، اما من اليسار فالقراين - الجبل - .

وعلى أبواب شقراء من الناحية الجنوبية اخذ عـلـيّ الاستاذ الجنيدل عدم ذكر الطريق الذي يتشعب من الطريق الأم ، مشرقاً يقطـــع عريق (الوشم) الى (الحمادة) ومنه بحذاء (شقراء) شرقيها جنوبيها ، يتفرع طريق (اشيقر) ؟ والواقع انني لم اذكر هذا الطريق نسياناً ، رغم انني وراء فكرة تعبيده ، أيام كنت بوزارة المواصلات ، واعرفه تماما .

وما سمي الانسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنـــه يتقلب

وانني احييك على هذه الذكرى وأقول :

يا ملهماً ابــداً رشاده ... اذكرتني درب الحمـــاده
لا زال عيشـــك ناضراً ... ومعين علمـــك في زياده
فلقـــد أفادوا قبلنـــا : ... من جد في شيء أجـاده

(للبحث صلة) ... الرياض - عبدالله بن خميس

(١) إعداد مصلحة المساحة رقم : I - 207 - A

مبنياً على وقوعه في ضفة وادي الضحوي ، وقد سبق أن ذكرنا أن مجرى الضحوي ينحصر بـــين خشم صفرا مغيرا (رجم مغيرا) وبين خشم العبسة .

أما مغيرا : فهي كما ذكر الأستاذ قد أصبحت هجرة لحسن بن بدر الهيضل من أمراء الدعاجين وقـد أقاموا فيها مساكن وغرسوا فيها نخيلاً وحفروا آباراً زراعية ، غير أنها لا تُرى ولا تُرى معالمهـــا من طريق الحجاز وذلك لايغالها في ناحيـــة الجنوب الشرقي ولما يحول دونها من الجبال والصحارى ، وتحديد الاستاذ الخميس بذكرها قبل الحفيرة وفيضة المغص رغم أنها أقرب منها إلى الطريق بمسافة طويلة .

حُمَيّان والبعج : أما حميان فمعروف بديهياً أن شعيب القرنة هو نفس شعيب حميان ، فهو يسمي حميان حتى يصل إلى طرف صفراء الدميثي الشمالي حيث يلتقي بوادي الدوادمي ، ثم بعد أن يسير مسافة (٤) أكيال تقريباً صوب الشمال وبعد أن يجوز طريق الحجاز المعبد يلتقي بوادي التسرير ، وفي هذه الناحية يسمى (شعيب القرنة) وبعد أن يواكب منهل خف يتغير اسمه وهكذا .

أما ماء حميان فهو واقع في نفس هذا الوادي مقابل لخشم صفراء الدميثي من الغرب ، وحوله جبيلات سود تنسب إليه ، وعليه خرائب حجر قديمـة وهي بقايا هجرة أسسها عليه جماعة من الدعاجين وهجروها ،أما البعج : فهو يقع في أسفل وادي وَاسط ، وفي ناحيته غرباً ماء رغوة وحوله سناف أسود يسمى (أسيمر رغوة) .

قال الأستاذ : وإذا رمينا بأبصارنا بعيداً بعد ان نأخذ فيما يلي (ربوى البعج وحميان) نرى جبل (الجمح) جبل فيه وحوله مناهل ، وهو يقع شمالي (عرض شمام) وفيه ماءة ماسل ، والواقع أن جمح ماسل يقـــع في ناحية العرض الشمالية الغربية ، وهو جبل أسود مرتفع تتصل سلاسله بجبال العرض ولا يرى من الطريق المعبد إلا في مواقع معينة وتحت طقس خاص ، وذلك حين يصفو الجو أو ترتفع الأعلام في تموجات السراب في الصحراء ، وقدذكر

الخميس من مياه ماسل الحفيرة ، والواقع أن الحفيرة ليست من مياه ماسل ، فهي واقعة في ناحية العرض الشمالية تفصل بينها وبين ماسل جبال وأودية ، وهي واقعة في ناحية وادي جهام ، بعيدة عن وادي ماسل وجهته ، ثم أورد عبارة الهمداني الآتية : (وبطرفه يعني السحامة ماء يقال له (الحفيرة) حفيرة النصرم وذلك حين انصرم جراد ثم تنشأ رملة الحوامض) .

والواقع أن الحفيرة الوارد ذكرها في هـــذه العبارة بعيدة كل البعد عن حفيرة الهيضل من حيث الموقع والتحديد الجغرافي، فأين منصرم جراد ورملة الحوامض من شمال العرض ؟، ثم ذكر الفيضة هجرة عيران بن سلطان الهيضل ويبدو أنه عدها من مياه ماسل تبعاً لهجرة الحفيرة ، والواقع أنها تبعد كثيراً من حيث الجهة والمسافة عن ماسل ثم هي تسمى (فيضة المغص) لأنها تقع في فيضة شعيب عظيم يسمى المغص ، يخرج هذا الوادي من جهة عرض شمام الشمالية من ناحية جبال داحس ، وسمى المغص لأنه يفلق الجبل الى قسمين يخرج من بينهما .

قال الأستاذ الخميس : (ومن الجمح ومناهله وما حوله يكون الطريق قد حاذى وادي واسط) . أرى أن هذه العبارة لا قيمة لها في التحديد ، فما علاقة الجمح ومياهه التي تبعد عن الطريق (٥٠) كيلا تقريباً بوادي واسط الذي يمتد بجانب الطريق جنوباً ليس بينه وبينه إلا مسافة تتراوح بين مكان وآخر (١٠) أكيال إلى ثمانية ، ثم إن هذا الوادي يمتد مع امتداد الطريق من مصبه في وادي حميان غرباً من صفراء الدميثي ويرافقه حتى يتجاوز مدينة الدوادمي . وقبل أن نصل إلى الدوادمي نعود إلى موقفنا من الطريق المعبد في ناحية وادي القرنة الغربية لتبيّن الأعلام التي ترى بالبصر حقيقة من هـــذا الطريق والتي أخطأ الخميس في أسمائها،وهنا نورد قصيدة أو على الاصح قطعة من قصيدة ، لعبدالله الحداري شاعرمن أهل الدوادمي طال تغربه عنها فقال:

من قـَعَدْ بالسّف يبشر بالندامه   من خبر مثلي صبر عشر سنوات
زين شوف شداد هوويّا مسّامِه   وأم ركـَوْه وأم مـَاكِرُ والصفاة

والأصيفر من تحت طرق العدامه   سعد أبو من شافها قبل المات
وان غديت البيضتين هي العلامه   العلامه بالهضاب النابغـــات

وقال بعض الشعراء :

يا شْداد لا سقّاك رايح عشيّه   عساه ما يسقيك رايح مطرها
يا ليتني يوم المـــلاقى خويّه   يوم إنْ غـَطَـَارو ُس السبايا كدرها

من دراسة هذه الأبيات لهذين الشاعرين نستطيع أن نعرف الاعلام التي ترى من الطريق فيما بين الدوادمي والقرنة بالبصر بسهولة .

شداد : إذا ارتفع بك الطريق من القرنة غربا والتفت يمينا رأيت جبل حَقيل ، وقد مضى الكلام عليه ، وإذا التفت شمـــالاً رأيت خشم صفراء الدميثي بارزا ، وأمامه جنوباً جبلٌ منقطع منه وهو جبل (شداد) وهو عبارة عن قارة مرتفعة له رأسان بارزان متوازيان يشبهان شعبتي الرحل . ثم يبدو لك فيما بينه وبين صفراء الدميثي قارة أخرى تمتد امتداداً نسبياً مستوية الظهر تسمى (مسامة) وهما (شداد ومسامة) نائيان عن الطريق واقعاً في إمتداد صفراء الدميثي جنوباً. [المسَامة: َنوْعٌ من الرحال يستعمله الجمالون].

أم ركوة وأم ماكر والصفاة : وبعد أن تتقدم في الطريق صوب الدوادمي تبدو لك هذه الهضاب ويبرز أمامها هضيب الضال له قمة مرتفعة وكلها تقع شمال الطريق، ومجموعها تسمى هضاب الضال لأنها تقع في ناحيته الشمالية، أما الصفاة فهي تقع على جانب الوادي الشمالي وتطل على ماء الضال، أما أم ركوة فسميت بهذا الاسم لوجود ركوة ماء في ظهرها تمتلىء من الأمطار ، وأم ماكر (بفتح الكاف وأصلها: مَوْكر) سميت بهذا الاسم لوجود وكر تعتاده الطيور وتفرخ فيه.

وإذا نظرت امامك رأيت البيضتين بازتين مرتفعتين بين هضاب جمش الدوادمي الغربية .

وإذا التفت جنوباً رأيت سنافاً أشقر ممتداً من الغرب إلى الشرق واقعاً على ضفاف وادي واسط الجنوبية ، ويبعد عن الطريق حوالي (٨) أكيال وتبدو لك وراءه من بعد رؤوس هضاب ُمجَيْرة ، وتظهر أمامك وأنت تواكب الدوادمي من مسافة (٨) أكيال تقريبـــاً هضاب الدوادمي الصغار وهي :

رضيمة هيفاء والحصى المركز وأم رويسين، وصفية البلاد، من ناحية الطريق الشمالية، والهضبة الوسطى وهضيبة الناصر، من ناحية الطريق الجنوبية، ومن هذا البعد تجوز وادي (أبو عُشيرة) وهو واد غير كبير، يأتي من الشمال الغربي ويذهب صوب الجنوب الشرقي ويجوز الطريق ويلتقي بوادي الدوادمي جنوباً منه، ومن هنا تبدو امامك الهضاب الواقعة غرباً عن الدوادمي البيضتان وأم المشاعيب والجِعلان، وسنأتي على ذكرها وذكر وادي واسط مفصلاً إن شاء الله .

الدَّوادِمي : بفتح الدال المهملة فواو مفتوحة بعدها ألف فدال مهملة مكسورة، بعدها ياء، هذا الاسم الذي تغلب على مدينة الدوادمي واشتهرت به، وهو الإسم الذي تعرف به، وتسمى ايضاً (داورد) و(العويصي) تصغير العاصي، وتسمى (العاصي) وقد اشتهرت في الشعر الشعبي بهذه الأسماء الثلاثة الأخيرة ولا سيما (داورد) والعويصي، وذلك لخفة لفظها وسهولة انسجامه في الصناعة الشعرية، ولثقل كلمة الدوادمي واستعصائها على الوزن الشعري .

وقد ذكر الاستاذ عبدالله أنها تسمى أيضاً (داوردان) وان هذا الاسم معروف عند أهلها، والواقع أن هذا الإسم غير معروف عند سكانها ومن ينتابونها من غير سكانها من الحضر والبدو، قال الشيخ محمد بن بليهد – رحمه الله – وقد ذكرها باسم داورد وذكرها بعض الأعلام القريبة منها :

دنِّيْتِ ظبيان يقطع نازح الدّيرهْ   وإلى زَمَتْ قارةٍ من دونها قارهْ
يقطع ثَنادِيهْ مع ضَالِه وتَسْرِيره   ضارٍ بها في مسانيده ومحداره
ومنجوّ داورد هو يعرف مِصَادِيرهْ   والحَيْد الاسمر يذيب خشوم قِصَّاره
ومن الصَّفيّهْ نشوفَ الناس والدّيرهْ   وادٍ سقاها حَقوقَ المزن بامْطارهْ

الضال والتسرير قد مضى الكلام عليهما وكذلك الثنادي، أما الحيد الاسمر فهو يقصد به سِمار الجعْلان الواقع بين بلدتي الدوادمي والشعراء . والصُّفيَّة : هضيبة صغيرة تقع شرقاً من بلد الشعراء . والديرة : هي بلدة الشعراء، فقد

كان ابن بليهد رحمه‌الله يقضي فيها بعض الاشهر كل سنة. وقال أيضاً في قصيدة طويلة في مدح جلالة الملك فيصل ، من روائع الشعر الشعبي :

يَبِي يِسْتَنِدْ سِيدْ كلّ الاعاريبْ لِهْ يَمْ بيت الله منادي وجذّابْ
لا وَاهَنَّي دَاوِردْ وامْ المشاعيبْ إنْ مرها معطي طويلات الارقابْ
جانا الخبر يامِرْذِيَ الفِطْرَ الشَّيْبْ إن السفر قد تمّ لدْيار الاجْنَابْ
قد رتّبه حامي الوَنيّاتْ تَرْتيبْ أبوكْ فكّاكَ المشاكلْ والانشابْ

أم المشاعيب : هضبة تقع غرباً من الدوادمي على ناحيــة طريق السيارات الجنوبية ، ويمر طريق السيارات القديم من جانبها . وقال عبد الله اللّوْح :

تهنّي يا ديار العرض جاك الوابل المدرارْ
سقى داورد والشعرا ومِزْعِلْ والقوَيْعيّهْ

وقال بعض الشعراء ، وكان مقيماً في بلدة الشعراء من قصيدة :

أنا نهار السبت دنّيتْ فاطري أسبَق من أم البَيْض للعشّ رايدْ
عرِّض على قصرِ العويصي مع الضحى أهل مرحبا للضيف والسّعْر كايدْ
ونَحِّرها القرنَهْ حَقِيلِ يسارها حقيل مع أيسرها بليّا بعايدْ

وقال الشاعر جبري :

يقول جِبري حارب النــوم عَيْنِهْ بليل الدّجا والجَدْي باللّج حالقْ
غمر عنى للعشق عشرين ليـله مـع مثلها ما ذاق للنوم ذايقْ
وردنا على العـاصي وهم يفرعونه عِلْوَى ، ومعهم من سُبَيْع لفايقْ
ولقيتْ على الما طفـلةِ عـامريّهْ من خير من يلبس ثيابِ رقايـقْ

أما من الناحية التاريخية فانه لا يوجد – فيما اطلعت عليه من كتب المعاجم الجغرافية واللغوية – لها ذكر بهذا الاسم – الدوادمي – أو – داورد – أما اسمها العاصي والعويصي بالتصغير ، فيحتمل انها محرفة من كلمة العيصان القديمة التي كانت تطلق على ناحية من بلاد بني نمير فيها معدن .

قال ياقوت [1] : العيصان بكسر أوله تثنية العيص ، من معادن بني نمير ابن كعب، وقيل : العيصان ناحية بينها وبين حجر خمسة أيام من عمل اليمامة؛ بها معدن لبني نمير .

وقال الحسن الاصفهاني [2] : والعيصان من حجر على مسيرة خمسة أو ستة أيام ، وهو قرية كبيرة ، فيها معدن لبني نمير . وقال أيضاً [3] : وقد رتب الطريق بين اليمامة وبين العيصان : (ثم تصير الى ثنية الاحيسي ، وهي ماءة عليها نخل ، ثم تجوزها فتقع في ناحية من قرقرى اليمامة ، فترد ماءة يقال لها المنفطرة ، وهي لبني عدي بن حنيفة ، ثم تجوز ذلك فترد الغزيز ،فتأخذ على رملة يقال لها الوركة ، فإذا جزعتها وردت أهوى ، وأضيمر . — وجاء في معجم البكري أصيهب — وإن شئت إذا خرجت من أهوى وردت العفافة ، وهي لباهلة ، وكثيراً ما يتخطونها الى عكاش ، ثم تجوز فتعبر رملة يقال لها جراد ، فإذا جزت جراد في مكان من حائل يقال له الهلباء ، فـاذا جزت الهلباء وقعت في واد حرج بين صدي جبل لنمير ، ثم تجوز ذلك فترد عكاشاً ماء لبني نمير عليه نخل ، فإذا جزت عكاشاً وردت العيصان ، وهو معدن وبه تجارة ، وهو لبني نمير ، ثم تجوز العيصان فترد معـدن الأحسن ، وهو لبني كلاب ، وهو من أول أعمال المدينة) وقد سبق أن بحثنا هذا الوصف الجغرافي عند ذكر المروت وعند ذكر وادي القرنة .

ومن دراسة هذه العبارات ، ومقارنتها بالوصف الجغرافي والآثار التاريخية لمنطقة الدوادمي ، حيث معالم المعادن القديمة وآثار القرى والمساكن المنتشرة في مناطق المعادن شمالاً وجنوبا وغربا من مدينة الدوادمي وعلى مقربة منها ، يمكن القول بأن منطقة الدوادمي هي منطقة العيصان التي ورد ذكرها في كتب المعاجم القديمة .

---

(١) معجم البلدان . ج ٤ ص ١٧٣ .
(٢) بلاد العرب ، ص ٣٨٢ .
(٣) بلاد العرب ، ص ٣٦٢ — ٣٧٠ .

قال الاستاذ عبد الله بن خميس : ولم تشتهر بلدة (الدوادمي) إلا بعد أن جعل منها مركز وممر للسيارات الذاهبة والآيبة من الحجاز الى الرياض

والواقع أن ما ذكره هو أحد أسباب اشتهارها ، ولكن نهضتها العمرانية والتجارية كان لها عوامل أخرى ، فمركزها الإداري والقضائي له أثر كبير في تطورها الاجتماعي ، فقد ارتبط بها من الناحية الإدارية والقضائية عدد كبير من البلدان وهجر البادية مثل : منطقة السرّ ومنطقة الجِمْش وهجر وادي الرّشاء ، وهجر جَهام ، ومنطقة النيّر وهجر الدعاجين ، عُريدة والحفيّرة والوطاة وماسل وفيضة المغص ومغيرا ، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي المتوسط بين الحجاز والرياض ، وكذلك قربها من منطقة القصيم وتعبيد الطرق بينها وبين هذه المدن يسّر لها الاتصال المنظّم والتبادل التجاري فيما بينها وبين المدن من ناحية وفيما بينها وبين القرى وهجر البادية من ناحية أخرى ، وهناك مرافق أخرى ذات أثر كبير في دعم نشاطها التجاري والعمراني ونموها السكاني ، فقد أصبحت تضم الى جانب مركز الامارة عدداً من الدوائر الرسمية .أما من الناحية التعليمية : ففيها مكتب تعليم يشرف على شؤون المدارس في نفس المدينة وفي البلدان المجاورة لها ، وفيها ثلاث مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية للبنين ، وفيها مكتب مندوبية لمدارس البنات وترتبط به مدارس البنات في القرى المجاورة وفيها مدرسة ابتدائية للبنات . وفي السنوات الأخيرة أخذت النهضة العمرانية تسير بخطوات واسعة على إثر النمو السكاني الذي أصبح ملحوظاً ، ويَفِدُ اليها السكان من القرى المجاورة لها ومن البدو الذين يمتهنون التجارة وأصبحوا بحكم عملهم مرتبطين بالبيئة الحضارية والاستقرار ، إضافة إلى أن هناك قسماً منهم يعملون موظفين في المرافق الحكومية ، في الدوادمي .

وعند ذكر الدوادمي أورد الأستاذ بحثاً عن (مناخ عرجا) الواقع بين قبائل عتيبة من ناحية وقبائل مطير وحرب وقحطان من ناحية ، والواقع أن

الاستاذ نقل ما كتبه الشيخ محمد بن بليهد[1] عن هذا المناخ مع تلطيف يسير في بعض العبارات، مع ملاحظة أن ابن بليهد ـ رحمه الله ـ اختصر بحث هذا المناخ ولم يذكر دور قبيلة قحطان فيه ، ولو ذهبنا في تصحيح أخبار هـذا المناخ واستقصائها لما اتسع له هذا البحث وسنتركه حتى تتاح مناسبة أخرى إن شاء الله .

قال الاستاذ : (وعرجة المذكورة هنا هجرة الآن للحماميد من طلحة من الروقة ، وأميرهم قطيم بن سعود الحبيل ، وتقع عرجة شمالي الدوادمي قريبة منه ، وبينها وبينه قف يتصل بالشريف يقال له الخلّة ، ولعله الذي ذكره ياقوت باسم الحلّة بالحاء) ثم أورد عبارة ياقوت ، وعبارة للهجري كلتاهما على ذكر الحله بالحاء المهملة) .

عرجا (عرجة) : والواقع أن عرجا كانت مورداً قديماً من موارد البادية، ولها ذكر في كتب المعاجم القديمة بلفظ (عرجة) غير أنه في هذا العهد قد أصبح من النادر نطقها بالهاء في آخر الاسم؛ بل أبدلوا منها ألفاً فأصبح الاسم الشائع لها هو عرجا . قال سليمان الناصر بن شريم :

يا راكبين أكوار هجنٍ حرايرْ ... مثل القطا اللّى عقب ورده صدير
طوعات كنّ رقــابهن المرايرْ ... مثــل الغصون إذ انتحت بالمسير
بِـتْرَ الفخوذ مرفضات الحصــايرْ ... وعيونهن مثل الخلاص الخَـمير
تِشْبه مَهىً ذاره من الريح ذايرْ ... صكـّه وهبّت وارتهش مستدير
جفل وعـاد وشاف راس المعايرْ ... واقفن كا السّبْحَه بخيْط الحرير
يوم استوى للبرق مثــل الذخايرْ ... واصبح لمزنــه عقب سيله صبيـرْ
يَرْعَنْ زَهَرْ ما لاق عشبَ القرايرْ ... ما كفته عَرْجا لوادي الجـرينر

وقال حمد بن إبرهيم بن عمار[2] :

يا راكب اللي قيّظتْ عقب مخضارْ ... بين الخَـنَقْ وبين عرجا إلى النـّيْرْ
مجهود من نوّ الثريا بالامطــارْ ... والصيف غرّقهـــا على فقسة الطيرْ

(١) صحيح الأخبار الجزء الثاني ص ١١٤ و ١١٨ ولم يشر الى مصدره .
(٢) شعراء الرس ، ص ٨٣ .

وتبعد عرجا عن الدوادمي (٢٧) كيلاً شمالاً ، وقد أسست فيها هجرة لقبيلة الحماميد من الروقة في أول عهد الملك عبد العزيز ،وهي من أكبر هجر القبائل ، وقد ذكر أمين الريحاني أن عـــدد الذين يشتركون في الجهاد من أهلها يبلغ ألفي مقاتل[١]، وذلك في أول عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله – وقد أصبحت هذه الهجرة بلدة زراعية في هذا العهد ، وألف أهلها حيـــاة التحضر والاستقرار ، ويوجد فيها حالياً محكمة شرعية ، ومدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومستوصف ومكتب بريدي .

قال ياقوت [٢] : العرجة بكسر الراء من ميـــاه بني نمير . وذكرها الهجري بهذا الاسم (عرجة) [٣] .

قال الاستاذ في عبارته السابقة : بينها وبينـــه – أي الدوادمي – قف يتصل بالشريف يقال له (الخلّة) ولعله الذي ذكره ياقوت باسم الحلّة بالحاء . والواقع ان الخلّة بضم الخاء المعجمة فلام مشددة مفتوحة – كما ينطقها عامة أهل نجد – والتي تقع بين الدوادمي وعرجاء ليست قفاً كما ذكر ولكنها هضبة سوداء ملتفة حول نفسها مذروبة ، واقعـة في صحراء مستوية فسيحة بَرْث أبيض منعزلة في وسطها بعيدة عن الجبال والقفاف ، تقع جنوبـاً عن عرجا بميل يسير صوب الغرب وشمالاً من الدوادمي ، ويمر من جانبها طريق السيارات بين نفي والدوادمي ، ولهـذا ذكر بهـذا الاسم في الشعر الشعبي . قال تركي بن ُمحـَيّا :

إن كان َشجْمَى ما رمت عبد اللهْ والا مَعَ السايرْ تروحْ
ارمي عشيرك يا ُظبَيَّ الخلّـــهْ لو كان حمّايَ النّدوحْ

أما القف الذي ورد ذكره في كتب المعاجم والذي ذكروا انـــه يتصل بالشريف فإنه لا يقع جنوباً منعرجا فيما بينها وبين الدوادمي، ولكنه واقع شرقاً من عرجا فيما بينها وبينالسرّ . وقد أورد الاستاذ الخميس عبارة الهجري وهي كالآتي : وآخره النشّاش و (عرجة) وهي مـــاءة ، وتتصل بعرجة (الحلة) ويخرج منها الى (السرّ) ثم من السر إلى (جراد) وهي رملة .

---

(١) نجد الحديث وملحقاته ص ٤٥٤ .
(٢) معجم البلدان ج ٤ ص٩٩ . (٣) أبحاث الهجري ص ٢٣٤ .

فهذه العبارة واضحة ، ويتبين منها أن قف الحلة واقع بين عرجا والسر ، كما هو الواقع الطبيعي لجغرافيـــة هذه الناحية ، ولكن الذي أوهم الخميس هو قرب لفظ الحلة بالحاء المهملة من لفظ الخلة بالخاء المعجمة ، وربما أنه لم يشاهد الوصف الطبيعي لهذه الأمكنة ببصره ، وقد استوفينا بحث الحلة بالحاء المهملة عند ذكر حقيل والشّنادي .

أما الخلة بالخاء المعجمة فلم أرَ لها ذكراً بهذا الاسم في كتب المعاجم التي اطلعت عليها ، وقد يكون هذا الاسم مشتقاً من وصفها الجغرافي ، وقـــد ذكرنا الوصف الجغرافي لصحرائها ، ثم هي من أطيب البلاد للرعي وأنقاها أرضا .

قال في « التاج » : والخلة من العرفج منبتـــه ومجتمعه ، وأيضاً ما فيه حلاوة من النبت ، وقيل المرعى كله حمض وخلـّة ، فالحمض ما فيه ملوحة والخلة ما سواه . وتقول العرب : الخلة خبز الإبل ، والحمض لحمها أو خبيصها وفي التهذيب فاكهتها . انتهى . وكل هذه الميزات الآنفة الذكر متوفرة في مراعي صحراء الخلة وما حولها .

وقد يكون اسمها مشتقاً من التخليل في تعبير عامة أهـــل نجد ، فهم يقولون للأجسام التي تبـــدو نحيفة في تموجات الصحراء الفسيحة (مخللة) ويقصدون بذلك وصفها بالنحافة ، والواقع أنه كلما اتسع الفراغ أصبـح الجسم المنفرد فيه نحيفاً ، غير أن هذه الأجسام ترتفع عن حجمها ومستواها الطبيعي تحت ظروف معينة ، وذلك حين تطفو على تموُّجـات السراب تحت سماء صافية ، فعندئذ ترى من مسافة بعيدة وفي غير حجمها الطبيعي . قال بعض الشعراء :

بأرضٍ ترى فرخ الحبارى كأنه بها راكب موفٍ على ظهر قرْدَدِ

وقال كعب بن زهير :

كأن أوب ذراعيهـــا إذا عرقت وقد تلفع بالقُـور العساقيـــلُ
يوماً يظلُّ به الحرباء مصطخداً كأن ضاحيَهُ بالشمس مملولُ

وقال فيحان الرقّـاص :

ولْيهِنْ صلاة العصر بغثاهْ مِنْشَاعْ   منشاع مرميات خطو المغازيـــلْ
والدرب من بين العرايسْ لِيَـــاقاعْ   وعْصَيْبر يَمّ الخَنْفِسيّةْ مخاليلْ

وهكذا هضبة الخلة بالخاء المعجمة ، فهي هضبة صغيرة ملتفة حول نفسها فريدة في وسط صحراء واسعة تحف بها من كل جهاتها ، تبدو للناظر من بعد مخللة فوق تيار السراب المتموّج .

نعود الى الحديث عن جغرافية الدوادمي : تقع مدينة الدوادمي في سهل مستوٍ يحف به من الشرق صحراء فسيحة لينة التربـة تسمى (الرّبوي) ، ويحف به من الشمال والغرب والجنوب نتوءات صخرية تتكون جيولوجياً من النوع الغرانيتي الرمادي اللون ، وفي هذه المناطق الصخرية توجد المعـــادن القديمة ، ويجري البحث والتنقيب وفحص العينات عن مناجمهـا الآن . وفي جانب البلد الجنوبي يمر وادي الدوادمي ، يسيل من ناحية الغرب ويدفـع صوب الشرق ، تاركاً البلدة على يساره حتى يتجاوز معالمها ثم يميـل شمـالاً وينحدر شرقاً محاذياً للطريق المعبّد من الجنوب .

منطقة السِّدْريّة : تقع شمالاً من الدوادمي على بعد (٣) أكيال ، وهي منطقة صخرية تشكلها سلاسل جبلية (سِنْفان) رمادية اللون ، تمتد موازياً بعضها بعضاً من الشرق صوب الغرب ويتخللها شعاب ضيقـة عميقة ، وفيها توجد حفر المعادن القديمة الواسعة ، وغالباً ما تكون المناجم في ظهور الجبال تفلقها بشكل طولي ، وينزل بعضها الى عمق بعيد ، وفي هذه المنطقة تبدو جذور حيطان المساكن القديمة مبنية من الحجارة ، وهي على شكـل قرى صغيرة وغرف ضيقة منتشرة حوالي حفر المناجم ،وتنتشر حولها بقايا الرحيّ والمساحق الحجرية وحطام الأواني الفخارية المطلية بطلاء أخضر ناعم وكذلك بقايا الأواني الزجاجية المحطمة .

أما تسمية هذه المنطقة (السدرية) فيعللها سكان مدينة الدوادمي بوجود أشجار السدر في أسافل الأودية التي تنحدر منها شمالاً ،وما يقال عن الوصف التاريخي والجغرافي لمنطقة السدرية ينطبق أيضاً على منطقة (سمرة) الواقعة جنوباً من الدوادمي ، وسنأتي على ذكرها .

مُصِدّة : هجرة لقبيلة الرُّوسان من بَرْقا من عُتَيبة ، أسسها خالد بن

جامع وجماعته عام ١٣٤٦ هـ ، على آبار جاهلية كشفت عـــام ١٣٣٧ هـ ، وأميرها الآن حدجان بن مِتْرِك بن جامع ، وتقع شمالاً من الدوادمي مسافة (١١) كيلا ، واسمها حديث ليس له ذكر في كتب المعاجم القديمة .

قال الشاعر الشعبي هويشل بن عبد الله :

هاضني ذيب عوى في مَنْصِـدهْ جاوِبَنْــهْ ذياب الثنــادي
ماقَفٍ يا ذيب ما عنه صَدهْ فيه نطْلَ الرُّوس مثل الهـوادي

السمنات : قال الخميس : وفوقها غربيهـا — أي فوق مصـدة — هضاب السمنى ، هضاب حمر متجاورات ، والواقع أن هضـاب السمنات تقع غربـاً شمالياً من مصدة ، وهي ست هضبات كبار قريب بعضها من بعض ولكل واحدة منها اسم تعرف به عند سكان هذه الناحية ، وأولهـــا من ناحية الجنوب هضبة (أم دحل) وآخرها من ناحيـة الشمال هضبة (الزويكي) هضبة حمراء نائية من مصدة صوب الشمال الغربي ، ويذكرهـــا البعض بلفظ المفرد فيقــولون (هضاب السمنا) والبعض يقولون (السمنات) جمع سمنا [1] .

بَرْقا : آبار وقصور زراعية قديمة ، تقع شمالاً غربيا من الدوادمي مسافة (٨) أكيال . والبعض يسمونها (حشّاشة) نسبة الى أهلها أسرة آل حشاش من أهل الدوادمي .

أما تسميتها بَرْقا ، فذلك لوجود برقة تحف بها من ناحية الشمال الغربي على جانب هضبة حمراء غير مرتفعة .

الخُوَيْبات : واحدتها خويبة ، تصغير خابية ، ثلاث هضبات حمر واقعة بين هضاب السمنات وهضاب البيضتين ، ولم يرد لها ذكر فيما رأيته من كتب المعاجم القديمة .

(للحديث صلة) الدوادمي سعد بن عبد الله بن جُنَيدِل

---

(١) وقد ذكرها الهمداني « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٧ باسم هضب السمنات .

الربان أحمد بن ماجد

دفاع وتقييم [1]

(انظر مجلة « العرب » ص ٢ ٤ السنة الثالثة
ومن ص ٨٣٢ الى ص ٨٥١ السنة الرابعة) .

(١) الصراع على خيرات الشرق

الطرق التجارية :

كانت السواحل الشرقية من البحر الأبيض المتوسط ، الملتقى الرئيسي للطرق التجارية ما بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور ، حين كانت المنتجات الشرقية من الحرير والعطور والتوابل والأحجار الكريمة وما أشبه ذلك تجد في أسواقها ، خاتمة المطاف لرحلتها الطويلة من مصادرها الأولى في الهند والشرق الأقصى، لتبدأ بعد ذلك رحلة جديدة إلى أسواق الاستهلاك في أوروبا . ولذلك فقد كان التناحر بين القوى العالمية ، شديداً متواصلاً من أجل السيادة على هذه المنطقة الهامة من العالم ، نظراً لما تدرّه تجارتها من أرباح خيالية ، وما تضفيه من القوة والمنعة على من يسيطر عليها. استمر هذا التناحر متواصلاً من أقدم الأزمان ، حتى ورثته دولتا الفرس والروم ، ثم كانت الغلبة فيه للدولة البيزنطية ، وريثة الدولة الرومانية ، فاستقرّت لها السيادة على تلك المنطقة قبيل الإسلام ، ثم انتقلت إلى العرب بعد ظهوره ، واكتفت بيزنطة باحتكار المتاجر الشرقية وتصريفها في الممالك التابعة لها في أوروبا ، في حرص شديد ، وأنانية بالغة ؛ فكانت السلع الشرقية التي تصل إلى القسطنطينية ،تنقل الى أوروبا في سفن البيزنطيين ومن والاهم من الاوروبيين

---

(١) اعرف ان كلمة تقييم ، وهي مشتقة من القيمة ، غير قاموسية ، وان الكلمة الفصيحة هي تقويم ، ولكن تقويم تعني كذلك معالجة المعوجّ حتى يستقيم . وأنا لا أقوّم اعوجاجاً ،وإنما أحاول إعطاء أحمد بن ماجد قيمته الحقيقية .ولهذا لجأت الى كلمة تقييم علىعلاتها، هرباً من اللبس الذي قد ينشأ من استعمال الكلمة الأخرى.

وحدهم . فلما برزت المدن الإيطالية إلى الوجود ، أخذت تحلّ محلّ بيزنطة في نقل المتاجر الشرقية من موانيء البحر الأبيض المتوسط العربية ، ومن القسطنطينية ، وتوزيعها في الأسواق الاوروبية .

وكانت التجارة الشرقية تتدفق منذ القدم ، إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط الشرقية خلال ثلاثة شرايين رئيسية: أحدها برّي، وهو طريق الحرير، ويمتد من الصين ، مخترقاً آسيا الوسطى إلى طرابزون ، أو يلتف حول سواحل البحر الأسود الشمالية ، إلى القرم، ثم يواصل سيره إلى القسطنطينية . وكانت أمم آسيا الوسطى ، كالصين والمغول والخزر والتركستان والفرس ، تتولى نقل المنتجات الصينية عبر هذا الطريق الى القسطنطينية .

وثاني هذه الشرايين برمائي ، ويمتد من الموانيء الهندية إلى الميناء الرئيسية في الخليج العربي ، ومنها إلى البصرة ، ثم يواصل طريقه إلى سورية الشمالية براً ماراً ببغداد .

وأمّا ثالثها : فبحري في معظمه . وهو ينطلق كالشريان الثاني ، من الموانيء الهندية . ولكنه يخالفه في الإتجاه ، فيسير مباشرة إلى عدن ، ومنها إلى جدة ، ثم يعبر البحر إلى السويس فالقاهرة ، أو الإسكندرية براً . أو يقصد إلى مصر من جدة بطريق البر . وقد يتجه من عدن إلى السويس رأساً، ومنها إلى القاهرة أو الإسكندرية .

العرب يجنون خيرات التجارة الشرقية :

وكانت هذه التجارة في أيدي المسلمين ، وأغلبهم من عرب الخليج واليمن، نظراً لنشاطهم التجاري ، وموقع بلادهم الجغرافي . ولكنها لم تكن حكراً عليهم وحدهم ، لأن العرب لم يعرفوا الاحتكار في التجارة طيلة تاريخهم . لقد كان يشاركهم فيها ، ولو بنسب صغيرة ، أعداد من الهنود والفرس واليهود وغيرهم من الشعوب والملل . بيد أن الإشراف على المسالك البحرية ، كان لعرب الخليج واليمن وحدهم تقريباً ، لا لأنهم فرضوا احتكارهم لهذا الإشراف بقوّة السلاح ، وإنما أهّلهم للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، موقع بلادهم الجغرافي

وتكوينهم البيئي ، وتقاليدهم المتوارثة ، وتخصصهم العملي ؛ فكانت سفنهم منذ أقدم الأزمان ، تتـولى نقل المتـاجر من الشرق الأقصى ، إلى الموانيء الهندية ، ومنها إلى الاسواق العربية في الخليج وعدن وجدة والسويس ،حيث تقوم القوافل العربية ، برية أو بحرية ، بنقلها من هذه الموانيء ، إلى مـوانيء البحر الابيض المتوسط العربية .

وكان هؤلاء العرب على وعي تام بخطورة المهمة التي اضطلعوا بها، فأولوها ما تستحق من جهد وعناء ، حتى ان بعضهم، ربما غاب عامة عمره في البحر. ولقد بلغني أن رجلاً من سيراف ، ألف البحر ، حتى ذكر انه لم يخرج من السفينة نحواً من أربعين سنة ... وكان يتحول من سفينة الى أخرى ، إذا انكسرت وتشعثت فاحتيج الى إصلاحها [1] » . ولذلك فقد أصابوا من هذه التجارة خيراً وفيراً ، وأرباحاً طائلة ، قـد تبدو خيالية لضخامتها . « انّ أحدهم ليبلغ ملكه أربعين ألف ألف دينار(٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠) في عصرنا [2]». « ... وأخبر بعض الثقـات أنه حضر البصرة سنة ٣٢٤ هـ ، فوردت كتب التجار من عمان ، انـه وقع بها حريق ... فـاحترقت لرجل يعرف بابن مروان ، من العبيد السود ، سوى البيض ، إثنا عشر ألف نسمة ، واحترق له من الأمتعة ما لم يحدّ ، إلا الكافور ، فإنه احترق له أربع مـائة بركة ، والبركة خمسون وقراً [3] » .

« وكانت النظم المصرية (في أيام المماليـــك) ، تقضي أن يكون ثلث الواردات الشرقية من الفلفل،وأن يباع هذا الفلفل في جدة على الحاكم المصري بسعره السائد آنذاك في كاليكوت . فلو جلب أحدهم بضائع من كاليكوت، ثمنها ٣٠٠ جنيه ، ليس بينها المقدار اللازم من الفلفل ، فإنّ عليه أن يشتري فلفلا من السوق في جدة بمائة جنيه ، بالسعر السائد فيها آنــذاك ، ويبيعه للسلطان بسعره في كليكوت . وفضلاً عن ذلك ، فإن عليه أن يدفع ١٠ ٪

---

(١) الاصطخري : مسالك الممالك ص ٩ – ١٣٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ ؛ الاصطخري : الأقاليم ص ٦٦ .
(٣) الأقاليم ص ٦٦ .

من الثمن على ما بقي من بضاعتــه ، و ٤ ٪ على ما يبقى منهـا بعد تنزيل الـ ١٠ ٪ السابقة ، ثم انه لا يتسلم ثمن هـذا الفلفل نقـداً ، وإنما عليه أن يشتري به نحاساً من السلطان في جدة ، بسعره في كليكوت ... وبهذا تبلغ حصة السلطـان عادة ، ما يعادل ثلث البضاعـة كلها ، دون أن يتعرض لأية خسارة على الإطلاق[١] » .

« أمـا البضائع الواردة إلى السويس من طريق جدة ، لتصديرهـا إلى أوروبا ، فعلى المورّد أن يدفع عليها في السويس ٥ ٪ من قيمتها نقـداً ، ثم ينقلها على ظهور الإبل الى القـاهرة ... وتسجل البضائـع على بعد ميل من القاهرة . ويبلغ سعر الرطل من الفلفل في أسواق القاهرة ٢٠ بنساً تقريباً . وعلى التاجر أن يشتري فلفلاً بما يعادل ثلث مشترواته . وتنقل البضائع من القاهرة في النيل على ظهور السفن ، ومن النيل إلى الإسكنـدرية على ظهـور الإبل ، وتسجل مرة أخرى في الإسكندرية . وعلى البائع والمشتري أن يدفع كل منهما ٥ ٪ من ثمنها ، وعلى صاحب السفينة ، أن يدفع ٥ ٪ للتصديق على إبحارها[٢] » .

ويصوّر لنا ضخامة هذه التجارة ، ما شاهده ابن جبير من قوافلها في الطريق من اليمن إلى عيذاب ، كما يصور لنا ما كان يحف بتلك الطريق من الأمان الشامل :

« ورمنا في هذه الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة ، فـما تمكن لنا ، ولا سيما القوافل العيذابية المتحملة بسلع الهند الواصلة الى اليمن ، ثم من اليمن الى عيذاب . وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمـال الفلفل ، فلقـد خيل الينا لكثرته ، أنه يوازي التراب قيمة . ومن عجب ما شاهدناه بهذه الصحراء انك تلتقي بقاعة الطريق ، أحمـال الفلفل والقرفة وسائرهـا من السلع ، مطروحة لا حارس لها ، وتترك بهذه السبيل ، اما لإعياء الإبل الحاملة لها ،

---

(١) Sir E. Denison Ross, in the Cambridge History of India , p: 1, quoting Whiteway , Rise of protuguese In India , pp: 7 - 8 .

(٢) Ibid. p : 2

أو غير ذلك من الاعذار ، وتبقى بموضعها الى أن ينقلها صاحبها ، مصونة من الآفات ، مع كثرة المار عليها من أطوار الناس [١] » .

ونظراً لضخامة الأرباح التي تدرها هذه التجارة على القائمين بها ، فان الصراع في سبيل السيادة على مناطق الانتاج في الشرق ، والمسالك البحرية ، والطرق البرية ، التي توصل ما بين مواطن الانتاج وبين أسواق الاستهلاك في الغرب ، وظل متواصل الحلقات منذ أقدم الأزمان . ولعل غزو الإسكندر المقدوني للبلاد الشرقية ، ومحاولته استكشاف المسالك البحرية فيما بين الخليج العربي والسويس ، ليس المحاولة الأولى في التاريخ ، للسيطرة على الشرق ونهب خيراته . وجاء بعد الاسكندر الرومان ، وأنفذ أباطرتهم أكثر من حملة بحرية لإخضاع جنوب الجزيرة العربية والاستيلاء على عدن ، لانتزاع تجارة الشرق من أيدي العرب. ولكنهم أخفقوا في تحقيق شيء من هذه الأهداف، على الرغم من خسائرهم الجسيمة . ومع ذلك فقد وفقوا بعض الوقت في مد خط بحري تجاري خاص بهم ، ما بين الموانيء الهندية وعدن والسويس . غير ان الانباط استطاعوا توجيه شطر غير يسير من تجارة الشرق ، للمرور عبر بلادهم ، عن طريق الخليج العربي والفرات والأراضي السورية ، فأفادوا من ذلك خيراً وفيراً على حساب ما كانت روما تجنيه من تلك التجارة ، الأمر الذي دفع بها إلى شن الحرب عليهم ؛ فزالت دولتهم من الوجود ، ثم جاء الصليبيون للسيطرة على « أقاليم آسيا بجملتها ، مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء [٢] » ، وتلاهم البرتغاليون ، فالهولنديون والإنجليز والإفرنسيون . وأخيراً جاء الأميركيون بإرهابهم النزق الأرعن ، ممثلين في الصهيونية المسعورة . وكلهم يهدف إلى تحقيق الغاية ذاتها .

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٤٣ — ٤ .

(٢) تاريخ الحروب الصليبية المقدسة في المشرق ، المدعوة حرب الصليب ، المؤلف بموجب تاريخ الأزمنة المعاصرة ، من العلامة مكسيموس مونروند . قد استخرجه من أصله الفرنساوي لى اللغة العربية ، قدس السيد كيروكيرو مكسيموس مظلوم، البطريرك الأنطاكي والاسكندري والأورشليمي وسائر المشرق الروم الملكي الكاثوليكي الكلي الشرف والطوبى سنة ١٨٤١ م مطبعة دير الرهبان الفرنسسكانيين بأورشليم سنة ١٨٦٥ م .

المدن الايطالية :

بعد أن انتقلت تجارة الشرق في البحر الأبيض المتوسط ، الى المدن الإيطالية ، اشتد إقبال الغربيين على البضائع الشرقية ، ولا سيا على التوابل والبهارات ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، حتى أصبح لها من الأهمية ما للبترول في أيامنا . وإذا كنا نـدرك أسباب الأهمية التي أصبحت للبترول في هذا العصر ، فقد لا يدرك أكثرنا أسباب الأهمية التي كانت للتوابل والبهارات في ذلك الزمان ، حتى أصبح السعي للسيطرة على تجارتها محـور الصراع العالمي آنذاك ، كما أصبح السعي للسيطرة على منابع البترول محور الصراع العالمي في هذا الزمان . ومردّ تلك الأهمية التي كانت للتوابل والبهارات ، يعود الى ان توفير العلف في الخريف والشتاء كان من أصعب الأمور في أوروبا ، فكان الاوروبيون يضطرون إلى ذبح ما لديهم من حيوانات اللحوم عند دخول الخريف للاحتفاظ بلحومها إلى حين يشتد البرد وتشح الاعلاف . ولما كانت الثلاجـات لم تخترع بعد ، فقد كانت اللحوم تملّح وتتبّل ، لتبقى صالحـة للأكل ، أطول فترة ممكنة . كما كانت التوابل والبهارات ضرورية لتلطيف مذاق تلك اللحوم حين أكلها [١] .

ونظراً لضخامة الأرباح التي كانت المدن الإيطالية تجنيها من تلك التجارة ، وخاصة بعد الحروب الصليبية وما نتج عنها من تطور في الطباع والأذواق في الغرب ، فقد احتدم الصراع فيا بين تلك المدن على الاستئثار بتلك الأرباح ، فانغمست في حروب طاحنة متواصلة . وهذه المدن الإيطالية ، وأهمها جنوا والبندقية ، لم تكن مدناً عادية بالمعنى المألوف ، وإنما كانت دولاً كبيرة ، لها جيوشها البرية ، وأساطيلها البحرية ، ومستعمراتهـا الواسعة ، وسيطرتها الاقتصادية الجبارة . وأغلبها كان قد بدأ حياته ، بامتهان القرصنة على نطاق واسع . وكان بين تلك المدن من العداوات والأحقاد ، مـا تحتم قيـامه النظم الاحتكارية التي تطبقها في أملاكها .

(١) John Marlowe , The Persian Gulf in the Twentieth century , p: 3 - Michael Edwardes , Asia in the European Age 1498 - 1955 , pp : 21-2 .

النزاع بين البندقية وجنوا :

اتبعت البندقية في علاقاتها الخارجية ، سياسة ميكيافيلية مرنـة . فعلى الرغم من الدور العظيم الذي قامت به في الحروب الصليبية ضد المسلمين ، فقد سارعت بعد فشل الصليبيين ، الى عقد اتفاق تجاري مع القاهرة ، مكن لها أن تحتكر تصريف المتاجر الواردة من الشرق عن طريق البحر الاحمر ، والخليج العربي ، في الاسواق الاوروبية ؛ ثم استحصلت على مرسوم بابوي ، يجيز لها الاتجار مع الكفار (المسلمين !) ، وهو ما كان البابوات قـد حرموه على جميع الأمم المسيحية ، فأضافت بذلك إلى أسباب النزاع التي كانت قائمة بينها وبين جنوا ، نتيجة لاختلاف أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية ، أسباباً أخرى ، أثارت حنق الجنويين وحفيظتهم ، وحملتهم على استخدام القوة لتحطيمها . فنشبت بين الفريقين سلسلة من المعارك البحرية ، كانت الفاصلة فيها معركة شيوجيا Chioggia (سنة ١٣٨٠ م) التي أسفرت عن تدمير الأسطول الجنوي تدميراً تاماً .

على أن النزاع الطويل بين البنادقة والجنويين ، لم يكن مردّه التنافس على احتكار تجارة الشرق فحسب ، وإنما كان أيضاً نتيجة لاختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية بينهما .

كانت تجارة البندقية تجري على نمط هو نوع من التأميم . فالحكومة هي التي تتولى توجيه التجارة لصالح الدولة العام ، لا لصالح الافراد ، وتسخّر جهازها الحكومي كله لخدمة تجارتها . وكان توجيه السياسة التجارية ، وتعيين الموظفين ، وشنّ الحروب ، وسنّ الأنظمة التجارية ، من اختصاص الدولة وحدها .

أمّا جنوا ، فكانت على النقيض من ذلك كله . لقد كانت بيوتها الكبيرة المتنازعة ، وأحزابها المتطاحنة ، تتنازع الحكم وتستغله لخدمة مصالحها الذاتية الخاصة ، فإذا استولى أحد الأحزاب على مقاليد الحكم فيها ، أقصى منافسيه عن الجهاز الحكومي ، واستأثر وحده بتوجيه شؤون البلاد واستغلال خيراتها .

وقد هيأت هذه الروح الفردية ، لبيوت جنوا الكبيرة ، أن يصبح أفرادها مستشاري القصور الملكية وخبراءها في أوروبا، وأن يبدأوا أول فصل في قصة الكشوف البحرية ، ولا سيا تلك الكشوف التي حسبوها تساعدهم على تحطيم البندقية واحتكارها لتجارة الشرق في الاسواق الاوروبية، ليستأثروا به وحدهم. وإذا كانوا قد انتهوا كقوة مقاتلة ، بعد هزيمتهم في شيوجيا ، فإنهم ما زالوا يدخرون كثيراً من القدرة على توجيه الضربات القاتلة إلى أعدائهم خارج ميادين القتال . لقد أكسبتهم صلتهم الطويلة بالشرق، معرفة واسعة بأحواله وشؤونه، وقد قرأوا – ولا بد – رحلات ماركو بولو ، فقد أملاها وهو أسير في سجونهم ؛ وقرأوا – ولا شك – رحلات اولئك الذين طافوا بالشرق وخبروا أوضاعه على علاتها ، من المغامرين والجواسيس ؛ كما استمعوا – ولا ريب – إلى الاسرى من العرب (وبينهم – على الارجح – أعداد من أهل الخليج واليمن) ، الذين وقعوا في أيديهم أثناء الحروب الصليبية ، أو خلال اشتباكاتهم البحرية مع الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط، فأفادوا من كل ذلك . وأغلب الظن انهم كانوا على علم بأن عبور المحيط الهندي من السواحل الافريقية الشرقية إلى الهند ، كان من الامور المألوفة بالنسبة للسفن العربية . وأغلب الظن كذلك ، انهم كانوا على علم بإمكانية الطواف بأفريقية بحراً ، فقد سبق للفينيقيين أن طافوا بها في القرن السادس قبل الميلاد ، وسبق أن طاف بها الملاح العربي ابن فاطمة في القرن الثالث عشر بعد الميلاد [1] . وليس ما يمنع من القيام بهذا الطواف مرة أخرى والوصول إلى الهند ، موطن التوابل والبهارات ، وكل ما في الشرق من خيرات . ليس ما يمنع من تحقيق ذلك ، سوى الخرافات التي كانت تعشش في أدمغة الغربيين منذ أيام الفينيقيين ، عما في المحيط الاطلسي من أهوال تستحيل معها الحياة فيما وراء رأس بوجادور .

لقد كان الجنويون على يقين – ولا شك – من تفاهة هذه الخرافات وسخفها . فقد أقام رجالهم في شمال افريقية ، وارتادوا ربوعها ، وصحبوا

(١) الدكتور أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ص ٧٥ .

قوافلها التجارية في رحلاتها عبر الصحراء الكبرى، وجاوزوا رأس بوجادور بثات الأميال جنوباً، ووصلوا برّاً إلى مقربة من ساحل غينيا، وقتلوا أوضاع تلك المناطق بحثاً ودرساً ، فلم يسمعوا ذكراً لتلك الاهوال التي تصوّرها الخرافات . فإذا كانوا في سبيل السيادة على تجارة الشرق ، قد تحطموا عسكرياً،أثناء محاولتهم تحطيم البندقية ، فلماذا لا يحاولون تحطيمها اقتصادياً؟ إن المصدر الوحيد لقوّتها ، هي تجارتها مع الشرق عن طريق حلفائها المصريين . فلماذا لا يعملون على انتزاع تلك التجارة من البنادقة والمصريين جميعاً ؟ لماذا لا يحاولون الوصول الى الهند بحراً بالطواف حول القارةالافريقية واستخلاص تلك التجارة من منابعها لأنفسهم ؟ .

ولذلك ، فليس من قبيل الصدفة أن يكون أول روّاد المحيط الاطلسي الغربيين من الجنويين ؛ وأول من حاول الوصول إلىالهند بحراً بالطواف حول السواحل الافريقية الغربية من الجنويين ؛ وأن تتألف نواة الاسطول البرتغالي من الجنويين ؛ وأن يكون كرستوفر كولومبوس الذي اكتشف اميركا ، أثناء محاولته الوصول الى الهند،بالإبحار غرباً من السواحل الاوروبية الغربية ، من الجنويين .

(٢) البرتغال وطريق الهند

البرتغال وليدة الحروب الصليبية ووارثة أحقادها :

بعد أن اضطرت جنوا إلى التخلي عن مواصلة الكفاح عسكرياً ، نتيجة لهزيمتها الساحقة في شيوجيا ، راحت البرتغال تحل محلها في الصراع ، بل انها إذا أردنا الدقة ، كانت قد بدأت تسهم في ذلك الصراع الخالد ،منذ الساعات الاولى التي بدأت تتخذ فيها لنفسها كياناً قائماً بذاته مستقلاً عن اسبانيا ، وذلك قبل أن يتخلى الجنويون عن مواصلة القيام بدورهم في ذلك الصراع بزمن طويل . لقد برزت الى الوجود ، نتيجة للحرب التي شنتها الصليبية على

المسلمين في شبه جزيرة ايبريا ، فاتخذت من شن الحرب عليهم ومناصبتهم العداء محوراً لسياستها العامة منذ البداية . ان تاريخ البرتغال هو تاريخ اسبانيا المسيحية حتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ؛ وتاريخ اسبانيا منذ الفتح الإسلامي « ليس إلا تاريخ التقاء حضارتين مختلفتين تمام الاختلاف، إحداهما مسيحية ... وثانيتهما إسلامية ... ولم يكن من اصطدامهما محيص في سبيل السيطرة التامة على شبه جزيرة ايبريا كلها ، برغم ما نشأ بينهما من تبادل المؤثرات والتيارات والميول الحضارية[1] ». وتاريخ البرتغال منذ نهاية القرن الحادي عشر ـ على الرغم من استقلالها التام ـ متمم لتاريخ اسبانيا في حروبها ضد المسلمين . بل ان تاريخ ايبريا كلها ، منذ قيام الحروب الصليبية، ليس إلا جزءاً من تاريخ أوروبا الصليبية . فإن « التوافق الزمني بين عصر الجهود المسيحية ضد المسلمين في اسبانيا ، وعصر الحروب الصليبية في الشرق، لم يكن محض الصدفة أو وليدها ... إنّ مطلع الحروب الصليبية ، لا يبعد كثيراً عن فتح المسيحيين الاسبانيين مدينة طليطلة سنة ١١٨٥ م، وإن خاتمتها تقرب من استيلائهم على مدينة مرسية سنة ١٢٦٦ م . ذلك ان الحماسة التي أثارها البابا أوربان الثاني ، إلى الحروب الصليبية لم يقف تيارها أو ينكص عند جبال البرانس ، بل امتد الى اسبانيا المسيحية ، حتى شملها كلها بحرارته التي عمّت أوروبا جميعها ..وأعقب ذلك الارتفاع في درجة التعصب المسيحي الاسباني ، نشاط جديد في ميادين النضال بين المسيحيين الاسبان والمسلمين، فدخلت مئات من الفرسان الفرنسيين والالمان والإيطاليين في جيش ألفونسو الرابع ملك قشتالة ، وأسهمت في الاستيلاء على طليطلة سنة ١١٨٥ م[2] » . وكان الأمير هنري مؤسس البيت المالك في البرتغال أحد هؤلاء الفرنسيين .

فلما تم للبرتغال إجلاء العرب من الاراضي التي اتخذتها بعد ذلك وطناً

---

(١) فيشر ، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني وابراهيم أحمد العدوي ، دار المعارف بالقاهرة ، القسم الثاني ، ص ٣٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .

لها ، وانقطعت بذلك قدرتها على شن الحرب عليهم ،لانقطاع اتصالهاالجغرافي بهم ،راحت تعمل على تكوين أسطول بحري لنفسها ، حتى يتسنى لها بواسطته محاربتهم ، ومهاجمة سواحلهم في اسبانيا العربية وافريقية الشمالية . ولم يثبط من عزمها افتقارها إلى مقوّمات الاسطول وعناصره الأولية من سفن وملاحين ، بل حتى وأخشاب لصناعة السفن ؛ فقد شرعت تزرع أشجار الخشب لتوفير حاجاتها منه ، منذ أيام الملك دينيز الأول Diniz I الذي عهد بقيادة الاسطول البرتغالي سنة ١٣١٧ الى مانويل باسنها Manoel Pessranha أحد أشراف الجنويين . وجعل تلك القيادة وراثية في بيته ، على أن يستخدم بعض الجنويين ممن تمرسوا بالبحر وفنونه لقيادة الاسطول . وتشجيعاً للبرتغاليين على بناء السفن ، أصدر الملك اوامره باعطاء كل من يرغب في بناء سفينة ما ، ما يلزمه من الخشب مجاناً من الغابات الملكية ، شريطة ألا يقلّ وسق تلك السفينة عن ١٠٠طن، كما أمر بمنحه عدداً من الاعفاءات والامتيازات المشجعة الأخرى .

فتح سبتة :

وبهذه السياسة استطاعت البرتغال أن تبني لنفسها اسطولاً مكّنها من استئناف غاراتها على الاراضي العربية في عهد ملكها حنا الأول ، وتبدأ توسعها الاستعماري الذي فتح الباب على مصراعيه للاستعمار الغربي الحديث منذ سنة ١٤١٥ م ، عندما استعانت بالمغامرين من الانجليز وغيرهم من الاوروبيين ، وهاجمت مدينة سبتة واستولت عليها . وسبتة هي الميناء الافريقية الحصينة التي انطلق منها طارق بن زياد لفتح الاندلس .

اشترك في الحملة على سبتة ثلاثة من أبناء الملك حنا الاول الى جانب أبيهم ، اشتراكاً عملياً ، وقاموا في الحرب بدور فعّال . بل ان الحملة ما كانت لتقع ، لولا تحريضهم المتواصل لأبيهم على القيام بها . ويتحدث ازورارا Azurara مؤرخ هنري الملاح ، باسهاب عن الوسائل التي لجأ اليها أبناء الملك لحمل أبيهم على القيام بتلك الحملة ، والمناقشات التي دارت بينه وبينهم بصددها ، وما

كان لأمهم المتعصبة ولرجال الكنيسة من تـــأثير قوي في القضاء على تردد الملك ، ويتحدث كذلك عن الدور الرئيسي الذي لعبه هنري الملاح في إنفاذ تلك الحملة ، وانه كان في مقدمة من اقتحم المدينة من المهاجمين . ومرد الحماسة العارمة التي كانت تدفع بهنري الملاح الى التكالب على مناصبة المسلمين العداء ، وتكريس نفسه لمحاربتهم ، راجـع الى الروح الصليبية التي كانت تهيمن على أوروبا آنذاك ، والتي نمتها في نفسه امه الإنجليزية المتعصبة ،وإلى نشوة النصر التي كان يحس بها لكونه سليل البيت الذي انتزع الاراضي البرتغاليـــة من أبدي العرب . وفوق ذلك كله ، إلى إغراء الجنويين ، وتحريضهم المتواصل له على انتزاع تجارة الشرق من أيدي العرب وحلفائهم البنادقة .

جنوا والبرتغال :

كان حجر الزاوية في سياسة الجنويين ، الانفراد بتجـــارة الشرق مهما كانت الوسيلة ، ومهما بلغ الثمن . ولذلك فقد عرضوا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي على سلطان العراقين الخان ارغون ، مشروعاً لنقل التوابل من ساحل الملبار إلى الخليج العربي بحراً ، ومنه إلى مـــوانيء البحر الابيض المتوسط الشمالية برا ، حيث كانوا قد استطاعوا بفضل ما أسداه اليهم البيت الامبراطوري في بيزنطة من عون وتأييد ، أن يطردوا البنادقة من تلك الموانيء . وكان مشروعهم يعتمد على بناء اسطول جنوي في الخليج العربي ، يتولى إغـلاق البحر الاحمر في وجـه التجارة الهندية [1] . وعلى الرغم من فشلهم في تحقيق ذلك المشروع،فإنهم ما انفكوا يتطلعون الى الهند والوصول اليها بطريق أو بأخرى ، غير الطريق المألوفة آنذاك ؛ فقـد كانت آمالهم معلقة على تحقيق ذلك الهدف العظيم .فلما عهد ملك البرتغال في سنة ١٣١٧ م إلى باسنها الجنوي قيادة الاسطول البرتغالي ، تسنى للجنويين بذلـك الحصول على موقع ممتاز ، فتوهموا ان الفرصة قد واتتهم لتحقيق أحلامهم الجريئة .

غير إن البرتغال لم تستخدم الجنويين لتساعدهم على تحقيق مشاريعهم على

---

(١) Panikkar , Asia and the western Dominance, p: 26 .

حسابها ، وإنما ليحققوا لها مشاريعها . وقد تجلى موقف كل منهما من الآخر ، منذ بدأت جهودهما المشتركة تبشر بشيء من النجاح . فعندما شرع هنري الملاح في بناء مدينة ساجرس Sagres التي اتخذها قاعدة لعملياته البحرية ، عرض عليه الجنويون أن يشتروها منه بثمن عظيم . ولو باعها لهم ، لاستقلوا بالعمل لمصلحتهم الخاصة ، ولكان من المرجح أن تكون الكشوف الاستعمارية وما أفادته البرتغال منها من ثراء وقوة من نصيبهم ولكن هنري الملاح لم يستجب الى هذا الإغراء ، لأنه كان على ثقة من إمكانية الوصول الى الهند بحراً ، كما يوحي بذلك المرسوم البابوي الذي منحه البابا نقولا الخامس في سنة ١٤٥٤ م الى ألفونسو ملك البرتغال .

والواقع ان الجنويين كانوا يحاولون استغلال البرتغاليين والمكر بهم ، وكان البرتغاليون يحاولون كذلك استغلال الجنويين والمكر بهم . ولو جاز لامرىء أن يطلع على تطور ذلك الصراع الصامت الذي كان يدور بين هؤلاء الحلفاء، وهو لما يزل في ضمير الغيب ، لبانت له النتيجة جلية واضحة . فما تحالف اثنان غير متكافئين ، إلا وكان الغنم للاقوى ، والغرم على الاضعف منهما . لقد أفاد البرتغاليون من تلمذتهم على الجنويين في الشؤون البحرية طيلة قرن من الزمن ، فتشبعوا بروح الإقدام والمغامرة التي اتصف بها الجنويون ، واكتسبوا من المعرفة بالفنون البحرية ما أهّلهم للاضطلاع بالعمل على تحقيق المهمة التي لم يتسنَّ للجنويين إتمامها ، فتمكنوا آخر الامر من الوصول الى الهند عن طريق البحر ، دون المرور بالبحر الاحمر أو الخليج العربي . وكانت احدى نتائج هذا الكشف وبالاً على الجنويين أنفسهم ، وعلى كافة المدن الإيطالية التجارية. فقد تحولت تجارة الشرق الى البرتغال ، وتوقف المعين الذي كان يمد تلك المدن بأسباب القوة والعظمة والثراء .

هنري الملاح يترسم خطى الجنويين :

وجد هنري الملاح السبيل ممهدة أمامه للعمل على تحقيق كشوفه البحرية . لقد سبقه الجنويون الى الجزر الخالدات مراراً ؛ فكان غاية ما يبدأ به ، هو

أن يترسم خطاهم اليهـا . فبعث أسطولاً كبيراً الى تلك الجزر ، وأمر بعـد ذلك بتأهيلها . وكما تتبع آثارهم الى هـذه الجزر ، تتبّعهـا أيضاً في ارتياد السواحل الافريقية الغربية . ولعـل ذلك كان بتحريض منهم بادىء الامر . والواقع ان هنري الملاح لم يحقق شيئاً من كشوفه عن طريق الصدفـة . فإن ما توفر من المعلومات الجغرافية في زمنه ، يدل على ان الطواف بجنوب القارة الافريقيـة والوصول الى الهنـد كان من الامـور الممكنـة . بل ان الطواف بالسواحل الافريقية الجنوبية ، والعبور من أحد المحيطين–الهندي والاطلسي– الى الآخر ، كان قد تم تحقيقه على أيدي العرب ، قبل أن يبدأ هنري الملاح كشوفه « العلمية » بزمن طويل . « فثمة وثيقة عربية ... لجغرافي عربي من غرناطة ، هو ابن سعيد (١٥٠٠ م) الذي ألف كتاباً شهيراً بعنوان « جغرافية الاقاليم السبعة » كتبه على نهج (الادريسي) (أبي عبد الله ١١٠٠ – ١١٦٥ م) في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، ورد فيه أن ملاحاً عربياً يدعى ابن فاطمة ، دار حول افريقيا من الغرب الى الشرق ووصف سواحل السنغال ومدغشقر ، وكيف كانت جاليـة هنـدية تعيش في مـدغشقر في ذلك الوقت [١] » .

ويذكر كراتشوفسكي : « ان فرا مورو Fra Mauro عندمـا وضع مصوره الجغرافي عام ١٤٥٧ ، ذكر ان ملاحاً عربياً أبحر حوالي عام ١٤٢٠م ، من المحيط الهندي حول القارة الافريقية ، فظهر بالمحيط الاطلنطي [٢] » .

ويبدو ان هذه القصة كانت شائعة بين أهل افريقية الشرقية ، فقد سمع بها هناك بعد ذلك الجاسوسان اليهوديان ابراهيم البيخي Abraham of Beja ويوسف اللاميجي Joseph of Lamego اللذان كانا يعملان للملك البرتغال حنا الثاني ، وذلك قبل أن يكتشف برثلميو دياز ، رأس الرجاء الصالح [٣] . أو انهما سمعا بقصة شبيهة بها .

(١) الدكتور أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، ص ٧٥ .
(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص ٥٦٢ .
(٣) Sir Harry H. Johnston , Colonization of Africa p: 81-2n .

سبتة نقطة الانطلاق :

كان للمعلومات التي حصل عليها هنري الملاح من الاسرى المغاربة الذين كانت لهم معرفة بالمناطق النائية ، وغيرهم من سكان المناطق الافريقية والاسلامية المختلفة الذين كانوا في سبتة عند سقوطها ، عن ثراء البلدان الشرقية وخيراتها ، ولما استنتجه مما شاهده في أسواق المدينة خلال نهبها ، من الكنوز التي جاءت بها القوافل من الشرق الاقصى والهند ، عبر مناطق كانت ما تزال مجهولة للاوروبين ، تأثير بعيد المدى في نفسه ، فقد ألهبت أطماعه ، وأثارت أحقاده على العرب الذين ينعمون وحدهم بتلك الخيرات . كما ان اسطورة برستر جون ذلك الملك المسيحي الخرافي ، الذي كانوا يتوهمون في أوروبا ، وجود مملكته في ناحية ما من الشرق ، لا بد وأن تكون أثارت اهتمامه ، وحفزته على السعي للاتصال بذلك الملك المسيحي ، فقد كان يعلق على الاتصال به أعظم الآمال ، للالتفاف حول العالم الاسلامي وتطويقه ، تمهيداً لشنّ حرب صليبية عليه . لقد كان فتح سبتة بما وفره من المعلومات عن السواحل الافريقية ، وما كشفه من ثراء البلاد الشرقية ، النقطة التي انطلقت منها الكشوف البرتغالية ، والمنبع الذي فار منه الاستعمار الصليبي على الشرق ، تحقيقاً للغايات التي استهدفها البابا أوربان الثاني من إشعال الحروب الصليبية .

القرصنة البرتغالية :

سبق أن أشرنا الى ان بعوث هنري الملاح البحرية ، أخذت تترسم خطى الجنويين إلى الجزر الخالدات ، ثم اتجهت بعد ذلك الى السواحل الافريقية الغربية . ومنذ سنة ١٤٢٢ م ، وهو يوالي إرسال تلك البعوث سنة بعد أخرى . ومع ذلك ، وعلى الرغم مما تكبدته تلك البعوث من نفقات هائلة ، فإنّ أيّاً منها لم يجرؤ على تخطي رأس بوجادور . بل ان أغلبها ما يكاد

يغادر مراسيه في الأراضي في المياه البرتغالية ، حتى يتجه الى سواحل غرناطة أو شمال افريقية ، أو شرق البحر الأبيض المتوسط ، ليمارس القرصنة ويتصيد الأسرى من المسلمين ، كما يبيعهم أرقاء ، بدلاً من العمل على تحقيق أهداف هنري الملاح « العلمية » .

وزال الاحجام الذي كان يهيمن على رجال البحر البرتغاليين ، بعد أن غامر أحدهم وتخطى رأس بوجادور ، فألفى الأمور طبيعية عادية على غير ما كانوا يتصورون في أوروبا . ومن ثم فقد راحت بحوثهم تتدافع الى السواحل الافريقية ، ورحلاتهم تمتد شيئاً فشيئاً نحو الجنوب . وكانت جميع رحلاتهم لا تخرج في حقيقتها عن كونها من حملات القراصنة ، هدفها الرئيسي اقتناص الافريقيين . وكمثال لتلك الحملات ، نشير بصفة خاصة الى الحملة التي أقلعت الى غرب افريقية سنة ١٤٤٣ م بقيادة نونو تريستون Nuno Tristao ، فقد كان لما حققته دوي عنيف ، وصدى بعيد المدى ، ونتائج في غاية الخطورة ، أثرت في تكييف نظرة البرتغاليين الى جهود هنري الملاح وكشوفه . فحتى ذلك التاريخ ، كان الرأي العام في البرتغال ، ينظر الى تلك المحاولات ، نظرة بعيدة عن الرضى والتأييد ، لنتائجها العقيمة ، ولما كانت تتطلبه من نفقات باهظة لم يكن لها من مسوغ معروف لدى الرأي العام البرتغالي . فلما بدأت قوافل الاسرى الافريقيين تترى ، واحدة تلو الاخرى ، وأخذت الشكوك تساور اولئك الناقمين في صواب حكمهم على أعمال هنري الملاح أولاً ، ثم بدأ التأييد يحل محل الانتقاد تدريجياً ؛ حتى اذا عاد نونو تريستون من رحلته ، اجتاحت البرتغاليين رغبة جامحة في المشاركة في تلك الجهود . فإن رؤية الاسرى الذين جاءت بهم الحملة ، أشعلت نار الجشع ، وأثارت عرام الشهوة الى النهب والقرصنة والاسترقاق في قلوب البرتغاليين عامة ، وفي قلوب رجال هنري الملاح المقربين خاصة . وكان لانسروت Lançarote أمين الخزانة البرتغالية في مدينة لاجرس ، أول من استجاب إلى ذلك الإغراء ، فاتفق مع بعض وجهاء المدينة على تأليف حملة من ست سفن حربية ، لاختطاف الزنوج من افريقية . ثم عرض مشروعه على هنري الملاح فباركه ، وأمر بأن تحمل

أعلام تلك الحملة الصليبية ، شعار طائفة المسيح الدينية التي يرأسها .

وأقلعت الحملة الى افريقية ، وراحت تمعن في اختطاف الافريقيين الآمنين بمنتهى الوحشية والقسوة . وكان يوم رجوعها الى لاجرس من الأيام المشهورة، فامتلأ الشاطىء بالناس ، وامتطى بعضهم مـا وجدوه من القوارب وتوجهوا الى عرض البحر للترحيب برجال الحملة المظفرين .

وأمر هنري الملاح بتقسيم الغنائم بناء على اقـتراح لانساروت . فجيء بالأسرى الى ميدان خارج المدينة ، وكان عددهم يربو على مـائتين وخمسين . وكان الميدان مليئاً بالناس الذين تركوا أعمالهم وهرعوا من المدينة والمناطق المجاورة ، ليمتعوا أنظارهم بمشاهدة اولئك التعساء . وكان الامير هنري الملاح على صهوة جواده يتمخطر بين الناس ، مزهوّاً بما أحرزه من نصر مؤزر . وقد فرّق حصته من الغنيمة ، وكانت ٤٠ أسيراً على أصحابه المقربين .

وتوالت حملات القراصنة البرتغاليين على السواحل الافريقية الغربية ، وراحت تحمل اليها الدمار والاستعباد . وأخذت السواحل التي ترتادها سفنهم تقفر من آهليها ، إمّا لأن البرتغاليين استأصلوهم قتلا وأسراً ، وإمـا لأنهم فرّوا بأنفسهم وحرّياتهم من الهلاك والاستعباد . كما أخذت مقاومة الافارقة تشتد ، بعد أن زال عنصر المفاجأة الذي كان له ، أول الامر ، أثر بالغ في تحطيم معنوياتهم .

وكلما عزّ الصيد وامتنع ، كلما راح البرتغاليون يفتشون عن مناطق جديدة تكون فيها حقيقة أهدافهم مجهولة عند الوطنيين ، فيسهل اصطيادهم من غير عناء كبير . وهكذا أخذت غزواتهم تمتد نحو الجنوب على امتـداد السواحل الافريقية ، وهدفها هو الكشف عن مصادر جديدة «للذهب الأسود» كما كانوا يسمّون الزنوج في ذلك التاريخ .

ولهذا فإنّ الاستاذ « بين » Payne لا يتجنى على الحقيقة إذا اعتبر الأمير هنري الملاح ، من زعماء العصابات التي كانت تمارس اختطاف العبيد (١) .

(١) Travel and Travellers of the Middle Ages , edited by A . P. Newton, p: 214 .

ملوك البرتغال والكشوف الاستعمارية :

بعد أن انتقل الاهتمام بحركة الكشوف الاستعمارية ، بعد وفاة هنري الملاح ، إلى ملوك البرتغال أنفسهم ، أخذت تلك الحركة تتعثر ، نتيجة لاضطراب الاوضاع الداخلية في البرتغال حيناً ، ولانشغال الجالس على العرش بأمور أخرى حيناً آخر . وقد اضطر الملك ألفونسو الخامس في سنة ١٤٦٩ م ، أن يضمّن الاتجار مع افريقية بمبلغ ٥٠٠ كروساد ولمدة خمس سنوات ، باستثناء تجارة العاج التي احتفظ بها للتاج البرتغالي . وقد تعهد الضامن أن يستكشف ١٠٠ فرسخ سنوياً ، مبتدئاً من سيراليون . وقبل نهاية الضمان ، تجاوز البرتغاليون خط الاستواء ، وبلغوا رأس القديسة كاترين الواقع على بعد درجتين جنوبي ذلك الخط .

ولما مات الملك ألفونسو سنة ١٤٨١ م ، وخلفه ابنه حنا الثاني ، انتقلت حركة الكشوف البرتغالية من الفتور والاسترخاء اللذين رانا عليها أيام الملك السابق إلى طور جديد يمور بالحيوية والنشاط . وكان الملك حنا الثاني قد تدرب منذ شبابه الباكر على الاهتمام بالكشوف الاستعمارية . فقد عهد اليه أبوه الإشراف على شؤون المستعمرات والإستكشاف ، وهو ما يزال في الثالثة عشر من العمر . وكان من الاهداف التي وضع نصب عينيه تحقيقها الوصول إلى بلاد برستر جون ، ليتخذ منه عوناً على مهاجمة البلاد العربية ، وعلى بلوغ الاراضي التي تأتي منها التوابل التي يتولى الإيطاليون تسويقها في البلاد الاوروبية . لقد استولت تجارة التوابل الهندية على اهتمامه بصفة خاصة ،منذ أخفق الفلفل الافريقي الذي كان قد أرسل عينات منه الى الاسواق الاوربية في تحقيق أثمان تضارع أثمان الفلفل الهندي . ولذلك فقد أرسل جواسيسه الى الى القاهرة ، للبحث عن أسباب هذا الفرق في الاسعار ، ولجمع المعلومات المختلفة المتعلقة بتجارة التوابل بصفة عامة . وحينما عرف من تقارير جواسيسه ، مقدار الارباح الهائلة التي يجنيها الوسطاء الإيطاليون من هذه التجارة ، عقد النية على الاستحواذ على تلك الارباح الهائلة ، وحرمان البلدان الأخرى منها . وحتى لا يزاحمه مزاحم في المستقبل ، استصدر مرسوماً بابوياً

جديداً يعزز مرسوماً سابقاً كان الأمير هنري الملاح قد استصدره في سنة ١٤٥٤ م ، يحرّم ارتياد تلك المياه على جميع الامم الأخرى . ومع ذلك فقد خشي أن تحاول إحدى الدول التسلل إلى السواحل الافريقية ، خاصة وقد ترامى الى مسامعه ان بعض الإنجليز يفكرون في الرحلة اليها ، فأرسل إلى إدوارد الرابع ملك إنجلترا ، ينبئه باستيلاء البرتغال على افريقية ، ويطلب منه منع رعاياه من للسفر اليها . وقد استجاب الملك إدوارد إلى هذا الطلب، ومع ذلك – وخشية أن يجد الطامعون منفذاً للتحايل على هذه الإجراءات الوقائية ، وللحيلولة بين الأجانب والوصول إلى المياه الافريقية – اتخذ له جواسيس يوافونه بأنباء المحاولات التي قد تجري للاتجار مع افريقية ، وأمر ملاحيه بابقاء أمر الأراضي التي يزورونها طي الكتمان .

اكتشاف رأس الرجاء الصالح :

واصل الملك حنا الثاني العمل على اكتشاف طريق جديدة الى الهند ،وكان على يقين من وصول رجاله اليها ، إذا واصلوا السفر جنوبا على امتداد الساحل الافريقي ؛ وقام بارسال البعوث التبشيرية الى افريقيـة لتقصي أخبار برستر جون الذي كان يعلق عليه أكبر الآمال في تحقيق أهدافه العدوانية ؛ وبعث بالملاح الشهير برثلميو دياز الى البحار الجنوبية لمواصلة الإبحار في اتجاه الجنوب الى أبعد ما يستطيع .

أقلعت حملة دياز في نهاية أغسطس سنة ١٤٨٦ م ، وأمضت سنة مضنية وهي تضرب في مجاهل المحيط الاطلسي حتى ضج بحارتها بالشكوى مما يعانون، وحاولوا التمرد والعصيان . وأخيراً قادته الصدفة الى رأس الرجـاء الصالح بعد أن يئس من الوصول اليه ، فانقلب يأسه الى سعادة غامرة . وقد أسمى ذلك الرأس ، رأس العواصف ، ذكرى للاخطار التي تعرّض لهـا في تلك النواحي من شدة الرياح ، ولكن الملك حنا الثاني أسماه رأس الرجاء الصالح، لأنه أدرك انه اكتشف الطريق الى الهند .

الجواسيس يمهدون الطريق :

بينما كان برثلميو دياز يضرب في متاهات المحيط الأطلسي ، كان الملك حنا الثاني يواصل إرسال جواسيسه إلى الشرق ، لمعرفة موضع برستر جون ، وما إذا كانت بلاده تتصل بالبحر ، وأين تقع مواطن الفلفل والقرفة وغيرهما من التوابل والبهارات التي يؤتى بها إلى مدينة البندقية من بلاد العرب .

وكان من هؤلاء الجواسيس ألفونسو دي بيفا Alfonso de Payva وبيدرو دي كوفلهام Pedro de Covilham وهو ممن خدموا العائلة المالكة في البرتغال باخلاص . وعندما وقع الاختيار عليه للقيام بهذه المهمة ، كان في مهمة سياسية في شمال افريقية ، وهي توقيع معاهدة للصلح مع أمير تلمسان ومهمة تجارية ، هي شراء أردية صوفية وخيول من بلاد البربر ، إلى سيده ابن عم الملك وصهره .

وسافر الجاسوسان الى برشلونة ، فنابولي ، بعد أن تزودا بجميع البيانات والخرائط المتوفرة لدى الملك ، والتي قد تسهل مهمتهما . ثم أبحرا إلى رودس، فالإسكندرية والقاهرة ، حيث أقاما بعض الوقت ، إلى أن وجدا جماعة من العرب متوجهة الى عدن ، فصحباها الى الطور . وهناك حصلا على بعض المعلومات عن تجارة كليكوت . ثم أبحرا إلى سواكن ، فعدن ، حيث افترقا، على أن يلتقيا مرة أخرى في القاهرة في موعد معين .

ومن عدن أبحر كوفلهام في سفينة عربية الى الهند ، فوصل بعد شهر إلى كنانور Cananor على ساحل الملبار . ومنها توجه الى كليكوت . وفي هذه المدينة التي كان يرسو في مينائها أكثر من ألف سفينة، علم ان الفلفل والزنجبيل والنيل تنبت على ساحل الملبار ، وان القرفة تستورد من سيلان . وسمع ان مواطن الفلفل وجوز الطيب والبهارات والكافور ، هي ملقا وسومطرا وبورنيو وجاوة . وان الكافور والمسك والراوند والندّ تأتي من الصين ، كما تأتي من تلك البلدان النائية الاصباغ واللبان والشامي العطر والعود . وعرف

من أين تأتي الأحجار الكريمة والألماس . أما الذهب فكان شائعاً في كل مكان، حتى ان التجار في كليكوت ، كانوا يرفضونه ثمناً لبضائعهم ،فكانت المعاملات تجري على أساس من المقايضة .

أما برستر جون ، فلم يعثر له على أثر في آسيا . ولما كان يعتقد ان بافيا قد توجه الى الحبشة ، فإنه لم يَرَ حاجة الى أن يقوم هو أيضاً بزيارتها.ولكنه قرر الإبحار مع الساحل الافريقي الشرقي الى أبعد مدى يستطيع الوصول اليه جنوباً ، فقد طالما أسال لعابه ، ما سمعه عما في تلك الاراضي من الذهب والفضة والعنبر والطيب . كما قرر أن يزور مقديشو ، وهي أحد الامكنة التي عليه أن يشملها في تقريره الى سيده ملك البرتغال .

وسافر من الملبار مع بعض التجار العرب الى هرمز ، عاصمة الشرق التجارية آنذاك . فشاهد فيها تجاراً من القاهرة والاسكندرية ، يستبضعون البهارات والنفائس الثمينة التي تأتي من الصين والهند ، لبيعها بعد ذلك على الإيطاليين والمغاربة . وكانت هرمز في ذلك التاريخ مركزاً لتجارة الخيول . وكان عربها على جانب كبير من الثرا والتحضر . وكان لباسهم يتألف من الأقمشة الفاخرة البيضاء، والأردية الحريرية الجميلة، والأنطقة الموشاة بالذهب. وكانت المعيشة فيها مرتفعة جداً ، لأن ما تستهلكه من الماء يؤتى به إليها من البر الذي يبعد عنها مسافة اثني عشر ميلاً. وقد رأى كوفلهام في الجزيرة تلالاً من الملح الحجري . وكانوا يصدرونه الىالحبشة التي كانت تستعملهوالفلفل عوضاً عن النقود . وبعد أن أتم دراسته للحالة التجارية في هرمز ، أبحر الى عدن ، فزيلع ، وكانت من موانيء الرقيق الكبرى في افريقية الشرقية . ثم صحب جماعة من التجار العرب، وأبحر معها في اتجاه الجنوب ، فزار مقديشو وممباسة وزنجبار ، وتوقف في سفالة . وقد سمع أثناء أسفاره بوجود جزيرة عظيمة جداً ، على مقربة من سفالة ، يسميها العرب جزيرة « القمر » — مدغشقر .

(للحديث صلة) علي التاجر

مَعَ القُرّاءِ .. في أسئلتهم وتعليقاتهم

ملاحظات واستدراكات

[طالع الأخ الأستاذ حمد بن محمد العبيدي أجزاء متفرقة من مجلة « العرب » وسجل هذه الملاحظات التي ننشرها مقرونة بالشكر والاستزادة]

- ٣ -

وفي الجزء الثامن صفحة ٦٧٤ سطر ٢٣ موقع الجار الخ أكرر أن ميناء الجار ما زالت معروفة وليست بالرايس بل شمالاً عنه .

وجاء في الجزء التاسع صفحة ٧٦٩ الشعيبة الخ مرسى الشعيبة ليس قرب الراس الأسود بل يقع جنوب جدة وعلى بعد حوالي ٨٥ كيلا والخمرة ليست قرية بل محطة صغيرة تبعد عن جدة ١٧ كيلا وفيها مزارع تروى عثرياً وقد سبق ان حفر بها المرحوم الشيخ سليمان الحمد النانيه بعض الآبار وأنشأ مزرعة جلب لها انواعاً من النخيل غير أنها تأثرت فيما بعد لعدم جريان السيول كالمعتاد بسبب اقامة العقوم في جهات وادي فاطمة ومنطقة بحرة ويوجد في الخمرة مركز لخفر السواحل وسلاح الحدود وهذه بعض المرافيء فيما بين جدة والشعيبة : الشهيد ، البلاج ، الرأس الأسود ، البضيع ، صروم ، القوزين ، شعارة ، القيدان ، المستبط ، الشعيبة المقفولة .

وفي الجزء العاشر صفحة ٨٦٨ حاشية ٢ لا يوجد أي شرح . والذبل هو الغطاء الخارجي للسلحفاة البحرية وكان يستعمل في صناعة الامشاط وتزيين مقابض السيوف والسكاكين ، وعلى الذكر تعرف السلحفاة لدى البحارة باسم صُقر وفي نفس الصفحة سطر ١٧ سمك البهار ما زال يعرف بهذا الاسم في البحر الاحمر نوع من السمك والصغار منه يقال لها تِمرة وقد شاهدت أكبر أحجامه فيما بين ١ الى ١/٥٠ متر اما السمك الذي يروي أنه له رأسين فلا

صحة لذلك مطلقاً انما توجد اسماك مرجانية عديدة منها نوع دائري الشكل تقريباً يشبه رأسها الذيل وفي الجزء الأعلى للمؤخرة لطعة سوداء كأنها عين وعندما يتطلع اليها الانسان لا يتأكد من اول نظرة ايها الرأس وأيها المؤخرة

وجاء في نفس الجزء صفحة ٨٦٩ سطر ١٨ العنبر الخ ما زالت تفد بعض حيتان العنبر الى البحر الاحمر وخاصة في فصل الشتاء، كما يوجد نوع مقيم من الحيتان يسمى البتان ويعرف علمياً باسم الحوت ذو الحربة الصغيرة وقد يصل حجمه فيما بين ١٥ – ٢٠ متراً .

وفي نفس الجزء صفحة ٨٨٥ سطر٧: ادم الخ ارجح ان ادم تحريف لاسم الجبل الذي يعرف باسم دما وللآن لم اتأكد أيها الصواب ويلاحظ انه يوجد جبلين يقال للأول دما الحمراء والآخر دما السمراء وكلاهما لغطفان قديماً .

وجاء في الجزء الحادي عشر صفحة ٩٦٢ حاشية ٣ الخ يظن كثير من الكتاب ان عين زبيدة التي اوردتها الى مكة المكرمة هي التي توجد منابعها جنوب شداد والصواب أنها عين حنين التي تقع في أسفل الشرائع وتعرف اليوم بعين سمحة وقد بعثها قبل سنين المرحوم الشيخ حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية سابقاً واجرى ماءها إلى مزرعة أقامها هناك .

وفي نفس الجزء صفحة ٩٦٩ سطر ٢٣ من الجار الى جدة الخ فالمعروف ان القوافل كانت تقطع الطريق فيما بين المدينة ومكة بين ٨ – ١٠ ايام ولذا فإن ذكر المسافة من الجار الى جدة بنحو عشرة ايام بالبر مبالغ فيه وليس بينهما جبال ولا وعر بل سهل منبسط ولو انه قال في البحر فقد نلمس له بعض العذر فلربما قابلت المسافر بعض العوارض كالريح المعاكسة ويذكر ان الجار كانت قبل مدينة قرب جدة ويقال انه كانت ميناء قرب ذهبان وقد درست ولا يوجد الآن أي دليل أثري يثبت مثل ذلك انما توجد قبور عديدة على بعض منها شواهد قد تدل على أن المنطقة كانت مأهولة .

جدة : حمد بن محمد العبيدي

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● — مجلة المجمع العلمي العراقي :

وصدر المجلد التاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) حافلاً كبقية أجزاء المجلة بالبحوث الممتعة الرصينة ، ومنها في هذا الجزء : الإصطرلاب للدكتور إبراهيم شوكة — لغة الشعر للدكتور جميل سعيد — بحث في أسرار الحروف العربية للدكتور مصطفى جواد — ليبيا لدى الرحالة المغاربة للاستاذ عبد الهادي التازي — كتاب الوزارات : وصف مخطوط نادر مجهول المؤلف للاستاذ عبد الحميد العلوجي ... هذه بعض أبحاث المجلة ، يضاف إليها بعض أبواب المجلة الأخرى عن التعريف ببعض الكتب وغير ذلك من الموضوعات القيّمة . ويقع هذا الجزء في ٢٤٨ صفحة من القطع الكبير .

● — رحلة إلى الأندلس:

سجل الأستاذ ناجي جواد أحد أدباء العراق المعروفين مشاهداته أثناء رحلة قام بها إلى الأندلس في كتاب دعاه « رحلة إلى الاندلس » وقدّمه (إلى الفدائيين المجاهدين من أجل أن لا تتكرر مأساة الاندلس في فلسطين) ... وحوَت هذه الرحلة أبحاثاً شيّقة موجزة عن : الأندلس — مصارعة الثيران — طليطلة — غرناطة — ملقا — اشبيلية — قرطبة — قصة عبدالرحمن الداخل — رجل قرطبة الاول . والاستاذ ناجي جواد في رحلته هذه يجمع بين الوصف لمشاهداته وبين ربط تلك المشاهدات بمعالم التاريخ القديمة ، فرحلته تجمع بين الوصف والتاريخ وتقدم للقارىء صوراً تاريخية واضحة المعالم عن فردوس العرب المفقود . وتقع هذه الرحلة في ١٧٤ صفحة من القطع الكبير على ورق فاخر بطباعة حسنة مزدانة بالصور بغلاف أندلسي أنيق .

● – الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا :

جزيرة فيلكا من جزر الكويت المعروفة ، وقد قامت حكومة الكويت بإجراء أبحاث لكشف بعض آثار هذه الجزيرة ، فعثر فيها على عاديات من من كتابات وتماثيل وآثار أبنية وغيرها تدل على أن الجزيرة كانت على جانب عظيم من التقدم الحضاري ، وقد وضعت وزارة التربية والتعليم في الكويت تقريراً شاملاً عمّا أجري في الجزيرة من حفر وتنقيب، وعمّا عثر عليه فيها من آثار كا وضعت وزارة التربية والتعليم كرّاساً يحوي وصف النقود اليونانيةالتي عثر عليها في الجزيرة مع صورها . وقد كرم الاستاذ الصديق حجي القاسم الحجي باتحاف مجلة العرب بالتقريرين المذكورين .

● – شعراء من كربلاء :

وكرم الاستاذ سلمان هادي الطعمة فأهدى العرب الأجزاء الثلاثة الأولى من كتابه « شعراء من كربلاء » ، ويظهر ان الاستاذ سلمان أراد وضع كتاب شامل لتراجم شعراء كربلاء من القرن السابع الهجري الى مطلع القرن الرابع عشر . والأستاذ سلمان هادي عني عناية فائقة بدراسة ما يتعلق بكربلاء وله مؤلفات عن مخطوطاتها وتراثها وأدبائها . والواقع ان شعراء كربلاء الذين جمع الاستاذ منهم قدراً كبيراً ذوو منحىً وطريقة في الشعر لا يستغني أي باحث في تاريخ الأدب العربي عن دراسة أولئك الشعراء . وهذا الكتاب من أوفى الكتب المتعلقة في الموضوع .

● – ديوان عمرو بن معديكرب :

وقام الاستاذ هاشم الطعان من باحثي العراق المعروفين بجمع شعر عمرو ابن معديكرب الزبيدي ، وبذل جهداً قوياً في هذا السبيل ، بحيث رجع إلى أمهات الكتب العربية المعروفة مضيفاً إلى ذلك الشعر دراسات وشروحاً عميقة ، أخرج كل ذلك في كتاب بلغت صفحاته ٢٨٧ ، يعتبر من أعمق الدراسات الأدبية التي تدل على سعة إطلاع وقوة ، وقد طبعت هذا الديوان وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، ونشرته في سلسلة التراث ، حيث جاء الحلقة الـ ١٤ منها . وكرم الاستاذ الطعان باتحاف العرب بنسخة من هذا الديوان . ويرى القارىء في موضع آخر من هذا الجزء بحثاً ممتعاً للدكتور يحيى الجبوري حوله .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الرابع — السنة الخامسة — شوال ١٣٩٠ — ك ١ (ديسمبر) ١٩٧٠

من خصائص بعض المدن والقرى

في أمثالها ، وما يقال عنها

— ٣ —

وعلى ذكر بيشة (ص ٢١٠) يحسن التنبيه إلى أمور :

الأول — أورد البكري في « معجم ما استعجم » كلامـاً طويلاً حول بيشة ، غير أنه ذكر أن الاسم يطلق على موضعين : الوادي المعروف وقال عنه : إنه من أودية تهامة ، ثم نقل في تعريفه أشعاراً منها قول ريطة بنت عباس الرعلي السلمي ترثي أباها — وكانت خثعم قتلته — أو قول الخنساء :

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى هضب أشراك أقام فألجَمَا

وذكر أن عباس بن مرداس السلمي أدرك بثأرها وقال :

أبلـغْ قحافةَ عنّا في ديارهمُ ... والحربُ تكشرُ عن نابٍ وأضراسِ
أنّا قتلنا بِتَرْجٍ من سراتهـم ... سبعين مقتبلاً صَرْعَى بعباسِ

ثم قال البكري : وبيشة أخرى ، وهي بيشة السماوة وهي مأسدَةٌ ، قال مُزَرِّد :

لأوْفَى بهـا ثمّ كأن أباهمُ ... بِبِيْشَةَ ضرغامٌ غليظ السَّواعِدِ

ثم ذكر أن خالد بن صفوان قدم على هشام بن عبد الملك فسأله عن مسيره فقال في بعض كلامه : حتى إذا كُنَّا ببيشة السماوة بعث الله علينا ريحاً حَرْجَفاً ، انجحرت لها الطيرُ في أوكارها والسباع في أسرابها ، فلم أهتد لعَلَمٍ لامع ، ولا لنجْمٍ طالع .

ثم قال البكري : ولما قدم جرير بن عبد الله على النبي ﷺ قال : « أين منزلك ؟ » قال : بأكناف بيشة — يعني بيشة السماوة — . هذا كلام البكري ، وهنا محل الملاحظة ، أو الملاحظات :

١ — لقد ذكر أن بيشة واد من أودية تهامة ، وهذا خطأ ، فهو من أعظم أودية سراة الحجاز التي تنحدر صوب نجد .

٢ — ونقل عن يعقوب بن السكيت قوله: بيشة وتُرَبة ورَنْية والعقيق: أودية تنصب من جبال تهامة ، مشرّقة في نجد . قال : وبعض بيشة لبني هلال ، وبعضها لسلول . هكذا نقلته من خط يعقوب : رنية بالنون ، وغيره يقول : رقية ، بالقاف . انتهى . وهذا صواب ما عدا رقية بالقاف فهذا خطأ ، فرنية واد عظيم فيه قرى أعلاه العقيق وأوسطه كراء ، وأسفله رنية لا يزال معروفاً .

٣ — أما القول بأن بيشة بلدة جرير بن عبد الله البجلي هي بيشة السماوة، فهذا خطأ محض يوضحه : —١— أن بلاد بجيلة في سراة الحجاز ، وليست في السماوة التي هي من بلاد كلب ، وأعالي بعض روافد بيشة تنحدر من سراة الحجاز من جنوب سراة زهران ، ومن سراة خثعم وناهس . —٢— أن علماء اللغة لما نقلوا وصف جرير لبيشة ذكروا أن العلاك شجر ينبت بناحية الحجاز [١] . —٣— ورد في ذلك الوصف أن بيشة ينبت فيها النخل ، والسماوة صحراء لا ينبت فيها نخل إذ هي بلاد باردة .

ويحسن أن نورد وصف جرير لبيشة على ما جاء في « كتاب البكري »

---

(١) « لسان العرب » : علك .

و « تاج العروس » وغيرهما . روي أن رسول الله ﷺ سأل جرير بن عبدالله عن منزله ببيشة ، فقال : سهل دكْداك، وسَلَمٌ وأراك، وحموض وعلاك ، بين نخلة وتحلة ، ماؤها يضوع ، وجنابها مريع ، وشتاؤها ربيع ، لا يقام ماتحها ، ولا يحسر صابحها ، ولا يعزب سارحها ، فقال رسول الله ﷺ : « خير الماء الشبِم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراك والسلم ، إذا أخلف كان لجيناً ، وإذا سقط كان دَريناً ، وإذا أُكل كان لَبيناً » .

وهذا الحديث لا يصح لدى المحققين من المحدثين ، وإنما أوردناه لطرافته .

الأمر الثاني — إن اسم بيشة يشمل أودية كثيرة تجتمع كلها :

١ — بيشة : واد كبير ترفده أودية كثيرة ، أسفله بيشة النخل ، وفيه من القرى ما يقرب من عشرين ، أشهرها : الرَّوْشَنُ : لبني سلول ، ونِمْرَانُ — بكسر النون — : لبني معاوية ، أما سالم بن شكبان فقريته الدُّحْوُ — بضم الدال وإسكان الحاء بعدها واو ، وهو من شهران من الرِّمْثَيْن — بكسر الراء وإسكان الميم وفتح الثاء وإسكان الياء المثناة التحتية بعدها نون . وأعلى بيشة النخل : قرية واعر ، لبني مُنَبِّه ، يسمون أولاد الحكم بن مُنبِّه . وهذا المكان هو الذي كان يعرف قديماً ببيشة بعطان ، وببيشة النخل .

٢ — بيشة ابن سالم : بلاد رُفيدة قحطان في أعلى وادي بيشة ، وابن سالم هو حسين بن محمد بن سالم من مشائخ رُفيدة . ووادي بيشة ابن سالم من روافد بيشة النخل .

٣ — بيشة ابن مُشَيْط : أعلاها صَفوان ، وأسفلها قرية أبو سُلَيْك — منسوبة إلى مشيط بن سالم — من الرَّشدة من سنحان ثم من قحطان ، وهو زعيم شهران بلا منازع ، ووادي بيشة ابن مشيط (ويدعى خميس مشيط) من روافد بيشة النخل أيضاً [١] .

---

(١) انظر لتفصيل الكلام على بيشة كتاب « في بلاد عسير » لفؤاد حمزة ص ٥١ إلى ٦٣ ، الطبعة الثانية .

الأمر الثالث – من الأمثال الواردة عند المتقدمين عن بيشة ذكرها بين البلاد التي توجد فيها الأسود ، كما في قول قيس بن الخطيم :

ألفيتهم يوم الهياج كأنهم أُسْدٌ ببيشة،أو بغاف رُؤَاف[1]

وكما وصف الحريري في « مقاماته » ضراوة أهل زمانه ، فقال بأنهم كأسْد بيشة ، غير أنّ الهمداني له رأي يحسن ايراده ، قال في ذكر الأمكنة التي توجد فيها الأسود : أُسْدُ تبالة وأسد ترج وبيشة : فأما تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ، ولا يكون بها أسدٌ – ولم يكن – وإنما تريد العرب أسود بيش ، ويزيدون فيه الهاء فيقولون : بَيْشة – بفتح الباء – وهي موضع الأسد ، وبيشة بعطان فهي بكسر الباء . وقيل : بل أرادوا بيشة نجد ، وأن رؤوس هذه الأعراض من أعلى السراة منها ما ينحدر إلى نجد ، ومنها ما ينحدر الى تهامة ، فما انحدر إلى تهامة فالأسْدُ فيه ، ولهذا الجيوَار نسبوها إلى هذه الأعراض ، وقد ربما طلع منها الواحد الى أرض نجد ، قاطعاً من بلده ، فعاث بها ، فلعلّ أول من نسب الأسد الى هذه المواضع عاين منها الواحد والزوج في بعض هذه الأودية [2] . انتهى .

وأقول : وما المانع من أن تكون أودية بيشة في العصور القديمة من مواطن الأسد في الجزيرة ، ثم خلت منها .!؟

١١–تَرْجُ : وادٍ يقع بقرب بيشة، وقد ضرب المثل بجرأة الماشي فيهذا الوادي فقيل : أجْرَأُ من الماشي بتَرْج . ويورد ياقوت تفسيرين لهذا المثل : (١) أن الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي غزا جهة هذا الوادي ، وفيه رماه نُعَيْم بن عبد مناف بن رباح الباهلي ، الذي قيل فيه : أجرأ من الماشي ببطن ترج ، فمات بشر من أثر رميته بالرَّدْهِ من بلاد قيس ودفن هناك .

(٢) ويحتمل أن يكون المراد بالمثل الأسْد ، لكثرتها في ذلك الوادي . قال الشاعر :

---

(١) انظر صفحة ٥٣٧ من كتابنا « في شمال غرب الجزيرة » .

(٢) « صفة جزيرة العرب » – ١٢٧ – .

- ١٠ -

اليامة (*) :

قال الادريسي في « نزهة المشتاق » :

ويتصل بأرض عُمَان من جهة المغرب ومع الشمال أرض اليامة وهي بلاد الزرقاء اليامة (١) ، وكانت هذه الزرقاء اليامة في عهد الجاهلية ولها أخبار مشهورة ، مذكورة في الكتب . وتولى قتلها وسَبْيها وأخذ أموالها والٍ من قبل عمر بن الخطاب (٢) ، وبلادها محدقة بواد يسمى اقبان (٣) وعلى هـذا الوادي عمارتهم وقراهم .

وما مُخْدِرٌ من أُسْدِ تَرْجٍ ينازلهم لنابيه قبيب

وعلّل الهمداني المثل تعليلا يتفق مع ما ذكر ياقوت أولاً إلا أنه قال : قتل عبد الله بن الصِّمَّة أخو دريد بخليف دكم من أعلى حَبَوْنن (١) ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وفيه يقول القائل : أشجع من الماشي بترج (٢) .

ويقع وادي ترج في شمال بلاد عسير فيما بينها وبين بيشة ، وهو منروافد وادي بيشة ، يجتمع فيه في محل يدعى الحيفة ، فيه نخيل ويدعى المجمعة قديماً . وفي وادي ترج قرى منها : ١ – القويسا ٢ – جاح ٣ – البهم ٤ – حوران ٥ – النقرات ٦ – العريجا ٧ – الحازمي ٨ – البدور (٣) .

(*) العناوين من وضع المجلة .

(١) كذا والمعروف : زرقاء اليامة .

(٢) قتل اليامة في العهد الجاهلي قبل ظهور الاسلام من قبل أحد ملوك اليمن وفتح اليامة في عهد الصديق ، وفي الهامش فوق هذا الكلام : (خالد بن الوليد من قبل ابي بكر الصديق) .

(٣) لم أرَ ذكراً لهذا الوادي فيما بين يدي من الكتب .

---

(١) يسمى الآن حَبُونه .

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٩ .

(٣) « بلاد عسير » ص ٥٧ للأستاذ فؤاد حمزة .

ومدينتهم المعروفة تسمى الخضرمة وهي مدينة عامرة بها مزارع ونخل كثير ، وتمرها أكثر من سائر التمر ببلاد الحجاز .

ومن مدنها حَجْر ، وهي الآن خراب ، وبها كانت اليمامة الملكة ساكنة في وقتها .

ويتصل بها برقة وسلمية وهما مدينتان متقاربتان في القدر والعمارة والصغر .

ومن اليمامة إلى مكة طريق ، وهو من اليمامة إلى العرض مرحلة ، ثم إلى الحديقة مرحلة ، وثم إلى الثُّنَيِّة مرحلة ، ثم إلى الصفراء مرحلة ، ثم إلى صُدا مرحلة ، ثم إلى حِصْن القريتين الذي في طريق البصرة مرحلة ، وبالقريتين تجتمع الطرق ، ومن القريتين إلى رامة مرحلة ، ثم إلى طخفة مرحلة ، ثم إلى ضرية مرحلة ، ثم إلى جديلة مرحلة ، ثم إلى فلجة مرحلة ، ثم إلى الدفينة مرحلة ، ثم إلى قُبا مرحلة ، ثم إلى مَرّان مرحلة ، ثم إلى وجرة مرحلة ، ثم إلى أوطاس مرحلة ، ثم إلى ذات عرق مرحلة ، وهي بتهامة ، ثم إلى بستان ابن عامر [مرحلة] ثم إلى مكة مرحلة .

وسنذكر هذه المراحل من هذه الحصون والقرى والأماكن في مواضعها ذكراً شافياً بحول الله .

ومن بلاد اليمامة واعراضها حَجْر التي ذكرناها ، وبين الخضرمة وحجر مرحلتان ، ومعنى العرض في هذه الأرض هو وادي ذي أقنان [١] ، وهو يشق اليمامة من أعلاها إلى أسفلها ، وعليه قرى عامرة ومزارع حنطة ونخل وحدائق وأشجار ، وهذه القرى هي : منفوحة ووبرة والعرقة وغبراء ومهشمة والسال [٢] والعامرية وبيسان وبرقة ضاحك وسلمية وتوضح والمقراة والمجازة . وبين هذه القرى مسافات متقاربة لتجاورها بعضها لبعض ، وبين السلمية والسال مرحلة ، وبين السال وخضرمة اليمامة مرحلة ، وسلمية قرية حسنة عامرة قد احدقت بها حدائق النخيل ، وفيها تمور حسنة الألوان ،

---

(١) تقدم (أقبان) .
(٢) كذا :

شهية المأكل وكذلك السال قرية صغيرة بها قوم من العرب مستضعفون قليلون، وبها آبار وعين ماء خرارة .

ومن أراد المسير من اليامة إلى البصرة سار من خضرمة إلى السال مرحلة، ثم إلى السلمية مرحلة، ثم يمر في الصحراء إلى المراد (؟) وهي قرية صغيرة بها قوم من العرب ثلاث مراحل ينزل على مياه آبار في مواضع قفرة، ثم يسير ثلاث مراحل أخرى إلى الصمان، وهي قرية عامرة[1] يسكنها قوم من العرب جياع عراة، قد كتب الفقر عليهم جامان (؟) ومن الصمان إلى طقحة (؟) مرحلة، وهي قرية صغيرة تصل أرضها بارض البحرين، ومنها إلى المدينة المساة كاظمة أربع مراحل .

وكاظمة حصن منيع على جبل عالي الذروة، وهذه أربع المراحل ينزلها المسافرون مع العرب على مياه وآبار وعيـــون . ومن كاظمة إلى قرية دهمان مرحلة ثم إلى البصرة مرحلة، فجملة هذا الطريق من اليامة الى البصرة خمس عشرة مرحلة، ومن اليامة إلى البحرين نحو ثلاث عشرة مرحلة .

طرق عمان :

ومن عُمَان الطريق على الساحل إلى بلاد البحرين، وذلك من صحار ودما إلى مسقط الى الجبل، وهاتان قريتان بهما مغايص اللؤلؤ، ويقابلها في البحر طرف جبل كبير غائص في البحر، يظهر منه القليل في بعض الأماكن، ويغيب في غيرها، فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عمان إلى هذا الحد فرغت في الساحل ما فيها من الامتاع حتى تخف السفينة وتجوز ذلك الطرف ثم توسق بعد ذلك وتسير إلى عمان .

قطـــر :

ومن جلفار وانت نازل إلى البحرين تسير إلى مرسَى السجة (؟)، وهـو مرسى فيه عين نابعة وعذبة، ومنه إلى شعاب وبحر عريض وبراري صعبة

---

(١) الصمان صحراء لا قرية فيها .

السلوك ، وتسمى هذه الأمكنة ببحر قطر ، وفي هذا البحر عدة جزائر خالية ، لا عامر بها يأوي إليها أجناس من الطير البحري والبري ، فيجتمع بها من زبولها المقادير الكثيرة ، فإذا طاب ماء هذا البحر للسفر قصدَت اليها المراكب ، فتوسق الزبول التي قد كومتها الطير في تلك الجزائر ، وتسير بها إلى البصرة وغيرها ، فيبيعونه هناك بالثمن الكثير ، وتلك الزبول تصرف في عمارات الكروم والنخيل والجنات والبساتين .

وليس على بحر قطر ساكن ، ولا يأوي إليه أحد ، وهو مكان مخوف برّاً وبحـراً .

ومنه يسار إلى مرسى المفقود (؟) وهو مرسى جليل، مكن (؟) من رياح شتى ، وبه عين ماء غزير عذب .

ومنه إلى ساحل هجر وهو أول بلاد البحرين ، ومن ساحل هجر إلى البصرة طريق على الساحل غير معمورة ، وسنذكرها إذا جاء موضع ذكرها في الاقليم الثالث بعون الله تعالى .

طريق الحج :

وأما معدن النقرة فهي قرية كبيرة عامرة يجتمع بهـا حاج البصرة وحاج الكوفة ، ومن أراد المسير إلى المدينة سار ذات اليمين إلى العُسيلة ، وهو منزل فيه أعراب ، وبه آبار ملحة ستة وأربعين ميلا ، ومنها إلى بطن نخـل ، وهي قرية كثيرة الماء والنخل ، ستة وثلاثون ميلا ، ثم إلى الطرف وهو منزل خلاء وربما قصده بعض العرب ينزله وعمره ، وبه برك يجتمع بها ماء السماء اثنان وعشرون ميلا ، ثم إلى المدينة خمسة عشر ميلا . وأما الطريق من مكة إلى بغداد على القريتين فسنذكره في موضعه بعد هذا بعون الله .

بحر عمان :

وأما بحر فارس فإنا قد ذكرنا أنه يخرج من البحر الكبير الهندي خليجا، وانه يخالف سائر البحار والخلجان في بحره وموجه ، وفيه مما يلي شط اليمن جبلا كُسَيْر وعُوَيْر ، ويحيط في هذين الجبلين المكان المسمى دردورا (؟) ويسمى بحر موضعه(؟) بحر عزرة ، والدردور موضع يدور فيه الماء كالرحى دورانا دائما من غير فترة ولا سكون، فإذا سقط إليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف ، وهذا الماء موضعه يكون في جنوب جزيرة ابن كاوان ، وجزيرة ابن كاوان بينها وبين كيش اثنان وخمسون ميلا ، وهو نصف مجرى، وجزيرة ابن كاوان مقدارها اثنان وخمسون ميلا في عرض تسعة أميال ، وأهلها شُراة اباضية ، وفيها عمارة وزروع ونارجيل ، وغير ذلك ، وترى منها جبال اليمن ، وعندها الدردور المذكور وهو مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير ، تسلكه السفن الصغار ، ولا تسلكه السفن الصينية ، وهذان الجبلان غائران تحت الماء ، لا يظهر منهما شيء ، والماء يَكسِرُ على أعلاهما ، والربابنيون يعرفون مكانها فيجتنبونها ، وهذه الدردورات ثلاثة منها هذا الواحد ، والثاني في مقربة جزيرة قمار ، والدردور الثالث منها هو في آخر الصين، وفيها بين سيراف ومسقط سيف ابن الصماق وهو أنف قائم في البحر، وبإزائه جزيرة صغيرة ، وفي هذه الجزيرة سمك يسمى الوصيق (؟) له رأس مربع ، فيه قرنان في طول الإصبع إلى الدقة ما هي ، وجسد هذا السمك قليل (؟) ، وفمه شبيه بالقمع لا يفتحه ولا يغلقه ، وفي داخل فمه شيء أشبه بالقمع أحمر غضّ ، وفي فمه شقّ ذو أسنان ، به يقطع ويبلع ، ويقال : إن هذا السمك إذا أكله الأجذم وداوم على أكله برىء من علته ، وهـــذا مشهور في أرض فارس وأرض كرمان .

(للبحث صلة)

الصحافة في الحجاز
في أوائل العهد السعودي
من ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) إلى ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م)

لقد شهد الحجاز في العهدين العثماني والهاشمي صدور عدد من الصحف [١] التي ظهرت نتيجة للظروف الاجتماعية والسياسية التي كان يعيش فيها الحجاز آنذاك . ورغم ان صحف هاتين الفترتين لم تعمر طويلاً ، إلا انها تمثل مرحلة النشأة في حياة الحجاز الصحفية . وقد تلتها في أوائل العهد السعودي مرحلة أكثر نضجاً وتطوراً ، فصدرت ثلاث صحف هي : « ام القرى » و «صوت الحجاز » و « المدينة المنورة » ، وثلاث مجلات هي : «الاصلاح» و «المنهل» و « النداء الاسلامي » .

أولاً : الصحف : أم القــرى

لقد صدرت « ام القرى » – أولى صحف العهد السعودي – بمكة في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣ / ١٢ ديسمبر ١٩٢٤ م . وهي صحيفة اسبوعية رسمية توجت صفحتها الأولى بالآية الكريمة : « وكذلك اوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها»وأعلنت ان مبدأها هو «خدمة الاسلام والعرب» وقد تولى يوسف ياسين [٢] رياسة تحرير (ام القرى) ابان نشأتها ، ثم خلفه في الاشراف على تحريرها كل من رشدي ملحس [٣] ومحمد سعيد عبد المقصود

---

(١) أنظر ما نشره كاتب هذه السطور عن الصحافة في الحجاز في العهدين العثماني والهاشمي في مجلة « العرب » : ج ١١ (يوليو ـ اغسطس ١٩٧٩ م) و ج ١ (سبتمبر ١٩٧٠ م).

(٢) لقد اشترك ـ قبل ذلك ـ مع محمد البديري في انشاء جريدة « الصباح » بالقدس في عام ١٩٢١ م . (انظر فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ٤ ، بيروت ١٩٣٣ م ص ٦٨) .

(٣) في ١٤ اكتوبر ١٩١٨ م ، انشأ مع معروف الارناؤوط في دمشق جريدة (الاستقلال العربي) . (انظر فيليب دي طرازي ، كتابه السابق ، ص ٤٦) .

وفؤاد شاكر وعبد القدوس الانصاري .

كانت الصبغة الرسمية لجريدة « ام القرى » واضحـــة في سنواتها الأولى ولكن هذه الصبغة أخذت تقل في أوائل العقد الرابع من هذا القرن ،وبدت « ام القرى » حينئذ – ولا سيا حين تولى محمد سعيد عبد المقصود الاشراف على تحريرها – كما لو كانت جريدة غير رسمية ، ذلك لأن صفحاتها ، قـــد حفلت بالمقالات الادبية والتاريخية والاجتماعية التي كان يكتبها محرروهاوبعض الأدباء البارزين مثل محمد حسن كتبي واحمد السباعي . ولقـــد قامت « ام القرى » بدور مهم في رعاية الحركة الأدبية وانعاشها ، ولكن صحافة هذه الفترة شهدت في آخر العقد الثالث واوائل العقد الرابع من هذا القرن ظهور الكتاب الادبي في الحجاز مثل « أدب الحجاز » و « خواطر مصرحـــة » و « التوأمان » و « من وحي الصحراء » ، ولذلك فقد فقدت هذه الصحافة شيئاً مما كانت تحظى بـــه من منزلة فريدة في الفترتين السابقتين حين كانت الوسيلة الوحيدة لنشر الانتاج الادبي .

كانت « ام القرى » تطبع في المطبعة الحكومية [1] . وكانت تصدر في أول أمرها في اربع صفحات ، ولكن عدد صفحاتها قد تضاعف في عـــام ١٩٣٦ م ، فصدرت في ثمـــان صفحات . وقد مكنها ذلك من أن توسع في مجالها الصحفي ، وان تعالج قدراً كبيراً من الموضوعات . وقد بوبت حينئذ تبويباً انيقاً ، واهتمت بالاخبار وخصتهابعدة صفحات ، فهذه صفحةللاخبار الداخلية ، وأخرى للاخبار الشرقية ، وثالثة للاخبار العامة، واهتمت كذلك بالمقالات الادبية وخصتها بأكثر من صفحة منصفحاتها. وحيث ان «ام القرى» قد صارت آنذاك شبيهة بجريدة « صوت الحجاز » من حيث الاهتمام بالقضايا

---

(١) كانت هذه المطبعة مطبعة يدوية ، ولكنها قد زودت في عام ١٩٢٨ م . بآلات حديثة تدار بالكهرباء . (انظر مقالة « تاريخ الطباعة والصحافة في الحجاز » ، « ام القرى » عدد ٢٠٧ في ١٤ - ١٢ - ١٩٢٨ م) ، ومحمد سعيد عبد المقصود ، (الطباعة في الحجاز ، صوت الحجاز ، عدد ٣٤٣ في ٢٥ - ١ - ١٩٣٩ م) .

الأدبية، فانها لم تلبث ان اصيبت بمثل ما اصيبت به هذه الصحيفة ،فأصبحت ميداناً لمعارك نقدية حامية [١] .

ولقد شعرت « ام القرى » حينئذ بما لها من منزلة رائدة بين الصحف السعودية واحست بما عليها من مسؤولية توجيهية نحوها ، فقال محررها في حديثه عن الصحافة : (... لقد كنا نرى في بعض صحفنا ما هو بحاجة الى تذكير ولفت نظر، وكانت الغيرة الصحفية وواجب التناصح الاسلامي يدفعان بنا إلى محاولة تنبيه تلك الصحف إلىتلك الهنات لتتجنبها وترتفع بمستواها عن الانزلاق فيها ، غير اننا لم نفعل ذلك اعتماداً على حسن ظننا بالزملاء ، ويقيننا بأن مرور الزمن ودروس الايام كفيلة لهم بالتهذيب والصقل .. والآن لا نرى حرجاً علينا ان نؤدي ذلك الواجب في غير غض من اقدار اولئك الزملاء ، أو انتقاص من مكانتهم، اذ من المعروف أن هذه الجريدة ومحرريها اقدم عهداً بالصحافة وارسخ قدماً فيها من أي صحيفة في هذه البلاد ، فلا حرج في ان نشير إلى بعض الالتزامات التي هي في عنق الصحف والصحفيين ، والتي هي دستور جميع الصحف المحترمة في جميع الامم) [٢] .

ومهما يكن ، فان نشوب الحرب العالمية الثانية قد اثر في « ام القرى » وحد من طموحها ، إذ أن صفحاتها قد انقصت في ٩ يناير ١٩٤١ م . إلى أربع صفحات . وفي ٨ أغسطس ١٩٤١ م صغر حجم هذه الصفحات ، وصارت الجريدة مجرد نشرة رسمية لا تحوي سوى الاعلانات الحكومية وبعض الأخبار المحلية والخارجية . ولقد قدر لأم القرى آنذاك أن تصبح الصحيفة الوحيدة التي تصدر في المملكة السعودية طوال ما بقي من فترة الحرب ، ذلك لأن الصحف والمجلات الأخرى قد احتجبت عن الصدور حين أعلن في ٢٤ جمادي الآخرة ١٣٦٠ الموافق ١٨ يوليو ١٩٤١ م. هذا البيان الرسمي : (بناء

---

(١) انظر « ام القرى » ، عدد ٦٢٤ و ٦٢٦ و ٦٢٩ .

(٢) :(واجبات الصحافة في هذه البلاد)المصدر نفسه، عدد ٦٥٦ (٢٥ - ٦ - ١٩٣٧ م).

على نقص كميات الورق الموجودة في هذه البلاد ، فقد قررت الحكومة توقيف صدور جميع الصحف والمجلات في هذه الظروف الحاضرة ، وسيدوم هذا التوقف إلى نهاية هذه الازمة ، ويستثنى من ذلك جريدة « ام القرى » التي ستكون بنصف حجمها الحالي وتصدر في مواقيتها المعتادة) [1] .

وما زالت تصدر « ام القرى » ، ولكنها الآن قد تخلت عن معالجة الموضوعات الصحفية العامة ، واهتمت بنشر الاعلانات الرسمية والاخبار الادارية . ومهما يكن فإنه لا بد لمؤرخ الحياة الفكرية في هذه البلاد من ان يشير إلى ما قامت به هذه الجريدة - ولا سيما في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن - من دور مهم في ميداني الصحافة والأدب .

صوت الحجاز :

وفي ٢٧ - ١١ - ١٣٥٠/٤ - ١٩٣٢/٤ م . صدرت في مكة جريدة (صوت الحجاز) وكانت من أهم العوامل في انعاش الحركة الادبية التي بدأت في آخر العقد الثالث من هذا القرن على ايدي كتاب المملكة الناشئين . فلقد انشئت لتكون - كما قال أول رؤساء تحريرها عبد الوهاب آشي - رابطة أدبية بيننا نحن ابناء هذه البلاد، توحّد بين افكارنا وميولنا وثقافتنا[2] وقد أكد صاحب امتيازها محمد صالح نصيف شخصيتها الادبية هذه حين قال بأنها : (لسان حال النهضة الأدبية الحجازية ...) [3] . وفي الحقيقة ان ظهور « صوت الحجاز » يعتبر من أبرز المعالم في تاريخ الادب الحديث في المملكة ، ذلك لانها قد أصبحت لساناً لحال كثير من الكتاب في العقدالرابع وأوائل العقد الخامس من هذا القرن ، وميداناً لعدد من المعارك الأدبية التي شهدها هذا الأدب في تلك الفترة .

كانت « صوت الحجاز » تعتمد اعتماداً كبيراً على ما يسهم به الادباء من

---

(١) المصدر نفسه ، عدد (٨٦٥) (٢٤ - ٦ - ١٣٦٠/١٨ - ٧ - ١٩٤١ م) .
(٢) « صوت الحجاز » ، عدد ١ (٤ - ٤ - ١٩٣٢ م) .
(٣) « المصدر نفسه » ، عدد ١٣٢ (٥ - ١١ - ١٩٣٤) .

مقالات ، ولذلك فقد كانت شخصيتها في السنوات الأولى غير واضحة المعالم والسمات ، إذ لم تكن سوى وسيلة لنشر ما يجود به الكتاب من انتاج كان يختلف في اتجاهه ومستواه . وقد أدى اعتماد الصحيفة على مساهمة الادباء ، وتماديها في نشر انتاج الناشئة إلى أن اصبحت ميداناً للمعارك الكلامية ومجالاً للخصومات النقدية . ولقد أدرك المحرر حقيقة ما وصلت اليه جريدته فحاول أن يحد من هذا التيار النقدي ، وأن ينقـــذ الصحيفة مما صارت اليه . وقد أشار إلى ذلك حين قال بأن « صوت الحجاز » قـــد حفلت إبان ظهورها بالمقالات النقدية ، فلا يكاد شاعر أو أديب ينشر شيئاً من انتاجه حتى تنهال عليه اقلام النقاد (كأنهم يريدون القضاء على تلك الروح الأدبيـــة في مهدها قبل أن تتخطى إلى بعض مناحي التقدم ... ولعل من بعض الاسباب التي جعلتنا نحيد عن الطريق في تكوين نهضتنا الأدبيـة حول صحيفتنا مفاجأتنا بالحرية المطلقة في حياتنا الاجتماعية التي لم نألفها من قبل ، وهذا أصرح معنى لا يلتوي تفسيره على أحد من شبابنا المفكر ... ولا أظن صدرها [صوت الحجاز] الصغير يتحمل وطأة تأثير النقد ، فهي مشاع أدبي للجميع لا تحيز لفريق عن الآخر على شرط أن يأتونا بكل جديد مبتكر ومختصر ، وأن يكون هذا الجديد برهاناً جلياً على عزيمة صادقة وتضامن أدبي حولها يرفع من شأنها ، فتنال رضا الجمهور على اختلاف طبقاتهم وتباين نزعاتهم) [(١)] .

ولم يرض فريق من الأدباء ممن كانت الجريدة تعتمد عليهم بما أقدم عليه المحرر من تحديد لمجال النقد ، فكفوا عن الكتابة فيها . وقد أثر ذلك على الصحيفة ، وحرمها من كثير من المقالات التي كانت تحفل بهـــا أعمدتها . ومهما يكن، ففي مطلع عامها الرابـــع وفي ٥ محرم ١٣٥٤ / ٩ ابريل ١٩٣٥ انتقل امتياز « صوت الحجاز » إلى الشركة العربية للطبع والنشر . ولم يفسر قط سبب تغير ملكية الجريدة ، ولكن حيث أن هذه الخصومة قد زالت حينئذ ، وأن أولئك الأدباء قد عادوا إلى الكتابة في الجريدة ، فإن من

(١) : (كلمة صريحة حول نهضتنا الأدبية)، المصدر نفسه عدد ٩٦ (٥ - ١١ - ١٣٥٢/ ١٩ - ٢ - ١٩٣٤) .

الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين الحادثتين ، وانه قد قصد بهذا العمل إنقاذ الجريدة مما أحاط بها من أزمات .

ورغم أن « صوت الحجاز » قد احتفظت بعد ذلك بشخصيتها الأدبية إلا أنها تأثرت تأثراً واضحاً بما حدث من تغير في إدارتها وملكيتها . فلقد كانت في سنواتها الثلاث الأولى حريصة على تشجيع الكتّاب الناشئين وعلى نشر إنتاجهم . وقد أوضح المحرر في الكلمة التي نشرها بمناسبة توديع عامها الثالث سياسة القائمين عليها حينئذ فقال : (وكان أكبر همنا أن نعنى أكثر ما نعنى بالناشيء والشباب ليفهم الحياة كما هي على حقيقتها ويتدرب على التفكير الجيد فيها) [1] . وفي الحقيقة أن القارىء ليشعر بأن « صوت الحجاز » كانت في مرحلتها هذه عبارة عن مجموعة للإنتاج الأدبي الذي أنشيء في ذلك الوقت . وحيث انها لم تكن تضع مقاييس لاختيار ما ينشر فيها ، فقد كان مستوى الآثار الأدبية التي نشرتها يختلف اختلافاً كبيراً ، ولعل من أسباب هذا الاختلاف هو أن هذه الجريدة التي أعلنت بأنها «مشاع أدبي للجميع»[2] قد حرصت على ألا تقفل أعمدتها أمام أي كاتب مهما كان مستواه الفني ، وذلك خوفاً من أن تحرم الملكات الناشئة من فرصة الكتابة والنشر .

أما في المرحلة الثانية حيث انتقل امتياز « صوت الحجاز » إلى الشركة العربية للطبع والنشر، فقد بدت الجريدة أكثر نضجاً في نظرتها إلى الأدب، وأشد حرصاً على اختيار ما ينشر فيها، وأقل اهتماماً بأمر الكتاب الناشئين . وحين احتفلت الصحيفة باختتام عامها السادس عرّض المحرر بالسياسة التي كانت « صوت الحجاز » تتبعها في سنواتها الأولى وأشار إلى مـــا أوجدته هذه السياسة لدى الشباب من تعلق بالكتابة وولع شديد بالأدب فقال : (... مر يوم أوشك الشباب فيه أن يعلق السفسطة ويزلق في مهاوي الهرج وحب النقاش ، وكاد اللهو بنافلة القول وزائف الأدب أن يسود أوساطه ، وشرع فريق من الناشئة بحكم سذاجة السن وقاعدة حب الظهور الطبيعي

---

(١) «صوت الحجاز» تودع عامها الثالث، المصدر نفسه، عدد ١٤٩ (١١مارس ١٩٣٥).
(٢) المصدر نفسه ، عدد ٩٦ (١٩ فبراير ١٩٣٤) .

يغويه سحر صناعة الأدب الخلاب ، فنبتت أقلام لا يحصى وصفها ، وظهرت أسماء لا يحصر عددهـــا ، وكادت تطغى فكرة حمل الأقلام وحب ظهور الأسماء حتى على التلاميذ في فصول دراستهم فتنسيهم وظائفهم وتحصر جهودهم في مقالات يحبرونها ونشرات يصدرونها كمجلات أو دوريات مدرسية) .
ثم أبدى المحرر سروره بما ساد الجو الأدبي بعد ذلك من هدوء نسبي فقال :
(... فنحن نشاهد اليوم هدوء هرج الشباب وقفول الناشئة عن سبيـــل خدعوا طويلاً ببهرجه وزخارفه وذوبان أسماء كثيرة كانت تتخايل بين الأنظار والأسماع،وجميلة حياة الاستقرار والهدوء بعد مثل ذلك الإفراط ... لنهنأ إذن بالاستقرار بعد الهرج، ولنمش ِ في هدوئنا هذا بما صفى من أقلامنا، نخط المسالك ونرسم الطرق ، وليس لناعب أن ينعق بصرير أقلامنا بعد هذا الاستقرار أو يدعوه هرجـــاً لا نتاج فيه ... لنهنأ بما صفى من أقلامنا ، ونسعد بهذا النفر من الأدباء الذين طفوا على سطح البحيرة ، وليمش هؤلاء بنا بعد أن انحطت على كواهلهم مسؤوليتنا) [١] .

ومع أن « صوت الحجاز » قد أعلنت منذ البدء بأنها ستخصص أعمدتها لمعالجة الشؤون الأدبية ، إلا أن بعض رؤساء تحريرها لم يكونوا راضين عن انصرافها إلى معالجة القضايا الأدبية ، وكانوا في حديثهم عن ذلك كمن يعتذر عن هذه الخطة التي سارت عليها الصحيفة . فقد ذكر محمد سعيد العامودي في حديثه عن أيامه كرئيس لتحرير « صوت الحجاز » بأنه حاول أن يقلل من صبغتها الأدبية فقال : (... وكنت أحاول أن أجعل طابع الجريدة أخبارياً أكثر منه أدبياً ، على اعتبار أنها جريدة أخبارية قبل كل شيء وأن الطابع الأدبي إنما هو شعار المجلات) [١] . وقد أشار كذلك محمد حسن فقي أحد رؤساء تحريرها السابقين بأنه كان يود من « صوت الحجاز » أن : (تزيد في حجمها وأن تصدر مرتين في الأسبوع أو تنقلب جريدة يومية

---

(١) المصدر نفسه ، عدد ٢٩٣ (١ - ١٢ - ١٣٥٦ / ١ - ٢ - ١٩٣٨) .
(١) « عندما كنت صحفياً » ، « البلاد السعودية » ، عدد ٧٩٠ (٣٠ - ١ - ١٩٤٩).

تبحث بتوسع في شؤوننا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتدع الأدب وما إليه من فنون جميلة إلى مجلة خاصة به »[1] .

ورغم محاولات هؤلاء المحررين فإن « صوت الحجاز » قـــد احتفظت بشخصيتها الأدبية حتى آخر أيامها ، وكانت في الحقيقة أشبه بالمجلات الأدبية منها بالجرائد . ومهما يكن فإن « صوت الحجاز » لم تهمل معالجة الموضوعات الأخرى إهمالاً تامـــاً ، فقد كانت تنشر مواداً أخرى غير أدبية . وتتسم مقالاتها الأدبيه وغير الأدبية بما يشيـــع فيها من روح إصلاحية حماسية ، فلقد كانت « صوت الحجاز » صحيفة جادة لم تنس في لحظة من اللحظات رسالتها في « محاولة تنوير الأفـكار وتثقيفها وتوجيه الأفهام ... حتى تصبح مستعدة للانتفاع بأنفع ما في دروس الحياة من عبرة وعظة »[2] .

لقد نجحت « صوت الحجاز » في أن تصبح « رابطة أدبية » بين كتاب البلاد ، ولكن حيث انها كانت ذات مجال محدود ، وانها إنما كانت تخاطب رجال الأدب ، فإنهـــا لم تكن منتشرة خارج محيط الأدباء والمثقفين . وقد أشار رئيس تحريرها إلى هذه الحقيقة في عـــام ١٩٣٨ وشكا من عدم اهتمام الجمهور بها ، فقال مخاطباً الأدباء : « ... لتكن لهم اسوة بصحيفتهم هذه التي تفتخر في صراحة بثبوتها طوال سني حياتها رغم فقدانها كثيراً من أسس القيام ومواد الثبات ، ورغم ما تصادف من جمهورها الساذج في البلد من إلواء أو إعراض سبب لها ويسبب إلى اليوم نقصاناً هائلاً في الرواج ، وأفقدها ويفقدها إلى الساعة كثيراً من عوامل القوة وعناصر التقدم ، وهي مع كل هذا متماسكة تنتعل الدماء وتجد السير نحو هدفها غير مبالية بما يحيط ببيئتها من كساد أدبي أو تجاري أو اعراض تعرف هي نفسها انه لم يقم في في طريقها قصداً ، ولا أُميء به إليها عمداً ، وإنمـا هو النتيجة الطبيعية لنسبة الثقافة والتعليم المئوية في بلاد ناشئة حديثة العهد بالنهوض الفكري»[3].

---

(١) « صوت الحجاز » ، عدد ١٩٥ (١٨ – ٢ – ١٩٣٥) .
(٢) « صوت الحجاز » ، عدد ٢٩٣ (١ - ٢ - ١٩٣٨ م) .
(٣) المصدر نفسه .

وقد كان من نتائج عدم اهتمام الجمهور بصوت الحجاز ان اصبحت تعاني دائماً من المصاعب المالية ، لأن دخلها كان يعتمد على التوزيع الذي لم يتجاوز – كما قال عبد الوهاب آشي – (الالف والضعف بيعاً واشتراكاً واهداء)[1] ولقد حرصت الجريدة على اجتذاب المعلنين اليها ، ولكن كانت الاعلانات التجارية قليلة جداً لم تزد في معظم الاحوال على اعلانين أو ثلاثة . وقد استمرت « صوت الحجاز » في الصدور رغم هذه الصعوبات المالية ، وذلك لأن ناشريها ومحرريها لم ينظروا اليها – كما يبدو – كمشروع تجاري ، بل كانوا يعتبرونها عملا تثقيفياً اصلاحياً .

ولقد توالى على تحرير « صوت الحجاز » عدد من الصحفيين لم تذكر الجريدة اسماء بعضهم كمحررين مسؤولين فيها،ولكن خليفتها صحيفة « البلاد السعودية » قد سجلت فيما بعد أسماءهم وهم : عبد الوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن عواد ومحمد علي رضا واحمد سباعي وفؤاد شاكر وحسين عرب ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن كتبي وحسين خزندار وعبد الله عريف واحمد خليفة النبهاني واحمد قنديل ومحمد علي مغربي واحمد ابراهيم الغزاوي[2] ، ويبدو أن من اسباب تتابع هذا العدد من المحررين على الاشراف عليها هو أن الجريدة قد اعتمدت – إلى حد كبير – على محررين متطوعين ، وانها كانت قد مرت – إلى جانب ذلك – بأطوار متغيرة في سياستها ، وتجارب عديدة في حياتها .

ان « صوت الحجاز » لم تحقق تطوراً مهماً في ميدان الفن الصحفي من الناحية الشكلية فهي تشبه جريدتي « القبلة » و « أم القرى » من حيث بساطة الاخراج الصحفي وعدم الاهتمام بالوسائل الصحفية الحديثة ، ولكن قيمتها تكمن فيما تحويه مقالاتها من مادة فكرية جادة ، وفيما عالجته من موضوعات ثقافية متنوعة . لقد كانت صفحاتها منبراً فكرياً لمعظم الأدباء والمثقفين السعوديين الذين أحسوا حينئذ بأن من واجبهم أن يبثوا بواسطته إنتاجهم ،

---

(١) « البلاد السعودية » عدد ٧٩٠ (٣٠ – ١ – ١٩٤٩) .
(٢) المصدر نفسه .

وأن يتخذوه وسيلة لتثقيف مواطنيهم ، ولذلك فإن « صوت الحجاز » تعتبر سجلاً للحياة الأدبية والفكرية في الحجاز في العقد الرابع من هذا القرن .

كانت « صوت الحجاز » تطبع في سنواتها الأولى في المطبعة السلفية بمكة ، ثم أصبحت بعد ذلك تطبع في المطبعة العربية بمكة . وكانت تصدر في أول الأمر مرة واحدة في الأسبوع ، ولكنها صدرت منذ ٢٥ يناير ١٩٣٩ مرتين في الاسبوع . وقد ظهرت في عامها الأول في ثمان صفحات ، ولكن عدد صفحاتها قد قلّ بعد ذلك فصدرت في أربع صفحات . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تضاءل حجم الجريدة ، وفي ٢٩ يناير ١٩٤١ أصبحت تصدر في صفحتين ، وأخيراً احتجبت - كسائر الصحف السعودية - عن الصدور منذ ٢١ يوليو ١٩٤١ حتى ٤ مارس ١٩٤٦ ، حيث عادت الى الصدور باسم جديد هو : « البلاد السعودية » . وفي بادىء الأمر احتفظت « البلاد السعودية » بشخصيتها الادبية القديمة ، ولكن هذه الصبغة أخذت تقلّ رويداً رويداً . وفي عام ١٩٥٣ أصبحت « البلاد السعودية » جريدة يومية ، وبعد ست سنوات من هذا التاريخ اختصر اسمها فصارت تدعى « البلاد » . أما الآن فإن من الصعب على المرء أن يجد شبهاً كبيراً بين هذه الجريدة وبين سابقتها « صوت الحجاز » ذلك لأن « البلاد » قد أصبحت جريدة يومية توجه اهتمامها الى الأخبار والمواد الصحفية الرائجة .

المدينة المنورة :

ولم تكن مجلة « المنهل » التي ظهرت في فبراير ١٩٣٧ هي الاثر الوحيد الذي أسهمت به المدينة في ميدان الصحافة في هذه الفترة ، فقد صدرت الى جانبها جريدة « المدينة المنورة » التي أنشأها عثمان حافظ في ٢٦ محرم ١٣٥٦ - ٨ ابريل ١٩٣٧ . وقد كانت جريدة أسبوعية تصدر في أربع صفحات وتطبع في مطبعتها الخاصة . وقد أشرفت على تحريرها هيئة مكوّنة من أمين مدني وضياء الدين رجب ومحمد زيدان وعلي حافظ [1] . وفي بادىء الامر

---

(١) انظر « المدينة المنورة » عدد ١ (٨ ابريل ١٩٣٧) .

تولى أمين مدني رياسة التحرير ، ولكن اسمه ما لبث أن اختفى من الجريدة منذ العدد الخامس عشر المؤرخ في ١٥ يوليو ١٩٣٧ ، فظـل عثمان حافظ مسؤولاً عن إدارتها وتحريرها حتى ٩ محرم ١٣٥٨ / ١٠ مارس ١٩٣٨ حيث شاركه أخوه علي في ملكيتها والإشراف على تحريرها .

ورغم ان جريدة « المدينة المنورة » لم تكن مثـل « صوت الحجاز » و « المنهل » [1] في الاهتمام بالأدب ، إلا ان تشجيع الحركة الادبية كان من أهم الاهداف التي حرصت الجريدة على إعلانها . فقد قال عثمان حافظ في افتتاحية العدد الاول بأن «المدينة المنورة» ستشارك «رصيفاتها في إحياء ماضي الحجاز البعيد أيام كان يزهو بروائع الادب وجلائل الاعمال ».ولقد خصصت الجريدة قدراً كبيراً من أعمدتها للقضايا الادبية ، ولكنهـا لم تصبح نسخة أخرى من « صوت الحجاز » ، ذلك لأنها قد حاولت أن توسع مجالهاالصحفي وأن تنوع في موضوعاتها ، وكانت تولي القضايا الاجتماعية والتاريخيـة مثلما كانت توليه للموضوعات الادبية من عناية . وإلى جانب ذلك فقـد كانت تهتم بأخبار المدينة وشؤونها المحلية مما جعلها تتسم بسمات تميزها عن غيرهـا من الصحف السعودية .

وقد أسهمت جريدة « المدينة المنورة » مع مجلة « المنهل » في تشجيـع الحركة الادبية في المدينة ، وإبراز عدد من كتّابهـا على المسرح الادبي ، فأصبحت المدينة آنذاك مركزاً أدبياً يشبه تلك المراكز التي وجدت من قبل في مكة وجدّة . ولقد حاولت الجريـدة كذلك أن تصبح وسيلة تثقيفية جادة ، فكانت ترعى النشاط الفكري الذي كان موجوداً حينئذ في المدينة ، وتنشر المحاضرات التي كانت تلقى في أنديتها .

وما كانت صحيفة « المدينة المنورة » تهدف من اهتمامها بشؤون المدينة إلى أن تصبح جريدة محلية ذات أفق صحفي محدود ، ذلك لأنها أعلنت منذ أول عدد من أعدادها بأنها « صحيفة الشعب العربي السعودي » . وقـد أكد

---

(١) انظر ماسنيلو من حديث عن مجلة « المنهل » .

عثمان حافظ حرص جريدته على أن توسع في مجالهـــا الصحفي وألا تصبح صحيفة محلية ، فوصفها في افتتاحية العدد الأول بأنها « الصحيفة التي نعدّها لعامة أبناء المملكة العربية السعودية ، شيباً وشباباً ، لا فرق بـــين المكي والمدني والرياضي والجدي والقصيمي والعسيري ، بل انا لنعدها لأوسع من هذا فهي تقبل كل مقـــال عربي قيم ، وكل رأي اسلامي سديد القصد منه المنفعة العامة والاصلاح المأمول » .

ولم تكن جريدة « المدينة المنورة » بدعاً من الصحف السعودية التي كانت تصدر في هذه الفترة ، فقد عانت مثلها من المصاعب المالية ، واضطرت إلى الاعتماد في دخلها على ما كان لها من توزيع محدود . أما الاعلانات التجارية فقد كانت قليلة جداً ، ولم تكن بذات أهمية بالنسبة لموارد الجريدة . وحيث أن الاشتراكات لم تكن تدفع باستمرار فقد كان من عادة محرر الجريدة أن ينادي المشتركين في نهاية كل عام ملتمساً دفع ما تأخر من اشتراكات ،ولكن هذه النداءات لم تكن دائماً ذات جدوى ، ولذلك فقد ظلت الصحيفة تعاني من قلة الموارد ومن عدم استجابة المشتركين . وقــد تحدث عثمان حافظ عن هذه الحقائق وسجل ذكرياته عن هذه الحقبة من تاريخ الصحيفة فقال : «... أما من الناحية المادية فقد مرت علينا ظروف عجاف قاسية أكلت ما فوقنا وما تحتنا . كانت النفقات فوق طاقتنا المادية وفوق احتمالنا ، ولم يكن الوارد من الجريدة شيئاً مذكوراً بالنسبة لمصاريفنا . وإذا هل الشهر علينا... لا بد من تدبير مرتبات العمال ، ولا بد من دفع قيمة الطوابع التي تلصق على اعداد الجريدة في الداخل والخارج ، ولا اذكر أبداً انه هلّ علينا شهر من الشهور وفي صندوق الجريدة ما يسد مرتبات العمال ، بل لا بد من ان نسحب من منازلنا اشياء واشياء لتسديد اجور عمال المطبعة . كان البيع من الجريدة (يا دوب يمشي الدولاب) ويغطي المصاريف اليوميـــة ، ولم يصلنا من الاشتراكات إلا القليل ، وما يصل يدخل في الحساب اليومي ، وكنا نخجل من مطالبة المشتركين ببدل الاشتراك ، وما كنا نعرف هل الاشتراكات

تطلب في أول سنة الجريدة أم في آخرها ؟ » [١]

وقد استمرت جريدة « المدينة المنورة » في الصدور رغم ما اصيبت به من خسائر مادية ، وذلك لأنها كانت تشعر – كما يبدو – بأن لها رسالة تثقيفية كان عليها أن تؤديها . لقد كانت مثل « صوت الحجاز » و« المنهل » في انها لم تعتبر نفسها مشروعاً تجارياً بل أرادت أن تكون وسيلة من وسائل نشر الثقافة وخدمة الحياة الفكرية .وقد أكد محررها هذا الهدف حين قال: « ... ولم نقم بالعمل الصحفي للاستغلال ولا للربح أو الكسب والتجارة ولم يكن يشغل تفكيرنا إلا أننا نصل إلى الهدف ، نصل إلى تحقيق الحلم،الحلم الذي كان في مبدإ قيامنا به أشبه بالخيال ، ولم يكن همنا إلا أن نرى اليوم الذي تدور فيه المطبعة لتصدر جريدة تعبّر عن مشاعر البلد صادعة بما فيها من أدب وشعر وفن لتؤدي رسالتها الصحفية أحسن أداء . » [٢] .

ومهما يكن ، فإنّ ما أصيب به الحجاز من قلة في ورق الطباعة بعد اندلاع نار الحرب العالمية الثانية قد حدّ من طموح جريدة « المدينة المنورة»، وأنقص من حجمها، فصدرت منذ ٦ نوفمبر١٩٣٩ في صفحتين. ولم تؤثر الحرب على حجمها فحسب ، بل أثّرت كذلك على مضمونها ، فاختفت تلك المقالات والمناقشات الادبية التي حفلت بها أعمدتها في سنواتها الأولى ، وانقطع ما كانت تنشره من المحاضرات الثقافية التي تلقى في نوادي المدينة . وفي الحقيقة ان الجريدة قد أصبحت حينئذ عبارة عن نشرة أخبارية صغيرة لم تلبث أن احتجبت في ١٤ يوليو ١٩٤١ ولم تعد الى الصدور إلا في ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ .

وما زالت جريدة « المدينة المنورة » مستمرة في الصدور . وقد أصبحت الآن جريدة يومية تصدر في مدينة جدة حيث تتوافر وسائل الطباعة والنشر.

---

(١) « قصة الصحافة في ربع قرن » ، « المدينة المنورة » ، عدد ١٤٤٤ (٢١ ديسمبر ١٩٦٣) .
لقد كانت هذه المقالة واحدة من سلسلة من المقالات القيمة التي تحدث فيها الكاتب عن تاريخ هذه الصحيفة .

(٢) المصدر نفسه .

قبيلة العوامر: أصلها وبلادها

- ٢ -

[تابع لما نشر في صفحة ٢١٧ / ٢٢٦]

آل سَلم

الرئيس الأكبر : شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

الدّيرة : ان آل سَلم – كعوامر الجماعة الوسطى – ليس لهم ديرة خاصة . ووطنهم الحتم غير أنهم يتجولون من سهول الظاهرة بعُمان ، إلى الأجزاء الجنوبية والشرقية من الربع الخالي واحياناً يتجولون بعيداً حتى رمال الجافورة .

الولاء : يعتبر آل سلم أنفسهم من رعايا ابن سعود ويدفعون الزكاة سنويا إلى الحكومة السعودية .

الصفة : هم قبيلة صغيرة يتراوح عددهم بين ١٠٠ و ٢٠٠ رجل وحياتهم كحياة العوامر حيث يصعب تميزهم منهم .

النسب : هم في الأصل فرع من قبيلة العوامر ويعتبرون الآن مستقلين ، غير أنهم لا يزالون يتجولون مع العوامر من الجماعة الوسطى .

آل سلم (سلمي) :

وقد مرّت الصحيفة في السنوات الاخيرة بأطوار متعددة ، وتوالى على تحريرها عدد من المحررين . أما الآن فقد عثمان حافظ لرياسة تحريرها ، ولكنها لم تعد ملكاً له ولأخيه علي إذ ان ملكيتها انتقلت إلى مؤسسة المدينة للصحافة . وتعتبر جريدة « المدينة المنورة » في الوقت الحاضر من أكثر الصحف السعودية انتشاراً ، وأشدّها تأثراً بنظريات الفن الصحفي الحديث ووسائله .

(للبحث صلة) **محمد الشامخ**

الأصل:آل سلم هم قبيلة صغيرة قريبة الصلة بالفريق الأوسط من العوامر ؛ وهم الذين يتجولون في الختم ما بين الظـّفرة وعُمان ويقولون أنهم في الأصل كانوا فرعاً من العوامر ، غـــير انهم الآن ينظرون إلى أنفسهم كمستقلين . ويعترف بدو القبائل الأخرى المتصلون بهم اتصالاً وثيقاً بحالتهم المستقلة ؛ ومع ذلك فإنّ صلتهم بالعوامر لا تزال من القوة بحيث أن البدو وبعض أفراد القبائل الأخرى الذين يعرفونهم معرفة سطحية كثيراً ما يخلطون بينهم وبين أفراد العوامر .

إن آل سلم الذين يقطنون مع الفريق الأوسط من العوامر يتألفون من تسعة أفخاذ ، يقال : إن كل واحـــد منها يتكوّن من خمسة عشر إلى خمسة وعشرين رجلاً ؛ وعلى هذا يرسو مجموع عدد رجالها فيما ما بين مائـــة ومائتي رجل على وجه التقريب . ويقال ان بعضهم يستوطنون في حضرموت حيث يقضون فصل الصيف بالقرب من سَيـْوون وتارية ، وهؤلاء لا يدخلون ضمن هذا التقرير .

ديرتهم : آل سلم بدو حقيقيون مثل جماعـــة العوامر الوسطى حيث يعيشون في الجهات القصيّة من الصحراء . أما موطنهم ففي الختم ، غير أنهم غالباً ما يتواجدون على بعد مئات من الأميال عن تلك المنطقة . ويحلون في بعض الأحيان بالكدن جنوبي الجواء بالظفرة ، وأحياناً يتخذون طريقهم عبر الربع الخالي إلى مَقـْشَن أو إلى ديار المناهيل ، والفريق الجنوبي من العوامر بالجهة الشمالية لحضرموت . وربما يتنقلون من الختم إلى الشرق أو الشمال الشرقي إلى السهول الظاهرة في عُمان ، أو قد يولـّون وجهتهم شطر الغرب عبر الظفرة وسبخة مِطـّي إلى رمال الجافورة أو إلى بعض المراعي الأخرى بالجهات الوسطى من مقاطعة الحسا .

ولاؤهم : يعتبر آل سلم أنفسهم من رعايا ابن سعود ، يؤدون [الزكاة] إلى جباتها السعوديين بانتظام ، اللهم الا إذا حدث أنهم كانوا في جهة بعيدة أثناء زيارة الجباة للمناطق التي يغلب وجودهم فيها .

- ٦ -

أم عشاكل : واد يقع غرباً من مصدة ، وفي أعلاه جنوبا غربياً من مصدة فيما بين هضبة برقا وهضاب الخويبيات ، تقع آبار زراعية وقصور لأهالي مصدة تسمى باسم الوادي (ام عشاكل) .

النشاش : قال الاستاذ عبد الله : وشمالي مصدة جبل (النشاش) سناف ممتد من الغرب الى الشرق ، يقع بين (مصدة) وبين (جمران) وبين وادي (الرِّشاء) .

سبق أن مر بنا ذكر النشاش عند ذكر جمران ، والواقع ان النشاش ليس

آل سلم :

الرئيس شامس بن حمد بن علوة من بيت علوة من بيت عمار .

أ - بيت علوة : ابن علوة

١ - بيت عمار (عماري) ابن علوة
٢ - بيت الشيبة (ابن الشيبة)
٣ - بيت المطيري (عطيري)
٤ - بيت الحميد (حميدي)
٥ - بيت نايد (نايدي)
٦ - بيت قطامي (قطامي)
٧ - بيت فاطمة (ابن فاطمة)
٨ - بيت قبع (قبعي)
٩ - بيت الحضيري (حضيري) .

مصادر كتابية :

لا توجد معلومات مدوّنة كتابياً من آل سلم .

مصادر شفوية :

١) محسن بن بخيت بن الحسيني بن سعيد بن الشيبة من بيت الشيبة من آل سلم ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٢) ثعيلب بن صقر من آل خميس من آل لزّ من العوامر ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

٣) عوض بن ناجي من بيت سبولة من المناهيل ، وهو موظف بشركة الزيت العربية الأميركية .

كما ذكر سنافاً يمتد من الشرق الى الغرب ، ولكنه سلسلة جبليـة له رؤوس محددة تسمى (مزاريب النشاش) وعندها ماء له ذكر في كتب المعـاجم القديمة . ولا يزال منهلاً معروفاً ، وعنده دارة لهـا ذكر في كتب المعاجم القديمة ، وقد ذكره الاستاذ عند ذكر مصدة والأولى به أن يذكره عند ذكر عرجا وذلك لأنه قريب منها ، وقـد ذكره الهجري مقروناً بذكرها ، أمـا مصدة فهو بعيد منها في جهة الشمال الشرقي ، وقـد ذكرنا أقوال أصحاب المعاجم القديـة في وصفه فيا سبق ، ودارته واقعـة في ناحيته الشمالية . أما الأعلام والقرى الواقعة جنوبا من الدوادمي ، فأولها مما يلي الدوادمي(شعيب الهضيل) وهـو واد ينحدر من الغرب صوب الشرق في مجرى عميق تحف به من جانبيه صحارى مرتفعة ، وفي أسفله طرفاء ، ويبعد عن الدوادمي (٣) أكيال ، وسيله يلتقي بسيل وادي واسط شرقاً جنوبياً من الدوادمي. وسبب هذه التسمية لهذا الوادي هو ان مرزوقاً الهيضل أتى غازيا – وذلك قبل أن تستقر قبائل عتيبة في وسط نجد استقراراً تاماً – ويوم كانت قبائـل مطير تقطن الدوادمي وما حوله من المياه ، وكان الهيضل يريد الإغـارة على إبل مطير القاطنين على الدوادمي وبعضهم كانوا قاطنين على ماء حمرور جنوبا من الدوادمي ، فانحدر مع هذا الوادي العميق بقومه نافذاً بين الفريقين ، وكان ذلك وقت الظهيرة في فصل الصيف،وكانت فترة هدوء لا تتوقع فيها الغارات لشدة الحر ، ولأن الإبل تكون في طريقها الى الماء ، إما واردة وإما صادرة فعميت عنه العيون أثناء النهار واستطاع أن يأخذ الإبل الصادرة ويعارض بها الإبل الواردة شرقاً من الدوادمي فيأخذهـا ، ثم واصل سيره شرقاً وجعل العرض يميناً وانعدل جنوبا وانصرف بهـا عن طريق السرداح صوب الغرب ونجا وفات الطلب .

واسط : واد ينحـدر من الغرب صوب الشرق في مجرى عميق تحف بـه سلاسل جبلية طولية (سنفان) حمر ، يقع جنوبا من شعيب الهيضل مسافة (٧) أكيال من الدوادمي ، وفيه آبار زراعية لأهل الدوادمي ، وفوقها بئر عذب الماء يسمى (زعفرانة) ، وفيه معدن بارود مشهور بجودته ،

وسيله يلتقي بسيل شعيب الهيضل ثم يدفع شرقاً ويفيض في حميّان ، وفي أسفله يقع ماء البعج وماء رغزة ، وقد سبق ذكرهما ووصفهما .

النُجَيبيات : واحدها نُجيبي تصغير نجبي ، وهما واديان متوازيان واقعان جنوباً من وادي واسط ، الأول منهما يسمى (أبو سدر) والثاني يسمى (أبو خروع) وسيلها يتجه شرقاً في مجار عميقة بين سلاسل جبلية حمراء (سنفان) ويلتقيان بوادي حمرور في مكان يسمى (العفجة) فيه رمس كثير وأرطى .

شعيب سمْرة : يقع جنوباً من النجيبيات ، مسافة (١٢) كيلاً من الدوادمي جنوباً ، وهو أحد الروافد الكبرى لوادي حمرور ، وفيه تقع قصور ومزارع سمرة ، وهي آبار جاهلية اكتشفت منذ زمن ، فحفرها أسر من أهل الدوادمي وعمروها وما زالت معمورة إلى هذا العهد ، وقد تغلب اسمها على منطقة المناجم القديمة الواقعة جنوباً من الدوادمي بأجمعها ، رغم انها تمتد بعيداً عن سمرة من جميع الجهات، وفي ناحيتها من الغرب الشمالي (سناف) أسود فيه مناجم قديمة يسمى (السُّميرا) تصغير السَّمراء .

حُمْرُور : واد كبير يقع جنوباً من الدوادمي وجنوباً من النجيبيات على بعد (١٣) كيلاً من الدوادمي وتنتشر فيه معالم الآبار الجاهلية القديمة ، وقد حفر أهالي الدوادمي بعض الآبار الجاهلية القديمة منذ زمن وأقاموا فيه قصوراً وزراعة ، وما زال معموراً يقيم فيه أهله على زراعتهم ، ويسمى (حمرور) ويتناقل الأجيال من أهل الدوادمي أخباراً تاريخية مفادها أن هذا الوادي – وادي حُمرور – كان قديماً يسمى (النجبي) وإنما تغلب عليه اسم (حمرور) بعد أن أُقيمت فيه القصور الزراعية وأصبح موضع استيطان ، ويعللون تسمية (حمرور) بهذا الاسم بأن رجلاً من قبيلة السهول اسمه حمرور والتي كانت في ذلك العهد تقطن فيما بين الدوادمي وماسل ومُجَيرات ، استقر في هذا الوادي وعزم على بعث بعض الآبار القديمة وزراعتها ، ولقربه من الدوادمي اعترض عليه أهلها ، وأخيراً قاموا بحفر الآبار وزراعتها ،

فنسبت الآبار إليه ومع مرور الزمن ولأنها أصبحت معمورة من ذلك العهد تغلب هذا الاسم على الوادي بأكمله ، أما روافده الكبرى – وكلها تنحدر من الهضاب والمرتفعات الواقعة جنوباً غربياً من الدوادمي – فأولها من ناحية الشمال وادي سمرة ، ويليه جنوباً منه (أبو عَلَنْدَى) ويليه جنوباً منه ، (أبو صفا) وهو أكبرها ويأتي من الجنة الغربية الجنوبية . ويليه جنوباً منه (شعيب بلاد غانم) وتتلاقى هذه الأودية وتتحد في مجرى عظيم مكونة (شعيب حمرور) غرباً من قصور حمرور، ثم ينحدر شرقاً ويفيض في حميّان، وقد أكثر الشعراء من ذكر حمرور ، قال هذال بن فُهيد في يوم سناف الطراد الواقع جنوباً من الشعراء :

حربنا من دون حمرور واقذاله والرفايع حيثها شمعة الدّبْرَهْ

وسنأتي على ذكر الرفايع عند ذكر الشّعراء . وقال عبد الله الدُّربي :

عَدَّيْت في المرقابْ مرقاب حُمْرُورْ ورميت في شوف العيونَ الصّحاحِ
لا وا عشيري حالْ من دونها قور ودُون رعن القور بيض الفقاحِ

وقال شاعر من قبيلة العُصمة من عتيبة :

عَلّ الحيا يزّيَ الأوطانْ يزّي الرفايعْ وحِمْرُورَهْ (١)
ولْيَا تحدّرْ وطا دَلْقان يمْطرْ عَلى جوّ وقنْصُورِهْ

وهكذا كان بعض البدو يسمون قصور حمرور (حمرورة) بلفظ المؤنث.

وفي أعالي هذه الأودية التي مر ذكرها وفيما بينها وبين بعضها إلى مدينة الدوادمي تمتد منطقة المناجم القديمة والتي أطلق عليها الجيولوجيون في هذا العهد (منطقة سمرة) وتنتشر فيها حفر المناجم العميقة وآثار المساكن القديمة بين مكان وآخر .

وإذا تجاوزنا وادي حمرور جنوباً وخلفنا هذه الأودية التي هي في الحقيقة الروافد الرئيسيّة لوادي حميّان والذي هو في الواقع بداية وادي (القِرنة) دخلنا في حوض واد عظيم هو وادي جهام ، ويتعلق أعلاه حول (سناف

---

(١) يزّي : يسقي .

المهاش) فما سال منه غرباً ينحدر علىجهة الشعراء وما سال شرقاً يأتيلوادي جهام ، ويأتيه من ناحية الغرب الجنوبي (شعيب الحلوق) سمي بهذا الاسم لوجود تكوينات جبلية تكتنفه وتكوّن فيه مخانق ضيقة،ثم يليه من الجنوب (شعيب أبو صلعة) وأبو صلعـــة جبل له قمة ملساء يقع شمالاً من مجيرة ، ويليه من ناحية الجنوب (شعيب سرّان) وسرّان ماء لقبيلة الروسان في هذا الوادي ، وهو الذي ذكره شاعر من أهـــل الشعراء مقروناً مع صفاقة وسنورد أبياته فيما بعـد ، ثم يأتي له من ناحية الجنوب شعيب (عُرَيْدَة) تصغير عَرّادة ، وهي هجرة لشلوان العميـدي الدعجاني وجماعته الدعاجين الهدّف على مسافة (١٨) كيلا من الدوادمي جنوباً في ناحية جهام الجنوبية وبعدها يأتي وادي (صفّاقة) وهي آبار زراعية قديمة ، إحتفرها آل هملان من أهل الدوادمي وبنوا عليها قصراً وما زالوا يقيمون فيها ويزرعونها ، قال الشاعر عمر بن ماضي من أهل الشعراء :

يا ليت سرّان يفدي دون صفّاقه وقلبان مَاسَلْ وقلبان العليجيّهْ
رَبْع إلى جاهم الطّرقي على فاقـــهْ ربع مشاكيل وأصحاب دَنَاويّه

وقد عرفت اسرة آل هملان بإكرام الضيف والاحتفاء به عند نزوله في أيام الشدة والحاجة ، وقال ابن سلمان شاعر من أهل رويضة العرض انتقل من بلده وجاور آل هملان في صفاقة وزرع معهم فيها ، وفي هذه الأثناء إكتشف بئراً جاهلية في ناحية جهام :

يا ابن طهيف إن كان جيتوا زنيتان قل يا قليب في جهام لقاهـــا
خليت زعّابهْ وهضبة قهيدان وبلادي اللي رخص عندي غلاهـا
وزرعت صفاقـــة قليب ابن هملان وراك يا ابن طهيف ما اظهرت ماها
جا الصيفما عَرقت مْعيد ابنسلمان ما الحقت سمره يا الظهيري مداهـــا

وقال مهنابن عبدالعزيز شاعر من أهل الدوادمي يذكر جهاما وبلاد غانم:

تكفـــون يا دنوتي تعززوا للقريب ترى لحوم الجمل ما شالها إلا عضاه
غِرْوٍ حناني كما قوس حناه السّبيب حنـــاه راعي الربابه للمغنّي حناه

حبّه رسا في ضميري حط قصرعجيب   حطّ السواكف دوامر، والكنادل غماه
جهام دون الحبّيب جرّذيبه قنيب   وبلاد غانم تَرَى سِيد العذارى وراه

فاذا اتحد مجرى هذا الوادي الكبير وروافده اتجـه شرقاً تاركا خشوم العرض الشمالية يميناً منه وهناك في ضفته الجنوبية تقع هجرة الهيضل (الحُفَيْرة) ويفيض سيله في وادي (الضحوي) .

وبعد أن نخرج من هجرة (عريدة) ينشعب الطريق ، فقسم منه يستمر جنوباً ذاهباً إلى عَرْوَى وقُرى الحمرة ، والقسم الآخر ينعدل صوب مطلع الشمس ماراً بصفـّاقة الآنفة الذكر ، وتبعد عن الدوادمي مسافـة (٢١) كيلاً ، وسنسير مع هـذا الطريق حتى نصل إلى مَاسَل وقراه ، ثم نعود ونتكلم عن الفرع الثاني حتى نتجاوز هضاب مُجَيْرة ، وندع بقيته حتى نمر به في مجرى البحث حيث تكلم الاستـاذ عبدالله خميس عنها وأدمجها تحت مسمى (الشريف) إلى حدود صَبحا ولم يتعرض لذكر مواطن للعمران فيها كما لم يفصل في مسمياتها وصفاتها الجغرافية ، وسنبحثها بحثاً تفصيلياً شاملاً من النواحي العمرانية والجغرافية والتاريخية الى حدود صَبْحَا .

قلنا ان الطريق من هجرة عريّدة يتجه صوب مطلـع الشمس ماراً (بصَفـّاقة) ؛ فإذا كنت في صفاقة رأيت جبال مجيرة جنوبا غربياً منك ، وهي هضاب واسعة ، وسنأتي على ذكرها ، وترى جنوبا منهـا جبلاً أسود تعلو جانبه رملة يسمى (أبو نبطة) فإذا تجاوزت صفـّاقة مندفعـاً صوب الشرق رأيت على يمينك جبلاً آخر أسود معترضاً من الغرب الى الشرق تحف به من ناحية الجنوب برقة وتليها ماءة عذبـة تسمى (قُبَيعة) وهي لقبيلة المخاضير من العصمة ، ويقابلها شرقاً جبل أسود له قمة مرتفعة يسمى (مذروب أبو خيالة) ، وأبو خيالة ماء قديم يقع في جانبـه الغربي لأسرة المصري من قبيلة الفلتة من النفعة ، وعلى يسارك جبل مرتفع في عرضه بيـاض يسمى (أبو درعة) . وبعد أن تتجاوز هذه الأعلام تبدو لك (حُشّة الغثيراء) جبال سود متصلة منطرحة في الارض في ناحية شعيب الوطاة ، ويبدو لك في ناحيتها جبل أبيض يسمى (عبل الغثيرا) ثم تجـوز وادي الوطاة ، وهو

واد عظيم تنحدر سيوله من مرتفعات مجيرة الجنوبية الشرقية ومن شمالي رثمة وما يليها ويمر من ناحية جمح ماسل ، تاركاً الجمح يميناً منه ، وفي ناحيته الجنوبية تقع هجرة عبدالمحسن بن عُقيّل وجماعته من ذوي خيوط من قبيلة الدعاجين وبينها وبين ماسل (٤) أكيال . ولهم في وادي ماسل نخيل وبساتين وبعضهم يسكن فيه ، وهؤلاء أي ابن عقيل وجماعته هم الذين كانوا في هجرة دَلْمة الواقعة في ناحية ثهلان الجنوبية ، وقد هجروا هجرتهم هناك وانتقلوا إلى ماسل ، وأسّسوا هجرتهم في وادي ماسل داخل الجبل ، فلم يطب لهم السكن لضيق الوادي وحرارته في الصيف فخرجوا في وادي الوطاة ، وفي هجرتهم تقام صلاة الجمعة وفيها مدرسة ابتدائية ، وقال بعض الشعراء يذكر ماسلا والوطاة :

يَا هَلَ الهجن صابتني هَلَلْ	واحبْ الموت ما يقرب مداهْ
قربوني خبيثين العمل	لين شفت البريّم في حشاهْ
ثم شالوا لهـا فوق الجمل	أشقح اللون سمحاتٍ خطاه
أنشد الربع قالوا لي : نزل	فوق ماسل مقيم فوق ماه
ليت مقطان ماسل في السّهَلْ	بين خشم الغثيرا والوطاه

الوطاةُ : ذكرنا أن سيول الوطاة تنحدر من ناحية مجيرة الشرقية ومن شمالي (رثمة) ، وبعد أن يتجاوز فيضة ماسل وهو متجه شمالاً منحدراً ينعرج شرقاً منعطفاً حول أطراف العرض الشمالية الغربية ، ثم يلتقي به سيل ماسل ويلتقي به سيل (شعيب قُبَيعَة) الآنف الذكر ، وسيل (أبو خيالة) في موضع يسمى (أبو بعيثران) ثم يتجه صوب الحسرج ويختلط به ثم يصب في وادي الضحوي ، وقد سبق وصف الضحوي عند ذكر مُغيرا وجوم مغيرا .

ماسل : واد ضيق تحف به من جانبيه سلاسل جبلية شاهقة ، ويقع في ناحية عرض شمام الشمالية الغربية ، ويسمى الجبل المطل عليه (جمح ماسل) ويميز عن غيره بنسبته إليه فيقال له (ماسل الجمح) وهذا الاسم لماسل والجمح اسم قديم لم يتغير ، قال الهمداني [1] : (ماسل جأوة لباهلة وماسل

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ص (١٦٥) .

الجمح لبني ضِنّة من بني نمير). وهذا الوادي – أي وادي ماسل – لا يدخل إليه إلا من ناحية أسفله أو من أعلاه ، أما جانباه فانهما محاطان بسلاسل العالية المتصلة ، وماؤه قريب من سطح الأرض وعذب جدا ، وقد غرس فيه نخل وزراعة وأُقيمت فيه مساكن لقبيلة الدعاجين جماعة ابن عقيل ، وعلى طول الوادي تنتشر الكتابة والنقوش على صفحات الصخور المرتفعة وكلها بالخط السبئي ، أما النقوش فمن بينها صور الرجال يحملون أسلحتهم من الحراب والسيوف وصور الخيل والابل والأسود، ويبعد عن مدينة الدوادمي (٥٨) كيلاً صوب مطلع الشمس .

قال الأستاذ عبد الله عند ذكره: وماسل هذا ليس (ماسل) الذي عناه امرؤ القيس في معلقته كما ظنه بعضهم ، ولكن الذي عناه امرؤ القيس هو ماسل الهضب لا ماسل الجمح (*) ، ثم أورد عبارة لأبي علي الهجري ولم يعلق عليها أو يُعرها أي مناقشة ، وحيث أن أورد عبارة الهجري ، وقارن بين ماسل الجمح وبين (ماسل الهضب) وحيث أنني وصفت (ماسل الجمح) وصفاً جغرافياً فإنني سأصف ماسل الهضب أيضاً وصفاً جعرافياً وأبحثها بحثاً تاريخياً .

وفي أبحاث الهجري (٢) ، عروى : لبعض بني نمير :

فلما بدت عروى وأجزاع ماسل وذو خُشُب كاد الفؤاد يطيرُ

عروى : هضبة حذاء ماسل بها جاوة باهلة وليست بعروى التي قرب وحفة القهر ، هذه أمنع وأشمخ) . وجاء تعليقاً على (عروى) في حاشية معجم البكري(٣):(قال أبو عبيدة: عروى هضبة بشمام، وشمام جبل مؤنث، عروى هضبة حذاء ماسل بهـــا جِأوة (بكسر الجيم) بطن من باهلة)

(*) في مخطوطة مكتبة الحرم المكي من « جمهرة أشعار العرب » نصٌ على أن المقصود : ماسل الجمح .

(٢) « أبحاث الهجري » ص (٣٣٩ - ٣٤٠) .

(٣) « معجم ما استعجم » ج ٣ ص (٩٣٥) .

وهذه الأقوال تفيد أن عروى واقعة حذاء مأسل ، غير أن عبارة الهمداني الآنفة الذكر فيها تميز بين (مأسل) الواقع حذاء عروى وبين (مأسل الجمح) حيث قال (مأسل) جاوة لباهلة ، ومأسل الجمح لبني ضنّة من بني نمير ، ومن قوله : مأسل جاوة لباهلة ومن قول الهجري : عروى هضبة حذاء ماسل بها جاوة لباهلة ، يتبين أن ماسلا المشار إليه في هاتين العبارتين قريب من عَرْوى وأنه غير مأسل الجمح ، الذي ذكره الاستاذ ابن خميس وأورد عبارة الهجري كدليل عليه ، فذلك بعيد من عروى ، وتفصل بينه وبينها ظواهر جغرافية واسعة .

وهناك موضع يقع حذاء عروى شرقاً جنوبياً فيما بينها وبين (خُنَيفسة) يسمى في هذا العهد (مويسل) تصغير مأسل، وهو واد فسيح تحف به سلاسل من الجبال (سنفان) حمراء غير مرتفعة ، وفي أسفله (عَبَلٌ) جبل أبيض مذروب ، وفيه قصور وزرع وما زال معموراً بالزراعة والسكان ، وآبارة جاهلية قديمة ، وفيه آثار وبقايا نخيل قديمة (هيش) وفي أسفله طرفاء وسيله ينحدر من المرتفعات الواقعة شمالاً من بلد (الرويضة) ويتجه شمالاً بميل يسير إلى الشرق ويصب في وادي (الخَنَقَة) ولعله الذي ذكره الهمداني في قوله: (ماسل جاوة لباهلة) . وقد فرق بينه وبين مأسل الجمح . وللهمداني عبارة توضح هذا الموضع والأعلام التي حوله وقد بدأها بذكر خنيفسة ثم ذكر المواضع التي تليها جنوباً وغرباً ثم عاد فذكر المواضع الواقعة شمالاً منها وهذا نصها[1] (الخنفس من مياه الشريف وهو من مياه مأسل جاوة ، ومن مياه الشريف ذو سقيف والجعور وهي الجمموشة وطويلة الخطام وُعصَير وطحي وَعَصْنصَر وطاحية ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب فوراءه العبلاء والزعّابة يزرعان ويوردان النعم ثم مأسل جاوة وهو حصنان ونخل وزرع ، وبشط العرض الأيسر ماء َتيْشر في ناحية البرم ، ثم مأسل الخفح (الجمح ؟) وفي فرعها صحراء يقال لها جراد والرملة ، ومن ورائها هضيبات حمر يقال لهن مُجيرات) اهـ .

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص (١٤٧) .

وسنناقش هذه العبارة على ضوء الدراسة الميدانية لهذه المواضع التي ورد فيها ذكرها .

بدأ حديثه بذكر (الخنفس) ويعرف في هذا العهد باسم (خُنَيْفسة) تصغير خنفسة ، وقد يذكر بصيغة الجمع فيقال (خنيفسات) وقد أصبحت معمورة بالنخيل والزراعة والسكان ، تقع صوب مطلع الشمس من عَرْوَى وصوب الشمال الشرقي من بلدة (الرُّوَيْضة) ، وذكر انها – أي الخنفس – من مياه مأسل جاوة ، والواقع انها مجاورة لمويسل من ناحية مطلع الشمس . ثم قال : (ومن مياه الشريف ذو سقيف والجمور وهي الجمموشة وطويلة الخطام) . والواقع أن هذه المواضع الثلاثة لا تعرف بهذه الاسماء في هذه الناحية في هذا العهد ، ثم قال : وعصير وطحي) . والواقع أن عصيراً يعرف في هذا العهد باسم (عصيل) أبدلت راؤه لاماً ، وهو واد مشهور ، وسيله ينحدر من ناحية هضاب القصورية غرباً ، وفيه موارد قديمة وحديثة ، ويقع بالنسبة لعروى جنوبا غربياً ، وبالنسبة لخنيفسة غربا . والقصورية : مزارع ونخل وقصور قديمة ، ولا تزال معمورة ، تقع غربا من الرويضة .

طُحَيّ : زرته منذ عشرين عاماً وهو مورد عذب ماؤه قريب من سطح الارض ، وزرته خلال هذه الايام ، وهو هجرة لقبيلة العصمة تقام فيها الجمعة وفيها مدرسة ابتدائية ووحدة زراعية ، ويقع بالنسبة لبلد الرويضة جنوباً غربياً مسافة (١٣) كيلا ، وبالنسبة لعُصيل جنوبا شرقياً ، ويعرف بهذا الاسم لم يتغير . ثم قال : (وعصنصر وطاحية) والواقع أن هذين الموضعين لا يعرفان في هذه الناحية بهذين الاسمين ، وقال بعد ذلك : (ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب) . أما ذو خشب فليس هناك موضع يعرف بهذا الاسم في هذا العهد ، ولعله يعني هضبة مدقّة . و (مدقة) هضبة سوداء كبيرة تقع جنوبا من بلدة الرويضة وتتصل بالستار من ناحيتها الشرقية الجنوبية بواسطة (حشة) سوداء تربط بينهما تسمى (الطريْقيّة) .

أما **السّتار** فهو جبل أسود غير عال ، ظهره مستو يعترض تجاه مطلع الشمس من بلد (الرويضة) وطرفه الايمن يتصل (بالطريقية) وطرفه الايسر

يتصل بما وراء هضبة (زعّابة) ويسمى في هذا العهد (درقان) ، وكلمة درقان في لغة عامة أهل نجد تتضمن معنى كلمة (السّناد) ، قال شاعر من أهل الرويضة ، محمد بن سلمان :

من يا ليت ياخذ عجايب نهابه　　الجادل اللي مايقي في تمدْرِيْهْ

الى أن قال :

وباكر إلى لحق الطلب له ضبابه　　معنا ... وكلّنا ندّرق فيه

الرويضة : أو رويضة العرض : بلدة قديمة تقع جنوبا من عروى مسافة (٢٢) كيلا غربا من العرض في صحراء مستوية مرتفعة وهي بلدة زراعية ، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة للبنات ومدرسة متوسطة للبنين ومحكمة شرعية ومركز شرطة ، وفي ناحيتها الشرقية تبدو من بعد هضبة (زعّابة) حمراء شاهقة تطل على النخيل والمزارع في ناحية البلد الشرقية ، وتحف بها من الجنوب والشرق هضاب (القهاد) ثلاث هضبات غير كبار من وراء الجنوبية منها تبدو هضبة (مدقة) وإذا كنت في بلد الرويضة رأيت أعلام المواضع التي مر ذكرها كلها ببصرك ، فهضاب (القصورية) تراها غربا،وهضاب طحي، هضاب حمر لها رؤوس مرتفعة،تقع فيما بينه وبين الرويضة وتسمى (مشمرخات طحي) تراها جنوبا غربيا ، والستار (درقان) صوب مطلع الشمس ، وفيما بين الرويضة وبين الستار تقع هجرة ماجد بن فهيد أمير قبيلة الشيابين وتسمى (الروضة) وتبعد من الرويضة (٣) أكيال ويحف بها جبل (درقان) من الشرق ، وتقام فيها صلاة الجمعة ، وفيها مدرسة ابتدائية ، وهي من الهجر القديمة ، قال الشاعر إبراهيم بن جعيثن يذكر عَرْوى والرُويضة [١] :

أدْنَيْتْ حرٍّ كنّ زَوْلهْ لْبَيَاسَارْ　　دَلْوٍ تسمّحْ حبلهـا بانحدارهْ
كنْ النّضو مُومي الجناحين لْباطار　　مثل النجم ليا تطايَرْ شرارهْ
بالدّو ، كِنّ النضو يا طا على حارّ　　مـا ينقهر لولا شكيمة عذارهْ
ثم اركبن يا طارشي حـل الاسفار　　راعي البرود معزّبه في نهـارهْ

---

(١) « الأزهار النادية » ج٨ ص (١٢٧) .

سَبْح القعود لـِيّا مشى عقب منشارْ   عـــروى يمينه والرويضه يسارهْ
لِيّاك عند أدنى الفراقـــين تختار   ولا يبْرك إلا عند راعي المغارهْ

وقال الشاعر ابن سلمان يذكر بلدة الرويضة ويذكر زعّابة :

يا ابن طهيف إن كان جيتوا زُنيْتان   قل : يا قليبٍ في جهـــامٍ لقاها
خليْتْ زعّابَهْ وهضبة قهيدان   وبلادي الّلي رخص عندي غلاها
وزرعت صفـّافهْ قليب ابن هملان   وراك يا ابن طهيف ما اظهرت ماها

ويقصد بهضبة قهيدان الهضبة الجنوبية من القهاد ، ويعني ببلاده بـلدة (الرويضة) . ثم قال الهمداني : (فوراءه العبلاء والزعّابة يزرعان ويوردان النعم) : والواقع أن العبلاء لا تعرف بهذا الاسم في هذا العهد ، أمـــا الزعّابة : فهي هضبة حمراء لها قمة شاهقة ، تقع في ناحية بلدة الرويضة الشرقية ، ثم قـــال : (ثم مأسل جِأوة ، وهو حصنان نخل وزرع) وابتداءً من هذا الموضع نرى أنه اتجه من (خنيفسة) شمالاً ، وقـد سبق بحثه ، ثم قال : (وبشط العرض الأيسر ماء تيشر في ناحية البرم ثم مأسل الخضج) ، أما ماء تيشر فقد تغير اسمه ، وأما كلمة (الخضج) فيحتمل أنها تصحيف كلمة (الجمح) وقد مر ذكره ، ثم قال : (وفي فرعها صحراء يقال لها جرار [1] والرملة). والواقع أن جراراً والرملة لا تُعرفان في هذا العهد بهذين الإسمين . ثم قال : (ومن ورائها هضيبات حمر يقال لهن مجيرات) ، وسيأتي الحديث عن مجيرات في هذا البحث .

ومن دراسة هذه العبارة وتطبيقها موضعياً لا يبقى مجال للشك في أن (مأسل جأوة) غير (مأسل الجمح) وأنه هو الموضع المعروف باسم (مويسل) الواقع فيما بين عروى وخنيفسة ، فتكون عبارة الهجري التي أوردها الاستاذ عبد الله عند ذكر (ماسل الجمح) لا محل لها في ذكره ، إذ المقصود بها (مأسل جأوة) لا مأسل الجمح .

---

(٢) يظهر انه (جراد) بالدال . « العرب »

عَرْوَى : قال ياقوت[1] : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وهو فعلى هضبة بشمام ، وأورد أبياتاً لابن مقبل :

يا دار كبشة تلك لم تتغير ... بجنوب ذي بقرٍ فحزم عَصَنْصَر
فجنوب عَرْوى فالقِهاد غشيتها ... وَهْناً فهيّج لي الدموع تذكري

ذُو بَقر : لا يعرف بهـذا الاسم في هذه الناحية ، (عصنصر) سبق الكلام عليه في عبارة الهمداني ويبدو أنه من المواضع الواقعة جنوب عروى. (القهاد) هضيبات حمر تقع في ناحية بلدة (الرويض) وقد مر ذكرها ، أما عروى : المعروفة بهذا الاسم فهي قمة سوداء شامخة منيعة الجوانب ، تقع في طرف سلسلة جبلية شقراء تمتد منها غرباً وجنوباً غربياً تسمى (عُرَيْويّات) في ناحية العرض الغربية ، وفي ناحية (عُرَيْويّات) الجنوبية دارة معروفة تسمى (دارة عريويات) ، وقد حذف اسم عروى تحريفاً يسيراً فأصبحت تسمى (عروان) [2] ويقصد به القمة السوداء الشاهقة ، وفي جانبها الشمالي واد عظيم ينحدر سيله من الشرفة وفي أسفله طرفاء ، ومجراه ينحدر شرقـاً ويصب في وادي (الخنقة) ، وفيه ماء قديم محاذٍ لقمة عروى ، وقد جرى فيه مناخ ذكره ابن عيسى في تاريخه [3] ، وقد اسست فيه هجرة لقبيلةالمقطة جماعة ابن حميد عام ١٣٣٦ هـ وهي من الهجر القديمة ، وفيها محكمة شرعية ومدرسة ابتدائيـة ومدرسة متوسطة ومكتب بريدي ومستوصف ، وهي تابعـة من الناحية القضائية والإدارية لمركز الدوادمي وتسمى (عروى) . وأميرها الآن نايف بن جهجاه بن حميد ، وهي بالنسبة لجح ماسل واقعة في جهة الجنوب الغربي ، أما بالنسبة لقمتي ابني شمام ، فهي تقع غرباً جنوبياً .

---

(١) معجم البلدان ، ج ٥ ص (٤٢) .
(٢) عروان : اسم ورد قديما وقد يدعى ابن عروان قال ابن هرمة :
حلـه وازنـ بنات شمام ... وابن عروان مكفهر الجبين
(٣) المناخ : في لغة أهل نجد هو أن تعقل الابل ويستمر القتال بين الفئتين المتحاربتين وقتاً طويلا ، انظر « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ١٩١ .

حول نقد :

المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٣ -

وذكرتني ذكرك الله خيراً فرعَـيْ (شقراء) و (اشيقر) تمر منها القوافـل مقبلة مدبرة ، تفري (صفراء الوشم) يتركها الطريق يمينه ، والتفت هنيهـة بعد ما علوت منكب الصفراء ، منكبا (شقراء)، لتعود بنظرة الى (طويق)، مناكبه، وانوفه ، وثناياه .. وتعد بالعودة لتتخيل هذا المنظر من هناك ، من عند الدرع العربي فلماذا لا يكون هنا تضع اللوحة أمامـك ، وتبدع في تمثيلها ، وتهب لها من فنك ، وذوقك .. روعة وجلالا ؟!

ومن هجرة عروى تشاهد قمتي شمام ببصرك ، قال الشاعر الشعبي هويشل بن عبدالله وقد ذكر عروى :

سقى دارهم بارقْ عَشيـّهْ — على فرعة أم سَحيـْم لاحْ
من الرّين لَـيْن الحرْمليّهْ — يردّه على عَرْوى نِسَاحْ
إلى سار في دِبْرَةْ وليهْ — سقى تلعة الما والملاحْ
تسوقه ملايكـــة هديّهْ — لشعب الجهيّش بالنـّصاحْ
سقاهـا الحيا سقياً هنيّهْ — من الوسم فجـاج البطاحْ

وقال آخر يذكر دعم وادي عروى لوادي الخنقة :

يا من لقلب من هوى الزين ينخج — كما ينخج السيل وادي العرينْ
يا شيب عيني من مفيض إلى دَجْ — إلى حداه شعيب عَرْوى يمينْ

وادي العرين : هو وادي الخنقة ، والعرين في لغة عامة أهل نجـــد هو الأثل والطرفاء ووادي الخنقة نباته الأثل والطرفاء ، ويقع من عروى شرقاً شمالياً .

(للحديث صلة) الدوادمي سعد بن عبدالله بن جنيدل

والى هنا وقفت يا أخي سعد ، في حلقتك الأولى من نقد (المجاز)ودفعت بها سبع عشرة صفحة من مجلة العرب باسم النقد، وما اكثرها من النقـــد في شيء ، والذي يصدق عليه النقد بين علم له اكثر من اسم ، تصر على أنتسميه بالإسم الذي تحفظه فقط، وبين ملاحظة سبقت عليها ، وجرى تصحيحها قبل نشر نقدك ، وبين موضع أوجزته أنا ، وتطلب بسطه، او بسطته انا وتطلب إيجازه .

ولو أنصفت النقد يا أيها الناقد الفاضل ، لانكمشت صفحاتـــك السبع عشرة في صفحتين ، ولأرحت نفسك من عناء هـذه السفرة المتعرجة النكدة. على ان العبرة بالكيف لا بالكم ، وبما ينفـــع الناس لا بالجفاء .. وعلى أن ما أقدمت عليه ، وما تبمتك في نقاشه ، وتصحيـح ما أخطأت فيه أنت وبسط ما أوجزته .. ربما يكون مصدر فائدة للقراء ، وعائدة على الجميـع فيالتحقيق والتدقيق ..

وقال الاستاذ الجنيدل : من ظهر صفراء الوشم نهبط في قـــاع منخفض فسيح ، يمتد جنوباً وشمالاً ، بجانب الصفراء ، ويسمى (روضة القرعاء) ، وهو عار من النبـــات ، وتجتمع فيه سيول المرتفعات التي حوله ، وهو بجانب (المروت) الشرقي . وعند الكيل الـ (٥١) من (مراة) يعلو الطريق على ظهر (المروت) . ا هـ .

فيؤخذ من قول الأخ الجنيدل هذا ، ان ما تحت الصفراء يمينـــاً وشمالاً يسمى روضة ، على طول امتداد الصفراء . وهي أيضاً لا نبات فيها . فأيّ روضة هذه ، تمتد بامتداد الصفراء ، سعة وشمولاً ، ومع ذلك لا نبات فيها! والمعروف يا أخ سعد انك تهبط من الصفراء على دكادك رملية يسيرة أمثـال البرقان مجللة سفوح الصفراء الغربية ، وهي امتداد لنفود (قنيفذة) وصفراء (الوشم) كما أشرنا في ذلك في بحثنا - المجاز - .

ثم اننا ندرك ان ما تحت الصفراء غرباً ، والذي يحمل صفة ما أوردته يقال له : - قاع شقراء - تسمية جزئية ، داخل (المروت) ، لا كما ذكرته

أنت انه يجانب (المروت) الشرقي ، وكما جاء في الجملة التي بعد هذا من كلامك حينما قلت : وعند الكيل الا (٥١) من (مراة) يعلو الطريق على ظهر (المروت) . فما بين نفود (السر) من جهة ونفود (قنيفذة) وصفراء (الوشم) من جهة أخرى ما بينهما يقال له : (المروت) ، وهذا لا يمنع من دخول أسماء تميز أجزاء هذا العموم .

بعد هذا أفاض الاستاذ الجنيدل ، وخصص حلقة من نقده للمروت ، ولما جاء عن المروت ، حاشداً أقوال العلماء في ذلك .. وسوف نناقش هذا البحث ، راجين من القارىء الكريم ، أن يتابعنا بصبره ، وأن يعطي هذه الحلقة بالذات مزيداً من تفهمه ..

اعترافه بصحة ما كتبته صراحة وضمناً :

قال الجنيدل : والواقع ان (المروت) الأكثر شهرة عند عامة أهل (نجد) ، هو ما ذكره – يعنيني – ، غير انه في تحديده من الناحية الجنوبية غير دقيق ، ثم انه لم يدعم رأيه ببحث تاريخي ، حتى يضفي عليه صبغة علمية رغم توفر المعلومات في كتب المعاجم القديمة عن (المروت) . ا هـ .

وقال الأخ الجنيدل في مكان آخر من بحثه : أما بالنسبة لرأي الاستاذ عبد الله بن خميس ، فقد كان يرى ان (المروت) هي الأرض الواقعة غربا من صفراء (الوشم) ، وانه ليس هناك ما يسمى (بالمروت) غيرها ، وأنكر على ابن بليهد رأيه ، وهو لم يدعم رأيه بدليل تاريخي ، يكون سنداً له ، وسنورد هنا قولاً لأبي علي الهجري يؤيد ما قاله الاستاذ عبد الله ، بأن الصحراء التي ذكرها تسمى (المروت) . قال أبو علي الهجري : حدثني ابن معضاد السلمي من بني جعفر بن كلاب قال : أول الحزيز – حزيز اضاخ – وأنت تريد الشرق : (الريان) و (إمرة) مائتان ، وأنت تريد (اليمامة) وآخره (الذناش) و (عرجة) وهي ماءة وتتصل بعرجة الحلة ، ويخرج منها الى (السر) ثم من (السر) الى (جراد) ، وهي رملة من شق (الوركة) ، ثم تقع في (المروت) ، ثم في قرى الوشم ، ثم من الوشم (الحمادة) ، وهي سهب بين الوشم والعارض . ومن هذا القول يتبين ان

هذه الصحراء كانت تسمى المروت أيضاً . ويجوز أن نعتبر هذه التسمية أتت اليها من باب التعميم واعتبارها امتداداً لصحراء (المروت) الواقعة جنوباً منها.

وقال في مكان آخر : تكاد تدرك ان ليس هناك حصر لهذه التسمية ، على هذا الموضع الواقع غرباً من صفراء (الوشم) .

وقال في مكان آخر : وهذا لا يمنع أن تكون الصحراء التي تقع شرقاً من النفود - نفود السر - تسمى المروتة أيضاً.

ويقول في بدء بحثه عن القاع الذي تحت صفراء الوشم من الغرب يقول : وهو يجانب (المروت) الشرقي - الى أن قال - : يعلو الطريق على ظهر (المروت) ا هـ . من أقوال الجنيدل المتقدمة نأخذ :

١ - ان ما ذكرته في بحثي (الجاز) هو اكثر شهرة عند عامة أهل نجد.

٢ - تحديد (أبي علي الهجري) في اتجاهه يثبت ان ما ذكرته هو عين الصواب .

٣ - يقر الناس بأن ما أثبته عن المروت حق ولكنهم لا يحصرونه فيما حددته .

٤ - يحدد الناقد مسار طريقه بين صفراء الوشم ونفود السر بالمروت عند كلامه على بعض الأعلام هنالك .

واذن فكلام صاحب الجاز في مجازه ، حق ، ولكن يؤخذ عليه اشياء :

١ - لم أكن دقيقاً حينما حددت المروت من الناحية الجنوبية فقط .

٢ - لم أدعم رأيي بسند تاريخي يقويه .

٣ - لم يحصر الناس المروت في الحيز الذي حددته من الناحية الجنوبية بل يتوسعون في ذلك .

تناقض الأخ الجنيدل :

بعد هذا يأتي الأخ الجنيدل فيقول : ويجوز ان نعتبر هذه التسمية - يعني ما سبق الكلام عليه - اتت اليها من باب التعميم، واعتبارها امتدادا لصحراء (المروت) الواقعة جنوباً منها !!

ألم تقل آنفاً يا استاذنا الجنيدل : ان المروت هو ما ذكرناه ، غير ان التحديد من الناحية الجنوبية غير دقيق ؟ فما سبب هذا التحول حتى اصبحت امتداداً بدلاً من ان تكون أصلا ؟ ثم ما معنى قولك من باب التعميم ؟ أتقصد أنها قد عمت التسمية المكان وما جاوره ؟ لماذا ؟ لا شيء إلا من أجل أن يكون نقدك صحيحاً ، ثم ما هو باب التعميم لغة ، أتقصد التغليب فسبق قلمك للتعميم ؟ التغليب لا يكون غالباً إلا من الأصل للفرع أو من الأكبر للأصغر ، لا بالعكس . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل جاء الأخ الجنيدل مرة أخرى ، وقال عن (الجله) : وهي الصحراء الممتدة بين نفودي السر وقنيفذة .. - الى أن قال - : ولها اسماء جزئية يعرفها من يسكنها ، أو يكرر عبورها ، ويطلقون على ناحيته الجنوبية المروت ، ويطلقون على المنطقة التي تليها شمالاً (الحلاة) .. الخ

هذه المرة لم يكن ما أثبته سابقاً امتداداً للمروت ، بل انطمس بقدرة قادر ، او انتقل حتى أصبح جنوبي الجله ، بعد ان كان شماليه ، أو جاء مروت آخر وحل هنالك ؟ وعلى فرض تعدد المراريت، من قال من العلماء : ان (الجله)شيء وان المروت شيء آخر ؟ ألم يكن (الجله) جزءاً من المروت في أقوال العلماء التي سردتها انت ، فما معنى هذا التحول أو التناقض ؟!

الجنيدل ، وابن بلهيد :

لم يطب للأخ الجنيدل انني استدركت على ابن بلهيد - رحمه الله - جعله (المروت) خلف نفود السر من الغرب، ولا ما أدليت به من وجهة نظر حول ذلك .. بل ساءه ان أضع علامات استفهام وتعجب : في نقاشي لرأي ابن بلهيد ، فقال : لماذا علامات الاستفهام والتعجب ؟ كأنني حينما علمت ذلك أتيت أمراً إدّاً ، والأمر لا يخرج عن الاستشكال والمساءلة، فهذه القواعد في علم الرسم يا استاذنا ، ما وضعت لكي تكون علامات خطر ، ولا اشارات إنذار .. وإنما لتقوم مقام الاسترسال في التعبير ، كإشارة تكفي عن طويل العبارة ، فمهلا هداك الله ..

ثم قال الأخ الجنيدل : والواقع ان ابن بلهيد قال بما وصل اليه علمه ، ولا ضير على من قال بما علم .. ويا ليتك يا أخ سعد تستشعر مضمون هذه الجملة دائمًا ، إذاً لأرحت واسترحت ، ووقفت مع الناس حيث وصل اليه علمهم ، خصوصاً إذا لم يكن لديك علم ثابت يفيد ويزيد ..

وقال الاستاذ الجنيدل : وقد وجه ابن بلهيد - رحمه الله - رأيه على ضوء أدلته ، توجيهاً مقبولاً، بأن الأرض الواقعة غربي نفود السر تسمى (المروتة)، وانها هي التي وقع فيها اليوم الذي جرى بين بني قشير، وبين بني تميم وكذلك مناخ (الحرملية) بين (عتيبة) وبين (مطير) .. وهذا لا يمنع من أن تكون الصحراء التي تقع شرقاً من النفود تسمى (المروتة) ايضاً .

احفظ أيها القارىء الكريم هذا ، ثم اقرأ ما يقوله الجنيدل في مكان آخر من بحثه ، مما سوف نورده ، ثم اعجب لهذا التناقض ...

قال الجنيدل : ويتضح من دراسة ما سبق ، من أقوال أصحاب المعاجم القديمة ، ان صحراء (حائل) تعني الصحراء الممتدة من جنوبي منطقة (السر) حيث ماء (خف) ، وتسير صوب الجنوب ، حذاء نفود (السر)،ويسايرها من الغرب امتداد صفراء (الدميثيات) فصفراء (مغيرا) فجبل (العرض) وتسير في امتداد واسع ، وتصل إلى ناحية (قنيَ) و(قنـّي) و (الهوّة) جنوباً وهي الصحراء التي يطلق عليها في هذا العهد : (الحدبا) .

أرأيت يا أخي كيف وجه الاخ الجنيدل في الفقرة الاولى رأي ابن بليهد وصححه ، حيث يقول ابن بليهد - رحمه الله - : ان المروت هي غرب نفود السر من (خف) ، وما ذهب عنه مجنباً ، إلى أسافل (القويعية) .. ثم جاء الاخ الجنيدل في الفقرة الثانية وأطلق إسم هـــذا المكان بالذات على (حائل) .. كيف نجمع بين هذا وهذا ؟!

ويبدو ان الاخ الجنيدل بعد هذا تنبه للخطأ ، فعاد يقول : أما المروت: فالذي يبدو انه يعني الصحاري التي تمتد غرباً من نفود قنيفذة - الوركة قديماً - وغرباً من نفود السر - جراد قديماً - ويتصل بصحراء حائـــل

بواسطة الصحراء الممتدة بين منصرم الرمال ، حيث ينقطع رمل السر ، ورملة (الطغيبيس) شرقاً جنوباً من بلدة القويعية ، وهناك تنداح الصحراء وتمتد شرقاً إلى رملة الوركة وتتسع صوب الجنوب ،وتسمى هذه الصحراء (الجاذم) إلى منقطع الجبال ، ومن هذه الناحية تتصل حائــل بالجله (المروت) في صحارى واسعة ، وفيها مياه معروفة ، ولعل هذا الاتصال بين الصحارى في هذه الناحية هو الذي دعا أصحاب المعاجم القديمـة إلى الربط بين حائل والمروت واعتبار حائل جزءاً من المروت ، ومن هنا يبدو ان الشيخ محمد بن بليهد – رحمه الله – اطلع على هذه الاحوال واكتفى بمـا نقله من « معجم البلدان » واتبع طريقهم في الدمج بين حائل والمروت ،ومن هنا أخذ مصدر فهمه . ا هـ .

هنا أراد الاخ سعد أن يجعل حائلاً جزءاً من المروت ، من أجل أن يتلافى التناقض السابق ، غير انه نسي ان عبارته جاءت هكذا : وقد وجه ابن بليهد – رحمه الله – رأيه على ضوء أدلته توجيهاً مقبولاً بأن الارض الواقعة غربي نفود السر تسمى (المروتة) .. الخ .

لماذا يا سعد لم يقل ابن بليهد : ان هذه الأرض هي حائل ،وهي جزء من المروت ؟ غير انه لم يأت لحائل في عبارة ابن بليهد ذكر ، وكل مـا في الأمر انك أردت أن تتمحل ، وتفترض .. فبان ذلك في عبارتك المرتبكة هنا .. على ان معظم عبارات العلماء تفيد ان حائلاً غير المروت ، وان ما حاولت ان يأتي على رأيك من أقوال العلماء لا ينجدك . قال الهمداني : وعن يـمين سواد باهلة إلى قبة وصقب : بطن حائل ، وهو مثل يد المصافح ،يرى فيه الراكب من مسافة نصف نهار ، في وسطه رميلة يقال لها رملة الاطهار ، وفي أعلاه سوفتين ، ويحفه رمل جراد ، وهو منقطع ، وحده بين المروت وجراد.ا هـ.

فمن عبارة الهمداني هذه ، نأخذ تحديد (حائل) ووصفه ونأخـذ انه جعل المروت حدّاً له ، أو حداً للأطهار وهي منه . والحد شيء ، والمحدود شيء آخر ..

وقال الاصفهاني : وإذا جاوز الحجاج حائلا والمروت ، مقبلين من مكة، صاروا في قرى اليمامة . قال الراجز :

إذا قطعنا حائلا والمروت   فأبعد الله السويق الملتوت

وحائل بين رملتين جراد والاطهار ، وهي من حائل أيضاً . ا هـ .

ومن عبارة الاصفهاني هذه ، نأخذ ان حائلا غير المروت ، لأنه عطف المروت على حائل ، والعطف يقتضي المغايرة . وكذلك عطف الراجز في البيت المتقدم ..

وقال الهجري : وحائل : رمل حائل بين المروت والرمل . ا هـ .

فرّق بين المروت وبين حائل ، وغاير بينهما .

والذي جعل ابن بليهد – رحمه الله – يرى هذا الرأي ، وتبعته انت انتصاراً له ، رغم ما وقعت فيه من تناقض .. الذي جعله رحمه الله يرى هذا الرأي ، هو ياقوت في بعض عباراته . ولكن ياقوتاً رحمه الله هنا تردد ، ولم يستقر على رأي ، شأنه إذا اختلط عليه الأمر ، يذهب يحشد الأقوال ، ولا يعطي نتيجة حاسمة .. وهذا لا يغمز جلالة قدره .. ولا يتناقض مع ثنائنا عليه .. قال رحمه الله : الاطهار من حائل ، وحائل بين رملتين ، بين جراد والاطهار ..

وقال أيضاً : قال الحفصي : حائل موضع بين اليمامة ، وبلاد باهلة ، أرض واسعة قريبة من سوفة ، وهي قارة هناك معروفة ، وحائل أيضاً ماء في بطن المروت ، من أرض يربوع ، قاله أبو عبيدة ، وأبو زياد ، وأنشد البيت المتقدم : إذا قطعنا حائلا والمروت ..... وقال أيضاً في كلامه على سوفة .. قال أبو عبيدة : سوفة موضع بالمروت ، وهي صحارى واسعة بين قفين أو شرفين غليظين ، وحائل في بطن المروت ، قال جرير .

بنو الخطفى والخيل أيام سوفة   جلوا عنكم الظلماء فانشق نورها

وفي شعر الراعي المقروء على ثعلب :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل   بقارة أهوى أو بسوفة حائل

فانظر أيها القارىء الكريم هذه الأقوال أوردها ياقوت ، وما بهـا من تغاير وامتزاز ، فمرة قال ان حائلاً بين رملتي جراد والاطهار . ومرة أبعد النجعة وقال : حائل موضع بين اليامة ، وبلاد باهلة قريبة من سوفة . اهـ .

مع أن سوفة من حائل . ومرة قال : حائل مـاء في بطن المروت من أرض يربوع عن أبي عبيدة .. فمرة حائل عنده ماء ، ومرة أرض ، ومرة هنا ، ومرة هنالك . مما يجعلنا نتحفظ فيما يذكره ياقوت هنا .

ومن هنا جاءت عبارة الأخ الجنيدل هكذا : ومن هنا يبدو أن الشيخ محمد بن بليهد — رحمه الله — اطلع على هذه الأقوال واكتفى بمـا نقله من « معجم البلدان » واتبع طريقهم في الدمج بين حائل والمروت ، ومن هنا أخذ مصدر فهمه . اهـ . ومثل هذه العبارات القلقة ، لا يمكن أن يركن إليها ، ويعدل عن أقوال العلماء المتفقة على تحديد المروت وحائل ..

أما ما ذكره ابن بليهد — رحمه الله — من شعر فيحان بن زريبان ، وإثباته ان (الحرملية) و (سوفة) من المروت فلا يقوم دليلاً قاطعاً على صحة رأيه ، فقد يذهب الشاعر لمناداة ذئب جبل أو مكان الى أرض معركة بعيدة عنه ، لشهرة المكان الذي به الذئب ، أو لاستقامة بيتـه ، أو لأن المكان مشهور بالذئاب ، أو لغير ذلك من الاغراض ..

وإذا فرضنا ان المروت يمتد مغربا حتى يحاذي الحرمليـة وسوفة مما حدى بابن زريبان أن يقول قوله هذا ... فـلا يمكن أن نفترض أن المروت يمتد بحذاء نفود السر غرباً حتى (خُف) كما هو رأي ابن بليهد ، وتبعته يا سعد مرة ، وتناقضت أخرى ..

وعلى وجه العموم فأنا يا سعد أولى بالغيرة منـك على ابن بليهـد ، فلي به صلة أدبية وشيجة ، ويعتبر في بعض الابحـاث استاذاً لي ، ولكم حظيت بمجالسه الممتعة ، واستمعت الى أحاديثه الشيّقة ، وقرأت عليه جملة من كتابه « صحيح الاخبار » في الطائف قبل طبعه ، وقرأت عليه كتابه : « ما اتلفت أسماؤه واختلفت أصقاعه » ، ووضعت مقدمته ، وهو لا يزال مخطوطـاً ،

وقلت في رثائي له : ما يحتمه الوفاء والاعتراف بالجميل والفضل .. وما هو عليه من معرفة ... ولم أزل أردد ذلك في كل مناسبة ... فلا تظن قولي عن ابن بليهد عقوقاً ولا تحاملاً ، ولا انني لا أعرف ابن بليهد.. ولكن استدراكي عليه من باب استدراك التلميذ على شيخه ، فهوّنْ عليك يا أخا العرب ، واحمل أخاك دائماً على المحمل الحسن ..

أين المروت في رأي الجنيدل ؟!

بقي أن نعرف ان الاستاذ الجنيدل خصص حلقة من نقده للمروت ، وحشد أقوال العلماء في ذلك ، وخصص جانباً لأقوال المتأخرين عن المروت، وتناول الاستاذ حمد الجاسر ، وعبيد الله بن خميس وخطّأهما .. وهذا كله مقبول لو ان الاستاذ الجنيدل جاء بقول (جهيزة) ، وقطع قول كل خطيب، وقال للقراء : هذه هي المروت ، يحدها من الشمال كذا ، ومن الجنوب كذا، ومن الشرق والغرب كذا وكذا .. بدليل كذا وكذا ، من أقوال المتقدمين، والمتأخرين .. إذاً لقلنا عفا الله عنك ، وأحسن الله اليك ، ولما قلنا انه ينطبق عليك البيت :

ولم نستفد من بحثنا طول (نقدنا) سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

فبعد هذه الرحلة الشاقّة أين المروت يا سعد ؟؟

أليس كل ما غزوت به هو معرفتك للمروت بحكم الجوار ، ومعرفة من يقطنها من البادية ، ويعرفها من الحاضرة .. هذا هو ما يمكن أن تدل به على الآخرين ، أما ما جاء في كتب المعاجم ، والمنازل والديار .. فغيرك يعرف مثلما تعرف . ولكن معرفتك هذه جاءت في ستة أسطر فقط ، هي خلاصة ما يعرفه ناس اليوم عن المروت ، على حد ما قلت . وهذا هو ما قلت كله :

المروت في معرفة عامة الناس في هذا العهد : تكاد تدرك ان ليس هناك حصر لهذه التسمية على هذا الموضع الواقع غربا من صفراء الوشم ، فهناك ناحية من جنوب الجله غربا من الحريق ، تطلق عليها هذه التسمية أيضاً ، وقد سمعت بعض البادية يسمون صحراء الحدباء الشمالية مروتاً ، وقد ورد

ذكره في أحاديثهم ، وعلى ألسنتهم وفي أشعارهم الشعبية بصيغة الجمع ، فهم يقولون : (المراريت) للصحارى المتشابهة في وصفها الجغرافي غرباً من نفود السر وشرقاً منه . ا هـ .

هذه الاسطر هي خلاصة معرفة المتأخرين للمروت في رأي الاخ الجنيدل (وخرجنا من المولد بلا حمص) !..

واذاً فان ما قلته عن المروت في « المجاز بين اليمامة والحجاز » هو الحق إن شاء الله . غير انني استدرك واتوسع في تحديدها من الناحية الجنوبية ، حتى منقطع الرمل من نفود السر جنوباً (جراد) وربما تأخذ حذاء منقطع الرمل مغربة من غير بعد على ما ورد في أقوال العلماء المتقدمة .

ولا بأس هنا أن أورد ما قاله الاصفهاني في « بلاد العرب » واصفاً خط السير من اليمامة إلى مكة ، وصفاً دقيقاً لكي تدرك صحة ما قلناه . قال الاصفهاني بعد ان وصل (الغزيز) وقد ابتدأ من حجر – الرياض – قال : ثم تجوز ذلك فترد الغزيز قال أظنه لبني نمير .. فتأخذ على رملة يقال لها : الوركة – نفود قنيفدة– فاذا جزتها وردت أهوى وأضَيْمر ماءان لبني حمان.. واهل المروت بنو حمان وهو جبل فيه مياه ومراتع ، فمنها السحامة لبني حمان وعليها طريق المنار وبناحية المروت تبراك مـاءة لبني نمير في وادي المروت لازقة بالوركة .. فاذا جزت أهوى فمن ورائها مويهة يقال لها الاسودة من شاء وردها . ثم تجوز فتعبر رملة يقال لها : جراد – نفود السر – وهي رملة عظيمة . فاذا جزت جراد في مكان من حائل يقال له الهلباء–الحدباء– وحائل فلاة واسعة فيها لقشير وباهلة ونمير وغيرهم . وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهلباء مياه لباهلة من السود .. انتهى ملخصاً .

فانظر أين وضع كلا من المروت وجراد – نفود السر – وحائل من

وصفه لتدرك حقيقة ما ذهبنا إليه . وعلى هذا يكون (الجـله) داخلاً في المروت ، وجزءاً منه .

وماذا بعـــد ؟؟

كنت قد أزمعت ان اتتبع نقد الأخ الجنيدل فقرة فقرة ، على نحو مـا سلف منذ تابع (المجاز) من الرياض حتى النهاية .. وإذا بالشقة سوف تطول في نقد النقــد ، إذا تجاوزنا وسمينا كلام الاخ الجنيدل نقـداً ، أما إذا أردنا الحقيقة فهو رحـلات يقوم بها على ميمنة الطريق وميسرته ، ليست من بحثنا في شيء .. فكما نأى إلى (ابي قتادة) و (الفاقعة) .. وما اليها وإلى (تادق) وإلى (الحمادة) واطراف (الوشوم) وإلى (المروت) .. فكأني به سوف ينـــأى إلى (السر) وإلى أطراف (الشرف) و (الشُّريف) و (العرض) و (التسرير) بروافـــده وأطرافه وإلى أطراف (الحمى) و (النير) وما هنالك ، مما لست على استعداد لبحثه ودخول في مناقشة حوله ..

وكذلك فليعذرني الاستاذ الجنيدل إذا قلت : إن النقد الذي لا يتسم بالدقة والموضوعية ، من حقه الطرح ، وعدم الاحتفال به . ولا ابعد بنقد الاستاذ الجنيدل عن هذا النوع من النقد ، فمن الشواهد السابقة ندرك هذه الظواهر في نقد الاستاذ ، وإلا فكيف يسمح ناقد لنفسه أن يقع في الأخطاء التي مرت بنا ، بدون تثبت ، وما لم نناقشه مما سوف يأتي أكثر ، ككلامه عن (السر) و (السرير) و(التسرير) وكجعله اسرة آل السكران من بني زيد[1] وهم من الوهبة من تميم ، وما أكثر ما هنالك ..

أقول : ليعذرني الاستاذ الجنيدل عن متابعة نقده ، بل وربما عن قراءته ، والسابق من نقاشي يكفي عن اللاحق ، وما أخذه القارىء مما سبق ، يعتبر نموذجاً لما سيأتي . وشكراً له على اتاحة هذه الفرصة ، وللقاريء على جميل صبره وطول متابعته .

الرياض – عبدالله بن خميس

---

(١) هذا من أوهامي أنا ، أضفته إلى المقال خطأ . (حمد الجاسر)

مِن شعراء جنوب الجزيرة:

عبد الله بن جعفر
المتوفى سنة ٧١٣ هـ

شاعر فحل من شعراء القرن السابع الهجري نُعِتَ في كتب التاريخ بأديب اليَمَنَيْن [١] ، وشاعر الدولتين [٢] ، ومع مكانته الادبية ومنزلتـه الشعرية فقد كان من مشاهير الكتّاب في عصره مما أهّله لتولي ديوان الإنشاء في عهد الملك المؤيد [٣] داود بن يوسف المظفر الرسولي الغساني .

نشأته ونسبه :

نشأ في بلدة الزّبيدية في تهامة اليمن ، واتصل في مستهل حياته بابن زكريا – أحد أمراء الإقطاعيات في تلك الجهة – فكفاه أمر المعيشة ، فتفرّغ لدراسة الادب ، حتى برع فيه ، وصار علماً من أعلامه ، واختصّ أولاً بمدح هذا الامير ، ومن أشهر قصائده فيه قصيدته التي مستهلها :

طرق النسيم بشيحه وبرنده

ولما نَبُهَ شأنه اتصل برجال الدولة الرسولية وبالأمير – داود المؤيد – وكانت جائزته السنوية في الدولة الرسولية ألف دينار ، وعندما تولى المُلْكَ المؤيدُ أناط به وظيفة كاتب الإنشاء وهي أكبر وظيفة في الدولة بعد الوزارة أما نسبه فيرجع الى قبيلة (زعل) من عك بن عدنان .

(١) اليمنين : الأسفل تعز وما يليها ، والأعلى صنعاء وما يصاقبها .

(٢) الدولتين . كناية عن عهدي الملكين المظفر وابنه .

(٣) ولاه والده امارة صنعاء سنة ٦٨٧ وظل على ولايتها الى سنة ٦٩٢ فاستدعاه والده الى عاصمتهم مدينة (تعز) ، وفي سنة ٦٩٤ أسندت اليه امارة الشحر وحضرموت كترضية له عن تولي أخيه « الاشرف » للسلطة في حياة والدهما . وقد توفي الملك الوالد وتولى الملك «الأشرف» فتقدم المؤيد من الشحر على رأس جيش أعدّه فاستولى على عدن ولحج . وفي عام ٦٩٥ قضى الملك الأشرف على معارضة أخيه المؤيد وساقه الى سجن تعز . وفي سنة ٦٩٦ توفي الملك الأشرف فخلفه المؤيد على عرش المملكة الرسولية .

مكانته الشعرية :

إذا دوسنا آثار هذا الشاعر نجده لا يقل شاعرية عن أضرابه من فحول شعراء العروبة الخالدين ، لولا ما ران على ذكره من الإهمال ، وحجب اسمه من النسيان، لانزواء جهته وعدم ذيوع أدبها في المحيط العربي العام ، يضاف الى ذلك التعصب المذهبي – بعد ذلك العهد الذي دفع كل طائفة الى عدم العناية بغير أدباء طائفتها . وابن جعفر كسلفه الشاعر ابن حمير سُنّي العقيدة ، وكذلك الدولة الرسولية – وبزوالها تم زوال خليفتها الدولة الطاهرية في اليمن لم يحظيا مع غيرهم بعناية تذكر ، وقد آن الأوان لتقدم الوعي وارتقاء الفكر العربي في كافة أنحاء بلادنا العربية للاعتزاز بذلك التراث الخالد ، وتمجيد رجاله ، والاستفادة من ذلك الارث الثمين ، والاستمتاع بذلك الفن الرفيع .

ان في شعر هذا الشاعر مميزات الشعر الحي وروعة الفن الاصيل ، من بداعة التصوير وجمال الاسلوب وقوة التعبير ، في حدود ما كان الشعر يرسمه في إشادة بالمحامد ، والتغني بالمآثر الشخصية والبطولة الفردية ووصف الجيش وتسجيل المعارك ووصف الحصون .

وفي رأيي لو كان هذا الشاعر عاش في (العراق) أو (الشام) أو (مصر) أو (المغرب) لما تأتّى لأدباء تلك الاقطار من وسائل الذيوع – لكان علماً من أعلام الأدب ونجماً لامعاً من نجوم الشعر .

هذا فيما يختص بـ (عبدالله بن جعفر) الشاعر أما فيما يختص بـ (عبدالله ابن جعفر) الذي شغل أكبر وظيفة بيانية في كتابة الإنشاء في الدولة الرسولية فهذا ما اعوزنا الوقوف عليه فلم نعثر على شيء من نثره الفني وبيانه – العالي:

شعـــره :

في سنة ٦٩٦ هـ ارتقى عرش الدولة الرسولية داود المؤيدُ خلفاً لأخيه المتوفي الملك الاشرف فتقدم الشعراء لتهنئته ومنهم الشاعر عبدالله بن جعفر بالقصيدة التي نورد منها هذه الأبيات :

أملك داود أم ملك ابن داود ؟ ما ان أقيس بكنعان ونمرود
أفي الرواق هزبرٌ تحت غابته أم الهزبر هزبر البأس والجود ؟
بين السماء وبين الأرض مزدحم من القنا والظبا والشُزبِ القود
ومن ذوائب رايات إذا رفعت حسبتها طاردات بعد مطرود
تدافع الريح ان تجتاز ساحتها طوراً، وتكمن طوراً، في الأماليد
كأن أمواج بحر الهند من زَرَدٍ تفيض ما بين موضون ومسرود

* * *

لله من طود ملك في البلاد سما وظلٌ أمن على الآفاق ممدود
ورثت دولة غسان كما ورثت أباؤك الغلب من اجدادك الصيد
نامت جفون البرايا في حماك وفي أجفان سيفك (.....)
فالأرض مشرقة، والسحب مغدقة والنبت ما بين مخضود ومنضود

* * *

كم أنعُمٌ لك ايام الخليفة لي قد كان أولُ مَسْقيٍّ بها عودي
ولي مواعيد من نعماك صادقة ومنك نعرف إنجاز المواعيد

إنه شعر غني عن الاشادة في بيانه الناصع وموسيقاه العذبة وجماله الفني الخالص .

وفي سنة ٦٩٨ هـ سار الملك المؤيد لإخضاع الثائرين بجبل (ظفار) فاذعنوا للطاعة وتسلم حصنيه المنيعين (العظيمة) و (الميقاع) فسجل لنا الشاعر تلك الغزوة بريشة الفن الخالد في هذه القصيدة الزاهية في مدح الملك المؤيد :

إرث الخلافة في يديك مشاعُ وغرار سيفك شاهد قطاعُ
شمس رأت غلب الملوك شعاعها فقلوبهم منها — تطير — شعاع
تبع (التبابع) في عناصر حِمْيَر وإلى المناقب هم له أتباع
عمرو وعمرو، ذو الجناح ومنذر والأيهان وفائش وكلاع
ماء السماء سقى منابت أصله ريا، فأورق عرقه النزاع

فلقد أعاض بيوسف يقظّان لا نكـــل ولا وكل ولا بجزاع

* * *

أسرى إلى الشرق القصي بشزب خطواتها نحو المغـــار سراع
والشمس من لمـع الحديد كليلةٌ والجوُّ من سمر اليراع يراع
وفيـــالق سالت هوادي خيلها سيل الأتِيّ ، تدافعته تـــلاع
تسري فمن زرق الأسنـة فوقهـا نارٌ ، ومن لمع السيوف شعاع
غسلت مياه سيوفها صِبْغَ الدجى فتشابـه الإصباح والإهزاع
ينحو بها مبدا النجوم طوالعـــاً ملك مطيـعٌ للاله مطـــاع
ليس (العظيمة) بالعظيمة عند من لسيوفه ميقاعها (ميقـــاع)

* * *

أمؤيد الاسلام (داود) الذي للعالمـــين بفضله اجمـــاع
أهويت بالسيف العداة كما هوى (وَدٌّ) بسيف (محمد)و(سُواعُ)
الله اعطاك السعادة كلهـــا ماذا يضر وربك النفـاع ؟

* * *

وليقف القـارىء الكريم وقفة قصيرة على هذا المقطع – الاوسط – من القصيدة فسيجده معنا يشع بالجمال اللفظي ، والتعبير الفني ، والشحنة المعنوية، والجرس الموسيقي ، مع ومضة من الابتكار في نحو قوله (غسلت مياه) الخ وجمال التشبيه – قبله – في قوله (وفيـالق سالت هوادي خيلها) وقوله (تسري فمن لمع الأسنة فوقها) وندع الحكم فيما عدا ذلك لذوق القارىءالكريم:

وفي سنة ٧٠٠ تقدم الركب الملكي من (تَعِزّ) إلى مدينة زبيد ومنها نهض إلى وادي سُرْدُد ودخل بلدة (المَهْجم) في الف فـارس وهي قوة ترتج لها الأرض – في ذلك التاريخ – فقال الشاعر قصيدته هذه :

لو كان يقدر أن يكون الزائرا لك (سُرْدُدٌ) لمشى إليك مبادرا
منـع الجماد جموده أن يعتري عتبات بابك وارداً أوْ صادرا

وتمرغت أرض على الأرض التي فيها مقامك أوجها ومحاجرا
شرفت (مَهْجَم) سردُد فتشرفت ورفعتها فوق النّجوم مفاخرا

* * *

أوردتها رجراجـةً جَفْنِيَّةً خضراء طامية تفيض عساكرا
بحرٌ إذا ما الريح سارت فوقـه جعلت لسلكها البنود قناطرا
شرعت صدور الخيل في حافاته حتى حسبت الفلك فيه مواخرا
أذكرته مغدي أبيك (١) (لمكة) وانابة منـه فأصبح ذاكرا
وكفاه فخراً ان يمس قساطلا لركابكم ، ومناسماً وحوافرا
حظٌ يكون بـه تراب بلاده مسكاً ،وبرُغْمُه يعود جواهرا

* * *

عجباً لحلمك في الخلائق عادلا ولحلم كفك في الخزائن خاطرا
ولحـد سيفك أين غاية حـده إذ ليس يبرح في الرقاب مسافرا
نارٌ بقبضة راحـة فيّاضـة كالبرق يصطحب الغمام الماطرا
ولقـد تعدى في الطلا أفعاله ضرباً ، وكن لها الفتوح مصادرا

* * *

ثبتتْ أصول الملك بين بيوتكم فسقيتموه سُؤْدُداً ومـآثرا
فحكت أواخركم بذاك أوائلا وحكت أوائلكم بذاك أواخرا
فبقيت – يا ركن الخلافة – دائما أبداً ، وكان لك المهيمن ناصرا

وقال يمدح الملك المؤيد وقد انشدها عنه الشيخ محمد بن خطاب في حفل عيد النحر الذي احتفل به الملك في مدينة (عدن) في سنة ٦٩٧ هـ .

---

(١) إشارة إلى حج أبيه الملك المظفر سنـــة ٦٥٩ تقول بعض المصادر : إنه حج في الف فارس ويباريه في البحر اسطول ومراكب تحمل المؤن وقد أسهب في وصف ابهة ذلك الموكب كل من الديْبَع والخزرجي .

أعلمت من قــاد الجبال خيولا   وأفاض من لمع السيوف سيولا ؟
وأمــاج بحراً من دلاص زاخر   جرّت أسود الغاب منه ذيولا ؟
ومن القسي أهلة مــا ينقضي   منها الخضاب من النصول نصولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت   قرباً ، كما يلقى الخليل خليلا
فالغيث لا يلقي الطريق إلى الثرى   والريــح منه لا تطيق دُخولا
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً   وتجاوبت فيها الرعود صهيــلا
طلعت اسنتهــا نجوماً في السما   فتبادرت عنهــا النجوم افولا
تركت ديار الملحدين طلولا   ممــا أبيــح بهــا دماً مطلولا
والأرض ترجف تحتها منأفكل   والجوّ يسحب شلوه مأكولا
حطمت جحافلها (الجحافل) حطمة   . . . .
طلبوا الفرار فمدّ أشطانَ القنا   فأعــاد معقلهم بــه معقـولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر   في النــاس عاد نعامــة إجْفِيلا
اين الفرار ولا فرار وبعــدهم   من ليس يــترك للفرار سبيــلا
ملك إذا هــاجت هوائج بأسه   ترك العزيز من المـلوك ذليــلا
يقفو المظفر والشهيــد مآثرا   وعلي ، فخراً في الملوك أثيلا

* * *

وافى إلى (عدن) كمقدم جده   سيف بن ذي يزن الكريم اصولا
بحرٌ إلى بحر يسير بمثــله   والبحر أحقر أن يكون مثيلا
فتطايرت أمــواج لجتــه إلى   (عيذاب) ينذر دجلة والنيلا
وتقبلت عدن جبينك والتقت   في ملتقــاه سعــادة وقبــولا
فالشمس تحسد تاجك المعقود وال   إكليل ، يحسد ذلك الإكيــلا
لو يستطيـع الثغر كان مقبّلا   بالثغر منه ركابكم تقبيــلا
إن جاورت هــذي الشمائل بحره   جعلت مذاق الماء منه شَمُولا
اليوم قــد وهب الإله لخلقــه   ظلاً على الأقطــار منه ظليلا

* * *

اِهزَبْر َغسانِ بن قحطان الذي يدعوه في النسب القبيل قبيلا
في كل يوم لا برحت مقابـلا فتحـاً من الملك الجليل جليلا
في حيث مارفعت بنودك ُتزّلَتْ آيات نصرك فوقهـا تنزيـلا
لولا العوائق والعـلائق لم اعب عن ظل بابك بكرة واصيـلا
ومن التكرم والتفضل لم يزل عذري إلى صدقاتكم مقبولا
لا زال توفيق الإله مقارنـاً لك حيث كنت إقامـة ورحيلا

* * *

وقال يهنيء الملك المؤيد بعيد النحر سنة ٧٠١ هـ وقـد أرسلها اليه إلى معسكره في جهة جبل ظفار من اعمـال اليمن الأعلى لقمع بعض الثائرين من أصحاب الحصون المنيعة :

فعلت بمهجتك النوى أفعالهـا لما حدت تلك الحداة جمالهـا
متحملا ثقل الهوى لـما رآى عيس الأحبّةِ حملت أثقالها

إلى أن قال :

يامُنْضِي البكرات في طلب الغنى مـا ان تراقب أينَهـا وكلالها
إن لم تشدّ رحالها يوماً إلى سَوْح الهِزَبرِ ، فلا تشد رحالها
ساد الملوك فلا تكون مثاله أبد الزمان ولا يكون مثالها
ودعت بداود الهداية حينها عثرت ، فقال لها : لَـعاً وأقالها
رحوى الخلافة لم تكن إلاّ له طول الزمان ولم يكن إلاّ لها
ملك إذا شن الجياد لغـارة جعل الخدود من الملوك نعالها
وتذكروا بالمنجنيق عليـهم يوم القيامة إذْ رأوْا أهوالها
فرموا اليها بالحصون مخافة من رميها ، ومن القِسِيّ نبالها
يا بْنَ المظفر يا هزبر الدين يا داود ، منتخب الورى مفضالها
لا زلت تقسم للمرجي فضلةً من راحتيك ، وللعِدَى آجالها

وقال مادحاً الملك المؤيد ، وأنشدها بين يديه في يوم عيد الفطر بمدينة تعز سنة ٧٠٢ هـ :

أثمارُ هذا القضيب الرطب ألوان ... كرمٌ وطلعٌ وتفاحٌ ورمانُ
أهكذا الفضة البيضاء قد نبتت ... غصن وزهر بها في الخد عقيان
ظبي مباسمه درٌ وريقته ... خمرٌ ، وأنفاسُه روحٌ وريحان
وأضرم الحسن في أمواج وجنته ... ناراً لها مهج الأكباد قربان
عجبت إذ نبت المرجان في فمه ... وقبلها لم يكن في العذب مرجان
هذي دموعي بوجدي فيك شاهدة ... ينبيك بالشأن ما يجري به الشان
ما اختص ناظرك الساجي لأنفسنا ... بفتنة كُلُّ شيءٍ منك فتّان
لا تمش بالصب في طرق الهوى مرحاً ... واقصد كما قال في فحواه (لقمان)
أتستبيح جهاراً قتل أنفسنا ... والأرض فيها هزبر الدين سلطان؟
سيف من الله لولا حدّه عُبِدَت ... مع المهيمن أصنام وأوثان
ملك مكارمه غيث ، ونجدته ... غوث ، وأيامه أمْنٌ وإيمان
في سلمه لشديد السلم مَدْرَأةٌ ... يرضي الإله، وحد السيف غضبان
مستحسنات صفات الناس قد جمعت ... فيه، فدعهم فأهل الأرض إنسان
لم لا ويوسف شمس الدين منبته ... ومنبت الأصل قابوس ونعمان ؟
وتبّع الأكبر السامي وذو يزن ... عمٌّ، وبيتك (صرواح) و(غمدان)
تلك المعاهد من قحطان إن عدموا ... فللمؤيد ، عادوا مثل ما كانوا
كأنما الشهب من ظلمائه قنص ... تخطفته من الرايات عقبان
كأن روس رماحٍ فوقها رفعت ... منها على الجوّ، أحواض وغُدران
فيها القنا شهبٌ ، والجوّ ملتهب ... والسيف مختطب، والقوس مرنان
كأن حصن (ظفار) تحت لجتها ... من الهلاك ابن نوح وهي طوفان
حتى لظنوا بأن الأرض قد طويت ... وأن موضعها خيل وفرسان
مطاعة كلما نادت برفع يدٍ ... تبادرت نحوها دُوْرٌ وحيطان
حتى إذا طحنتهم تحت كلكلها ... شهباء منها يطيش الإنس والجان
تشفعوا بكتاب الله وارتفعت ... أمامه صحفٌ فيهن قرآن

فردّ عنهم حياء، من كرامتها زاكي الأصول كريم الخيم يقظان
ومَنّ (داود) في الأسرى فأطلقهم جودا، وإنْ هزبر الدين منّان
ووائق (القنّة) الشماء مشرقة على (ظفار) بها جيشٌ وبنيان
كمثل ( )[1] نون الأرض تحرسه من أن يميل له بالأرض أركان

* * *

ما ضَرّ داود مالٌ ظل ينفقه داود بحرٌ بـه المرجان مجان
ما ضاع مـا ضيعوه في رفاقتهم لقد وقفت لهم في حيث ما كانوا..
أنت المليك الذي في عصره أمنت من عصرهن عناقيد وقنوان
وطهر الله أرضاً أنت مالكها من أن يكون بها كفر وعصيان
جددت في مشترى عنقي لكم شرفاً و(للجميل[2]) من المعروف أثمان
سقيت غرسي بإنعام تجدده ومن سجاياك الإحسان إحسان
هنئت يا ملك اليمن ابن مالكهـا ثلاثة هـن للأفراح صنوان
نصرٌ وجيشٌ قدومٌ جاء بعدهما عيد بوجهك من داود مزدان
وفي الليالي فنون من سعادتكم إن الليالي لمـا تهواه خزان
فلا برحت على مَرّ الزمان كذا ولا خلت منك أوقات وأحيان

* * *

وفي النصف الأول من عام ٧٠٦ نجم ثائر في جهة (وصاب) يدعى (ابن صهيب) فاستولى على حصن (النشابة) وهو من الحصون المنيعة، فسار الملك بنفسه على رأس جيشه فأذعن الثائر وسلم الحصن فقال الشاعر في ذلك هذه القصيدة:

ترك الجبال الشم قاعـاً صفصفا من وعده ووعيده مـا أخلفا

---

(١) كلمة غير مفهومة.
(٢) في الأصل « وللعبيد » وهي كلمة نابية في قاموس الإنسانية فابدلناها بكلمة « وللجميل » والتنبيه.

متقاضياً ميراثه مستشهداً سمر العوالي والصفيحَ المُرْهَفا
تغفو عيون الطامعين نفوسهم عن نيل ما طلبوا وكلا ما غَفَا
جمع الجيوش إلى المغاور لو أتى للحرب قبل جيوشه فَرْداً كفى
لا يستقر الدارعون لبطشه حسب الرماد بعاصف أن ينسفا
دأب المؤيد أن يسل على العدى سيفاً ، وحسب رقابهم أن تقطفا
ترضى ملوك الأرض أيسر حقها منه ، وتفرح من وفاه باللفا
العاقد الرايات لم يك زاجراً طيراً بسرحها ولا متعيّفا
بجبائس للحرب ليس حبائسا تمسي وتصبح في المراكز عكفا
قامت عقاب المنجنيق وراءها فأشار مولانا بأن تتخلفا
جمت جناحيها ومدت عنقها للسير في أثر الخميس وترحفا
نَوْءٌ يجلجل من زبيد رعده الـ ساري فصاب (وصاب) غيثاً وكفا
حتى إذا ما السيف بالغ خطوه فيها وحثحثه السياق فأوجفا
وجرت سيول من دم لو أنها ماءٌ لكان ربيعهم والصيّفا
ورأوا من النيران حول قلاعهم عدد الكواكب في السماء ونيفا
فتوجسوا أنّ الطبول زلازلٌ كادت بهم وبطورهم أن تخسفا
طرحوا نفوسهم على أبوابه فعفا ، ومثل أبي المظفّر من عفا
هربوا إليه منه والتجأوا به ولكم أجار الهارب المتخوفا
فأقال عثرتهم وعاد بهم إلى ما أورثته بنو الرسول من الوفا
وأتت عقائل في الحجاب فجاورت منه الكريم الطاهر المتعففا
من لم يُمَدّ إلى الخنا طرفاً ولم يسحب إلى طرق الفواحش مطرفا
يدعون : يا سلطان عفواً بالرضا!! فأجابهم وأثابهم وتعطفا

قال المؤرخ الخزرجي : (في سنة ٧٠٨ هـ كملت عمارة القصر (الملكي) المسمى بـ (المعقلي) في (ثعبات) وهو قصر قصرت المحاسن في نواحيه ، واطلعت الإجادة في أفق معاليه) إلى أن يقول : (أجمع أرباب اختراق

الآفاق أنه لا مثيل له في شام ولا عراق ، وانهم لم يشاهدوا مثله أبدا ، وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة ، له أربعة مناظر بأربعة رواشين ليس فيه إلا رخام وذهب ، وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً ، على حافاتها طيور ووحوش من صفر أصفر ترمي الماء من أفواهها ، وفي وسط البركة فوارة ترمي الماء عالياً ، فيبلغ مدى بعيداً ، وقبلته شاذروان بعيد المدى ، يصب ماؤه إلى البركة كأنه لوح من بلور ، لا يمكن التعبير عنه بغير هذا ، وفي المجلس شبابيك تفضي إلى بستان عجيب المنظر حسن المخبر . وكانت إقامة الصناع في عمله سبع سنين، سمعت من يحكي ممن أدرك أيام عمارته انه كان يطلع إليه كل يوم نحو من سبعين بغل تحمل الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ، ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور ، خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من أتباعهم ، وهذا عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم ، ولما تمت عمارته أمر الملك بإقامة (حفل) دعي إليه أعيان الناس وعامتهم ، وجلس الملك يشرف عليهم من الطبقة الثانية وقام الشعراء بإنشاد قصائدهم ومنهم عبد الباقي بن عبد المجيد[1]، وعبدالله بن جعفر الذي ألقى قصيدته هذه :

هنئت قصر على كل القصور سما ... يا حبذا برج سعد فيه بدر سما
بنيتــه مستجداً تستجدّ بـــه ... نصرا من الله قد أجرى به القلما
ويلتقي الأمــن واليمن المقيم بـه ... والخلد والعز والأفراح والنعما
هــل في الخلافة آيات تشاهدها ... وقوف سقه ، ولا شيء به دعما

---

(١) سننشر بحثاً خاصاً عن شخصية هــذا المؤرخ الشاعر الكاتب والذي عُدّ من أعيان الكتاب في عصره مثل القاضي الفاضل وضياء الدين بن الأثير ومحي الدين بن الظاهر وغيرهم ، مع تحقيق يثبت انه عدني المولد والمنشأ بخلاف ما أجمع عليه مترجموه . مثــل النويري في « نهــاية الارب » ، والقلقشندي في « صبح الأعشى » ، وابن حجر في « الدرر الكامنة » ، والمقريزي في « السلوك » ، وابن شــاكر في « فوات الوفيات » ، وابن العماد الحنبــلي في « شذرات الذهب » وغيرهم بأنه مكي المولد والمنشأ ، معتمدين في ذلك على مصدر تاريخي موثوق ، وسنخص مجلتنا « العرب » بهذا البحث الوافي .

وأبصر التـــبر مبذولاً لطالبه فنال من دونه ذوباً بـه رقما
بين الحدائق والأعناب قد نشرت منها ثياب تلفّ الوهد والأكما
كأنما عاد (غمدان) كمبدئه وأظهر الله من أستاره إرما
كأن أرقعة الجوزاء روشنه والحركتان ، كأن الفرقدين هما
بـــين الشبيهين شاذروان قبلته هما الجناحان يهو القصر بينهما
تظل منه صفوف المـاء خاضعة مؤدّيات لسلطان الورى خدما
إلى سواقي رخامٍ فوق فسقية فاعجب لجامد ماء فيه ذائب ما
وللخورنق حين (المعقلي) بـدا كمثل ضدّ إذا قابلته انهزما
لم يستطع لوقوف في مناظرة أمـــامه فتولى عنه محتشما
كأنه رب جيش قـد طلعت له ففرّ عنك بروح منـــه مغتنما
فحله في سعود في علُوٍّ يـــد في رفعة ، في بقاءٍ ليس منصرما
في حقن كل دِما ، أو كشف كل غما أو ريّ كل ظما ، أو منع كل حما
أحييت من يوسف السامي مآثره مذ وجدت ، بحمد الله ما عدما

ورفع للملك المؤيد يعزيه بوفاة ابنه (المظفر حسن) :

أمولى المـــلوك وسلطانهـا ويا من له طـــاعة تفترض
فـلا ملك ناقـص عـقـده ولا ملك عـاقد مـا نقض
ولا عوض منك في ذا الورى وكل الورى أنت منهم عوض

هذا كل ما عثرنا عليه من شعر هذا الشاعر الفحل قدمناه في هذه الكلمة الموجزة ؛ وختاماً نورد مـا جاء في كتب تاريخ جنوب الجزيرة عن حياته ووفاته . قال الجندي : (كان ابن جعفر شاعراً فاضلاً ذا دين رصين لم يحك عنه ما يشين من شرب وغيره ، وصولاً لرحمه قائماً بأصحابه صار في الدولة المؤيدية كاتب الإنشاء) .. إلى أن قال : (أهدى إليه والدي ديوان المعجاج وكتب أبياتاً وبعثني بها وبالديوان فعاد جوابه على الأبيات بأبيات منها :

أهلاً بنعمة سيد الفضـلاء وبمـا يقدم من يـد بيضاء
ما إنْ سمعت ولا رأيت كمنعم أهدى الجواهر أوّل الإهـداء

الربان أحمد بن ماجد

[دفـــاع وتقيم]

- ٢ -

واسترعى انتباهه ان سكان سفالة من السود ، كسكان غينيا ، فتصورهما بلداً واحدا [1] ، وقدر ان دياز ورفاقه الذي كانوا يبحرون وقتئـــذ نحو الجنوب على مقربة من السواحل الافريقية الغربية سيصلون الى سفالة إذا

وقال حسين الأهدل في كتابه « تحفة الزمن » : (هو أبو محمد عبد الله ابن علي بن جعفر شاعر اليمنين وأديب الدولتين) . وأورد المؤرخ الخزرجي في كتابه « العقود اللؤلؤية » خبر وفاته فقال : (وفي هذه السنة – يقصد سنة ٧١٣ – توفي الأديب الفاضل أديب اليمنين وشاعر الدولتين ، وكان شاعراً فصيحا ، بارعاً فاضلاً ظريفاً بليغاً وقد أوردنا له في كتابنا هذا من شعره ما فيه دليل على فضله؛ وكان ذا دين رصين لم يحك عنه شيء يشين دينه ولا عرضه ..) الـخ .

وقد أشار غير واحد إلى أن له ديواناً ، وإنمـــا يظهر أنه الآن غير موجود .

جازان　　　　محمد بن أحمد العقيلي

---

(١) يحاول كوفلهام أن يتظاهر بالذكاء والشطارة ، فيزعم انه اهتدى الى ان غينيا وسفالة بلداً واحداً من كون سكانها معاً من السود . ان سكان جميع السواحل الافريقية التي زارها ، هم من السود . فلماذا لا تكون تلك السواحل جميعها وغينيا بلداً واحداً ، طالما وحدة اللون تحتم وحدة البلاد ؟ لقد عرف هذا الجاسوس في سفالة بوجود طريق بحرية الى السواحل الافريقية فادعى انه توصل الى تلك المعرفة بذكائه وألمعيته ؛ والقصد من هذا الادعـــاء واضح – وهو الحظوة في عيني سيده .

واصلوا سيرهم بمحاذاة السواحل ؛ وبعدها تصبح الطريق مفتوحة أمامهم الى الهند .

وبعد أن درس الوضع التجاري في تلك المناطق ، قرر أن يضع حداً لمغامراته ، الى أن يتيسر له إبلاغ المعلومات الثمينة التي حصل عليها الى سيده ملك البرتغال . فعاد إلى زيلع ومنها الى عدن فالطور والقاهرة ،حيث علم بموت بافيا قبل زمن قصير .

وبينما كان يتأهب للعودة الى البرتغال ، وافاه من قبل الملك حنا رسولان يهوديان ، هما الحاخام ابراهيم البيخي ، والإسكافي يوسف الميجي . وكان قد سبقا لهما أن زارا فارس وبغداد ، وأبلغا ملك البرتغال بما شاهداه في جزيرة هرمز من التوابل والنفائس الثمينة ، وقدّما اليه وصفاً للبلاد العربية في السواحل الافريقية الشرقية الجنوبية ، وزعما ان سفناً عربية طوّحت بها الرياح ، فاجتازت رأس الرجاء الصالح ؛ وانها عندما عادت ذكرت ان ذلك الرأس يتجه عند طرفه الغربي ، نحو الشمال (٢) . فأمرهما الملك بالعودة الى هرمز ، لموافاته بالمزيد من المعلومات . وقد سلمها كتاباً لكوفلهام ، يعرب فيه عن أمله في أن يكون وزميله بافيا ، قد وفقا الى معرفة برستر جون ، ويطلب منهما أن يعودا في الحال الى البرتغال ، إذا كانا قد تمكنا من إتمام تلك المهمة ، وإلا فعليهما أن يواصلا السعي للوصول الى معرفته على أن يبعثا مع الإسكافي اليهودي بتقرير عما توصلا اليه .

وقرر كوفلهام أن يصطحب الحاخام ابراهيم الى هرمز . ولما كان يعتقد ان برثلميو دياز ما يزال في رحلته يفتش عن طريق الى الهند ، فقد طلب من الملك إبلاغه الرسالة التالية :

« إذا واصلت السير جنوباً ، فلا بد أن تصل الى طرف القارة . وعندما تصل الى المحيط الهندي ، اطلب من رجالك أن يسألوا عن سفالة وجزيرة

(٢) Sir Harry H. Johnston , A history of the Colanization of Africa by Aliens Races, p. 81-2n.

القمر ، فستجدون ثمة من الربابنة من يدلكم على الطريق الى الهند » .

وسافر كوفلهام والحاخام ابراهيم الى هرمز . ومنهـا إلى بغداد وأماكن كثيرة أخرى ، سعياً وراء المعلومات . لقد مضى على كوفلهام حـتى الآن ما يقرب من ثلاث سنوات منذ غادر البرتغال ، ومـا يزال برستر جون ، لغزاً مبهما بالنسبة اليه ، فقرر أن يرسل الحاخام الى البرتغـال بتقرير عن أسفاره الأخيرة ، وأن يذهب بنفسه إلى الحبشة ، ليرى ما إذا كان امبراطورهـا هو برسترجون أم لا . فتوجه أولاً إلى بيت المقدس ، ثم الى سيناء ، وركب البحر في الطور الى عدن ، وزار في طريقه مكـة والمدينة ، ووصل أخيراً إلى زيلع ، حيث بلغه ان النجاشي كان في ذلك الوقت على مقربة من الساحل ، فتوجّه اليه . ولكننا لن نقتفي آثاره في الحبشة ، ويكفي أن نـذكر أن أباطرتها احتجزوه فيها طيلة حياته ، عزيزاً مكرّماً حيناً ، وذليـلا مهاناً حيناً آخر ، فقد أدركوا حقيقته منذ اللحظة الأولى .

لقد كانت لجهوده وجهود زملائه الآخرين ، نتائـج عظيمة الأثر في تاريخ العالم . فقد استبانت معالم الطريق البحري إلى الهند ، نتيجة للتقارير الـتي رفعوها عن الهند والبلاد العربية وافريقية الشرقية ، واتضح انـه من الممكن أن تصل السفن البرتغالية إلى الهند إذا واصلت تطوافها بالسواحل الافريقية حتى تصل إلى سفالة : حيث يتسنى لها الحصول على الأدلاء الذين يعرفون بقية الطريق معرفة تامة . ولكن البرتغال ترددت طويـلاً في القيـام بتلك الخطوة الحاسمة ، بعد ما أبداه ملكها حنا الثاني ، من رغبة ملحة في تحقيق ذلك الهدف . فهل قنعت بما أخذ يتدفق على خزائنها من ثراء ، نتيـجة لما كانت تغتصبه حملات النهب والسلب التي كانت تجرّدها على السواحل الافريقيـة لاقتنـاص « الذهب الأسود » ، واغتصاب الذهب الاحمر ؟ أم كان ترددها هذا لاعتبارات أخرى سياسية وعسكرية ؟

كولمبوس يكتشف اميركا :

لفتت كشوف البرتغال أنظار العالم الى هذا المنبع الهائل من منابـع الثروة

خزائنه ، إذا هو أنفذ الحملة التي كان سلفه الملك حنا الثاني يزمع تجريدها إلى الشرق ، شريطة أن يكل قيادتهـــا إلى من تتوفر فيه شروط معينة . ويقول مؤرخو البرتغال : ان زاكوت لم يسم من كان يرشحه للقيادة . ومع ذلك فقد وقع اختيار الملك بصورة غامضة على فاسكو دي جاما ، تلميذ زاكوت بالذات . والمرء لا يملك إلا أن يلاحظ تكالب اليهـــود على حبك المؤامرات ضد العرب والمسلمين، والتحريض على شن الحرب عليهم عن طريق التجسس والتنجيم وغير ذلك من وسائل الوقيعة والدس ، حـتى في ذلك العهد البعيد .

إعداد الحملة وإنفاذها :

تألفت الحملة من أربع سفن : ثلاث منها تم بناؤها لتلك الحملة خصيصاً ، تحت إشراف برثلميو دياز،واختيرت الرابعة من بين السفن التجارية لمؤن الحملة . واختير رجال الحملة بعناية فائقة ، وهيئوا تهيئة خاصة . وكان بعضهم ممن صحبوا برثلميو دياز إلى رأس الرجاء الصالح، وسلحت السفن تسليحاً جيداً، وجهزت تجهيزاً تاماً يكفي الحملة ثلاث سنوات . ودرب زاكوت اليهودي ربابنة السفن ومعاونيهم على استعمال الاسطرلاب، وأعطي لكل ربان خريطة كبيرة تحتوي على خطوط ملونة لمعرفة اتجاه الرياح وأسمائها .

وحصل فاسكو دي جاما على نسخة من جغرافية بتولمي ، ومقتطفات من رحلات الإيطاليين ، ونسخة من ترجمة ابنبطوطة وغيره من الرحالين العرب. كما حصل كذلك على نسخة من خريطة فرا مورو ، وعلى نسخة من تقارير الجاسوس البرتغالي كوفلهام عن رحلاته في الشرق والخرائط الـتي وضعها للسواحل التي زارها .

وقبل الموعد المحدد لإقلاع الحملة بيوم واحد ، خطب الملك في قادتهـا ، وذكرهم بما ينتظره منهم من العمل على نشر الدين المسيحي ، كما ذكرهم أن من واجبهم في الوقت ذاته البحث عن أحسن السبل للحصول على ثروات الشرق وخيراته ، واستشهد بماركو بولو عما في الشرق من ثروة وغنى ، وعزا إلى تلك الخيرات ما تتمتع به الموانيء الإيطالية ، وخاصة البندقية ،

من القوة والصولة . وأوضح بكل جلاء أن الجمهوريات الإيطالية مدينة برخائها جميعه إلى تجارة البهارات .

قرصنة وغطرسة :

وأقلعت الحملة في ٩ يوليو سنة ١٤٩٧ م ، وبعد أربعة أشهر ألقت مراسيها في خليج سانت هيلانة في جنوب افريقية ، بعد أن طافت برأس الرجاء الصالح ، ثم مضت تتنقل بين السواحل الافريقية حتى طوت أشرعتها في ميناء موزمبيق في أوائل مارس سنة ١٤٩٨ م ، وكانت أثناء ذلك تمارس القرصنة ضد السفن الوطنية ، ومع ذلك ، فحينما اقتربت من المدينة استقبلت بالترحاب والتكريم ، واقترب عدد من الزوارق الأهلية من السفن البرتغالية ، وصعد إليها عدد من الرجال ، وتناولوا ما قدم إليهم من طعام وشراب .

غير أن هذا الجو الودي ، سرعان ما انقلب إلى ضده . فعلى الرغم من الاستقبالات الحافلة التي لقيتها السفن البرتغالية في أغلب الأماكن التي زارتها ، والصلات الودية التي حاول السلاطين الوطنيون عقدها مع رجال الحملة وقادتها ، ومبادرتهم إلى تقديم المؤن والخدمات اليها ، وتلبية جميع طلباتها ؛ وهي تصرفات عادية وطبيعية ، يعرفها كل من له صلة بمثل هذه المجتمعات الشرقية ؛ نقول : على الرغم من كل ما تكشفت عنه الطبيعة الشرقية من طيب وكرم وحفاوة بالغة بالضيف الغريب ، واستعداد لتقديم كافة المساعدات الممكنة إليه ، فإن معاملة البرتغاليين للوطنيين اتسمت بالتعالي والغطرسة . وكانت تصرفاتهم تجاه السلاطين مشوبة بكثير من الشكوك التي كانت بطبيعة الحال تولد شكوكاً مماثلة لدى الوطنيين في رجال الحملة وأهدافها . ولذلك فقد كانت زيارات البرتغاليين للموانيء الافريقية تنتهي دائماً إلى صدام مسلح بينهم وبين السكان . وكان الارهاب سلاح البرتغاليين المفضل لإرغام الوطنيين على تنفيذ رغباتهم الجائرة ، ومطالبهم الشاذة ، فلم تسلم ميناء واحدة من الموانيء التي نكبت بزياراتهم لها من قرصنتهم ، ومحاولتهم تطبيق أساليب ديوان التفتيش على سكانها ، كجلد من يقع من أهلها في أيديهم لأتفه الاسباب ، وصب الزيت المغلي على أجسادهم ، لحملهم على الاعتراف بمؤامرات وهمية كان

البرتغاليون يتصورون الوطنيين يحوكونها ضدهم . حتى ملندي الـتي فتحت ذراعيها لهم منذ اللحظة الأولى ووضع سلطانها جميع مواردها تحت تصرفهم، نكاية بسلطان ممباسة ، لمـــا بينهما من عداء مستحكم ، لم تسلم من شكوكهم السوداء ، وتصرفاتهم الجائرة . لقـــد أبى فاسكودى جاما أن يلبي دعوة سلطانها لزيارة قصره ، كيما يتمكن أبوه المقعد الذي كان شديد الرغبـة في رؤية دي جاما ، من تحقيق تلك الرغبة . ولما أبدى السلطان استعداده لوضع نفسه واولاده رهائن عند البرتغاليين ، حتى يعود دي جاما من القصر، رفض فاسكو هذا العرض ، متذرعاً بأن سيده ملك البرتغال حرم عليه النزول إلى البر مهما كانت الأسباب . وحينما تأخر السلطان في ارسال ربانين كان قد وعد دي جاما بهما ليدلاه على الطريق إلى الهند ، انتهز دي جاما زيارة احد امناء السلطان له على ظهر سفينتـــه ، فأمر بالقاء القبض عليه ، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن ارسل السلطان اليه رباناً من الهنود .

وتحقق الهدف :

واقلعت الحملة البرتغالية منملندي في ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨ م تحت ارشاد الربانين الهنديين ، وأحدهمـــا يدعى المعلم كانا ، أو كانا كا ، وهو مسلم من كجرات [1]، وفي ليلة الـ ٢٨ من مايو القت مراسيها على مقربة من كليكوت.

يقول الاستاذ بانيكار : ولسنا في حاجـة الى اطالة الحديث عن رحلة دي جاما . لقد توفرت له معونة الملاحين والبحارة الذين تم تدريبهم في مدرسة هنري الكبرى ، فكانوا على معرفة بالبحر حتى رأس الرجاء الصالح . أمـا عن الساحل الافريقي الشرقي ، فان الرحلة حوله حتى موزمبيق لم تكن تنطوي على صعوبات تذكر . وقد تولى ارشادفاسكوديجاما إلى عبور المحيط الهندي ربان هندي ، وضعه تحت تصرفه ملك ملندى . وعلينا ان نتذكر ان المحيط الهندي ومن ضمنه الساحل الافريقي كله كان قد تم اكتشافه ، قبل قرون ، على أيدي الملاحين الهنود ، وكانت السفن الهندية ، ترتاد الموانيء

---

(١) الروايات البرتغالية متضاربة في عدد الربابنة الذين رافقوا دي جاما من ملندي إلى الهند ، وهل كانوا واحداً ام اثنين ؟

الافريقية ، وتعرف مدغشقر بصورة مؤكدة . أما هل طافت برأس الرجاء الصالح وارتادت سواحله الغربية ، فأمر لا نعرفه على التحقيق . ويذكر هدسن انه قيل لكوفلهام : ان في تلك البحار (أي المحيط الهندي) ثمة بعض العلم عن وجود منفذ إلى البحار الغربية ، لأن العلماء المذكورين ، قالوا انهم وجدوا بعض الذكر لتلك المسألة . ويزيد هذه المسألة بياناً بإشارته إلى خرائط فرا مورو .

ان لدى فرا مورو رواية عن رحلتين من الهند مرتا بطرف افريقية الجنوبي، وهو يسمى الرأس الجنوبي باسم « دياب » ، ويقول ان سفينة هندية [٢] جرفتها العواصف حوالي سنة ١٤٢٠ م إلى هذه المنطقة ، فاستمرت في طريقها غرباً مدة أربعين يوماً تقريباً ، قطعت خلالها الفي ميل دون أن تبلغ اليابسة. وكذلك فان فرا مورو تحدث بنفسه مع احد الثقات ، فأخبره أنه أبحر من الهند ، وجاوز سفالة ، إلى مكان يدعى جاربين Garbin على الشاطيء الافريقي الغربي . وعلى هذا ، فان المحيط الهندي بحر قد تم ارتياده ،وعرفت مسالكه ، وأن وصول دي جاما الى كليكوت ، كعمل باهر ، لا يمكن أن يضاهي ما حققه دياز الذي بلغ رأس الرجاء الصالح . ومع ذلك فانه تحقيق للحلم العظيم ، وتتويج لما تم انجازه خلال سبعين سنة [١] .

* * *

(٣) احمد بن ماجد

ما صلته بالبرتغاليين ؟

بسطنا القول فيما سلف عن قصة وصول البرتغاليين إلى الهند . فما صلة احمد بن ماجد بها ؟

---

(٢) كراتشكوفسكي يؤكد في تاريخ الادب الجغرافي العربي ص ٥٦٢ ان السفينة كانت عربية.
(١) K, M, panikkar, Asia and Wester Dominance, pp. 32-33

لا صلة له بها البتة ، اللهم الا ما يقال من « أنه هو نفسه الربان الذي قاد سفينة فاسكودي جاما البرتغالي ، من ساحل افريقيا الشرقي الى الهند ، لأول مرة عام ١٤٩٨ م » . فما صحة هذا القول ؟

الارضية التاريخية :

١ – لم يأت وصول البرتغاليين إلى الهند عن طريق الصدفـة ، وانما جاء نتيجة لجهود متواصلة استمرت اكثر من سبعين سنة من الزمن ، كما مر بنا . وكانوا حينما وصلوا إلى افريقية الشرقية لأول مرة ، على بينة من أمرهم ، ويعرفون أن أي ربان من عشرات الربابنة الذين يقطعون المحيط الهندي سنوياً ، ما بين السواحل الافريقية والسواحل الهندية ، قادر على قيادتهم إلى الهند ؛ فقد سبق للجاسوس البرتغالي كوفلهام أن « اكتشف » هذا الطريق من قبل ، ووصفه وصفاً دقيقاً ، عرف البرتغاليين معالمه بصورة شاملة ، كما وصف الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك في المحيط الهندي .

٢ – اننا لا نجد مؤرخاً برتغالياً واحداً ممن عاصروا فاسكودي جاما ، وعنوا بتأريخ رحلاتـه ، أو ممن جاؤوا على آثارهم ، قد مر على لسانه اسم « احمد بن ماجد » ولو بصورة محرفة ، كما هو شأنهم بالنسبة للاعلام العربية . أما الربان الذي قاد سفينة دي جاما من ملندى إلى كليكوت ، فيطلقون عليه لقب كانا أو كاناكا ، ويجمعون على كونه « هندياً » من كجرات .

صحيح ان مؤلفات هؤلاء المؤرخين لم تطبع إلا بعد نصف قرن تقريباً من رحلة دي جاما [٢] ، وربما تأخر طبع بعضها أكثر من ذلـك ، ولكننا لا ندري كيف يؤدي ذلك « إلى اختلاف الروايات حول اسم الملاح الذي أرشد

(٢) الدكتور أنور عبد العليم : « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد »، العرب س ٤ ص ٨٣٨ ؛ أنظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ، للمؤلف ذاته ، ص ٧ ، ٢٨ ، ٥٢ .

فاسكو دي جاما إلى الهند »[٣] ثم ان تلك الروايات لا تختلف على اسم ذلك الملاح . إنها لم تذكر اسمه قط ، فكيف تختلف فيـــه ؟ وإنما اكتفت بذكر لقبه ، أو مهنته فقط . « وجدير بالذكر ان لفظ معلم ، وجمعــه « معالمــة » ، كان هــو [الاصطلاح] المــلاحي المرادف لــلربان ، أو القبطان . أما لفظ « كانا » أو « كانا كا » ، فيعني بلغـــة السنسكريت « الحاسب » أو « المنجم » ، والمقصود به هنا الخبير بالملاحة الفلكية[١] » .

أورد الدكتور الفاضل أنور عبد العليم ، إسمَي مـــؤرخين من مؤرخي البرتغال ، الذين عنوا بالكتابة عن رحلات فاسكـــو دي جاما ، وهما كاستنهيدا F . L . Castenheda ودي باروش Joao de Barros وكلاهما من كبار المؤرخين البرتغاليين الذين عاصروا دي جاما ، وأقاموا بعض الوقت في الهند . ويعتبر دي باروش المرجع الأصيل في الموضوع . أمـــا كاستنهيدا ، فيمتاز بالدقة فيما كتبه عن الاحداث التي شهدها بنفسه .

وبالإضافة إلى هذين المؤرخين ، فهناك ثمة عدد من مؤرخي البرتغال ممن عاصروا دي جاما ، ومن أهمهم جاسبر كوريا Casper Correa . وكان كوريا قد ذهب الى الهند ، واشتغل كاتباً لألبوكرك في سنــواته الأخيرة ، فتسنى له بذلك الاطلاع على بعض المعلومات التي لم تتوفر لغيره . وقد وضع تاريخاً لأعمال البرتغاليين في الهند خلال الثلاث والخمسين سنة الاولى من وصولهم الى تلك البلاد . ولكتابه أهمية خاصة ، فقد امتنع عن نشره في حياته حتى تتوفر له الحرية الكاملة للكتابة بصراحة تامة ، وتسجيل الوثائق البشعة على علاتها عمن يتصدى للكتابة عنهم من غير تشذيب أو تزويق ، دون أن يعرض نفسه لانتقام الزبانية الموكلين بديوان التفتيش . كما اطّلـــع على أجزاء من مذكرات كتبها جون فيجوريا Joào Figueria ، وهو راهب كاثوليكي كان في حملة فاسكو دي جاما الاولى . وقد ترجم هنري ستانلي Henry E J.Stanley

(٣) الفوائد ، العرب س ٤ ص ٨٤ . انظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ص ٤٩ .

(١) الفوائد ، العرب س ٤ ص ٨٤٠ . انظر كذلك « ابن ماجد الملاح » ص ٤٩ .

مـا كتبه كوريا عن رحلات دي جاما الثلاث إلى الهنـد ، ونشرته في سنة ١٨٦٩ م جمعية هكلويت Hakluyt Society الإنجليزية الشهيرة في صورة كتاب بعنوان « رحلات فاسكو دي جاما الثلاث » The Three Voyages of Vasco de Gama .

وهناك ثمة مذكرات ثانية وضعها مـؤلف مجهول من رجال فاسكو دي جاما في رحلته الاولى ، وتعتـبر من أوثق ما كتب عن تلـك الرحلة [٢] ، وتنص بكل وضوح على ان الربان الذي قدمه ملك ملندي لفاسكو دي جاما من المسيحيين [٣] . وكان البرتغاليـون في أوائل عهدهم بالمحيط الهندي يعتبرون الهنود إما مسلمين أو مسيحيين . فمن لم يكن مسلماً فهو مسيحي في نظرهم ، حتى ولو كان من الهنـدوكيين . وعلى هذا فـالترجمة الصحيحة « لمسيحي » في هذه المناسبة ، هي « هندوكي » ، بصورة مؤكدة .

٣ — عاصر وصول البرتغاليين الى المحيط الهندي عدد من المؤرخين العرب فيما يعرف اليوم باليمن الجنوبية ، منهم شنبل ، مؤلف تاريخ شنبل ، والمتوفي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، وهو من أهـل تريم ؛ وعبد الله بامخرمـة مؤلف كتابي « قلادة النحر » ، و « تاريخ ثغر عدن » ، والمتوفي سنة ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م وينتهي كتابه بسنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ؛ وابن أخيه عبد الله بن عمر الطيب بامخرمة ، مؤلف « رشف الزلال الراوي في التكميل والتذييل على طبقات الانساوي » ، والمتوفي سنة ٩٧٢ هـ / ١٥٦٤ م ، وينتهي كتابه بسنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م [٤] .

(للبحث صلة)　　　　　　علي التاجر

---

(٢) H. J. Wood, Exploration & Discovery ; C. D. Ley, Portuguese Voyagcs 1498-1663, p. xi .

(٣) Charles David Ley, Portuguese Voages 1498-1663, p.xi

(٤) نحيل من أراد التوسع في معرفة مؤرخي جنوب الجزيرة العربية إلى ما كتبه عنهم الأستاذ سرجنت مؤلف كتاب « البرتغال أمام الساحل العربي الجنوبي » .

كتاب الفنون

الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (٤٣١ – ٥١٣ هـ) (من أفاضل العالم وأذكياء بني آدم ، مفرط الذكاء ، متسع الدائرة في العلوم ، خبير بالكلام ، مطلع على مذاهب المتكلمين ، عظيم الحرمة ، وافر الجلالةعند الخلفاء والملوك ... وكان شهماً مقداماً يواجه الاكابر بالانكار بلفظه وخطه) [١] . قال في وصف نفسه : (عانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقى ، ولا أزاحم فقيهاً في حلقة ، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة ، وتقلبت علي الدول فما أخذتني دولة السلطان ولا العامة عما أعتقد انه الحق ، فأوذيت من أصحابي حتى طلب الدم ، وأوذيت في دولة النظام بالطلب والحبس ... إني لا يحل لي ان أضيع ساعة من عمري حتى اذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي ، وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم ، وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن العشرين سنة [٢]). ويعد الإمام ابن عقيل من كبار أئمة المذهب الحنبلي ، ولاختياراته وتوجيهاته للمسائل الفقهية اعتبار عند علماء المذهب،وهو تلميذ الإمام أبي يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراءالبغدادي (٣٨٠ – ٤٧٠) الذي يعتبر من أئمة هذا المذهب العظام .

وقد صنف ابن عقيل مصنفات في الفقه معروفة عند الحنابلة ، ولكن أكبر مؤلفاته كتاب « الفنون » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : لم يصنف في

(١) « المنهج الاحمد » ج ٢ ص ٢١٨ و ٢٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١٦ و ٢١٧ .

الدنيا أكبر من كتاب الفنون،حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعدالأربعمائة.
وقال ابن الجوزي : وقع لي منه مائة وخمسون مجلدة .

وموضوع هذا الكتاب كما قال ابن رجب : فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه . وقال صاحب « كشف الظنون » : إن ابن عقيل جمع فيه أزيد من ٤٠٠ فنٍ . ولا ندري مأخذ صاحب الكشف ، وعلى كل حال فموضوع الكتاب شامل وأبحاثه متنوعة .

ولقد كانت النقول التي أوردها المؤلفون والمقتطفات التي وصلت إلينا في طوايا الكتب ، كالتي نقلها ابن مفلح في « الآداب الشرعية » وما نشره الدكتور مصطفى جواد – رحمه الله – في احد اجزاء « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق من فصول نقلها من أحد أجزاء هذا الكتاب كل ذلك كان مما أثار الشوق وبعث في محبي الاطلاع والبحث التطلع للعثور على ما بقي من ذلك الكتاب العظيم ،حتى أتى الاستاذ الدكتور البحاثة جورج المقدسي ، فأسدى يداً جليلة لراغبي الاستزادة من علم ابن عقيل ؛ بل للباحثين في علمي الأصول والجدل في ذلك العهد الذي ازدهرت فيه الفنون والعلوم (القرن الخامس الهجري) فقام الدكتور جورج بنشر الجزء الأول من قطعة من كتاب الفنون،وهي عن المخطوطة الوحيدة المعروفة الآن الباقية من هذا الكتاب، ووعد بأن يتبعها بتحقيق القسم الثاني من تلك المخطوطة .

وقد جاء هذا القسم في ٤٢٧ صفحة ، سبقته مقدمة في ٥٩ صفحة، ولحقه تعريف باللغة الانكليزية في ٥٦ صفحة ، وطبع طباعة جيدة حقاً،من حيث الحروف والورق .

والدكتور المقدسي – فيما يظهر من عمله – معنيٌّ بابن عقيل يتتبع آثاره وينشر ما وجد منها ، وقد نشر كتاب « الجدل » له في عام ١٩٦٧ م ، في مجلة « الدراسات الشرقية للمعهد الفرنسي » بدمشق ، وذكر أنه ينوي نشر

كتاب « الواضح في اصول الفقه » لابن عقيل أيضاً .

ومع ما بذله الدكتور المقدسي ، وما عرف عنه من تعمق في البحث في الفكر الاسلامي في ذلك العصر ، فقد وقع في الكتاب هنات ، ربما كان مرجع وقوعها إلى كون النسخة وحيدة ، وقد يكون بعضها موجوداً في الأصل ، وعمل يقوم به محقق جليل يتطلع المرء إلى خلوه من قليل الهفوات .

وها نحن بعد مطالعة الكتاب نشير إلى بعض تلك الهفوات ، عَلَّ الدكتور يتداركها أو ما يراه صحيحاً منها عند طبع القسم الثاني من الكتاب :

ص	س	خطأ	صواب
٣٩	١	يلاموا	يلوموا
	٢	في بيته	في غير بيته
	٧	ابو عمر	أبو عمرو
٤٠	٢	صاحبه	صاحب
	٧	مع جدداه	منع جداده
	١٠	قدم الشام	قدم الى الشام
٤١	٧	عليها	عليهما
٤٣	٧	تشبب	تَشَبِبْ
٤٤	٥	افنى	أقنى
٤٥	١٣	الزبيرُ صهيلَ	الزبيرَ صهيلُ
	١٥	جنحى	نجحي
٤٧	٧	الجَزْوزة	الحَزْوَرَة
٤٨	٥	معى	معن
	١٥	دعا عليّ	دعاه على
٥٠	١١	تلقين	بلغتن
٥٤	١٣	حُرَّم	حُرِم
	١٦	الدنيا والدرهم	الدينار والدرهم

ص	س	خطأ	صواب
٥٥	٢	الدنيا والدرهم	الدينار والدرهم
٦٤	١	ادبرتَ	أدبَرَتْ
	١	الفَنيتِ	الفَتيتِ
	٤	فأحمَرُ	فاحِمٌ
٦٩	١٤	فافتقد الناس	فانتقد الناس
	١٤	افتقدوا	انتقدوا
	١٥	ـه حلف	يخلف
	١٥	يحكى	يحكى
٧١	٢	ما ... القبضة	ما دون القبضة
	٢	مثله	مُثْلَةً
٧٦	١٢	قُرْبٌ	قِرْنٌ
	١٤	قَبْلُ قَاصِمةً	قَبْلَ قاصمةٍ
	١٥	أمير المؤمنين على	أمير المؤمنين علي ، فقال علي
٧٧	١١	إنْ تغفلوا الحرب لغفلها مخلسة	إنْ تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة
	١٣	بن برد	بن ابي بُردة
٧٨	١	يجح	يحجم
	١٦	رِجْلك	رَحْلك
٧٩	١١	وَطبّات	وُظبَاتِ
	١٢	سجا	شجىً
٨٠	٥	يا أهل	يا أهل مصر
٨٤	٧	بذنبهم	بدينهم
١١٤	٩	الاضيافات	الصفات
١٢٣	٣	معا	بقباً
١٣٥	١٨	برائشة	بريشة
١٣٧	١٣	لأمْري	لأمْرِ
١٥١	١٢	استلامهم	إستأصلهم

ايضاح وتعليق على كتاب :

« بلاد العرب »

كتاب « بلاد العرب » للحسن بن عبد الله الأصفهاني كتاب أثري يرجع إلى الربع الأول من القـــرن الثالث الهجري قامت بطبعه وإخراجه : (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بمدينة الرياض وحققه الشيخ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي . وأول من فكر في إخراج ذلك الكتاب القيم هو المرحوم الشيخ سليمان الدخيل الذي يعتبر أول أديب نجدي عنى بمهنة التأليف والنشر عن بلاد العرب وقد سبق للشيخ حمـد الجاسر كتابة ترجمة عنه في الجزء الخامس من السنة الأولى في الصفحة الـ ٤٦٩ من مجلة « العرب » كما أن هنالك جهود أخرى لبعض المعنيين بالكتب التاريخية في محاولة نشره . وعنى محققاه بتعريف كثير من المواقع التي وردت بين دفتيه وقد درس العديد منها وتغيرت أسماؤها ، وهذه بعض الإيضاحات والتعليقات التي ظهرت لي بعد مطالعته وآمل أن فيها ما يفيد :

ص	س	خطأ	صواب
١٥٤	٧	يا جبالَ	يا جِبالُ
١٥٨	١٧	لافديتهم به	لأقَدْتُهُمْ بِهِ
١٥٩	١١	العبيد	العبد
١٦٠	١٦	ولا تشهي	ولا تشبهي
٢١٣	٢	جِريّ	حِراء
	٣	جريّ	حِراء
٢١٧	١٥	جالب	حالب

المدينة المنورة (م. ع)

١ – جاء في صفحة ١٥ سطري ٨ و ٩ : جبلي شامة وطفيل .. ما زالا معروفين حتى الآن ويقعان جنوب مدينة جدة فيما بينها وبين بحيرمة للشرق من مرفأ الشعيبة – ميناء مكة المكرمة قديماً – وشامة تلي جبل طفيل للشرق أما طفيل الذي يقع قرب هرشا فقد نُسِيَ اليوم وأصبح لا يُعرف غير أن بعض المسنين من بادية حرب الذين أعرفهم ذكروا أن هنالك جبل يقع شمال ريع هرشا يُعرف حالياً باسم الطوال هو ما يعرف بطفيل الآخر من قبل .

٢ – في الصفحة ١٧ سطري ٤ و ٥ جبل سروعة الخ : توجد قرية تسمى سَرْوعة أو صَرْوعة تقع في أسفل وادي مر (وادي فاطمة) في غربيه يمين النازل من الوادي إلى جدة عن طريق حَدّاء وهي دامرة الآن بسبب نضوب المياه وارتحل أهلها وتفرقوا في الوادي . هذا ويوجد في الوادي عدة جبال منها ضاف وهو يطل على الشعيبة شمال غرب ويتصل بجبل مكسر ويشرف على حدّا ويبدو من شمال بحرة ظاهراً للعيان ومكسر يطل على فج الرميثي وينحصر بين جبلي سدر أو صدر . ويقول شاعر بدوي من أهالي تلك الناحية :

يا مْكَسّر نِصَاكَ اليومْ تَرْفَ القِدَمْ
سارحٍ بالغنم من تَمّ ضِلْعانْ ضَافْ
هو دخِيلِكْ من الرّمْضا وشَوْكَ السّلَمْ
والظمّا لا يجِيي راعَ الثانَ الرّهافْ

وسدر أو صدر كما يعرف اليوم يشرف على عين ومزرعة أبي شميلة غرب قرية الجموم مركز الإمارة في الوادي ، ويطل أيضاً على الفج . ومُوقدات مجموعة من البرق يخترقها حالياً طريق مكة – المدينة عبر الوادي . وسرر أو سرور ليس جبلاً شامخاً بل برق تقع بين قريتي أبي شعيب ودف زيني . هذه بعض الجبال الشهيرة التي أعرفها .

٣ – وجاء في الحاشية ٧ الذي أعرف انهم يدعون الكباكبة نسبة للجبل المعروف .

٤ – وفي صفحة ١٩ سطر ٨ يوجد جبل يعرف بجبل لبن ويقع في الشرائع (حنين) شرق مزرعة سمحة التي أقامها قبل سنين المرحوم الشيخ

حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية سابقاً ، ومنها يمكن الاتجاه جنوباً إلى وادي عُرَنَة فعرفات .

٥ – وفي صفحة ٢٠ سطر ٤ رهجان الخ .. فبعد أن نترك نعمان ونبدأ في أول شداد يظهر لنا وادي رهجان على اليمين ، ومن رهجان يمكن الاتجاه شرقاً إلى شعبة الخرار كما توجد في أعلى رهجان ثنية ينزل منها إلى وادي ضيم وهو واد كبير يقع في أسفل كرا وجنوب شرق عرفات .

٦ – وفي صفحة ٧٩ سطر ١١ الرمة الخ .. المعروف أن سيول وادي الرمة تبدأ من الواجهة الشرقية لحرة خيبر ، وتنحدر نحو الحُلَيفة شرقاً وبعدها تتجه شمالاً بعد أن تنصب عدة روافد أخرى للوادي ، وفي الوسط تقع خيبر بشعابها العديدة وقراها ومياهها الغزيرة ، وفي الواجهة الغربية للحرة تبدأ سيول وادي الحمض الذي ينحدر فيه عدة روافد إلى أن يصب في البحر غربا .

٧ – وفي صفحة ١٠٩ سطر ٧ بتربة الخ .. وادي تربة ينحدر من جبال الحجاز الواقعة جنوب غرب بيشة ، ويمر بديار بالحارث وتربة التي من قراها الجرف والعلاوة ، ثم ينحدر نحو الغَريف والخُرمة وقراها مكوناً وادي سبيع إلى أن يبتلعه سباخ القنصلية الواقع غرب عرق سبيع .

٨ – وفي الصفحة ١٤٨ شرح سطر ٣ : وشروري الخ .. يعرف اليوم بهضب الشرار وكان لسليم قديماً ويقع شمال غرب المهد (معدن سليم) فبعد أن نترك شعيب العرج شرقاً يبدو جبل الهضب على اليمين شامخاً على غيره من الجبال ، ويمر بالقرب منه الطريق المتجهة من المهد إلى العُمَق فحِسيٌ عَليا ويتفرع فيما بعد إلى بعض جهات نجد والمدينة المنورة .

٩ – وفي نفس الصفحة شرح سطر ١٢ رحرحان الخ .. وهذا جبل كان من جبال سليم وهو جبل كبير يقع شرق الشعبة لمن كان متجهاً من المهد إلى المدينة .

١٠ – وفي صفحة ١٥٥ شرح سطر ٢ سجا الخ .. فقبل أن نرد سجا نمر بشعيب الشُبْرم وهو نبات عِشبيّ شوكي ترعاه الإبل .

١١ – وفي صفحة ١٧٨ سطر ١ مثلثة الخ .. أعرف جبلين يعرفان بهذا الاسم : الأول جبل مثلثة قرب منهل سجا ، والآخر جنوب غرب منهل حِسْني عليا .

١٢ – وفي صفحة ٢٠١ شرح سطر ٣ الجار الخ .. ميناء الجار ما زالت معروفة وتسمى البريكة الآن . وهي ليست بالرايس بل تقع شمالاً عنه .

١٣ – وفي صفحة ٣٣٨ سطر ١ العرج الخ .. يوجد أيضاً شعيب يعرف باسم العرج ويقع في ديار غطفان مقابلا لجبل هضب الشرار من الشرق ، وتوجد في أعلاه بركة مطمورة يرجح انها من برك زبيدة التي أقامتها في طريق الحاج وينصب سيل العرج إلى الشعبة .

١٥ – وفي صفحة ٣٩٩ شرح سطر٢ وبالحجر الخ .. فالمعروف أن حوض الناقة يقع فيما بين العلا والحجر (مدائن صالح) .

١٦ – وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٧ المسلح الخ.. رأيت في المسلح بركة تتجمع فيها مياه المطر وهي من برك زبيدة والمسلح يقع بعد البركة التي تلي عشيرة شمالا .

١٧ – وفي صفحة ٤١٠ شرح سطر ٣ الصفرا الخ .. سيول الصفرا تمر بكل من الجار والرايس حيث تنقسم قسمين ومنها للبحر .

١٨ – وفي صفحة ٤١١ سطر ١ البرود الخ .. توجد بئر تقع شمال غرب الشرائع تسمى البرود كان يردها حجاج نجد ، وقد أقيمت عليها مزرعة من سنوات .

١٩ – وفي صفحة ٤١٣ سطر ٦ فيفا الخ .. أعرف موضعاً يقع في وادي الفرع يسمى فَيْفا غزال .

٢٠ – وفي صفحة ٤١٤ سطر ٣ المضيق الخ .. توجد قرية في وادي الفرع تسمى المضيق . هذا بعض ما عن لي في هذه العجالة وآمل أن يعاد في المستقبل طبع الكتاب بعد إضافة شروح وتحقيقات أكثر عن المواقع حتى يستفيد القارىء من معرفة المواقع الأثرية وغيرها ، والله الموفق لسواء السبيل.

جدة – حمد بن محمد العبيدي

تحفة المحبين والأصحاب
في معرفة ما للمدنيين من الأنساب

أسدى الوزير العالم الجليل الأستاذ محمد العروسي المطوي التونسي يداً مشكورة لا للمعنيين بتاريخ المدينة الطيبة ، وحدهم ولا للمهتمين بتاريخ بلادنا على وجه الإجمال ، بل لكل من يهتم لدراسة تراث العربي ، فلقد حقق كتاب « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب » تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري (١١٢٩ - ١١٩٧ تقريبـاً) . وهو كتاب كما يصفه الأستاذ المحقق :(ليس مجرد كتاب أنساب فقط كما يدل عليه عنوانه ، بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع (المدينة المنورة) ، في القرن الثاني عشر للهجرة في مختلف أوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ممـا يمكن الدارس - خاصة الاجتماعي - من وجود العناصر والمعطيات للدراسة والتحليل والاستنتاج ، بالرغم مما سيجده المتصفح للكتاب من عدم الموضوعية - أحياناً - من المؤلف في حديثه عن بعض الأشخاص أو الحكم لهم أو عليهم) .

والواقع ان القارىء يستغرب حينما يطالع هذا الكتاب على كثرة ما فيه من الحديث عن الأسر المدنية - يستغرب قلة ذكر أسر عريقة النسب من أهل هذه البلدة الطيبة ، مع أنها كانت في صدر الإسلام وقبله موطن قبيلتي الأوس والخزرج أنصار الرسول ﷺ ثم انتقلت إليها إبان ظهور الإسلام طوائف كثيرة من القبائل العربية من قريش وغيرهم ، واتخذتها موطناً وبقيت أسر منها صحيحة الأصول قروناً .

فباستثناء أسرة المؤلف التي قدم جدها الأعلى من زرند بقرب أصبهان في القرن الثامن الهجري على وجه التقريب ، فأعقب وتناسل بنوه إلى عهد المؤلف الذي يسوق نسبه إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي ، فيورد بينه وبينه ٢١ جداً ، باستثناء المؤلف وأسرته لا نجد في

الكتاب أحداً ممن ينسب إلى إحدى الأسر القديمة من سكان هذه البلدة الطيبة ممن يُعَدُّ من أهلها القدماء .

وبصرف النظر عما في نسب المؤلف مما لا يتفق مع ما هو معروف عند علماء الأنساب من اعتبار القرن يستغرق ثلاثة أجيال ، وبصرف النظر عما ذكر الخياري في رحلته من أن بيت المؤلف ينسب إلى أبي أيوب الأنصاري فإن مما لا شك فيه صحة قول الخياري : (وقد ادعى النسبة المذكورة بالمدينة طوائف ، كانت نسبتهم خافية ودعواهم واهية ، حين تعيّن لطائفة الأنصار شيء من جانب السلطنة ، فأظهروا انتسابهم ، ونشروا أحسابهم ، ولله در القائل:

وقد يتزيّا بالهـــوى غير أهله [1]

يستغرب القارىء ايضاً ان المؤلف نسب أسراً كثيرة ومنها ما هو معروف الآن نسبة قد لا توافق عليها تلك الاسر ، ولم يكتف بذلك بل ألف كتاباً دعاه : « نزهة الأبصار في عدم صحة نسب الخمسة البيوت المنسوبين إلى الانصار » أشار اليه في مواضع من كتابه [2] .

في عهد الحكومة العثمانية ، يصل إلى المدينة صدقات وهبات وريـــع أوقاف عيون النصيب الأوفر منها للأسر العريقة ، ومن هنا نشأ الاختلاف حول أنساب بعض الأسر المدنية كما اشار إلى ذلك الخياري ، ولا شك أن لذوي المناصب والحظوة لدى رجال الدولة من النفوذ ما يوجد اثراً في اثبات بعض الأنساب ، أو إبطال بعضها ، وأنا لا أستبعد أن من حوافز تأليف هذا الكتاب الاستحواذ على بعض المنافع المادية .

ومع كل ما تقدم فالكتاب ذو قيمة عظيمة لمن يعنى بدراسة الأحـــوال الاجتماعية في المدينة في عهد تأليفه وقبله ، إذ المؤلف كثيراً ما يتحدث عن نشوء بعض الأسر مبتدئاً بذكر من تنسب اليه ، وتاريخ انتقاله إلى المدينـة قبل عهد التأليف بأكثر من قرن .

والاستاذ الجليل المطوي أبرز الكتاب بحلة زاهية ، وأضاف إليه تعليقات أوضحت كثيراً من غوامضه ، ورجع في ذلك إلى كتب كثيرة منها المخطوط ومنها المطبوع ، فاستحق شكر كل من يعنيه الحرص على التراث العربي في مهده الأول. وقد عول على مخطوطتين وصفهما في المقدمة ، ويظهر أنه لم يطلع

(١) مجلة « العرب » : السنة الثانية ص ٢٤٤ . (٢) ص ١٠٥ و ١٣٤ و ٢٠٦ .

على نسخة خزانة عبد الحي الكتاني المضافة الى الخزانة العامة في الرباط .

ولكي اعبر عن مدى استفادتي من هذا الكتاب وعن الجهد المشكور الذي بذله الاستاذ المطوي أبدي بعض التعليقات التي كانت اثر قراءة سريعة في ليلة واحدة من ليالي عيد الفطر المبارك .

١ — ص ٩ اشار المؤلف المحقق إلى « المفاخرة بين الحرمين» . وأقول : أوردها السيد محمد كبريت المدني في « الجواهر الثمينة » [١] ولكنه هنا نسبها للقاضي ابي المحاسن يوسف نجم الدين الزرندي الحاكم في المدينة والناظر في امر الحسبة سنة ٨٤٨ .

٢ — ص ١٤ محمد العصامي هو في « المغانم المطابة » [٢] ابو عبد الله العصياني هكذا .

٣ — ص٢٩نعمان الذي نسب اليه المؤلف هذيل هو نعمان مكة الواقع جنوب عرفات . وليس بقرب المدينة ،ويؤيد هذا أن المولودة ولدت في مكة لا في المدينة .

٤ — ص ٣٧ ليست القنفذة في منطقة عسير ، فبلاد عسير في سراة الحجاز وسفوحها الشرقية ، بل هي في تهامة ، والغلط في « الموسوعة الميسرة » ، وجاء في هذه الصفحة عن تولي منصب الافتاء : وجاءته الرؤوس من شيخ الإسلام ، وأرى كلمة الرؤوس إن لم تكن محرفة ، فهي بحاجة إلى إيضاح .

٥ — ص ٤٧ تفسير الاسباهية بأنها فرقة كبيرة من الجيش فيه إطلاق ، إذ المعروف انها فرقة الخيالة ، ومنها (الاسب) و (الاسباهي) والكلمة على ما يقول اللغويون أصلها فارسي .

٦ — ص ٤٨ الحكم بأن جُدة ـ بضم الجيم ـ لا تؤيده قواعد اللغة التي تقول بأن هذا الاسم من جُدّ البحر وهو مثلث الجيم ،وإن كان أكثر النصوص القديمة يوردها بضمها ، ولكن حتمية الضم تمحُّل لا دليل له .

٧ — ص ٧٣ الأوغان هم الأفغان ، ومؤرخو نجد والحجاز المتأخرون يسمعون نطق الفاء قريباً من نطق الواو ، ومن هنا حصل الخلط .

٨ — ص ٨٧ كتاب مصطفى بن فتح الله هو كما سماه المحقق الفاضل نقلا

(١) الورقة ٥١ و ٥٢ نسختي الخطية .

(٢) النسخة المخطوطة في خزانة فيض الله في استنبول ، الورقة ١٦٧ .

عن الخلاصة ، ومؤلفه صديق لصاحب الخلاصة ، وكل واحد منهما ينقل عن الثاني،غير أن ابن فتح الله وسع كتابه ، فزادت التراجم فيه عما في الخلاصة زيادة كبيرة ، ومن هذا الكتاب نسخة يظهر انها مسودة المؤلف تنقص من من المقدمة ، وهي في دار الكتب المصرية ، وأخرى في خزانة علي أميري في استنبول ، ونسخة دار الكتب أوفى منها وأتقن ، إذ الأخيرة حديثة الخط، ولقد لخص قسماً من تراجمه أمين الزللي المدني والملخص في التيمورية بدار الكتب.

٩ — ص ١٢٠ في ترجمة صاحب « المنهل الروي في مناقب آل با علوي » ورد اسمه محمد الشبلي ، ومحمد الشلبي ، والصواب الشلّي — بكسر الشين المعجمة بعدها لام مشددة مكسورة فياء — وهو محمد بن أبي بكر الشلّي الحضرمي (١٠٣٠ / ١٠٩٣ هـ) وكتابه « المشرع الروي » مطبوع ، ومن مؤلفاته « السنا الباهر بتكميل النور السافر » و « عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر » والكتابان مخطوطان[١] .

١٠ — ص ١٤٣ (وكان نازلاً في حماه) أرى أن كلمة حماه غير صحيحة.

١١ — ورد في ص ١٦ و ١٥٦ كلمة عانقان وعانقيه وعنقيني . وأرى صواب الكلمة عانقيني ، وقد وردت في « وفاء الوفاء » بهذه الصيغة على ما أذكر .

١٢ — ص ١٩٨ خيف شعثاء : الخيف هنا يقصد به العين ، لا من انحدر من غلظ الجبل ، وخيف شعثاء عين من عيون ينبع لا يزال معروفا[٢] .

١٣ — ص ٢١٣ : (وهم أشبه بالحالة على كل حالة) ، أرى الصواب : وهم أشبه بالجمالة ، كما يدل عليه السياق .

١٤ — ص ٢٣١ : ونسخ « بخاري » أرى الصواب : البخاري .

١٥ — ص ٢٩٣ : السيد ذرو من أشراف صبيا ، الصواب هنا : ذروة ، وهو ابن حسن بن يحيى بن داود ، وآل ذروة كانت لهم الامارة بصبيا ، ومنهم الأمير القاسم بن علي الذروي ممدوح القاسم بن هتيمل الشاعر التهامي الذي قال في وصفه أحد الشعراء :

(١) انظر « الاعلام » ٦ / ١٣٨٦ ، و « خلاصة الأثر » ٣ / ٣٦ .
(٢) انظر « بلاد ينبع » ص ٤٢ .

أما قصائد قاسم بن هتيمل فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعر في فنه فطن ولـ ـكن ابن حمير سيد الشعراء

ولصديقنا محمد العقيلي مؤرخ الجنوب كتاب عنه مطبوع . وقد أوفى الكلام على نسب آل ذروة هؤلاء السيد محمد بن حيدر النعمي المقتول سنة ١٣٥١ في كتابه « الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الاشراف من سكان صبيا والخلاف »[١] . وذكرهم الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في كتاب « طرفة الاصحاب »[٢] .

١٦ – ص ٢٤٣ الميدروس مكتشف البن. والمعروف أن أول من استعمل قهوة البن الشاذلي،ولا تزال تعرف في بعض جهات تهامة واليمن باسم الشاذلية.

١٧ – ص ٢٥٦ رحله فوق راسه ، أرى الصواب : رجله فوق راسه .

١٨ – ص ٢٦١ الغلا شحي . هذا الغلاء والقحط يعرف عند مؤرخي نجد باسم سحي – بالسين المهملة فحاء مشددة مكسورة فياء – وقد ذكره ابن بشر وابن عيسى وغيرهما من مؤرخي نجد ، وأطالوا في وصفه ، وانه امتدثلاث سنوات،وأورد ابن بشر عند ذكره قول أحد شعراء سديرمن نجد :

غدا الناس اثـلاثاً فثلث شريدة يلاوي صليب البين عـار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت وثلث إلى الأرياف جال وناجع

١٩ – ص ٢٨١ وصل الشام واليمن وبلاد نعمان . أرى صواب الكلمة بلاد عمان بتخفيف الميم .

٢٠ – ص ٢٨٣ السقطي يقصد بها في الحجاز بائع الرؤوس والفراسن ، يقابله المقادمي والباجهجي .

٢١ – ص ٣١٥ جبل شمر هو الاقليم الواسع العريض المعروف قديماً باسم جبلي طي ،وفي العهدالحاضر جبل شمر ،وقاعدته مدينة حايل،وطريق العراق يمر به فيجانب منه،وهو الشرقيالجنوبي،وشهرته أوسع من شهرةطريق العراق.

٢٢ – ص ٣٢٥ الجيار أعلى القلعة أرى صوابه : الجدار في أعلى القلعة ، ومن عادة الطغاة دفن بعض الموتى داخل الجدار ، ولا صلة له بالموضع القريب من خيبر ، فقد قتل بقلعة المدينة ، والذي بقرب خيبر جبار ، وهو بالباء

(١) الورقة ٨٥ وما بعدها من نسختنا الخطية . (٢) ص ١١٠ .

الموحدة ، ويقع في الشمال الشرقي منها بقرب يمن المعروفة [1] .

٢٣ — ص ٣٣٨ البركة المذكورة هنا بفتح الراء ، وهي إحدى عيون ينبع النخل ، ولا تزال معروفة .

٢٤ — ٣٤٢ مكة المكية ، صوابها : مكة المكرمة ، وكذا يعبر المؤلف كثيراً في كتابه .

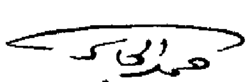
٢٥ ص ٣٨٦ عبد الله بن ابراهيم الفرضي ، هو من أهل الجمعة ومن قبيلة شمر ، ولم يذكر المؤلف اسم البلدة التي هو منها ، وهي الجمعة من اقليم سدير في نجد.

٢٦ — ص ٣٨٧ ابراهيم بن عبد الله الفرضي مؤلف « العذب الفايض » هو من علماء نجد المعروفين وكتابه طبع حديثاً في جزءين على نفقة أحد أهل نجد المدعو عبد الرحمن الطبيشي من رجال الملك عبد العزيز .

٢٧ — ص ٣٩٧ القبيط يسمى الناطق. الصواب الناطف - بالفاء — كما في « تاج العروس » : الناطف نوع من الحلوى قال الجوهري : هو القبيط .

٢٨ — ٤١٢ أشار المحقق الفاضل إلى وجود نسخة من كتاب « الجواهر الثمينة في تاريخ المدينة » في مكتبة العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب برقم ٥٤٧ ، وأقول من هــذا الكتاب مخطوطات كثيرة من أتقنها نسخة اطلعت عليها ، ونقلت صورتها من متحف (طوب قبو) في استنبول، والكتاب أدبي أكثر منه تاريخياً .

وأما بعد : فلقد أتاح لنا الأستاذ الجليل محمد المطوي العروسي جولة ممتعة في ثنايا هذا الكتاب ، وأسدى لراغبي التعمق في تاريخ طيبة الطيبة مصدراً جديداً بنشره هذا الكتاب الذي إن أثار سخط بعض القراء فلن يعدم من كثير منهم الارتياح والشكر على هذه اليد الكريمة ، وحيا الله أبناء المغرب العربي الذين اتجهوا إلى موطنهم الأول وتراثهم القــديم بالاحياء والتجديد ، وزادهم الله قوة ونشاطا ليزدادوا انتاجاً وعملاً نافعاً ، لا ينكر فضله إلا من كفر النعمة وجحدها ، وأعوذ بالله أن أكون منهم !!.



(١) انظر عن يمن كتاب « في شمال غرب الجزيرة » لحمد الجاسر .

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

ثادق : (ثادج) والجُرَيـِّر في كتاب بلاد العرب

أثناء تصفحي لأجزاء من هـذه المجلة طالعت في الجزء الأول من السنة الرابعة لشهر رجب عام ٣٨٩ هـ .. ماكتبه فيها الأستاذ محمد الماجري .. مستفهماً عن مكان ثادق الذي ذكره صاحب « معجم البلدان » واستشهد عليه بقول عقبة بن السوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق ... وربع خلا بين السّليل وثادق

وقول الآخر :

سقى الأربع الأظآر من بطن ثادق ... هزيم الكلى جاشت به العين أملح

وقول عبد الرحمن بن دارة :

قضى مالك ما قد قضى ثم قلصت ... به في سواد الليل وجناء عرمس

فأضحت بأعلى ثادق فكأنها ... محالة غرب تستمر وتمرس

وفي « معجم ما استعجم » للبكري عند ذكر اسم ثادق : أنه ماء لبني فقعس قبل القنان قالت ليلى الأخيلية :

وحلأها حتى إذا لم يسغ لها ... حلي يجنبي ثادق وجفيف

وقال الشماخ :

فصدّ بـه عن ثادقٍ وحسائه ... وصدّ بها عن ماءِ ذات العشائر

وقال زهير :

فهضبُ فرَقَدٌ فالطّوِيُّ فثادق ... فوادي القنان هضبه فمداخله

ويتساءل الأستاذ الماجري فيقول : (فما هو المقصود باسم ثادق في هذه الأبيات ، وهل هي ثادق المعروفة الآن في المحمل بنجد ؟ وهـل ثادق هذه

معروفة في القديم ؟! وهل منها اناس مشهورون ؟) وتجيب المجلة بقولها : (ثادق المعروف في النصوص المتقدمة وادٍ يقع في أعلى القصيم وهو من روافد وادي الرمة ، ولا يزال معروفاً غير ان بعضهم يبدل القاف جيماً فيقول ثادج وقد حدد هذا الوادي صاحب كتاب « بلاد العرب » [1] ا ه .

والذي أحب أن أضيفه على إجابة المجلة هو وجود قرية يجتازها هذا الوادي إلى مصبّه في وادي الرُّمَة تسمى هذه القرية باسمه ، وفيها مزارع ونخيل قليلة .. وتقع على الضفة الشمالية من وادي الرمة .. وقد افتتحت وزارة المعارف فيها مدرسة ابتدائية في عام ١٣٨٨ ه واسمتها باسم البلد (ثادج) .. وتوجد بالقرب منها أيضاً قرية صغيرة تسمى ثويدج تصغير ثادج .. وتقع جنوباً عنها .. ويمر بها خط الأسفلت الممتد من القصيم إلى المدينة المنورة ، ثادج شماله ، وثويدج جنوبه بعيدة عنه قليلاً .. وهاتان القريتان تقعان شمال غربي جبل ابان الاسود . ويظهر انهما عمرتا حديثاً لاستيطان البادية في أول عهد المغفور له الملك عبد العزيز ..

ويقول ابن بليهد : (وثادق : ماء معروف بهذا الإسم الى هذا اليوم وهو الآن عامر فيه نخيل ومزارع ، عَمّره جماعة من حرب يقال لهم البيضان ورئيسهم ابن غميض . يصب واديه في وادي الرمة ، يقع من ابان الأسود على مسافة نصف يوم في جهته الغربية) . قال الأصمعي : (هو واد ضخم يفرغ في وادي الرمة [2]) .

.. والواقع ان وادي ثادق وهو المقصود بالأبيات السابقة يعتبر حوضاً تفرغ فيه أكثر الاودية القريبة منه المنحدرة من جبال الفوّارة والقريبة منها كجبل الخضر ، والربوض ، العميّد ، السلسلة (الظهران قديماً) وقطن ، وبعد تجمّع أكثرها فيه ينتهي الى وادي الرمة عند نقطة الالتقاء بالجهة الغربية من جبل ابان الأسود ، والخط المسفلت المار بالقصيم الى المدينة يجتاز هذا الوادي

---

(١) ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٤ من كتاب «بلاد العرب» .

(٢) صفحة ١٢٢ « صحيح الأخبار » جلد ١ .

عند بلدة ثادج حيث وضع على الوادي نفسه جسر كبير سُمّيَ باسم جسر ثادج .

.. هذا وأثناء مطالعتي لتعريف الأصفهاني لوادي ثادق في كتابه « بلاد العرب » قرأت في حاشية صفحة [٤٤] منه تعليقاً على تعريف المؤلف لوادي الجُرَيِّر الذي يعتبر من أودية الفوارة .. التي تفرغ في وادي ثادق أيضاً .. والتعليق يقول : (والجُرَيِّر لا يزال معروفاً ،واد ينحدر من جبل التين الواقع شمالي قطن ، ثم يمر بقرية الفوارة ويجتمع به عدد من الأودية منها وادي وقْط ثم يصبّ في وادي الرمة من شماله فوق ابان الأسود) . ا هـ .

.. والصحيح ان وادي وقط لا يلتقي بالجُرَيِّر .. فهذا الوادي ينحدر من جبل وقط والرحا .. وهذه الجبال تقع شرق شمالي الفوّارة .. ثم يسير وادي وقط باتجاه وادي الرمة وفي شرقي جبل الحضر .. وبالقرب من قرية مَرَاغان يجتمع وادي وقط بواد آخر ينحدر من الجزء الشمالي الشرقي لجبال الموشم الواقعة شمال الفوّارة ويتحد مجراهما بشكل شُعَبٍ صغيرة بعضها يلتقي بوادي ثادق عند قرية ثادج نفسها وقرب الجسر .. والباقي يتجه شرقاً حيث يمر بقرية صبيح والذيبية ، ويتحد مع روافد أخرى قرب قرية الدليمية ويكون وادياً يفرغ ماؤه بوادي الرمة بعد قرية القُرَيْن .

وأما وادي الجريّر فيأتي من أعالي الفوّارة ومن شمالها الغربي حيث جبل التين ، وقد ذكر هذا الجبل الأصفهاني عند ذكره لقطن الشمالي بقوله : (جبلان يسميها الناس التّينَين لبني فقعس)[1] كما استشهد بقول القائل[2] :

لكن يَخَوّين زقاق واسعْ زقاق بين التين والربائع

وقول القائل [3] :

تبدلت بَوْصاً من صُحير وأهله ومن برق التينين نوط الأجاول

ويأتي أيضاً من المرتفعات الأخرى الموجودة بهذا الإتجاه.. ثم يلتقي بالقرب

(١و٢و٣) صفحة ٧٣ ، ٤٦ ، ٤٨ « بلاد العرب » .

من الفوارة بوادي الفوارة المنحـدر من بعض جبالها الشمالية كجبل هيفاء ، وجبل الخرشاء .. ولعل الحسن الأصفهاني قصد بقوله (الخشناء) [1] عنـد ذكره لجبال تلك الناحية جبل الخرشاء وتكون التسمية طرأ عليها بعض التحريف .. كما ذكر من جبـال تلك الناحية أيضاً جبل (الربوض) [2] واستشهد بقول الشاعر :

عفا بعد عهد الحارثيات محضر ومرتبع عند الربوض خصيب

وهذا الجبل لا يزال يحمل هذا الاسم ويقع شمال شرقي الفوّارة .

.. ومن الجبـال التي تمد وادي الفوارة أيضاً جبل يسمى حالياً الخدار قرب النمرية .. وبعد التقاء وادي الجُـرَيّر بوادي الفوارة ينتهيان إلى حوض وادي ثادق .. إذن فالجرير لا يصب مباشرة في وادي الرمة بل ينتهي مع وادي الفوارة إلى وادي ثادق .. ويؤيد هذا القول ما ذكره الحسن الأصفهاني ايضاً في كتابـه : (واسفل من ذلك فيما يلي المشرق الجرير واد لبني أسد به ماءة يقال لها الجريرة يفرغ في ثادق ، وثادق واد ضخم يفرغ في الرمـة أعاليه لبني أسد وأسفله لبني عبس) [3] .

ونعود لإكمال الحديث عن بعض الجبال المحيطة بالفوارة وذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » لها ونقول : إن الجبل المسمى الآن بالخدار والواقـع شمال الفوارة لا يستبعد أن يكون هو المسمى قديماً بالستار [4] والوارد ذكره مع جبل قطن ويذبل في شعر امرىء القيس بقوله :

علا قطناً بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبل

---

(١) صفحة ١٩٣ « بلاد العرب » للأصفهاني .
(٢) صفحة ١٩٤ نفس المصدر .
(٣) صفحة ٧٢ » » .
(٤) صفحة ٧٢ » » .

وكل هـذه الجبال قريب بعضها من بعض في مرأى المشاهـد ... ويؤيد احتمال تسمية أحدهـا بالستار قديماً ... وخاصة جبل الخدار ما ذكره الاصفهاني في كتابه ان الستار جبل بعد ُصبَيْح .. وصبيح الآن بلدة عامرة تحمل هذه التسمية ويحيط بها جبيلات بيضاء تميزها عن غيرها . وتقـع شرقي الفوارة بمسافة (٣٠) كيلاً يتركها السائر على خط القصيم الى المدينة المنورة على يمينه ويشاهد معالمها عن كثب .. ونص الاصفهاني هو : (وماء مبهل :الحفير وصبيح جبيلان يقال لهما أريكتان بين حزوم بيض ثم يليهما الستار : جبل فيه مصانع تمسك الماء الواحد مصنعة . قال الشاعر :

ما هـاج عينيك من الديار   بين اللوى وقنة الستار[٢])ا هـ .

.. ولهذا يبدو لي ان نص الاصفهاني هذا يعني الستار الذي يوجد في تلك الناحيـة ، لا ستار ضرية الذي أشارت اليه حاشية الكتـاب بالصفحة رقم ١٩١ . ولعله هو أيضاً الستار الذي ذكره امرؤ القيس في شعره مع يذبل وقطن .. ولا يبعد أيضاً ان جبل يذبل [١] هذا هو أحد تلك الجبال الكثيرة والمحيطة بالفوارة والممتدة شمالاً عنها حيث أرض « أقـْمِرا » .

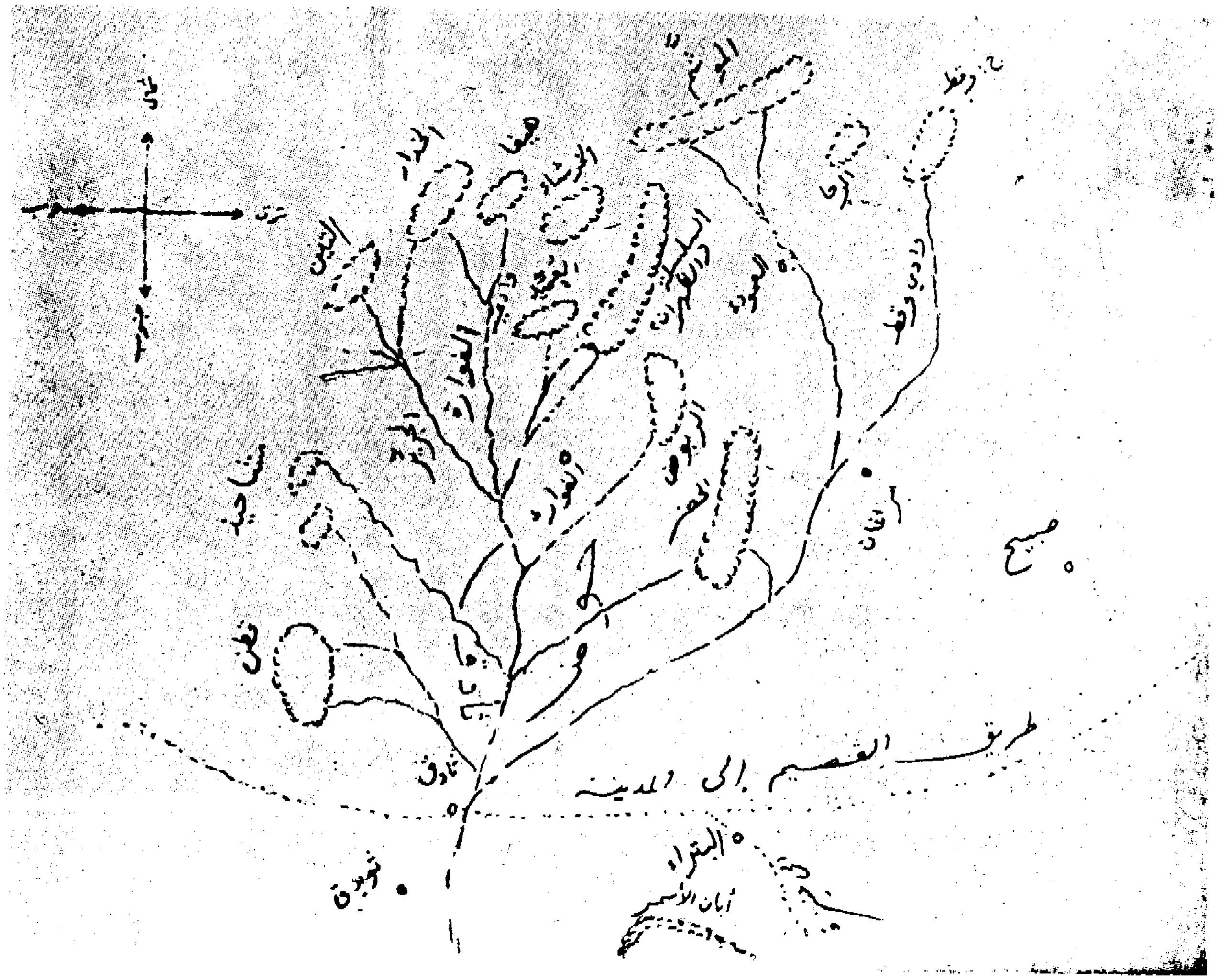
.. هذا ما أحببت الإشارة اليه لاعتقادي ان مثل هذه المعلومات تعني مجلتنا « العرب » وصاحبهـا .. بل كل من له عناية بمثـل هذه التحقيقات التاريخية .. وقد ضبط لي أكثر أسماء هذه الجبال والاودية واتجـاهاتها بعض الأهالي المقيمين بالفوارة نفسها أثناء زياراتي المتعددة للبلدة ومشاهدتي لأكثر هذه الأودية والمرتفعات .

١٣٩٠/٨/٢٠   صالح السليمان الوشمي

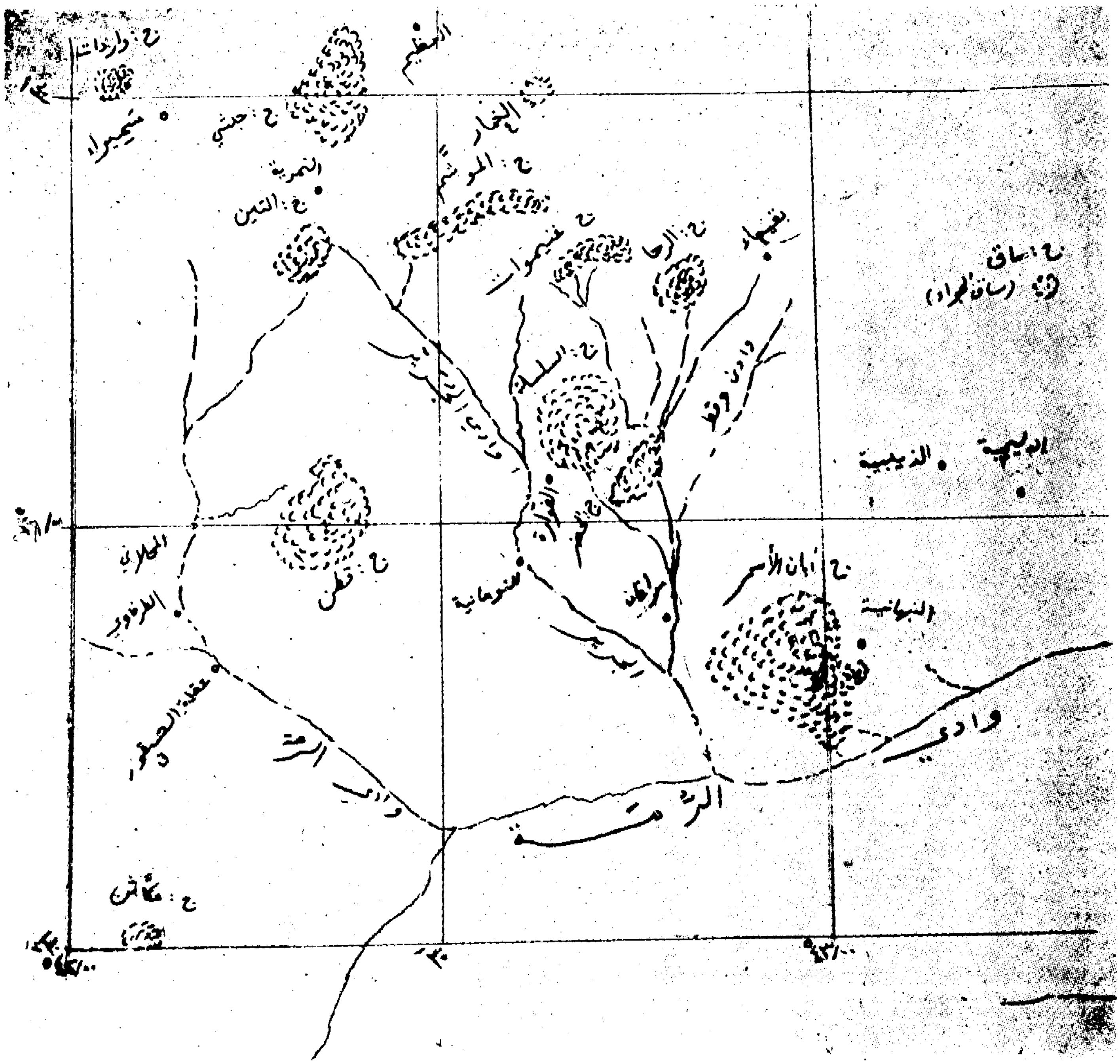
---

(١) صفحة ١٩١ نفس المصدر .

الغزرب السِّتار الذي ذكره امرؤ القيس يقع جنوباً عن هذه المواضع – كما يفهم من كلامه – ولا يزال معروفاً بغرب قرية ضرية ، أمــا يذبل فهوالجبل العظيم الواقع في العِرْض المعروف الآن باسم (صَبْحَا) لا شك في ذلك .



(مخطط تقريبي يوضح المواضع المذكورة في المقال نقلاً عن رسم كاتبه)



رسم تقريبي للمواضع القريبة من وادي ثادق نقلاً عن الخريطة الجغرافيـة لوادي الرمة (رقم B ٢٠٦ – I – أبحاث جيولوجية مختلفة) .

حول جريدة « بريد الحجاز »

علق الأستاذ عبد الله الحكمي في الجزء العاشر (ربيع الثاني ١٣٩٠) من مجلة « العرب » على ما كتبه الأستاذ عبد الله الماجد عن جريدة « بريد الحجاز) في الجزء الخامس (ذو القعدة ١٣٨٩) من هذه المجلة . وقد صحح ما ذكره الماجد من أن أعداد «بريد الحجاز» قد بلغت اثنين وعشرين عدداً ، فقال بأن هذه الجريدة قد أصدرت خمسة وخمسين عدداً . ولا شك في أن ما ذكره الحكمي أقرب إلى الصحة مما قاله الماجد ، ولكن حيث أن الحكمي قد جزم بأن « بريد الحجاز » لم تصدر سوى خمسة وخمسين عدداً فإني أود أن أشير إلى أنه يوجد الآن من « بريد الحجاز» ستة وخمسون عدداً وأن العدد السادس والخمسين قد صدر في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٢٥ . وأود أن أشير كذلك إلى أن العدد الخامس والخمسين من هذه الجريدة لم يصدر في يوم الأحد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٤ كما قال الاستاذ الحكمي ، بل صدر في يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤ الموافق ٩ ديسمبر ١٩٢٥ .

محمد الشامخ

مواضع في الافلاج

وكتب الى « العرب » الاديب الشاب وقيان بن عمر آل لحيان يعلق على مواضع ورد ذكرها في كتاب « بلاد العرب » للأصبهاني بما هذا ملخصه :

١ – ص ٢٢٣ سيح الزهدمي . قد اندثر هذا السيح ، ولم يبقَ له أثر ، ولكن يوجد خربات في الجنوب الشرقي من السيح يسميها أهل تلك الجهة قُصيرات عاد بضم القاف ، ولا يبعد أن تكون آثار الزهدمي لأنها مفضية إلى البياض.

٢ – ص ٢٢٣ ورد ذكر المحطي لبني جعدة وأنه بين الزهدمي وسوق الفلج . وسوق الفلج كما يفهم من كلام المتقدمين يقع شمال شرقي قرية الحرفة ،

على الجانب الشمالي لوادي الاحمر ، وحدّه الغربي خط الاسفلت ، وعلى هذا ينبغي أن يكون موضع المحطي بين قريتي الخرفة والسيح ، وقد تكون آثاره طمتها الرمال ، أما سوق الفلج فلا تزال بعض آثاره من جدران باقية تكاد تغطيها الرمال .

٣ – أكمة وكرز والأحمر ، هذه الاسماء الثلاثة تنطبق على مسمى واحد وهو واد ينحدر من أعالي جبال طويق الغربية ، فيسقي قرية الاحمر ، ويمر بقرية واسط حيث تسقيها روافد منه ، ويستمر مشرقاً فيسقي قرى الخرفة والروضة والصغو ، وإذا زاد سيله استمر حتى يسقي قرية السيح ، وإن جاد استمر حتى تبتلعه الأرض القريبة من النهدين شرقي السيح ، سمي وادي أكمة لوجود أكمة كبيرة مستديرة منعزلة شرقي الروقية ، بما يقارب كيلاً ونصف كيل ، ويسمى الوادي باسم كرز ، وهو أعلى الوادي الكبير غرب الاحمر ، وأطلق على جميع الوادي ، ثم يمر بقرية الاحمر ، فيسمى بوادي الاحمر .

٤ – الداودي الوارد في ص ٢٢٤ : قرية مهجورة شرق قرية الاحمر ، على الجانب الشمالي من الوادي إذا جاد السيل كاد يصلها ، وهي منسوبة لآل داود سكان الأحمر قبل أربعة قرون تقريباً .

٥ – الزرنوق على جانب وادي أكمة من الشمال ، وهو شمال قرية الخرفة مباشرة ، وغرب سوق الفلج ، وآثاره باقية مشاهدة الآن .

٦ – قرن : يرى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الفالح – وهو من المعنيين بالتاريخ في هذه الجهة – أنها خربات تقع شرق قرية الصغو ، على مسافة ١٢ كيلاً عن ليلى جنوباً ، وقال : هي خربات قرن .

٧ – القاع : يقول الشيخ عبد الله الفالح انه لا يعرف عنها شيئاً ، وسألت أهل قرية الصغو ، فقالوا : هناك خربات قديمة ، ومدخل القرية لا يزال قائماً ، وعلى هذا ، فأرى ان الصغو قامت على أنقاض القاع .

٨ – صداء (الواردة ص ٢٢٦) هناك خربات بعض حصونها قائم مهجور تقع شرق قرية البديع بمسافة ٤ أكيال ، والبديع تبعد عن ليلى ٣٢ كيلاً .

٩ – الشطبيـة ، صوابها الشطبة ، وليست جنـوب وادي الاحمر ، بل

جنــوب وادي الاحمر وادي حَرِم وجنوب حرم وادي الهــدار ، وجنوب الهدار واديا الشطبة والضبعية ، ويجتمعــان في موضع يــدعى المقرن ، وفي الشطبية قبيلة الخضران ، وفي الضبعية نفر من الوداعين من الدواسر .

١٠ – واسط (ص ٢٢٧) وردت أكمة بأنها هي الاحمر ، والصواب : ان أكمة فيها قريتان : قرية واسط في الوسط ، وفي أعلى الوادي قرية الاحمر، وقرية واسط هي موضع السوق أيام بني جعدة قامت على أنقاض قرية الباحة التاريخية ، والتي لا تزال آثار حصونها ماثلة للنظر .

١١ – النضح (ص ٢٢٨) تغير اسمهــا الآن الى الخبي ، وسيــل الوادي يصب في العقيمي ، وفي أسفل الخبي منهل نسلة .

١٢ – دلاميس (ص ٢٢٩) تعرف الآن باسم الغينة بكسر الغين شمال وادي المراء ، وفي أسفل وادي الغينة آبار قديمة تسمى مقيم .

١٣ – الوره (ص ٢٣٠) أخطأ الملق حيث جعلهــــا في أعلى وادي العقيمي ، إذ هي في ملتقى شعبي غلغل والدريعي ، وهما فرعان من شطاب ، والدريعي يعرف باسم الثجة قديماً ، وشطاب كان يعرف أيضاً باسم (الوره) ، وشرق بئر الوره المعروفة الآن باسم الورهية – عند حد السهل من الجبل – بئر قَلْتُها – بفتح القاف وإسكان اللام .

١٤ – الصدارة (ص ٢٣١) هي قرية من قرى الافلاج في أعلى وادي الغيل تعرف الآن باسم الستارة ، وسكانها آل ذيب من سبيع .

١٥ – ثنية الهدار : تعرف الآن باسم النتج والنتــوج بقرب شعب صغير يدعى (النتيج) ، ولعل النتيج هو ثنية الهدار القديمة .

١٦ – ثنية أكمة (لا تعرف بثنية الأحمر كما جاء في الحاشية) ولكنهــا تدعى الجويفاء غرب الاحمر بعشرين كيلا تقريباً ، وبهــا منهل بهــذا الاسم ، ولعله هو المعروف قديماً باسم وحاة — وقيّان بن عمر آل لحيان .

« العرب » : هذه خلاصة رسالة الشاب الاديب وقيــان ، و « العرب » تقدر اهتمامه وعنايته بتحقيق مواضع بلاده ، وترجو أن يجد القراء من أمثاله من الشباب الواعي من يعنى بتاريخ البلاد وجغرافيتها كل فيما يخصه .

الرس

وجاءنا تعليقاً على ما كتبناه عن الرس ما يلي :

تلقينا في بداية شهر رجب مجلة « العرب » كالعادة في كل شهر ، ولكن هذه المرة لم يفرحنا ما كتب فيها عن الرس . وخاصة انك نفيت مدينة الرس الواقعة في القصيم عن مسرح التاريخ ، ونقول ان معك حق لأنك لم تقم بزيارتها لترى معالمها التاريخية الموجودة حتى الآن مثل الرسيس ووادي الرمة ووادي النساء وغيرها.

فزهير لم يزر فقط الرس بل زار عنيزة وغيرها من مدن القصيم وقال فيها شعراً موجوداً في كتب التاريخ ، فعندما قال :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازله ؟ عفا الرس منه فالرسيس فعاقله

فهو بذلك يعني الرس الموجود في القصيم بدون مناقشة ، فالرسيس موجود حتى الآن قصور ومزارع ، ويقع بجوار مدينة الرس ، وكذلك يوجد « العاقلى » ، وهو مكان به آبار من المياه العذبة تسكن حوله حرب وعتيبة منذ القدم ومكان يسقون منه أغنامهم وإبلهم .

ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أن الرس كانت آباراً لبني أسد وأنها تقع في عوالي القصيم .. أما في عصرنا الحاضر فقد كتب عنها بعض من جابوا الجزيرة العربية نذكر منهم الرحالة أمين الريحاني والاستاذ حافظ وهبة وعبد الله فلبي والشيخ ابن بليهد صاحب « صحيح الاخبار » .

ومن الأماكن التاريخية المشهورة فيها « وادي عاقل » الذي ذكر في بيت شعر زهير ، وهو الذي كانت تقطن فيه قبيلة بني أسد وترعى في رياضه أغنامها وإبلها ، وكذلك « وادي النساء » ، كا يوجد في جنوب المدينة جبال (خزاز) المشهورة بموقعتها المعروفة ، وفي شرق خزاز توجد جبال واردات وهي التي وقعت فيها إحدى المعارك بين ابني وائل بكر وتغلب في حرب البسوس.

هذا وبودّي لو تنشروا رسالتي هذه ليقرأها كل من لم يزر مدينة الرس ليطلع على آثارها .

ابراهيم بن محمد الصائغ — الرس

العرب : حُبّاً وكرامة . نشرناها على عِلاّتها !!.

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الخبرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الخامس – السنة الخامسة – ذو القعدة ١٣٩٠ – ك ٢ (يناير) ١٩٧١

"الأعراب" في النقوش العربية الجنوبية

لدراسة أصل وتطور كلمة عرب أو أعراب أهمية كبيرة وذلك بالرجوع للنقوش القديمة والمصادر الكلاسيكية . وقد وردت أول اشارة صريحة إلى كلمة العرب في نقش آشوري يعود لشلمنصر الثالث حيث ذكر في أخبار حملته ضد ملك الشام . « قرقر (Karkar) عاصمته الملكية : أنا خرّبتها ، أنا دمّرتها ، أنا أحرقتها بالنار ، ١٢٠٠ فارس ، ٢٠٠٠٠ جندي لحداد استر من ارم (دمشق) ١٠٠٠ جمل لجندبو العربي ... » [(١)] .

ويلاحظ ان هذا النص الذي يعتبر أقدم ما لدينا عن ذكر العرب، ذكرهم مع الجمال وقد وردت كلمة أرض العرب في السنة الثالثة من حكم تغلث بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق . م) . فقد ذكر أنه فرض الجزية على زبيبي ملكة أرض العرب : « وفي السنة التاسعة (لحكمه) قهر ملكة أخرى عربية اسمها سامي وقبيلة مسماي التي في تمي (Temai تيماء) وسبأ أرسلوا له جزية من ذهب وجمال وتوابل » [(٢)] .

---

(1) D. D. Luckenbill , Ancient Records of Assyra and Babylonia , I, p. 223, No. 611 .

(2) D . Nielsen , Hakdbuch der altarabischen Alterlumskunde, 1 , (CoPenhagen 1927) , p. 65 .

أما سرجون الثاني الذي حكم بين (٧٢٢ – ٧٠٥) فقد تسلّم جزية من ذهب من شمسي ملكة الأعراب . ويثعر زعيم سبأ وغيرهم من ملوك مصر والصحراء [١] .

ان كلمة عرب وأعراب الواردة في النقوش الاشورية تتعلق بسكان شمال الجزيرة العربية ، أما سكان جنوب الجزيرة فقد أطلق عليهم سبأ ، ولذا فمن الممكن أن نقول ان كلمة عرب هنا لا تشير فقط الى الأعراب (البدو) بل هي أيضاً تشير الى سكان المدن من العرب .

تردّد ذكر العرب وجزيرة العرب في المصادر الاغريقية والرومانية القديمة وقـــد قسمت هذه المصادر الأراضي العربية الى العربيـــة الصخرية Arabia Petraea والعربية الصحراوية [٢] Arabia Deserta والعربيـــة السعيدة [٣] Arabia Felix .

وهذا التقسيم قد يعبّر عن تقسيم سياسي للأراضي العربية كان سائدا قبيل المسيح .

فالعربية الصخرية تشمل سيناء ومملكة الانباط التي كانت عاصمتها بطرا والتي أصبحت تحت الحكم الروماني سنة ١٠٦ م . وتشمل العربية الصحراوية عند الإغريق بادية الشام ؛ أما العربية السعيدة فتشمل بقيــة الجزيرة العربية التي لم يصلها الحكم الروماني .

ان أول من ذكر بـلاد العرب في المصادر الأدبية الإغريقية هو اسخلس Aeschylis (٥٢٥ – ٤٥٦ ق . م) حيث ذكر قائداً عربياً كان في جيش زركسيس (Xerxes) . ثم هيرودوتس المؤرخ المشهور (المتوفى بين ٤٨٤– ٤٥٥ ق . م) ذكر الأعراب في جيش زركسيس Xerxes الملك الاخاميني

(1) See, Hitti, History of the Arabs. (London 1937) , p. 39 .
(2) Musil, A. Arabia Deserta. (New York, 1927), p. 497 .
(3) E. I. (1) S. V « Yemen », cf. Musil , Arabia Deseta, p . 497 - 98.

وقد أشار إلى انهم كانوا يعيشون في الصحراء شرقي مصر [١] .

أما بطليموس Ptolemy الذي عاش في منتصف القرن الثـاني للميلاد فقد سمى العرب Saracens . وكذلك Ammianus Marcellinus الذي كتب في نهاية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي دعى العرب Saracens . وجاء بعده Marcian of Herachlea المتوفي حوالي سنة ٤٠٠ م) فأطلق عليهم اسم Saraceni [٢] .

أما النقوش والرسوم الصفوية والثمودية فهي من مخلفات الأعراب (البدو) أنفسهم ، لم تذكر كلمة عرب أو أعراب على الرغم من أنهـا جاءت بصورة خاصة من البدو [٣] .

ومن النقوش العربيـــة التي تذكر اسم العرب نقش النمارة [٤] أو نقش قبر امرىء القيس الذي أطلق على نفسه « ملك العرب كلهم ». وقد ذكر فيه بأنه أخضع قبائل الأسديين ونزار ومعد وهزم مذحج . وهذا النقش مؤرخ بتاريخ ٣٢٨ م وترجمته : « هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ، الذي تقلد التاج ، وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج إلى اليوم ، وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معداً ، واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه إلى اليوم ، توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من بكسلول وفق بنوه للسعادة » .

إن كلمة عرب في النقش إما أن تعني قبائل بادية الشام وشمال الجزيرة العربية مـــع القبائل التي أخضعها على اعتبارها منطقة نفوذه أو حكمه ، أو تعني فقط القبائل التي أخضعها وهي قبائل الأسدين ونزار ومعد تلك القبائل التي كانت تسكن وسط الجزيرة العربية إلى أطراف نجران جنوباً .

(1) Hitti. History ... , p. 44 .
(2) Ibid, p 44 .
(3) Musid, Northern negd,(New York, 1928) q. 313; A. Van Den Branden, Les InscriPtions Thamoudéennes, (Beyrouth, 1960) p. 7 .
(4) R. E. S. 483.

وقد ورد اسم العرب Arrhabitai في نقش عـــدولي Monumentum Adulitanum الذي دوّنه أحد ملوك الأحباش (أكسوم). والنص الاغريقي لهذا النقش يسجل بأن هذا الملك قد أخضع الحجاز وعسير الـتي تقع إلى الشمال من مملكة سبأ وتمتد إلى جنوب حدود الممتلكات الرومانية في شمال الحجـــاز . وحسب رأي بطليموس فإن قبائـــل Kinaidokolpita وArrhabitai يظهر أنها كانتا تعيشان قرب ساحل الحجاز وعسير .

لقد دون هذا النقش الناقص من قبل ملك غير معروف الاسم إذ يذكر الملك فيـــه : « أرسلت سفنـــاً وجيشاً عـبر البحر الأحمر ضـــد Arrhabitai و Kinaidokolpitia الذين يسكنان هناك وفرضت ضرائب على ملوكها ، وأمرتها أن يدفعا خراجاً عن أرضهما وأن يذهبا براً وبحراً بسلام ، وحاربت من Leukekome إلى بلاد سبأ » [١] . لقد فسر « سدني سميث » النص أعلاه بقوله بأن الأقطار التي احتلها هي عبارة عن ساحل القرصنة التي ذكرهـــا Periplus [٢] . وفي صفحة ٤٥٤ هامش رقم خمسة أضاف سميث بأن رجال Kinaidokolpilai يسكنون عند البحر الأحمـــر وهم Kanraitai الاسم الذي أطلقه Periplus على هذا الاقليم .

أما « كونتي روسيني »[٣] فقد نسب هذا النقش إلى الملك الاكسومي أفيلي Aphilas الذي حكم في نهاية القرن الثالث للميلاد . أما كلازر فقد ذكر في أكثر من مكان أن ملوك اكسوم عملوا بتحالف مشترك مع الرومان ولهذا ربط هذا الغزو بالمصالح الرومانية للسيطرة على الجزيرة العربية خوفاً من ازدياد قوة قبائل وسط الجزيرة مثل قبيلة كندة [٤] ، أو لغرض حفظ توازن القوى ، وذلك لازدياد الصداقة بين الجنوب العربي والفرس عـــدوة

(1) Smith, S. S. « Events in Arabia in the 6th century A. D. » , BSOAS, XVI 1954, p. 455 .

(٢) نفس المصدر السابق .

3. Conti Rossini, Sloria d'étiopia, Bergamo 1928 , p. 129 .

4. Glaser, Skizze der Geschichte .. Berlin 1889 - 90 , II, p. 234 .

الرومان . ولهذا فانه يفترض أن عدم تدخل هذا الملك بالحدود الرومانية طالما أنه لم يتقدم أكثر إلى الشمال من الحوراء Leukekome يعطينا دليلاً بأن هذه الحملة يجب أن تكون بمعرفة الرومان [١] . وذكر كلازر بأن هذا النقش يعود إلى نهاية القرن الثالث للميلاد خلال حكم شمز يرعش[٢] . ومن الواضح في هذا النقش أن الحملة كانت موجهة إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر ووسط الجزيرة العربية وليس ضد جنوب الجزيرة بالذات حيث مملكة سبأ . ولهذا فلا يمكن ربط هذه الحملة مع الحملة الحبشية المزعومة على الجنوب العربي في القرن الرابع الميلادي [٣] .

ويفهم من نقش عدولي بأن سلامة الطرق الأرضية والبحرية كانت السبب الرئيسي لهذه الحملة فيما إذا كانت هذه الحملة بمعرفة او تشجيع الرومان ، فإن كان كذلك فيجب أن نحدد الزمن الذي كانت فيه مصالح الرومان مهددة في هذه المنطقة ، وان الرومان كانوا غير قادرين على المحافظة على طرق المواصلات في هذه المنطقة . مثل هذا الزمن يجب أن يكون في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، وعندما وصلت خسارة الرومان الدرجة القصوى في الشرق في عهد فالريان Valerian وابنه جالينوس Gallienus اللذين حكما من سنة ٢٥٣م – ٢٦٨م . فالملك الاكسومي يجب أن يكون قد حارب في الساحل الغربي من جزيرة العرب ، ولكن قبل أن تستطيع تدمر السيطرة على طرق القوافل ، ويمكن أن نفترض أيضاً بأن هناك روابط قوية بين تدمر وحكومات وسط جزيرة العرب ، أو ربما هناك اتصال بين هذه الدول وتدمر مما أعطى قبائل غرب وسط الجزيرة العربية القوة للتخلص من أي سيطرة أو نفوذ اكسومي . ولكن إذا اعتبرنا تاريخ النقش حوالي نهاية

1. Idem, Die Abessenier in Arabian and afrika , Munchen, 1895, p. 150 .

(٢) المصدر السابق .

(٣) كان الاعتقاد السائد بأن الأحباش احتلوا الجنوب العربي في الفترة بين ٣٤٠م–٣٧٨م ولكنه بعد أن نشر Jamme نقوشاً تذكر أسماء ملوك حكموا في هذه الفترة فمن الصعب القول بأي اختلال في هذه الفترة .

القرن الثالث للميلاد بالضبط فإنه يمكن أن يقترح على أن هذه الحملة كانت لفائدة الرومان لكي يضمنوا أي اضطراب سياسي يهدد طرق المواصلات وليسيطروا على هذه الأراضي التي كانت تحت نفوذ تدمر ، والتي كانت بعيدة عن سيطرة الرومان أنفسهم ، وعلى هذا الافتراض فإن ما أحدثته الحملة الحبشية في غرب ووسط الجزيرة من قلق كان المبرر للملوك جنوب الجزيرة للسيطرة على هذه الأراضي ، بالرغم من أن هذه الحملة لم تصطدم مع ملوك جنوب الجزيرة [١] . وهذا وقد اقترح بعض الباحثين أن زمن هذه الحملة كان في منتصف القرن الثاني للميلاد [٢] .

ولنعد إلى ذكر الاعراب في القرآن الكريم فقد ورد ذكر الاعراب في عشرة مواضع ، ولكن القرآن لم يذكر مطلقاً كلمة عرب مع العلم بأن كلمة عربي (في حالة المضاف إليه) استعملت إحدى عشرة مرة كنعت أو صفة في القرآن .

إن كلمة الأعراب في القرآن الكريم يقصد منها « البدو » . فالطبري عند تفسيره للآية : « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم »(التوبة : ٩٠)، يقول بأن المقصود بالأعراب في هذه الآية هم بنو غفار [٣] . وفي الآية : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم » (الحجرات : ١٤) . فالطبري هنا يذكر بأن المقصود بالأعراب هم بنو أسد بن خزيمة [٤] . وفي الآية « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ... » (الفتح ١١) يقصد بالأعراب في هذه

1. J. Ryckmans, L'Institution monariques en ara· ia meridional avant L'Islam (Lowen 1951) , p. 310. Cf. Glaser, Skizze II. p. 234 .
2. Van Wissmqnn, De mari Erythraes, p. 317 and n. 92, E. I 2 S. V. « Badw » .

(٣) الطبري : تفسير ج ١٠ ص ٢٠٩ عن مجاهد .
(٤) الطبري ، ج ٢٥ ص ١٢١ .

الآية قبائل جهينة ومزينة [١] . ويذكر الطبري أيضاً بوضوح أن المقصود بالأعراب في القرآن الكريم هم البدو « أهل الوبر » [٢] الذين يختلفون عن العرب السكان المستقرين « أهل المدر » [٣] (أهل المصر) ومن هنا يتضح أن المفسرين اتفقوا على أن المقصود بالأعراب هم البدو .

ويلاحظ أن كل الآيات القرآنية عند ذكرها للأعراب تذكرهم على أنهم غير مؤمنين وأنهم كانوا على الدوام يخلقون المتاعب ومصدر شغب واضطراب للرسول ﷺ .

وتميز المعاجم العربية القديمة بين « العرب » و « الأعراب » وتذكر بأن المقصود بالأعراب هم « البدو » بينما كلمة « عرب » يقصد بها سكان الأمصار أو السكان المستقرين ممن تكلم اللغة العربية .

أما في الحديث الشريف فعند ذكر الأعراب يقصد به البدو أيضاً . ففي زمن الرسول ﷺ كان المسلمون يستعيذون الله لينجيهم من « التعرب بعد الهجرة » [٤] .

لعل هذه النظرة إلى الأعراب ظهرت في أول الإسلام عندما كان الرسول ﷺ بحاجة إلى كل من يدخل الإسلام لكي يهاجر إلى المدينة ليستقر فيها ويحارب بجانب المسلمين الذين كانوا في أشد الحاجة إلى المحاربين . ولهذا اشترط النبي ﷺ على كل من يعتنق الإسلام أن يقيم في المدينة وكان الإسلام قبل فتح مكة مقصوراً على المدينة [٥] وأهلها، غير انه بعد فتح مكة تغيرت الحالة،

---

(١) المصدر السابق ج ٢٦ ص ٧٠٧٦ . وانظر أيضاً الواحدي «أسباب النزول» ص ٢٢٥ .

(٢) الطبري ، تفسير ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ج ٢٢ ص ١٤٣ « أهل البادية » .

(٣) المصدر السابق ج ٢١ ص ٢٤٢ .

(٤) ابن سيدة ، المحكم ج ٢ ص ٩٠ . الزنجاني ، التهذيب ج ١ ص ٧٥ : « والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش وجهه ، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له » انظر لسان العرب ج ١١ ص ٧٥ - ٧٦ ، تاج العروس ج ١ ص ٣٧١ ، الجوهري : الصحاح ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) ابن حنبل ، المسند ج ٢ ص ٥٢٢ ، الإكليل ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧ يذكر « عن عقبة بن عامر الجهني قال : بلغني قدوم رسول الله (ص) ، فقدمت عليه فقلت : يا رسول الله بايعني . فقال : أبيعة اعرابية أم بيعة هجرية ؟ فقلت : بل بيعة هجرية . فبايعني » .

ومع ذلك حتى قبل فتح مكة فإن كلمة هجرة كانت في بعض الأحيان يقصد بها غير الهجرة إلى المدينة ، فعندما قال رهط من عكل أو عرينة لرسول الله ﷺ « يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة » . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذوده أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها [١] .

وقد حاول بعض الأعراب من مزينة القاطنين حول المدينة أن يستوطنوا المدينة بعد إسلامهم غير أن بعض الأنصار الذين كانوا قد شعروا بازدياد نفوذ مهاجري مكة طلبوا من الرسول ﷺ أن يرفض طلب هؤلاء الأعراب بالاستيطان في المدينة ، وهكذا سمح الرسول لهؤلاء الأعراب بالبقاء في أماكنهم واعتبر أراضيهم دار هجرة ونفى عنهم صفة الأعراب[٢] . ويظهر أن هذا الاعتراف بسكناهم خارج المدينة واعتبار أراضيهم بأن تكون دار هجرة بأن هؤلاء الأعراب قد قبلوا بالإسلام وبسيطرة الرسول ﷺ وأصبحوا خاضعين لحكومة المدينة . وأهم مظهر لهذه السيطرة انهم مستعدون للحرب بجانب المسلمين عندما يطلب ذلك منهم وليس مجرد أن يدافعوا عن أنفسهم وعن المدينة . وحدّث عبد الرحمن بن حرملة قال : سمعت عبد الله ابن نيار الأسلمي يقول : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : — وذكرت عائشة عنده الأعراب — فقال يا عائشة ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ، ونحن أهل حاضرتهم فإذا دعوا أجابوا ، فليسُوا بأعراب » [٣] .

وقد أجاز الرسول ﷺ بعد فتح مكة لمن دخل الإسلام أن يبقى مقيما ،

---

(١) البخاري : الصحيح (كتاب الديات عن أنس بن مالك) ، نفس المصدر (كتاب الطب ج ٨ ص ١٦) ، وانظر الواحدي : أسباب النزول ص ١١١ عن أنس بن مالك .

(٢) ابن سعد ج ١ ص ٢٩١ ، وانظر ابا عبيد : « الأموال » ص ٢١٩ « عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال : الهجرة هجرتان هجرة البادي وهجرة الحاضر ، فاما هجرة البادي فعليه أن يجيب إذا دعي وأن يطيع إذا أمر ، اما هجرة الحاضر فهي أشد بلية وأعظم أجرا .

(٣) أبو عبيد : « الأموال » ص ٢١٩ ، وانظر الواحدي :« أسباب النزول » ص ١٤٨ .

دون أن يلزمهم بالهجرة إلى المدينة « لا هجرة بعد الفتح »[١] . ويعني ذلك بأنه لا حاجة للمسلمين الجدد للهجرة إلى المدينة ويكتفى منهم بالإسلام ، والخضوع لحكومة الرسول في المدينة وتصبح أماكنهم دار هجرة[٢] .

والملاحظ أن المصادر العربية تعتبر سكان البادية أو الصحراء أقل منزلة من سكان المدن ، وهكذا فإن عبارة تعربوا[٣] مصدرها تعرب كان تطلق على الأشخاص الذين سكنوا المدن (مهاجرين)[٤] وبعد ذلك ذهبوا للسكن في الصحراء ، وهذا العمل يعني ترك المجتمع الإسلامي ولهذا اعتبر من الكبائر وحكم التارك للهجرة كحكم المرتد أي الكافر وقد اتهم سلمة بن الأكوع (ت ٧٤ هـ / ٦٩٤ م)[٥] بالردة عندما سكن الربذة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض)، فقال معاذ الله، والله إني في إذن من رسول الله ﷺ ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : اسكنوا الشعاب ، فقالوا : يا رسول الله إنا نخاف أن يضرنا ذلك في هجرتنا . فقال : أنتم مهاجرون حيثما كنتم »[٦].

وأحسن مثال لدراسة كلمة الأعراب في الجنوب العربي ، هو دراسة الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لقيس بن مالك الهمداني (ت٢٥هـ/٦٤٥م)

---

(١) ابو عبيد : « الأموال » ص ٢١٧ .

(٢) ومن الطريف أن نذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أوصى الخليفة بعده « أوصيه بالاعراب خيراً فانهم أصل العرب ومادة الإسلام » ، ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٩ « والاعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام » الطبري ج ١ ص ٢٧٧٥ .

(٣) من الملاحظ أن كلمة اعرابية التي تعني« عادات البدو » لها علاقة بـ « جفاء » فقد وصف وكيع بن أبي سود بأنه فيه « جفاء واعرابية » ولهذا فهو لا يصلح لامارة خراسان ، البلاذري : « فتوح » ص ٤٢٥ ؛ وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز : « ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب ، لولا جفاء فيهم » الجاحظ : « البيان » ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) أبو عبيد : « الأمـــوال » ص ٢١٧ ، ابن الأثير : « النهاية » ج ٣ ص ٢٠٢ ، « تاج العروس » مادة « عرب » .

(٥) أبو عبيد : « الأموال » ص ٢٢٠ ، البخاري « الصحاح » (كتاب الفتن ١٤) ج ٢ ص ٦٦ ، ابن الأثير : « النهاية » ج ٣ ص ٢٠٢ .

(٦) أبو عبيد : الأموال ص ٢٢ .

والذي ذكره ابن سعد [١] . « فكتب عهده على قومه همدان أحمورها (يعني قبائل قدم ، وآل ذي مرّان وآل ذي لعوة ، وأذواء همدان) وغربها (يعني قبائل أرحب ونهم وشاكر ووادعة ويام ومُرهبة ودالان ، وخارف وعُذَر وحجور) وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا وأن لهم ذمّة رسوله ... »

وقد اختلفت المصادر في ضبط كلمة غُربها ولكننا نرجح أن نقرأها عَربها بدل غربها ففي النص الذي ورد في كتاب « نهاية الأرب » للنويري[٢] لهذا الكتاب يوردها النويري عربها وليس غربها . أما ابن حجر فيذكر « وهمدان عربها ومواليها وخلائطها[٣] » وهكذا يحذف ابن حجر وأحمورها. أما ابن الأثير فقد ذكر « ملكه على عربهم وخمورهم » [٤] .

ومن الواضح أن هناك فرعين أو مجموعتين من الناس يمكن أن تصنف تحت كلمة عربها وأحمورها ، وأن هناك مجموعتين من القبائل هم أحلاف(مجموعة مع همدان أو حكومة الجنوب العربي فقبائل حمير كما نرى في النص كلها تحمل لقب « ا ل ذ ي » ما عدا قبيلة قُدم أما القبائل التي تتكون منها جماعة الأعراب فلا تحمل هذا اللقب . ولذا فالراجح أن القبائل المذكورة في هذا النص والتي تحمل لقب « ا ل ذ ي » كان لها سيطرة سياسية ، وأن لقبها بقي الى الاسلام وان لم يكن له أثر فعال في حكومة الجنوب العربي التي حكمتها حمير لخمسة قرون قبل الاسلام .

---

(١) ابن سعد ج ١ ص ٣٤١ حميد الله ، الوثائق السياسية ص ١٥٣

j. wellhausen, Skizzen und vorarbeiten Berlin IV(1889) , p 179 .
« die Ahmur und die gharb und die Mischlinge und schutzgentzgenossen ·

(٢) النويري ج ١ ص ٩ .
(٣) ابن حجر ، الاصابة ج ٦ ص ٢٦٤ .
(٤) ابن الأثير ، النهاية مادة خمر وانظر :

M·a. ghul, « New Qatabani inscriptions » , BSOAS XXII (1959) p. 14 Landberg glossaire Datinois I, p 493 الذي قرأها وعربها .

ولنعد إلى كلمة أعراب منذ القدم كما جاءت في النقوش العربية الجنوبية :

فنقش Ja 560 الذي قدم من قبل « ذ ع ي ن و م » ذو عينم يسجل حملة عسكرية أرسلت من قبل (ن ش أ ك ر ب) نشأكرب بن مذر على ذرع ملك سبأ إلى بلاد الأعراب (ع د ى ، أ ر ض ، ع ر ب ن) لكي يجلب وينقذ أصحابه الذين صحبوه خلف مدينة مأرب .

ونقش ja 561 bis الذي يعود الى و هـ ب أ ل ، ي ح ز ، م ل ك ، س ب أ ،) وهب ايل يحز ملك سبأ ، يدون الحروب بين (أ م ل ك ، س ب أ ، و ب ن ي ، ذ ر ي د ن ، و ب ك ل ، ا ب ر ث ، ع د ي هـ م و ، هـ و ص ل و ، لـ ض ر م، ب ع ل ي ، ذ ب ن ، أ ع ر ب ن، ب أ و ث ن ، ش ع ب ن ، ح ش د م ، و ب ذ ب ن ، أ ر ض ت ، ع ر ب ن ، أ ع ر ب ، خ ط أ و ، ب أ م ر ا هـ م و ، أ م ل ك ، س ب أ ، و ب ذ ب ن ، أ رض ت ، ا ش ع ب ، م ل ك ، س ب أ السطر ٩ — ١٤) .

ومعناها ملوك سبأ وبنو ذي ريدان وكل الجيوش التي تدخلت (في الحرب) معهم ووصلوا لحرب بعض الأعراب على حدود شعب حاشد وضد بعض أراضي الأعراب ، الأعراب (الذين) أخطأوا (بحق) أمرائهم ملوك سبأ ، وضد أرض شعوب ملك سبأ [١] .

يظهر من هذا النص أن أول ذكر للأعراب في النقوش التي أوردناها تذكر أن الأعراب في صراع مع حكومة الجنوب العربي ولعل هذا يعني أن الأعراب كانوا تحت نفوذ الحكومة ثم ثاروا عليها . ومن الواضح من نقش ja 560 بأن هنالك (ا ر ض ت ، ع ر ب ن) [٢] أرض العرب ولكننا لا نعرف موقها منهذا النقش ولكن نقش ja561bits يذكر أيضاً (ا ر ض ت، ع ر ب ن) أرض العرب ويجعلها على حدود حاشد ، وهذا يدل على أن

(1) – Jamme, Sabaean Inscriptions . p. 37 .
(2) CIH 343 أيضاً يذكر (أ ر ض ، ح م ي ر ن ، و ع ر ب ن

الأعراب كانوا يسكنون في القسم الشمالي من الجنوب العربي منذ القرن الثاني قبل الميلاد .

ويرد ذكر للأعراب أيضاً في نقشي تامي ٧١ ، ٧٣ الـلذين يعودان إلى زمن علهان (عليهو ، علهن ، ملك سبأ ، وخميس ، واعراب ، ملك سبأ).

ان بداية نقش ja 635 تشير الى حروب للملك (ش أ م ر ، أ و ت ر ، م ل ك ، س ب أ ، و ذ و ر ي د ن ، ب ن ، ع ل هـ ن ، ن هـ ف ن ، م ل ك ، س ب أ) « شمر اوتر ملك سبأ وذوريدان – ابن علهان نهفان ملك سبأ » .

« من الجنوب ومن الشمال ومن البحر ومن البر » ب ن ، ذ ي م ن ت ، (و ب ن ، – ذ ش أ م ت ، و ب ن ، ذ ب ح ر ن ، و ي ب س ن) السطر ١٢ – ١٣ .

وهذه الحروب تقسم إلى أربع حملات [١] ، قاد الحملات الثـلاث الاولى الملك شأرم أوتر يرافقه صاحب النقش أعلاه وهو أب كرب أحرس ابن عبلم (أ ب ك ر ب ، أ ح ر س ، ب ن ، ع ب ل م) ، أما الحملة الأخيرة فإن الأخير كان لوحده ، إذ يظهر ان الملك لم يشترك في هذه الحملة . والقـائد صاحب هذا النقش كان على رأس بعض خـولان خضلم وبعض أهل نجران وبعض الأعراب (خ و ل ن ، خ ض ل م ، و ذ ب ن ، ن ج ر ن ، و ذ ب ن ، ع ر ب ن) (السطر ٣٣ – ٣٤) لـكي يحارب جماعة من (ي و ن م) و (ق ر ي ت م) . وقد حاربهم القـائد أب كرب أحرس على حدود (أ ل أ س د) م ج ت ز ، ماء قرب (ت م ل) [٢] .

أما نقش Ja 739 فهو لا يذكر اسم ملك . فصاحب النقش (س ع د ، ش م س م) سعد شمس (م ق ت و ي) كبير قادة (ن م ر ن ، أ و ك ن) نمرن أوكن وأخيه (ج ح ض م ، أ ح ص ن) جحضم أحصن، حاربوا

---

(1) A - Jamme, Sabaean Inscriptions. p. 304

(٢) وتقع شمل على بعد ٣٥٠ كم شمال غرب الأخدود . انظر :
Philby, Arabian Highlands, pp. 31 - 109 .

وغزوا الأعراب (ع ر ب ن) في أرض (م ض ح ي م ، ور د م ن ، و ق ت ب ن) السطر ٩ — ١٠) .

وكذلك نقش Ja 758 الذي لا يذكر اسم الملك أيضاً . فإن صاحبه س خ م ن ، أ و ح م ، ب ن ، ك ر ب ن ، م ق ت و ي ، ن م ر ن ، أ و ك ن ، و أ خ ي ه و ، ج ح ض م ، أ ح ص ن سبوا الاعراب (ع ر ب ن) الذين كانوا في أرض (ر د م ن ، و م ض ح ي م) وفي وادي قتبـــان (ذ ق ت ب ن) .

ويظهر ان كلا نقشي Ja 739 و Ja 758 يعودان الى شخص واحـــد وهو سخمن أوحم قائد لكبير القادة (م ق ت و ي) نمرن أوكل وأخيه جحضم ، والقائدان الأخيران كانا قائدين للملك الشرح يحضب وأخيه يزأل بين ملكي سبأ وذي ريدان .

(أ ل ش ر ح ، ي ح ض ب ، و أ خ ي ه و ، ي أ ز ل ، ب ي ن ، م ل ك ي ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن) كما يظهر من نقش Ja 591/4 .

وأهمية هذه النقوش هو ذكرها للاعراب في الجنـــوب العربي في زمن (أ ل ش ر ح ، ي ح ض ب) في حوالي القرن الأول قبل الميلاد .

وتجدر الإشارة هنا الى أن كافة النقوش التي تذكر الشرح يحضب لا تذكر الأعراب بصراحة إذ انه نعرف من النقوش بأن الشرح يحضب كان في حرب مع أحزاب الحبشة (أ ح ز ب ، ح ب ش ت) و (ذ س ه ر ت م) و (ش م ر ، ذ ر ي ذ ن) وقبائـــل حمير (أ ش ع ب ، ح م ي ر م [Ja 576] . وقاد أيضاً حمـــلة ضد (ك ر ب أ ل ، ذ ر ي د ن) أنظـــر [Ja 578/6] وكذلك ضد نجران [انظر Ja 577/8-14 and 599/2] وضد حضرموت [انظر Ja 115] [1] . ولكن أهم حملات الشرح يحضب كانت

---

1 - Ja 115 (RÉS 3884) , see jamme , Priéces épigraphiques sud - arabes ... Le Muséon , LXV 1952 , pp. 131 - 135.

حملته [1] ضد (م ل ك م ، ك د ت ، و ش ع ب ن ، ك د ت) ملك ملك كندة وشعب كندة ، وامرؤ القيس بن عوف ملك خصاصة (Ja 576) فعلى الرغم من ان الشرح يحضب كان في حرب مع القبائل القاطنة شمال نجران وقرب خصاصة [2] موطن الأعراب ، ولكنه لم يذكر هذه القبائل في نقوشه الأعراب .

ونقش Ja 629 هو أحد النقوش التاريخية المهمة التي تعود الى زمن الملك (س ع د ش م س م ، أ س ر ع ، و ب ن ه و ، م ر ث د م ، ي ه ح م د م ل ك ي ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن ، ب ن ي ، أ ل ش ر ح ، ي ح ض ب ، م ل ك ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن) . وهذا النقش يسجل حملة قام بها (س ع د ش م س م ، ا س ر ع) .

٦ – ع د ي ، أ ر ض ، ش ع ب ن ، ر د م ن ، ب ض ر ، ه ش ت أ ، و ه ب ، أ ل ، ب ن ، م ع ه ر .

٧ – و ذ خ و ل ن ، و ح ض ر م و ت ، و ق ت ب ن ، و ر د م ن ، و م ح ض ح ي م ، و ك ل ، أ ن س ، و أ ع ر ب .

٨ – ك و ن ، ك و ن ه م و ، ب ع ب ر ، أ م ر أ ه م و ، أ م ل ك ، س ب أ .

---

(١) لدراسة حروب الشرح يحضب أنظر Jamme, Sabaean Inscriptions, pp. 315 - 325, J. Pirenne, L'Inscription, Rykmans 535... , le Muséon LXIx 1956. pp. 165 - 81 .

خصاصة أرض لبني زبيد وبني الحارث بن كعب بين الحجاز وتهامة انظر عن موقعها :
K. S. Al-Asali, South arabia in the 5th and 6 th Centuries C. E, Thesis presented for Ph.. D. degree 1968 University of st. andreues. pp. 43 - 45.

(٢) Jamme, Sabaean Inscriptions, p. 341 يقول بأن Ja 629 هو النقش التاريخي الوحيد الذي يعود الى سعدم أسرع ولكن Jamme نفسه نشر النقوش Ja 627 628 , 633, التي تعود الى نفس الملك .

ويمكن أن يقرأ النقش كما يأتي :

٦ – على أرض شعب ردمان بحرب (خلال حرب قـام بها) وهب ايل ابن معهر .

٧ – وخولان وحضرموت وقتبان وردمـان ومقحيم وكل الناس والأعراب .

٨ – أينما كانوا (كون كونهمو) ضد امرائهم ملوك سبأ .

والأعراب يذكرون هنا بصورة خاصة بعـد قبائل الجنوب العربي ، وفي السطر السابع يذكرون بعد ذكر كل الناس (و ك ل ، أ ن س) والتي يظهر بأنها تشير إلى أن الأعراب كانوا غير منظمين قبائلياً .. أمـا في السطر الثالث والثلاثين من نفس النقش فنقرأ :

(ب ن ، ع ن ت ، هـ ع ن و ، و هـ د ر ك ن ، ب ع د ، أ ح ض ر ، و ع ر ب ، و ذ أ و ، ع د ي ، خ ل ف ، ت م ن ع) والتي ربما تقرأ :

عندما أعانوا (ساعدوا) وأدركوا الأحضار والأعـراب (الذين) يتوجهوا إلى خلف (مدينة) تمنع .

ومن المؤكد أن الأحضار (الحضر) الاعراب كانوا ضد القائد . وأن الناذر قدم هذا النقش لرجوعه سالماً بعد حربهم . فالأحضار هنا يمكن أن تعني شيئـين :

١ – الناس المستقرين ، ففي العربية الشمالية حضر تعني المستقرين في محل معين ، وفي هذه الحالة فإن الأعراب في هذا النقش يعني البدو .

٢ – حضارمة (جمع حضرمي) نسبة إلى سكان حضرموت . ولهذا فان (أ ح ض ر) يظهر انها تعني هذا المعنى والتي نراها أكثر وضوحاً في Ja 665-23 حيث يذكر الأحضار في هذا النقش بعد تفاصيل معركة بين طليعة جيش القائد وملك حضرموت (و هـ ر ج م و ، و أ س ر هـ م و ، ك ل هـ و م ، و م ت ع ، ب ن ، هـ م ت أ ح ض ر ن ، أ س م ، ر ك ب م ،

و ث ل ث ت ، ر ح ل م) . والتي تقرأ : « وقتلهم وأسرهم كلهم وأمتع (أنفذ) ومن هؤلاء الأحضار راكب جمل وثلاث رجالة ». ولكن يظهر من Ja629 بأن (أ ح ض ر) هي عكس (ع ر ب) الأعراب وبهذا تكون قراءة النقش أكثر وضوحاً .

ان نقش Ja629 يبدأ بتفاصيل عن عمليات حربية ضد (ي د ع ا ل ، م ل ك ، ح ض ر م و ت) وآخرين (السطر ١٤ — ١٩) . والاختلاف بين (أ ح ض ر : حضارمة) و (ع ر ب : الأعراب) في هذا النقش فيه شيء من الاتفاق وبصورة خاصة لأنه لدينا هنا(ع ر ب) اطلقت على جنس أو جماعة من الناس وليس على أفراد سواء كانوا بدو أم لا .

أما نقوش 350 ,343 , CIH 79 فانها تحتوي — على ما يظهر — على حوادث صراع عنيف وطويل بين ملك سبأ وحمير للسيطرة على الجنوب العربي . ففي نقش CIH 79 فإن (ر ب ب م ، ي أ ز م) من قبيلة (أ خ ر ف) قاد حملة ضد (أ ع ر ب) [ب ع م ، أ ع ر ب] (السطر ٩ — ١٠) خلف منهلة (ب خ ل ف ، م ن هـ ت ن) (السطر العاشر) .

أما في نقش CIH 343 فان (هـ ع ن ، ي أ ز م) وابنيه (ي ح م د) و (ي ح ب ر) من قبيلة (س م ي ع م) قدموا (نذروا) إلى إلههم (ت أ ل ب ، ر ي م م ، إله ، ق د م ن ، من ، ذ د م هـ ن) ثور من ذهب وصنم. وقد ذكر في السطر السابع بأن الناذرين كانوا في(س هـ ر ت ن) وفي أرض (هـ و ز ن) ولكنه لا يظهر بوضوح فيما إذا كانوا هناك للقيام بعمليات حربية . وفي نفس النقش فإن الناذرين يحمدون تألب لأنه أرجعهم سالمين من أرض حمـــير (ح م ي ر م) والأعراب . (و ب ذ ت ، هـ و ف ي هـ و ، ب ن ، أ ر ض ، ح م ي ر م ، و ع ر ب ن) [السطر ١٣ — ١٤] .

ويظهر من النقش بأن النـــاذرين كانوا في أرض هوازن (هـ و ز ن) في شمال نجران ولكنهم حاربوا في أرض حمير والأعراب ، ولهذا يظهر بأن أرض الأعراب مجاورة لحمير .

أما نقش CIH 350 فانه أيضاً يذكر حروباً ضد أرض حمير (أ ر ض ، ح م ي ر م)[السطر الثالث] وضد الأعراب (و ب ذ ت، ت ق د م، ش ر ح ت) ... ع ر ب ن (السطر ٨ – ٩) ومن هذا النقش لا يظهر بوضوح فيما إذا كان الاعراب يحاربون في نفس أرض حمير أو في مكان آخر . وأيضاً ليس واضحاً فيما إذا كانت كلمة (ع ر ب ن) في هذا النقش تشير الى أرض الأعراب أو الى جيش الأعراب الذين كانوا يساعدون حمير .

ان النقشين أعلاه مجرد تسجيل الشكر والحمد لله وخاصة لانه مَنّ عليهم بمساعدتهم بالرجوع بسلام من الحرب . ولهذا السبب لا نستطيع أن نعرف أي شيء عن مكونات الجيش الحميري .

أما في نقش CIH 357 فانه يسجل ذهاب قبيلة سبـــأ (س ب أ) و (أ ع ر ب) إلى حرب يقودها القائد (أ ل ر م ، ي ح م د) قائد الملك.

ومن هذا النقش يمكن أن نجزم بأن مجموعة الأعراب تعود الى قبيلة سبأ (ش ع ب ن ، س ب أ ، و ع ر ب ن) . وربما كان هؤلاء الأعراب هم أعراب مأرب الذين ذكروا في النقش أعلاه فان مأرب كانت مركز قبيلة سبأ.

ان نقش ja 665 يرجع إلى عهد (ي س ر م ، ي هـ ن ع م ، و ب ن ي هـ و ، أ ي م ن ، م ل ك ي ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن ، و ح ض ر م و ت ، و ي م ن ت) أما صاحب النقش فهو (س ع د ت أ ل ب ، ب ن . ج د ن م) الذي يسمي نفسه (ك ب ر ، أ ع ر ب ، م ل ك ، س ب أ ، و ك د ت ، و م ذ ح ج ت ، و ح ر م م ، و ب هـ ل م م ، و ز ي د أ ل ، و ك ل ، أ ع ر ب ، س ب أ ، و ح م ي ر م ، و ح ض ر م و ت ، و ي م ن ت (السطر ١ – ٤) .

وقد أثار (جام)[1] السؤال فيما إذا كانت كلمة (أ ع ر ب) الأعراب و (ك ل ، أ ع ر ب) كل الاعراب تعود إلى ملك سبأ أو قبيلة سبأ أو

---

1 – A- Jamme, Sabaean Inscriptions, p. 374.

الى مجموعة القبائل أو الاربعة بالتعاقب وحسب الفرضية الثانية فإنه يصعب إدارياً ذلك، وذلك لأن كل المجموعات الثمان ك دت ، م ذ ح ج م، ج ر م م، ب ه ل م، ز ي د أ ل، ح م ي رم، ح ض ر مت، ي م ن ت يجب أنتكون منقسمة الى مجموعتين / – الأعراب ، وغير الأعراب ، بينما الفرضية الأولى ، فإنها لا تجزىء القبائل أعلاه إلى قسمين وتؤكد على أن كل الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي لسبأ تحت زعامة رجل واحد . ويضيف (جام) أيضاً بأن الاختلاف بين (أ ع ر ب/م ل ك / س ب أ) و (أ ع ر ب / س ب أ) تشير بوضوح الى الانقسام في المملكة ، أو على الاختلاف في الامتيازات في دولة سبأ نفسها » .

أما نقش Ja 671 الذي يعود الى « ث أ ر ن / ي ه ن ع م / و ب ن ه و / م ل ك ك ر ب / ي أ م ن / م ل ك ي / س ب أ / و ذ ر ي د ن / و ح ض ر م ت / و ي م ن ت» فان الأعراب أ ع ر ب هم الوحيدون الذين شاركوا في إصلاح السد الذي تخرب في ح ب ب ض و ر ح ب م . ويمكن ان نؤكد بوضوح بأن أ ع ر ب هنا أصبحوا مجموعة مهمة جدا في الجنوب العربي في هذا الوقت ، أي قبل فترة أبي كرب أسعد بقليل .

ان استعمال كلمة (أ ع ر ب) في نقوش الجنوب العربي كما شاهدنا سابقاً غير واضحة ومضطربة . ولا نعرف بالضبط من اين او اي وقت جاؤوا الى الجنوب العربي . علماً بأن أول ذكر لهم في نقوش الجنوب العربي كان قبل الميلاد بقرون قليلة وبعد الميلاد . فإن أ ع ر ب وجدوا في الجنوب العربي في القرن الثاني قبل الميلاد عندما قـــاد ن ش أ ك ر ب ، ي ه أ م ن ، م ل ك ، س ب أ ، ب ن ، ذ م ر ع ل ي ، ذ ر ح (ja 560) حملة تأديبية ضد أ ر ض ، ع ر ب ن (أرض الأعراب) ومن نقش ja 560 فإننا لا نستطيع أن نعرف أين تقع الأعراب . أما نقش Ja 561 bis فإنه يذكر أ ر ض ت ، ع ر ب ن ، على أنها كانت إلى الشمال من الجنوب الغربي. وبعد ذلك في زمن أ ل ش ر ح ، ي ح ض ب ملك سبأ ، و ذ ر ي د ن ، فإن

الأعراب يذكرون في أرض م ذ ح ي م ، و ر د م ن ، و ق ت ب ن ، ja 739,9-10- ja 758,9 وهنا يظهر بأن الأعراب في وسط الجزيرة العربية .

أما نقش CIH 79 فانه يذكر أرض ع ر ب ن مجاورين لـ م ن هـ ت م ونقشا CIH 343 , 350 يذكران أ ر ض ، ح م ي ر ، و ع ر ب ن مما يدل على أن أرض الأعراب محاذية لأرض حمير في وسط الجنوب العربي .

وعلى كل حال فإن أول ذكر للأعراب في النقوش يربط مع ثورة لهم ضد حكومة الجنوب العربي وهذا واضح في نقش Ja560 الذي يعود إلى زمن ن ش أ كـ ر ب ، ي هـ أ م ن ، م ل ك ، س ب أ ، و : و هـ ب أ ل ي ح ز ، م ل ك ، س ب أ .

ولكننا لا نعرف ماهية العلاقة بين هؤلاء الأعراب وحكومة الجنوب العربي فيما إذا كانوا تحت نفوذها قبل ثورتهم .

أما في زمن علهان نهفان ملـــك سبأ فإننا نجد (أ ع ر ب ، م ل ك ، س ب أ) يذكرون مع خ م ي س (نامي / ٧٢ ، ٧٣) وعلى هذا يمكن أن نقول بأن الأعراب كانوا يستخدمون بصورة خاصة في العمليات الحربية .وهذا واضح من نقش نامي ٧٢ ، ٧٣ اللذين يعودان الى زمن علهان نهفان ، ونقش Ja 635 الذي يعود إلى ش ع ر م ، أ و ت ر ، م ل ك ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن ونقش Ja 665 الذي يعـــود إلى زمن ي س ر م ، ي هـ ن ، ع م ، و ب ن ي هـ و ، ذ ر أ أ ر م ، أ ي م ن ، م ل ك ي ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن ، و ح ض ر م و ت ، و ي م ن ت وحـــتى زمن أبرهـــة (Ry 509, 510, 507, 508. and Ja 1028) .

وعلى كل حال فإن عبارة نقشي نامي ٧٢ ، ٧٣ توضح بأن أسماء الجيوش في هذين النقشين التي شاركت في العمليـــات الحربية هما (خ م ي س ، و (أ ع ر ب ، م ل ك ، س ب أ) (عليهمو ، علهن ، ملك سبأ ، وخميس، وأعراب ، ملك سبأ) . وعلى هذا فإن قبائل سبأ وحمير بقيت متميزة عن الأعراب سواء في الحكم أو في المجتمع . وهنا أيضاً فإن النقوش تذكر

خ م ي س [1] كذكرها لباقي القبائل وهذا يدل على مكونات الجيش .

والسؤال المهم هنا والذي يجب أن يسأل فيا إذا كان هؤلاء الأعراب هم مواطنين في الجنوب العربي أم انهم هاجروا اليه ؛ فمن المصادر العربية نعرف عدة قبائل عربية [2] وحتى كندة [3] كان أصلها في الجنوب العربي ولكن في نهاية القرن السادس الميلادي عادت كندة الى الجنـــوب العربي . ولم تذكر المصادر العربية بأن قبائل عربية شمالية هاجرت إلى الجنـوب ، وكذلك لا يوجد دليل في النقوش بأن هؤلاء الأعراب كانوا قد جاؤوا من الشمال في فترة ما . ولهذا فإنه من المرجح جداً أن نقول بأنه كانت توجـــد مجموعتان من السكان في الجنوب العربي هما السكان المستقرون وأعرابهم . وعلى هذا فإن الأرجح بأن هؤلاء الأعراب هم من السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الجنوب العربي . ويمكن أن نقارن وضع الأعراب في الجنوب العربي وعلاقتهم مع المدن ووضع الأعراب في كل من مكة والحيرة . ففي مكة كانت توجد قريش البطاح الذين كانوا يسكنون بصورة مستقرة في مكـــة بينما قريش الظواهر كانوا يعيشون كأعراب خارج مكة ، ومثل ذلك في الحيرة حيث نجد عرب الضاحية يعيشون خارج الحيرة [1] .

وعلى هـذا فـإن كلا من س ب أ ، ك د ت ، م ذ ح ج ، ح ر م م ، ب هـ ل م ، ز ي د أ ل ، ح م ي ر م ، ح ض ر م ت ، ي م ن ت ، كانت لها أعرابها الخاصة . و م ل ك ، س ب أ أيضاً ذكر في نقش ja 665 وتامي

---

(١) خ م ي س في النقوش تشير الى أفراد من غير القبائل من عـامة الشعب عكس أفراد القبائل التي يسمون أ ش ع ب انظر :

Beeston, «Notes on Old South Arabian Lexicography», le Muséon LXV (1952), p. 141.

(2) J. Halévy, «Les Arabes dans les inscriptioptions sabéenne», Revue Sémitigue d'Épigraphie et d'Histoire Ancienne, VII (1899), pp, 146 - 157.

(٣) ابن حبيب : المحبر ص ١٦٧ – ١٦٨ .

(١) الطبري : تاريخ ١ ص ٧٤٩ .

٧٢ ، ٧٣ بأنه له أعراب . وكان ملك حضرموت له أعراب (تامي ٧١).
وهكذا فإنه يمكنأن نستنتج بأن لكل جماعة مستقرة لها أعرابهاالتابعون لها والذين يشاركونها في الدفاع عنها ومشاركتها في الحروب [٢] .

ويجدر أن نثير هنا عن علاقة ذكر هـ ج ر ن قبل أ ع ر ب في نقش Ry 508 ان نقش Ry 508 يذكر و ب أ ش ع ب ، ذ هـ م د ن ، و هـ ج ر هـ م هـ ، و أ ع ر ب هـ م و (السطر السابع) والذي يجب أن لا يترجم « وقبائل همدان (وسكان المدن) وأعرابهم » . وأعتقد هنا بـأن هـ ج ر هنا لا تعني مدينة ولكن جمع على وزن مفعول وتعني مواليهم من سكان المدينة . وهم الذين أصلهم من همدان ولكن هاجروا (emigrés) إلى أرض حمير واستوطنوها .ـ ويذكر حبشوش. قارن هجر الذي يذكرهم حبشوش ـ ويشبه مركزهم مركز المهاجرين في زمن الرسول ﷺ .

« وهؤلاء الناس المسمون قرارهم غير الناس المسمين هجر لأن الهجر له ميزة وناموس عند القبائل ويتخذون منهم قضاة ليحكموا بينهم ويناسبونهم ، وهم الناس الذين يأتون ويسكنون في البلاد ويتملكون فيها . فإن لم يرغبوا ليدخلوا مداخيل القبائل لحرب أو لمغازي أو لصائبة مما تصيب القبائل فلهم ذلك ، ويسمونهم هجر ولا لأحد أن يعترضهم أبدا ، وإذا اعترضهم بخطأ أو بنهب أو قتل أو غيره فإن القبائل كلها تقوم وتثور على حجتهم كما يثور الجار على جاره » [٣] .

إن نقش Ja 1028 الذي يروي نفس حوادث Ry 805 يقـــول : (ك ق ن ، ب ع ل ي ، ب ش ع ب ، ذ هـ م د ن ، هـ ج ر ن ، و أ ع ر ب ن ، و ن ق د م ، ب ن ، أ ذ أ ن ن ، و أ ع ر ب ، ك د ت ، و م ر د م ، م ذ ح ج م) . ففي هذا النص (هـ ج ر ن ، ع ر ب ن) يظهر انها مقابل لـ(ش ع ب ، ذ هـ م د ن) على الرغم من أنه

(2) cf. Halévy op. cit, p. 150.

(3) Habshush, Hyyim. Travels in Yemen (Ierusalem 1941) p. 31.

من المحتمل أن يكون هنا تقارب فيما بينهما وعلى هذا يمكن أن نقرأها : شعب همدان الهجور (سكان المدينة) والأعراب . وهذا النوع من العلاقة يظهر واضحاً في نقوش حضرمية من العقلي (انظر Ja 919, 925) [1] .

واختلاف آخـــر في Ry508 حيث يذكر النقش (و هـ ج ر هـ م و ، و أ ع ر ب هـ م) بينما هنا لدينا (هـ ج ر ن ، و ع ر ب ن) ، ولهـــذا لا ندري فيما إذا كان (ع ر ب ن) في Ja 1028 يجب أن تؤخذ على أنها مقابلة لـ (أ ع ر ب) في Ry 508 .

ونقش Ry 507 له علاقة وثيقة بنقش ja 1028 يذكر في السطر الثاني (و ع ر ب هـ و م) . والأسطر الأولى لهذا النقش ومن ضمنها هذا السطر متآكل وغير واضح ولهذا فقراءته غير دقيقة ولهذا فالمحتوى غير واضح .

ولكن إذا قبلنا هنا قراءة كلمة (ع ر ب ن هـ م و) على أنها (ع ر ب ن) بمعنى الأعراب فيظهر هنا على انها يجب أن تقابل جملة فعول الذي يظهر في قواعد لغة الجنوب العربي على الرغم من قلته ، فصيغة عربان بالجمع للأعراب موجودة في الاستعمال في اللغة العربية والتي تعني في الغالب قبائل أو مجموعة من البدو .

ولنعد إلى ذكر الأعراب فإن أول ظهوره لكندة في النقوش المتوفرة لدينا تظهر بأنها على خلاف وحروب مـــع ملوك الجنوب العربي . فنقش ja 576 يذكر كندة (ش ع ب ن ، ك د ت) في زمن (أ ل ش ر ح ، ي ح ض ب، و أ خ ي هـ و ، ي ا ز ل ، ب ي ن ، م ل ك ي، س ب أ، و ذ ر ي د ن) . ولكـــن في زمن (ي س ر م ، ي هـ ن ع م ، و ب ن ي هـ و ، ذ ر أ أ م ر ، م ل ك ي ، س ب أ ، و ذ ر ي د ن ، و ح ض ر م و ت ، و ي م ن ت) تظهر كندة حـــاملة لقب أعراب ، (أ ع ر ب ، م ل ك ، س ب أ ، و ك د ت ، ja 665 وتظهر ثانية في زمن

(1) Jamme, A-'Ugla Taxts. Washington, 1963. c6. also Hofner, Altsudoralische Grammatik, (Leipzig, 1943), p. 180.

ش م ر، ي هـ ر ع ش، م ل ك، س ب أ، و ذ ر ي دن ، و ح ض ر م ت على أنها احدى المجموعات التي تكون جيش ش م ر ، ي هـ ر ع ش Ja 660

ومنذ زمن (ش م ر، ي هـ ر ع ش) وما بعد تظهر كندة وهي مرتبطة بالأعراب ، أ ع ر ب ومذحج ، (م ذ ح ج م) ، ومراد (م ر د م) Ry 509, 510, 508. ja 1028 ولا نعرف هنا بالضبط فيما إذا كانت الأعراب في هذه النقوش تذكر على أنها تصف كندة أم أن الأعراب هم مجموعة مستقلة تحت زعامة أو قيادة كندة .

ففي نقشي Ry 509, 510 هنـــاك تباين بين مجموعة القبائل المذكورة في اللقب الملكي الطويل وبين مجموعة القبائل التي شاركت مع الملك الحروب في كلا النقشين . وهنالك ملاحظة مهمة جداً اذ أنه في الحقيقة نشاهد في الحالتين بأن الأعراب (أ ع ر ب) تذكر مرتبطة بكندة (ك د ت) ، أو كندة ومذحج . والمجموعة التي يَصْعُبُ تشخيصها في مجموعة القبائل التي تذكر في اللقب الملكي هي مجموعة أ ش ع ب والتي تذكر مرتبطة مع ي م ن ت وعلى هذا فهل أن ي م ن ت يمكن تشخيصها مع المجموعة الغامضة أ ش ع ب .. ب ن ي ، م ر ب ، و أ ص ـ غرت في نقش Ry 509 أو ر ح ب ت ن ، و : ي ح ن في نقش Ry 510 أم أن ي م ن ت يمكن تشخيصها أو ربطها ، بـ كندة ومذحج ، إذ أن كلا القبيلتين الاخيرتين كانتا عضوين داخلين في المملكة منذ عهد ش ع ر م ، أ و ت ر ، م ل ك ، س ب أ، و ذ ر ي د ن Ja 635 واللذين أصبحا فيما بعد مسؤولين عن السيطرة على الاعراب كما هو الحال في شمال الجزيرة حيث أن اللخميين كانوا مسؤولين عن الأعراب تجاه الفرس ، وكذلك الغساسنة وصالح في علاقتهما مع الدولة البيزنطية . وهـذا وتوجد دلائل كثيرة بأن دولة كندة في وسط الجزيرة العربية قامت بمساعدة كندة وان سقوط دولة كندة جاء نتيجة لسقوط دولة حمير في الجنوب عند الاحتلال الحبشي للجنوب العربي سنة ٥٢٥ م)».

أما في بداية القرن الخامس عندما دخل جزء كبير من وسط الجزيرة ،

- ١١

[من « نزهة المشتاق » للادريسي]

١ – بلاد اليمن :

وأما بلاد اليمن الواقعة في هذا الجزء فمنها مخلاف الجودة (١) وهو حصن على البحر ، والعرب تسمى الحصن مخلافاً ، والجودة(١) حصن صغير ، وناسه قليلون وعيشهم من اللحوم والألبان والتمر ومعايشهم ضيقة .

ومنه إلى مخلاف غلافقة في البر أربع مراحل ، وأهل هذا الحصن حضر وهو على مرسى زبيد ومنه الى زبيد خمسون ميلاً .

زبيـــد :

ومدينة زبيد مدينة كبيرة ، وأهلها مياسير أهل ثروة ، والمسافرون اليها كثير ، وربما يجتمع التجار من أرض الحجاز وأرض الحبشة ، وأرض مصر الصاعدون في مراكب جدة ، وأهل الحبشة يجلبون فيفهم اليها ، ويخرج

والذي يسكنه مجموعة من القبائل البدوية ، تحت سيادة وسيطرة الجنوب العربي ، نجـد بأن اللقب الملكي لملوك الجنوب العربي يضيف مجموعة من الأعراب وذلك منذ عهد أبي كرب أسعد إذ يصبح اللقب الملكي « ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنت والأعراب في الطود (وسط الجزيرة) وتهامة . وعلى هذا نجد بأن القبائل التي كانت تسكن في المناطق الصحراوية في وسط الجزيرة هي الأعراب ، البدو ، وقد كانوا يسكنون في الطود وتهامة . وفي هذه الفترة تظهر كندة بوضوح مسؤولة عن الأعراب في الطود وتهامة .

الرياض – كلية الآداب : الدكتور خالد العسلي

(١) لعله : الحردة فقد قال ياقوت : حَرْدة بلد في اليمن له ذكر في حديث الاسود العنسي ، وكان أهله ممن سارع إلى تصديق العنسي .

الصحافة في الحجاز
في أوائل العهد السعودي
من ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) إلى ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م)

— ٢ —

ثانياً : المجلات : « الاصلاح »

لم يشهد الحجاز ظهور المجـــلات إلا في شهر رجب ١٣٣٨ / ٢١ مارس ١٩٢٠ ، وذلك حين صدرت « مجلة مسدرسة جرول الزراعية » . ورغم ما لصدور هذه المجلة من أهمية تاريخية ، إلا انها كانت مجلة مدرسية لم تنشر — كما يبدو — سوى بضعة أعداد (١) .

وعلى حاسك جبل يسمى لوسى وهو جبل كبير مطل على البحر ، وأرض قوم عاد تقابله في جهة الشمال . ومن حاسك إلى قبر هود أيضاً مقدار يومين . وحاسك مدينة صغيرة كالقرية متحضرة ، وبها مصيد للحوت كبير ، وهو على جون يسمى جون الحشيش ، وهو جون مقعر كالكيس إذا وقعت إليه المراكب لم تكد تتخاص لأن الخروج منه صعب ، إلا أن يكون بريح مستعملة (؟) ، وقليلاً ما يخرج منه من سقط فيه من المراكب .

(للبحث صلة)

← لأسفار في البحر فيركبون في مراكبهم إلى أرض عمان وعدن وساحل اليمن فتتسع أحوالهم ويحسن عيشهم قليلا ، وكثيراً ما يقع إليهم العنبر الجيد فيبيعونه من التجار المسافرين إليهم ، وربما قصدوا به إلى ساحل اليمن بأنفسهم فيبيعونه هناك بأرفع قيمة ، ويخرج من هاتين الجزيرتين الربال والرتلعان وهو ضرب من الذبل وظهور السلاحف ، فيتخذ منها أهـــل اليمن نطاعاً لغسلهم وخبزهم .

(١) انظر ما نشره كاتب هذه السطور عن هذه المجلة في مجلة « العرب » ، ج ١ (رجب ١٣٩٠ / سبتمبر ١٩٧٠) .

وفي الحقيقة ان بداية العهد السعودي هي الفترة التي شهدت ظهور عدد من المجلات التي قدر لها أن تكون اكثر نضجاً وأن تعيش حياة أطول مدى ، فقد صدرت حينئذ – كما ذكر من قبل – ثلاث من المجلات المتخصصة هي : « الإصلاح » و « المنهل » و « النداء الإسلامي » .

وكان أول ما ظهر في هذه الفترة من مجلات هي مجلة « الإصلاح » التي صدرت في مكة في ١٣٤٧/٢/١٥ – ١ أغسطس ١٩٢٨ ، والتي أعلنت بأنها « صحيفة دينية علمية اجتماعية أخلاقية » . وقد تولى الشيخ محمد حامد الفقي أحد علماء الازهر ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة إدارتها والإشراف على تحريرها . وتمسكت « الإصلاح » بما أعلنته من أهداف صحفية ، فخصصت صفحاتها للمناقشات الدينية والمواعظ الاخلاقيـــة ، ولم تول ميداني الأدب والسياسة شيئاً من اهتمامها .

لم تكن « الإصلاح » مجالاً لعدد كبير من الأقلام ، بـل كانت تعتمد فيما تنشره من مقالات على ما كان يسهم به نفر من الكتّاب المحليين وعـــدد من كتّابها غير المحليين ، كما ان بعض مقالاتها كانت تنشر بدون توقيـع مما يشير إلى انها من إنشاء المحرر . وإلى جانب ذلك كانت « الإصلاح » تنشر فصولاً من المؤلفات الدينية ، وتنقل بعضاً من المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات الإسلامية . وكانت تهتم بـأحوال العالم الإسلامي وتخصص – أحياناً – باباً لأخباره . وتتسم المجلة بالبساطة في إخراجهـــا وتبويبها ، وبتوافر عناصر الاسلوب العربي التقليدي الجزل في موادها ومقالاتها ، كما انهـا لم تكن تخلو من المقالات المسجوعة التي كان ينشرها – في بعض الاحيان – أحمد إبراهيم الغزاوي .

وسأورد فيما يلي فهرساً لمواد العدد الاول من « الإصلاح » الذي صدر في سنتها الثـــانية في ١٥ صفر ١٣٤٨ / ٢٢ يوليو ١٩٢٩ وذلك لكي تتبين منه طريقة تبويبها ونوع الموضوعات التي كانت تعالجها :

كانت مجلة « الإصلاح » تصدر في أربع وعشرين صفحة في سنتها الأولى، أما في السنة الثانية فقد صغر حجمها ولكن أعدادها قد أصبحت تطبع في أربعين صفحة . وقد بلغت صفحات مجلد السنة الاولى ٤٦٢ صفحة ، أما مجلد السنة الثانية فقد بلغت صفحاته ٦٨٠ . وكان من المفروض أن تصدر « الإصلاح » مرتين في الشهر ، ولكن حيث انها لم تكن تملك مطبعة خاصة بها ، وانها إنما كانت تعتمد على المطابع التجارية في مصر والحجاز فقد كانت تعاني أحياناً من الاضطراب في مواعيد صدورها ، وكانت تطبع تارة في المطبعة الماجدية بمكة ، وأخرى في المطبعة السلفية بمصر ، وأحياناً في المطبعة السلفية بمكة . ولم تصدر المجلة سوى ثمانية عشر عدداً في سنتها الأولى ، وسبعة عشر عدداً في السنة الثانية ، وقد عزا المحرر ما في اعدادها من نقص إلى ضعف الوسائل الطباعية في مكة [1] .

ان تاريخ انقطاع « الإصلاح » عن الصدور غير معروف ، فليس في العدد السابع عشر (١ - ٢ - ١٣٤٩ / ٢٧ - ٦ - ١٩٣٠) الذي هو آخر أعداد السنة الثانية وآخر ما يوجد الآن - كما أعلم - من أعدادها ما يشير الى ان المجلة كانت تنوي أن تحتجب عن الصدور ، بل ان فيه ما يوحي بعزم المحرر على الاستمرار في نشرها . ومهما يكن ، فانه يبدو ان «الإصلاح»

---

(١) انظر « الاصلاح » عدد ١٧ (٢٧ - ٦ - ١٩٣٠) .

لم تعش بعد هذا طويلا ذلك لأن جميع ما اطلعت عليه من مجموعاتها إنما يتكون من مجلدي السنتين الاولى والثانية ، وذلك لأن محمد سعيد العامودي يؤكد بأنها قد « توقفت عن الصدور في عام ١٣٤٩ »[1] .

« المنهل »:

في شهر ذي الحجة ١٣٥٥ / فبراير ١٩٣٧ أصدر عبد القدوس الانصاري في المدينة المنورة مجلة « المنهل » وهي مجلة شهرية (تخدم الأدب والثقافة والعلم) . وقد أعلن الانصاري – رئيس تحريرها – في افتتاحية العدد الأول بأنها ستكون أدبية الطابع فقال : « ... وان من علامات حظوة « المنهل » بما تصبو اليه من نجاح مطرد في سبيل أداء رسالتها الادبية العاليـة ما نراه ماثلا في الأذهان من ضرورة السمو بهذا الادب الحجـازي وإبرازه في حلة قشيبة تليق بمكانة الحجاز الدينية ومنزلته الاجتماعية في العروبة والإسلام . فهذا الشعور الطيب العام سيكون – بعد توفيق الله تعالى – أكبر معوان « المنهل » في الفوز بمطامحها الجليلة ، وآمالها النبيلة . وان من أهم ما تصبو اليه « المنهل » أن توفق لتكون فاتحة عصر جديد ناضر زاهر في أدبنـا الحجازي الفتي ، فتعيد لهذه البلاد المقدسة مكانتها الادبية الشامخة بين أقطار العروبة ليغتبط العالم الحديث بقسّ الحجاز وسحبانه ، ويشدو بنابغته الجديد وحسّانه » . ولقد حظيت « المنهل » منذ صدورها بتشجيع عدد من كتاب المملكة البارزين الذين أسهموا لها بمواد أدبية مهمة .

وحيث ان الانصاري قد استفاد من تجربة جريدة «صوت الحجاز»، وانه أراد أن يجنب مجلته مخاطر تلك الخصومات الأدبية التي كادت أن تعصف بهذه الصحيفة ، فقد أعلن منذ البدء بأنه لن يجعل صفحات « المنهل » ميداناً لمثل تلك المعارك الكلامية وقال : « ... وسنبذل قصارى الجهد في سبيل إحاطة هذا « المنهل » بسياج متين من اسباب الوقاية ، حتى لا يتلوث معينه ولا يتعكر صفوه بجراثيم التراشق والاسفاف »[2] . وفي نهاية العـام الثاني

(١) « من تاريخنا » (بيروت ١٩٦٧) ، ص ١٩٤ .
(٢) المنهل ، عدد ١ (فبراير ١٩٣٧) .

ابدى المحرر اغتباطه بما حققه « المنهل » من بعد عن المعارك النقدية ووعد بالاستمرار في هذا السبيل فقال « ... ويسرنا هنا أن نشيد بما كان لحرص « المنهل » على تطبيق مبدئه من أثر حميد لدى قرائه حيث ظل صافياً لهم ، سليما من جرائيم التراشق ، دائباً في القيام بمهمته الثقافية متدرجاً في سيره إلى الامام . وسنحرص على الاستمساك بعرى هذا المبدأ في جميع سنيّ « المنهل » القادمة بإذن الله » [٢] وفي الحقيقة ان الانصاري قد نجح في أن يجعل «المنهل» مجلة محترمة تترفع عن نشر تلك المقالات الجدلية المتحيزة التي كان يميل بعض الادباء حينئذ إلى كتابتها . ومهما يكن ، فإن « المنهل » لم تهمل ميدان النقد الادبي ، ولكنها لم تشجع سوى النقد البناء والنقاش الفكري الحاد .

وإلى جانب وفاء مجلة « المنهل » بما وعدت به من إحياء للتراث الادبي في في هذه البلاد ، فإنها قد شجعت تلك الأنواع الادبية التي جدّت آنذاك على الادب في المملكة كالقصة القصيرة والشعر الحر ، واهتمت كذلك بنشر ما يترجم من الادبين الشرقي والغربي . ولم يكن نشاط « المنهل » مقتصراً على الميدان الادبي ، بل انها قد حرصت على نشر ما يتصل بالمملكة من دراسات تاريخية ، ووجّهت شيئاً من عنايتها إلى معالجة الموضوعات الفكرية كتلك الموضوعات التي كانت تقدمها في « استفتاء المنهل » ، والتي كان يشترك فيها عدد من كتّاب المملكة المشهورين .

ان قارىء مجلة « المنهل » ليحسّ بأنها كانت ذات صبغة تختلف عن صبغة جريدة « صوت الحجاز » هذه الجريدة التي كانت شخصيتها الإدارية والتحريرية غير واضحة المعالم ، والتي تأثرت تأثراً كبيراً بما مرّت به من أطوار في سياستها ، وما تعرّضت من تغيُّر في أمر القائمين على شأنها ، ذلك لأن شخصية « المنهل » كانت أكثر وضوحاً وثباتاً ، وذلك لأنها قد تأثرت بميول محررها واتجاهاته سواء فيما كان يكتبه أو يستكتبه . وما الصبغة الرزينة الجادة التي اتسمت بها « المنهل » سوى أثر من آثار تلك الفكرة المثالية التي يحملها الانصاري عن الادب ودوره في الحياة . فلقد قال عندما كان يتحدث عن

(٢) المصدر نفسه عدد ١١ و ١٢ (ديسمبر وينابر ١٩٣٨) .

رأيه في الادب أو يوضح – في الحقيقة – رسالة « المنهـل » : « ... وليس الادب أداة تسلية أو فن لهو وتمضية للوقت ، بل انه من أسمى الفنون الحية التي تنهض الامم وتنعشها ، وكم للأديب المخلص من أثر فعّال في ترقية مستوى الامة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني معاً . والواقع إن الادب في أسمى أوصافه وأصدق ألوانه ، هـــو المحرّك الكهربائي الذي يبعث روح الإصلاح في الشعوب ، ويوقظ فيها الفتوة والشعور بالكرامة ، ويحفزها إلى المضيّ في طريق التقدم ، ويصقلها صقلاً جيداً ، ويهذّب من حواشيها ويوصل بين حاضرها وماضيها وصلاً محكماً مثمراً لشتى المنافع . والادب هـو الذي ينمي مواهب الامة الفكرية ، ويحوك كيانها حوكاً جيداً متقناً ، وهو الذي يوحي أسمى الخيالات إلى الاذهان الخـــاملة ، ويثير الحماسة في الصدور إلى اعتناق المثل العليا من الكمال ، ويحميها من أن تظل راسبة في مستنقعات الانحطاط الوبيئة ، ويجعلها تسمى سمياً حثيثاً منظماً لتكون في طليعة الامم الراقية ، وهو الحادي الجذاب الذي يولّد بهـا روح النشاط الدؤوب كلما أخلدت أو أوشكت أن تخلد إلى الراحة المضنية والفتور الموبق والتقاعس الوبيل [1] » .

وتشبه « المنهل » جريدة « صوت الحجاز » في ان دخلها من الإعلانات التجارية لم يكن شيئاً مذكوراً ، وانها إنما كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على ما تقوم به من توزيع . ولذلك فلا عجب إن عانت « المنهل » من قلة الموارد المالية ، وإن افتخر محررها – حين تحدّث في عام ١٩٤١ عمّا حققته المجلة في سنواتها الأولى – بمجرّد كونها قد استطاعت أن تعيش في ظل أزمة الحرب، وأن تستمر في الصدور رغم ما تكبدته من نفقات فقال : « ... أمـــا من الوجهة المادية فإن من أعظم ما يشيد به « المنهـــل » انه استطاع الثبات واستمرار الصدور إلى قارئيه على رغم استمرار الحرب العالمية الحاضرة، وهو أمر ذو بال بالنسبة إلى مجلة أدبيـــة كالمنهل شحيحة الموارد خصوصاً وقد شاهدنا تياراً من زميلاته الفنية يجمد ويقف عن الصدور بسبب الأحـــوال

(١) المصدر نفسه عدد ١ (فبراير ١٩٣٧) .

العالمية الراهنة . لعل قراءنا يقدرون هذه الميزة للمنهل فيقومون بما يرجى من عطفهم من تشجيع مادي وأدبي لمجلتهم الدائبة على وصولها لأيديهم في مواعيدها المقررة متكبدة في ذلك الشيء الوفير المرهق من النفقات والأتعاب والمشاق[٢] » .

كانت « المنهل » تطبع في مطبعة الحكومة بمكة ، وكانت تتألف في سنواتها الثلاث الأولى من ربعين صفحة ، وتتسم ببساطة الإخراج الصحفي ، وحسن التبويب ووضوحه . وكان المحرر حريصاً على أن يقسم « المنهل » إلى أبواب ثابتة ومواضيع متجانسة كـ « منهل الشعر » و « منهل القصص » و « منهل التلاميذ » و « استفتاء المنهل » و « في الميزان » . وفيما يلي فهرس لمواد العدد الثالث (السنة الثانية) من مجلة « المنهل » يبين طريقتها في التبويب ونوع الموضوعات التي كانت تتناولها :

صحيفة	الموضوعات	الكاتب
١	العلم والأخلاق	أحمد أمين
٢	معجم منازل الوحي	رشدي ملحس
٨	« استفتاء المنهل » الكتب والصحف التي أنصح الناشئة بمطالعتها	محمد سعيد عبد المقصود
١١	التاريخ وأهميته	عبد الرحمن بن زيدان
١٤	أهمية الصناعة	عبد القدوس الأنصاري
١٩	« منهل القصص » ابن البحيرة (قصة)	أحمد رضا حوحو
٢٢	كلمة عن شوقي	(س)
٢٥	الأدب عندنا وعندهم	(ملاحظ)
٢٦	«منهل الشعر» نشيد وطني (قصيدة)	صالح العلوي الحضرمي
٢٧	غروب الشمس الخيالي	للشاعر الفرنسي بودلير
٢٨	حياتنا العامة الاقتصادية	حسين عرب

(٢) المصدر نفسه عدد ١ (يناير ١٩٤١).

صحيفة	الموضوعات	الكاتب
٣١	الأغذية النباتية	رضوان محمد رابح
	« منهل التلاميذ والكتاب الناشئين »	
٣٤	التعاون الإسلامي	عبد الغفور
٣٥	تشطير قصيدة الأستاذ عبدالله عمر بلخير	عبد الماجد أسعد
٣٦	العرب في ماضيهم وحاضرهم	محمد أبو عزة البيضاوي
٣٧	« منهل الكتب والصحف »	

ومهما يكن ، فإن ظروف الحرب وقلة ورق الطباعة قد أصابت «المنهل» بمثل ما أصابت به « صوت الحجاز » ، فتضاءل حجمها وصدرت منذ شهر نوفمبر ١٩٣٩ في عشرين صفحة . وقد كان من نتيجة ذلك أن قل عدد المقالات ، وأن فقدت القصة القصيرة قدراً كبيراً مما كانت تحظى به من صفحات . ولم تلبث « المنهل » بعد هذا سوى سنتين حتى احتجبت مع سائر الصحف السعودية ، ولم تعد إلى الصدور إلا في ديسمبر ١٩٤٥ حيث انتقل مقرها إلى مكة . أما الآن فإن « المنهل » تصدر في مدينة جدة ، وما زال عبد القدوس الأنصاري رئيساً لتحريرها ، ولكنها قد فقدت كثيراً من كتّابها المتطوعين ، ولم تستطع أن تحتفظ بذلك المستوى الأدبي الرفيع الذي كانت تتمتع به إبان نشأتها ، وذلك بسبب انشغال كثير من الأدباء والمثقفين بأعمالهم ووظائفهم ، وظهور عدد من الصحف اليومية والأسبوعية التي تمنح الكتاب مرتبات ومكافآت . ومهما يكن فإن المرء لا يملك إلا أن يقدر صبر الأنصاري وإصراره على إصدار مجلته رغم ما لقيه من مصاعب ومشقات .

« **النداء الاسلامي** » :

وفي شهر ربيع الثاني ١٣٥٦ – يونيو ١٩٣٧ ظهرت في مكة مجلة « النداء الإسلامي » ، وهي مجلة (دينية اجتماعية تاريخية) اتخذت من الآية الكريمة : ﴿ ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ﴾ شعاراً لها ، وكانت تصدر شهرياً وتحرر باللغتين العربية والملايوية . وقد تولى مصطفى اندر قيري ادارتها ورئاسة تحريرها . وتتألف « النداء الإسلامي »

من أربعين صفحة ، وكانت تطبع في أول الأمر في المطبعة الماجدية بمكة ثم أصبحت تطبع في المطبعة العربية بمكة . ولقد أوضح المحرر في افتتاحية العدد الأول الهدف من إصدار هذه المجلة ، فقال : « ... وحباً في إيجاد التآلف والتعارف بين العنصرين الكريمين العربي والجاوي وخدمة الدين والإسلام والوطن ، اعتزمنا – ونسأل الله التوفيق – إصدار مجلة « النداء الإسلامي » باللغتين العربية والملايوية لتكون رسالة هذه البلاد المقدسة للعالم الإسلامي عامة وللأمة الاندونيسية الملايوية خاصة ... » .

وقد تمسكت « النداء الإسلامي » بخطتها هذه ، فخصصت أعمدتها للقضايا الإسلامية ، واهتمت بمعالجة الموضوعات التي تتصل بحياة الجالية الملايوية الاندونيسية . وهي تشبه مجلة « الإصلاح » في انها كانت ذات دور بارز في تاريخ الصحافة السعودية ، ذلك لأن موقفها هذا إنما يمثل خروجاً على تلك النزعة الأدبية التي سيطرت على صحف هذه الفترة ، وذلك لأنها قد خصصت صفحاتها لجوانب مهمة لم تعط من قبل ما تستحقه من عناية واهتمام ، تلك هي موضوعات الحج وهجرة العناصر الإسلامية إلى الأراضي المقدسة .

ويتميز أسلوب النسخة العربية من مجلة « النداء الإسلامي » بالجودة والجزالة ،ويتسم تبويبها بالوضوح والبساطة . وكان يسهم في تحريرها ـ أحيانا ـ بعض الكتاب المعروفين مثل : محمد حسن عواد ، وأحمد عبد الغفور عطار ، ومحمد حسين زيدان ،وابراهيم الشوري ، وعبد الحميد الخطيب . وسأورد فيما يلي فهرس الجزء السادس عشر الذي صدر في رجب ١٣٥٧ – سبتمبر ١٩٣٨ لكي تتبين منه الموضوعات التي كانت المجلة تعالجها :

صحيفة	الموضوعات	الكاتب
١	فرض الحج	المحرر
٤	جامعة المسلمين	محمد حسن عواد
٦	الإخاء الإسلامي	(مؤرخ)
٧	ما هي الطريقة المنتجة لتعليم اللغة العربية	(أستاذ)
١٠	صقر الجزيرة في القرن الرابع عشر	أحمد عطار

ورغم ان مجلة « النداء الإسلامي » قد صدرت في وقت متأخر نسبياً ، إلا ان شيئاً من الغموض ما زال يحيط بتاريخ حياتها التي لم تدم – كما يبدو – طويلاً . ويرجع هذا الغموض إلى قلة ما بقي من أعدادها ، وإلى ان من كتبوا عن الصحافة في العهد السعودي لم يهتموا بها . ولذلك فإنه لا يعرف – على سبيل المثال – تاريخ انقطاعها عن الصدور . ان العدد التاسع عشر المؤرخ في شهر شوال ١٣٥٧ / ديسمبر ١٩٣٨ هو آخر ما يوجد الآن – كما أعلم من أعدادها – ولكنه ليس من الواضح هل أوقفت المجلة عن الصدور حينئذ أم انها قد عاشت حتى عام ١٩٤١ حيث احتجبت الصحف السعودية عن الصدور حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ؟

خاتمة : لقد كان من آثار الاستقرار السياسي الذي تمتعت به البلاد في هذه الفترة أن وجد جو ملائم لألوان صحفية أخرى غيّر ذلك اللون السياسي الذي ساد الصحف خلال الفترتين العثمانية والهاشمية. فلقد انصرف الصحفيون والكتاب السعوديون الى الموضوعات الادبية والاجتماعية ، ولم يولوا الموضوعات السياسية شيئاً كبيراً من اهتمامهم . وقد بلغ من سيطرة النزعة الأدبية على الصحافة السعودية أن وجدت الجريدة الرسمية « أم القرى » نفسها دائرة حينئذ في فلك الأدب . ويبدو ان للصحف والمجلات المصرية المعاصرة أثراً في سيطرة الأدب على الصحافة السعودية ، ذلك لأن الصحف والمجلات المصرية التي كانت

– كما وصفها عبد اللطيف حمزة – مهتمة « اهتماماً بالغاً بالأدب » في الفترة من ١٩٢٢ الى ١٩٤٢ [1] قد أخـــذت حينئذ « تغزو الحجاز وتغمر مكاتب الشباب ... وأخذ الشباب يلتهم الثقافة المصرية بقوّة ويهضم كل ما تنتجه، ويتعشق كتّابها ويقلدهم لا في الكتابة والاسلوب فحسب، بـل في التفكير والاتجاهات أيضاً [2] » . ولقد كان هذا الجيل من الشباب الذي تتلمـذ على أيدي الصحفيين والكتاب المصريين هو الجيل الذي أخـــذ على عاتقه القيام بأمر الصحافة السعودية خلال العقد الرابع من هذا القرن .

ويختلف الصحفيون السعوديون عن سابقيهم من صحفيي الفترتين الماضيتين في أن معظمهم كانوا من ناشئة البلاد، ولم يكونوا ممن هـاجر الى الحجـاز أو انتدب للعمل في صحافته .ولقد نجح صحفيو هذه الفترة في أن يجعلوا صحفهم أكثر شمولاً وأوسع مجالاً من صحف المهدين السابقين . وإذا كانت الصحافة السعودية تتفق مع صحف الفترتين العثمانية والهاشمية في تحمسها لـلإصلاح وفي انها جادة في أهدافها، فهي قد فاقتها في انهـــا استطاعت أن تشجع مختلف ألوان النشاط الإجتماعي والأدبي والفكري، وأن تصبـــح في الوقت نفسه صورة صادقة لهذا النشاط الذي حفلت به البلاد في ذلك الحين . أما بالنسبة لميدان الأدب خاصة فكان دور الصحافة السعودية فيه من الأهمية بحيث أن الحياة الأدبية في الحجاز قد خمدت عندما احتجبت هذه الصحافة خلال الحرب العالمية الثانية . ولقد رثى أحمد محمد جمال صحافة هذه الفترة في عام ١٩٤٥ فقال : « بقي أن نقول ان الصحافة في الحجاز هي فقيدة الأدب فيه، الأدب شعراً ونثراً وقصصاً ورسائل وغيرها . فقد الأدب الحجازي الصحافة كأغلى وأثمن شيء عليه، وقد بكاها وسيبكيهـا الى أن تعود أو تخلق غيرها خيراً منها فيجد في صدرها الرحيب مجالاً لتسابق الأهـــواء، ومصالاً لتعارك الآراء سليمة مستقيمة تقول الحق وتهدى السبيل [3] » . **محمد الشامخ**

---

(١) « المدخل في فن التحرير الصحفي »، (القاهرة ١٩٦٥) ص ٤٢٤ .
(٢) محمد سعيد عبد المقصود، « ما هو الأثر الذي أوجده الأدب الحديث في الحجـــاز؟»، « المنهل »، عدد ٢ (فبراير ١٩٣٩)، ص ٧ .
(٣) « ماذا في الحجاز ؟ »، (القاهرة ١٩٤٥)، ص ١٥ .

العَسْجَد المسبُوك فِيمَن تولّى اليَمن من الملوكِ وَنسْبَته للخَزرَجي

— ١ —

تضم مكتبة الحرم المكي إلى جانب الذخائر من كتب الفقـــه والحديث والتفسير مجموعة طيبة من كتب التاريخ وخاصة تاريـــخ اليمن . وكتاب العسجد الذي سنتحدث عنه في هذا المقال يمثل واحداً من هذه المجموعـــات النادرة .. ولا بد لي أن أعرض للكتاب وما صاحب عنوانه من خلطوتغيير قبل الحديث عن الكتاب نفسه ، فقد أطلق عليـــه أكثر من اسم ، فهو في مخطوطة الحرم المكي : « العسجد المسبوك في من تولى اليمن من الملوك ». وفي مصورة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية [٢/ ١٠٦] « العسجد المسبوك والزبرجـد المحكوك فيمن ولي اليمن من الملوك » . وفي دار الكتب المصرية [الفهرست — الملحق الثاني لعـلم التاريخ] ٢ — ١٨٢ قطعـة عنوانها « العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك » وجُعل مؤلفه الخزرجي (موفق الدين علي بن الحسن الزبيدي اليمني المتـــوفى سنة ٨١٢) وقد كتب الاستاذ بدري محمد فهد بحثاً طريفاً في مجلة « الأقلام » العراقية [١] عن هذا الكتاب ، وقد أثار مجموعة من المسائل في صحة نسبته مدللا على ذلك بأدلة كثيرة تكشف عن متابعة دقيقة ودراسة مستفيضة .

أما السخاوي فقد نسب في كتابه «الضوء اللامع»[٢] كتاب العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك إلى الأشرف أبي العباس إسماعيل بن العباس الرسولي الغساني التركاني الأصل اليمني المتوفى سنة ٨٠٣ . وقد ذكر

(١) الجزء السابع . السنة الخامسة ١٣٨٩/١٩٦٩ .
(٢) الجزء الثاني / ٢٩٩ .

له مجموعة أخرى من التواليف منها «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية» المنسوب للخزرجي [1] ، وفي الكتاب أدلة كثيرة تشكك في نسبته الى الخزرجي . وسأعود لذكرها إن شاء الله في مقال آخر .

وقد أشار إلى نسبة « المسجد المسبوك في أخبار الخلفاء والملوك» إسماعيل باشا صاحب «إيضاح المكنون»[2] ونسبه إلى الملك الأشرف إسماعيل بن الافضل عباس بن علي من ملوك بني رسول في اليمن .. ومن هذا الخلط الكثير يتضح الاضطراب في صحة النسبة ، والشك في سلامتها إلى الخزرجي ، الى جانب عجزنا عن العثور على كتاب بهذا الإسم ينسب للخزرجي في المصادر المتوفرة لدينا . فقد ذكر له السخاوي [3] كتاباً سماه « طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن » وسمّاه أيضاً « العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن » . وقال : وألّف كتاباً آخر على الدول . وأشار اسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين»[4] إلى تاريخ اليمن مرتب على السنين وذكر «طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن» و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » ونسب اليه «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية». وفي الصفحة الرابعة من المخطوط يشير المؤلف إلى انه أثبت في هذا الباب ذكر ملوك اليمن الأعلام وما آل اليه أمرهم من الملوك والعمال والأئمة في عشرة فصول . ومؤلف الكتاب ينقل أقوالاً كثيرة لمجموعة من المؤلفين فيذكر قول علي بن الحسن الخزرجي [5] والبخاري [6] ومحمد بن إسحاق [7] وعلماء السير دون تحديد [8] والجندي [9] وغيرهم من المحدثين الذي ينقل عنهم .

---

(١) نشر في مصر سنة ١٣٢٩ — ١٩١١ وعني بتصحيحه وتنقيحه الشيخ محمد بسيوني عسل.

(٢) المجلد الثاني / ١٠١ .

(٣) الضوء اللامع ٥/٢١٠ .

(٤) ١/٧٢٨ وينظر إيضاح المكنون ٢/٨١ ، ٢/١٠٨ وبروكلمن ملحق ٢/٢٣٨ .

(٥) المسجد ص ٥ (٦) ص ٧ (٧) ص ١٢ .

(٨) ص ١٤ (٩) ص ٢٧ .

مصادر الكتاب :

اعتمد مصنف الكتاب مصادر تأريخية مختلفة ، أغلبها يتعلق بأخبار اليمن وملوكها ومدنها وسيرة سلاطينها، ويُعَد الفقيه علي بن الحسن الخزرجي من أكثر هذه المصادر وروداً في هذا المؤلف . وإن تعددت الألقاب والصفات التي يصفه فيها المؤلف فهو يقول مرة : قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بما هو أهله[١] أو عامله الله بإحسانه[٢] أو عامله الله بجوده وكرمه[٣] أو عامله الله بالحسنى[٤] أو قابله الله بإحسانه[٥] أو بالقبول[٦] أو عفى عنه[٧] أو تولاه الله بحسن ولايته[٨] أو وفقه الله للعمل بما يرضيه[٩] أو عامله الله بإحسانه وعاد عليه بعطفه[١٠] أو يذكره مجرداً من هذا الدعاء وهو أكثر الحالات ذكراً[١١] ومن الغريب أن يذكره في بعض الحالات ويردف اسمه بعبارة رحمه الله[١٢] وهي عبارة لا تذكر في أغلب الأحيان إلا للموتى ، وربما يحملنا ذلك على أن نقول ان هذا المؤلف لم يكن للخزرجي لأنه لو كان له لما احتاج إلى أن يضفي على نفسه هذه النعوت ومن غير المعقول أن يذكر خبراً ويعقبه بعبارة رحمه الله .

ويُعَد الجَندي[١٣] المصدر الثاني الذي يستعين به في أخباره وقد ذكره أكثر من ثلاثين مرة ، وفي مواضع مختلفة . وقد وجدت ان المؤلف ينقل من كتابه المعروف بكتاب « السلوك في طبقات العلماء والملوك » والذي يعرف أيضاً بطبقات الجندي بعد مطابقتي لقسم من الأخبار المذكورة في المؤلف مع

---

(١) الصفحات : ١٤٠ . (٢) الصفحات : ٢٣٦ ، ٤٦٤ . (٣) ١٣٧ .
(٤) ٤١٥ . (٥) ١٧٣ . (٦) ١ ، ١٠٣ .
(٧) ٥ ، ٣٥٩ . (٨) ٦٠ . (٩) ٩٠ .
(١٠) ٤٢٧ ،
(١١) الصفحات : ١٤١ ، ١٧٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٧٦ ، ٤٥٦ .
(١٢) الصفحات : ٣٥٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .
(١٣) محمد بن يوسف بن يعقوب أبو عبد الله بهاء الدين الجندي من ثقات مؤرخي اليمن من أهل الجَنَد ، عُرف بكتابه « السلوك في طبقات العلماء والملوك » ويعرف بطبقات الجندي ، ومنه نسخة مخطوطة في كوبرلي / ١١٠٧ – ف ٧٧٦ . ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات ومصورة في مكتبة الحرم المكي الشريف .

ما هو موجود في النسخة الخطية من الكتاب [١] . ومن الغريب أن المؤلف لم يذكر اسم الكتاب وإنما يكتفي بذكر الجندي فقط .

أما المصدر الثالث الذي يعتمده في نقل أخباره فهو الملك الخاتمي صاحب « العقد الثمين » . وقد اعتمد عليه في أكثر من عشرين خبراً [٢] وهو يذكر اسمه بأشكال مختلفة ، فيقول مرة : وقال صاحب العقد الثمين ، ومرة قال صاحب العقد ، وأخرى قاله الخاتمي في كتاب العقد أو وقال الملك الخاتمي في كتابه العقد الثمين .. ولم أستطع معرفة مؤلف هذا الكتاب الذي ذُكر بهذه الأشكال والأوصاف في العقود اللؤلؤية أيضاً [٣] . وقد وجدت نصاً في الكتاب يمكن الاستدلال به على أن هذا المؤلف كان حياً سنة [٦٣٦] . فقد ذكر المصنف في حوادث هذه السنة خبراً عن صاحب العقد الثمين قال فيه : « حدثني من أثق به عمن شاهد الحال . ما رأيت أربط جأشاً ولا أطلق وجهاً من السلطان نور الدين .. الخ » [٤] .

ويعدّ أبو الحسن عمارة بن أبي الحسن اليمني [٥] صاحب كتاب « المفيد في أخبار زبيد » المرجع الرابــع الذي اعتمده المصنف في كتابه وقد نقل عنه نقل عنه أكثر من خمسة عشر خبراً . وتنحصر أخبار عمارة في الباب الخامس في ذكر زبيد وأمرائها حتى نهاية الفصل الرابع من هذا البــاب وهو في ذكر قيام علي بن المهدي القائم باليمن ، ويبدو من بعض الاخبار انه يعتمد في نقل

---

(١) النصوص المنقولة عن الجندي مذكورة في الصفحـــات : ٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٣ (مكرر)، ٢١٠ (مكرر)· ٢١١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ .

(٢) الصفحـــات : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ . ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ .

(٣) ذكر الخاتمي في الصفحات : ٤٠ ، ٤٢ ، وذكر صاحب العقد أو العقـــد الثمين في الصفحات : ٣٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٧٣ .

(٤) الصفحة : ٢٠٣ .

(٥) ورد اسمه مختلفاً في الاعلام ١٩٣/٥ والذي أثبتناه منقولا عن المسجد. فقد ذكر اسمه عمارة بن علي بن زيدان الخ ... وكانت وفاته / ٥٦٩ وله أخبار طريفة . مات مصلوباً .

بعض الاخبار الأدبية المتعلقة بتراجم الشعراء وتقييم شعرهم والاستشهاد ببعض قصائدهم [1] بكتاب عمارة .

أما الشريف إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة صاحب كتاب «كنز الاخبار في معرفة السير والاخبار»[2] فقد نقل عنه ستة نقول وقد أثنى عليه في ترجمته له فقال عنه : وكان شاعراً فصيحاً بليغاً من أعيان الرجال ، صاحب الخصال الكمال ، فارساً هماماً شجاعاً . وذكر مصنفاته وشعراً كثيراً له [3] . والاخبار التي نقلها عنه تتعلق بالفصل الخامس في ذكر دولة بني أيوب [4] . ونقل خبرين له في الفصل التاسع في ذكر دولة مولانا الملك المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول [5] .

ويأتي بعد الشريف إدريس تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني صاحب كتاب «بهجة الزمن في تاريخ اليمن» [6] . وتعدّ النصوص التي نقلها عن ملك الملك المجاهد سيف الإسلام وخلعه من أطول النصوص [7] . وقد نص مصنف المسجد على نقله بعض النصوص من كتاب بهجة الزمن ، وقد وجدت نصوصه مطابقة لما هو مذكور في المطبوع من هذا الكتاب مع اختلاف بسيط في تركيب الجمل .

وإلى جانب هذه المصادر فقد أشار المؤلف إلى مراجع أخرى لم يحدّد بعضها وإنما يشير اليها بعبارة : «قال علماء السير رحمهم الله تعالى [8] .

---

(١) النصوص المنقولة عن المفيد مذكورة في المخطوط في الصفحات ٩٦ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١:٩ ، ١٥٠ .

(٢) له ترجمة في الأعلام ٢٦٨/١ .

(٣) ينظر المسجد سنة « ٧٠١ » والصفحات ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ .

(٤) النصوص المنقولة في الصفحات : ١٥٢ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٩٣ من المخطوط .

(٥) النصوص المنقولة في الصفحات : ٢٨٥ ، ٢٨٦ من المخطوط .

(٦) نشره مصطفى حجازي سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م [تتفق المراجع على أن وفاة المؤلف كانت سنة ٧٤٣] .

(٧) ذكرت في المخطوط في الصفحات: ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ وفي المطبوع: ١٣٣،١٣٤.
أما بقية النصوص فقد ذكرت في المخطوط في الصفحات: ١٦٣، ١٦٤ ، ١٩٣،٢٧٣،٢٩٩ .

(٨) ذكرت هذه العبارة في الصفحات : ١٤ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٧٧ .

ويذكر نصاً عن محمد بن إسحاق [١] ، ونصاً عن عيون التواريخ لابن شاكر [٢] ، وثلاثة نصوص عن ابن خلكان [٣] ، وثلاثة نصوص عن صاحب «السيرة المظفرية»[٤]، ونصاً عن كتاب « عجائب الاخبار وغرائب الاشعار» لمسلم الشيرازي [٥] .

ومن الغريب حقاً أن تكون في الكتاب نقول عن كتاب « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » للفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع الشيباني [٦] المتوفى سنة ٩٤٤ .وهذا يخالف نسبة الكتاب للخزرجي أيضاً لأن الخزرجي توفي سنة [٨١٢] .

ومن الأمور التي تلفت النظر في هذا المؤلف [المنسوب للخزرجي] ان عبادة قال المصنف دون تحديد اسمه وردت ست مرات [٧] . وقد وردت في إحدى المرات بعد سطر واحد من نص نقله عن الخزرجي حيث قال : قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي.وبعد سطر يقول : قال المصنف أيده الله [٨]. وفي بعض الأحيان يقول : رحمه الله .

إن هذا الاضطراب في تحديد إسم المصنف تحملنا على الشك في هذه النسبة. وإنني أرجح احتمالاً واحداً من الاحتمالات الآتية :

(١) ان هذا الكتاب مجموعة نقول من مراجع متعددة كان المسجد واحداً من المصادر المعتمد عليها .

(٢) إن هذا الكتاب ليس للخزرجي .

---

(١) الصفحة : ١٢ .
(٢) الصفحة : ١٦٢ .
(٣) الصفحات : ١٥١ ، ١٦١ ، ١٨٠ .
(٤) الصفحات / ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٥٦ .
(٥) الصفحة : ١٧٧ .
(٦) في مكتبة الحرم المكي نسخة خطية منه تحمل الرقم (٧١) ونص المسجد مذكور في الصفحة : ٤٩١ .
(٧) في الصفحات : ٤ ، ١٠٩ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢
(٨) الصفحة : ١٠٩ .

(٣) أو أن هذا الكتاب للخزرجي إلا ان عنوانه خطأ . وربما يكون من المؤلفات التي ذكرت له ورتبت حسب السنوات كما تذكر بعض مراجع ترجمته .

ومع هذا التقرير الموضوعي للحقائق التي توصلت اليها فإنني لا أزال أعتقد ان هناك مجالاً للبحث والتحقيق في صحة النسبة وسلامتها .

طريقة الكتاب :

قسم الكتاب في الأصل إلى أبواب وفصول ، والجزء الموجود في مكتبة الحرم المكي يبدأ بالباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك شمار عدن[١] وما يتعلق بذلك ، وفيه عشرة فصول :

(١) الفصل الأول : في فضل اليمن .. قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول : اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر البركة ، وردت في فضله أخبار وآثار ، جمع في فضله أبو بكر محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن خلف القرشي المصري أربعين حديثاً .. ويستمر المؤلف في ذكر الأحاديث ثم ينتقل إلى اختلاف العلماء في تسمية الشام واليمن .

(٢) الفصل الثاني : في ذكر إسلام أهل اليمن وذكر عمال رسول الله ﷺ . قال علي بن الحسن الخزرجي : أجمع العلماء قاطبة على ان كافة أهل اليمن أسلموا على عهد رسول الله ﷺ الخ ...

(٣) الفصل الثالث : في ذكر عمال اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ .قال علماء السير رحمهم الله تعالى : توفي رسول الله ﷺ وقد أسلم أهل اليمن جميعاً .. فلما توفي [كذا] رسول الله ﷺ ارتد بعض أهل حضرموت وقوم من اهل صنعاء وطائفة من اهل تهامة ، وكان عمال رسول الله ﷺ على اليمن يومئذ ابان بن سعيد بن العاص على صنعاء وأعمالها ، ومعاذ بن جبل الانصاري على الجَنَد ومخاليفها ، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت وأعمالها[٢] .

وقيل : استعمل رسول الله ﷺ المهاجر بن ابي امية المخزومي على كندة

---

(١) لعله ذمار وعدن .

(٢) لم تذكر كثير من هذه الاسماء في معجم الأنساب والاسرات الحاكمة للمستشرق زامباور.

حضرموت فمرض في المدينة فلم يطق الذهـــاب إلى حضرموت ، فكتب رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد ليقوم على عمل المهاجر ، فلما توفي رسول الله ﷺ أمّره ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه على عمله وأمره ان يقاتل المرتدة في سائر اليمن مع بقاء عمال رسول الله ﷺ ، فسار المهاجر إلى اليمن وسار معه عبد الرحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البجلي ، فلما وصل الى نجران انضم اليه فروة بن مسيك المرادي ... وفيه اخبار طريفة عن المرتدّين .

(٤) الفصل الرابـــع : في ذكر عمال بني اميـــة على اليمن . قال علماء السيرة والتواريخ : لما توفي امير المؤمنين علي بن أبي طـالب كرّم الله وجهه وصار الامر بعده إلى معـاوية بن ابي سفيان استعمل على اليمن عثمان بن عفان الثقفي فأقام به مدة ثم عزله بأخيه عتبة بن ابي سفيان ، واستخلف بعـــده فيروز الديلمي [١] .

(٥) الفصل الخـــامس : في ذكر عمال اليمن في الدولة العباسية . قال علماء السير لمـا قتل مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية وولي أبو العباس السفاح استعمل على اليمن والحجاز عمه داود بن عـلي بن عبد الله [٢] وينقل المؤلف كثيراً من أخباره عن الجَنَدي [٣] . وفيه أخبار نافعة عن تطور الأحوال في اليمن وظهور القرامطة في صنعاء سنة ٢٩٣ .

(٦) الفصل السادس : في ذكر القرامطة . قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعياً على مذهب الاثني عشرية فاتفق انه حجّ مكة في بعض السنين ثم خرج يريد العراق قاصداً زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام فلما وصل إلى العراق وزار قبر الحسين عليه السلام بكى بكاءً شديداً عنده ، وترحم عليه واستغفر له وأظهر من التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح في اصطياده ... فخلا به وحادثه فوجده مائلاً إلى مذهبهم ... وكان

---

(١) عدّ زامباور فيروز أول والٍ يعين من قبل معاوية سنة ٤١ .

(٢) يذكر المؤلف بعض الولاة الذين يخلو منهم معجم الانساب ..

(٣) الجَنَدي هو محمد بن يوسف بن يعقوب من ثقات مؤرخي اليمن من أهـل الجَنَد (بينه وبين صنعاء ٥٨ فرسخاً) اشتهر بكتابه « السلوك في طبقات العلماء والملوك » مخطوط في دار الكتب المصرية ٥ / ٢١٩ برقم (٩٩٦) تاريخ .

[ميمون] على مـــا حكاه بعض العلماء يهوديا . ويستمر المؤلف في سرد أخبارهما وسيرهما إلى اليمن ودخولها .. ثم ذكر علي بن الفضل فقال عنه : هو رجل من اليمن خنفري النسب من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي وكان ساقطاً في أول عمره مغموراً لا شهرة له ..

رحل من اليمن إلى الكوفة وتعلم مذهب الإسماعيلية ورجع إلى اليمن داعية هو ومنصور بن حسن ، ويذكر المؤلف انه عندما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه .. وارتكب محظورات الشرع وادعى النبوة فكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله وأباح لأصحابه .. وكانت وفاته سنة ثلاث وثلثمائة وكانت مدة محنته وملكه سبع عشرة سنة[1].

(٧) الفصل السابـــع : في ذكر الأمراء المتغلبـــين على صنعاء : وقد ذكر في هذا الفصل الأمراء الذين توالوا الحكم في اليمن فأشار إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم ، وتوفي هـذا سنة [٣٣٢] . وفي سنة ٣٣٤ وصـــل المختار بن الناصر احمد إلى ريدة إلا أن الضحاك غدر به فحبسه وقص يده . وفي سنة ٣٥٣ دخلها الأمـير عبد الله بن قحطان وخرج منها الضحاك منهزماً حتى سنة ٤٣٩ .

(٨) الفصل الثامن : في ذكر الدولة الصليحية وما يتعلق بها ...

(٩) الفصل التاسع : في ذكر ملوك صنعاء بعد الصليحيين .. قال علماء السير والأخبار : لما مات الداعي سبأ بن أحمد الصليحي في التاريخ المذكور وهو سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ، خرجت صنعاء وأعمالهـــا من مملكة الصليحيين وارتفعت ايديهم عنها ولم يبق لأحدهم منهم ذكر فيها، فاستولى على صنعاء وأعمالها يومئذ السلطان الأجلّ حاتم بن الغشيم الهمداني .. ويستمر في سرد اخبارهم حتى سنة ٥٦٩ .

(١٠) الفصل العاشر : في اخبار الدولة الزريعية واستيلاء الزريعيين على عدن ...

---

(١) أشار صاحب بلوغ المرام في شرح مسك الختام إلى بعض هـــذه الوقائع / الصفحات : (١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

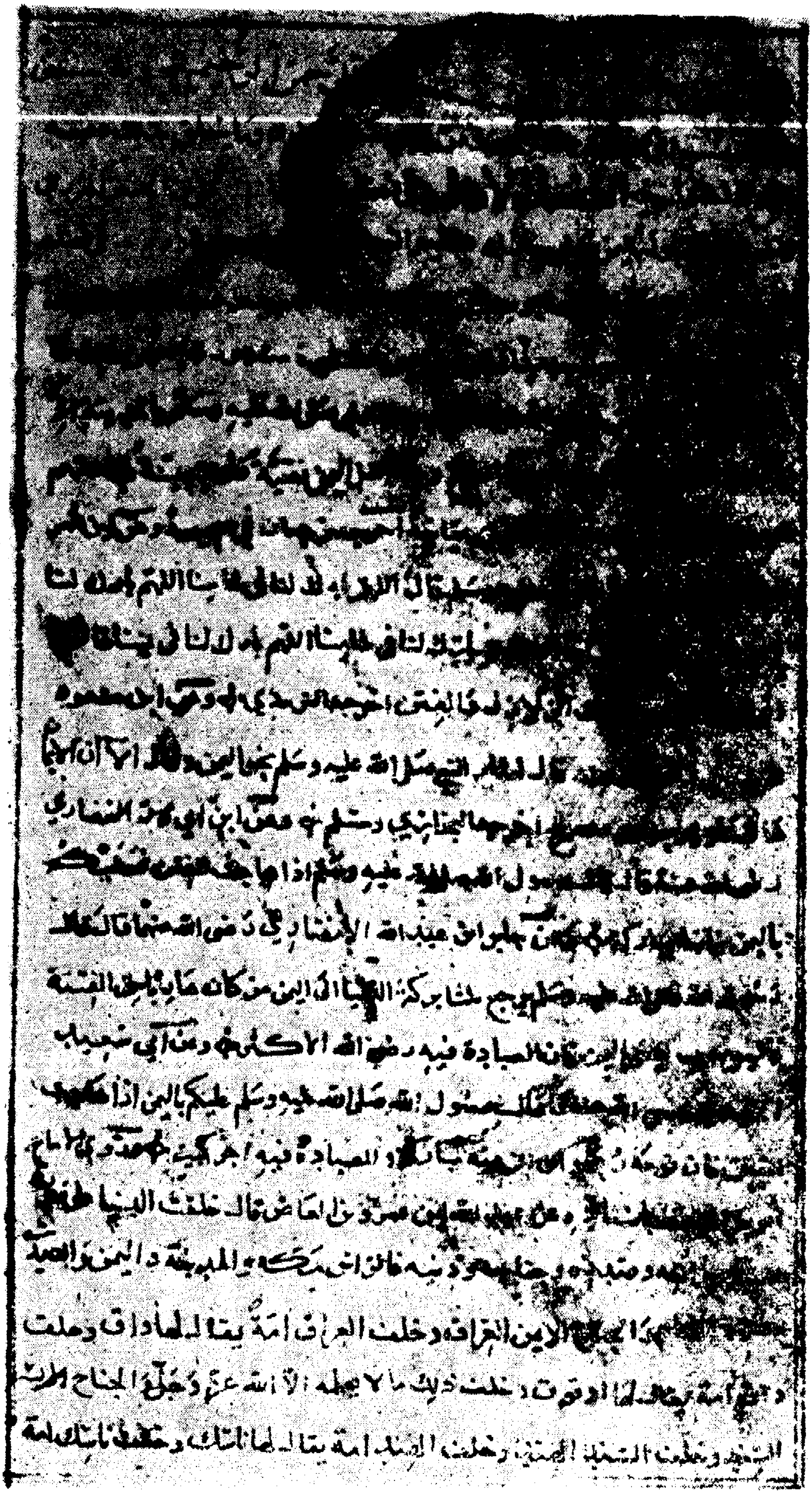
الباب الخامس : في ذكر زبيد وامرائها وملوكها ووزرائها ، وهو خاتمة الأبواب ، وبتمامه يتم الكتاب ، وفيه إثنا عشر فصلاً :

(١) الفصل الاول : في ذكر اختطاط زبيد وتملك بني زياد ... قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول : حكى ابو الحسن عمارة بن ابي الحسن في كتابه « المفيد المصنف في اخبار زبيد» عن الشيخ الإمام العالم النسابة ابي الحسن احمد بن ابراهيم الاشعري والفقيه ابي منصور ابن ار بن عبد الملك المكي .. ويشير الى ان اختطاط مدينة زبيد في شعبان وقيل يوم الاثنين الرابع منه سنة اربع ومائتين وذلك بعد موت الشافعي رضي الله عنه بثلاثة أيام .

(٢) الفصل الثاني : في ذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح ... قال علي بن الحسن الخزرجي : ولما قتل نفيس مولاه كما ذكرنا وركب بالمظلة وضرب السكة على اسمه فنمي الخبر إلى نجاح بما فعل نفيس فاستنفر الاحمر والاسود من الناس وتجرد لحرب نفيس وقتاله وقصده إلى زبيد في جموع عظيمة .. وتم لنجاح فتحها سنة اثنتي عشرة واربعمائة . وتنتهي هذه الدولة سنة ٥٥٤ .

(٣) الفصل الثالث : في ذكر وزراء آل نجاح .. قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول : كان أول من ولي الوزارة من آل نجاح قسيم الملك ابو سعيد خلف بن ابي الطاهر الاموي المرواني .. وبعده انيس الفاتكي وكان جباراً غشوماً مهيباً .. وقتل سنة ٥١٧ . وبعده الشيخ ابو منصور من الله الفاتكي . وكانت وفاته ليلة السبت الخامس من شهر جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

(٤) الفصل الرابع : في ذكر قيام علي بن مهدي القائم باليمن وزوال ملك الحبشة والقضاء على دولتهم: قال علي بن الحسن الخزرجي عامله بإحسانه: كان زوال ملك الحبشة وانفصال دولتهم على يد الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن داود بن محمد بن عبد الله ... وكانت بيعته سنة ثماني وثلاثين وخمسمائة ...



الصفحة الأولى من المخطوط ، ظهر عليها أثر الماء والبلل

وهي الأولى ، وفي سنة ست وأربعين وخمسمائة كانت البيعة الثانية ... وكانت دولة بني مهدي قد امتد حكمها خمسة عشر سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً .

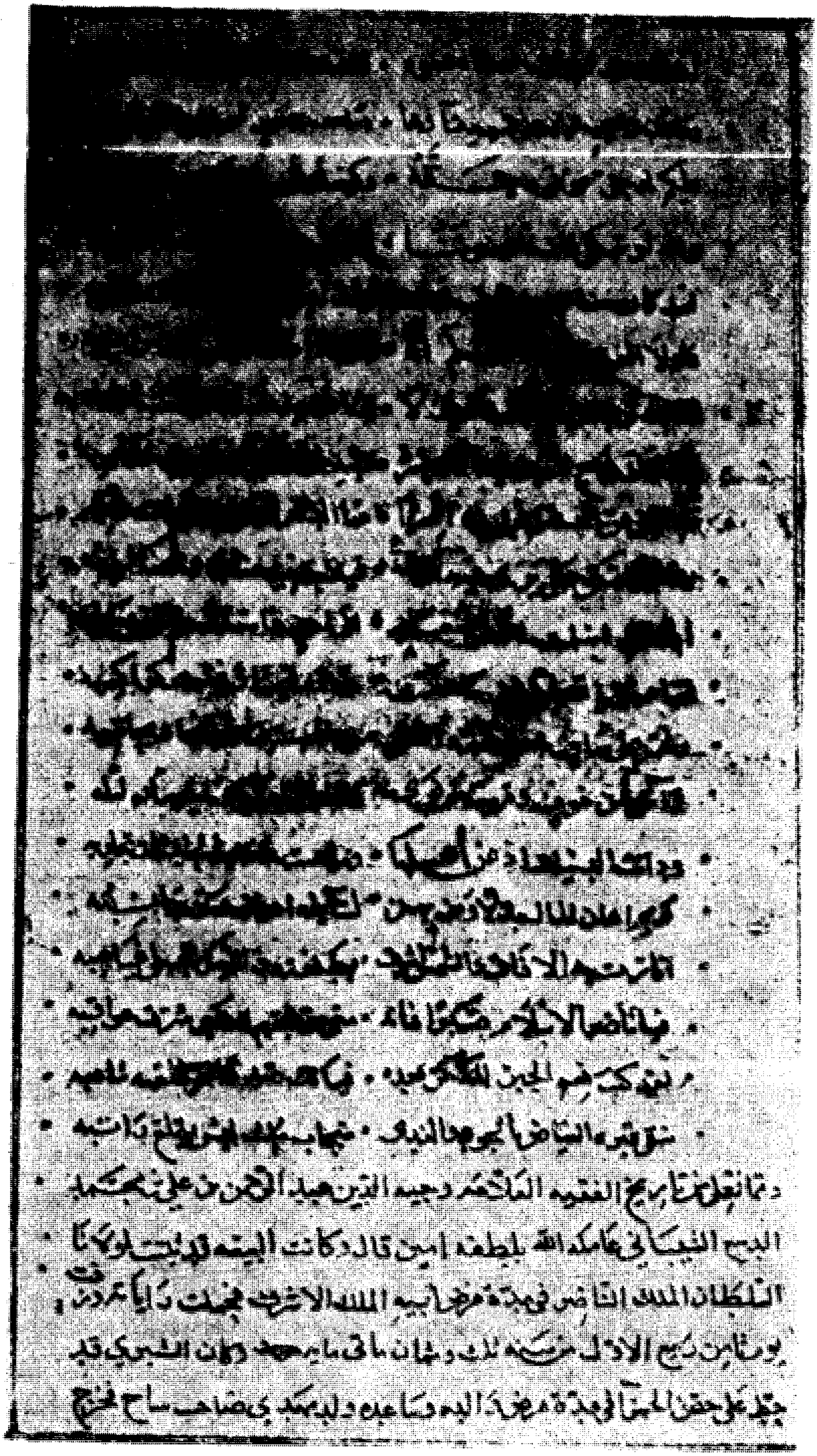
(٥) الفصل الخامس : في ذكر دولة بني أيوب وأول دخولهم اليمن : قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول : أول من دخل اليمن من بني أيوب السلطان الملك المعظم توران شاه بن أيوب وكان ذلك سنة تسع وستين وخمسمائة وعاد إلى مصر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ومات في الاسكندرية سنة ٥٧٦ وكان كريماً جوادا . ويستمر في ذكر السلاطين حتى سنة ٦٢٦ وكان فيها خروج الملك المسعود من زبيد .

(٦) الفصل السادس : في ذكر الدولة الغز الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول الغساني اليخكي التركماني قال المصنف رحمه الله : وفي هذا الفصل حديث طويل عن مكة وما تعاور عليها من الحكام والسلاطين .

(٧) الفصل السابع في ذكر التبّع الأكبر مولانا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول . قال علماء التاريخ لما استشهد مولانا السلطان الملك المنصور بمدينة الجند .. وقد أرّخ لهذه الفترة بدقة متناهية يحدد فيها الشهور والسنوات [حسب الطريقة التي سلكها ولكن بشكل أكثر دقة] وينتهي هذا الفصل بسنة ٦٩٤ .

(٨) الفصل الثامن: في ذكر دولة مولانا السلطان الملك الأشرف ممهّدالدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول . قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه : لما توفي السلطان الملك المظفر قام بأمر الملك بعده ولده السلطان الملك الأشرف فاستولى علىالحصون والمدن وينتهي الفصل بسنة ٦٩٦.

(٩) الفصل التاسع : في ذكر دولة مولانا الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن يوسف بن عمر بن علي بن رسول رحمة الله عليه . قال علماء الأخبار :



ص (٤٩١) من المخطوط وفيها : (ومما نقل من تاريخ ... عبد الرحمن بن علي الديْبَع الشيباني) وهذا من الإضافات التي ألحقت بالكتاب .

لما توفي السلطان الملك الأشرف وأعلن الصائح بالترحم عليه وبالصباح السعيد على مولانا الملك المؤيد كما ذكرنا ارتجت المدينة وأسرع الناس وماج بعضهم في بعض ، فأمر السلطان بفتح أبواب الحصن فكان أول من اطلع اليه الوزير القاضي الأجـــل حسام الدين حسان بن أسعد العمراني وزير أخيه المرحوم ، فاجتمع به وحلف له الايمان المغلظة واستحلف له الجند والأمراء وأعيان الدولة ، فـلم يختلف عليه اثنان ولم يمتنع عليه سهل ولا جبل .. وينتهي إلى سنة [٧٢٠] .

(١٠) الفصل العـــاشر : في ذكر دولة مولانا السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام أبي حسن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكان ملكاً شهماً شجاعاً مقداما.. ويستمر في ذكر سلاطينها وما حصل لهم حتى سنة ٧٦٥ .

(١١) الفصل الحادي عشر : في ذكر الدولة الأفضلية وما جرى فيها . قال الفقيه علي بن الحسن الخزرجي لاطفه الله في الدارين : لما توفي السلطان الملك المجاهد ــ رحمه الله ــ في التاريخ المذكور اجتمع كبراء حضرته.. وينتهي هذا الفصل بوفاة السلطان الأفضل سنة ٧٧٨ .

(١٢) الفصل الثاني عشر : في ذكر الدولة الأشرفية الكبرى ، وبتمامه تم الكتاب إن شاء الله تعالى . قـــال الفقيه علي بن حسن الخزرجي عامله الله بالحسنى : لما توفي مولانا السلطان الملك الأفضل حصل الاجتماع على قيام ولده السلطان الملك الأشرف ممهد الدين العباس بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود ، ويستمر حتى سنة ٨٥٨ [١] وفيه إشارات للمؤلف منها عبارة «قلت» التي جاءت بعد عشرات السنين من وفاة الخزرجي .

(للبحث صلة)

مكة المكرمة — الدكتور نوري حمودي القيسي

(١) المتفق عليه في الكتب التي ترجمت للخزرجي انه توفي سنة ٨١٢ ولا خلاف في ذلك . والكتاب يستمر في سرد الأخبار حتى سنة ٨٥٨ .



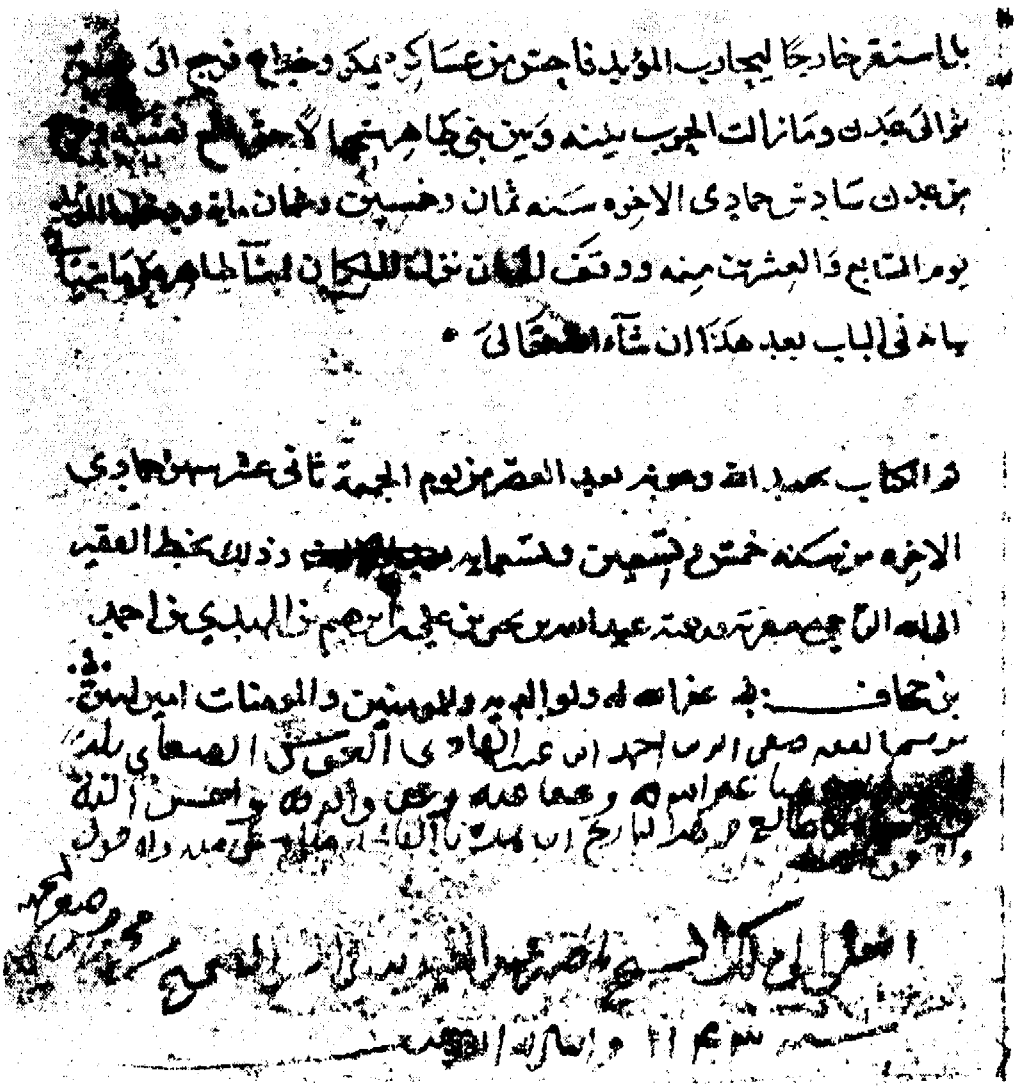
الصفحة الـ (١٠٩) من المخطوط وفي السطر الـ ١٦ : (قال الفقيه علي ابن الحسن الخزرجي) وفي السطر الـ (١٩) : (قال المصنف أيده الله) ..

الرّبان أحمد بن ماجد

- ٣ - [دفـــاع وتقييم]

٤ – وعاصر وصولهم أيضاً الى المحيط الهندي ، احمد بن محمد بن اياس المصري ، مؤلف « بدائع الزهور في وقائـع الدهور » ، وقد عني بتسجيل بعض النبـذ عن القرصنة البرتغاليـة وتصدّى المصريين لهـا في البحر الاحمر والمحيط الهندي .

٥ – وقبل أن تتلاشى أصداء الأحـــداث التي وقعت في المحيط الهندي



الصفحة الأخيرة من المخطوط ورقمها (٥٠٥)

نتيجة لقرصنة البرتغاليين ، جاء رعيـــل آخر من مؤرخي جنوب الجزيرة العربية ، بحيث يمكننا اعتبارهم من معاصري تلك الأحداث ، مثل بافقيه الشحري ، وعبد الله بن محمد سنجله ، ومؤلف النور السافر ، ومؤلف السنا الباهر ، ومؤلف روح الروح ، وغيرهم كثيرون [١] .

٦ – وفي الهند كتب عبد الله بن محمد الاوغخـــاني Ulughkhani تاريخاً لكجرات، احتوى علىمعلومات قيّمة وموثوقة عنجنوب الجزيرة العربية[٢].

وجميـع هؤلاء المؤرخين من معاصري احمد بن ماجد ، أو ممن جاؤوا على آثارهم ، في الجزيرة العربية وخارجها ، لا يـذكر أي واحـد منهم أية صلة لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين ، بل لا يكاد اسمه يجري على لسان أحدهم .

٧ – و « في عام ١٥٥٤ م جهز العثمانيون حملة بحرية في السويس ، بقيادة سيدي عـــلي كاتب رومي الملقب بالحلبي (نسبة إلى حلب) لاسترداد قطع الاسطول المصري التي أوت إلى البصرة بعد معركة مع البرتغال في الخليـــج العربي ، وتمكن سيدي علي بالفعل من الوصول بتسع سفن منها (وكانعددها ١٥ سفينة) إلى ديو وسورت بالهند ، بعد أن شتت عاصفة أسطوله واضطر لإلقاء مدافعه في البحر لتخفيف حمولة المراكب . وقـد اشترى امير سورت بالهند هذه السفن ، وتمّ تسريح بحارتها ، وآثر سيدي علي البقاء بعض الوقت بالمنطقة ، قبل أن يعود الى تركيا برّاً ، عن طريق الهند وخراسان في عام ١٥٥٧ م . وخلال هذه المدة أتمّ سيدي علي الجانب الأكبر من كتابه «محيط» بالتركية ، وقد ضمنه مقالات بعضها من مؤلفات ابن ماجد ، وسليمان المهري، عثر عليهـا أثناء إقامته بالهند والخليج العربي وقـد أشار سيدي علي في مقدمة كتابه بأنه اعتمد في تأليفه على محادثات مثمرة مع المعالمة المهرةالذين

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) R . B . Serjeant , The Portuguese off the South Arabian Coast , p. 39 .

التقى بهم في الخليج العربي ، وعلى خمسة مصنفات عربية ، اثنان منها لابن ماجد ، وثلاثة لسليمان المهري [1] » .

وربما كان من المستحسن أن نستمع إلى سيدي علي نفسه ، يحدّثنا عن بعض انطباعاته وتجاربه في الخليج والمحيط الهندي ابّان تلك الفترة . قال رحمه الله :

« في عام ١٥٥٤ م أقمت خمسة أشهر في مدينة البصرة ، حتى بدأت الرياح الموسمية ، ثم أقلعت إلى الهند . وقد دامت رحلتي هذه ثلاثة أشهر ، تبتدىء من أول شهر شعبان ، وتنتهي في سلخ شوال ، أي من ٢ تموز — ٢٧ أيلول ١٥٥٤ م . وكنت خلال هذه الاشهر الثمانية أثناء إقامتي ورحلتي لا أدع فرصة تمرّ دون أن أشغل نفسي في الحديث بأمور الملاحة مع نوتية السواحل، أو ملاحي مختلف البلدان ، ممن كانوا على ظهر سفينتي ، وبذلك علمت كيف عبر الربابنة الأقدمون هرمز وهندستان ، أمثال : (الليث بن كهلان ،ومحمد ابن شادان ، وسهيل بن أبان) . وكذلك جمعت الكتب التي ألّفها البحارة المحدثون ، أمثال : (أحمد بن ماجد) من جلفار من مقاطعة عمان ،و(سليمان ابن احمد المهري) من الشحر من عرب الجنوب . كما جمعت الكتب المعروفة بـ«الفوائد والحاوية» لأحمد بن ماجد، و«تحفة الفحول والمنهاج وقلادة الشموس» لسليمان المهري ؛ وتعمقت في دراستها كلها ، إذ الملاحة في المحيط الهندي بدون هذه الكتب جد متعذرة ، فالربابنة والقواد الغرباء لا يعرفون سبيل هذا البحر ، ولا بد لهم من ربان يدلهم على الطريق ، ما دامت تنقصهم المعلومات الضرورية ؛ ولذا وجدت من اللازم اللازب قراءة أفضل المؤلفات، ونقلها الى اللغة التركية في كتاب يكون دليلا للربابنة الذين تهمهم معرفة مثل هذه الامور ... وترجمتي لهذه الأسفار العربية انتهت بمعونة الملك القدير

(١) الفوائد « العرب » س ٤ ، ص ٨٤٤ .

جل شأنه ، وقد حوى كتابي هذا أشياء غريبة كثيرة تتعلق بالملاحة، وسميته « المحيط » [1] ... ».

وقد خص سيدي علي ، احمد بن ماجد بالمديح والإطراء ، وقال عنه انه « الباحث عن الحقيقة بين البحارين ... » وانـــه « أفضل ربابنة الشاطىء الهندي الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مقدرة ونزاهة » [2] .

وكان في استطاعة سيدي علي أن يضيف على هذا المديح لأحمد بن ماجد ، الجملة التالية ، أو ما يماثلها :

« وهو الذي قاد البرتغاليين ، أو قاد فاسكو دي جاما ، إلى الهند » .

ولكن هذه الأسطورة لم تكن قد برزت إلى الوجود بعد ، ولذلك فإن سيدي علي ، لا يعزو في كتابه أية صلة لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين .

٨ ـ عاصر ابن ماجد ربان آخر من جنوب الجزيرة العربية ، هو سليمان المهري (توفي سنة ٩٦١ هـ / ٢) . وقد ترك لنا عدداً من المؤلفات العلمية عن البحر ، وصلنا خمسة منهـــا ، ليس فيها أي ذكر لأحمد بن مـــاجد على الإطلاق .

فما السر في تآمر كل هؤلاء المؤرخين، عربا كانوا أو أتراكاً أو برتغاليين، على عدم الإشارة إلى تلك الصلة المزعومة لأحمد بن ماجد بالبرتغاليين ؟

٩ ـ وأحمد بن ماجد نفسه ؟ اننا لا نجد في جميـــع مـــا وصل إلينا من مؤلفاته ، أية إشارة لاتصاله بالبرتغاليين ، حتى ولا مجرد ذكر لقاء عابر بأحـــدهم في إحدى الموانيء التي كان يتردد عليها في شرق افريقية والخليج العربي والهند . ولكننا على النقيض من ذلك نحس شدة حنقه عليهم ، وغيظه منهم ، كلما مر ذكرهم على لسانه ، كقوله :

وساحل البر وكل جزره فحكمها للبرتغال الفجره

---

(١) محمود ياسين الحموي ، « احمد بن ماجد اللاح العربي » ، ص ١٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٠٣ .

والبرتغالي حكم الجميعا كفيت كل الشر والتصديعا
وجا لكاليكوت خذ ذي الفائدة
لعام تسعمية وست زائدة
وباع فيها واشترى وحكما والسامري برطله وظلما
وسار منها مبغض الإسلام والناس في خوف وفي اهتمام
وخبرتي بحملة الفرنجي من جانب السودان شط اللجي
وهو الذي قد قهر المغاربة واندلس في حكمه مناسبة

وقد نزعم أن هذا الشعور المعادي للبرتغاليين من جانب أحمد بن ماجد ما هو إلا ترجيع لإحساسه بالخيبة، وشعوره بالمرارة للنتيجة التي أدت اليها قيادته البرتغاليين إلى الهند، «إذ لم يكن بخلده أن هذه الحملة ستعود على الملاحة العربية بالدمار والخراب»[1]. ولكن مثل هذا الزعم لا ينسجم مع المنطق، إلا إذا ثبت أولاً ان احمد بن ماجد قد قاد البرتغاليين فعلاً إلى الهند.

النهـــروالي :

ثم جاء النهروالي بعد ثمانين سنة تقريباً على زيارة فاسكو دي جاما للمحيط الهندي، فاختلق تلك الاسطورة عن تعاون أحمد بن ماجد مع البرتغاليين. فمن هو النهروالي ؟

هو الشيخ محمد بن احمد النهروالي، نسبة إلى نهروالة، وهي بلدة صغيرة من كجرات، تسمى اليوم «بتن»، وعدد سكانها ٣٠,٠٠٠ نسمة. ولد في «لاهور» في سنة ٩١٣ هـ، وتربى في الهند، ثم هاجر إلى الحجاز وهو ما يزال صغيراً دون البلوغ، وتعلم على والده، ثم اتصل برجال الدولة العثمانية، وكانت قد استولت على الحجاز بعد هجرته إليها، وتوثقت صلته بهم، وتعلم التركية واتقنها حتى صار يؤلف وينظم بها، ويترجم عنها. وتعددت أسفاره إلى مصر والشام وبلاد الأتراك.

---

(١) عبد الله الماجد، «العرب» س ٣ ص ٧٣.

وكانت صلاته بالحجازيين سيئة في الغالب . وقد احترق بيته ، واحترقت مكتبته ، وكان الحريق مدبّراً كما يقولون . أما صلاته بالأتراك فكانت على أحسن ما يرام : غمروه بالعطاء ، وخصصوا له راتباً سنوياً يوازي راتب شيخ الحرم المكي، ورتبته لديهم تلي رتبة شريف مكة. ولما أنشئت المدارس السليانية بمكة ، عهدوا إليه الإشراف على بناء مدرسة الأحناف منها . وكان هذا الإشراف يدر على القائمين به مالاً كثيراً . ثم تولى التدريس فيها بعد إتمام إنشائها ، براتب مقداره ٦٠ عثمانياً في اليوم . أما من جانبه فقد قابل إحسانهم هذا بالتفاني في حبهم، والمغالاة في الدعوة إليهم والإشادة بذكرهم، فطفحت مؤلفاته بالمبالغة في مدح سلاطينهم ورجال دولتهم ، وهو ما تجب ملاحظته عند قراءة كتبه ، وخاصة كتابه « البرق اليماني » ، الذي يزخر بالتحامل الشديد على العرب وذمهم في أغلب الأحيان .

« ومع أن القطبي حنفي المذهب ، إلا انه كثيراً مـا يخالف مذهبه . والمخالفة إذا كانت جارية على أساس من الدليل فهي محمودة ، غير أنه – والله يغفر له – قد يفتي بعض الرؤساء بفتاوى يؤاخذ عليها »[١] .

« البرق اليماني » :

وللنهروالي عدد من المؤلفات ، يهمنا منها بصفة خاصة ، كتابه « البرق اليماني في الفتح العثماني »، فقد انطلقت تلك الأسطورة عن علاقة احمد بن ماجد بالبرتغاليين . « ويتضمن هذا الكتاب مجمل تاريخ اليمن ، من أول القرن العاشر الهجري إلى آخر سنة ٩٧٨ هـ، ويفصل ما قامت به الدولة العثمانية من أعمال عنيفة لمحاولة الاستيلاء على ذلك القطر ، ويصور أول صراع بين قوات

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا التعريف بالنهروالي على الترجمة المتعة الضافية الـتي صنعها له أستاذنا الفاضل الشيخ حمد الجاسر ، وصدر بها كتاب « البرق اليماني في الفتح العثماني » ، وسنشير إليها بالجاسر .

أجنبية محاربة وبين العرب في جنوب الجزيرة »[1] .

« وأصل هذا الكتاب أن القائد سنان باشا ، بعد عودته من غزو اليمن [سنة ٩٧٨ هـ] ، طلب من القطبي [النهروالي] أن يؤلف كتاباً عن فتوحاته هناك . وقدم له كتاباً عنها منظوماً ومؤلفاً باللغة التركية ، نظمه مصطفى بك الرموزي ، أمير اللواء ، و « دفتر دار اليمن »[2] . وقد انتفع النهروالي بذلك الكتاب التركي انتفاعاً كبيراً »[3] .

مثال على تخليطه التاريخي :

والنهروالي قليل الاهتمام بتحري الحقيقة ، عديم العناية بصحة ما يكتب ، وخاصة بالنسبة للتاريخ .

اهتم السلطان قانصوه الغوري ، اهتماماً كبيراً بوصول البرتغاليين للمحيط الهندي ، والمجال لا يتسع هنا لشرح الأسباب ؛ فجهز عمارة بحرية في السويس ، وعهد بقيادتها إلى حسين الكردي . وقد أبحرت تلك العمارة من السويس في الأيام الأولى من جمادى الثانية سنة ٩١١ هـ / سبتمبر ١٥٠٥ م ، وكان الحجاز يعيش آنذاك فترة عصيبة من جراء الصراع على الحكم بين أفراد البيوت الحاكمة فيه ، وتوالي الثورات على أرضه . وقد انغمس أُمراء الحج من المماليك في ذلك الصراع ، مما اضطر الغوري إلى تجريد أكثر من حملة حربية لإعادة الأمن والاستقرار إليه . وكان الحجاز من الأمكنة الحساسة بالنسبة إلى حكم المماليك . فبالإضافة إلى ما كان يضفيه عليهم من الفخار والشرف في أنظار العالم الإسلامي بوصفهم حماة البلد الأمين ، وخدام الحرمين الشريفين ، فقد كان لميناء جدة أهمية خاصة بالنسبة للاقتصاد المصري ، نظراً لما كان لها من أهمية تجارية ، ناشئة من كون الجزء الشمالي من البحر الأحمر مليئاً بالصخور المغمورة ، والشعب المرجانية ، مما يجعل الملاحة فيه محفوفة بالأخطار . ولذلك فقد كانت السفن الكبيرة تتجنب السفر فيه ،

---

(١) الجاسر ، ص ٦٠ — ٦٨ .

(٢و٣) : الجاسر ، صفحة ٦٨ .

وتفضل أن تفرغ ما تحمل من بضائع إلى مصر في جدة ، وتتوسق فيهـــا بالبضائع المصرية المرسلة إلى الهند والشرق الأقصى. وكانت تتولى نقل البضائع من جدة إلى السويس ، ومن السويس إلى جدة ، سنابيك [١] صغيرة جداً في الغالب ، لأنّ قلة الغاطس في هــذه السنابيك يجعلها أقل عرضة للأخطار ، من السفن الكبيرة ، ولأن الخسارة التي تنجم عن فقد أحد هــذه السنابيك ضئيلة جداً إذا ما قورنت بالخسارة الكبيرة التي تنجم عن فقد إحدى السفن الكبيرة . ومن هنا كانت أهمية جدة بالنسبة للاقتصاد المصري .

بعد سفر الحملة المصرية من السويس بثلاثة أشهر ، « جـاءت الأخبار من مكة [في أوائل سنة ٩١١ هـ] بأن الاحوال فاسدة ، وان عربـان بني ابراهيم قد التفوا على يحيى بن سبع أمير الينبع ، ومالك بن رومي ، أمـير خليص ، وقد اشتد الامر في ذلك جدا فلما تحقق السلطان[قانصوه الغوري] ذلك أمر بابطال التوجه إلى الحجاز في هذه السنة من مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة ، وكانت هـذه الواقعة من أعظم المصائب والثلم في الدين . وقد حضر الركب التكروري ، والركب المغربي ، ولم يحج منهم أحـد في تلك السنة . ثم ان السلطان أرسل كسوة الكعبة الشريفة ، وصرر الحرمين، والزيت ، من البحر المالح في مراكب من الطور ، ويتوجهون من هناك إلى جدة... ولم يسمع من مبتدإ دولة الأتراك [المماليك] وإلى الآن ؛ بأن الحجاج امتنع خروجهم إلى مكة سوى في هذه السنة ، وهي سنة إحـدى عشرة وتسعمائة » [٢] .

وقد ورطت الحملة المصرية نفسها في ذلك الصراع الحجازي ، ثم ما كادت تفرغ منه حتى شرع حسين الكردي في بناء أبراج وسور على ساحل جدة ، وذلك في أواخر سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦ – ٧م ، فأضاعت الحملة وقتاً ثميناً جداً.

(للبحث صلة) **علي التاجر**

---

(١) نوع من السفن الشراعية مـــا يزال واسع الانتشار في الخليج العربي والبحر الأحمر . الواحد منها سنبوك .

(٢) أحمد بن محمد بن اياس : « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ، ج ٤ ص ٨٩ .

- ٧ -

وطريق السيارات إلى عروى وقرى الحمرة – الرويضة وطحي وسنام وما حولها – ينفذ من وسطها ، وفي ناحيتها الشمالية الشرقية دارة مشهورة واسعة سهلة التربة تحيط بها الهضاب والكثبان تسمى (دارة مجيرة) مشهورة بهذا الاسم ، وفي ناحيتها – أي الدارة – من الغرب ، رسٌ عذب ، داخل في الهضبة ، أما سيولها : فما انحدر منها غرباً فإنه يتجه لوادي الشعراء ، وهو أعظم سيولها ، يتجه غرباً في مجار ضيقة عميقة شديـــدة الإنحدار تسمى (الغموق) واحدها (غمق) وسميت بهذا الإسم لشدة عمقها وضيق مجاريها، وعامة أهل نجد يسمون المجاري العميقة (غميقـــة) . قال شاعر من أهل الشعراء ، هو عبد الله أبو وقيّان الغيثي الدوسري :

يقول غيثي بقيفانه إلى غنّى ... ذا لون من بالهـوى تكثر مناديبه
كريم يا بارق نوه إلى رنّــا ... يسقي مجيره ويسقي الغمق وشعيبه
ويسقي الرفايع ويسقي دار أهل بنّا ... يظهر يخوض المطر من كان ودّي به
يا زين بكفوفها عوراجة الحنّا ... ذبح الهواوي غميقات أصاويبه

الرفايع : قصر زراعي يقع جنوباً من الشعراء في ضفة وادي الشعراء ، ودار أهل بنّا ، يقصد بذلك بلدة (الشعراء) وبنّا : محبوبته .

أما ما يسيل من مجيرة شمالاً فـــإنه ينحدر في وادي (جهام) الآنف الذكر ، وما انحدر منها شرقاً فهو يتجــه صوب وادي (الوطـاة) الآنف ذكره ، وفي ناحيتها الجنوبية الغربيــة بئر تحت يد قبيلة العصمة . ومجيرة : معروفة بهذا الإسم في كتب المعاجم القديمة ، وقد تذكر بصيغة الجمع قديمـاً وحديثاً فيقال (مجيرات) . قال ياقوت [١] : مجـــيرة : بضمّ أوله وكسر

(١) معجم البلدان : ج ٥ ص ٥٩ .

ثانيه ، أصله من أجـاره يجيره ، ويجمع بما حوله فيقال (مجيرات) ويضاف اليها الضباع فيقال : ضباع مجيرات عن الأديبي . قـال محرز بن المكعبر الضبّي :

دارت رحانا قليلا ثم صبّحهم | ضرب يصيّح منه جِلة الهـام
ظلت ضباع مجيرات يلذن بهم | وألحـومن منهم أيّ إلحـام
حتى حُذنّة لم نَترك بها ضبعاً | إلا لهـا جزر من شلو مقدام

نعود إلى موقفنـا من الطريق في مدينة الدوادمي لنصف ناحيتها الغربية وصفاً جغرافياً ثم نواصل سيرنا إلى عفيف .

ومن بلد الدوادمي ينفـذ الطريق صوب الغرب يحف بالعمران من جانبيه الجنوبي والشمالي مسافة تتراوح من ٦ — ٧ أكيال ، قرى ومزارع ومحطـات بنزين حديثة ومقاهي ، ويخرج من هـذا العمران في صحراء جبلية تمثل تكويناتهـا صخور الجرانيت الفقاسي الرمادي والبني اللون . وهنا تبرز هضاب البيضتين على جـانب الطريق الشمالي وهضبة أم المشاعيب على جانبه الجنوبي ، وهي التي ذكرها الشيخ محمد بن بليهد — رحمه الله — بقوله :

يا واهني داورد وأم المشاعيب | إن مرها معطي طويلات الارقاب

وجنوبا من أم المشاعيب تمتد جبال الجعلان ، سوداء أشبه بتكوينات الحرة ، وهي التي ذكرها محمد بن بليهد — رحمه الله — بقوله :

من جو داورد هو يمرف مصاديره | والحيد الاسمر يذبّ خشوم قصّاره

وجنوبا من أم المشاعيب أيسر من الجعلان تبدو هضاب الرّديهات، هضاب حمر تشكل تكوينا غرانيتيا ، معروفة بمناجمها القديمة العميقة ، وقـد ورد ذكرها في الخرائط الجيولوجية باسم (الرّدحة) وقد ذكرها الخميس ولم يصفها وصفاً جغرافياً ، وتقع بالنسبة لبلد الدوادمي في الناحية الجنوبية الغربية .

البيضتان : قال الخميس : (وهما هضبتان حمراوان على شكـل بيضي وحجارتها ملساء ، ويدعى هذا الشكل عند البادية بالصلع فيقـال هضبة

صلماء إذا كانت كذلك .. وفي البيضتين يقول الفرزدق :

حبيب دعا والرمل بيني وبينه ... فأسمعني سقياً لذلك داعيا
أعيذكما الله الذي أنتما له ... ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

والواقع ان البيضتين هضبتان كبيرتان حمراوان تحف بهما من الغرب هضيبات صغار وبرق ، وبين الهضبتين الكبيرتين رس عذب يقع في جانب الشمالية منهما من ناحية الجنوب داخل في قلعة في نفس الهضبة حوله شجرات طلح كبار ، وهما اللتان ذكرهما الشاعر عبد الله الحداري بقوله :

زين شوف شداد هو ويّا مسامه ... وأم ركوه وأم ماكر والصفاة
والأصيفر من تحت طرق المدامه ... سعد أبو من شافها قبل المات
وإن مشيت البيضتين هي العلامه ... العلامه في الهضاب النّايفات

وقد أورد ياقوت في معجمه عدة أقوال في تحديد موضع البَيْضَتين ، غير أن المواضع التي ذكرها كلها بعيدة عن موضع البيضتين الذي نتحدث عنه ، والبيتان اللذان أوردهما الخميس للفرزدق من شواهد ياقوت ، وقد ذكر البكري[1] موضعاً بهذا الاسم قال إنه بالشام، واستشهد ببيت شعر للأخطل . أما المواضع التي أعرفها في نجد باسم (البيضتين) فهما موضعان ، أحدهما هذا الذي تحدثنا عنه – البيضتان الواقعتان غرب الدوادمي – وأما الموضع الثاني : فهو واقع في ناحية بلدة (مسكة) الغربية الجنوبية ، هضبتان حمراوان تسميان (البيضتين) وهما أصغر من بيضتي الدوادمي غير أنهما أقرب إلى الشكل البيضي من هضبتي الدوادمي ، وتراهما ببصرك من نفس بلدة مسكة ، وتنظر إليهما على يمينك إذا ذهبت من بلدة مسكة لبلدة ضرية ، وهما اللتان ذكرهما الشاعر محسن بن مبلش وهو يحدد البلد الذي تقيم فيه محبوبته ، وكانت تقيم في بلدة ضرية حيث قال :

يا جاهل بـه نازل له على عدّ ... في المطيوي فوقه العصر مالِ
وعنه الربوض بمطلع الشمس وإن لدّ ... والبيضتين الحمر عنهم شمالِ

(١) معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

والبيضتان اللتان نتحدث عنهما واقعتا في الجهة الغربية الشمالية ، بالنسبة لبلدة ضرية ، وقد زرت هذه الناحية في شهر ربيع الثاني ١٣٩٠ وشاهدت هذه الأعلام التي ذكرها .

الشُّرَيف : قال الخميس : وما بين (القرنة) و (التسرير) و (مغيرا) و (غرب) و (جمران) و (عرجة) و (مصدة) شمالاً ، ووادي الرشا (مجيرة) و (الحذني) و(المصلوخة) غرباً ، و(الجح) وشمالي (العرض) إلى (صبحا) جنوباً .. مـــا بين هذه الأمكنة يسمى بالشريف - شريف بني نمير - والمعاصرون من البادية وأهل تلك الناحية يسمون ما بين (الدوادمي) و(صبحا) هذه الحزون والمرتفعات -يسمونها (الشرفة) والواقع أن هذه المنطقة الـتي حددناها هي على شكل هضبة تنحدر عنهـا السيول مع كل الاتجاهات وهي كاسمها (شريف) و(شرف) على ما عليه المتقدمون ، و(شرفة) كما تدعى الآن . ا هـ . والواقع أن في هذه العبارة كثيراً من المبالغات التي لا يعرفهـا سكان هذه البلاد التي نتحدث عنها، حيث أطلق اسم (الشريف) على ما بين (الدوادمي) و (صبحا) ثم أنه وصف هذه البلاد بأنها حزون ومرتفعات (إنها كاسمها شريف وشرف على ما عليه المتقدمون، وشرفة كما تدعى الآن) وهكذا أطلق الوصف والتسمية دون استثناء أو تدليل على ما بين الدوادمي وصبحا ، ويبدو أن الأستاذ اعتمد على مخيلته في الوصف الجغرافي لهـــذه الصحراء الواسعة وان لم يشاهدها ببصره ، وإلا لما أطلق على مجموعها وصف حزون ومرتفعات ، وان لم يأخذ في اعتباره ما ذكره أصحاب المعاجم القديمة عن حدود الشريف ، وسنناقش هذه العبارة على ضوء مـــا ذكره أصحاب المعاجم القديمة عن صحراء الشريف وحدوده، ثم نبحثها بحثاً مفصلاً على حدة أي من يسكنها من بدو نجد وحضره حتى يتبين لنا ما انطوت عليه هـــذه العبارة من المبالغة والأخطاء في الوصف الجغرافي والاجمـــال في التسمية ، ومن الملاحظ أنه حينما حدد هذه البلاد الممتدة بين (الدوادمي) و (صبحا) وأطلق عليها اسم (الشريف) قال : إنها لبني نمير ، والواقع أن منطقة الشريف القديمة والتي سنأتي على تحديدها هي التي لبني نمير ، وتشاركهم باهلة في

أطرافها الجنوبية، فقد ذكر المؤرخون أن : عروى ، وابني شمام ، وخنيفة، ومأسل جأوة (مويسل) في هذا العهد كانت لباهلة ، أما ما كان جنوباً من هذه المنطقة ، أي صبحا وما يوالي لها من منطقة (الحمرة) فهي من بلاد بني قشير ، وذكر بعضهم أن (يذبل) من بلاد باهلة .

قال الحسن الاصفهاني(١): يذبل لبني قشير ، وجاء في أبحاث الهجري(٢). وأنشدني للصمة بن عبد الله :

خليلي إن قابلتما الهضب أو بدا لكم سند الودكاء أن تبكيا جهدا

وفي الحاشية بخط كاتب الأصل : الودكاء والجمع ودك : هضاب ملس شمال يذبل اهـ .

وقال أيضاً (٣) : الودكاء والجمع ودك ، هضاب ملس شمال يذبل . وقال ياقوت (٤) : يذبل – بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة – هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها .

وقال أبو زياد: يذبل جبل لباهلة ، وله ذكر في شعرهم، قال امرؤالقيس:

وأيسره على الستار فيذبل

وقال النابغة الجعدي :

مرحت وأطراف الكلاليب تتقى فقد عبط الماء الحميم وأسهلا
فإن كنت تلحاه لتنقل مجدنا لسبرة فانقل ذا المناكب يذبلا

وقال الاصفهاني (٥) أيضاً : قال الراجز :

قد طال ما ماشى المطي يذبل وهو مقيم والمطايا تنسل

قال : وهو جبل لباهلة اهـ . ومن هذه العبارات يتبين لنا أن بلاد باهلة ملاصقة لبلاد قشير ، نعود إلى الحديث عن (الشريف) حدوده . ووصفه

(١) بلاد العرب ، ص ٢٣٤ . (٢) أبحاث الهجري ص ٣٧٥ .
(٣) أبحاث الهجري ص ٣٨٥ . (٤) معجم البلدان
(٥) بلاد العرب ص ٢٣٧ .

جغرافيا ، وذكر مياهه ، وكذلك الحديث عن البلاد ، ما بين الدوادمي وصبحا ، وهي التي يشترك فيها بنو نمير وباهلة وبنو قشير .

قال البكري[1] : يفرق بين (الشرف) و (الشريف) واد يقال له (التسرير) فما كان مشرّقاً فهو (الشريف) وما كان مغرباً فهو الشرف ، وقال أيضاً[2] : الشريف على لفظ تصغير الشرف ماءة لبني نمير ، قال عدي ابن زيد :

أغشى دياراً كأنها حلل اقفر منها الشريف فالوشل

وقال أبو بكر : الشرف والشريف موضعان بنجد ، وإذا جمع هذا الموضع إلى الذي قبله وهو الشرف ثني على لفظ المصغر منهما ، قال الفرزدق :

وكم من مناد والشريفان دونه إلى الله تشكى والوليد مفاقره

وربما ثنّوه على لفظ المكبر ، قال الشماخ :

تروغ ثعالب الشرفين منها كما راغ الغريم عن التبيع

وحاصل ما ذكره البكري عن تحديد الشريف هو أنه موضع بنجد واقع شرقاً من وادي التسرير ، وأنه من بلاد نمير .

قال الحسن الاصفهاني[3] : ثهلان لبني نمير ، وهو بناحية الشريف من بلاد بني نمير ، وفي ثهلان ماء ونخل لبني نمير ، ا هـ . ويتضح من عبارة الاصفهاني أن الشريف يمتد إلى نواحي ثهلان ، وأن بلاد بني نمير تشتمل على هذه الناحية .

وجاء في أبحاث الهجري[4] عند ذكر (تيمن) (تيما) في هذا العهد : تيمن وقال : أنشدني النميري لجحيفة في ابنتها وزوجها في بني نمير ، فلما استهداها زوجها شاقها ذهابه فقالت :

صحا القلب إلا عن ظعائن فاتني بهن نميري لتيمن قارب

---

(١) معجم ما استعجم : ج ١ ص ١٥ .
(٢) معجم ما استعجم ج ٣ ص ٧٩٦ .
(٣) « بلاد العرب » ص ٢٣٥ .
(٤) أبحاث الهجري : ص ٢١٦ .

(تيمن : بلد من شق الكلاب) .

تيمن : وسألت الباهلي عن تيمن فقال: هضبة برأس الذّرو ذرو الشريف مغرب الشمس من حصن ابن عصام ، وسيل (تيمن) يصب على الكلاب ، والكلاب واد به نخل وسدر وطلح وبجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ، علم أسود به الوحوش ، عرضه يوم به فلجى (فَلَـحى) وذويقن ، والريان ، والأطيّا ، والبريض ، خسف به ماء ، وكل ما أسمينا الشريف ، وحُذُنّةُ هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب . انتهى .

ومن عبارة الهجري ، يتضح أن هضبة (تيمن) المعروفة حالياً باسم (تيما) واقعة في ذرو الشريف و (تيما) هضبة حمراء كبيرة ، واقعة جنوباً من بلد (الشعراء) (١٦كـ) ، شرقاً من جبل ثهلان وتحف بها روافد وادي (الشعراء) من جانبيها ، وفي ناحيتها الشرقية ماء عذب في فرعة الجبل وحول هذا الماء تنتشر النقوش القديمة ، محفورة في الصخور ، وقد ورد لها ذكر كثير في الشعر الشعبي . قال عمر بن ماضي شاعر من أهل الشعراء :

بالله من بارق تضفي رشـــاريشه   من خشم تـيما إلى جمران رعـاده
يصبح صحيف القدم ينقض عكاريشه   يلعب بسيله وطرب في رخى زاده

وقال شاعر من أهل بلدة داحس ، وقد أغار قوم من قبيلة الدهسة على غنم أهل داحس فأخذوها ، فطلبوهم وأدركوهم حول هضبة تـيما واستعادوا غنمهـم :

روحن من داحس مثل الاهـــله   والضحى في خشم تـــيما لاحقات
والدهاسي عقب ذا بطنه يحــله   يزبن الشوّان مــا ايقن بالحيـاة

وقال شاعر من أهل الشعراء يذكر الحرب التي جرت بين الشريف غالب وبين أهل الشعراء [(١)] وذلك عام ١٢٠٥ هـ . وقد ذكر ابن بشر أخبار هذه الحرب مفصلة ، وذكر أن عدد مدافع الشريف سبعة ، وأن الشريف هو غالب بن مساعد :

---

(١) « عنوان المجد » ، الجزء الأول ، ص ٩٦ – ٩٧ .

يا ذيب لا تقنب والأشراف يرمون / وبيني وبينك مبرمات اللياحى
يا ذيب ناد سباع تيما يحرّون / زمل المدافع سبعة بالمراح
شريف مكة غالب اللي يقولون / لفظ عنان الحرب واقفى وراح
جونا يبون الكلمة الحق يطفون / وجا خزيهم على خفاف النواحى
من دون ديرتنا ترى الغوش يثنون / وكم واحد جدّد عليه النيّاح

وقال ياقوت (١) : الشريف تصغير شرف ، وهو الموضع العالي : ماء لبني نمير وتنسب إليه العقبان . قال طفيل الغنوي :

وفينا ترى الطوبى وكل سميدع / مدرّب حرب وابن كل مدرّب
تبيت لعقبان الشريف رجاله / إذا ما نووا إحداث أمر معطب

ويقال إنه سرة بنجد وهو أمرأ نجد موضعاً ، قال الراعي :

كهداهد كسَرَ الرماة جناحه / يدعو برابية الشريف هديلاً

قال ابو زياد : وأرض بني نمير الشريف ، دارها كلها بالشريف إلا بطناً واحداً باليمامة يقال لهم بنو ظالم بن ربيعة بن عبد الله ، وهو بين حمى ضرية وبين سود شمام ويوم الشريف من أيامهم ، قال بعضهم :

غداة لقينا بالشريف الأحامسا

وقال ابن السكيت : الشريف واد بنجد فما كان عن يمينه فهو الشرف وما كان عن يساره فهو الشريف، قال الأصمعي : الشرف كبد نجد والشريف الى جانبه يفصل بينهما التسرير ، فما كان مشرفاً فهو شريف وما كان مغرباً فهو الشرف ، وقال عمرو بن الأهتم :

كأنها بعدما مال الشريف بها / قرقور أعجم في ذي لجة جار

ومن دراسة ما أورده ياقوت من العبارات يتضح لنا أنه ذكر ما ذكره البكري . وزاد في تحديده عن أبي زياد حيث حدده بأنه بين حمى ضرية وبين سود شمام ، وهذا التحديد مشتمل على منطقة الشريف المتعارف عليها في هذا العهد .

---

(١) « معجم البلدان » ج ٣ ص ٣٤١ .

وقال الهمداني [1] (ومن مياه ثهلان ذويقن وذو قلحا والريان والكلاب والشمّرا،وأسفل من ذلك ذرو الشريف وغلاّنه ومياهه ،ومن أيسرها البرقعة وخائع والنشاش ماءان ، مقابلان لجران ، وهو جبيل مطروح من دونه السمنات وتريد وعكّاش مـاءان والبرقعة والنشاش مـاءان وخائع مـاء ، والخنفس وخلّص مشرفتان على الرهط ووادي ذي ُخشب،وهو فرع العرض يدفع فيه الأجرعان) ، ثم قال الهمداني بعد هذه العبارة : ذكر الخنفس من مياه الشريف : وهو من مياه مأسل جاوة ، ومن مياه الشريف ذو سقيف والجعور وهي الجعموشة ، وطويلة الخطام وعصير وطحي وعصنصر وطاحية ثم ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب ووراءه العبلاء والزعابة يزرعان ويوردان النعم ، ثم مأسل جاوة ، وهو حصنان ونخل وذروع وبشط العرض الأيسر ماء تيشر في ناحية البرم ثم مأسل الجمح ، وفي فرعها صحراء يقال لها جراد والرملة ومن ورائها هضيبات حمر يقـال لهن مجيرات وعن أيمانهن هضب يقال له هضب السمنات ، وفي الشريف غلان من طلح كثير لا تحصى وفيه نخـل ومـاء يقال له الطريفة عن يسار ذلك قصد الجنوب . ا هـ .

ومن تتبـع ما ذكره الهمداني فيهذه العبارة نجد أنه ذكر أن النشاش وجمران من حدود الشريف ، وهما واقعان في حدوده الشمالية ، ثم ذكر من مياهه عصيراً وطحياًوالعبلاء والزعابة،وهذه المواضع تقع فيحدوده الجنوبيةمعروفة بهذه الأسماء ، ونلاحظ ان الهمداني ذكر اكثرمياه الشريف، واعلامهوتوسعفي حدوده الجنوبية أكثر من غيره ، حيث ذكر منها طحي وزعابة والستار،أما العبلاء،فانه لا يعرف موضع بهذا الاسم قريب من حدود الشريف،ويحتمل أنه قصد الموضع المعروف حالياً باسم (أعبلية) وهذا الموضع بعيد عن حدود الشريف حيث يقع في ناحية العرض الشرقية جنوباً من بلدة القويعية ، وفيه آبار قديمة وتزرع أحيانا ، وهو الذي عناه شاعر من قبيلة النفعة من عتيبة يسكن حول بلد الشعراء بقوله :

ليت أبوْيَه ما تزوج من خوالي كان أخذ له من هل الضلع [2] سهليّه

---

(١) صفة جزيرة العرب : ص ١٤٧

(٢) قصد بالضلع جبل (طويق) ، وقوله سهيلة ، أي من قبيلة السهول الذين يسكنون في جبل طويق .

أحسبْ إن مال العرب كله حـلالِ   واثرْ مالي كودْ مـا حاشت يديـه
ومن زعل يرضيه خشم اذني شمـال   الخشوم النـابية دون أعبليّه

وقد سبق أن بحثنا المواضع الواردة في عبارة الهمداني عند ذكر مأسل الجمح ومأسل جاوة ، وباعتبار ما ذكره الهمداني في تحديد الشريف وعلى ضوء ما ذكره أصحاب المعاجم وقد تقدم ما نقلناه منها يكون محدوداً من ناحية الشمال بضفة (وادي التسرير) (وادي الرشا) في هذا العهد ويحمران والنشاش وغرّب ، ويكون محدوداً من ناحية الجنوب (بعصيل) الوارد في العبارة بلفظ (عصير) وبطحي وزعابة وبلدة الرويضة و بِخنيفسةوموبسل ، ويكون محـدوداً من ناحية الشرق (بجمح مـأسل) وقتي (ابني شمام) ومحدوداً من الغرب بامتداد (جبال ثهلان) أما ما بين طحي وزعابة والستار وما بين (صبحا) (يذبل) قديماً فهو بلاد شاسعة فيها الهضاب وفيها المياه وفيها الأودية،وهيقديماً من بلاد قشير،وسنتحدث عنها بالتفصيل بعدالشريف.

الشريف في رأي اهل نجـــد : سبق ان أوردنا عبارة الخميس التي ذكر فيها ان اسم (الشريف) يشمل ما بين عرجا وجمران وما بين صبحا من الجنوب إلى الشمال ، ويشمل ما بين مغيراء وبين مجيرة وحذنة والمصلوخة غرباً ، يسمى (الشريف) شريف بني نمير ، وان هذه التسمية معروفة اتفق عليها المتقدمون والمتأخرون ، وان المتقدمين يسمونها (شريفا وشرفا) والمتأخرين يسمونها (شرفة) وقد اوردنا اقوال المتقدمين في تحديد الشريف ومياهه وأعلامه فتبين بذلك خطأ ما زعمه ، ودمجه ما بين عرجا وجمران إلى صبحا تحت اسم (الشريف) ثم انـه اخرج من مسمى الشريف اشهر أعلامه وهو (جبل ثهلان) وهضبة (تيمن) (تيا) التي ذكر المؤرخون أنها واقعة في ذرو الشريف ، وكذلك حدده من الناحيـــة الشرقية بمغيرا ، ومغيرا واقعة في ناحية العرض الشرقية مما يلي الحدباء ، وقد سبق أن ذكرنا خطـأه في تحديدها ، وعلى رأي أهل نجد بدوهم وحضرهم ومن يعيشون في هذه المناطق أو يرتادونها نقسم هذه المنطقـة إلى مناطق جغرافية ، ونصفها

وصفاً جغرافياً ، ونبدأ من الناحية الشمالية ونسير صوب الجنوب حتى نصل إلى (صبحا) (يذبل) قديماً .

منطقة عرجا : ينسب لعرجاء ما بين غرّب وجمران والنشاش . ومريطبة وصحراء الخلّة وما دفعته مصدة وجس الدوادمي شمالاً ، ومـــا ارتفع من شعيب التسرير غرباً ، وهذه المنطقة المحيطة بعرجاء صحراء فسيحة سهـــلة كثيرة النبات طيبـــة المراعي ، ومياهها : عرجا ، وجمران ، والنشاس ، ومصدة في ناحيتها الجنوبية .

منطقة الدوادمي : وتسمى (جمش الدوادمي) هي ما بين شعيب القرنة وصفراء الدميثيات وخشم شدّاد من الشرق ، وبين البيضتين والجعلان والرديهات من الغرب ، وما بين هضاب السدريات من الشمال وبين نجيرات وصفاقة من الجنوب ، ويقع بلد الدوادمي في وسطها ، وأشهر مياههـــا الجنوبية : واسط و (زعفران) و (حرور) و (سمرة) و (عريـــدة) و (صفاقة) و (سران) ، ومياهها الشرقية : (رغوة) و (البج) و (حميان) و (القرنة). وفي ناحيتها الشمالية : (الضال) و (مصدة) و (حشاشة) . وفي ناحيتهـــا الغربيـــة : (الجريسيّة) و (المليئية) و (رسّ البيضتين) وماؤه عذب ودائم ، وهذه الصحراء يشكل معظمها تكوينات جبلية ويتخللها أودية تنحدر من الغرب إلى الشرق ، وناحيتها الشرقية صحراء مستوية فسيحة لينة تحف ببلد الدوادمي من ناحية الشرق ، منطقة الوطاة : هي ما بين جمـــح مأسل والحفـــيرة من الشرق وبين أبي درعة وشرق نجيرة ، وأبي خيالة من الغرب ، وبين حشاش رغمة من الجنوب ووادي جهام من الشمال ، وهي صحراء فسيحة تكثر فيها الأودية الغزيرة والرمث ، وتربتها رملية غزيرة ، ومياهها : مأسل والحفيرة والوطاة ، وأبو خيالة ، وقبيعة .

منطقة وادي الرشا : وتحف بمنطقة عرجا من الغرب ، وتمتد من ناحية وادي الرشا جنوبـــاً إلى أبي دخن وشمال الشعراء ، وهي صحراء مستوية ، ويكثر فيها الرمث . وهي مواقع الأودية في وادي الرشا ، ومياهها : الرشاوية والنبوان ، وأفقرا والهواوية ، والشطبة ، وتقع في ناحية جبل شطب الشمالية .

منطقة الشرفة ، (الشريفة) كما يسميها البعض ،يحف بها جبل ثهلان من الغرب ، وهو من أعلامها ،وتحف بها منطقة الدوادمي ومنطقة رغمة من الشرق ، ووادي عصيل من الجنوب ، وتقع بلدة الشعراء في ناحيتها الشمالية ، وطولها من الشمال إلى الجنوب مسافة يومين للابل حاملات الأثقال ، وهي صحراء نقية طيبة المراعي وفيرة المياه ، كثيفة النبات من الحمض ، وفي ناحيتها الجنوبية إبتداء من هضبة تيما جنوباً ارتفاع فسيح محدّب يسمى (ظهر الشرفة) ينحدر معظم أوديته غرباً ومياهه عذبة ،وأشهر مياه الشرفة : مياه ثهلان الشرقية : (بهته) و (الحسي) و (الشعراء) و (الرفائع)و (القليّب) تصغير قليب ، و (الريان) و (السدرية) و (مريصيص)والأربعة الأخيرة داخلة في أودية ثهلان الشرقية ، ودلمة ، والشويطن ، وصدعان ، وكل هذه المياه واقعة في نطاق جبل ثهلان ، وقد ابتدأنا بعدّها من الشمال إلى الجنوب . وفي ظهر الشرفة تقع المياه الآتية ابتداء من الشمال إلى الجنوب : تيما ، والسُّبيحة وفرحة ، وهذان الماءان مشهوران بعذوبة مائهما ، وشبيكان والشبكة ، والشاة ، والشواة ، ورقعة ، والركية – وتسمى ركية سعدية – وهي آبار زراعية ، وعروى ، وقد أصبحت هجرة كبيرة لقبيلة المقطة ، وفي الناحية الشرقية : المريسية ، ومياه ظهر الشرفة كلها حلوة . وهذه المنطقة التي تمثل جانباً من منطقة الشريف القديم ، هي التي تعرف في هذا العهد باسم (الشرفة) و (الشريفة) على حد تعبير البعض ، وما زالت بلدة الشعراء الواقعة في ناحية هذه المنطقة تسمى (الشريفة) نسبة إلى هذه المنطقة ،قال صاهد الدعجاني يمدح ابراهيم ابن عبد الكريم (سبقي) وقد أعطاه بندقية ، وكان صديقاً له وهو ساكن في الشعراء

أنا احمدالله نشيط وفي يدي شلعه   مدة صحيب من الدكان شاريها
مدة رفيق محله من ورا دلعه   ريف الركايب إليا حفيت سماريها
يا جاهل به محله بأيمن القلعه   وسط الشريفة لعل الغيث يسقيها

وقال ابن ماضي ، شاعر من أهل الشعراء ، وقد مضى على وفاته زمن بعيد :

لــكنّ خطاطير الشريفة الى اقبلوا   فروق القطا حزة ليالي ورودها

ولـكـن سباياالشريفه ألتي اقبلت هماليل صيف حاديتها رعودها
الا يا محمد يا بن الاجواد قل لهم يفكـّون تيما قبل صرّام عودها

وقد ذكر ياقوت في عبارة له سبق ذكرها : ان الشريف تنسب اليه العقبان واورد بيتين لطفيل الغنوي :

وفينا ترى الطوبى وكل سميدع مدرّب حرب وابن كل مدرّب
تبيت لعقبان الشريف رجاله اذا ما نووا احداث امر معطب

والواقع ان جبل ثهلان معروف بعقبانه قديماً وحديثا ، وقد شبه بهـا امرؤ القيس بن حجر حيث قال :

وغيث كألوان الفنا قـد هبطته تعاور فيه كل اوطف حنـان
على هيكل يعطيك قبل سؤاله افانين جرى غير كز ولا واني
كتيس الظباء الأعفر انفرجت له عقاب تدلت من شماريخ ثهلان

منطقة رنمة : تحف هذه المنطقة بمنطقة الشرفة من الشرق ، وهي ارض جبلية – حشاش سوداء – تتخللها اودية غزيرة ، وتتصل من ناحيتها الجنوبية الشرقية بأودية الثنيه الى شمالي (اذني شمال) ابني شمام قديماً ، ورغم ان هذه المنطقة جبلية الا ان ظهر الشرفة وهو صحراء ارفع منها كثيراً ، واشهر مياه هذه المنطقة : العليجية ، والشلوية ، والثنية ، وكل هذه المنطقة داخلة ضمن منطقة (الشريف) القديم ، وبقي من بلاد الشريف القديم باعتبار ما ذكره الهمداني جزء داخل في نطاق (الحرة) واغلبه من بلاد باهلة ، وهو عروى وطحي ، وخنيفسة ، ومويسل ، والرويضة والروضة ، والى هذا الحد نكون قد وصلنا الى آخر حـدود الشريف الجنوبية ، وتبعد من الدوادمي مسافة تتراوح بين طريق وآخر من (١١٠ – ١٠٠) كيلا . أما ما كان جنوباً من عروى ومن وادي عصيل فانه يعرف في هـذا العهد باسم (الحرة) .

الحرة : تمتد منطقة الحرة من وادي عصيل ومن جنوبي عروى جنوباً إلى حدود (جفرة صبحا) وهي منطقة واسعة ، أرضها رملية ، تكثر فيهـا

النتوءات الصخرية والهضاب الغرانيتية الحمراء ومعظم أوديتهـا ينحدر شرقاً ويصب في وادي السرداح ، وأشهر هضابها ابتداء من الشمال هضاب القصورية ومشمرخات طحيّ ، وزعّابة، والقهاد، وكلها حمراء ، ثم مدقة،والطريقية ، ومصيقرة، ودرقان وكلها سوداء،ثم المغرة ، والعقابة ، وعقيّب ،والأصبعي، والمهدفة ، وخرص ، والدغم ، والخضر ، وكلها هضاب حمراء لها قمم مرتفعة.

وفيها من البلدان : القصورية ، وأم سريحة ، والرويضة ، والروضة ، وطحي ، وسنام ، والعرجان ، والجمة، وفيها من القصور الزراعية : عبدة ، وعجّابة،وجلاّلة ، وخريصة، والمغرة ، ومنقاشة ، ومُطيريحة ،والطريقية، والفيضة .

ويحف بهذه المنطقة من الشرق شعيب السّرْداح ، ويحف بها من الغرب شعيب الأرطاوي وشعيب شبيرمة ، فاذا جزت منطقة الحمرة – منطقـــة الهضاب الحمراء – جنوباً قاصداً (صبحا) وقعت في صحراء فسيحة منخفضة تسمى (الجفرة) ويحف بها من الغرب نفود يسمى (نفيّد صبحا) وبعد أن تجوز هذه الصحراء تواكب جبال (صبحا) (يذبل) قديماً ، وبهذا نكون قد أتينا على دراسة ما أجمله الخميس تحت اسم (الشريف) دراسة تفصيلية ، والمسافة بين الدوادمي وبـــين (صبحا) تتراوح بين طريق وآخر من (٢٠٠ – ١٩٠) كيلا ، أما على الابل فقد كنا نقطع ما بين الشعراء وبين صبحا على حاملات الأثقال في فترة تتراوح بين (٤ – ٥) ليال ، وقـــد اكتفينا بذكر هذه المواضع ووصفها وصفاً جغرافياً دون أن نبحثها تاريخياً لئلا يطول البحث – ومن هنا نعود إلى موقفنا من الطريق حذاء البيضتين غرباً من الدوادمي لنواصل البحث مـــع المجاز بين اليمامة والحجاز إن شاء الله .

(للحديث صلة) الدوادمي سعد بن عبد الله بن جنيدل

من خصائص بعض المدن والقرى

في أمثالها ، وما يقال عنها

- ٤ -

ومن روافد وادي ترج وادي تنومة ، وهو في بلاد بني شهر ينحدر من جبال السراة متجهاً صوب الشرق حتى يصب في وادي ترج ، ومن روافده أيضاً أكثر أودية بلاد بني عمرو المنحدرة من جبال السراة شرقاً ، وتقع شمال أودية بني شهر وفي تلك الأودية قرى كثيرة تعرف بأسماء ساكنيها، ويقع وادي ترج على وجه التقريب بقرب الدرجة ٣٠َ / ٤٢ْ طولاً و ١٩َ / ٤٠ْ عرضاً .

وقد أورد ياقوت في النص المتقدم (ص ٣٠٩) بيتاً محرفاً ، صوابه :

كأنّ محرّباً من أُسْدِ تَرْجٍ ينازِلُهم لنـــابيه قبيبُ

والبيت لأبي ذؤيب الهذلي، والمحرب – بفتح الراء المشددة – : المغضب، والقبيب : الصوت [١] .

١٢ – تَيْماءُ : هذه البلدة الواقعة في الجزء الشمالي من بلادنا لهـا تاريخ قديم ، منه أطراف في بعض المؤلفات القديمة ، وإشارات في بعض النقوش التي عثر عليها في شمال البلاد ، وانظر طرفاً من ذلك في كتاب « في شمـال غرب الجزيرة » [٢] . ومما عرفت به هذه البلدة حصنها الذي استعصى على كثير من الغزاة، وبلغ درجة من القوة والحصانة بحيث صار مضرب المثل، ويذكر بعض القدماء أن الذي بنى ذلك الحصن هو النبي سليمان بن داود عليه السلام ، غــير أن بعض الباحثين يرى أن نسبة الأبنية القوية العظيمة المعروفة عند العرب إلى سليمان قائمة على أساس أن الله سبحانه وتعالى سخّر له الشياطين كما في القرآن الكريم : (والشياطين كلّ بنـّاءٍ وغوّاص) إذ أن تلك الأبنية العظيمة لا يستطيع عملهـــا إلا الشياطين ، إذ لا عهد للعرب – وخاصة

---

(١) « شرح أشعار الهذليين » ص ١١٠ .

(٢) من ص ٣٢١ إلى ص ٤٢٠ .

متأخريهم – بمظاهر العمران العظيمة ، ولا علم لهم بتاريخ إنشاء تلك المظاهر من القصور والسُّدود ، ولهذا كانوا إذا رأوا شيئاً قوياً عجيباً ، عدّوه من (صنعة الجنّ) على حد تعبير أبي العلاء المعرّي ، أما الصحيح فهو وإن كان الله قد سخّر الشياطين لسليمان للقيام بأعمال البناء والغوص في البحار ، وهذا ثابت بنَص القرآن الكريم ، إلا أنّ ما عملوه لم يرد نصٌّ صحيح بتعيينه ، ولم يرد ما يدلّ على أن الحصون والآبار التي ينسبها العرب إلى الشياطين كحصن مارد وقَصر سَدُوس ، وآبار لِينة وأمثالها أنها من عمل الشياطين ، بل ذكر المتقدمون – كأبي عبيدة معمر بن المثنى – فيما نقله عنه الجاحظ قوله : أحبّت العرب أن تشارك العجم بالبنيان وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران ، وحصن مارد ، والأبلق الفرد ، وغير ذلك من البنيان [1] .

لقد بنى عاديا الغساني حصن تيماء ، وحفر بئرها الرويّة العذبة ، وفي ذلك يقول السموأل ابنه :

وَفيتُ بأدرُعِ الكِنْدي إني ... إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ
وأوصى عاديا يوماً بألاّ ... تُهَدِّم يا سموأل ما بَنَيْتُ [2]
بنى لي عاديا حصناً حَصيناً ... وماءً كلّما شئْتُ استقيتُ

وفي هذا الحصن يقول الأعشى :

ولا عاديا ، لم يمنع الموت مالُهُ ... وفردٌ بتيماء اليهوديّ أبلقُ
بناه سليمانُ بن داودَ حقبةً ... له أزَجٌ صمٌّ ، وَطيٌّ موثّقُ
يوازي كُبَيْداءَ السماءِ ، ودونه ... مِلاطٌ ، ودارات ، وكلس وخندقُ

وقد ضرَبَتِ العرَبُ بحصن تيماء هذا المثل في العزّ والمنعة فقالوا : (تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق) وأصل المثل – كما ذكر الميداني في « مجمع الأمثال » [3] :

---

(١) « ثمار القلوب » ص ٥٢١ .
(٢) « الأغاني » ٦ / ٨٥ .
(٣) ١ / ١٢٦ ، و « ثمار القلوب » ٥٢٠ ، ويرى ابو عبيدة أن الحصن من بناء العرب : « ثمار القلوب » ٥٢١ .

أن الزّبّاءَ ملكة تدمر غزَت تياء ، ولكنها عجزت عن الاستيلاء عليها بسبب هذا الحصن ، فقالت : (تمرّد مارد وعزّ الأبلق) وكانت غزت دومة الجندل فاستعصت عليها ، فأصبحت كلمتها مثلاً . ومما يتصل بخبر هذا الحصن ما ذكره المؤرخون من أنّ امرأ القيس بن حُجْر الشاعر أودع السموأل بن عادياً مائة درْع ، فأتى إلى السموأل أحد ملوك الغساسنة طالباً تلك الدروع ، وكان للسموأل ابنٌ خارج الحصن فأمسكه الملك الغساني ، وخيّر السموأل بين تسليم الأدراع أو قتل ابنه ، فاختار الوفاء بحفظ أمانته على قتل ابنه . وقد ذكر هذه القصة الأعشى عندما هَجَا قبيلة كلب فخاف منهم والتجأ بشرَيْح بن السموأل في حصنه بتيماء وقال :

شريحُ لا تتركَنّي بعدما عَلِقَتْ ... حِبالُكَ اليوم ، بعد القِدْ أظفاري
قد جُلْتُ ما بين(بانقيا)[1] إلى عدن ... وطال في العُجْم تَردادي وتسْياري
فكان أكرَمَهم عهدا ، وأوثقهم ... مجداً أبوك ، بعرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِدِ الضاري
كُنْ كالسموأل إذْ طاف الهُمامُ بِه ... في جَحْفَلٍ كسوادِ الليلِ جَرّار
إذ سامَهُ خطتي خَسْفٍ فقال له : ... قُلْ ما تشاء فإني سامع حارِ[2]
فقال : غَدْرٌ ، وثُكْلٌ ، أنت بينهما !!
فاخْتَرْ ، وما فيهما حظٌ لمُخْتار
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ، ثم قال له : ... اقتل أسيرَك ، إني مانعٌ جاري
وسوف يُعقِبُنيه ـ إن ظفرتَ به ـ ... رَبٌ كريمٌ ، وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهِبٌ هَدَرا ... وحافظاتٍ إذا استُودِعْنَ أسراري
فاختار أدراعه كيْ لا يُسَبَّ بها ... ولم يكنْ وَعْدُه فيها بِخَتّار

---

(١) بانِقْيَا : ناحية من نواحي الكوفة ، في العراق .
(٢) حارِ : حارث ، وهو اسم الملك .
(١) « الأغاني » ٨ / ٧٩ ، و ١٩ / ٩٩ .

تاج العروس

من جواهر القاموس

تصدر (وزارة الارشاد والانباء) في الكويت سلسلة من الكتب العربية بعنوان « التراث العربي » من أهمها كتاب « تاج العروس من جواهر القاموس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي ، وهذا الكتاب فضلا عن كونه من اوفى الكتب في شرح المفردات اللغوية ، فقد تضمن معلومات عامة منوعة عن كل ما يتصل بالثقافة العربية والاسلامية على وجه العموم . وقد طبع الكتاب قديماً في مصر ثم أعيد طبعه مصوراً عن الطبعة المصرية مرتين .

وسبق أن تحدثت عن هذا العمل الجليل الذي تقوم به وزارة الأرشاد الكويتية في سبيل نشر الكتب العربية،وتمنيت ان تتجه الوزارة إلى الكتب المخطوطة ، فهي أولى بالنشر من الكتب المطبوعة لأنه يخشى ضياعها – أعني المخطوطات – وقد تضيف إلى ثقافتنا اشياء جديدة ، ولعل الوزارة رأت من ضخامة هذا الكتاب وقلة نسخه قبل سنوات ما يتلاءم مع عملها ، فكان ان شرعت في طبعه ، فصدر المجلد الاول منه في سنة ١٣٨٥ ، وصدر المجلد الثامن في سنة ١٣٩٠ أي إن طبع ثمانية اجزاء منه استغرق خمس سنوات ، وهذه الاجزاء الثمانية تنتهي إلى حرف الدال – فصل الفاء – وتستغرق من النسخة المطبوعة الواقعة في عشر مجلدات مجلداً واحداً و٤٥٨ صفحة من المجلد الثاني ، وتقع المجلدات الثمانية في ما يقارب٤٠٠٠ صفحة ، بينما هي في الطبعة الأولى ١١١٣ صفحة ، والتفاوت ناشىء عن كون الطبعة الحديثة ذات حروف كبيرة كاملة الشكل، مع اضافات حواشي موجزة جداً بحرف دقيق، والواقع ان الطباعة الحديثة جميلة حقاً ، ومريحة للنظر ، والمطالع هو بحاجة إلى ما

يريح نظره عند القراءة ، إلا ان مما تنبغي ملاحظته أن هذا الكتاب ليس معداً للمطالعة بكثرة ، وانما هو كتاب مراجعة ، فلو وفر الجهد الذي صرف في طبعه بهذه الصورة توفيراً يهيىء سرعة نشر الكتاب ، ويمكن من نشر غيره لكان حسناً ، ومع كل ذلك فإن هذا العمل جليل ويستحق التقدير لا سيما وان الوزارة اسندت التحقيق إلى علماء افاضل من خيرة المعنيين بتحقيق التراث ، وان هؤلاء العلماء صرفوا في سبيل ذلك من الوقت والجهد والرغبة في اتقان العمل ما استحقوا من اجله الشكر .

وما ينبغي التنبيه اليه الآن هو أن بقية الكتاب سيستغرق طبعها زمناً طويلاً لا يقل عن ٢٠ سنة فكأن طبع الكتاب كاملاً سيستغرق ربع قرن ، يضاف إلى هذا أن البقية ستقع في أكثر من ٣٠ مجلداً ، بحيث يصبح الكتاب في ٣٨ مجلداً ، من المجلدات الضخمة (أي في ما يقارب ٢٠,٠٠٠ صفحة) مع أننا في عصر يستدعي الاقتصاد في كل شيء ، ويستلزم السرعة في كثير كثير من الأمور ، والمادة الذي يحويها هذا الكتاب لا تتلاءم مع الضخامة التي سيبرز فيها .

هذه أمور قد يقال عنها بأن زمنها فات ، أو أنها ليست ذات أهمية بالنسبة لإبراز كتاب لا يجهل أحد ما له من أثر في ثقافتنا العربية . لقد تصحفت أكثر الأجزاء التي صدرت ، وعلقت في هوامش ما طالعت بعض ملاحظات رأيت إشراك القراء فيها مدفوعاً بأمور : —

الأمر الأول : أن مؤلف الكتاب الزبيدي عول على الجمع تعويلاً حاول فيه إبراز مقدرته ، ولم يعنَ كثيراً بالتحقيق ، وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا الاستاذ عبد الستار أحمد فراج الذي حقق المجلد الأول من الطبعة الحديثة فقال : (وعدم الضبط يرجع إلى الزبيدي نفسه . فقد أمضى في تأليفه أربعة عشر عاماً وأياما .. ولو أنه عني بضبطه مع تأليفه لأمضى ضعف المدة) [١] . وأقول : بأن الزبيدي نقل عن مخطوطات منها غير المتقن ،

---

(١) ص (ز) من مقدمة المجلد الأول .

فوقع في أخطاء كثيرة، وأعتقد أن الغاية من تحقيق المخطوطات تقديمها بصورة صحيحة لا من حيث مطابقتها لما أورده مؤلفوها فحسب، بل يضاف إلى ذلك – ما أمكن – الإشارة إلى ماقي تلك المؤلفات من الأخطاء لأننا نقدم كتاباً يعتبر مرجعا ، وما قيمة المرجع إذا لم يكن صحيحاً ؟!

الأمر الثاني : أن الإنسان مهما بلغ من مكانة علمية عرضة للخطأ ، وهـذا الكتاب يصح أن يعتبر جُهْدَ عدد جَمٍّ من العلماء، في حقبة من الزمن تقارب عشرة قرون ، وليس من المستغرب وقوع هفوات تعتبر يسيرة حقاً ، ولهذا يجب أن تتوافر جهود كبيرة لإصلاح تلك الهفوات متى وجدت ، والقائمون على التحقيق – مع الاعتراف بفضلهم – يدركون أن ليس في مستطاعهم إبراز الكتاب مبرءاً من كل عيب ، ولا يضيرهم وقوع أخطاء لا يد لهم في وقوعها، وهذا مـــا لمحه صديقنا الأستاذ عبد الستار الذي خـــتم مقدمته بقوله : (وإنا لنرجو من كل عالم باللغة والتراث العربي أن يوافينا بما يبدو له ، فلعلنا نكون قد نسينا أو أخطأنا ، والكتاب أجزاء متتابعة ، فمـا كان توجيهه صواباً ألحقناه فيما يتلوه ، وما كان رأياً شخصياً أحللناه محله من الاعتبار مع الشكر في الحالين) .

الأمر الثالث : ان الزبيدي في شرحه للقاموس والفيروزابادي في تأليفه له رجع إلى كتب لا يزال أكثرها موجودا ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط ، وهو فيما ينقل ليس دقيقاً فقد يبتر النص ، وقد يورده محرفاً ، وقـد ينسبه إلى كتاب ليس فيه ، وقد ينقل نصاً غير صحيح . وقد لاحظت أن كثيراً من محققي الأجزاء التي صدرت يعولون في عملهم أكثر ما يعولون على الكتب المطبوعة ، وقد يرجعون إلى المخطوطات ولكن بقلة مثل كتاب « الصلة » للصاغاني، ومعروف ما في المطبوعات من التحريف والتصحيف ، وكان الأولى عند تحقيق هذا الكتاب جمع أصوله المخطوطة من قِبل وزارة الإرشاد ، وتهيئتها ليرجع اليها المحققون فقد نشأ عن التعويل على بعض المطبوعات أخطاء كان من الممكن تداركها ، يضاف إلى هذا ان مطالع الأجزاء الثانية لا يجد أثراً لمخطوطة المؤلف من الكتاب ، فقد يكون في الرجوع إليها مـا يصحح

بعض أخطاء المطبوعة ، أو يقوّم النصّ الذي أورده المؤلف غير قويم .

الامر الرابع . ليس الكتاب كتاب لغة بحيث يكتفى بمراجعة بعض الكتب اللغوية ،فقدرجع مؤلفه إلى كثير من كتب الأماكن و كتب الانساب و كتب الرجال و كتب الطب و كتب علم اللغة من نحو وصرف ، و كتب التفسير ، و كتب التاريخ ، ودواوين الشعر ، والمحققون رجعوا إلى بعض المطبوعات في ذلك مثل « معجم البلدان » و « معجم ما استعجم » وبعض دواوين الشعراء المطبوعة ، ولكن أكثرهم لم يعر الكتب الأخرى أي انتباه أو التفات ، وقد يكون لهم العذر في ذلك لعدم توفرها بين أيديهم ، ولكن ما هو عذر (وزارة الإرشاد) وهي وزارة أرادت بعملها أن تقدم للأمة كتاباً أو كتباً تضيف إلى ثقافتها من الروافد ما يقويها ؟

ولعل من أغرب الامور عدم الرجوع إلى مخطوطة شرح الفاسي شيخ الزبيدي للقاموس الذي قال عنه الزبيدي : (وهو عمدتي في هذا الفنّ) مع سهولة الحصول على صورة تلك المخطوطة .

الامر الخامس : ان ما علقته في الهوامش ليس صحيحاً كله ، ولهذا فأنا بحاجة إلى ان أتبين الصحة من الخطأ ، وقد لا أعدم من القراء من يبين لي وجه الصواب فيما أخطأت به ، ولهذا فليس الحافز هو مجرد النقد ، ولا أقول هذا من قبيل المواربة ، ولكنني أعتقده حقاً .

ان المرء ليقضي العجب عندما يشاهد في ميدان النشر عملاً من أعمال بعض المستشرقين ، وخاصة في نشر بعض الكتب العربية حينما يعمد احدهم إلى كل ما يستطيع الحصول عليه من المصادر التي لها صلة بالكتاب الذي يقوم بتحقيقه فينخل ما يقع تحت يده منها نخلاً لعله يجد ما يقوّم نصّاً ليشير إليه ، فما أحوجنا عندما نقوم بنشر شيء من مخطوطاتنا إلى مثل هذا العمل . ولقد نشر في الاعوام الاخيرة كتاب « التهذيب » للأزهري ، وتولى تحقيق أجزائه عدد من الباحثين من بينهم استاذ جليل كان ممن حقق احد أجزاء « تاج العروس » ، وكان العمل في تحقيق « التهذيب » على درجة من الكمال

يسر بها كل غيور على تراث أمته، بحيث اضيف إلى كل جزء من أجزاء الكتاب فهارس دقيقة وافية ، أما الاجزاء من كتاب « تاج العروس » التي سبق نشرها فقد خلت من الفهارس ، ولقد أشار صديقنا الاستاذ عبد الستار فراج إلى انه سيوضع للكتاب بعد نهاية طبعه فهارس وافية ، ولكن أليس من المستحسن إلحاق فهارس كل جزء به لا سيما وان محقق كل جزء هو ألصق الناس به ، وأوسعهم اطلاعاً عليه !؟ ومن لنا بمحقق يعيش ربع قرن أو أكثر ، لكي يشارك في وضع الفهارس ؟! ، بل من لنا من يحقق الوسيلة التي تكفل الاستمرار بنشر الكتاب ، والزمن لا يدوم على حالة واحدة ، وكم من عمل جليل حالت الظروف دون كماله ؟ ! وأقرب مثال لذلك هو ما نعرفه عن محاولة نشر كتاب « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري ، فصدر المجلد الاول منذ نصف قرن، ولم يصدر حتى الآن الجزء الثاني مع أن الذي رغب نشر الكتاب كان ذا حول وطول .

أ ـ الجزء الاول

صدر الجزء الأول من « تاج العروس » في سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م في ٥٢٣ صفحة ومقدمة في ٢٦ صفحة وتولى تحقيق هذا الجزء عالم محقق عانى نشر المخطوطات وحقق كثيراً من الكتب المطبوعة تحقيقاً يدل على سعة اطلاع وعمق معرفة وطول اناة وقوة صبر هو صديقنا الاستاذ عبد الستار احمد فراج ، وكتب في طرة الجزء : (راجعته لجنة فنية من وزارة الارشاد والانباء) ، ويظهر أن هذه اللجنة تنحصر مراجعتها في دائرة ضيقة لا تتجاوز العمل الرسمي كما يقولون ، ولهذا فمن المعتقد أنه لا أثر لها في الكتاب الا من حيث شكل الاخراج ، والحق يقال أن المحقق الفاضل لم يأل جهداً في ابراز عمله بالصورة التي تطمئن اليها النفس ، فقد صدره بمقدمة ضافية عن القاموس واصوله ، وعن الكتب التي رجع اليها شارحه ، وعن وصف طبعتي التاج اللتين وصفهما بالفساد ، وعن منهج التحقيق ، وعن الزبيدي الشارح ومؤلفاته ، وعن طريقة تأليف كتابه ، ثم شرع في تحقيق الكتاب

ورجع اكثر ما رجع إلى « لسان العرب » المطبوع ، كما رجع إلى غيره من كتب اللغة ودواوين الشعر المطبوعة ، ويظهر أن نهج العمل في التحقيق كان يقضي بعدم التوسع في الاضافات والحواشي ، إذ الكتاب نفسه على درجة من السعة والطول تحول دون كثرة الاضافات ، وهكذا سار العمل في بقية الاجزاء الاخرى ، وهو عمل حسن الا أن مما يؤخذ عليه التعويل بكثرة عن مطبوعة اللسان ، ومؤلفه – كما هو معروف – جمع فيه مواد امهات كتب اللغة او اكثرها جمعاً ، ولهذا فكان من اليسير إذا لم يتسن الاطلاع على تلك الكتب الرجوع إلى مخطوطة اللسان ، فقد وقع في مطبوعته كثير من الخطأ ، وتناول تلك المطبوعة بعض الباحثين بالنقد ، كالعلامة أحمد تيمور باشا – رحمه الله – قديماً ، والاستاذ عبد السلام هارون حديثاً .

وها هي بعض التعليقات ، ولم أعنَ كثيراً إلا بما يتعلق بالمواضع والانساب ، فقد طالعت كثيراً من الكتب المتعلقة بتحديد المواضع أو بانساب القبائل مطالعة جعلتني اشارك الباحثين فيما يتعلق بالموضوعين المذكورين . أما المفردات اللغوية فبابها واسع ، وميدانها فسيح وبضاعتي فيها مزجاة .

١ – سرد المحقق الفاضل مؤلفات الزبيدي وفاته بعضها مما ذكره بعض مترجميه ، ومن عادة المترجين الحرص على ذكر كل ما ينسب لمترجمهم من آثار لكي تكون الترجمة وافية ، وما فات الاستاذ عبد الستار من ذلك يسير ، ولا نطيل بذكره بل نكتفي بالاشارة الى الترجمة التي كتبها الدكتور جواد علي في مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب عندما ارادت المكتبة العصرية ودار الفكر في بيروت نشر الكتاب بتحقيق الدكتور مصطفى جواد الباحث العراقي المعروف ، وصدرت منه اجزاء بلغ مجموع صفحاتها ٥٠٠ ، ولم تتجاوز باب الباء وقد رجع الدكتور مصطفى جواد في ترجمة المؤلف إلى كتاب « نور الأبصار » للشبلنجي وغيره ، وقد ذكر الدكتور مصطفى مؤلفات يسيرة خلاف ما ذكر الاستاذ عبد الستار .

واعتاد المترجون عند ذكرهم مؤلفات المترجم ذكر أمكنة وجودها إذا كانت مخطوطة ، ولم يلاحظ الأستاذ عبد الستار هذا ، فمثلاً « رسالة إتحاف الإخوان » موجودة في خزانة الأزهر منها نسخة . و« الأمالي الشيخونية » منها

نسخة في دار الكتب الوطنية في برلين وكذا «نشوة الارتياح» وذكر الدكتور جواد من مؤلفات الفيروزأبادي « تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب اسماعيل» وانه موجود في دار الكتب المصرية .

ووقع في بعض اسماء مؤلفات الفيروزابادي بعض التحريف مثل «الروض المؤتلف» في تخريج حديث : (يحمل هذا العلم .. الخ) صوابه : يحمل : بالحاء المهملة، و (القول المثبوت): الصواب : المبتوت ، و (النفحة القدسية) هي : (النفحة القدوسية) لتلائم السجع .

وعلى ذكر مكان ولادة الزبيدي ، ذكر الدكتور جواد علي انه ولد بزبيد .

٢ — في سرد مصادر المؤلف لم يذكر اسم مؤلف المصباح المنير، مع ذكره مؤلف التقريب في علم الغريب ، وانه لولد مؤلف المصباح .

ونسب لباب الانساب للسمعاني ، وكتاب السمعاني هو الانساب، واللباب هو لابن الاثير كما هو معروف ، كما انه ذكر ان «لباب الانساب» للسيوطي ، وكتاب السيوطي «لب اللباب»، والثلاثة مطبوعة. ووصف المعلقات بالسبعة، والمعروف السبع ، وهو الذي تقتضيه قواعد اللغة .

ولم يذكر مؤلف الراموز ، بل اكتفى بقوله لبعض عصريي المؤلف ، والمؤلف هو السيد محمد بن حسام الدين حسن بن علي من أهل ادرنة ، توفي في الطريق إلى مكة سنة ٨٦٦هـ وله كتاب « الجامع في اللغة » ، والكتابان موجودان. وسمى مؤلف عمدة الطالب ابن عتبة، وهو ابن عنبة وكتابه مطبوع.

٣ — ص ٢٧ : الكيّا ، صواب الاسم : الكِيا — بكسر الكاف والياء مخففة مفتوحة لا مشددة ، والكلمة فارسية معناها : الكبير ، وجاء في ارجوزة المفردات :

واعلم بأنْ اصحابنا قد ألفوا   في المفردات جملا وصنفوا
لكنهم لم يقصدوا هذا النمط   بل قصدوا الرد على (الكيا) فقط
فانه أعني (كِيّا) قد صنفا   في مفردات احمد مصنفا
وقصد الرد عليه فيها   وكان فيما قد عنى سفيها

والكيا من علماء الشافعية مترجم في طبقاتهم، و« البداية والنهاية »وغيره.

٤ — ص ٣٣ : وابن الدقيش : صوابه : وأبي الدقيش كما في « الفهرست » صفحة ٤٧ و « التاج » مادة دقش .

٥ — ص ٤١ : نقل في الكلام على نسب الفيروزابادي وصلته بأبي بكر (ولم يكن مدفوعاً فيما قاله) ولكن الفاسي في « العقد الثمين » ج٢ ص ٤٠٠ قال عنه — عند ذكر انتسابه إلى أبي اسحاق الشيرازي — : (واستغرب ذلك الناس منه ، واستغربوا منه أكثر مـــا كان يذكره من انتسابه إلى أبي بكر (ض) .

٦ — ص ٤٢ : وابن ادريس في بغداد — والصواب : ابن اويس ، وهو القان احمد بن اويس ، صاحب العراق ، كما في «العقد » ج ٢ ص ٣٩٨ .

٧ — ص ٤٣ : تنوير المقياس — والصواب: المقباس بالباء الموحدة. كما في « العقد » وغيره . لسيل الفيح الجاري : بالسيح الفسيح الجاري .
افتضاض السهاد : امتصاص الشهاد .
تهييج الغـــرام : مهيج الغرام كما في«المغانم»للمؤلف.

٨ — ص ٤٤ : منيـــة المسؤول : السول
المختلف صنماً : المختلف صقماً كما في « العقد » وغيره
من الملائكة اسماعيل: من الملائكة والناس اسماعيـــل
اسمـــاء السراح : اسمى البراح .
إشارة الحجون : إثارة الحجون
وفي الدرة من الخرزة : فصل الدرة من الخرزة

٩ — ص ٨٥ : قال ابو عمرو المطرز ، وهو ابو عمر كما في « معجم الأدباء » ج ٧ ص ٢٦ و « تاريخ بغداد » ج ٢ ص ٣٥٦ . وتقدم صحيحاً في ص ٣٩ .

١٠ — ص ٩٢ — موقع كلمة ومطلعها في السطر الخامس وهذا تطبيع .

١١ – ص ٩٩ – من بغض اللسان العربي : علق الدكتور مصطفى جواد الأفصح من أبغض الرباعي ، وبغض لغة رديئة .

١٢ – ص ١٠٢ و ١١٠ : كان الأولى وضع الشعر في الهامش ، لأن هذا العمل فضلاً عن كونه مخلاً بعمل المؤلف يشوش على القارىء .

١٣ – ص ١٢٦ : الكلام الذي نقله ياقوت لابن جني ، فهو الذي يحدث عن شيخه أبي علي وهو الفارسي ، والكلام في المعجم كما أشار المحقق ، وكلمة (القياس القوي) هي في المعجم : القياس اللغوي .

١٤ – ص ١٢٧ : نقل المؤلف عن الزمخشري في تعريف اجا وسلمى بانهما عن يسار سميراء ، مختزل مبتور كما أشار المحقق ، وقد لاحظ ياقوت ذلك فقال : ولم يقل عن يسار القاصد إلى مكة او المنصرف منها . انتهى . وأقول : هما عن يسار القادم من مكة إلى العراق .

١٥ – ص ١٢٨ – قبل : جبل قرب دومة الجندل ، وأقول : الصواب قيال – بالياء المثناة التحتية – والتصحيف قديم .

١٦ – ص ١٢٩ – تخب ترائعاً : الصواب : نزائعا ، والنزائع هي الخيل الغرائب .

١٧ – ص ١٣١ : ليستدل بها عليها : عليهما كما يفهم من السياق . لعدي بن الرباب – الصواب : لعدي من الرباب ، فالرباب هم بنو عبد مناة ابن اد ، تيم وعدي وعوف وثور وأشيب ، تحالفوا مع بني عمهم على بني تميم ، فغمسوا أيديهم في رب ، كما في « جمهرة النسب » لابن الكلبي ومختصراتها .

١٨ – ص ١٣٤ :(ويتخذون منه رِبّاً) الصواب : كما في « اللسان »: ويتخذون منه رُبّاً : بضم الراءوبالباء الموحدة..(في الحديث : « جريرٌ بين نخلة وضالة) الصواب كما في « اللسان » (في حديث جرير : بين نخلة وضالة) وهذه الجملة من حديث طويل ورد في كثير من الكتب عن جرير بن عبد الله البجلي ان رسول الله ﷺ سأله : أين تنزلون ؟ فقال : في بيشة ثم وصفها ،

وجاء في وصفه تلك الجملة [١] ، وقد أورد ابن الاثير في النهاية حديث جرير مجزءاً؟ كاورد في اللسان والتاج ، واورده ابن الأثير كاملاً في كتابه «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» [٢]، وقبله أورده ابن شبة في «أخبار المدينة» [٣] .

١٩ – ص ١٣٧ استدرك الزبيدي البثاء : ممدوداً ، وقال بأنه موضع في ديار بني سليم .

والذي في «معجم البلدان» انه في ديار بني سعد ، ويدل عليه الشاهد الذي أورده الفيروزابادي نفسه ، أمـــا الذي في ديار بني سليم ، فهو بشاء بالشين . وصاحب التاج اعتمد فيما يظهر على البكري والأسماء في كتابه دخل فيها التصحيف والتحريف .

٢٠ – ص ١٤٢ الأسماء التي أوردها الشارح في شرح قول صاحب القاموس (بداء ككتان ..) هذه الأسماء ما عدا الاخير منها هي في كتاب ابن حبيب ص ٢٦ : بـــدا : غير مهموز ، وكذا هي في كتاب «الايناس» للوزير المغربي ، الورقة ١١ بخط ابن مكتوم العالم المعروف .

٢١ – ص ١٥٠ (عن ابن منصور القزاز) قال الدكتور مصطفى جواد: الصواب : عن ابي منصور وهو القزاز .

٢٢ – ص ١٥٧ (بواء واد بتهامة) كذا في «العباب» و «التكملة» وأقول : وادي بواء من الاودية التي تنحدر من السراة من جبل بيضان ومـا بقربه قرب الدرجة ٣٩َ | ٤٥ْ طولاً شرقياً ٥َ٤ / ٢٠ْ عرضاً شمالياً ، ويجتمع بوادي عردة ، ثم يفيض في وادي تربة فهو من أودية السراة المشرقة إلى نجد، وليس من أودية تهامة .

٢٣ – ص ١٦١ نقل الشارح عن ياقوت: تلأ : قرية من قرى ذمار ، وأقول: لم يذكر ياقوت في معجم البلدان تلأ في موضعها ، ولم يذكرها الهمداني اليمني،

---

(١) انظر «معجم ما استعجم» للبكري - مادة بيشة .
(٢) مخطوطة خزانة الرباط في المغرب - ص ٦٨ .
(٣) الورقة الـ ٨٧ مخطوطة رباط مظهر في المدينة .

وهو أعرف ببلاد اليمن ، وإنما ذكر ثلا : بضم الثاء المثلثة وهي قرية قرب ذخار لا ذمار .

٢٤ — ص ١٦٥ (ضرية بئر بالحجاز) هذا من افظع الخطأ ، فضرية في سرة نجد،وهي قرية كبيرة يضاف إليها حمى ضرية وشهرتها تغني عن تحديدها.

٢٥ — ص ١٦٧ (عن ابن العميثل) قـــال الدكتور مصطفى جواد : الصواب : عن ابي العميثل، وهو عبدالله ابن خليد في كتابه « ما اتفق لفظه، واختلف معناه » ص ٤٦ .

٢٦ — ص ١٦٩ (شعبة من وادي الحسا عند الرويثة) الحسا تحريف كلمة الجي بالجيم المكسورةبعدها ياء مثناة تحتية مشددة ، ولا يزال معروفاً ، وهذا النص الذي أورده الشارح هو من معجم ياقوت ، وفيه الجي .

٢٧ — ص ١٧٢ (وجزأتها تجزيئاً) وفي الطبعة الأولى تجزئاً ، وعلق الدكتور مصطفى جواد عليها ، هكذا ورد في طبعـــة بولاق، والصواب : (تجزؤاً) وعند التسهيل تجزياً .

٢٨ — ص ١٨٠ (فأمر برجمها) ومقتضى السياق برجمها ، وكذا نص الحديث .

٢٩ — ص ١٩٠ (سفيان بن سَلْهَم) وهو سِلهم : بكسر السين كزِبرج كما في « التاج » .

٣٠ — ص ٢٠٣ (عبد الوهاب بن الحسن الكلائي) قال الدكتور مصطفى جواد : الصواب : الكلابي يراجع «تكملة الاكمال» ص ١٧٩ و «الشذرات » ٣ / ٣٥٧ ، وتوفي عبد الوهاب الكلابي سنة ٣٩٦ .

٣١ — ص ٢١٠ (القرية المعروفة بالصفراء) هذا من اغلاط الشارح ، فالصفراء ليست قرية بل واد فيه قرى ، ولا يزال معروفاً يبعد عن المدينة ١٥٠ كيلا في الطريق إلى مكة .

٣٢ – ص ٢٤٤ (فلم أصب مجبّي) علق الدكتور مصطفى الصواب : (مجباي) كما في « اللسان » .

٣٣ – ص ٢٧٠ (قاله ابن بُزُرْج) قال الدكتور مصطفى: الصحيح أنه بزرج لا ابن بزرج تعريب بزرك الفارسية ، ومعناه الكبير، وهو أبو محمد بزرج بن محمد العروضي له تآليف منها تفسير غريب اللغة ، وأشار إلى « معجم الادباء » ٢ / ٣٦٦ و « الفهرست » ص ١٠٧ ، وقد تصحف فيهما إلى بَرْزخ . انتهى.

٣٤ – ص ٢٧٩ (سواءة بن الحـــارث) هو في « الايناس » سواءة بن الخلاف .

– وفي خثعم سواءة بن مناة. هو سواءة بني أوس مناة كما في « الايناس » و « جمهرة النسب » لابن الكلبي .

– عفرس بن خلف بن خثعم هو عفرس بن حلف بن أفتل بن خثعم كما في كتب النسب .

٣٥ – ص ٢٨٥ (الصفاقسي) قال الدكتور مصطفى جواد : المعروف : السفاقسي نسبة إلى سفاقس مدينة من نواحي افريقية ، واسم كتابه «المجيد في اعراب القرآن المجيد » ذكره في كشف الظنون وذكر أنه توفي سنة ٧٤٢ .

٣٦ – ص ٢٨٩ : (اسمه القِرْد قاله خليفة) الصواب : القَرِد : بفتح القاف وكسر الراء .

٣٧ – ص ٣٢١ (شجرة من الغضا عظيمة) والصواب : من العظـاهِ ، وفي اللسان : وهو شجر عضاهي .

٣٨ – ص ٣٧٦ (انكحتك القدور ابنـــق) الصواب : القذور بالذال وهي من النساء المنزهة عن الاقـــذار ، واسم القذور من الأسماء العربية التي وردت في الشعر القديم .

٣٩ – ص ٢٧٨ (قول الشارح في وصف عمرو بن قميئـــة الشاعر وهو

الذي كسر رباعية النبي ﷺ يوم أحُدٍ)خطأ . فالذي كسر رباعية النبيﷺ هو عبدالله بن قمئة الليثي ، وليس عمراً الشاعر ، وهذا الخطأ الذي وقع فيه الشارح خطأ قـــديم ، وقع فيه قبله محمـــد بن داود ابن الجراح في كتابه « من اسمه عمرو من الشعراء » (وانظر «السيرةالنبوية» لابن هشام ج٣ ص ٩٩ و « الروض الانف » ج ٢ ص ٣٥ ، وانظر ايضاً مقدمـــة شعر عمرو بن قميئة المنشور في مجلة معهد المخطوطات المجلد الحادي عشر .

٤٠ — ص ٤٢٠ (جُلَّهُم) الصواب : جلهم بفتح الجيم واسكان اللام وفتح الهاء، كما فيمختصر جمهرة ابن الكلبيالورقة ٧٥– مخطوطة راغب باشا.

— (مصاد بن ذهـــل بن تيم) هنا سقط موضع الشاهد والصواب : مصاد بن ربيعةبن الحارث بن جلهمبن امرىء القيس بن ثعلبة بن سعدبن ذهل.

(أنشد جريراً باليمانية) الصواب : أنشد جريراً باليمامة، اذ هي بلادجرير.

٤١ — ص ٤٣٧ (ام المرتجز هي فرس رسول الله ﷺ) علق الدكتور مصطفى جواد : قول الشارح (هي) غير معنى الجمـــلة ، فالمرتجز هو فرس رسول الله ﷺ ، ثم نقل من كتاب « فضل الخيل» للدمياطي ما يدل على ان المرتجز هو فرس الرسول ﷺ .

٤٢ — ص ٤٥١ (عميلة بن طريف بن سعيد) هو عميلة بن عتريف بن سعد ، كما في « جمهرة النسب » لابن الكلبي ص٣٧١ ، و « المختصر »ص ١٣٥ و « جمهرة ابن حزم » ص ٢٤٨ .

— (بين امرة والمتالع) المعروف متالع بدون ال وكثيراً ما يستعملهذه الطريقة الشارح .

٤٣ — ص ٤٦١ (النسائي توفي سنة ٣٣٠) قال الدكتور مصطفى جواد الصواب : ٣٠٣ كما في « المنتظم » ج ٦ ص ١٣٠ و « وفيات الاعيان » لابن خلكان وأقول : و « طبقات الحفاظ » ، ج ٢ ص ٧٠١ .

٤٤ — ص ٤٧٠ (قال المطرز) قال الدكتور مصطفى: الصوابالمطرزي،

وهو اللغوي ناصر بن عبد السيد المطرزي (٥٣٨ – ٦١٠) صاحب كتاب « المغرب في ترتيب المعرب» المطبوع في الهند سنة ١٣٢٨ ، وهذا النص فيه.

٤٥ – ص ٤٨٢ (وفي « اللسان » الوجأ) قال الدكتور مصطفى في المطبوع من « اللسان » (والوجء) بهمزة بعد الجيم المتفردة وهو الصواب .

٤٦ – ص ٤٨٥ (برقة وداء) الذي في « المعجم » برقة الوداء ، واورد شاهده من قول جرير : عرفت ببرقة الوداء .

٤٧ – ص ٥٠١ (أنشد لمعاذ بن هراء) المعروف معاذ الهراء لبيعه الثياب الهروية كما في « التاج » .

٤٨ – ص ٥١٥ : أورد الشارح بيت جرير :

أوتيت من حدب الفرات جواريا   منها الهنيء وسائح في قرقرى

وقال: قرقرى قرية باليمامة فيها سيح لبعض الملوك. وعلق الدكتور مصطفى جواد على هذا بكلام ياقوت ان الهنيء والمريء نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك ، وأحدث فيهما واسط الرقة ، ومستمدهما من الفرات ومصبهما فيه ، وأقول : واذن فلا صلة لهما بقرقرى التي هي ارض واسعة في اليمامة .

٤٩ – ص ٥٢٣ قال المحقق : (واما تاراء فلا توجد فيه منفصلة) يقصد « معجم البلدان » وأقول : بل في هذا المعجم ما نصه : تاراء بالراء قال بن اسحاق وهو يذكر مساجد رسول الله ﷺ بين المدينة وتبوك فقال: ومسجد بالشق شق تاراء قال نصر : تاراء . موضع بالشام انتهى كلام صاحب المعجم اما نص كلام نصر بن عبد الرحمن الاسكندري، فقد قال في باب الثريا ويرنا (وأما بضم الياء التي تحتها نقطتان وسكون الراء ونون : وادٍ حجازي يسيل في نجد ، وذِكر يُرنا ايضاً مع تاراء أظنه موضعاً آخر لأن تاراء شاميّة)[1]

(للحديث صلة)

---

(١) الورقة ٣٧ مخطوطة المتحف البريطاني من كتاب نصر .

أغـلاط في كتاب :

«المغانم المطابة في معالم طابة»

ألف الفيروزابادي العالم اللغوي كتاباً ضخماً في تاريخ المدينة الطيبة ، قامت (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) في الرياض بنشر القسم الجغرافي منه في مجلد بلغت صفحاته ٦٤٣ ، وهو الحلقة الحادية عشرة من منشورات الدار بعنوان (نصوص وأبحـــاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب) وقام بتحقيق هذا الجزء الأستاذ حمد الجاسر ، ووعدت الدار بطبع بقية الكتاب . والأستاذ المحقق من المدققين الباحثين باستقصاء وتعمق ، ومع مـا يتصف به من معرفة وسعة اطلاع فقد وقع في الكتاب أخطاء كثيرة . وقد أشار المحقق في كتابه الذي صدر حديثاً باسم «في شمال غرب الجزيرة» -ص٣٩- إلى أن الأستاذ السيد علي حافظ له ملاحظات على هذا الكتاب ووعد بنشرها.

أما ما رأيته بحاجة إلى تصحيح وإيضاح ؛ فمن أمثلته : -

١ - طبـع في غلاف الكتاب عن زمن الفيروزآبادي أنه ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفي سنة ٨٢٣هـ وجـــاء في المقدمة (ص : س) وقد توفي الفيروزآبادي في ٢٠ شوال سنة ٨١٠ في مدينة زبيد - وأحال إلى كتاب «العقد الثمين»[١] لمؤرخ مكة العالم الجليل تقي الدين الفاسي . وبالرجوع إلى هذا الكتاب نجد النصّ يخالف ما ذكر هنا ، وما ذكر في الغلاف فهو يقول : (وكان موتـه في ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة) وهذا هو الصحيح، والموافق لمـا ذكره كثير من المؤرخين والتاريخان ٨٢٣ و٨١٠ خطآن .

٢ - وفي ص ١٧٠ (زريد كمربد من أعمال المدينة ... أخبرني بهـــا أبو عبد الله محمد بن يوسف الزريدي ، محمد بن حزم ، رسـول الله ﷺ)

---

(١) ج ٢ ص ٤٠٠ .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● — « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز »

هذا أوفى كتاب في موضوعه فقد جمع فيه استاذنا خير الدين الزركلي خلاصة أخبار الملك عبد العزيز ، ووصف أحواله العامة والخاصة من جـل

هكذا وردت العبارة مضطربة غير واضحة ، ولا يكفي أن يشير المحقق الفاضل إلى كونها غير محرَّرة ، وأن السمهودي لم يذكر المادة . فقد ذكرها صاحب « تاج العروس » فقال : وزَرَنْدُ موضع قرب المدينة ، بل محلّة من محلاتها ، نسبت إلى الزرندي الأنصاري المشهور ، لا أنـّها من مواضع العرب القديمة . وأقول : الزرندي هذا هو جَدُّ الأسرة الذين منهم مؤلف كتاب « تحفة المحبين والأصحاب ، في معرفة ما للمدنيين من الأنساب » الذي تحدثت عنه « العرب » في الجزء الذي قبل هذا ، وقد نقل هذا في كتابه عن « المغانم » ذلك النصّ المضطرب فقال — ص ٧ — : (زرند ... الزرندي محدث حرم رسول الله ﷺ) وبهذا يستقيم النص .

٣ — ألحق المحقق — في الحواشي — ما ذكره السمهودي أو ياقوت قبله ، ولكنه ذكر مواضع أوردها الفيروزابادي وفاته ذكر مواضع أورداها أو أحدهما ، وهذا يحتاج إلى تطويل لا تتسع له هذه المجلة .

٤ — تعليقات المحقق ليست وافية ، ومنها ما يجزم به وهو محلٌ للنظر ، فأولى به أن يقول : ولعله هو الموضع الفلاني ، أو أمثال هذه العبارة .

الرياض (م. ح. ج.)

المؤلفات عنه ومن أفواه عارفيه ، ومن ثنايا الأوراق الرسمية في دواوين الدولة ، وكتاب يؤلفه استاذنا أبو الغيث في غنى عن التعريف ، وقد جاء هذا الكتاب في ١٤٥٦ صفحة بطباعة ممتازة في أربعة أجزاء ، وفيه كثير من الصور الطريفة .

● – « فهد العسكر : حياته وشعره »

فهد بن صالح العسكر من أبرز شعراء الكويت في العصر الحاضر ، من أسرة لا تزال معروفة في نجد ، ولد في العقد الرابع من هذا القرن ، وأقام في الرياض حقبة قصيرة من الزمن وتوفي سنة ١٣٧٠ هـ . وقد تصدى الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري لدراسة حياة هذا الشاعر وشعره ، وكان من أثر ذلك تأليف كتاب « فهد العسكر : حياته وشعره » من أحفل الدراسات وأمتعها . وقد طبع للمرة الثانية في الكويت فجاء في أكثر من ٣٠٠ صفحة .

● – « دخول الاسلام الى حضرموت »

هذا بحث للاستاذ صالح بن سعيد بن هلابي ، لخص فيه كثيراً مما ورد في المؤلفات العربية في الموضوع، وأضاف اليه بعض الايضاحات، وطبع في كتاب بلغت صفحاته ١٢٦ ، من القطع الصغير والبحث مفيد في موضوعه .

● – « الحلل السندسية في الاخبار التونسية »

مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن محمد الاندلسي المتوفى سنة ١١٤٩ هـ ، والمطبوع منه القسم الثالث من الجزء الاول ، ويبتدىء في ذكر فتح تونس ويسترسل في تراجم بعض مشاهير أهلها من ذلك العهد ، ويقع هذا الجزء من صفحة ٥٥٩ إلى صفحة ٨٤٤ ، وقد قام بتحقيقه الاستاذ محمد الحبيب الهيله ، وطبع طباعة حسنة في تونس . وهو من منشورات الدار التونسية .

● – « تراجم الاعلام »

وقامت الدار التونسية للنشر بجمع ٢٨ ترجمة كتبها العلامة الجليل محمد الفاضل بن عاشور الذي توفى في هذا العام – رحمه الله – وهذه التراجم لمشاهير

تونسيين في القرن الثالث عشر وأول هذا القرن ، من علماء وقادة وغيرهم من تلك التراجم ما لم يسبق نشره ، وقد طبعت مزدانة بصور اولئك الاعلام طباعة فاخرة في ٣٥٤ صفحة على ورق ممتاز .

● — « ديوان لقيط بن يعمر الايادي »

وقام الاستاذ خليل ابراهيم العطية بتحقيق ديوان لقيط بن يعمر الأيادي الشاعر الجاهلي رواية هشام بن الكلبي ، ورجع إلى أمهات كتب الأدب واللغة في ذلك ، فجاء في ٨١ صفحة ، قامت وزارة الاعلام العراقية بنشره في سلسلة كتب التراث ، وهو الحلقة الـ ١٦ منها .

● – « La Tunisie et la France »

وصدر عن المؤسسة التونسية للنشر كتاب باللغة الفرنسية بعنوان : « La Tunisie et la France » – أي « تونس وفرنسا » للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ،وهو كتاب يعرف بأهداف الحركة الوطنية ويحوي وصفاً لسلسلة التطورات والمراحل التي مرت بها تونس لنيل استقلالها بعد مضي ٢٥ سنة من الجهاد والكفاح المتواصل ، ولهذا فهو يعتبر مرجعاً للباحثين والمؤرخين . ويقع في ٤٦٢ صفحة ، بطباعة أنيقة . مع نبذة عن حياة الحبيب بورقيبة .

● – « Carthage : La prestigieuse cité d'Ellissa »

هذا كتاب باللغة الفرنسية من الكتب التي أُلفت عن –(قرطاجة) : المدينة الأثرية – يتضمن فصولاً وافية عنها من الناحية الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية ، والثقافية والفكرية ، ولمحة موجزة عن الحروب التي تعرضت لها . وقد أضاف مؤلف هذا الكتاب الاستاذ محمد فنتر في آخر الكتاب مجموعة من الصور الأثرية الموجودة الآن في المتحف الوطني بقرطاجة . والكتاب من منشورات المؤسسة التونسية للنشر ، ويقع في ٣٢٠ صفحة ، بطباعة جميلة .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للافراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الخبرة البريد
الاعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء السادس — السنة الخامسة — ذو الحجة ١٣٩٠ — شباط (فبراير) ١٩٧١

فوضى نشر المخطوطات(*) :

يا ضيعة الأعمار تمضي سبهللا !!

كنت اسمع من نِسْوة قريتنا عندما تريد واحدة منهن ان تعاتب ابنها على عصيان او تؤنبه على اضاعة وقت ، او تصفه بالاهمال في اداء ما يطلب منه تقول : (انت سبهلل هبل) او مثل (السبهلل) او (شُنْخبٌ طفح لا في يد الحلاب ولا في القدح)وعندما تسأل احداهن عن ابنها تقول: (الله يصلحه سبهلل يضيّع وقته بدون فايدة) وكنت لا افهم من معاني هذه الجمل سوى اضاعة الوقت سدى .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ وانا من طلاب(المعهد العلمي السعودي) رأيتني بحاجة الى معرفة القراءات ، فذكر لي احد اصدقائي ان في الحرم الشريف مدرسا تصدى لهذا العلم هو الشيخ سعد وقاص البخاري ، فذهبت صباح يوم الى حلقة تدريسه ، وهي تضم اقل من عشرة طلاب ، وبعد الانتهاء من الدرس سلمت عليه ، واظهرت له رغبتي في الدراسة ، فدعا لي بالتوفيق وامرني بان احضر كتاب « حرز الاماني ووجه التهاني » مع شرح هذا الكتاب، والحرز هـــذا قصيدة لامية في القراءات السبع تقارب ابياتها ١٤٠٠ وناظمها عالم جليل من اشهر علماء القراءات وأذيعهم صيتا هو القاسم بن فِيرُّهْ الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وحضرت في اليوم الثـاني بالكتاب بعد أن حفظت ابياتا من المقدمة

(*) انظر « العرب » السنة الاولى ص ١٩٣/٧٦٢ .

حسب ارشاد الشيخ – رحمه الله – وكان مما حفظت:(فيا ضيعة الاعمار تمضي سبهللا) . لقد شرح الشيخ الابيات شرحـــا مستقى من الشروح الكثيرة ، ولكنني – وايم الحق – لم استطع تذوق(المتن) ولا(الشرح)وقد يرجع ذلك الى فهمي السقيم على حد قول الشاعر :

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

ذلك ان هذه القصيدة العظيمة حاول ناظمها العـــالم الجليل ان يقدم علم القراءات السبع باخصر لفظ واقصره ، فاعتمد على الرمز والاشارة . والرمز والاشارة لا تدرك معناهما الا الافكار اللماحة ، وفكري كليل ، ومع عناية علماء القراءات بهذه القصيدة الجليلة واعتناءِ العلماء بشرحها بشروح تجاوزت العشرات من الجعبري الى القسطلاني فما بعده الا ان الله سبحانه وتعالى لم يفتح لي مستغلق ما عصى علي فهمه ، وقد اعجبت بكلمة (سبهلل) فذهبت الى معجمات اللغة فوجدتها تفسرهابتفاسير تجمع على انه الشيء الفارغ ، فتقول : سبهلل: بلا شيءٍ . وسبهلل: كل فارغ . وجاء سبهللا : أي غير محمود المجيء. والسبهلل الباطل، وجاء الرجل سبهللا : اذا جاء يمشي وذهب في غير شيء . وامثال هذه المعاني التي تتفق في امر واحد وان اختلفت العبارات .

كانت هذه هي الفائدة الوحيدة التي استفدتها من البدء في دراسة « حرز الاماني » وكانت النهاية عند قراءة المقدمة ولم تزد على ثلاثة أيام .

تواردت علي هذه الافكار حينما وصل إلي المجلد الثاني عشر من « مجلة معهد المخطوطات العربية » وهو يحوي كتاب « الكافي في العروض والقوافي » فقد ذكرت وانا اطالع هذا الجزء بانني سبق ان قرأت كتابا للخطيب التبريزي مؤلف هذا الكتاب في الموضوع ولم تخنّي الذاكرة لقد قرأت ذلك الكتاب قراءة تصفُّح حينما ورد الي مطبوعا محققا ، ولكن باسم « الوافي في العروض والقوافي » قبل عام ، وقد قام بتحقيقه استاذان من بلاد الشام هما الاستاذ عمر يحيى والدكتور فخر الدين قباوة من علمـــاء حلب ، رجعا الى ثلاث

مخطوطات في اسطنبول والقاهرة ، ووضعا حواشيَ وفهارس للكتاب[1] فجاء في ٣٣٢ صفحة .

وها انا الآن اجده مطبوعا باسم جديد ، ومحققا من قبل الاستاذ الحساني حسن عبدالله في ٢٥٠ صفحة طبعة وتحقيقا بلغا درجة عالية في مطبوعاتنا العربية ، ويكفي في التدليل على اهتمام المحقق الاستاذ الحساني بعمله انه رجع الي اكثر من مائة كتاب من كتب الشعر والادب واللغة ، بل يزيد عمله قيمة انه استعان بعالم هذا الفن (فن العروض) في هذا العصر استاذنا وشيخنا ابي فهر محمود بن محمد بن شاكر وهو هو في علمه وسعة اطلاعه وعروبته الاصيلة . انا لم أتأثر بقول الجـــاحظ عن علم العروض بأنه علم مستبرد لا فائدة له ولا محصول ، ولا برأي القائلين بان علم العروض من العلوم التي وجدت كاملة ، كعلم النحو عند سيبويه ، وانا وان كنت اعتقد ان هناك انواعا من الشعر ، خاصة في الجزيرة العربية قد تخرج عن أقيسة الخليل وأعاريضه إلا أنـني مع كل ذلك انظر الى الامر نظرة اعم واشمل نظرة سبق ان عبرت عنهـــا في مناسبات كثيرة تلكهي ان يتجه عدد كبير من محققي التراث لنشر مخطوطة واحدة في بلدان مختلفة ، ويصرف كل واحـــد منهم جهدا كبيرا وتصرف اموال كثيرة ، ويصدر الكتاب مطبوعا لا ميزة له ولا فضـــل لواحد فيه سوى وجود الاسماء المختلفة ، ومن الخاسر في ذلك ؟ انه الجهد العربي والمال العربي والوقت الثمين ، يضيع كل ذلك سبهللا .

ثم جاءت الطامة الكبرى منمعهد المخطوطات وهو من مؤسسات (الجامعة العربية) هذه الجامعة التي لا نتحدث عن اثرهـــا في التوجيه السياسي او الاقتصادي فيها أمران خارجـــان عن موضوعنا ، ولكن ما بال الناحية الثقافية ؟!

لقد علقنا بهذه الجامعة وبإداراتها الثقافية أملا حينا كتبنا كلمة بعنوان (فوضى النشر) ورجونا من هذه الادارة أن تكون المهيمنة او الموجهة او

(١) مجلة « العرب » س ٤ ص ١١٤٩ .

على الاقل المرشدة ، ولكننا نراها الآن لم تقم بأي أمر من هـــذه الامور الثلاثة ، وإذن فما هي الغاية منها ؟ هو سؤال أجاب عليه أحد إخواننا من أدباء العراق ، وكنت أخالفه ، فوصفها بالعجز ، وأجاب آخر فوصفها بعدم الاهتمام ، وأجاب ثالث فوصف موظفيها بالأثرة (الأنانية) واستدل على ذلك بكلمة نشرتها في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق قبل ١٨ عاما[١] ،أما أنا فلا أزال مع كل ذلك أحمل لموظفي الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية كل تقدير وإجلال ،وأريدمنهم مع ذلك ما يقوي في نفسي ما احمله لهم، بل أريد اكثر من ذلك ان يكون من أثرهم ما يصون لنا جزءا ثمينا من وقتنا وقدراً كبيراً من مالنا ، وجانباً عظيماً من جوانب ثقافتنا نتطلع الى كل ما يتعلق به تطلع الغيور على لغته وامته وما ذلك الا بالجودة والدقة والصحة ، وسد سبل الفوضى والتطفل ، وهذا كل ما نريد قوله الآن .

قد يقال بأن مطبوعات المعهد أقوى وأوثق من المطبوعات التي يقوم بهـا الأفراد ، وهذا صحيح ، ولكن هذا لا يصدق في كل الأحوال ، ولو اكتفى المشرفون على مجلة معهد المخطوطـــات بدراسة مطبوعة الاستاذين الحلبيين ، وتقويم ما يحتاج من تقويم فيها لوفروا جهداً كبيراً .

حقاً إن بعض المخطوطـــات تطبـع ناقصة ، وقد حدث هذا بالفعل ، فكتاب « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » لابن الخطيب الذي نشر في مجـــلة المعهد (ج٢ م ١٢ ص ١١٣ وما بعدها) سبق أن نشره الأستاذ عبد المجيد التركي في مجلة Arabica التي تصدر في ليدن في سنة ١٩٦٩ ، غير أن نشرة المعهد أوفى ، فالأستاذ التركي ، وإن رجع الى مخطوطة ثالثة لم يرجع اليها الأستاذ عبد الحفيظ منصور الذي نشر تحقيقه في مجلة معهد المخطوطات ، إلا أنه - أعني التركي - حذف المقدمة برمتها،وهي قطعة رائعة في بيانها وأسلوبها، وما يصح أن تحذف ، ولهذا فإن طبعة معهد المخطوطات تمتاز بكونها وافية ومثل هذا العمل مما يعترف بفضله كل منصف ، ويذكره للمعهد وللقائمين عليه ذكر التقدير والاعتراف بالفضل .

---

(١) المجلد ٢٨ ص ٣٩٦

من مخطوطات مكتبة الحرم المكي :

العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك وَنسبَته للخزرجي

– ٢ –

مادة الكتاب :

يضم الكتاب مادة علمية طيبة ومعلومات تاريخية قيّمة تتعلق بتاريخ اليمن وفضلها وإسلام اهلها وعمالها ، إبتداء من عمال الرسول ﷺ وعمال بني أمية وبني العباس ثم دولة القرامطة والأمراء الذين تغلبوا على صنعاء والدولة الصليحية وما يتعلق بها وملوك صنعاء بعد الصليحيين وأخبار الدولة الزريعية ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدينة زبيد فيعرض تخطيطها ، ثم يذكر ملوك الحبشة باليمن من آل نجاح ثم وزراء آل نجاح، وبعدها يذكر قيام علي بن مهدي القائم باليمن ، ويذكر دولة بني ايوب وأول دخولهم إلى اليمن ثم يذكر دولة الغز الرسولية والتبّع الأكبر ودولة السلطان الملك الأشرف ممهد الدين عمر بن يوسف ، ودولة الملك المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف ودولة السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن داود بن يوسف والدولة الافضلية وما جرى فيها ويختم الكتاب بذكر الدولة الاشرفية الكبرى .. وقد جرى المؤلف في تاريخه هذا مجرى الطبري وابن الاثير وغيرهما ممن أرّخ الحوادث وفق السنوات. وقد وجدت ان المؤلف بدأ يؤرخ للوفيات في النصف الثاني من الكتاب بشكل لم يكن ظاهراً في القسم الاول مع تاريخ الحوادث والاخبار المهمة التي وقعت في كل سنة من هذه السنوات . والحوادث والوفيات تتفاوت في طولها وقصرها ولكنها في الغالب تأخذ شكلاً مفصلاً ودقيقاً في النصف الثاني . وقد عرض لمجموعة من الاخبار والحوادث والمعلومات في هذا المصنف . ويمكن حصر الجوانب التي عرض لها بالشكل الآتي :

(١) الحالة السياسية :

يرسم المؤلف الشكل العام لدولة اليمن من خلال أحاديثه عنها ، ويبرز الصلات الوثيقة التي تربط بين هذه الدولة والدويلات المجاورة من جهة وبينها وبين الحكومة الإسلامية وهي تشمخ في المدينة أو دمشق أو بغداد .ويصوّر العلاقات القائمة بينها وبين مصر والشام وما جرى من سفارات وبعوث وتبادل ..

أما الأوضاع الداخلية وما تنازع الدولة من أحداث فتكاد أخباره عنها تكون كاملة لما جمع من روايات تتمثل في طريقته لنقل هذه الاخبار ونقدها وتدقيقها (١) ، فهو ينقل كثيراً من الاخبار بعد أن يتأكد من روايتها . فيسبقها بعبارة : أخبرني من رآه (٢) ، وذكر لي من يوثق بكلامه (٣) ، وأخبرني من أثق به (٤) ، إلى غير ذلك من العبارات التي تدلّ على الدقة في النقل والتحرّي في الرواية والتثبّت من الخبر.

(٢) الحالة الاقتصادية :

أما الحالة الاقتصادية فقد كان يعرض لها من خلال أحاديثه عن عدالة الملوك أو ظلمهم وما يعقب ذلك من أوضاع اقتصادية متأزمة .. وسوف أشير إلى بعض الأخبار الاقتصادية التي ذكرها مشيراً اليها بايجاز .

(ا) يتحدث المؤلف عن أرزاق عمال صنعاء فيقول : (وكان رزق عمال صنعاء في كل شهر ألف دينار فجعل له (المقصود هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير) الرشيد ألفي دينار ، فقال له يحيى بن خالد : هذا يفسد عليك مَن توليه بَعده من أهل بيتك . فرَدّ رزقه إلى ألف دينار (٥) . وفي حديثه عن حماد اليزيدي الذي عيّنه الرشيد والياً على اليمن قال : « فبعث الرشيد مكانه [أي محمد بن برمك] مولاه حماداً البربري وقال له : أسمِعْني

---

(١) تنظر الصفحة : ١٠٩ من المخطوط .

(٢) الصفحة : ٣٤٨ .

(٣) الصفحة : ٣٥٩ .

(٤) الصفحة : ٣٥٩ .

(٥) الصفحة : ٢٨ .

أصوات أهل اليمن ، فقدم اليمن في شوال سنة أربع وثمانين ومائة ،فعاملهم بالعسف والجبروت وقتل جماعة من رؤسائهم وشرّد جمعاً كثيراً منهم حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الخراج المعتاد وزيادة . وعمرت اليمن في أيامه وخاصة صنعاء وآمنت السبل حتى القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغنم على كل شاة مخلاتان ، في كل مخلاة ستة أمداد تمراً فتباع بأرخص الأثمان ، وأخصب اليمن في أيامه خصباً لم يعهد مثله ورخصت الأسعار [1]) .

ثم يعرض لظاهرة ارتفاع الأسعار في اليمن سنة ٣٩١ فيقول : (وفي هذه السنة ارتفع سعر الطعام بصنعاء ارتفاعاً عظيماً [2] » . ويشير في كلامه عن سنة [٤٢١] فيقول : « وفي هذه السنة اشتد القحط باليمن ومات كثير من الناس وخلت بلاد كثيرة من أهلها [3] » . ويربط بين استتباب الامن واستقرار الاسعار فيقول في حديثه عن مدينة جبلة سنة ٥١٤ : « وأمنت البلاد ورجعت الاسعار » [4] .

ويشير في أخباره عن الدولة الزريعية إلى خراج عدن فيقول : « فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إلى السيدة [زوجة المكرّم] في كل سنة مائة ألف دينار وقد يزيد وقد ينقص [5] .

وفي حديثه عن صاحب صنعاء وهو أسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد ابن يعفر بن عبد الرحيم يشير إلى انه كان يخطب لأبي الجيش بن زياد ويضرب الدراهم على اسمه ولم يكن يحمل لأبي الجيش هدية ولا ضريبة (أي خراج) ولا غيرها وكان مبلغ ارتفاع أموال أسعد بن ابي يعفر لا تزيد على اربع مائة ألف دينار في السنة يصرف معظمها في سبيل المروءة لوافديه وقاصديه [6] .

وينقل عن عمارة قوله : رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها وذلك في سنة ست وستين وثلثمائة من الدنانير ألف الف دينار عثرية خارجاً

---

(١) الصفحة : ٢٩ . (٢) الصفحة : ٥٢ . (٣) الصفحة : ٥٨ .
(٤) الصفحة : ٧٤ . (٥) الصفحة : ٩٠ . (٦) الصفحة : ١٠٥ — ١٠٦ .

عن ضرائبه على مراكب الهند من الاعواد المختلفة والمسك والكافور ومـا أشبه ذلك وخارجة عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على جزيرة دهلك وهي خمسمائة وصيف ، وخمسمائة وصيفة من النوبة والحبش [1] .

وأشار إلى خراج النخل في اليمن في أيام ملوك الحبشة وأيام بني مهدي فبلغ سبعين الف درهم . وليس يسلمون نقداً وإنما يسلمون تمراً وحوالات .

وفي أخبار سنة ٦٥٥ يذكر أن قحطاً عظيماً حصل وارتفع سعر الطعام ارتفاعاً كليـاً في صنعاء وصعدة ، ومات كثير من الناس جوعاً وأقام ستة أشهر ، ولما اشتد أكل الناس الكلابو السباع [2] . وفي سنة ٧٧٣ حصل قحط عظيم ومات عالم لا يحصون وأكلت الميتة [3] .

وينقل المصنف نصاً عن الجندي في حديثه عن الملك المؤيد [سنة ٦٩٦] يقول فيه : ومن مناقبه الحسنة انه أخلص الدراهم من الغش إخلاصاً جيداً . قال علي بن الحسن الخزرجي : ليس لكلام الجندي هذا معنى فقد رأى الناس كثيراً من الدراهم المنصورية والمظفرية فلم يكن في شيء منها شيء من الغش وربما هي أجود فضة من غيرها [4] .

ويشير في كثير من المواضع إلى تقلب الاسعار واختلافها ، ويدلّل على ذلك ببعض الأدلة فيقول : ان المدّ من الحنطة وصل إلى عشرين درهماً [5] ، أو كان السعر تارة يرخص فتبلغ الربداء [من شيات المعز] أربعـة دراهم وتارة يغلو فتبلغ سبعة دراهم [6] .

ويذكر ارتفاع الاسعار في زبيد سنة [٨٠١] فيقول : وفي هـذه السنة ارتفعت الاسعار في مدينة زبيد وبلغ سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم وغيرة الزبدي خمسون وقية . الاوقية عشرة دراهم بالختم المصري . وبلـغ زبدي السمن بأربعين درهمـاً وغبرة الزبدي السمن اثنا عشر رطلاً الرطل عشرون أوقية . وبلغ البر الزبدي بدرهم ونصف، وقلّ الدرّ في الدواب[7].

---

(١) الصفحة : ١٠٦ .
(٢) ص : ٢٣١ .
(٣) ص : ٢٤٥ .
(٤) ص : ٢٧٧ .
(٥) ص : ٣٠٢ .
(٦) ص : ٢٩٢ .
(٧) ص : ٤٨٣ .

الناحية العمرانية :

تُعَدّ الناحية العمرانية من النواحي التي شغلت مكاناً فسيحاً في المصنّف وقد أفرد لها المؤلف مجالاً واسعاً وخاصة عندما يشير الى مآثر الأفراد وما تركوه من عمارة ، وما بنوه من مدارس ، واختطوه من مدن وشيّدوه من قصور . فقد ذكر في أخبار سنة ٤٣٩ انه عندما وصل ابن ابي الفتوح صنعاء بنى له في علب قصراً بالجص والآجر [١] . ويشير إلى ان الذي اختط مدينة جبلة هو عبد الله بن علي الصليحي [٢] وذلك في سنة ٤٥٨ . وفي حديثه عن علي بن سبأ قال : (انه حفر في الصفا حفراً عديدة وخرق بعضها الى بعض، وأجرى الماء فيها في مواضع لا يصدق فيها إلا من رآهــا ، ثم لما جاء إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جداراً من الجبـل طوله مائتي ذراع وعرضه نحواً من عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعاً بحيث انه إذا شخص[رآه] يقول: ما فعل هذا إلا الجن . وبنى مسجد الجند وجدّد بناءه من المقدم والجناحين مما هو مبني بالحجارة [٣] . وفي حديث عن مـآثر عمران بن محمد بن سبأ [توفي سنة ٥٦٠] قال : ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها ، واسمه مكتوب عليه ، وهو منبر له حـلاوة في النفس وحلاوة في العين [٤]) .

ويذكر ان اختطاط مدينة زبيد كان في زمن المأمون [٢٠٤] وان الذي اختطها هو محمد بن زياد امير اليمن في ذلك الوقت [٥] ، وان اختطاط مدينة الكدراء كان سنة [٣٧١] وان الذي اختطها هو حسين بن سلامة [٦] وكذلك اختط مدينة المعقر [٧] . ويذكر أعمال هذا الرجل فيقول : وهو الذي بنى الجوامع الكبار ، والمنابر الطوال في المدن ، وحفر الآبار الرّوية ، والقلب العادية ، وعمل المصانع ،وبنى الأميال والفراسخ والبرد في الطرقات . ومبتدأ عمارته من حضرموت إلى مكة نحـو من ستين مرحلة في كل مرحلة

(١) ص : ٥٩ . (٢) ص : ٦٧ . (٣) ص : ٧٣ . (٤) ص : ١٠١ .

(٥) كتب الدكتور طاهر العميد بحثاً عن اختطاط مدينة زبيد عنوانه « بناء مدينة زبيد في اليمن » ونشر في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثالث عشر ١٩٧٠ .

(٦) ص : ١٠٧ . (٧) الصفحة نفسها .

جامع ومأذنة وبئر . جدّد عمارة الجامع بعدن وهو من عمارة عبـد العزيز . وعمّر مسجد الجند المشهور . قال عمارة : وهو مثل جامع احمد بن طولون بمصر . وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه معاذ بن جبـل رضي الله عنـه حين بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن وأهل الجند [1] . ويأتي على أخبار كثيرة في فضل هذا الرجل ومآثره واهتمامه بالعمران واعتنائـه بالطرق واهتمامه بالمرافق . ويشير إلى انه أول من أدار سوراً حول مدينة زبيد [2] . ويذكر الاسوار الأخرى التي أديرت حولها وأسماء من أقاموا على بنائها ذاكراً مادتها في البناء وأعداد الأبراج والمسافات بين كل برج وبرج بالأذرع [3] . ويصحح بعض هذه المعلومات معتمداً على الاخبـار التي ذكرها علي بن الحسن الخزرجي [4] . ويقف عنـد مسح مدينة زبيد في الدولة الأفضلية [سنة ٧٦٧] ، ويذكر ان السلطان الافضل كان من جملة المزخرفين وانه كان يباشر العمارة بنفسه [5] . ويسمي الأشخاص الذين تولوا مساحة زبيد فيذكر الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن السراج المعروف بأبي زيد ، والفقيه جمال الدين محمد بن ابي بكر الغراس ويقول عنهما : وكانا يومئذ أبرع أهل زبيد في هذا الفن[6].

وفي أخباره عن نجاح يقول : (وكان يؤثر عمارة المساجـد [7]) . وفي حديثه عن المبارك بن منقذ يشير إلى انه بنى المقدم من جامع زبيد ، ويذكر ان اسمه مكتوب فيه في حجارة على الباب الذي يدخل منه الخطيب . وكان تاريخ عمارة المسجد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة [8] ، وفي أخباره عن مآثر سيف الإسلام يبين انه هو الذي بنى المؤخر في جامع زبيـد وبنى الجنـاحين والمنارة ، واختط في اليمن المنصورة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة [9] وينسب اليه بناء المدرسة السيفية في تعز وقد سميت بذلك نسبة اليه [11]، وانه أول [من بنى] من الغز مدرسة في اليمن[10]. وفي أخباره عن المعز ذكر انه بنى في زبيد المدرسة المعزية المعروفة بمدرسة الميلين [12] . وفي أخباره عن سيف الدين سنقر

---

(١) ص ١٠٧ . (٢) ص : ١٠٨ . (٣) ص : ١٠٩ .
(٤) الصفحة نفسها . (٥) الصفحة نفسها . (٦) ص : ١١٠ .
(٧) ص : ١١٢ . (٨) ص : ١٦٢ . (٩) ص : ١٧٢ .
(١٠) ص : ١٧٦ . (١١) ص : ١٧٨ . (١٢) ص : ١٧٨ .

الاتابكي [وفاته سنة ٦٠٨] اشار إلى مدرسة أنشأها بذي هريم . وقال عنه : (وبنى مدرستين في زبيد تعرف إحداهما بالعاصمية نسبة إلى مدرّسها عمرو بن عاصم وكان احد فقهاء الشافعية ، وتعرف الاخرى بالدحمانية نسبة إلى مدرّسها وهو الفقيه محمد بن ابراهيم بن دحمان ، وكان احد اصحاب الإمام ابي حنيفة [١]) . وفي اشارته إلى آثار السلطان نور الدين يقول : (وكان للسلطان نور الدين آثار حسنة ، فمن ذلك المدرسة التي بمكة بحيث يغبطه عليها سائر الملوك ، وابتنى في تعز مدرستين يقال لأحدهما الوزيرية نسبة الى مدرّسها الوزيري ، وتسمى الاخرى الغرابية نسبة إلى مؤذن فيها اسمه (غراب) وكان رجلاً صالحاً ، وابتني مدرسة في عدن ، وثلاث مدارس في زبيد تعرف بالمنصوريات : مدرسة للشافعية ، ومدرسة للحنفية ،ومدرسة للحديث النبوي . وابتنى مدرسة في المنسكيّة ، ورتّب في كل مدرسة مدرّساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن . ووقف على الجمع أوقافاً تقوم بكفاية الجميع [٢]) . وفي اخباره عن السلطان الملك المظفر شمس الدنيا والدين، المتوفى سنة ٦٩٤ ، ذكر ان له مآثراً حسنة ،فمن ذلك المدرسة التي انشأها بمغربة تعز المعروفة بالمظفرية ،وقد رتب فيها مدرّساً ومعيداً وعشرة من الطلبة ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن وقيّماً، وأوقف عليهم من العقار ما يقوم بكفايتهم الجميع [٣].

وفي أخباره عن السلطان المؤيد [سنة ٧٠٢] يقول : (وفي هذه السنة أمر السلطان - رحمه الله - ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيدية ، في معزية تعز ورتّب فيها مدرّساً وَدَرَسَة ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومقرئاً يقرّيء القرآن الكريم بالسبعة الاحرف ، وقيّماً ووقف عليها من الارض والكروم ما يقوم بكفاية الجميع ووقف عليها خزانة من الكتب النفيسة [٤] .

---

(١) ص : ١٨٣ . (٢) : ص ٢١٠ .

(٢) الصفحة ٢٦٩ وفيها الى جانب هذه المأثرة مآثر كثيرة من بناء مدارس ووقف أوقاف وبناء مساجد . (٤) ص : ٢٩٧ .

ويتحدث عن القصر السعيد الذي فرغ من بنائه سنة [٧٠٨] فيقول : (انه لا نظير له في شام ولا عراق وانه لم يشاهد مثله أبداً وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة له أربع مناظر بأربع رواشن ليس فيه رخام وذهب وأمامه بركة طولها مائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حافاتها صفة طيور ووحوش من صفر اصفر ترمي الماء من أفواهها ، وفي وسط البركة قارورة ترمي بالماء إلى السماء فيبلغ أمداً بعيداً ، وقبالة المجلس شادروان بعيد ينصب ماؤه إلى البركة المذكورة كأنه لوح من بلور ، بل لا يمكن بالتعبير عنه (كذا) وفي المجلس شباك يفضي إلى بستان عجيب المنظر ، حسن المختبر والخبر ، وكانت إقامة الصناع فيه سبع سنين .. وسمعت من يحكي ممن أدرك ايام عمارته قال : كان يطلع إليه او ينزل منه كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء : ثمانين نجار ومرخم ودهان ومزخرف خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من أتباعهم وهذا ما عدا صُنّاع البلاد وهم اضعاف ذلك[1] . ويشير إلى مجموعة من المدارس التي قامت بانشائها الحرة المصونة مريم ابنة الشيخ شمس الدين بن العفيف زوج السلطان الملك المظفر[2] ، وفي أخباره عن المؤيد [المتوفى سنة ٧١٩] ذكر مجموعة من المدارس التي أنشأها ، وما وقف عليها من أوقاف وخزائن كتب نفيسة ، وذكر المدارس والمآثر التي أنشأتها كريمته[3] وفي كل مدرسة يذكر ما رتب لها من مدرس ودرَسة ومعبد وإمام ومؤذن ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن ومقريء يقرّيء بالسبعة أو فقيه يعلم على مذهب الإمام ابي حنيفة او الشافعي .

الناحية الأدبية :

يعد الكتاب ، إلى جانب أهميته التاريخية والعمرانية ، من المصادر المهمة في دراسة الحياة الأدبية من خلال تاريخ دول اليمن لأن المصنف عالج الموضوعات الادبية معالجة تدل على التحري والدقة في كثير من الاحيان ،

---

(١) ص : ٣٠٦ ، ٣٠٧ . (٢) ص : ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣) ص : ٣٢٦ ، ٣٢٧ وتنظر الصفحات : ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٩٩ .

وهو في هذه المعالجة لم يقف عند الخبر الصغير، والتعليق المقتضب وإنما يبدي رأيه في تقييم النص ، ويكثر من القصائد إذا وجد فيها كشفاً لهذه الجوانب النقدية، ولهذا جاء الكتاب في بعض فصوله أقرب إلى الادب منه إلى التاريخ وسأذكر بعض هذه الجوانب مشيراً إلى الصفحات في الهامش خوف الإطالة ملتزماً بالتسلسل الزمني لهذه المظاهر حسبما جاءت في الكتاب .

إن اتصاف الامير بصفة الاديب او الشاعر لا تمر دون تعقيب او تأكيد ففي حديثه عن علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية يقول : (وكان علي بن محمد الصليحي من أعيان اليمن وسادات الزمن ، وأذكياء الملوك ودهاتهم . وكان شاعراً فصيحاً كاملا [1] ويذكر له بعض الاشعار[2]). وقال عن المفضل بن ابي البركات الوالي : (وكان حازماً عاقلاً شجاعاً شهماً له عدة مكارم وجملة مفاخر .. وكان جواداً قصده الشعراء من الاماكن البعيدة . ومن جملة من قصده مواهب بن جرير المغربي وامتدحه بغرر قصائده) [3] . ومدحه ابو بكر اليافعي [4] .

وفي حديثه عن السلطان حاتم من ملوك صنعاء ذكر له أشعاراً في رثاء ابنه بعد ان قتله [5] وفي حديثه عن حاتم بن احمد بن عمران قال : (ودخل صنعاء موكباً ومعه سبعمائة فارس من همدان وهو القائل . وذكر له أربعة أبيات [6] . ثم قال : وكان له من المفاخر ما لم يكن لاحد قبله مع الفصاحة والرجاحة .. وفي ذلك يقول ابن اخيه نصر بن محمد بن احمد بن عمران من قصيدة [7] . وقال عن السلطان حاتم بن احمد : كان شاعراً فهيماً بليغاً حسن الشعر ، جيد السبك ، وقد أوردت من شعره ما يُستدل به على باقيه فمن ذلك قوله :

أرقت وطال الليل والعقل نائمه   وقد أقلعت اشراطه ونعائمه
وأورى زنادالهم في القلب جذوة   إذا جاش من تيّاره متلاطمه

---

(١) ص : ٦٣ .   (٢) ص : ٦٥ .
(٣) ص : ٧٢ .   (٤) ص : ٧٣ .
(٥) ص : ٧٩ .   (٦) ص : ٨٠ .   (٧) ص : ٨٠ .

وهي قصيدة طويلة أبياتها اثنان وأربعون بيتاً [١] وذكر له قطعة أخرى في طرد الذئب وقد كتبها لاخوانه [٢] وقد شرحت بعض الفاظها . وذكر له أشعاراً في فرسه الرازقي [٣] وكانت وفاة هذا السلطان الشاعر سنة ٥٥٦ .

وفي اخباره عن محمد بن سبأ قال : (ومدحه جماعة من أعيان الشعراء منهم القاضي الأجل يحيى بن عبد السلام بن يحيى [٤] . وهو أشعر شعراء عصره . ومن شعره في الداعي محمد بن سبأ قوله وقد عزم إلى ذي جبلة [٥] :

النصر من قُرناء عزمك فاعزم والدهر من أمراء حكمك فاحكم

ومن مداحه الشريف يحيى بن محمد بن علي الحسني ومن شعره فيه [٦] :

جلالك ألبس العيد الجلالا وبجدك فيه مجد العيد طالا
وعزك أكسب الأعياد عزاً يتيه به وصار لها جمالا

ومن مداحه الشيخ الأديب سالم بن عمران التغلبي ويذكر له شعراً فيه [٧] وأحمد بن سالم بن ظفر الهمداني ويذكر شعراً له فيه [٨] ودحانه بن محمد الصنعاني [٩] والشيخ الأديب أحمد بن علي المعافري [١٠] .

وفي ذكره لأخبار ياسر بن بلال قال : (وكان رجلاً عظيم القدر مشهور الذكر من الأجواد يثيب المادحين ، ولا يخيب القاصدين ورد إليه عدة من فضلاء الديار المصرية منهم الرشيد بن الزبير ، وكان عالماً فاضلاً ، والاعز أبو الفتوح بن قلانس اللخمي الشاعر المشهور وامتدحه بقصيدة أولها :

سافر إذا حاولت أمرا سار الهلال فصار بدرا

وهي مشهورة في ديوانه فاجازه عليها بألف دينار [١١] وثبت للقاضي يحيى

---

(١) ص : ٨٣ ، ٨٤ .
(٢) ص : ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) ص : ٨٦ .
(٤) ص : ٩٤ .
(٥) ص : ٩٥ .
(٦) ص : ٩٥ .
(٧) ص : ٩٥ .
(٨) الصفحة نفسها.
(٩) الصفحة نفسها .
(١٠) الصفحة نفسها.
(١١) ص : ٩٦ (وكان ذلك سنة ٥٤٧) .

قصائد كثيرة [١] ومثلها لأبي بكر بن أحمد العندي [٢] .

وفي حديثه عن أخبار جيّاش بن نجاح قال « كان متصفاً بالعلم وله شعر رائق . قال عمارة ، رأيت ديوان شعره مجلداً ضخماً وله ترسل متوسط بعيد عن الكلفة ، رأيت منه عدة مجلدات وهو الذي صنف كتاب «المفيد في أخبار زبيد » وهو كتاب متسع الافادة ، وقد قلّت نسخة في البلاد وربما عدمت في أكثر الجهات [٣] وذكر له شعراً [٤] .

وفي اشارته إلى مآثر الوزير أبي منصور مَنّ الله الفاتكي قال نقلا عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي السهامي : اني جلدت مما مُدح به الوزير عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء [٥] . وفي ذكره لعبد النبي بن علي ابن مهدي قال : « كان شاعراً فصيحا بليغاً مع الملك والشجاعة والاقدام وكرم النفس وله ديوان شعر جيـــد ، ومن مستحسنات شعره القصيدة التي احتوت على معان كثيرة ورثى فيها والده ، وشهدت بمعرفته التامة ، وفضله الكامل ، وقد أثبتها بأسرها وعدتها أربعة وستون بيتاً [٦] ، ويثبت قصيدة طويلة للأديب أبي بكر بن احمد العندي في استقبال شمس الدولة توران شاه ابن ايوب [٧] وهي طويلة ورائعة ، وذكر قصيدة لشمس الدولة في اشتياقه إلى الشام ومطلعها [٨] :

لولا محلك في قلبي وأفكاري ما برّح الشوق أعضائي وتذكاري

وأرسل إليه صلاح الدين رسالة مضمونها ترغيبه في الاقامة في اليمن [٩] ، ولكن شمس الدين كتب إليه كتاباً وفي الكتاب شعر يقول فيه [١٠] :

الشوق أولع في القلوب وأوجع فعلام أدفع منه ما لا يدفع ؟

---

(١) ص : ٩٧ .
(٢) الصفحات : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) ص : ١١٧
(٤) ص : ١١٨ .
(٥) ص : ١٢٣ .
(٦) ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٧) ص ١٥٤ - ١٥٥ .
(٨) ص ١٥٧ .
(٩) ص ١٥٨ .
(١٠) ص ١٥٩ .

لا يستقرّ بي النوى في موضع | إلا تقاضاني الترحــــل موضع
وحملت من وجد الأحبة والنوى | ما ليس يحمله الأحبة أجمع
وإلى صلاح الدين أشكو انني | مضنى كئيب مستهام موجع
جزعاً لبعد الدار منه ولم أكن | لولا هواه لبعـــد دار أجزع
حتى أشاهد منه أسعد طلعةٍ | من افقها صبح السعادة يطلع

فأجابه صلاح الدين بابيات :

مولاي شمس الدولة الملك الذي | شمس السعادة منه أضحت تطلع
مالي سواك من الحوادث ملجأ | مالي سواك من النوائب مفزع
ولأنت شمس الدين فخري في الورى | وملاذ آمالي وركن امنـــع
النصر ان أقبلت نحوي مقبلٌ | واليمن ان اسرعت نحوي مسرع

وفي حديثه عن الملك المعزّ ينقل عن كتاب « عجائب الأخبار » للشيخ مسلم الشيرازي قوله « وكان شاعراً فصيحاً بليغاً » قال : رأيت شعره في في مجلد ضخم وشعره جيد بالنسبة إلى شعر الملوك ومن شعره (١) :

واني أنا الهادي الخليقة والذي | يقود رقاب الغلب بالضُّمَّر الجرد
ولا بدّ من بغداد أطوي ربوعها | وأنشرها نشر السماسرة الـــبرد

ويذكر قصيدة للعماد الشيرازي شاعر الملك المسعود (٢) مطلعها :

ألا هكذا للملك تعلو المراتبُ | وتسمو على رغم العداة المناقبُ
فتوحٌ سَرَتْ في الأرض حتى تضوَّعت | مشارقهــا من طيبهــا والمغاربُ

وبعدهـــا قال : وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى الشريف عز الدين محمد بن الإمام يقول (٣) :

أسادات الورى من كل حيٍّ | وأسمى في المعالي من ُنسامي

---

(١) ص ١٧٧ .
(٢) ص : ١٨٩ — ١٩٠ .
(٣) ص : ١٩٠ .

وهي قصيدة طويلة عدّتها واحد وعشرون بيتاً . فأجابه الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة بقوله [١] :

أمِنْ برقٍ تألّق بابتسام أرقت فلم تذق طعم المنـام ؟

وهي سبعة عشر بيتاً . ويذكر شعراً للامير عز الدين بن عمران بن سعيد ابن بشر بن حاتم على لسان الامير شمس الدين احمدابن الإمام عبد الله بن حمزة ممتدحـاً السلطان الملك المظفر شاكراً ومثنياً [٢] . ويأتي على ذكر قصيدة للامير شمس الدين احمد بن الإمام يمتدح السلطان الملك المظفر ومطلعها :

لعلّ الليالي الماضيات تعود فتبدو نجوم الدهر وهي سُعُود

وهي طويلة تصل إلى ستة وأربعين بيتاً[٣]. وفي حديثه عن القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني وزير السلطان الملك المظفر يقف عنـد الشعراء الذين اختصوا بمدحه فيقول : « وكان له عدة من الشعراء منهم محمـد بن حِمْير ، وكان أوحد شعراء عصره أدرك صدراً من دولة الخليفة وله فيه غرر المدائح. ويذكر شعراً[٤] ومنهم القاسم بن هُتيمل شاعر المخلاف السليماني وكان فصيحاً عارفاً مداحاً وله فيه عدة من القصائد[٥]. ومنهم الفقيه سراج الدين أبو بكر ابن دعاس وكان شاعراً ماهراً فقيهاً نحوياً لغوياً[٦].

وفي حديثه عن السلاطين يشير في بعض الأحيان إلى منزلتهم العلميـة والأدبية وما ألفوا من كتب[٧] .

ويدون قصيدة للأديب سابق الدين يوسف بن العبسي ويقول عنها انها بديعة الاسهال[٨] بارزة في قالب الكمال مطلعها :

القوس موترة في كف باريها فليعلم الناس قاصيها ودانيها

---

(١) الصفحة ١٩٠ ، وتنظر الصفحات : ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ وفيها من الآثار الأدبية والقصائد ما يؤكد حقيقة الاهتمام بالجانب الأدبي .

(٢) ص : ٢٥٥ وتضم القصيدة أكثر من أربعين بيتاً .

(٣) الصفحة : ٢٢٨ — ٢٣٠ .

(٤) الصفحة : ٢٧١ وقد نشر الأستاذ محمد العقيلي عنه دراسة في «العرب» ص(٥٤) السنة الـ ٤

(٥) ص ٢٧١ . نشر الأستاذ محمد العقيلي دراسة وافية عن هذا الشاعر طبعها في كتاب .

(٦) ص : ٢٧١ . (٧) ص : ٢٧٣ . (٨) ص : ٢٧٨ .

ويقدم قصيدة أخرى للعفيف عبد الله بن جعفر في تهنئته الملك المؤيد منها:[١]

أملك داود أم ملك ابن داود ... ما إن أقيس بكنعان ونمرود

افي الرواق هزبر تحت غايته ... أم الهزبر هزبر الدين والجود؟

وينقل قصيدة أخرى في مدح السلطان الملك المؤيد مطلعها[٢] :

ارث الخلافة في يديك مشاع ... وغرار سيفك شاهد قطاع

وهي طويلة، وأخرى في مدحه [٣] : ورابعة للعفيف في وصف قصر الملك المؤيد وهي طويلة[٤] وخامسة [٥] وسادسة [٦] وسابعة [٧] ولا أريد أن أطيل في هذه الأخبار والحوادث وما صاحبها من نماذج أدبية، ولكنني أؤكد الحقيقة التي لمستها من خلال تصفحي للكتاب ومراجعتي له من أن المؤلف كان يبرز الجوانب الأدبية، ويهتم بها اهتماماً زائداً يلفت الانتباه ويدعو الى التأمل.

أمـــا الناحية الاجتماعية فلم تهمل في الكتاب وإن كانت أخبارها تأتي متناثرة في تضاعيف الأخبار، فالمصنف يتحدث عن تفقد الرعية والإشفاق عليهم، والتساؤل عن أحوالهم[٨]، يذكر ذلك في حديثه عن محمد بن بريك. ويذكر النساء الشهيرات والأعيان[٩] واللواتي عرفن بحفظ الأشعار والاخبار، العارفات بالأنساب والتواريخ وأيام العرف[١٠] والمركز الاجتماعي الذي كانت تتمتع بـــه ودورها السياسي في تغيير الأمراء والولاة وخاصة في الدولة الصليحية، وقد برزت أسماء كثير منهن[١١]. أمـــا المظالم الاجتماعية وسوء الادارة وفساد النواب فكان يوليه اهتماماً خاصاً يحمله على التنديد به[١٢].

ويذكر بعض العادات المألوفة ؛ ففي حديثه عن جيّاش بن نجاح يذكر

---

(١) ص : ٢٧٨ .وانظر عن ابن جعفر وشعره ص (٣٥٤) من هذه المجلة في هذا العام .

(٢) ص : ٢٨٤. (٣) ص : ٢٨٦. (٤) ص : ٢٨٩.

(٥) ص : ٢٩٦. (٦) ص : ٣٠٤.

(٧) ص : ٣٠٧. (٨) ص : ٢٩

(٩) ص : ٦٣. (١٠) ص : ٦٦.

(١١) ص : ٦٨، ٧٣، ٧٥. (١٢) ص : ٢١.

انه جرى على عادة أهل الهند في تطويل الأظافر والشعر والستر على إحدى العينين بخرقة سوداء[1] ، وكان يشير إلى الاهتمام بالزراعة وغرس النخيل والاستكثار منه والتشجع عليه[2] ، ويذكر في أخبار المعز انـه كان يلبس لباس الخلفاء ، القمصان ذوات الأكمام الطوال الواسعة التي تسمى الثمانية والعُشارية يكون طول الكم عشرة أذرع أو ثمانة أذرع بحيث يكون الملك قاعـــداً في روشنه فيصل أحد الغلمان أو النواب ممن يريدون تقبيل يده ويرسل الملك كمه من الروشن إلى الأرض فيقبل الغلمان كمه نيابة عن يده[3] . ويقدم في حوادث سنة ٦٧٧ نموذجاً من السفارة المتبادلة بين السلطان وملوك فارس فيقول : ان السلطان ندب سفيراً إلى ملوك فارس بهدية جيدة وصحبه جماعة من التجار[4] .

إن هذه الإشارات الخاطفة لا يمكن أن تعطي الصورة الحقيقية لهذا الأثر التأريخي القيم ولكنها تثير الرغبة في الانتفاع به ، ولعل هذا الإثارة في الرغبة قد تحققت بما قدمته من مواضع . داعياً الله أن يوفقنا لما فيه الخير .

مكة المكرمة — الدكتور نوري حمودي القيسي

العـــرب لا يقلل من قيمة هذا البحث الممتع الوافي التعليق بكلمات موجزة

١ — كل ما في هذا الكتاب احتوى عليه كتاب «العقود اللؤلؤية» للمؤلف نفسه ، ويمتاز هذا الأخير بالتراجم التي يوردهـــا المؤلف بعد ذكر حوادث السنين . ويظهر أن الخزرجي جرّد الحوادث من هذا الكتاب فأضافها الى « المسجد » والعبارات في الكتابين متفقة بدون زيادة أو نقصان .

٢ — في آخر كتاب « المسجد » زيادتان مضافتان اليه إحداهما من كتاب ابن الديبع — أشار اليها الأستاذ المحقق الدكتور القيسي — والأخرى أضافها السيد جحاف وهذا من علماء اليمن المتأخرين .

٣ — يظهر أن كلمة : (فيمن تولى اليمن من الملوك) مما أضيف بعد عهد

---

(١) ص : ١١٦ .
(٢) ص : ١٧٤ .
(٣) ص : ١٧٩ .
(٤) ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

المؤلف بعد أن نزع من كتابه ما يتعلق باليمن وأُضيف اليه ما أضيف .

٤ ـ أما نسبة الكتاب الى الملك الأشرف الرسولي ، فيظهر أنها حدثت من قبيل التزلف إلى ذلك الملك الذي نسب اليه وإلى غيره من الملوك الرسوليين من الكتب ما يستغرب الباحث نسبته ، ومنها ما هو مطبوع ـ وقد تكون النسبة من الخزرجي نفسه تقربا إلى ملوك تلك الدولة التي أغدقت عليه الصلات والهبات ، وكفلت له العيش الرغيد في كنفها ـ كما أوضح ذلك في مواضع من كتبه .

٥ ـ هذه المخطوطة التي وصفها الدكتور القيسي كثيرة التحريف والتصحيف ، مع حسن خطها ، ولهذا وقع في كثير من نصوصها أخطاء سيئة أصلحنا ما تحققنا خطأه منها .

٦ ـ ورد اسم (مسلم الشيرازي) ص ٤٤٤ س ٤/٣ و ص ٤٦٢ والصواب : مسلم الشيزري ـ نسبة الى بلدة شَيْزَر بقرب حلب بلدة الأمير أسامة بن منقذ وأسرته . ومسلم هو ابن محمود بن نعمة بن رسلان مؤلف كتاب « جمهرة الاسلام ، ذات النثر والنظام » من أغرب الكتب وأوفاها في موضوعه ، مخطوط في (دار الكتب المصرية) ـ ٩٢٢٣ أدب ـ وقد وصفه الأستاذ خليل مردم ـ رحمه الله ـ في « مجلة المجمع العلمي العربي » ـ م ٣٣ ص ٣ ـ وترجم مؤلفه ، وقد عاش مسلم في اليمن في أول القرن السابع ، في كنف الملك طغتكين بن نجم الدين بن أيوب أخي صلاح الدين ، وأورد في كتابه كثيراً من الأشعار فيه وفي غيره من أمراء اليمن . وقد أشار ابن خلكان (٢ ، ٢٠٧) اليه عرضا في ترجمة طغتكين وقال إنه توفي سنة ٦١٧ أو بعدها . والصواب أنه بعدها لأنه أورد في كتابه أرجوزة من نظمه ، في التاريخ من آدم الى عهد الإمام الناصر لدين الله في المحرم سنة ٦٢٢ . ومسلم أبوه محمود شاعر ، وابنه أحمد شاعر ـ أورد لهما قصائد ـ وجده أسد الدولة الأمير جمال الملك نعمة بن رسلان له مبارزات مع الروم سنة ٤٩٢ ـ على ما ذكر في كتابه .

وبعض الشعر الذي نقله الخزرجي موجود في « جمهرة الإسلام » وقد تصحف اسم الشيزري الى الشيرازي في « فهرس مجلة المجمع » ج ٣ ص ٤٥٠

- ١١ -

الحوراء : (*)

الحوراء قرية عامرة وأهلها أشراف ، وعندهم معدن يقطعون منه البرام ، ومنه يتجهز بها الى سائر الأقطار المصاقبة والمتباعدة ، ويتصل بها في جهة الجنوب وعلى قرب منها جبل رَضْوَى وفيه حجر المسنّ الذي يحمل الى جميع أقطار الأرض من بلاد المشرق والمغرب وشرب أهل الحوراء من آبار عذبة وبها أرما (؟) وقصر ومنه الى وادي الصفراء ، وهو مرسى حسن .

ومنه الى الغريفة[1]،وهو مرسى عامر ، وماؤه يجلب من بعيد ومنه الى الجار ، ثم الى الجحفة ، ثم الى قديد ثم الى عسفان ، ثم الى جدة ، وقد سبق لنا ذكرهذه الحصون والمعاقل فيما سلف من ذكر الإقليم الثاني حيث جاء ذكر الجحفة ،وقُديد وعسفان والجار والسُقيا ولا حاجة لنا الى اعادة ذكر ذلك.

شمال الحجاز :

وعلى ساحل بحر القُلزُم مدينة مَدْيَن ، وهي اكبر من تبوك ، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب . ويحكى انها بئر معظمة وقد عمل عليها بيت ، وماء أهلها من عين تجري اليهم وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب ، وبها معايش ضيقة ، وتجارات كاسدة .

ومن مدينة مَدين الى أيلة خمس مراحل .

ومن أيلة الى الجار نحو من عشرين مرحلة .

(*) العناوين من وضع المجلة .

(١) لعلها : العذيبة .

ومن مدين الي تبوك في البرية شرقا ست مراحل ومدينة تبوك بين الحجر وأول الشام منهـا على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام ، ولها حصن يطيف بها ،وشرب أهلها من عين ماء فوارة ، وبها نخيل كثير ويقال ان أصحاب الأيكة الذين بعث الله اليهم شعيبا كانوا بهـا وكان شعيب من مدين .

الحجر: والحجر من وادي القرى على مرحلة وهو حصن لطيف الحال من الجبال ، وبها كانت [ثمود] وبها بيوت منقورة في الصخر ، وأهل الحجر وتلك النواحي يسمونها الأثالب ، وهي جبال في دائر متصل في العيان حتى إذا وصل المار بها اليها وتوسطها كانت كل قطعة منها قائمة بذاتهـا ، يطاف بكل واحدة منها من غير ان يمازج بعضها بعضا او يختلط بعضها ببعض . وبهـا الآن بئر ثمود ، ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمـال لا يكاد أحد يرتقي الى ذراها إلا بجد وجهد ومشقة ومن الحجر الى تيما اربع مراحل ، ومن تيما الى خيبر أربع مراحل .

تَـيْماء : وتيما حصن عامر ، بقيته أزليّة ، وهو أعمر من تبوك ، وبينها أربع مراحل وبين تيما وأول الشام ثلاثة أيام .. وبتيما مياه ونخيل ومنه تمتار البادية وبه تجارات قلائل .

ويسكن بين أيلة وتبوك الى وادي القرى قبائل لخم وجذام وجهينة وبلي وبلادهم بلاد إبل والبان وأسمان وهم ينتجعون مراعي هذه الأرضين ، ولهم كرم وبذل لما في أيديهم ، وهم يسكنون بيوت الشعر ، وينتقلون من موضع الى موضع ، لا يقيمون في مكان ، ولهم مصايف ومرابع يدورون عليها ، وينتقلون اليها مع إبلهم وهم يترددون اليها .

خيبر : ومدينة خيبر مدينة صغيرة كالحصين ، منيعة ، ذات نخـل وزروع ، وكانت في صدر الاسلام دارا لبني قريظة ، وكان بهـا السموأل ابن عاديا المضروب به المثل في الوفاء [1] . ومنها الى المدينة أربع مراحل .

---

(١) السموأل من تيماء كما هو معروف وقريظة كانت في المدينة .

رضوى : ويقرب خيبر جبل رضوى،وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ورأسه من ينابيع الماء به كخضرة البقل ، وفيه مياه كثيرة وأشجار ، ومنه تحمل حجارة المسن الى سائر الآفاق ، وفيما بينه وبين دار جهينة ، وبساحل البحر ديار يسكنها قوم من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهم يسكنون بيوت الشعر ، وهم خلق كثير ، وزيهم زي الأعراب ، ينتجعون المراعي والمياه كانتجاع الأعراب ، لا فرق بينهم وبين العرب في خلق ولا خلق ، وتتصل ديارهم مما يلي الجنوب بوادي ودّان ، وهو من الجحفة على مرحلة ، وبينها وبين الأبواء التي في طريق الحاج ستة أميال ومن تيما إلى دومة الجندل أربع مراحل .

ودومة الجندل حصن منيع ، ومعقل حصين ، وبه عمارة ، وتتصل به عير اليمن، وبرية خشاف من ناحية السماوة ، وبرية خشاف هي ما بين الرقة وبالس عن يسار الذاهب .

الأحساء ونواحيها :

فأما الأحساء فهي مدينة على البحر الفارسي تقابل أوال ، وهي بلاد القرامطة ، وهي مدينة حصينة لأنها صغيرة ، وبها أسواق تقوم بها في تصرفاتها . وأما مدينة القطيف فإنها مجاورة للبحرين وهي في ذاتها كبيرة .

ومن القطيف الى حمص (؟) يومان وهي على البحر الفارسي ، ومن مدينة القطيف الى نيشة (؟)مرحلة كبيرة،ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بر متصل لا عمارة فيه ، أي ليس به حصن ولا مدينة ، وإنما فيه أخصاص لقوم من العرب يسمون عامر بن ربيعة .

ومدن البحرين : هجر وحمص والقطيف والأحساء وبيشة والزارة ، والخط التي تنسب اليها الرماح الخطية ، وسميت الجهة بالبحرين بجزيرة أوال ، وذلك ان جزيرة أوال بينها وبين فارس مجرى ، ومنها الى بر العرب مجرى وهي ستة أميال طولا وعرضا كذالك ، ومنها إلى البصرة خمس مائة ميل وأربعون ميلا ، لأن أيضا من جزيرة أوال إلى جزيرة خارك مائتا ميل وأربعون ميلا .

وجزيرة خارك ثلاثة أميال في ثلاثة أميـــال ، وبها زروع وأرز كثير وكروم ، ونخل ، وهـــي جزيرة حسنة كثيرة الأعشاب خصبة ، كثيرة الزروع والنخل ، فيها عيون ماء كثيرة ومياهها عذبة . منها عين تسمى عين أبو زيدان ومنها عين مرتعه . ومنها عـــين عذار وكلها في وسط البلد ، وفي هذه العيون مياه كثيرة نابعة منوعة دفاقة ، تطحن عليها الأرحاء ، والعين المسماة عين غرار فيهـــا عجب لمبصرها وذلك انها عين كبيرة قدرا مستديرة الفم في عرض ستين شبراً ، والماء يخرج منها وعمقها يشف على خمسين قامة ، وقد وزن المهندسون والحذّاق من العلماء علوّ قممها فوجدوه مساوياً لسطح البحر ، وعامة اهل البلاد التي في هذه الجهة يزعمون انها متصلة بالبحر لا اختلاف بينهم في ذلك ، وهذا غلط محال ، لا شكّ فيه لأن العين ماؤهـا عذب حلو لذيذ شهيّ بارد وماء البحر حار زعاق ، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها مالحاً كماء البحر . وفي هذه الجزيرة أمير قائم بنفسه ، وقد رضيه أهل الساحلين لعدله ومتانة دينه ، ولا يلي مكانـــه اذا مات إلا من هو مثله في العدل والقيام بالحق ، وفي هذه الجزيرة رؤساء الغواصين في البحر ساكنون بهذه المدينة ، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة ، ويقيمون بها الأشهر الكثيرة حتى يكون وقت الغوص ، فيكثرون الغواصين (١) .

إلى هنا انتهى ما أردنا نقله من كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسي ، نقلاً مجرداً ، الغاية منه تقديم نصوص جغرافية من هذا الكتاب مع ما في نسخة المخطوطة من تصحيف وتحريف يمكن للباحثين تقويمها وإصلاحها ، وسننقل نصوصاً أخرى من مؤلف أندلسي مما يتعلق بجزيرة العرب .

---

(١) « نزهة المشتاق » للادريسي ٩٢ / ٩٣ نسخة باريس وقـــد تحدث بتفصيل عن الغوص هنا .

مَنَالُ الطَّالِبِ في شَرْحِ طِوَالِ الغَرَائِبِ

– ١ –

ومن السنن الحسنة لأستاذنا العلامة الجليل أبي الغيث خير الدين الزركلي – وما أكثرها ! – أنه يُتْحِف مريديه ومستزيدي علمه الجمّ ، عند عودته من كل رحلة يقوم بها إلى إحدى الأقطار التي تحوي مكتبات ، بما يجده فيها من طريف الكتب وبما يعلمه عن مخطوط ذي قيمة في التراث العربي .

وكان من تُحفه – بعد عودته من رحلة طويلة قام بها خلال فصل الصيف في هذا العام أن قدم لي كتاباً مُصوراً وقال : إن هذا الكتاب من أمتع المؤلفات في موضوعه . وبعد أن تصفحت الكتاب ذكرت أنني كنت اطلعت على النسخة الأصلية منه في (الخزانة العامة) في مدينة الرباط ، وكانت من بين الكتب التي رغبت تصويرها فلم يتسنّ لي ذلك . وقد وصفتها وصفاً مجملاً في كلمة نشرتها قبل بضع سنوات . ولكنّ أبا الغيث هيأ لي ما لم استطع الحصول عليه ، بحيث مكنني من الاستفادة من هذه المخطوطة استفادة كاملة ، وأن سجّل من وصفها ما يصدق عليه قول الشاعر :

يَجُودُ علينا الخَيِّرون بمالِهِمْ ... ونَحْنُ بمالِ الخَيِّرِينَ نَجودُ

تلك المخطوطة هي كتاب «منال الطالب» لابن الأثير الذي يحسن أن أمهد لوصفه بوصف مجمل لأسرة المؤلف .

أبناء الأثير :

شجرة مباركة أثمرت ثماراً طيبة في حقل الثقافة العربية ، هذه الشجرة عربية الأصل والموطن فجذورها تمتد إلى شيبان وموطنها الموصل في القطر العراقي الحبيب .

من هذه الشجرة المباركة عرف ثلاثة من العلماء يدعى كل واحد منهم بابن الأثير وهم :

عزُّ الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحدالشيباني الجَزَري ،

اللغوي المحدث مؤلف « التاريـــخ » و « الأنساب » و « وأسد الغابة في معرفة الصحابة » وغيرها .

وأخوه أبو السعادات مؤلف « جامع الأصول » في الحديث و « النهاية » في غريب اللغة .

والثالث ضياء الدين أبو الفتح الوزير نصر الله مؤلف« المثل السائر » .

ومن لطائف ما قيل فيهم :

وبنو الأثير ثلاثـــة　　　قد حاز كلٌّ مُفتَخَرْ

فمورِّخ جمع العلو　　　م ، وآخَرٌ ولي الوزر

ومحدّث كتب الحدي　　　ث له «النّهاية» والأثر[1]

ولنورد طرفا عن حياة كل واحد منهم ولنبدأ باكبرهم سنّاً ، وجُلُّ ما نورده إن لم يكن كلّه - من كتاب أستاذنا أبي الغيث الزركلي « الأعلام ».

١ - المبارك بن محمد (٥٤٤ / ٦٠٦ هـ ١١٥٠ / ١٢١٠ م) .

هو مجد الدين المبارك بن محمـــد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، ابو السعادات ، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل ، وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في احدى قرى الموصل . قيل : إن تصانيفه كلها ألفهـــا في زمن مرضه إملاءً على تلاميذه وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة . من مؤلفاته :

١ - النهاية في غريب الحديث ٤ أجزاء مطبوع .

٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٠ اجزاء مخطوط جمـع فيه الكتب الستة .

٣ - الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في التفسير .

٤ - المرصع في اللغة ط .

٥ - الرسائل .

---

(١) : « تاج العروس » - أثر -

٦ — الشافي في شرح مسند الشافعي . خ .

٧ — المختار في مناقب الأخيار . خ .

٨ — تجريد اسماء الصحابة . خ .

٩ — الباهر في النحو .

١٠ — البديع شرح فصول ابن الدهان في النحو .

١١ — البنين والبنات والآباء والأمهات في رجال الحديث .

١٢ — الجواهر واللآلي من أمالي المولى الوزير الجلالي .

١٣ — صناعة الكتاب .

١٤ — المصطفى المختار في الأدعية والأذكار .

١٥ — منال الطالب (موضوع حديثنا) .

٢ — علي بن محمد (٥٥٥ / ٦٣٠ — ١١٦٠ / ١٢٣٣ م)

عز الدين المؤرخ ولد ونشأ بجزيرة ابن عمر وسكن الموصل وبها توفي ومن مؤلفاته :

١ — الكامل في التاريخ الى سنة ٦٢٩	١٢ جزءاً	(مطبوع)
٢ — أسد الغابة في معرفة الصحابة	٥	ط
٣ — اللباب مختصر أنساب السمعاني	٣	ط
٤ — تاريخ الدولة الأتابكية		ط
٥ — الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور		ط

٦ — تاريخ الموصل — لم يُتِمه

٧ — آداب السياسة

٨ — كتاب الجهاد

وقد نسب اليه كتاب « تحفة العجائب وطرفة الغرائب » غير أنني بعد أن طالعت نسخة من هذا الكتاب ظهر لي أن مؤلفها متأخر عن عصر ابن الأثير هذا بزمن طويل ، وإن كان يدعى ابن الأثير .

٣ — نصر الله بن محمد (٥٥٨/ ٦٣٧ هـ — ١١٦٣ / ١٢٣٩ م) .

ولد في جزيرة ابن عمر وتعلم في الموصل ، واتصل بخدمة صلاح الدين ، وولي الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين بدمشق فلم تحمد سياسته فخرج

منها مستخفياً في صندوق مقفل ثم انتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب (سنة ٦٠٧) ولم تطل اقامته فيها وتحول إلى الموصل فكتب الإنشاء لصاحبها محمود بن عزّ الدين مسعود ، وبعث رسولاً في أواخر أيامه إلى الخليفة فمات ببغداد .

من تآليفه :

١ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (مطبوع) .

٢ – المعاني المخترعة – في الإنشاء .

٣ – الوشي المرقوم في حلّ المنظوم (مطبوع) .

٤ – الاستدراكات .

٥ – البرهان في علم البيان .

٦ – ديوان الترسل .

٧ – رسالة في الضاد والظاء .

٨ – رسالة في وصف مصر .

هذا مجمل حياة أبناء الأثير ، ولنعد لموضوعنا :

كتاب منال الطالب : وكتاب منال الطالب من الكتب القيمة في موضوعها أوضح مؤلفه الغاية منه في المقدمة التي سنوردها كاملة ، ويظهر أنه من آخر ما ألفه أبو السعادات المبارك ابن الأثير من المؤلفات ، كما تدل على ذلك الاجازة التي كتبها أخوه علي المؤرخ بخط يده في طرة الكتاب ، ويظهر أن المؤلف كان يستعين ببعض تلاميذه بايراد النصوص المطولة من مظانها ثم يأمر بجمعها ويملي شرحها ، ولهذا فقد عول أكثر ما عول على كتب خمسة في غريب الحديث هي كتاب أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي وأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة والحافظ أبي موسى الأصبهاني والزمخشري .

ولو أردنا حصر مصادره حسبما جاءت في الكتاب لوجدناها كما يلي (مع ذكر الصفحات التي وردت فيها الأسماء) :

١ – محمود بن عمر الزمخشري : ٤ / ٣٨ / ٤٤ / ٤٨ / ٥٤ / ٧٠ / ٨٠ / ١٠٧ / ١٣٨ / ١٩٤ / ٢٠٨ / ٢١٤ / ٢١٦ / ٢٢٨ / ٢٣٨ / ٢٤٤ / ٢٥٢ / ٢٦٥ /

٢٦٩ / ٢٧٤ / ٢٨٠/٢٧٧ / ٢٨٤ / ٢٨٧ / ٢٩١ / ٢٩٦ / ٣٠٠ / ٣٢٠ / ٣٣٣ / ٣٤٧ / ٣٥٢ / ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ ، ٤٦١ ، ٤٧٢، ٤٨١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .

عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ٤ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ١٠٧ ، ١٥١، ١٤٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٨، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩١، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٤٨١ ، ٤٩٥

حمد بن محمد الخطّابي : ٤ ، ٣٢ ، ٥٦ ، ١٣٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٣٣٣ ، ٣٦٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٩٩، ٤٠٥ ، ٤٤٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥١١

أحمد بن محمد الهـروي : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٤١ ٤٩٥ .

محمد بن أبي بكر الحافظ الأصبهاني : ١٦ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦١.

أبا نعيم ٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣

أبا القاسم الطبراني : ٧٠ ، ١٢١ ، ٢١٩ ، ٣٦٨

أبا القاسم البغوي : ١٢١

ولم نشر إلى كثير من الصفحات التي ورد فيها ذكر الزمخشري وابن قتيبة إذ قل أن تخلو صفحة من الكتاب من اسم احدهما ، وقد يكتفي بالاشارة إلى المؤلفات التي ينقل منها كأن يقول : كتاب الزمخشري (١٤ ، ٢٠ ، ٣٠١، ٣٥٠) وكتاب القتبي (١١١، ١١٣ ، ٢٨٧) و « غريب الخطابي (٣٣٥) . وينقل عن مشاهير اللغويين وقد يكون ما ينقله بالواسطة ، فينقل عن الجـوهري (٧٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٢١ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٥٠٢) والازهـري (٤٠ ، ٤٣ ، ١٨٤ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢) والاصمعي (١٩٥ ، ٢٣٣) وابن الانبـاري (٨٢ ، ١٨٣) ابي عمر الزاهد (٣٨٥ ، ٥٠٠) ابي زيد (٣٦٣) السيرافي (٤٥٠) الليث (٣٨٢) .

وقد يشير إلى بعض الكتب بقلة ، ومن تلك الكتب :

١ - الإكمال - للأمير ابن ماكولا (٢٩٦) ٢ - الحِلْيَةُ لأبي نُعَيم (٢٦٣)
٣ - السيرة - لعبد الملك بن هشام (٢٠١) ٤ - صحيح البخاري (٤٤١)
٥ - صحيح مسلم (٤٤١) ٦ - الطبقات - لمحمد بن سعد : (٢٣٤)
٧ - غريب الحديث لابن الأنباري (١٨٣) ٨ - المعجم الكبير للطبراني (٢٣)
٩ - معجم الحافظ أبي أحمد العسال (١٥٧) ١٠ - ما قالت القرابة في الصحابة ، للدارقطني (٣٣٥) ١١ - المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار (٢٠١)
١٢ - المؤتلف والمختلف للدارقطني (٣٣٥)

وبعض هذه الكتب ترد في سياق النقل .

ويظهر ان الغاية من تأليف هذا الكتاب لغوية بحتة ، فمع أن المؤلف يحرص على ذكر من روى الأخبار والأحاديث التي يوردها إلا أن هناك أحاديث لم يذكر رواتها منها خمسة أحاديث لعلي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣) وحديثان لفاطمة الزهراء رضي الله عنها : (٤١٤ ، ٤٣١) ، وحديث لمعاوية رضي الله عنه : (٣٨٣) وحديث للاعشى الحرمازي (٤١٠) وحديث لصعصعة بن صوحان (٤٨٩) .

ويمكن أن يلمح الغرض من تأليفه بالإشارات الآتية :

١ - بعد أن اورد حديث فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - المتعلق بفَدَك [١] في ست صفحات قال : (هذا الحديث أكثر ما يروى من طريق أهل البَيت ، وإن كان قد روي من طرق أخرى أطول من هذا وأكثر ، وأهل الحديث يقولون : إنه موضوع على فاطمة . وقال ابن قتيبة : قد كنت كتبته وأنا أرى أنَّ له أصلاً ، وسألت عنه رجال الحديث فقال لي بعضُ نقلة الأخبار : أنا أسَنُّ من هذا الحديث ، وأعرفُ من عَمِلَهُ ! . قلت : هذا الحديث - وإن كان موضوعاً كما ذكروا - فهو من أفصح الكلام

---

(١) : انظر عن تحديد موقع فدك كتابي « في شمال غرب الجزيرة » من ص ٢٩٥ إلى ص ٣٠٨ .

وأحسنه مأخذاً أو احتجاجاً ولعَلَّ واضعه لا ينقص درجة عن الحجاج ابن يوسف الثقفي ، وكتب غريب الحديث مشحونة بشرح كلامه وخطبه فلا بأس أن يُجرَى هذا الحديث مجراها في شرح غريبه ومعانيه ، ولعل اكثر ما يُروى من أحاديث الغريب والطوال جارية هذا المَجرىَ في التصنع . والله أعلم (١)

٢ – وقال : (حديث قسّ بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه حديث مشهور متداول بين رواة الحديث وأئمته ، وقد ذكر بعض الحفاظ أنه موضوع ، فأما الرواية الأولى فهي معروفة بمحمد بن الحجاج اللخمي عن مجالد بن سعيد عن الشّعْبي عن ابن عباس ، وقد أخرجها أبو القاسم البغوي وأبو القاسم الطبراني وغيرهما . وأما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بِشر بن نُمير عن سعيدبن جُبَير عن ابن عباس قال أبو موسى: وهو غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن ابن عباس من غير وجه ، وروي عن أنس بن مالك وأبي لُبَابَة ، وكل الفاظه مصنوعة مُلفّقة ، لكن هكذا يروى ، على أنّا قد تركنا بعض الفاظه التي أطالوه بها اختصاراً والله أعلم(٢).

٣ – وقد يقول : (ذكرناه مع قلة غريبة لإشكال معناه (٣٩٦)

٤ – وها هو نص خطبة الكتاب كاملة وهي أبلغ في الإيضاح :

بسم الله الرحمن الرحيم : أحمد الله على نِعَمِهِ حق حمده ، وأثني عليه بآلائه الى منتهى الوُسْع وجُهده ، حمد من جعل الإخلاص غاية قصده ، والتوفيق قرين خطائه وعمْده ، وأُصلّي على محمد رسوله وعبده ، هادم مشيد الكُفر وهازم جُندِه ، وخيرته المؤيّدِ بنصرٍ من عنده ، وعلى آلهِ وأصحابه وأزواجه من بعده ، صلاة تُحِلّهم دار كرامته ورَفْدِه ، وتُنْهِل قائلها من غير الفلاح وعِدّه . أما بعد فإني لما بلغتُ الأمَل والغرض ، وأدّيْتُ النفل والمفترض ، من تصنيف كتاب « النهاية في غريب الحديث والأثر »

---

(١) ص ٤١٩ / ٤٢٠ .
(٢) ص ١٢١ / ١٢٢

وفرغت من تأليفه وجمعه، وترتيبه في أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المُدْرجُ في أثنـــائه ومطاويه ، مفرّقاً في أنواع صنوفه ، مقسماً في أبواب حروفه ، حيث التزمنا في وضعه التقفية على حروف المعجم ،والإبتداء بالأوّل فالأول والأقدم فالأقدم، ولا تكاد تجد فيه حديثاً تاماً وإن قلّ كَلِمُهُ، ولا أثراً متّسِقاً وإن استقلّ مُنْتظِمُه – أحببت أن أستأنف كتاباً مختصراً أجمع فيه من الأحاديث [ص ٣ :] والآثار الطّوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه اكثرُ الناسِ ،ويَعِز إدراك بعضه على كثير من الخواص أوردُها كاملة متناسقة الألفاظ تامة الإيراد والاقتصاص ،وأتبِـع كل حديث منها أو أثر شرح غريبه وتفسير معانيه ، وإيضاح المقاصد المودعة فيه ، وقد كان الأئمة والعُلَمَاءَ رحمة الله عليهم – جمعوا الأحاديث الطوالَ ودَوّنوها ، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها ، فأتوا منها بكل حسنٍ جميـــل ، واقتنوا به كل ذكر كريم وأجر جزيـــل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طوال الحديث والأثر لكن جمعوا ما روي منها طويلاً ، سواء كان غريبه كثيراً أو قليلاً ، ونحن اخترنا من الطوال ما كان اكثر الفاظه غريباً على أيّ حالَيْهِ كان بعيداً أو قريبــاً ، توخياً للحفظ والتناجي ، وبلاغاً للآمل والراجي ، ولم نستقص في جمع الاحاديث والاستكثار منهـــا خوف الضجر والمَلَلِ ، وهرباً من الوقوع في الخطـــإ والزلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة في كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرحَ ما اخترْناه منها ، وبسطنا القول في إيضاح [ص ٤ :] ما شَذّ من وجوه التأويل عنها، وجمعنا بين أقاويل من تقدم من العلماء ، وسبق من الفضلاء في شرحهـــا وتفسيرها ، وتبيين معانيها وتقريرها ، وأضفنا اليه ما عسى أن يكون غُفِل عنه ، أولم يُبلغ الغرض منه ، مستعينين بالله تعـــالى ، ومتوكلين عليه ، ومستمدين من ألطـــافه حسن التوفيق في الدنيا ، والنجاة يوم الوقوف بين يديه – إنه وليُّ الإجابة .

وقد قسمناه إلى قسمين : أحدهما : في أحاديث رسول الله ﷺ مما له فيه كلام أو ذِكْر سيق الحديثُ له ، أو بُني عليه ، والثاني في آثار جماعة من

أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين ، وسميته كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » وبالله أعتضد وأستعين وأستمِدُّ التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذره من قول أو فعل ، وأرغب إلى كرمه أن يتغمدني برحمته ، ويجري الخير على لساني ويدي مُدّة حياتي ، إنه ولي الإجابة وهو حسبي ونعم الوكيل) .

أما ما دعاه « طوال الغرائب » فهي أخبار وأحاديث تبلغ ٦٩ ها هو بيانها مجملة ثم مفصلة :

٢١ — من أحاديث النبي ﷺ مما له فيه كلام أو ذِكْر

٣ — من أحاديث أبي بكر الصديق

٨ — من أحاديث عمر

٢ — من أحاديث عثمان

١١ — من أحاديث علي

٢ — من أحاديث العباس

٢ — من أحاديث عبدالله بن الزبير

٢ — من أحاديث عمرو بن العاص

٢ — من أحاديث معاوية

٢ — من أحاديث فاطمة الزهراء

٣ — من أحاديث عائشة

٢ — من أحاديث عبد الملك بن عمير

٩ — أحاديث لتسعة من الرواة

القسم الأول : في احاديث النبي ﷺ مما له فيه كلام أو ذكر سيق الحديث له (صفحة ٥ إلى ٢٣٦) .

١ — حديث طهفة بن زهير النهدي الوافد على رسول الله ﷺ وكتابه ﷺ لبني نهد (٥) .

٢ — حديث خزيمة السلمي البهزي وكان خرج مع النبي ﷺ في عِير الحديبية (٢٨) .

٢ – بلغها أن أناساً يتناولون من أبيهـــا ثم اورد خطبة لها في الثناء عليه) (٣٥٩) .

٣ – خطبة لها بالبصرة بعد مقتل عثمان (٤٧٠) .

حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها – :

١ – لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتهـــا أم سلمة (ثم اورد كلامها في نهي عائشة عن الخروج) (٤٨٠) .

أحاديث التابعين (٤٨٨) .

حديث صعصعة بن صوحان العبدي :

١ – دخل على معاوية فلم يسلم عليه بالخلافة فقال له من أنت ؟ (ثم أورد وصفه لبعض القبائل العدنانية) (٤٨٨) .

حديث الأحنف بن قيس :

١ – قدم على عمر بن الخطاب في وفد أهـــل البصرة (ثم ذكر وصفه للبصرة) (٤٩٥) .

حديث عبد الملك بن عمير الفَرَسي :

١ – قال تفاخر نفر مُضَريٌ وأزديٌ ومدني وشامي وهجري وبكري وطائفي (٤٩٨) .

٢ – قال : دخلوا على أبي العريان يعودونه فقالوا : كيف تجدك . قال : أجدني ابيّض مني ما كنت أحبُّ أن يسود – الخ (٥٠٣) .

حديث عمرو بن مسعود :

١ – أنه دخل على معاوية وقد أسنَّ فقال له معاوية : كيف تجدك ؟ (ثم وصف ما يعانيه من الكبر) ٥٠٥

حديث الحجاج بن يوسف الثقفي :

١ – دخل عليه سيابة بن عاصم السلمي فقال من أي البلدان أنت؟قال : من حوران . قال : هل وراءك من غيث ؟ (ثم أورد وصف الغيث في أقوال) ٥٠٩

انموذج من الكتاب : ونورد هنا نصاً وافيا يوضح طريقة المؤلف في شرح تلك الطوال قال :

حديثُ عبد الملك بن عُمَير الفَرسي : قال تفاخر سبعة نفر مُضريٌّ وأزْديٌّ ومدنيٌّ وشاميٌّ وهجريٌّ وبكريٌّ وطائفي فقال المُضريُّ : هاتُوا كجزُورٍ سنمةٍ ، في غَداةٍ شَبِمَةٍ ، في قُدُورٍ رَذِمة – أو هزمة ، بمَوَاسٍ خَذِمَةٍ ، معبوطةٍ نفسُها غير ضَمِنة . وقــال الأزديُّ : والله لقُرْصٌ بُرّيٌّ ، بأبطَحَ قُرّيٍ ، بلبن قُشْريٍ – أو عُشَريٍ – بسمْنٍ وَعَسَلٍ أطيبُ من هــذا . وقال المدَنيُّ : والله لَفُطسٌ خُنسٌ ، بِزُبْد جَمْسٍ ، يغيبُ فيها الضِّرسُ أطيب من هذا . وقال الشامي : والله لخُبزَةٌ أنْبخانيّةٌ ، بخَلٍّ وزيتٍ [ص ٤٩٩ :] ينال أدناها فيضرط أقصاها يتَخطّى اليها تخطّي بنات المخاضِ من الخَرفِ أطيبُ من هــذا . وقال الهَجَريُّ : والله لتَمْضُوضٌ كأخفاف الرِّباع أطيبُ من هذا . وقال البكريُّ : والله لقارصٌ قُمارِص ، يقطُرُ منه البَولُ قطرةٌ قطرة ، أطيب من هذا . وقال الطائفيُّ : والله لعنَبٌ قطيف ، بوادي ثقيف ، أصابه الخريف أطيبُ من هذا[1] .

أخرجه الخطابي والزمخشري ، وهو من حديث أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير .

شرحُه : عبد الملك بن عُمَــير من ولد مُرّة بن أُدد ، تابعي كوفي والفرسيُّ : – بالفاء والسين – منسوب إلى فرس سابق كان له عُرِف به ، ومن لا يدري يقول القُرشي ، وليس كذالك ، ويقال له القبطي لأن فرسه هذا كان يعرف بالقبطيّ فنُسِب إليه .

والمُضَريُّ : منسوب إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وهــو معدول عن ماضرٍ ، وهو اللبن الحامض الذي يحْذِي اللسان . والجزور : يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، إلا أن اللفظة مؤنثة ، يقال : هــذه الجزور ، وإن أردت ذكراً ، والجمع جُزُر وجزائر ، والأصل فيهــا الناقة السمينةُ التي تصلح للجَزْر وهو النَّحْر ، لتوكل ثم اتُّسِــع فيها [ص ٥٠٠ :] فأطلقت على كل بعير . والسَّنِمةُ : العظيمة السنام ، وسنامُ كلِ شيء أعلاه والشَّبِــمَةُ : الباردة ، وماء شَبِمٌ : أي بارد . والرَّذِمةُ : الممتلئة التي تسيل يقال : رذمتِ القدرُ تَرْذُم رذما . قال الخطابي : وقال لي أبو عُمَر – يعني الزاهد – : إنما هي قدور هزمة ، من هزيم القِدْر وهو صوت غليانهــا ،

---

(١) ص ٤٩٨ إلى ٥٠٣

وليس الرَّذْمُ من صفات القدر ، وإنما يقال : جفان رَذِمة . والمَواسي : جمع الموسى وهي آلة الذبح . والخِذمَةُ : القاطعة ، يقال : خذَمتُ اللحم أخذِمه خَذْمَةَ . والمعبوطة : المنحورةُ وهي فتية من غير علة بهـا ، وقد عبطها واعتبطها فهي معبوطة ، ومات الإنسانُ عبطة إذا مات شابّا من غير مرض ولا عِلة قال أمية بن أبي الصَّلْت :

مَنْ لَمْ يمتْ عَبطَةً يَمتْ هَرَماً لِلْمَوتُ كأسٌ والمَرءُ ذائِقها

والضمنةُ : المريضة الزَّمنَةُ ، وقد ضمن يضمن ضمانة ، أي أن هذه الجزور لم تنحر لمرض نزل بها ، إنها نحرت للأكل ، وهم يذمون على أكل لحوم ذات الأدواء ويقولون : بنو فلان يأكلون العوارض ، وهي التي قد عرض لها آفة من مرض أو كسر فنحرت .

والأزديُّ [ص ٥٠١ :] منسوب إلى الأزد ، واسمه دَرَا بن الغوث من بني زيد بن كهلان بن سَبَا . والقُرْص : الرغيف ، والقرصة أخصُّ منه . والبُرِّيُّ : منسوب إلى البُرّ الحِنطة . والأبطح : الموضع المتسع من الأرض ومؤنثه البطحاء . والقُرِّيُّ : منسوب إلى القُر : البرد . وسُئل عنه شِمْرٌ فقال : لا أعرفه إلا أن يكون من القُرْهِ . والقُشْريُّ : بالضم والكسر فالضمُّ منسوب إلى القُشْرة وهي المطْرة التي تقشر الحصا عن وجه الأرض[1] يريد لبناً أدَرَّ المَرعَى الذي ينبته هذا المطر ، والكسر : يريد به اللبن الذي تعلوه قشرة من الرغوة التي تكون على رأسه ، والعُشري منسوبٌ إلى العُشَر . وهو شجر معروف ، يريد لبن إبلٍ تَرعى العُشَر[2] ، أومنسوب إلى العُشراء من النوق .

والمَدَنيُّ : المنسوب الى مدينة الرسول ﷺ بحذف الياء والهاء حملا على نظائره كرَبَعِيٍّ في ربيعة ، وحَنَفِيٍّ في حنيفة . والفُطْسُ ، جمع أفطس وهو في الأصل انفراشُ الأنف ، وانخفاضُ قصبته . والخُنْسُ : جمع أخنس وهو في الأصـل انقباض قصبة الأنف وعرضُ الأرنبة ، والمراد بها تمْرُ

---

(١) لعل الصواب : تقشر التراب « العرب » .

(٢) العُشَر : شجر مُرُّ الطعم لا يرعاه شيء من الدواب « العرب » .

المدينة :[ص ٥٠٢ :] لأنها صغار الحبّ لاطئة الأقماع ، والجَمْسُ ـ بالفتح ـ الجامد ، يقال : جَمَس الماء والسمْنُ جَمْساً إذا جمد ، وإن ضمّتِ الجيم فهو جمع جُمْسَةٍ ، وهي البُسْرة التي أرطبت كلها وهي صُلْبَة لم تنهضم بَعْدُ ، ويكون قد جعلها من صفة التمر ، وفصل بينها بالزبدة وقوله : يغيب فيها الضّرسُ : يريد غِلظَها ومُسْكها . و الشأميُّ : ـ بهمزة ساكنة ـ منسوب الى الشأم ، وكثير من الناس يقول : شآمي ـ بالمدّ وتشديد الياء ـ وليس بالعالي ، والقياس أن يقال مع المدّ : شآمٍ كَيَمَانٍ في يمني . والأنبخانية : اللينّة ، يقال : نَبَخَ العجينُ ينبخ : إذا اختمر ، وقيل : حَمَض . وعجين أنبخان فالهمزة فيه زائدة . وقوله : ينال أدناها فيضرط أقصاها : يريد إذا عَضّ جانباً منها صرّ الجانب الآخر لاختمارها وقوّتها . وبنات المخاض : النوق اللاتي أمهاتهن حوامل وهن في السنة الثانية .

وقوله من الحرف [1]

والهجري : منسوبٌ الى هَجَر ، وهي مدينة بالبحرين . قال الجوهري: اسمه مذكر مصروف . وعند المدينة قرية يقال لها [ص ٥٠٣ :] هجر ، اليها تنسب القلال الهجرية . والتّمْضُوضُ ـ بفتح التاء ـ : ضرب من التمر أسود ، شديد الحلاوة ، ومعدنه هَجر ، والتاء فيه زائدة . والرّبّاع : الفُصلان ، واحدها رُبَعٌ ، شبهّه لكبره بأخفافها .

والبكريُّ : منسوب إلى بكر بن وائل ، بطن من ربيعة ، والقارص اللبن الذي يقرص اللسان بحموضته ، والقُمارص : أشد حموضة منه لزيادة الميم ، وقيل : القمارص إتباع للقارص . يريد أنّ بول شاربه يقطر منه لشدة حموضته .

والطائفيُّ :منسوب الى الطائف،البلدة المعروف بالحجاز . والقطيف: المقطوف من العنب عند اجتنائه ، فعيلٌ بمعنى مفعول . والقِطْفُ ـ بالكسر ـ : العنقود . وكل واحد من هاؤلاء السبعة وصف ما هو الغالبُ على مأكوله،وما هو في بلده وعنده . والله أعلم .

---

(١) بياض بقية السطر

الربّان أحمد بن ماجد

- ٤ -

وأخيراً أبحر الاسطول المصري إلى الهند في سنة ٩١٣ هـ ، ١٥٠٧ م ، وحينا وصل اليها،أرسل الميدا Almeida حاكم الهند البرتغالي ، وولده لورنزو Lourenço لمنازلة الاسطول المصري . والتقى الاسطولان في شاول Chaul (يناير ١٥٠٨ م) ، واشتبكا في معركة ضارية ، استمرت يومين كاملين ،عزم البرتغاليون في نهايتها على الفرار ، ولكن المصريين ضربوا نطاقـــاً حول الاسطول البرتغالي ، وتمكنوا من اقتحام سفينة القيادة البرتغالية وقتل قائدها واغراقها . ولم ينج من الاسطول البرتغـــالي ، سوى سفينتين صغيرتين انتهزتا فرصة الفوضى التي اعقبت اغراق سفينة القيـــادة البرتغالية ، فأنسلتا من الحصار ،وفرتا إلى القاعدة البرتغالية في كوشين Cochin تحملان إلى البرتغاليين أنباء الفاجعة التي حاقت بأسطولهم [١] .

ولكن حسين الكردي لم يتابع هجومه على البرتغاليين ، وتلكأ طويــلاً في ديو Diu حتى هاجمه الميدا في ٣ فبراير سنة ١٥٠٩ م ، ٩١٤ هـ . وكان الاسطول البرتغالي مؤلفاً من ١٩ سفينة ، بينما لم يتجاوز عـــدد الاسطول المصري ١٠ قطع فقط . ومع ذلك فلم تسفر المعركة عن نتيجة حاسمة ، ولم يستطع أحد الطرفين أن يدعي النصر لنفسه [٢] وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الطرفان . ولكن الأمير حسين الكردي اضطر إلى الانسحاب من الهند ، فأبحر إلى البحر الاحمر بثـــلاث سفن محملة بالتوابل والبضائع الثمينة ، قدمها اليه ملك كجرات ، كيما يستعمل ثمنهـا في تحصين جدة واكال سورها ، حماية لها من قرصنة البرتغاليين ، إذا مـــا سولت لهم أنفسهم مهاجمتها .

(١) Panikkar, Asia and wester Dominane, p. 45; F. B. Eldridge, The Background of Eastern Sea Power, pp. 116 - 7

(٢) Panikkar, p. 45.

وما كاد حسين الكردي يصل إلى جدة ، حتى شرع في اتمام « عمـــارة الصور والأبراج » . وهذا مـــا يؤكده ابن اياس في عبارة يشوبها شيء من الاضطراب [١] ، ويؤكده المؤرخون البرتغاليون الذين كانوا يتتبعون من الهند حركات حسين الكردي بدقة بالغة [٢] .

ثم توجه حسين الكردي إلى القاهرة ، فوصلها يوم الخميس سلخ رمضان المبارك سنة ٩١٨ هـ ، ١٥١٢ م بعد غيبة دامت « سبع سنين وثلاثة أشهر » وكان الغوري أثناء ذلك يعمل جاهداً على اعداد اسطول ثان في السويس ، على الرغم من الازمات العصيبة التي كانت تكتنفه من كل ناحية ، والعقبات الكبيرة المثبطة التي اعترضت سبيله . وقد ساعده على ذلك السلطان بايزيـد الثاني ، فأمده بكثير من المعدات وادوات القتال . وقد وصلت أحـــدى امداداته إلى مصر في أواخر شوال سنة ٩١٦ هـ ، ١٥١٠ م [٣] ، ووصلت اخرى في رمضان سنة ٩١٨ هـ ، ١٥١٢ م [٤] . ثم أمده بـ ٢٠٠٠ مقاتل من العثمانيين ، وعلى رأسهم الرئيس سليمان للعمل في الاسطول [٥] . لم أهتد إلى تاريخ مجيء الرئيس سليمان ورجاله إلى مصر ، ولا ادري هل جاءها مع الامدادات العثمانية الأولى ؟ ام مع الثانية ؟ ام جاء مع رجاله على حدة ؟ ولكنه كان في السويس عندما زارها السلطان الغوري في أوائل سنة ٩٢٠ هـ ، ١٥١٤ م للكشف على سفن الاسطول المصري التي كان يجري انشاؤها هناك [٦] . وكان سليمان هو الذي أشرف على أعداد ذلك الاسطول وتجهيزه [٧] . وقـد انفق عليه الغوري ،

(١) ابن إياس ، بدائـــع الزهور في وقائع الدهور ، ط . دار المعارف بالقاهرة ، ج ٤ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٢) De Barros, Decadas (Dec. III., l k. i. ch. 3, quoted by Mansel Longworth Dames, (The Book of Duarte Barbosa, Vol. pp. 48 - 50 n).

(٣) ابن أياس ، ج ٤ ص ٢٠١ . (٤) المصدر نفسه ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٦٥ ؛ ٤٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ص ٣٦٥ . (٧) المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

« نحو اربعمائة ألف دينار وكسور »[1] بالاضافة إلى الامدادات التي جاءته من بايزيد . وقد عهد الغوري إلى الرئيس سليمان قيادةذلك الاسطول ، فخرج وجنوده من القاهرة في ١٠ رجب سنة ٩٢١ هـ ، ١٥١٥ م ، وكان الاسطول مؤلفاً من ٢٠ مركباً . وقد أبحر إلى جدة للانضمام إلى الأمير حسين الكردي الذي كان قد سبقه اليها في ١٣ جمادى الاخرى سنة ٩١٩ هـ ، ١٥١٣ م . وليس من غرضنا أن نتتبع أثر الحملة بعد أن ابحرت من السويس ، ويكفي أن نشير إلى انها انحرفت عن غايتها الأولى ، وهي التصدي لمقاومة البرتغاليين في المحيط الهندي ، إلى محاربة اليمنيين .

استغرقت هذه الأحداث فترة من الزمن تمتد من سنة ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م الى ٩٢١ هـ ، ١٥١٥ م . أي أكثر من عشر سنوات . فكيف عالجهـــا النهروالي ؟ لنستمع اليه :

« ... فجهز السلطـــان (قانصوه) من كبار مقدميه الأمير حسين الكردي ، وأصحبه طائفة كبيرة من اللوند ، كبيرهم سليمان الريس ، وحجز لهم عمارة عظيمة ، وأغربة نحو الخمسين ، بمدافع كبيرة ، وضربزانات وولاه نيابة جدة ، وعظم شأنه . وكان مقداما شجاعا فاتكا ، كثير الظلم ، شديد السياسة . فأول ما جاء بنى على جدة سوراً محيطاً بها في عام سبع عشر وتسعماية ، حمل فيها التجار التراب والأحجار ، وهدم ما أراد من بيوت المسلمين ، وغصبها وأدخلها في البناء ، ووضع بعض التجار في وسط البناء ليبني عليه ، فخلص نفسه بمال كثير ، بعد الشفاعة فيه ...

« ولما فرغ الأمير حسين من بناء سور جدة ، توجـــه بأغربته الى الهند ، ودخل « الديو » ، واجتمع بالسلطان مظفر شاه ، وحصل منه امداد كبير غير أن الفرنج ارتفعوا الى كوّة (جوّة) ، وما أمكن الأمير حسين أن يستمر في الهند ، فعاد من غير عمل ، فوصل الى بندر كمران[2] ، ومعه

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٦ .

(٢) وهذه أخرى من تخليطات النهروالي . فان احتلال المصريين لكمران لم يقع بعد عودة حسين الكردي من الهند (حوالي سنة ٩١٥ هـ) أو بعد سنة ٩١٧ هـ كما يزعم النهروالي ، وإنما في بدء قيام الحملة المصرية الثانية ، وعلى التحديد في ١٧ ذي القعدة سنة ٩٢١ هـ . وفي هذه الحملة لم يذهب حسين الكردي إلى الهند .

العدد والآلات ، وكثير من عسكر اللوند ومنهم الأمير سليمان الريس ، وكان فاتكا شجاعاً ، ذا معرفة بالحروب ، خصوصاً بالمدافع والبنادق ». [1]

وأحسبني لست في حاجة بعد كل هذا الى تفصيل ما في حديث النهروالي عن تلك الأحداث من تخليط وتخبيط ، حتى ليصح فيه قول العامة : « من معرفته بالصحابة صلى على عنتر » ، فذلك أوضح من أن يحتاج إلى بيان .

اسطورة النهروالي :

ذلك هو النهروالي ، وهذه أسطورته :

« وقع في أول القرن العاشر ، من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول الفرتقال اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، الى ديار الهند . وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ، ويلجون في الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من جبال « القمر » ، بضم القاف وسكون الميم ، جمع أقمر ، أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق ، أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات [2] ، في مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتنكسر ، ولا ينجو منهم أحد . واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلص منهم غراب الى الهند . فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له « الملندي » [3] وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم ، لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج . فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في كوّه من بلاد الدكن قلعة يسمونها « كوتا » ، ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هنالك ، وصارت الامدادات تترادف عليهم من

---

(١) البرق اليماني ص ٢٠ .

(٢) كيف يكون مضيقاً وأحد جانبيه بحر ؟

(٣) Almirante نائب أمير البحر .

البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كـثر ضررهم على المسلمين ، وعم آذاهم على المسافرين . »[1]

مناقشة اسطورة النهروالي :

وبغض النظر عما في هذه الأسطورة من خلط وتشويش واضطراب ، وأخطاء تاريخية وجغرافية ، فانها لا تزعم ان أحمد بن ماجد هو الذي قاد البرتغاليين إلى الهند . بل انها على النقيض من ذلك تؤكد أن وصولهم اليها قد تم دون معونة من أحد ، وهو ما لا يتفق مع الواقع التاريخي . كما تؤكد ان ابن ماجـد لم يلتق بـ « الملندى » إلا بعد أن « خلص منهم [من البرتغاليين] غراب إلى الهند » واستمروا يترددون عليها . وان كل ما عمله أحمد بن ماجد ، هو انه ، بعد رجوع « الملندي » من الهند ، « علمه الطريق وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج » .

وأعتقد ، والله أعلم ، أن الأستاذ نجاتي صدقي ، كان محقاً كل الحق ، حينما قرر « إن الوصف الذي ورد على لسان المؤرخ العربي النهروالي ، ينطبق على رحلة دياز ، وليس على رحلة فاسكودي جاما »[2] ولا نعني بهذا ان كبير الفرنجة الذي صاحبه أحمد بن ماجد وعلمه الطريق في حال سكره ، كما يزعم النهروالي ، هو دياز ، وليس فاسكو دي جاما . فان ابن ماجد لم يجتمع بأي منهما ، ولا بأي برتغالي آخر ، وخاصة في التاريخ الذي تمت فيه زيارتاهما . وإنما نعني أن ذلك الوصف ، بغض النظر عن مصدره وتاريخه ، أقرب انطباقاً على رحلة دياز ، منه على رحلة دي جاما ، لأن منطقة رأس الرجاء الصالح ، هي المنطقة الوحيدة على الطريق فيما بين البرتغال والهند ،

---

(١) البرق اليماني ص ١٩ .

(٢) عبد الله الماجد ، العرب س ٣ ، ص ٧٠ ، عن الأديب عدد أبريل ١٩٦٨ ص ٣٠–٣٢ – لم يسعفني الحظ بالاطلاع على مقال الأستاذ نجاتي صدقي ، ولم استطع الحصول على نسخة منه في دبي حينما شرعت في كتابة هذا المقال .

التي يستلزم الوصول اليهـــا ، اتباع تلك النصيحة : « لا تقربوا الساحل في ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ، ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج » . فليس صحيحاً أن برثلميو دياز « نجح في اجتيـــاز رأس العواصف (رأس الرجاء الصالح) في ديسمبر ١٤٨٨ م ، مستعيناً طول الوقت بالملاحة الساحلية »[١]، وليس صحيحاً » ان أي ربان ماهر ، يستطيع أن يدور حول هذه الرأس ، محتضناً الساحل طول الوقت »[٢] . أو على الأقل لم يكن الوضع في رأس الرجاء الصالح بهذه الصفة حينما بـــدأ البرتغاليون يترددون عليه . فعندما أصبح دياز على مقربة من نهر البرتغال Orange River أثناء محاولته الوصول إلى طرف القارة الجنوبي ، عاكسته التيارات والرياح المضادة مدة خمسة أيام كان يجاوش[٣] خلالها دون جدوى ، ثم طوحت به الرياح جنوباً مدة ثلاثة عشر يوماً متوالية لم ير البر خلالها ، حتى تغيرت حرارة الجو ، وأخذ البرد يشتد كلما تقدموا نحو الجنوب ولما هدأت الرياح ، اتجه نحو الشرق ، وكان يعتقد انه ما يزال بمحاذاة الساحل الافريقي الغربي ، ولكنه لما لم ير البر بعد مدة ، اتجه شمالاً ، فجاء إلى ما عرف بعد ذلك بخليج اللحم Flesh Bay في جنوب القارة الافريقية ويقع الى الشرق من رأس الرجاء الصالح ، ثم واصل مسيره شرقاً إلى ان بلغ ما سمي بنهر السمك الكبير Great Fish River فجار بحارته بالشكوى وأجبروه على الرجوع . وأثنـــاء عودته إلى الغرب ، جاء إلى رأس الرجاء الصالح الذي كان قد تجاوزه من قبل دون أن يراه حينما طوحت به الرياح .

---

(١) الدكتور عبد العليم ، الفوائد .. ، العرب س ٤ ، ص ٨٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٣٩ .

(٣) جاوش ، يجاوش ، مجاوشة . من الاصطلاحات البحرية في الخليج : يعني التحايل على الريح . فمثلاً إذا كان هدف سفينة ما في مهب الرياح ، فانها تجاوش حتى تصل إلى غايتها ، أي تتحايل على الرياح بالانحراف إلى اليمين أو إلى الشمال ، والتوغل في البحر ، ثم العودة إلى الجهة التي بدأت فيها انحرافها ، مع انحراف نحو الجهة المضادة لانحرافها السابق ، مشكلة بذلك مـــا يشبه المثلث ، حتى إذا أصبحت محاذية لنقطة انحرافهـــا الأول ، أصبح هدفها خلف ظهرها ، فتتجه اليه ، وتكون الرياح عندئذ وراءها ، بدلاً من أن تكون في وجهها . ويمكن ترجمتها ترجمة دقيقة إلى الانجليزية بكلمة Tack .

أمّا فاسكو دي جاما ، فقد أفاد من تجارب دياز ، فلم يحاول الاقتراب من البر أثناء رحلته إلى رأس الرجاء الصالح ، وانما أبحر رأساً من البرتغال إلى جزائر الرأس الأخضر Gape Verde Islands ومنها اتخذ لنفسه طريقاً في وسط المحيط الأطلسي ما بين جزيرة اسنشن Ascension Island والبرازيل ، تجنباً للرياح العنيفة عند السواحل الأفريقية . ولمـــا ظن انه اصبح بمحاذاة رأس الرجاء الصالح ، بعد سفر استغرق ثلاثة أشهر لم ير البر خلالها ، اتجه نحو الشرق ، ولكنه أخطأ التقدير ، فقصر عن بلوغ هدفه بمسافة غير كبيرة نسبياً . وعندما اقترب من البر ، تعرض لعاصفة شديدة ، أشرف من جرائها على الغرق . فتذمر رجاله ، وطالبوه بالعودة إلى البرتغال ، ولكنه أصر على مواصلة السفر ، وهدد كل من يتحدث عن العودة بالقائه في البحر ؛ فتآمر بعض بحارته على التمرد والقاء القبض على قادتهم وسجنهم ، والعودة بالسفن إلى البرتغال ، غير أن أحد المتآمرين وشى بزملائه ، فألقى دي جاما القبض على قادة المتآمرين وسجنهم . وأخيراً ، وبعـــد جهود مضنية ، استطاع الوصول إلى رأس الرجاء الصالح . ومع ان المسافة بينه وبين نهر البرتغال ، لا تزيد على ثلاثة وثلاثين فرسخاً ، فقد استغرق اجتيازها اسبوعاً كاملاً ، من ١٦ إلى ٢٢ نوفمبر .

ثم جاء بعده بيدرو الفارس كبرال Pedro Alvarez Cabral وكان معه عدد من القادة المجربين من ضمنهم برثلميو دياز، مكتشف رأس الرجاء الصالح، وكثيرون ممن رافقوه ، أو رافقوا دي جاما . وحاول كبرال أن يستفيد من تجارب سلفيه ، دياز ودي جاما ، فأبحر رأساً إلى جزر الرأس الأخضر ، ومن ثم اتخذ الطريق الـتي اتخذها قبله دي جاما ، وسط المحيط الأطلسي . ولكنه بالغ في التطرف نحو الغرب ، فاكتشف ساحل البرازيل عـــن غير قصد . ثم اتجه رأساً إلى رأس الرجاء الصالح ، فلمـــا اقترب منه صادفته عواصف هوجاء ، أغرقت أربعاً من سفنه ، وكان برثليمو دياز نفسه من بين الغرقى .

تلك هي طبيعة الأنواء في رأس الرجـــاء الصالح ، كما وجدها رواد

الكشوف الاستعمارية البرتغاليون ، ولا ادري إذا كانت تغيرت الآن ،فأصبح أي ربان ماهر يستطيع أن يدور حول هذه الرأس ، محتضناً الساحل طول الوقت ، أم لا ؟ .

ولكن ماذا يعني صاحب تلك النصيحة ، كائناً من كان بـ « الساحل من ذلك المكان » ؟ .

إذا كان يعني به الساحل الافريقي الغربي ، أو أي جزء منه ، أو رأس الرجاء الصالح ، فقد جاءت نصيحته متأخرة جداً . لأن فاسكودي جاما ، كان على علم تام بها قبل سماعها منه ، وقد سبق أن طبقها عملياً ، كما رأينا ، تطبيقاً كاملاً ، عن وعي وإدراك ، فلم يقترب من الساحل إلا في المرحلة الأخيرة لخطأ في التقدير . ومع ذلك فحتى تلك المسافة القصيرة التي بقي عليه أن يقطعها حتى يصل إلى رأس الرجاء الصالح ، لم يحاول اجتيازها عن طريق الملاحة الساحلية ، وإنما كان يخرج إلى عرض البحر أولاً ، ثم يقوم بمحاولاته لاجتيازها . وقد فعل ذلك مرة بعد اخرى . وعلى الرغم من فشله المتكرر في محاولاته الأولى ، فانه لم يجرب الملاحة الساحلية لقطع تلك المسافة .

وإذا كان يعني بـ « الساحل من ذلك المكان » ، السواحل الافريقية الشرقية ، فان الوصول إلى أي من موانئها في الاحوال العادية ، لا يستلزم الابتعاد عن الشاطيء ، واتخاذ مثل تلك الأجراءات التي يوصى بها . وقد جرب فاسكودي جاما ذلك بنفسه .

أما اذا كان يعني به الطريق من ملندى إلى كليكوت ، فهناك ثمة طريقان طريق ساحلي ، يساير السواحل الافريقية إلى رأس حافون ، بل إلى باب المندب ، ومنه إلى عدن ، ثم يسير محاذياً لسواحل الجزيرة العربية إلى رأس الحد ، وينعطف شمالاً إلى رؤوس الجبال عند مضيق هرمز ، فيعبر البحر إلى الضفة الشمالية من المضيق ، وينعطف شرقاً فيساير السواحل الفارسية فالمكرانية ، حتى سواحل السند الشمالية . أما إذا كان هدف الرحلة في جنوب الهند ، كما كان الامر بالنسبة لفاسكودي جاما ، فيجب ان يواصل

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٨ -

من الدوادمي إلى عفيف : قال الأستاذ الخميس : ونمضي في طريقنا تعلو بنا ربوة الشُّريَف لنكون منها في الذروة عندما تحف جبـــلي البيضتين . والواقع أن الصحراء التي تحف بجبال (البيضتين) من ناحية الجنوب لا تعدو أن تكون شرفة تمثل حافة الصحراء الجبلية التي تحف ببلدة (الدوادمي)من الغرب ، وينفذ الطريق من الدوادمي عبر هذه الصحراء في انخفاض وارتفاع حتى يحاذي (البيضتين) على بعد (١٢) كيلاً من مدينة (الدوادمي) ثم ينحدر في سهل منخفض ليِّن يمتد بانحداره حتى يحاذي أطراف (فرائد أبي

سيره فيقطع السواحل الهندية الغربية من الشمال إلى الجنوب . ومن الممكن اختزال هذا الطريق بعض الشيء ، بالانتقـــال من رأس حافون إلى جزيرة سقطرة ، ومنها إلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم من رأس الحد إلى سواحــل السند . وهذا الطريق في حالتيه شاق وطويـــل ولا تسلكه في العادة حتى السفن المتجهة إلى شمـــال الهند . ولكن السفر فيه لا يستلزم الابتعاد عن الساحل والايغال في البحر . وقد شاهدت في جنوب الجزيرة اعداداً غـير يسيرة من السفن ، على مقربة من الساحل ، وهي في طريقها من البحر الاحمر ومن افريقية الشرقية ، إلى الخليج العربي .

أما الطريق الاخرى ، فتتجه من ملندي رأساً ، عبر المحيط ، إلى الميناء الهندية المعنية . ولكن ليس ما يدعو إلى تطبيق تلك النصيحة : « لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ،ثم عودوا ،فلا تنالكم الأمواج » بالنسبة اليها . والأرجح ان النهروالي ترامت اليه اصداء بعيـدة مشوشة ومختلطة عن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي فاستغلها ، دون تمحيص، في تلفيق هذه الحكاية السخيفة ، للتشهير بأحمد بن ماجد ، لغاية في نفسه .

(للبحث صلة) **علي التاجر**

دخَن) الشمالية . على بعد (٣٠) كيلاً من الدوادمي ، وقد ذكر الاستاذ أن الصحراء المحاذية (للبيضتين) هي الذَّرْوُ من الشريف ، وسبق أن تحدثت عن الشريف حديثاً شاملاً وذكرت عبارة الهجري تفيد أن ذَرْو الشّريف هو ما بين ثهلان وبين سَوْد شمام ، وأن هضبة تيْما الوقعة جنوباً من بلدة الشعراء واقعة برأس الذرو من الشريف ، وأنها مغرب الشمس من حصن ابن عصام، وتلك الناحية هي التي تعرف في هذا العهد باسم (الشرفة) و (الشُّريّفة) على حد تعبير البعض . أما ما جاء في عبارة الهمداني [١] حيث قال بعد ذكر مياه ثهلان : (وأسفل من ذلك – أي من مياه ثهلان ذرو الشريف وغلانه ومياهه ومن [؟] أيسرها البرقعة وخائع والنشّاش ، ماءان مقابلان لجمران ، الخ ، فالذي يبدو أن قوله : ومن أيسرها ، يقصد به أيسر مياه الشريف ، وليس المقصود به أيسر مياه ذرو الشريف ، بدليل أنه بعد ذكر خائع والنشاش استمر في ذكر مياه الشريف الشرقية على التوالي فذكر تزيد وعُكاشا والخنفس ، ثم أتبعها بذكر مياهه الجنوبية ، فذكر مأسل جاوة وعصيلا وطحيا ، الخ فهذه العبارة لا تتعارض مع عبارة الهجري في تحديد ذرو الشريف . أما في هذا العهد فإنني لم أسمع أحداً يسمى منطقة الدوادمي بهذا الاسم (الشريف) .

قال الاستاذ الخميس : ومن هذه الربوة تبرز أمامنا الأعلام ، وتنداح الأرض ، ونشاهد أعلام الجبال ذات الشهرة والمكانة في أشعار العرب وأيامهم وأخبارهم ، نشاهد منها (أبو جرادٍ) و (السِّمْنِيّ) و (البيضتين) ، و (النشاش) و (جمران) و (جَبَلة) و (الرشاوية) و (الشعيفية) و (وخَنْنُوقة) و (النضادية) ، و (ذُريع) و (شطب) و (ثهلان) و (أبو دخن) و (الحِذنة) و (الجملان) و (المصلوخة) .

ذكر الأستاذ الخميس من بين الأعلام التي ترى من جانب (البيضتين)جبل (جمران) و (النشاش) ، والواقع أن هذين العلمين لا يريان من هذا المكان ، لأن مرتفعات (السِّمنات) و (الخويبيات) وحُشَش

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص (١٤٧) .

(برقا) و (السَّدريات) تحول دون رؤيتها ، وقد أغفل ذكر بعض الأعلام التي ترى من هذه الناحية ، والواقع أن الأعلام التي ترى بالبصر من هذه الجهة هي كالآتي : ونذكرها على التوالي ، ونبدأ بما يقع منها شمالاً من الطريق : (البيضتان) (السمنات) (الخويبيات) (أبو جراد) (جبلة) (ضليعات أفقرى) ، (هضاب الشعيفية) و (شهباء خنوقة) أما ما يقع جنوباً من الطريق ، فهي : (الجملان)(أم المشاعيب) (الرُّدَيهات) (المصلوخة) (القرنيّات) (الخُذُنَة) (هضيبة الضلع) (ثهلان) و (تسيما) (أبو دخن) (فرايد أبو دخن) (شطب) القُنينة (قنينة الصباح) (ذُريّع) (النضّادية) (حمّة ذريّع) وسنتحدث عن هذه المواضع ، ونصفها وصفاً جغرافياً ونذكر ما حولها من القرى والمياه ، أما البيضتان ، والسمنات ، والخويبيات ، فقد سبق أن تحدثنا عنها ووصفنا معالمها ، كما سبق الحديث عن (جمران) و (النشاش) ، وهجرة (مُصيدّة) .

أبو جراد : قال الأستاذ الخميس : أما (أبو جراد) فقرن جبل أحمر منفرد كأنه مخروط هرمي ، يرى برأسه مثل الأنف ، تراه بعدما تنكب (البيضتين) يميناً ليس ببعيد عن الطريق ، والواقع أن الوصف الجغرافي لهذا العلم ، هو كما ذكره ، ويبعد عن الطريق مسافة (١٠) أكيال شمالاً ، وهو واقع شمالاً غربياً من جبال (البيضتين) وفي ناحيته الغربية هجرة (المليْنيّة) قرية صغيرة لقبيلة الملاتية من العصمة ، وقد أهمل الأستاذ الخميس ذكر هذه القرية كعادته ، كما أهمل ذكر قرى وادي الرشا وهجر جهام والشعيفيّة ، وأورد شواهد عند ذكر جراد ولم يشر إلى مصادرها ، كعادته في عدم ذكر كثير من مصادر البحث ، وعدم ذكر الجزء والصفحة فيما يذكره من مصادر ، ويبدو أنه نقل من « معجم البلدان » لياقوت ، وذكر أنه لا يستطيع تمييز المراد من الشواهد التي أوردها ، أهو أبو جراد ، الجبل الذي نتحدث عنه ، أم هو (جراد) الرمل المعروف حالياً (بنفود السر) وسنورد ما ذكره أصحاب المعاجم عن الموضعين ونحاول التمييز بينهما .

جراد : قال ياقوت[١] : جُرَاد بالضم ، بوزن غراب : ماء في ديار بني

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٦ — ١١٧ .

تميم عند المرّوت ، كانت به وقعة الكُلاب الثانية ، وقال جرير :

ولقد عركنَ بآل كعب عركة بلوى جراد ، فلم يدعن عميدا
إلا قتيلا قــد سَلبنا بزّهُ تقع النسور عليه أو مصفودا

وفي الحديث أن حصين بن مُشمّت وفـد على النبي ﷺ ، فبايعه بيعة الإسلام وصدّق إليه ماله ، فأقطعه النبي ﷺ مياهاً عدة منها : جُراد ، ومنها السُّدَيرة ، والثّماد ، والأصَيْهِب ، وقال نصر : جراد رملة عريضة بين البصرة واليمامة ، بين حائل والمروت ، في ديار بني تميم ، وهذه العبارات التي ذكرها تفيد أن جرادا موضع من ناحية المروت ، وبعضها يفيد أنه ماء ولكن البعض الآخر يفيد أنه رمل ، وأنه الناحية الجنوبية من نفود السّر ، وفي أبيات جرير التي أوردها ياقوت قال : بلوى جراد ، وهذه الجملة تفيد أن جراداً رملة . وقال الحسن الإصفهاني [١] : (وحائل بين رملتين جراد والأطهار ، وقال أيضاً [٢] : ثم في رملة يقال لها جراد ، من ناحية اليمامة ، ماءة يقال لها الرّباء ، لبني عبد الله بن بكر بن سعد بن ضبة ، وقال أيضاً [٣] : فإذا جزت أهوى فمن ورائها موَيهة يقال لها الأسودة ، من شاء وردها ، ثم تجوز فتعبر رملة يقال لها جراد ، وهي رملة عظيمة ، فإذا جزت جراد في مكان من حائل يقاله الهلباء ، وحائل فلاة واسعة فيها لقشير وباهلة ونمير ، وغيرهم) . فهذه العبارات التي أوردها الاصفهاني ، واضحة الدلالة على تحديد رملة جراد ، وأنها المعروفة في هذا العهد باسم (نفود السّر) .

وقال أبو علي الهجري [٤] : (وتتصل بعرجة الحُلة ويخرج منهـا إلى السرّ ، ثم من السّر إلى جراد ، وهي رملة من شق الوركة ثم تقع في المروت ، ثم في قرى الوشم) وتفيد هذه العبارة أن مسمى (جراد) يشمل رملة السّر . وقال الهمداني [٥] : (وجراد بناحية اليمامة ، وفيه يقول مالك بن حريم الهمداني في غزاة غزاها إليه :

---

(١) بلاد العرب ، ص (٢٤٣) .
(٢) بلاد العرب ، ص (٢٨٨) .
(٣) بلاد العرب ، ص (٣٦٦ - ٣٦٧) .
(٤) أبحاث الهجري ، ص (٢٣٤) .
(٥) صفة جزيرة العرب ، ص (١٧٠) .

وحيّ زبيـد يوم حابس قتّلوا ويوم بـني سعد شفيت غليلي
وخثعم أرويت القنا من دمائهـا بشفـّان حتى سال كل مسيل
وحيّ تميم إذ لقينا وسعدهــا برمل جُراد أهلكوا بذحول

وقال أيضاً [1] : (بطن حائل ، وهو بلد مثل يَد المصافح ، يرى فيه الراكب من مسافة نصف يوم في وسط رميلة يقال لهـا رملة الأطهار ، وفي أعلاه سوفتين ويحفه رمل جراد ، وهو منقطع ، وحده بين المروت وبين جراد) . ويتضح أيضاً من عبارات الهمداني وشواهده أن جراداً هي رملة (نفود السر) ، وسبق أن ناقشت هـذه العبارات التي أوردتها من كتاب « بلاد العرب » وكتاب « صفة جزيرة العرب » ، في بحث حائل والمروت .
وقال البكري : جراد بضم أوله ، وبالدال المهملة ، موضع ذو كثبان قال أبو داود :

فإذا ثلاث واثنتان وأربــع مشي الهجان على كثيب جراد

وقال آخر : أقول لناقتي عجْلي وحنـّت إلى الوَقبى ونحن على جراد

وكان لهمدان يوم على ربيعة بجراد ، وقال شاعرهم :

ويوم جــراد لم ندع لربيعة وأخواتها أنفالهم غير أجدعا

هذه الأقوال والشواهد كلهـا خاصة (بجراد) الذي هو رملة (السرّ) في هذا العهد .

ابو جراد : أما ما يختص بجراد – الجبل – قال ياقوت [2] : وسألت أعرابياً آخر : كيف تركت جراداً ؟ فقــال : تركته كأنه نعامة جاثمة ، يعني من الخضب والعشب ، قال ابن مقبل :

للمازنية مصطـــاف ومرتبــع مما رأت أود فالمقراة فالجَرعُ
منها بنعف جُراد والقبائض من واديجُفاف مرا دُنْيا ومستمع

أراد مرأى دنيا فخفف الهمزة ، وقال في « القــاموس » : جــراد ، موضع وجبل ، وقال صاحب « التاج » : قيل سمي الموضع بالجبل ، وقيل

---

(١) معجم ما استعجم ج ٢ ص (٣٧٣) .
(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٧ .

بالعكس ، وقيل هما متباعدان ، منه قول بعض العرب : تركت جراداً كأنهـــا نعامة باركة ، أي كثير العشب ، هكذا أورده الميداني وغيره . وقد أفاد صاحب القاموس وشارحه أن اسم (جراد) يطلق على موضع وجبل ، والوصف الذي ذكره ياقوت عن الأعرابي وذكره صاحب « التاج » عن الميداني ، ينطبق على جبل (أبو جراد) إذا جادت السماء بالغيث ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، وحفّت الأزهار بالروابي من حوله ، في حين أن هذا الوصف لا ينطبق في أي حال على رمال النفود الواسعة .

وبهذا نكون قد ميزنا بين ما ورد في ذكر (جراد) الجبل و (جراد) الرملة من الأقوال والشواهد .

قال الأستاذ الخميس : (الجملان) جبيلات سود متناوحة ينحدر سيلها على وادي الدوادمي . والواقع أن هذه الجبيلات تتخللها أودية ، وهي على شبه أكوام سود ، بعضها حول بعض ، وهي التي أشار إليها الشيخ محمد بن بليهد بقوله :

من َجوّ (داورد) هو يعرف مصاديره
واَلحيْد الأسْمر يذبّ خشوم ِقصّارهْ

فالجملان ، هي الحيد الأسمر ، وطريق القوافل القديم بين الشعراء والدوادمي ينفذ من ناحيتها الشمالية ، وفي أطراف هذه الجبال الشمالية يبدو جبل أسود بارز في مقدمتها يسمى (عبد الجملان) . وقد ذكر الخميس أن سيلها ينحدر على وادي الدوادمي ، والواقع أن سيل جوانبها الشرقية ينحدر على وادي الدوادمي ، أما سيل ناحيتها الغربية ، وما والاها فينحدر على وادي الشعراء .

قال الأستاذ الخميس : وترى أيضا من هـذا المكان هضبة (المصلوخة) غربي الدوادمي والجملان ، وهذه الهضبة بها آثار وكتابات وقبور ، فهي وما حولها ، وكل المنطقة أثرية وكلها غنية بالمعادن الكثيرة . والواقع أن هضبة المصلوخة واقعة غرباً من الجملان كما ذكر وشرقاً من بلد الشعراء ، ترى منها بالبصر ، وهي هضبة حمراء ، غير كبيرة . وسيلها وسيول ما حولها تنحدر

على وادي الشعراء ، وغرباً منها فيا بينهـــا وبين (هُضيبة الضّلع) تقع هضيبة (الصُفيّة) تصغير صفاة ، وهي هضبة شهباء صغيرة لاطئة بالأرض، يمر بها طريق القوافل القديم ، تبعد عن بلد (الشعراء) (١٣) كيلاً تقريباً ، وهي التي ذكرها الشيخ محمد بن بليهد بقوله :

ومنَ الصفيّة نشوف الناس والدّيرَه دارٍ سقاها حقوق المزن بامطاره

الحـُذُنِيّ : (حـُذُنـّة) قال الخميس : جبل (الحذني) شرقي ثهلان ، وجنوبي غربي الدوادمي ، يشاهد على بعد ، وكان قديماً يسمّى (حُذُنة) . وهذا التحديد واقعي بالنسبة للدوادمي ولثهلان ، أما بالنسبة لبلدة الشعراء فهو يقع شرقاً جنوبياً ، يرى بالبصر ، وهو قرن أسود فاحم له ظهر ممدّد ، وفي قمته ثلم فيه رِسٌ عذب ، قـــال ياقوت : [١] (الحذُنـّة : بضمتين ، وتشديد النون ، وهو في اللغة اسم الأذن ، وهي اسم أرض لبني عامر بن صعصعة ، قال محرز بن المكعبر الضّبي :

فدى لقومي ما جمّعتُ من نشب إذ لفـّت الحرب أقوامـاً بأقوام
إذ خبرت مذحج عنا وقد كذبت أن لن يروّع عن أحسابنا حامي
دارتْ رحانا قليلاً ثم صبّحهم ضرب تصيّح منه جـــلة الهام
ظلت ضِبَاع (مجيرات) يلذن بهم وألهـــوهنّ منهم أيّ الحام
حتى (حُذُنـّة) لم تترك بها ضبعا إلا لهـــا جزر من شلو مقدام
ظلت تدوس بني كعب بكلكلها وَهَمّ يوم بـــني نهدٍ بإظلام

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر ذكر (مجيرات) وذكـــر (حذنة) وتفيد الأبيات أن هذين الموضعين قريبان من مدار المعركة ، والواقع أن (الحذني) يقع فيما بين (مجيرات) وبين بـــلد (الشعراء) وكلا الجبلين ـ حذنة ومجيرات ـ يرى من بلد الشعراء ، صوب مطلع الشمس .

وقال الهجري[٢]: (والكلاب واد به سدر وطلح، ويجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ، علم أسود به الوحوش عرضه يوم ، به : فلجا (قَلَحَى ؟) ،

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص (٢٣٣) .
(٢) أبحاث الهجري ص(٢١٦) .

وذويقن ، والريان ، والرّيا، والأطـيّا ، والبريض ، خسف به ماء . وكل ما أسمينا الشريف . حذّنة : هضبة عن الكلاب بميلين ، تدفع في الكلاب) .

والواقع أن سيل (الحذني) وما حوله ينحدر في واد كبير ، ويتجه صوب بلد الشعراء ، ويلتقي بوادي الشعراء في ناحية البلد الجنوبية ويسمى هذا الوادي (أبو عشيرة) ، وهو الذي ذكره الشاعر عمر بن ماضي من أهـل الشعراء بقوله :

الله على اللي يشوق العين ممشاها   هي منوة اللي تويلي الليل تسري به
ليا رفّعوا للنضا واقلتْت خطاها   خطرٍ على كورها تكسَرْ مصاليبهْ
تسرح من(العَدْل)و(المصلوب)ممساها   أسبق من اللي مْكرّبةٍ لسَوَاليبهْ
وتَجْهم وتصبح منشّرة لفلاهـا   وكل تبجّج بْنخِلانه وأصاحيبه
يا الله من مـــزنةٍ تـــبرق بمنشاها
تسقي(الرفايـع) وتسقي (الغَمْق) وشْعيبه
كل تلعة حوّلت تكظّ بِمْلاها   وأبو عشيرة تقحّمْ من جـــاذيبه

من قصيدة طويلة ، وسنتحدث عن الكلاب وروافده حينما نأتي على الحديث عن الشعراء .

القرائن : قال الأستاذ الخميس : وإذا انحدرنا من هذه الربوة وأخذ بنا الطريق في شاطىء (التسرير) الجنوبي الشرقي ـ وادي الرشا كما يسمى الآن ـ فهناك جبلان صغيران نراهما يسارنا بعد أن ننكب (ابو جراد) هذان الجبلان يسميان القرائن نراهما أول ما نراهما يحولان بيننا وبين مرآى جبلي شطب وأبي دخن .. ونجتاز حينئذ وادي دَلْـعة . والواقع أن ما جاء في هذه العبارة بعيد عن الواقع فيما يخص هضبتين (القرينتين) وكذلك فيما يخص وادي (دلعة) وسنناقش العبارة بشأن هضبتي (القرينتين) ثم نكمل عبارته عن وادي (دلعة) ونتحدث عنها بالتفصيل .

القريّنات : أو (القريّنتين) كما يقول البعض : هضبتان سوداوان متجاورتان ، يعرفان عند عامة أهل هذه الناحية باسم (القرينتين) والبعض يقولون (القرينات) وهذه هي التسمية الشائعة لهاتين الهضبتين المتجاورتين ، ولأمثالها من الهضاب المتجاورة ، ويقعان جنوباً غربياً من (البيضتين)

وشمالاً شرقياً من بلد (الشعراء) تراهما من بلد الشعراء مرتفعتين ، وهما بالنسبة للطريق المعبد يقعان جنوباً منه على بعد (٤ أو ٥) أكيال . قال ياقوت(١):
القرَينتان : هضبتان طويلتان في بلاد بني نمير ، عن أبي زياد .

وقد ذكر الأستاذ ابن خميس أنه يراهما على يساره حين يأخذ به الطريق في شاطىء (التسرير) والواقع أنك تنكب هاتين الهضبتين ، وأنت بعيد عن شاطىء (التسرير) وادي (الرشاء) في هــذا العهد ، بينك وبينه مسافات شاسعة ، ثم قال بعد عبارته السابقة : بعد أن ننكب (أبو جراد) وما دام أنه يراهما على يساره حين ينكب (أبو جراد) فكيف يكون حينئذ في شاطىء (التسرير) .

وذكر الأستاذ الخميس أنه يراهما أول ما يراهما يحولان بينه وبين مرأى جبلي شطب وأبي دخن ، والواقع أنهما لا يحولان دون رؤية جبل أبي دخن أو جبل شطب ، ذلك لأن أبا دخن وشطبا جبال كبيرة عالية ترى من بعد مرتفعة على ما حولها من الجبال ما عدا جبل ثهلان ، ولأن القرينتين أصغر منهما بكثير ، وهما قريبتان من ناحية البيضتين بينهما وبين أبي دخن صحراء فسيحة ، أما شطب الواقع غرباً من أبي دخن فبعيد منهما كل البعد ، فحينما تواكب البيضتين وتبرز أمامك الأعلام تشاهد القرينتين بارزتين على يسار الطريق قريبتين من النظر ، وتبصر وراءهما بعيداً من اليمين (فرائد أبي دخن) ممتدة عن يمينه يحف الطريق من طرفها الشمالي ، ويليهمــا من الجنوب جبل (أبي دخن) لازق بها ، وتطالع أيسر منها وراءها جبل (شطب) جبل كبير أسود عالي ممتد من الشرق إلى الغرب ، شمالي جبــل ثهلان ، لا يحول دون رؤية هــذه الأعلام أي حائل ، وسنمر عليها على التوالي ، في سياق البحث ، ونتحدث عنها .

قال الأستاذ الخميس : ونجتاز حينئذ وادي (دلعة) وهو واد ينحدر من شرقي ثهلان مشملاً ليصب في وادي التسرير ـ الرشا ـ وبهذا الوادي ماءة تسمى باسمه دلعة ، بعده ينشعب طريق (الشعراء) متجهاً جنوبــاً وعلى

(١) معجم البلدان ، ج ٤ صفحة ٣٣٧ .

مسافة ما يقرب من سبعة عشر كيلا ، ثم أورد عبارة للشيخ محمد بن بليهد عند ذكر الرشا ، هـذا نصها : ويصب في ذلك الوادي أي الرشا ، وادي دلعة ، البلد المعروفة لجماعة من الدعاجين ، ورئيس هذه الجماعة ابن عقيّل وهم يقال لهم (ذو وخيوط) ثم يندفع متجهاً جاعلاً جبل (ثهلان) عن يمينه ، ثم يجتمع بالرشا مع أودية ثهلان .

ومن الملاحظ أن الخميس لم يلاحظ الاختلاف بين عبارته في تحديد (وادي دلعة) وبين عبارة ابن بليهد فالخميس يرى أن وادي (دلعة) هو الوادي الذي يجتازه الطريق شرقاً من جبل (أبي دخن) شمالاً من جبل ثهلان ، وابن بليهد يرى والصواب ما ذكره ـ أن وادي دلعة يصب في وادي الرشا الذي يقع غرباً من (ثهلان) ويترك ثهلان يميناً منه ، ولندع الحديث عن وادي (دلعة) وروافده ومائه ضمن الحديث عن مياه (ثهلان) ونعود إلى الحديث عن الوادي الواقع بين (القرينتين) وبين (أبي دخن) والذي ذكره الخميس باسم (وادي دلعة) .

الواقع أن هذا الوادي يقع شرقا من فرائد (أبي دخن) وسيله ينحدر من العبلة الممتدة من جهة فرائد (أبي دخن) الشرقية ويسير صوب الشمال ، تاركاً فرائد (أبي دخن) غرباً منه ، وليس له اسم قديم يعرف به ، لأنه من الروافد الفرعية التي لم تشتهر بأسماء ، ويلتقي بعد تحدُّره برجلة أبي دخن التي تغيض في الرشا (التسرير) قديماً ، أما في هذا العهد فإنه يسمى شعب الهواوية ، وذلك أن رجلاً من الروقة يسمى الهواوي اكتشف في أسفله بئراً جاهلية عذبة المياه فاحتفرها ، وسميت (الهواوية) نسبة إليه وهي تقع شمالاً من الطريق المعبّد .

الشعراء : قال الأستاذ الخميس : و (الشعراء) بلدة قديمة ذات زرع ومدر ، تقع تحت (ثهلان) شرقيه ، حدّدها شاعر شعبي له حبيبة بها فقال :

الصاحب اللّي جرّح القلب تجريح   تجريح سيلٍ في عسير المحاني
الصاحب اللّي تحت هاك اللحاليح   يكسر عليه العصر في ذهلان

والواقع أن بلدة (الشعراء) هي كما ذكر قرية قديمة ولا تزال عـامرة بالسكان ، واقعة في جانب جبل ثهلان من ناحية الشرق ، تطل عليها أعظم قمة من ذلك الجبل فيفيء عليها ظله بعد العصر .

أما البيتان اللذان أوردهما شاهداً فيهما من قصيدة للشاعر الشعبي عبد الله اللوح ، وهي كالآتي :

عز الله إني واله القلب ومْريـح — لَين اعترضْ لي بالهوى مُودِمَاني
الصاحب اللّي جَرّحَ القلب تجريح — تجريح سيل في عروض المحـاني
لولا الحيا لطَـوّحَ الصوت واصيح — على عشير عنه شَطنْي نَحـاني
لا واعشيري قدّ هاك اللحاليـح — يكسر عليه العصر في ذهلانِ
سقى دْياره مُرزمات المراويـح — آمين يا للّي ترزق المودمـاني

وقد وردت في ديوان اللوح المطبوع بهذه الرواية ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الشّعْراء ، وكثيراً ما يـأتي ذكرها مقروناً بذكر جبل ثهلان ، قال شاعر من أهالي الشعراء :

إذا مررتم على ثهلان فانْشِدوا — حيّوا البقاعَ وحيّوا السهل والجبـلا
ألقوا السلام على الشّعْرا وساكنها — لا زال ربي يحمي ذلـك الطللا

وقال الشيخ محمد بن بليهد – رحمه الله – [1] :

عسى السحابَ اللّي ورا النّيْـر له ضُوْحْ — لا رَنّ رعّاده وهبّتْ له الريح
يمطر على دارٍ محاذٍ لهـا صُوح — غربٍ وهي شرقٍ عن أم المراويح[2]
يا ما وقف في جالهـا كل ممدوحْ — مِدْهال سَمْحينَ الوُجيه المفاليـح
بواد إلى سالت مغانيـه له نوُحْ — بالعشب والقيصوم والرمث والشيح
يرعاه فيها فات ثبتانٍ وطلوحْ — وبَرقا متَيّهة البكار المواضيح

وقال سعد بن حمد بن ضويّان من أهالي الشعراء ، وقد انتقل منها وزرع في (القرّين) الواقع غربي (جبلة) والذي أصبح في هـذا العهد هجرة

---

(١) ابتسامات الايام ص (٣٠٨) .

(٢) أم المراويح : واد يقع في ناحية ثهلان غرباً من الشعراء .

لقبيلة الدّلا بِحَة ، وقد طلع هضبة جبلة للقنص ، ومن رأس جبلة بداله جبل ثهلان ، وهو مطل ٌ على بلدة الشعراء :

عدّيت في ضلـــع كثير الحجاره ْ ... في مَرْقب مدْهال دُغمَ الخَشْوم ِ
يا قصر ياللي شفت ْ حِليـا سماره ْ ... في ظـل ّ مَلوم ِ برأسه رُجوم ِ
يا زين فيــه الصّيد تلعب جفاره ْ ... ومرَبّضات ِ دونهــن القَحوم ِ
يا زين صوت المِلح عَجْل ِ مثاره ْ ... واقفن َ عجلات ِ تقل خَيل روم ِ
أطرب ْ لزعج الدم زين انتشاره ْ ... جاله على خطو الصفايح رُشوم ِ
طرده وَلَع ْ والا ّ ان ما به تجاره ْ ... الله يلوم اللّي لحـــالي يلوم ِ

وقال محمد بن سعد الحقي ، شاعر من أهل الشعراء وقد انتقل منها :

أحب ّ نجد وخاطري منه مشتان ... مِشف ِ على شوفة جباله وخَده ّ
شَفـّي على شوفة مراقيب ثهلان ... وارجومه اللـّي مثل روس الأشده
شفـّي على شوفه ومن فيه سكان ... حضره وبَدو ِ نازلـــين بمَهَد ّه
ما أقبل به التسرير لأطراف كبشان ... وما حَد ّ ِته عَزْوى على المستجد ّه
زين َ التـَمَشي فيه من غب ّ ودان ... هَواً عَذي ّ ورقــّــة بِجَرهد ّه

إلى غير ذلك من الأشعار التي لا حصر لها ، ومن ذلك مـا قاله فيحان الرقـّاص الحافي الروقي ، وقد كسرت رجله في إحدى المعارك ، فنقل إلى (الشعراء) كسيراً ، وفيها جبرت رجله وأقام فيها فترة طويلة حتى برئت رجله ، وقد احتفى به أهل الشعراء وأكرموه مدة إقامته فيها :

يقول حـافي مولـّع وميــــلاع ْ ... لاعه من الدنيا تعوس ْ وغرابيل
منه اليقين وخزْنة القلب تنلاع ... كا يلوع الهيف لدن السنابيل
ومصونعة من ضيقة الصدر صوناع ... صوناع قول عقال من يبدع القيل
يا راكب اربع رُبّع من عقب مرباع ... أربع سنين مربّعات ِ وهن ِ حيل
عوص ِ عصاومع العصا عوص وأطواع ... شعل ِ شمَعليّات رمل مرامِيل
فج مناكبهن عَـن حَس ّ الاكواع ... يعرَج بهِن ّ ليـا عَطن ّ الدواهيل
ما فوقهن إلا الجواعد والانطاع ... وعيال في سود الغداري دواليل
تقلـّلَـن من ديرة المـد ّ والصاع ... دار سميحه مَير أهلهـــا مشاكيل

وليا ركبتوا خلّوا الهجن زوماع   سجّوا ولجّوا والركايب زرافيل
لهن عقب العصر بغثاةٌ منشاع   منشاع مرميّات خطو المغازيل
والدرب من بين العرايس ليا تاع   وعصير تيمٌ الخنفسيّه مخاليل
عدّوا فريدة شِعر حيث انه اسناع   وإن ما كفاكم شوف مدّوا درابيل

وقصد بقوله (دار شحيحة) بلدة الشعراء ، أي أن مصادر الرزق فيها ضيقة ولكن أهلها كرام طيبون ، وتشتمل بلدة (الشعراء) في هذا العهد على مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات ومكتب بريدي ، ولها طريق معبد يربط بينها وبين طريق الرياض ـ الحجاز طوله (٢٠) كيلاً ، وموقعها الجغرافي محفوف من ناحية الغرب بمرتفعات جبل (ثهلان) العالية أما من الجهات الأخرى فيحف بها سهل دمث طيب المرعى يمتد فسيحاً صوب الشمال والجنوب وينداح شرقاً إلى صدر (الجعلان) و (المصلوخة) و (أمهات رقبة) و (مُجَيرات) ، وجنوباً منها تشاهد على بعد (٨) أكيال تقريباً قرية (الرفايع) ، وفي وسط جبل ثهلان (على بعد (٨ ـ ٩) أكيال تقع قرى (الشُبرمية) وهي في واد يفلق جبل ثهلان من الجنوب إلى الشمال ، وتحف به سلاسل جبال عالية وعلى ضفتيه تمتد النخيل والقصور من بدايته إلى نهاية أطراف الجبل الشمالية ، ويكثر فيه بقدر ملحوظ شجر الشبرم ، وسكانه من أهل الشعراء ، وهو الذي ذكره الشاعر الشعبي عبد الله بن رمضان بقوله :

عسى شعيب الشبرميّه يغايل   والسيل يبطي ناقع في حوايله
والسّلع والريّان والضلع كله   تصافق تلاعه كالبحور متعايله

وسنأتي على ذكر السلع والريان فيما بعد ، وسيل وادي الشبرمية يلتقي بوادي الشعراء جنوباً من خشم (شطب) الشرقي .

وقد ذكرت (الشعراء) في كتب المعاجم القديمة بهذا الاسم ، وأورد الأستاذ الخميس طائفة من أقوال أصحاب المعاجم عند ذكرها .

وتُعرَف (الشعراء) عند المتأخرين أيضاً باسم (الشُريفة) تصغير (الشُرفة) نسبة إلى منطقة الشُريف وقد ورد ذلك في الشعر الشعبي

نَمَطٌ من التّحقيق

عُنِيَ المتقدمون من علماء العربية بالتحقيق والتدقيق ، وعُرِفوا بالضبط والإفادة حتى تهيأ لهم منهج قويم ، قائم على أسس متينة . ولعلّ عنايتهم بكلام الله العزيز وقراءاته والعمل على ضبط أصولها ، ثم عنايتهم بالحديث الشريف وأسانيده ورُواته ، كل ذلك قد دفعهم إلى أن يأخذوا أنفسهم بالصعب من المسالك ، فيضبطوا ويجيدوا في علومهم المختلفة . ولعل بسبب من ذلك فطنوا إلى « التصحيف والتحريف » وما نتج عنها في المنثور والمنظوم . وبسبب من ذلك أيضاً دفعوا إلى تدوين « المشتبه » .

لقد اندفعوا في ميدان التأليف فصنفوا وكتبوا ، وصنعوا واختاروا ،

كثيراً ، وسبق أن بحثنا ذلك وذكرنا طائفة من الشواهد عند ذكر (الشريف) .

أما الأعلام التي تشاهدها ببصرك وأنت في (الشعراء) فهي : هضبة (ثَنيا) وقد مر ذكرها في بحث (الشريف) و (معيقل) وعَبَل معيقل وهو جبل أبيض ، وكلها جنوباً ، ومجيرات و (حذنّة) ، و (رُيية) هضبة حمرا تشبه الرئة ، و (أمهات رقبة) هضاب حمر لها رؤوس مرتفعة ، و (الرُدَيهات) ، و (أم الدّيبان) هضبة حمراء صغيرة ، و (المصلوخة) و (الجعلان) و (الصفية) و (الهضيب) ، وكلها شرق ، و (البيضتان) ، و (القرينات) و (أبو جراد) وكلها شمال شرقي ، و (القنينة) جبل أسود ، و (أبو دخن) و (فرائد أبي دخن) وكلها تقع شمالاً ، وترى أحياناً (هضبة جبلة) صوب الشمال ، وقد مضى الحديث عن بعض هذه الأعلام في بحث الشريف والبعض في سياق هذا البحث ، وسنتكلم عن الباقي فيما بعد إن شاء الله ، كما سنتحدث عن جبل ثهلان ومياهه وداراته وأوديته وعقباته فيما يلي .

(للحديث صلة) الدرادمي سعد بن عبد الله بن جُنيدل

وهم في مجموع ذلك مدققون مقابلون موازنون . كأن تقرأ في مخطوطة قديمة أن صاحبها قد نظر في الأصل الذي صنعه لنفسه فلان ، فجاء فيه كيت وكيت ، ثم نظر في الأصل الذي صنعه آخر فجاء فيه كَيْتَ وكَيْتَ في الموضوع نفسه ، فأخذ من هذا وذاك توخّياً للصحة والضبط .

أريد أن أقول : إن تحقيق النصوص ليس من مبتدعات عصرنا الذي أخذ فيه المؤلفون بالمنهج العلمي . وليس من مبتدعات المستشرقين على إبداعهم وإجادتهم في نشر ذخائر التراث العلمي العربي كما يظن طائفة من شبّان عصرنا ، فقد بدأ علماء المسلمين بهذا النهج العلمي ، وأخذوا أنفسهم بكل صرامةٍ في سبيل الوصول إلى الحقيقة . وليس أدلّ على هذا من الخدمة الصادقة التي أولوها للحديث الشريف فانتهت تلك العناية بتوصلهم إلى « علوم الحديث » .

غير ان من الحق أن أقول : إن المستشرقين قد عُنوا بتراثنا فنشروه نشراً دقيقاً بتوفير الأصول المخطوطة التي قابلوا بينها للوصول إلى (حقيقة النصوص) . ثم جاء المتعلمون من أبناء العرب ليسيروا على النهج الصحيح في نشر المخطوطات وبذلك تمّ إحياء طائفة ضخمة من مخطوطاتنا في علوم مختلفة .

ثم خلف من بعدهم طائفة من العاملين فتصدوا للنشر وإحياء التراث ، حبّاً وخدمة واحتساباً فشقوا على أنفسهم وأخذوها بما يجب وما لا يجب . وكان من ذلك أن ظهر نمطٌ جديد أو منهج صعب سأعرض له في هذه الإلمامة الموجزة .

من المفيد أن أشير إلى أن هذا المنهج الصعب قد أخذ به المستشرق الالماني (ريتر) حين نشر « أسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجاني ، كما أخذ بشيء منه المستشرق الأمريكي (فون كرونباوم) . ثم جاء زملاؤنا وإخواننا من أبناء العروبة فصنعوا صنيعها وكلفوا أنفسهم عناءً ، والتزموا بـ (ما لا يلزم).

نقرأ في « أسرار البلاغة » للجرجاني شواهد بلاغية من أشعار المتقدمين جاهليين وإسلاميين وعباسيين ، فكان على المحقق أن ينسب من هذه الشواهد

ما لم يكن منسوباً إلى قائله ، أو أن يضيف فوائد أخرى تخدم النصّ مَبْنى ومعنى ، كأن تكون للبيت رواية أخرى أو كأن يكون البيت قد شاع بوجه غير مقبول ، فجاء المحقق وأثبت الرواية الصحيحة المليحة ، أو كأنْ يكون البيت قد شاعت نسبته خطأً إلى شاعر ، والصحيح الذي غاب لسبب من الأسباب أن ينسب إلى آخر ، وما أكثر هذا في الشعر القديم .

لم يهتم (ريتر) كثيراً بهذه الفوائد بالرغم من خدمته الدقيقة للنص ، ومقابلته بين الأصول المخطوطة للكتاب ، بل راح يذكر المظانّ التي ورد فيها الشاهد . ولا بُدّ لي من ذكر الأمثلة على ذلك فأقول : جاء في ص ٢٤٥ من نشرة ريتر لـ « أسرار البلاغة » :

وكذلك قوله [من الطويل]:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكته وإنْ أنتَ أكرمت اللئيم تمرّدا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مُضِرٌ كوضع السيف في موضع الندى

إنه حسن أن يزيد الناشر فيشير إلى بحر(البيتين)، ولكنه يعود فيقول في الهامش تعليقاً على البيتين : (للمتنبي ديوانه ١/٢٨٨) . ولو اكتفى بهذا لكان عمله في غاية الحسن ، بل يعود فيقول : (الواحدي ٥٣٣، البازجي ٣٨٧ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، الكشكول مصر ١٣١٨) ١٣٨ دون الإشارة إلى اختلاف الروايات بين هذه النشرات .

أقول: إنّ النص على أن البيتين وردا في شرح الواحدي لديوان المتنبي ، والصبح المنبي للبازجي ، والكشكول للعاملي مما لا فائدة فيه ، ولا يمكن أن يضيف شيئاً من الفوائد في النصوص المحققة ، ذلك أن البيتين من الأبيات التي يستشهد بها من شعر المتنبي . ومن أجل ذلك لم يجد المؤلف الجرجاني حاجة إلى نسبتها فيها معروفان . ثم لماذا تجاوز الناشر طبعات ديوان المتنبي إلى «الكشكول»؟ هل يعني هذا أن « الكشكول » هو الكتاب الوحيد الذي ورد فيه البيتان بعد الديوان ؟ أليس من المؤكد أن البيتين قد وردا في كُتُبٍ كثيرة ؟ فإذا كان قصد المحقق أن يذكر المظانّ التي ورد فيها البيتان فلم اكتف بالديوان في بضع من طبعاته مُضِيفاً إليها « الكشكول » مع أن « العاملي » صاحب

« الكشكول » من المتأخرين ؟ ثم إن هذا الأسلوب لا يحقق « التمالم » إن كان يصبو اليه ، ذلك أن طائفة أخرى من المظانّ قد تقدم أصحابها على «العاملي» صاحب « الكشكول». ومن ذلك ما جاء أيضاً في ص ٢٩٥ من الكتاب نفسه :

فلم أرَ ضرغامينِ أصدق منكما عراكاً إذا الهيّابة النّكْسُ كذّبا

وقد علق المحقق المستشرق (ريتر) في الهامش : « ديوانـــه » ١ / ٥٢ (البحتري) ، والمخطوطة ١٢١ من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته الأسد . أقول : ربما كان التعليق عند هذا القدر مفيداً إلا ان المحقق أضاف إلى هذا : « غرر الفوائد ٢٣٠ — ٢٣١ » .

وما أظن ان باثبات كتاب « غرر الفوائد » تنتهي المظانّ الكثيرة ولا سيّما البلاغيّة التي ذكر فيها البيت ، فـإذا كان الأمر على هذه الحـال وكان استيفاء المظانّ أمراً يخرج عن الطاقة فلِمَ ركوب هذا المسلك الوعر ؟

أكتفي بهذين المثلين من هذا الكتاب الذي حققه المستشرق (ريتر) فأحسن تحقيقه من حيث ضبط النص والموازنة بين الاصول المخطوطة والتعريف بالكتاب بالمقدمة العلمية الدقيقة وتذييله بالفهارس النافعة .

وصنع اخوان لنا من فضلاء المحققين صنع المستشرق (ريتر) ، فأنت تعْجَبُ من الجهد الكريم الذي بذله الدكتور رمضان عبد التواب فجاء بكل مفيد ، ولكنه التزم بما لا يلزم من تخريج الأبيات في كتاب « قواعد الشعر » لثعلب وكتــاب « المذكر والمؤنث » للمبرّد وغيره . أقول : لو كان العمل ينصب على تحقيق « معجم لغوي » والمعجم من الكتب المطـوّلة فماذا يصنع المحقق ؟ أيسلك فيه سلوكه في هذه الكتب التي أشرنا اليها ؟ ثم ما جدْوَى ذلك إن اقتصر الأمر على مواضع ورود الشاهد دون أن يضيف فائدة من نسبه أو تصحيح نسبةٍ أو إثبات فائدة تاريخية ؟

ومن المفيد أن أشير إلى الجهد الرائع الذي بذله الدكتور رمضان عبـــد التواب نفسه في تحقيق رسالة « الحروف » الذي أشار في المقدمة إلى أنهـا لا يمكن أن تكون من كتب الخليل بن أحمد . ولكنه مــع ذلك مضى في تحقيقها متّبعاً منهجاً علمياً دقيقاً من حيث مقابلة الأصول المخطوطة ، ثم زاد فخرّج الشواهد التي لم تصح نسبتها إلى قائليها وجُلّهم من الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ثم إن النسبة لهذه الشواهد تختلف بـــين مخطوطة وأخرى

للرسالة نفسها ، كنت أودّ أن يوفر الزميل الكريم هذا الجهد المضني لشيء أكثر أهمية من كتب اللغة وما أكثرها .

ومن منهج التحقيق في أيامنا أن يعرف المحقق بالأعلام وهو شيء حسن شريطة أن يكون العلم ممن لم تعرفه إلا خاصة الخاصة ، أو أن العلم قد ورد مشاراً إليه بشهرته ولقبه أو كنيته فيكون من المناسب تعريفه بإيجاز كأن يقال (أبو عمرو) فيشار إليه أنه أبو عمرو الشيباني ، وليس أبا عمرو ابن العلاء لأنّ الثاني يذكر على الأكثر كاملا أما الأول فيكتفي فيه بالكنية. أو قد يرد العلم بشهرته كأن يقال : كقول الطائي ولا بد من الإشارة إلى أنه أبو تمّام لغلبة (الطائي) عليه أكثر من البحتري الذي ينص عليه بـ (البحتري) أو أبو عبادة . والأغلب أن لا يراد بالطائي (حاتم) لأن ذلك يذكر بقولهم (حاتم الطائي) .

أما ان يترجم كل علم فليس ذلك من التحقيق في شيء ، ولست أرى وجهاً للتعريف بـ (علي بن أبي طالب) و (عمر بن الخطاب) و (عثمان ابن عفان) و (أبو بكر الصديق) و (امرؤ القيس) و (عنترة) و (الفرزدق) و (جرير) و (الأخطل) وغيرهم وغيرهم على نحو ما فعل غير واحد من المحققين في أيامنا .

ثم كيف يجوز لزميل من أصحابنا العاملين أن يترجم لأبي علي الفارسي ، وهو العلم المشهور في هامش كتاب حققه ، ثم يأتي إلى أبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب فيقول في الهامش أيضاً : (وهو أكبر من أن يترجم له في هذا الهامش) !! أيكون الخشاب أعرف من أبي علي الفارسي إمام النحاة في عصره ؟ . غير أن من المفيد أن أقول أن التعليقات التي يحررها المحقق قد تطول كثيراً شريطة أن تزيد في معارف القارىء عالماً كان أم غير عالم أو كان من الشداة المبتدئين . وخير مثال على هذا يحسن أن أورد كتاب « تكملة إكمال الإكمال » لابن الصابوني الذي حققه أستاذنا الدكتور مصطفى جواد — عليه رحمة الله — فقد كانت تعليقاته ثرّية سرية جمع فيها فوائد نفيسة . ولكن هذا النمط من التعليق لا يتيسّر إلا للعلماء الكبار .

ولقد قرأت كتاب « الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الالمانية» للمستشرق الالماني (رودي بارت) وقد نقله إلى العربية الدكتور مصطفى ماهر . وهو من الكتب النفيسة النافعة غير أن المترجم قد أساء صنعاً بسبب من جهله بالعربية ونفائسها . لقـــد جاء في الصفحة الـ ٦٧ في الكلام على (يوزف هوروفيتس) المستشرق الألماني : انه نشر « دراسات شنفرة «كذا» سنة ١٩١٤ » فعجبت كيف يتصدى أحد لترجمة هذا الكتاب وهو يجهل « الشّنفرى » .

وجاء في الصفحة ٨١ « كتاب الردة لوطيمة » وقد استحال (وثيمة) صاحب « كتاب الردة » إلى وطيمة بالطاء وهو من أعجب العجب !

ولست أدري كيف لم يسمع مترجم يتصدّى لترجمة كتاب يتصل أغلبه بعلوم العربية فيثبت في ترجمته (أسرة يزيدي وأثرها في البلاط العباسي) ويريد بذلك « اليزيديون » وهم أسرة اشتهر جماعـة منهم باللغة والنحو وهم معروفون في كتب الطبقات النحوية . ولا أعرف إن كان العباسيون قـــد استعملوا (البلاط) للدلالة على قصورهم ودواوينهم .

ومن التعليقات غـــير المفيدة إثقال الهامش بشروح لغوية هي في غـاية الوضوح كأن يشرح (المهند) بـ (السيف) و (الكنانة) بـ (جعبـــة السهام) و (الوغى) بـ (الحرب) و (المفازة) بـ (الصحراء) و (الثريا) بـ (النجم) ومثل هذا كثير في الدواوين الشعرية التي أخرجها المحققون في عصرنا .

وربما كانت هذه الشروح مضلـّلة ، كأن يعمد المحقق إلى شرح (الكاهل) فيأتي بكل المعاني التي وردت في هذه المادة في « لسان العرب » في حين أن المراد بـ (الكاهل) في البيت أحد هذه المعاني الكثيرة المختلفة ، ومثل هذا كثير أيضاً .

كنا نفيد كثيراً لو أن المحقق الفاضل قد فطن إلى استعمال لغوي جديد أدركته اللغة في تطورها . أو انه أشار إلى لفظ من الألفاظ المغنية الحضارية التي جدت في اللغة في عصر من عصورها الزاهرة كاستعمال المصادر في القرون المتأخرة من العصر العباسي لكلمة (جهة) للدلالة على زوج الخليفة أو الأمير

ما هذا يا «مجلة معهد المخطوطات» ؟!

للأمة العربية مع معهد المخطوطات العربية التابع للإدارة الثقافية بالجامعة العربية أكثر من عتاب – أو حساب .

أولاً – إن المعهد ضرورة ، وقد نشأ من أجل هذه الضرورة ؛ ولكنه لم يحقق الغرض الذي قام بسببه – مع الأسف .

ثانياً – إن الجامعة العربية للعرب كلهم ، والمعهد لهم كلهم ؛ ولكن الأمر لا يبدو كذلك ، والمسألة بديهية – مع الأسى .

ثالثاً – ... رابعاً ... ولا نطيل – والسر شائع .

عاشراً – أنشأ المعهد في إبان قيامه مجلة جيدة رسمت لنفسها خطة جيدة، نفذتها تنفيذاً جيداً ؛ وكان لها صداها ونفعها ، لأنها جرت ضمن الرسالة وفي

أو السلطان.ومثل هذا يقال في سائر الألفاظ الحضارية التي تجدّ في كل عصر.

وقد غاب عن المحققين وهم يقدمون للكتب التي يحققونها بمقدمات تتصل بالكتاب ومادته وطريقة تحقيقه أن يلتزموا بلغة تناسب مادة الكتاب . ألا ترى أن من العيب أن يوصف كتاب « العين » للخليل بن أحمد في مقدمة ناشره بكونه (انتاجاً بصرياً) وكلمة (الإنتاج) هذه توحي ما توحيه لغة عصرنا مما يتصل بالصناعة والزراعة . ثم كيف يجيز كاتب لنفسه أن يقول (البرجوازية العربية) وهو يتحدث عن عصر الرسالة الإسلامية الأولى . وأكبر الظن أن ذلك جاءنا من ترجمة آثار المستشرقين ومباحثهم .

وبعد فهذه إشارات يسيرة وددت أن أشير اليها حرصاً مني على أن ينصبّ جهد المحققين والدارسين على الضروري النافع عند نشر الآثار العلمية القديمة خدمة للتراث العربي الخالد .

الدكتور ابراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

حدودها ونطاقها : أخبار المخطوطات ، التحقيق ، التعريف ، أنباء المكتبات العامة والخاصة ، قوائم بأسماء مخطوطات يصعب العلم بوجودها ، رسائل صغيرة لم تنشر ... ومضت على ذلك ؛ ولا بد من ذكر المنشيء بالخير .

ثم كان ما يجب ألا يكون !

فخمدت همة المعهد ...

وتوقفت المجلة عن الصدور .

ـ لماذا ؟

ـ لا يمكنك أن تقدم أيّ سبب معقول مقبول ، لأن المجلة يجب أن تستمر وتتقدم ، وان المعهد يجب أن ينشط فيعنى بالجمع والتصوير والاقتناء والفهرسة همه خدمة الأمة في تراثها الخالد ثم خدمة الإنسانية وراء ذلك ، بعيداً عن الأهواء الشخصية والأنانيات والإقليميات ... وضيق الأفق .

يجب ... ولكن دون جدوى ... وما كل واجب يكون !

ـ والمجلة ؟ المجلة في الأقل ؟!

ـ أجل ، وضمن مدلول هذا « الأقل » ، ولكن في حدود ذهنيّةٍ معينة استأنفت المجلة الصدور . فأهلا وسهلا ، على أيّ حال .

ـ « على أي حال » ؟ لماذا ؟

ـ لأننا نريدها كما كانت وأحسن . إن لها رسالة معينة يجب أن تؤديها ، ولا عُذْرَ لمن قعد عن التأدية .

ـ ما لا يدرك كله لا يترك جله !

ـ ليس مكان هذا هنا .

لقد اتبعت إدارة تحرير المجلة خطةً غيرَ حميدة ، لأنها ليست من منهج المجلة ولا من رسالتها ولا مما يطلبه القراء منها ... وانها لتدل على أشياء كثيرة ، كلها في غير مصلحة المجلة وفي غير ما يشرّف القائمين عليها ... لأنها تشير إلى الكسل حيناً وعلى الجهل بالفن الصحفي حيناً آخر ... وعلى أشياء أخرى حيناً آخر .

كان ذلك إذ أصدرت عدداً خاصاً بديوان عمرو بن قميئة (حققه وشرحه

حسن كامل الصيرفي) استغرق مساحة واسعة من مداها واستنزف مدة غير قصيرة من عمرها [1] ـ ولا تسل عن المال المهدور ...

وليست المجلة مسؤولة عن أعداد خاصة بديوان هذا الشاعر أو كتاب ذلك الناثر ؛ إن مكان مثل هذه الأمور — وهي مهمة — دوائر تحقيق التراث ، وان المنهج يقتضي أن تنشر هذه الكتب مستقلة لتسهل الاستفادة منها ، وليسهل حفظها في دور الكتب — وكم يكون جميلا لو ان المعهد اضطلع بالتحقيق في سلسلة يسهم فيها العرب كلهم بمعزل عن المجلة ومال المجلة .

إن المجلة إذ ترى أن تصدر عدداً خاصاً ، فليكن ضمن مهمتها كالتعريف بنوادر المخطوطات العربية في العالم مع نماذج مصورة ؛ أو في قوائم كتب ومكتبات غير مفهرسة ... أو ما يشبه ذلك .

ثم إن ديوان عمرو بن قميئة مطبوع سنة ١٩١٩ في كمبردج بتحقيق المستشرق (ليال) في عدد محدود معقول من الصفحات (٧٦ صفحة مع الترجمة الإنكليزية) وكان من الممكن أن يعاد طبع هذا المطبوع بعد الزيادات القليلة اللازمة التي يستدعيها الزمن بين الطبعتين ويقتضيها تميّز إدراك المحقق العربي عن المحقق الإنكليزي ، وإلا ، فالنسخة المخطوطة المعتمدة واحدة ، هي هي: نسخة مكتبة الفاتح بالآستانة ، لدى المستشرق (ليال) ولدى الشاعر الصيرفي .

أما وقد وقعت الواقعة ، وكان ما كان ، فلنقل إنّ شيئاً ينشره « معهد المخطوطات العربية » — يجب أن يكون أنموذجاً في فن التحقيق — وعلمه ، إن شئت ، لا أن يكون خروجاً عن القواعد ومجانبة للأصول وخرقاً لتجارب طويلة أسهم في بنائها الغرب والشرق .

إن في هذا الديوان الذي نشرته مجلة المعهد في عدد خاص خروجين أو ثلاثة أو أكثر .

الأول — أنه احتاز مجلداً كاملا من المجلة ، فحلّ في غير محله ، وأزرى على

---

(١) المجلد الحادي عشر (بعدديه) تاريخ الغلاف ١٩٦٥ وتاريخ التحقيق ١٩٧٠ (!) ثمن الاشتراك السنوي ٢٠٠ قرش .

حساب ما هو طبيعي للمجلة من أخبـــار وقوائم عن المخطوطات ولها ... ورسائل الجهات ...

الثاني – ان المساحة التي احتازها تتسع لأكثر من عددين... لأنه استغرق سنة كاملة بسمر أربعة أعداد .

الثالث – ان الديوان سيظل قابعاً بين أعداد المجلة مما صدر – ويصدر – وسيضيع كأنه لم يصدر ، ويكون بذلك قد فقد مكانه كتاباً كما فقده مجلة .

الرابع – ان دويويناً صغيراً يصبح ضخماً مثقلاً بالحواشي والتعليقـــات والأخبار الخاصة والعامة يضيع نصه بين الأكداس ، ويصير الكتاب الجديد كشكولاً – وما هكذا التحقيق ، ولا يقر ذلك ذو خبرة وعلم فضلاً عن أن يكون المسؤول الأول معهداً للمخطوطات !

أخشى أن يقع هذا العدد الخاص بيد المبتـدئين من المحققين فيحسبوا أنه المثل الأعلى ويتخذوا منه قدوة سيئة وحجة واهية .. ويثنوا عليه بما لم يكن له أهل ويعدّوه منهجاً علمياً ..

الخامس ... السادس ... في الوقت الذي كانت تدور مطابع القاهرة على « الضخامة » كانت مطبعة وزارة الإعلام في بغداد تطبع تحقيقاً للديوان نفسه ولكن في نهج أنموذجي سليم وحجم مقبول معقول .

– ترى ، ما السّر الذي حمل « مجلة معهـــد المخطوطات العربية » على الشذوذ ؟

– يستطيع المرء أن يقدّم أسباباً كثيرة ، بينها الاستئثار والاستهانـة ، والنفع المادي والتنفيـع ... إلا أن الذي كان واجباً أن يقع بعد صدور العدد الضخم : الحساب والعقاب لئلا تتكرر الظاهرة ويصبح الشذوذ عُرْفاً .

أجل ، ولكن ما أسرع ما يصبح المرض لدينـا صِحّةً ! وها هي ذي المجلة نفسها تسرع فتستبق الحساب فتصدر عـــدداً خاصاً آخر يضم كتاب « الكافي في العروض والقوافي» للتبريزي ...

ونقرأ للصيرفي نفسه خبراً مروّعـاً خلاصته أن تحقيقـه لديوان عمرو بن قميئة هو أحد تحقيقات كثيرة من هذا الضرب الفائل ، ذكر منها :المتلمّس،

المثقّب العبديّ ، المرقّشيّن ، الحـادرة ، عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلـّزة ، لَقيط بن يَعْمر الإيادي ، سلامة بن جَنْدل .

ولا أريد أن أقول : إن هذه الدواوين – في أكثرها – مطبوعة ، وأن منها ما طبع أكثر من مرة ، ومنها ما صدر في تحقيق عليّ جديد في الأيام الاخيرة (في سورية والعراق) .. تلك مسألة تخصُّ الصيرفي أولاً ، وأن كان اللازم تكون مجلة للمخطوطات على علم بماجرى – ويجري – في العالم العربي مما هو في صميم اختصاصها .

للأستاذ الصيرفي أن يحقق ما يشاء وأن ينشر مـا يشاء ، ولكن الذي أخشاه أن تحتجز هذه الدواوين الثمانية ، ثمانية أعداد أو ثماني سنوات من عمر « مجلتنا » ، وإلا ، فلم كان الصيرفي يقول إذ يـذكر أسماء هذه الدواوين : بتحقيقنا في هذه السلسلة ؟ أية سلسلة ؟ أرجو ألا تستحيل « المجلة » سلسلة .

لا ... إن « مجلة معهد المخطوطات » ليست وقفاً على الأستاذ الصيرفي ، ولم تنشأ لتميد نشر المنشور على نهج غير سليم ...إنّ أمام الأستاذ الصيرفي أكثر من مجال للنشر مـا يشاء ، وأوّلُ هذه المجالات حسابه الخاص ، وثانيها دروب القاهرة المختلفة .

ثم ، إذا كان ولا بُدّ ، فعلى المعهد في هذه الحالة – والحالات المناظرة – أن يبقي المجلة مجلة ، ويشرع في إصدار سلسلة خـاصة بتحقيق التراث يفيد منهـا الصيرفي وغير الصيرفي ، المصري وغير المصري ، بشرط أن يكون المخطوط المحقق نادراً ، وأن يكون التحقيق أنموذجاً في بابه . وإلا ، فما زال العالم في خير ، وفيه من يستطيع أن يتألم لفساد ويغار على أُصول .

أجل ... إننا نرجو من مجلة معهد المخطوطات أن تبقى مجلة وأن تعمل على تقوية نفسها ضمن الهدف الذي أُنشئت من أجله وبالشروط التي يمكن أن تؤدي بها الفائدة المرتجاة ... انهـا مجلة ، وهي وحيدة في بابها ، وليست وسيلة لنشر المخطوطات مثلها عشرات الوسائل في القاهرة وغير القاهرة ، رسمية وغير رسمية ..

أجل ... نرجو ألا تتكرر الحالة المرَضيّة ، ونأمـل للمجلة الصحة والعافية وسلامة الغاية والنية والخطة ...

* * *

– ولكن ما بال الصيرفي ... إن بالكلام الذي ورد عليه حاجة إلى توضيح، وأرقام وأمثلة .

– أجل ... واسمع :

١ – تقع مخطوطة ديوان عمرو بن قميئة في (١٢) ورقة بمعدل (١٥) سطراً (أو أقل) للصحفة الواحدة بحرف أكبر من المعتاد . وقد جعل الأستاذ الصيرفي – بمنهجه العجيب في التزيّد – من هذه الـ (١٢) ورقة الصغيرة (٤٢٤) صفحة – غير ٥٣ صفحة للمقدمة – وهذا غير معقول .

٢ – اني أستطيع أن أختصر هذا الرقم الكبير إلى النصف توفيراً للورق واقتصاداً بالنفقات وتقليلاً للسعر دون أن أخرج عن المنهج الذي اختاره الصيرفي، ودون أن آتي ببدعة ، وذلك بأن :

أ – أكتب الهوامش بحرف أصغر من حرف المتن .

ب – أكتب الفهارس بحرف صغير كذلك .

جـ – أجمل فهارس الأعلام ، والقبائل ، والبلدان ، والحيوان ، والنبات ، والكلمات والحروف التي استعملها الشاعر ، والمعارف العامة ... على عمودين (أو أكثر) وأجنّبها تكرار ما قلته في الهوامش .

٣ – يشرح الأستاذ الصيرفي كلمات ترد في النص ما بها من حاجة إلى شرح لأنها معروفة شائعة قديماً وحديثاً . أذكر من ذلك – على سبيل المثال لا الحصر :

ص ٦ – تزوّد : اتخذ الزاد وهو الطعام يتخذ للسفر .

٣٨ – الأحلام : جمع الحِلم وهو الأناة والعقل .

٤١ – العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفيفة . الواحد أعيس والواحدة عيساء .

٤٤ – شآمية : نسبة إلى الشأم. ويقال شآمية مخففة الياء أيضاً.

٤٩ – الضيم : الظلم .

٥٧ – يحبو : يعطي .

٧١ – أحطاب : جمع الحطب ، وهو ما أُعدّ من الشجر مشبوباً للنار ، والقطعة منه حطبة .

٨٨ – المقتل : الموضع الذي إذا أصيب فيه صاحبه لا يكاد يسلم .
١٠٣ – الجماجم : جمع الجمجمة وهي الرأس أو عظم الرأس المشتمل على الدماغ ..
١١٩ – الضيم : الظلم والقهر .
١٢٣ – الشواء : ما شُوي من اللحم وغيره أي ما عُرّض لحرارة النار فنضج وصلح للأكل .
١٣٥ – السّوق : حث الماشية على السير من خلف ، أي ساقها ، وهو ضد قادها .
– الهموم : جمع الهم وهو الحزن .
١٦٨ – البيداء : الفلاة .
١٧٥ – الذمة : العهد والأمان والضمان .
– عتب : لام .

ما بنا حاجة إلى تفسير مثل هذه المفردات ، وهي تحتل – في أبسط صور التفسير سطراً كاملاً من سطور المطبعة ، فإذا ذكر الشارح ما لا صلة له بالغرض المطلوب من الشرح عقّد الأمر على القارىء وخرج عن الاصول وجعل من السطر وأكثر من سطر .

وقد رأينا في الأمثلة السابقة شيئاً من ذلك ، وهناك في الأمثلة الأخرى ما هو أدهى وأمر . ولنذكر على سبيل التمثيل لا الحصر :

ص ٦٦ – : اللجة من البحر : حيث لا يدرك قاعه . وجاء في اللسان أيضاً : « ولج البحر الماء الذي لا يرى طُرفاه ... وكمية المـاء ومعظمه وخص بعضهم به معظم البحر » .

ص ١١٠ – : الروضة : الأرض ذات الخضرة ، والروضة : البستان .

والروضة : الموضع الذي يجتمع اليه الماء يكثر نبته ولا يقال في موضع الشجر : روضة . وقيل : الروضة عشب وماء ولا تكون روضة إلا بماء معها أو إلى جنبها ... والروضة أيضاً في البقـل والعشب . قال الأعشى ميمون بن قيس [ديوانه ٥٧] :

ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

ص ١٢٨ – : الرماد : دقاق الفحم من حراقة النار وما هبّ من الجمر فطار دقاقاً ، يستدل به على مكان القوم بعد الرحيل . ويقال للشيء الهالك من الثياب خلوقةّ : رمد وهمد وباد . والرّامد : البالي الذي ليس فيه خير وبقية . قال المخبل السعدي واسمه ربيع بن مالك في المفضلية ٢١ [٢٠٨ – ٢٠٩ بيروت ، ١١٣ مصر] .

وأرى لهـا داراً بأغدرة الـ سيدان لم يَدْرس لهـا رسمُ
إلا رماداً هامداً رَفَعَتْ عنـــه الرياح خوالدٌ سحم

[ويقصد بالخوالد : الأثافي السود] .

إني أفهم أن يبالغ امرؤ في الشرح ، وفي شرح المشروح ، أما أن يصل به الأمر إلى شرح كلمة « الرماد » وعلى هذه الصورة فذلك أمر خارج عن طاقة الفهم !

أجل ، إن الأستاذ الصيرفي يخرج بالشرح إلى مـــا لا علاقة له بالكلمة الواردة في النص ، وليس هذا بالمذهب المقبول في علم التحقيق ، إذ ان المقرر الاّ تشرح مشروحاً ، وإذا شرحت فـلا تعدد المعنى الذي يقتضيه البيت لئلا يضل القارىء وتضيع الفائدة ، وإلاّ فـ « تاج العروس » مطبوع و«لسان العرب» كذلك ... ، وليس من التحقيق في شيء أن تنقل صفحات من المعاجيم إلى هوامش الكتاب المحقق .

وقد رأيت في الأمثلة ما لا يترك مجالاً لشك ، وفي الأمثلة الأخرى مـا هو أدعى للعجب وذلك إذ يخرج السيد المحقق عن الغرض بعيداً جداً جداً ، فينتقل من شرح كلمـــة وردت في بيت لعمرو بن قميئة إلى كلمة أو كلمات وردت في أبيات أخرى ذكرها هو نفسه على سبيل الاستشهاد .

ومن ذلك أن جاء في متن الديوان المحقق (ص ٤٩) :

قد كنت في ميعةٍ أُسرُّ بهـا أمنع ضيمي وأهبط العُصُما

الميعة : الشباب . العصم : الوعول .

فلم يكف ما جاء في المتن الأستاذ الصيرفي فكتب في الهامش ما يأتي :

الميعة من الشباب والنهـــار والحب وجرى الفرس ومن كل شيء : أوله وأنشطه ، وقيل ميعة كل شيء: معظمه . قالزهيربنأبي سُلمى[ديوانه١٣٧]:

بذي ميعةٍ لا مَوضعُ الرُّمح مُسلِمٌ لبطءٍ ولا ما خَلْفَ ذلك خاذله

الضيم : الظلم .

العصم : جمع الأعصم من الظباء والوعول ، وهو مـا في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . وهو هنا يقصد الوعول (جمع وعل بسكون العين وكسرها) وهو التيس الجبلي . وتسمى أنثاه أرْوِيَّه ، وهو يأوي الأماكن الوعرة والخشنة من الجبـال . قال أمرؤ القيس بن حُجر [ديوانه ٢٦ دار المعارف] :

وألقى ببُسيانٍ مع الليل بَرْكَهُ فأنزل منه العُصْم من كل منزل

[بسيان : جبل — والبرك : الصدر . وروى في شرح المعلقات السبع لابن الأنباري (١٠٤) : « ومرّ على القنان من نفيانه » .

والقنان : جبل لبني أسد وأصل النفيان ما تطاير من الرشاء عند الاستقاء]

ترى أين صرنا ببسيان وملحقاتها من العصم وعمرو بن قميئة ؟

لو نزّه الصيرفي شرحه — ولا أقول : تحقيقه — من هذا الفضول — الذي لا يريد لنا أن ندعوه : تزيّداً — لوَفّر ورقاً ومالاً غزيرين يمكن أن يستغلا في وجوه صحيحة من التحقيق ، ولجنب الناشئين المثل السيء ، ولمكننا من نشر أربعة دواوين — أو أكثر — من حجم ديوان عمر بن قميئة ومعه — في المجلد نفسه — إن كان لا بد من إصدار هذا المجلد خاصاً بتحقيق نص .

* * *

وبعد فإننا لم نذكر الصيرفي لأنـه الصيرفي ولا لشك في علمه ، وإنما ذكرناه لخروجه عن جادة التحقيق العلمي ، ولأن اسمه اقترن بمجـلة معهد المخطوطات إذ خرجت عن الخطة الحميدة إلى بدعة أية بدعة !

نرجو أن تنظر المجلة في أمرها ملياً ، وتعرف نفسهـا جيداً ، وتربأ بموقفها عن الإصرار على الباطل ، وتميّز بين مـا هو شخصي أو مصري وما هو للعرب كلهم ...

بغداد — كلية الآداب

علي جواد الطاهر

حول بيشة

في « العرب » ص ٢١٠ السنة الخامسة في الحديث عن بيشة ، وأنه اسم يطلق على واد في جنوب الجزيرة وتنحدر إليه أودية كثير من السراة سراة غامد وسراة خثعم وما حولها ، وأحب أن أدلي في توضيح في بعض جوانب مما يتعلق بوادي بيشة وروافده المهمة .

إن وادي بيشة يبدأ من شعاف جبال عسير وشهران وبعض بلاد قحطان، ومن بلاد بني الأحمر وبني الأسمر ، وهذه الشعاف مشرفة على تهامة ، فما سال منها شرقاً نزل في وادي بيشة ، وما سال منها غرباً فهو يسيل في أودية تهامة ، مثل وادي بيش ، وهو كوادي بيشة في العظمة والإتساع ، ووادي حلي بن يعقوب الذي ذكره ابن بطوطة في رحلته ، ووادي بيض بخبت البقر ، ووادي درب بني شعبة وغيرها .

أما أودية سراة غامد فهي لا تسيل في بيشة مباشرة كما ذكر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة « العرب » ، وإنما تسير في وادي رَنْية ، ووادي رنية يلتقي مع وادي بيشة في مكان يسمى الفَرْشة في المَهْمَل بعيداً عن حدود العامر ، كما أنّ بلاد خثعم وشمران تسيل في وادي شواص ، وهو من روافد وادي رنية ، وإذا كثرت الأمطار يتكون في أعلى وادي رنية غدير عظيم في مكان يدعى عين جَبر حتى يتوالد في ذلك الغدير الحوت ، ويبلغ من الكبر مقدار ذراع ، وقد شاهدت هذا الموضع بنفسي ، واصطدت من حوته أنا وبعض الاخوان وذلك في عام ١٣٨٥ – على ما أذكر – .

أما بيشة ابن مشيط وبيشة ابن سالم فهما نفس وادي بيشة أعلى الوادي من الجهة الجنوبية ، وعلى جنبتيه تقع المدن والقرى كمدينة خميس مشيط

ومدينة ابها ، اذ أن واديها التي بدأت حكومتنا الجليلة – وفقها الله – باقامة سد عليه ينزل سيله في وادي بيشة بقرب بلاد ابن هشبل ، ويعرف اسفله في الوقت الحاضر باسم (المقطاع) ، ويستمر وادي بيشة في الاتساع كلما وافته روافده من يمينه او شماله حتى يصل بيشة النخل ذات الغابات الكثيفة والحدائق الغنّ والنخيل الباسقات والماء العذب الغزير ، وتنتشر على ضفتي الوادي حدائق النخيل فتكون غابات جميلة متسمة منسقة في غراسها صفوفاً صفوفاً، كأنما سطرتها يد فنان ماهر ، وتجدها منقادة وغير منقادة فجوار كل قرية حدائقها الزاهرة .

وقد كان اهل بيشة في الماضي كغيرهم من القبائل لا يكادون يتعدون حدود قراهم حتى جاء الله بالعهد السعودي الزاهر ، فانطلق الناس من عزلتهم إلى ارض الله الواسعة تاركين أسوار قراهم وراء ظهورهم ، فحفرت الآبار منتشرة هنا وهناك ، وشيدت بجوارها الابنية الحديثة ، وغرست الاشجار ، فإذا ما أقبل الانسان على بيشة ظنها من بُعْد أمواجاً تتلاطم ، او جبالاً شماء ، لكثرة نخيلها المتشابكة ،فهي تكون غابة شجراء قد تهدلت أغصانها وتفتحت أزهارها وأينعت ثمارها،وصدحت طيورها،وكأن ايليا أبا ماضي يعنيهابقوله:

تآلفت فالماء من حولها   يرقص والطير تُغنّيها

إلى آخر أبياته

بيشة   جابر الطيب بن علي

العرب شكراً للاخ الكريم وللاحظاته القيمة وحديثه الممتع عن بلادنا الحبيبة ومزيداً من مثل هذه النفحات الرقيقة التي أثارت في النفس كامن اشواقها لمشاهدة تلك الارض الطيبة .

حول اصول بعض القبائل

وجه الشاب الأديب عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبدالله آل يحيى من طلاب كلية التربية بمكة المكرمة إلى «العرب» الاسئلة الآتية نذكرها متبعة بالجواب:

أ – بنو هلال وأصلهم :

بنو هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان من عدنان ، لا يختلف النسابون في ذلك . أما بلادهم فكانت تمتد في عالية نجد مستطيلة من الجنوب حيث توجد حَرّة بني هـلال المعروفة الآن باسم حرّة البقوم الواقعة غرب رنـية وشمالا إلى حرّة كشب المعروفة في عالية نجد ومن مناهلهم وبلادهم :

١ – البَرَدَانُ

٢ – بيشة مع خثعم وسلول وقبائل من بني عامر

٣ – تُرَبَة مع قبائل أخرى

٤ – حَرّة بني هلال وتقدم ذكرها .

٥ – مَرّان وكان فيه قرية كبيرة لهم ومَرّان لا يزال معروفاً بعالية نجد

اما هجرتهم ففي القرن الخامس الهجري وقد اورد ابن خـــلدون في تاريخه كثيراً من اخبارهم .

ب – الصُّلَبَةُ (الصّلب) واحدهم صُلبِي

ليس صحيحاً ما يقال من أن أصلهم من الصليبيين فقد كانوا معروفين في جزيرة العرب قبل عهد الصليبيين ، ولكنهم خليط من العرب المجهولي النسب ومن بعض الأعاجم ومن بقايا الأمم البائدة ولأحد أبنائنا من الكويت وهو الاستاذ عبدالله بن الغنيم بحث مفصل حولهم نشر في مجلة «البيان» الكويتية .

ج – هُتَيم :

أما هتيم نجد والحجاز الذين ينتشرون على ضفاف وادي الرمة وفي الحرار الواقعة غربه فلا صلة لهم بالصلبة بـل هم من القبائل العدنانية من غطفان ومحارب وعبس وغيرهم .

وقد نشرت مجلة العرب بحثاً مطولاً حولهم وانظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة [1] » .

د : – العاربة والمستعربة : يختلف المؤرخون المتأخرون فيما اتفق عليه علماء النسب المتقدمون من تقسيم العرب إلى عدنانية وقحطانية ، وأن القحطانية هم العاربة والعدنانية هم المستعربة ، بينما يتفق المتقدمون على هذا يرى المتأخرون ان هذا التقسيم تعوزه الأدلة القوية ، ذلك أن تاريخ العرب إلى ما قبل العصور القريبة من ظهور الإسلام كان مجهولاً وذلك التقسيم المتقدم أتى عن روايات وأخبار هي محل للشك أو على الأقل للتحقق من صحتها ، وعلى فرض صحة القول بأن العدنانية من العرب المستعربة ، فإن المعنى انهم تعلموا اللغة العربية من أمم قبلهم فأصبحوا عرباً وأصبحت لغتهم أفصح اللهجات العربية والموضوع يحتاج إلى تفصيل أوفى من هذا .

هـ – قبيلتا بكر وتغلب :

هاتان القبيلتان من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار ، أما قبيلة تميم فترجع بأصلها إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر بن نزار . والشاعر جرير ليس من تغلب بل من تميم من بني يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وله في بني تغلب أهاج مقذعة معروفة .

ومنازل بكر وتغلب كانت عالية نجد ففرقتها الحروب وانتقلت قبل الإسلام من الجزيرة إلى العراق وأطراف الشام . أما منازل بني تميم فكانت تمتد في وسط نجد من الغرب أعالي إقليم السر ، ومن الشمال إلى الطرف الشمالي من القصيم ومن الجنوب إلى جنوب الوشم ومن الشرق إلى الأحساء ويتخلل منازلها قبائل أخرى مختلفة ومن تلك القبائل قسم من بكر بن وائل تقيم في وادي حنيفة وما حوله إلى الخرج ومن بكر بن وائل : بنو حنيفة سكان هذا الوادي ومنهم بنو قيس بن ثعلبة الذين منهم الأعشى الشاعر وبلدته مَنْفوحة المعروفة في جنوب الرياض .

و«العرب» تشكر السائل الكريم وتتمنى له التوفيق، وتعتذر عن الإيجاز في الأجوبة لضيق المجال .

---

(١) صفحة ٢٢٦ إلى ٢٣٠ .

حول قبيلة بني خالد

كتب الشاب الأديب سليمان بن علي الخويطر من الرياض يستوضح عن قبيلة بني خـالد : أفخاذها ، والأسر التي تفرعت عنها ومساكنها في المـاضي والحاضر ، والسائل الكريم من آل خويطر من بني خالد سكان مدينة عنيزة .

« العرب » : قبيلة بني خالد من أشهر قبائل الجزيرة ، عدنانية الأصل ، ترجع كثير من فروعها إلى بني عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان من عدنان ، وهي كغيرها من القبائل العربية مازجتهـا أفخاذ كثيرة من قبائل أخرى بطريق الحلف والاحتماء بقوّتها ، ذلك أنها كانت في القرنـين التاسع والعاشر الهجريين ، بل إلى منتصف القرن الثـاني عشر ، كانت تسيطر على نجد ، وقامت لها حكومة في الإحساء امتد نفوذها إلى نجد ، من عهد الدولة الجبرية إلى آل غُرير فـآل عُرَيْعر ، ولهذه الحكومات أخبار مفصلة لا يتسع المجال لذكرها .

وبنو خالد كانوا في الأصل من القبائل الرحّل ، وقد تحضّر عدد كثير منهـم ، وانتشروا في الاحسـاء في مختلف قراه ، وفي القصيم وفي الوشم وفي سدير وفي الخرج ، وقد نشير فيما بعد لبعض الأسر المتحضرة .

ويظهر أن القسم الذي كان يعيش من هـــذه القبيلة في نجد دخل تحت سيطرة قبيلة بني لام من الفضول عند اشتداد شوكة هؤلاء وقوتهم واتساع نفوذهم في القرن الثامن الهجري وما قبله بيسير ، ذلك اننا نجد ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار » [1] وهو يتحدث عـــن القبائل التي تنضاف إلى آل فضل يَعُدُّ منهم من بني خالد آل جناح والضبيبات من مياس والجبور والدعم والقرشة وآل مُنَيْخر وآل بشوت والمامرة والعلَجات .

ونجد القلقشندي وهو يتحدث عـن منازل بني خالد في كتابه « قلائد

(١) ج ٤ الورقة ١٥ مخطوطة أيا صوفيا في استنبول رقم ٣٤١٧ .

الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان»[1] يقول نقلاً عن ابن فضل الله: بنو خالد دراهم التّنّومة، وضيدة وأبو الديدان، والقريع، وضارج، والكوارة (القوارة) والنبوان، إلى ساق العرفة، إلى الرسوس، إلى عنيزة إلى وضاخ، إلى جبلة إلى السرّ، إلى العودة (؟) إلى العشرية (؟) إلى الأنجل.

ويذكر في كتابه « نهاية الارب في أنساب العرب »[2] أن آل جَناح بطن من بني خالد من عرب الحجاز ذكرهم الحمداني ، وعربهم في حلف مع آل فضل .

غير أن بني خالد هؤلاء ما لبثوا أن سيطروا على وسط نجد وشرق الجزيرة، فنجد الشاعر العامي جُعَيْثن اليزيدي من أهل الجزعة قرب المصانع وهو يرثي مُقرن بن أجود بن زامل وهذا من الجبور من بني خالد فيقول[3] :

و (نجدٍ) رعا ربعي زاهي فلاتها
على الرّغم من سادات (لام) و (خالد)
وسادات (حجر) من (يزيد) و (مزيد)
قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

واتساع نفوذ هذه القبيلة – كما قلنا آنفاً – سبب انتشارها ودخول أفخاذ عربية فيها ، وتلك عادة كل قبيلة عربية تكون لها صولة وقوة في زمن من الأزمان ، ينطبق هذا على كل القبائل العربية بدون استثناء .

بقي الحديث عن صلة هذه القبيلة بمدينة عنيزة حيث يوجد عدد من الأسر الخالدية في هذه المدينة سنذكرها فيما بعد .

يظهر أن امتداد نفوذ بني خالد في عنيزة كان بعد القرن التاسع الهجري بزمن يسير ، ذلك أننا نجد أن النفوذ في هذه البلدة في أول القرن التاسع لقبيلة (لام) كما يفهم من خبر أورده مؤرخ مكة العلامة تقي الدين الحسني الفاسي قال :

---

(١) ص ٨٩ .
(٢) ص ٩٩ .
(٣) كتاب : « مدينة الرياض » ص ٨٣ .

(في سنة ٨٢٢ توجه العلامـــة عمدة المقرئين شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي – توجه من شيراز مُريداً للحج فعرض له بنو لأم بقرب عُنيزة فنهبوا مـــا معه من التحف التي استصحبها هدية لأعيان أهل الحرمين ، وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله ، فلما ظفر بكتبه توجه قاصداً للمدينة النبوية ، فنهبه بعض بني حسنٍ أيضاً ، وتوصّـــل إلى المدينة النبوية في شهر صفر سنة ٨٢٣هـ [1]) .

ومما يؤسف أن تاريخ مدن الجزيرة وقراهـــا لم يدون بطريقة متصلة صحيحة ، ولهذا فليس من المستطاع معرفة الزمن الذي ابتدأ به نفوذ بـــني خالد يقوى في بلدة عنيزة ، غير أننا نجد فيما دون من أخبار هذه المدينة ، أنها كانت في القديم تتكون من محلات كل محلة منفصلة عـن الأخرى بسور وكان من تلك المحـــلات : ١ – الجَـناح ، ٢ – الضَبَط ، ٣ – الخُـرَيزة ٤ – العُقَيْليّة ، ومَحَلة الجَناح هي أكبر محلة في تلك البلدة ، وقد سميت باسم سكانها آل جَناح من بني خالد . ويفهم من كلام الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن مانع – رحمه الله – أن تلك المحلة عُمِرَت في القرن السابع الهجري[2] ، وأن امارة تلك المحلات إلى ما يقرب من القرن العاشر كانت لآل جَناح ، ويقول الأستاذ عبد العزيز بن محمـــد القاضي في قصيدته العُنَيزية : تأسست عُنيزة في آخر القرن السابع الهجري ، وأول ما تأسس منها قسمها الشمالي المعروف باسم الجناح ، وهو اسم القبيلة التي نزلته وتنتهي إلى الجبور من بني خالد القبيلة المعروفة ، ونجد أخباراً مفرقة من آل جناح في عُنيزة منها :

١ – في سنة ١١١٥ استولى آل جناح على عنيزة كلهـــا بعد قتل الأمير فوزان بن حميدان بن معمّر بن آل فضل من من آل جرّاح [3] .

٢ – ثم أخرجوا من عنيزة ولكن في سنة ١١٢٨ هجم على عنيزة ادريس ابن صعب بن شايع الخالدي شيخ الجناح ، فهدم القصر واستولى على البلدة إلا

---

(١) « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ج ٤ ص ١٣٨ .
(٢) « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٣٢ .
(٣) « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٨٤ و ٢٣٤ و « العنيزية » ص ٧ .

أن آل فضل تمكنوا فيما بعد من إخراجه ، وصارت إمـــارة عنيزة فيما بعد للشاعيب من آل جراح من سُبَيع .

٣ ـ ولكن آل جناح قاموا فيما بعد بحركات أخرى في عنيزة كان منها :

١ ـ في سابع جمادى الأولى سنة ١١٣٣ ذَبحة آل جناح من بني خالد أهل بلد الجناح في الدار ، في الخُرَيزة ، في بلد عُنيزة ، ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك كان سنة ١١٣٨ هـ [١] .

٢ ـ في سنة ١١٥٥ قُتِل حسن بن مِشعاب أمير بلدة عنيزة ، قتله آل جناح من بني خالد ، أهل الجناح ، هم والشُّخَتة ، من المشاعيب من آل جرّاح من سُبيع ، وجلا آل جرّاح من عنيزة ، واستولى آل جناح من بني خالد ، أهل الجنـــاح ، هم والشُّخَتَةُ ، من المشاعيب من آل جَرّاحٍ على عُنَيْزَةَ كُلّها ، والشُّخَتَةُ منزلتهم الجادّةُ ، المعروفة في عُنيزة .

وفيها غُرسَتِ الجادّة في عُنيزة [٢] .

٣ ـ في سنة ١١٧٤ قُتِلَ رُشَيْد أمـير عُنَيْزَةَ ، من سُبَيْع ، هو وفَرّاج أمير بلد الجناح ، من آل جَناح ، من بني خالد ، قتلهما عِيـــال الأعرج من آل أبي غنّام هم وآل زامل من سُبَيْع ، ومعهم غيرهم ، قتلوهما في مجلس عنيزة ، وذلك أنّ أهل عنيزة وأهل الجناح كانت بينهم حروب وفِتْنَةٌ يطول ذكرها ، فلما استولى رُشَيْد على عنيزة ، واستولى فَرّاج على بلد الجنـــاح اصطلحا على وضع الحرب بينهم ، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة حتى امتدّ كل منهم في الفلاحة ، وكثّروا من غرس النخيل ، وكثرت أموالهم ، ثم إنّ الوشاة حرّشوا بـين أهل عنيزة وأهل الجناح ، فاتفق رجال من عشيرة رُشيد ورجال من عشيرة فرّاج على قتلهما فقتلوهما ، فثارت الفتن بعد قتلهما بين الفريقين [٣] .

---

(١) « تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق » للشيخ عبد الله بن محمد آل بسام .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

مما تقدم يتضح بجلاء صلة بني خالد بمدينة عنيزة صلة كان من أثرها وجود أسر في هذه المدينة تمت بنسبها إلى بني خالد سنذكرها فيما بعد . ويحسن أن نورد هنا بياناً بأهم الأسر المتحضرة من بني خالد اعتماداً على كتاب «قلب بلاد العرب» لفؤاد حمزة وكتاب «كنز الانساب» للشيخ حمد الحقيل و «المنتخب» للشيخ عبد الرحمن بن زيد . أما عن عنيزة فمن كتاب الشيخ عبد الله بن بسام العنيزي ، وهناك أسر كثيرة خالدية لم نجد لها ذكراً فيما بين أيدينا من المؤلفات ، وعسى أن يتدارك القراء ما فاتنا من ذلك .

١ – في الأحساء ونواحيها : آل بداح ، آل بدين ، آل أبو عياش ، الجبور ، آل جويد ، الخطيب (في المبرّز) آل دايل ، آل دعيج ، آل دوغان ، الدواودة (في القطيف) السحبان ، آل شباط، آل صقيه ، آل صبيح (في الجبيل) الظهيرات ، العلجان ، ومنهم الشيخ عبد العزيز العلجي، العواصي (واحدهم عويصي) ، آل غنيم ، آل فارس ، آل فرعين ، آل فيّاض ، آل كثيب ، المطاريد (واحدهم مطرودي) ، المقدام ، آل نويران ، آل وُدَي ، آل هدهود .

٢ – الأرطاويّة : آل حمد .

٣ – أُشيقِر : آل حُفَير .

٤ – البَرّة : آل ماجد .

٥ – بُرَيدة : الربادى (واحدهم ربدي) .

٦ – البُكيرية : آل بليهد (من السيايرة) .

٧ – ثادق : آل خالد وآل صالح .

٨ – ثرمداء : آل حامد .

٩ – جِنّة : (جزيرة قرب الجبيل) : آل حسن ، وآل شاهين .

١٠ – حائل : آل ضبْعان .

١١ – حُريملاء : آل ابراهيم وآل جمّاز وآل حيدر من آل صالح وآل دُحيم، وآل شِدّي، وآل صالح ، والعرافا (واحدهم عَريفي) وآل مشعل.

١٢ – الخَبراء : آل شايع .

١٣ – الخرج : آل سليمان وآل سُوَيكت وآل شِدّي وآل غملاس .

١٤ ـ الرسّ : آل بلاّع .
١٥ ـ رَغبة : آل فالح .
١٦ ـ الرياض : آل حُمَيْد الذين منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد (المشرف العام على التدريس في الحرم المكي الشريف)، وآل شِقري ـ باسكان القاف وكسر الراء ـ
١٧ ـ الزُلفي : آل حَمد ، وآل حمران ، والدوشان (واحدهم دَويش)
١٨ ـ السلمية : آل رازن .
١٩ ـ الشعراء : آل خَلف .
٢٠ ـ شقراء : آل عوشن وآل فاضل والسباعى (وأحدهم سُبيعي)
٢١ ـ الشيحية : آل بليهد (من السيايرة) .
٢٢ ـ الصُّفُرَّة : بضم الصاد والفاء والراء المشددة بعدها هاء: آل ذيب وآل مهنا .
٢٣ ـ ضَرَمى : آل سيف (من السيايرة) .
٢٤ ـ عُشيرة (في سدير) : آل ماضي .
٢٥ ـ عُنيزة : قال الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام في نبـــذة في ذكر انساب سكان عنيزة ، ملحقة بكتابه [1] :
(وفيها من بني خالد : آل تركي، وآل خويطر، وآل نعيم ، والمطاريد وآل بريكان، منهم : حسن بن علي آل بريكان ، وصالح الجفالي وآل برّاك وآل فيّاض ـ ومنهم : سليمان الريس مؤذن الجامع ، وآل مكتوم ، وآل شوشان ، والطعامى ، وآل صخيبر ، والحميـدي ، وآل صعب ، وآل قاشان (؟) وآل كنعان ، وابن ملوح ، وآل مشاري المعروفون في بجي ، والربيعي ، والدماشا (؟) انتهى كلامه
٢٦ ـ الغاط : آل رزق ، الذين منهم ابن رزق الذي ألف ابن سند في ترجمته كتاب « سبائك العسجد » وأصل آل رزق من حرمـــة ثم انتقلوا الى الغاط .
٢٧ ـ القراين ـ آل بليهد وآل سالم وآل عمار .

(١) « تحفة المشتاق »

٢٨ – القرعاء (في القصيم) آل بليهد .

٢٩ – القصب : آل شبيب وآل شعلان وآل غنّام والسيايرة ، ومن السيايرة الشاعر المعروف حُمَيـــدان الشُّويعر ، والسيايرة من الدعم الوارد ذكرهم في المؤلفات القديمة .

٣٠ – القصيم : ذكرنا بعض سكان مدنه وقراه من بني خـــالد ، وممن لم نذكرهم من سكان القصيم : الدباخى (واحدهم دبيخي) وآل شايـــع ، والمطاريد .

٣١ – القويعية : آل جنــاح والعــرافى (واحدهم عريفي) في قصر لهم بقرب القويعية يدعى مُزْعِل وهم من السيايرة من آل جناح .

٣٢ – المجمعة (قاعدة بلاد سُدَير) : آل مُحارب .

٣٣ – المِذْنب – بكسر الميم وإسكان الذال وفتح النـــون فباء – : الحواس والوُضَيْخان .

٣٤ – المزاحمية : آل دخيل وآل زياد وآل غُنيم .

٣٥ – المسلمية وجزيرة بقرب الجبيل) : آل حسن وآل خالد ، وآل رازن ، والمهاشير .

٣٦ – منفوحة : آل غنيم .

هذا وفي الكويت : قسم من المهاشير وفي قطر: من آل صبيح والحميدات وفي البحرين : من الحميدات ، وفي تلك البلاد وغيرها من مختلف المدن والقرى أفخاذ أخرى من بني خالد .

أما فروع بني خالد فمن أشهرها ١ – الجبور: ومنهم آل مقدام وبنو نهد والبشوتات والعماير وآل صُبيح .

والعماير ويدعون العمور أيضاً منهم الدواودة وآل حسن ومن فروع آل صبيح : آل يحيى والخازيم والزبن .

ومن الجبور من الحضر آل سيار المنتشرون في قرى نجد .

٢ – المهاشير : ومن بطونهم آل كليب وآل ثنيان وآل عقيــل وآل عبيكة وآل علي .

٣ ـ القرشة ٤ ـ آل حميد ومنهم آل عريعر أمراء الاحساء فيما مضى .
هذه أشهر فروع القبيلة في الجزيرة ، ولها فروع كثيرة اخرى منتشرة في العراق وفي الشام .

أما بلاد البادية من بني خالد ، فإنها تمتد على امتداد ساحل الخليج العربي ما بين وادي المقطع شمالاً إلى طرف البياض جنوباً، وتمتد غرباً إلى الصمان[1]

ومما تنبغي ملاحظته حول فروع هذه القبيلة ، أنها كغيرها من فروع القبائل الاخرى خالطتها فروع من قبائل مختلفة ، ومن أمثلة ذلك :

١ ـ العمور : هؤلاء أصلهم من عبد القيس ، وعبد القيس هم كانوا المسيطرين على الاحساء إلى حوالي القرن السابع الهجري ، والعمور من عبد القيس هم بنو الديل وبنو عجل وبنو محارب هؤلاء بنو عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس[2] .

٢ ـ الجبور : هم بقية حكام الاحساء في القرن الثامن والتاسع وأول العاشر ، وهم من بني عقيل من عامر بن صعصعة .

٣ ـ القُرَشة : يقال إنهم من عبِيدة من جَنْب ، من قحطان

٤ ـ المهاشير : يقال بأنهم يرجعون إلى قبيلة بني هاجر، القحطانية النسب.

وعلى وجه الاجمال فبنو خالد كما قال الشيخ أحمد بن مشرف الاحسائي:

ولا تنسَ جَمعَ الخالدي فإنه قبائل شق من عقيل بن عامر

ويضاف الى هذا ان هذه القبيلة لم تكن معروفة في العهد الجاهلي ، ولا في صدر الاسلام ، ككثير من القبائل التي عرفت في جزيرة العرب في الأزمنة الأخيرة ، مثل قبيلة مُطير ، وقبيلة عُتيبة ، وغيرهما من القبائل وإنما بدأ ذكرها ينتشر منذ القرن العاشر الهجري وما بعده ، أي بعد أن كان لبعض أفخاذها قوة وشوكة ونفوذ في شرق الجزيرة. أقول هذا من قبيل تقرير واقع عرفته ، لا للمساس بأي جانب من جوانب قبيلة أعتزُ بالانتساب اليها من جهة الخؤولة ، فأخوالي آل سالم من السيايرة من الجبور ، ولكن الحق أحق بأن يتبع .

حمد الجاسر

(١) « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة .

(٢) أنظر مقدمة «معجم ماستعجم» ومادة صلاصل من «معجم البلدان».

استدراك حول :

الربان أحمد بن ماجد

(وقع في الحلقة الثانية من هذا المقال المنشورة في صفحة ٣٦٨ و ٣٦٩ سقط في الكلام في الجملة التي عنوانها : (كولمبوس يكتشف اميركا) وما بعده. فجاء الكلام مبتوراً ، ولعل هذا ناشيء من أن عمال الطبعة أضاعوا صفحتين أو سقطت منهم عند الطبع . ولهذا نعيد الجملة كاملة) .

كولمبوس يكتشف اميركا :

لفتت كشوف البرتغال انظار العالم الى هذا المنبع الهائل من منابع الثروة الذي تصر على استنزافه وحدها دون شريك ، فتسد الطريق اليه على غيرها، وتوصد الابواب دونه في وجوه الامم الاخرى دون تمييز . وبهذه السياسة أثارت حسد الأمم الاوروبية وحملتها على السعي لاكتشاف طريق أخرى إلى الهند ، ليكون لها نصيب في ذلك الخير العميم الذي تأبى البرتغال إلا أن تستأثر به وحدها دون سائر الناس. وكانت اسبانيا السباقة في هذا المضمار، فإنها ما كادت تفرغ من القضاء على المسلمين في الاندلس سنة ١٤٩٢ م ، حتى ولت وجهها شطر البحر ، فأرسلت كرستوفر كولمبوس الجنوي في السنة ذاتها لاكتشاف الهند ، بالإبحار غرباً اليها ، توطئة لاستعبادها وانتهاب خيراتها . وعاد كولمبوس من رحلته بعد سبعة أشهر وبضعة أيام ، بعد أن اكتشف جزر الهند الغربية التي حسبها الهند واليابان . ثم بدأ استغلال هذه البلاد على أبشع صورة من صور الاستغلال . فأخذت السفن الاسبانية تنقل السفاحين الاسبان الى اميركا ، لتعود منها محملة بالذهب والنفائس الاخرى.

البرتغال تستأنف نشاطها :

وكان لاكتشاف اميركا ضجة في البلدان الاوروبية ، وخاصة في البرتغال لما أضفاه على اسبانيا من ثراء واسع وجاه عريض في مثل ذلك الزمن القصير. وقد شايعت البرتغال كولمبوس في ظنه انه اكتشف طريقاً بحرية إلى الشرق، وان الاسبان سيجدون عما قريب طريقهم إلى الصين واليابان وغيرهما من من بلدان الشرق الأقصى التي تحدث عنها وعن خيراتها ماركو بولو وغيره من المغامرين الاوروبيين ، وسينعمون وحدهم بتلك الخيرات . فإذا شاءت أن يكون لها نصيب في ذلك الخير العميم ، فعليها أن تشق طريقها الى تلك البلاد مهما كانت التضحيات .

اليهود يحرضون البرتغال :

وبعد اثني عشر عاماً من اكتشاف برثلميو دياز رأس الرجاء الصالح ، وبضع سنوات على عودة كولمبوس من سفرته الاولى الى جزر الهند الغربية ، كان المنجم اليهودي ابراهيم زاكوت Abraham Zakut الاستاذ السابق بجامعة سلمنكا Salamanca يجلس ذات ليلة بين يدي سيده مانوئيل ملك البرتغال ، يستنطق له النجوم عما تخبئه له الاقدار . وجاءه الجواب : ان الملك سينال نصراً عظيماً ، وسيصيب خيراً وفيراً ، وسيتدفق الذهب في خزائنه ، اذا هو انفذ الحملة التي كان سلفه الملك حنا الثاني ، يزمع تجريدها الى الشرق ، شريطة ان يكل قيادتها الى من تتوفر فيه شروط معينة . ويقول مؤرخو البرتغال ، ان زاكوت لم يسم من كان يرشحه للقيادة . ومع ذلك فقد وقع اختيار الملك بصورة غامضة على فاسكو دي جاما ، تلميذ زاكوت بالذات . والمرء لا يملك الا ان يلاحظ تكالب اليهود على حبك المؤامرات ضد العرب المسلمين ، والتحريض على شن الحرب عليهم عن طريق التجسس والتنجيم وغير ذلك من وسائل الوقيعة والدس ، حتى في ذلك العهد البعيد .

ديوان عمرو بن معـــد يكرب الزبيدي

من شعر عمرو بن معديكرب ، مما لم يرد في الشعر الذي جمعه الاستـاذ هاشم الطمان ، الذي تحدثتم عنه في ص ٢٦٦ من هذه السنة ما جاء في كتاب « شرح الدامغة » الورقة الـ ٦٠ مخطوطة مكتبة الامام يحيى اليمنية الفريدة ونصه : (ومن ذلك يوم رَنية ورَنيةُ القريحا.وفيه يقول عمرو بن معديكرب في شعر له ، فيه طول :

فلما هبطنا بطن رنيّة بالقنا ... أرنّ سحاب رعدُهُ متجاوبُ
وسلت سيوف الهند منا كأنها ... مخاريق نالتها أكف لواعِبُ
بها نتشافى الغلُّ في ذات بيننا ... وترهو بأيدينا سيوف قواضبُ
مشهرة ألوانهـــا حِمْيَريــــة ... ترانا بها نسمى اذا ما نُضاربُ
فـكلنا لهم بالصاع صاعين عنوةً ... فآلوا برب البيت أن لا يحاربوا

فقال عامر في جواب له طويل :

لا تعجلنْ يا عمرو وانظر كتائباً ... تساق اليـــكم بعدهن كتائب
إلى اطم ظبي يعتلكن شكائمًا ... مقانب يهديهـــا إليك مقانبُ
هنالك لا تنجيك منـــا قضاعة ... ولا مَذْ حجإنسار كعبوحاطب

الأطم : الحصن الحصين . وظبي : موضع عمرو وهو بيبميم ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال : وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا

والناس يروون : طبى . وذا غلط ظبي وعرعر من أودية نجد ، وقـــد يسميه من يجهله طب . قد نبهنا على كل وقعة منها ببيتين وبثلاثة ، لئلا يطول الكتاب ، لان من شأننا الاختصار ، وقد جمع ذلك الحسنُ في كتابه المؤلف في « مفاخر اليمن ووقائعها » انتهى .

وأقول : الهمداني — وإن كان علامة فيما يتعلق باليمن ، إلا أن استشهاده بشعر امريء القيس على ظبي في غير محله ، فظبي الذي ذكره امرؤ القيس في شمال الجزيرة ، وليس في جنوبها كما أوضح ذلـك الهجري — وهو من مشايخ الهمداني — فظبي يقع بقرب عرعر وابي القور في جهة السماوة [١] .

(١) انظر كتاب « ابو علي الهجري » ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

ومن شعر عمرو بن معدي كرب مما لم يرد في الديوان ما أورده الهمداني في « شرح الدامغة » [1] أيضاً ، في كلامه على مقتل عمارة بن مرداس السلمي في يوم الغُمير بين بني عوف من خولان وبني سُلَيْم :

لو كان عباس هنالك حاضراً لَهَوَى،وقد خضب الجبين بعصفر
ولقد صبحت بها عمارة غدوة والبيض تعلو فوقه بالمنشر
ولقد تركت أبا تميم بعدما عضَّ الحسام جبينه لم يقبر
في فتية من قومه خضبت لهم سود اللحا من عاتك متحير
لما وقعنا في التنازل خففت مثل النعام مخافة للأشقر
ثم استمرَّ القوم فوق ركابهم وسُلَيْم صرعى في العجاج الأكدر
نالوا بثأرهم(البيت موجود في الديوان ص١٠٥)بأخي الهزاهز تحت نجد المنظر
لما انتهى لأبيه شدَّ بصارم (موجود في الديوان ص ١٠٦) (*)
فكساه قدر الشِّبْر منه فانكفى شطرين من مُتَيَمّنٍ ومُيَسّرِ
فهوى لِقُطْرَيْهِ بأفحش ضربة من كف (في الديوان ص ١٠٦) (*)

وأورد الهمداني [2] له بَيتاً ويظهر انه من قصيدته المذكورة في الديوان (ص ١١٢) .

فإن ظهور الخيل ثمّ حصوننا ترى لبني عصم بهنَّ تنافسا

ومما يتعلق بعمرو بن معديكرب ما أورده الهمداني [1] ونصه : أن قضاعة ومذحج التقوا بتَثْليث (وهذا الوادي لا يزال معروفاً وفيه قرى وسكان) من ديار زُبيد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى عقر لعمرو بن معديكرب فرَس يقال له اليعسوب، فلما وقع عمرو الى الأرض استدار له الحنون بن كثير العوفي من عوف بن ربيعة بن سعد بن سعد بن خولان ليرميه ، فبصر به عمرو ابن يزيد أخو بني عوف فنهنه، وقال: مهلاً قطع الله يد الأخير!! فكفَّ وأتى لعمرو بن معديكرب بفرس فركبه وقاتل عليه يومه حتى فرّق بينهم الليل، ثم انصرف كل ولقضاعة الطول ، فلما صدرت قضاعة بأرَيْنِب بلغ عمرو بن

---

(١) الورقة ٦٣ .
(٢) الورقة ٥٠ .
(*) مع اختلاف في اللفظ .
(٣) المصدر السابق الورقة ٨٢ .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما يُنشر من تراثنا]

● العَذب الفائض في شرح عمدة الفارض

هذا كتاب في علم الفرائض مؤلفه عالم نجدي من أهل القرن الثاني عشر الهجري هو الشيخ ابراهيم بن عبد الله بن براهيم من آل سيف الشمريِّينَ سكان بلدة المجمعة ووالده الشيخ عبد الله من العلماء ومن أساتذة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد انتقل الشيخ عبد الله إلى المدينة فاتخذها موطناً وعرف بيته فيها بـ (الفرَضي) و بـ (المشرقي) كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب « تحفة المحبين والأصحاب[1] » وكتاب « العذب الفائض » شرح أرجوزة للشيخ صالح بن حسن الأزهري وهو من أوفى الكتب في

يزيد عن عبد الله بن الحارث بن عمرو أخي بني سعد بن سعد شبيه بما كان من أبيه من الكلام في حكيم العلاق ، فأصب عليه ، ثم مر به عبد الله بن الحارث فدعاه وقال : يا ابن أخي : ما كلام بلغني عنك في أمر عمرو والمجنون ؟ قال فقال : نعم يا أبا حكيم ! قد علمت أنَّ عمراً بَطِيْنٌ من دمـاء بني سعد بن سعد ، وكان قد أفقر مَقتَله ، فنهيت عنه ، وسيفه يقطر من دمائنا فأنشأ يقول :

أبصرتُ عمراً في الحديد كأنه ... ليثٌ هزَبْرٌ في حديد أرود
فغضضت طرفي حين خَرَّ جوادُه ... وحبستُ عنه سنان رُمحٍ في اليد
ما كان بي جبنٌ ولا ارتعشتْ يدي ... لكن حميتُ على الهمام الأصيد
من فرع مذْحِجَ في ذؤابَةِ مازنٍ ... يردي الكماة بساعد ومقلد
حطّتْ عليه بنو زُبَيْدٍ بركها ... بالمشرفية كالضرام الموقد
لا تقتلوا ساداتكم فتَعَيَّرُوا ... فمن الكبائر قتلُ كلّ مُسَوَّدِ

---

(١) ص ٣٨٦ .

موضوعه ، يقع في جزءين ، صفحاتها ٥٩٧ وقد سبق أن طبع هذا الكتاب ثم أعيد طبعه بطريقة التصوير بأمر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود وهو من الكتب التي أمر – أطال الله عمره – بطبعها وتوزيعها على مستحقيها إسهاماً في نشر العلم .

● مجلة معهد المخطوطات العربية

وصدر المجلد الثاني عشر بجزءيه الأول والثاني من « مجلة معهد المخطوطات العربية » يضم الأول كتاب « الكافي في العروض والقوافي » للخطيب التبريزي بتحقيق الأستاذ الحساني حسن عبد الله في ٢٥٠ صفحة ، ويحوي الجزء الثاني من البحوث والتحقيقات : المخطوطات العربية في يوغوسلافيا للدكتور حسن قلشي، ثم الردّ على الزبيدي في لحن العامة – تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، ثم « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » – رسالة للسان الدين ابـــن الخطيب – تحقيق الأستاذ عبد الحفيظ منصور . وفي نقد الكتب نقد كتاب « الذخائر والتحف » ، والناقد هو الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، ونقد « ديوان عمرو ابن قميئة » للأستاذ عامر محمد البحيري ، ومما يلاحظ على الجزءين تاريخها ، فقد كتب في الغلاف الأول سنة ١٣٨٦ – ١٩٦٦ وفي آخر الجزء ١٩٦٩ وكذلك الحال في الجزء الثاني وهو جزء شعبان من السنة المذكورة ، والظاهر ان التاريخ مقدم على زمن الصدور ومثل هذا العمل تكرر في كثير من أجزاء المجلة الأخيرة مما كان مبعثاً للتساؤل !!

● محاضرات في التاريخ والآثار

وأصدرت (جمعية التاريخ والآثار) في جامعة الرياض الحلقة الأولى من مطبوعاتها ، بعنوان « محاضرات في التاريخ والآثار » يحوي خمسة أبحاث هي : التقديس وآثاره الجغرافية للدكتور عزت النص – عميد كلية الآداب – والآثار الإسلامية في الأندلس : للدكتور عبـــد الرحمن الحجي – وأضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث : للدكتور عبد الأمير محمد أمين – والمدرسة والتعليم في وادي الرافـــدين : للدكتور محمود الأمين – وتقويم [1]

(١) سبق نشره في مجلة « العرب » ص ٥٣٠ السنة الرابعة .

جديد للدعوة العباسية : للدكتور فاروق عمر – ولمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية : للدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، مع مقدمتين للدكتور عبد الرحمن الأنصاري – رئيس الجمعية ، وللدكتور عبد العزيز الخويطر – وكيل جامعة الرياض ، ثم نظام جمعية الآثار تلاه بيانات إدارية عنها باللغتين العربية والإنجليزية !! كل ذلك في ١١٦ صفحة بطباعة حسنة في إحدى مطابع الرياض. وحسناً فعلت الجمعية بنشرها هذه المحاضرات ،ولعلها تواصل النشر لكي تكون الفائدة من دراساتها ومحاضراتها وابحاثها أعم وأشمل.

● ديوان الصنوبري

أحمد بن محمد الضبّي الحلبي المتوفي سنة ٣٣٤ من أشهر الشعراء في عصره ، يغلب على شعره التغني بجمال الطبيعة ووصف مظاهرها ، وقد فقد القسم الأكبر من شعره ، وبقي منه قطعة من حرف الراء حتى حرف القاف ، في نسخة وحيدة ، وقد قام العالم الجليل الدكتور إحسان عباس بتحقيق هذا القسم منه ، وأضاف إليه تكملة جمعها من مصادر كثيرة ، فجاء الديوان في ٥٨٤ بطباعة حسنة أضفى عليها رواءاً وبهجة عمل أستاذنا الدكتور إحسان ، فبرز يمثل جانباً كبيراً من جوانب شعر هذا الشاعر في جماله وحسن اخراجه.

● خمسة أيام في (ماليزيا)

قام الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في عام ١٣٨٥ بزيارة ماليزيا بدعوة رسمية لحضور الاحتفال بافتتاح (مسجد نيقارا) في (كوالا لمبور) وأمضى في تلك البلاد الإسلامية خمسة أيام سجّل أهم مشاهداته في هذا الكتيب اللطيف الذي بلغت صفحاته ٨٣ وجاءت الحلقة الثالثة من سلسلة كتب أو أبحاث موجزة ينشرها الأستاذ الرفاعي تحت اسم « المكتبة الصغيرة » .

● – العاشر من مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

عثر الطبيب سامي حداد أستاذ الجراحة في الجامعة الأميركية في سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) على الجزء العاشر من مسند عمر بن الخطاب تأليف يعقوب بن شيبة رواية حفيده محمد بن أحمد بن شيبة ، فحقق ذلك الجزء ونشره بعد أن أضاف إليه شروحاً وتفصيلات وافية ، ثم قام ابنه الدكتور فريد بن سامي حداد نقيب أطباء لبنان باعادة طبع ذلك الجزء طباعة جيدة مَيّز الأصل بورق أصفر ، وفصل بينه وبين المقدمات والشروح والفهارس ، وجاء الكتاب في ٢٠٦ من الصفحات على درجة جميلة من التحقيق وحسن الترتيب .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد، ٢٥ ريالاً للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء السابع – السنة الخامسة – محرم ١٣٩١ – آذار (مارس) ١٩٧١

مدن قديمة في الجزيرة :

– ١ –

جُرَش قاعِدَةُ الأَزْدِ (*)

أحاول في هذه الكلمة أن أحدد موقع هذه المدينة التاريخية القديمة التي تحفل كتب التاريخ بذكرها، وخاصة كتب السيرة النبوية، وان لم تكن في هذه هذه البلاد التي أتحدث عنها ، ولكنني عندما مررت مدينة (بَلْجُرَشِي) وبتُّ فيها ، أمضيت أول الليل في مجلس أميرها الرجل الكريم محمد بن سلطان الدوسري القحطاني النسب ، فحفل مجلسه بعلية أهل تلك المدينة ، وجرى الحديث حول جُرَش ، وحاول أحد الاخوان من المعنيين بالدراسة والبحث أن يؤيد القول بأن جرش هي (بَلْجُرَشِي) ودليله على ذلك :

١ – التشابه بين الاسمين – ٢ – أنه يوجد في الجنوب الشرقي من المدينة، وعلى مسافة تقرب من خمسة أكيال وادٍ يُدْعى شَكْران ، ويشمل الاسم الوادي وما حوله من الجبال على ما يقولون ، وقد ورد ذكر جبل شكر في قصة وفود صرد بن عبد الله الازدي على رسول الله ﷺ ، ومن هنا فإن الأخ يرى ان شكران هو شكر. ولكنني أوضحت بأن كلام المتقدمين يدل على ان جرش في أعلى وادي بيشة ، وان موقع هذه المدينة لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، وان جرش تقع بجوار جبل حَمُومة ، على ما ذكر الهمداني وجبل حومة لا يزال معروفاً .

(*) من كتاب « في سراة غامد وزهران » الذي سيصدر قريباً .

لهـذا أردت تفصيل البحث الآن حيث لم يتسن لي ذلك حينما كنت في بلجرشي ، ولكي يستفيد القراء إن وجدوا فائدة فيما سأعرضه .

١ – معروف ان بلدة (بلجرشي) تسمى باسم ساكنها ، وهذا شيء لا يختلف عليه احد ، فهي تدعى السوق ، وسوق بلجرشي ، وبلجرشي من قبيل الاختصار . وبلجرشي كما هو معروف فرع من قبيلة غـامد ، ومعروف ان كثيراً من فروع القبائل في أنحاء الجزيرة قد تكون داخلة في القبيلةبواسطة الحلف او الجوار ، وهناك فروع أراها داخلة في قبيلة غامد ، لأنها قبيلة قوية تقع في بلاد منيعة ، ومن عادة الفروع الضعيفة من القبائل الانضواء الى القبائل القوية ، فقبيلة بلجرشي أرى صواب الاسم بنو الجرشي ، فكأنهم منسوبون الى رجل له نسبة الى جرش ، ومن ثم عرف هـــذا الفرع بالنسبة إلى ذلك الرجل الذي قد يكون أصله من أهل جرش وهي قبيـــلة عريقة في النسب قحطانية ، يجمعها مع قبيلة غامد النسب وقرب الدار ، ومثـل هذا يقال في قبيلة (بلحزمر) –انظر شجرة قبائل السراة – وإذن فلا صلة لاسم بلجرشي بمدينة جرش إلا ما ذكرته .

٢ – ان وجود واد او جبل أو موضع بقرب بلجرشي اسمه شكران لا يعطي القطع بأنه هو جبل شكر الواقع بقرب مدينة (بلجرشي) لتغاير الاسم ، ولأن الاسم الواحد قد يطلق على مواضع كثيرة حفلت كتب الأماكن بذكرها . وأنا لم أشاهد سوى وادٍ يدعى شكران، ولم أرَ جبلاً بهذا الاسم.

من هنا كان لا بد من إيضاح موقع مدينة جرش على مـــا ورد في كتب المتقدمين ، ثم مما جاء في كتابات المعاصرين ، ويحسن لفت النظر الى أن أوفى من حدد موقع جرش هو الهمداني تحديـــداً لا يبقي في نفس أي باحث أدنى شك في بعدها عن بلجرشي ، وبتحديد موقعها الحقيقي .

٣ – أقوال علماء التاريخ عن جرش وأهلها ، وأقدم ما وصل الينا ممـا اطلعت عليه مدوناً هو خبر وفد جرش في سنة عشر من الهجرة ، وقد ورد في بعض المؤلفات بعنوان : خبر وفد الأزد أورده ابن سعد في «الطبقات»[١]

---

(١) ج ١ ص ٣٣٧ طبعة بيروت .

وابن هشام في « السيرة » [١] وابن جرير في « تاريخه » [٢] ونصه : قدم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلا من قومه ، وفداً على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه فأمّره ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك ، من قبائل اليمن ، فخرج صرد حتى نزل بجرش – وهي مدينة حصينة مغلقة ، وبها قبائل من اليمن قد تحصنوا بها ، وقد ضوت اليهم خثعم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بسير المسلمين فحاصروهم بها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها ، ثم انه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان الى جبل يقال له كشر ظنّ أهل جرش أنه انما ولّى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، فصفّ صفوفه ، فحمل عليهم هو والمسلمون ، فوضعوا سيوفهم فيهم حيث شاؤوا ، فقتلهم قتلاً شديداً وأخذوا من خيلهم عشرين فرساً ، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً ، وقد كان أهلُ جُرَش بعثوا الى رسول الله ﷺ رجلين يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشيّة بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ : « بأيّ بلاد الله شكر » ؟ فقام الجُرشيّان فقالا : يارسول الله ببلادنا جبل يقال له جبل كشر وكذلك يُسمّيه أهل جُرش ، فقال : « إنه ليس بكشر ولكنه شكر » قالا : فما باله يا رسول الله ؟ قال : « إن بُدن الله لتنحر عنده الآن » فجلس الرجلان إلى أبي بكر ، أو إلى عثمان فقال لهما : ويحكما إن رسول الله الآن لينعي لكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك فقال : « اللهم ارفع عنهم » فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ، فخرج وفد جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأسلموا فقال : «مرحباً بكم ، أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة « أنتم منّي وأنا منكم » وجعل شعارهم مبروراً وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة والمثيرة – البقرة تثير الحرث وزاد في « لسان العرب » [٣] و « تاج العروس » : وكتب لهم بذلك كتاباً فيه :

---

(١) ج ٤ ص ٢٣٢ . (٢) القسم الأول ص ١٧٢٩ . (٣) مادة ــ س ح ت .

« فمن رعاه من الناس فمالُهُ سحتٌ » أي هدَرٌ – فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة ، وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يغزون في الشهر الحرام :

يا غَزْوةً ما غَزَوْنا غيْر خائبةٍ فيها البغالُ وفيها الخيْلُ والحُمُر
حتّى أتيْنا حُمَيراً في مصانِعِهَا وجمع خَثْعَمَ قد ساغَتْ لها النُّذُرُ
إذا وَضَعْتُ غليلاً كنتُ أحمله فما أبالي ، أدانوا بعدُ ، أم كَفَروا

حُمَير : تَرْخيم حِمْير وفي «شرح المواهب» للزرقاني: (حتى أتيناجريشا).

٤ – أقوال المتقدمين من علماء الجغرافية :

قال الهمداني : ١ – شهران في سراة بيشة وترْج ، فيما بين جرش وأول سراة الأزد .

٢ – جُرَش هي كورة نجد العليا،وهي من ديار عَنْزٍ،ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حِمْيَرَ ، وهم من ولد يريم ذي مقار القيل ، ولهم سؤدد عود وجابة اليمانية في نجد، اليهم ، وهم يقومون معهم بحرب عنز ... وجُرش في قاع ، ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمرُّ في شرقيها ، بينها وبين حومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، حومة وحمة وكولة ، ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بمعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ...

٣ – تندحة – وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار .

٤ – كُتنة : أول حد الحجاز ، وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جرش واحد ، لأنها منها على خط الطول ، من المشرق إلى المغرب ، على مسافة أقل من يوم ، ومن الهجيرة وتثليث عن يوم ، في مشرقها [١] .

وقال ياقوت : – جُرَش – بالضم ثم الفتح – من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وهي في الإقليم الأول ، طولها ٦٥ درجة وعرضها ١٧ درجة . وقيل ان جرش مدينة عظيمة في اليمن وولاية واسعة [٢] .

(١) « صفة الجزيرة » : ١٨٦ .
(٢) « معجم البلدان » .

– شَكَرٌ : جبل قريب من جرش أوقع عنده صرد بن عبد الله الأزدي بأهل جرش ، وكان قدم على رسول الله ﷺ فأنفذه إلى أهل جرش فلم يطيعوه فأوقع بهم . قال نصر : روي أن النبي ﷺ قال يوماً : « بأيّ بلاد الله شكَر » ؟ قالوا : بموضع كذا . قال : « فإن بُدْنَ الله تُنْحَرُ عنده الآن » وكان هناك قوم من ذلك الموضع فلما رجعوا رأوا قومهم قتلوا في ذلك اليوم ، وأظنه يوم أوقع بهم صُرد .

وأقول : ١ – كتنة : واد لا يزال معروفاً يقطعه الطريق من بيشة إلى أبها ، وفيه بئر تعرف ببئر ابن سَمّار ، والوادي طويل يقارب ٢٠ كيلاً ، وكثير المنعرجات .

٢ – تِنْدِحَةُ : واد لا يزال معروفاً فيه قرية بهذا الاسم ، يقع في الطريق بين بيشة وخميس مشيط ، ويبعد عن الخميس بما يقارب ١٨ كيلاً ، ويقع شرقه ويصب تندحة في بيشة .

٣ – أقوال المتأخرين من الكتاب : قال فؤاد حمزة : جرش : يبدأ وادي بيشة من سراة عَبِيدة ورُفيدة وكانت تقوم عند مبدئه قرية عظيمة ، لم يبق منها إلا أطلال وخرائب هي بلدة جُرَش ، ثم يقطع هذا الوادي حدود بلاد قحطان حيث يكون اسمه بيشة ابن سالم أحد زعماء قحطان ، ويدخل في ديرة قبيلة شهران حيث تقوم على أطرافه قرى شهران ومنها خميس مشيط ، وبعد اجتيازها بقليل يصب فيه وادي تندحة ووادي أبها . وبعد أن يجتاز بلاد شهران يسمى بيشة النخل (١) .

ويصف الأستاذ هاشم بن سعيد النعمي (٢) موقع مدينة جرش بقوله : تقع على قاع منبسط ، بالقرب من سفح جبل شكر ، من جهته الغربية ، وتمتد في شكل خربة تقدر بكيلين ونصف طولاً وعرضاً ، وأطلالها لا تزال ماثلة حتى الآن في شكل أهرام متهدمة ، ويوجد بها آثار من أبرزها المسند والصخور المنحوتة ذات الحجم الكبير الرائع ، ويقف منها جبل شكر موقف الحارس الرهيب ، إذ هي تقع في كنفه من الغرب . وفي عصرنا هذا يطلق

---

(١) « في بلاد عسير » لفؤاد حمزة – ٥٤ .

على جبل شكر اسم حومة أو الحمّة ، وهو جبل منيع جداً يبلغ ارتفاعه عن سطح أرضه حوالي الف قدم في امتداد خمسة أكيال تقريباً في الطول ، وموقعه في متوسط بلاد رفيدة ، وبالقرب من أحد رُفيدة[1] من ملحقات أبها بحيث يقع على بعد أربعين كيلاً عن مدينة أبها ، في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، مما يسامت طور القرعاء شرقاً بنحو أربع ساعات تقريباً ، ويحيط به من الجهات الأربع قبائل رفيدة ، من عنز بن وائل [2] .

وقد كتب إليّ الاخ الاستاذ سليمان بن رشيد الهمزاني – أحد رجال التعليم في تلك البلاد ، كتاباً بتاريخ ٢١ – ٢ – ١٣٨١ هـ يصف مشاهداته في (جرش) وما حوله ، يقول فيه باختصار – : بتاريخ ١٧ – ١٢ – ١٣٧٩ قمت برحلة من أبها إلى (جرش) فبتُّ في (خميس مشيط) فعلمت أن ذلك المكان يبعد عن (خميس مشيط) بنحو ثلاثين كيلاً في الجنوب ، فاتجهت في سيارة ومعي من يرشدني إلى الجهة المقصودة ، فواصلنا السير ، وعلى مقربة منها وجدنا مزرعة ، رافقنا صاحبها – بعد أن أشار إلى الموقع – وبعد سير قصير اعترضتنا رجام متناثرة ، ممتدة من الجنوب إلى الشمال ، بحيث لم تستطع السيارة نفوذها فسرنا على الأقدام ، فأول مــــا شاهدنا آثار غرف مبنية بالحجارة البيضاء ، تبلغ مساحة بعضها عشرة أمتار طولاً وخمسة عرضاً ، ويبلغ طول بعض الحجارة متراً وربــع المتر ، في عرض ربع متر ، وسمكه كذلك ، وأثناء سيرنا في وسط تلك الآثار وجدنا عدداً من الحـُفَر الواسعة المعشبة ، والأفنية الرحبــــة ، المتفرقة ، ورأينا حطاماً كثيراً من الآجُرّ والفخار ، كما رأينا طبقيْ رحا عظيمتين ، طول الواحدة متران تقريباً ، في عرض مماثل ، والسمك يبلغ نصف متر ، ولكنني لم أجــــد ثقباً للعود الذي تدار به الرَّحَا عادة ، ووجدت بقرب الثقب الذي يوضع فيه ما يطحن من حبٍّ أو غيره حفرة مربعة . ولما بلغنا منتهى آثار المدينة من الناحية الشمالية وجدنا طبقي رحا أخرى مثل التي وصفناها .

---

(١) أي القرية التي يقام فيها سوق الأحد .

(٢) « تاريخ عسير » ١٢ / ١٣ .

وقد قدرت مساحة موقع المدينة من الجنوب إلى الشمال بنحو كيل ونصف، ومن الشرق إلى الغرب عرضاً بنحو كيلٍ .

وقدقدّرت أن تلك الحفر المشبة كانت آباراً وأن الرّحوين كانتا تداران بواسطة آلة ، وان الأحجار التي بنيت بهـا البيوت كانت تنقل من أمكنة بعيدة ، بدليل بياضها الناصع مع أن الجبال المحيطة بالمدينة سوداء حالكة السواد ، وظهر لي من تناثر بعض الغرف والأقنية أنهـا مدمّرة بفعل حربٍ ضروس .

ثم سألت رفيقي : ما اسم هـــذا الجبل الحالك اللون الذي يقع شرقي المدينة الخربة ، يفصل بينهما الوادي ؟ ! فقال : جبل حَمُومَة – بفتح الحاء وضم الميم المخففة الممدودة بواو فميم فهاء – وحذّرني من الوصول إليه وأنه لا يصل إليه أحد . فسألته عن السبب . فقال : إنه جبل تألفه الجن ، وفيه حيات وأفاع كثيرة ، لحراسة دفين هناك – واسترسل في سرد خرافات وأساطير لا يقبلها العقل ، ولكنني عزمت على الذهاب إليـه ومعي بندقية صَيْدٍ ، فوصلت إليه وصعدته ، وفي أثناء الصعود رأيت على وجه صخرة كبيرة كتابة لا أفهمها ، ورأيت كتابات كثيرة متفرقـــة في ذلك الجبل ، وكنت أسمع أثناء السير رنيناً شديداً استغربته ، ثم ظهر لي أن عقب البندقية عندما يقرع احد الصخور يحدث ذلك الرنين ، الذي جعلني أعتقد أن صخور ذلك الجبل قد تحتوي بعض المعادن كالحديد الصلب ، ثم بلغت قمـــة الجبل فوجدت فيه مكاناً مستوياً فيه آثار قلعة متهدمة ، وكسر فخّار وآجُرّ ، ووجدت أسفل القمة قليلاً صخرة كبيرة ، تقع في الجنوب الشرقي من الجبل قد رسم فوق وجهها صورة امرأة على رأسها تاج ، والصورة عجيبة المنظر ، بديعة الشكل ، لا أعتقد أن يد الرسام الماهر في زمننا تبرز مثلها ، بحيث برزت تقاسيم الصورة كاملة بغاية الدقة مما يحمل على الاعتقاد بـأن الرسم كان بآلة قوية ، وأن الرسام استعمل مادّةً تلين الصخر .

ثم أخذت أبحث في الجبل من جميـع نواحيه فلم أرَ غير الكتابات (انتهى كلام الأستاذ الهمزاني).

وأفادني الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله بن حميّد أن موقــع بلدة جرش لا يزال معروفاً، ويطلق عليه اسم جرش،وهو فيالجنوب الشرقي منمدينة أبها ، بما يقارب الـ ٤٠ كيلاً ، في أعالي وادي بيشة ، وبقربها جبل يدعى شكب – ولعله هو جبل شكر – وجبل آخر هو حمومة الذي ذكر الهمداني .

مما تقدم يتضح موقع مدينة جرش وبعدها بالنسبة الى مدينة أبها قاعدة بلاد عسير اتضاحاً قائماً على أساس جميع الأقـــوال المأثورة عن المتقدمين والمتأخرين ، ويرى أحد المتأخرين ان مدينة أبها حلت محل مدينة جرش التي كانت القاعدة لما حولها من البلاد أي أنها أصبحت قاعدة لهذه الجهة لا أنهـا حلت موقعها وقامت على أنقاضها .

أما قبيلة العواسج – التي تقدم ذكرها في أول البحث – فقـــد حدثت حروب بينها وبين جيرانها ، فانتقلت إلى وادي ابن مَشْبَل ، وهم جماعة ابن مشْبل في أعلى وادي بيشة ، أقرب اليها من بلدتهم الأولى ويعرفون الآن باسم (العواشز) ومنهم شاعر مترجم في كتاب « المحمدون من الشعراء »[١] يدعى محمد بن ابراهيم العوسجي .

إن جرش هذه تقع بقرب الدرجة ٠٠/٤٣° طولاً شرقياً و ١٥َ / ١٨° عرضاً شمالياً .

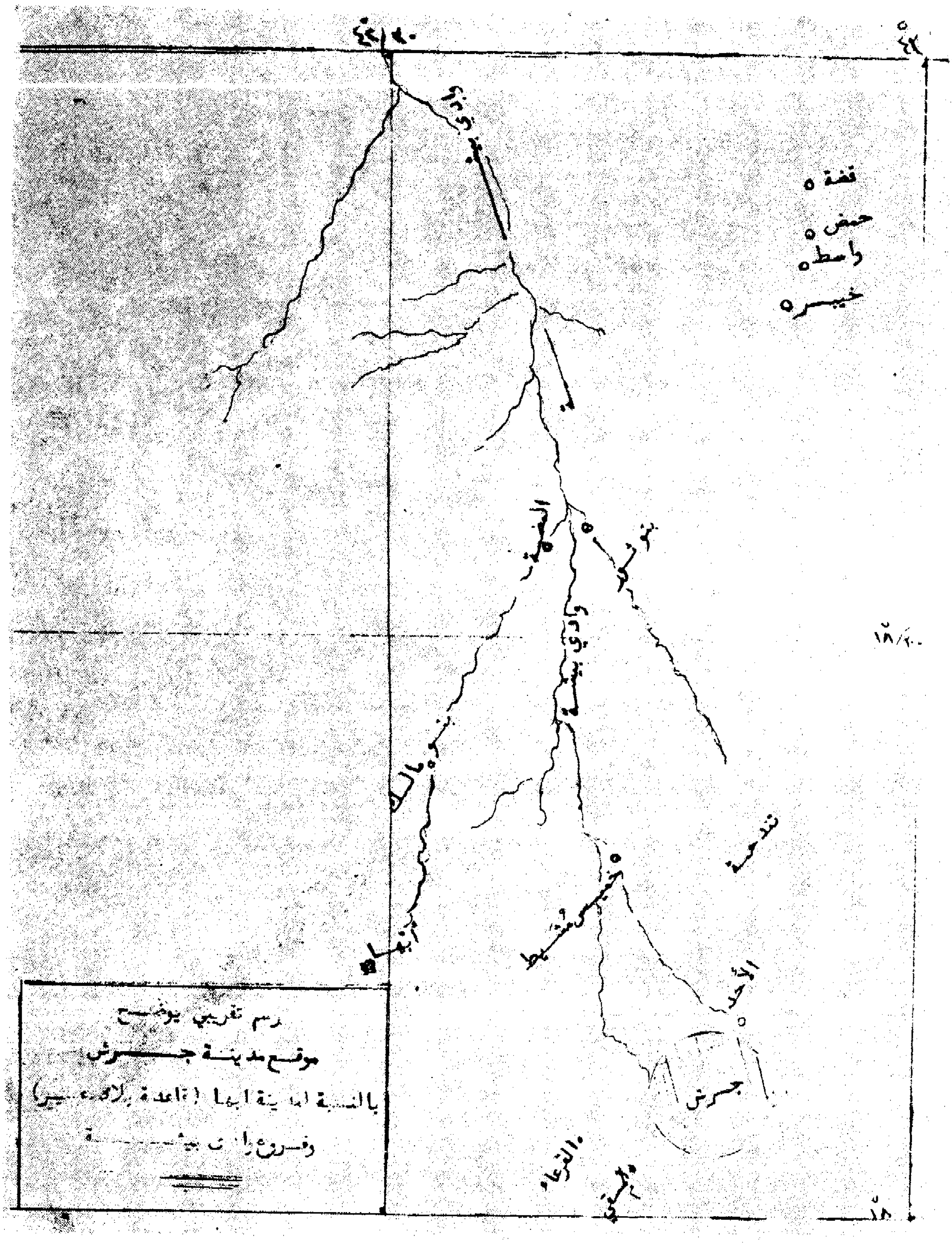
والخلاصة فإن القول بأن بلجرشي هي جرش – هو قول خاطىء ، وأول من علمته قال ذلك – هو الشيخ محمد بن بليهـد – رحمه الله – فقد أورد في حاشيته على كتاب « صفة جزيرة العرب » ما هذا نصه :

١ – جرش في أعلى السراة تطل على بلد المخواة في تهامة وأهـــل جرش غامد ، ولا يعرف إلا بهذا الاسم (أبا الجرشي) »[٢].

وهذا القول خطأ محض ، كما يتبين ذلك مما تقدم .

---

(١) ص ١١٣ .
(٢) حواشي « صفة الجزيرة » ص ٢٨٩ .



قنفة
حمض
واسط
خيبر
بنو مالك
ابها
وادي بيشة
خميس مشيط
تندحة
الأحد
جرش
القرعاء
رسم تقريبي يوضح
موقع مدينة جرش
بالنسبة لمدينة ابها (قاعدة بلاد عسير)
وفروع وادي بيشة

نَصْرُ بْنُ شَبَثٍ العُقَيْلِي

(إنما هواي في بني العباس وإنما حاربتهم محاماة
على العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم) .

نصر

لقد كان العنصر الفعال في الثورة العباسية سنة ١٢٩ هـ — ١٣٢ هـ. القبائل العربية الخراسانية الذين كوّنوا أغلبية الشيعة العباسية يساعدهم في ذلك الموالي من الفرس [١] . على أننا يجب أن نفرّق بين فترة الثورة وبين ما حدث في أعقابها ، فرغم أن العرب قـــاموا بالثورة ، ورغم انهم احتفظوا بأغلب المراكز الادارية والسياسية والعسكرية بعد تأسيس الدولة العباسية ، الا أن هذه الدولة كانت أممية في صبغتها ، وظهرت فيها نزعة قوية تميل إلى إدخال المظاهر الحضارية الفارسية في الادارة ، وأصول السياسة وتقاليد المجتمع ، وبدأ الموالي وخاصة من الفرس يتقلدون مناصب إدارية وسياسية مهمة . وعلى ذلك فإن ما حدث في العصر العباسي الأول هـــو أن العرب لم يفقدوا مراكزهم بل شاركهم فيها غيرهم من المسلمين من غير العرب ، وهذا هو الفرق بين الدولة الأموية والدولة العباسية التي كان فهمها للإسلام أوسع من الفهم الأموي المحدود . وهكذا فإن التفسير العنصري الذي نادى به (فان فلوتن) و (ولهاوزن) [٢] حول الثورة العباسية والإدعاء بأنها ثورة الفرس المظلومين ضد العرب الحاكمين لا أساس له من الصحة .

ومثلما رفضنا التفسير العنصري للثورة العباسية فإننا نرفض التفسير العنصري للحرب الأهلية بين الأمين والمأمون ، والتي حدثت بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ . ذلك لأننا نلاحظ تواجد العرب والموالي في كلا الكتلتين المتنازعتين ، رغم اعترافنا بطغيان العنصر الفارسي بجانب المأمون وطغيان العنصر العربي بجانب الأمـــين . إن أفضل تفسير للحرب الأهلية هي أنها شكلت نزاعاً إقليمياً بين العراق وخراسان حول أيها سيكون

إقليماً مركزياً للدولة ويتمتع بامتيازاتها . إلا أن بلاد الشام ظلت ناقمة على العباسيين منذ أن نقلوا عاصمتهم من دمشق إلى الهاشمية ثم بغداد في العراق . وقد أمل أهل الشام استعادة مجدهم السليب فقاموا بثورات متتابعة ضد العباسيين، وتعلقوا بأسطورة السفياني المنتظر الذي سينقذهم من الظلم العباسي. كما أنهم دفعوا ثواراً من العباسين مثل عبدالله بن علي للثورة ضد الحكم العباسي . وكان الأجدر بعبدالله بن علي أن يدرك بأنه لا يمكن الاعتماد على أهل الشام ذوي الميول الأموية لتحقيق مطامح سياسية عباسية (٣) .

وقد وقع الأمين في نفس الخطأ الذي وقع فيه عبدالله بن علي حيث أقنعه عبد الملك بن صالح العباسي بجدوى الاعتماد على القبائل الشامية ومحاولة الانتصار بهم في حربه ضد المأمون قائلاً : (إن أهل الشام قوم ضرستهم الحروب ، وأدبتهم الشدائد ، وجُلُّهُمْ منقاد إليّ مسارع الى طاعتي) . على أن أهل الشام تجنبوا الاصطدام بأهل خراسان وخافوا مغبة الصراع بعد أن أعطوا عهداً بمساعدة الأمين . وقال أحدهم : (انكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم . اعتزلوا الشر قبل أن يعظم ، وتخطوه قبل أن يضطرم ، شأنكم شأنكم . داركم داركم !! الموت الفلسطيني خير من العيش الجزري) وقال آخر :(والله ما أنا من قيسها ولا يمنها ولا كنت في أول هذا الأمر لأشهد آخره) . فانهزم أهل الشام أمام أهل خراسان . وفشلت محاولة الامين التمسك بالخلافة .

وكان من المنهزمين في هذه المعركة بين أهل الشام وأهل خراسان نصر بن شبث العقيلي على أنه عاد فثار على المأمون مرة ثانية سنة ١٩٨ هـ . ونصر من بني كعب بن ربيعة (٤) وكان أسلافه من رجال بني أمية ، وكان مقيماً في كيسوم شمالي حلب . وقد امتنع عن بيعة المأمون وتغلب على كيسوم وما جاورها، ومنع خراج منطقته أن يرسل الى بغداد ثم امتد نفوذه فشمل شمالي الشام والجزيرة حتى سميساط . وحين زاد عدد اتباعه وقويت شوكته بما

اجتمع اليه من الأعراب وأهل الطمع عبر الفرات الى جانبه الشرقي مستولياً على القرى والمدن ، ثم حاصر حرّان وقد أتاه جماعة من الشيعة العلوية وأغروه بمبايعة خليفة من آل عليّ فرفض ذلك ثم طلب إليه أن يبايع خليفة من بني أمية فرفض هذا العرض أيضاً قائلاً : (إن أولئك قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبداً) (٥) .

وقد مضت ثلاث سنوات ونصر العقيلي متغلب على منطقته ، وقد كان من الممكن أن يكون مصير نَصْرٍ هذا مصير غيره من الثوار المغامرين ورؤساء القبائل الشامية الحاقدين على الدولة العباسية التي اذهبت امتيازاتهم القديمة ممن أخمدت ثوراتهم بسرعة لولا أن طاهر بن الحسين وقد أرسله المأمون لمحاربته كان يحقد على المأمون ووزيره الفضل بن سهل لانتزاعه بلاد العراق منه . فقد ولى الفضل بن سهل أخاه الحسن على بلاد العراق وكتب المأمون الى طاهر بن الحسين أن يمضي الى الجزيرة لمحاربة نصر العقيلي وقد علق طاهر ابن الحسين على ذلك قائلاً :(ما أنصفني أمير المؤمنين !!) . ويظهر من هذا القول ان طاهر بن الحسين كان يرى بانه كان ينبغي توجيه قائدٍ آخر لمحاربة نصر وان منزلته والدور الذي لعبه في أثناء النزاع بين الامين والمأمون يقضيان بإنصافه . ولذلك لم يكن طاهر بن الحسين جاداً في محاربة نصر، بل ان نصراً استطاع ان يهزم جيش طاهر الذي عاد إلى الرقة بفلول جيشه وكان قصارى امره الحفاظ على الامن وسلطة الدولة في النواحي التي احتلها .

وبعد رجوع المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٣ هـ اطلع عن كثب على الحالة في الجزيرة ، وتغلب نصر بن شبث العقيلي عليها فولى عبد الله بن طاهر بن الحسين الجزيرة والشام ومصر والمغرب ، وامره بمحاربة المتغلبين بها . فذهب عبد الله سنة ٢٠٦ هـ . أما طاهر بن الحسين فذهب إلى خراسان ولكنه لم ينس ان يكتب إلى ابنه كتاباً يحوي حكماً ووصايا سياسية وادارية واخلاقية وقد شاع هذا الكتاب بين الناس واعجب به الخليفة المأمون حتى قيل بأنه أمر بان يكتب به إلى جميع العمال .

وقد حاصر عبد الله بن طاهر نصراً وضيق عليه فأوفد اليه المأمون رجلا من أهل الجزيرة هو جعفر بن محمد ليعطي نصراً الأمان . وقد جاء في الأمان: (أما بعد فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر ،والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز ، ولا يزال المعذر بالحق المحتج بالعدل من استفتاح ابواب التأييد واستدعاء اسباب التمكين ، حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ، ويمكن وهو خير المكنين . ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة : طالب دين او ملتمس دنيا او متهوراً يطلب الغلبة ظلماً . فإن كنت للدين تسعى بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقاً، فلعمري ما همته الكبرى ولا غايته القصوى إلا الميل مع الحق حيث مال والزوال مع العدل حيث زال ، وإن كنت للدنيا تقصد فأعلم أمير المؤمنين غايتك فيها ، والامر الذي تستحقها به ، فإذا استحققتها وامكنه ذلك فعله بك فلعمري ما يستجيز منع خلق ما يستحقه وان عظم ، وان كنت متهوراً فسيكفي الله أمير المؤمنين مؤونتك، ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك ، كانوا أقوى يداً ، وأكثف جنداً ، وأكثر جمعاً وعدداً ونصراً منك فيما أصارهم اليه في مصارع الخاسرين ، وانزل بهم من جوانح الظالمين . وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ﷺ وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك ومتقدمات جرائرك وانزالك ما تستأهل من منازل العزّ والرفاه ان أنَبْتَ ورجعت ان شاء الله والسلام) .

وقد قبل نصر بن شبَثٍ أمان المأمون بشرط ألاّ يَطَأ بِسَاط المأمون وقد رفض هذا الأخير الشرط وكتب إليه يهدده بالقضاء عليه وعلى أتباعه ومن انضوى تحت لوائه من خراب الناس [٦] وحين سمع نصر بن شبث علق على ذلك قائلا : (ويلي هو لم يَقْوَ على أربعمائة ضفدع – يقصد الشرط – تحت جناحه ، يقوى على حلبة العرب) !! والظاهر ان الخليفة المأمون كان جاداً في امانه لنصر [٧] إلا أن نَصْراً ذلك الشيخ العربي الحذر اشترط

عدم مقابلة الخليفة وحين رفض الخليفة ذلك امتنع نصر عن التسليم خوفاً على نفسه وعلى قبيلته من اجراءات العباسيين وحفاظاً على كرامته حيث اعتبر اصرار المأمون تحدّياً له .

على ان ملاحقة عبد الله بن طاهر له ، وجده في قتاله خاصة بعد ان عنفه الخليفة ، وحثه على الاشتداد في القتال أجبرت نصراً على الاستسلام والقدوم إلى بغداد بعد أن استمرت الحرب بينهما خمس سنوات .

وفي رواية غير متواترة: أن نصراً لما علم عزم المأمون على القدوم إلى بغداد أملى على كاتبه خطاباً للبطريق مانويل البيزنطي عارضاً التحالف مع الروم فلما علم الامبراطور ميشيل بذلك بعث رسله فوصلوا إلى كيسوم فوجدوه قد خرج إلى قرية سروج ، ولكن أتباع نصر انكروا عليه اتصاله برسل الروم مما اضطره إلى إرسال من قتل هؤلاء الرسل . ويبـــدو ان الملاحم الرومية حفظت ذكرى ثورة نصر وتسميه المصادر الرومية تيوفوبوس . ويشيرميشيل السوري إلى أن نصراً كان يعامل المسيحيين برفق ويقول : (ليس لي عندكم الا الجزية وكل فرد بعد ذلك حُرٌ في اختيار عقيدته) [٨] .

وخرج نصر بالأمـــان سنة ٢٠٩ هـ سنة ٨٢٥ م واستسلمت كيسوم بعد مقاومة خمس سنوات . وسار عبد الله بن طاهر ليستقري الشام بلداً بلداً لا يمر ببلد إلا اخذ من رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل ، وهدم الحصون وحيطان المدن وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وضمهم جميعاً ونظر في مصالح البلدان ، وحط عن بعضها الخراج فلم يبقَ مخالف ولا خالع إلا خرج من قلعته وحصنه .

وقد دخل نصر العقيلي مع جمهرة من اتباعه بغـداد في موكب حافل في صفر سنة ٢١٠ هـ وانزل مدينة (ابي جعفر) ووكل به من يحفظه . على أن بعض العباسيين والحاقدين على المأمون لم يرقهم الصلح وانتهاء النزاع والقضاء على الخلاف بين السلطة وثائر قويّ ، فقطعوا جسر الزوارق الذي يمتد على

عرض نهر دجلة عند اقتراب موكب نصر ، وقد قُبض عليهم وكان المأمون قاسياً في عقابه لهم .

وبدخول نصر العقيلي بغداد ووقوعه تحت سلطة الخليفة انقطعت اخباره ويعترف الطبري بأنه لم يسمع عنه شيئاً بعد ذلك فيقول : (ولم أقف على خبر له بعد) .

من هذا الاستعراض لشخصية نصر العقيلي ولأخبـــاره نقول بان الرواة العرب المولعين بتصوير امثال هذه المساجلات بين الخلفاء والثوار واضفاء صبغة اسطورية فيها الكثير من المبالغة قد أبدعوا في تصوير العلاقـــة بين الخليفة وبين نصر العقيلي . على اننا إذا طرحنا جانباً هذا التزويق بدا لنا بجلاء ان الدولة العباسية لم تعد تعيش في دور قوتها في أيام المنصور بـــل ان الحرب الأهلية قد انهكتها وان الخليفة كان يحاول بشتى وسائل الاغراء والتشويق أن ينهي ثورة نصر العقيلي التي طالت ، أما نصر فيظهر بمظهر الرئيس القبلي الفخور المتعالي والثائر المغامر ، من الذين زخرت بهم بلاد الشام في العصر العباسي الأول ، من أمثال حبيب بن مرة المري وابي الورد مجزأة بن كوثر الكلابي وأبو الهيذام عامر بن عمارة وغيرهم . فلقد خسرت بلاد الشام وقبائلهـــا خسارة كبيرة بزوال الدولة الأمويـــة حيث ذهبت امتيازاتها والأموال التي كانت تدر عليها . ولم يكن هدف نصر العقيـــلي حين ثار إسقاط الدولة العباسية بل جلب انتباهها إلى أهمية القبائل الشامية وخطورتها ، وبالتـــالي نيل خطوة الخليفة وقد أدرك الخليفة المأمون ذلك ولهذا فهو يسبغ عليه الوعود بالامتيازات إذا رجع إلى الطاعة واستسلم .

لقد كان نصر ثائراً من أجل القبائل الشامية التي فقدت الامتيازات التي أغدقت عليها في العصر الأموي ، أما ادعاؤه بأنه ثار من أجل العرب الذين تبوأ العجم مراكزهم ، فقول مبالغ فيه ذلك لأن الدولة العباسية في عصرها الأول لم تقدم العجم على العرب الذين احتفظوا بمراكز القيادة في السياسة والادارة

والجيش ، ولكنها أشركت الموالي في هذه الوظائف والامتيازات . على أن الدولة العباسية التي قامت على أكتاف العرب من أهل خراسان والعراق وخاصة القبائل اليمنية والربعية منهم كانت تنظر نظرة حـــذر وشك الى القبائل الشامية الموالين للأمويين فلم تقرب شيوخهم ولم تصطفهم إلا نادراً ، وهذا بعينه يفسر لنا سبب ثورة نصر بن شبث العقيلي وأمثاله من شيوخ القبائل السورية الذين كانوا يمثلون الفروسية العربية من الطراز القديم بكل ما في ذلك من معانٍ .

بغـــداد — الدكتور فاروق عمر

---

(١) عن فلسفة الثورة العباسية ، انظر : الدكتور فاروق عمر « طبيعة الدعوة العباسية » بيروت ١١٦٩ .

(٢) فان فلوتن : « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات » القاهرة ١٩٣٤ (مترجم).. « الدولة العربية وسقوطها » بالانكليزية ١٩٢٢ .

(٣) الدكتور فاروق عمر ، (العباسيون الأوائل) ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٠ .

(٤) الزركلي ، (الاعلام) الطبعة الثانية ، جـ ٨ ص ٣٤٢ .

(٥) الطبري (تاريخ) جـ ٧ ص ٢٥٨ .. اليعقوبي (التاريخ) جـ ٣ ص ١٧٤ فما بعد .. المسعودي (مروج الذهب) الطبعة الثالثة جـ ٣ .. ابن الأثير (الكامل) بيروت ١٩٦٥ جـ ٦.

(٦) المؤلف المجهول ، (العيون والحدائق) ص ٣٥٥ .. انظر كذلـك ابن العماد الحنبلي « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » جـ ٢ القاهرة ١٣٥٠ .

(٧) لقد أدهشت المأمون شروط نصر العقيلي فقال :(أتراه أعظم جرماً عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد ؟) ويشير إلى أن الفضل أخذ قواد المأمون وجنوده وسلاحه جميع ما أوصى به اليه الرشيد وذهب به إلى الأمين وتركه في مرو وحيداً وأفسد عليه أخاه فكان من أمره ما كان . أنظر الطبري (تاريخ) جـ ٧ ص ١٧١ .

سُوقُ عُكَاظ (*)

[فصل من كتاب « المجاز بين اليمامة والحجاز »
الذي صدر حديثاً عن (دار اليمامة للبحث
والترجمة والنشر]

عُكَاظ : إذا نكبنا (البَرْثَ) وابارقه ، واعترض أمامنا وادي (المَبْعُوث) يأتي من ناحية الجنوب الغربي ويصب ناحية الشمال الشرقي ، فوقه جسر كبير إذا اجتزنا هذا فقد دخلنا بِحِمَى (عكاظ) فلنمض إذن حتى نصل النقطة المناسبة التي تتوسط المكان لنتمكن من استيعاب المنطقة ودراسة اعلامها وحدودها على ضوء ما قرره العلماء .. ومن ثمّ نعطي رأينا حول ذلك ..

ستنطلق بنا السيارة بعد اجتياز جسر (وادي المَبْعُوث) أميالاً لنكون بعدها بمحاذاة جُبيلٍ أسود يسار الطريق ، لا يبعد عنه إلا أمتاراً ، وإلى جانب هذا الجبل شرقيه شماليه قلعة أثرية تقوم فوق جبل آخر محاذ لهذا الجبيل .. ماثمة علامة أميز ولا أظهر من هذا الجبيل وهذه القلعة . يراهما سالك الطريق بدون تكلف .. ويقابل هذا الجبيل وهذه القلعة من الشمال الغربي يمين الطريق هضيبات متناوحات سمراوات يقال لهن (كُلَيّات) .

فما هو هذا الجبيل الذي أعطينا عنه هذا الوصف وما هي القلعة التي بمحاذاته ؟؟ هذا الجبل هو (الخَلَصُ) والقلعة التي بجانبه هي (مُشْرفة) أريدك إذن أن تقف حيث هذا الجبل وهذه القلعة ، ولا تكلف نفسك أكثر من خطوات يسيرة تخطوها معي شطر جبيل (الخَلَص) وقلعته ، وستجد نفسك مدفوعاً لتسلق هذا الجبل المتطامن لتبصر بعينيك الاعلام التي حدد بها العلماء موقع (عكاظ) ومن ثم تتصور المكان وتحكم عليه فالحكم على الشيء فَرْعٌ عن تصوره ..

(*) أنظر ملحق الجزء الثالث من السنة الثالثة من مجلة « العرب » .

من قمة هذا الجبل سيكون المنظر الذي سيستبد باهتمامك هذا الوادي الأفيح ، يقبل من ناحية الجنوب الغربي،وتنحصر عنه الجبال لتصب فيه روافد أخرى ، حينما يأخذ يدفع (بعكاظ) ، وهنا تتعانق طلوحه ويلتف سدره وتنداح بطاحه . سوف يتابع نظرك حراج هذا الوادي وخمائله ويرجع ما بلغ نهايته من الناحية الجنوبية فعد ببصرك متبعاً مسيل الوادي تجده حينما يقبل على جُبيل (الخَلص) الذي نحن الآن بقمته تتقلص أشجاره وينبسط في مثل السهوب جاعلاً (الخلص) و (مُشْرِفة) يساره ، وهنالك يمر بماءة (المَبْعُوث) وهو يقع تحت جبل (الخلص) و (مشرفة) من الناحية الشرقية الشمالية وهو للقُشْمَةِ وبه بئران لذوي جُودِ الله . والوادي حينئذ والماء يطلق عليها (المبعوث) وسوف تتابع هذا الوادي ببصرك وهو مشرق مشمل حتى يجاوز طريقنا هذا من عند الجسر الذي انطلقنا منه على مشارف (عكاظ) ومنه يفضي إلى (رُكْبَة) ثم الأبرق وهو الذي تحدثنا عنه بعد (رَضْوان) ثم يسيح في محاير وأباريق هنالك في قلب (ركبة) .

ولهذا الوادي عدة أسماء باعتبار الأرض التي يمر فيها فهو (المبعوث) منذ أن يلتقي وادي (المُهَيْد) (بالأخيضر) حتى يدفع في (ركبة) ويضيع هنالك .. وما فوق (المهيد) مدفع (شرب) في (العرج) يسمى (قران) وما فوقه يسمى (بالفريدة والعقيلة) وما فوقها يسمى بـ (شُوَيْحط) وما فوقه يسمى بـ (العَرْج) وما فوقه يسمى بـ (وَجّ) وما فوقه يسمى بالمثناة وما فوقه يسمى (بالوهط) و (الوُهَيط) وهكذا فهو واد واحد ينحدر من قمة جبال السراة من جبل (بَرَد) وما حوله من الجبال ويمر بهذه البلدان فيأخذ من كل بلاد اسمها حتى يتلاشى في سهوب (ركبة) .

وما دمت في وقفتك هذه تصورتَ فكرة موجزة عن هذا الوادي بحيث ستتبين موقع (عكاظ) منه حينما يحدده الوصف ، فلا بأس أن نلقي معك نظرة عابرة على هذه الأعلام منتشرة هنا وهنالك وأكثرها نص عليه علماء المنازل والديار في تحديدهم لمكان عكاظ ..

سنستقبل معاً مطلع الشمس من على ظهر هذا الجبل لنرى جبلين أسودين

متناوحين ، يقعان بين مطلع الشمس وبين الشمال لا يبعد أحدهما عن الآخر أكثر من ميلين هذان هما (عُويقران) الشمالي والجنوبي وبجانب الشمالي منهما ماءة (القُرَشيّة) وهي ثلاث آبار وماؤها متوسط العذوبة وعمقها اثنتا عشرة قامة وهي لقريش تقع في ضفة وادي (المبعوث) الجنوبية قريباً من جسر الطريق .

ولم يذكر العويقران في الاعلام التي تحف بعكاظ وهما من أبرز العلامات الموجودة هنالك جبيلان متقابلان كالثديين لا تقتحمهما عين واصف ولا يمكن أن يغفلهما محدد . فهلا يكونان هما الاثيداء اسمها مشتق من واقعها . وقد حدد الأصمعي مكان عكاظ بالاثيداء ؟؟ لا يكون ذلك بعيداً !! هما لا يبعدان عن جبلنا الذي نحن بقمته أكثر من أربعة أميال بيننا وبينهما متسع الوادي حيث يقع ماء (المبعوث) يصوب النظر فيكون قبالته ويصعد من عن يمينها بعيداً بعيداً فيرى جبل (حضن) عندما تكون الرؤية واضحة وقد تحدثنا عن (حضن) ومناهله وما حوله .

وحينما تحول نظرك الى اليمين قليلاً وأنت لا تزال تشاهد (حضناً) ترى جبل (عُنّ) جبلاً فارداً يقع بين جبل (حضن) ووادي (سامودة) وفيه يقول الشاعر :

فقالوا : هلاليون ، جئنا من أرضنا   إلى حاجة جبنا لها الليل مدرعا
وقالو : خرجنا مِ الّقفا وجنوبه   وعُنّ فهمّ القلبُ أن يتصدعا

وقد ذكره مقبول بن هُريس الشلويُ من أبيات شعبية .. قال :

يَا بُو سَعَدْ خَلّ الرّكَايِبْ يَسِيْرِن
واذَا غَدَا شَيٍّ عَلى اللهْ بَدَالِهْ
وازْمِ كَمَا يَرْمي عَلَى السّابْلَهْ عِنّ
يَوْمِ رَدِيّ الخَــــال يَبْخَــل بِمَالِهْ
نَاخِذْ ثَمَان وْجَابْ وَالنّجِرْ مَادَنّ
البُنْ بَاحْ وَلا بَقَــــى الاّ دْلاَلِهْ

وتقبل ببصرك من تلقاء (عنّ) منحرفاً إلى الجنوب قليلاً لتشاهد جبلين

متقابلين غربي وشرقي بينهما مسافة ليست بالبعيدة يقال لهما (الوُقَيْران) وُقَير الشرقي ووُقير الغربي.. يمتد من حذائهما حرة سوداء تقبل حتى تشرف على وادي (المبعوث) وعلى ملتقى (شَرِب) بالأخيضر تطلع عليهما الشمس من تلقائها وقد ذكر ابن بليهد نقلا عن عرام بن الأصبغ قوله : (.. وإذا كنت في عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها في جاهليتهم وينحرون عندها [1]) اهـ .

وتقبل ببصرك أيضاً تاركاً الوقيرين والحرة وتهبط ببصرك إلى حافة الوادي تحت الحرة لتشاهد أطلال دار متداعية طال عليها الأبد ، لا تكاد تتبينها لمشابهتها بالحرة التي تليها هذه يقال لها (الدار السوداء) حتى الآن .

وتتحول ببصرك ناحية الجنوب ، والجنوب الشرقي وليطمح نظرك بعيداً لترى جبلاً فارداً هرميّ الشكل لا يشابهه جبل في هذه الناحية ارتفاعاً وصفة ، يقوم على متن من الأرض أشبه ما يكون بالحزن هذا الجبل هو (حلاة جلدان) التي يذكرها علماء المنازل والديار حينما يذكرون هذه الناحية . قال الأستاذ حمد الجاسر : (.. وفيها – يعني جلدان – هضبة سوداء تسمى قديماً (بتعة) نقل ياقوت عن الأصمعي أن بها نقباً كل نقب قدر ساعة كان يلتقط بها السيوف العادية والخرز ، ويزعمون أن فيها قبوراً لعاد ، وكانوا يعظمون ذلك الجبل) اهـ . ثم قال : وتسمى هذه الهضبة في عهدنا (الحلاة ، حلاة جلدان) ومن كلام بَدْوِ تلك الناحية : من ملك نَزْهان بن نزهان ، وأتانة وأتان ، وخمسين من الضان ومرعى جنب حلاة جلدان فهو سلطان مـا عليه سلطان ، أي من ملك كلباً أصيلاً وحمارين ذكراً وأنثى وخمسين شاه يرعاها في هذا الموضع فقد بلغ الغاية من العز) انتهى كلام الأستاذ حمد .

وجلدان هو الذي يعنيه الرداعي في أرجوزته حيث يقول :

يا هند لو أبصرت عن عيان قلائصاً يوضعـــن في جلدان

قال بعد هذا :

فقلت لما ثاب لي احتفاظي والقلب فيـــه شبه الشواظ

---

(١) هذا القول ليس في رسالة عرام !!

سَلْ الهوى عن قلبك المغتاظ　　والعيس تطوي الارض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ　　مسهلة للخبت من عكاظ

ومع أيمن (حلاة جلدان) دونه عِبالٌ بيض بين الحلاة وبين الوادي تدنو حتى تقرب من مقابلة وادي شَرِب وادي الأخيضر وتتلاقى مع الحريرةالتي تحدثنا عنها آنفاً . وهذه هي التي يعبر عنها بالعبلاء حيناً وبالعبيلاء حيناً آخر وبها اليوم المشهور من حروب الفجار يوم العبيلاء . وفي ذلك اليوم يقول خداش ابن زهير من هوازن :

ألم يبلغكم أنّا جدعنا　　لدى العبلاء خندف بالقياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى　　تولوا طالعين من النجاد

والحُريرة التي تلي العبلاء هي التي عناها شاعر هوازن ايضاً حيث قال :

الطاعنين نحور الخيل مقبلة　　من كل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فابلاكم بلاؤهم　　يوم الحُريرة ضرباً غيرمكذب

ودُوين العبلاء والحريرة وعلى مقربة من ملتقى شرب والاخيضر دونذلك يساره هنالك مجموعة من الحجارة منصوبة هنا وهنالك كالاناس الوقوف على حافة الوادي بينه وبين الحريرة هذه يقال لها في هذا العهد (المُرَّزّز) ،أما قديماً فقد ذكرها أكثر من واحد وذكروا انهم يعظمونها ويطوفون حولها . قال عرام بن الاصبغ السلمي : (وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم الا ما كان من الانصاب التي كانت في الجاهلية وبها الدماء من دماء الابل كالارحاء العظام) ا ﻫ . وانك لنشاهد هذه الانصاب وانت في مكانك من هذا الجبل ثم تدني بصرك قريباً قريباً فتشاهد من جبلك هذا تحته هضيبة صغيرة تدعى في العرف (نصلة) أو (رخيمة) تسمى (الشُظَفَاء) ادنى ما يكون لجبلنا الذي نقتعد رأسه جنوبيه وحولها قبور وانصاب منها بنية مرتفعة على قبر يقال له قبر احمد صاحب المبعوث يعظم قديماً عند أهل هذه الناحية : وهذه الرخيمة (الشظفاء) لم أجد أحداً تعرض لها أو ذكرها رغم انها ملاصقة لمكان عكاظ وعلامة بارزة من موضعه ولعلها ما يسمى قديماً (بشمطة) مجهولة المكان الآن .

ومن الجنوب لنتحول معاً إلى الجنوب الغربي لنستقصي اعلام تلك الجهة ونأخذ في دراسة دائرتنا العكاظية من على ظهر هـــذا الجبل جاعلينه نقطة ارتكاز لجولتنا هذه .. سنمد بصرنا هذه المرة بعيـــداً فيما دون (الحَـوية) وسيكون آخر جبل تقع عليه العـــين من منطقتنا في هذا الاتجاه هو جبل (القـُنّة) بمجموعة الجبال المشرفة على (الحوية) من الناحية الشمالية الشرقية وفوق هذه الجبال من الناحية الشمالية الغربية هضيبة منفردة لاطنة اسمهـــا (مثملة)يقابلها من الشمال جبيلات صغيرة متقاودة تسمى(التُيوس)وينحدر من تلقاء هضيبة (مثملة) مسيل يجاريه من الناحية الجنوبية الغربية مسيل آخر يقبل من غربي (الحوية) من تلقـــاء جبيل هنالك يقال له (القميع) جبيل احمر منفرد يمر به طريق السيارات الاول الآتي عن طريق السيل .. هذان المسيلان مسيل (مثملة) ومسيل (القميع) يلتقيان قريباً من الطريق طريقنا الذي نتحدث عنه ويسميان حينئذ « الريكة الجنوبيـة » ومسيل «الريكة» هذه وما بين « القنة » و « المطار » يسمى « الربوة »وهي منطقة تختص بالاشراف الشنابرة وفي طرفها من الشرق مما يلي الوادي سلسلة جبال متقاودة تمتد من الشمال إلى الجنوب يقال لها : (جبال الصالح) وطرفها من الجنوب يقال له (جبل العَقـْرب) وهو لابن عثمان من عدوان عنده (قرية العقرب) بها نخيلات وعين جارية .. وجبال الصالح هذه تشرف على وادي (شرب) ويقول الأستاذ حمد الجاسر : (دخم : الجبـــل الذي لجأت إليه بنو كنانة يوم شمطة. لا يبعد أن يكون هو الجبل المسمى في عهدنا (بالصالح) بقرب قرية العقرب لعدوان . ويسمونه الصالح لاعتقادهم بان رجلاً صالحاً قبر فيه . وهم يعظمون ذلك الجبل في العهد الماضي ويقع غرب موقع عكاظ بمسافة قصيرة) . انتهى كلام الأستاذ حمد . وشمال (جبال الصالح) (جبـــال مدسوس) على سمتها ، وبقربها غربيها قرية العواجية بجال شرب من الغرب . وشمال (الربوة) وجبال مدسوس والمطار والريكة الجنوبية شمـــال ذلك سلسلة جبيلات سود متقاودة تقبل من ناحية الغرب لناحية الشرق كأنهـــا سناف . هذه يقال لها (القروى) وفي طرفها الشرقي ممـــا يحفه طريقنا هذا

يساره جبيل مستدير أعلاه قلعة تسمى (العَرْفاء) وحولها جبيلات تسمى باسمها وتحتها قرية تسمى باسمها أيضاً لذوي جود الله الاشراف وشرقيها قرية (الأعاضيد) وشمالي جبيلات القروى جبيلات متقاربـــة تسمى جبيلات (رميح) وكذلك شمالي العرفاء جبيلات أخرى تدعى جبيلات (الخزاز). وشمالي جبيلات رميح هضبة طويلة في رأسها قلعة هذه هي (هضبةالجُودية) تراها وأنت على الطريق غربيك وخلفهـــا شماليها جبيلات سود يقال لها (الوشح) . وشمالي سلسلة جبال القروى واد يقال له (الريكة الشمالية) يقبل من ناحية الغرب جاعلاً الربوة وما بها من مسميات يمينه كما ان الريكة الجنوبية تجعلها يسارها وتحت العرفا من الشرق تجتمع الريكتان ويشكلان وادياً واحداً اسمه (المُهَيد) تصغير مهد . ويلب بوادي المهيد من الشمال شعب يقبل من الناحية الغربية أيضاً يسمى شعب (أم السلم) وشمالي شعب أم السلم حزيمات سود متقاربات يطؤها الطريق يقال لهـــا (الأمهاد) يليها جنوباً حزيمات صفار حمر يقال لها (الظفير) .

ومن ذلك نكون قد أتينا على جبلنا الذي نحن على قمته مستوفين الأعلام الواقعة غربيه جنوبيه مما تقع عليه العين من رأس هذا الجبل او يمكن ان تقع عليه العين .

ولنتحول اذن عن ناحية الجنوب الغربي إلى ناحيـــة الشمال الغربي بالنسبة لجبلنا هذا ، لتمتد أمامنا أرض سهلة منبسطة قليلة الاعلام تسمى (الفشحة) تذهب مغربة حتى ليكاد يقصر الطرف دونمداها وهنالك تقوم عبال وحزون هي الحد الفاصل بين (الفشحة) وبـــين (وادي قُـرّان) فما سال مشرقاً منها يسيل في الفشحة وما سال مشملاً أو مغرباً يسيل في قُرّان وهو واد جيد يسيل به ما حاذى المناقب – الريمان – حتى السيل الصغير وما تعلق عليه من الجبال والحزون والعبال . ولقد عهدت اعلاه خميلة ملتفة يتكاثر بها شجر السلم والثمام وكثير من العظاء .. فنصنا الأرانب في هذه الخميـــلة وما اكثرها وما أوفرها آنذاك حامل البندقية ينطرح في منخفض وسط هـــذه الخميلة ويذهب زملاؤه منه على مسافة ميل تقريباً يستطيلون الوادي ويأخذون

مقبلين في رهج وأصوات عاليـــة لتنساب الأرانب من مرابضها وتأخذ في الوادي وليكون حامل البندقية متنبهاً لما يمر به ولم نلبث حتى نسمع صوت البندقية متوالياً ولم تمض هــذه الفترة من احتواش الأرانب حتى يكون قتل منها عدد ليس باليسير ، يجتمع سيل هذا الوادي فينصب في وادي العقيق من فوق ماءة عشيرة .

ولنتحول بعدئذ بانظارنا من فوق جبلنا هذا إلى ناحية الشمال لتمتد أيضاً أمامنا منطقة سهلة هي جزء من (الفشحة) بل هي طرف (ركبة) الغربي وليكون أول علم ندركه جبل أسود متربع على طرف الحرة حرة بني سليم مما يلي العشيرة هذا الجبل هو جبل (بُس) يبعد عن مكاننا هذا مسافة يوم للابل : يذكر العباس بن مرداس السلمي جبل بس يوم حنين فيقول :

هزمنا الجمع جمع بني قَسِيٍ وحكت بركهـــا ببني رئاب
ركضنا الخيل فيهم بين بس إلى الأورال تنحط بالنهاب
بـــذي لجب رسول الله فيهم كتيبتـــــه تعرض للضراب

ويقول الشاعر العاهان :

بنون وهجمــة كإشاء بُس صفايا كَثَّةِ الأوْبار كــوم

وقال شاعر من بني سعد بن بكر :

أبت صحف الغرقيّ أن تقرب اللوى وأجراع بُسٍّ وهي عَمٌ خصيبها
أرى إبلي بعد اشتمات ورتعـــة ترجـــع سجماً آخر الليل نيبها
وان تهبطي من أرض نصر لغائط له بُهْرَةٌ بيضـــاء رَيّاً قليبها
وان تسمعي صوت المكاكيّ بالضحى بِغَيْناء من نجـــدٍ يساميك طيبها

وقال الحصين بن الحُمام المُرّي :

فإن دياركم بجنـــوب بُس إلى ثَقْفٍ إلى ذات العظوم

ذكر في كتاب « بلاد العرب » ان لبني نصر من الجبال الجَمدُ وبُسٌ وأورد الأبيات البائية المتقدمة .

وكما قلنا أن (بُساً) متربع على طرف حرة بني سليم الجنوبي مما يلي

عشيرة ، وهذه الحرة من أعظم الحرار وأكبرهـا في جزيرة العرب حددها الأستاذ حمد الجاسر فقال : « .. وحرة بني سُليم هي الحرة العظيمة الممتدة من ذات عرق جنوباً إلى قرب المدينة ، وشرقاً من طرف ركبة الشمالي الغربي والعقيق حتى رُهَاط غرباً . ويمتد منها ألسنة طويلة تتصل قريباً من البحر وأحد أطرافها (ثنية هرشا) . انتهى كلام الأستاذ حمد .

ويستطيل جنوبي الحرة وادي العَقيق يقبل مما يلي المناقب — الريمان — ووادي قـرّان وشماب الحرة الجنوبية وام الخِرْوع وغيرها ويذهب مشرقاً يلب للحرة وفيه الطلوح المظيمة والسيال والسدر والعشر ، فيمر ببلدة عشيرة وبمنهل المحدثة ومنهل تنضبة ويفترع الحرة بعدئذ مشملاً فمغرباً يقول ابن بليهد عن هذا العقيق : (في بطن ذلك الوادي إذا اتجه شمالاً عيون وآبار كثيرة عذبة وهي بالقرب من المدينة وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمض ، ويصبان معاً في البحر ، هذا هو الذي بلغني عن الثقـــات) انتهى كلام ابن بليهد . وهذا العقيق هو الذي عناه ابو وجزة السعدي بقوله :

يا صاحبيّ انظـُرا هَل تؤنسان لنا بين العقيق وأوْطاسٍ بأحداج!

وهو الذي عناه الشافعي — رحمه الله — حينما قال : (لو أهلوا منالعقيق كان أحب إليّ) .

والأعقة في بلاد العرب كثيرة اشهرها عقيق المدينة وعقيق اليمامة ، وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق وتغنوا به ، قال اعرابي :

أيا نخلتي بطن العقيق أمـــانعي جنى النخل والتين انتظاري جناكما
لقد خفت أن لا تنفعاني بطائلٍ وأن تمنعاني مُجْتني ما سواكما
لو أن أمير المؤمنين على الغِنى يحدث عن ظلّيكما لاصطفاكما

وقالت أعرابية :

اذا الريح من نحو العقيق تنسمت تجدد لي شوقٌ يضاعفمن وجدي
إذا رحلوا بي نحو نَجْد وأهـله فحسبي من الدنيا رجوعي الى نجد

وهناك ذو العُشَيرة من أودية عقيق المدينة بقربها ، وفيه يقول عروة بن أذينة :

يا ذا العُشَيرة قد هجت الغداة لنا   شوقاً وذكرْتَنا أيامك الأوَلا
ما كان أحسن فيك العيش مؤتنقاً   غضّاً وأطيب في آصالك الأصلا

وبوادي العقيق وعُشيرة وحرة بني سليم نكون قد أكملنا من على ظهر جبلنا هذا – الخَلَص – دائرة متكاملة حول عكاظ بدأناها بركبة وانتهينا بها ، أتينا على الأعلام التي نراها أو يمكن أن نراها من قمة هذا الجبل ،بعضها تكون مسافته عن جبلنا هذا أكثر من مسيرة يوم للإبل ..

وحيث قد وصفنا هذه المنطقة وصفاً مستفيضاً يمكن من خلاله أن نحدد موقع عكاظ تحديداً دقيقاً .. فلا بد ان نورد شيئاً من أقوال علماء المنازل والديار في تحديد موقع عكاز مما اصاب شاكلة القول وحدد تحديداً صائباً تكمل الفائدة بإيراده وتطيب النفس بذكره ، ويأنس به من يريد الدقة في التحديد ..

قال الأصمعي : (عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب بموضع يقال له الاثيداء، وبه كانت ايام الفجار وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون اليها) . اه .

وقال الازرقي : (وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء في عمل الطائف على بريد منها وهي سوق لقيس عيلان وثقيف وارضها لنصر) . ا هـ .

وقال الهمداني : (عكاظ بمكد هوازن وهو سوق العرب القديمة وهو لبني هلال اليوم .. قُرْان وشرب مكانان من أرض عكاظ وهذه المواضع من الجرداء ويضرب على مشرق هذه المواضع جبل الحضن من المحجة على يوم وكسر ثم ضرب الناس من قران وشرب ذات اليسار فعلوا رأس السراة وهو المناقب وانحدروا فيها) اه .

وقال ابو عبيد البكري :(عكاظ –بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة– صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التي كانت بها في الجاهلية وبها دماء الابل كالأرحاء العظام ، وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقاً لمكة في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماءة يقال لها نقعاء ، بئر لا

تنكف ، واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ الى هلم جراً .. ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة ، وبها عين تسمى عين خليص للعمريّين وخليص رجل نسبت اليه . وذكر أبو عبيدة أنه كان بعكاظ أربعة أيام يوم شمطة ، ويوم العبلاء ويوم شرب ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن مناة بن كنانة الى جبل يقال له دخم فلم يقتل منهم أحد . وقال خداش بن زهير :

فأبلغ إن مررت به هشاماً	وعبد الله أبلغ والوليدا
بأنّا يوم شمطة قد أقمنا	عمود المجد إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول من يوم شمطة بالعبلاء الى جنب عكاظ فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة . وقال خداش بن زهير :

ألم يبلغكم أنا جدعنا	لدى العبلاء خِنْدِفَ بالقياد؟
ضربناهم ببطن عكاظ حتى	تولوا طالعين من النّجاد

فهو يوم العبلاء ، ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب ، وشرب من عكاظ ولم يكن بينهم يوم أعظم منه، فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان بن حرب أنفسهم ، وقالوا لا يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظهر ، فسموا العنابسة وجعل بلماء بن قيس يرتجز :

إن عكاظاً ماؤنا فخلوه	وذو المجاز بعدُ لن تحلوه

فانهزمت هوازن وقيس كلها إلا بني نصر فانها صبرت مع ثقيف ، وذلك ان عكاظاً بلدهم ولهم فيه نخل وأموال ، فلم يغنوا شيئاً ثم انهزموا ، وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أمية بن الأسكر الكنانيُّ :

ألا سائلْ هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينـــا
لدى شربٍ وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أبينا

ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهي حرّة إلى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها ، فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحرة. وقال ياقوت: (العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء إلى جانب عكاظ) ا هـ . وقال ابن بليهد : (ومن كل ذلك ثبت عندي ان موضعه – عكاظ – يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريباً من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلا ، وذلك عند المكان الذي يلتقي فيه الواديان : وادي شرب ووادي الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء ، وجنوبه أكمة بيضاء يقال لها العبلاء من العهد الجاهلي الى هذا العهد ، وشماليـــه هو الفاصل بين وادي شرب ووادي قران المعروفين بهذين الاسمين الى هذا العهد) ا هـ . وقال أيضاً : (فأما التحديد الصحيح الذي هو صادر عن معرفـــة ويقين فهو الذي ذكرته في أول هذه العبارة ، فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية ، فليذهب إلى هناك كما ذهبت اليها ورأيتها بعيني ووقفت على حقيقتها ، فأنا لم أذكر تحديد هــذه السوق إلا مستنداً إلى أسانيد صحيحة) ا هـ . وقال الأستاذ حمد الجاسر في خلاصة بحث له مطول عن عكاظ :

(.. ان جميـــع الأوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقاً تاماً على الأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف – بميل نحو الشمال – خارج سلسلة الجبـــال المطيفة به ، وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة ٣٥ (كيلومترا)تقريباً ، ويحدها غرباً جبال بلاد عدوان (العقرب – شرب – العبيـــلاء) ، وجنوباً ابرق العبيلاء ، وضلع الخلص ، وشرقاً صحراء ركبة ، وشمالاً طرف ركبة والجبال الواقعة شرق وادي قران . وتشمل هـــذه الأرض وادي الأخيضر (وهو المعروف في العهد القـــديم باسم وادي عكاظ) ووادي شرب حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض وما اتصل بهما من طرف ركبة) . انتهى .

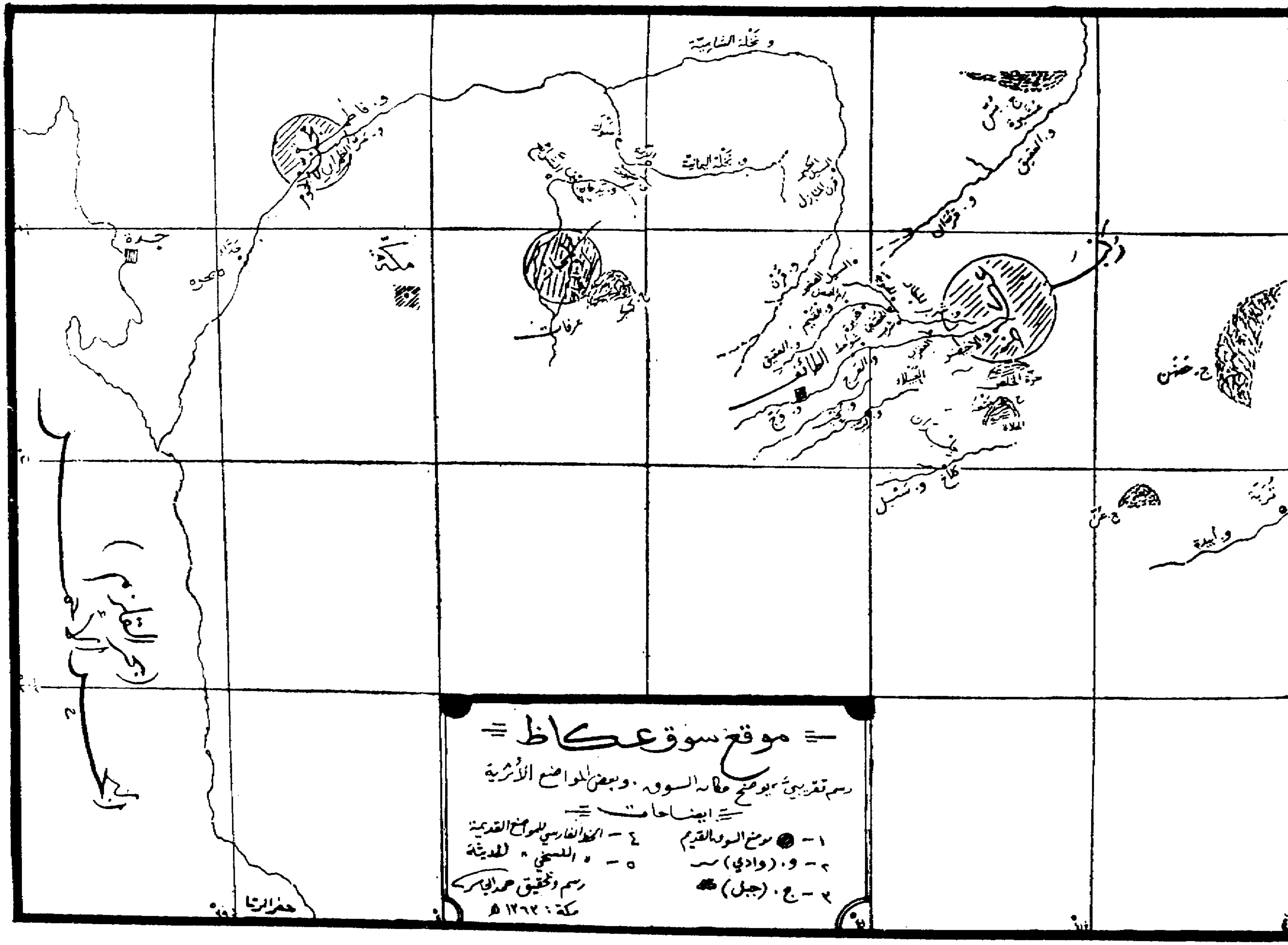
رأينا : من مجموع هذه الأقوال المتقدمة التي هي الخلاصة لما قيل في تحديد موقع عكاظ قديماً وحديثاً ، ومن دراستي للمنطقة دراسة دقيقة أقف بقدمي وأرى بعيني وأستعين بخبير ثبت من سكان المنطقة اختاره لي سعادة الشهم المفضال عبد العزيز بن فهد بن معمر أمير الطائف سابقاً ، حيث قضيت سحابة يوم كامل هناك أستعرض أقوال العلماء وأطبقها على واقع الأرض وأحاول تضييق دائرة التحديد .. حتى خرجت بما يلي :

في متسع من الأرض يحده من الجنوب ملتقى وادي شرب بوادي العرج الأخيضر والعبيلاء ، ومن الغرب جبال الصالح وجبال مدسوس ومدفع وادي المهيد ، ومن الشمال الشظفا والخلص ومشرفة وماءة المبعوث ومن الشرق الدار السوداء والحرة .. فيما بين هذه الأعلام يقع سوق عكاظ وهي تشكل شكلاً مستطيلاً لا يتجاوز طوله من الجنوب إلى الشمال أربعة أكيال ، ومن الغرب إلى الشرق كيلين وهذا التحديد يدخل الأنصاب الحجارة المنصوبة والتي تدعى الآن (بالمرزز) كما أن هذه المنطقة هي مدفع ثلاثة الاودية العرج وشرب والمهيـــد ..

وهذا التحديد لا يخرج تقريباً عما حدده الاستاذان ابن بليهد والجاسر الا انه أضيق دائرة مما حدداه .

سكان منطقة عكاظ وما حولها الآن : يسكن هذه المنطقة أخلاط من قبائل شتى يسكنها الأشراف ذوي جود الله والشنابرة وعدوان والنفعة والجثمة والعصمة وقريش وثقيف .. ونورد هنا نبذة للأستاذ حمد الجاسر عن سكان هذه المنطقة قال : (أشار المتقدمون إلى أن هذه الجهات منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر أن بني هلال حلوها وقت انتشارهم وقوتهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك إلى مصر ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها القدماء اليها ولا يزالون بها فمن سكانها :

١ – الجثمة : واحدهم جثامى وقد يقال : جشامى ، بتخفيف الشين حتى تقرب من الثاء ، والجثمة تحريف الجشمة بالشين لتقارب الحرفين في بعض


موقع سوق عكاظ
رسم تقريبي يوضح مكان السوق، وبعض المواضع الأثرية
ايضاحات
١ - موضع السوق القديم
٢ - و. (وادي)
٣ - ج. (جبل)
٤ - الخط الفارسي للمواضع القديمة
٥ - « النسخي » الحديثة
رسم وتحقيق حمد الجاسر
مكة: ١٣٦٢ هـ
البحر الأحمر
(بحر القلزم)
جدة
مكة
عرفات
الطائف
و. العقيق
و. نخلة الشامية
و. نخلة اليمانية
ج. حضن

صفات النطق ، وهم بنو جشم بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، وقبيلة دريد بن الصمة ، وتسكن هذه القبيلة في وادي قران ووادي العقيق وفي السيل الصغير .

٢ ــ عدوان : القبيلة القديمة ، التي منها حكيم العرب عامر بن الظرب، وذو الأصبع الشاعر وغيرهما . وتسكن في قرية (العقرب) وهي على ضفة وادي الاخيضر في اعلاه وفيها نخل وزرع ، وفيها عين أوشكت ان تغور . وفي قرية (الخضيراء) الواقعة على ربوة شرب الغربية بقرب (المطار) وفي قرية (العبيلاء) .

٣ ــ العصمة : وهم حلفاء لبني جشم منذ العهد الجاهلي كما كتب النسب : ويسكنون أسفل وادي لية في واد يسمى باسمهم .

٤ ــ ثقيف : كانت قبيلة ثقيف تجاور هوازن ، في أسفل أودية الطائف (لية ــ العرج ــ شرب) ولكنها ارتفعت إلى أعلى تلك الأودية ولا تزال فيها إلى هذا العهد) . انتهى كلام الاستاذ حمد .

ما هو عكاظ ؟؟ : اعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن ، واعظم مؤتمر للرأي والسياسة والاجتماع ، واعظم منتدى للشعر والخطابة والبلاغة .. لم تبلغ المعارض الدولية اليوم على ما بها من تنسيق وتنظيم وابتكار .. ما بلغه سوق عكاظ من حيث كثرة الرواد وتعدد الأهداف واستيعاب القبائل وحرارة اللقاء .. يلتقي فيه اليمني والعراقي والعماني والشامي بالنجدي والحجازي والهجري .. وتؤمه تجارة الفرس والأحباش وغيرهما من الأمم فتجد لَطِيمة كسرى مجالا تنفق فيه هنالك كما تعرض به بضائع العراق وهجر وبصرى وعدن وبلاد الشام .. البرود والأدم وأنواع الطيب والسلاح والحرير والحذاء والزيوت والزبيب والسيوف والرماح والحلل والخيل الأصيلة ونجائب الابل .. وغير ذلك مما تعددت اجناسه وتنوعت اشكاله .. تقبل القوافل اليه محملة باجل ما تنتجه الجهة المقبلة منها ان تجارة

أو صناعة أو زراعة .. وتعود محملة بما لا يوجد في جهتها بعد عرض وتسويق ومماكسة يضج بها عكاظ .

وتكون بين قبائل العرب وجيرانهم مصارمة ومنافرة وحروب وثارات.. وتقبل كل قبيلة تحمل مشكلتها وتُهَيّىء حجتها وتعد العدة لمقارعة الحجة بالحجة وكسر حدة الخصم ..

وتخرج قبيلة او زعيم على عادة من عادات العرب او سنة من سننهم فتسمع منتديات عكاظ ما أتته هذه القبيلة أو هذا الزعيم .. فيكون الحكم عليها قاسياً وتحملها الأمم المشتركة في عكاظ عار الدهر فتبوء به خزياً مخلداً ..

يضطلع بالحكم في هذا وذلك وما سواهما من مشاكل سياسية أو اجتماعية حكماء اتفق العرب على تحكيمهم وجعلوا قولهم الفصل وحكمهم العدل .

وتنصب المنابر لحكماء العرب ، أو يقفون على جمالهم يخطبون ويعظون ، ويذكرون العرب بأيام الله وما هنالك من بعث وحساب ونشور، وما فطرت عليه هذه العوالم العظيمة من أسرار ، وما دارت عليه من حكم فيها للمتعظ عظة وفيها لكل قلب سليم عبرة ومزدجر.. كان من بين أولئك حكيم العرب قس بن ساعدة الإيادي وقف على جمل أورق وتضام الناس حوله وجعل يقول فيهم : (أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ارضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا؟! يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

وكان من المجتمعين حوله غلام يسمع ويعي ما يقول ، هذا الغلام هو محمد ﷺ قال بعد أربعين سنة من هذا المشهد لوفد إياد قوم قس وقد جاؤوا يبايعون رسول الله على الاسلام : « كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه » فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا رسول الله . فتلاه عليه فلما انتهى قال النبي ﷺ : « يرحم الله قساً إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

ولم يكن العرب يحرصون على شيء أكثر مما يحرصون على البيان ، ولم يكن الفخر لديهم أعظم من أن يكون في القبيلة لسان يشيد شعره بمفاخرها ويتغنى بمآثرها وينشر ذكرها ويرفع قدرها .. وتقتعد عن طريق شعره قمة الفخر والسؤدد والمجد .. ذلك ان البلاغة واللسن صفتان مميزتان لهذه الأمة . ذهبت الأمم تنشد فخرها في مجالات شتى .. وركزت أمة العرب فخرها في لسانها فجاءت عن طريقه بالمعجزات ، وتركت من أسرار الضاد الآيات الباهرات .. تضرب قبة من أدَمٍ بهذا السوق يتربع بها نابغة بني ذبيان حكَماً أول ، لينتظم حوله عقد الشعراء من كافة القبائل ، يعرضون عليه حصاد عامهم ذلك مما هذبته القرائح وأبدعته الأفكار .. فيصدرون عن حكم صَيْرَف يصنف الشعر وينقده ويضعه حيث تكون منزلته .. ويزدحم شداة الشعر ومريدوه حول قبته الحمراء يتبارون في عرض تجاربهم الشعرية ، وينتظرون القول لمن تصدر له التهنئة بالشاعرية المقبلة ، انطلاقاً من قصيدته المعروضة ، ليتناقل أهل عكاظ الخبر بأن القبيلة الفلانية نبغ بها شاعر .. فتذهب هذه تقيم الولائم ، وتتبادل التهاني ، وتجعل من ابنها الفائز في عكاظ علماً ترمقه الأبصار وتحتضنه القلوب ..

وتلتقي اللهجات العربية هنالك وتقوم سوق النقد ويعلق بشعر الشعراء وخطابة الخطباء وتبادل الأحاديث ما يعلق بها من دخيل ، جَرَّهُ صلة تجارة أو علاقة من العلاقات أو جوار ، أو ما يعلق بها من استعمال دعا اليه التسامح أو أقحمه الإيغال في لهجة حوشية .. فيهذب سوق عكاظ ما هنا أو هنالك ، ويرجع بلسان القوم إلى أصالته وجزالته وسموه .. ولم يكن هذا

المجمع العظيم ليفوت صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، بل قصده يتخول الناس بالموعظة ، ويدعوهم إلى ربهم بالحكمة والموعظـة الحسنة ، ويلقى زعيم كل قبيلة وذوي الشأن فيها بالتبشير والتحذير ، والوعد بشرف الدنيا وجزاء الآخرة .. فيلقى ما يلقى من عَنَتٍ وصدود ، وتـنـكـر لما أتى به ، فيحمل نفسه الصبر ويروضها على الأناة ، إيماناً بتحقق ما وعده الله به وأن لا يذهب نفسه عليهم حسرات .. وان من كانت هذه منزلته ، فلا بُدّ أن يكون على مستوى المسؤولية اسوة باخوانه من الرسل الذين لاقوا ما لاقوا من ظلم قومهم واعراضهم .. وانما يعزيه الله ويسليه بمثل هذه الآية : (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذّبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، حتى أتاهم نصرُنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبإِ المرسلين . وان كان كبر عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نَفَـقَـاً في الأرض أو سُلَّماً في السماء فتأتيَهُم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهُدى فلا تكوننّ من الجاهلين).

وكما كان سوق عكاظ معرضاً للتجارة ومؤتمراً للسياسة والرأي والاجتماع ومنتدى للادب ومجمعاً للغة .. وكلها خلال حميدة مفيدة.. فكذلك هو مبعث منافرة وزناد حرب ، تحفزها العادات الجاهلية ، وتثيرها العصبيات والأنانيات لتلقح بحروب لا تخبو نارها ولا يهدأ أوارها . كانت بعكاظ ايام الفجّار ، وسميت بالفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم التي يحترمها العرب ، ولا يقاتلون فيها ، هذه الحروب وقعت بين كنانة وقريش وبين هوازن على نحو ما تقدم في بحثنا هذا .. ولها أسباب وقصص يطول شرحها :

وإلى بعض ما أسلفنا أشار الشعر قال ابو ذؤيب الهذلي :

إذا بُنِيَ القبابُ على عكاظ وقام البيـع واجتمع الألوف

وبين أمية بن خلف الخزاعي وحسان بن ثابت مهاجاة قال فيها أمية :

ألا من مبلغ حسـان عني مغلغلة تدب الى عكـاظ ؟
أليس أبوك فينـا كان قَيْناً لدى القينات فسْلاً في الحفاظ
يمانيّـاً يظـل يشدُّ كِيرا وينفخ دائماً لهب الشواظ

فأجابه حسان :

اتاني عن أميّة زور قــول ... وما هو بالمغيب بـذي حفـاظ

سأنشر ما حييت لهم كلامـاً ... ينشر بالجـامع من عكاظ

ومن الأمثال السائرة في الشعر :

فإنّك ضحّاكٌ الى كل صاحب ... وأنطق من قس غداة عكاظهــا

وقال المخبل مفتخراً :

ليـالي سعد في عــكاظ يسوقها ... له كل شرق من عــكاظ ومغرب

وقال النابغة الذبياني :

وبنو جَذِيمة حيٌ صدْقٍ سادة ... غلبـوا على خَبْتٍ إلى تعشار

متكنفي جنبي عكـاظ كليهما ... يدعو بها ولدانهم عَرْعَـــار

كانت فرسان العرب تتقنع كلما حضرت عكاظ ، مخافة أن يعرفوا ، وكان طريف بن تميم العنبري من أبرز شجعان العرب لا يتقنع وكان عرفـاء العرب يتوسمونه كلما مَرُّوا من حوله فقال :

أوَ كلّما وردت عكاظَ قبيلةٌ ... بعثــوا إليَّ عريفَهم يتوسّمُ

فتوسموني ، إنني أنا ذالكمْ ... شاكي سلاحي فيالحوادث مُعلَم

تحتي الأغرُ وفوق جلدي نَثْرةٌ ... زغف ترد السيف وهـو مثلم

حولي أسَيّدُ والهُجَيْمُ ومازنٌ ... وإذا حللت فحول بيتي خضمُّ

ولكل بكريٍّ لديَّ عـداوة ... وأبو ربيعة شانِيءٌ ومُحلّمُ

أما بداية هذه السوق فللعلماء بها أقوال كثيرة لا تخلو كلها من مقال إلا ان المرجـح انها بدأت في القرن الخامس الميلادي ، ويرى صاحب كتـاب « أسواق العرب » الأستاذ سعيـد الأفغاني انها قد عمرت أكـثر من قرنين ونصف القرن ..

وقد ظلت هذه السوق مستمرة بعد ظهـور الإسلام إلى ظهور الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف حيث نهبوها سنة ١٢٩ هـ ، ومن ثم توقفت إلى هذا العهد ..

وعكاظ التي شهدها رسول الله ﷺ وهو صبيٌ يستمع إلى قسّ بن ساعدة

عبد كلال أمير حميري

تمتاز المصادر العربية عندما تكتب عن ملوك الجنوب العربي قبل الاسلام باضافة الكثير من أعمال البطولة ونسبة فتوحات كثيرة وواسعة قد تصل الى الصين في الشرق أو إلى شمال افريقيا وروما في الغرب . كما تقدم لنا هذه المصادر جداول بأسماء الملوك الذين حكموا قبل الاسلام ، وهذه الجداول تختلف بعض الاختلاف في تسمية الملوك أو زمنهم ، كما ان بعض المصادر تنسب أعمال ملك لآخر . والذي يهمنا من نقد هذه المصادر بصورة عامة هي قوائم الملوك . فنحن في الوقت الحاضر لدينا من النقوش الجنوبية قائمة بأسماء ملوك القتبانيين وأخرى باسم ملوك المعينيين وملوك سبأ وحمير ، كما لدينا أسماء بعض ملوك حضرموت ونجران . وعلى الرغم من ان هذه القوائم ناقصة في العدد ، وترتيبها الزمني غير متفق عليه ، إلا انها تعطينا انطباعاً عن تسمية هذه الملوك . وسبب النقص أو الترتيب الزمني يعود بالدرجة الأولى الى ان

وهو يخطب ، وشهدها وهو صبي أيضاً يناول اعمامه السهام يوم الفجار ، وشهدها بعد مبعثه يعرض رسالته على قبائل العرب .. وأقرها بعد ان ظهر الاسلام وطبق انحاء الأرض واستمرت في عهود الاسلام الزاهرة ..

هذه السوق التي تخدم اقتصاد الأمة وتنميه ، وتلتقي بها أفكار العرب وآراؤهم وتقوم بها سوق الشعر والأدب ويحافظ بها على كيان الضاد .

هذه السوق جديرة بأن تحيا في مهد العرب ومهوى افئدتهم ومنطلق فخرهم ومجدهم وركيزة تاريخهم .. جديرة أن نحييها على نحوٍ يتواءم وما نضطلع به من مسؤولية ، وما نحن سائرون فيه من منطلق تجاه أمتنا ووطننا وتاريخنا.

الرياض — عبد الله بن خميس

النقوش التي بين أيدينا قليلة ، مما تجعل هذه القوائم غير مضبوطـــة وعرضة لاختلاف الباحثين في ترتيبها الزمني ، ونلاحظ انه بتزايد اكتشاف النقوش تظهر لنا أسماء ملوك جدد .

إن هنالك اختلافاً كبيراً بين القوائم التي نحصل عليها من النقوش وبـــين قوائم المصادر العربية ، إذ ان كثيراً من أسماء الملوك المذكورين في النقوش لا نجد لها نظيرها في المصادر العربية والعكس صحيح ، بالنسبة لمـــا هو متوفر لدينا من نقوش .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف فهناك تشابه بين أسماء الملوك في النقوش والمصادر العربية ، أو أن بعض الأسماء محرفة في المصادر العربية .وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد اسم شمريرعش وملـــكي كرب واسعد ابو كرب وابنه حسان ويوسف أسأر (يوسف ذو نواس) .ولكن نلاحظ ان المصادرالعربية تقدم لنا أسماء أمراء محليين أو ملوك ثانويين على انهم ملوك للجنوب العربي . وأحسن مثال لذلك هو الامير الحميري عبد كلال ، الذي تعدّه المصادر العربية ملكاً ، والذي يرد اسمه في نقش حميري بدون اللقب الملكي الذي كان يحمله الملوك الذين سبقوه أو جاؤوا بعده .

إن نقش CIH . 6 الذي هو عبارة عن نقش‌تضرع يعود إلى‌أمير حميري هو عبد كلال [ع ب د ك ل ل م] . والنقش مدون كما يلي [1] :

١ – ع ب د ك ل ل م ، و ش ع ت هـ و ، أ ب ع ل ي ، ذ ت أ ل هـ ...

٢ – ل أ ن ، و ب ن ي هـ م ي ، هـ ن أ م ، و هـ ع ل ل ، أ ل ت ، ق و ل م ، ب ..

٣ – ر أ و ، و هـ ش ق ر ن ، ب ت هـ و ، ي م ت ، ب ر د أ ، ر ج م ن ن ، و ب ر أ .

---

(١) A. F. D. Beiston, Sabaean Inscriptions, P. 4.

٤ – و ، ب و ر خ ، ذ خ ر ف ، ذ ل ث ل ث ت ، و س ب ع ي، و خ م س ، م أ ت م ح ى و ...

ويمكن قراءة النص أعلاه كما يأتي :

١ – « عبد كلالم وزوجته أ ب ع ل ي بنت أ ل هـ .

٢ – ووليدها هـ ن ع م ، و هـ ع ل ل من (قبيلته) ق و ل م ...

٣ – بنوا وسقفوا بيتهما ي ر ت بعون الرحمن ، بنوا في شهر .

ذ خ ر ف لثلاثة وسبعين وخمسمائة » .

[ع ب د ك ل ل م] في هذا النقش لا يحمل أي لقب ملكي وحتى إذا افترضنا بأن هناك لقب في نهاية السطر الثاني قد تآكل، فان هذا التآكل هو ثلاثة حروف فقط ولهـذا لا يمكن أن نقول بأن اللقب الملكي الطويل قد تآكل وانه موجود في الأصل . ولكن المصادر العربية كما أشرنا تجعل من شخص اسمه عبد كلال ملكاً لبلاد اليمن ولا بـد أن يكون عبد كلال في المصادر العربية هو تحريف لـ [ع ب د ك ل ل م] الوارد في النقش أعلاه والذي لا يمكن بحال من الأحوال عده ملكا استناداً إلى النقش أعلاه .

ومع ذلك فان بعض الباحثين [١] قد افترضوا بأن التشابه موجود بين هذا الإسم في المصادر العربية وفي النقش CIH.6 هو لشخص واحد وانه ملك حميري وانه تبوأ العرش بعد [ش ر ح ب أ ل ، ي ع ف ر] وقد افترضوا أيضاً بأنه حكم خمس سنوات (٥٥٥ — ٥٦٠ سبيء) . ولنعد الى تاريـخ النقش CIH. 6 فانه مؤرخ في سنة ٥٧٣ سبيء .

وهذا التاريخ يقع بعد سنة ٥٦٥ سبيء ، تاريـخ نقش CIH. 540 الذي يعود الى زمن شرحبيل يعفر ، وهذا التقارب في التاريخين ربمـا حمل فلبي Philby على الاعتقاد بأن عبد كلال كان ملكاً وأعطاه فترة حكم لمدة خمس

---

(١) M. Martmann, Der Islamishe Orient, Die Arabischische Frage. II. p. 486. 422. Wellhauren, Skizzen and Varabeiten, II p. 121: J. Rycbiman, L'Institution. p. 217 .

سنوات (٤٥٥ - ٤٦٠ م) على افتراض بأن بداية التقويم الحميري هو ١١٥ ق . م) [١] .

وقد ذهب فلبي Philby أيضاً في كتابه The Background of Islam بأن « عبد كلال كان ملكاً مسيحياً جاء للحكم بمساعدة الأحبـــاش » [٢] ، ولكن فلبي لا يقدم أو يسند رأيه هذا الى أي مصدر ، ولا يذكر كيف استطاع الأحباش أن يتوجوا ملكاً، علماً بأنه ليست لدينا أية نقوش تعود الى هذه الفترة تذكر أي صراع بين الجنوب العربي والاحباش . وقـــد افترض أيضاً بأن عبد كلال كان زعيما مسيحياً منـاهضاً للحكم اليهودي في الجنوب العربي ، وهنا أيضاً لا يسند فلبي رأيه إلى أى مصدر علماً بأنه ليست لدينا أدلة من النقوش على تهوُّد ملوك هذه الفترة إذ ان تحول عبادة الملوك من الإله المقه إلى إله ذي سماوي ، أو الرحمن لا تعني بأن الملوك قد تهودوا ، ولكن يمكن اعتبار ان الدين في الجنوب العربي أصبح أقرب إلى التوحيـــد منه الى تعدُّد الآلهة .

وقد اقترح فلبي أيضاً [٣] بأن عبد كلال ربما كان زعيما قبلياً استطاع أن يقوم بثورة ناجحة ربما بمساعدة الأحباش ، ضد الملك ، ولكنه أخيراً يقترح (على ضوء اسمه) بأنه ربما كان رجل دين للآلهة . ان هذا الاقتراح ايضاً من الصعب الأخذ به إذ علمنا بأن نقش CIH . 6 يذكر الإله الرحمن [ر ح م ن ن] وحده وهو دليل على التوحيد لا غير .

وعلى كل حال فانه لا توجد أية دلائل من النقوش المتوفرة لدينا على أنه كان هنالك احتلال حبشي أو أن عبد كلالم كان ملكا . فان كان عبد كلالم

---

(١) كان الرأي السائد بأن سنة ١١٥ ق . م بداية التقويم السبيء وأول من أثار المـــوضوع
وجعـــله ١١٠ ق . م هو Beeston انظر Beeston , « Problems of Sabacan
Chronolgy » Bsoas , XVIC (1954) , q. 37 .
وقد ناقش Ryckmans كافة الاقتراحات حول بداية التقويم السبيء وافترض ١٠٩ ق .م .
بداية للتقويم انظر J. Rayckmans, « Le début de l'ère himyarite a - t'il coincidé avec une éclipse de soleil ? » Bio, XVIII (1961), pp . 219 - 221 .

(2) op. cit, pp. 117 - 118 .

(3) Philby, Aradia Highlands, p. 260 .

المذكور في النقش CIH 6 ملكاً ، فإنه حتماً يجب أن يذكر اللقب الملكي الطويل في النقش ، كما نجد ذلك في نقش أبرهة عندما اعتلى العرش الملكي، أو على الأقل يذكر لقب ملك ، كما قبل سمو يفع اشوع ، الملك الذي نصبه الأحباش علىالجنوب العربيعام ٥٢٥م ونعرفمننقش CIH 540 بأن شرحبيل يعفر كان ملكا في سنة ٥٦٥ سبيء وانه كان يحمل اللقب الملكي ولكن ليست لدينا أية نقوش تخبرنا بأنه كان لديه ولد أو أولاد سواء حكموا أم لم يحكموا.

ولكن إذا رجعنا إلى الروايات العربية فإنها لا تذكر بوضوح أي شيء عن شرحبيل يعفر أو عمرو بن أبي كرب أسعد . ولكن الروايات العربية تشير بأن عمرو بن تبع قتل حسان بن تبع ، وبعد موت عمرو جاء إلى الحكم تبع حسان الذي استهامته الجن ولذا خاف عبد كلال بن مثوب من أن شخصاً ما يطمع في الملك من غير البيت الحاكم فنصب نفسه وصياً على العرش إلى أن شفي تبع حسان ، وكان عبد كلال هذا أخاً لعمرو من أمه [١] . وقد حكم حمير حكماً عادلاً وخلال وصايته على العرش اعتنق المسيحية ، كما يذكر الطبري عن طريق رجل من غسان جاء من سوريا ولما علمت حمير بذلك قتلت عبد كلال وشفي تبع حسان وأصبح ملكاً [٢] .

إن الرواية العربية لا تشير بوضوح فيما إذا كان عبد كلال قد أصبح ملكاً حقيقياً أو مجرد وصي على العرش لتبع حسان وان كانت بعض المصادر تعده ملكاً وانه تبوأ العرش بعد عمرو بن أسعد أبو كرب إلا أن النقوش لا تذكر عمراً أبداً . فيذكر ابن الكلبي [٣] أن عبد كلال كان أحد قادة الملك حسان تبع ، والذي قاد جيشاً ضد جديس . وعلى كل حال حتى إذا كان قائداً للجيش الحميري أو من البيت المالك [٤] فإنه لم يكن يوماً ما ملكاً حقيقياً

(١) ابن سعيد المغربي : كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب . ورقة ٤٦ .

(٢) الطبري : ١ ص ٨٨١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٣ .

(٣) ابن الكلبي النسب ورقة ١٤٥ ، البلاذري : أنساب ج ١ ص ٧ ؛ ابن حزم ص٤٣٤، ابن خلدون ج ٢ ص ٤٢ يقول « كان أحد الأمراء حمير ، ابن دريد الاشتقاق ص ٥٢٦ . الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٤) ابن عبد البر : «القصد والامم» ص١٢٠ يذكر أن عبد كلال كان من قبيلة بني غيدان والأخير من حمير ؛ أما البلاذري ؛ أنساب ج ١ ص ١٠ – ١١ فيذكر بأنه شعبان ، وهم من حمير ، وكان يقال لشعبان عبد كلال » .

ولكنه في الغالب كان وصياً لفترة مـــا خلال حياته . وإن كنا لا نعرف بالضبط من النقوش متى وفي عهد أي ملك كانت هذه الوصاية، وإذا افترضنا بأنه كان وصياً فمن المحتمل أن تكون فترة الوصاية بعد سنة ٥٦٥ سبيء ، أي بعد حكم شرحبيل يعفر صاحب نقش C I H . 540 .

إن معظم الروايات العربية تذكر أن عبـــد كلال كان من حمير وانه مسيحي فابن خلدون [١] يذكر بأنه «كان على دين عيسى بن مريم الصحيح» ، ولكنه أخفى ذلك عن قومه . ويوضح ابن سعيد [٢] سبب اخفاء عبد كلال اعتناقه المسيحية ، إذ يذكر بأن في عهده قـــام العرب بغزو بلاد الأرياف والعراق ، ولذلك قام شابور ذو الاكتاف بارسال حملة تأديبية ضدهم أنزلت فيهم خسارة فادحة ويضيف ابن سعيد نقلاً عن كتاب الكمائم بأن عبد كلال قرر أن يجبر أهل اليمن على اعتناق المسيحيةعندما رأى تغلب الديانة اليهودية ولكنه عندما سمع بأن شابور هدد بإبادة المسيحيين وكسر الصليب وانــه يستعد لحصار القسطنطينية خاف عبد كلال بأن يقوم شابور بغزو الجنوب العربي إذا ما أعلن مسيحيته ولهذا لم يعرف عن تنصره إلا أصدقاؤه المقربون، وقد وجد صليب في بيته عند موته . إن هذه الرواية غير صحيحة لأن شابور عاش في بداية القرن الرابع الميلادي .

ولنعد إلى الروايات العربية التي تذكر بأن تبع حسان أعقب عبد كلال وبعد تبع جاء إلى الحكم مرثد بن عبد كلال أخو تبع لأمه . وكان مرثد ذا رأي وبأس وجود [٣] ، ولكن اليعقوبي [٤] يذكـــر بأن مرثداً أصبح ملكاً بعد موت أبيه والمسعودي [٥] يذكر بأن مرثداً حكم بعد عمرو بن تبع.

---

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٥٧ ، أنظر أيضاً : ابن قتيبة ، « المعارف » ص ٣٠٩ ، ابن حزم ص ٨٧.

(٢) ابن سعيد : ورقة ٤٦ أ (مخطوط) .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٣٥ ؛ حمزة الأصفهاني : تاريخ ص ١٣١ ، ابن سعيد ورقة ٤٧ أ ، ابن خلدون ج ٢ ص ١٠٦ يسميه « مدثر » .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ج ١ ص ٢٢٠ .

(٥) السعودي . مروج ج ١ ص ١٩٤ .

وبعد حكم مرثد أصبح وليعة ملكاً، وكان عاقلاً حسن التدبير [1] ولكن وهباً بن منبه يذكر بأن مرثداً أصبح ملكاً بعد تبع بن حسان .

ويذكر نشوان الحميري [2] بأن فهـد الملك بن عبد كلال « كان ملكاً عظيماً يجبى إليه من بلاد الحبش إلى جزيرة زيلع وجزيرة بربر وجميع اليمن».

ويذكر المرزباني [3] أولاداً آخرين لعبد كلال أحدهما حسان والآخر شرحبيل اللذين قادا حملة فاشلة ضد كنانة ومضر . وفي هذه الحملة اسر شرحبيل .

ومن المحتمل أن يكون أولاد عبد كلال ذانوا قادة في الجيش الحميري ، وهذا يدلنا على أن أولاده تبوأوا نفس المركز القيادي الذي كان يتمتع به أبوهم .

ومن الجدير بالملاحظة أن النبي محمد ﷺ عند عودته من تبوك (سنة ٨ هـ ٦٢٩ م) تسلم رسالة من ملوك حمير يعلنون قبولهم للاسلام . ومن بين الذين وفدو على الرسول هما الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال [4] ، وقد أكرم الرسول ﷺ وفادتهم وكتب لهم كتابا . وهذا يعني بأن عائلة عبد كلال بقيت تتمتع بمركز محترم وانها صاحبة نفوذ في الجنوب العربي حتى ظهور الاسلام إذ كان يطلق على الحارث بن عبد كلال لقب ملك [5] .

كلية الآداب – جامعة الرياض

الدكتور خالد العسلي

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٦٣٦ ؛ حمزة الأصفهاني ص ١٣١ ؛ ابن سعيد ورقة ٤٧ أ ، المسعودي ج١ ص٩٤ يسميه وليعه وهب ص٣٠٠ يسميه ربيعة بن مرشد ويجعله ملكاً بعد تبع.

(٢) نشوان : ملوك ص ١٨٠ – ١٨١ .

(٣) المرزباني : «معجم الشعراء» ص ١٩٠، أنظر أيضاً الهمداني : الاكليل ج٢ ص٣٥٧ .

(٤) ابن اسحق ج ٢ ص ٥٨٨ ، اليعقوبي ج ٢ ص ٨٦، ويذكر مصعب الزبيري ص ٩٣ بأن ام محمد بن عبيد الله بن عباس هي عمرة بنت عارف بن عبد كلال .

(٥) ابن اسحاق ج ٢ ص ٦٠٧ ، نشوان : القصيدة ص ٩٣ .

الرّبان أحمد بن ماجد

- ٥ - [دفــاع وتقييم]

وجــــاء فران :

انتشر كتاب النهروالي « البرق اليماني » انتشاراً واسعاً ، فقل ان تخلو مكتبة عامة في العالم العربي منه ، في مصر والحجاز والعراق . اما في تركية فيوجد في مكتبات اصطنبول العديد من نسخه [١] . وقد نقله الى التركيــة مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده ، المتوفى سنة ٩٩٨ ﻫ . ومع ذلــك فان أحداً من المؤرخين الذين جاؤوا بعد النهروالي ، عرباً وغير عرب ، ممن اهتموا بتاريخ تلك الفترة ، والصراع العربي البرتغالي في المحيط الهندي ، لم يهتم باسطورة النهروالي ، أو يعيرها التفاتاً . حتى الذين اعتمدوا على كتابه من هؤلاء المؤرخين عندما عنوا بالكتابة عن تصدي الغوري لقرصنة البرتغاليين وتوجيهه حملة حسين الكردي ضدهم ، كابن العماد الحنبلي ، أهملوا الاشـــارة الى اسطورة النهروالي اهمالا تاماً [٢] . ولهذا الاهمال دلالته المعبرة ولا شك . ثم جاء المستشرق فران Ferrand في سنة ١٩٢٢ م فباضت تلك الاسطورة وفرخت على يده . كانت كما وضعهـــا النهروالي ، مجرد نصيحة من شخص سكران ، وهو احمد بن ماجد ، زعموا ، لكبير الفرنجة « الملندى » اما متى وأين ادلى هذا السكران بتلك النصيحة ، ومن هو هذا « الملنــدى » الذي القيت اليه ، فأمور على أهميتها ، لم يكن النهروالي ليهتم بها . فلما جاء فران استكمل تلك النواقص الهامة ، فحدد مكان اللقاء في « ملندى » ، وحدد تاريخه بـ ٢٢ من ابريل سنة ١٤٩٨ م . أو خلال زيارة فاسكو دي جامـــا لملندى في ذلك الشهر ، وحدد شخصية الملندى على انه فاسكو دي جاما ذاته .

---

(١) الجاسر ص ٦٩

(٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط مصر ، ١٣٥١ ج ٨ ص ١١٥

ولكنه حاول ، مشكوراً ، ان يدفع تهمة السكر عن احمد بن ماجد، ليثبت عليه اقتراف ذلك العمل الذي« يعده مسلمو مكة خيانة عظمى » [1]، وزاد على كل ذلك شيئاً هاماً جداً ، لم يرد في نص النهروالي ، ولو تلميحاً ، وهو أنه جعل احمد بن ماجد يتولى قيادة اسطول دي جاما من ملندي الى كليكوت.

مناقشة فران :

فاذا تدبرنا جيداً اسطورة النهروالي ، واستعرضنا وقائعها على ضوء الواقع التاريخي ، وجدنا ما استنتجه فران منها ، لا يستقيم بحال من الأحوال . يقول النهروالي :

« وكانت طائفة منهم [من البرتغاليين] يركبون من زقاق سبتة في البحر ويلجون في الظلمات..في مكان كثير الأمواج فلا تستقر به سفائنهم، وتنكسر ولا ينجو منهم احد . واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم احد الى بحر الهند ، الى ان خلص منهم غراب الى الهند ، فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر ، الى ان دلهم شخص ماهر ، يقال له احمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له « الملندي » ، وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ، ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج .

ان هذا المكان الكثير الأمواج ، الذي لا تستقر به السفائن ، هو على ما يبدو الطرف الغربي الجنوبي من القارة الافريقية ، فهو المكان الوحيد الذي تنطبق عليه تلك الصفات . وأول من حاول الوصول اليه ، ووصله فعلا ، من البرتغاليين ، دياز ، في اواخر سنة ١٤٨٦ م كما مر بنا . وقبله لم تقترب أية سفينة برتغالية من رأس الرجاء الصالح ، ولم تنكسر في مياهه بطبيعة الحال . ودياز ايضا ، هو أول من خلص الى الطرف الغربي من المحيط الهندي

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، الانجليزية ، مادة شهاب الدين احمد بن ماجد .

حيث يلتقي المحيطان . ولكنه لم يصل الى السواحل الافريقية الشرقية ، ولم يفقد ولا سفينة واحدة في تلك السفرة . واذا افترضنا أنه اجتمع بأحمد بن ماجد ، فلا بد ان يكون ذلك الاجتماع قد تم في جنوب افريقية ، فهذا اقصى ما بلغه في تلك السفرة . ولكننا لا نجد فيما وصل الينا من كتب احمد ابن ماجد اية اشارة لتلك المنطقة. ولا يعقل ان يهمل الحديث عنها ، لو كان قد وصل اليها ، لميله القوي الى التظاهر بالعلم والمعرفة . كما اننا لا نجد أي ذكر لمثل هذا الاجتماع فيما نشر من وثائق البرتغاليين .

وثاني من اجتاز رأس الرجاء الصالح ، هو فاسكو دي جاما . ولكنه لم تنكسر له ولا سفينة واحدة ايضاً ، الا بعد ان اجتاز ذلك المكان الكثير الأمواج الذي تنكسر فيه سفائنهم . فقد شتّر[٢] إحدى سفنه في ناحية ما من جنوب افريقية ، بعد أن نقل أمتعتها ورجالها إلى سفنه الأخرى . ولم يفقد أحداً من رجاله .

وأول نكبة مني بها البرتغاليون عند رأس الرجاء الصالح ، هي تلك التي حلت بحملة بيدرو الفارس كبرال في ٢٤ مايو سنة ١٥٠٠ م ، حيث غرقت له أربع سفن بجميع من كان على ظهرها .

فإذا أردنا أن نحمل كلمات النهروالي على محمل الجد ، فلا يمكن أن يكون خلوص ذلك الغراب البرتغالي إلى بحر الهند ، لأول مرة ، إلا بعد أن توالت النكبات على البرتغاليين في ذلك المكان الكثير الأمواج ، أي بعد نكبة بيدرو الفارس كبرال في سنة ١٥٠٠ م على الأقل ، ولا يمكن أن يكون اجتماع « الملندي » بأحمد بن ماجد ، قد تم على افتراض وقوعه ، إلا بعد خلوص ذلك الغراب البرتغالي إلى الهند وعودته منها بزمن ما ، قد يكون في تلك السنة نفسها ، وقد يكون بعدها . فكيف يمكن أن يكون أحمد بن ماجد هو الذي قاد فاسكو دي جاما إلى الهند ، مع انه لم يجتمع به إلا بعد عودته من الهند كما تقول تلك الأسطورة ؟

(٢) شتر ، يشتر ، تشتيرا : حطم السفينة . وتشترت السفينة : تحطمت ، إصطلاح بحري مستعمل في الخليج .

ثم اننا نعلم بصورة مؤكدة ، ان فاسكو دي جاما ، كان قد خلص إلى بحر الهند ، ووصل إلى ملندي ، قبل ذلك التاريخ بسنتين على الأقل ، وعلى التحقيق في ابريل سنة ١٤٩٨ م . فكيف نوفق بين هذه المتناقضات ؟

الواقع أن النهروالي كان يتحدث عن موضوع يجهل ملابساته كلها جهلاً تاماً ، فلفق وخلط ، كما هي عادته . ومع ذلك فنصه لا يحتمل كل هذا التعسف في التحريف .

ونعود إلى اسطورته مرة أخرى ، نضعها تحت المجهر ، ونتفحص كلماتها، كلمة كلمة ، علنا نلمح في ثناياها ما قد يساعدنا على الاهتداء إلى ما اهتدى إليه المستشرق فران ، فلا نجد إلا سراباً يتمثل في بضع كلمات مراوغة هي: « إلى أن دلهم شخص ماهر » ، و « فعلمه الطريق » . ولكنها لا يمكن أن تعني أكثر من انه وصف له الطريق ، كما يؤكد ذلك سياق الحديث الذي جاء على الصورة التالية :

« إلى أن دلهم شخص ماهر يقال له الربان أحمد بن ماجد، صاحبه كبير الفرنج ... وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ... فلما فعلوا صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم » .

فأي عربي يمكن أن يفهم من هذا الحديث أكثر من أن أحمد بن ماجد قد وصف الطريق لكبير الفرنجة ، على افتراض الصحة في رواية النهروالي ؟

اي عربي يفهم من هذا الحديث ان أحمد بن ماجد تولى فعلاً قيادة فاسكو دي جاما إلى كليكوت ؟

دليل من التاريخ :

« يقول باروس...انه بينما كان فاسكو دي جاما في ملندي، جاء لزيارته بعض البانيان Banyans [1] من مملكة كنباية من كجرات . فظن فاسكو

---

(١) طائفة من التجار الهندوس . ويطلق لقب البانيان في الخليج على جميع الهنادكة بغض النظر عن مهنهم وأعمالهم .

دي جاما ، ان هؤلاء الهنادكة الذين يقدسون صورة العذراء (ظناً منهم انها إحدى آلهات الهندو)[٢] ، هم من طوائف المسيحيين الذين كانوا في الهند في أيام القديس توماس St. Thomas وجاء معهم مسلم من كجرات (كذا !) يسمى معلمو : (معلم) كانا Cana : (كاناكا Kanaka) . وقد وافق هذا المعلم على السفر مع رجالنا (ليدلهم على الطريق إلى الهند) لسروره بصحبتهم، ولرغبته في إرضاء الملك (ملك ملندي) الذي كان يبحث عن ربان للبرتغاليين وحينما تبادل فاسكو دي جاما الحديث معه ، اقتنع بمعرفته ، وخاصة عندما أطلعه على خريطة للساحل الهندي كله ، وضعت حسب خرائط المسلمين ، ورسمت فيها خطوط الطول والعرض ، بدقه بالغة ، دون الإشارة إلى مهاب الرياح . ولما كانت المربعات (التي تتألف من تقاطع) خطوط الطول والعرض، صغيرة جداً ، فإن (اتجاه) الساحل بالنسبة لخطي الشمال والجنوب ، والشرق والغرب ، كان دقيقاً جداً ، دون أن [يؤدي ذلك] إلى ازدحام الخارطة بكثرة (العلامات التي تشير إلى اتجاه) الرياح والإبرة المغناطيسية ، كما هو شأن خريطتنا البرتغالية التي تعتمد عليها الخرائط الأخرى . وقـــد أطلع فاسكو دي جاما ذلك المسلم على الاسطرلاب الخشبي الكبير الذي كان معه، وعلى غيره من الاسطرلابات المعدنية ، التي كان يقيس بهـا ارتفاع الشمس ، فلم يدهش المسلم لرؤية تلك الآلات ، وقال ان الربابنة (العرب) في البحر الأحمر يستعملون آلات من النحاس مثلثة الشكل ، أو مؤلفة من اقواس قائمة الزوايا مقسمة إلى ٩٠ درجة Quadrants لقياس ارتفاع الشمس والنجم (القطبي) الذي يهتدون به في أسفارهم . وأضاف انه وملاحي كنباية والهند جميعها ، يسترشدون ببعض النجوم الجنوبية والشمالية وغيرها من النجوم التي تعبر قبة السماء من الشرق إلى الغرب ، وانهم لا يقيسون خطوط العرض بمثل تلك الآلات (التي أراها له فاسكو دي جاما) بل بآلة أخرى يستعملها هو أيضاً . وأظهرها في الحال وأراها له (...) وكانت مصنوعة من ثلاث

---

(٢) الكلمات والجمل المحصورة بين الأقواس في هذه النبذة . هي لفران ، ادخلها لتوضيح النص الأصلي ، حسب تفسيره له .

صفائح ... وبعد هـــذا الحديث وغيره من الأحاديث التي جرت بينهم [البرتغاليين] وهذا الربان[1] ، شعر فاسكو دي جاما انه عثر على كـنز عظيم (...) ، ولكي لا يفقده ، أبحر بأسرع مـــا يستطيع إلى الهند في ابريل ١٤٩٨ م »[2] .

هذا الحديث وحده ، يفصح عن هوية ذلك الربان بما لا يدع مجالاً للشك في أمرها . لنتدبر جيداً تصنيفه ربابنة المحيط الهنـدي . لقد قسمهم إلى قسمين : ربابنة (العرب) في البحر الأحمر ، الذين يهتدون في الليل بنجم واحـــد معين ، هو النجم القطبي الشمالي ، ويسمونه الجاه ، أو كما ينطقها الكثيرون في الخليج « الياه » ، أي الاتجاه ؛ وبحارة كنباية وجميع الهند ، الذين يستعينون ليلاً ، « ببعض النجوم الجنوبية والشمالية وغيرها من النجوم التي تعبر قبة السماء من الشرق إلى الغرب » . فأين وضع نفسه ؟ مع الصنف الثاني بالطبع . أي مـــع الهنود . لأنه هندي . لأنه ليس أحمد بن ماجد العربي . حتى الآلات التي يستعملها لرصد النجوم ، لم تكن من الآلات التي يستعملها ربابنة العرب في البحر الأحمر،وإنما من الآلات التي يستعملها الهنود.

تبعيتنا للمستشرقين :

ولكن أي سحر لهؤلاء المستشرقين على قلوبنا وعقولنا ؟ إن أكثرهم غير خليق بالثقة ولا يمكن الاطمئنان إلى أمانته العلمية ؛ ومع ذلك ، فما يكاد أحدهم يجترح ما يسيء إلى تاريخنا ، أو ديننا ، أو ثقافتنا، أو ما يمس كياننا الروحي والفكري في الصميم ، حتى نعتد عمله منة علينا ، نشكره عليها ، ونقدم اليه جزيل الحمد ووافر الثناء من أجلها ، ثم نعتبر صنيعه جزءاً من

---

(١) ترجم الاستاذ محمود ياسين الحموي (الملاح العربي ص٨ – ١٠)هذه النبذة عن فران كما يبدو، بشيء من التصرف والزيادات التي يخلو منها النص الانكليزي . ولا أدري إذا كانت تلك الزيادات موجودة في الأصل الفرنسي أم لا . من ذلك أنه وصف هذا الربان في هذا الموضع بـ « العربي » بينما هو في النص الانجليزي ربان فقط ، مجرد من أي وصف . أما صفته فيما سبق من هذا الحديث فمسلم من كجرات ، كما مر بنا .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية،الترجمة الانجليزية، ط. الاولى،مادة شهاب الدين أحمد بن ماجد.

تراثنا القومي ، ندافع عنه ، وندعو اليه ، ونعلن عنه بجميع الوسائل المتاحة الينا . وقلّ منا من يحاول أن يلقي نظرة مستقلة على حقيقة تلك « المنة » ، أو يعالجها بشيء من النقد والتمحيص . بينا يركبنا الشيطان ، عندما يتعلق الأمر بمصادرنا المأثورة ، فنتخذ من « الشك » في تلك المصادر صنماً نعبده من دون الله .

ولدت أسطورة النهروالي ميتة في أواخر العشر التاسع من القرن العاشر الهجري (حوالي سنة ١٥٧٠م) وبقيت مدفونة في قبرها منذ ذلك التاريخ، لا يجري اسمها على لسان ، أو يمر ذكرها على خاطر ، حتى جاء فران (١٩٢٢ م) بعد أكثر من أربعة قرون ونصف على دفنها ، فنبش عنها التراب ، ثم جبل رفاتها بما درب عليه المستشرقون ، من تحريف للكلام الواضح المستقيم ، وصاغ منه مسخاً جديداً لا يمت إلى الأسطورة النهروالية بسبب ، إلا بنسبته المزورة إلى صاحبها ؛ فتلقينا ذلك المسخ الدعي ، بالتأهيل والترحيب ، وأفسحنا له في صدور مجالسنا ، وذهبنا نستبق في تكريمه ، والتغني بفضائله ، دون أن يتوقف أحدنا لحظة ، يتساءل فيها عن حقيقة ذلك النسب ، وهل هو صريح كما يقولون ؟ أم من قوارير ، كنسب صاحب بشار ؟ لقد رفضنا الأصل ونبذناه ، وتهنا غراماً بالدعي الممسوخ .

الدكتور أنور عبد العليم :

وفي كل هذا الزمن الطويل ، منذ سنة ١٩٢٢ م ، لم تساور الشكوك في ذلك النسب المنحول ، سوى واحد منا فقط ، كما أعلم ، هو الدكتور الفاضل أنور عبد العليم . ولكنه ما لبث أن أغفل تلك الشكوك ، ولا أدري هل نسيها ، أم رأى انه لا يجوز الشك فيما يصنع المستشرقون ، أم اتضح له ان الحق فيما شك فيه ، فرجع عن شكه ؟ ان للدكتور دراسات قيمة عن أحمد ابن ماجد، منها كتابه « ابن ماجد الملاح » ، وقد قدمه الى المطبعة في يوليو سنة ١٩٦٦ م . والدكتور غني عن التعريف ، لا في البلاد العربية وحدها ، بل وفي الدوائر العلمية في الغرب كذلك . في هذا الكتاب يكرر الدكتور ، أولاً ، ما شاع منذ سنة ١٩٢٢ م ، من أقوال مبتسرة ، لا تمت الى الحقيقة

بصلة ، عن علاقة احمد بن ماجد ، بفاسكو دي جاما ، فيرددها بصيغة المطمئن اليها ، الواثق منها ، المعول عليها ، كقوله :

« ولا ترجع شهرة الربان العربي ، إلى كونه مؤلفاً ترك للتراث العربي ذخيرة هامة من المؤلفات العلمية والتكنولوجية ، عن البحر وفنون الملاحة فحسب ، بل انه كان أيضاً المرشد لسفينة فاسكو دي جاما البرتغالي ، من ثغر ماليندي ، على خط عرض ٣ درجات جنوب خط الاستواء على الساحل الشرقي لافريقيا الى كلكتا [١] عام ١٤٩٨ م » [٢] .

وقوله :

« لا ترجع شهرة ابن ماجد الى كونه ملاحاً قديراً فحسب -لا يزال أهل عدن يقرأون له الفاتحة ، ما خرجوا إلى البحر - ولا إلى مؤلفاته الغزيرة في علوم البحار والملاحة ، والتي لم تكتشف إلا في القرن العشرين . وإنما اكتسب هذا الملاح ، فضلا عن ذلك ، شهرة دولية حين عرف انه هو نفسه الربان الذي قاد سفينة الملاح البرتغالي الشهير ، فاسكو دي جاما Vasco de Gama لأول مرة من ثغر ماليندي في مملكة كامبايا (كينيا الآن) » [٣] .

---

(١) ليست كلكتا calcutta بل كليكوت calicut وتقع في الجنوب الغربي من السواحل الهندية الغربية، بينما تقع كلكتا في أقصى الشمال من السواحل الهندية الشرقية ، على رأس خليج البنغال . ولم تكن للبرتغاليين علاقة فيها ، وبالتالي فإن فاسكودي جاما لم يرها في حياته . لقد تكرر هذا الخطأ أكثر من مرة ، والا لما أعرناه اهتماماً (راجع كتاب ابن ماجد الملاح ص ٤٨ و ٥٤ ؛ والفوائد في أصول علم البحر والقواعــد « العرب » س ٤ ، ص ٨٤٠ و ٨٤٣) ، وقد وقع فيه عدد من كتابنا الذين تصدوا للحديث عن أحمد بن ماجد ، منهم الاستاذ محمود ياسين الحموي الذي ترجم calicut بـ « كالكوتا » أي « كلكتا » (الملاح العربي ص ١٠) ؛ والدكتور السيد يعقوب بكر . في ترجمته القيمة لكتاب فضلو الحوراني «العرب والملاحة الهندي» ص ٢٢٧ .

(٢) ابن ماجد الملاح ، ص ٧ .

(٣) الذي أعرفه ، وما أقله ، ان كامبايا ، كنباية ، كما تسميها المراجع العربية ، كانت جزءاً من كجرات بالهند، وتقع في الجزء الشمالي من الساحل الغربي ، على الخليج المعروف بهذا الاسم نفسه الى اليوم. وكانت لها صلات تجارية وثيقة جداً بالإمارات العربية في افريقية الشرقية ومنها ملندي ، وبالبلاد العربية في الخليج العربي والبحر الأحمر ومصر ، وأخشى أن يكون الدكتور قد اعتمد على ترجمة الأستاذ محمود الحموي لحديث دي باروس عن لقاء فاسكودي جاما بالمعلم كانا في ملندي ،الذي ترجمه ، عن فران كما يبدو . فترجمة الأستاذ الحموي، إذا اعتمدنا←

ولكن الدكتور الفاضل ، بعد هذه الأقوال الواضحة الحاسمة ، عن علاقة أحمد بن ماجد بالبرتغاليين ، يطلع علينا ، في الكتاب ذاته ، ولأول مرةمنذ عام ١٩٢٢ م ، بموقف جديد ، يتميز بالشجاعة والاستقلال ، فيعلن عن تشككه «في صحة الرواية التي أوردها فران ، وأقرها معه علماء السوفييت». فهو يقول في معرض تعليقه على الأبيات التالية من أرجوزة لأحمد بن ماجد تسمى السفالية (نسبة الى سفالة) :

وبعد ذا في عام تسعماية ... وست جاءوا الهند يا اخايه
واشتروا البيوت ثم سكنوا ... وصاحبوا وللسوامر ركنوا
والناس تضرب فيهم الظنونا ... ذا حاكم أو سارق مجنونا

« وإذا كان ابن ماجد قد دوّن هذه الوقائع في أرجوزته ، فلا يتضح من كلامه انه أرشد البرتغال الى الهند ، مما يجعلنا نشكك في صحة الرواية التي أوردها فران ، وأقرّها معه علماء السوفييت . وعلى أي حال ، فإن هذا الأمر ، يحتاج الى مزيد من التحقيق ، وربما أفردنا له بحثاً مستقلاً » (١).

---

(١) ابن ماجد الملاح ص٦٥.

←النص الانكليزي لدائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الاولى) غير دقيقة فقد ترجم الفقرة التالية :

[While vasco da Gama was at Malindi some Banyans from the Kingdom of cambay in gujrat came to visit the Admiral...With then came a Moor (= Muslim) of gujrat (sic.!) called Mulemo (= Mu'allim) came (= Kauaka)] .

بما يلي :

« أثناء اقامة فاسكو دو غاما في ملندي من مملكة كامبايا ، زاره بعض الهندوس على ظهر السفينة ... وكان يرافقهم مسلم من مسلمي (جزرات) [كجرات] ويدعى معلم (كاناكا) .

بينما ترجمتها الحرفية هي :

« بينما كان فاسكو دي جاما في ملندي، جاء لزيارته بعض البانيان من مملكة كنباية من كجرات.. وجاء معهم مسلم من كجرات (كذا !) [كلمة «كذا» وعلامة التعجب، لفران] ، يسمى معلمو (= معلم) كانا cana) (= كاناكا canaka) .

أما إذا كنت مخطئاً في ظني ، وبعض الظن أثم ، وان ما يعرف الآن بكينا ، كان يطلق عليه اسم كامبايا ، فأنا أعتذر منذ الآن ، وأرجو أن يتكرم الاستاذ المذكور بذكر اسم المرجع المذكور الذي اعتمد عليه ، لأنني مهتم بتاريخ افريقية الشرقية .

ثم يكرر الدكتور هذا الشك مرة أخرى ، أثنـــاء حديثه عن كتاب « محيط » ، لسيدي علي ، فيقول :

« ومما يسترعي النظر ، ان كتاب « محيط » ، وقد كتبه صاحبه بعـد ابن ماجد بنحو خمسين سنة (وقبل النهروالي) ، وهو في نفس الوقت ملاح قدير ، تهمه أخبار الملاحة – هذا الكتاب لم يرد فيه اشارة إلى قصة إرشاد ابن ماجد لفاسكو دي جاما الى الهند . ولو ان « سيدي علي » ، قد سمع من ربابنة بحر فارس [الخليج العربي] أية اشارة لقصة الإرشاد المذكورة ، لما تردد في ذكرها » [1] .

ونرجو أن يعذرنا الدكتور ، إذا سألناه عن مغزى أقواله السابقـــة عن علاقة أحمد بن ماجد بفاسكو دي جاما ، ما دامت لديه مثل هذه الشكوك « في صحة الرواية التي أوردها فران وأقرها معه علماء السوفييت » ؟

على ان الدكتور الفاضل ما لبث أن عاد إلى سابق عهده ، واطمئنانـه المطلق الى رواية فران ، وذلك بعد أقل من عشرة أشهر على تاريـــخ تلك الشكوك ، فقد نشر في مجلة « تراث الانسانية » ، بتاريخ ٥ ابريل ١٩٦٧م ، مقالاً قيماً عن كتاب ابن ماجد ، « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، جاء فيه :

« ولا ترجع شهرة ابن ماجد الى كونه ملاحـاً قديراً فحسب ، لا يزال أهل عدن يقرأون له الفاتحة كل يوم ، ولا إلى مؤلفاته الغزيرة في علوم البحار والملاحة ، التي لم تكتشف إلا في القرن العشرين ، وإنما اكتسب هذا الملاح فضلا عن ذلك ، شهرة دولية ، حين ثبت انه هو نفسه ، الربان الذي قـــاد سفينة فاسكو دي جاما البرتغالي ، من ساحل افريقيا الشرقي الى الهند ، لأول مرة عام ١٤٩٨ م » [2] .

وجاء فيه :

« ويرجع الفضل في الواقع في التعرف على ان ابن ماجد ، كان هو المرشد

---

(١) ابن ماجد ص ٦٣ .

(٢) الفوائد ، العرب ، س ٤ ص ٨٣٨ .

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ٩ -

ثهلان (ذهلان) : في هذا العهد أبدلت الثاء من إسم جبل (ثهلان) ذالاً وأصبح كثير من أهل نجد ينطقونه بالذال المعجمة بعدها هاء مفتوحة ، وقد ذكر الأستاذ الخميس الأعلام التي تحدّد منطقة الشريف من كل جهاتها ولم يذكر جبل ثهلان من بينها بل حدّده من الغرب بحبيرة وحُذُنة والمصلوخة ، وجعل جبل ثهلان وهضبة تياء خارجين منه غرباً ، فهو يقول في تحديد الشريف : وما بين القرنة والتسرير ومغيراء شرقاً وغُرُب وجمران وعرجة ومصدة شمالاً ووادي الرشاء وحبيرة وحذنة والمصلوخة غرباً والجمح وشمالي العرض إلى صبحا جنوباً ... ما بين هذه الأمكنة يسمى بالشريف – شريف بني نمير .

ونجده في هذه العبارة ذكر بعض الأعلام الواقعة في منطقة الشريف ولم يذكر جبل ثهلان من بينها رغم أنه هو أشهر أعلام الشريف قديماً وحديثاً ، ثم ذكر بعض ما ذكره ياقوت عند ذكر الشريف ، واستبعد ما ذكره ياقوت من الأقوال التي تربط ثهلان بالشريف والشريف بثهلان ، ثم أورد كثيراً منها

الذي قاد أسطول دي جاما إلى الهند ، إلى جهود المستشرق الألمعي ،جبرييل فران ، عام ١٩٢٢ » [١] .

ولا ندري بعد هذا ما الذي استقر عليه رأي الدكتور الفاضل في هذا الصدد ؟ هل ما يزال على تشككه « في صحة الرواية التي أوردهـا فران ، وأقرها معه علماء السوفييت » ، فنتطلع الى بحثه المستقل الذي وعدنا به ؟ أم « ثبت [عنده ان ابن ماجد] هو نفسه الربان الذي قاد سفينة فاسكو دي جاما البرتغالي ، من ساحل افريقيا الشرقي إلى الهند ، عام ١٤٩٨ م » ؟

(للبحث صلة)　　　　**علي التاجر**

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٤٠ .

عند ذكر ثهلان ، ويبدو من سياق حديثه عن الشريف وحدوده أنه كان يرى أن ثهلان خارج عن حدود الشريف .

والواقع أن ثهلان هو العلم الذي يرتبط ذكره بذكر الشريف قديماً وحديثاً، وبذكر الشريفة (بلدة الشعراء) وما زال ، قال سعد بن يحيى شاعر من أهل الشعراء ، يذكر الشعراء وموقعها من ثهلان ، ويشير إلى وقوعها من منطقة الشريف :

يوم بان لي الرعن والـلِّيْ يساره	هلّ دمع العين من غير امتناع
فز قلبي يوم شفت أقذال داره	فزة الغافي إلى اوحى صوت داعي
راج دمعي مثل سيل في قراره	راج فيها لين فاض مع التلاع
الوطن حبـــه بقلبي له منارة	له مقاصير مشيّدة رفـــاع
الوطن من بار به ما به غياره	ما يعرف الحق مدعي وداعي
الرعن جعل الحيا يسقي فقاره	مدلهم في حقوق الوبل ماع
ما حلا زوفة ربيعه في خضاره	مرتع مرغوب من زين المراعي
مشربه عذب عذي من المراره	منزله في منزل العليا الرفاع

وقد مر ذكر كثير من الشواهد عند ذكر الشريف ، وعند الحديث عن الشعراء وتباه ، وذكر الأستاذ الخميس مياه ثهلان نقلاً عما كتبه الشيخ محمد ابن بليهد ، الداخلة فيه والخارجة منه ، وذكر أن الخارجة منه هي : دلعة والرفايع ومضلـّعة والشعراء ، وقد ذكرت هذه المياه غير مرتبة من حيث مواقعها من نواحي الجبل ، والواقع أنها حافة به من الشرق ، بل إن دلعة داخلة فيه،وأن كثيراً من موارد الشعراء داخلة فيه . وذكر أن المياه الداخلة فيه هي : المطيوي والركية والمزيرع والسدرية والشطبة والريان والمنجـــور والقليب والشبرمية ، وقد ذكر هذه المياه أيضاً غير مرتبة ، فبعضها في ناحيته الغربية والبعض الآخر في ناحيته الشرقية ، وسنذكر المياه الواقعة في جهته الشرقية مرتبة من الشمال إلى الجنوب ثم نتبعها بذكر المياه الواقعة في ناحيته الغربية مرتبة كذلك ، ثم نذكر المياه الواقعة في أوديته الداخلية ..

المياه الواقعة في ناحيته الشرقية : مضلعة : واقعة في ناحيته الشمالية الشرقية

في بطن وادي الشعراء ، (بهتة) واقعة في ناحيته الشرقية الشمالية ، في ناحية قصر عجل بن حُنَيْتِم شيخ قبيلة آل مغيرة ، (الحُسي) تصغير حسي ، بئر زراعية جاهلية واقعة في ناحيته الشرقية ، في بطن وادي الشعراء ، ولها ذكر في المعاجم القديمة ، (الشعراء) ماء قديم واقعة في ناحيته الشرقية ، وقد أصبحت بلدة معمورة ذات زرع ومدر، وكل هذه المياه خارجة منه غير أنها قريبة من سفوحه ، (بريريق) واقع في ناحيته الشرقية داخل في الجبل، (الرفايع) أصبحت قرية صغيرة زراعية نائية عن سفح الجبل (القليّب) تصغير القليب آبار قديمة داخلة في واد في شرقي الجبل ، وقد أقيم عليها قصر وغرست نخلا ، (الريان) وهو من أشهر مياهه ، وله ذكر في المعاجم القديمة . ويقع في واد في شرقي الجبل ، (السدرية) داخل في صدر الجبل ، (الركية) آبار قديمة داخلة في صدر الجبل، (مريصيص) وهو الذي ذكره باسم (المزيرع) سمي بهذا الاسم – تصغير مزرع – لأن أحد أهل الشعراء كان يزرع في ناحيته ، وهو آبار قديمة ، تقع في واد في ناحية الجبل الشرقية، (دلعة) سبق أن ذكرنا أن الأستاذ الخميس ذكر أن وادي دلعة هو الوادي الذي يجوزه طريق الحجاز عند مفترق طريق الشعراء المعبد من طريق الرياض إلى الحجاز شمالاً شرقياً من (أبو دخن) وتحدثنا عن ذلك الوادي في موضعه من البحث ، وسنتحدث هنا عن وادي دلعة لإزالة اللّبس الذي وقع في بحث الخميس بين الواديين رغم ما بينهما من المسافة الشاسعة والأعلام الشهيرة .

دلعة : بفتح الدال المهملة بعدها لام ساكنة فعين مهملة بعدها تاء مربوطة. إسم يطلق في هذا العهد على ماء قديم يقع في ناحيته جبل ثهلان الجنوبية الشرقية تحف به برقة كبيرة من الجنوب ، وسيل وادي دلعة ينحدر من ناحية الشرفة الغربية الشمالية متجها غربـــاً وينفذ من جبل ثهلان غرباً في مجرى تحف به برقة من الجنوب ، وفي ناحية البرقة تقع آبار دلعة وتقع هجرة دلعة التي أسسها عبد المحسن بن عقيل الدعجاني وجماعتـــه ذوو خيوط من قبيلة الدعاجين ، وقـــد أصبحت تلك الهجرة مهجورة خرابا ، حيث انتقل أهلها وأسسوا لهم هجرة جديدة في وطاة مأسل الجمح . وسيل وادي

دلعة يفيض غربا ويدفع في وادي الرشاء الواقع غربا من جبل ثهلان ، وأشهر روافـــد وادي دلعة (شُعيِّب دلال) ووادي الشويطن ويسمى (شويطن دلعة) وكلاهما شرق من ثهلان . قـــال سعد بن يحيى شاعر من أهل الشعراء وذكر شمالي ثهلان وذكر ناحيته الجنوبية حيث أعالي الأودية ، وبدأ بذكر الشبرمية وهي في وسط ثهلان لأن منزله وبستانه فيها :

يا الله من مزنة حقت مناشيهـــا	نوِّ عسى الشبرميّه في منابيبه
عساه من شطب إلى دلعة ووادبها	ويسيل منه الشُّوَيْطِنْ من جوانيبه
وتسيل تيا ومقوعها يباريها	والغمق ومقيوعاته من جوانيبه
يا زين نبت العذاوي في ضواحيها	يا هني من هو يسيّر به ويمشي به
هذا هوى نفسي اللّي صاير فيها	وإن صرّم العود ظل الغرس وديبه
في فية باردة والمـــا يباريهـــا	والغرس يعجب إلى ناظرت تركيبه

ويحتمل أن يكون ماء دلعة هو الماء المعروف قديماً باسم (القنفذة) لأنه يحف به من الناحية الشمالية جبال مريصيص والدارة ، ويحف به من الجنوب جبال وبرق ورمال تسمى (قنيفذة) تصغير قنفذة ، وهو ماء جاهلي قديم ، وأن (دلعة) إسم أطلق عليه حديثاً ، ويبدو أنه أتى له من صفة وادي دلعة ، فهو طريق سهل ينفذ جبل ثهلان من الشرق إلى الغرب وهـــو أسهل مسالك ثهلان وأدمثها أرضاً وأقصرها مسافة . قال في التاج : الدليع كأمير الطريق الواسع عن ابن دريد.وقال الليث:هو الطريق السهل في مكان حزن لا صعوبة فيه ولا هبوط ، والجمع الدلائع . وعن ابن عباس : الدلوع كصبور : الطريق . هـ .

وأخيراً في نهاية جبل ثهلان الجنوبية الشرقية يقع ماء صرعان ، وتحف به من الشمال برقة عظيمة ، هذه هي الأمواه الواقعة في ناحية ثهلان الشرقية، وقد استوفينا ما أهمل منها في بحث الاستاذ الخميس .

أما الأمواه الواقعة في ناحيته الغربية فهي : (المنجور) وهو ماء قديم واقع في ناحيته الغربية الشمالية داخل في واد في الجبل (قليب حُميد) بئر جاهلي قديم ماؤه عذب ، يقع في ناحيته الغربية خارج من الجبل ، وسمي بهذا

الإسم المضاف لأن رجلا من قبيلة الجمالية من الروقة اسمه حميد وضع يده على هذا البئر فترة فنسب اليه ، ويذكر بعض أهالي الشعراء فيما يتنـــاقلون من الأخبار أن عجــلا بن حنيتم كان يحمي هذا البئر مورداً لخيله أيام سلطانه في الشعراء . و (الشطبة) ماء حلو يقع في ناحيته الغربية في شعب في الجبل .
(المطيوى) تصغير مطوي ، ويقع في ناحيته الغربية في شعب في الجبل .
(دليمان) تصغير دلمان ، ويقع في اسفل وادي دلعة حين يخرج من جبل ثهلان غربا .

أما الأمواه الواقعة في وسط الجبل فهي : الشبرمية ،والصاخن، والسرف، والفياض،وكلها أصبحت مزروعة ومغروسة نخلا وأقيمت فيها قصور ومساكن.

أما ما ورد في كتب المعاجم القديمة من الأقوال في تحديد ثهلان ووصفه الجغرافي وموقعه من منطقة الشريف ، قال الهجري : [1] وسألت الباهلي عن تيمن فقال : هضبة برأس الذرو ذرو الشريف مغرب الشمس من حصن ابن عصام بيوم . وسيل تيمن يصب على الكلاب ، والكلاب واد به نخل وسدر وطلح ، ويجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ، علم أسود به الوحوش ، عرضه يوم ، به فلجا ، وذويقن ، والريان ، والريا ، والأطيا ، والبريض – خسف به ماء ، وكل ما أسميناه الشريف ، و (حذنة) هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب ، وهذه العبارة تفيد أن تياء (تيمن) قديماً – وقد سبق الحديث عنها – واقعة في ذرو الشريف، وتياء المشار اليها هضبة حمراء كبيرة واسعة الأنحاء تقع في ناحية ثهلان الغربية يفصل بينهما مجرى وادي المقوع الغربي ، كما تفيد أن ثهلان واقع في الشريف (كل ما أسميناه الشريف)وتفيد العبارة أيضاً أن سيل تياء (تيمن) وسيل (حذنة) يدفعان في الكلاب ، وأن الكلاب واد يجانب ثهلان .

ويفهم من تحديده لوادي الكلاب أنه هو الوادي العظيم الذي يحف بجانب ثهلان من الشرق وتدفع فيه سيول (تياء) و (والحذني) و (معيقل) و (غرب مجيرات) ويسمى (وادي الشعراء) . أمـــا اسم الكلاب فقد

---

(١) أبحاث الهجري ، ص (٢١٦) .

تلاشى غير أن أحد روافد هذا الوادي الكبرى والتي تحف به من الشرق ما زال يسمى (وادي الكلبة) والبعض يقولون له في هذا العهد (سحق الكلبة) ويحتمل أن هذه التسمية تحريف لاسم الوادي القديم – وادي الكلاب – واستقصاء بحث هذه الأودية له موضع آخر ، وقال الأصفهاني [١] : وثهلان لبني نمير ، وهو بناحية الشريف من بلاد بني نمير . وقال ياقوت : [٢] وقال أبو زياد ومن مياه بني نمير العوينند ببطن الكلاب ، والكلاب واد يسلك بين ظهري ثهلان ، وثهلان جبل في بلاد بني نمير، طوله في الأرض مسيرة ليلتين، وقال نصر : ثهلان جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء ونخيل . ومن عبارة ياقوت نجـــد أنه يتفق مع الهجري في نسبة ثهلان إلى الشريف ، وكذلك في تحديد وادي الكلاب .

عقبان ثهلان : ورد في كتب المعاجم بعض الشواهد التي تدل على شهرة عقبان منطقة الشريف كقول طفيل الغنوي :

وفينا ترى الطوبى وكل سميدع مدرب حرب وابن كل مدرّب
تبيت لعقبان الشريف رجاله إذا ما نووا إحداث أمر معطب

وقول إمرىء القيس :

وغيث كألوان الفنا قد هبطته تعاور فيه كل أوطف حنان
على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كزّ ولا واني
كتيس الظباء الأعفر انضرجت له عقاب تدلت من شماريخ ثهلان

والواقع أن جبل ثهلان معروف في هـــذا العهد من بين أعلام الشريف بكثرة العقبان ، ثم انها من نوع العقبان السمر الضخمة ذات الرؤوس الصقعاء شديدة الافتراس ، وقد أجاد امرؤ القيس بن حجر في وصف هذا النوع من العقبان حيث يقول :

كأنها حين فاض الماء واحتفلت صقعاء لاح لها بالقفرة الذيب
فأبصرت شخصه من فوق مرقبة ودون موقعها منه شناخيب

---

(١) بلاد العرب ص (٢٣٥) .
(٢) معجم البلدان ، ج ٢ ص (٨٨) .

فاقبلت نحوه في الجو كاسرة يحثها من هوي الريح تصويب

إلى آخر الأبيات في وصف هجومها .

والواقع أن هذا النوع من العقبان – السمر الصقعاء – تمتاز عن غيرها بالقوة والصرامة والقدرة على مهاجمة فرائسها حتى من الظباء وصغار الوعل وصغار الغنم ، واختطافها بسرعة فائقة ، أما أوكار هذه العقبان في منطقة ثهلان فاشهرها ما كان في وادي نجار، ووادي النجور وفي قنن أمهات العقبان وهذه المواضع في ناحية ثهلان الغربية وكذلك ما كان في الرعن المطل على بلدة الشعراء من الغرب ، وفي قمة جبل (ُحذنة) وكر وفي قمة هضبة (أم رقبة) الواقعة شرقاً من ثهلان وكر ، وكل سلالات العقبان التي ترتاد هذه الأوكار وتفرخ فيها من النوع الأسمر ذي الصقع ، وبهذا يتضح أن (ثهلان) علم من أعلام الشريف في رأي المتقدمين من أصحاب المعاجم كما هو معروف لدى متأخري أهل نجد .

قال الأستاذ الخميس:ودُوين (ثهلان) شماليه قريباً منه جدا جبل (شطب) ثم أورد عبارة للشيخ محمد بن بليهد في تحديده ووصفه ثم تلاها بطائفة من الشواهد من الشعر العربي في ذكر شطب . وعبارة ابن بليهد التي أوردها هذا نصها : (جبل منقطع من ثهلان كأنه منه بلونه وشمابه وطوله ، وبينه وبين ثهلان قطعة من الصحراء يمشي فيها السائر على أقدامه أقل من ساعة ، وما زال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو يعد من جبال بني نمير كما أنثهلان يعد من جبالهم ..) ا هـ . هذا ما أورد الخميس نقلاً عن البليهد ، ثم أورد الشواهد التي أشرنا إليها ، وقال عند نهايتها : وما أرى هذه الأشعار كلها إلا في شطب ثهلان ، والواقع أن هذه الشواهد التي ذكرها هي نفس شواهد الشيخ البليهد وهي أيضاً شواهد ياقوت في معجمه على ذكر (شطب) . فمن الأفضل للأستاذ الخميس أن يوردها متصلة بعبارة البليهد ، أو أن يشير إلى مصدرها ، فهو لم يزد عما ذكره البليهد في تحديد شطب وذكر شواهده .

ويلاحظ في عبارة البليهد التي ذكرها الخميس والتي نقلناها هنا أنه ذكر في وصف شطب أن كأنه من ثهلان بلونه وشمابه وطوله ، فأما لون شطب وشمابه فهو يشبه ثهلان ، أما فيما يخص طوله، فيبدو أن البليهد قصد بالطول الارتفاع ، أما طوله في الأرض فشطب لا يشبه ثهلان وليس بقريب منه ، فجبل ثهلان يشكل سلاسل جبلية سودا عالية آخذاً بعضها بأعقاب بعض تمتد جنوباً وشمالاً مسافة يومين للابل وعرضه نصف يوم ، أما شطب فهو جبل أسود يمتد من الشرق إلى الغرب بحذاء جبل ثهلان من الشمال لا يزيد طوله عن عرض جبل ثهلان ، ويحف (بشطب) واديان عظيمان أحدهما من الشرق والآخر من الغرب ، فالذي من الشرق هو وادي الشعراء ، والذي من الغرب هو وادي الرشاء الذي يأتي غرباً من ثهلان ويلتقي الواديان بعد أن يخلفا (شطباً) شمالاً منـــه ويتحدان ، وقد ورد ذكر شطب في كتب المعاجم بهذا الاسم وحدد تحديداً واضحاً ، قال ياقوت في معجمه [1] : قال نصر : شطب جبل في ديار نمير ، وهو جانب ثهلان الشمالي ، وقال أبو زياد : شطب هو جانب ثهلان الذي يلي مهب الشمال ، يقـال له ذو شطب ، قال لبيد :

بذي شطب أحداجهم إذ تحملوا ... وحث الحداة الناجيات الذواملا

وقال عبيد بن الأبرص يصف سحاباً :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه ... في عارض كضيء الصبح لمـّـاح
دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعـــه من قام بالراح
كأن ريّقه لما علا شطبـاً ... أقراب أبلق ينفي الخيل رمّـاح
فمن بحوزته كمن بعقوتـــه ... والمستكن كمـــن يمشي بقرواح

قال الأستاذ الخميس : ودون (شطب) بينه وبين الطريق جبـل (أبي

---

(١) معجم البلدان ، ج ٣ ص (٣٤٣).

دخن) وهو جبل له شهرة ، وذكر عند أهل نجد ، وبـه يوم من أيام الملك عبد العزيز ، بينه وبين عتيبة ، تراجعت فيه فرسانه أمام تذمر هذه القبيلة دون مضاربها . هـ .

والواقع أن جبل (أبي دخن) لا يقع بين جبل (شطب) وبين الطريق كما ذكره ولكنه يقع شرقاً شمالياً من (شطب) وبين طرفيها ينفذ شمـالاً واديان كبيران ، هما وادي الشعراء ويحف بطرف (شطب) الشرقي ،ووادي أبو هضيد ، ويحف بطرف أبي دخن الغربي ، فاذا كنت تسير مـع الطريق مغربا مررت (بأبي دخن) أولاً ، فاذا نكبته وراءك بدأ يسايرك عن يسارك جبل (شطب) حتى تتجاوز الجسر المقام على مجرى وادي الرشا ، وقـد عرف بهذا الاسم قديماً وحديثاً (أبو دخن) و (ابن دخن) : جاء في «المزهر» للسيوطي [١] : ابن دخن جبل . وجاء تعليقاً في حاشيته : وهو اسم جبل في أرض نمير . وذكره الهمداني بالذال المعجمة (ابن ذخن) [٢] .

وقد أشار الأستاذ الخميس إلى اليوم الذي وقـع بين المغفور له الملك عبد العزيز وبين قبائل عتيبة ، وهذا اليوم وقع عام ١٣٣٠ هـ ، وقد ذكره سمو الامير سعود بن هذلول في تاريخه (ملوك آل سعود) صفحة (٩٥) .

(للحديث صلة)

الدوادمي سعد بن عبد الله بن جنيدل

---

(١) المزهر ، ج ١ ص (٥٢٠).
(٢) صفة جزيرة العرب ، ص (١٤٦) .

تاج العروس

من جواهر القاموس

- ٢ -

(ليس كل ما هنا تصحيح أخطاء في المطبوعة ، بل يضاف اليها بعض ملاحظات عامة) .

الجزء الثاني : وهذا الجزء يبدأ بباب الباء حتى مادة ريب أي نهاية فصل الراء ، ويقع في ٥٥٠ صفحة .

وقام بتحقيقه الأستاذ علي هلالي ، وراجعه الأستاذان عبد الله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج باشراف لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء .

١ - ص ٦ لا حاجة لحاشية [في معجم البلدان : أبو سعيد] ذلك ان المقصود هو السمعاني وهو ابو سعد ، والكلام المنقول موجود في كتابه « الانساب » ج ١ ص ١٠٨ .

٢ - وفي الصفحة نفسها : ذي جبلة ، وعلى الجيم والباء فتحتان ، والمعروف : جِبْلة - بكسر الجيم وإسكان الباء وكذا تنطق الآن ، وقد نص على ذلك صاحب «معجم البلدان» ، أما بفتحات ثلاث، فالجبل المعروف في عالية نجد وقرية في شمال مكة .

٣ - ص ٧ ولقي الوزير العبدي ، هو ابو بكر العندي - بالنون بعد العين المهملة ودال مهملة مكسورة فياء ، منسوب الى قبيلة الاعنود من قبائل

عدن ، وله مسجد ينسب اليه في عدن ، وقد ورد هـــذا الاسم مصحفاً في كثـير من الكتب في « معجم البـلدان » وفي « معجم الادباء » وفي « تكملة الاكال » لإبن الصابوني ، وفي « الخريدة » قسم الشام إلى أوجه مختلفـــة من التصحيفات ، وانظر لزيادة الايضاح مجلة « العرب » ص ٩٤٥ الى ٩٤٨ السنة الرابعة .

٤ – ص ٩ : قصر ابن هبيرة ، قال الدكتور مصطفى جواد – : إضافـــة القصر الى ابن هبيرة خطأ من الشارح ، فقصر ابن هبيرة غير قصر ابن مقاتل، قصر ابن مقاتل في الصحراء ، وقصر ابن هبيرة على الفرات ، ثم استدل بما جاء في « معجم البلدان » عن القصرين .

٥ – ص ٩ : ابن أيوب التيمي من زيد مناة .الصواب : التميمي، فهو من تميم لا من تيم .

٦ – ص ٩ بئر أبّي ، ورد هذا الاسم في « معجم البلدان » بئر أبّــا – بالألف – وكذا في كتاب الحازمي وهو مصدر ياقوت .

٧ – ص ٩ أيضـــاً : بخط الحسن بن فرات . المعروف : ابن الفرات ، وكذا ورد الاسم في الكتابين المتقدم ذكرهما آنفاً .

٨ – ص ١١ عقل بن كعب : الصواب : عقيل – بضم العين – مصغراً ، قبيلة معروفة .

٩ – ص ١١ قول المؤلف :المثبب موضع أو جبل كانت فيه صدقات للنبي (ص) . هذا القول لا يتفق مع ما ذكره علماء المدينـــة وغيرهم من علماء المواضع ، ومنهم المؤلف الفيروز آبادي في كتاب «المغانم» من أن الميثب حديقة وليست جبلاً كما هنا ، وانظر « وفاء الوفاء » ص ٨٩٩ و « المغانم » ٤١٢ و « معجم البلدان » .

١٠ – ص ١١ : الأُثَـيْب وفوق الهمزة ضمة، وهي في «معجم البلدان» مفتوحة ضبط قلم .

١١ – ص ١٥ :بجيزة الوادي . في « المعجم »: بجيرة الوادي.وفي كتاب « بلاد العرب » ص ٢٤٥ بجلهة الوادي .

١٢ – ص ١٥ أيضاً : وقال نصر : أدبي جبل حذاء عوارض وهو جبل أسودفي ديار طيء، وناحية دار فزارة. وأقول: الذي في كتاب نصر الورقة ٢٠: أدبي جبل بحذائه عوارض ، وهو جبل أسود في أعلى ديار طيء ، وناحية دار فزارة . ﻫ . وإذن فالوصف لعوارض لأن نصرا قال في موضع آخر : عوارض جبل أسود على أعلى ديار طيء ، وناحية دار فزارة ، وكذا جاء في « التاج » في تعريف عوارض .

١٣ – ص ٢٠ : أبضة ، الصواب كما في «معجم البلدان» : أُبْضة بالضم ثم السكون .

١٤ – ص ٢٠ : ولم يرشد الصواب . ولم يوسد كما في المعجم وغيره .

١٥ – ص ٢٢ : وهي كشمبَى وأرمى ولا رابع لها . أقول الصواب : أدمى بالدال بدل الراء ، كما في « معجم البلدان » قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب فعلى – بضم أوله وفتح ثانية مقصورة غير ثلاثة ألفاظ وذكرها .

١٦ – ص ٢٤ : وإزاب – بالكسر – ماء لبني العنبر ، وأقول : هذا تصحيف إراب – بالراء لا بالزاي – وهو منهل لا يزال معروفاً في شرق نجد بقرب بلدة الزلفي ، ولكنه ينطق الآن جراب – بالجيم – سهلت الهمزة ياء ثم قلبت جيماً كما قالوا في شجرات شيرات .

١٧ – ص ٣١ : ألبان كأنه تثنية ألب بلد ، ولكن الذي في المعجم أنه جمع لبن . وأقول المعجم عند إطلاقه في ذكر المواضع يقصد به « معجم البلدان » ولكنه هنا « معجم ما استعجم » لأبي عبيد ، وقد أورد عليه شاهداً من الشعر ، أما ما نقل الزبيدي عن مختصر المراصد ، فهو في « معجم البلدان » ولكنه ضبط الاسم ألبان بالتحريك على وزن رمضان .

١٨ – ص ٣١ : وأهله من نسل الأزارقة الذين شردهم المهلب . الصواب كما في « المعجم » : من فل الأزارقة .

١٩ – ص ٣٦ : شغلونا عن صلاة الوسطى : المعروف في الحديث : عن الصلاة الوسطى ، وكما في القرآن الكريم .

٢٠ – ص ٤٠ : تكرر اسم حمان جد عدي بن زيد الشاعر، وصواب هذا

الاسم : حمار كما نص على ذلك العلماء ،ومنهم ابن ماكولا « في الاكمال » ج ٢ ص ٥٤٩ والذين يسمون بهذا الاسم كثيرون .

٢١ — ص ٣١: أهبان بن عياذ . هو ابن عباد كما في « طبقات ابن سعد » ج ٤ ص ٣٠٩ و « الاصابة » رقم ٣٠٥ .

٢٢ — ص ٤١ : ويقال فيه يَهاب . الصواب : يِهاب – بكسر الياء – قال الفيروز ابادي في « المغانم » : إهاب ككتاب موضع قرب المدينة ذكره في « صحيح مسلم » أو يِهاب – بكسر الياء – عند الشيوخ كافة .

٢٣ — ص ٥٣: ركن الشطاة . الصواب : الشظاة – بالظاء – .

٢٤ — ص٥٤: أورد المؤلف والشارح تيأب موضع ، ولكنهما لم يحدداه . وأقول : هو جبل يقع شرق المدينة ، وهو من حدود الحرم يشاهد منها ، ويعرف الآن باسم تيم من قبيل إبدال الياء ميماً ، مع تسهيل الهمزة .

٢٥ — ص ٥٩ :رهاء بن‌منبه بن حريث بن عِلّة والصواب : بن حرب بن عُلة – بتخفيف اللام – كما في كتب النسب وغيرها .

٢٦ — ص ٦٨ : تربة ماء في غرب سلمى . الصواب : في شرقي سلمى في النفود على مسافة بعيدة ، ولا يزال هذا الماء معروفاً ، وقد أنبط بجواره مياه غزيرة .

٢٧ — ص ٦٩ :تربة موضع من بلاد بني‌عامر بن كلاب . الصواب : عامر ابن صعصعة وبنو كلاب قبيلة منهم.

٢٨ — ص ٦٩ : ذات الجيش والملل . الصواب : ملل بدون – الـ – والـ لا تدخل على الأعلام الا سماعاً .

٢٩ — ص ٧٥: أخيف بن كعب بن العنبر . الصواب : كما في « الجمهرة » لابن الكلبي ، وطبقات خليفة بن خياط : أخيف بن مجفر بن كعب الخ..

٣٠ — ص ٧٥ : السلمي العنبري : السلمي ليست في « الاصابة » ولا في طبقات خليفة ، وكيف يكون سلمياً وهو تميمي عنبري .

٣١ — ص ٧٩ : يثيب : كيفيب ورجح شيخنا نقلا عن «الاعلام المطابة»

للمصنف أنه بالمثناة الفوقية من أوله بدل الياء التحتية . وأقول : ١ — اسم الكتاب « المغانم المطابة في معالم طابة » لا كما هنا . ٢ — والذي فيه في باب الياء : يتيب — بالفتح ثم الكسر ثم مثناة فوق ثم تحتية ، وباء موحدة جبل بالمدينة له ذكر في حدود الحرم. انتهى. كما أن المؤلف ذكره في باب التاء، فقال تيم — بفتح التاء المثناة — جبل شرقي المدينة له ذكر في حدود حرم المدينة ، كذا جاءت العبارة . ٣ — وهذا الجبل هو الذي تقدم ذكره ، وقد ورد مصحفاً تصحيفات كثيرة في كثير من الكتب .

٣٢ — ص ٨١ : والثأب محركة جاء في شعر الأغلب اسم فلاة في اليمامة . وأقول :هذا من « معجم البلدان » ، ومصدره نصر، وها هو نص ما جاء في كتاب نصر ، الورقة ٢٠، قال : (باب: باب وثات وثاب أما ببائين موحدتين : بلد قرب هجر وفي شعر : من نحو بابين ، وأما بالثاء المثلثة وآخره تاء عليها نقطتان من مخاليف اليمن اليه ينسب ذو ثات مقول مشهور ، وأما مثلة آخره باء موحدة في شعر الأغلب : أراد به الأثابات، وهي فلاة بناحية اليمامة انتهى. وبهذا يتبين ما في عبارة صاحب « التاج » من خطأ .

٣٣ — ص ٨٤: (أثارب قرية بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ) . يظهر أن الكلام المتعلق بهـــذه القرية منقول من « الأنساب » للسمعاني . وفيه : (ثلاثة أيام) بدل (ثلاثة فراسخ) .

٣٤ — ص ٩٣ : (أبو ثعلبة الخشني منسوب إلى جده خشين ابن لأي من بني فزارة) .وأقول. المعروف انه من مرّ بن خشين بن النمرين وبرة أبو ثعلبة واسمه الأشر بن جرهم ، ووبرة هاؤلاء ليسوا من فزارة بل من قضاعة من قحطان باتفاق النسابين وهذا من أوهام مؤلف التاج .

٣٥ — ص ٩٤ : (وقرن الثعالب هو قرن المنازل) إلى آخر التعريف . هذا الكلام غير مستقيم ، فقرن المنازل بعيد عن عرفات والصواب : أنهما قرنان أي جبلان فقرن المنازل هو ما يعرف الآن باسم السيل الكبير ، ومنه يحرم أهل نجد ، وقرن الثعالب جبيل صغير مطل على عرفات يمر به طريق النازل مع عقبة كرا وورد ذكره في حديث الرسول ﷺ عند رجوعه من الطائف في قوله : « فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب » .

٣٦ – ص٩٤ أيضاً: (والثعلبية موضع بطريق مكة على جادتها من الكوفة).
وأقول : هذا التعريف ليس دقيقاً كافياً ، فما أكثر المواضع الواقعة في طريق مكة ، والثعلبية هذه تقع شرق الدهناء، وانظر لتحديدها كتاب «المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة »[1].

٣٧ – ص ٩٩: (يثقب موضع بالبادية) ويقال في هذا ما قيل في سابقه، ويثقب لا يزال معروفاً في شرق حرة خيبر ، وانظر لتحديده كتاب « في شمال غرب الجزيرة »[2] .

٣٨ – ص ١٠٣ : (الثلبوت ... وقيل ميـــاه لربيعة ابن قريط بظهر نملى) وأقول : تصحف اسم الثلماء على الشارح ، فنقل وصف الثلماء ، وهي ماءة لبني ربيعة بظهر نملى ، فأوردها في تعريف الثلبوت ، وما أطول المسافة بين الموضعين ، فالثلبوت في شمال نجد والتي في ظهر نملى في جنوبه .

٣٩ – ص ١٤٨ : (الجريب واد معروف في بلاد قيس ، وحـــرة النار بحذائه ... والجريب قريب من الثعل) وأقول : الجريب ليس قريباً من حرة النار ، بل هو بعيد عنها ، وهو في بلاد بني كلاب ، وقريب من الثعل كما ذكر ، أما حرة النار فهي حرة خيبر .

٤٠ – ص ١٥٠ : (جَربّة كحمر الأَبَكّ) الصواب كما في «معجم البلدان»: جَرَبَّة من حُمر الأبكّ ، إذ الجربة هي جماعة الحمر .

٤١ – ص ١٥٤ : (إني إخال رسول الله صبحكم) والصواب: (صابِحكم) كما في « السيرة » لابن هشام[3] .

٤٢ – ص ١٥٥ : (والأجارب حي من بني سعد بن بكر من قيس عيلان) هذا من أخطاء الشارح الشنيعة فالأجارب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، قال ابن الكلبي في « جمهرة النسب »[4] : فولد كعب بن زيـــد مناة عوفاً

---

(١) ص ٢٩٣ وما بعدها .
(٢) ص ٦١٥ .
(٣) ج ٤ ص ٨٤ .
(٤) ص ١٩٧ مخطوطة المتحف البريطاني .

وعمراً وحراماً وربيعة وعبد العزى ومالكاً وعبشمس وجشم والحارث ، فمالك وعوف يقال لهما المزروعان لكثرة أموالهما وولد كعب كلهم غير مالك وعوف يقال لهم الأجارب الذين ذكرتهم الشعراء .

٤٣ — ص ١٥٧ : (الأجرب موضع يذكر مع الأشعر من منازل جهينة). وأقول الصواب : الأجرد بالدال وسمي بذلك لخلوه من النبات ، وتصحف على الشارح هنا وقبله على ياقوت في « معجم البلدان » .

٤٤ — ص ١٦٣ : (وجشيبة ابن المخزم) هو المجزّم بالجيم، كما في « الاكمال »[١] و « الانساب »[٢] .

٤٥ — ص ١٦٣ : أيضاً (وجشيبة أيضاً جد والد خُنَيس) هو جشيب في « الانساب »[٣] .

٤٦ — ص ١٦٣ : أيضاً (ابن قنبل المعافري) هـــو أبو قبيل كما في « الانساب » وكما سيأتي في « التاج » مادة قبل .

٤٧ — ص ١٨٢ : (وجعلب كجعفر جبل بالمدينة) وأقول : هذا لا يتفق مع ضبط ياقوت، وهو أصل كلام الشارح، فهو يقول جَلَعْب — بفتحتين — وثناه بعضهم في الشعر كعادته في أمثاله :

فما فُتئت ضبعَ الجلعبين تعتري   مصارعَ قتلى في التراب سِبالها

وقال: جبل بناحية المدينة. وفرق بين تعريفه وتعريف الشارح ولم يذكره الفيروزابادي في « المغانم المطابة في معالم طابة » .

٤٨ — ص ١٩٧ : (سموا جَنْباً لأنهم جانبوا بني عمهم صُداء ويزيد ابني سعد العشيرة) وأقول : الصواب كما في كتب النسب : وولد يزيد بن منبه بن حرب بن عُلة منبهاً والحارث والغَلِيّ وسنحان وشمران وهفّان يقال لهؤلاء الستة جنب، ويزيد بن يزيد بن حرب وهو صداء ، فجانبوا صداء فسموا جنباً وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بني الحارث[٤] .

---

(١) ج ١ ص ٤٧٣ .
(٢) ج ٣ ص ٢٨٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) « مختصر جمهرة النسب » نسخة المتحف البريطاني ص ٢٤٨ .

٤٩ — ص ١٩٩ : (حوط بن سَلْمَى بن هَرْمي) ضبط الاسمين كما في « مختصر الجمهرة » وهي نسخة جيدة الضبط : سُلْمِي بن هَرَمي .

٥٠ — ص ٢٠٨ : (حرب بن عِلّة) تكرر هذا الضبط في هذا الاسم وهو خطأ والصواب فيه : عُلَة ـ بضم العين ، وفتح اللام المخففة ..

٥١ — ص ٢٠٩ : (وجوبة صَيْبا ـ بالضم ـ من قرى عَثّر) وأقول : الصواب صَبيا ـ بتقديم الباء على الياء ، ويظهر أن هذا الخطأ من احدى نسخ « معجم البلدان » ، فهي في المطبوع بهذه الصفة ، إلا أن ياقوتاً لم يذكر في «المعجم» صَيْبا ـ بتقديم الياء ـ وإنما ذكر صَبْيا ـ بتقديم الباء الموحدة. وهي بلدة لا تزال معروفة .

٥٢ — ص ٢٢٧ : قال عن الحبحب وهو نوع من البطيخ: وبعضهم يسميه الجوح . أقول: ويسمى في نجد الجح.

٥٣ — ص ٢٣٢ : (وكان يسكن مَرّان) يقصد مران الذي في الشام وهو كما في « معجم البلدان » مُران ـ بضم الميم ـ أما الذي بفتح الميم فهو منهل في عالية نجد لا يزال معروفاً ، وليس المقصود هنا .

٥٤ — ص ٢٣٨ :حبيبات ابن نهيل هو في «جمهرة النسب» لابن الكلبي ، وجمهرة ابن حزم حبيب بن نهيك بالكاف لا باللام ، وكذا في كتاب « الاكال » [1] إلا انه سماه حبيبات بن نهيك .

٥٥ — ص ٢٤٢ : (وحاجب هذا هو أبو الوفاء)الصواب: هو ذو الوفاء، وقصة قوسه معروفة .

٥٦ — ص ٢٤٣: (من أقران التشاشي) الصواب : القشاشي — بالقاف المضمومة كما في « التاج » نفسه ، مادة قش .

٥٧ — ص ٢٥٧: (عن وفاة الحربي قال توفي سنة ٣٨٥) ، والصواب : ٢٨٥ .

٥٨ — ص ٢٥٧ أيضاً : (حرب بن ناحدة) اسم ناحدة غريب ولو كان صحيحاً لذكره في مادة نَحَد فليصحح .

٥٩ — ص ٢٦١ : (وبطن فلج من بني تميم) المعروف (وبطن فَلْج وبَني تميم).

---

(١) ج ٢ ص ٤٦٩ .

٦٠ – ص ٢٦٣ (لما ولي الحسن بن يزيد المدينة) الصواب : الحسن بن زيد ، وهو ابن علي بن أبي طالب ، توَلّى امارة المدينة للمنصور خمس سنوات وتوفي سنة ١٦٨ عن ٨٥ سنة [١] .

٦١ – ص ٢٦٦ : (وأبو حُزابة) ضبط ابن ماكولا [٢] هـذا الاسم أبو حزانة – بالنون – وقال المحشّي : ذكر صاحب التوضيح أنه في نسخته من جمهرة ابن الكلبي – بالباء الموحدة ولا اعتداد بذلك ، وأقول : وكـذا في مخطوطة الجمهرة .

٦٢ – ص٢٦٦: (الوليد بن حَنيفة بن سفيان بن مجاشع بن ربيعة بن وهب ابن عبدة بن ربيعة بن حَنظلة) وأقول : ١ – حنيفة ضبط في الجمهرة –بضم الحاء ضبط قلم . ٢ – الاسمان اللذان بين ربيعة لم يردا في الجمهرة ولا غيرها من كتب النسب التي بين أيدينا [٣] .

٦٣ – ص ٢٨٨: (وبينه وبين قصر السموأل ٨ فراسخ)وأقول:الصواب : وبينه وبين السحول فهو الذي يتصل بعلو يحضب [٤] .

٦٤ – ص ٢٩٠ : (وقيل أبو الأصبع) الصواب كما في « الإصابة » [٥] . و « تهذيب التهذيب »[٦] الأصبغ .

٦٥ – ص ٢٩٩ : (والحقاب جبل بعمان وفي نسخة بنعمان) وأقول : الأخير هو الصواب كما في « معجم البلدان » (الحقاب : موضع بنعمان من منازل بني هذيل) ، قال سراقة بن خثعم الكناني :

تبَغّيْن الحقاب وبطن بُرمٍ وقنّعَ من عجاجتهن صار

صار : شعب من نعمان قرب مكة . وأورد شاهداً من شعر أبي خراش الهذلي على صار . وبُرم : جبل بنعمان : قال أبو صخر الهذلي :

---

(١) « التحفة اللطيفة » ج ١ ص ٤٨٥ .
(٢) ج ٢ ص ٤٩٥ .
(٣) انظر « الاكال » ٢/٥٩٤ ومختصر الجمهرة ص ٦٠ .
(٤) « صفة جزيرة العرب » ص ١٠١ و ١٠٧ .
(٥) رقم ١٨٨٢ .
(٦) ج ٣ ص ٦٦ .

لو أنّ ما حُملتُ حُمّلَهُ شعفات رَضوى أو ذُرى بُرم

٦٦ – ص ٣٠٢ (قال اسماعيل بن بشار) الصواب اسماعيل بن يسار شاعر مدني معروف ذكره في « الأغاني »[١] و « الاكمال »[٢] وغيرهما .

٦٧ – ص ٣٠٦ (الجُميج بن مُنقذ) هو : الجُميح – بالحاء المهملة – وما هنا تطبيع .

٦٨ – ص ٣١٢: (وعُلَيّب يفرغ في السُّرّين)وعلى السين ضمةوالصواب: الكسر كما في « معجم البلدان » أنه بلفظ تثنية السّر الذي هو الكتان . والموضعان معروفان الآن .

٦٩ – ص ٣١٤ :(وحَلَبان بلدة باليمن قرب نجران وماء لبني قُشير ، قال المخبل السعدي :

صرموا لأبرهة الأمور محلها   حَلبان فانطلقوا مع الأقوال

وأقول : ١ – صرموا صوابها : ضربوا كما في « الاكليل »[٣] و «معجم ما استعجم »[٤] – ٢ – وليس حَلَبان اليمن بقرب نجران ، بل هو كما قال الأستاذ محمد علي الأكوع في عزلة بني يوسف في الحيمة الداخلية ، وهو اليوم خرائب وأطلال ، وكتبه بضم الحاء واللام . ٣ – وقول المخبل ليس شاهداً على ماء بني قشير الذي لا يزال معروفاً في عرض شمام ، بل على حَلَبان اليمن .

٧٠ – ص ٣٢٨: (الخبُّ ماء لغني بالكوفة) وأقول : في « معجم البلدان » بقرب الكوفة اهـ . وغريب أن يكون لغني ماء في تلك الجهة .

٧١ – ص ٣٤٥ (جبل السّعد على طريق كانت تُسْلَم الى المدينة) . وأقول : الصواب : كانت تُسلك كما في الحاشية ، ومثل هذا في كتاب « المناسك » للحربي .

---

(١) ج ٤ ص ٤٠٨ طبعة دار الكتب .
(٢) ج ١ ص ٣١٩ .
(٣) ج ٧ ص ١٥٧ .
(٤) ص ٤٦١ .

٧٢ – ص ٣٤٦ (قال لراشد بن عبد رب) وهو راشد بن عبد ربه كما في « الطبقات الكبرى »[١] لابن سعد و « الاصابة »[٢] .

٧٣ – ص ٣٤٦: (ألا تسكن الأخراب ، فقال : ضيعتي لا بد لي منها) هكذا ورد النص في مخطوطتي كتاب نصر[٣] و « الأماكن »[٤] للحازمي بصيغة الاستفهام مع أن الجواب يدل على أن الصيغة صيغة نهي ، وبقية الجواب فقال له عمر : لكاني أنظر إليك تقيء أمثال الذآنين حتى تموت . فكان كذلك .

٧٤ – ص ٣٤٩ : (وخربة جد ايماء بن رحضة) وأقول : هو في جمهرة ابن الكلبي حُزنة ، وفي « الاصابة » خُزمة .

٧٥ – ص ٣٥٢ : (خزبة–بالضم – جبيل صغير في ديار شُكر من الأزد) وأقول : ١ – الصواب حزنة بالحاء المهملة بعدها زاي فنون ، وهو جبيل أسود مجاور لبلدة بلجرشي – ٢ – وصواب شُكر شَكر – بفتح الشين لا بضمها ، والكاف ساكنة . قال هشام ابن الكلبي[٥] : زعم الشرقي أنه سمي شكراً لأنه مرّ بقوم ، فأعطوه شكراً ، وهو الحمل ، وقد ذكره صاحب « التاج » في موضعه .

٧٦ – ص ٣٧٦ :(لمن طلل بعد الكثيب وأخطب) الصواب : لمن طلل بين الكثيب وأخطب . من قصيدة طويلة أوردها الهجري في نوادره .

٧٧ – ص ٣٨٥ : (وَخنبون قرية على أربعة فراسخ من بخارى) وعلق المحشي بقوله : في المطبوع أربع والتصويب من « معجم البلدان » . وأقول : في « الانساب »[٦] أربع ، وكلام ياقوت منقول عن « الانساب » واللغة تجيز مثل هذا ، إذ التأنيث ليس حقيقياً .

---

(١) ١ / ٣٠٧ .
(٢) رقم ٢٥١٧ .
(٣) الورقة ٨ .
(٤) الورقة ٧ – ١٠ .
(٥) مختصر الجمهرة الورقة ١٠٩ .
(٦) ج ٥ ص ٢٠٨ .

٧٨ – ص ٣٩١: (علق المحشي على كلمة رهط هشام أخي ذي الرمة (وقال : ولو قال رهط هشام مهجو ذي الرمة لاستقام الكلام) . وأقول : استعمال الاخ هنا بمعنى الصاحب ، وفي اللغة أمثلة كثيرة .

٧٩ – ص : ٣٩٧ (الدُبّاء هو القرْع) وأقول : الأولى فتح الراء إذ هو الأصل مع جواز السكون قال الراجز :

بِئْسَ إدامُ العَزبا ُلمعْتَلّ ثريدة بقَرَع وخَلّ

٨٠ – ص ٣٩٧ : (وبرة بن صَيدان أبو كلب بن وبرة) والمعروف في كتب النسب : وبرة بن تغلب بن حلوان أبو كلب القبيلة المشهورة ولم أر لصيدان هذا ذكراً فيا بين يدي من الكتب ، ولا أستبعد أن يكون سَبق قلمٍ أو خطأ .

٨١ – ص ٣٩٩ : (ودباب كسحاب جبل لطيء لبني ثعلبة منهم) الذي في كتاب نصر ، وهو أصل هذا القول فيا يظهر : وأما بفتح الدال المهملة ماء بأجا وجبل في طيء لبني شيعة من بني ثعلبة .[1]

٨٢ – ص ٣٩٩ :(ودبَّى حَجل – بالكسر وفتح الحاء) والجيم – لعبة لهم وأقول : يظهر أن الصواب : دبي – بكسر الباء المثقلة والياء ، ولا تزال هذه اللعبة معروفة،يخطون خطوطاً في طريق طائر الحجل فيسير مع الخط.

٨٣ – ص ٤٠٢ : (الدرب بلدة باليمن) وهذا من التعريفات الفضفاضة التي لا تحدد موقعاً ، فالدرب يطلق على ثلاثة مواضع كلها في تهامة ، تابعة للمخلاف السليماني الذي قاعدته الآن جازان ، وانظر تحديدها في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية »[2] .

٨٤ – ص ٤١٥ : (ابن الذنبة الثقفي الفارسي) الصواب : الفارس إذ هو ثقفي عرف بالفروسية .

---

(١) كتاب نصر الورقة ٧١ .

(٢) ج ١ ص ١٠١ .

٨٥ – ص ٤٢٤ : (وفي الحديث أنه صلب رجلاً على ذباب) اطلاق الحديث عندهم يقصد به الكلام المنسوب إلى الرسول ﷺ ، والخبر كما أورده ابن شبة في تاريخه [١] . قـال ابو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عدا على رجل من الانصار، وكان عاملاً لمروان على بعض مساعي اليمن وكان الانصاري عدا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه فتبع ذباب الانصاري حتى قدم المدينة ، ثم جلس له في المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله؟ قـال : ظلمني بقرة لي ، وكنت امرأ خبيث النفس فقتلته ، فقتله مروان وصلبه على ذباب . وقال السمهودي في « وفاء الوفاء » .

وتقدم من رواية ابن شبة في اتخاذ المقصورة في المسجد ما يقتضي ان الرجل الذي ظلمه ساعي مروان اسمه دب ، وأنه إنما هم بقتل مروان ، فأخذه مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرني بعض مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عروة لزياد بن عبيد الله الحارثي : يا عجباً ، يصلبون على مضرب قبة رسول الله ﷺ فكف عن ذلك زياد وكفت الولاة بعده عنه .

٨٦ – ص ٤٤٣ : (الذنائب موضع بنجد ، وهو على يسار طريق مكة) هذا التعريف موهم يحسن أن يضاف إليه للقادم اليها من البصرة .

٨٧ – ص ٤٥٣ (حافظ الشام محمد بن عثمان قايماز) وهو محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الحافظ الذهبي المعروف .

٨٨ – ص ٤٩١ : (رحابة كقمامة أطمٌ بالمدينة معروف) وأقول : الذي في « معجم البلدان » : الرحابة كغمامة موضع بالحرة الغربية بالمدينة ، وذكره في « المغانم » [٢] عرضاً .

---

(١) الورقة ١٢ مخطوطة رباط مظهر في المدينة المنورة .

(٢) ص ٢٦٦

٨٩ – ص ٤٩١ : (الرُّحبة واد قرب صنعاء) وأقول: لا يزال هـــذا معروفاً ولكن الراء مفتوحة .

٩٠ – ص ٤٩٦ : (قد رتب الناس) الذي في المعجم قـــد ميز الناس ، وليس كما في الحاشية .

٩١ – ص ٤٩٨: (الخزرج بن حرة بن جرم) ومثل هذا في «الاشتقاق» ، ولكن حرة تصحيف جدة باتفاق النسابين [١] ، وبهذا سميت جدة المدينة المعروفة او سمي بها على اختلاف بينهم .

٩٢ – ص ٤٩٨ ايضاً: (ورواسب أرض بين مكة والطائف) وأقول : الذي في « المعجم » : راسب قال عرام : بين مكة والطائف قرية يقال لهـــا راسب لخثعم . و كذا في رسالة عرام المطبوعة ، ولم يذكر رواسب .

٩٢ – ص ٥٢١ : (ذو الرقيبة كسفينة جبـــل بخيبر) وأقول : لا يزال معروفاً ولكنه يدعى الآن ام رقبة . وانظر لتحديده كتاب « في شمال غرب الجزيرة » [٢] .

٩٣ – ص ٥٣١ : (ركبة بالضم واد بالطائف بـــين غمرة وذات عرق) وأقول : ١ – ركبة ارض واسعة تحد جنوباً بمفيض الاودية الواقعة شرق الطائف وشماله ٢ – ليست وادياً في الطائف ٣ – غمرة وذات عرق يقعان في طرفها الغربي الشمالي ، وتحد شرقاً بحرة كشب ويجبل حضن .

٩٤ – ص ٥٤٢ : (مرهوب بن هاجر) هو موهوب بالواو لا بالراء ، كما في « جمهرة ابن الكلبي » [٣] و« مختصر الجمهرة » [٤] و« وجمهرة ابن حزم » [٥] .

(للبحث صلة)

---

(١) ص ٤٤٥ .
(٢) ص ٤٨١ و ٥٣٧ و ٥٦٥ .
(٣) ص ٢٢٠ . (٤) ص ٧٩ . (٥) ص ٢٠٤ .

- ٢ -

والمؤلف لا يتوسع في الشرح ، وهو يعني بالمباحث اللغوية أكثر من غيرها.

ومع أنه محدث قد يخرج بعض الأحاديث مثل حديث أم زرع الذي قال بأن البخاري ومسلماً أخرجاه في صحيحيهما (ص ٤٤١) إلا أن هناك أحاديث لم يخرجها وعددها إحدى عشر ، ستة أحاديث لعلي وحديثان لفاطمة (رضي الله عنها) وحديث لمعاوية وحديث لصعصعة بن صوحان (الصفحات: ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٨٩ ،) .

وقد يذكر خبراً لا غريب فيه كما قال (ص ٣٩٦) : ذكرناه مع قلة غريبه لإشكال معناه .

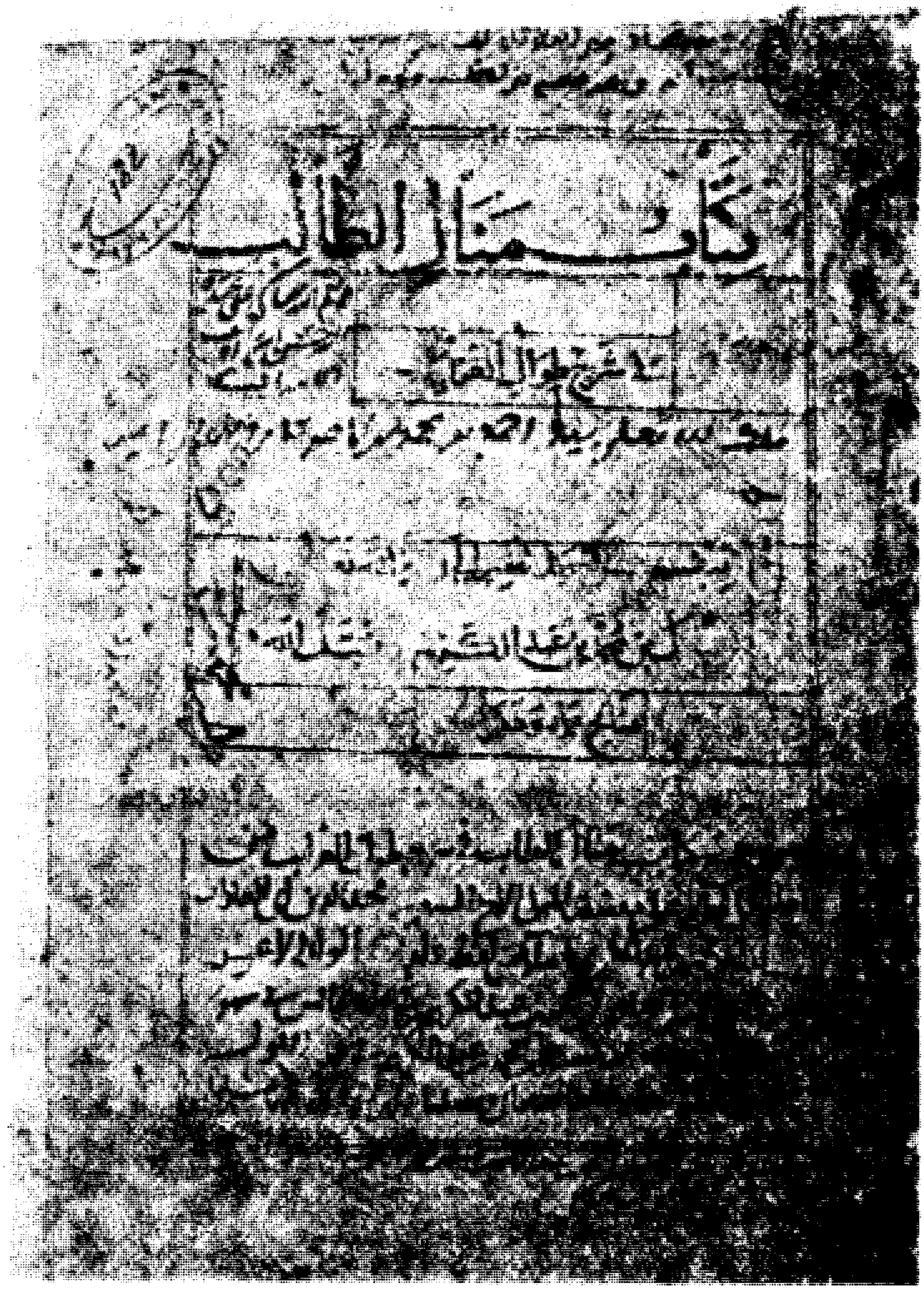
وصف النسخة :

وهذه النسخة التي ذكرناها نسخة فريدة فكاتبها هو ابن أخي المؤلف كما جاء في آخرها وهذا نصه : (تم كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، وذلك في سنة ست وستماية ، كتبه محمد بن نصر بن عبد الكريم ولد أخي المصنف حامداً الله تعالى على نعمه ، ومصلياً على رسوله مسلماً والحمد لله رب العالمين) ونقلها من إملاء المؤلف نفسه ، وقرأها عليه كما يفهم من كتابة عمه علي بن محمد صاحب التاريخ ، وها هو نص ما كتب :

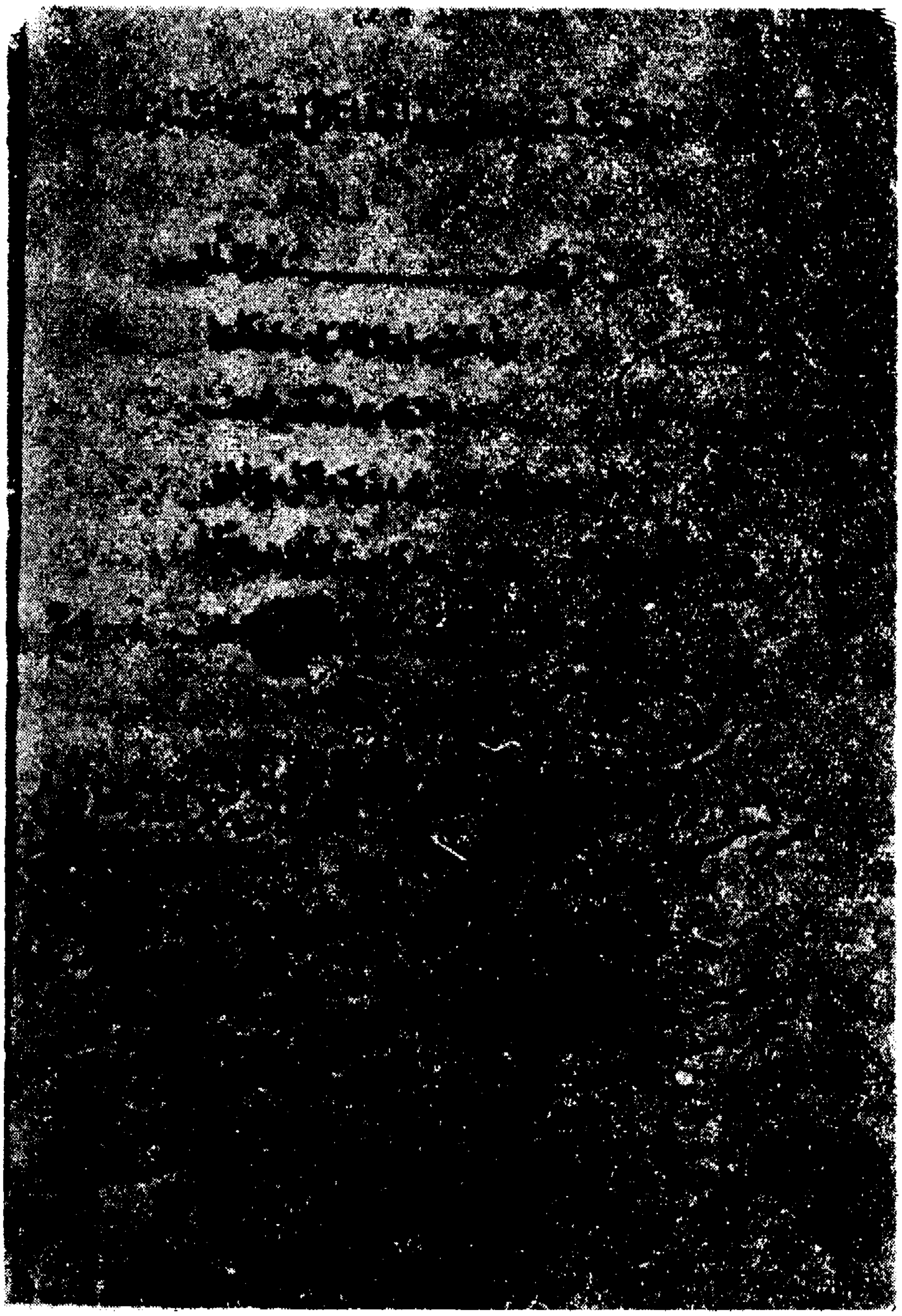
(سمع جميع كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب من أوله إلى آخره على مصنفه المولى الأخ السعيد مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم املاء من لفظه ولد...[1] الولد الاعز شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم في عدة مجالس في شهور سنة ست وستمائة ، كتبه علي بن

---

(١) كأنها ولد أخي .



الصفحة الأولى من المخطوطة وفيها الاجازة التي كتبها ابن الاثير المؤرخ بخطه لابن اخيه .



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

محمد بن عبد الكريم في جـ ... الأول ستمائة حامداً الله تعالى ومصلياً على رسوله محمد و... ومسلماً) .

وهي تقع في ٥١٥ صفحة في الصفحة ١٥ سطراً .

ومع جودة هـذه النسخة وقوة صلتها بمؤلفها [١] فقد وقع في مواضع منها بياض .

١ – ص ١٤٥ : (وعبد الله بن أريقط هكذا يروي في حديث ام معبد وهو) ثم بياض بمقدار سطر .

٢ – ص ٢١٤ : (أبو عمرو هو – وتركت بقية السطر خالية) .

٣ – ص ٣٢٠ : (سلامة الكندي هو – وبقية السطر بيضاء) .

٤ – ص ٣٠٢ : (وقوله من الحروف – وترك سطراً خالياً) .

٥ – ص ٥٠٤ : (أبو العريان هو : ثم ترك بقية السطر خالياً من الكتابة).

وخط النسخة جميل بالقلم النسخي ، وأكثر الكلمات مشكلة ومع ذلك فقد يقع فيه بعض الأخطاء ، وفي هوامش النسخة بعض تصحيحات أو استدراكات يسيرة منها :

١ – ص ١٥ : (واليانع : المدرك ، وقد ينعت الثمرة وأينعت ، والباء في يانع للتسبيب أي بسبب يانـــع الثمر أو معه ، وفي الحاشية : (قوله : والباء في يانع للتسبيب ، وهم وصوابه – والله أعلم والباء منقوطة بواحدة ، لأنها في لفظ الحديث ، وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر ، وهو تفسير قوله : بيانـع ولم يقل أحد : الباء للتسبيب قط : ولم أر أن أصلحه لأنـــه مقروء في النسخة على مصنفه، وخطه عليها، وكان ينبغي أن تكون العبارة: في يانـع الثمر . والله أعلم) .

٢ – ص ١٧: (وذو العنان الفرسِ) صوابه : الفرَسُ بالرفـع والله أعلم .

٣ – ص ٣٤ : والديمومة : البرية البعيدة الأرجاء التي يدام فيها السير فلا يكاد ينقطع،فهي فعلولة من الدوام ، وياؤها منقلبة عن واو تخفيفاً ، وبعضهم

---

(١) فقد ذكر في الصفحات ٣١ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٥، ٢١٦ ، ٢٩٠ ، بلاغات قراءتها على المصنف ، وتصحيحه لهذا الاصل .

يجعلها فيعلولة من دممت القدر إذا طليتها بالطحال والرماد) كذا وصوابه: فَيْعُولة.

٤ – ص ٤٥ : (والماء الكبا) صوابه الماء الكبأ .

٥ – ص ٣٠٣ : (فيحير) صوابه : فيحار .

٦ – ص ٣٣٢ : (فطرت والله بغنائها ، وفزت بجبائها) والصواب : فطرت والله لعبابها وفزت بحبابها – بالعين المملة ، والباء الموحدة من تحت – وعباب الماء أول زخيره (؟) ، وارتفاعه وحبابه معظمه قال طرفة :

يشق حباب الماء حيزومها بها .

والناسخ يسير على طريقة المتقدمين بعدم كتابة الهمزة فكلمات : المـاء والعلماء والفضلاء والأدواء والعشراء ودراء يكتبها بدون همزة ، وقد يضع الهمزة في مثل كلمات : يظأر والظؤار ، ومأخذاً ، وقد يضعها فوق الواو مثل : (المرؤ) : اْلمَـرْءُ . وقد يكتفي بوضع مدة فوق الحرف إذا كان بعده همزة مثل : (الزّهْـرَآ) و (الرقشآ) في : الزهراء والرّقشاء .

وقد تنقلت هذه النسخة بأيدي مُلاك منهم :

١ – محمد بن يحيى بن يوسف بن أبي القاسم السلامي ولا أستبعد أن يكون هذا هو الذي ترجمه الصفدي في « الوافي بالوفيات » [1] وقال انــه توفي سنة ٦٣٩ هـ وهو من كبار العلماء ، وإن كان جد هذا المترجم عند الصفدي مظفراً لا يوسف ، وقد يكون مظفر لقباً ليوسف .

٢ – محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد وملكها سنة ٦٨٨ هـ .

٣ – احمد بن محمد بن ناصر .

٤ – السيد حسن باش زادة نقيب الإشراف : ثم وصلت إلى مكتبة الأوقاف في خزانة الرباط في مدينة فاس ، ورقمها ١٨٢ ، وعن هذه النسخة صور استاذنا الخير الزركلي نسخته التي كرم باطلاعنا عليهـــا لإفادة القراء بوصفها . حرصاً منه على نشر العلم – أمد الله عمره ورعاه –

---

(١) ج ٥ ص ٢٠٧ .



الصفحتان (٤٩٥ و ٤٩٦) من المخطوطة

معجم المطبوعات العربية

المملكة العربية السعودية

- ١ -

المقدمة :

في ٢١ / ٥ / ١٣٨٣ (١١ / ١٠ / ١٩٦٣) نزلت الرياض متعاقداً للتدريس بكلية الآداب من جامعتها ، وكان لا بد لي من أن ألم بشؤون الأدب في هذه البلاد . وبدأت أسأل ، وأشتري ، واقرأ ... وكان مما اطلعت عليه « وحي الصحراء » و « شعراء نجد المعاصرون » ، اضفت ما فيها من مادة إلى ما قرأته يوماً ما (١٩٤٠) في كتاب « أدب الحجاز » ... فرأيت شيئاً ذا بال ، وحركة جديرة بالاهتمام .

وهكذا سرت ... ورغبت أن اكتب عن هذا الأدب ، أو أن ادرسّه وقد عهد اليّ تدريس الأدب الحديث في الكلية ، ولكن المسألة ليست مسألة رغبة ، انها مسؤولية ، فمن المعقول إذاً أن أبدأ بالبداية ، والبداية تقتضي عملاً مكتبياً منهجياً ، أي حصر الآثار الصادرة من دواوين وغيرها . وبدأت ، ولكن أين ؟ ليس هناك من مكان يجمعها أو يجمع أكثرها ، وما عليك إلا الجد والصبر ، وهذا ديوان ، وهذه قصة ، وتلك مقالات ... ولكن هذه لا تكفي للدراسة ، وانها لو اجتمعت – فرضاً – لديك لا تفي بالغرض ، فلا بد لك من الإلمام بالتاريخ ... والفقه ... وكل شيء فليس الأدب منقطعاً عما حوله .

ثم إنك تقع بين الحين والحين على كتب يحسن أن يعرّف بها أو أن يشار اليها ، وهذا يعني ان لا بد لك من أن توسع من بحثك وأن يشمل عملك المكتبي كل ما صدر في هذه البلاد . وقد بدا ذلك – لأول وهلة – سهلاً ممكناً كأن المؤلفات معدودة وكأن أماكنها محدودة . فسرت ... وكلما قطعت شوطاً ظهر لي أني لم أقطع ما يجب قطعه وأن الأشواط الباقية مهمة جداً ، وإذا كان قد خيّل اليّ وأنا في نهاية العام الأول أني حصرت ٧٥ ٪ من

المؤلفات ، فقد اتضح لي في نهاية السنة الثانيـــة أني لم أحصر الـ ٥٠ ٪ إلا تقديراً ... ولم أطمئن إلى أني جمعت الـ ٧٥ ٪ إلا في السنة الرابعة . أما في نهاية السنة الخامسة (وهي الأخيرة) فقد خيّل إليّ أني بلغت الـ ٩٠ ٪ أو يزيد – هكذا خيّل ، وأخشى أن اكون مخطئاً .

أمّا كيف حصلت على هذه الكمية فبالجهـــد والتعب والعرق والتراب وأشياء أخرى . ولو لم يكن العمل في أول أمره حبّاً و « هواية » ، ولو لم يصبح – بعد ذلك – رسالة وواجباً ... لما تحملت ما تحملت ولطويت المشروع مؤثراً لنفسي كثيراً من الراحة وما إلى الراحة .

كنت أحمل معي – دائماً – دفتراً صغيراً اخصص فيه لكل مؤلف صفحة اضمنها اسم الكتاب ، ومحتوياته ، وتاريخ طبعه ومكانه ، وعـــدد الأجزاء والصفحات ... وما إلى ذلك مما يتصل بالكتاب أو بحياة المؤلف ...

وتعددت الدفاتر ، وفصلت أوراقها وبوّبتها على حروف الهجاء لأسماء المؤلفين مقتدياً بمعجم المطبوعات العربية والمعربة الذي عمله سركيس ، وحصل لي بذلك قدر وافر يصلح أن يكون كتاباً يخدم الباحثين ويخدم .من يريد أن يسير – بعدي – بالمشروع .

لقد كنت أشعر بأهمية معجم للمطبوعات خاص بكـــل بلد عربي – فلقد مضى العهد الذي يمكن أن يعمل فيه شخص واحد معجماً لكل البلدان ، وأشعر – كذلك – بأهمية عمل المعجم الخاص مبكراً كي يمكن الاستدراك عليه ولكي يحصر ما يمكن حصره من مؤلفات الحاضر قبل أن تصير ماضياً .

أما ان المشروع مهم فما لا شك فيه ، وازدادت الثقة بإخراج كتاب فيه لدى توافر مادة مهمة له . أما الاستيفاء المطلق فمستحيل أو غير ممكن – في الأقل ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

ولكن ماذا يكون إسم المعجم؟وماذا تكون حدوده الزمنية والجغرافية؟ أنسميه معجم المؤلفين ؟ ولهذا الإسم وجاهته ، وإن كانت له محاذير .أنسميه معجم المطبوعات ؟ ولهذا مسوّغاته وإن كانت عليه ملاحظات . وإن كان أكثر المطبوعات قد صدر في المملكة السعودية التي ضمت نجداً والأحساء ...

وعسيراً والحجاز منذ ١٣٤٤ / ١٩٢٥ ، فإن منها ما سبق هذا العهد تأليفاً ومنها ما سبقه طبعاً . وقد يثير هذا اعتراض الذين يطلبون الدقة العلمية في العنوانات .

وخلصت بنتيجة المناقشة إلى العنوان الذي تراه ، وفيه من التوفيق ما فيه ، والعبرة – على أي حال – بالمحتوى وليست التسمية إلا دليلاً من أدلة ، ومفتاحاً من مفاتيح ولا سيما إذا حدد المؤلف أبعاد موضوعه في المقدمة .

ولعل أهم الأبعاد في « معجم المطبوعات » هذا ما يأتي :

١ – انه يضم – في الأساس – ما صدر في العهد السعودي مبتدئاً بـ ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م . وتشمل كلمة صدر : التأليف والتحقيق والنشر والترجمة ما طبع في البلاد أو خارجها – ويعرف هذا العهد بالدولة السعودية الثالثة وهي التي أسسها عبد العزيز .

٢ – ويضم ما صدر في هذا العهد لمؤلفين عاشوا في نجد (والأحساء) قبل قيام الدولة السعودية الثالثة – ونذكر على سبيل المثال مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ...

٣ – ويضم ما استطعت أن أسجله من مؤلفات حجازية طبعت قبل الفتح السعودي للحجاز (١٣٤٤ / ١٩٢٥) وغالب هذه الكتب دينية أو لغوية ، ومنها ما كان معاصراً للدعوة الوهابية ومتصلاً بها سلباً أو إيجابا .

ولا شك في ان دخول هذه الكتب في المعجم على سبيل التجوّز ، وقد يكون مكانها الأول ملحقاً خاصاً بها في آخر المعجم ، ولكن إثباتها هنا قد يكون أنفع

ومع ان هذه الكتب ليست كثيرة فإن حصرها صعب عليّ ، وكان من الممكن أن يفيدنا كتاب « دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام» كثيراً لو انه وجّه عناية خاصة للمؤلفات وبيان المخطوط والمطبوع ، ولا أستبعد من يتهيأ لعمل قائمة خاصة بما طبع قبل عام ١٣٤٤ / ١٩٢٥ وقائمة خاصة بما صدر عن المطبعة الميرية بمكة ...

٤ – يضم ما أصدرته الدولة – في مختلف وزاراتها ودوائرها – من كتب وإحصاءات لأهمية هذه المطبوعات في بابها .

٥ – لم تدخل في هذا المعجم الكتب المدرسية والمجلات والجرائد .. لأن هذه المطبوعات تقتضي معجمات خاصة .

٦ – آخر تاريخ يقف عنده هذا المعجم هو ٢٦ / ٣ / ١٣٨٨ = ٢٢ / ٦ / ١٩٦٨ م وهو تاريخ عودة المؤلف إلى بغداد .. ولم يعد بامكانه متابعة الكتب التي تصدر على وجه الدقة .

* * *

ويمكن للقارىء أن يدرك الزمن الذي صدر فيه الكتاب بالتواريخ والمعلومات المقترنة بذكر الكتاب ومؤلفه . ثم ان هناك تواريخ مهمة في سير الفتوحات التي قام بها عبد العزيز . وهذه أهمها :

١ – سار من الكويت نحو الرياض في ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م .
٢ – تمكن من فتح الرياض في ٣ شوال ١٣١٩ / ٥ كانون الثاني ١٩٠٢ .
٣ – وفتح الأحساء في ١٣٣١ / ١٩١١ .
٤ – وفتح عسير في ١٣٤٠ / ١٩٢١ .
٥ – والطائف في صفر ١٣٤٣ / ١٩٢٤ .
٦ – ومكة في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣ / ١٩٢٤ .
٧ – وتم فتح الحجاز في ٦ جمادى الأولى ١٣٤٤ / ١٩٢٥ .
٨ – وفي صباح الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ / ٢٤ديسمبر١٩٢٥ دخل عبد العزيز جدة (بعد تنازل علي بن الحسين غرة جمادى الأولى ١٣٤٤) .
٩ – ولقب ملك الحجاز وسلطان نجد في جمادى الثانية ١٣٤٤ / ١٩٢٥ .
١٠ – ولقب ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في رجب ١٣٤٥ / ١٩٢٦ .
١١ – وصدر المرسوم الملكي بالتسمية الجديدة : المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ / ١٩٣٢ .

* * *

أما أهم المراجع التي استعان بها المؤلف في الدلالة على الكتب والتعريف بها وبأصحابها فهي :

١ ـ وحي الصحراء (صفحة من الأدب العصري في الحجاز) جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير . القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دون تاريخ .

٢ ـ شعراء الحجاز في العصر الحديث تأليف عبد السلام طاهر الساسي ، مكة المكرمة ١٣٧٠ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥١ .

٣ ـ الأدب في الخليج العربي ، تأليف عبد الرحمن العبيد ، دمشق ، مطبعة الإنشاء ، نشر مكتبة النشاط الثقافي ، ١٣٧٧ / ١٩٥٧ .

٤ ـ الكتاب الفضي ـ المنهل في ٢٥ عاماً ، ١٣٥٥ هـ ـ ١٣٧٩ / ١٩٣٧ م ـ ١٩٦٠ ، مطابع دار الاصفهاني وشركاه ، جدة .

٥ ـ شعراء نجد المعاصرون تأليف عبد الله بن إدريس ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .

٦ ـ دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام تأليف عمر عبد الجبار ، القاهرة ، دار ممفيس للطباعة ١٣٧٩ .

٧ ـ المنهل ، عدد خاص بتراجم وأدب أدباء المملكة السعودية المعاصرين الجزء السابع ـ المجلد ٢٧ ، رجب ١٣٨٦ / نوفمبر ١٩٦٦ .

٨ ـ الموسوعة الأدبية (دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية) تأليف عبد السلام طاهر الساسي ج ١ مكة ١٣٨٨ ، دار قريش للطباعة والصحافة والنشر بمكة .

ومما يذكر أن عدداً لا بأس به من المؤلفات يصدر ومعه تعريف بالمؤلف وسرد لآثاره الأخرى وفي هذا ما يُعين على التعريف وينبه على الكتب .

بعد أن عدت إلى أوراقي ورتبتها على حروف الهجاء لأسماء المؤلفين ، شرعت في توحيدها وتبييضها إعداداً للطبع والنشر ، ولكني رأيت أن أعرض هذه المادة التي انتظمت لديّ على المثقفين وأهل العلم من أبناء البلاد التي يهمها الموضوع قبل غيرها ، قاصداً من ذلك إلى أمرين :

الأول – الأطمئنان إلى الصحيح منها .

الثاني – تصحيح الخطأ واكال النقص بالتنبيه على من لم يذكر من الأعلام وما لم ينص عليه من الأجزاء والصفحات والموضوعات وتواريخ الطبع وأسماء المطابع وأماكنها . . .

واني بذلك ألقي بجزء كبير من المسؤولية عن عاتقي كما أهيىء للمعجم مناسبة جديدة من الخدمة .

ومعنى هذا أن أنشر « المعجم » في مجـــلة علمية سائرة ، وقد فاتحت الاستاذ الجاسر فرحب بالفكرة . وهكذا ، فإني أرجو من القراء الكرام أن يرسلوا بملاحظاتهم على عنواني (قسم اللغة العربية – كلية الآداب – بغداد) او إلى مجلة « العرب » نفسها .

حرف الألف

ابراهيم أسكوبي : ابراهيم بن حسن بن حسين اسكوبي . ولد بالمدينـــة سنة ١٢٦٩ وتوفي سنة ١٣٣٢ (وقيل ١٣٣١) (ق . س). شاعر ، اشتهرت له قصيدة « نصح بها العثمانيين من غوائل الغرب وحكوماته » وعدت اول الشعر السياسي في الحجاز . مطلعها :

يا آل عثمان فالمغرور من غرا ... بأهل أوربة ، أو عهدهم طرّا..

ما زال ديوانه مخطوطاً . منه مختارات في « الموسوعة الادبية » .

له « مزدوجة » ضمنها مفاخرة بين وابور البر ووابور البحر . طبعت على نفقة الشيخ ماجد كردي – صاحب المطبعة الماجدية والمكتبة الماجدية .

ابراهيم فوده : ابراهيم أمين فوده ولد بمكة سنة ١٣٤٢ درس بالمدارس الحكومية وعلى والده الشيخ امين فوده . عين محرراً بديوان التفتيش بوزارة المالية ، فسكرتيراً لمستشار وزارة المالية العام (الشيخ محمد سرور الصبّان) ثم مديراً عاماً للاذاعة السعودية .

١ – **مطلع الفجر** : ديوان ، أصدره في أوائل حياته الأدبية وربما كان ذلك قبل أن يبلغ العشرين .

ابراهيم خلوصي بن أحمد حلواني : ١ – **تحفة الناظر ومرشد الصيرفي** والتاجر (في الحساب) .

ابراهيم خليل العلاف : ولد بمكة في غرة المحرم سنة ١٣٥٠ ونشأ بها . أتم دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بدار العلوم بالقاهرة مبعوثاً سنة ١٣٦٩ وتخرج في نهاية عام ١٣٧٣ .

عين بمديرية المعارف العامة ثم مدرساً بالمعهد العلمي السعودي بمكة ثم مفتشاً ثم مديراً للمكتبة العامة في الاذاعة ثم مستشاراً ثقافياً في وزارة الحج والأوقاف ومديراً عاماً لمكتباتها .

١ – **أشواق وآهات** : ديوان . جاء في مقدمته انه : « يروي قصة شاب تنازعه الحاضر والمستقبل والواقعية والمثالية ، فلم تزده مجاذبتها له الا توازنا ، ولا تنافسها عليه الا توفيقاً بينها ... »

« اني أريد من المجتهدين في التطوير أن يحتفظوا بخط الرجعة فلا يسرفوا وأن يحتفظوا بالتوازن قدر الإمكان بين المنهج الاتباعي في صياغته الجيدة المرنة وأدائه البالغ وبين تجاربهم الحاضرة » .

ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة الإمام ، ١٣٨١ هـ ٢٩ – ١٧٠ ص ص .

٢ – **الانسان** : مقطعات شعرية مؤرخة ٢٠- ١٠ – ١٣٨٤ (١٩٦٥) مطابع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ٥ – ٩٤ – ٢ ص ص.

٣ – **باقة الطرائف** : « ان محتويات هذا الكتاب وما تنفح به من تسلية وانشغالي باختيارها وتنسيقها ، كل اولئك كان لي متنفساً عظيما لما عانيته من صدمات شتى مبرحة تردد بعض صداها في ديواني « أشواق وآهات » .

ج ١ ، ط ١ ، القاهرة ، مطبعة الإمام ، ١٣٨٠ هـ ٨ – ١٥١ ص ص . فيه ٣٧٨ طرفة انتقاها من: البخلاء ، نكت الهميان ، جحا ، تقويم أم القرى ،

المختار ، المجلات العربية . وفيه إعلان عن الجزء الثاني – ولكن هذا الجزء لم يصدر .

٤ – **البعث** : (نبضات من الشعر) القاهرة ، مطبعة الامام ، ١٣٧٣هـ ١١ – ٧٩ – ٨٠ ص ص . الإهداء : إلى سمو وزير المعارف الأمير فهد. نشر أثر تخرجه في دار العلوم . سيصبح اسم الديوان « وهج الشباب » في طبعة ثانية سنة ١٣٨٤ .

٥ – **وهج الشباب** : شعر ، هو طبعة ثانية منقحة لديوانه البعث.مطابع مؤسسة مكة (١٣٨٤ – ١٩٦٥) ٢٤ – ٩٤ – ٩٥

وهو إذ يكتب على غلافه : الطبعة الثانية فانما يعني بالأولى . ط البعث .

ملاحظة : أعلن في ديوانه الثالث : الانسان: سيصدر قريباً . « شذرات البيان » : «باقة الطرائف» ج ٢ – ولم يصدرا .

ابراهيم السليمان الجبهان :

١ – **تبديد الظلام وتنبيه النيام** : ط ٣ . الرياض . مؤسسة النـــور (١٣٨٦ – ١٩٦٦) جاء في المقدمة انه طبع منه في الأولى ٥٠٠ نسخة ، وفي الثانية ٣٠٠٠ وفي الثالثة ٥٠٠٠

ابراهيم السليمان الطامي : من أهالي بريدة .

١ – كتاب نزهة النفس الأدبية في القصص والحكايات الغريبة .

تأليف وجمع وترتيب : دمشق ، مطبعة كرم (١٣٨٤ – ١٩٦٤) ٦ – ٢٩٩ – ٥ .

ابراهيم الشورى : نشأ بالقاهرة،تخرج في مدرستي القضاء الشرعي ودار العلوم العليا واشتغل بالتدريس . ثم انتـــدب من الحكومة المصرية مفتشاً بالمعارف السعودية سنة ١٣٤٧ – ١٩٢٨.وبعد خدمة في المعهد العلمي السعودي انتقل مديراً للحج والدعاية ثم مستشاراً ومعاوناً أول لإمارة الظهران .

طلب التقاعد – شغل مهام ادارة الاذاعة والصحافة والنشر – عضو في مجلس الشورى (والآن من موظفي رابطة العالم الاسلامي) .

١ – **تذكار الولاء والاخلاص**

٢ – **الحركة العلمية** : محاضرة القاها في رابطة موظفي الحكومة المصرية العامة سنة ١٩٥٤ .

القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ٣١٠ ص ص

٣ – **حقوق الانسان كما نص عليها القرآن** :

مكة مطابع دار الثقافة . ربما في(١٣٨٦ – ١٩٦٦)٤ –٣٤ – ٣٥ص

٤ – **صحائف خالدة عن المملكة العربية السعودية** :

الرسالة الأولى – عن الملك عبد العزيز ٧ – ٨٠ص.ص. د . ط . د.ت (ربما في القاهرة دار الكتاب العربي) .

٥ – **صحائف خالدة عن المملكة العربية السعودية** : – الرسالة الثانية عن ولي عهد المملكة الأميرسعود بن عبد العزيز وعن الأمير عبدالله بن عبد الرحمن أخي الملك وعن بعض النظم الخاصة بالأسرة السعودية .

القاهرة ، دار الكتاب العربي . د.ت ، ٦ – ٦٨ ص.ص

٦ – **طريق السلام وقواعد الاسلام** : (بحوث وفصول في قواعد الاسلام الخمس باللغتين العربية والانجليزية) –جدة ، مطابع الأصفهاني ١٣٨٥

٧ – **العهد والميثاق في الاسلام**

٨ – **المملكة العربية السعودية الحديثة** : (محاضرتان للاستاذ الشيخ ابراهيم الشورى –مدير المكتب العربي السعودي بالقاهرة.نشرتها الهيئة العلمية الثقافية لشؤون البلاد العربية بلجنة نشر المؤلفات التيمورية) .

القاهرة ، مطبعة مخيمر ، ٦٤ ص – ١٢ – ٣٨ – ٦٤ .

المحاضرة الأولى في ١٥ مارس ١٩٥٦ عن زيارة الملك سعود الى القاهرة .

٩ – **النظافة والنظام في الاسلام** . (للبحث صلة)

بغداد – كلية الآداب

علي جواد الطاهر

مَعَ ٱلقُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حضرموت في كتاب « نزهة المشتاق » للادريسي

تحتوي مكتبة العلامـــة أستاذنا حمد الجاسر على مجموعة قيمة من نفائس المخطوطات ونوادر المطبوعات ولم يكن الحصول على أحدها من الأمور السهلة فقد شد الرحـــال إلى مكتبات أوربا وتركيا وكثير من أقطار المشرق باحثاً ومنقباً مضحياً بوقته ، وباذلاباسخاء من ماله،للحصول على نسخ من ذلك التراث الخالد ، وقد أحب أن يشرك قراء مجـــلة « العرب » في الاطلاع على تلك الذخائر فنشر سلسلة قيمة من تلك الأسفار الرائعة بعنوان : [بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب] ويهمنا هنا الحلقة التاسعة من تلك السلسلة التي نشرها في مجلة «العرب» العدد الثالث من السنة الخامسة ص٢١٣ .

وحرصاً من مجلتنا المحبوبة في تحري الدقة والدراسة الجادة أحببت تصحيح بعض ما جاء في كتاب « نزهة المشتاق » للجغرافي الكبير الادريسي قال : (ومدينتا حضرموت احداهما تريم والأخرى شبام فأما تريم فتقدم ذكرها . وأما شبام فهي حصن منيع جامع في قنة جبل شبام وهو جبل منيع جداً لا يرتقى إلى أعلاه إلا بعد جهد، وفي أعلاه قرى كثيرة ومياه جارية وغلات ونخيل وخصب زائد . ويوجد في هذا الجبل أحجار العقيق الجمشت وأحجار الجزع ... الخ) .

وقلت مع اعجابي وتقديري للمعلومات التي أمدنا بها العلامة الإدريسي عن بلاد (البخور) إلا أنه وهم فيا ذكر عن شبام فليس صحيحاً انها تقع على قنة جبل شبام كما لا توجد مزارع أو قرى أو أحجار العقيق أو غيرها في الجبل المطل على شبام ، وقد خلط بين شبام حضرموت ، وشبام كوكبان المعروفة في هضبة اليمن السعيد كما أن العلامة أبا الفداء المتوفى عام ٧٣٢ هـ بدوره سجل بعض المعلومات المضطربة عن شبام حضرموت وكذا عن جبل شبام كوكبان في اليمن قال : (وشبام جبل منيع فيه قرى ومزارع كثيرة وهو

مشهور من جبال اليمن وفيه قلعة . وشبام قصبة حضرموت بينها وبين صنعاء واحد وسبعون فرسخا . وقيل: إحدى عشر مرحلة وبينها وبين ذمار مرحلة واحدة . وقال في العزيزي : وفي الجبل المذكور سكان كثيرون وهو منيع من كل ناحية وفيه معدن للحجر المعروف بالعقيق والجزع) [١] .

ويلاحظ التناقض بين قوله بينها وبين صنعاء أحد وسبعون فرسخاً وقيل: احدى عشر مرحلة وبين قوله : وبينها وبين ذمار مرحلة واحدة ! كما أنه لا صحة لقوله بوجود معدن للحجر المعروف بالعقيق في جبل شبام . ويقول العلامة السيد علي المؤيد : لا يعرف أنه يستخرج العقيق من الجمشت لا من شبام - كوكبان ولا من شبام القصة [٢] .

ويعلق أدولف جروهمان على ما سبق بقوله : وقد خلط كل من الادريسي وأبي الفداء بين شبام حضرموت وشبام كوكبان كما أشار إلى ذلك نيبور منذ وقت طويل [٣] .

وما دمنا بصدد البحث عن شبام فيحسن أن نقدم للقارىء الكريم بعض المعلومات عن تلك المدينة الأثرية نلخصها من مسودة - كتابنـــا عن (حضرموت) : شِبَام بكسر الشين وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم ميم [٤] .

ويقدم الهمداني تفسيراً لتسميتها بهذا الإسم ، قال : (فلما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت وبهم سميت شبام وكان الأصل شباة فأبدلت الميم من الهاء) [٥] .

ولم يشر الهمداني إلى المصدر الذي استقى منه هذا التعليـل إلا أن الذي يلفت النظر أن هناك أكثر من مدينة وقرية في اليمن تحمل نفس الاسم منها شبام كوكبان ، وشبام القـُصة - بضم القاف - وتسمى الآن شبام الغراس بالقرب من صنعاء على بعد ثلاثة فراسخ تقريباً ، وشبام حراز [٦].

فهل هاجرت موجات من سكان شبوة إلى تلك القـُرى فسميت بها وأبدلت الميم من الهاء ؟ لا أعتقد ذلك !

وليس من المستبعد ان إسم شبام في الأصل مأخوذاً من اللغة المعينية وربما من اللهجة الحضرمية القديمة ، وكان في الأصل اسم أحـــد أعضاء الأسرة

الحاكمة على حضرموت وهضبة اليمن معاً ، ثم أطلق على هذه المدينة وغيرها في عهد موغل في القدم ، وعلى أي حـــال لم أطلع على مصدر يؤيد هـــذا القول ، ولكن فيما أرى قد لا يستبعد ذلك . أما العلامة السيد علي بن حسن العطاس المتوفى سنة ١١٧٢ هـ فقد رجح الفتح فقال : شَبَام بفتـح الشين والباء الموحدة مشتقة من الماء العذب البارد الصافي ، قال كعب بن زهير :

شجت بذي شَبَمٍ من ماء محنية   صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمولُ [٧]

الموقع : تقع شبام في الشمال الشرقي من منطقة الكسر على نجد من الأرض قام على أطلاله سلسلة من المحلات القديمة ، وتحيط بشبام غابة كثيفـــة من النخيل والأرض الزراعية الخصبة ، ومحلة شبام ترجع من غير شك الى عهد موغل في القدم ، ويظهر إسم المدينة في كثير من نقوش بلاد العرب الجنوبية القديمة ، وهي النقوش التي جاء بها Bent من حضرموت كمـــا تظهر في نقش يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي [٨] . وقد أحضر من حضرموت خاتماً كبيراً كاملاً عليه نقش يشير إلى شبام والخاتم بإطار ذهبي [٩] .

والغريب ان الكتّاب الكلاسيكيين لم يشيروا إلى إسم هذه المدينـــة الخالدة إنّما الى Sabbatha , Sabobtha , Sabotai ، فهي مدينة شبوة لا شبام ، وقد ظن فون ملتزن وآخرون غيره انها مدينة شبام [١٠] .

وقد احتفظت هذه المدينة بشهرتها بين عرب الجاهلية وذكرت في الشعر الجاهلي ، ونكتفي بقول الأعشى الكبير من قصيدة له يمدح بها الملك قيس بن معدي كرب الكندي:

قد نالَ أهلُ شبامَ فضلَ سُؤْدُدِهِ   إلى المدائنِ خاضَ الموتَ وادّرعا [١١]

وقد كتب عنها معظم البلدانيين وفي مقدمتهم الهمداني قال : وأمّا شبام فهي مدينة الجميع الكبيرة سكنها حضرموت وفيها ثلاثون مسجداً ، ونصفها خراب ، خربتها كندة وهي أول بلد حمير وسكن شبام بنو فهد [١٢] كما كتب عنها ابن المجاور إلا أن ملاحظته تنقصها الدقة فضلاً عن تحامله على أهل شبام [١٣] وقد زار شبام عدد من الرحالة الفرنجة أولهم ليوهرش

Leo Hirsch وذلك عام ١٨٩٣ م، ولم يكن إلا باحثاً عن الأمور الطبيعية كما قدم اليها في نفس العام Bent وزوجه ولكنهما عادا أدراجهما . ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن أدولف جروهمان قال : ويعرّف البكري هذه المدينة باسم الجريمة أي الكبيرة (١٥) .

وقد استغربت هذا التعريف ورجعت إلى ما كتبه البكري في كتابه القيم « معجم ما استعجم » (١٦) فلم أجد إشارة إلى ذلك . وقد عرفت شبام بعماراتها العالية أو كما يحلو لبعض الرحالة الفرنجة أن ينعتوها بناطحات السحاب . ويقول جـــان جاك بيربي ما خلاصته : وفي حضرموت تكمن في مدنها ناطحات السحاب التي تعود في تاريخها إلى أيام الازدهار القديم ، ثم بعد أن عدد بعض المدائن الحضرمية قال: وشبام أدهشت وأذهلت المسافرين حتى الذين اعلموا مسبقاً بها ، وقد صادفوا هذه الهندسة الدقيقة في قلب الصحراء الميتة (١٧) .

كما وصف فون فريده V. Wrede شبام وتريم بـ (شيكاغو الصحراء) لما فيهما من المنازل التي تشبه ناطحات السحاب(١٨) .

مكة المكرمة　　　　　　هادون العطاس

المراجـــع

(١) ابو الفداء عماد الدين اسماعيل : « تقويم البلدان » ص ٩٦ – ٩٧ . ط باريس .
(٢) المؤيد : السيد علي كتب تعليقاً على بعض ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية : ج ١٣ – ١٥٠ . الهامش .
(٣) « دائرة المعارف الاسلامية » ج ١٣ ص١٥٤ .
(٤) بامخرمة الطيب بن عبدالله بامخرمة : النسبة الى المواضع والبلدان . مخطوط صفحة ٢٢٢
(٥) الهمداني « صفة جزيرة العرب » ص ٨٦ ـ ٨٧ تحقيق ابن بليهد ـ ط القاهرة .
(٦) الحموي ياقوت « المشترك وضعا والمفترق صقعا » ص ٣٦٧ .
(٧) العطاس علي بن حسن : « القرطاس في ترجمة السيد عمر عبد الرحمن العطـــاس » ج ٢ ص ٣٨٨ مخطوط .
(٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٣ – ١٥١ بتصرف.
(٩) التاريخ العربي القديم ص ١٧١ : دبليو نيلسن وآخرون ترجمة فؤاد حسنين .
(١٠) جواد علي الدكتور : تاريخ العرب قبل الاسلام : ج ٢ ـ ٨٤ بتصرف .　←

حول (بيشة)

جاءنا من الاستاذ حسن عبد الهادي الأسدي المدرس في مدرسة النّصباء - بلاد زهران - ما يلي :

طالعت الجزء الثالث / السنة الخامسة / من مجلتكم « العرب » وسررتُ كثيراً لما احتواه هذا الجزء من مقالات قيمة ودراسات مفيدة ، وكان بحثكم « من خصائص بعض المدن والقرى » ص ٢٠٩ وما بعدها ، له الاهتمام الخاص عندي ، ذلك لأنني لاحظت من خلال المطالعة الدراسة الجـدية في البحث وتدوين كل ما يمت بصلة إلى المناطق التي تواصلون أبحاثكم حولها ، وهذا عمل شاق وصعب يدل على سعة في الاطـلاع واهتمام صادق في التدوين ، وهو أسلوب ناجح في البحث العلمي الجيد - كما أعتقد - فقـد ذكرتم من نصوص قديمة حول « البُسيطة » ، كما وردت في المصادر القديمة ، كما يلاحظ ذلك في الصفحة ٢٠٩ من العدد المذكور وكذلك في الصفحة ٢١٠ .

أما عن (بيشة) فكان بحثكم - كما يبدو - مقتضباً ، فـلم تشيروا إلى المصادر القديمة التي ورد فيها اسم (بيشة) وخاصة عند بعض الشعراء . جاء ذكرها في كلمة للشاعر كعب بن مالك قالها في يوم أُحد كما ذكر ذلك ابن سلام في « طبقاته » :

---

(١١) الأعشى ميمون بن قيس : « ديوان الأعشى ص ١١ تحقيق محمد حسين. ط القاهرة .

(١٢) الهمداني : « صفة جزيرة العرب » ص ٨٧ .

(١٣) ابن المجاور يوسف بن يعقوب « تاريخ المتبصر » ص ٢٥١ - ٢٥٢-ط ليدن هولندا

(١٤) ارسلان الامير شكيب ملحق الجزء الاول من « تاريخ ابن خلدون » ص -٨٩ط القاهرة

(١٥) دائرة المعارف الاسلامية ج١٣ - ٢٥٢ .

(١٦) البكري ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي «معجم ما استعجم» ج ٣ ص٨٧٨ تحقيق الأستاذ السقا واصحابه .

(١٧) جان جاك بيريي « جزيرة العرب » ترجمة نجدة هاجر وسعد الفز ص ٣٧-ط بيروت.

(١٨) جاكلين بيرين « اكتشاف جزيرة العرب » ترجمة قدري قلعجي ص ٣٩٥-ط بيروت.

فجئْنا إلى موجٍ من البحرِ وَسْطه   أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومقنّعُ (١)
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نَصيَّـــةٌ   ثلاثُ مئين إن كثُرنا وأربــعُ (٢)
فراحوا سراعاً مُوجِفين كأنهم   جَهَامٌ هَرَاقتْ ماءَهُ الريحُ مقلِـعُ (٣)
ورُحنا وأُخرَانا بِطاءٌ كــأننـا   أسودٌ على لحمٍ ببِيشةَ ظُلّعُ (٤)

وفي قصيدة أخرى ذكر أيضاً إحدى القبائل الساكنة بمنطقة تعرف اليوم باسمها (دَوْس) ، وهي قريبة من المندق ببلاد زهران ، وكـــذلك ذكر كعب اسم (وج) ، وهو إسم آخر للطائف .

قال كعب يهدد ثقيفاً بعد انتصار الرسول ﷺ على يهود خيبر :

قَضَيْنا من تِهامةَ كلَّ وِتْرٍ   وخَيْبَرَ ثم أجمعْنا السيوفا (٥)
نخيّرها ولو نطقت لقـــالت   قَواطِعُهُنّ : دوساً أو ثقيفـــا
فلست لحاصنٍ إن لم تروها   بساحة داركم منا ألوفـــا (٦)
فننـــتزع العروش ببطنِ وَجٍّ   ونترك داركم منا خلوفـــا (٧)

وقد ورد إسم (وجٍّ) في أبيات لأمية بن حرثان بن الأسكر حين هاجر ابنه كلاب إلى حرب الفرس ، وجاء إلى عمر يطلب ردّ ابنه اليه ، لأنه قد أسنّ وضعف (٨) :

لمن شيخانِ قد نشدَا كلابا   كتابَ الله إن حَفِظَ الكتابا ؟
إذا هتفت حمامـــةُ بَطْنِ وَجٍّ   على بَيْضاتِهــــا ذكرَا كلابا
تركتَ أباكَ مُرْعشةً يَـــداهُ   وأمك مــــا تُسيـغ لها شرابا

(١) احابيش قريش : حلف منهم تحالفوا عند جبل يسمى حبشيًا .
(٢) النصية : الخيار والاشراف .
(٣) موجفين : مسرعين . الجهام : السحاب الذي افرغ ماءه .
(٤) بيشة : مسبعة في واد كثير الشجر . « وهذا يطابق وصفكم لها » .
(٥) الوتر : الثائر .
(٦) الحاصن : المرأة العفيفة .
(٧) يقصد بالعروش : قضبان الكروم التي تشتهر بها مناطق الطائف ـ « وج » الطائف ونواحيها ، والحي الخلوف : الذي فارقه الرجال ، ومعنى البيت واضح .
(٨) الاغاني « طبعة دار الكتب » ١٣/١٩٠ .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

٥٦

العرب

مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الخيرة البعيد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان سعوديان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الثامن - السنة الخامسة - صفر ١٣٩١ - نيسان (ابريل) ١٩٧١

مجلة كليـة الآداب : —

من روافد الثقافة في بلادنا

طالما قرأنا في صحفنا مقالات طويلة ، يوجه كاتبوها فيها اللوم إلى شبابنا من أكمل دراسته وتحصيله في الجامعات المختلفة في الشرق والغرب ، ويَصِمُ أولئك الكتاب هذا الشباب المثقف الواعي بوصمة الركود وعدم المشاركة في مجال نشر الثقافة ، في محيط خارج عن محيط العمل الرسمي من تدريس أو وظيفة ، ولا يقف ذلك النقد عند حد العتب بل قد يتجاوزه إلى وصف هذه النخبة المثقفة الواعية بالضحالة وقلة المعرفة ، ولا شك أن أولئك الناقدين لا يجهلون الظروف التي تكتنف الشاب إبان تخرجه ومزاولته لِعمله الجديد ، ولكن أكثرهم يتسرعون ويرومون أمراً يجب أن يكون قائماً على أساس من التثبت ، وعلى قاعدة ركينة من قواعد الاطمئنان ، إذ كل عمل مهما كان يجب أن ينبعث عن ثقة واطمئنان ، وخاصة ما له صلة بالفكر والثقافة . ومع أن الشباب الجامعيّ أسهم بقسط وافر في مجال الثقافة سواء فيما نشر من مؤلفات أو زود به الصحافة من أبحاث ومقالات ، إلا أن ذلك لم يصل إلى درجة من القوة تميزه ،أو تبرزه بصفة تجعله ذا أثر في حياتنا الفكرية،ولعل هذا من الأسباب التي دفعت بعض كتابنا إلى الاستعجال في اللوم .

ولقد كان لأولى جامعاتنا (جامعة الرياض) جهد مشكور في المجال الثقافي الذي سبقت الإشارة إليه ، فقـــد صدر من مجلتها أجزاء ، وصدر لوكيلها الأستاذ الجليل الدكتور عبد العزيز الخويطر دراستان عن مؤرخين معروفين ،

وصدر عن (جمعية التاريخ والآثار) فيها مجموعة تحوي مقالات طيبة بالإضافة إلى المنشورات المتعلقة بالجامعة نفسها ، وها هي الآن تقدم لنا باكورة من بواكير ثمارها ، التي نأمل ان تكون من أطيب الثمار .

لقد صدر المجلد الأول من « مجلة كلية الآداب » ومع أن كل عمل في أوله يعتوره الضعف والنقصان ، إلا أن هذه الباكورة المباركة كانت على خير ما يتوقع كل مثقف واع يتطلع إلى هذه القلعة القوية من قلاع الثقافـــة تطلع الآمل المستبشر .

إن هذه المجلة الجديدة القوية ستكون ولا شك منبعاً ثرّاً من منابع الثقافة في بلادنا يرده كل ظامىء ، ويرتوي منه كل عطشان صدفته ظروفه عن ورود المنهل الجامعي داخل صفوف الكليات .

وإن مما يبهج النفس حقاً أن تصدّر هذه المجلة بهذه الكلمة التي تدل دلالة واضحة على أن المشرفين عليها يدركون كل الادراك ما لبلادنا من الصلة القوية بتراث الامة الإسلامية العربية ، صلة هي بدون شك الركيزة العميقة الجذور في التراث الإسلامي العربي ، بـــل هي منبع ذلك التراث، كما أدرك أولئك القائمون على شؤون هذه المجلة أن الحياة لا تقوم إلا على أساس التطور والسير في هذا العالم وفق ما شرعه الله له من نواميس الحضارة وعوامل التقدم ، نحو حياة تتصف بالقوة وتتجه نحو بلوغ الكمال. لقد جاء في فاتحة هذه المجلة أن : (كلية الآداب في بلادنا هي الموئل الأول للاهتمام بمثل هذه الدراسات وتنميتها تنمية علمية ، وهي تستمد مقوماتها من التراث الاسلامي والعربي والانساني ، كما تحرص على اكتشاف البيئة المحلية وتوثيق صلاتها بها ، ثم تقوية صلاتها بالعالم الخارجي ، ومسايرة الركب الحضاري في خطواته نحو الرقي والتقدم) .

ثم جاءت أبحاث الجزء نفسه متفقة - بقدر الامكان - مع هذا الرأي السديد الصائب ، وللحديث عن هذه الأبحاث مقام آخر في فرصة أخرى - إن شاء الله - وانما المقام الآن مقام تعبير عن الابتهاج بهذا الرافد الجديد من روافد الثقافة ، وعن تحية هـــذه النخبة الطيبة من علمائنا وأدبائنا من العاملين في

للغزو الثقافي تاريخ قديم

تمثلت الأخطار والتحديات التي تواجه الإسلام في كل عصر في خطرين كبيرين :

(١) الغزو الخارجي الذي واجه عالم الإسلام منذ اليوم الأول .

(٢) الغزو الثقافي الذي كان مقدمة للغزو الخارجي وتابعاً له ، من أجل هدم الحصون الفكرية والقيم الأساسية وزلزلة العقائد لتمكين خصوم الإسلام من السيطرة على أرضه ومقدراته ومقوماته جميعاً. ولقد حاولت منذ واجهت معضلة الغزو الثقافي المعاصرة أن أردها إلى أصولها الأولى فوجدتها قديمة قدم الاسلام نفسه ، وأن القوى الأجنبية الخارجة على الإسلام والطامحة إلى القضاء عليه وتدميره من الداخل قد عملت منذ وقت بعيد من أجل هذا الهدف .

وقد رده بعض الباحثين أول أمره إلى عبد الله بن سبأ ، ثم عبد الله ابن المقفع ، وإلى مدرسة الزنادقة المشهورة التي برز منها أبو نواس وبشار بن

جامعتنا الفتية وعن الاستزادة منهم ومن اخوتهم من المشرفين على توجيه التعليم العالي في جامعاتنا وفي الكليات المختلفة في بلادنا ، وليس من طلب المحال ولا من الاستعجال التطلع إلى أن تسير كل كلية من كليات الجامعات في بلادنا على هذا النهج الحميد الذي بدأت كلية الآداب في جامعة الرياض السير فيه ، لكي يصبح جهد هذه الصفوة الممتازة من علمائنا الذين يتولون توجيه التعليم العالي غير منحصر داخل أروقة الجامعات وفي فصول طلابها ، بل يكون ميسراً سهل التناول لكل من أراد ورود مناهل العلم من منابعه العذبة الصافية ، ولكي ينال من حرم الانضمام إلى هذه الجامعات داخل صفوف طلابها حظه من العلم ، والله الموفق .

حمد الجاسر

برد، ثم تشكلت هذه الدعوة في حركات ضخمة كالراوندية والباطنية والقرامطة وهي قوى فكرية ساندتها قوى سياسية ، وقد حددت أهدافها في كثير من المناهج وأهمها « رسائل أخوان الصفا » .

وقد جمعت هذه الحركة : دعاة الوثنية من اليهود والنصارى ، والمجوسية القديمة والفلسفة الاغريقية وفلسفات الوثن والهنود القديمة والمستمدة أساساً من الفلسفة الإغريقية ، وقد شمل هذه المخطط كله دعوة حارة إلى الشعوبية وخصومة شديدة للاسلام والفكر الإسلامي والأمة العربية وجعلت من أهم أهدافها السرية الخفية : إضافة الإسرائيليات إلى الأصول الاسلامية لإفسادها وتدميرها .

وقد برزت قوى الزنادقة والملاحدة والشعوبية في مجال الأدب خاصة والفكر عامة ، وكان مجال التأليف من أبرز ميادين عملهم ، فلو نظرنا اليوم من خلال حركة التغريب والغزو الثقافي، التي يباشرها الاستعمار الغربي في العصر الحديث بالاشتراك مع الصهيونية العالمية، لوجدنا نفس الصورة وهي تتكرر من جديد مع اختلاف في أساليب العمل التي اتسمت وأتاحت لها وسائل الطباعة والنشر والصحافة فرصاً أوسع للاندفاع والحركة، غير أن «المادة» التي استنبطها الشعوبيون القدامى من شبهات وشكوك واتهامات ، ما تزال هي المادة التي يستعملها الغزو الثقافي والشعوبية الجديدة مع إخراج عصري بارع يتلمس الطباعة الجيدة والإخراج الفني ، الذي يزيد من تأثير هذه الدعوات في إغراء الناشئة والسذج والأغرار .

ومن هنا فإن حركة الغزو الثقافي حركة قديمة قدم الاسلام نفسه ، وانها تعمل على إخرج الإسلام من قيمه ومقوماته، وذلك بإغراقه في الأممية والشعوبية العالمية ، وافساد مضامينه بإذابتها في الوثنيات القديمة والفلسفات الباطنية والمجوسية التي تختلف عن جوهره وأصوله والتي تتعارض مع ذاتية المسلمين والعرب ومزاجهم النفسي والعقلي .

ومن الحق أن يقال أن هذه الحركة قد فشلت في القديم وانهارت انهياراً

كاملا واستطاع الفكر الإسلامي بمقوماته الأصلية أن يزيحها من طريقه ، وأن يقيم منهجه الأصيل مستمداً من القرآن وأصول الفقه والسنة الصحيحة[1].

(٢)

واجه الاسلام في مطالعه أسوأ محاولة لاخراجه من قيمه ومقوماته، وذلك بالتزييف واثارة الشبهات أو تمزيق وحدة الفكر الاسلامي ، وجرى هذا الغزو في ميادين العقائد والفقه والاخلاق واللغة والأدب جميعاً .

وقد جرى ذلك عن طريق الحركات الهدامة ، والدعوات الهدامة ، التي انتسبت إلى الإسلام محاولة القضاء على دولته وكيانه .

وقد حملت هذه الدعوات مفاهيم المجوسية والزاردشتية والبوذية والمانوية والمزدكية وغيرها من الفلسفات الشرقية ، كما حملت مفاهيم الفلسفة اليونانيـة الاغريقية والفرعونية القديمة ، وهي فلسفات شرقية وغربيـة تلتقي في كثير من أصولها وأساطيرها وتتشابه ، فهي في مجموعها تمثل « إطاراً » فلسفيـاً وثنياً يضم عشرات من النظريات التي تتعارض في الأغلب مع التوحيد والوحي والنبوة الإسلامية ومختلف القيم الأخلاقية والاجتماعية وهي تقوم على تعـدد الآلهة والقول بالإباحة ومعارضة الأصول التي جاءت بهـا الأديان في مجال العلاقات بين الأفراد والمجتمع ، والرجل والمرأة ، والدنيا والآخرة وقـد استهدفت حركة الغزو الفكري في صدر الإسلام وقد أطلق عليها اسم « أزمة الشعوبية » إذاعة موجة الإلحاد التي تهدف إلى إنكار الأديان كلهـا ومن بينها الإسلام ، وقد أقامت عملها على أساس إشاعة روح التحلل الاجتماعي ومناهجه القيمة الأخلاقية والسخرية بأصول الأديان والأخلاق والنظم الاجتماعية ، وإثارة الجدل والشك حول المحرمات الخالصة كالخمر والزنا والربا . وقد حمل لواء هذه الدعوة دعاة كثيرون في مختلف هذه الميادين :

أبو نواس : دعا إلى الخمر وبالغ في الترويج لها وحث الناس على شربهـا متستراً تحت ستار التظاهر بالظرف .

---

(١) راجع معركة الصراع بين الفكر الاسلامي والشعوبية بالتفصيل في كتابنـا : « القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة » .

وبشار بن برد : حمل لواء نشر الفساد الخلقي وإشاعة الفسوق بالنساء .

وحماد عجرد : هاجم أهل التقوى والورع ولا سيما النساك وأهل الزهد وحمل عليهم وقذفهم بأقذع ألوان السباب وافترى عليهم بما ليس فيهم هادفاً إلى نشر الفساد بين جوانب المجتمع .

وابن الراوندي ومحمد بن زكريا الرازي : دعيا إلى إثارة الشكوك حول مفهوم الاسلام وإنكار الوحي الذي يدل على الرسول، والقول بأن العقل الانساني هو حلقة الاتصال بين المرء وربه والدعوة إلى هدم كافة الانبياء ورسالتهم في نفس الوقت .

وكان (اخوان الصفا) من أبرع هؤلاء الزنادقة الشعوبيين في تصنيف الفلسفات القديمة في محاولة لجعلها أشبه بأيديولوجية تحل محل الشريعة الاسلامية وأسرفوا في الاعتماد على الافكار اليونانية ، وأبرز مفاهيمهم إنكار البعث بالأجساد ، وتفسير الخير والنار خلافاً لما تواتر عن المسلمين ويفسرون الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً فلسفياً .

وقد وضعت حركة الغزو الثقافي الشعوبية والباطنية عشرات الكتب المليئة بالأباطيل والانحرافات وقدمتها في ثوب براق ، وقد تناولت هذه الكتب دس الأحاديث على الرسول واستغلال الشخصيات الاسلامية الأولى من غير العرب استغلالاً سيئاً ، كما جمعت تحايلات الفقهاء في أمور المعاملات الثابتة تشجيعاً على الخروج من الأصول الاسلامية ، كما عمدوا إلى تزييف الحقائق التاريخية ووضع الكتب التي تتخصص في عرض مساوىء العرب والتضليل في البحث عن أنساب العرب وتاريخهم والدس عليهم للتشهير بهم . وتزييف التاريخ حتى يجهل المسلمون ماضيهم ، وإثارة الجدل حول المحرمات المعروفة المقررة مستهدفين التفرقة بين الكبيرة والصغيرة واتخاذ حركة الترجمة وسيلة لإحياء المجوسية ونشر كتب المانوية والزنادقة ودعاياتهم وإعداد طائفة من الحاقدين وتزويدهم بالمعلومات العامة في شتى المعارف دون أن يتعمقوا فيها حتى تودي بهم هذه التربية الناقصة الى الغزو مع التبريز في الجدل والمراوغة والانتقال من موضوع إلى موضوع مبالغة في خداع الناس وإيهامهم بالعلم الغزير .

(٣)

وقد واجه الفكر الاسلامي هذه المعركة الضخمة في قوة وأصالة وتصدى لشبهاتها ، فدحضها في قوة وحسم، وبرزت أسماء لامعة وكتابات باهرة في مجال الرد على الزنادقة وفي مواجهة التحلل والانحراف ومعارضة التقليد والرد على الشعوبية ومهاجمة انحراف مفهوم التوحيد ورفض شبهات الباطنية وفلسفة الإلهيات الوثنية ومقاومة انحراف الصوفية .

وفي مقدمة هذه الأسماء : الحسن البصري ، وابن حزم ، وابن حنبل ، والجاحظ ، والأشعري ، والغزالي ، وابن تيمية .

وقد استطاع الفكر الإسلامي – وفق قانونه الاصيل القائم على الوسطية وبروح التسامح والانفتاح والتقبل لكل ثقافات الامم مع القدرة على بلورتها وإساغتها – أن يواجه كل الثقافات والفلسفات ، وأن يمتص منها ما يتفق مع جوهره وقيمه ، وأن يحوّل ما يمتصه إلى عناصر قوة له !

وقد بدا موقف الاسلام واضحاً من الفلسفة الإلهية الوثنية وعندما برزت الباطنية والشعوبية لتنحرف بالفكر الاسلامي فقد انبعثت صيحات الاشعري والغزالي وابن حزم لترد مفهوم الاسلام الى مجرى أهل السنة والجماعة .

ولقد حاولت الفلسفة اليونانية الإلهية أن تكتسح الفكر الاسلامي وتسيطر عليه وتفرض مناهجها ، وحاول الكندي والفارابي وابن سينا أن يصبغوها صبغة إسلامية ، غير انها لم تستطع أن تثبت ، فإن جوهر الفكر الاسلامي كان قادراً على الارتفاع بمناهجها دون مفاهيمها وقيمها ،وبذلك سقطت الفلسفة الإلهية اليونانية وابتدع الاسلام المنهج العلمي التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الحديثة .

فقد استطاع المفكرون المسلمون وفي مقدمتهم : ابن تيمية من وضع منطق إسلامي مستنداً إلى القرآن في مواجهة منطق ارسطو وداحضاً له ، ووضعت (ميتافيزيقيا) إسلامية مقابلة لميتافيزيقيا اليونان قوامها التوحيد .

ووقف الفكر الاسلامي من التصوف نفس الموقف ، فحرره من دخائل التصوف الهندي ونظريات الاتحاد والحلول ووحدة الوجود والإشراقية الفارسية واليونانية .

ورفض الاسلام موقف الفلسفات والوثنية من حلول الخالق في المخلوق أو استغراق المخلوقية في الخالق ، ورد دعوة وحدة الوجود لأنها لا تتفق مع « لا إله إلا الله » ، بقي التصوف السني ينكر على التصوف الفلسفي اتجاهه ومذاهبه ، ويعتمد أساساً على القرآن والسنة ، كما وقف الفكر الاسلامي من علم الكلام نفس الموقف حين انحرف وشابته عناصر يونانية ، ورده إلى مفهوم الاسلام الصحيح وعارض الغزالي أن يكون علم الكلام علماً مطلقاً وقال انه ضرورة مرحلية وانه شأن الدواء للمريض بينما يمثـــل القرآن شأن الماء للصحيح المعافى .

وتصدى العلماء المسلمون لمختلف الشبهات ودحضوها فواجه الامام الغزالي فضائح الباطنية وكتب الامام ابن الجوزي : « نقد العلم والعلماء » أو «تلبيس إبليس» وكتب القاضي ابن العربي « العواصم من القواصم » وكتب الحسين بن الخياط « الانتصار والرد على ابن الراوندي » . وكتب ابن حزم : « الملل والنحل » و « الرد على ابن النغريلة اليهودي » .

وقد عرضت هذه المؤلفات لشبهات الزنادقة والباطنية والشعوبية ، ودحضتها وكشفت هذه المؤلفات ما دسته الشعوبية في تفسير القرآن وفي التاريخ والادب من أساطير وأقاصيص غير عربية لا إسلامية من تراث اليونان والفرس والهنود واليهود ، واستطاعت حركة تصحيح المفاهيم وتحرير القيم من التماس مفاهيم الاسلام في أصالتها والكشف عن أخطار الشبهات الوثنية والفارسية واليهودية والاغريقية ، وقد جرت هذه الحركة على أسس سليمة :

(١) حررت حركة التصوف من وحدة الوجود والفلسفة الاشراقية .

(٢) حررت التوحيد من التثنية والتثليث .

(٣) حررت العقائد من عبادة الأبطال .

(٤) حررت نظريات الاجماع من عبادة القوة ودعت إلى الإخاء والمساواة وكشفت عن حقيقة جوهرية لا سبيل إلى نقضها وهي أن الاسلام جاء فيصلاً ، قاطعاً بين عصر وعصر ، وفكر وفكر ، وحضارة وحضارة ، وبين الأمم

أقريطش تحت حكم بني شعيب

في عام ٢١٠ هـ في خلافة المـــأمون استولى أبو حفص عمر بن عيسى ابن شعيب مـــع جماعته على الاسكندرية ، فأخرجهم منها عبد الله بن طاهر بأمانٍ ، فاتجهوا إلى جزيرة اقريطش حيث نزلوها واستوطنوها وأقاموا بها ، فأعقبوا وتناسلوا .

وأبو حفص وجماعته من أهل قرطبة بالأندلس كانوا بحارة مغامرين ، جدهم شعيب وابنه عيسى ، وحفيده عمر بن عيسى هو الذي فتح جزيرة اقريطش (وتسمى حالياً كريت) في البحر الأبيض المتوسط . وكان آخر هؤلاء الأمراء يدعى عبد العزيز . انشأوا إمارة في اقريطش كانت عاصمتها تدعى الخندق ، وكانت موالية اسمياً للخلفاء العباسيين ببغداد ، ولم يذكر عنها المؤرخون العرب إلا النزر اليسير . وقد ذكر المؤرخون اليونان ستة أمراء . أمـــا المؤرخون العرب فذكروا منهم شعيباً القرطبي وابنه عيسى وحفيده أبا حفص عمر فاتح اقريطش وبعده أبا عمر شعيبا ، وآخر الأمراء عبد العزيز بن شعيب .

وقد أقاموا مدنية كبيرة طمسها اليونانيون عندما استعادوا اقريطش في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

التي اعتنقته قد تحررت وخرجت من عقائدها القديمة والدينية والفكرية ، وتحررت من توحيد الفراعنة واليهود . كما تحررت من مفاهيم حضارة الفراعنة واليونان الموسومة بالعبودية والنظام العبودي .

وإن العالم الاسلامي قد تجاوز تاريخه القديم كله بالاسلام ، ونسيت مصر وسوريا والمغرب طوابعها الفرعونية والاغريقية والرومانية والمسيحية .

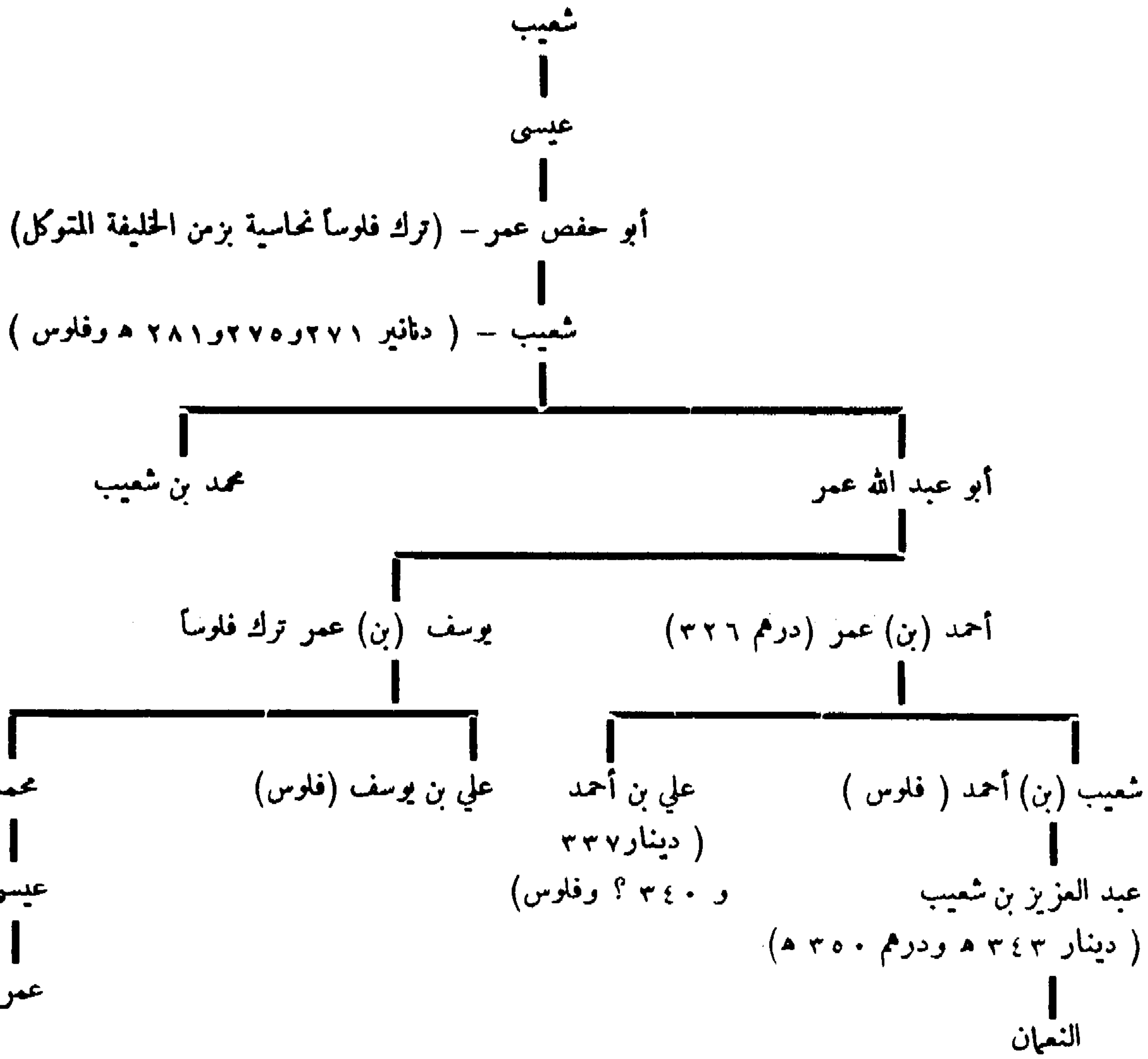
(القاهرة) أنور الجندي

والذي يذكره ابن الأثـــير في حوادث عام ٢١٠ هـ هو اجلاؤهم عن الاسكندرية ونزولهم بجزيرة اقريطش ، كما يذكر في حوادث ٣٤٨ هـ ان الموالي غضب على أحمد بن الخصيب في جمادى الآخرة ، فاستصفى ماله ومال ولده ونفي إلى اقريطش ، أي أنها كانت لا تزال بيد العرب .

ويذكر اليونان انه في عام ٣٥٠هـ (٩٦١ م) استخلص نيسوفورس فوكاس اليوناني اقريطش من بني شعيب .. إلا أن ابن الأثير يذكر في حوادث عام ٣٥١ هـ انها كانت لا تزال بأيدي العرب . فقد ذكر أن جيشاً من الروم سار في البحر إلى جزيرة اقريطش، فأرسل أهلها إلى المعزّ لدين الله العلوي صاحب افريقية يستنجدونه فأرسل إليهم نجدة ، فقاتلوا الروم ، فانتصر المسلمون وأسر من كان بالجزيرة من الروم . ونعتقد أن رواية ابن الأثـــير أصدق من الرواية اليونانية . فهي تدل على أن الروم هاجموا الجزيرة بغرض الاستيلاء عليها فجاءت النجدة إلى بني شعيب من افريقية ، فلم يقو الروم على استخلاص اقريطش منهم . وقد يكون الروم وضعوا قدماً لهم في أطراف الجزيرة ، وأجلوا المسلمين عن الجزيرة تدريجياً بعد ذلك . والمؤسف أن المؤرخين العرب أهملوا ذكر هذا البيت الحاكم ومدنيتهم في اقريطش ، واغفلوا ذكر الكثير عن مدنيات عربية أخرى في جزر البحر الأبيض المتوسط الذي كان بحيرة عربية لوقت طويل ، حتى أن العرب نزلوا في أطراف روما بايطاليا وفي أثينا في اليونان . وكانوا من القوة بحيث استنجد بهم البلغاريون ضد اليونان للاستيلاء على ميناء كورنثوس اليوناني في القرن السابع الميلادي .

وقد ظهرت نقود في السنوات الأخيرة ، لبني شعيب هؤلاء ، في اقريطش واليونان والسويد واسبانيا. وكذلك في مصر وسورية وفلسطين ، مما يدل على اتساع تجارتهم وربما ثقافتهم . وهذه النقود هي أهم أثر وجد لهم حتى الآن فقد وجد في اقريطش نفسها ١٩٧ قطعة نقود ، كما وجدت ٧١ قطعة في أماكن أخرى ، ومن هذه المجموعة ١٠ ذهبية ودرهمان فضيان و٢٥٦ قطعة نحاسية .

وقد أحصاها (الدكتور جورج مايلز)عالم النُّمّيات الإسلامية الأمريكي، في كتيب أصدرته له الجمعية الأميركية للنميات من ٨٦ صفحة بالإضافة إلى مقدمة من ٤ صفحات وإلى ٩ الواح مصورة . ومنها استخلص أسماء أحد عشر أميراً هم:



وإنا لنرجو من المحققين العرب أمثال الأستاذ حمد الجاسر وسواه أن يذكروا لنا ما اطلعوا عليه من تاريخ اقريطش وأمرائها العرب .

سمير شمـــا (جدة)

العرب سنحاول نشر ما نعرف عن هذه الامارة العربية ، وللاستاذ الكاتب الفضل الذي يجب ان يقابل بالشكر للفت الأذهان إلى هذا الجانب المهمل من تاريخنا .

- ١٥ -

يوسف العظمة بطل ميسلون

أنا في دمشق !!

[إن هذا الاسم كان يمثل لي شيئاً خرافياً عندما كنت أقرؤه في سجلات عائلتي ، وأنا بعد في سن الطفولة .

إن « جان منغولفية » الجد البعيد لجدتي من جهة أبي « لويز » كان قد وقع في الأمر خلال الحروب الصليبية الثانية سنة ١١٤٧م ونقل إلى مدينة دمشق . إنه كان من السواد الأعظم ، ولذلك لم يعامله « السراقون » المعاملة الحسنة التي كانوا يختصون بها الفرسان اللامعين ، وأهل دمشق جعلوا منه في ذلك الحين عبدا يشتغل في أحد المصانع التي يصنع فيها الورق من القطن . فاشتغل جان المسكين هناك شغلا شاقا خلال ثلاث سنوات ، وبعد ذلك فر من دمشق وتمكن من الالتحاق بالجيش الصليبي ، بعد اجتياز آلاف المخاطر ، وعندما عاد الى مسقط رأسه بعد غياب دام عشر سنوات ، أسس أولى طواحين الورق التي عرفتها أوربا . أوليست « العدالة العليا » هي التي سمحت لحفيد أسير الحروب الصليبية أن يدخل المدينة المقدسة ظافراً منصوراً »] .

الجنرال الفرنسي « غوابه »
ترجمة كتاب (يوم ميسلون)

أخذ ظل العرب الوارف يتقلص منذ بداية الدولة العباسية وطفقت دائرة مدهم تضيق منذ زاحمهم على السلطة في بغداد الفرس والترك والديلم ، لكنهم ظلوا ظاهرين في الأرض بتلك الخلافة ذات الرسوم والمظاهر والألبسة والشعائر وببعض الامارات التي قامت في المغرب والمشرق فلما أفلت شمس الخلافة في بغداد انتزع الأمر من أيديهم جملة، وتمكن سواهم منهم فساد البلاد المماليك والمغول ثم استتب الأمر للاتراك العثمانيين الذين أقاموا دولتهم على قاعدة الخلافة الاسلامية ، واشتغلوا بجهاد الدول الاوربية . فرضي الناس من

عرب ،ترك وغيرهم بذلك قرونا طوالا ، كان على رأس هذه الدولة الخليفة وهو السلطان التركي ثم شيخ الاسلام وهو ممثل السلطة التشريعية ثم الصدر الاعظم وهو السلطـــة ، الذي يرتبط به حكام الولايات ، وكان الرجال الذين يشغلوا هذا المنصب مجاهدين كراماً أيام قوة الدولة ثم استحالوا لصوصاً ماكرين أيام ضعفها فكانوا سبب دفنها ، أما شيخ الاسلام فقد ظل جامداً متعصباً لا يحض على تطور ، بل لا يرضى به، ولا يدعو إلى تجديد بل يقاومه فكان الرجال الذين شغلوا هذا المنصب سبب التأخر عن ركب الحضــــارة بضيق أفقهم وادعائهم الحرص على مظاهر الدين وما كان الدين عدو العـــلم والتطور . أما الخليفة فكان قائد الجيوش أيام عظمة الدولة ، ثم صار سجين قصره مع قطيع الجواري أيام تقهقرها . وظلت أوربا تتقدم في كل الميادين العلمية والعسكرية والكشفية بعد أن ترجمت علوم العرب واليونان ، واستفادت من حضارة العرب واليونان والكتب التي ألفها علماء العرب ، كانت تدرس في في جامعات أوربا حينما كان أبناء اولئك العرب في نومهم العميق، الذي أعان عليه شيوخ الاسلام بتعصبهم وولاة الصدر الأعظم بجورهم وظلمهم وجمعهـــم الأموال بالمصادرة والبطش ، فخربت المزارع وتحول المزارعون الى لصوص يقطعون الطريق على المارة ، وفسدت التجارة وصار التجار مرابين فاسدين، فقل عدد السكان بالمجاعات والأمراض وصار القلم في كتاتيب يديرها جهلة ، تميزوا عن غيرهم بأنهم يستطيعون كتابة بضعة سطور بلغة سقيمة .

فلما أخذت أوربا تنقل الدولة من أطرافها وتقتطع منها أجزاءها والدولة العثمانية عاجزة عن الذب عن حياضها لضعف جيوشها ونقص معداتها واقفار خزائنها وعدم وجود المصانع في أرضها، صار كثير من الشباب الترك والعرب يولون وجوههم شطر أوربا ينهلون من علومها ويحيلون الطرف في نواحي عظمتها ، وعز عليهم ألا يكون لبلادهم ما لأوربا من حضارة فحاولوا أن ينفضوا عن بلادهم غبار الزمن وان يمزقوا عنها ثوب الجمود والجهل والتأخر واعتقدوا أن الخلافة بنظامها هي سبب الداء وأن في زوالها الدواء ، فأسس شباب الترك المثقفون بثقافة أوربا « جمعية الاتحاد والترقي » كما أسس شباب العرب

جمعيات أخرى، ورحبت دول اوربا بهذا التطور الجديد في بلاد « الرجـــل المريض » فهؤلاء الشباب من ترك وعرب مهما بلغوا من النشاط وعلو الهمة ، ومهما أوتوا من القوة والطول لن يستطيعوا أن يسيروا بهذه السفينة الجانحة في بحر القوة والتقدم خلال عدة سنوات ، لكنهم بهذا الاضطراب الذي يخلقونه والمقاومة التي سيجدونها سيحطمون ما بقي في جسم السفينة من ألواح الخشب وصفائح الحديد .

وقامت الحرب العالمية الاولى وعرض شباب الترك أعضاء (جمعية الاتحاد والترقي)بعد أن تسلموا مقاليد الأمور في بلادهم علىالحلفاء الانجليز والفرنسيين الانضمام اليهم ضد المانيا والنمسا فرفض هؤلاء ونصحوهم بالوقوف على الحياد، لأن دخول الترك الحرب إلى جانبهم سيوقعهمفي ارتباك وحيرة وهم المصممون على التهام تركيا واملاكها . وفطن الترك لما يبيت لهم فأعلنوا انضمامهم إلى المانيا التي رحبت بهم لأنها ستشغل بهم قسما من جيوش الحلفاء عن جيوشها وأراضيها .

حينئذ أخذت بريطانيا في الكيد لتركيا وبتحريض العرب على الثورة ضد تركيا واعدة إياهم بالمعونة على تكوين دولة عربية متحدة ، وقام الشريف حسين أمير مكة المكرمة أيام الأتراك بتلبية رغبة الانجليز واعلان الثورة على الأتراك وهكذا انطلقت الثورة العربية ضد الخلافة الاسلامية في تركيـــا ،

واختارت بريطانيا أحد جواسيسها الذي عاش فترة طويلة قبيل الحرب يتنقل في بلاد العرب لابساً ثوب المنقب عن الآثار وهو لورنس ليكون ممثلها في جيش هذهالثورة يسير به في الطريق الذي يوصل إلى أهداف الحلفـــاء . واستطاع لورنس بأكياس الذهب التي كانت تتدفق عليه من مصر أن يسير ببعض البدو إلى سكة حديد الحجاز التي كان الأتراك قد بنوها بأموال تبرع بها المسلمون من جميـعاقطار الدنيا، وكانتقد وصلت إلى المدينةالمنورة وفي نية بناتها أن يوصلوها لمكة المكرمة فيمزقها بتفجراته ويهدم جسورها ومحطاتها وذلك ليمنع الامدادات عن الحامية التركية في المدينة المنورة .

وتمكن لورنس أيضاً من أن يشغل قسما من الجيش التركي ويحوله عن قناة

السويس التي كانت هدف ذلك الجيش يحاول عبورها إلى مصر لطرد الانجليز منها فساعد بذلك الجنرال « اللنبي » على طرد الجيش التركي من سيناء واحتلال فلسطين حيث دخل الجنرال المنتصر « اللنبي » مدينـــة القدس وعلى يمينه «وايزمان» رئيس الوكالة اليهودية الذي جاء يومئذ ليضع اساس دولة اسرائيل بإقامة الجامعة العبرية فكان ذلك عجباً من العجب أن يقاتلوا العرب ليدخل أول رئيس لدولة اسرائيل أرضهم مع الجيش الانكليزي . ويومئذ قال «اللنبي» عبارته المشهورة : (اليوم انتهت الحروب الصليبية) .

لقد تذكر الجنرال الانكليزي أجداده جو دفري وبلدوين وريموند الذين دخلوا القدس واحتلوها كما احتلها ثم طرد أحفادهم منها ، وعنى بكلمته تلك أن العرب لن يحاربوا بعد اليوم كما حاربوا من قبل لطرد الغزاة منها ، وبذلك انتهت الحروب الصليبية بالنصر الدائم لأن الانجليز سيتبعون أسلوبـــاً جديداً يمتاز عن اسلوب الصليبيين الأوائل وذلك الأسلوب الجديد هو وضع كلاب صيد في القدس تحميها وتحرسها لهؤلاء الصليبيين الجدد .

ومهما يكن غرض ذلك الجنرال فقد كان في قمة السعادة ، اذ وفر لهلورنس نصراً رخيصاً لم يرق في سبيله دماء أبناء جلدته بل ناله بدماء قوم آخرين . ولهذا فإن الجنرال « اللنبي » اختار لورنس ليكون رفيقه في دخول القدس مع اليهودي « وايزمان » ، وهكذا دنس شرف القدس يومئذ هؤلاء الثلاثة ، لورنس قائد العرب ووايزمان قائد اليهود واللنبي قائد الانجليز .

وتقدم الجيش العربي فاحتل درعا ورفع علمه عليها ولكن أحد الجنود الهنود أنزله ومسح به ... وسار قومنا إلى دمشق حيث النصر النهائي ودخل اللنبي دمشق ولكن بدون استعراض بل بسيارة مدنية ، فلقد كان يرهب هو ولورنس غضبة جماهير دمشق المخدرة ، وقد كاد عبدالقادر الجزائري – رحمه الله – أن يفتك بلورنس هذا لولا حماية عودة أبو تايه شيخ بدو الحويطات ونوري الشعلان . كما ذكر لورنس ذلك في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » .

كان عبد القادر الجزائري هذا حفيد عبد القادر الجزائري المجاهد المشهور الذي اتخذ دمشق مسكنا وموطناً بعد خروجه من الجزائر ، وكان مسلماً شديد الحب لدينه وأمته ولذلك فإن لورنس ينعته بالمجنون والمتعصب والخائن .

وارتحل لورنس عن دمشق بعد انتهاء مهمته إلى أوربا ليصبح أسطورة من أساطير تلك القارة الكبرى تؤلف عنه الكتب وتكتب عنه الابحاث ، أما قومنا في دمشق فقد اصبحوا بدون حماية من لورنس أمام الحقيقة المرة التي صفعت وجوههم .

كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا خلال الحرب على اقتسام بلاد العرب التابعة لتركيا بعد النصر، وكان ممثل بريطانية في تلك الاتفاقية « سايكس » وممثل فرنسا « بيكو » فسميت تلك الاتفاقية باتفاقية « سايكس-بيكو » ولقد كانت سرية ولكن أمرها كشف بعد انهزام روسيا القيصرية ومجيء قادة جدد لروسيا اذاعوا جميع الوثائق السرية المحفوظة لدى دولة بلدهم المهزومة وعلم العرب بالأمر وسألوا لورنس « ملكهم غير المتوج » عن هذا الأمر وكان الرجل مستعداً للجواب فقال لهم : إن جدكم في الحرب وإراقة دمائكم بكثرة سيكون الاسلوب الوحيد لكسر هذه الاتفاقية إذ ليس من المعقول أن يضحوا بعد الحرب بحليف السلاح من أجل اتفاق ورقي . هذا ما يقوله لورنس في كتابه . فلما حان موعد تنفيذ الاتفاقية رحل لورنس تاركاً اصدقاءه الاعزاء الذين كثيراً ما سخر منهم في كتابه .

وتألفت الدولة العربية في دمشق بملك ووزارة وجيش في دمشق ، التي كانت جيوش الانجليز معهم فيها وفي نفس الوقت أخذت جيوش فرنسا تنزل على شواطيء لبنان، الذي تعتبره دولة دمشق جزءاً من أراضيها، وسألوا الاصدقاء الانجليز : ما هذا ؟ فقالوا لهم : هذه تدابير عسكرية لا شأن لها في مستقبل البلاد ، لكن الجيوش الفرنسية أنزلت الأعلام العربية عن جميع المدن الساحلية وأخذت الحقيقة تظهر حقيقة تنفيذ الاتفاق الورقي واحتقار جميع تلك الدماء المراقة على رمال الجزيرة العربية .

ثم أخذ الفرنسيون النازلون على الشواطيء يتقدمون إلى الشرق واحتجت الحكومة العربية ، لكن الحلفاء نصحوا رجال الحكومة بالسكوت ، وسكتوا لكن الجماهير لم تسكت فهبت تقوم بمظاهرات واحتجاجات واخيراً سفر الحلفاء عن وجوههم فقرروا في مؤتمر « سان ريمو » وضع سوريا ولبنان

تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب الانكليزي ، وكلمة « انتداب » لفظ مرادف لكلمة استعمار واحتلال واستعباد .

ووجه الجنرال « غورو » قائد قوات فرنسا في لبنان والساحل انذاراً الى تلك الحكومة العربية في دمشق بوجوب قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش العربي ، وقررت الحكومة العربية قبول الإنذار وبـدأت في تسريح الجيش والترحيب بالجيش الغازي ، لكن الجماهير خرجت هادرة منادية بسقوط تلك الحكومة التي عرف رجالها الانجليز ورافقوهم ووضعوا ذهبهم في جيوبهم ما عدا واحداً هو يوسف العظمة الذي لم يشترك في الثورة العربية ولم يزامل لورنس ، وإنما كان يقود جيوش الترك المقاتلة على حدود روسيا وفي أوربـا جيوش الترك التي أبى خليفتها أن يعطي فلسطين لليهود رغم ما عرض عليه من ملايين .

جاء يوسف العظمة الذي تخرج من مدارس تركيا والمانيا الحربيـة ، ونال أعلى درجات التقدير في الدراسة وفي ميادين القتال إلى بـلده دمشق ، واشترك في هذه الحكومة سعيداً باستقلال أمته ، واستدعى زوجته وبنته الوحيدة من الاستانة قبل خروجه للموت باسبوعين ، فلما شاهد الأمور تجري على غير مـا قدر وتوقع لم يقبل أن يحني رأسه ويخلي مكانه ويحافظ على روحه ويسعى وراء منصب يظهر فيه جباراً عتياً على أبناء أمته ، ودمية متحركة في يد محتل أرضه ومذل شعبه .

تقدمت جيوش فرنسا نحو دمشق بقيادة الجنرال « غوابة » التابع للجنرال « غورو » المقيم على جبل لبنان في (عاليه) وقد سرح الجيش العربي تنفيذاً للانذار الفرنسي ، ولم يبق سوى الحرس الذين كاد الحكام العرب في دمشق ان يدفعوهم لقتل السكان المتظاهرين .

تقدمت جيوش فرنسا إلى دمشق وخرج للقائها أهـل دمشق بسيوفهم الخشبية وبنادقهم الصدئة ومدافعهم العتيقة التي لا ذخيرة لها . وفي مقدمـة الجموع يوسف العظمة الذي كان متأكداً من الهزيمة ولكنه أراد أن يكون انهزاماً مشرفاً انهزاماً تراق فيه الدماء دفاعاً عن الاعراض والبلاد والدين .

خرج هذا الرجل بعد أن أوصى رفاقه بابنته فعلموا أنه – ذاهب إلى غير رجعة – ذاهب ليتلقى بصدره رصاص الأعداء وليموت على أبواب دمشق .

وليكن شعر شوقي هو الذي يقص عليك ما كان :

دعوا في الناس مفتونا جبانا ... يقول : الحرب قد كانت وبالا
أيطلب حقهم بالروح قوم ... فتسمع قائلا : ركبوا الضلالا
سأذكر ما حييت جدار قبر ... بظاهر جلق ركب الرمالا
مقيم ما أقامت ميسلون ... يذكر مصرع الأسد الشبالا
تغيب عظمة العظمات فيه ... وأول سيد لقي النبالا
مشى ومشت فيالق من فرنسا ... تجر مطارف الظفر اختيالا
ملأن الجو أسلحة خفافا ... ووجه الأرض اسلحة ثقالا
وأرسلن الرياح عليه ناراً ... فما حفل الجنوب ولا الشمالا
سلوه هل ترجل في هبوب ... من النيران أرجلت الجبالا
أقام مكانه يلقى ويلقى ... فلما زال قرص الشمس زالا
فكفن بالصوارم والعوالى ... وغيب حيث صال وحيث جالا
إذا مرت به الأجيال تترى ... سمعت لها أزيزاً وابتهالا

هكذا استشهد يوسف العظمة، ثم دخل الجيش الفرنسي دمشق باستعراض ضخم بقيادة الجنرال (غوابة) حفيد أسير الحروب الصليبية الذي اخترت قطعة من مذكراته صدرت بها هذا الموضوع لطرافتها في وصف تاريخ تطور خلال ثمانية قرون . جاءت فيها أوربا غازية لبلادنا، ثم نكصت على الأعقاب منهزمة بعد دخولها العراق وسوريا ومصر واتخاذها القدس عاصمة ، عادت منهزمة في ميادين القتال ومعها صناعاتنا وحضارتنا وكثير من أخلاقنا الطيبة « اخلاق أجدادنا » وفي تلك القارة ارتفع منار العلم والبحث والاختراع والاكتشاف ، وساد في أرضنا الجهل والخرافات والترهات ، فلما جاء احفاد الصليبيين لم تستطع دمشق « المقدسة » في أذهانهم لما أذاقتهم من ويلات وما جرعتهم من غصص أن تصمد أمامهم سوى ساعات قتل فيها بطلها يوسف العظمة حفيد نور الدين وصلاح الدين .

مِن شعراء جنوب الجزيرة :

عبد الباقي بن عبد المجيد

(المتوفي سنة ٧٤٣)

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي الشافعي اليمني الكاتب المنشىء والمؤرخ المعروف والشاعر النابه : من شخصيات جنوب الجزيرة العربية القلائل الذين حظوا بعنـــاية تدوين آثارهم وكتب لأدبهم الشهرة والذيوع في الوطن العربي العام .

عدّه النويري في « نهاية الأرب[1] » بين أعيان الكتاب في القرنين السادس والسابع ، واختار له مختارات من النثر الفني الرفيع مع ما اختاره لاولئك الكتاب الافاضل مثل : القاضي الفاضل [2] – ضياء الدين بن الاثـ ـير –

---

(١) ص ١٤٩ ج ١ .

(٢) أبو علي عبد الرحيم بن علي اللخمي ولد سنة ٥٢٩ بمدينة عسقلان ثم تديَّر مصر ثم استوزر للسلطان صلاح الدين الايوبي وكان في الغاية من البلاغة والبيان توفي سنة ٥٩٦ بالقاهرة .

وأصدر الجنرال (غورو) أمراً يومياً لجنوده جاء فيه ما يلي :

إن الجنرال (غورو) يشعر بسعادة عميقة جداً بتوجيه تهانيه إلى الجنرال (غوابه) والى الجيوش الشجاعة التي كسرت مقاومة (العدو) الذي كان يتحدانا منذ ثمانية أشهر .

وهكذا صار أولئك الذين حاربوا مع (غورو) و (لورنس) واسيادهما أعداء ، ولولا حماقة هؤلاء الاعداء لفقد (غورو)[1] يده الثانية .

ليوسف العظمة جنات الخلد فهو فدائي كريم لم يلطخ يديه بدماء المسلمين ولم يلطخ شرف أمته بحمالة الغادرين من انجليز وفرنسيين .

الكويت : محمد علي العبد

---

(١) فقد الجنرال الفرنسي غورو يده على ضفاف الدردنيل وهو يقاتل الجيش التركي .

محيى الدين بن عبد الظاهر[١] ابن فضل الله العمري [٢] وقد ترجم له في عدد من المؤلفات مثل :

١ — ترجم له (علم الدين القاسم بن علي البرازلي) وهو ممن سمع عليه .

٢ — « له ابن حجر في «الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة» ص٣١٥ ج٢

٣ — « له ابن شاكر الكاتب في «فوات الوفيات» ٥١٢ ج ١

٤ — ذكره حاجي خليفة عند ايراد اسم كتابه « بهجة الزمن في اخبار اليمن» وفي الاسم بعض الاختلاف ، « كشف الظنون » ص ٧٤ ج ٢

٥ — ترجم له العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » ص ١٣٦ ج ٦ .

٦ — « له الفاسي في «العقد الثمين» ص ٣٢١ ج ٥ .

٧ — أورد ذكره كل من صاحب «صبح الأعشى»صفحة٥٣٢ ج٣ ابن رافع في كتابه « الدارس في تاريخ المدارس » صفحة ٩٤ ج ١

٨ — ورد عنه بحث في « النجوم الزاهرة » صفحة ٢٥٤ ج ٩

٩ — ذكره الجندي في تاريخه : «السلوك في طبقات العلماء والملوك » صفحة ٤٦٩ نسخة كوبريلي رقم ١١٠٧ .

١٠ — ذكره الخزرجي[٣] في غير موضع من تاريخه «العقود اللؤلؤية» .

١١ — ترجم له ترجمة وافية محقق كتابه « بهجة الزمن » الاستاذ الجليل مصطفى حجازي الذي استفدت كثيراً من مجهوده في هذا البحث المتواضع .

---

(١) محي الدين هو الكاتب الشاعر القاضي عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي ولد سنة ٦٢٠ وبرع في الانشاء والرسائل تولى ديوان الانشاء في مصر في عهد الظاهر بيبرس وولديه توفي سنة ٦٩٢ .

(٢) ابن فضل الله العمري الكاتب المنشي البليغ وصاحب كتاب مسالك الابصار ولد بدمشق سنة ٧٠٠ — ٧٤٩ .

(٣) هو الشيخ العلامة الحافظ علي بن الحسن بن علي بن وهاس موفق الدين الزبيدي اشتغل بالادب وترجم له صاحب كتاب «البدر الطالع» وقال عنه :(اشتغل بالادب ولهج بالتأريخ فمهر فيه وجمع لبلده تاريخاً كبيراً وآخر على الحروف وآخر في الملوك وكان ناظماً ناثراً). وترجم له ابن حجر في « انباء الغمر بانباء العمر » توفي ٨١٢ هـ .

مولده ومنشاه :

١ – تتفق تلك المصادر ان مولده في تاريخ ١٢ رجب سنة ثمانين وستمائة

٢ – تذكر تلك المصادر أنه ولد ونشأ بمكة ويخالفهم (الجندي) و(الفاسي)

٣ – تتفق تلك المصادر في تاريخ وفاته وانهـــا في شهر رمضان سنة ثلاث واربعين وسبعمائة وتختلف في مكان الوفاة، ولنبدأ بتحقيق مكان ولادته ثم نأتي على المصدر الأول للرواية التي تسلسلت في جميع كتب المؤلفين الذين ترجموا له واعتمدوا عليها .

إن المؤرخ بهاء الدين يوسف بن يعقوب الجندي من مدينة الجَنَـد في اليمن التي ليست ببعيدة عن عدن والذي هو شخصياً معاصر لـ (عبد الباقي بن عبد المجيد) نفسه ذكر في ص ٤٦٩ ان مولده في ١٢ رجب سنة ثمانين وستمائة بـ (عدن) ، وأشار بعد ذلك – عند عودته الى مكة فاراً من بطش الملك المجاهد – قائلا : (وكان قد أقام بمكة قبل ذلك ثمان سنين مع أبيه) .

ونقل الفاسي عبارتي (الجندي) في صفحة ٣٢٢–٣٢٣ ج٥، وقال : ومولده في ١٢ رجب ٦٨٠ بـ (عدن) على ما ذكره الجندي في تاريخ اليمن ، وهو اقعد بمعرفته – وكأنه يقصد أنه ادرى بمعرفة مكان مولده – .

أما كيف تسلسلت تلك الرواية في جميع تلك المصادر وأين مصدرهـــا الأول؟! فقد اراحنا «الفاسي» مشكوراً–احسن الله مثوبته– قائلا: (وانما ذكرنا ذلك لأن البرزالي ذكر أنه ولد بمكة وقد تبعه في ذلك غير واحد).

ويظهر ان تاريخ الجندي لم يكتب له الذيوع في الوطن العربي – آنذاك – ان لم نقل والى هذا التاريخ . وعلى كل – فابن عبدالمجيد شخصية عربية لامعة أين ما ولد من وطن العروبة فهو وطنه ، وقـــد كان له شرف المهاجرة الى مكة المكرمة وتلقي العلم في ربوعها خلال الثمان السنين التي اقام بها مع ابيه .

ونلاحظ ان الاختلاف قد تعدى ذلك الى مكان وفاته .

١ – ذكر ابن رافع المتوفي سنة ٧٧٤ في المصدر السابق ذكره ان وفاته في القاهرة .

٢ – ونقل الصفدي عنه وزاد عليه : (وقرأت مثله بخط ابي الحسن بن أيبك بأنه حضر دفنه والصلاة عليه) .

٣ – ويفهم مما جاء في «الدرر الكامنة» قوله (انه رجع الى الشام في سنة احدى واربعين وسبعمائة حتى مات) أنه توفي بالشام .

٤ – يذكر المقريزي أن وفاته كانت بالقدس .

٥ – اما الفاسي فيقول : (انه توفي بالقاهرة ودفن بمقبرة الصوفية، وقيل أنه توفي بالقدس) .

وما أحسن قول شوقي – رحمه الله تعالى – :

ان تسل أين قبور العظما ؟ فعلى الأفواه أو في الأنفس

جاء في ترجمة محقق تاريخ عبد الباقي الاستاذ الفاضل مصطفى حجازي تحت عنوان (حياته) .

(ولد المؤلف في شهر رجب ٦٨٠ هـ بمكة المكرمة وكانت بها نشأته ، وتذكر بعض المصادر انه سمع فيها من العز الفاروثي وقد توفي الفاروثي بواسط في سنة اربع وتسعين وستمائة وكان بمكة سنة احدى وتسعين وستمائة ، فان صح سماعه منه فان اشتغاله بالحديث يكون قد بدأ في سن مبكرة ، ولا تسعفنا المراجع بغير هذا الخبر ، ثم نلتقي به في سنة اربع وسبعمائة وهو في الثالثة والعشرين حين وصل من ثغر (عدن) الى الديار اليمنية يحدوه الطموح في ان يكون كاتب الانشاء في ديوان الملك المؤيد) .

فمع تقديري لجهود المحقق المفضال واعترافي بفضله فنلاحظ ان سن (عبد الباقي) يكون عند اشتغاله بالحديث احدى عشر سنة ، فاذا اضفنا عليها الثمان السنين التي أقامها معابيه – كما ذكر الجندي – فيكون عمره حينئذ تسع عشر سنة فتفضل اربع سنوات لأنه كما ذكر المحقق الفاضل وكما أورده الخزرجي، قدم من ثغر عدن إلى (تعز) سنة اربع وسبعمائة وهو في الثالثة والعشرين.

أفلا يرى معنا المحقق المفضال انه وان كان قد سبق في التأريخ ان اشتغل بالحديث من هو في سن الحادية عشرة ، إلا انه في مرار القرن السادس قد طغت العامية ، وان من الضروري لطالب علم الحديث من اتقان علوم اللغة ومبادىء

الفقه ومصطلح علم الحديث ، وفي نفس ثغر (عدن) آنذاك شيوخ [1] علم اشتغلوا بالتدريس عرف في التاريخ غير واحد منهم ، أفلا يرى معنا أنه قد يكون (عبد الباقي) قد تلقى مبادىء العلوم في وطنه ورحل مع أبيه إلى مكة في سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر؟ !فاذا أضيفت الثمان السنين التي هي مدة اقامته بمكة - كما ذكر (الجندي) - فلا تبقى تلك الثغرة. وهذا مجرد استنتاج لا غير حتى يظهر البحث على يدنا أو على يد غيرنا ما ينير الحقيقة .

عودة عبدالباقي بن عبدالمجيد الى وطنه (عدن) ثم وصوله الى (تعز)

عاد (عبد الباقي بن عبدالمجيد) إلى عدن من مكة المكرمة ، بعد أن أكمل تحصيله العلمي وبدون شك قد سبقته الشهرة والصيت العلمي ، ومن

(١) كان بمدينة « عدن » مدارس للعلم ولنأت على بعضها قبل عصر ابن عبد المجيد وفي عصره:

١ - ذكر صاحب العقود اللؤلؤية ص ١٤٤ ج١ في حوادث سنة ٦٦١ هـ كان مدرس عدن والمعيد بها القاضي أبو عبدالله محمد بن اسعد القري المذحجي والطلبة يصلون اليه بكرة كل يوم .

٢ - ص ٢٤٤ ج١ مدرسة ابي الحسن بن حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم المتوفى سنة ٦٨٤ ، تجمع اليه بها في مسجد السماع وسمي مسجد السماع لكثرة ما يسمع فيه من الكتب ونجباء تلاميذه « احمد بن علي الحرازي » « احمد القزويني » ، « محمد بن حسين الحضرمي » .

٣ - مدرسة الفقيه الصالح سبا بن عمر الدمني (*) : ترتب - للتدريس - في السوق صاحب المنارة وعنه اخذ احمد بن علي الحرازي كتاب البخاري ومسلم .

٤ - مدرسة الفقيه الامام ابو العباس احمد بن علي الحرازي المتوفى سنة ثماني عشر وسبعماية كان متضلعاً في القراءات عارفاً بالفقه واللغة والحديث وبظاهر الاصول ومن أبرك الناس تدريساً انتفع به خلق كثير من عدن وغيرها ومن نجباء تلاميذه المؤرخ الجندي . ولما صارت اليه رياسة التدريس بـ « عدن » جعل زميله الفقيه « ابو بكر بن محمد الرعيني المعروف بابن المقري، معيداً، وكان ابن المقري محققاً في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وتوفى سنة ٧١٤ هـ أي قبل الحرازي ومن العلماء المعاصرين للحرازي التاجر المعروف بالشهاب صقر الكريني ومن اخذ عنه الفقيه البارع ابو عبدالله محمد بن علي بن جبير فانه قدم عدن من اليمن واخذ عن « الحرازي » السابق ذكره وعن احمد القزويني وعن الكريني .

وهذا قليل من كثير أوردناه كشاهد على ان مدينة كـ « عدن » اشتهرت بالعلم قبل عصر ابن عبد المجيد وفي عصره وانجبت من انجبت من رجال العلم وكانت مدارسها مقصد الطلاب أفلا يكون من الممكن ان ابن عبد المجيد قد تلقى قبل رحيله مع أبيه الى مكة مبادىء العلوم.

(*) المتوفى سنة ٦٩٤ هـ المصدر نفسه ص ٢٨٧ .

(١) بل الكثير من ملوك هذه الدولة ممن تجملوا بالعـلم وازدانوا بالمعرفة فمثلا الملك المظفر الرسولي سنة ٦٤٧ – ٦٩٤ هـ يحدثنا الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية ٢٧٧ ج ٢ انه كان مشتغلا بالعلم وانه اخذ من كل فن نصيب فقرأ على الفقيه علي بن محمد بن اسماعيل الحضرمي الفقه، والحديث على محمد بن ابراهيم الفشلي والمنطق على الفقيه احمد بن عبد الحميد السرددي والنحو واللغة على جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي والشيخ يحيى العمك كما قرأ الحديث ايضاً على الفقيه محب الدين الطبري وقال اخبرني الفقيه جمال الدين الريمي وسمعته غير مرة يقول طالعت امهات الحديث من كتب مولانا الخليفة – الملك المظفر – فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده حتى ان من رآها يقول لم يكن له شغل طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شتى واشتغاله بامور المملكة وقال معلمه الفقيه محمد : كان مولانا الملك المظفر يكتب كل آية من كتاب الله تعالى وتفسيرهـا فيحفظها ويحفظ تفسيرها على ظهر قلبه غيباً ، وكان له في علم الطب يد طولى، ولما فتح مدينة « ظفار » الحبوضي ذكر في كتابه الى الملك بيبرس صاحب مصر انه يحتاج الى طبيب لمدينة ظفار لانها وبيئة . وقال ولا يظن المقام العالي انا نريد الطبيب لانفسنا فانا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا به أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً ، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب وله كتـاب «الجامع» ليس لاحد مثله. وكان المظفر – رحمه الله – متضلعاً من العلوم . ويؤيد ذلك ما رأيته بخطه في جزء من تفسير فخر الدين الرازي ما نصه يقول : طالعت هذا التفسير من أوله الى آخره مطالعة محققة ورأيت فيه نقصاً كثيراً وجاءني من الديار المصرية أربع نسخ من قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز فرأيت فيها النقصان على حاله . فلم اقنع بذلك بل اعتقدت انه من النـاسخ فأرسلت رسولاً قاصداً الى خراسان الى مدينة هرات فجاءني بنسخة المصنف وقد قرئت عليه فرأيت فيها النقصان على حاله وتبييضاً كثيراً وعلق الخزرجي على ذلك بقوله فانظر الى هذه الهمة العالية في تحقيق العلوم والاجتهاد فيها ومطالعة هذا التفسير الجامع ».

وابنه عمر الاشرف الذي خلفه من الملك من سنة ٦٩٤ – ٦٩٦ له من المؤلفات الجامع في الطب وقد مر بك آنفاً وله كتاب طرفة الاصحاب في الانساب وغيره .

اما الملك المؤيد فيقول عنه الخزرجي ص ٤٤١ ج ١ « كان – رحمه الله – مشاركاً في كثير من العلوم قد شارك في كل فن وشارك في كل علم وكان يحفظ مقدمة طاهر باشا وكفاية المتحفظ في اللغة والجمل للزجاج واخذ التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي قراءة محققه وطالع الكتب المبسوطة في كل فن وسمع الحديث النبوي من الشيوخ الموثوق بهم ممن علا سنده واجازه الشيخ الامام ابو العباس احمد بن محمد الطبري شيخ السنة في الحرم في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم وأجازه في باقي الامهات على حكم روايته من الكتب التي سمعها واستجازها وما صنفه في كل فن وما وجد له، واختصر كتاب الجمهرة في التبررة وبين في مختصره ما لم يبينه صاحب الكتاب . وشرح طردية أبي فراس شرحاً شافياً. الى أن يقول : ونقل جانباً من أشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين. وجمع من مصنفات العلم على اختلاف انواعها من علم قراءتها وقرائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها وحقيقتها وآدابها ومعرفة ايام عربها من تاريخها وانسابها وأشعارها شيئاً كثيراً . ←

فضلاً عن علماء بلادها فقد سبق في عهد مؤسسها الاول نور الدين ، ان وفد اليه الشاعر المصري (التاج بن العطـــار) فأكرم وفادته ، كما وفد إليها بعده العلامة القاضي منتخب الدين اسماعيل بن عبـــدالله الحلبي المعروف بالنقاش فاستقبل بالاعزاز والتبجيل والتكريم ، كما وفد إليها في عهد الاشرف الثـاني الامام العلامة (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي) فكتب والي عدن إلى الملك الاشرف بوصوله فأمر باكرامه وصرف أربعة آلاف درهم ليتجهز بها للوصول اليه وعندقدومه على الملك وصله بأربعة آلاف درهم أخرى برسم الضيافة.

ونخال ان عبد الباقي حظي ببعض ذلك ، وانلم تسعفنا المصادر بالتوضيح وكل ما أفادنا به مؤرخ الدولة الرسولية هو هذا الخبر المقتضب من ضمن حوادث سنة أربع وسبعمائة :

وفي هذه السنة وصل عبدالباقي بن عبدالمجيد من ثغر عدن الى الابواب الشريفة السلطانية يريد ان يكون كاتب الانشاء ، فحصلت معارضات أوقعت عدم الاستمرار ، وكان عمره يومئذ ثلاثا وعشرين سنة فلما لم يتفق له ذلـــك توجه نحو الديار المصرية وهو ينشد قول الشاعر :

أيا ماء العذيب وأنت عذب تعرض دونك الماء الوخيم

وتدلنا كلمة الخزرجي أنه يشير إلى شخصية قد سبقتها الشهرة الأدبية التي ترشحه لالتماس أكبر وظيفة بعد الوزارة، كما يفيدنا أنه حصلت معارضات أوقفت عدم الاستمرار ، وتحديده لعمره يدل على إعجاب مبطن بالاستغراب أن يكون من في مثل سنه يطمح إلى مثل تلك الوظيفة ، وهل يفهم من قوله (فحصلت معارضات أوقعت عدم الاستمرار) هل باشر العمل تحت التجربة والاختبار ثم صرف ؟ وقد يكون هذا هو ما يشير اليه (النويري) – ضمناً – في مقدمته لما اختاره من رسائله إذ يقول :

← ويقول عبدالباقي كان ملكا حازماً فاضلا محباً للعلوم مقرباً لاهلها يستميلهم اليه حيث كانوا ورغب فيهم ورغب فيما عندهم ورغبهم فيما عنده ووفد عليه من الديار المصرية وغيرها. وكان محباً لجمع الكتب والتحف جمع من مصنفات العلم على اختلافها وتباينها ما ينيف على ماية الف مجلد ، وكان عنده عشرة نساخ ينسخون الكتب ورفع الى خزانته بعد مقابلتها وتحريرها) انتهى هؤلاء هم ملوك بنو رسول تغمدهم الله برحمته .

(هو الذي أتقن صناعة الأدب في غرة شبابه ، وبرز على من اكتهل في في طلبها ، وشاب في الترقي إلى رتبها ، فما ظنك بأترابه ، وجاري ذوي الفضل في الأقطار اليمنية فطلع مجلي الحلبة إلى أن يقول :

(ففارق الأقطار اليمنية وهي تسأله التأني) إلى أن يقول :(وصرف وجهه عنها ونفض يده منها والتحق بالديار المصرية) .

ان الناس في كل عصر يضيقون ذرعاً بالطموح المبكر والمواهب المتفوقة وفي البلاط الرسولي شيوخ الأدب وفطاحل الشعراء وعلى رأسهم الشاعر كاتب الانشاء بالديوان الرسولي (عبد الله بن جعفر) فكيف يهون عليهم أن يتخطاهم شاب في مثل سن أحد أبنائهم ؟! ويبدو أن الحسد الشخصي من جهة وتعالي ذلك الشاب من جهة أخرى بأدبــه واعتداده بنفسه وقلة حصيلته من اختبارات الحياة كانت مجتمعة عوامل فعالة في إبعاده عن مبتغاه . فعاد إلى وطنه عدن ومنه إلى مصر .

الرحـــلة الأولى إلى مصر :

نقدر أنه وصل مصر في عام ٧٠٥هـ ولا تعطينا المصادر الموجودة معلومات دقيقة وافية عن إقامته الأولى بمصر ، وإنما بقليل من الروية والرجوع إلى الجزء ٨ / ١٤٩ من كتاب « نهاية الارب» نجد في التمهيد الذي قدم به مختاراته لنثر (عبد الباقي بن عبد المجيد) ما يطلعنا على صورة نستشف منها ما نريد الوقوف عليه إذ يقول :

(.. والتحق بالديار المصرية ، وانبتّ في طلب العلوم بأجمل سريرة ، وأحسن سيرة ، فبلغ فيها مناه ، وأدرك مـــا تمناه ، وغدا وثغر فصاحته بالعلوم أشنب ، وبرد بلاغته بالآداب مذهب ، ولما عاينه أعيان هذا الوادي، وشاهدوه يبكر في طلب العلوم ويغادي، تلقوه بالاكرام والترحيب ، وأنزلوه بالمحل الأرفع والفناء الخصيب، وعاملوه بمحض الوداد ، وساواه شبابهم بالأخوة ومشايخهم بالأولاد ، وخلطوه بالنفس والمال ، فأصبح من عدول المصر وأمسى من أعيان العصر)،إلى أن قال: (ثم ارتحل إلى الشام فجعل دمشق مقر وطنه

وموطن سكنه ومحل استفادته وافادته، فعامله أهلهابفوق ما في نفسه، فحمد يومه بها على أمسه ، وغدا لأهل المصرين شاكراً) .

ومن محتوى ومضمون هذه القطعة من النثر الرفيع نفهم أنه أمضى فترة في مصر للاستفادة والاستزادة، وهو بين الترحيب والتكريم وموضع الاعجاب ومحل التقدير ، فاتسعت دائرة معارفه وصقلت مواهبه وازدهرت اتصالاته برجال الأدب وقويت صلته باعيان مصر وعلمائها ، ولا غرو فالعلم رحم بين أهله والأدب وشيجة قربى بين أبنائه ، والعربي أنذاك أينما حل او ارتحل في أقطار العروبة، بل المسلم أينما انتقل أو حل أو ارتحل ، حل في وطنه وسكن بين ذويه وأهله لرابطة الدين الوثقى ووشائج العروبة المثلى .

في دمشق :

لم يشير صاحب «نهاية الارب» برغم عباراته الرنانة عن إقامة ابن‌عبدالجيد في مصر – في هذه المرة – إلى تقرير راتب له أو اسناد أي وظيفة إليه لا حكومية ولا علمية، ويظهر أنه للحكومة الوطيدة في عهد الملك المؤيد في اليمن ، ما يوجب المجاملة السياسية بعدم تقريب ابن عبد المجيد في عاصمة الخلافة الرمزية – الخلافة العباسية في مصر – فارتحل إلى دمشق وهناك من الممكن اسداء المساعدة والعون اليـــه بصفة غير مباشرة من قبل نائب (١) السلطنة ، وفعلاً قرر له راتب شهري قدره ماية درهم من خزينة الدولة برسم التدريس في الجامع الأموي (٢) عدا ما يناله من ريع أوقاف الجامع فتحسنت حالته ، وانتعشت أماله وطابت له الإقامة والاستيطان بدمشق .

العودة الثانية الى اليمن:

عاد إلى اليمن في عام ٧٠٨ ، ولا نعلم على وجه التحقيق هل دعي لحضور حفل افتتاح القصر الملكي الجديد المسمى (المعقلي)(٣) في ضاحية ثعبات

(١) جمال الدين آقوش الأقرم نائب السلطنة المصرية في دمشق س ٦٩٨ – ٧٠٩ .
(٢) لتدريس علم القوافي والعروض والقامات .
(٣) راجع وصف هذا القصر في الجزء الرابع السنة الخامسة – شوال ١٣٩٠ هـ ديسمبر ١٩٧٠ م ص ٣٦٣ – ٣٦٤ من مجلة العرب الغراء .

بـ (تعز) ، أو انه اغتنم فرصة حضور الاحتفال لتجديد الولاء وإسدال الستار على الماضي، الذي أودى أمله البكر قبل أن يتملى من نور حياته العملية في البلاط وكذلك ليزور اسرته ووطنه .

وبطبيعة الحال انه زار أسرته وحضر الاحتفال وكان من أبرز شعراء الحفل التاريخي وأنشد قصيدته الآتية :

دع رامة الوادي ودع سمراتها ... واترك بيوت الشعر في أبياتها
والحظ منازل آل جفنة في العلى ... من أرض (صالتها) إلى (ثعباتها)
تجد القصور الشامخات على السهى ... شرفاً ، تريك العز في شرفاتها
تلك الجنان أما ترى أنهارها ... قد أعربت بالطيب عن ثمراتها
تجلى زواهرها ويشرق زهرها ... فكأنهـــا الأقمار في هالاتها
مثل المجرة في انتظام قصورها ... اين المجرة من نمى زهراتهـا
برزت بها الأغصان شبه عرائس ... نظمت عقود الدر في لباتها
في كل عود من سواجع طيرها ... (عود) يريك اللحن من نغماتها
فخرت بها (ثعبات)أمصار الورى ... بجميل منظرها وحسن صفاتها
وسمت بعينيها وحسن نباتها ... وتسلسل الأنهار في بحراتها
فلذا بها الطاوس فرق ريشه ... فشياته في العين مثل شياتهـا
ما شعب (بوان) و(غوطة) جلق ... يوماً بأزها من ربى غوطاتها
بنيانها من عسجد ، ومياهها ... من فضة تجري على حافاتها
وبها مشيد (المعقلي) فكم به ... من صنعة فخرت بحسن ثباتها
قصر يقصر عن لحاق كماله ... باهي النجوم إذا سمت بسماتها
هذي المنازل لا منازل غيرها ... في حسنها الباهي وفي حسناتها
فلك به الملك (المؤيد) طالع ... كالشمس كاشفة دجى ظلماتها
فلك به الأفلاك جامدة على ... مجرى بما يختار من حركاتها
متعود بذل النوال لقاصد ... والنفس جارية على عاداتهـا
أيامـــه للقاصدين مواسم ... وبواسم عن فضلها وهباتها
ملك له في العلم أوفى غاية ... اربت على الأملاك في غاياتها

بذّ الملوك أبو المظفر في العلى   لما علت همّاته هماتها
حازت مناقبه شتات فضائل   فلذاك أضحى جامعاً لشتاتها
يلقي أعاديه كتائب جيشه   والنصر معقود على رايتها
أيامه موقوفة لهباته   مقصورة أبداً على لذاتها

ونرى الشاعر قد أجهد قريحته في هذه القصيدة،ليبهر سامعيه،ولكي يحوز اعجاب الملك ،ويبرهن أنه فوق مستوى كل شعراء ذلك الحفل ، فقد جاء في قصيدته على لزوم ما لا يلزم(؟) والف التأسيس في جميع أبيات القصيدة،واستعمل الجناس تارة كقوله (بيوت) و (أبيات) في الشطر الأخير ، والاستعارة في قوله (قد أعربت بالطيب) الخ ..

وقد استغل مقدرته البيانية،وموهبته البلاغية إلى أقصى حد،محاولاً استرضاء الملك وكسب رضاه ، إلا أن الوقت كان مبكراً للنجاح المرتقب .

وبما أن الخزرجي لم يحدد اسم الشهر الذي جرى فيه الاحتفال – من عام ٧٠٨ ﻫ – إلا أن قوله (وفي سنة ثمان وسبعمائة اتفق عمارة القصر السلطاني المسمى بـ (المعقلي) ونلاحظ أن كلمة (اتفق) كأنه يقصد بها معنى انتهى أو انتهت ، كما يدل عليه السياق ، ثم بعد إيراده وصف القصر أشار إلى صدور أمر السلطان الملك المؤيد باقامة الاحتفال ومن ذلك نقدر أن الاحتفال أقيم في أول تلك السنة . ويستمر في إيراد الحوادث والأخبار إلى أن يقول في (ص ٣٨٢ ج ١): وفي اليوم السادس عشر من شوال وصل الأمير تاج الدين إلى الأبواب السلطانية ، وان الملك استصحبه في خروجه إلى البحر واردفه خلفه على (الفيل)،إلى أن يقول وفي ركوب الفيل يقول عبد الباقي بن عبد المجيد:

الله أولاك يا (داود) مكرمة   ومعجزاً ، ما أتاها قط سلطان
ركبت فيلاً فظل الفيل في رهج   مستبشراً، وهو بالسلطان فرحان
لك الاله أذل الوحش أجمعه   هل أنت (داود) فيها أم سليمان ؟!

ونستنتج مما تقدم أن (عبد الباقي) سلخ عام ٧٠٨ في اليمن ، وبطبيعة الحال يكون عرج على وطنه (عدن) وزار ذويه ثم عاد إلى (دمشق) .

إن تلك السنين التي قضاها بين القاهرة – عاصمة الاسلام الجديدة –

واتصالاته بافذاذ العلماء وأساطين الأدب، واحتكاكاته برجال الدولة — وبين (دمشق) الفيحاء بجوها العربي الأصيل ومناخها الاسلامي الصميم وعلمائها الأعلام وأدبائها اللامعين ، كل ذلك قد وسع دائرة فكره ، وسما بأدبه وصقل موهبته وأكسبه شهرة ساطعة فعاد إلى اليمن لشهود الاحتفال وهو أنبه ذكراً وأوسع علماً .

العودة الى دمشق :

عاد إلى دمشق ويظهر انه ظل قائماً بعمل التدريس في الجـــامع الأموي واتخذها دار إقامة إلى أن استدعي من قبل الملك المؤيد .

في اليمن :

جاء في «العقود اللؤلؤية» ص ٤١٩ ج ٢ في حوادث سنة سبع عشر وسبعمائة ما نصه : (وصل القاضي أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد من دمشق على طريق مكة بطلب من السلطان الملك المؤيـد فناله من إحسانه ما صغر عنده إحسان من مضى من الأجواد الكرماء وولي كتابة الانشاء في المملكة اليمنية . وكان واحد عصره وفريد دهره فصاحة وسؤدداً ونبلاً ، ومن شعره قوله يمدح السلطان الملك المؤيد وهو يومئذ بقصر الحائط — بزبيد — المعروف بحائط لبيق :

يا ناظم الشعر في نعم ونعمان … وذاكر العهد في (لُبنَى) و(لبنان)
ومعمل الفكر في ليلى وليلتهـا … بالسفح من عقدات الضال والبان
قصّر فبالواد منوادي (زبيد) علا … عالي المنار عظيم القـدر والشان
به التغزل أحلى ما يرى لهجـاً … فدح حـــديث ليلات بعسفان
هذا الخورنق بل هذا السدير أتى … في عصر داود لا في قصر غمدان
قصر بنــاه هزبر الدين مفتخراً … فشاد ذلـك بان أيّما بان
فقف بساحته تنظر بها عجباً … كم راحة هطلت فيها بإحسان
أنسى بإيوانه كسرى فلا خـبر … من بعد ذلك من كسرى بإيوان
سامى النجوم علاءً فهي راجعة … عن السموّ لإيوان ابن (غسان)

تودُّ فيه الثريا لو بدت سرُجاً   مثل الثريا به في بعض أركان
تحفـــه دوح روض كله عجب   كم فيه من فنن زاه بأفنـــان
من أبيض يقق حــــال بأحمره   يميس في حلتي(در)و(مرجان)
تجمعت فيــه ألوانٌ محـيرة   للعقل ، في سرها الزاهي ،باعلان
إذا حللت بــه أبصرت معجزة   (الشام) أصبحفي واد بـ (سيلان)
فالسنبل الغض والورد الطريّ معاً   من أخضر ناصع أو أحمر قان
صنوان حصن به من كل فاكهـة   وكم رأى مجتليـــه غير صنوان
ظل ظليل وماءٌ سلسلٌ غدقٌ   تخاله من صفاء بطن ثعبـان
هذا وكم فيه من ورقاء صادحة   يغنيك عود لها عن ضرب عيدان
كأنهنّ قيـــان والقصور لهـا   في ذلك الدست ،أوراق لأغصان
تهوى الغزالة لو أضحت مقبّلة   منــه مراشف أنهار لنيسان
وكيف يمكنها والدوح منعقد   بحالة الشمس عنه حال ظمآن
فأرضـــه كسماء منه مشرقة   وها هما في بديع الوصف شبهان
كأن بنيان داود وبهجتـــه   صرح القوارير من آراء سليمان
أخفت مـآثره البادي نضارتها   ما شاده تبّعٌ في رأس غمدان
كم شاد من قصره العالي مراقبـه   في الفخر فاجتمعا في الجو فخران
لله موكبــــه الزاهي برونقه   لما استقـــل بفرسان وشجعان
مثل البحور ولكن في أكفهم   قواضب تتلالا مثـــل نيران
من ... ...
وكل أشهب صافي الجسم تنظره   في الحرب نجماً هوى في إثر شيطان
بكـل أحمر زاه في ملابسه   يختال من لونها في نسج عقيان
وكل أدهم مثل الليل قد طلعت   كالصبح غرّته الغرّا بإتقـان
إذا مشوا في صباح عاد من رهج   ليلا كواكبـه أطراف خرصان
على الأكف شواهين لمالكهم   وهمّها صيد نسر فوق كيوان
كالصبح في أخريات الليل هبّتها   والنرجس الغض منها وسط أجفان
مشفوعة بفهود جل منظرهـا   سليطــة لا ترى إلا لسلطان

قد ألبست حدق الغزلان فانبعثت   مثل الجديدين في أفناء غزلان
ما ثار مالك هذا الجمع مقتضباً   إلا انثنى ظافراً في ثوب جذلان

انتهت

لم تسعفنا المصادر لا مفصلا ولا مجملا عن حالته وأعماله وإدارته لديوان الانشاء لأكبر دولة عرفها اليمن في تاريخه الاسلامي، والتي ترامت حدودها من أطراف الحجاز إلى نهاية حدود (ظفار) — عمان . وكل ما نعرفه هو أنه ظل في وظيفته تلك من ١٧ الى نهاية ٧٢١ وهي السنة التي في آخرها توفي الملك المؤيد ، ثم استمر عمله في عهد خلفه الملك المجاهد ، ولم تدم الحال للملك المجاهد ، فقد قام الجند باعتقاله وبايعوا عمه المنصور ، وبعد ثلاثة أشهر تقريباً تمكن انصار المجاهد من تدبير انقلاب في (الحصن) انتهى باعتقال المنصور وإعادة المجاهد إلى العرش ، إلا ان الظاهر بن المنصور الذي اعتصم بمعقل (الدملوءة) هبّ لخلع طاعة المجاهد ومناهضته .وفي عام ٧٢٤ قويت شوكة الظاهر وانضم اليه فئات من الجيش والمماليك فاستولى على مدينة (الجند) وضرب نطاق الحصار على تعز ، واعتصم المجاهد في قصره المسمى الحصن فضرب بالمنجنيق واستمر الحصار الى نهاية عام ٧٢٤ ، كما تم استيلاء (الظاهر) على زبيد وعدن ، وبعد ذلك تمكن المجاهد من فك الحصار ،وفي رجب سنة ٧٢٥ هـ وصلت نجدة من مصر للمجاهد قوامها ألفا فارس ، ومن ابتداء عام ٧٢٧ هـ أخذ الموقف في التحسن لصالح الملك المجاهد فبعث الجيوش لاسترداد البلاد من الظاهر .

في هذه الدوامة من الأحداث انضم ابن عبد المجيد إلى الظاهر فاستوزره ولم تشر المصادر التي تحت أيدينا إلى تحديد التاريخ الذي انضم فيه إلى الظاهر وكل ما نجده هو مثل ما أورده الفاسي في ص ٣٢١ ج ٥ « العقد الثمين » :

(فلما مات الملك المؤيد صودر وجرت عليه خطوب من المجاهد لأنه لايم الظاهر الثائر على المجاهد) . وفي غيره لا يعدو مثل ذلك .

وتكاد تتفق المصادر انه وصل مصر عام٧٣٠، وكما يشير الفاسي وغيره انه أقام بمكة مدة قبل أن يوالي طريقه إلى مصر .

النهاية :

وصل مصر – كما أشرنا ، في عام ٧٣٠ ، فولي بها تدريس المشهد النفيسي وشهادة البيمارستان المنصوري ، ولم نقف على المدة التي قضاهـا – على وجـه التحقيق في مصر ، ثم انتقل الى القدس وتولى بها التصدير ، وأخذ في التنقل بين دمشق وحلب وطرابلس ، ثم تختلف المصادر فمنهـا من يقول : عـاد الى الشام في سنة ٧٤١ وظل بها بقية حياته . ومنها من يقول انه عاد الى القاهرة وأقام بها حتى أدركته الوفاة .

نماذج من أشعاره الغزلية والوجدانية والحكمية:

لعل رسولاً من سعاد يزور — فيشفي ، ولو ان الرسائل زور
يخبرنا عن غادة الحي هل ثوت — وهل ضربت بالرقمتين خدور
وهل سنحت في الروض غزلان عالج — وهـل أثله بالساريات مطير
ديار لسلمى جادها واكف الحيا — إذا ذكرت خلت الفؤاد يطـير
كأنّ غنا الورقاء من فوق دوحها — قيان ، وأوراق الغصون ستور
تمايل فيها الغصن من نشوة الصبا — كأنّ عليهـا للسلاف سدير
متى أطلعت فيها الغمائم أنجماً — تـلوح ولكن بالأكفّ تغـور
إذا اقتطفتها الغانيات رأيتها — بدوراً جنتها في الصباح بدور
وفي الكلة الوردية اللون غادة — أسيرٌ لديها القلب وهي تسير
بعيدة مهوى القرط أمـا أثيثها — فضافٍ وأما خطوهـا فقصير
من العطرات العرف ما زان فرقها — ذرورٌ ولا شاب الثياب بخـور
حمتها كماة من فوارس عـامر — ضراغمة يوم الهيـاج ذكـور
فما الحب إلا حيث تشتجر القنا — وللأسد في أرجـائهنّ زئير

وقوله :

تملي على خلخالهـا شكاية — من ردفها مرفوعة من خصرها
يا حبذا منها أصيل وصلها — لو لم ينغصه هجـير هجرهـا
سارت بها فوارس من وائـل — قد أطلعت كواكباً من سمرها
والليل مثـل غادة زنجيـة — قد زانها عشاقها بـ (درها)

وقوله :

بخلت لواحظ من رأينا مبقلا ... برموزهـا ، ورموزهنّ سلام
فعذرت نرجس مقلتيه فإنـه ... يخشى العـذار لأنه نمّـام

ومن شعره أيضاً :

تجنَّبْ أن تـذم بك الليالي ... وحاذر أن يـذم بك الزمان
ولا تحفـل إذا كمّلت ذاتـاً ... أصبتَ العزّ أم حصل الهوان

أما نثره فهو من الانشاء العالي والبيان الرفيع ، ولا غرو فكاتب من طبقة ابن الظاهر وابن فضل الله العمري ليس بحاجـة الى الاشادة والتنويه ، ونكتفي أن نقدم نماذج من بيانه الرفيع .

قال من رسالة في التهديد والوعيد : (ولا عذر عما ذكرناه إلا تجهيز شرذمة من جحافلنا المنصورة وتعيين أناس من فوارسنا المذكورة ، يقتحمون الأهوال ولا يعبؤون بتغير الأحوال ، يرون الموت مغنماً إن صادفوه وشبا المرهف مكسباً إن صافحوه ، لا يشربون سوى الدماء مدامة ولا يلبسون غير التريك عمامة ، ولا يعرفون طرباً إلا ما أصدره صليل الحسام من غناء ولا ينزلون قفراً إلا ونبت ساعة نزولهم عن صهوات خيلهم قنا) إلى أن يقول (ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال ولا اتسعت فيه دائرة المقال ، رسمنا بها والسيف يود لو سبق القلم حدُّه ، والعلم المنصور يحب لوفات القلم واهتز بتلك الروابي قده ، والكتائب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب ، وأهل العزم والحزم يودون اليك إعمال الركاب) الخ . ويختتم تلك الرسالة بقوله :

(وان ابى حالك إلا ان استمريت على غيك ، واستمرأت مرعى بغيك ، فقد منعناك التصرف في البلاد والنظر في أحـكام العباد ، حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حصونك ، وتعجل حينئذ ساعة منونك ، وتمسي لهوادي قلاعك عقودا ، ولعرائس حصونك نهودا ، وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ، فلا تكن كالصغير تزيده كثرة التحريك

نوماً ، ولا من غرهُ الامهال يوماً فيوماً ، وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موفقا إن شاء الله) .

ويعجبني قول من رسالته الهزلية في وصف وليمة :

ورأيت السماط روضة تخالفت ألوانها ، وامتدت أفنانها ، والموائد فيها بينها أفلاك تدور بصحونها بل بروج ثابتة تشعر بسكونها . الخ ..

ومع بلاغته فله محاولة في بعض رسائله في انتهاج الاشتقاق من الأسماء الجامدة ولو كانت معربة . والمندل وهو عود الطيب المعروف قد ورد في شعر كثير وهو شاعر من شعراء العصر الأموي في قوله :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمجُّ الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزّة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فاستعمل من اسم المندل فعلاً فقال في رسالته الطفيلية (فحيث عبقت روائح الأبازير من أعالي تلك القصور وتمندلت تلك الشوارع بزعفران البرم والقدور) وقوله : (وان ولجت مجتمع ختان وقد نصبت موائد الألوان وزرفنت الأبواب واكفهرت وجوه الحجاب) .

وبما أنه لم يمر بي الوقوف على استعمال فعل من كلمة (المندل) إلا أن ذلك جاء في غيره وقد جاء في الحديث قوله ﷺ للمرأة (استثفري [1]) و (تلجمي) : الحديث .

أوصافه الجسمية :

وصف بأنه ذو بسطة في الجسم جميل الصورة حسن الهيئة جميل العمة .

---

(١) الثفر للدابة بمنزلة الحياء للناقة والفرج للمرأة ، واستثفر الشخص بثوبه :قال ابن فارس : اتزر به ثم رد طرف إزاره فغرزته في حجزته من ورائه ، واستثفرت الحائض وتلجمت مثله .
وقال الشاعر الراجز العجاج : كالحبشي التف أو تسبجا
والسبج معرب : وهو كساء أو قميص .

أوصافه الخلقية ونعوته العلمية :

لا نحب أن نستخلص له صفاة أخلاقية من نتيجة دراستنا وانما ننقل ما قاله مترجموه :

١ - قال ابن شاكر الكاتب فقال: (كانقادراً علىالنظم والنثر إلا أنه كان معجباً بنفسه يعيب على القاضي الفاضل وغيره ويظن أن كلامه خير من كلام القاضي الفاضل) .

٢ - ووصفه ابن حجر في «الدرر الكامنة» فقال: (وكانت له قدرة على النظم والنثر إلا أنه ليس له غوص على المعاني وكان يحط على القاضي الفاضل ويرجح عليه ابن الأثير) .

٣ - ووصفه الخزرجي بقوله : (وكان واحد عصره وفريد دهره فصاحة فضلاً ونبلا) .

ب - أما نعوته العلمية فكثيرة ونكتفي هنا ببعض النماذج منها :

١ - قال عنه علم الدين البرزالي (وله اشتغال بالعلوم من الفقه والأصول وفنون الأدب وكان من أعيان الأدباء وأعيان الفضلاء له النظم والنثر والخطب البليغة) .

٢ - ونعته ابن فضل الله العمري بقوله (تاج الدين أبو المحاسن مكمل فضائل ومجمل أواخر وأوائل) .

٣ - وفي نعت النويري له ولأدبه ما فيه الكفاية .

مؤلفاتـــه :

لابن عبد المجيد مؤلفات قيمة أشار إليها مترجموه وهي :

١ - تاريخ اليمن أو بهجة الزمن في تاريخ اليمن . نشر [قِسْمٌ منه] بعناية الأستاذ مصطفى حجازي .

٢ - تاريخ النحاة المعروف باشارة التعيين في أخبار النحويين .

٣ - لقطة العجلان في وفيات الأعيان .

الربّان أحمد بن ماجد [٧]

– ٦ – [دفـــاع وتقييم]

أهدافهم :

ولكن ما الغاية من الاصرار على أن أحمد بن ماجد هو الذي أرشد فاسكو دي جاما إلى الهند ؟ .

أما المستشرقون فقد أفصح فران عن بعض أهدافهم بصراحة تامة ، أثناء محاولته دفع تهمة السكر عن أحمد بن ماجد ، فزعم أن قصة السكر مختلقة من أساسها ، للتجاوز عن عمل يعتبره مسلمو مكة ، الذين كان قطب الدين يعيش بينهم ، خيانة (عظمى) وأن المعـــلم العربي ، على العكس من ذلك ، وافق على أن يتولى قيادة سفينة القيادة في الأسطول البرتغالي ، لقاء وعد بمكافأة سخية . (١) أي أن ابن ماجد أقدم على اجتراح تلك الكبيرة التي يعدها مسلمو مكة وجميع العرب خيانـــة عظمى ، عامداً متعمدا ، وهو في غاية الوعي والادراك ، أو مع العمد وسبق الاصرار ، كما يقول رجال القانون .

---

٤ – مختصر الصحاح .
٥ – مطرب السمع في شرح حديث أم زرع .
٦ – شرح الفاظ الشفاء .
٧ – رسائل بليغة من الأدب العالي الرفيع متفرقة في نهاية الارب وصبح الأعشى وغيرهما .

تغمد الله بفيوض رحمته وهواطل رضوانه عبد الباقي بن عبد الجيد الكاتب النحرير والشاعر النابه والمؤرخ المعروف، الذي أسهم بالنصيب الوافر في ثقافة عصره وآداب أمته العربية ..

جازان   محمد بن أحمد العقيلي

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة الانجليزية ط . الأولى ، مادة شهاب الدين أحمد بن ماجـــد .

إن سنة ١٩٢٢ ، التي توصل فيها فران إلى « اكتشافه العلمي » الهائل ، عن علاقة أحمد بن ماجد بالبرتغاليين، من السنين التي اشتد فيها سعار الاستعمار الفرنسي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ؛ فقد سبق قبل ذلك التاريخ بسنتين أن بسط الافرنسيون ظلهم الثقيل على الشام ، بقوة الحديد والنار . ولكنهم جوبهوا بمقاومة صامدة من قبل السوريين ، أجبرتهم على الاستعانة بالجواسيس والعملاء، للعمل ضد المقاومة السورية. غير أن حاجتهم إلى العملاء والجواسيس كانت دائماً أكبر مما يستطيعون تجنيده منهم ؛ فجاء هذا « الكشف العلمي » كأنما ليوحي للمترددين في العمل للافرنسيين خوفاً من وصمة الخيانة : بأن الخيانة عند العرب لا أهمية لها ؛ فهذا أحمد بن ماجد ، أحد الأعلام العربية الضخمة ، لم يتورع عن التعاون مع البرتغاليين رواد الاستعمار الغربي في البلاد العربية . ومع ذلك فانه يتبوأ في التاريخ العربي منزلة سامية ، ويحظى من علماء العرب بالتبجيل والاحترام .

وهذا « الكشف العلمي » ، بعد ، حيلة ماكرة . فقد قدروا أن نتبناه ، ونعتبره من مآثرنا الحضارية الباهرة ، وهو ما حصل فعلاً . ثم يأتي بعد ذلك ولا بد من يقارن بينه وبين ما حققه البرتغاليون وحدهم من اجتياز للمحيط الأطلسي ، وطواف برأس الرجاء الصالح ، ووصول إلى افريقية الشرقية . والنتيجة المحتومة لتلك المقارنة ، ستكون ، ولا شك ، في صالح البرتغاليين ؛ وهو ما حصل فعلاً كذلك ، مع فارق بسيط ، هو أن الذي قام بتلك المقارنة ، لحسن الحظ ، يعتقد أن الربان الذي « تولى ، عملياً ، ارشاد القائد العام [فاسكو دى جاما] في عبور المحيط ، ربان هندي ، وضعه تحت تصرفه ملك ملندى » . [١]

تقول تلك المقارنة :

« علينا أن نتذكر ، أن المحيط الهندي ، ومن ضمنه الساحل الافريقي كله ، كان قد تم اكتشافه قبل قرون ، على أيدي الملاحين الهنود ، وكانت السفن الهندية ترتاد الموانىء الافريقية ، وتعرف مدغشقر بصورة مؤكدة..

(١) panikkra, Asia and Western Dominance, p. 32

وعلى هذا فان المحيط الهندي بحر قد تم ارتياده ، وعرفت مسالكه ، وان وصول دى جاما إلى كليكوت ، كإنجاز ملاحي ، لا يمكن أن يضاهي ما حققه أولئك القادة الذين كانوا أول من اجتاز سواحل الصحراء الكبرى ، وعبر خط الاستواء، أو ما أنجزه دياز، بوصوله إلى رأس الرجاء الصالح».(١)

فاذا كانت رحلة فاسكو دى جاما كلها لا تضارع ما حققه البرتغاليون قبلها ، مع ما فيها من اكتشاف الجزء من السواحل الافريقية كان مـا يزال مجهولاً للعالم أجمع ، إلا لعرب السواحل الافريقية الشرقية ، وهو ذلك الجزء الممتد من آخر نقطة وصل اليها برثلميو دياز في جنوب القارة الافريقية إلى سفالة ؟ فما بالك ببعضها الذي يعرفـه كل ملاح في المحيط الهندي ؟ .

إن صاحب هـذه المقارنة ، دبلوماسي ومؤرخ هندي من الملبار ، هو الأستاذ بانيكار ، الذي كان ذات يوم سفيراً للهند في القاهرة . ان له أكثر من دراسة عن البرتغاليين في المحيط الهندي . وكانت الوثائق البرتغالية في لشبونة ، عن الغزو البرتغالي للشرق ، من ضمن المصادر التي اعتمد عليها في تلك الدراسات . وهو مطلع ، ولا شك ، على مزاعم فران ، وتهمة الخيانة العظمى التي طوق بها عنق الربان الذيتولى قيادة فاسكو دى جاما إلى الهند. وبناء على تقييمه لسفرة فاسكو دى جاما ، فإن دور ذلك الربان فيها قليل الأهمية ، ولا يمكن أن يحقق لبلاده شيئاً من المكاسب الأدبية ؛ بل ربما عاد عليها بالخسران . ولذلك فقد كان المتوقع من بانيكار ، أن يحاول استغلال مزاعم فران ، لخلق جو من الشك حول هوية ذلك الربان ، كيما يدفع تلك التهمة عن أحد مواطنيه ، أو يثير حولها سحابة من الغبار على الأقل ، لو أنه رأى في تلك الزاعم ذرة من الحق . ولكنه تجاهلها تجاهلاً تاماً ، يوحي بما لها من قلة الاعتبار في نظره .

ذلك بعض ما كانوا يهدفون اليه من الترويج لتلك الخرافة .

وأهدافنـا :

أما نحن فهاذا نحقق ، حتى ولو ثبت بصورة قاطعة لا تقبل الجدل ، أن

(١) Ibid 32 - 3

أحمد بن ماجد هو الربان الذي قاد سفينة فاسكودي جاما إلى كليكوت ؟ لا شيء غير خفي حنين .

كان المحيط الهندي على امتداده من السواحل الافريقية الشرقية ، إلى السواحل الصينية ، بحيرة عربية منذ عشرات القرون . وقد ارتاد ملاحونا جميع سواحله وجزائره ، وخلجانه ، وخيرانه ، وكتب أحمد بن ماجد شاهدة على ذلك . وكان السفر بين السواحل الافريقية والسواحل الهندية ، متواصلاً منذ أقدم الأزمان ، يقوم به سنوياً عشرات الربابنة من العرب ، وغير العرب . فلو افترضنا أن أحمد بن ماجد، قد قاد فعلاً سفينة فاسكودي جاما ، من ملندي إلى كليكوت ، فليس في عمله ما يدعو إلى الزهو والفخر، حتى ولو حاولنا تجريده من مدلوله السياسي، واعتبرناه عملاً ملاحياً ليس إلا . فقد سبقه إلى القيام به أعداد لا حصر لها من الربابنة على امتداد التاريخ . بينما انجازاتنا الملاحية أجل من ذلك وأعظم . وقد مر بنا حديث الملاح العربي ابن فاطمة . ودورانه حول افريقية من الغرب إلى الشرق . وكنا نعرف طول الوقت ، امكانية العبور من المحيط الهندي إلى المياه الغربية ، فمنا عرف الجاسوس البرتغالي كوفلهام في سفالة، أنه من الممكن الابحار بمحاذاة الساحل إلى الغرب »[1] . أما لماذا لم نستغل ذلك الطريق مع معرفتنا به؟ فقضية أخرى . إن الانسان لا يتنكب الجادة القصيرة المطروقة إلى جادة أخرى طويلة وعرة مهجورة ، إلا لسبب من اثنين : اما لحائل يحول بينه وبين الجادة الأولى ، أو لما تنطوي عليه الثانية من مغريات ، كالأرباح الهائلة التي يمكن أن يحققها إذا ما حول طريقه اليها. وكلا السببين لم يكن له وجود بالنسبة الينا . فيوم كانت أسبانيا والبرتغال في ايدينا كانت جميع الطرق مفتوحة أمامنا، من الصين إلى ما وراء جبل طارق. وكانت قوافلنا التجارية، برية وبحرية ، تتهادى غادية رائحة ، بين سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وسواحل الصين، في أمن واطمئنان ، وهي تتجر أثناء سيرها في تلك الطرق،

(١) F. C. Danvers , portuguese in India vol. I. P: 30 ; Panikkar, Asia and Western Dominance, P 33.

فتضاعف أرباحها ؛ وهو لم يكن ليتسنى تحقيقه ، لو انها سلكت طريق المحيط الأطلسي .

أما غرب افريقية ، فلم يكن ثمة ما يغري بالسفر اليه ، لا من الناحية التجارية ، ولا من أية ناحية أخرى . لقد كانت أسواق الاستهلاك الافريقية مقصورة على الشمال والشرق من القارة . أي في الاطار الحضاري الذي صنعه العرب على السواحل الافريقية . ولسنا بسبيل الحديث عن الشمال الافريقي ، فأمره معروف مشهور . أما السواحل الشرقية فقد استوطنها عرب الخليج واليمن منذ أقدم العصور .وحينما جاء البرتغاليون كان يحكم الشقة الساحلية– الممتدة من جنوب بلاد الصومال في الشمال ، إلى حدود سفالة الجنوبية في الجنوب–حكومات عربية. وكانت التجارة الافريقية كلها، باستثناء الأجزاء الشمالية ، في يد هذه الحكومات العربية ، فهي التي تزود إفريقية بما تحتاجه من منتجات البلاد المتحضرة ، وخاصة الأقمشة التي كانت تستوردها من كنباية ، مقابل الذهب والعاج من مناجم روديسيا وجنوب افريقية وغاباتها. ويصور لنا بربوزا duarté barbosa حجم تلـــك التجارة عند وصول البرتغاليين الى المحيط الهندي، وما كانت تدره على أصحابها من خير ورخاء. كما يصور لنا ما كان للعرب من نفوذ في تلك المناطق الافريقية ، وذلك خلال حديثه عن مدينتي كلوة وممباسة .

أما كلوة ، « فتقوم على جزيرة قريبة جداً من الساحل . وهي مدينة عربية كثيرة البيوت الجميلة المبنية بالحجارة والملاط . ولهذه البيوت نوافذ كثيرة تشبه النوافذ التي يتخذها البرتغاليون في بيوتهم . وشوارع المدينة منسقة تنسيقاً جيداً وأسقف البيوت مسطحة ، وأبوابها الخشبية جميلة النقش ، ممتازة الصنع . وتحيط بكلوة الجداول والبساتين وحدائق الفاكهة الكثيرة القنوات ، المترعة بالمياه الحلوة . وعليها ملك عربي . ويتجر أهلها مع سفالة، فيأتون منها بالذهب ، ويوزعونه في جميع أنحاء البلاد العربية السعيدة [1] Arabia Felix ونحن نطلق عليها هذه التسمية منذ اليوم وان كانت تقع في

---

(١) نفس التسمية التي أطلقها الكتاب اليونان والرومان على اليمن .

الحبشة (افريقية) ، لأن الساحل كله آهل بالعرب ومساكنهم .. وفي هذه المدينة كمية عظيمة جداً من الذهب ، لأن السفن المتجهة إلى سفالة ، لا بد وأن تمر أولاً بها ، وعربها بعضهم من البيض وبعضهم من السود . وهم حسنو البزة . ولباسهم من الأقمشة الثمينة المصنوعة من الذهب والحرير والقطن ؛ وكذلك ثياب النساء اللواتي يستعملن مقادير كبيرة من الذهب والفضة على هيئة قلائد وأساور ودمالج ، ويكثرن من الأقراط الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة . وهم يتكلمون اللغة العربية ، ويتبعون شريعة القرآن ، ولهم إيمان عظيم بمحمد . [(١)] .

وأما ممباسة فمدينة جميلة جداً ، وتشبه كلوة في تخطيطها وبنائها وسكانها . » وكانت تجارتها مزدهرة ، وميناؤها طيبة ، يرسو فيها دائماً ، عدد كبير من أنواع السفن الصغيرة المختلفة ، والمراكب الكبيرة ، سواء تلك التي تقصدها من سفالة ، أو تأتي اليها من كنباية وملندي ، أو تمر بها أثناء سفرها إلى جزيرة زنجبار .. » [(٢)] .

فما حاجتنا إذا إلى أفريقية الغربية ، ولم تكن لها في ذلك التاريخ ، أية أهميه اقتصادية ، لا من الناحية التجارية ولا من الناحية الانتاجية على الاطلاق!

إن عدم استعمالنا للمحيط الأطلسي ، لم يكن عن جهل به ، أو عجز عن ارتياده ، وإنما لمعرفتنا بالأوضاع الاقتصادية في السواحل الافريقيـــة الجنوبية والغربية ولو تأتت للبرتغال الطرق التي تأتت لنا ، لما فكرت في سلوك المحيط الأطلسي يوماً من الأيام .

النصب التذكاري :

استشهد الدكتور أنور عبد العليم ، دعماً لمزاعم فران عن قيادة أحمد بن ماجد لسفينة فاسكو دي جاما ، من ملندي إلى كليكوت ، بنصب تذكاري يقال أن حكومة البرتغال أقامته مؤخراً في ميناء ملندي ، تخليداً لتلك

---

(١) The Book of Barbosa , pp. 17 - 8 .

(٢) Ibid. p· 19 - 20 .

المناسبة ، وذكر أن أستاذاً في جامعة شرقي افريقية أخبره بذلك ، وأطلعه على صورة فوتوغرافية للنصب المذكور ، عام ١٩٦٦ م .

ونظن أن الأمر تشابه على الأستاذ الافريقي ، وان النصب الذي تحدث عنه لم يكن لأحمد بن ماجد ، ولم تقمه حكومة البرتغال : وإنما هو لعيسى بن طريف ، شيخ قبيلة آل بن علي ، البحرانية – القطرية ، « الذي فتح بمباسة [ممباسة] [١٨٣٦ – ١٨٣٩ م] من جنوب [شرق] افريقية مع عشيرته (آل بن علي) مساعدة لحاكم مسقط وزنجبار ، السيد سعيد بن سلطان آل أبي سعيد »[1] [١٧٩١ – ١٨٤٤م] ؛ وان ذلك النصب أقامته حكومة زنجبار العربية العمانية ، وليس البرتغال التي كانت قد طردت نهائياً من جميع الأراضي الواقعة في الشمال من موزمبيق ، على يد الأسطول العماني فيما بين عامي ١٦٩٦ و ١٦٩٨ م ، في أيام الامام سيف بن سلطان قيد الأرض اليعربي ، أمام عمان وانقطعت بذلك صلتها بتلك البلاد .

إن لدينا في دبي عدداً كبيراً من عرب افريقية الشرقية ، وبينهم خريجو جامعات ، وحملة شهادات عليا ، ويعرفون عن أحمد بن ماجد ما يعرفه أي مثقف عنه . وقد رجعنا اليهم ، وبعضهم حديثو عهـــد بكينيا ، فلم يعرف أحد منهم شيئاً عن ذلك النصب ومع ذلك ، وحتى ولو صحت رواية الأستاذ الافريقي ، فيبقى أن نسأل عن الأسس التاريخية ، وعن الوثائق الثابتة ، التي اعتمدت عليها حكومة البرتغال في إقامة ذلك النصب ، فقد تكون إقامته اعتماداً على مزاعم فران .

كلمة أخيرة :

وبعد ، فاننا لا نقر كل هذه الضجة عن أحمد بن ماجد ؛ هذه الضجة التي تذكرنا بقول الشاعر الجاهلي :

أغنى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ان للرجل منزلته وفضله ، ولا يجب ان ننساهما . ولكن لا يجب أن

(١) الشيخ خليفة بن حمد النبهاني ، تاريخ البحرين ، ص ١٦٢ ؛ انظر كذلك لوريمر . دليل الخليج ، الترجمة العربية ، حكومة قطر ، ص ٧٠١ .

نُبالغ في تقديرها . لقد كان أحد الربابنة الكبار ، وهو ما لا شك فيه . ولكنه كان واحداً من عشرات الألوف الذين شهدتهم مياه الجزيرة العربية . وميزته الكبرى ، انه حاول أن يسجل معارفه وتجاربه ، لينتفع بها غيره وهذا لا يعني أن غيره لم يكتب أو يؤلف في علوم البحار وفنونه . فعدم وصول مؤلفاتهم الينا ، ليس دليلاً قاطعاً على عدم اهتمامهم بالكتابة . ونحن اذا أغفلنا أمر الملايين من المخطوطات التي ذهبت ضحية للفتن والحروب فثمة مئات الآلاف من المخطوطات ما تزال حبيسة في مكاتب المشرقين ، لا ندري ما ينطوي عليه أغلبها ، ثم أن هناك وثيقة عربية من القرن الرابع الهجري (٣٧٥هـ) تؤكد أنه كانت هناك ثمة مؤلفات في علوم البحار في ذلك العهد ، لدى أهل المحيط الهندي من العرب يقول شمس الدين محمد بن أحمد ابن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري :

(وأما أنا فسرت فيه [في المحيط الهندي] نحو الفي فرسخ ، ودرت على الجزيرة كلها من القلزم [البحر الأسود] إلى عبادان ، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه ، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا ، من ربابين وأشاتمة ورياضيين ووكلاء تجار ، ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيمه وأرياحه وجزائره فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده . ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها ، فعلقت من ذلك صدراً صالحاً ..)[1] .

فأين هذه الدفاتر التي اهتم بها المقدسي هذا الاهتمام ، وهو كما يرى شبرنجر « أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة ... ولا أعني بذلك ان كتابه في الجغرافيا يفوق المؤلفات الحديثة في هذا الفن، إذ يعوزه من اجل ذلك تجربة الأجيال التالية ، ولكن من المحتمل انه لم يسبقه شخص في اتساع مجال أسفاره ، وعمق ملاحظاته ، وإخضاعه المادة التي جمعها بصياغة منظمة[2]» .

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٠ - ١١ .

(٢) اغناطوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج١ ص٢٠٨-٩

فإذا كنا نهتم بأحمد بن ماجد حقيقة ، فيجب أن نعمل على دراسة مؤلفاته ونشرها نشراً علمياً ، وهو ما أعتقد ان صديقي في الشام الاستاذ ابراهيم الخوري منصرف الى تحقيقه . أما غير ذلك فلا . لا شعره ولا بلاغته (أي شعر وأية بلاغة ؟) ، بل ولا كونه ربانا عقمت النساء أن يلدن مثله . يجب أن لا يخدعنا نسيانه لفضيلة التواضع ، وتبجحه الزائد عن الاهتمام بتاريخنا البحري . لقد اكتشف ملاحونا المجهولون ، مجاهل المحيط الهندي ، وجاست سفائننا عبابه من أقصاه إلى أقصاه ، قبل أن يولد أحمد بن ماجد بقرون وقرون ، وبلغت معرفتنا بالبحر حداً قد يتصوره الكثيرون منا . كان نواخذة الغوص في الخليج يستدلون على الطرق الى المغاصات ، بلون البحر وعمقه وتربة قاعه [1] . والمغاصات بقع معينة في الخليج ، لكل منها اسمه الخاص ، وتقع على أبعاد متفاوتة من الساحل ، قد يصل بعضها إلى سبعين ميلاً ، وقد يبلغ عمق البحر فوق بعضها ١٨ قامة ، أو ما يربو على ١٠٠ قدم . وبعضها ملتصق ببعض كرقع الشطرنج ، أو رقع الفسيفساء . وليس ثمة ما يدل عليها من علامات فوق سطح البحر أو يميز بعضها عن بعض. ولكن قلما يخطىء أحد اولئك النواخذة سبيله إلى أي منها ، مهما كانت الجهة التي أبحر اليه منها . إنهم يتنقلون من مغاص إلى آخر ، قد يكون قريباً ، وقد يبعد بعشرات الاميال ، من غير خرائط أو آلات يستعينون بها ، سوى حواسهم التي صقلتها التجارب ، وأرهفها طول الممارسة . ويقولون إنّ أحد نواخذة البحرين واسمه خميس الشروقي ، كان أعمى . ولكنه كان آفة من الآفات ، كما يصفه الملاحون الذين سمعوا آباءهم واجدادهم يروون اعاجيبه . كان يشعر بأقل انحراف في سير السفينة عن المجرى الذي حدده لها . وكان يعدل اتجاهها ، إذا ما جرفتها عنه التيارات والرياح . فاذا أحس أنه اقترب من المغاص الذي كان متوجهاً اليه ، طلب من بحارته ان يبلدوا [2] له البحر ، ثم أخذ شيئاً من حبات الرمل التي تكون قد علقت ببطن البلد ، وتذوقها .

---

(١) دليل الخليج ، ج ٦ ص ٣٠٦٦ .

(٢) بلد ، يبلد : قاس اعماق البحر بالبلد. وهو قطعة من الرصاص مخروطية الشكل موصول بها حبل طويل .

كان يتعرف على المغاص بطعم رماله . وكان عنده ارتباط بين عمق البحر ، وطعم الرمل . وكم حاول رجاله ان يغالطوه ، كأن يقولوا له ان عمق البحر ١٥ قامة ، بينا هو ١٠ قامات فقط، أو ١٠ قامات وهو ١٥ قامة، فأعياهم . وذات مرة ، وكانوا في البر ، عنّ لهم أن يضحكوا عليه ، فأخذوا شيئاً من الرمل من قاع إحدى العيون الحلوة المعروفة في البحرين ، ثم وضعوه في ماء البحر ، وحملوه معهم عند سفرهم . فلما أشرف على المغاص الذي كان متوجهاً اليه ، وبلدوا له البحر ، مسحوا باطن البلد ببعض ذلك الرمل الذي جاؤوا به معهم من البحرين ، وقدموه اليه. فلما تذوقه ، ضحك وقال :

« عجيبة ! الطينة طينة ربّه [1]،والبحر بحر شتّيه [2] ! اطرح [3]يا ولد، ارم [4] يا فلان ، غوصوا يا أولاد » .

وقد نتصور هذه المعرفة مقصورة على الخليج ؟ لا . فبعض سفن الغوص قد تتوجه في بعض السنين الى مغاصات سقطرة ، أو البحر الاحمر . وبعض النواخذة قد يشتغل سفاراً بعد انتهاء موسم الغوص، أي يصبح رباناً لأحدى السفن الشراعية التي كانت تعمل في نقل البضائع ما بين السواحل الافريقية والسواحل الهندية ، والخليج العربي. وصاحبنا الاعمى كان يشتغل في كل ذلك.

وأحسب أن قد آن لنا، ومنذ أمد طويل،أن نعيد النظر بحزم وصلابة، في تبعيتنا الذليلة للمستشرقين ، واستعدادنا الفوري لتلقف ما يصدر عنهم من غير مناقشة أو تمحيص . فان عجزهم الفطري عن إدراك العربية وأسرارها وحده ، كان يجب أن يحول بينهم وبين أن يفرضوا وصايتهم علينا في حياتنا الروحية والفكرية ، من دين ولغة وتاريخ وثقافة وما أشبه من مقوماتنا الحضارية ، وكان يجب أن يعصمنا من الخضوع لتلك الوصاية ، وتقبل ما يأتي من أولئك الأوصياء على علاته بالرضا والتسليم ؛ خاصة وان الاستشراق لم يكن خالصاً لوجه العلم ، منزها عن الأهواء في يوم من الأيام ، وان غالبية المستشرقين ، على امتداد تاريخهم ، لا تتردد في اتخاذ العلم مطية لتحقيق غاياتها الجافية للعلم والحق ، ولا تتورع عن تزوير الحقائق ، وافتعال القرائن ،

---

(١) إحدى عيون الماء العذبة المعروفة في البحرين .
(٢) أحد المغاصات المعروفة في الخليج .
(٣) انزل الشراع . (٤) ارم المرساة .

وتحريف « الحيثيات » لتحقيق تلك الغايات ، ولا يهمها أن ينكشف زيفها ويفتضح تزويرها ، بعد أن يكونا قد أحدثا اثرهما المدمر في قلوبنا وعقولنا . فليس « غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة ، أو ينازل ضلالاً بهدى ، أو أن يصارع باطلا بحق ، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة . بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الاسلامي ، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة ، وينصب في أرجائه عقولاً لا تدرك الا ما يريد لها هو أن تدرك ، ولا تبصر إلا ما يريد لها هو أن تبصر ، ولا تعرف إلا ما يريد لها هو أن تعرف . فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة انسانية عرفت إلى هذا اليوم ، كجرائمه في تحطيم الدول واعجازها ، مثلاً بمثل » . (١)

وربما كانت قضية الشعر الجاهلي التي اجترحها المستشرق مرجليوث في سنة ١٩٢٥ م (أي بعد ثلاث سنوات فقط من اهتداء المستشرق فران إلى كشفه « العلمي » عن أحمد بن ماجد) ، ثم تولى الترويج لها في العالم العربي ومعاهده العلمية الدكتور طه حسين في السنة التالية (٩٢٦ م) ، من أبرز الأمثلة على أساليب المستشرقين المشابهة لأساليب رجال الاستخبارات في الدول الاستعمارية .

وما بي أن أطيل الحديث عن تلك القضية ، قضية الشعر الجاهلي التي « تركت في العقل الحديث في العالم الاسلامي ، أثراً لا يمحى إلا بعد جهد جهيد » (٢) ، على الرغم من الأسس الواهية التي قامت عليها ، فحسبي الاشارة إلى طبيعة الأسلوب الذي اصطنعه المستشرق مرجليوث في اثبات مزاعمه عن الشعر الجاهلي : « فان السفسطة – واخشى أن أقول الغش – في بعض الأدلة التي ساقها مرجليوث ، أمر بيّن جداً ، ولا تليق برجل كان ولا ريب من أعظم أئمة العلم في عصره » ، كما يؤكد ذلك المستشرق أربري في خاتمة كتابه « المعلقات السبع » (٣) .

[تم البحث]

وحسبنا عظة ، إن كنا نتعظ .

علي التاجر

---

(١) الأستاذ محمود محمد شاكر ، في مقدمته الرائعة لكتاب مالك بن نبي ، « الظاهرة القرآنية » ، ط . ثالثة بيروت ، ص ١٢ .
(٢) و (٣) المصدر نفسه ص ١٤ .

المستدرك على :

شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري شاعر من مجيدي شعراء العصر الاموي ، وهو ابن الشاعر الكبير حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ وابرز شعراء العصر الاسلامي ، وام عبد الرحمن سيرين أخت مارية القبطية زوج الرسول الكريم ، ولد عبد الرحمن في زمن النبي ﷺ فهو من تابعي اهل المدينة وتوفي سنة اربع ومائة ، وكانت له اهاج مع شعراء عصره : عبد الرحمن بن الحكم ومسكين الدارمي والنجاشي الحارثي .

ذكر ابن النديم في الفهرست ان له ديواناً ولكنه لم يصل ، وقد حفظ الزبير بن بكار مجموعة صالحة من شعره في كتابه المخطوط « الموفقيات » .

وكنت أشرت في نيسان سنة ١٩٧٠ في مجلة «العرب» الزاهرة (الجزء السابع السنة الرابعة) الى اني منصرف الى جمع وتحقيق شعر عبد الرحمن بن حسان مع مجموعة من شعراء الحجاز ، وحين علم بذلك الاخ الدكتور سامي مكي العاني نشط الى جمع وتحقيق شعره ، فأصدر في بغداد ١٩٧١ كتيباً في ٧٣ صفحة اسماه : (شعر عبد الرحمن بن حسان الانصاري) وقدم له بمقدمة في تسع صفحات تحدث فيها عن حياته وشعره ومنهجه في الجمع والتحقيق ، وقد حوى هذا المجموع أشعاراً لعبد الرحمن بن حسان وابيه حسان بن ثابت واشعاراً اخرى لا تصح للشاعر .

وقد رأيت في هذا المجموع اموراً لا يحسن السكوت عنها ، فأحببت أن استدرك على الاخ الفاضل ما عنّ لي اثناء قراءتي لهذا الشعر، وآمل أن أسدي في هذا بعض حق العربية علينا وتراثها المجيد .

لن أتحدث هنا عن المقدمة ولغتها والمنهج الذي رسمه ومدى التزامه به ، فحديث المقدمة – على قلتها – ذو شجون والكلام حولها يطول، بل أتناول صلب الكتاب مباشرة :

١ – مستدرك الشعر :

هذه اضمامة من اشعار عبد الرحمن بن حسان لم يهتد اليها ، أرتبها حسب القوافي وأذكر مصادر روايتها واوزانها :

جاء في «تاج العروس» (نجو) ١٠ – ٣٥٧ : وقال عبد الرحمن بن حسان يخاطب ضيفين طرقاه : (من الطويل)

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه

وفي «الابدال والمعاقبة والنظائر» – الزجاجي ط دمشق ١٩٦٢ ص٥٦ : قال عبد الرحمن بن حسان : من (البسيط)

الضبّ حين يروم اللّج مشترك والحوت يهلك في البيد الأماليت

قال : وهذا شعر اوله :

يا سلم جارتنا بالغمر حييّت عنا وصوب الغمام الرهم سقيت

وفي آخره :

تا الله يألف شكل شكلها أبداً حتى يؤلف بين الضبّ والحوت

يضاف الى ق ١٤ (ق : تعني قصيدة أو قطعة أو بيت حسب ما جاء في المجموع) بيتان «في شرح الحماسة» للمرزوقي ٣ – ١١٤٨ تكملة لقوله :

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى . . . (من الطويل)

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

وكائن رأينا من غنى مذمّم وصعلوك قوم مات وهو حميد

وفي «الموازنة» – الآمدي ١–٣٦٦–ط دار المعارف : وقال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت : (من الوافر)

وان مال الضجيع بها فدعص من الكثبان ملتبد مطير

وفي «اساس البلاغة» (شرف) : قال عبد الرحمن بن حسان :(من الطويل)

ألم تر ان القوم أمس تشرفوا بأغلب عود لا دنيّ ولا بكر

وفي «اساس البلاغة» ايضاً (غلو) : وقال عبد الرحمن بن حسان:(من الكامل)

من درّة غالى بها ملك ممـا تربب حائـر البحـر

وعند الدكتور الجامع المحقق الارقام ق ١٧ ثلاثة ابيات وق ١٨ اربعة أبيات وق ١٩ بيت واحد . وقد نقل هذه المتفرقات من حماسة البحتري في مواضع متفرقة،وهذه الابيات المتفرقة من قصيدة واحدة في كتاب «الامالي» ١ – ٢٤٩–٢٥٠– ط السعادة ١٩٥٣ ،والقصيدة في عشرين بيتاً أثبتها هنا :

قال ابو علي : انشدنا ابو بكر عن ابي حاتم لعبد الرحمن بن حسان : (من الطويل)

وان سعيد الجد من بات ليلة واصبح لم يؤشب ببعض الكبائر
فمولاك لا يهضم لديـك فإنما هضيمة مولى المرء جدع المناخر
وجارك لا يذممك ان مسبة على المرء في الأدنين ذمّ الجـاور
وان قلت فاعلم ما تقول فانه الى سامع ممن يعـادى وآثر
فانك لا تسطيع ردّ مقـالة شأتك وزلت عن فكاهة فاغر
كما ليس رام بعد ارسال سهمه على رده قبل الوقوع بقادر
اذا انت عاديت الرجال فلا تزل على حذر لا خير في غير حاذر
ومن لا يصانع في امور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بحافر
ترى المرء مخلوقا وللعين حظها وليس بأحناء الامور بخابر
فذاك كماء البحر لست مسيغه ويعجب منه ساجيا كل ناظر
وتلقى الاصيل الفاضل الرأي جسمه اذا ما مشى في القوم ليس بقاهر
كذلك جفن رثّ عن طول مكثه على حدّ مفتوق الغرارين باتر
وعـاش بعينيه لما لا يناله كساع برجليـه لادراك طائر
ومستنزل حرباً على غير ثروة كمقتحم في البحر ليس بماهر
وملتمس ودّا لمن لا يودّه كمتنذر يوماً الى غير عـاذر
ومتخذ عذرا فعـاد ملامة كوالى اليتامى ما لهم غير وافر
فسارع اذا سافرت في الحمد واعلمن بأن ثناء الركب حظ المسافر
وطاوعهم فيما ارادوا وقل لهم فدى للذي رمتم كلال الاباعر
فان كنت ذا حظ من المال فالتمس به الاجر وارفع ذكر اهل المقابر

فاني رأيت المال يفني وذكره كظل يقيك الظل حر الهواجر

والابيات التي اولها : (وعاش) (ومستنزل) (ومتخذ) من هـــذه القصيدة وردت ايضاً في رسالة « الصداقة والصديق » لأبي حيان التوحيدي ص ٢٨٥ ط دمشق .

وجاءت هذه القطعة في «الاغاني» ١ — ٢٧٥ — ٢٧٧ ط الدار :

قال عبد الرحمن بن حسان : (من الرمل)

آب ليــــلى بهموم وفكر من حبيب هاج حزني والسهر
يوم ابصرت غراباً واقمـاً شر ما طار على شرّ الشجر
ينتف الريش على عبريّـــة مرّة المقضم من دوح العشر
وجرت لي ظبيـة يتبعها ليّن الأظلاف من حور البقر
خلفها أطلس عسال الضحى صادفته يوم طـلّ وخصر
ان عينيها لعينـــا جؤذر أهدب الأشفار من حور البقر
تنكر الاثمـد لا تعرفـــه غير ان تسمع عنـه بخـبر
كلما كفكفت مني عبرة فاضت العين بمنهلٍ دِرَرْ

وفي كتاب سيبويه ١ — ٤٧٥ «وفصل المقال» للبكري ص ٢٠٦ — ٢٠٧ وفي «المحاسن والاضداد» ص ٦٣ : قال عبد الرحمن بن حسان : (من الكامل)

اني رأيت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حرّ الثياب وتشبعوا

ق ٣٠ ثلاثة أبيات ، وفي «البيان والتبيين» ٣ — ١٨٧ خمسة أبيات، أي بزيادة بيتين هما : (من الطويل)

سيكفيك ما ضيّعت منها وانما يضيع الامور سادرا من اضاعها
ولاية من ولاك سوء بلائهـــا وولى سواك أجرها واصطناعها

وفي «العمدة» — ابن رشيق ٢—٢٦٨ط سنة ١٩٥٥: وقال عبد الرحمن بن حسان : (من الوافر)

وان مال الضجيع بها فدعص من الكثبان ملتبـد مهيـل

ويضاف الى ق ٣٦ هذا البيت في «اللسان» و «التاج» (ربب) : قال عبدالرحمن ابن حسان : (متقارب)

تكركره خضخضات الجنوب وتفزعه هزة الشمأل

والأبيات المشار اليها في ق ٣٦ جاءت ضمن قصيدة في احد عشر بيتاً في «الأغاني» ١٩–١٥٦ط ساسي لعروة بن جلهمة ، ووردت ثلاثة ابيات منها في «السمط» ١ – ٤٤١ منها هذا البيت الذي لم يرد في المجموع :

فسقى ديارهم باكراً من الغيث في الزمن الممحل

وجاء في «عيون الاخبار» ٣–٧٧ : وقال عبد الرحمن بن حسان : (من البسيط)

لا خير في الودّ ممن لا تزال له مستشعراً أبدا من خيفة وجلا
اذا تغيب لم تبرح تُسيء به ظناً وتسأل عما قال او فعلا

وفي «الاشباه والنظائر» للخالديين ٢–٣٥٤–٣٥٥ : قال عبدالرحمن بن حسان : (من البسيط)

يا أمّ بشر ثقي بالله واعترفي بالحقّ ان قضاء الله مبروم
وانعي اباك اذا ما قال مختبط أين الكرام المطاعين المطاعيم ؟
مثل السنان لطيف البطن لا مرح ان نال دنيا ولا بالزاد منهوم
لا يسلم الجار والمولى لعثرته ولا يسالم وابن العم مظلوم

وفي « الرسالة الشافية » لعبد القاهر الجرجاني ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ١٢٧ : قال عبد الرحمن بن حسان : (من الخفيف)

لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم

والبيت يروى لحسان بن ثابت ايضاً في ديوانه ص ٣٧٧ ط البرقوقي ضمن قصيدة .

وجاء في «تاج العروس» (روح) قول عبد الرحمن بن حسان : (من البسيط)

كأن راكبها غصن بمروحة لدن المجسة لين العود من سلم

وفي «اساس البلاغة» (فق) : قال عبد الرحمن بن حسان : (من الكامل)

ان الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بمعملج الصبيان

وفي «شرح الحماسة» للمرزوقي ٢–٦٨٥ قال عبدالرحمن بن حسان: (من الطويل)

واني من قوم كرام يزيدهم شماساً وصبراً شدة الحدثان

وهذه الابيات في « العقد الفريد» ٦ - ١٣٢–١٣٣ .

قال عبد الرحمن بن حسان : (من الوافر)

الا ابلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي اليدان

أتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان

واشهد ان قربك من زياد كقرب الفيل من ولد الأتان

وتنسب هذه الأبيات ايضاً الى ابن مفرغ الحميري وعبد الرحمن بن الحكم .

هذه مجموعة من الاشعار مما نستدركه على الأخ العاني وهناك مجموعة اخرى ندخرها لديوان عبد الرحمن بن حسان .

٢ – مستدرك الرواية والتخريج :

وهذه نماذج من خلاف الرواية وخطأ المقابلة وعدم دقة التخريج ، وأقول (نماذج) لأن الذي وقفت عليه كثير جدا لا تسعه هذه الصفحات، فمن ذلك:

ق ٣ ب ٣ قال في الهامش : (في الأغاني) :

ففارقوا طلعكم ثم انظروا وارسلوا .. انسابـــا

وارجع الى «الاغاني» في الصفحة التي اشار اليها المحقق ١٥–١١٤ تجد العجب اذ لا خلاف ولا ادري لماذا يخطىء الصحيح ، ففي « الاغاني » :

فارقوا على ظلعكم ثم انظروا وسلوا عنا وعنكم قديم العلم نسابا

وفي روايته جملة اخطاء : فحق (وارسلوا) التي صوابها وسلوا ان تكون في الشطر الاول ليستقيم وزن البيت ، ثم فارقوا وليس (ففارقوا)، وظلعكم بالظاء وليس (طلعكم) بالطاء المهملة ، ونسابا وليس (وانسابا) .

وفي ق ٥ البيت :

الله يعلم اني كنت مشتغلا في دار حسان اصطاد اليعاسيبا

يستدرك على مصادره :

«اسرار البلاغة» ص ١٧٥ -ط ريتر -وفيه (منتبذا) مكان : مشتغلا .

« وشرح المقامات » - الشريشي ٤ - ٩٦ وفيه : (معتزلا) .

ويستدرك على ق ٧ :

ب١ : «خلق الانسان» - ثابت بن ابي ثابت ص ٢٠٤ .

ب٢ : «الاضداد » - ابن الانباري ص ٢٠٩، وروايته (لأنت) مكان : وكنت . وفيه : (يوجي رأسه) «والمنصف»-ابن جنى١-٧٦؛ والمستقصى»- الزمخشري ١-١٣٦ «وتوجيه أبيات ملغزة الاعراب» - الرماني ص ٨٨ وفيها: (يشجج رأسه)

ب٥ : هم دعج ونسل ابيك زرق   كأن عيونهم فلق الزجاج

في « العقد الفريد » رواية اهلها هي : (وولد ابيك .. قطع الزجاج)

ق ١٤ ب ١ و٢ من حماسية للمعلوط السعدي القريعي ، «شرح الحماسة» للمرزوقي ٣ - ١١٤٨ وفيها اربعة أبيات منها بيتان جديدان .

والبيتان الاول والثاني في«عيون الاخبار» ٣-١٨٩ ورواية الثاني : (ولكن حظوظ قسمت وجدود) .

أما البيت الثالث :

وان امرأ يمسي ويصبح سالما   من الناس الا ما جنى لسعيد

فيزاد في مصادره : «الشعر والشعراء» ١ - ٣٠٧ - ٣٠٨ وفيه: (امسي واصبح سالما) و«بهجة المجالس» ١-٢٨٨و«السمط»١-٥٦٩ وللميمني فيه تخريج كثير ، وهذا البيت لا يصح لعبد الرحمن بن حسان وانما هو من الشعر المتنازع عليه .

ق ٢٣ ب٢ يستدرك عليه : «خلق الانسان» - ابن ابي ثابت ص ٢٤٠ : (وتبازخت) .

و«الخصائص»١-٨ و «التاج» : (بزو) و (بزخ) و (نجو).ويستحسن ذكر المواد اللغوية عند الاشارة الى المعاجم .

ق ٢٥ ب ١ قال : (في حماسة ابن الشجري: مستنيص الرزق) اي بدلا من مستنيص العيس) وليس في ابن الشجري هذه الرواية ، وهذا البيت لم يرد اصلا في حماسة ابن الشجري، فمن اين جاء هذا الخلاف ؟ هذه جريرة النقل عن هوامش المصادر الاخرى دون الرجوع الى المصدر المعني مباشرة .

ب٢ : يستدرك على روايته : الحماسة الشجرية وفيها : (ترى للرزق) مكان : (ترى للحرص) و (يطير عصائبا) مكان (يطير رعابلا).

ق ٢٦ ب١ :يستدرك عليه : «الاشباه والنظائر» للخالديين ١–٢ من غير عزو–:

كأن فؤادي في مخاليب طائر اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

ومخاليب : بالياء وليس (مخالب) كما أثبته .

وب١ و ٢ في «التشبيهات» ص ٢١٠ لعبدالرحمن، وهما في «الوحشيات» ص ١٦٧ دون نسبة وروايته : (كأن بلاد الله) و (زاد به قبضا) وجاء البيت الثاني متقدماً على الاول .

والبيتان في «مسالك الابصار» ٩–١٤٢ و«تزيين الاسواق» ص ٦٥ للمجنون وهما في ديوان المجنون ص ١٧٧–٢٧٨ –ط فراج– من قصيدة في اثني عشر بيتاً .

ق ٢٨ ب٣ : اذ تركوه وهو يدعوهم بالنسب الداني وبالشاسع

قال في الحاشية : (في «الاغاني» : يدعوهم بالسبب) . واذا رجعت إلى «الاغاني» ١٥–١١٨ الصفحة التي اشار اليها تجد الرواية : (بالنسب) صحيحة لا خلاف فيها ، لقد تعود ان يسكت عن مقابلة الروايات فلماذا يتوهم اختلافات غير موجودة ؟

ق٣٠ ب١ :ذممت ولم تحمد وادركت حاجتي تولى سواكم شكرها واصطناعها

رواية «زهر الآداب» : (وابت بحاجة)والصفحة ليست ٤ – ٩٩ بل هي ٢–٩٦٠ حسب طبعته التي ذكرها ، وقد تابع هامش «بهجة المجالس» ونقل عنه نفس الخطأ ، وفاته ايضاً رواية بهجة «المجالس»: (اجرها) مكان (شكرها).

ب٣ : رواية «زهر الآداب» : (اذا ما ارادته على الخير مرة) عوضا عن: (اذا هي حثته) و (بشر) مكان (بسوء) .

ق ٣٦ : الابيات الثلاثة في «التاج» (ربب) وفيه بيت آخر لم يثبته المحقق ورواية التاج تختلف عما عنده ، ويضاف الى مصادره : ب ٣ شروح « سقط الزند » ٣-١١٩٣ لعبد الرحمن بن حسان وروايته : (كـأن الرباب دوين السحاب) وهو ايضاً في «الكامل» ٤٨٥ و ٥٨٧ «وشرح المفضليات» ٢٤٨ منسوب لابن جلهمة .

ق ٤٠ ب٢ في «المنصف» ١-٣٣٨ وروايته : (أغرُ...أحمُ) بالرفـع وكذلك في «الصحاح» (سوك) الذي نقل عنه البيت، ولا يجوز تغيير حركة الأصل .

والبيت الثاني في «فرائد القلائد» -العيني ٣٧٨ و«المقاصد النحوية» ٢ - ٥٣٠ وب٨ في « الحيوان » ٦-٣٥٤ وفيه رواية تتغير فيها القافية ولم يشر اليها والرواية هي :

كأن حماتيها ارنبـا ن تقبضتا خيفة الاذؤب

ق ٤٤ ب٢ يضاف الى مصادره شروح «سقط الزند» ١-٧ وفيه : (فلست بسبي ان سبى)

ب٤ لحسان في ديوانه ص ٣٧٨ على الرغم من ان المحقق الفاضـل يقول : (علما بأنه غير موجود في ديوان حسان) .

ق ٥٤ : يستدرك على مصادره : «غريب الحديث» ١-٣٠٩ و«نظام الغريب» ص ٧٧ و«شرح المقامات» ١-١٧٢ و«مصارع العشاق» ١-١٣٥ و«اساس البلاغة» (خصر) وفي كل هذه المصادر روايات تختلف عما عنده ، وفي «الحماسة البصرية» ٢-٢٠٦-٢٠٧ التي هي من مصادره روايات تختلف كثيراً عن الرواية التي أثبتها فدلس عنها ، ومعنى هذا انه لم يأخذ عن المصادر مباشرة وانما ينقل عن هوامش المصادر المحققة ، وبذلك تختلف عليه الروايات والصفحات .

أما البيت في رقم ٥٥ :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثـــلان

فقد أخذه من «اللسان» واحال في تخريجه - من باب الاعلان - الى ديوان

كعب بن مالك الذي جمعه المحقق نفسه وهو رسالته الجامعية ، وكنت اظن ان فيه الدقة والامانة ، ولكن هيهات .

فاستدرك على مصادره هنا وفي ديوان كعب هذه المصادر :

«الامالي» — ابن الشجري ١—٦٩٠ و١—٣٧١ لعبدالرحمن بن حسان وفيه : (عند الله سيان) « الخصائص » ٢ — ٢٨١ و « مجالس العلماء » ٣٤٨ و « الاشباه والنظائر » للسيوطي ٤ / ١٣٥ وفيه (عند الله سيان) وصدر البيت في نوادر ابي زيد ص ٣١ وفيه عن الاصمعي : (من يفعل الخير فالرحمن يشكره) .

ق ٥٨ البيتان من قطعة في سبعة ابيات لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٤١٣ — ٤١٤ .

ولولا خشية الاكثار والاثقال على المجلة والقارىء لدونت أضعاف هذه الصفحات مما فاته من المصادر والروايات .

٣ — اخطاء التحقيق والضبط والوزن :

ص ١٠ : البيت (بنى اللؤم بيتاً فاستقر عماده) سقطت (بيتاً) وبها يستقيم البيت ولعلها تطبيع .

ص ١١ : ازجر كلابك انها قلطية بقع ومثل كلابكم لم تصطد

ضبط (تصطد) بضم التاء وصوابها الفتح .

ق ١ ب ٣ : فيخبر فيها ان بيني وبينه اواصر لا ترعى ولاهي تقرب

ضبط (اواصر) بالضم وحقها الفتح فهي اسم ان متأخر .

ق ٥ : من عدم الدقة قوله : البيت في «الحيوان» ٦ / ٣٥٤—ط هارون . وصوابه ٣ / ٦٥ .

ق ٧ ب ٢ : قوله : وهوى في مظلم الغمرات داج . صوابه حذف الواو من (هوى) ليستقيم الوزن .

ب ٤ : كتبه بهذا الشكل :

ولا هم— قسرت وطبت نفسا — لنا يا ابن المفاضة بالخراج

ويستقيم وزنـه بـ (ولولاهم) ، والمعنى لا يستقيم بوجود المعترضتين وموضعها – اذا كان لا بد منها – في عجز البيت :

لنا – يا ابن المفاضة – بالخراج

ومن عدم الدقة في هذه القصيدة قوله : (والابيات ١–٣ في « العقد الفريد» ٣ / ٤١١) وهو خطأ ،والصواب ٥ / ٣٢٢ حسب الطبعةالتي اعتمدها، أما الرقم الأول فقد اخذه من هامش«الوحشيات»ومحقق«الوحشيات»اعتمدعلى طبعة أخرى فتابعه ، هذا أمر والأمر والثاني ان البيت الثالث الذي اشار اليه لم يرد في «العقد الفريد » وانما ورد البيت الخامس، وفي هذا رواية لم يشر اليها ذلك لأنه لم ير العقد بنفسه بل رآه بغيره .

ق ٨ ب ٢ : تحن الى عرق الحجون واهلها منازلهم منـا سليل وابطح

ضبط (الحُجون) بضم الحـاء وصوابها (الحَجُون) بفتح الحاء جبل بمكة المكرمة .

ق ٩ ب ١ في «العجز» : مصابيح ساعة ثم تلمح

اضف : تخبو ساعة .

ق ١٠ البيت : المعنى غير واضح وفيه خطأ في قوله : (ام عدلا قبوح)

ق ١٢ البيت : وان امرأ نال الغنى ثم لم ينل صديقاً ولا ذا حاجة لزهيد

ضبط (ينل) بضم الياء،ولا تصح والوجه فتحها،وان المحقق نقل الرواية من ديوان حسان واخطأ في النقل ، والغريب ان الاستاذ المحقق يهمل ما يحتاج الى ضبط ويضبط ما هو واضح معروف ثم يخطيء في هذا ايضاً .

ق ١٦ بيتان مضطربان ومعناهما غير مستقيم ، وسكت عن ايضاح المعنى وهو احياناً يفسر معاني المفردات الواضحة السهلة مثل : المتردد والوريـد والداجي والريبة والنجاح والبوار والمص والشرب والعض وصم الحجارة والاعياء والذبال والهشيم والبسالة والوسنان وغير ذلك كثير ، ويسكت او (يدلس) كما يقول اصحاب الحديث عن المفردات والمعاني التي تحتاج الى فهم لغوي او كشف الغامض الملتبس وهذا كثير ، والملاحظ ان كل مـا يخص

«الموفقيات» مما لم يرد في المصادر جاء غامضاً مصحفاً شائع الخطأ مختل الوزن، أما ما أخذه عن الكتب المحققة فنسخ احيانا ومسخ في احايين .

ق ١٩ : يضاف حرف الفاء الى كلمة (مولاك) في اول البيت ليستقيم وزنه فهو من الطويل . او يشار الى حدوث الخرم في البيت .

ق ٢٠ ب ٣ البيت :

قلق النصال فرّ المعاول مرهف أعمى كقادمة العقاب الكاسر

في وصف السيف في البيت السابق ، والشطر الاول معناه غير مستقيم ولم يوضحه ، والبيت فيه تصحيف وتوجيهه على ما أرى:(فلق النصال (؟) فزر المعابل مرهف)

فلق : بالفاء وليس القاف ، وفزر : بالفاء فالزاي فالراء ، والفزر الشق والصدع ، والمعابل : وليس المعاول جمع معبلة : نصل عريض طويل، وانظر اللسان والتاج (فزر وعبل) .

والبيت ٤ : فظلت تأكل ماله وتركته بالشام يشد كل قصر عامر

وهو غير موزون وفيه تصحيف وصلاحه :

فظللت تأكل ماله وتركته بالشـــام يشذر كل قصر عامر

ويشذر : من التشذر وهو الوعيد ويصح ان يكون بالزاي ايضاً (يشزر)

البيت ١١ :

لم تنظرون اذا هدرت اليكم نظر التيوس الى شفار الجازر

وصدر البيت مضطرب ومعناه غير مستقيم ، وقد اخفق في قراءة النص فصحف ، وصوابه :

كم تنظرون اذا هدرت اليكم

وفي « الزهرة » رواية جيدة لهذا البيت هي :

نظروا اليــك بأعين محمرة نظر التيوس الى شفار الجازر

ق ٢٠ ب ١٢ : خزر العيون منكسي ارقابهم

(ارقابهم) تصحيف من (اذقانهم) لأن الرقبة لا تجمع في الفصيح على (ارقاب) بل على : رقب ورقبات ورقاب وارقب .

ق ٢٥ ب ٢ قال : في اليزيدي :

تري العيس تلهث كل يوم يطير عصائبا عنك القميص

البيت غير موزون وصوابه : (ترى للعيش تلهث كل يوم)

ق ٢٧ قطعة من خمسة ابيات فيها ثلاثة غير موزونة ، والبيت الثاني :

وما لنـــا بكم اذ ذاك رقم سوى ادم شقّقه رهاطـــا

وصواب (شققه) هذه هو : مشققة .

ق ٣٢ البيت عنده :

هن اسلاب عين ابـــاغ من رجال سقوا بسم زعاف

تضاف كلمة (يوم) ليستقيم الوزن (يوم عين اباغ) وصواب (زعاف) هو (ذعاف) بالذال المعجمة كما في «معجم البلدان» الذي نقل عنه ، وليضف إلى مصدره « التاج » : (اباغ) .

ق ٣٤ روى البيت الاول :

قل للذي كاد لولا خط لحيته ويكون انثى عليها الودع والسمك

تحذف الواو من (ويكون) ليستقيم البيت ، اما السمك فما معناه هنا ؟ (عليها الودع والسمك) صواب السمك هو : (المَسَك) بتقديم الميم على السين المفتوحتين ، والمسك : سوار من عاج تتحلى به النساء .

البيت الثالث :

صليب محر العـود تسمع صوته اذا ما نهارا صك فيإقدح الخضل

الصواب (محز ّ) بالزاي المعجمة ، والخصل –بالصاد المهملة– مكان الضاد المعجمة ، فهو يتحدث عن الرمي والسهام وليس عن (اللؤلؤ والدر الصافي) كما وهم .

ق ٤٧ : يهون عليهم اذا يغضبو ن سخط العداة وارغامها

نقل الرواية من«نوادر القالي» ص ٢١٦ ، ولم ير المحقق هذا المصدر بدليل ان الصفحة التي ذكرها ليست ٢١٦ بل هي ٢١٨ ، وفي «النوادر» (العُداة) بضم العين وضبطها هو بكسر العين ؛ وعين العداة لا تكون الا مضمومة كما يقول ثعلب (انظر الصحاح — عدا)

ق ٥٢ البيت :

ان عمرا وعامرا ابوانـــا وحراما قدما على العهد كانوا

في «الاغاني» وبقية المصادر (ابوينا) وهي الرواية الصحيحة ، وسكت المحقق عن بيان الخلاف مع ان المعنى المراد يستقيم بها ، لأن الشاعر هنا لا يخبر عن عمرو وعامر بـ(ابوانا) وانما يقرر حقيقة فـ (ابوينا) بدل من عمرو وعامر ، وخبر ان في جملة (على العهد كانوا)

البيت الرابع : انهم مانعوك أم قلة الكتاب أم أنت عاتب غضبان

ما معنى البيت ؟ لا شك ان الشاعر يستفهم هنا فالرواية الصحيحة هي : (أفهم مانعوك؟) ان المحقق اخطأ في قراءة ما في «الموفقيات» فقلب الفاء نونا ولم يفطن الى المعنى المراد .

أما الابيات ١٥ الى ٢٣ فكلها مكسورة الوزن وكان عليه ان يشير الى انها غير موزونة إذا لم يستطع بيان وجه الصحة فيها ، ولعله يظن أنهـــا صحيحة لا غبار عليها وانها واضحة المعنى وانه حقق وفحص ومحص ؟ ولذلك انقل هذه النماذج كما رسمها :

البيت ١٥ : لا تهني عليك بأني ضمن الساق قد يصح الضمان
البيت ١٩ : أو نزول السبطى من جبل الثلج ويضحى صحاريا لبنان
البيت ٢١ : أو آوى في الكتاب منك ثلاثا مدرجات لشدهن قران

مع ملاحظة ان الهامش في هذه الحالات يخلو من أي شرح أو تعليق . ونلاحظ ايضاً ان الجزء الأول من هذه القصيدة الذي ورد في المصادر المحققة صحيح موزون ، وان الجزء الاخير الذي اقتصر على «الموفقيات» فاسد مخطوء.

ق ٥٣ ب٢ رواه بهذا الشكل :

اذ تقولين عمرك الله هل شيئا   وان جـــل سوف يسليك عني

وزعم ان مصدره هو «البيان والتبيين» ١-١٨٢ واذا رجعت الى «البيان والتبيين» فلن تجد هذه الأخطاء فمن اين جاء بها ؟ وما اعراب (شيئا) هنا ؟ ولماذا شدد (يسليك) هل لافساد الوزن ؟ الرواية الصحيحة للبيت هي :

اذ تقولين عمرك الله هل شي   ء وان جل سوف يسليك عني

ان الأخ المحقق بحاجة الى اذن موسيقية حتى يقيم اوزان الشعر ، ويضع الهمزة المرفوعة في الشطر الثاني وليس الاول ويترك (يسليك) بلا تشديد ، فإن تشديد هذه الكلمة يخرجها من معاني الحب الى امور تتعلق بولادة الحيوان وسلامة الفصيل .

ق ٥٧ البيت :

حدث حديثك اذا تالّ بعينه   رجــــلا يظنك عالماً وأمينـا

قال في الهامش : (هكذا روي البيت في المخطوطة ولم اهتـــد لقراءة اخرى) وهذا هو التواضع الوحيد الذي نحمده له ونحمده عليه . والبيت فيه تصحيف وقراءته فيما احسب :

حدث حديثك اذ أتاك يقينه

وحسبي هذه التعليقات رغبة في الاختصار .

وبعد : فان التراث امانة والتحقيق مسؤولية ، والحرص على آداب العرب ولغة القرآن واجب كريم ، ومن هنا جاءت رغبتي في نشر هذا الكلام ، واظن ان شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ما زال بحاجة الى خدمة جديدة ، واظن ايضاً الواجب يدعوني ان انجز عملي الذي بدأته منذ سنوات في صنع « ديوان عبد الرحمن بن حسان الانصاري » .

وكان في نفسي ان اثني على عمل الأخ المحقق الدكتور سامي العاني ، فقد دأبت على ان اعزو الخير إلى أهله ، وان اخطاء الباحثين لا تحجب عني محاسن اعمالهم واخلاصهم في خدمة التراث العربي المجيد .

بغداد   الدكتور يحيى الجبوري

ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحنبلي : ولد سنة ١٢٧٠ ببلدة أشيقر من إقليم الوشم ، وهو من قبيلة بني زيد أهل شقراء ، قام برحلات متعددة الى الهند والاحساء والبصرة والزبير ، وكان شغوفاً بنقل ما يطلع عليه من الفوائد العلمية .

في ١١ صفر ١٣٤٢، انتقل الى مدينة عنيزة، وتوفي فيها في ٢٣ شوال ١٣٤٣ وقد تصدى الشيخ ابن عيسى لكتابة التاريخ . وكان مما كتبه :

١ – تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وانسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠ هـ – ١٣٤٠ هـ)

ولئن ذكر ابن عيسى –في مقدمة كتابه هذا– المصادر التي رجع اليها ، ان مصدرين مهمين لم يذكرهما ، وهما : تاريخ محمد الفاخري (١١٨٦ – ١٢٧٧) و«عنوان المجد » لابن بشر.

أشرف على طبعه وكتب مقدمته حمد الجاسر صاحب (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بالرياض .

طبع باكورة لأعمال الدار فكان الكتاب الأول من سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب »

بيروت ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م ، ٢٥ – ٢١٦ – ٢٤٤ – ٣٥٢ .

٢ – عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر والرابع عشر .

جمعه الشيخ ابراهيم ... أشرف على طبعه عبد الله بن خالد الحاتم– دمشق

المطبعة العمومية ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٩م،٥ - ١٢٧ - ٤ (منشورات مكتبة النهضة في الرياض) .

تحدث الشيخ حمد الجاسر عن هـذا الكتاب في مقدمته للكتاب السابق (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ...) فكان مما قال :

« تصدى الشيخ ابن عيسى لكتابة التاريخ فكان مما كتبه » :

١ - تتمة لكتاب ابن بشر (ينظر عثمان ابن بشر صاحب كتاب عنوان المجد)ألفها تنفيذاً لرغبة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- وسماها « عقد الدرر ... » وقد بدأ في السنة التي وقف الشيخ ابن بشر عندها سنة ١٢٦٨ ، ولكن النسخة التي وصلت الينا من هذه التتمة لا تذكر من حوادث القرن الرابع عشر سوى ما وقع في السنتين الأوليـين منه ... وتنتهي في سنة ١٣٠٣ .

ويقول عبد الله فلبي في مقدمـة كتابه « العربية السعودية » في وصف كتاب ابن عيسى هذا : « أما الجزء الثـاني فمنصب على أحلك أيام التاريخ الوهابي .والظاهر أن هذا الجزء الأخير صودر في أحد العهود المشرقة ، بقصد سدل الستار على فترة من التاريخ موصوفة بالعار ومشحونة بالمصائب ... » .

ابراهيم بن عبد العزيز السويّح النجدي . قاضي المقاطعة الشمالية (في العلا وتبوك وملحقاتها) :

١ - بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال .

ج ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٦٨ ، ٣ - ٩ - ٥٨١ ٣ -- ص .

ج ٢ القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتهـا ، ١٣٦٩ ، ٣ - ٥٩٤ - ٥٩٨ - ٦٠٧ .

يرد المؤلف بكتابه هذا على كتاب عبد الله بن علي القصيمي المسمى«هذي هي الأغلال» (ينظر عبد الله بن علي القصيمي) ،وقد ضمن الصفحات الأخيرة من كتابه قصيدة رائية :

ألا أيها الغمر الذي غرّه الكبرُ   تردّيتَ من عالٍ وناسبك القَعْرُ

ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الفرضي – المشرقي أصلاً ، المدني مولداً وداراً ، والحنبلي مذهباً والسلفي معتقداً :

١ – **العذب الفائض شرح عمدة الفارض** (على منظومة عمدة كل فارض في علم الوصايا والفرائض المعروفة بألفية الفرائض) الأصل للشيخ صالح بن حسن الأزهري الحنبلي من علماء القرن الثاني عشر . أولها :

قال الفقير صالحُ بن حسنِ الحمد لله الغنيّ المحسنِ

القاهرة ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ج ١، ٥ – ٢٢٦ – ٢٣١ ، ج ٢ ، ٣ – ٢٩٢ – ٢٩٦ .

في المقدمة : « ... وقد اعتنيت فيه بتحرير المذاهب الأربعة وما عليه الفتوى حسب الطاقة لأنه الأحسن للمقلدين في الجدوى » .

ابراهيم بن الشيخ عبد الله بن حمد آل عتيق بالاشتراك مع عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان:

١ – **هداية الطريق في رسائل آل عتيق** : الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٧٤ .

(آل عتيق : الشيخ حمد بن عتيق والشيخ سعد بن حمد بن عتيق) .

ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن – من علماء القصيم ، ولد سنة ١٣٣٤ ، من أهالي بريدة ، يعلم في إحدى مدارسها ويؤم في أحد مساجدها :

١ – **عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان** :

ط ٣ ، القاهرة ، مطابع الناشر العربي ١٣٧٧ / ١٩٥٨ ، ٤٢٠ ص .

ط ٤ ، القاهرة ، دار ممفيس للطباعة والتجارة ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ ، ٤ – ٤٨٦ + ٢ (طبع بنفقة حمد إبراهيم المهوّس صاحب مكتبة التوفيق بالرياض) .

وقع الفراغ من تأليفه سنة ١٣٥٩ .

من مؤلفاته المخطوطة : التاريخ المسمى «تذكرة أولي النهي والعرفان» يقع في ٤ مجلدات [طبع حديثاً] ورسالة في تحريم تبرج النساء ، ورسالة في وجوب الطاعة ولزوم الجماعة ، وقصائد كثيرة تقع في ديوان .

ابراهيم العلاف – ينظر إبراهيم خليل العلاف .

ابراهيم فلالي – ينظر إبراهيم هاشم فلالي .

ابراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان – عالم القصيم في زمانه وقاضي بريدة، ولد في بلد الرس سنة ١٢٧٥ أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن (حفيد محمد بن عبد الوهاب) المتوفى سنة ١٢٨٥ وابنه عبد المطلب المتوفى سنة ١٢٩٣ ... توفي سنة ١٣٥٣ :

١ – **كتاب منار السبيل في شرح الدليل** على مذهب الإمام المبجل أحمد ابن حنبل .

دمشق ، منشورات مؤسسة دار السلام ، ط دمشق ١٣٧٨ ، ٤٧٨ ص . (بنفقة الشيخ قاسم بن درويش فخرو) .

طبع على نسخة المؤلف التي كتبها بخطه سنة ١٣٢٢ وثلاث نسخ أخرى.

المتن للشيخ مرعى بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي ، توفي سنة ١٠٣٣ ودفن بالقاهرة . واسم الكتاب الكامل : دليل الطالب لنيل المطالب – في الفقه على مذهب احمد بن حنبل .

من مؤلفات إبراهيم . بن ضويان المخطوطة : رسالة في أنساب أهل نجد، وكشف النقاب في تراجم الأصحاب ، ورسالة مختصرة في التاريخ .

ابراهيم بن محمد الضبيعي : مع عبد الله بن محمد بن عبيد :

١ – **نصح وإرشاد** (الأمر بالمعروف ، تحريم المسكرات...)بالاشتراك مع عبد الله بن محمد بن عبيد .

الدمام ، مطابع شركة الخط ، د . ت ، ٢٤ ص .

٢ – ديوان ابن مشرف نشره بالاشتراك مع محمد العبد الله الحواس – يُنظر أحمد بن علي بن مشرف – .

ابراهيم الناصر :

ولد سنة ١٣٤٩ بمدينة الرياض (أما موطن أسرته فقرية جلاجل من أعمال إقليم سدير في أواسط نجد) حصل على الدراسة الابتدائية في العراق ثم

اتجه إلى الظهران فالتحق بالعمل في شركة الزيت العربية الامريكية بـأجر عامل يومي وبشركة مد الأنابيب (التابلاين) .

ثم التحق بوظائف حكومية آخرها سكرتارية وكيل وزارة التجارة والصناعة .

وفي نهاية عام ١٣٨٥ ترك العمل الحكومي والتحق ببنك الرياض — :

١ — **أرض بلا مصر** (قصص قصيرة) . الناشر : الدار السعودية للنشر بجدة . د . ط ، د . م ، ١٣٨٦ / ١٩٦٧ ، ٥ — ٩٥ — ٩٦ ص .

٢ — **أمهاتنا والنضال** (مجموعة قصص) ط ١ ، القاهرة ،مطبعة قاصد خير ، دار القومية العربية للثقافة والنشر ، ١٣٨٢ / ١٩٦٢ .

ط ٢ ، الرياض ، مطابع نجد التجارية ، ١٣٨٣ / ١٩٦٣ ، ٥ — ٧ ، ٩ — ١١ — ١٤٢ + ١ ص . الغلاف والرسوم الداخلية بريشة عبد الرحمن الشاعر (ينظر) .

من المقدمة : « لم أكن أطمع في إصدار طبعتين لكتاب واحد في فترة لم تكن لتزيد عن أشهر قلائل » .

الإهداء : إلى الطليعة الواعية من أبناء شعبنا العظيم ، الطليعة التي تمهد لبناء المستقبل ...

٣ — **ثقب في رداء الليل** (قصة طويلة) .

الناشر : دار القومية العربية للثقافة والنشر ، مطبعة المعرفة ، القاهرة د . ت ، ٣١٤ ص .

ابراهيم هاشم فلالي :

ولد بمكة سنة ١٣٢٤ وتخرج في المدرسة الصولتية وكتب ونشر وألف ثم نزح إلى القاهرة — رابطة الأدب الحديث — :

١ — **ألحاني** (شعر) .

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٠ (؟) طبع مرتين بدلالة المرصاد ج ٢ .

٢ — **اين نحن اليوم ؟**

القاهرة ، دار الكتاب العربي ، شركة استاندر للطباعة ، د . ت ١٠ —

١٣٢ + ٣ + ٣ + ٤ (محاضرات وأحاديث وبحوث وطنية وإسلامية) .

٣ – **رجالات الحجاز** :

القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٤٦ ، ١٨٠ ص . طبع مرتين .

٤ – **صبابة الكأس** (شعر – رباعيات) :

القاهرة ، دار الفكر الحديث ، مطبعة النيل ، ١٩٤٥ ، طبع مرتين .

٥ – **صدى الألحان** (شعر) :

القاهرة ، دار مصر للطباعة ١٩٥٣ (؟) طبع مرتين .

٦ – **عمر بن ابي ربيعة** :

القاهرة ، دار مصر للطباعة والنشر ، ١٣٧٤ = ١٩٥٥ ، ١٣ – ٧٥ – ٨٩ ص ص .

٧ – **لا رقّ في القرآن** :

القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ (؟) ، ٢٧٢ ص .

٨ – **المرصاد** (نقد للأدب الحجازي الحديث) :

في ثلاثة أجزاء ، صدر **الجزء الأول** في عدد خاص من أعداد مجلة المنهل لعبد القدوس الأنصاري .

ج ٢ ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ٧ – ٨٧ .

يتناول عدنان أسعد ، عبد الله الخطيب ، العامودي ، عبد السلام الساسي ، محمد سرور الصبان ، محمد حسن عواد ، أحمد الغزاوي ، عبد الوهاب آشي ، عبد الله عبد الجبار ، وحسن القرشي .

ويليه مرصاد المرصاد لعبد الله عبد الجبار من ص ٩٠ – ١٠٧ + ١ .

الجزء غير مؤرخ ولكن كلمة عبد الله عبد الجبار بتاريخ جمادى الاولى ١٣٧١ / فبراير ١٩٥٢ .

ويذكر الفلالي في ذيل آخر صفحة له أي ص ٨٧ : « لقد أنجزت الجزء الثاني من المرصاد منذ ثلاث سنوات بناء على تعجل القراء له . وأخذ أصوله الاستاذ الانصاري ليقوم بطبعه مثل الجزء الأول . وبقي لديه مدة عام ثم فاجأني برده ... » .

وكتب في « المقدمة التي لا بد منها » : « كان لمرصادنا الاول « فرقعة » صعق منها الذين وهنت أعصابهم حتى أصبحت لا تطيق كلمة الحق والصدق، واستنامت نفوسهم للمدح والإطراء حتى اطمأنت لذلك ... » .

ج ٣ – القاهرة ، المطبعة المنيرية ١٣٧٤ / ١٩٥٥ ، ٥ – ٧ – ١٥ – ١٦ – ٧٦ ص .

نقد على : محمد عمر رفيع ، أحمد سباعي ، عبد الله عبد الجبار ، أحمد محمد جمال ، محمد عمر توفيق ، عبد الله خطيب ، وأحمد عبد الغفور عطار .

٩ – **مع الشيطان** (مجموعة قصص) :

القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٣٧١ = ١٩٥١ (؟) ، ٥ – ٩ – ١١ – ٩٨ .

في المقدمة : « ... ولا يفوتني أن أقول للقارىء إن هذه الصور كتبت منذ أربع عشرة سنة ، وكان بعضها من وحي الحجاز وبعضها من وحي مصر.

وقال عبد الله عبد الجبار في مقدمته : « انها مقتبسة من صميم المجتمع ، منتزعة من واقع الحياة » .

من مخطوطات الفلالي : الاوراق الخضر (مجموعة رسائل غرامية) ، الالحان الجديدة (ديوان شعر) ، ديوان عمر بن أبي ربيعة (تحقيق) .

ابن بشر – ينظر عثمان بن بشر .

ابن عيسى – ينظر إبراهيم بن صالح بن عيسى .

ابن غنّام – ينظر حسين بن غنام .

ابن لعبون – ينظر حمد بن محمد بن ناصر .

ابن مشرف – ينظر أحمد بن علي بن مشرف .

ابن المقرّب – ينظر محمد بن [؟] علي بن مقرب .

ابو بكر جابر الجزائري :

مدرّس في الجامعة الإسلامية في المدينة ، ومدرّس في المسجد النبوي –:

١ – **حقوق المرأة في الاسلام** :

المدينة – مطبعة الدعوة ١٣٨٦ = ١٩٦٦ ، ٧ – ٤٤ – ٤٦ .

٢ – **لا إله إلا الله محمد رسول الله** :
مطبعة المدني ، ١٣٧٦ = ١٩٥٧ ، ٧ – ١١٤ – ١١٧ .
تاريخ المقدمة : المدينة المنورة في ٦ / ١ / ١٣٧٥ .
٣ – **منهاج المسلم** (كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات)
ط ١ ، المدينة ، ١٩٦٧ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٩ .
ابو بكر ابن محمد عارف خوقير .. الشيخ بالمسجد الحرام ، توفي سنة ١٣٤٩ .
١ – **فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال** :
القاهرة ، المنار ، ١٣٣٤ ، (قبل الحكم السعودي في الحجاز) ٧٢ ص .
٢ – **ما لا بد منه في أمور الدين على طريقة السلف الصالح ومذهب الإمام أحمد** :
القاهرة ، التمدن ، ١٣٣٢ (قبل الحكم السعودي في الحجاز) ٨٨ ص .
٣ – **مختصر في فقه الإمام احمد** :
دمشق ، المطبعة المنيرية ، ١٣٤٩ ، ٤٠ ص .
ابو تراب الظاهري :
عبد الجميل بن عبد الحق ، ولد سنة ١٣٤٣ ، تلقى دراسته الأولى على جده وأبيه ، يحمل الدبلوم في الدراسات الإسلامية والليسانس في اللغة العربية. درس في الازهر ولما قدم الى المملكة تصدى للتدريس بالمسجد الحرام ولازم مكتبة الحرم المكي ونسخ عدة كتب – وهو كلِفٌ بنساخة الكتب النادرة ، مولع بغريب اللغة . (ينظر عنه مجلة العرب ، العدد ١١ ، السنة الرابعة ١٣٩٠ = ١٩٧٠) .
كتب القسم الثالث من « **التحقيقات المعدّة بحمية بضم جيم جدة** » ص ٨٧ – ١٣٨ ص ص – ينظر عبد القدوس الانصاري .
من مؤلفاته المخطوطة : الزرغة في قتل الوزغة (نشر قطعة منه في مجلة المنهل) ، اختلاف الفقهاء ، مقدمة كتاب « انتقاص الأعراض » ، معجم النحو ، ديوان « بث الكث في الغث والرث » ، الألفاظ في اللغة .
ابو السمح – ينظر عبد الظاهر .

ابو نبيل :

١ – كيف يسرقون نفط الخليج العربي :

بغداد ١٩٦١ ، ٥ – ٩ – ٨٠ + ٣ .

احد افاضل العلماء العاملين:

١ – الكتاب المجهول في العمل بما جاء به الرسول :

القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، ١٣٧٤ = ١٩٥٣ ، ٢٢٤ ص .

احمد ابراهيم الغزاوي :

ولد بمكة عام ١٣١٨ ، درس بالمسجد والمدارس الأهلية كالصولتية والفلاح.

شغل عدة وظائف في العهد الهاشمي منها رئاسة ديوان قاضي القضاة وسكرتارية مجلس شورى الخلافة .

وشغل عدة وظائف في العهد السعودي ، منها رئاسة ديوان القضاء من عام ١٣٤٤ ثم معاون مدير الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة ، وتولى التحرير في جريدة أم القرى وصوت الحجاز ومجلة الإصلاح . واختير أخيراً نائباً لرئيس مجلس الشورى .

يلقب بشاعر جلالة الملك ، لقبه بذلك الملك عبد العزيز عام ١٣٥١ .

شعره غزير لو طبع لكان في ديوان ضخم يبلغ ست مجلدات أو أكثر .

احمد جمال ـ ينظر أحمد محمد جمال .

احمد الحضراوي :

توفي سنة ١٣٢٧ .

١ – العقد الثمين في فضائل البلد الامين .

وبهامشه الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة الرسول .

مكة – المطبعة الميرية ، ١٣١٤ (قبل العهد السعودي) ٨١ ص .

ينظر كتاب دروس من ماضي التعليم ص ٢٧١ – ٢٧٢ ويجعل ولادته سنة ١٢٥٢ بالإسكندرية وقدم الى مكة وعمره سبع سنوات .

احمد الخطيب :

١ – إثبات الزين لصالح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين .

مكة – المطبعة الميرية ، ١٣١٥ (قبل العهد السعودي) ٢٢٠ ص .

٢ – إقناع النفوس بالحاق أوراق الأنوات بعملة الفلوس .

بيروت ، الأهلية ، ١٣٣٠ (ق . س) ٦ – ٥٠ ص .

٣ – حاشية النفحات على شرح الورقات :

القاهرة ، الميمنية ، ١٣٢٣ (ق . س) ١٧٤ ص .

٤ – روضة الحساب :

القاهرة ، الميمنية ، ١٣١٠ (ق . س) ١٧٦ ص .

احمد بن خليفة العيوني – ينظر علي ... بن المقرب .

احمد رضا حوحو :

كاتب جزائري ولد سنة ١٣٣٠ وأسهم في الحركة الأدبية في الحجاز ، يجيد اللغة الفرنسية ويترجم عنها ، وله مكانة خاصة في تاريخ القصة .

اشتغل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة ومحرراً لمجلة المنهل.

وفي سنة ١٣٦١ عين مترجماً بمديرية البرق والبريد العامة .

مما نشر في المنهل « أدباء المظهر » في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٥٨.

١ – غادة أم القرى :

وهي قصة اجتماعية تدور حوادثها في الحجاز . ذكرها عدد « المنهل » الفضي على أنها من الكتب السعودية .

تونس ، مطبعة التليلي ، ١٩٤٧ ، ٧٤ ص .

٢ – صاحب الوحي وقصص أخرى .

بدلالة مجلة المنهل رجب ١٣٧٤ = مارس ١٩٥٥ ، وفيه « ... مؤلفها الاستاذ أحمد ... الذي كان سكرتير تحرير هذه المجلة إبان نشأتها . كتب هذه الاقاصيص في فترات متباعدة .. من صميم الواقع .. يهدف الى الإصلاح. من أروع القصص : صاحب الوحي ، وفتاة أحلامي ، وثري الحرب ، وأدباء المظهر » .

٣ – نماذج بشرية – ذكره « المنهل الفضي » في قائمة الكتب السعودية .

من مخطوطاته : في الأدب والاجتماع ، عشر سنوات في الحجاز – ينظر كتاب « ماذا في الحجاز » لأحمد محمد جمال ، وهو يضيف الى المخطوطات :

كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري

كتاب « الأوائل » لأبي هلال العسكري ، أحد كبار الأدباء ، المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري ، من أوفى المؤلفات وأقدمها في موضوعه . وقد قام بنشره الأستاذ السيد أسعد الطرابزوني الحسيني مدير الجوازات والجنسية في المدينة عن مخطوطتين ، وتولى تحقيقه الاستاذ محمد السيد الوكيل مدرّس اللغة العربية في معهد المعلمين في المدينة المنورة . وجاء الكتاب في ٣٥١ صفحة . وموضوع الكتاب تاريخي ، كأن يقول : أول من فعل كذا فلان .

ولا تقتصر قيمة هذا الكتاب على موضوعه بل تتعدّاه إلى أمور أخرى منها :

١ – إيراد نصوص تاريخية وأدبية من مؤلفات لكبار متقدمي المؤرخين والأدباء كالواقدي وعمر بن شبة وابن دريد وثعلب والجاحظ وغيرهم . والكتاب مملوء بما هو من هذا القبيل ، بل تلك مادّته .

« أدباء المظهر وقصص أخرى » . وقد رأينا « أدباء المظهر » في « صاحب الوحي وقصص أخرى .

وقالت مجلة المنهل ١٣٧٣ = ١٩٥٣ : « غادة أم القرى ، قصة . ليس الاستاذ أحمد رضا حوحو بالمجهول ... ثم عاد الى وطنه الأول الجزائر فعمل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكتاباه غادة أم القرى ، ومع حمار الحكيم كتابا قصة ممتعة تستهدف الاصلاح الاجتماعي » .

استشهد أحمد رضا حوحو في الثورة الجزائرية على فرنسا .

– للبحث صلة –

بغداد – كلية الآداب

علي جواد الطاهر

٢ ـ الاستطراد بذكر نصوص لغوية، أو لهجات أو أمثال. ومن أمثلة ذلك ما جاء في الصفحة ١٨٠ : ; لتأكُلان وإلا قتلتكُما. وقال لأحدهما وكان اسمه مَرْقَمَة : كُلْ. فأبى، فضربه فأبان رأسه. فقال الآخر: طاحَ مرقمة. فقال: وأنت إن لَمْ تلْقَمَهْ. أراد: إن لم تلقَمْها، فلما ترَكَ الألِفَ ألقى الفتحة على الميم كما قالوا: ويْل امّ الحيرة، وأبي رِجَالٍ بَهْ. أي بها. انتهى. ولا تزال هذه اللهجة هي لهجة أكثر أهل القَصيم.

٣ ـ نَقْد أقوال بعض المتقدمين كما في الصفحة الـ ٣٨ : (وغلط عمر بن شبّة في هذا الخبر في ثلاثة مواضع قال: المقتـول علقمـة بن المطلب. وهو عمر بن علقمة، وإنما زَلَّ لما سمع قول العباس: لئنْ نحنُ لم نثأرْ من القوم علقما. وإنما أراد: عمرو بن علقمة فلم يَستَقِمْ له البيت فــذكر علقمة اضطراراً. وقال: علقمة ابن أخت أبي طالب. وليست تعرف لأبي طالب أخت كانت عند المطلب بن عبد مناف. ثم قال: وقضى فيه الوليد وهو غلط، ولا يشك أهل الأخبار أنه قضى بالقسامــة، وأنها أول قسامة قُضِيَ بها).

٤ ـ ورود نصوص كثيرة في هــذا الكتاب من كتب أصبح أكثرها مفقوداً، والباقي منه على قلته اعتراه من التحريف والتصحيف مـا أعجم كثيراً من نصوصه، وحسبنا الاشارة الى مؤلف واحد من تلك المؤلفات هو « أخبار المدينة » لعمر بن شبّة.

وعمر بن شبّة روى منه العسكري في هذا الكتاب في أكثر من سبعين موضعاً (في الصفحات ٢٩ / ٦٩ / ٨٠ / ٨٢ / ٨٩ / ١٠٣ / ١١٥ / ١١٧ / ١٢١ / ١٢٣ / ١٢٤ / ١٣١ / ١٣٣ / ١٤٣ / ١٤٥ / ١٤٦ / ١٤٧ / ١٤٨ / ١٦١ / ١٦٢ / ١٦٧ / ١٦٨ / ١٧١ / ١٧٣ / ١٧٤ / ١٧٦ / ١٨١ / ١٨٢ / ١٨٥ / ١٨٩ / ١٩٠ / ١٩٤ / ١٩٥ / ١٩٧ / ٢٠٥ / ٢٠٦ / ٢٢٥ / ٢٣٢ / ٢٤٠ / ٢٤١ / ٢٤٢ / ٢٤٣ مكرّراً / ٢٤٥ / ٢٤٦ / ٢٤٧ / ٢٥٠ / ٢٥١ / ٢٥٢ / ٢٥٤ / ٢٥٧ / ٢٨٥ أربع روايات / ٢٨٦ / ٢٨٧ / ٢٨٨ / ٢٩٠ / ٢٩٥ / ٢٩٦ / ٢٩٧ / ٣١٧ / ٣٢٢ / ٣٢٣ / ٣٤١). وفي أكثر المواضع يقول :

حدّثنا أبو زيد ـ وتلك كنية عمر . وهذه النصوص يمكن تقسيمها الى ما يلي :

أ ـ نصوص تتعلق بأخبار المدينة ومنها : تصرفه في الكلام قصداً : ٥٤ . نقله الكلام بالمعنى : ٤١ .

١ ـ ص ٢٩ ـ خبر يتعلق بقتل عثمان وله ترجمة مطولة في « أخبار المدينة » .

٢ ـ خبر يورد فيه ذكر إمارة مروان على المدينة (ص ٨٠) .

٣ ـ إغارة عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري على المدينة في عهد الرسول ﷺ (ص ٨٩) .

٤ ـ عن طلاء المسجد بالزعفران (ص ١٠٣) .

٥ ـ جمع ابي بكر القرآن ، وأبو بكر مترجم في « أخبار المدينة » غير ان الترجمة مفقودة من المخطوطة (ص ١١٥) .

٦ ـ يتعلق بولاية أبي بكر (ص ١١٧) .

٧ ـ تسمية عمر بأمير المؤمنين (ص ١٢١) وعمر مترجم في « أخبار المدينة » .

٨ ـ أمر عمر أُبَيّاً بالصلاة بالناس جماعة ليالي رمضان (ص ١٢٣) .

٩ ـ خبر نصر بن حجاج مع عمر (ص ١٢٤) .

١٠ ـ الجلد في شرب الخمر في عهد عمر ٨٠ (ص ١٣٠) .

١١ ـ المتعة في عهد عمر (١٣١) .

١٢ ـ أمهات الأولاد وحكم عمر فيهن (ص ١٣٢) .

١٣ ـ التكبير على الميت أربعاً في عهد عمر (ص ١٣٣) .

١٤ ـ صدقة عمر بماله ثمغ (ص ١٤٣) .

١٥ ـ حول عثمان بن عفان وهو مترجم في كتاب ابن شبة عن المدينة (ص ١٤٥) .

١٦ ـ خفض عثمان صوته بالتكبير (ص ١٤٦) .

١٧ ـ الأذان وتخليق المسجد (ص ١٤٧) .

١٨ – أول من صلى بعد الخطبة عثمان (ص ١٤٨) .
١٩ – في خلع عثمان (ص ١٦١) .
٢٠ – خطبة علي (ض) بعد قتل عثمان، وقد يكون من المفقود من «أخبار المدينة » (ص ١٦٢) .
٢١ – اتخذ علي (ض) بيتاً تلقى فيه القصص (ص ١٦٧) .
٢٢ – سرية عاصم بن أبي الأقلح (ص ١٦٩) .
٢٣ – سرية سعد بن أبي وقاص (ص ١٧٣) .
٢٤ – أول من دفن في البقيع (ص ١٧٤) .
٢٥ – الأذان للصلاة (ص ١٧٦) .
٢٦ – حول رمي المحصنات وهو في « أخبار المدينة » (ص ١٨١) .
٢٧ – استقبال الرسول ﷺ القبلة (ص ٨٨٢) .
٢٨ – تحريم الخمر (ص ١٨٤) .
٢٩ – اتخاذ المنبر لرسول الله ﷺ (ص ١٨٥) .
٣٠ – أول من أذن في المقصورة أبان بن عثمان (ص ٢٤٣) .
٣١ – امارة أبان في المدينة (ص ٢٤٤ / ٢٤٥) .
٣٢ – ضابىء البرجمي وعثمان (ص ٢٥٧ / ٢٥٨ / ٢٥٩) .
٣٣ – حول ولاية أبي بكر (ص ٢٨٥) .
٣٤ – أخبار عن عمر (ص ٢٨٦ / ٢٨٧ / ٢٨٨) .
٣٦ – القصص في المسجد (ص ٢٩٥) . والخبر موجود في «أخبار المدينة».
٣٨ – خبر الأفك (٣١٧) وهو في « أخبار المدينة »
٣٩ – حول مروان بن الحكم أمير المدينة (ص ٣٢٣) .

وأخبار تتعلق بالبصرة ، وابن شبّة له كتاب « امراء البصرة » أو « أخبار البصرة » وهذه الأخبار من ذلك الكتاب ، ومما ورد في كتاب « الأوائل » منها :

١ – قتل الزبير (ص ١٧١) .
٢ – حول استلحاق معاوية زياد بن أبيه (ص ١٩٧) .

٣ - أول من عرّف بالبصرة (ص ٢٣٢) .
٤ – زياد وامارة البصرة (٢٤٠ / ٢٤١ / ٢٤٢ / ٢٤٣) .
٥ – عبيد بن أبي بكرة (ص ٢٤٧) .
٦ – من أخبار مصعب بن الزبير (ص ٢٥٢ / ٢٥٣) .
٧ – من أخبار الحجاج (٢٠٦ / ٢٥٤ / ٢٥٠ / ٢٥٧ / ٢٥٨) .
٨ – أول قاض في البصرة (ص ٢٨٥) .
٩ – بلال بن أبي بردة والي البصرة (ص ٢٨٩ / ٢٩٠) .
١٠ – من أخبار زياد في البصرة (ص ٢٩٦ / ٢٩٧) .
١١ – عبد الله بن عباس في ولايته على البصرة (ص ٣٢٢) .

ولابن شبة كتاب عن الكوفة ، ومما أورده العسكري عنه متصلاً بهذه المدينة :

١ – اتخاذ علي بيت القصص (ص ١٦٧) .
٢ – يتعلق بتاريخ الكوفة (ص ٢٢٥) .
٣ – من أخبار المختار في الكوفة (ص ٢٥٠ / ٢٥٢) .
٤ – أول قاض في الكوفة (ص ٢٨٥) .

وهناك مؤلفات كثيرة لابن شبة في موضوعات منوعة ، وقد أورد العسكري عنه أخباراً منها :

١ – خبر عن مضر وأنه اول من حدا (ص ٦٩) .
٢ – خبر عن صلة الرسول ﷺ بخديجة (٩٠) .
٣ – ولاية العهد في زمن معاوية (١٨٨/١٨٩) .
٤ – خبران عن معاوية وخطبته جالساً (١٩٤) والسلام عليه (١٩٥) .
٥ – حول ولاية عبد الملك بن مروان (ص ٢٠٥) .
٦ – كرم عبيد الله بن عبد الله بن معمر (ص ٣٤٦) .
٧ – تعليم الجواري الغناء (ص ٢٤١) .

ولابن شبة كتاب في « أخبار مكة » نقل عنه ابن حجر في « الاصابة » ونقل عنه غيره .

وقد أورد العسكري في كتابه (ص٨٠) خبراً عن آل الزبير قد يكون من ذلك الكتاب أو من كتاب « أخبار المدينة » إذ ورد فيه ذكر مروان أميرها .

ويظهر أن المحقق الفاضل لم يكن لديه من الوقت ما مكنه من إيفاء هذا الأثر النفيس من تراثنا حقه من التحقيق . ولهذا فإن كل ما عمله المحقق هو : (١) النظر في المخطوطتين الموجودتين في المدينة من الكتاب ومقابلة النسخة التي طبع عنها عليهما . (٢) مراجعة قليل من الكتب أكثرها بعيد عن موضوع الكتاب (٣) إيضاح معاني بعض الكلمات العويصة المعنى ، حسبما ظهر له . وكثيراً ما قرأ اللفظ محرّفاً فجاء التفسير غير صحيح .

١ – كأن يقرأ : (رائد الرّبع) – ٣١١ – : رائد الرّبع ، ثم يفسر الربع بالمكان المرتفع . مع أن الرّبع – بالباء الموحدة التحتية – هو المنزل .

٢ – او أن يقول في خبر هرب عبد الله بن المعتز من المقتدر إلى البردان – ٣١١ – : البردان تثنية برد ، وهما غديران بنجد .. الخ. وأين ابن المعتز وبردان نجد ؟ إن البردان في الخبر موضع قرب بغداد ، ويدل على هذا بقية الخبر : (ثم جلس في زورق صيّاد فعاد إلى بغداد) .

٣ – أو أن يقول في تفسير النواعج من صفات الابل – ٣٤٥ – : (النواعج جمع ناعجة ، وهي الناقة السريعة التي يصاد عليها النعاج) .

٤ – أو أن يعرف الراحضة بقرب ذي قار في العراق – ٣٤٠ – بما جاء في « معجم البلدان » عن الرحضية (لا الرحيضة كما في المطبوع) التي في نجد بقرب المهد .

٥ – وفسر الغوطة – ٢٦٦ : (المكان المطمئن من الارض) مع أنها في هذا الموضع غوطة دمشق المعروفة .

٦ – ٢٦٤ : (كبس الازار) قال : الكبس الشدّ والضغط ، مع أن صواب الكلمة : (كميش الإزار) أي قصيره . وتفسير الازار في هذه الصفحة خطأ .

٧ – وفسر العلج – ٣٥٤ – : (الرجل الضخم) والمقصود هنا العجمي مطلقاً .

٨ – ٢٢٨ : (ووقتهم ناس من بهرة فانحازوا إليهم فدخل المسيّب بن نخبة بيتاً فسمع غناء الهزاوي) في هذه الجملة أخطاء – ١ – : (وقتهم) : وافقهم – ٢ – (بهرة) : بهراء . ٣ – (بن نخبة) : بن نجبـة ، بالجيم ٤ – (الهراوي) : البهراني .. والخبر يتعلق بوقعة في أطراف الشام، ولكن المحقق الفاضل قال في الحاشية : (بهرة أقصى ماء يلي قرقرى باليمامة) وأين اليمامة من الشام ؟! والصواب : بهراء قبيلة معروفة .

ولا داعي للاطالة بذكر ما هو من هذا القبيل ، ويكفي القول بأن المحقق الفاضل اعتذر – وله العذر – بصعوبة قراءة المخطوطة ، وأدرك : (أنه لا بد من هفوات يدركها ذوو البصائر والأمل التماس العذر ، فقد بذلت جهد استطاعتي ، وما قصرت في شيء استطيعه) كذا قال في المقدمة ، وما بخل من جاد بما يستطيع الجود به .

أما عن طبع الكتاب فقد كان سيّئاً حقاً باستثناء الورق ، فالحروف من نوع (الليتوتيب) كلها حتى العناوين ، ولا أثر للتشكيل مع وجود كثير من الكلمات الصعبة التي لا تقرأ قراءة صحيحة بدونه . ولا فهارس مفصلة للأعلام أو غيرها . ولعل محققه الأستاذ الفاضل لم يطلع على تجارب الطبع ، ولهذا جاء الكتاب مشحوناً بالأغلاط التي تحيل المعنى ، وتفسد كثيراً من النصوص . وقد يكون من تلك الأغلاط ما هو من الناسخ لصعوبة قراءة المخطوطة كما جاء في المقدمة ، وها هي بعض الأخطاء ، لعل في تصحيحها ما يفيد من يقتني هذه المطبوعة :

١ – ص ١٧ (أم قصي فاطمة بنت سعد بن شبل) . شبل : صوابه سيل – بالسين المهملة بعدها ياء مثناة تحتية .

٢ – ١٩ : (وأسباعها) : وأشياعها .

٣ – ١٩ : (العطاط) وفسرها المحقق : الشجاع (العظيم) . وكلاهما خطأ ، فصواب الكلمة (الغطاط) بالغين المعجمة .

٤ – ٢١ عن المطلب : (وهلك برفان) والصواب بردمان – بالميم لا بالفاء .

٥ – عن هاشم ص ٢٢ : (وسط عرّات) الصواب : (غزّات)وهي غزّة البلدة المعروفة وفيها مات هاشم .

٦ – ص ٢٤ و ٢٩٩ : (الرقاش) وهو الرقاشيُّ .

٧ – ٢٧ : (ابن أبي ظالم) : تحذف أبي .

٨ – ٢٧ : (تمارى) : يُمَاري .

٩ – ٢٧ : (أبي مكتوم) : أبي يكسوم .

١٠ – ٣٢ : (بكل ريح) : بكل ريع .

١١ – ٣٢ : (مطلياتها) : يَصْطليانِها .

١٢ – ٣٣ : (الأعمش) : الأعْشَى .

١٣ – ٣٧ : (لذيل الإنسان) : بالزاي لا بالذال .

١٤ – ٣٩ : (بمنساية) : بمَيْسانِيّةٍ .

١٥ – ٤٠ : (امته) : آمِنة .

١٦ – ٤٠ : (فليمنى) : فليلمني .

١٧ – ٤٠ : (اشتبهت) : أشْبَهْتِ .

١٨ – ٤١ : (وأسلم مسلم) : وأنشد مسلم .

١٩ – ٤٣ : (وقهوة مرة) : وقهوة مَزّة .

٢٠ – ٤٣ : (الحميدى) : الحِمْيَري .

٢١ – ٤٣ : (معصداً) : معصّباً .

٢٢ – ٤٤ : (الجلين) : المُحِلّين .

٢٣ – ٤٤ : (جزل الطمان) : جذل الطعان .

٢٤ – ٤٧ : (كتاب امر المدينة) : كتاب أمراء المدينة .

٢٥ – ٥١ (زمن القحطل) : زمن الفِطَحْل .

٢٦ – ٥٢ : (بحجر) : يحُجْر .

٢٧ – ٥٤ : (السابق اليزيدي) : سابق البربري .

٢٨ – ٥٤ : (اسم الذي) : باسم الذي .

٢٩ - ٥٤ : (زمام) : ذِمام.

٣٠ – ٥٦ : (ذكره عقده) : ذكروه عَقده .

٣١ – ٥٦ : (الحوز ... الحوزية) : الخَوز ... الخوزية .

٣٢ – ٥٦ : (واعلمني) : وأعلميني .

٣٣ – ٥٧ : (فقلت يا عز) : فقلت لها : يا عَزُّ .

٣٤ – ٥٧ : (لا أكليتها) : لا أكلتِيتُها .

٣٥ – ٥٧ : (اكثم بن حنفي) : أكثم بن صَيْفي .

٣٦ – ٥٧ : (الرياش) : الرياشي .

٣٧ – ٥٧ : (عن الهيثم عن عدي) : عن الهيثم بن عدي .

٣٨ – ٥٩ : (الأبرس) : الأبرش .

٣٩ – ٥٩ : (وأن نعت الفرس) : فإنْ نعت الفَرَس .

٤٠ – ٦٠ : (بالبرس) : بالبرش .

٤١ – ٦١ : (تفرق قلبنا) : تفرق قبلنا .

٤٢ – ٦٢ : (بالسيف بيهن) : بالسيف بَيْهَس .

٤٣ – ٦٣ : (عصبابتينا) وفي الحاشية : التبين طرف الثوب . وكلاهما خطأ والصواب : ثُبينا – بثاء مضمومة فباء مكسورة فياء تحتية فنون . والثبين : الجماعات .

٤٤ – ٦٤ : (وقنوع في السوح) : وقنع بالمسُوح – جمع مِسح .

٤٥ – ٦٤ : (مالك الأصبح) : مالك الأصبحي .

٤٦ – ٦٦ : (أورعته) : ادَّرعته . وفيها : (أصم علافي) : أحَمُّ عُلافيٌّ وفيها : (واعبس نهري) : وأعيس مَهْرِيٌّ .

٤٧ – ٦٧ : (لفصل شذوره) : تفصِّلُ شذوره .

٤٨ – ٦٧ : (فريد الحكم) : فرائد الحكم .

٤٩ – ٦٧ : (اسلم بن سلاه) : أسلم بن سدرة .

٥٠ – ٦٨ : (مداد ناضل) : مداد ناصل – بالصاد المهملة .

٥١ – ٦٩ : (نهب العتيد) : نهب العبيد .

٥٢ – ٦٩ : (عتيد اسم فرسه) : عبيد اسم فرسه .

٥٣ – ٧٠ : (فصاح : بايدي) : فصاح : يا يداه .

٥٤ – ٧١ : (لمعاهد الآلات) : لمعاهد الآلاف .

٥٥ – ٧١ : (ساق حزم حمام) : ساق حُرٍّ في حمام .

٥٦ – ٧١ : (ابر شعر) : ابر شهر .

٥٧ – ٧٢ : (أوتار هافقت) : أوتارها ، فشفت.

٥٨ – ٧٢ : (ابن يشار) : بشّار .

٥٩ – ٧٢ : (زيد وبكى) : زيد ، ويكنى .

٦٠ – ٧٤ : (ولحَ النعمان) : ولجَّ النعمان .

٦١ – ٧٤ : (بتخلية) : بتخليته .

٦٢ – ٧٥ : (لقد أثبت لك أحنة) : لقد أثبت لك أخيّةً .

٦٣ – ٧٥ : (ابن جندب) : ابن جندل .

٦٤ – ٧٦ : (بن نعيم) : بن يعمر .

٦٥ – ٧٦ : (تعتور) وفسرت في الحاشية خطأ والصواب : تغترّ .

٦٦ – ٧٦ : (نهلان) وفي الحاشية : (تهلان) وصوابها : ثهلان بالثاء المثلثة جبل في عالية نجد معروف .

٦٧ – ٧٧ : (جشعا) : خشعا .

٦٨ – ٧٨ : (جلبت) : جليت – بالياء المثناة التحتية .

٦٩ – ٨٢ : (ادرك رفاتك) : أدرك زمانك .

٧٠ – ٧٣ : (ودعك) : ما ودّعك .

٧١ – ٨٣ : (وداره) : وذراه .

٧٢ – ٨٣ : (أهل نجر) : أهل نجد .

٧٣ – ٨٤ : (يقدم إليه) : تقدم إليه .

٧٤ – ٨٤ : (فرثى أربد) فرثى لبيدُ أربد .

٧٥ – ٨٥ : (ابن شمام) : ابنا شمام .

٧٦ – ٨٥ : (يجوز وماذا) : يحور رماداً .

٧٧ – ٨٦ : (لا يراه الناس) : لا يراها الناس – وليس شعراً .

٧٨ – ٨٦ : (قالع) : قانع .

٧٩ – ٨٧ : (يحسدله) : يخذله .

٨٠ – ٩٠ : (أبو حيثمة) : أبو خيثمة .

٨١ – ٩٢ : (النضرية) : النضيرية .

٨٢ – ٩٣ : (فحر رسول الله) : فمّر رسول الله .

٨٣ – ٩٣ : (عتيبة بن أبي لهب) : عتبة بن أبي لهب .

٨٤ – ٩٤ : (عمرو الخزامي) : عمرو الجذامي .

٨٥ – ٩٤ : (لأبي أسعد) : لأبي أسَيْد .

٨٦ – ٩٥ : (مشربة أطرافها) : مشذّبة أطرافها .

٨٧ – ٩٥ : (محشى بن عمرو الصخري) : مخشيُّ بن عمرو الضمري .

٨٨ – ٩٥ : (بني صخرة) : بني ضمرة .

٨٩ – ٩٥ : (من حليها) : من جذيها .

٩٠ – ٩٦ : (الأتوان) : الأكوار .

٩١ – ٩٦ : (حصر أيديهم) : خصرت أيديهم .

٩٢ – ٩٦ : (معاذات أوسال) : قفاذات أوشالٍ .

٩٣ – ٩٧ : الحاشية (نخلة قرية قريبة من المدينة) هذا خطأ ، فنخلة واديان : اليمانيـــة والشامية ، وهما قريبان من مكة – لا المدينة – والوقعة في نخلة اليمانية ، كما هو معروف .

٩٤ – ٩٨ : (فاستجيب لهم) : فاستجيب له .

٩٥ – ٩٨ : (لأبي جهل صفيه) : لأبي جهل صفيّة .

٩٦ – ١٠٠ : (جراد رمته) : جراد زفته .

٩٧ – ١٠١ : (ابن فلما صلى) : ابن نيار ، فلما صلى .

٩٨ – ١٠٢ : (المثلى من رأس) : المثلة من رأي .

٩٩ – ١٠٢ : (المجدر بن زياد) : المجذَّر بن ذياد .

١٠٠ – ١٠٢ : (بابن المجدر) : بالمجذّر .

١٠١ – ١٠٣ : (عند صايغ) : عند صائغ .
١٠٢ – ١٠٣ : (فتحايشوا) وفسرت في الحاشية والكلمة والتفسير خطأ الصواب : (فتحايشوا) أي تجمعوا .
١٠٣ – ١٠٣ : (من خلاد الأرض) : من خلاء الأرض .
١٠٤ – ١٠٧ : (ابن يحيى المنفري) ابن يحيى المنقري .
١٠٥ – ١٠٨ : (اشرقوك بالسريق) : أشرقوك بالريق .
١٠٦ – ١٠٩ : (بغهاز البين) : تَغْماز التين – والحاشية خطأ .
١٠٧ – ١١٠ : (محضن الربا) : مَحْض الربا .
١٠٨ – ١١٠ : (نحو حويناها) : نحن حويناها .
١٠٩ – ١١١ : (عن حمد بن منيه) : حُمَيد بن منهب.
١١٠ – ١١٢ : (وطوراً عذرة) : وطوراً غدْرة .
١١١ – ١١٤ : (جرموذ) : جرموز .
١١٢ – ١١٤ : (لحمر است المرأة أحق بالحمر) : بِمِجْمَرٍ : أَسْتُ المرأة أحقُّ بالمِجْمَرِ .
١١٣ – ١١٦ : حاشية . لمحمد حسنين هيكل :هو محمد حسين هيكل .
١١٤ – ١١٧ : (ما يعنيه) : ما يغنيه .
١١٥ – ١١٧ : (قالوا لسنة) : قالوا : لِسنه .
١١٦ – ١١٧ : (وقره أبي سفيان) : وقرْ أبا سفيان .
١١٧ – ١١٨ : (مزورة) : مَرْزوَّة .
١١٨ – ١١٩ : في الحاشية (تيتل) : ثيتل – بالثاء المثلثة –.
١١٩ – ١٢٣ : (أرتي به النبي) : أُتِيَ به النبي .
١٢٠ – ١٢٦ : (أدنف من التميمي) : أدنف من المُتَمَنّْى .
١٢١ – ١٢٧ : (أريد وجها نصر) . أريد وجها : فَصِرْ .
١٢٢ – ١٢٨ : (حلة تحوية) : حلة هَجَريَّة .
١٢٣ – ١٢٩ : (واجلس مني) : فاجلسي مني .
١٢٤ – ١٢٩ : (ولا تمسكت) : ولا تمسُّك .

١٢٥ — ١٣١ : (أبو زيد الطائي) : أبو زبيد الطائي .

١٢٦ — ١٣٨ : (نفيع أبو بكر) : نفيع أبو بكرة .

١٢٧ — ١٣٩ : (ابن الأنبار) : ابن الأنباريّ .

١٢٨ — ١٤٠ : (لن يعوذكم) : لن يُعْوِزكم .

١٢٩ — ١٤١ : (لألقيت) : لأُلفيت .

١٣٠ — ١٤١ : (إلى قطانها) : إلى مظانها .

١٣١ — ١٤٢ : (عرف الدرهم) : عرق الدرهم .

١٣٢ — ١٤٢ : (بحر أبلة) : بحر أيلة ، وهي العقبة أما الأبلة فهي البصرة .

١٣٣ — ١٤٣ : (غزالتها بشآبيب) : عزاليها بشآبيب .

١٣٤ — ١٤٥ : (سعد بن زيد) : سعيد بن زيد .

١٣٥ — ١٤٦ : (رمى عرضه) : رمى غرضه .

١٣٦ — ١٥٢ : (وفي حياتي فما زودتني) : وفي حياتيَ ما زودتني .

١٣٧ — ١٥٤ : (عمار الذهني) : عمار الدُّهني .

١٣٨ — ١٥٤ : في الحاشية عن الرّبذة : (من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق) والصواب : على ثلاث ليال ، قريبة من طريق ذات عرق .

١٣٩ — ١٥٦ : (احد ولا عساه فينادمنا) الوزن والمعنى مختلان .

١٤٠ — ١٥٧ : (فتح حور واصطخر) : فتح جور واصطخر ، وهما من بلاد فارس ، وما في الحاشية خطأ .

١٤١ — ١٥٨ : (أرخان .. التين والطسبين) : أرّجان(؟) والطبسين .

١٤٢ — ١٥٨ : (من غير طائفة) : من غير طائفته .

١٤٣ — ١٥٩ : (حفر الكفاية) : خفر الكفاية .

١٤٤ — ١٥٩ : (كل تطاح) : كلُّ نطّاح .

١٤٥ — ١٦١ : (المعتز وأمه فتحة) : المعتز وأمّه قبيحة .

١٤٦ — ١٦٣ : (من الليل لا تعود) : مَن لليل لا تغور .

١٤٧ — ١٦٤ : (لحفر أبي مومى) : بحفر أبي موسى.

١٤٨ — ١٦٤ : (عمران بن حصين قد خلا): عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ، فدَخَلا .

١٤٩ — ١٦٤ : (حتى ترد شورى) : حتى يُرَدَّ شورى .

١٥٠ — ١٦٦ : (فصعصعة ابن صومان) : فصعصعة بن صوحان .

١٥١ — ١٦٩ : (ابن أبي الأفلح) : ابن أبي الأقلح — بالقاف .

١٥٢ — ١٦٩ : (زيد بن الرشنة) : زيد بن الدثنة .

١٥٣ — ١٦٩ : (أتراس القوم) : (وتر عتابل) : وتر عنابل — أي شديد . (المعاول) : المعابل — جمع معبلة وهي النصل العريض الطويل . والحاشية خطأ .

١٥٤ — ١٧٠ : (بسطاس) : نسطاس .

١٥٥ — ١٧٠ (بني سحينة) : بني سخينة .

١٥٦ — ١٧٠ : (وكان يبعث عثمان) : وكان بعث عثمان .

١٥٧ — ١٧٢ : (ابن الأرث) : ابن الأرَتّ .

١٥٨ — ١٧٣ : (من انشى القرآن) : من أفشى القرآن .

١٥٩ — ١٧٣ : (نعدو مع رسول الله) : نغزو مع رسول الله .

١٦٠ — ١٧٣ : (فقرمان) : قزمان .

١٦١ — ١٧٤ : (سرفي القطامي) : شرقي بن القطامي .

١٦٢ — ١٧٦ : (نصرت بينهم) : نصرت نبيّهم .

١٦٣ — ١٧٧ : (والنغرات) : والنَّغمات .

١٦٤ — ١٧٧ : (ميران حيراني) : ميزان جيراني .

١٦٥ — ١٧٩ : (اخصفها بلهب) : اخصفها بهلبِ .

١٦٦ — ١٧٩ : (ابلال العرب) : آبل العرب .

١٦٧ — ١٨٠ : (وأنت إن تلقمه) : وأنت إن لم تلقَمه.

١٦٨ — ١٨٠ : (وأبى رجال به) : وأيُّ رِجالٍ بَهْ .

١٦٩ — ١٨٠ : (سلم فيه ومدره) : سلح فيه ومدره .

١٧٠ – ١٨٢ : (ارشح خمش) : أرسح ، أحمش

١٧١ – ١٨٤ : (مونة) : مؤنة .

١٧٢ – ١٨٤ : (مالك بن نافلة) : مالك بن زافلة .

١٧٣ – ١٨٥ : (فحن الجزع) : فحنّ الجذْع .

١٧٤ – ١٨٨ : (ابن أثال) : ابن أُثالٍ .

١٧٥ – ١٩٤ : (خنيس بن دجلة) : حبيش بن دجلة .

١٧٦ – ١٩٧ : (عن ابن يزيد عن حيان) : عن أبي زيد عن حيان .

١٧٧ – ٢٠١ : (ابن هواسة) : ابن هراسة .

١٧٨ – ٢٠٤ : (تجدي) : تُحذى

١٧٩ – ٢٠٤ : (حجرة) : حجر .

١٨٠ – ٢٠٥ : (وأما الذي حاولت) : وأُمُّ الذي حاولت .

١٨١ – ٢٠٥ : (أجدني بباب طبق: قال: افرج الله روعك) : بنات.. أفرخ .

١٨٢ – ٢٠٧ : (ززان فروخ) : زاذان فروخ .

١٨٣ – ٢٠٨ : (المحجرة) : المجمرة.

١٨٤ – ٢٠٨ : (الصوارة) : الصرارة . وفي الصفحة : (جواره وحرمه) والصواب : جواريه وحرمه .

١٨٥ – ٢١١ : (مسلم الخامر) : سلم الخاسر .

١٨٦ – ٢١١ : (بيت مسلم) : بيت سَلْمٍ .

١٨٧ – ٢١٤/٢١٥ : (يقفور) : نقفور .

١٨٨ – ٢١٤ : (أنا الشاة) : أنا الشّاه .

١٨٩ – ٢١٤ : في الحاشية تفسير الرُّخ هنا خطأ ، إذ المقصود أحد أحجار الشطرنج .

١٩٠ – ٢١٧ : (تموت بن المزرع) : يموت بن المزرع .

١٩١ – ٢١٧ : (فلما حازت المأمون) : فلما حاذت المأمون .

١٩٢ – ٢١٨ : (من ريع) وفسر في الحاشية بأنه التجمع والصواب (من زيغ) : وهو الضلال .

١٩٣ — ٢٢٢ : (فنزل شعاب من شعابها) : فنزل شعباً من شعابها .

١٩٤ — ٢٢٢ : (من ذريتكم) : من ذراريكم — كما في ص ١٦٥ — .

١٩٥ - ٢٢٣ : (أن حل سبيله) : أن خلّ سبيله .

١٩٦ — ٢٢٤ : (على مقدمة شريك) : على مقدمته شريك .

١٩٧ — ٢٢٤ : (يقدم إليه بذلك) : تقدم إليه بذلك .

١٩٨ — ٢٢٥ : (ذهبت غائلة) : ذهبت غائلته .

١٩٩ — ٢٢٥ : (صيحة مما كان) : صحبة مما كان .

٢٠٠ — ٢٢٥ : — الحاشية عن الفرع : قريبة من مكة : هي إلى المدينة أقرب .

٢٠١ — ٢٢٩ : (فور من قراقر إلى سرا) : فوّز من قرقر إلى سوى .

٢٠٢ — ٢٢٩ : — في الحاشية : (قراقر اسم واد في صحراء الدهناء) : هذا خطأ فالدهناء رمال لا أودية فيها . وقراقر واد يقع شمال الدهناء ويعرف الآن باسم وادي السرحان .

٢٠٣ — ٢٢٩ — : — الحاشية : (سرا : قرية على باب نهاوند) خطأ والصواب : سوى: موضع في طرف السماوة مما يلي الشام.

٢٠٤ — ٢٢٩ : (الجيش بكى) : الجبس بكى .

٢٠٥ — ٢٣٣ : (فتحايشوا عليه) : فتحابشوا عليـــه — والتّحبُّش التجمع — وتقدم مثل هذا والحاشية هنا خطأ .

٢٠٦ — ٢٣٣ : (أمر الحاكمين) : أمر الحكمين .

٢٠٧ — ٢٣٥ : (وتمنى إلى عبد العزيز) : وتنمى إلى عبد العزيز .

٢٠٧ — ٢٣٧ : (القيران) الكلمة وتفسيرها في الحاشية خطأ والصواب الغيران — جمع غار .

٢٠٨ — ٢٣٨ : (رفع الثياب) : رقع الثياب .

٢٠٩ — ٢٣٩ : (والتقري) : والنَقَرى .

٢١٠ — ٢٣٩ : (ثم أدعو الذين لا يعبـــأ الله بهم) : ثم أدعُ الذين لا يعبأ الله بهم .

٢١١ — ٢٤١ : (السودكي) : التبوذكي وهو لغة بيّاع السماد .
٢١٢ — ٢٤١ : (حارثة بن بدر العرائي) : هو الغـُداني
٢١٣ — ٢٤٢ : (قشر ما جاء به) : فسّر ما جاء به .
٢١٤ — ٢٤٢ : (شعبة بن المحسن الضبي) :
٢١٥ — ٢٤٣ : (أجزم) : أجذم .
٢١٦ — ٢٤٣ : (وكان أبان سحلا) : سَبْحلاً — أي طويلا .
٢١٧ — ٢٤٤ : (عند الحصار) : الحضار .
٢١٨ — ٢٤٤ : (الاعبس.. والجمع عبس) : الأعيس .. والجمع عيس .
٢١٩ — ٢٤٥ : (عن أبي يزيد عن هارون) : عن أبي زيد عن هارون.
٢٢٠ — ٢٤٥ : (حدثني الثوري) : حدثني التـَّوّزِيّ .
٢٢١ — ٢٤٦ : (لا زيادة بيننا) : لا زيارة بيننا .
٢٢٢ — ٢٤٧ : (احفظوا الى هذا الرجل) : احفظوا لي اسم هذا الرجل
٢٢٣ — ٢٤٧ : (سل في الخيل سيفه) : سنّ في الخيل سنة .
٢٢٤ — ٢٤٨ : (طلحة الأسدي) : طليحة الأسدي .
٢٢٥ — ٢٤٨ : (وان له لسيفا يسميه) : وان لك لسيفا تسميه .
٢٢٦ — ٢٤٩ : (حصن بحير) : حصن النُّجير .
٢٢٧ — ٢٥٠ : (أبي بكر الهزلي) : عن ابي بكر الهذلي .
٢٢٨ — ٢٥٠ : (احب الزنج وبنى) : صاحب الزنج بنى .
٢٢٩ — ٢٥١ : (قبرمتر) : قبرُ مُنْـثرٍ .
٢٣٠ — ٢٥٢ : (عن ابي البحتري) : عن أبي البختريّ .
٢٣١ — ٢٥٣ : (وكان مصعباً) : وكان مصعبُ .
٢٣٢ — ٢٥٥ : (أخز مليك) : أخزى ..
٢٣٣ — ٢٥٥ : (أرلا آرلا) : أزلّا آزلاّ .
٢٣٤ — ٢٥٧ : (شقه) : شقـّة .
٢٣٥ — ٢٥٩ : (ومن أنت من قوم) : ومن أنت ؟ قال : من قوم .
٢٣٦ — ٢٥٩ : (يزئر) : يزأر .

٢٣٧ – ٢٥٩ : (وطاقة واكفهرار) : وطلاقة واكفهرار .
٢٣٨ – ٢٥٩ : (افوهية) : القوهية .
٢٣٩ – ٢٥٩ : (لمحمد بن عمر التميمي) : لمحمد بن عمير التميمي [وهو محمد بن عمير بن حاجب بن زرارة «فرحة الأديب» ١٠١
٢٣٩ – ٢٦١ : (عن ساق سمرى) : عن ساق شمَّري
٢٤٠ – ٢٦١ : (كتغماز البسير) : كتغماز التبّين .
٢٤١ – ٢٦١ : (فزرت) : فُررت .
٢٤٢ – ٢٦١ : (كنانـة) : كنانته .
٢٤٣ – ٢٦٢ : (وصفركم) : وصعركم .
٢٤٤ – ٢٦٢ : (المسك الازفر) : المسك الأذفر .
٢٤٥ – ٢٦٦ : (مالك بن الزير) وأشار في الهامش إلى أن في كامل ابن الأثير : مالك بن الرَّيب . وهذا هو الصحيح ومالك معروف مشهور .
٢٤٦ – ٢٦٧ : (حذارية سفما) : خدارية سفعاء .
٢٤٧ – ٢٦٩ : (فلما أغنت عنهم) : فما أغنت عنهم .
٢٤٨ – ٢٧٠ : (حذق الخيل) : حذا الخيل .
٢٤٩ – ٢٧٠ : (أبو تماما) : أبو تمَّام .
٢٥٠ – ٢٧٤ : (فسماهم الزوار) : فسماهم الروَّاد .
٢٥١ – ٢٧٦ : (ولكن للشاعر كذبه) : ولكن الشاعر كُذَبَةُ .
٢٥٢ – ٢٧٨ : (أمية بن الأشكر) : بن الأسكر .
٢٥٣ – ٢٨٠ : (والمالك منك) : والمال منك
٢٥٤ – ٢٨٢ : (موسى السوى) : موشيّ الشـَّوى .
٢٥٥ – ٢٨٣ : (اللوم والعزل) : اللوم والعذل .
٢٥٧ – ٢٩٧ : (عدتها نهاره وثماره) :عهدتها تهارُه وتمارُه .
٢٥٦ – ٢٩٧ : (ففشحته فثحاً) وفي الهامش تعليق حولهـا والنـَّصُّ والتعليق غير صحيحين .
٢٥٨ – ٢٩٧ : (لا تجاوروا الله) : لا تجاروا الله .

٢٥٩ — ٢٩٨ : (عامر بن حمير) : عامر ، من حمير .

٢٦٠ — ٢٩٧ : (تميم بن مرة من قريش) : تيم بن مرة من قريش .

٢٦١ — ٢٩٩ : (والركن خطاء) : والزكن خطأ .

٢٦٢ — ٢٩٩ : (الرقاش) : الرقاشي — وتقدم مثله — .

٢٦٣ — ٣٠٠ : (فانتظم معانيها) : فانتظم معانيها .

٢٦٤ — ٣٠٢ : (وكان من فراهند .. بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نضر) : من فراهيد ، بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر) .

٢٦٥ — ٣٠٣ : (تقول : أقوى القبائل إذا جاءت قوة من الحيل) : تقول : أقوى الفاتل إذا جاءت قوة من الحبل .. الخ .

٢٦٦ — ٣١٣ : (قال : تحصفينها .. أول من خصفت):قال . تخفضينها .. أول من خفضت . والخفاض : الختان .

٢٦٨ — ٣٢٣ : (اذا يرفع .. فارتفع .. آية صَنَع) إذْ يَرفع .. فارتفعا .. أيَّة صَنَعًا .

٢٦٨ — ٣١٥ : (فانت قوم) : فأنت قَرْمٌ .

٢٦٩ — ٣١٦ : (والعناء يسرح) : والعناء يُبرِّح .

٢٧٠ — ٣١٧/٣١٨ : (صحنة بنت جحش) : حَمْنة بنت جحش .

٢٧١ — ٣١٨ : (ثم ركبت راحلة) : ثم ركبت راحلته .

٢٧١ — ٣١٩ : حاشية : (الربـاب: الأصحاب) . هذا خطأ والصواب : الرباب قبيلة معروفة .

٢٧٣ — ٣٢٠ : (شبيب بن ربعي) : شبث بن ربعي .

٢٧٤ — ٣٢١ : (غيث مزن) وفي الهامش : المزن سحاب ذو ماء . وهـذا خطأ فالكلمة : مرن من الأرنان وهو صوت الرعد ، أي غيث ذو رعد .

٢٧٥ — ٣٢١ : (الكذاب .. الجواب .. الحجاب) تلحق بهذه الكلمات الألف (الكذابا) الخ .

٢٧٦ — ٣٢٣ : (عن سباب بن خياط) : عن شباب خليفة بن خياط.
٢٧٧ — ٣٢٣ : (وكان بن قسوة) : وكان ابن فسوة — بالفاء — شاعر.
٢٧٨ — ٣٢٤ : (وكان أخو مروان) : وكان أخَوَا مَروان .
٢٧٩ — ٣٢٩ : (واتقية) : وأتـْقي .
٢٨٠ — ٣٢٩ : (ونشد الصرح) : وتشييد الصرح .
٢٨١ — ٣٣٤ : (قال العبثي) : قال العتبي .
٢٨٢ — ٣٣٦ : (الأشعر الجعفي) : الاسعر الجعفي .
٢٨٣ — ٣٣٦ : (خلل القبار) : خلل الغبار .
٢٨٤ — ٣٣٦ : (والحكمة بماشية) : والحكمة يمانية .
٢٨٥ — ٣٣٦ : (لابنة الحسن) : لابنة الخسّ .
٢٨٦ — ٣٣٨ : (بن زرعة الثعلبي) : بن زرعة التغلبي .
٢٨٧ — ٣٤١ : (العديل بن الفرج) : العديل بن الفرخ .
٢٨٨ — ٣٤١ : (يوحى من الشيطان) : يِوَحي من الشيطان .
٢٨٩ — ٣٤٤ : (فنزل في ضب) : فنزل في جنب
٢٩٠ — ٣٤٤ : (في خنب) : في جنب .
٢٩١ — ٣٤٤ : (لو تأنى من جاء) : لو بأبانين جاء .
٢٩٢ — ٣٤٤ : الحاشية (الأراقم أخبث الحيات) : خطأ فالأراقم هنا قبيلة من ربيعة قوم كليب معروفة .
٢٩٣ — ٣٤٤ : الحاشية (الخنب الهلاك) خطأ والصواب : جنب قبيلة قحطانية معروفة إلى هذا العهد .
٢٩٤ — ٣٤٤ : (وصف رام وقابض) :وصف رام وقانص .
٢٩٥ — ٣٤٤ : (خاوي المحترف) : خاوي المخترق .
٢٩٦ — ٣٤٥ : (على النسيب) : عن النسيب .
٢٩٧ — ٣٤٥ : (وابكا واستبكى) : وبكى واستبكى.
٢٩٨ — ٣٤٥ : حاشية (المحيل : الذي تجمعت فيه الأمطار) هذا خطأ فالطلل المحيل هو الذي مضى عليه حول بعد ارتحال سكانه
٢٩٩ — ٣٤٥ : (الطلل بالرحى) : الطلل بالوحيّ .
٣٠٠ — ٣٤٦ : (وصفت أمانتهم) : وضعفت أمانتهم .

حول بني خالد

كتب إلي الصديق النسابة ، فضيلة الأستاذ الشيخ حمد الحقيل كتاباً جاء فيه :

١ – بمطالعة مجلة العرب جزء ذي الحجة ١٣٩٠ في بحث الأنساب ، جاء فيه نقلاً عن ابن بسام أن آل ملوحي في عنيزة من بني خالد ، وحيث أن المستفيض أنهم من النواصر من بني تميم ، وذكر الشيخ أنه اتصل هاتفياً بالملوحي فأفاد جازماً أنهم من النواصر من تميم انتهى . وأقول كل انسان أعرف بنسبه من غيره في الغالب وأنا لم آت بشيء من عندي ، وانما نقلت كلام ابن بسام رحمه الله .

وقال الشيخ في كتابه : (وذكرتم أن الشيخ الملجي من بني خالد ، وقد ذكرنا في « كنز الأنساب» أنه قرشي اعتماداً على قوله هو في أرجوزة :

مَن مِن ذُنوبه اليه يلتجي عبد العزيز القرشي الملجي

وأقول: الشيخ الملجي ليس بنسابة وقد قال ما قال اعتماداً على ما اشتهر عند العامة من أن بني خالد ينسبون إلى خـــالد بن الوليد القرشي الصحابي الجليل ، وقد ذكر علماء النسب المتقدمون انقطاع نسبه رضي الله عنه . ولا شك أن الملجان الذين منهم الشيخ الملجي من بني خالد ، ولأستاذنا الجليل الشيخ حمد الحقيل أطيب تحية وأجزل شكر .

حول « تاج العروس »

جاء في التعليقات على « تاج العروس » المنشورة في « العرب » (ص٦٥٥) مع هذا نصه (١١ – ص ١٥ بجيزة الوادي في «المعجم» بجيرة الوادي . وفي كتاب « بلاد العرب » ص ٢٤٥ بِجَلْهة الوادي) وقد سقط عند الطبع بقية الكلام وهو : [وكذا في « معجم ما استعجم »ص١٠٩٥ وما فيالتاج له وجه من الصحة ، إذ الجيزة في اللغة جانب الوادي أما ما في « معجم البلدان » فيظهر أنه تصحيف .

وفي ص ٦٦٦ في الكلام على ذباب يضاف : (مع أن أبا هلال العسكري أورد بسنده إلى أبي زيد - عمر بن شبة - عن وهب بن جرير عن أبيه قال : سمعت الحسن يقول : جلس نفر من قريش فتذاكروا من أصيب منهم ببدر وقالوا : لو وجدنا رجلاً يقتل لنا محمدا ونجعل له ما يريد . ! فقال رجل : أنا جريء الصدر ، جيد الحديد ، جواد الشد ، أقتله ثم أهرب في أحد الغيران ، أعدو كما يعدو العير ، فأفلت - والعير الحمار الذكر - فجعل له أربعة رهط كل رجل منهم أوقية ، فخرج حتى أتى المدينة ، فنزل على ابن عم له وقال : جئت مسلماً ، فاطلع الله نبيّه على شأنه ،فبعث إلى الرجل: شدّ ضيفك وثاقاً وائتني به ، فجعل يقول : أهكذا تفعلون بمن تبع دينكم ؟ حتى أتى به النبي ﷺ فقال: له جئت مسلماً فقال: نعم ، كذبت -فقال: وقصّ عليه قصته فأنكر . فأمر رسول الله ﷺ فصلب على جبل بالمدينة ، يقال له ذباب ، وكان أول مصلوب بالمدينة بعد الهجرة [١]) . وهذا يؤيد ما جاء في « التاج » إذا كان صحيحاً .

تبالة

وجاء في البحث المتعلق بـ (خصائص بعض المدن والقرى)- ص ١٢ - المثل المتعلق بتبالة (أهون من تبالة على الحجاج) ولم يرد ذكر مثل آخر يتعلق بهذه البلدة ، يدل على كرم أهلها،وهو:(ما نزلت بطن تبالة لتحرم الأضياف) وقد ذكره السمعاني في كتاب « الأنساب » وذكره غيره ، أفلا تحسن الإشارة اليه ؟

وترية

ألا يحسن عند ذكرها الإشارة إلى أن البلدة هذه نسب اليها بعض العلماء مثل (التُّربيّ) الذي نقل عنه الهجري كما في كتاب « أبو علي الهجري » وقال عنه إنه فصيح من بني سلول ، من أهل النقيع . والهجري يجيد وصف تربة حين يقول: (تربة بلد مريف، من بلاد مريفة،وتربة أريف من غيرها).

بل هناك مغنٍّ ذكره الزمخشري في « أساس البلاغة » وقال عنه : التربي مغنٍ مكيّ ، ولعل أصله من بلدة تربة .

حسين بن أحمد

---

(١) « الأوائل » لابي هلال العسكري .ص٢٣٧

مكتبة العرب

[لا تتحدث "العرب" في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● – تاريخ الشيخ احمد المنقور

الشيخ احمد بن محمد المنقور من فقهاء أهل نجد، ومن أهل القرن الحادي عشر الهجري ، توفي سنة ١١٢٥ ، وهو من أوائل من عني بتدوين الحوادث المتعلقة بنجد بطريقة تتلاءم مع حالة عصره ، ومستوى ثقافته، وقد سجل ما سجل بلغة أقرب إلى اللغة العامية ، وعلى درجة كبيرة من السذاجة ، وعني أكثر ما عني بما يتعلق بحياته الخاصة، وقد سجل في مذكراته – أو في تاريخه اذا ما تجاوزنا في القول – حوادث وقعت فيما بين السنة ١٠٤٤ وسنة ١١٢٣ ،وجل ما سجله مما يتعلق بالحوادث العامة نقله ابن بشر وابن عيسى ، وميزة عمل الشيخ المنقور أنه من المحاولات الاولى كما يقول الدكتور الاستاذ عبد العزيز الخويطر في كتابة تاريخ لبلاد نجد ، وهذا ما دفع الدكتور الاستاذ عبد العزيز لنشر هذا التاريخ أو المذكرات التي تعتبر من الروافد لتاريخ نجد هي بحاجة إلى الدراسة والنشر ، ولقد كان عمل الدكتور الخويطر في نشر المذكرات عملا اضفى عليها قيمة كبيرة ، فأخرجها بحلة جميلة ، بحيث لم يدع أية ناحية من نواحي هذه المذكرات يتطلبها التحقيق إلا أوفاها حقها ، وإن هذا الاتجاه الذي سار عليه الدكتور الخويطر في دراسته لابن بشر ، ثم لمذكرات المنقور اتجاه حميد فضلا عما سيكون له من أثر في توجيه الناشئة لإحياء تاريخ بلادنا ، فانه ذو قيمة كبيرة في إحياء جانب كبير من تراثنا ، ومن أولى بالعناية بهذا الجانب من الدكتور عبد العزيز الخويطر ، واخوانه في جامعاتنا . لقد جاء تاريخ الشيخ المنقور في ١٠٨ صفحات بطباعة حسنة بحروف واضحة وورق صقيل ، غير أن كثيراً من الكلمات التي بحاجة

إلى الشكل الكامل برزت بدونه ، لأن الكتاب طبع بحروف (اللينوتيب) الخالية من الشكل .

● **فهرس المخطوطات بمكتبة محمد العبيكان :**

الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان رجل فاضل جليل القدر بما يتصف به من صفات الشهامة والكرم والنبل ، وقد شغل وظائف في الدولة مختلفة آخرها حينما كان سفيراً لبلادنا في السودان، وقبله في اليمن، وهو جمّاعة للكتب ، وأثناء إقامته في اليمن حصل مخطوطات بلغت ٢٢٧ كتابا ، متنوعة المعارف والعلوم ، فمن كتب التفسير إلى كتب الحديث ، وفي الفقه واصوله وفي التاريخ وفي اللغة والأدب ، وغير ذلك من مختلف العلوم ، ولقد أحسن صنعاً حين وضع لهذه المخطوطات فهرساً طبع في كراسة لطيفة في ٨٦ صفحة ، ولعل هذا الفهرس أول فهرس يوضع لمكتبة في بلادنا التي تحوي مكتبات تزخر بالمخطوطات ، ولكن الاستفادة منها قليلة لعدم وضع فهارس منظمة لها وقد نعود للحديث عن هذا الفهرس لنشير إلى بعض ما يحويه من نوادر المخطوطات .

● **العمدة المهرية :**

وشرع المجمع العلمي العربي بدمشق كما كان يعرف قديماً و (مجمع اللغة العربية بدمشق) الآن شرع في نشر سلسلة من الكتب تتعلق بعلوم البحر عند العرب ، ومما نشر كتاب « العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية » تأليف سليمان ابن أحمد المهري ، من الربابنة العرب المعروفين ، ويقع هذا الكتاب في ٣٣٠ صفحة ، قام بتحقيقه الأستاذ ابراهيم الخوري ، ورجع إلى نسخ خطية كثيرة ووضع الكتاب فهارس دقيقة .

● **المنهاج الفاخر :**

ونشر المجمع أيضاً كتاب « المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر » وهذا الكتاب للمهري المتقدم ذكره ، وقد حققه الأستاذ ابراهيم الخوري وجاء الكتاب في ٣٥٩ صفحة ، اخذت الفهارس منها اكثر من النصف ، وبذل المحقق الفاضل جهداً كبيراً بابراز هذا الكتاب والذي قبله بصورة حسنة .

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

٥٧
العرب
مجلة شهرية جامعة

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء التاسع – السنة الخامسة – ربيع الأول ١٣٩١ – ايار (مايو) ١٩٧١

مؤرخو نجد

من أهلها – ١ –

[كنت حدّثتُ طلاب الجـامعة في الرياض في الموسم الثقافي مساء السبت ٣ / ٧ / ١٣٧٩ عن مؤرخي نجد ، وقد رغب بعض القراء إعادة نشر ذلك الحديث ، وها هو بعد إضافة أشياء إليه]

تمهيـــد :

يقـولون : إن أسعد الشعوب هو الشعب الذي لا تاريخ له ، ويقصدون الشعب الذي لم تحدث فيه حوادث تستحق عناية المؤرخين، ولكن هذا القول لا ينطبق على سكان نجد ، ونقصد بكلمة – نجـد – مدلولها الاصطلاحي في عهدنا الحاضر ، الذي يشمل أكبر جـزء في جزيرة العرب ، فلقد كان هذا الجزء مسرحاً لكثير من الحوادث منذ أقدم عصور تاريخ العرب ، ولكن عناية المؤرخين به كانت ضعيفة ، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها :

١ – أن تاريخ الأمـة العربية – على وجه الإجمال – لم يدون إلا بعد ظهور الإسلام في القرن الثاني الهجري ، وهذه البلاد تكوّن الجزء الواسع من مهد العرب ، الذي فيه نشأوا ، ومنه انساحوا إلى أنحاء البلاد الأخرى شرقاً وشمالا ، قبل ظهور الاسلام بدهر طويل .

٢ – ومنها أن جل المؤرخين عنوا بتسجيل مـا له صلة بالحكومات من

الحوادث ، تزلفاً إليهـا ، وتقرباً منها ، وأهملوا ما عدا ذلك ، ومراكز الحكومات العربية — في عهود تدوين تاريخ العرب الحديث ، في العراق ، وفي الشام ، وفي مصر ، ولولا ما للحجاز من منزلة دينية في نفوس المؤرخين ، لما امتاز من حيث تدوين تاريخه عن صنوه هذا الجزء الذي نتحدث عنه .

٣ — وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنه لولا الأزرقي وأبو غسان شيخ ابن شبة وابن زبالة ، والطبري ، والفاسي ، والسمهودي ، وأمثال هؤلاء من المكيين والمدنيين لضاع تاريخ الحجاز ، لأن عدم نبوغ علماء في أي قطر من الأقطار البعيدة عن مراكز الحكومات، ممن يعنون بتدوين تاريخ قطرهم، في العهود الماضية، من الأسباب التي تجعل تاريخ ذلك القطر مجهولاً ، كحالة نجد، فنحن إذا استثنينا علماء ثلاثة أو اثنين من علماء الحديث كيحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمار (في القرن الأول الهجري) واستثنينا محمد بن إدريس بن أبي حفصة — الذي أشرت إليه في حديث سابق — لو استثنينا هؤلاء ، ثم استعرضنا ما بين أيدينا من كتب التاريخ منذ بدء تدوينها إلى القرن الحادي عشر الهجري ، لما وجدنا أية إثارة من علم تحملنا على الاعتقاد بقيام علماء في هذه البلاد فضلاً عن وجود مؤلفات تاريخية تعنى بتسجيل حوادثها .

ولقد قامت في نجد ، في ذلك العهد ، دويلات من أقواها :

١ — دولة الأخيضريين الطالبية التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ — ٣١٧ هـ) .

٢ — دولة القرامطة التي امتد حكمها من الاحساء إلى نجد في سنة ٣١٧ فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ — ٤٧٠ هـ) غير أن هاتين الدولتين باعتبارهما خارجتين على دولة الخلافة — الدولة العباسية — ولما أثر عن القرامطة من استهانة بحرمات الأماكن المقدسة ، فإن أخبار هاتين الدولتين لم تصل إلينا كاملة ، مع أن المتقدمين أشاروا إلى تصدي بعض المؤرخين لتدوين أخبارهما .

رحالة في القرن الخامس يصف نجدا :

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نستمع إلى رحالة اخترق نجداً في منتصف

القرن الخامس الهجري وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الجهل .

يقول ناصر خسرو علوي بأنه توجه من الطائف إلى نجد في ٢٣ ذي الحجة عام ٤٤٢ فمر بمكان يبعد عن الطائف ٢٥ فرسخاً فلبث خمسة عشر يوماً بين قوم لا حاكم لهم يعيشون على السرقة والقتل، ويسكون كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه ، غير أنه سلم بسبب الخفير الذي معه منهم ، ثم بلغ بلدة الافلاج بعد شهر من خروجه من الطائف ، فوجدها منقسمة إلى حزبين بينهما خصومة وعداوة ، ووجد أهلها جياعاً عراة جهلاء، وفقراء جداً ومع فقرهم وبؤسهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء ، وقد سلبوه ما معه من زاد ولباس ، وتركوا أثمن شيء يملكه وهو الكتب ، وهذا أبلغ دليل على سيطرة الجهل على أهل تلك الجهات. وقد أيس من الحياة لما بلغ هذه البلدة لأنه لا يتصور الخروج منها واجتياز مئتي فرسخ إلى البصرة كلها مهالك ومخاوف ، ولكنه استطاع بعد لأي أن يخرج وأن يصل إلى اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام ، كلها مشقة وعناء .

مصادر تاريخ نجد القديمة :

وبلاد بهذه الحالة من الجهل والفوضى ، لا مناص للباحث في تاريخها - في هذه الحقبة الطويلة من الزمن — منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الاسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري — من الرجوع إلى المصادر العامة للتاريخ العربي ، بعد أن يعييه البحث عن مؤلفات خاصة بهذه البلاد وسيجد في هذه المصادر مادة غزيرة عما كانت عليه (نجد) في العهود التي سبقت الاسلام ، عن أيام العرب ، وجلها وقع في نجد بين قبائل من سكانه ، وعن أخبار الشعراء الجاهليين ومواطنهم ، وأغلبهم من هذه البلاد ، وسيجد المؤرخ في دواوين أولئك الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم أشياء كثيرة مما يهم الباحث معرفتها ، وسيجد المؤرخ أيضاً نتفاً من أخبار نجد، مما له صلة بتعيين الولاة ، أو بصيانة طريق الحج ، أو بخروج بعض القبائل على الولاة ، أو بوفود بعض شعراء هذه البلاد على الخلفاء وما هو من هذا القبيل، غير أن كل ذلك يحتاج إلى الغربلة والتنسيق والترتيب بعد الدراسة العميقة. وكل ذلك أيضاً يمكن ارجاعه

إلى ما قبل القرن الرابع الهجري،وما بعد هذا القرن – وإلى القرن العاشر– لا نجد لهذا الاقليم الطويل العريض – فيما بين أيدينا من المؤلفات – إلا ما جاء عرضاً في الرحلات المعروفة – كرحلة ناصر خسرو ورحلة ابن المجاور ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة وكلها معروفة – وما جـاء في هذه الرحلات لا يروى غلة الباحث المؤرخ .

وهذا القول لا ينفي وجود بعض الاشارات التاريخية الموجزة ، التي تتعلق ببدء عمارة البلدان ، مستقاة من الوثائق الشرعية وصكوك ملكية العقارات ، بقيت تتناقلها الأيدي حتى وصلت إلى أول القرن الحادي عشر حيث بدأ تدوين التاريخ الذي وصل الينا عن هذه البلاد . لأننا نقرأ أخبار بدء تعمير بلدان عمرت في القرون الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة من الزمن ، فنجد فيما وصل الينا أن بلدة (التويم) عمرت في سنة ٧٠٠ و (حرمة) في سنة ٧٧٠ و « المجمعة » في سنة ٨٢٠ و (العيينة) في سنة ٨٥٠ ، ونجد من أخبار القرن العاشر – فيما وصل الينا لمحات قصيرة عن حياة بعض مشاهير علماء ذلك القرن من أهـــل هذه البلاد ، لما لتاريخ هاؤلاء من ارتباط بوثائق العقارات .

في القرن الحادي عشر :

ليس لدينا الآن – ما يمنع من القول بان بدء تدوين التاريخ في هذه البلاد لم يكن معروفاً قبل أول هذا القرن ، وان كنت أرجو أن يأتي اليوم الذي يغير هذا الرأي ، بالعثور على شيء من المؤلفات التاريخية ، غير أن التاريخ تدوين حقائق واقعة لا دخل للآمال فيه .

١ – أحمد بن بسام :

في القرن العاشر كانت مدينة (أشيقر) الواقعة في اقليم « الوشم » من أبرز مدن نجد وأشهرها من حيث كثرة العلماء الذين تولوا مناصب القضاء في مختلف أقاليم نجد ، ومن هاؤلاء عالم جليل القدر ، من أهل هذه المدينة ولد في آخر هذا القرن ، وتلقى العلم عن علماء بلده حتى بلغ مرتبة منه جعلت

سكان المدن الأخرى من نجد يتسابقون إلى اختياره لتولي الحكم بينهم ، ذلكم العالم هو الشيخ أحمد بن محمـــد بن عبد الله بن بسام بن منيف بن عساكر ابن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب ، الوهيبي التميمي ، أحد أجداد الأسرة المعروفة في نجد باسم (آل قاضي) من – آل بسام – المعروفين [١] .

مكث هذا العالم في بلدته حتى كانت سنة ١٠١٠ فانتقل إلى بلدة (القصب) قاضياً ، غير أنـه لم يمكث فيها عاماً كاملاً فقد طلب أهـل مدينة (ملهم) وكانت في ذلك العهد على جانب قوي من العمران وكثرة السكان طلبوا من الشيخ الانتقال اليهم ، ليتولى القضاء في بلدتهم ، فأجابهم الشيخ وبقي قاضياً في هذه المدينـــة حتى عام ١٠١٥ هـ حيث استقدمه أمير العيينة ، ابن معمّر إلى بلدته التي تعتبر في ذلك العهد أقوى مدينة في نجد ، ليتولى نشر العلم فيها فبقي فيها حتى توفي سنة ١٠٤٠ ، وكان من تلاميذ هذا العالم كثيرون تولوا القضاء في مدن نجد ، كالشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرفي قاضي العيينة المتوفي سنة ١٠٥٦ والشيخ سليمان بن علي المشرفي – جد الامام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – المتوفي في العيينة سنة ١٠٧٩ وغيرهما .

قام الشيخ ابن بسام بكتابة نبذة عن نجد تقع في كراس واحد وتتضمن تقييدات لأهم الحوادث التي وقعت في نجد في خلال ربع قرن من سنة ١٠١٥هـ إلى سنة ١٠٣٩ . وقد وصلت هذه النبذة إلى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى – الذي سأتحدث عنه – فكانت من مصادر تاريخه .

٢ – أحمد بن محمد المنقور :

وقرب وفاة الشيخ ابن بسام قام عالم جليل هو الشيخ أحمد بن محمد المنقور من بني منقر التميميين المعروفين بتأليف كتاب في تاريخ نجد ، ولكنه حاول أن يسجل حوادث سبقت عهده وعهد الشيخ ابن بسام ، فابتدأ من سنة ٩٤٥ – سنة وفاة الشيخ يحيى بن عطوة العالم المشهور في نجد – واستمر يدون الحوادث حتى ١١٢٥ – أي أنه سجل حوادث ١٨٠ سنة ، ولكننا حينما نقرأ وصف ابن عيسى لهذا التاريخ ، وانه يقع في كراس ونصف الكراس

نستطيع الجزم بأنه لا يعدو أن يكون مذكرات موجزة لما حدث في نجد في تلك المدة ، وللشيخ المنقور لدى فقهاء نجد شهرة كبيرة ، فهو من بيت علم توارث أفراده القضاء ، فكان منهم هذا العالم ، وابنه الشيخ ابراهيم قاضي الحوطة المتوفي سنة ١١٧٥ وغيرهما . ومن تآليف الشيخ المنقور كتاب في الفقه جمع فيه جملة من فتاوى فقهاء نجد وغيرهم من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر وسماه « المجموع فيما هو كثير الوقوع » وقد طبع ويقول ابن بشر « عنوان المجد » ـ ج١ ص ١٨٥، الطبعة الثانية ـ في ذكر حوادث سنة ١١٢٥ : (وفيها توفي الشيخ الفقيه أحمد بن محمد المنقور ، لست خلون من جمادى الأولى ، أخذ الفقه عن الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان ، وذكر أنه رحل اليه للقراءة خمس مرات .. وأكثر نقـله في مجموعه عن شيخه المذكور ، وأخذ عنه ابنه ابراهيم وغيره ، وكان فقيها ، وله دراية ، جمع كتاباً في الفقه ، من فتاوى أهل زمانه وغيرهم ، وحصل كتبا كثيرة بخطه). والشيخ ابن ذهلان هذا كان قاضياً في بلدة (مقرن) التي شملها اسم «الرياض» وقد توفي الشيخ المنقور قاضياً في بلدته (حوطة سدير) أما تاريخه فقد اطلع عليه الشيخ ابراهيم ابن عيسى ، واتخذه مصدراً من مصادر تاريخه .

وقد قام الدكتور عبد العزيز الخويطربنشر ما كتبه الشيخ المنقور بعنوان « تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور » بعـد ان صدره بدراسة عن المؤلف والمؤلف. وطبع الكتاب في الرياض سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠)

٣ ـ ابن يوسف

وهذ ممن عني بتدوين بعض الحوادث ، ويظهر أنه من ذوي المحـاولات الأولى في هذا المجال ، ومن أهل القرن الثاني عشر ، فقد جاء في « عنوان المجد » النسخة الخطية ، وليس كل الخبر في المطبوعة : (سابقة : وفي سنة سبع ومائة والف ظهر سعد بن زيد الشريف إلى نجد ونزل بلد أشيقر المعروف وحاصر أهلها، وطلب أن يخرج اليه الشيخ حسن بن عبدالله أبا حسين والشيخ محمد بن أحمد القُصَيّر العلماء المعروفين في أشيقر ، فخرجا اليه وحبسهم وكان ذلك في رمضـان ، في يوم احدى وعشرين منه .

قال ابن يوسف في تاريخه : فأفتى الشيخ الفقيه أحمد بن محمد القصيّر بالفطر في رمضان ، ويحصدون زروعهم خوفاً عليها من عدوهم) انتهى بنصه على ما فيه من أخطاء ولا أعرف عن ابن يوسف هذا سوى ما جاء في « تحفة المشتاق » لابن بسام حيث قال وهو يسرد اسماء مصادره : (وتاريخ ابن يوسف من أهل أشيقر ، وهو نحو عشر ورقات) وقال : (ثم دخلت سنة ١٠١١ فيها غزا الشريف أبو طالب إلى نجد ، ورجع دون ان يظفر بطائل ، ذكر ذلك ابن يوسف في تاريخه) .

٤ – عبدالله بن عُضيب :

الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن عُضيب ، من النواصر من بني عمرو من تميم ، كان من تلاميذ الشيخ احمد بن محمد القصير الاشيقري المتوفى سنة ١١١٤هـ وهو من أشهر قضاة عنيزة قال الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع (١٣٠٠/١٣٨٥) عنه : ولي قضاء عنيزة بطلب من أهلها وكان قبل ذلك في بلدة المِذْنب ، وهو الذي حفر لهم البئر العذبة التي يستقون منها، وقد توفي في (الضَّبَط) – من محلات مدينة عنيزة – وقبره معروف حتى اليوم في مقبرة الضبط ، وله ترجمة في « السحب الوابلة » ومذكور في « مجموع المنقور » وتولى قضاء عنيزة بعده تلميذه سليمان بن عبد الله بن زامل سنة ١١٦١ هـ . وذكر ابن عيسى أن الشيخ ابن عضيب توفي سنة ١١٦٠ أو ١١٦١ [٣] ، ورأيت في أوراق تتضمن تسجيل تواريخ بعض الحوادث في عنيزة انه توفي سنة ١١٦٤ – كما رأيت نسخة من كتاب « كشاف القناع » وكانت من كتب ابن حُميد صاحب « السحب الوابلة » بخط الشيخ ابن عضيب ، وكان جميلاً ، مما يدلُّ على مزاولته للنسخ .

أما لماذا أضفت اسمه إلى مؤرخي نجد فلأنني اطلعت على أوراق لدى الشيخ محمد الصالح المضيّان – المتوفى بمكة قبل عشر سنوات – جاء في أولها بعد البسملة : (تاريخ ابن عضيب رحمه الله : موتة الشيخ محمد بن اسماعيل سنة ١٠٥٩) وآخرها : (١١٥٣ قتلة الهميلي بن سابق ، وغرسة الجادّة) وجلُّ الحوادث تتعلق بعنيزة وما حولها وهي على قلتها وركاكة أسلوبها الذي

يشابه إلى حدّ كبير أسلوب المنقور تدل على أن الشيخ ابن عضيب يعتبر من ذوي المحاولات الأولى في تدوين تاريخ حوادث نجد .

وفي منتصف القرن الثاني عشر قام الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (١١١٦ / ١٢٠٦) بدعوته الإصلاحية، فكان من ثمار هذه الدعوة المباركة استقرار الأحوال في نجد ، وتوحيد أقاليمها تحت راية واحـــدة ، وزوال ما بين سكانها من احن واختلاف وشقاق ، على يد أنصار هذه الدعوة من ملوك (آل سعود) الأماجد ، وكان من أثر ذلـك انتشار العلم ، وقيـام بعض العلماء بتدوين تاريخ هذه الحركة الاصلاحية . ومن أشهر هؤلاء :

٥ – حسين بن غنام

كانت الاحساء منذ القرن العاشر مركزاً من مراكز العلم في الجزيرة ، يفد اليها الطلاب من نجد ومن سواحل الخليج العربي ليأخذوا عن علمائهـــا ، وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمـــد (١٢١٨ / ١٢٢٩) بلغت الدولة السعودية – في دورها الأول – أوجها من القوة ، وأصبحت عاصمة المملكة (الدرعية) مقصد طلاب العـلم ، ورواد الفضل ، من مختلف البلاد ، فرأى الإمام سعود (رحمه الله) أن هذه المدينة وإن كانت مركز الاشعاع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفيها أبناؤه العلماء ، إلا أنها بحاجة إلى علمـاء يقومون بتدريس علوم اللغة العربية ، فدعا عالم المبّرز وأديبهـــا الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي المذهب ، ليتولى ذلك ، فمكث في هذه المدينة بضع سنوات ، لا يقتصر على التدريس ، بل أخذ يدون تاريـــخ هذه الدعوة الإصلاحية ، مبتدئاً بوصف حالة البلاد الإسلامية ، من الناحية الدينية ، ابان قيام الشيخ محمد بدعوته الإصلاحية ، ثم بترجمة الشيخ وذكر طائفـــة من رسائله ومؤلفاته ، وخصص لذلك كتاباً سماه « روضة الأفكار والأفهـــام لمرتاد حال الإمام » ، ثم أتبعه بكتاب آخر ، جعله سجلاً للغزوات التي قام بها آل سعود في سبيل مناصرة هذه الدعوة ونشرهــــا ، وسماه « كتاب

الغزوات البيانية ، والفتوحات الربانية » ابتدأها من سنة انتقال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية في سنة ١١٥٨ ـ وانتهى في النسخة التي وصلت الينا من هذا التاريخ إلى سنة ١٢١٣ ـ أي قبل انتقال الحكم إلى الإمام سعود بخمس سنوات ، وقد عاش ابن غنام إلى سنة ١٢٢٥ في ذي الحجة ، ومن المستبعد أن يترك الشيخ ابن غنام اثنتي عشرة سنة (من ١٢١٣/ ١٢٢٥) دون أن يسجل حوادثها ، والنسخة التي وصلت الينا ـ سواء الأصول الخطية ، وكلها من مخطوطات القرن الثالث عشر ، أو المطبوعة ـ مبتورة بتراً واضحاً ، آخرها :

لقد عدمتني الكمت يوم مجالها ولا وسطت بي الجمع يوم التناضل
ولا أردت الأسْلُ الظماء (آخر ما وجد من التاريخ) ...

وقد جرى ابن غنام في كتابة تاريخه هذا على طريقة حاول بها أن يظهر براعته اللغوية ، فكتبه مسجوعاً مملاً ، وقصره على أنباء الحركة التي خصصه لتاريخها ، فكان أوفى سجل لها في خلال نصف قرن (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٢١٣) وهو أوثق مصدر عن حوادثها .

وفضلاً عما يتصف به ابن غنام من تمكنه من اللغة العربية هذا التمكن الذي حاول إبرازه بتاريخه الذي ضمنه كثيراً من شعره ، فإن له مؤلفات أخرى منها « العقد الثمين ، في أصول الدين » وكان من تلاميذه كبار علماء الدرعية في عهده كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، والشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد وغيرهما .

وقد عثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة ، أي سنة ١٣٤٩ ، ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة وان أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد للسجع الممل وان تاريخ ابن غنام سبق نشره وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع

التاريخ كاملاً ، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة ، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس وهو الذي حدثني عنها .

٦ – **محمد البسام** :

وهذا مؤرخ من نمط آخر ، هو محمد البسام التميمي الذي ألف كتاباً عن قبائل العرب في الجزيرة وما حولها قال في مقدمته : (هزّ معاطفي بعض الأصدقاء من أولي الأدب .. لضم شمل المتأخرين من قبائل العرب .. وسأذكر ما وجد اسمه .. وأوجز تشخيصهم وتعيينهم .. مع أني في تلك الأيام مشغول البديهة .. موكل بجزء من أجزاء الحكم) . وقد كتبه بأسلوب مسجوع مملّ وملأه بالمبالغات في الثناء ، مع أنـــه قال : (اعتزمت على تكميل هذه الكراريس بالابداع بالأراجيز والتجنيس ، فاعترض عليّ صاحبها الأجل ، وقال : (اقنع من الخرة بالخلّ ، ودع الميل إلى الاسجاع) وذكر أنه جعله (مسودّة فحال دون النظر فيه الاهتمام من صاحبه ، المقترح إيجاد فرائده وعجائبه) . أما هذا المقترح فهو المستر (ج. س. ريش J. c. rich) المتوفي في شيراز سنة ١٨٢١ م وكان ممثلاً لشركة الهند الشرقية الانجليزية في بغداد بين سنتي ١٨٠٨ و ١٨١٢ م ولهذا فإن تأليف الكتاب منسوب إليه كما جاء في طرته : (كتاب الدرر المفاخر ، في أخبار العرب الأواخر ، تأليف السيد السعيد ، فخر أقرانه ، وعمدة زمانه ، شهاب الملة العيساوية ، وقدوة الدولة الانقريزية ، مصطر ريك زرى دندبيك بهادر بغداد وبصرة الأرشد!!) وقد يكون هذا الكلام ليس كله للمؤلف ، وقد كتب ريش في طرة الكتاب (٢) باللغة الانجليزية انه من تأليف الشيخ محمد البسام من بني تميم سنة ١٨١٨ م – وها هو نص ما كتب :

An account of the Arabian Tribes as they exist at present drawn up for me from the best information by Sheikh Mohammed Al-Bessam, of the Beni Temim

Bagdad 1st 1818 -
CJR

إن موضوع الكتاب – كما ذكرنا – يتعلق بالقبائل ، وليس فيه كبير فائدةفهو يورد اسم القبيلة ويضفي عليهامن المدح ما يقتضيه تلاؤم السجع باسمها ، ويذ در في تعداد الرجالة (ويسميهم السقمان) وفرسانها ما هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، ولا يحاول ارجاعها إلى أصل قديم ، وإن حاول أتى بما هو خطأ كما فعل عند ذكر قبيلة العجمان حيث ذكر أنهم بقايا الجيش الذي أمدّ به كسرى سيف ابن ذي يزن لاسترجاع حكم اليمن ، ومثل هذه الخرافة وإن كان لها أصل عند بعض من ألف في الأنساب قبله إلا أنهاما لا يخفى بطلانه وفي الكتاب لمحات تاريخية على إيجازها تفيد المؤرخ ، كقصة غالية الفتاة البقمية [3] ، وعيث جيش ابراهيم باشا في قطع نخيل نجد [4] ، وغدر الغزاة بشيخ مشائخ حرب مسعود بن مضيّان ، وقتله بعد [5] تأمينه .

ويظهر أن في الكتاب نقصاً ، أو أن مؤلفه نسي أشياء أراد ذكرها فقد جاء في الورقة الـ ٤٩ (وأما العارض فالدرعية وهي مدينة ملك العرب على الاطلاق) وفي الهامش : (وسيأتي صفة الدرعية وأهلها وصورتها وعساكرها وأسماءهم) . ولكن لم يرد في الكتاب شيء من ذلك [6] .

ويفهم من تلك العبارة أن الكتاب ألف سنة ١٨١٨ م (١٢٣٣ هـ) وهي سنة استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية ، ويدل على ذلك عبارات وردت في مواضع من الكتاب فقد ذكر غزوة طوسون وهزيمته مفصلة وتلك وقعت سنة ١٢٣٠ ،ومدح السلطان محمود خان عبد الحميد الذي تولى السلطنة بين سنتي (١٢٢٣/١٢٥٥هـ)(١٨٠٨/١٨٣٩) وذكر حمود أبو مسمار الذي توفي سنة ١٢٣٣ وشملان شيخ خثعم ،الذي قتل سنة ١٢٣٠ ، وحاكم جبل شمر محمد آل علي وأنه امتنع من المجيء إلى ابراهيم باشا ، وأمير شقراء ، ابراهيم بن سدحان ، وهذا توفي سنة ١٢٣٠ وذكر أن دولة آل سعود – وهو يقصد الأولى – زالت على يد عبد الله بن سعود ، وقال : عن نفسه – في سياق خبر وقعة الخيف سنة ١٢٢٦ هـ : (فلقيه الوهابي بأربعين ألف مقاتل قال المؤلف : وأنا منهم) وقال – بعد ذكر استيلاء الغزاة على المدينـــة سنة ١٢٢٧ هـ (وحال هذا التاريخ أخذوا في سفرهم عشر سنين) يقصد جيوش محمد علي باشا .

ولا نعرف شيئاً عن المؤلف إلا ما جاء في هامش الورقة الـ ٣٤ : (شقراء ذات رمل ، وليست كثادق ولا شطره ، وأهلها أشد نجد تعصباً في دينهم ، وحاكمهم اسمه ابراهيم بن سدحان ، ثادق بلد خصّت بالرمل الذي لم يشاهد في بلد غيرها ، وهو أتلف شطرها ، والباقي على شفا جرف ، ثرمدا ذات رمال ، ولم يكن بنجد مدائن فيها رمل سوى هذه الثلاث ، وأعظمهن ثادق، فإن الدعوص به علوّ المنارة مرتين ، ثلاث ، وهي بلد المؤلف بعد الدرعية).

إن القول بأن ثادقاً هي بلدة المؤلف بعد انتقاله من الدرعية تبعث الشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى أحد من الأسرة البسّامية التي كان مهدها الأول أشيقر ، ثم استوطنت عنيزة ، ولا ينفي هذا انتقال بعض أفرادها إلى بعض قرى نجد كملهم والقرينة وغيرها . ولا أستبعد أن يكون محمد البسام الذي نسب اليه (ريش) تأليف هذا الكتاب قد كلف أحداً بهذا الأمر عند ما طلبت منه (ريش) ذلك .

٧ — ابن خنين :

٨ — ابن سلوم :

وقد عاصر قيام هذه الدعوة الإصلاحة من علماء نجد ، عالمان آخران هما راشد بن خنين التميمي النسب ، المالكي المذهب ، من أهل الخرج ، ومحمد بن علي بن سلوم الوهيبي ، التميمي ، من أهل العطار ، من سدير .

وقد وردت عبارات في المؤلفات التي وصلت إلينا ، تدل على أنهما عنيا بالتاريخ فقد ذكر ابن بشر في تاريخه أنه وجد لمحمد بن علي بن سلوم الفرضي الحنبلي إشارات لطيفة، في تتابع السنين ، ورسم وقائع كل سنة ، بما لا يفيد، ولا حقق تحقيقاً للوقائع ومواضعها ، ينتفع به المستفيد ، بلغ في ترسيماته إلى قرب موت عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨) .

وابن سلوم هذا انتقل من نجد إلى الاحساء ، ثم انتقل منه إلى (سوق الشيوخ) في العراق وتوفي هناك في شهر رمضان سنة ١٢٤٦ ، وله مؤلفات في علم الفرائض وغيره منها « شرح البرهانية » .

وأمـــا ابن ُخنين فقد أشار ابن عيسى في تاريخه إلى تاريخ له قائلاً : « ذكر راشد بن خنين في تاريخه أن المردة من بني حنيفة » غير أن ابن بشر – وهو قبل ابن عيسى ساق هذا بهذه الصيغة – (وقد رأيت نقلاً من كلام محمد بن سلوم أن قبيلة المردة من قبائل بكر بن وائل ، وذكر انه نقله من كلام راشد بن خنين قاضي الخرج) .

ومما تجب معرفته عن هذين الرجلين أنهما ممن شرق بالدعوة الاصلاحية التي قام بها الإمام المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فقـد ناوءاها مناوأة صريحة ، فأنشأ أولهما قصيدة (قافية) في معارضتها، وهرب الثاني من نجد عند انتشارها .

٩ – الفاخري :

وفي زمن يقرب من عهد ابن غنام في عام ١١٨٦ – ولد في بلدة التويم – من اقليم سدير الشيخ محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر – المعروف بالفاخري – المشرّفي الوهيبي التميمي ، ونشأ في بلدتـــه وتعلم فيها مباديء القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ، وقـد توفي أبوه عام ١٢٢٢ فانتقل بأهله إلى الاحساء في عام ١٢٢٨ ولكنه عاد بهم في سنة ١٢٣٥ إلى بلدة التويم ، ثم انتقل منها إلى بلدة (حرمة) فاستوطنها حتى توفي في ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٧٧ .

وقد تصدى الفاخري هذا لتقييد بعض الوقائع التاريخية من سنة ٨٥٠ حتى سنة وفاته غير متصل الحلقات، وقد يكون سجل شيئاً منها قبل ذلك غير أن التاريخ المنسوب إليه وجد ناقص الأول،وقد قام ابنه عمر بن محمد بإكمال تاريخ أبيه حتى سنة ١٢٨٨ ، بعد ذكر وقعة (البرة) في عهد عبد الله بن فيصل – رحمه الله – .

والفاخري في تدوين الوقائع يلتزم الإيجاز المخل ، ولا يتقيد بقواعد اللغة، غير أنه يحرص على أن يدون كل صغيرة وكبيرة تتعلق ببلده . ولا يزال كتابه مخطوطاً ، ويقع في أقل من مائة صفحة .

١٠ – ابن لعبون :

ومن بلدة (التويم) هذه قام عالم آخر بتأليف كتاب له صلة بموضوعنا يدعى « تاريخ ابن لعبون » . وابن لعبون هذا هو حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن ابراهيم بن حسين بن مدلج، الوائلي من آل مدلج أهل (التويم) و (حرمة) . وكل ما نعرفه عنه أنه نشأ في بلدته ، وتولى إمامة جامعها في فترات متقطعة .

وقد طلب منه الثري النجدي المعروف ضاحي بن محمد بن عون المدلجي (١١٨٦ – ١٢٦٠) أن يكتب له نسب قبيلته المسمين بآل مدلج ، (طلبا منه لحفظ الانساب ، وللمواصلة التي توجب الثواب) فقام بذلك معتمداً على ما تلقاه من أشياخ قبيلته ، وما وجده في وثائق العلماء ، وفي كتابه هذا فوائد تتعلق بأنساب بعض الأسر الشهيرة ، وإشارات موجزة إلى بعض حوادث قديمة لها صلة بتاريخ نجد ، ولكن مما يؤسف أن القسم المتعلق بنسب القبيلة التي ألف الكتاب من أجل ذكر نسبها لا يوجد في النسخة المطبوعة ، مع أنه موجود في بعض النسخ الخطية .

وقد عاش ابن لعبون هذا إلى سنة ١٢٥٥ وقد ذكر الأستاذ الشيخ خالد الفرج – رحمه الله – أنه تولى بيت المال في سدير للامامين سعود الكبير وابنه عبد الله ، وأنه والد الشاعر محمد بن حمد بن لعبون الذي قال عنه أنه ولد في (حرمة) . وكنت اعتماداً على نسخة مخطوطة من تاريخ ابن لعبون نفيت أن يكون الشاعر محمدبن حمد ابناً له لأن نص النسخة التي اطلعت عليها جاء فيها ما هذا نصه : (وولد حمد ثلاثة بنين زامل وناصر وعبدالله) غير أن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ذكر بأنه اطّلع على نسخة مخطوطة من تاريخ ابن لعبون وفيها ما يدل على ان الشاعر ابنٌ له ، وقد تحققت ذلك حينما اطّلعت على نسخة أخرى من ذلك التاريخ جاء فيها ما

نصه : (ولحمد بن ناصر ولد هو حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة ولحمد بن محمد كانت هذه الشجرة ثلاثة أولاد: محمد الشاعر المشهور المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥ وقت جلوتنا، وذلك أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لما ملك حرمة أمر بهدم بعض بيوتها، وقطع بعض نخيلها، وجلا بعض أهلها وذلك سنة ١١٩٣ وكان ممن جلا حمد بن محمد كاتب هذه الشجرة وعمه فراج وأولاده ، وسكنوا في القصب، ثم ارتحلوا منها إلى ثادق ، وولد الابن محمد بها كما ذكرنا ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخط ، وكان خطه فائقاً ، وتكلم الشعر في صغره ، ومدح عمر بن سعود بن عبد العزيز بقصائد كثيرة ، ثم سافر قاصداً بلد الزبير وهو ابن سبعة عشر سنة ، وصار نابغة وقته في الشعر ، وله أشعار مشهورة عند العامة ، نرجو الله يسامحه ، ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧ من الطاعون العظيم ... فيكون عمره ٤٢ سنة ، وليس له عقب رحمه الله، واخوته زامل وعبد الله ، ساكنان مع أبيهما في بلد التويم) انتهى .

أما سبب اختلاف النسخ فهذا راجع إلى العبث والتصرف في كثير منها ، وقد حدثني الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله أن في مكتبته نسخة من تاريخ ابن لعبون بخطه .

(للحديث صلة)

الحواشي :

(١) علق فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في جريدة البلاد تاريخ ١٠/٧/١٣٨٠ ، بما هذا نصه : ذكر الاستاذ المؤرخ الشيخ احمد بن بسام وذكر سلسلة نسبه المتداول بين الناس حتى قال : احد اجداد الاسرة المعروفة في نجد باسم ـ آل قاضي ـ من آل بسام المعروفين، والصواب ان الشيخ احمد بن بسام المذكور ليس جدا لآل قاضي، بل هو جد لاسرتنا (آل بسام) الموجودين في مدينة عنيزة والمنتشرين منها في داخل المملكة وخارجها لا يشارك هذه الاسرة بالانتساب الى هذا الشيخ احد ، فان جدنا الذي قدم الى عنيزة من بلدة حرمة هو حمد بن ابراهيم ابن عبدالله بن الشيخ احمد المذكور فليس بين جدنا القادم الى عنيزة وبين الشيخ احمد الا اثنان وهما ابوه ابراهيم وجده عبدالله ولا نعلم لأبراهيم غير حمد جدنا القادم لعنيزة ولا لعبدالله غير ابراهيم كما انه ليس للشيخ احمد غير ابنه عبدالله وليس بين الموجودين منا الآن وبين الشيخ احمد المذكور

الا سبعة آباء نحيط بمعرفتهم احاطة جيدة فليس لنا مشارك في هذه السلسلة المتصلة منه الينا .

وأقول : ان القضاة مما لا نجهل فضيلة الشيخ صلة نسبهم بآ ل بسام فجدهم الشيخ محمد بن أحمد ابن محمد بن منيف بن بسام بن منيف القاضي على ما ذكر الشيخ ابراهيم بن عيسى وصلة نسبهم بهذا القاضي ان احدهم وهو الشاعر المشهور محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذي هو الشيخ وملاحظة فضيلة الاستاذ في محلها وهو ان الشيخ الذي ينسب اليه آ ل بسام هو غير المؤرخ احمد بن محمد بن عبدالله، انه محمد بن احمد بن محمد بن منيف بن بسام والخلف سهل .

(٢) والنسخة هذه في المتحف البريطاني،ورقمها ٧٣٥٨ ، وتقع في ٥٩ ورقة – ١١٨ صفحة في الصفحة ١٢ سطراً تقارب كلمات السطر العشر والخط نسخي واضح مملوء بالاغلاط النحوية واللغوية والاملائية وفي بعض الهوامش حواش بالخط الفارسي وهذا هي محتويات هذه النسخة .

(٣) قال – بالنّص – (ومنهم البقوم ولكن الحاكمة عليهم امرأة اسمها غالية ، ذات رأي وتدبير ، وحزم وشجاعة ، لم يدركها أشد الرجال وهذه المرأة المذكورة في القلعة المسماة تُربة وأما بلدها فبلاد واسعة ارزاقها تأتيها من الطايف ومن مكة المشرفة ولما توجه اليها الملك المنصور السعيد السديد محمد على باشا أبت الطاعة والدخول تحت أمره ، فبعثت الى الوهابي ، تستنجده وتستعينه على مصادمة الوزير وتعرفه بهمته وعزمه وانه لا بد منازلهـا ، فبعث الوهابي اليها اخوه فيصل في اربعين الف وامره بحث عسكره من أهل الجنوب الماضي ذكرهم ، فلما قدم فيصل اليها بعدده ، فاذا هي في اتم التأهب ، ودخل فيصل البلد ومكث بها ثلاثـة أيام ، فإذا الوزير قادِمهُ بالف مقاتل وقرب بعضهم من بعض فقال فيصل : ما ترون في امرنا وتدبير حالنا هل نقدم عليه قبل قدومه علينا أم نصبرحتى يقدم هو ونعمل له المتاريس والخنادق ؟ فقالوا له رؤساء قومه : إن هذا الوزير نفسه طويل ويومه كسنته فلو مكثت اسبوعاً لم تشعر إلا وصوله

مثل عسكرك أضعافاً ، ولكن بادره ما لم يزل قليل العدد والمدد ، وأنت عسكرك في أربعين الف فأستحسن رأيهم فزمّم الوزير حتى صار عنه رمية البندق والخيل بينهم تتجاول فأركب الوزير أطوابه عليه عن قرب حتى أضرت بالوهابي مضرة ما يمكنه الصبر فيها فأشاروا عليه رؤساء عسكره أن يرحل من هذا الموضع العالي الى أنزل منه ويستكفي مضرة الاطـــواب فاستحسن رأيهم عن الضرورة فأمر خدامه فأنزلوا خيامه فلما بصُر العسكر بنزولها صاحوا صيحة كبرى وقالوا: وهابي انهزم ! وأقبلوا بعزم وطمع حتى خالطوه وأما عسكر الوهابي لما نظروا نزول الخيام وغـــارة العسكر أيقنوا ان فيصل قتل فكل ضرب واجهه من عسكره ولم يبق من عسكره المذكور الا عدد قليل فتوجه الى تربة قاصداً المرأة فلما علمت بذله ونصرة الروم عليه غلقت الأبواب دونه وأخذت ترميه بالبنادق والحراب ففر الى اخوه منهزماً وأما هي فاختلفت الأقوال عنها فقيـل : أنها أخذت مواثيقاً وعهوداً من الوزير على نفسها وملكها وما تملك من آ لة الحرب من خيل وركاب واسلحة وانه اعطاها على ذالك وبقيت ، والقول الآخر أنها لما انهزم فيصل وأيقنت بالقهر اخـذت ما عزّ وتوجهت الى بلد الوهابي المسماة بالدرعية والصحيح انها توجهت اليه وملك الوزير أرضهـا وديارها وأموالها وأما عدد عساكرها فسبعة عشر الف ولم يتبعها منهم أحد والله أعلم .

(٤) قال فى الكلام على نجد : ـ الورقة الـ ٣٥ ـ : (وأما المدائن وأشجارها فأوجدها أشجار النخيل التي لم يحاكيها مشرقاً أو مغرباً ، ولما قدمهـــا العزيز وخالفـوا أمره ، وانكروا طاعته أمر عساكره بقطع النخيل لعلمه أنهم لا يطيقون الصبر دونها ، فالذي قطـــع من الرّس خمسون الف نخلة ، وعلى النخلة الواحدة ريالين ، أبو طوب ، حتى لم يبق من عسكره من لم يجتهد في قطع النخيل لزيادة الطمع ، وقلة التعب ، قال المؤلف : حدثني بعض الحاضرين وقائمهم ان الرجل يقطع في الساعة الواحدة إلى ثمان نخلات ، وسبب ذلك أنهم متأهبين لها بآ لات من الحديد يطعنها به ، فيدخل في جذعها شبراً فيرتكي عليه بصدره ، ويستدير به عليها ويأخذه منها، فإذا حركها النسيم قليلا نزلت ، وعنيزة قطع منها ، والدرعية قطع منها جملة ثمانين الف نخـــلة واشجار الفواكه وغيرها من كل ما هو موجود على وجهها) انتهى على ما فيه من أخطأ .

(٥) قال : (فبقي مسعود بن مضيان في قصره محتصر حائر الأفكار فدعوه بلا أمان، وطلب الامان فامتنع الوزير وقام (ابراهيم نابرته) خال الوزير طوسون ـ وكتب له على لسان الوزير: إنك آمن . فأقبل ، وأكرمه الوزير اكراماً مفرطا، فلما انتهى الى ثلاثة أيام كل يوم أعظم إكراماً مما قبله ، فلما جاء نهار رابع أوثقوا قيوده ، وناقشوه في أفعاله ، فما أجاب بحسنى ولا سيئة . لمعرفته بالهلاك) .

(٦) وهذا نموذج من كلامه : (ومنهم بنو واهب . ذو الجرد السلاهب والبيض القواضب ، كبيرهم الفسُويه ، المنسوب الثناء اليه ، راجلهم عشرين الف راجـــل ، وفوارسهم ثلاثة آ لاف مقاتل ، أرهبوا أعداهم ، وبذلوا نداهم ، فسادوا الرجال ، ووصلوا الآمال ، وألفوا بين المتفرق وبذلوا فضلهم مغربا ومشرق) .

دراسة في قبيلة الأزد

تتجلى في الأنساب العربية ظواهر معينة ، يعتمد عليها معتمدون في رفض الأنساب عامة ، ويعتمد عليها آخرون في الطعن عليها ؛ ولكنها إن شابتها، وأدخلت عليها شيئاً من الاضطراب ، لا يصح أن نتخذ منها تكأة لهدم بناء [علم] الأنساب كله ، فالمدقق من الباحثين لا يجد فيه من الخلاف والاضطراب أكثر مما يجده في غيره من معارف اعتمدت في بقائها وتوارثها على الذاكرة ثم الكتابة اليدوية .

فقد كان بعض النسابين والمؤرخين يصرون على إيراد الأنساب كلها أوردوها كاملة ، وبعضهم يوردها كاملة في موضع الحديث عنهـا ويختصر منها أسماء عندما يوردها عرضاً اعتماداً على الشهرة ، وشيوع معرفتها في عصره . فأوقعت تلك الأنساب المختصرة بعض المطلعين عليها في الخطأ والاضطراب ، إذ خلط بين الإخوة والأبناء .

ومنح العرب بعض أعلامهم ألقاباً حازت من الشهرة في بعض الأحيان ما جعل أسماءهم الحـقّ تتوارى في الظلام ، وتغيب وراءه تماماً ، فيجهلها الناس أو يختلفون فيها ، فتتكاثر أقوالهم عنها وتتعارض .

وقد نرى شيئاً من ذلك في نسب الخليل ، وإن كنت أعتقد أنه أقل مما نراه في نسب غيره من الأعلام .

فنسّابو العرب يجمعون على رد اليمنيين جميعاً إلى فرعين كبيرين ينتسبان إلى سبأ بن يَشْجب بن يعرب بن قحطان ، هما حِمْيَرُ وكهلان ، ويكادون يهملون أبناء المذكورين الآخرين، والذين يبدو أنهم لم يكونوا من الأهمية بحيث يفرضون على العلماء العناية بهم .

وكان من سلالة كهلان رجل اختلف الناس في اسمه ، فقال ابن حزم في

« جمهرة أنساب العرب [١] » : أَوَد ، وقال النويري في « نهاية الأرب[٢] » : دِراء ، وقيل : دَرْء . وإن كان وقع اختلاف في الاسم فقد وقع اتفاق في اللقب ، إذ أجمعوا على أنه الأزْد . وقال أبو عبيدة : ويقال فيهم : الأسْد . وعلق الجوهري على ذلك قائلاً [٣] : وهو بالزاي أفصح . وأعتقد أن الرجلين يشيران إلى طريقتين كانتا شائعتين عند جماعات من أهل اليمن في النطق بالزاي.

ومرت أعوام ، وتناسل الأزد فأكثر ، حتى صار بنـــوه — في قول القلقشندي[٤] : « من أعظم الأحياء ، وأكثرها بطونا ، وأمدّها فروعا » . وتصدّق تلك الأقوال الأحداثُ الكبيرة في الجاهلية والإسلام ، وتؤيدها المراجع التاريخية والجغرافية والأدبية .

وكان الموطن الأصلي لبني الأزد مَأرِب [٥] ، ومن أهم مدن الشمال الشرقي لليمن ، وما حولها .

ويبدو أن جماعة من الأزديين أقامت في العراق منذ زمن بعيد . إذ تذكر أخبار التبابعة [٦] من ملوك اليمن أن تبعا أبا كرب خرج على رأس جيش كبير ليغزو ما طمع فيه من بلدان المشرق ، وكان في ذلك الجند فرق من الأزديين ، وعندما وصل الجيش إلى الحيرة ، خلّف الملك فيها مالك بن فهم مع جماعة من بني دَوْس الأزديين ، فكان مقامهم فيها ، أي ما بين الحيرة والأنبار وَهِيتْ ونواحيها وعـــين التمر وأطراف البراري : الغُمير ، والقطقطانة ، وخفيّة . ولكن الظلام والشك اللذين يحوطان التبابعة وتاريخهم ينسدلان على أخبار هذه الجماعة الأزدية ، وتاريخ هجرتها الحق إلى العراق[٧].

---

(١) ٣٣

(٢) ٢ : ٣١١ - ٢ . وقبله ابن الكلبي في « الجمهرة » انظر « المختصر » - ٨١ وفيـــه : (دِرْءٌ) . والحازمي في « العجالة » - ١٠ . وابن حزم ينقل عن « الجمهرة » بما يحمل على القول بأن ما في كتابه تحريف .

(٣) القلقشندي : نهاية الأرب ٩١ . (٤) نفس المرجع .

(٥) ابن الأثير : الكامل ١ : ٤٩١ (الطبعة الأوروبية) .

(٦) أبو عبيد البكري : معجم ما استعجم ٧٩ ، ٤ .

(٧) ولكن ابن حزم :«جمهرة أنساب العرب» ٣٥٨ ذكر أن مالك بن فهم كان يقيم بعمان .

وتمر أعوام ، فتضيق منطقة مأرب ببني الأزد ، بعد أن كثروا ، وساءت أحوال اليمن الاقتصادية لإهمال الزراعة ومشروعات الريّ ، فيضطر أكثرهم إلى النزوح عن موطنه والتشرد في الأنحاء المختلفة من شبه الجزيرة العربية ، هم وغيرهم من اليمنيين . وكانت هذه الهجرة من الضخامة ، وذات أثر بعيد في بلاد العرب كلها ، بحيث علقت ذكراها في عقول العرب جميعاً : جنوبيهم وشماليهم ، ولم تـُمْحَ أبداً . وارتبطت في أذهانهم بما عاصرها أو كان سبباً لها من تهدم سيل العَرِم . واتخذ الخيال العربيُّ من تلك الأحداث أساساً بنى عليه صرحاً من القصص الشعبي .

ويستنبط من الأخبار أن الأزديين انتشروا من مواطنهم ، واتسعوا فيما ينزلون من بقاع اليمن حتى جاوروا بني عَكٍّ . ولكنهم ما نزلوا بمكان إلا ضاق بهم ، إذ كانوا في وصف الهمداني لهم [1] : لا يمرون بماء إلا أنزفوه ، ولا بكلأ إلا سحقوه ، لما فيهم من العَدَد والعُدد والخيل والإبل والشاء والبقر وغيرها من أجناس السَّوام » .

وكان لا بد أن تنشب المعارك بينهم وبين السكان الأصليين للأماكن التي حلوا بها . فوقع القتال بينهم وبين غافق ، فتغلبوا عليها . ولكنهم عندما استقروا وتحقق أهل البلاد من عظم الأذى الذي حل بهم ، اجتمعت كلمة عكٍّ كلها على مقاتلتهم . فدارت الحرب بينهم سجالا ، وطال أمدها ، فرأى الأزد أن يتحولوا عن مواطن عك [2].

ويبدو أنهم اقتنعوا أنهم لن يستطيعوا أن ينزلوا مجتمعين في مكان ما . فانقسموا إلى مجموعتين ، سلكت كل منها طريقاً مستقلاً في هجرتها . وربما هاجرت مجموعة منها قبل أختها ، عندما رأت القتال في اليمن لا يخمد ، ثم

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢٠٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١ ص ١٣ البلاذري : فتوح البلدان ١٦ . البلاذري : صفة جزيرة العرب ٢٠٩ . وتختلف أقوالهم في المنتصر والمهزوم من الأزد وعك ، ويبدو أن كل واحد منهم يتحدث عن مرحلة مختلفة من الحرب بينهم .

أعقبتها المجموعة الأخرى بالهجرة ولكن في غير الطريق الذي سلكته المجموعة الأولى .

وكان أحد الطريقين غربياً ، انتهى بالمهاجرين إلى الشام ، والآخر شرقياً انتهى إلى الحيرة والأنبار ، ولكن المهاجرين لم يقطعوا الطريقين في سرعة ، ولا وصلوا إلى غايتهم دون خسائر. فقد أقاموا فيا راقهم من منازل وجدوها في طريقهم . فلم تلبث الخصومة أن نشبت بينهم وبين السكان القدامى ، واندلعت نيران الحرب. فاضطر المهاجرون الجدد إلى التحول إلى منزل جديد تاركين وراءهم جماعات منهم و أتاحت لها بعض العوامل البقاء .

وهكذا نجد في الطريق الغربي بني الحارث بن كعب ينزلون نجران (١) . وبني غامد وبارق ودوس وغيرهم من بني نصر بن الأزد يتخلفون في السراة(٢) وخزاعة في بطن مَرّ على مقربة من مكة (٣) ، والأوس والخزرج في يثرب (المدينة المنورة) (٤) . وينتهي الطريق بغسان في الشام(٥) .

ونجد في الطريق الشرقي بني جُديد يتخلفون في رَيسوت على ساحل الشحر بين عمان وعدن (٦) ، ويحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك ورئام في عمان(٧) ، وجماعة في هجر (٨) في البحرين(٩) وينتهي الطريق بدوس في الحيرة والأنبار (١٠).

---

(١) البلاذري ١٦ . الهمداني ١١٦ .
(٢) ابن هشام ١ : ١٤ . الهمداني ٤٩ ، ٧٠ ، ١١٨ — ٢٠٦ ،٢١ — ١١ . البلاذري ١٦ . البكري ١٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ٤٢٨ . ياقوت ٣ : ٦٦ .
(٣) ابن هشام ١ : ١٤ . ابن الأثير الكامل ١ : ٤٩٢ . الهمداني ٢١١ . البلاذري ١٧ .
(٤) ابن هشام ١ : ١٤ ابن الاثير ١ : ٤٩٢ البلاذري ١٦ .
(٥) ابن هشام ١ : ١٥ . ابن الأثير ١ ٤٩٢ . البلاذري ١٧ الهمداني ٢١١ .
(٦) الهمداني ٥١ ، ٢١١ .
(٧) الهمداني ٥٢ ، ٢١١ . ابن هشام ١ : ١٤ البلاذري ١٦ ، ٧٦ . البكري ٨٢،٤٦.
(٨) البكري ١٢ ، ٧٩ .
(٩) البكري ١٢ ، ٧٩ . ابن الأثير ١ : ٢٤٣ .
(١٠) الهمداني ٢١١ ، والبلاذري ١٦ . البكري ٤٧٩ . ابن الأثير ١ : ١٩٥ .

واختلطت القبائل الأزدية التي نزلت بشرق شبه الجزيرة العربية وبغربها بأهل البلاد الأصليين، وعاشوا معهم، رؤساء لهم في أماكن، ومرءوسين في أخرى. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل لحقت بهم في مواضعهم الجديدة هجرات أخرى من قبائل ترجع إلى أصول غير أصول الأهالي الأصليين ومن وفدوا عليهم من الأزد.

فاختلط أزد الغرب في السراة بقبائل يمنية خالصة مثل مذحج [١]: وقبائل تختلف في أصلها مثل خثعم، التي يدعيها النزاريون واليمنيون [٢]؛ وقبائل مضرية مثل نصر وجشم ابنى معاوية، وكلاب بن ربيعة، من هوازن من قيس عيلان [٣]. واختلطوا في مكة ببني جرهم وإسماعيل، وفي المدينة باليهود، وفي الشام بالرومان ومن حل فيه من قبائل العرب.

واختلط أزد الشرق بقبائل قضاعية مثل تيم اللات بن أسد في هجر [٤]، وجرم ونهد والقين في عمان [٥]، وقبائل نزارية مثل سامة بن لؤي من مضر في عمان [٦]، وإياد بن نزار، وسعد بن زيد مناة بن تميم، من مضر في عمان والبحرين [٧]، وعبد القيس وشَنّ من ربيعة في عمان والبحرين وهجر [٨]، وقبائل تختلف في أصلها مثل بجيلة في عمان والبحرين [٩].

وأجمل بعض الشعراء المنازل التي حل بها الأزديون في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، فقال [١٠]:

وأزْدٌ لها البَحْرانِ، والسيفُ كلُّه ... وأرضُ عُمانَ بعد أرضِ المشقَّرِ

هذا مجمل ما تعطينا الأخبار العربية عن الهجرات الأزدية خاصة من اليمن إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية. ولكن ليس بين أيدينا من الوثائق ما يمكننا

---

(١) البكري: ٩٠. (٢) البكري: ٩٠. (٣) البكري: ٦٦، ٩٠.
(٤) البكوي: ١٢. (٥) البكري ٤٥ – ٤٧.
(٦) البكري ٤٦ – ٤٨، ٨٢، ٨٩. (٧) البكري ٧٩، ٨٢، ٨٨.
(٨) البكري ٧٩، ٨٢. (٩) البكري ٦٠ – ٦١.
(١٠) الهمداني: صفة جزيرة العرب: ٢٠٦.

من التأكد من تواريخ حلول كل قبيلة من قبائل الأزد في الموطن الجديد الذي حلت به ، وهل وقع كل ذلك نتيجة هجرة واحدة أو هجرات عدة كانت في تواريخ متباعدة ، وإن كانت القصص العربية تميل إلى الفرض الأول .

وحاول بعض المؤلفين أن ييسر على قرائه، فصنف بني الأزد إلى فئات . فجعلهم الجوهري [1] في الصحاح ثلاث فئات : أزد شَنوءة ، وأزْد عُمان ، وأزد السَّراة . ولكن القلقشندي عقب على هذا التقسيم قائلاً [2] : « على أن صاحب لعبر ذكر أن شنوءة كانت منازلهم السراة . فيحتمل أنهم كانوا نازلين أيضاً بها مجاورين لأزد السراة »

واتسع ركندورف Rechendorf في التقسيم فقال في مادة « أزد » من دائرة المعارف الإسلامية : « وقد تفرع عن هذه القبيلة المتشعبة أربعة بطون هامة ، هي : ١ — أزد عمان ، وتنكر قريش انتساب أزد عمان إلى العرب. ٢ — أزد السراة في الجبال المعروفة بهذا الاسم في اليمن . ٣ — أزد شنوءة : كعب ... ونسبهم هو كعب بن الحارث ... وهم يعيشون أيضاً في السراة . وشنوءة اسم ناحيـــة باليمن . ويظهر أن هؤلاء هم في الحقيقة أزد السراة . ٤ — أزد غسان : مازن ، في شمال جزيرة العرب وفي بلاد الشام . وكان الأوس والخزرج في المدينة ، وخزاعة في مكة وما جاورها يعتبرون من الأزد أيضاً » . ولكن التحكم واضح في هذا التقسيم ، إذ أرغم أصحابه على استبعاد الأوس والخزرج وخزاعة ، ولعل سبب الاستبعاد اشتهار هذه القبائل بنفسها دون أن تحتاج لأن تنتسب إلى جدها ، ولا سبب لفصل أزد شنوءة عن أزد السراة ، وهما قبائل واحدة ، تنتمي إلى أصل واحد ، وتعيش في منطقة واحدة . فالسراة والحجاز يعم بها بعضهم الجبال الفاصلة بين نجـــد وتهامة والممتدة من اليمن إلى أطراف الشام ؛ ويخص بها بعضهم الآخر فيجعل الحجاز الجبال الشمالية ، والسراة الجبال التي بين صنعاء والطائف . ويقولون :

---

(١) مادة أزد . (٢) نهاية الأرب : ٩١ .

هي ثلاث سَرَوات ، أدناها من صنعاء سراة الأزد ، ووسطاها لبجيلة ، وأدناها من الطائف لثقيف وهذيل [1] .

وكان الأزديون عامة ودوس خاصة من عباد الأصنام في الجاهلية . ولم تصف المراجع القديمة من آلهتهم إلا ذا الخَلَصة ، الذي كان مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج ، فيما يقول ابن الكلبي [2] . وقال ركندورف إنهم كانوا من أهم عباد مَناة. ونعرف أسماء مجموعة أخرى من آلهتهم غير أننا لا نعرف صفاتها ، وهي ذو الكفين ، وذو الشَّرَى ، وعائم ، وباجَر [3] . وربما كانت هناك علاقة ما بين بعض آلهة دوس والزنا الذي كان غالباً عليها[4].

ولا عجب أن يكون الأزديون – وهم من اليمن ذات الحضارة الموغلة في القدم – أكثر من القبائل المجاورة لهم في مواطنهم الجديدة ميلاً إلى الاستقرار، وأخذا بأساليب التحضر ، وإقبالاً على الأعمـــال التي يأنف منها البدوي . فاشتغلوا في عُمان بصيد السمك ، وفي السراة بالحياكة ، وفي المدينة بالزراعة . وكان كثير من القبائل البدوية تحتقرهم وتسخر منهم ، بل بلـغ الأمر إلى أن نفى بعض القبائل أزد عمان من العروبة وعدّهم عجما [5] . ولعل ذلك ما جعلهم يؤثرون مجاورة اليهود في مزُون بعُمان ، ويثرب بالحجاز .

ولعل هذه الخصائص التي اجتمعت فيهم هي التي هلتهم للتغلب على السكان الأصلاء في المواطن الجديدة التي حلوا بها على الرغم من اضطرارهم إلى النزوح عن وطنهم، وإلى التشتت في أنحاء شبه الجزيرة. فصار آل الجُلُنْدَى سادة عمان ، وخزاعة سادة مكة مدة من الزمان ، والأوس والخزرج ما صارا بيثرب . وشيد الفساسنة إمارتهم بالشام .

وانفرد أزد السراة بظاهرتين : فقـــد غلب عليهم الميل إلى الغزل ،

---

(١) ابن رشيق : العمدة ١ : ٥٥ . وياقوت : معجم البلدان ٣ : ٦٦ .
(٢) الأصنام ٣٤ .
(٣) ابن هشام ١/٨٤، ٨٨ و٢ : ٢٤ . وابن الكلبي : الأصنام ٣٤ .
(٤) ابن هشام ١ : ٢٤ .
(٥) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ٣٨٢ ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة أزد .

وأقرُّوه فيهم . ولم يعودوا يأنفون منه أو يأبونه على رجالهم ونسائهم . وعرفوا بالفصاحة ، حتى عدّهم بعض العلماء من أفصح القبائل العربية . قال الخليل بن أحمد [١] : أفصح الناس أزد السراة . وقال أبو عمرو بن العلاء [٢]: أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات .

وللفصاحة هنا معنى خاص فسره المبرد حين قال [٣] : « كل عربي لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه . وإنما يقال : بنو فلان أفصح من بني فلان ، أي أشبَه لغةً بلغة القرآن ولغة قريش » . ولعل ذلك هو السبب في اختلاف النحويين في أي القبائل أفصح ، إذ اختلفوا في مدى قرب لغة كل منها من لغة القرآن ، وذلك أمر طبيعي لأنه لا يقوم على قياس مادي .

ولما كانت البعثة النبوية ودعا الرسول ﷺ إلى الإسلام ، كان الطفيل بن عمرو الدوسي ، أول من أسلم من بني الأزد . وكان ذلك منه قبل الهجرة ، بعد فشل مقاطعة قريش لبني هاشم . وعاد الطفيل إلى موطنه داعية إلى الإسلام فلم يؤمن به غير أهل بيته . فذهب إلى مكة والتقى بالرسول ﷺ ثانية وتزود منه . ثم عاد إلى قومه واستأنف دعوته . فاستطاع أن يستميل قرابة ثمانين بيتاً منهم ، هاجر بهم فلحقوا بالرسول ﷺ في غزوته لخيبر ، في محرم سنة ٧ هـ .

وفي العام العاشر ، قدم صُرد بن عبد الله الأزدي ، في وفد من قومه ، على رسول الله ﷺ ، فأسلموا . فأمّره رسول الله ﷺ عليهم ، وبعثه داعية إلى قومه وأميرا عليهم . وأمره أن يجاهد بالمسلمين من جاوره من المشركين في اليمن ، فحاصر مدينة جُرَش الحصينة ، فلم يستطع أن يتغلب عليها قسراً ، فتظاهر بالرجوع عنها حتى اختفى في جبل قريب يسمى شكر ، فظن أهل جرش أنه انهزم عنهم وخرجوا يتبعونه ، ولكن الكمين عطف

---

(١) المبرد : الفاضل ١١٢ . (٢) العمدة ١ : ٥٥ . معجم البلدان ٣ : ٦٦ .
(٣) الفاضل ١١٣ . وانظر خصائص ابن جنيّ ٢ : ١٠ .

عليهم فهزمهم ودخـــل مدينتهم ، ونشر الإسلام فيها . وبعث وفداً منهم لملاقاة الرسول ﷺ .

وفي العام نفسه ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، إلى بني الحارث ابن كعب في نجران يدعوهم إلى الإسلام أو القتال . فأسلموا وعلّمهم خالد أركان دينهم . ثم جاء بجماعة من كبرائهم إلى رسول الله ﷺ . فأمّر عليهم قيس بن الحصين وبعث إليهم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

أما أزد عمان فكان أول اتصال بين الرسول ﷺ وبينهم عندما أرسل رسله إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام ، في سنة ٧ أو ٨ من الهجرة . فكان رسوله إلى ابني الجُلُنْدي الأزديين ، ملكي عمان ، عمرو بن العاص وأبا زيد الأنصاري. فأفلحا فيسفارتها ونشرا الإسلام هناك.

وعند الردة كان من بني الأزد من حافظ على إسلامه وقاتل في سبيله مثل الطفيل بن عمرو الدوسي الذي قاتل طليحة الأسدي، ومنهم من ارتد وقاتل المسلمين . أما من ارتد من أزد السراة ، فقد انضم إلى المرتدين من بجيلة وخثعم ، وولوا عليهم حُمَيضة بن النعمان . فبعث إليهم الصديق عثمان بن أبي العاص في جيش ، فجرد إليهم سرية تحت قيادة عثمان بن ربيعة ، هزمتهم وشتتت رؤوسهم وأرجعت بقيّتهم إلى حوزة الإسلام .

وفي عمان ، كان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ينافس ابني الجلندى على الإمارة منذ الجاهلية . فاهتبل فرصة وفاة الرسول ﷺ وما حدث من ردة ، فارتد وحاكى غيره من المرتدين ليدعم قضيته ، فادعى النبوة ، واتخذ من « دبا » مقرّاً له . ولكن ابني الجلندي حافظـــا على إسلامهما واعتصما بالجبال. وبعث إليهما الصديق عدة كان من رؤسائها حذيفة بن مِحْصن الغطفاني وعَرْفجة بن هَرْثمة البارقي الأزدي . فاستمالوا بعض قواد ذي التاج فارفضّوا من حوله . ثم التقوا في معركة عنيفة كاد يهزم المسلمون فيها . ولكنها انتهت بالنصر لهم ، فطاردوا المرتدين الهـــاربين ، وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف ،

وسبو الذراري ، وقسموا الأموال ، وبعثوا الخمس إلى الخليفة مع عرفجة . وتولى حذيفة إمارة عمان ، التي استقرت أحوالها أعواماً طويلة .

وأطلق ركندو ف القول فأعلن أن الأزد لم تشترك في حروب الفتح التي قام بها الخلفاء الراشدون إلا في عهد عثمان . ولكن هذا القول واهي السند .

فقد كان احد القواد الأربعة الذين عهد إليهم أبو بكر فتح الشام شرحبيل ابن حسنة ، الذي ينسبه بعضهم إلى الأزد [١] . وكان ممن أصيب في موقعة اليرموك جندب بن عمرو الدّوسي [٢] ، مما يدل على اشتراك بعض قبائل الأزد في فتوح الشام منذ عهد أبي بكر .

وعندما اتسعت حركة الفتح ، وتعددت ميادين القتال وتباعدت ، ظهرت حاجة المسلمين إلى المقاتلين . فأوصى أبو بكر عمر بن الخطاب ، وهو يجود بحياته ، أن يأذن لمن كان قد ارتد من العرب أن يشارك في شرف القتال ، وكان أبو بكر قد حرمهم إياه . فاستجاب عمر وفتح أمامهم الأبواب التي كانت موصدة دونهم ، وترك لهم حرية اختيار أحد ميادين القتال ليشاركوا فيه . فكأن أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق ، حتى قال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام [٣] ! » .

ولكن عمر اضطر إلى التدخل وتوجيه المقاتلين في بعض الأحيان فعندما أرسل سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمقاتلة الفرس ، والقضاء على دولتهم ؛ عبّأ الفرس أعداداً غفيرة من قواتهم لصد السيل الإسلامي . وتبين أن العدد الموجود في العراق من العرب لا يستطيع أن يصمد أمام هذه الجموع بله أن يتغلب عليها ، ويتوغل في أراضيها . فأخذ عمر في ترغيب الناس في الانضمام إلى جند العراق .

وقد كان فيمن أتاه يستأذنه في الخروج للقتال جماعات أزدية ، وكانت رغبتها في الشام أيضاً . فألحّ عليها عمر في التوجه إلى العراق ، ورغبها في

---

(١) الطبري : ٣/٤٠٦ . (٢) الطبري ٣ : ٤٠٢ . (٣) الطبري ٣ : ٤٨٧ .

ثروات الفرس . فاستطاع لأي أن يوجّه جماعات كاملة إلى العراق أحيا](١)، وأن يقسم بعض الجماعات في أحيان أخرى فيرسل نصفها إلى الشام والنصف الآخر إلى العراق (٢) .

ولا شك أنه من العسير أن نتتبع قبيلة ما في الفتوح الإسلامية ، لأن المؤرخين لم يعنهم أن يذكروا من اشترك من القبائل في كل موقعة حربية . ولكن الأمر الذي يذهب بشيء من هذه المشقة أن العرب اعتادوا أن ينخرطوا في الجيوش جماعات لا أفراداً ، وأن يحافظوا على تجمعاتهم في داخل الجيوش التي التحقوا بها ، وآثروا أن يقودهم من كان منهم (٣) فلنا الحق حين نرى في موقعة قائداً أو رجلا أزديا أن نذهب إلى أن جماعة أزدية شاركت في هذه الموقعة .

وقد ذكرت تواريخ الفتح العربي لمصر أن الأزد اشتركوا فيه ، وصارت لهم خطة خاصة بهم في الفسطاط (٤) ، وصرحت بأسماء بعض البطون الأزدية التي استقرت بمصر ، مثل بـــني شبابة (٥) ، وبني بحر ، الذين كان لهم خطة مجاورة لبني بليّ (٦) .

وذكر المؤرخون أن العلاء بن الحضرمي ـ عامل عمر على البحرين ـ وجّه هرثمة بن عرفجة البارقي من الأزد ، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس (٧) .

وبعدما فرغ منها، طلب إليه عمر أن يلحق بعتبة بن غزوان في البصرة ، على رأس جماعة من قومه ، ففعل (٨) .

ولم يستقر الرجل بالبصرة ويخلد إلى السلام ، بل انخرط في جيش الفتح الإسلامي للعراق ، وكان له دور في المعارك الكبيرة ، كشف الطبري عن آثار منه في موقعة البويب (٩) ، وتكريت (١٠) .

---

(١) الطبري ٣ : ٤٦٣ البلاذري : فتوح البلدان ٢٥٣ .
(٢) الطبري ٢ : ٤٨٤ .
(٣) الطبري ٣ : ٤٦٢ – ٣ : ٩ .
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٨ ، ١١٧ ، ١١٩ – ٢١
(٥) ابن عبد الحكم ١٢٠ .
(٦) ابن عبد الحكم ١١٦ .
(٧) البلاذري : فتوح البلدان ٣٨٦ .
(٨) البلاذري ٣٨٣ .
(٩) الطبري ٣ : ٤٦٦ .
(١٠) الطبري ٤ : ٣٥ .

ولم يكن الأزدي الوحيد في هذا القتال ، بل كان معه جماعة من قومه . قال يصف بعض ما لقاه في البويب : حزنا كتيبة منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلّى عنا بها مصيبة الجسر. فلما دخلوا في حد الأحراج كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديدا حتى قال بعض قومي : لو أخرت رايتك ! فقلت : عليّ إقدامها . وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح » .

وإذا كان الطبري لم يذكر اسمه في موقعة المدائن ، فقد أشار إلى اشتراك بعض الأزديين فيها [1] .

وشاركت الأزد في جبهة أخرى من جبهات القتال ، قريبة من موطنها الأصيل . ذكر المؤرخون أن عثمان بن أبي العاص الثقفي ـ لما ولاه عمر البحرين وعمان ـ وجّه أخاه الحكم في البحر إلى فارس، في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وناجية وغيرهم ، ففتح جزيرة ابركاوان وتوّج [2] .

وكشف الطبري عن وجود الأزد في الجيوش التي توغلت في فارس . فقد كان المهلب ابن أبي صفرة أحد الذين حاربوا في مناذر[3] سنة ١٧ هـ. ، وكان أبوه على ميسرة المسلمين في موقعة أصطخر[4] سنة ٢٣ هـ.

وتعد المدة التي ظهرت فيها أسرة المهالبة ، وتولى أفراد منها جيوشاً للمسلمين ، العصر الذهبي للازد . فقد كانت صفات كثير من المهالبة تؤهلهم للقيادة الكفأة ، وحازت لهم من الانتصارات في حروبهم الداخلية ضد الخوارج ، والخارجية ضد غير المسلمين ، وكسبت لهم شهرة بين الخاصة والعامة لم تفقد بريقها إلى يومنا هذا . ويكفي أن أشير إلى أن المهلب كانت له جولاته الموفقة في فتوح السند سنة ٤٤ هـ [5] ، وخجندة وكش والختل ورابنجان سنة ٨٠[6] ، وكان لابنه يزيد مثل هذه الجولات في فتوح خوارزم

---

(١) الطبري ٤ : ١٢ .

(٢) البلاذي ٣٨٦.

(٣) البلاذري . فتوح البلدان ٦٥

(٤) الطبري ٤ : ١٧٧ .

(٥) البلاذري ٥٣١ .

(٦) البلاذري ٥١٤ .

سنة ٨٢[١]،وجرجان وطبرستان سنة ٩٦[٢].وكان لابنه الآخر المفضل جولاته في فتوح بادغيس[٣] .

ويبدو أن الأزد عرفت لهؤلاء القواد ما يكسبونها إياه من شرف حديث على شرفها القديم ، فقد مت لهم ما أرادوه من مقاتلين، واستبسال في القتال، وصبر حتى التضحية ، وقد سجل الشعر بعض ذلك ، إذ قال قائل في معركة بنة من معارك السند[٤] :

ألم ترَ أن الأزد ليلة بَيَّتوا ... ببنّة كانوا خير جيش المهلب

وإذا كان الأزديون الذين أقاموا بالعراق وفارس اضطلعوا بقسط كبير في حروب المشرق ، فإن الأزديين الذين استوطنوا الشام ومصر كان لهم نصيبهم في الجهاد في المغرب فقد شاركوا منذ عهد الخليفة في الغزوات البحرية ، ووردت إشارات إلى أفراد منهم في غزوات سنة ٢٨ [٥] .

وعندما خرج عبد الله بن سعد بن أبي السرح – أمير مصر في عهد عثمان – على رأس جيش لفتح ليبيا ، كان هذا الجيش يضم عدداً كبيراً من الأزديين ، حتى قال ابن عبد الحكم[٦] : « عن ابن لهيعة : كانت مهرة في غزوة عبد الله ابن سعد وحدهم ستمئة رجل ، وغنت من الأزد سبعمئة رجل ، وميدعان سبعمئة ؛ وميدعان من الأزد » .

إذن شاركت الأزد في الفتوح الإسلامية ، على تعدد جبهاتها وتباعدها . وكان أكبر ما حازت من مآثر في هذا الصدد في الجبهة المشرقية ، الممتدة من العراق إلى الهند والصين . وفي ذلك الدليل الجلي على إقامة الأزد في هذه الأصقاع .

ويعطينا العرض السريع السابق ما يؤكد نزوح الأزد إلى العراق منذ عهد عمر بن الخطا ، بل أوائل عهده .

---

(١) البلاذري ٤١٧ . (٢) البلاذري ٤١٤ . (٣) البلاذري ٥١٤
(٤) البلاذري ٥٣١ (٥) الطبري ٤ : ٢٦١ (٦) فتوح مصر ١٨٤ .

ولكن متى هاجرت جماعات أزدية إلى البصرة ؟ تلك هي المسألة التي تعنيني هنا ، إذ هي بغيتي .

عثرت في «شرح النقائض» على نص، يحدد موعد هذه الهجرة، ويقول[١]: « قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حدير وزهير بن هنيد أن مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخر من نزل البصرة ، حين بصّرت البصرة قال : فلما حوّل عمر بن الخطاب (ض) من تنخ من المسلمين إلى البصرة ، أقامت جماعة الأزد ولم يتحولوا ، ثم لحقوا بعد ذلك بالبصرة في آخر خلافة معاوية، وأول خلافة يزيد بن معاوية.. »

وتلقف كل من تعرض للأزد هذا القول ، وتبادلوه : بعضهم في اطمئنان تام ، مثل ركندورف الذي قال : « ولم يقو شأن الأزد إلا بعد أن استقر العدد الكبير منهم في البصرة ، وكانوا حوالي نهاية حكم معاوية وبدء عهد ابنه يزيد قد جمعوا جموعهم ، وهاجروا إلى البصرة .. » . واعتمد عليه بعضهم في شيء من الحذر .

ويدعم أبو الحسن المدائني رواية أبي عبيدة ، إذ يقول[٢] : « أراد شيرويه الأسواري أن ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعمّر وبني سدوس ، فأبى سياه ذلك . فنزلوا في بني تميم، ولم يكن يومئذ الأزد بالبصرة ولا عبد شمس » .

ولكننا حين نعرض هذه الأقوال على أحداث البصرة في هذه المدة نجدها تتنافر معها كل التنافر .

فالشائع بين المؤرخين أن البصرت مُصّرت في سنة ١٤ أو ١٦ هـ. ، وان الذي مصرها عتبة بن غزوان المازني ، الذي جاء في أربعين رجلا ، منهم نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وأبو بكرة وزياد بن أبيه وأخت لهم . ثم

---

(١) النقائض ٧٢٨ . وورد النص مضطرباً بعض الشيء في تاريخ الطبري ٥ : ٥١٦ .
(٢) البلاذري ٣٧٣ .

انضم اليهم سويد بن قطبة فيمن معه من بكر وتميم ، فبلغ عددهم نحو ٦٠٠ رجل و ٦ نساء [١] .

ثم أمدهم عمر بهرثمة بن عرفجة البارقي ومن معة من الأزد ، ويبدو أن أهل البصرة بنو حينئذ دساكرهم باللبن ، تلك الدساكر التي تتفق الروايات في عددها وتختلف في توزيعها. قيل [٢] : « ليس بها إلا سبع دساكر بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والأزد : ثنتان بالخريبة ، وثنتان بالأزد ، وثنتان في موضع بني تميم ، وواحدة بالزابوقة » . وقيل [٣] : « اثنتان بالخريبة ، واثنتان بالزابوقة ، وثلاث في موضع دار الأزد اليوم » .

ويدل هذا الخبر على أن الأزد كانوا من أول من نزل البصرة من العرب ، وأن عددهم لم يكن قليلاً إذا نظرنا إلى عدد كل من نزل البلدة الجديدة . ولكن هذه الدلالة غير مؤكدة، لأن النص يقول : « موضع دار الأزد اليوم» فربما كان هذا الموضع لهم «اليوم» وكان لغيرهم « قبله » ، وخاصة إذا أضفنا تكملة الخبر التي تقول : « أمد عمر عتبة بهرثمة بن عرفجة ، وكان بالبحرين، فشهد بعض هذه الحروب ثم سار الى الموصل » فلعله ارتحل عنها بمن جاء معه من قومه أو أغلبهم .

ولكن هذا الشك لا يرافقنا طويلاً ، فالأخبار تؤكد وجود جماعة أزدية بالبصرة حوالي سنة ١٧هـ. فالخبر الذي أوردته عن المدائني آنفاً غير دقيق. وصحته أن جماعة من المقاتلين الفرس سالمت المسلمين بعد فتح السوس ، وأسلمت ، وقاتلت إلى جانب جيش أبي موسى الأشعري في تستر ونزلت هذه الجماعة بالبصرة وبحثت عمن تحالفه من القبائل العربية . وتختلف الروايات في الأمور التي طلبوها في القبيلة التي عزموا على محالفتها ولكنها تتفق في النتيجة . قيل [٤] : « فلما ساروا إلى البصرة سألوا : أي الأحياء أقرب نسب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل : بنو تميم . وكانوا على أن يحالفوا الازد ، فتركوهم

(١) البلاذري ٤٣٠ ، الطبري ٣ : ٥٩١ . ؛ ياقوت : معجم البلدان ١ : ٦٣٨ .
(٢) البلاذري ٤٣٠ . الطبري ٣ : ٥٩١ . ياقوت ١ : ٦٣٩ ، ٦٤١ .
(٣) ياقوت ١ : ٦٣٩ . (٤) البلاذري ٤٥٩ ، ٤٦١ .

وحالفوا بني تميم » وقيل[1] : سألوا عن أمنع قبائل العرب فعادُّوا تميماً » .

ولعل توليـة عمر بن الخطاب كعب بن سور الازدي لقضاء البصرة [2] تدعم هذه الأخبار ، وتدل على هذا الوجود الأزدي في البصرة .

ثم تنهال الهجرة العربية على البصرة ، حتى يبلغ عددهم في خلافة علي ابن أبي طالب ٦٠٠٠٠ سوى أبنائهم وعبدانهم ومواليهم [3] . ولا يحتاج وجود الأزد فيها إلى دليل ، لأنهم شاركوا في جميع الوقائع الهامة التي حدثت منذ ذلك العهد .

ويكشف الطبري أن بني الحـــدّان من الأزد كان لهم مسجد خاص ، نزلت به السيدة عائشة عندما خرجت هي والزبير بن العوام وطلحة من الحجاز إلى العراق طلباً للثأر لدم عثمان . وكان لهم ساحة خاصة دار فيها قتال [4] .

وبالرغم من الجهود التي بذلها كعب بن سور القاضي لمنع قومه من الأزد من التخبط في ظلمات الفتنة التي شملت كبار المسلمين ، لم يفلح في إقناعهم بسبب معارضة صبرة ابن شيمان له [5] . فخرج الأزديون لنصرة أم المؤمنين على الإمام علي . وتختلف الروايات في الرجال الذين رأسوهم في القتال ، وتتفق على ما أبدوه من مظاهر الاستبسال . قال سيف [6] : « كانت الأزد على ثلاثة رؤساء : صبرة بن شيمان ، ومسعود ، وزياد بن عمرو » . وقال أبو مخنف [7] : « ورياسة الأزد من أهـــل البصرة ـ وكانوا مع عائشة ـ لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي ـ فيما حدثني عامر بن حفص ـ ويقال : لصبرة بن شيمان الحدّاني ، والراية مع عمرو بن الأشرف العتكي » .

وأنيط ببني الأزد وضبة حماية جمل السيدة عائشة ، فدارت عنده معركة

---

(١) الطبري ٣ : ٥١٢ .
(٢) الطبري ٣ : ١٠١ ، ٢٤١ .
(٣) الطبري ٥ : ٧٩ .
(٤) الطبري ٤ : ٥٠٣ .
(٥) الطبري ٤ : ٥٠٥ .
(٦) الطبري ٥ : ٧٩
(٧) الطبري ٤ : ٥٢٢ . ابن الأثير : الكامل ٣ : ١٩٧

رهيبة من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ، وقع عبئها الأكبر على القبيلتين، اللتين أبدتا من ضروب البسالة ما ألهج لسان السيدة عائشة بالثناء [١] .

ولكن القتل استحر خاصة بالأزد ، حتى سجل الشعر ذاك ، وفخر به الفاخرون من أصحاب علي . قال رجل من بني ليث [٢] :

سائل بنا يوم لقينا الأزدا والخيلُ تعدو أشقرا وورداً
لما قطعنا كبدهم والزَّندا سحقاً لهم في رأيهم وبعدا!!

وقال نمران بن أبي نمران الهمداني [٣] :

جرّدتُ سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم والمردِ
كل طويـــل الساعدين نهدِ

وكانت خسارة الأزد في يوم الجمل فادحة . ويكفي أن نعرف أنه قتل من أهل بيت واحد ١٤ رجلاً ، لنطمئن إلى أن المؤرخين لا يبالغون حين يقولون إنهم فقدوا ما بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قتيل [٤] .

وإن في هذه الأرقام – مهما كانت المبالغة التي ربما تسربت إليها – لدليلا أي دليل على كثرة الأزديين الذين استوطنوا البصرة في خلافتي عمر وعثمان ، وخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن الأزد بقي لديها من المقاتلة ما مكّن لها أن تخرج من جيش عبد الله بن عباس لتشترك مع علي في مواقع صفين [٥] .

وإذن ففلهوزن أكثر توفيقاً من (ركندروف) حين يحترس ويقول[٦]: « ولم تقو الأزد في البصرة إلا من طريق هجرة جاءت متأخرة .. ولكن لا يصح أن يظن الإنسان أن جميع الأزد لم يهاجروا إلى البصرة إلا حوالي سنة ٦٠ هـ، بل كان هناك أزد من قبل » .

ثم تهيأت الأمور كلها في عهد معاوية لهجرة أزدية كبيرة إلى العراق عامة والبصرة خاصة . فقد كان الخليفة محبّاً لهم ، معتمداً عليهم ، واثقاً بهم .

---

(١) الطبري ٤ : ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ . ابن الأثير ٣ : ٢١٦
(٢) الطبري ٤ : ٥١٢ . (٣) الطبري ٤ : ٥١٥ .
(٤) المسعودي : المروج ١ : ١٢ ; والتنبيه ٢٥٥ . الطبري ٤ : ٥٣٩ ، ٥٤٥ .
(٥) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ١١٧ . الطبري ٥ : ٧٩ .
(٦) تاريخ الدولة العربية ٣٨١ - ٢ .

روى الحارث بن يزيـــد أنه كتب إلى مسلمة بن مخلد وهو على مصر [١] : « لا تولّ عملك إلا أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة » . وكانت عمان والبحرين والبصرة تحت سلطان رجل واحد ، منذ جمعها معاوية لزياد ابن أبيه . وكان هـــذا الرجل – زياد – يدين للأزد بدين كبير ، عندما حموه وبيت ماله لما تأزمت الأمور بينه وبين بني تميم في خلافة علي [٢] . وكان يعترف بهذه الصنيعة الجميلة لهم ، ويودهم ، ويرى فيهم حصنه وحصن أولاده بعده . قال عبيد الله بن زياد حين لجأ إلى الأزد يحتمي بهم بعد اضطراب البصرة عليه بعد وفاة الخليفة يزيد [٣] : « إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى الهرب يوماً أن أختاركم ، وإن نفسي تأبى غيركم » . وكانت هذه العلاقة الخاصة بين الأزد وآل زياد معروفة من أهل البصرة ، ولذلك اتجهت أبصارهم إلى الأزد فور اختفاء ابن زياد من قصر الإمارة . قال الطبري [٤] : « وفقد الناس ابن زياد فقالوا : أين توجه ؟ فقالوا : ما هو إلا في الازد » . وأخيراً أخذ بنو أبي صفرة العتكي الأزدي في الظهور ، وشغل المكانة الكبيرة في البصرة ، وصيرورتهم أهل الثقة والاعتماد في قيادة الجنود ، وسياسة البلاد .

فلا عجب أن تأتي هجرات أزدية بعدها هجرات ، تلفت أنظار الناس ، وتشغلها عما سواها ، وتنسيها ما قبلها ، فيعتقد كثيرون أنها الهجرات الأزدية الأولى إلى البصرة . وبعد هذه الهجرات يتجلى الدور الذي قامت به الأزد في التاريخ الإسلامي ، فتختفي منـــه مواضع الظلام والإبهام ، التي جعلت المؤرخين يتعثرون .

الدكتور حسين نصار

الاستاذ بكلية الآداب – جامعة القاهرة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٢٢ . (٢) الطبري ٥ : ١١٠ . ابن الأثير ٣ : ٣٠٤ .
(٣) الطبري ٥ : ٥٠٩ . ابن الاثير ٤ : ١١١ – ١١٧ . (٤) الطبري ٥ : ٥١١ .

حملة شمر يهرعش على شرق الجزيرة

إن لإسم الملك الحميري (شمر يهرعش ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت) مكانة عظيمة عند من كتب عن التاريخ اليمني من المؤرخين العرب القدامى ، وخاصة المؤرخين اليمانين . ففي القرن الأول للهجرة كتب الأخباريون اليمنيون ، أمثال عبيد بن شرية الجرهمي (ت ٦٧ هـ – ٦٨٦ م) صاحب كتاب « أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارهم وأنسابهم »[١]، وكذلك وهب بن منبه (ت ١١٤هـ – ٧٣٢م) صاحب « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » والذي وصلنا منه كتاب «التيجان» عن طريق ابن هشام ، كتب هؤلاء تاريخ الجنوب العربي بصورة أسطورية . وكان سبب تزايد الأساطير والأعمال البطولية ونسبة فتوحات عظيمة لملوك الجنوب العربي هي مضاهاة لعرب الشمال عن الفتوحات التي قاموا بها في الإسلام [٢] .

فنجد أن عرب الجنوب ادعوا بأن لهم عدة أنبياء [٣] بينما لم يظهر إلا النبي محمد ﷺ بين قبائل معد ، ثم إن الامبراطورية والسيطرة في الإسلام كانت بيد عرب الشمال ، فالخليفة منهم وكذلك معظم الولاة كانوا من عرب

---

(١) نشر هذا الكتاب مع كتاب التيجان لوهب بن منبه ، حيدر آباد ١٣٤٧هـ/١٩٢٧ .

(٢) أنظر أيضاً كتاب الاكليل للهمداني . ج ١ – ٢ تحقيق محمد بن علي الأكوع ، القاهرة ، ١٩٦٣ – ١٩٦٦ ؛ ج ٨ تحقيق نبيه فارس ، برينستن ، ١٩٤٠ ، ج ١ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ، ١٩٣٨ ؛ ولنشوان الحميري كتاب : مختارات من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلام » تحقيق عظيم الدين أحمد ، ليدن ، ١٩١٦ ؛ نشوان : ملوك حمير وأقيال اليمن ، تحقيق اسماعيل المؤيد واسماعيل أحمد ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

(٣) مثال ذلك أن النبي هود الذي لا يزل قبره يزار في حضرموت ، أنظر :
Serjent. «Hûd and Other Pre - Islamic ProPhets of Hadramaut». Le Muséon . LXVII (1954) . pp. 121 - 179 .

الشمال . ولذا نجد عربَ الجنوبِ يُمنّون أنفسهم بالقول : (نحن ملوك الناس قبل نبيّه) [١] .

ونسبوا فتوحات عظيمة لملوكهم قبل الإسلام ، مباهاة للفتوحات التي قام بها عرب الشمال فعندما فتح المسلمون سمرقند وجدوا على باب المدينة كتابة غريبة قرأهـــا عرب الجنوب على انها : (هذا ملك العرب والعجم شمريهرعش) [٢] .

ويفهمُ من هذه الرواية كيف وجد عرب الجنوب في هذا النقش متنفساً لتحدي قتيبة بن مسلم الباهـلي في أن ملوكهم قد وصلوا إلى هذه البلاد . وأكثر من ذلك ، فقد ذهبوا إلى الصين والهند وأوربا بينما لم يستطع عرب الشمال فتح الصين والهندِ واوربا [٣] . وليس غايتنا هنا التفصيل في الصراع الفكري والقبلي بين عرب الشمال والجنوب .

ولكن على الرغم من كثرة الأساطير والمبالغاتِ في الروايات العربية فإنّ هنالك حقيقة يجبُ التأكيدُ عليها ألا وهي مدى القوة والنفوذ اللذين كان يتمتع بها ملوك عربِ الجنوب وقوةُ السيطرة على قبائل الشمال . فمن دراسة تاريخ كندة والنقوش العربية التي اكتشفت حتى الآن نجد أنه كان للجنوب العربي سيطرة على عـــرب الشمال ، وأحسن مثال على ذلك دولة كندة التي استطاعت أن تحكُمَ قبائل وسط الجزيرة العربية منذ مطلع القرن الخامس حتى سقوط دولة حِمْير، سنة ٥٢٥ للميلاد [٤] ، بمساندة ملوك حمير أو بتعبير

---

(١) أخبار عبيد بن شرية ص ٤٢٨ .

(٢) وضع يزيد بن مفرغ (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) سيرة تبع ، إنظر الأغاني ج ١٨ ص ١٨٢ (ط بيروت) ، كما أنشد ابن أبي عينية مفاخر قحطان ، الأغاني ج ٢٠ ص ٤٦ ، (ط. بيروت) .

(٣) أخبار ابن شرية ص ٤٢٩ .

(٤) أنظر عن كندة وسيطرتها على وسط الجزيرة :

C. Olinder . The king of kinada of the family of akil al - Murar Lunds Universitets Arsskrift . Ny Folja Forsta Ardelningen, Vol . 32 no. 1927 ·

أما عن سيطرة كندة على شرق الجزيرة فانظر :

Idem «Al - Gaun of the family of Akil al - Murar » · Le Monde Oriental . XXV (1931) . pp. 208 - 229 .

أدقّ انّ كندة كانت تنوب عن ملوك حمير في السيطرة على قبائل وسط الجزيرة، وعندما يحدث أن تفقد سيطرتها يأتي ملوك حمير لإعادة تلك السيطرة.

ولنعد إلى النقوش الجنوبية، فيظهر منها أن نفوذ الجنوب العربي امتد إلى شمال الجزيرة حتى وصل إلى سوريا، وربما كان نفوذاً تجارياً، ثم أصبح سيطرة سياسية.

فقد اكتشف Nelson Glueck، في تل الخليفة (ايلات الحالية) بالقرب ابن العقبة، [١] نقشين جنوبيين Rés. 4918 bis، وقد يرجع تاريخهما إلى سنة ٨٠٠ ق. م. وهذا يدل على مدى نفوذ دولة معين في العلا وتبوك. كما اكتشفت عدة نقوش معنية في Dedan [٢]، التي هي العلا [٣]، والتي تقع شمال الحجاز، وكانت العلا وتبوك من المراكز التجارية المهمة في الطريق التجاري بين الجنوب العربي وبلاد الشام.

كما اكتشف نقش معيني في مصر قرب القاهرة، وهو شاهد قبر [٤]. واكتشفت مجموعة من النقوش في قرية الفاو جنوب وادي الدواسر [٥] على بعد ٩٥ ميل إلى الشمال الشرقي من جبل كوكب [٦]، والتي يعتقد بأنها كانت مستوطنة قديمة تقع على الطريق الواصل بين نجران والعراق عبر وادي الدواسر، والذي كان الطريق المهم بين نجران والخليج العربي. وفي هذا الاقليم أيضاً

---

(١) N. Glueck. « Tke first Campaign at Tell el - Kheleifeh ,» Basor Lxxi (1938) , pp. 3 - 17 .

(٢) A. Jaussen E T R, Savignac . R. « Nouvelle inscriptions minéenne d'e - Ela - Dedan , RB, vi (1910) pp. 521 - 531 .

(٣) Nusil , Northern Hegaz . pp. 274 - 275 .

(٤) Levi Della vida . « Pre - Islamic Arabia » , in The Arab Heritage , ed. Nabih Faris , New york : 1930 , pp, 32 - 33 .

(٥) P.Lipens, Expédition en Arabie Central paris. 1956, pp·32-33

(٦) A . Jamme. « Inscriptions photographed at Qaryat al - Fa'w » , RSO . XLI (1966) . p, 290 .

اكتشف كثير من النقوش من قبل شركة النفط العربية الأمريكية وفلبي [١] . كما اكتشف D. F. Brown عدة نقوش نشرت من قبل جام [٢] ، واكتشف السفير الأمريكي Parker T.Hart عدة نقوش في قرية الفاو نشرت من قبل جام أيضاً [٣] ، ولكن النقوش التي اكتشفت في هذه المنطقة هي عبارة عن كلمات لا تعطينا معلومات تاريخية مهمة ، كما أن البعض يعود إلى سيطرة سبأ.

وأهم النقوش التاريخية هي تلك التي اكتشفت من قبل بعثة G, Ryckmans وفلبي في وادي ماسل والتي سنتكلم عنها عند كلامنا عن أبي كرب أسعد وابرهة . هذا وإن عدداً من النقوش اكتشفت في شرق الجزيرة ، ولا بدّ أن نذكر أن Loftus اكتشف في الوركاء في جنوب العراق النقش CIH 699 . كما اكتشفت البعثة الألمانية في الوركاء في شتاء ١٩٥٥ – ١٩٥٦ لوحاً يحمل حروف الجنوب العربي وهو محفوظ الآن في المتحف العراقي برقم IM 59821 [٥] . كما اكتشف ثلاثة نقوش في الحسا ، إثنان اكتشفا من قبل شكسبير في سنة ١٩١١ م [٦] في ثاج والحنّاءة اللتين تقعان على بعد ١٥٠ كم إلى الشمال الغربي من الظهران ،

---

(١) Philby . « Two notes from Centrale Arabla , » G J. CXIII (1949) . pp . 86 - 93 ; lden , « Motor Fracks and Sabacan Inscriptions in Najd » G J . CXVI (1950) , P. 211 .

وهذه النقوش نشرت من قبل ريكمنز :

G. Ryckmans , « Inscriptions sud Arabes .. » , Le Muséon , LXII (1949) , pp. 87 - 124 .

(٢) A. Jamme Sabaean and Hasaean Inseriptions from Saubi Arabia . Rome (1966) , PP. 39 – 59 .

(٣) A. Jamme , Inscriptions Photographed ... " RSO , XLI (1966) pp. 289 - 301 .

(٤) W. K. Loftus , Travels and Researches ln Chaldaea and Susians in 1849 - 52 . London , 1857 , p· 233 .

(٥) أنظر تقرير البعثة.. Heinrich Lenzen. XIV Vorläu figer Bericht,

(٦) D Carruthers . « Captain Shakespear's Last Journey , » G J , LIX (1922) , pp. 321 - 23 .

وهي على خط طول ٤٨ و ٩َ / ٤٢ْ درجة شرقاً .[١] والنقش الثالث اكتشف في ثاج أيضاً من قبل بعض الأعراب وقد أعطاه دكسن [٢] ، ونشر من قبل ريكمنز [Ry 155 - Rês, 4685] [٣] .

وفي تشرين الثاني من سنة ١٩٤٥ م ، اكتشف بعض عمال شركة النفط العربية الأمريكية نقشاً قرب عـــين الجون التي تقع في شرق الجزيرة مقابل البحرين، ونشر من قبل F. V. Winnett [٤]. ونقش آخر اكتشفه كورنويل في الحسا [٥] ، والذي يرجع تاريخيه حسب رأي كورنويل إلى القرن الخامس أو السادس ، أما جام فيعتقد أنه يعود إلى القرن الرابع [٦] . ومن هذه النقوش لا نستطيع أن نبين العلاقة بين الجنوب العربي وشرق الجزيرة بصورة واضحة .

إن اكتشاف نقوش عربية جنوبية في مناطق كثيرة في وسط الجزيرة وشرقها وشمالها يدل على مدى نفوذ حكومةالجنوب العربي على هذه المناطق، أو على الأقل يشير إلى مدى النفوذ التجاري .

وأحسن مثال على سيطرة حكومـــة الجنوب العربي على شرق الجزيرة العربية هي الحملة التي أرسلها الملك الحميري شمر يهرعش إلى هذه المنطقة ،

---

(١) Mandaville , James, p. « ThaJ : Apre - Islamic Site in North - eastern Arabia , » BASOR, No. 172 (1963) p. 10 .
وترجم المقال إلى العربية عبد الرزاق الريس بعنوان : « ثاج من الناحية الأثرية والتاريخية » مجلة العرب » ج ٧ ، السنة الثانية ، محرم - ١٣٨٨ (نيسان ١٩٦٨) ص ٦٢٩ - ٢٤٧.

(٢) H. R. P. and V. P. D. Dickson « Thaj and Other Sites, » Irag, X (1948) , P. U.

(٣) G. Ryckmans , « Inscaription sud arabes » , Le Muséon L. (1937) , PP. 239 - 40 .

(٤) F. V. Winnett , « Ahimyaritic Inscription from Persian Gulf Region » . Basor . No . 102 (1956) PP. 4 - 6 .

(٥) PP. Cornwall , « Ancient Arabia Expeditions in Hasa 1940 - 41 . » , G J . CVII (1946) P. 44 .

(٦) A. Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgîs (Mârib) Baltimore . (1962) , P. 267 ,

تلك الحملة التي دوّنها النقش المسمى بـ « نقش شرف الدين ٤٢ » [١] .
ويظهر من النقش المسمى Ja 660 أن شمر يهرعش بعد أن قضى على ثورة القبائل التي كانت تسكن شمال نجران ، وهم بنو الحارث بن كعب وسود ابن عامر (اسودان بن عمرو) [٢] والنخع [٣] بن عمرو وجرم [٤] ، أرسل شمريهرعش حملته إلى شرق وشمال شرق الجزيرة ، تلك الحملة التي دونت أخبارها في نقش شرف الدين ٤٢ ، وتخبرنا حوادث هذا النقش بأن الحملة أرسلت أولاً إلى (م ل ك م ، ب ن ، ك . م ، م ل ك ل أ س د) « مالك بن م.ك ملك الأسد » والأسد قبيلة معروفة لدى النسابين العرب باسم الأزد [وباسم الأسْدِ أيضاً] .

ولا بد من الإشارة إلى أن أرض الأزد (أرض أ ل أ س د) وردت في نقش Ja 635 من الحوادث المعروفة في هذا النقش يظهر أن أرض الأزد يجب أن تكون في غرب الجزيرة العربية ، وان الأزد المذكورين في هذا النقش هم أزد السراة أو أزد شنوءة .

ولكن يظهر من محتويات نقش شرف الدين ٤٢ بأن الأزد المذكورين في هذا النقش يقصد بهم أزد عمان ، وعلى هذا فإن تسلسل الحوادث في هذا النقش تصبح منطقية . إذْ أنّ الحملة أرسلت إلى أزد عمان ومن ثم ذهَبتْ إلى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية أي إلى مدينة القطيف (ق ط و أ ف) حيث حصل قائد الحملة على سبي وغنائم ؛ ثم توجه قائد شمريهرعش نحو سوك

---

(١) H.V, Wissmann'«Zur Kenntnis von Ostarabien Besonders Al- Qatif, im Atterttm, » Lemuséom, LXXX (1967), PP 508 - 9.

(٢) ترد في النقش (س و د م / ب ن / ع م ر م) وعلى الأكثر يقصد بها أسودان بن عمرو من نفس قبيلة جرم المذكورة في نفس النقش ، انظر عن قبيلة أسودان بن عمرو : ابن حزم : «جمهرة أنساب العرب ». ص ٤٠٠ ؛ القلقشندي : النهاية ص ٢٩٩ .

(٣) أنظر القلقشندي : النهاية ص ٧٦ ، أما مساكن النخع فهي بيشة البكري : ص ٦٣ .

(٤) أنظر ابن حزم ص ٤٠٠ . أما مساكنها فهي نجران وتثليث ؛ البكري ص ٤٠ .
لقد اعتبر الدكتور جواد علي هذه القبائل أسماء رجال والصواب ما ذكرته . أنظر المفصل في في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٥٥٦ .

(س و ك)[1] والتي يطلق عليها حتى الآن اسم أم الساهك القرية التي يقدر سكانهـا بنحو ٣٠٠٠ نسمةٍ والتي تقع على بعد ١٤ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة القطيف .

ويظهر أن كلاً من القطيف وسوك (أم الساهك) كانتا تحت النفوذ الفارسي آنذاك (م م ل ك ت ي ف ر س) ومملكتي فارس هنا لا يُقصد بهما دولة أو مملكة فـارس ، إذ يظهر أن المقصود هنا الإمـارتان الخاضعتان للفـرس .

وبعد ذلك سارت الحملة إلى أرض تنوخ[2] (أرض تاناخ) وأرض تنوخ في هذا النقش لا بد أن تكون في منطقة البحرين علماً بأن تنوخ كما تذكر المصادر العربية كانت قد هاجرت إلى الشمال قبل حوادث هذه الحملة ومعذلك فإنه يظهر أن بعض قبائل تنوخ كانت لا تزال تسكن فيها ، أو أن تنوخ كانت في وقت هذه الحملة لها نفوذ سياسي على هذه المنطقة ، وبذا تكون علاقة تنوخ بالبحرين مستمرة ، وليست ذكريات قبلية .

وهكذا يفهم من نقش شرف الدين ٤٢ أن سيطرة الجنوب العربي في زمن شمر يهرعش كانت قد امتدّت إلى الشرق والشمال الشرقي من جزيرة العرب

---

(١) لقد ورد اسم سوك في نقش شرف الدين ٤٢ ، وليس كوك أو كوكب ، أو كوكبان أو كوكبن كما قراها الدكتور جواد علي في : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٥٥٠



القراءة الصحيحة لهاتين الكلمتين – الصورة الأصلية التي لدى الأستاذ أحمد حسين شرف الدين في صنعاء – وقد اطلع عليها الدكتور محمود الغول في نيسان ١٩٧١ عندما زار اليمن هي (ق ط و ص ف) و (ك و ك) والمكان الأول ينبغي أن يعتبر مديفة قطسفون (كما هو اسم مدائن كسرى بالآرامية) – أي موصع ايوان كسرى اليوم – وكوك موضع آخر لا صلة له بأم الساهك ، وصاحب الرأي في أن (قطوصف) هي مدائن كسرى هو الدكتور آرثر إرفن d. A. K. Irvine المدرس بجامعة لندن وقد ذكر هذا الرأي مشافهة للدكتور محمود الغول في لندن في حزيران ١٩٧٠ – وعن الدكتور الغول روينا هذا ولعل كوك (ك و ك) هي التي ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » من أعمال نسا ، وهذان الموضعان المذكوران أخيراً أقرب في المطابقة للنص الأثري وحوادث الفترة، لا سيما وأن النقش نفسه يصفها (مملكة فارس).

(٢) أرض تنوخ لا علاقة لها بمملكتي فارس كما فهم ذلك الدكتور جواد علي كما أن قراءته للنقش وشرحه بعيد عن الصواب .

وأن جيوشه كانت قد اصطدمت مع مصالح الفرس إذ هاجمت القطيف وسوك مملكتي الفرس. (ق ط و أ ف و س و ك م م ل ك ت ي ف ر س) . وهذا يعني أن جيش شمر يهرعش قد اصطدم مع المصالح الفارسية ، وربما وصل إلى جنوب العراق .

إن مصادرنا العربية تنسب إلى شمر يهرعش فتوحات كثيرة ، إذ أنه قهر الفرس وفتح الهند والصين . وهذا الادعاء من قبل المصادر العربية يجب أن يدرس وأن لا يهمل كلياً على أنه غير صحيح ، وذلك لأن بعض هذه الروايات وجدت لها سنداً قوياً في محتويات نقش شرف الدين ٤٢ .

إن رواية الطبري تخبرنا عن حوادث يمكن ربطها بمحتويات نقش شرف الدين ٤٢ فرواية الطبري تقول : وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس . وكانوا أحوج الأمم إلى تناول شيء من معايشهم وبلادهم لسوء حالهم ، وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى أناخوا على أبر شهر وسواحل أردشيرُ خرّة وأسياف فارس . وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم ، وأكثروا الفساد في تلك البلاد ، فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً ، لا يغزوهم أحد من الفرس ، لعقد تاج الملك على طفل من الأطفال وقـلة هيبة الناس له ، حتى تحرك سابور وترعرع [1] ..

إن المصادر العربية تذكر كيف أن عرب البحرين وبني تميم في طفولة سابور الثاني (ذو الأكتاف) أغارت على جنوب العراق وعبر قسم منها الخليج العربي إلى الساحل الشرقي منه أي إلى الساحل الايراني ، وتنسب هذه الرواية بأن العرب قـد عاثوا فساداً إذ استغلوا ضعف الدولة الساسانية في طفولة سابور . على أنه يجب أن لا نأخذ هذه الرواية على علاتها : فتقدم العرب إلى الشمال يظهر أنه صحيح وتؤيده حوادث نقش شرف الدين ٤٢ ، أما أن يكون هذا الغزو غير منظم وعفوياً فلا يمكن قبول ذلك ، ولكن يجب أن تفسر هذه الرواية على أن هناك دولة قوية منظمة لها أهداف توسعية ولها جيش قوي

---

(١) الطبري : تاريخ ج ١ ص ٨٣٦ - ٨٣٧ .

ونفوذ على قبائل وسط الجزيرة كانت تستطلع وتطمح في مد سلطانها إلى أقصى الشمال من جزيرة العرب والسيطرة على العراق وعلى الساحل الشرقي للخليج العربي . ولو قدر لحكم شمر يهرعش أن يمتد أكثر لكان من المحتمل أن يستمر في ارسال حملات أخرى لتوطيد حكمه فيها. ولكن يظهر أنه عندما قام سابور الثاني بحملته لإعادة السيطرة على شرق الجزيرة والانتقام من القبائل العربية [١] لم تكن هناك قوة يمنية تقف أمامه . إذ لا تشير المصادر العربية إلى أية مقاومة أو قوة يمنية وقفت أمام سابور الثاني .

أما زمن هذا الاحتلال العربي فيمكن معرفته إذا علمنا أن بداية حكم سابور الثاني كانت في سنة ٣٠٩ م [٢] ، وكان عند تسلمه الحكم طفلاً صغيراً ، ولهذا فإن هذا الاحتلال يجب أن يكون في العقد الثاني من القرن الرابع الميلادي ، أو بعبارة أخرى يمكن أن يكون حوالي سنة ٣١٥ م وبذا يمكن أن نقول إن حملة شمريهرعش كانت في حدود هذا التاريخ .

أمـــا الروايات العربية التي تذكر بأن شمريهرعش قد غزا أواسط بلاد فارس ووصل إلى سمرقند ، فليس لهـــا أصل تاريخي إذ لا تشير إلى ذلك تواريخ الأمم الأخرى ، ولكن ليس من الصعب تفسير مقصد الروايات العربية ، فعندما يذكر أصحاب هذه الروايات بأن شمريهرعش غزا كل بلاد فارس ، فربما ذهبوا إلى أن جيوشه قد وصلت إلى حدود بلاد فارس وانهـــا احتلّت جزءاً منها كما تشير رواية الطبري ، والتي تؤيدها حـــوادث نقش شرف الدين ٤٢ .

ويمكن أيضاً تفسير ما تذهب إليه الروايات العربية من أن شمر يهرعش قد غزا الهند والصين ، وذلك إذا علمنا بأن سفن التجار الهنود والصينيين كانت ترســـو في موانيء الخليج العربي ، وفي ميناء الأبُلّة (البصرة)

---

(١) الطبري : تاريخ ج ١ ص ٩٨٣ .

(٢) S Smith , « Events in Arabia in the 6th Century A. D. », BSOAS . XVI (1954) P. 442 .

وبهذا اعتبرت الروايات العربية هذه الأماكن جهة الهند والصين ، وأحسن مثال على ذلك أن الهمداني يسمي ميناء البصرة ميناء الهند [١] .

ومما مرّ سابقاً فليس من الصعب أن نجزم بأن الغزو العربي الذي يذكره الطبري هو نفس الحملة التي أرسلها شمر يهرعش والتي وصلت إلينا أخبارُها في نقش شرف الدين ٤٢ .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن سيطرة الجنوب العربي كانت قد امتدت في زمن شمر يهرعش ليس فقط إلى وسط الجزيرة العربية وشرقها وإلى جنوب العراق ، بل أيضاً نظمت وشجعت القبائل العربية القاطنة في شرق الجزيرة العربية على عبور الخليج العربي إلى ساحله الشرقي للسيطرة على هذه البلاد .

ولكن يبدو أن هذه السيادة للجنوب العربي على شرق الجزيرة لم تستمر طويلاً إذ انتهت قبل أن يقوم سابور الثاني بغزو البحرين وهجر واليمامة حتى وصل إلى حدود يثرب [٢] ، وأخذ بعض العرب وأسكنهم في الأهواز وكرمان . ولا تذكر المصادر العربية أيّ هجوم قام به سابور الثاني ضد الجنوب العربي ، كما لا تذكر أيّ مقاومة لجيوش الجنوب العربي مما يدل على أن سيطرة الجنوب العربي لم تستمر طويلاً ، إذ يظهر أن جيوش شمريهرعش انسحبت من هذه المنطقة قبل غزوة سابور الثاني ، أو ان حكومة الجنوب العربي كانت مشغولة في الداخل بحيث لم تتحدّ لهذه الحملة .

كما أن حوادث نقش النمارة ، Rès 483 ، المؤرخ في سنة ٣٢٨ م ، تسجل حروب امرىء القيس بن عمرو الذي غزا وسط الجزيرة العربية ، وأطلق على نفسه « ملك العرب كلهم » وعقد التاج على رأسه ، وأخضع الأسدين ، يذكر ابن حزم أن تنوخ أصلها من أسد . ويذكر ابن حزم[٣] أيضاً أن أسد بن وبرة من قضاعة هم من تنوخ ، ولعل المقصود هنا بأحد

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٠٤ .
(٢) الطبري ج ١ ص ٨٩٣ .
(٣) ابن حزم ص ٤٥٣ .

الاسدين هم تنوخ . كما أن قبيلة الأسد الثانية ، ربمـــا تكون بنو أسد بن خزيمة [1] القبيلة الشمالية التي كانت تسكن نجد قرب جبلي سلمى وأجا قبل أن تستقر طيء في هذه [2] .

كما أخضع امرؤ القيس ملوك نزار وقبائل معدّ وهزم مذحج . إن امرأ القيس قد دَحر قبيلة مذحج التي يعدها النسابة العرب من عرب الجنوب ، ولكن لا نعرف فيما إذا كانت مذحج زمن هذه الحمـــلة موجودة في وسط الجزيرة أم في مواطنها الأصيلة شمال نجران ؟ .

ونحن لا نعرف عن مدة سيطرة امرىء القيس أو بنيه الذين عيّنهم حكاماً على القبائل واعترف لهم الفرس والروم بحكم هذه المنطقة ، إذ ليست لدينا معلومات عن ذلك سواء من المصادر العربية أو من النقوش ، حتى زمن أبي كرب أسعد ، الذي مد نفوذه على كل الجزيرة العربية . فلدينا نقش Ry 509 الذي يعود تاريخيه إلى بداية القرن الخامس الميلادي ، والذي يذكر أن أبا كرب أسعد كان في أرض معد [3] في وادي ماسل الجمح ، وماسل الجمح هو موطن معد ، كما يذكر هذا النقش اعراب كندة كانوا مع أبي كرب أسعد . ويمكن أن نستدل من هذا النقش ومن مصادرنا العربية على امتداد نفوذ الجنوب العربي السياسي على وسط وشرق الجزيرة ؛ إذ يذكر ابن خلدون [4] أنا أبا كرب أسعد كان في المشقر قبل ذهابه إلى المدينة ، كما تذكر المصادر العربية أن أبا كرب غزا العراق [5] — وربما جنوب العراق — وأخضع سكان مكة ويثرب لحكمه [6] .

---

(١) المصدر السابق ص ١١ .
(٢) القلقشندي : النهاية ص ٣٧ .
(٣) ورد في نقش R / 509 [ارص / م و د م / ض م و] ولكن كلمة [م و د م] تظهر بوضوح في النقش الذي صوره الدكتور محمودالغول (م ع د م)، ولذا يجب أن تقرأ «أرض معد».
(٤) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٥٩٦ .
(٥) ابن حبيب : المحبر ص ٣٦٨ ، الطبرى ج ١ ص ٦٨٤ من ابن الكلبي ، وانظر بن عبيد شرية ص ٤٧٢ مسكوية ج ١ ص ٥٩ .
(٦) الطبري ج ١ ص ٩١٩ ؛ نشوان الحميري ص ١٤٥ — ١٤٦ .

ولا بد من الأشارة إلى أنه يمكن أن نقول بأن أبا كرب أسعد عندما أضاف إلى لقبه الملكي « الاعراب في الطود وتهامة » ، كان يقصد بأعراب الطود القبائل البدوية في أواسط نجد، أي معد، بالإضافة إلى أعراب الحجاز.

أما كيف حكم ملوك الجنوب العربي وسط الجزيرة ؟ ، فإن الروايات العربية تذكر بأن ملوك كندة كانوا يمثلون ملوك الجنوب العربي في حكم قبائل معدّ . فيذكر ابن الكلبي (١) [ت ٢٠٤ هـ / ٢٨١٩] أن الحارث الكندي أرسل من قبل عمه تبّع حسان مع جيش لحكم معدّ . أما الهيثم بن عدي (٢) [ت ٢٠٦هـ / ٨٢١ م] فإنه يذكر بأنهبعد حرب البسوساتفقت بكر وتغلب على أن تملك الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي .

ومن الطريف أن نذكر أن نقش Ry 509 يذكر حسان يهنعم مع أبيه في حملته على معد وهنا يمكن أن نصدق الرواية العربية (٣) التي تقول بأن حساناً غزا جديس ، إذ من المحتمل أن يكون أبو كرب قد أرسل ابنه إلى اليمامة لإخضاعها ، كما يذكر ابن الكلبي أن قائد حسان كان عبد كلال الامير الحميري (٤) الذي لدينا نقش (٥) يذكر اسمه [CIH. 6] وهنا يجب أن نصحح معلوماتنا من أن طسم وجديس لم تكن من العرب البائدة ، بل يظهر أنها كانت تحت النفوذ الحميري في بداية القرن الخامس للميلاد ولما امتنعت جديس من دفع الإتارة ، حسب رواية حماد الراوية (٦) [ت ١١٥هـ / ٧٧٢ م]

(١) الطبري ج ١ ص ٨٨١ ، وانظر ابن حبيب : المحبر ص ٣٦٨ .

(٢) الأغاني ج ٩ ص ٨١ (دار الكتب) ؛ ابن بدرون ص ١١٩ — ١٢٠ ؛ ابن الأثير الكامل ج ١ ص ٣٠٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٣) عبيد بن شرية ص ٣١٨ — ٣٢٢ ، وهب بن منبه : التيجان ص ١٧٥ ، ابن حبيب: أسماء المغتالين ص ١١٧ — ١٢٠ ، ابن بدرون ص ٥٢ — ٥٨ ، البغدادي : خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٣٥ — ٢٣٩ ، ابو الفداء : المختصر ج ١ ص ٩٩ ، السمهودي : وفاء ج ١ ص ١٨٣ — ١٨٦ .

(٤) ابن الكلبي : نسب ورقة ١٤٥ [مخطوط] ؛ البلاذري : أنساب ج ١ ص ٧ ، ابن حزم ص ٤٣٤ .

(٥) انظر عن عبد كلال : خالد المسلي : عبد كلال أمير حميري » . العرب الجزء السابع — السنة الخامسة ـ محرم ـ ١٣٩١ (مارس) ـ آذار ص ٧٩٢ ٦١١٧ - ٦٣٤ .

(٦) ابن بدرون ص ٥٧ .

حاربهم حسان وافناهم ، أو أنهم هجروا اليامة أو تفرقوا في القبائل فانطمس اسمهم ، وهذا يحدث كثيراً بين القبائل [1] .

وتجدر الاشارة هنا إلىأن الطبري[2]يروى بأن جذيمة الأبرش ملك الحيرة جاء لغزو طسم وجديس فوجد حساناً قد سبقه في غزوها . وقد تعرضت مؤخرة جيشه لهجوم جيش حسان . من رواية الطبرى هذه – إن صحّت – نستدل على مدى التنافس بين ملوك حمير وملوك الحيرة علىالسيطرة على وسط الجزيرة وشرقها .

ومن المؤسف حقاً ، اننا لا نملك في الوقت الحاضر أي نقش يدون حملات لملوك حمير على وسط الجزيرة حتى زمن معدى كرب يعفر (سنة ٦٣١ سبئي= ٥٢١ م) ، إذ لدينا نقش دوّنه معدي كرب يعفر [Ry 510] يذكر ثورة الأعراب ، من ثعلبة ومضر وسبع ، كما يذكر النقش أن المنذر حاربهم ، ويذكر أن جيش معدي كرب كان يتكون من سبأ وحمـــير ورحبت وحضرموت و (ي ح ن) ومعه أيضاً اعراب كندة ومذحج [3] .

وثعلبة هنا لا بدّ أن تكون من بكر بن وائل التي كانت تحت سيطرة

---

(١) تذكر المصادر اليونانية اسم قبيلة Jadisitae كانت تسكن شرق الجزيرة العربية حوالي سنة ١٢٥ - ١٣٠ م زيدان: تاريخ العرب قبلالإسلام ص ٧٩. ابن الكلبي : الأصنام ص ١١٠ يذكر أن صنم كثرى هو لطسم وجديس وكان يعبد إلىمجيء الاسلام، وقد كسر منقبل نهشل بن الربيس، أنظر تاج العروس ج ٢ ص ١٢٥، كما أن هناك مدن ومواقع توصف من قبل الجغرافيين العرب على أنها لطسم وجديس وقد جمع أسماءها جرجي زيدان ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢) الطبري : ج ١ ص ٧٥٠ ، وأنظر أيضاً الأغاني ج ١٤ ص ٧٣ [دار الكتب] ابن سلام : طبقات الشعراء ص ٣٢ - ٣٣ ؛ الأمدي : المختلف والمؤتلف ص ٣٤ ، البغدادي ؛ خزانة الأدب ج ٤ ص ٥٦٧ .

(٣) ان قراءة وشرح الدكتور جواد للنقش **Ry 510 : Philby 228** لا أساس لها من الصحة وشرحه وقراءته لا تمت بصلة إلى واقعها هومدون بالنص،أنظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٥٩١ .

كندة [1] . أما سبع المذكورة في النقش فمن المحتمل أن تكون قبيلة سبيع القبيلة العربية الشمالية [2] .

وحوادث هذا النقش تشير إلى أنـــه عندما ثارت ثعلبة وسبيع ومضر حاربهم المنذر ، ولا بد أن يكون المنذر قد انتهز فرصة ثورة هذه القبائل على كندة ممثلة الجنوب العربي فأراد أن يبسط نفوذه عليها ، ولكن معدي كرب يعفر جهز حملته المدوّنة أخبارها في هذا النقش لإعادة سيطرة كندة ، التي نعرف من المصادر العربية أنها كانت تحكم قبائل معد في هذه المنطقة ، أو بتعبير أدق إعادة سيطرة الجنوب العربي على هذه القبائل ، هذا ولا يذكر النقش أي اصطدام بين المنذر ملك الحيرة وبين معدي كرب يعفر ، ولكن يمكن أن نفترض أن معاهدة أو اتفاقاً عقد بينهما ، والذي بموجبه اعترف المنذر بسلطان معدي كرب يعفر على أعراب وسط الجزيرة ، وهكذا نلاحظ الصراع بين الجنوب العربي والحيرة في السيطرة على قبائل وسط الجزيرة ، ويظهر أيضاً أن قبائل شمال الجزيرة أصبحت تحت نفوذ الحيرة .

وقد فقدت كندة سيطرتها على قبائل وسط الجزيرة [3] بعد أن احتل الأحباش الجنوب العربي سنة ٥٢٥ م ، إذ فقدت كندة سندها القوي بسقوط حكومة الجنوب العربي .

وبعد احتلال الأحباش للجنوب العربي وتعيين سميفع أشوع ملكاً عليه من قبل الملك الحبشي [4] ، أرسل البيزنطيون رسولاً ، اسمه يوليان Julianus

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٦٣ [ط دار الكتب] .

(٢) W. Caskel . Gamharat An - Nasab das Geuealogische Werk des Hisam Ibn Muhammad al kalbi . Leiden. 1966 Nol I P.5.

(٣) أما سيطرة كندة الجون على شرق الجزيرة فقد بقي إلى حوالي سنة ٧٥٠ م أي بعد يوم شعب جبلة أنظر :

Olinder . « Al - Gaun of The Family of Akil al - Murar » Le Monde Oriental . XXV (1931) . PP. 208 - 229 .

وبقي ملوك كندة في دومة الجندل إلى مجيء الإسلام .

(٤) The Book of The Himyarites , P . CXL ; Procopins , History of the wars . London . 1914 I , XX , 9 - 13 ,

حوالي سنة ٥٢٩ م [١] ، إلى سمويفع اشوع يطلبون منه أن يساعد امرأ القيس في اعادة سيطرته على معد ، ولكن سمويفع لم يفعل ذلك ، وربما لأن مركزه كان ضعيفاً، إذ من الصعب إرسال حملة تقطع الصحراء [٢] ، أو ربما – حسبما تذكر الروايات العربية – كان سمو يفع قد ساعد امرأ القيس إلا أن الأخير دُحر [٣] ، فلم يستطع سمو يفع مساعدته أكثر من ذلك .

وقد حاول أبرهة مدّ سلطانه إلى الشمال ، وقام بالفعل بقيادة حملة حارب فيها معداً في حلبان [٤] المكان الذي لا يزال يحمل نفس الأسم،والذي لا يبعد كثيراً عن طريق السيارات الذي يربط مكة بالرياض ، وعلى بعد ١٠٠ كم جنوب غرب ماسل [٥] وتذكر المصادر العربية اشارات إلى هذه الحملة منها شعر المخبّل السعدي :

ويوم أبي يكسوم والناس حضرٌ　على حلبان إذ تقضي محاحله
فتحنا له باب الخضير وربه　عزيز تمشّى بالسيوف أراحله [٦]

وقوله أيضاً [٧] .

ضربوا الأبرهة الأمور محلها　حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرّقٌ [٨] والحارثانِ كلاهما　شركاؤنا في الصهر والأموال

---

(١) Shahid, « Byzontium and kinda » B Z, L 111 (1960). p.62.

(٢) Procopius , I . XX . 12 .

(٣) تذكر المصادر العربية مرثد الخير بن ذي جدن ساعد امرأ القيس أنظر : Olinder The Kings ... P, 105 ومرثد ذكر مع أخيه سموينع اشوع في نقش RES 4069 .

(٤) ذكرت حلبان في المصادر العربية ، أنظر ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٥) G. Ryckmans, «Through Sheba's kinddom ..GM . XXVII 1954 , P· 137 .

(٦) الهمداني : الاكليل ج ٢ ص ١٥٧ .

(٧) البكري : معجم ما استعجم ص ٤٦١ ، والبيت الأول يرد في « لسان العرب » مادة « حلب » وفي « تاج العروس » مادة « حلب » والأكليل ج ٢ ص ١٥٧ .

(٨) محرق هو عمرو بن هند : أنظر وسائل البلغاء ص ٣٤٨ (ط ٤ القاهرة . ١٩٥٤) ، لسان العرب ج ١٠ ص ٣ ؛ المرزباني: معجم الشعراء ص ١١ وقد اشتهر المناذرة باسم آل محرق أنظر : البلاذري : أنساب ج ١ ص ٢٨ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٨٦ ص ١٧٦ ، الأغاني ج ٢٢ ص ٤١٠ [ط بيروت] .

كما أن طرفة بن العبد كان في نجران حين تقدم أبرهة إلى الشمال ، فأرسل ينذر عمرو بن هند بذلك [١] . ويذكر في نقش أبرهة [Ry 506] أن عمرو بن المنذر تدخل ودفع رهائن لأبرهة فاعترف له الأخير بالسيادة على معد.

كما أن نقش Ry 506 يسجل حملة ثانية أرسلها أبرهة ضد بني عامر في وادي تربة ، وهنا لا نعرف فيما إذا كان بنو عامر ثاروا [أفسدوا] ضد أبرهة ، أي أنهم كانوا تحت نفوذ أبرهة قبل ارسال حملته ثم ثاروا عليه ، أم أنه أراد السيطرة عليهم ليضمن سيطرته على خط المواصلات بينه وبين حلفائه البيزنطيين في الشام . هذا وبعد ذلك انسحب ابرهة . ولا نعرف إلى متى امتد حكمه على وسط الجزيرة ، إذ أنه لم يخرج من اليمن إلا مرة واحدة ، كما ذكر بروكبيوس عندما طلب منه البيزنطيون أن يحارب الفرس من جنوب العراق . وهنا يمكن أن نقول إن حوادث هذه الحملة هي جزء من حوادث حملة الفيل ، وإن كان النقش لا يذكر أية حملة على مكة ، إذ ربما أرسل أبرهة جيشاً إلى مكة ولكنه باء بالفشل ، ولم يدون فشله ، أو أنه أرسل الحملة بعد تدوين نقشه Ry 506 .

وتاريخ هذه الحملة كما مدون في النقش هو سنة ٦٦٢ سبئي ، والذي يقابل سنة ٥٥٢ م ، وهو تاريخ عام الفيل حسب رواية الزهري [٢] .

كلية الآداب – جامعة الرياض

الدكتور خالد العسلي

---

(١) ابن حبيب : « المنمق » ص ٦٩ :

من مبلغ عمرو بن هند رسالة فليت غراباً في السماء يناديكا
فريقان منهم كعبة الله زائراً وآخر لما يقطع البحر آتيكا
بنجران ما قضّى الملوك أمورهم فلا أسمعت ما ان أقمت بواديكا

وانظر ديوان طرفة بن العبد ص ١٤٦ – ١٤٧ (ط. باريس ١٠٩١ إذ يذكر « بجران » بدل من « بنجران » .

(٢) أنظر : خالد العسلي « هل ولد الرسول (ص) في عام الفيل » . « مجلة المنهل » الجزء الأول ، السنة ٣٧ ، المجلد ٣٢، المحرم ١٣٩١ هـ . ـ مارس (آذار) ١٩٧١ م ص ١٣–١٩.

« الكَلِمُ النَّوابغ » (١)

- ١ -

هي مجموعة حكم ونصائح متلونة بعبقرية الزمخشري ، وشخصيته العميقة ، وعلمه الواسع ، ومشاعره الجمة . وهي في الوقت نفسه ليست ذاتية ، ولا تعبيراً عن نفسه وتجاربه الشخصية فقط ، وإنما هي استخراج لمعاني الحياة ، والتعبير عنها ، والحث على ترقيتها لتنمية الطبيعة الانسانية ، فهو يصل في حكمه إلى قمة الأشياء الروحية ، فيغوص في أعمق أعماق النفس البشرية ، ويحللها كما يفعل الكيمياوي في المختبر ، فيثير في نفس المتلقي قوة معنوية ، وعواطف تحيي الضمير ، فتحثُّ على التمسك بالدين ومـــا فيه من الفضيلة ، والعدل ، والجد في العمل ، والتضحية ، واحترام الآخرين وحبهم ، كما ينهى عن الرذيلة ، والأنانية ، والشر والظلم والجهل والضلال والكسل والحقـــد

---

(١) تأليف جار الله ابي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . ولد بزمخشر – من قرى خوارزم – يوم الأربعاء في السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م كان واسع العلم كثير الفضل ، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفنناً في كل علم : النحو ، واللغة والتفسير ، والمعاني والبيان ، والشعر . كما كان حسن السيرة في السر والاعلان . توفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ / م ١١٤٤ . وكان حنفي المذهب معتزلي العقيدة . ومما يصور حب الزمخشري لمكة وتعلقه بها قوله :

أنا الجارُ جارُ الله مكـّـة مركزي ومضربُ أوتادي ومعقد أطنابي
فمن يلفَ في بعضِ القريات رحلة فأمُّ القرى ملقى رحالي ومنتابي
ومَنْ كان في بعض المحاريبِ راكعاً فللكعبةِ البيت المحرم محرابي
إذا التصقتْ في آخر الليلِ لبق بملتزمِ الأبرارِ من أيمُنِ البابِ
أو التصقت بالمستجارِ أو التقتْ على الركن أجفاني بسح وتسكابِ
فقلْ لملوكِ الأرض يلهوا ويلعبوا فذلك لهوي ما حييتُ وتلعابي

انظر ديوان الأدب ورقة : ٦ . انظر المصادر في :

Geschichte der Arabischen Litteratur , I. 344 . Supl . I 54 , 160 , 172 , 507 , 513 .

The Encyclopaedia of Islam , 4 . ii , 1205 - 1207 .

والجشع وعن كل ما يؤدي إلى تأخر النفس البشرية والمجتمع الانساني ، فهو يأخذ بأيدينا إلى مجتمع مثالي راقٍ .

ومن جهة أخرى نستطيع أن نلحق هذا الكتاب بكتب التاريخ ، إذ فيه من النقد الاجتماعي القيم للأحداث السياسية والأخلاقية والدينية التي طبعت النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري ، إذ نستطيعُ أن نفهم من خلال تلك الحكم ميزات تلك الفـــترة وعيوبها ، ونستشف روح ذلك العصر ، تناولها الزمخشري بأسلوب العالم الأديب ، والناقد البصير الواسع الاطلاع ، والملم بكل ما يجري حوله من أمور وأحداث .

وجدير بالذكر إن هذه الحكم معدودة في الصور البلاغية ، لما فيها من الدقة والطرافة ، ولما يتميز به لفظها من الرونق والرشاقة ، فضلاً عن جمالها ودقة تصويرها ، وايضاحها المعنى ، وايجازها في ادائه . فهي موحية صادقة في السيطرة على القارىء بحيث يحس المعنى أكمل إحساس وأوفاه .

وخلاصة القول : ان الزمخشري – في هذا الكتيب – يعبر عن المعنى تحت غطاء من الفنون البلاغية مليء بالتركيز واللمحات الخاطفة ، حتى لقد قال فيه السيد حبيب الدراجي التونسي : [١]

روض البلاغة قد تفتّح زهره وجرى بتسنيم الفصاحة نهرُهُ
أو ما ترى «الكلم النوابغ» قد بدت تزري بعقدٍ لا يثمّن قـــدرُهُ
من نسج جار الله أستاذ الورى المعتلى بـين البرية قـــدرُهُ
يا زمرة الأدباء بشراكم بمـــا قد همْ طلابُ المعارف نشرُهُ

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يذكر الزمخشري نفسه السنة التي انتهى من تأليفه للكتاب هذا، ولكن كل الذي نستطيع قوله : انه ألفه بعد أن جاوز الثانية والأربعين من عمره ،

(١) الأبيات في الصفحة الأخيرة من كتاب « الكلم النوابغ » طبعة بيروت ،

أي بعد مرضته الناهكة التي أصيب بها سنة ثنتي عشرة بعد الخمسمائة (٥١٢) هجرية ، وقبل تأليفه لكتاب « الكشاف عن حقائق التنزيل » والذي انتهى منه في « ضحوة يوم الاثنين ، الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة »[١] ، للأشارة القاطعة التي عثرت عليها في « الكشاف » ألا وهي : «وفي نوابغ الكلم» : صنوان : من منح سائله ومنّ، ومن منع نائله وضن[٢] .

عنوانه :

ورد الكتاب باسم « النصائح الصغار » و « النصائح الصغرى » وباسم « الكلم النوابغ » و « نوابغ الكلم » فقد ذكره المؤرخون القدامى منهم ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : ٢ / ١١٩ ، والسيوطي في « بغية الوعاة »: ٣٨٨ ، وطاش كبرى زادة في « مفتاح السعادة » : ١ / ٤٣ ، وحاج خليفة في « كشف الظنون » : ٢ / ١٩٧٨ ، وأدورد فانديك في « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » : ٣٤٣ باسم « الكلم النوابغ » . وذكره ياقوت الحموي في « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » : ٧ / ١٥٠ باسم : « الكلم النوابغ في المواعظ » . وذكره محمد عبد الجواد في « فهرس الخزانة التيمورية » : ٣ / ١٢٢ باسم « نوابغ الكلم » . وورد ذكره في « فهرس دار الكتب المصرية : ٣ / ٣٠٥ : (« الكلم النوابغ» ويسمى « النصائح الصغار » تأليف جار الله ..) .

أما عنوان مخطوطة المتحف البريطاني[٣] والتي اعتبرتها النسخة الأم فهو: « النصائح الصغار » .

وأما عنوان مخطوطة المتحف العراقي[٤] فقد كتب على الورقة الأولى : « كتاب نوابغ الكلم في الأدبية وتسمى النصائح الصغار لجار الله العلامة

---

(١) مقدمة الكشاف .
(٢) تفسير الكشاف . ١/١٢٥ . والقول في صفحة ١٢ من هذا الكتاب .
(٣) المخطوطة تحت رقم (Or. 3733) .
(٤) المخطوطة تحت رقم (٥٦٣) .

صاحب الكشاف » وهنا نتساءل ، يا ترى ما الاسم الصحيح للكتاب ؟ . أقول إن التسمية الأصلية والصحيحة هي «الكلم النوابغ» بشهادة الزمخشري ، فقد بدأ مقدمة الكتاب بقوله : اللهم إن ما منحتني من النعم السوابغ ، إلهام هذه « الكلم النوابغ » .

وذكره الزمخشري أيضاً باسم «نوابغ الكلم» في كتابه «ربيع الأبرار[(١)]» في باب السماء والكواكب وذكر العرش والكرسي قائلا : « في نوابغ الكلم» شيّع الحسنة بحسن الجزاء ، فما أحسن الشعرى خلف الجوزاء » [(٢)] .

وذكره في كتابه « أساس البلاغة » في مادة « جدب » قائلا : « وفي نوابغ الكلم : من كان آدب ، كان رحله أجدب » [(٣)] .

وفي مادة « رقن » : « العلم درس وتلقين ، لا طرس وترقين [(٤)] » .

ونقل الصفدي في كتابه « الغيث المسجم في شرح لامية العجم» ٢٧٨/٢ من الكتاب قائلا : « ومن الكلم النوابغ : رب كلام أوردك مورد القتال ، أوردك مورد القذال [(٥)] . ومنها : يا بني ا قِ فاك ، مما يقرع قفاك » [(٦)] .

مما تقدم يصح أن يكون دليلا كافياً على أن « الكلم النوابغ » و « نوابغ الكلم » هو أصل عنوان الكتاب . أمّا « النصائح الصغار » و « النصائح الصغرى » فهي التسمية الاصلية لكتاب « أطواق الذهب » [(٧)] ولكنها نسيت .

ومما يجب ذكره : أن هناك كتاباً آخر يحمل العنوان نفسه ، فقد جاء في فهرس الكتب العربية : ٣ / ٢١٣ « نوابغ الكلم » : وهي كلمات مختارة

---

(١) حققنا الجزء الأول منه وهو معد للطبع . (٢) القول من صفحة ١٦ من هذا الكتاب .
(٣) القول في صفحة ١٣ . ومعنى آدب: أفضل التفضيل من أدب النفس لا من أدب الدرس.
(٤) ، (٥) ، (٦) : في صفحة ١٧ و ١٢ و ١١ .
(٧) تأليف الزمخشري أيضاً . ترجمه المستشرق : « Joseph de Hammer » للألمانية وطبعه مع الأصل في فيينا سنة ١٨٣٥ . وترجمه المستشرق : « Fleischer et Weil » وطبعه في شتجارت سنة ١٨٦٣ . وترجمه المستشرق الفرنسي «C.Barbier deMeynard» وطبعه باللغتين العربية والفرنسية في سنة ١٨٧٦ بعنوان: أطواق الذهب Le Colliers D, Or وطبع بمصر طبعة تجارية .

من نوابغ كلم مشهوري الكتاب والشعراء العصريين ، في مقاصد شتى ، عني بجمعها الأديب عبد العال أحمد حمدان ، وابتدأها بكلمة للأمير محمد علي باشا ابن المرحوم محمد توفيق باشا خديري مصر سابقاً .. في معنى الحرية وكراهية التهتك والتبرج » .

شروحه :

لقد كان للكتاب صداه العميق ، وشهرته الواسعة ، مما حدا الأدباء إلى شرحه وتوضيحه لتقريبه إلى فهم الناس ، بشهادة حاج خليفة [٤] . « شرحه مؤيد الدين ابن الموفق ، وكان حياً في سنة (٦٤٠) ، أربعين وستمائة ، وشرحه بايزيد بن عبد الغفار القونوي ، وفرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة (٩٨٣) ثلاث وثمانين وتسعمائة ، وشرحه المولى محمد المنشىء شيخ الحرم بالمدينة المنورة ، المتوفى سنة (١٠٠١) ، وشرحه العلامة سعد الدين التفتازاني وسماه بـ« النعم السوابغ في شرح النوابغ » وهو شرح ممزوج » [٥] .

ومما نقلته من « مؤلف مخطوط للأستاذ الفاضل محمد الصفائحي » مساعد الرئيس في مكتبة السليمانية في استانبول : عن المخطوطات العربية في تركيا . « نوابغ الكلم » : نسخة شرحها عبد الرزاق الكاتب بالصدارة الملقب بالمكتوبي وسماه « الشموس البوازغ في إضاءة مشكلات النوابغ » ، أوله : « الحمد لملهم البلغاء ، نسيج ديابيج الفقرات البليغة .. وشرحها أغا زاده بالتركية وسماه « محاسن الحسام » ، وشرحها عبد السلام بن زين الدين بن مجد الدين ابن خواجة شمس الدين السرامي ، أوله : (إن ما هــو أحرى بالأقبال والقبول ، وأجرى على القلوب من القبول حمد لله سبحانه) .

← ولا أدري كيف فاتت الدكتور الجليل أحمد الحوفي النقطة التالية في كتابه « الزمخشري » حيث وضع تحت عنوان « حديقة النثر » ص ٢٨٠ – ٢٨٢ كتاب « أطواق الذهب » تحت رقم ٣ وكتاب النصائح الصغار والبوالغ الكبار » تحت رقم ٤ ، ثم أورد أقوالاً منها : « القاضي تعمل فيه الرشوة ما لا تعمل في الشارب النشوة » الخ .. من الأقوال ، ثم ذكر في الهامش النص مأخوذ من كتاب « أطواق الذهب » ص ٨ . (١٤) كشف الظنون : ١٩٧٨/١ ،

(١٥) عُلق في الهامش : قيل ينبغي أن يصنف كتاب على نمط « النوابغ » هذه ويسمى بـ « توابع النوابغ » كما قال الشيخ محمد جلال الدين السيوطي .

وجاء في «فهرست كتب خطي كتابخانة آستان قدس رضوي» ما يلي[١]:

« وقد ألف موفق بن الجد الخاصي من علماء الآداب في القرن السابع الهجري المتوفى سنة (٦٤٠ هـ) كتاباً سماه « درر الدقائق ودرر الحقائق » للسلطان ناصر الدين داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب من ملوك الشام والمتوفى سنة (٦٥٦) هجرية . والحقيقة ان هذا الكتاب هو شرح لكتاب « النوابغ الكلم » للزمخشري ، وكتاب « شعر الشعراء » ، وكتاب « نثر النثرة » : ومنه نسخة في مكتبة آستان قدس رضوي تحت رقم (٤٥٦٢) » .

وورد في « فهرس الكتب العربية لدار الكتب المصرية »[٢] : « شرح الكلم » النوابغ : للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تأليف العلامة محمد بن دهقان علي النسفي . أوّله : اللهم : أصله يا الله ! وحذف حرف النداء وعوض عنه الميم الخ . طبع في مدينة روما سنة ١٨٧٢ ، عني بنشره وطبعه هنريكوس البرنس تولتنز ، وترجمه ووضع عليه ملاحظات باللغة اللاتينية .

وأخبرني الدكتور الفاضل الأستاذ حسين محفوظ : بأن له شرحاً لأبي حسن بن عبد الوهاب بن علاء الخيوقي الخوارزمي باسم « النعم السوابغ » مطبوع في قازان سنة ١٣١٤[٣] .

مكانته :

يخبرنا حاج خليفة[٤] : ان جلال الدين السيوطي قد قلّد الزمخشري فألّف كتاب « درر الكلم وغرر الحكم » على أسلوب نوابغ الزمخشري ، وهذا ما يدلُّ على أهمية الكتاب وفائدته، وبلوغه ذروة الكمال بحيث أصبح أنموذجاً يحتذى به ، فيدفع كاتباً ومؤرخاً شهيراً كالسيوطي أن يؤلف كتاباً ينسجه على منوال « الكلم النوابغ » .

(١) الجزء ٧/٣٤٠ .
(٢) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥/١٩٦٧ ، الجزء ٣ ص ٢١٣ .
(٣) أشار إلى هذا الشرح المستشرق بروكلمان في كتابه :
Ceschichte der Orabischen Litteratur , Supl . I. 512 .
(٤) كشف الظنون : ١/٧٤٨ .

النسخ التي اعتمدتها في التحقيق :

١ ـ مخطوطة المتحف البريطاني المحفوظة تحت رقم(Or . 3733) [١] والتي اعتبرتها النسخة الأم . كتب العنوان على الورقة الاولى داخل زخرف جميل على شكل زهرة : « النصائح الصغرى » خطأ وكتب تحته (الإمام العلامة الهمام ، أوحد المفسرين ، أمثل البلغاء المنوهين ، مولانا جار الله محمود الزمخشري ـ رحمه الله تعالى وسلم). توجد تمليكات كثيرة كتبت بخط رديء استطعت قراءة بعضها : (الحمدُ لله وحده ، ملكتُ هـذا السفَر الجليل المشتمل على خمسةٍ من المؤلفات المفيدة مولانا أمير المؤمنين ، وسيّد المرسلين، المنصور بالله رب العالمين ، أبا العبّاس الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله ، حفظه الله وحماه آمين آمين) . وكتب تحتها : (للزمخشري ـ رحمه الله ـ قالها وأمر أن تدرج في أكفانه هذه :

إلهي قد أصبحتُ ضيفكَ في الثرى ... وللضيف حـقٌ عند كلِّ كريمِ
فهب لي ذنوبي في قـراي فإنّها ... عظيمٌ ولا يُقرى بغير عظيم) .

وتحتها (الحمد لله ملك الفقير إلى الغني القدير عبد .. غفر له) . وفي آخر الورقة كتب بداخل مربع [وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله] .

لم يسجل الناسخ تاريخ النسخ في نهاية مخطوطة « الكلم النوابغ » وإنما سجّله في آخر المخطوطة « أطواق الذهب » والتي تـلي « الكلم النوابغ » في المجموعة ، قال : (تمت المقالات والحمد لله على جميع الحالات والصلوة والسلام على محمد موضح الدلالات . كان الفراغ من رقمها في شهر ذي القعدة الحرام عام خمس وسبعين وألف) .

تتألف المخطوطة من تسع أوراق ، في كل ورقة خمسة عشر قولاً ، انظر

---

(١) تقع ضمن مجموعة تبدأ بـ « الكلم النوابغ » والتي سميته خطأ بـ « النصائح الصغرى » ويليها « أطواق الذهب » للزمخشري أيضاً ويليها « أطباق الذهب في المواعظ والخطب » لهبة الله لا أحمد الشقروة ، سلك فيها مسلك الامام جار الله في مقالاته « أطواق الذهب » وبعدها « الدرة اليتيمة » لعبد الله بن المقفع ، وأخيراً كتاب « الفرائد والقلائد » لأبي منصور عبد الملك ابن محمد بن محمد بن اسماعيل الثعالبي .

الورقة الاولى والثانية على صفحتي (٨ و ٩) من هذا الكتاب .

٢ - نسخة المتحف العراقي : المحفوظة تحت رقم (٥٦٣) ، رمزت لها بالحرف (ق) . كتب على الورقة الأولى منها العنوان التالي ، (كتاب نوابغ الكلم في الآداب، وتسمى النصائح الصغار لجار الله العلامة صاحب الكشاف). وكتب بجانبه : (ما في هذه الجلة الشريفة نوابغ الكلم للزمخشري « أطوق الذهب » أيضاً) . تتألف من اثنتي عشرة ورقة ، في كل ورقة ثلاثة عشر سطراً ، تتراوح كلمات كل سطر بين ثمان إلى أربع عشرة كلمة . الخط واضح جداً ومشكول .

٣ - نسخة جامع النبي شيت في الموصل : اعتمدت على صورتها « المايكروفلم » المحفوظ في المكتبة المركزية ببغداد تحت رقم (١٦) رمزت لها بالحرف (ش) . تضم هذه النسخة « الكلم النوابغ » مع « السوابغ في شرح النوابغ » لسعد الدين التفتازاني وهي من كتب المرحوم محمد علي أفندي ابن الخليفة . يوجد ختم على الصفحة الأولى استطعت قراءة بعض منه (مظهر نور ابن عبد الله بن محمد ..) تتالف من خمس وثمانين ورقة ، في كل ورقة ثلاثة عشر سطراً ، الخط حسن وواضح .

٤ - طبعة باريس : أشرت لها بالحرف (س) ، ولقد اعتمدت عليها في التحقيق إذ فيها بعض الاختلافات . حقق الكتاب وترجمه إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي : « C. Barbier de Meynard » في مجلة «Journal Asiatique» بعنوان « Les pensées de Zamakhschari » في سنة ١٨٧٥ . يضم الكتاب (٢٨٥) قولاً . اعتمد في تحقيقه للكتاب على نسختين خطيتين محفوظتين في المكتبة القومية بباريس ، وعلى نسخة مصورة لنسخة محفوظة في استانبول ، كما اعتمد على طبعها المستشرق الهولندي[1] «Henricus Albertus schultens» كما يذكر هو في مقدمته .

---

(١) في سنة ١٧٧٢ ، نشر المستشرق كتاب « الكلم النوابغ » بعنوان : « Anthologia Sententiarum Arabicarum » ويتألف الكتاب من مائتي قول مع شرح محمد بن دهقان بن علي النسفي ، اعتمد المحقق على نسخ ثلاث . يبدأ الكتاب بعد مقدمة الزمخشري بالقول : « المرءُ يقدم ثم يحجم ، والنوءُ يثجم ثم ينجم » ، وينتهي بالقول : «أصحاب الأطمار، يدرون سحائب الأمطار» .والأقوال مع الشرح ترجمه الى اللاتينية في الهامش.

يبدأ الكتاب بعد مقدمة طويلة للمحقق ، ثم مقدمة الزمخشري ؛ أما متن الكتاب فيبدأ بالقول : « آنث من النّسوة ، من اتّخَذَ النّسوة أسوة »

وينتهي الكتاب بالقول : « ويد البخيل لا تبض حتى تسلق بالمقول ، ولا يستخرج ما في الجبل الا الضرب بالمعول »

٥ – طبعة بيروت : رمزت لها بالحرف (ب) لأنها أوفر النسخ نصاً وتنفرد ببعض الاختلافات . طبع الكتاب محمد الكستي البيروتي بالمطبعة اللبنانية سنة ١٣٠٦ هـ ، طبعة تجارية معتمداً على نسخة واحدة لم يشر فيها إلى مكانها ولا إلى تاريخ نسخها . يبدأ الكتاب بعد مقدمة الزمخشري بالقول: « السُّنة منهاجي ، ومنها أجي » . وينتهي بالقول : « الدنيا مملوءة عبراً ، مشحونة غيراً » .

وبعد ! فللقاريء الكريم أن يعلم بأنني جعلتُ وكدي هنا أن أنشر نص « الكلم النوابغ » دون شرحها نشراً محققاً بالطريقة العلمية ، وعلى ما تقتضيه أساليب النشر الحديث بما وسعني من جهـــد ، ولقد أرجأتُ نشر شرحها لسعد الدين التفتازاني الوافي بالغرض إلى فرصة أخرى إن شاء الله .

وبعد ! فلا يسعني أن أختم هذه الكلمة دون أن أقول : بانه ينبغي لكل ذي عقلٍ وبصيرة أن يقرأ هذا الكتيب ، بالرغم من صغر حجمه ، فإننا عند قراءته نعيش في عالمٍ واسع رحبٍ ، مترامي الاطراف كله خير وبركة. كما يفتح أمامنا عوالم وآفاقاً فسيحة حلوة فيها الدفء والتفاؤل .

وبمعنى آخر ، يرسمُ لنا الزمخشري في كتابه هذه عوالم مجتمع إنساني راق تتمناهُ كل نفسٍ خيرة وتسعى لإيجاده ، والله ولي التوفيق .

(للبحث صلة)

الدكتورة بهجة الحسيني

الأستاذة المساعدة في كلية الآداب – جامعة بغداد

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ١٠ -

أفقِرَى : قال الأستاذ الخميس : وإذا كنا بمحاذاة (أبي دخن) أو قبله تنبسط الأرض يميناً ، ونرى على بعد أكيات وحذونا متطامنة عندها هجرة برجس المريبض وجماعته من الروسان – من برقا – عتيبة ، واسمها (أفقرى) –بفتح الهمزة وإسكان الفاء وكسر القاف وفتح الراء بعدها ألف مقصورة– وهذه لم تبعث إلا منذ زمن قريب . وشماليها بينها وبين جبلة أكيمة صغيرة تسمى (ضليع العجمان) . اهـ

والواقع أن هجرة برجس المريبض وجماعته في أفقرى حديثة ، ولكن (أفقرى) ليست حديثة ، فـ (أفقرى) ماء قديم معروف ، وقد عرفته ومررت بناحيته قبل أن يستقر فيه المريبض وجماعته . وقد ورد له ذكر في الشعر الشعبي ، قال بعض الشعراء :

مرباعهم بأفقرى يا عبيد وأين غسل هو مداهيله
يا والله اللي علي بعيد ما جا وأنا كيف أبا جي له

وتحف بهذا الماء من ناحيته الغربية جبيلات سود تسمى (ضليعات أفقرى) وتمتد هذه الجبيلات من الجنوب إلى الشمال بشكل تدريجي في الانخفاض ، وفي طرفها الجنوبي تبرز هضبة سوداء ترى من مسافة بعيدة ، وبمحاذاة هذه الجبيلات من الشرق يمر وادي أفقرى ، واد كبير في أعلاه عُسر ورمث مزدحم ، وفي معتلجه حيث تلتقى روافد شرقاً من الجبيلات يقع ماء (أفقرى) القديم حيث يتسع الوادي ويزدحم بالرمث وأنواع الحمض ، وتظهر فيه غابة من الطرفاء ، ثم يدفع صوب الشمال الشرقي ويفيض في وادي الرشا (التسرير) قديماً تاركاً هجرة الحلاج (الرشاوية) يساراً منه .

أما (أفقرى) هجرة المريبض وجماعته فإنها تقع في صحراء مستوية على

ضفة وادي أفقرى الشرقية شرقاً من ماء (أفقرى) القديم قريبة منه، وتربتها صالحة للزراعة وماؤها وفير ، فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومستوصف ، ومضاءة بالكهرباء ، وتبعد عن الطريق المعبد شمالاً (٢٧) كيلا ، ولم أعثر لها على ذكر في كتب المعاجم القديمة بهذا الاسم ، وقد وصف الأستاذ الخميس جبيلات أفقرى بأنها أكيمات وأن ما حولها حزون متطامنة ، والواقع أنها لم تكن متطامنة ، إذ لو كانت متطامنة لما شوهدت من مسافة بعيدة ، فهي جبال سود غير كبيرة ولكنها واقعة في صحراء عبلة وادي الرشا ، فالصحراء المحيطة بها تشكلها عبلة مرتفعة ، إذن يكون في قوله : (حزون متطامنة) تناقض ، وذلك أن وصف كل موضع يعتبر بالنسبة لما حوله من الصحاري والأعلام .

الحزن والعبلة لغة : سأتحدث عنها باعتبار ما تعارف عليه الناس في هذا العهد، ثم أتلو ذلك بإيضاح العلاقة بين التعبير المعروف في هذا العهد، وبين ما ورد في كتب اللغة مما نقل عن العرب المتقدمين .

الحزن : الواقع أن كلمة حزن لا تكاد تسمعها في هذا العهد كوصف لنوع من الصحاري ، ولكن التعبير الشائع في لغة البدو والحضر في هذا العهد، هو اللفظ المرادف لها عند العرب، وهو كلمة (حزم) ويجمع على (حزوم) كما هو في لغة العرب المتقدمين ، وهو وصف للصحراء الغليظة المرتفعة التي تغطيها الأحجار ، سواء كانت سوداء أو حمراء ، وقد ورد ذكر هذا النوع من الصحاري في الشعر الشعبي، وأكثروا من ذكرها ووصفها، قال مخلد القثامي:

يا تلّ قلبي تل ركب لياذل وليا عطوا مع راس حزم قراوي (١)
حـاديته المظْماة والخيل تشماه قافيه بدو ودارعين بشواوي (٢)
لَـدُّوا بهن يسار من عمس الأبصار باح اليقين ويبِّسَنّ الشـــفاوي (٣)

---

(١) ليا : إذا عطوا . أي سلكوا ، حزم : صحراء غليظة ، قراوي . مرتفع .
(٢) تشماه : تطارده ، بدو : هم رعاة الابل ، دارعين : مختلطين ، شواوي: هم رعاة الغنم.
(٣) باح : نفد .

لَـدُّوا بُهـِنّ يمين مثل السراحين وبدت عليهم حزبة مع نزاوي[1]

وقال جهز بن شرار :

الخيل نركبهـــا الحزوم الحفية راحن بفرسان لـُحايل مطيمين[2]

الحزوم في بيت جهز جمع حزم . وغالبـاً تكون أرض الحزم خشنة يتأذي الماشي بالوطىء فيها وتسبب له الحفا في قدميه . وكذلك فهي تحفي أخفاف الإبل وحوافر الخيل .

وقال في «التاج»[3] الحزن – بالفتح – ما غلظ من الأرض كما في «الصحاح»، وقال أبو عمرو : الحزن والحزم الغليظ من الأرض ، وقال غيره : الحزم ما احتزم من السيل من نجوات المتون ، والحزن ما غلظ من الأرض في ارتفاع ، والجمع حزوم وحزون ، وقال ابن شميل : أول حزون الأرض قفافها وجبالها ورضمها وقال في موضع آخر : الحيزوم الغليظ من الأرض ، وسمى الأخطل الحزم من الأرض حيزوماً وهو المرتفع فقال :

فظل بحيزوم يفل نسوره ويوجعها صوانه وأعابله

وقال لبيد :

فكأن ظعن الحي لما أشرفت في الآل وارتفعت بهن حزوم

وباستقراء ما ذكره صاحب «التاج» في تعريف الحزم والحزن، وما أورده من الشواهد ومقارنته بما ذكرته من وصف الحزم في لغة أهل نجد في هذا العهد وما ذكرته من الشواهد من الشعر الشعبي ، يتبين أنه لا اختلاف بين المتقدمين العرب والمتأخرين في ذلك ، وكلهم وصفوا الحزم بأن الأرض الغليظة المرتفعة وليس الأرض المتطامنة كما وصفه الأستاذ الخميس .

العبِلة : يطلق عامة أهل نجد هذا التعبير على الصحراء المرتفعة التي تعلوها حجارة بيضاء (مرو) وغالباً تكون صغيرة وملساء ، وهذا النوع من الصحاري موجود في عالية نجد على مساحات شاسعة ، أما في شرق الجزيرة

---

(١) بدت : ظهرت ، حزْبة : جماعات شديدة ، نزاوي : مرتفعات .

(٢) الحزوم : جمع حزم ، الحفية : الغليظة التي تحفي حوافرها ، أي حوافر الخيل .

(٣) « تاج العروس » ، ج ٩ ص ١٧٤ .

فإن وجوده نادر ، وقد ورد له ذكر في الشعر الشعبيقال حنيظل البرازي :

إن وايق السّبّار في رأس منقوح   وقال اقبلت وانتم عليكم خطرها [١]
قال اقبلت مع رأس عبلا كما الدوح   جتكم تناحي للخطر من جيرها [٢]

وقال آخر :

العارض المنقاد من دون خلتّي   والعرقعرق سْبيع واطول هجراه
وكم دونهم من نايف مستقل   ومن عبلة تزمي والأخرى دموماه [٣]

وقال الشيخ محمد بن بليهد[٤] :

المزن في العبلْ تدفق عزاليه   عسى حلال الناس ينجم ويرعاه [٥]
وغيث الأوادم يا مدور حراويه   في جانب البره خيـامه مَبنـّاه

العبل : هو الجبل الأبيض الذي يكون بياضه شبيهاً ببياض العبلة ، وهذا النوع من الجبال منتشر في عالية نجد ، ومع أنه يعرف في مواضع كثيرة، فانه لا توجد من نوعه تكوينات على شكل سلاسل جبلية أو هضاب واسعة ذات أودية وشعاب ، وإنما يوجد على شكل قمة منفردة بيضاء ، وكما أنها لا تكون ذات قمم متعددة فهي كذلك لا تكون شاهقة في الإرتفاع ، ومن أشهر هذه الجبال (عبل معيقل) الواقع في ناحية سلسلة جبال (مُعيقل) من الشمال ، جنوباً من بلدة الشعراء ٢٠ كيلاً تقريباً ، وهو قرن أبيض ، شديد البياض ، صخوره من نوع المرو الخالص ، ويعرف سابقاً بـ (عبل الرياشي) ومن ناحيته يأتي أحد الروافد الرئيسية لوادي الشعراء ويسمّى (شعيب الرّياشية) في هذا العهد ، وهذا العبل من المزارات التي يرتادها البدو في فترة جهلهم للتبرك بها وإهداء القرابين لها ، وقد ذكر ذلك جدي بن فهد الصميت في رسالةبعث بها إلى الشيخ عبد الله أبي بطين [٦] ، ولا تزال آثار الطرقات التيتدور حوله

---

(١) وايق : أطلّ ، السبارة الرقيب ، منقوح : قمة عالية .
(٢) عبلا : عبلة ، الدوح : الشجر الكبار ، واحدة دوحة ، تناحي : تذود يميناً وشمالاً .
(٣) نايف : عالي ، مستقل : مرتفع ، تزمي : تسمو ، دموماه . مستوية الظهر مرتقعة .
(٤) « ابتسامات الأيام » ص ٢٨٥ .
(٥) ينجم : يعيش ، ويخرج من أزمة الجدب .
(٦) « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ج ٢ مطبعة المنار ، ص ٢٢٧ .

واضحة في عروضه ، ولهذا العبل قمة لا تكاد تصل إليها إلا بمشقة ، ولم أطلع له على ذكر بهذا الاسم في كتب الجغرافيا القديمة .[١]

وهناك عبل آخر غير بعيد من عبل معيقل واقع فيما بين (الحذنـّي) و(بجيرات) يسمى (عبيل رحـّال) تصغير عبل ، وهو الذي ذكره شاعر من أهالي الدوادمي في قوله :

يا خل ياللي زمى رحـّال من دونه   بين الرفايع وفرحه والسبيحيـّه

وهناك أيضاً عبل من هذا النوع غرب من سمرة ، وقد ذكره بعض شعراء أهل الدوادمي في قوله :

مشيي بشمبان العبل في يدي فاس   أحب عندي من مقابل جباها

ومن الجبال المشهورة من هذا النوع العبل الواقع في أعلا وادي الجيد ، في ناحية الجمس الشمالية ، وقد أسّست في جانبه هجرة حديثة لآل محيا الحناتيش من قبيلة الروقة – من عتيبة – وسميت (العبل) باسم هذا الجبل الأبيض المجاور لها ، وهذا النوع من الجبال كثير جداً .

أما ذكره أصحاب المعاجم اللغوية : قال في التاج [٢] : العبل الضخم من كل شيء ، وهي بهاء جمع عبال كحبال وضخام، وجمع عبلة عبلات لأنه نعت، وقد عبل ككرم ، وكذا عبل مثل نصر ، أي ضخم ، فهو أعبل ، وعبل كفرح عبلا فهو أعبل ككتف وأعبل ، أي غليظ أبيض ، والعبلاء الصخرة من غير أن تخص بصفة ،أو البيضاء منها كما في «الصحاح»، وهكذا قيده ثعلب وغيره الصلبة ، وجمعها عبال ، كبطحاء وبطاح ، وقال أبو عمرو : العبلاء معدن الصفر ببلاد قيس ، والأعبل الجبل الأبيض الحجارة ، ومنه قول أبي كبير الهذلي :

صديان أجدى الطرف في ملمومة   لون السحاب بها كلون الأعبل

ووقع في «الصحاح»:الأعبل حجارة بيض ، وصوابه الأعبل حجر أبيض، لأن أفعل من صفة الواحد المذكر . ا هـ

---

(١) في كتاب « في سراة غامد وزهران » إشارة موجزة عن (ذي الخلصة) قد يكون فيها ما يلمح إلى تعليل مثل هذه الخرافة .

(٢) تاج العروس ، ج ٨ ص ٣ – ٤ .

وبهذا يتبين مدى الاتفاق بين عرب الجزيرة المتقدمين والمتأخرين في التعبير عن المسميات والصفات، والواقع أن (ضليع العجمان) بالنسبة لهجرة برجس المريبض (أفقرى) يقع شمالاً شرقياً ، ويقع بالنسبة لهضبة (جبلة) جنوباً شرقياً ، فهو لا يقع بين (جبلة) و (أفقرى) ، وهو جبيل صغير ، تراه أول ما يبدو لك أسود ، وحين تصل إليه تجد أنه يميل إلى الحمرة ، وهو واقع في عبلة مرتفعة فيما بين وادي الرشا (التسرير) قديماً وبين (هضبة جبلة) قريباً من جبلة ، قـال الخميس : وإذا اقتحم نظرك (أفقرى) و (ضليع العجمان) وأنت بمحاذاة (أبي دخن) برزت لك هضبة (جبلة) متبرحة سامقة .

والواقع أن (أفقرى) هجرة المريبض لا ترى بالبصر من الطريق كما ذكر ، أما (ضليعات أفقرى) فإنها تبدو للسائر مع الطريق قبل أن يحاذي (أبا دخن) بمسافة بعيدة . أما (ضليع العجمان) فإنه لا يرى من الطريق لما يتحدّب دونه من الصحارى والمرتفعات ، ثم هو بعيد من أفقرى في جهة الشمال الشرقي ، أما هضبة (جبلة) فهي هضبة عظيمة عالية المناكب ترى من مسافات بعيدة ، أما العابر مع الطريق فانه يشاهدها قبل أن يكون بمحاذاة أبي دخن ، فحين ينكب هضاب البيضتين ويلتفت شمالاً يراها بارزة لا يساميها شيء مما في ناحيتها ، وتسير معه يراها كلما التفت شمالاً حتى يفضي به الطريق إلى سمار (حَمّة ذريّع) ، وبعد أن يمر في سمار حمة ذريع يفقدها لأن السمار الممتد يحول بينه وبين رؤيتها .

والذي يفهم من حديث الخميس عن رؤية جبلة ، هو أنك لا تراها إلا بعد أن ترى (أفقرى) ، و (ضليع العجمان) وتقتحمها ببصرك لتطل على جبلة من ورائها ، وفي هذا بعد عن الواقع ، إذ أن تقييد رؤية جبلة برؤية (أفقرى) و (ضليع العجمان) لا يتفق مع الواقع الطبيعي ، وذلك لأن جبلة كما ذكرنا هضبة عظيمة عالية ، ترى من مسافات بعيدة لا ترى منها الأعـلام الواقعة بينها وبين الطريق ، لأنها كلها أعلام صغيرة كجبيلات أفقرى وضليع العجمان ، وهضيبة الرشاوية ، وضليعات النبوان ، وضليعات نبيوين ، تصغير النبوان ،

وكلها على ضفاف وادي التسرير ، غير أن لا قيمة لها ولا نسبة إذا قورنت بهضبة (جبلة) .

أما رؤية هذه الأعلام الصغيرة التي ذكرناها ، الواقعة بين الطريق وبين جبلة ، فإن أولها من ناحية الشرق (ضليع المجهان) وهو عبارة عن جبل صغير قريب من جبلة في ناحيتها الجنوبية الشرقية ، لا يرى من الطريق ، ثم جبيلات أفقرى ،وهذه نشاهدها حينا ننكب هضاب البيضتين ونكون بمحاذاة أبي جراد ، وبعد أن يتقدم بنا الطريق غرباً ونكون بمحاذاة (فرائد أبي دخن) تبدو لنا جبيلات سود صفار ، شمالاً غربياً من جبيلات أفقرى تلك هي (ضليمات النبوان) وتقع من هجرة النبوان التي سأتحدث عنها قريباً في الناحية الشمالية الشرقية ، وبعد أن نكون بمحاذاة (أبي دخن) تبدو على يميننا جبيلات سود صفار وبرقة صغيرة تلك (جبيلات نبيون) تصغير نبوان ، وعندها ماء (نبيون) القديم . أما هضيبة الرشاوية فيأتي الحديث عنها مع ذكر هجرة (الرشاوية) قريباً .

ومن الملاحظ ان الخميس تحدث عن (أفقرى) وعن ضليع المجهان ، هذا الجبيل الذي لا يعدو أن يكون كومة احجار صغيرة في جانب جبلة ، وقرن ذكره بذكر (أفقرى) رغم ما بينه وبينها من الصحارى والأودية ، ورغم لجوئه حول جبلة ، ولم يتحدث عن ماء (النبوان) رغم انه ماء قديم وله ذكر في كتب المعاجم ، ولم يتحدث عن الهجر الواقعة بين الطريق وبين جبلة - في ضفاف وادي الرشا (التسرير) قديماً ، وهي اقرب إلى الطريق بكثير من (نفي) ووارادات التي تبعد عن طريقه مسافات شاسعة ، وبينها وبينه مرتفعات كبرى كهضبة جبلة وعبلة وادي الرشا وغيرها ، وكان الأولى أن يصل ذكر هجر وادي الرشا بذكر هجرة (أفقرى) لقرب بعضها من بعض ، ومما يلاحظ أيضاً انه ذكر (هضيبة الرشاوية) عند ذكر (الشعيفية) ولم يتحدث عن (هجرة الرشاوية) فقال : ونشاهد دون (الشعيفية) بينها وبين الطريق يميل الى الشرق وغرباً من هجرة (أفقرى) هضيبة متطامنة تتوسط

سرة التسرير باعتبار ما كان ، وهذه الهضيبــة تسمى (الرشاوية) نسبة إلى وادي الرشا ، وعندها ماءة تسمّى بهذا الاسم للحلاج وجماعته . ا هـ .

والذي يبدو من الوصف الجغرافي والتحديد في هذه العبارة أن الخميس قد اعتمد على مخيلته ، لا على مشاهدته ببصره ولا على خبر من يعرف هذه الناحية معرفة صحيحة . وسأتحدث عن الرشاوية ، الماء القـــديم والهجرة المحدثة والهضيبة ، وأتلو ذلك بالحديث عن هجرة (الودي) و (النبوان)و (الحبة) و (الرفيعة) و (الفقارة) وأخيراً (المستجدة) وما يلحق لهذه الهجر من قصور زراعية وقرى صغيرة ، ثم أتلوه بالحديث عن جبلة والشعيفية .

الرّشاوية : ماء قديم سمي بهذا الاسم نسبة الى (وادي الرشا) التسرير قديماً ، وهو ماء مر ، يقع في ضفة الوادي اليمنى ، يحف به من ناحية الجنوب الشرقي أبرق يسمى (أبرق الرشاوية) واقع بين جبلة من الشمال وبين سلسلة ضليعات أفقرى من الجنوب ، وهو الماء الذي وقع فيه (مناخ الرشاوية) بين قبائل عتيبة من ناحية وقبائل حرب ومطير من ناحية أخرى . وقد وردت هذا الماء مرتين ، وهو معروف بهذا الاسم قبل أن يؤسس الحلاج هجرتــه عليه ، وقد أخطأ الخميس في تحديده حيث ذكر انه واقع فيما بين هضبـــة الشعيفية وبين الطريق غرباً من هجرة أفقرى ، والواقع انـه بالنسبة لهجرة أفقرى وجبيلات أفقرى يقع في الشمال الغربي ، بـــل ان (أبرق الرشاوية) الآنف الذكر يقع في نهاية جبيلات أفقرى من الشمال ، أما بالنسبة لهضبـــة (الشعيفية) فإنهـــا تقع في ناحية الشرق الجنوبي ، وتفصل بينهما صحارى واسعة ، فالرشاوية تقع فيما بين الطريق وبين جبلة، وليست بينه وبين الشعيفية كما ذكر ، وإذا كنت في الرشاوية رأيت قمة الشعيفية أيمن مغرب الشمس .

هُضيبة الرشاوية : ذكر الخميس في وصفها وتحديدها أنها هضيبة متطامنة تتوسط سرة التسرير فيما بين الطريق وبين (الشعيفية) غربا من (أفقرى) والواقع ان هضيبة (الرشاوية) سميت بهذا الاسم نسبة إلى ماء (الرشاوية) الآنف الذكر ، وهي من حيث وصفها الطبيعي هضبــة حمراء صغيرة ملتفــة

حول بعضها ، لها قمة بارزة ، لا تشبه من حيث تكوينها الجيولوجي شيئاً من الجبيلات المجاورة لها في وادي الرشا ، فهي من نوع التكوين الطبيعي لهضبة (جبلة) ، وهي واقعة في ضفة وادي الرشا اليسرى فيما بينه وبين هضبة جبلة ، وهي بالنسبة لماء الرشاوية القديم وهجرة الرشاوية الجديدة واقعة في ناحية الشمال الشرقي بالنسبة للماء ، والشرق الشمالي بالنسبة للهجرة لا تبعد عن أي منهما مسافة أكثر من كيلين .

هجرة الحلاج : قال الخميس عند ذكر هضيبة الرشاوية ، وعندها ــ أي الهضيبة ــ ماءة تسمى بهذا الاسم للحلاج وجماعته . وقد بينت مدى خطئه في تحديد الهضيبة ، وذكرت موقع الهضيبة بالنسبة لهجرة الحلاج ، أما هجرة الحلاج وجماعته فإنها واقعة في ضفة الوادي اليسرى في ناحية الماء القديم وتسمى (الرشاوية) باسمه ، وبينها وبين أفقرى هجرة المريبض (١٣) كيلاً تقريباً في اتجاه جنوبي شرقي ، وبينها وبين النبوان (٥) أكيال تقريباً ، في اتجاه غربي جنوبي .

يوم الرشاوية . يعرف عند عامة أهل نجد (بمناخ الرشاوية) ، قال الخميس : وعند هذا الماء ، كان يوم من أيام العرب في هذا القرن بين عتيبة وحرب ، ومع حرب مطير عام ١٣٢٧ هـ ، وبعد معركة شق فيها بيت ابن هندي شيخ عتيبة ، وقتل في هذه المعركة من عتيبة ابن جهجاه بن حميد وعالي الفِجْري وكلاهما من قبيلة المقطة ، ومن قبيلة مطير أبو عبيد الدويش وطلال ابن هدبا وانتهت المعركة بذلك . ا هـ .

والواقع أن هذه العبارة هي عبارة الشيخ محمد بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار » [١] ، نقلها الخميس مع تغيير لطيف في أسلوبها ، غير انه لم يغير في ترتيبها ، وكان من الأولى أن يشير الخميس إلى مصادر بحثه، سواء نقل ما نقله نصاً أو صاغه بأسلوبه الخاص . أما فيما يخص المعركة التي شق فيها بيت ابن

---

(١) صحيح الأخبار ، ج ١ ص ١٤٦ .

هندي ومناخ الرشاوية ، فالواقع ان اليوم الذي شق فيه بيت ابن هندي وقع في ربيع عام ١٣٢٧ هـ ، وكان في ناحية وادي (الهييشة) وكان بين حرب وعتيبة ، ولم تشترك فيه مطير مع حرب ضد عتيبة ، أما مناخ الرشاوية فقد وقع في ربيع ١٣٢٨ هـ ، وهو الذي اشتركت فيه قبائل مطير مع حرب ضد عتيبة ، وتفاصيل هذين اليومين لا يتسع لها هذا البحث .

الودي : تصغير الوادي ، هجرة للتهان ذوي غايب وجماعتهم ، إذا صعدت من هجرة الرشاوية مغرباً مع مجرى وادي الرشا ، تمر أولاً (مشاش البواردية) في جانب جبيلات سود في بطن الوادي ، وقد اقيم عليه قصر زراعي لعبدالله بن خالد الحلاج ، وإذا تجاوزتها مررت بهجرة الودي على ضفة الوادي الشمالية ، في فيضة ودي الركبان في وادي الرشا واذا تجاوزتها مررت بهجرة (الفقارة) لسعيدان بن مشعل المحمور وجماعته ، وبعد أن تتجاوزها مع مجرى الوادي تمر بهجرة (النبوان) وتقع على ماء النبوان القديم ، فيها مدرسة ابتدائية ، وتقام فيها صلاة الجمعة وينقل لها طلبة القرى التي حولها ، أميرها ماضي بن نمر ابن عميرة ، وغرباً منها تقع هجرة الخبة ، وهي خبة في وسط نفود النبوان ، أما هجرة (الرفيعة) فإنها تقع غرباً شمالياً من النبوان ، في منقطع نفود النبوان الغربي الشمالي ، لمفرس ابن بداي بن باين وجماعته ، وفي ناحيتها تقع مزارع لأهل النبوان تسمى (مطربة) ، فإذا سرت من هجرة النبوان مع مجرى الوادي في اتجاه جنوبي غربي أتيت على ماء (نبيوين) تصغير نبوان ، أما هجرة (المستجدة) فإنها تقع في ناحية فيضة جهم في وادي الرشا .

سعد بن عبدالله بن جنيدل الدوادمي

العرب

نكتفي بنشر هذه الحلقة ، إذ كتاب « المجاز » طبع كاملاً ، ومن الممكن للاستاذ سعد ولغيره من القراء إبداء ملاحظاتهم على الكتاب المطبوع ، لا على الفصول التي نشرت في « العرب » .

بلاد العرب

في مذكرات سليمان شفيق كمال باشا

-١-

صاحب المذكرات :

صاحب هذه المذكرات من كبار رجال الدولة العثمانية وكان وزير حربيتها في آخر عهدها ، وقد تولى أعمالاً مهمة في البلاد العربية ، مذكورة في مقدمة هذه المذكرات التي تدل على أنه كان بعيد النظر في مستقبل العرب ، وكثير الاخلاص لهم ، وقوي الصلة بأمير نجد في ذلك العهد ، الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وقد توقع بأن أفعاله وحركاته تنم عن بداية انقلاب مهم سيحدث في الجزيرة ، وهكذا كان . ولا نعرف عن حياة صاحب هذه المذكرات أكثر من انه اتصل بالملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ بعد استيلائه على الحجاز ، وأنه أسند إليه بعض الأعمال في الحكومة الجديدة ، ويظهر أنه فضل الإقامة في مصر حيث حدثني أستاذنا أبو الغيث الزركلي بأن قليني باشا أحد أثرياء مصر في ذلك العهد ، تزوج ابنة صاحب المذكرات وكانت بارعة الجمال .

وسمعت من الدكتور رمزي ـ مدير الصحة في ينبع سنة ١٣٥٤ ـ أنه أصيب بداء الجذام ، فكان يجري تجارب على القردة لبعض الأدوية ، وانه عالج نفسه فاستفاد بذلك .

وقال لي أستاذنا أبو الحسن علي الطاهر صاحب « الشورى » أنه شارك في حرب الحبشة ضد الطليان هو وطارق الافريقي القائد المعروف .

المذكرات :

كانت جريدة « الأهرام » نشرت يوم الأربعاء ٨ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م) ما هذا نصه :

نشرت اللطائف المصورة في الصفحة الرابعة من عددها الاخير صورة قالت انها صورة السلطان ابن السعود مع أركان حربه ، وقد تبينت وجوه

الرجال المرسومين في تلك الصورة فاذا الحقيقة غير ما قالته الجريدة ، فالرجل الذي قالت عنه انه ابن السعود هو دولة شفيق كالي باشا وزير الحربية العثمانية سابقاً وكان في ذلك الوقت ـ حين أخذت الصورة ـ والي البصرة وقائداً للفيلق العثماني المعسكر فيها ، أما الرجال المصورون معه فليس بينهم واحد يمت الى ابن السعود بصلة أو بنسب ، بل جميعهم من أمراء شمّر ، واليكم أسماءهم : سعود بن عبد العزيز الرشيد أمير جبل شمّر وعجمي باشا السعدون الزعيم البدوي العراقي المشهور الذي كان له شأن كبير في حروب الانكليز في العراق ، وحمد السعدون ، وناصر سبهان ، وسعود سبهان من زعماء البادية وأما الآخرون فهم أركان حرب سليمان شفيق باشا وياورانه ، وقد تزيوا بزي أهل البادية .

وعلى ذكر الصورة نقول : إنها أخذت لما كان دولة سليمان باشا يفاوض باسم الدولة العثمانية الأمير (الآن السلطان) ابن السعود وانتهت هذه المفاوضة بفضل ذلك القائد التركي الكبير بتأييد نفوذ الدولة في نجد ، وحفظ امارة شمر لآل الرشيد . (عربي)

وعلقت الأهرام: ان في نشر مذكرات حضرة صاحب الدولة سليمان شفيق باشا عن نجد والحجاز وسائر البلاد العربية فائدة كبيرة في هذه الأيام التي أصبح فيها مستقبل تلك البلاد موضوع أحاديث الناس ، فنرجو أن لا يضن بها على القراء .

ولقد استجاب لدعوة الأهرام، فكان يبعث بمذكراته باللغة التركية، وقد أخبرني الأستاذ السيد محب الدين الخطيب أنه هو الذي كان يقوم بتعريبها ، وقد نشرت الحلقة الأولى منها في العدد ١٤٥١٩ في يوم الخميس ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ (٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤) ، وبلغ عدد ما نشر من الحلقات ٣٦ ، نشرت آخر حلقة بتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣ (٢٣ يناير سنة ١٩٢٥) في العدد الـ ١٤٥٧٦ . ولا أدري هل نشر غير هذا غير أنني تصفحت جريدة الأهرام من آخر يناير الى نهاية ابريل سنة ١٩٢٥ فلم أرَ فيها شيئاً ، كما لم أرَ شيئاً من الخرائط أو الوثائق التي وعد بنشرها . وكنت رأيت في مكتبة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسين نصيف دفتراً كبيراً يحوي تلك

المذكرات ، ومنذ سنتين طلبت من فضيلته اطلاعي عليه فأخبرني بأنه فقده، وإن كان يذكر انه نقله له الشيخ محمد ماجد الكردي ـ أحـــد سراة مكة وعلمائها ـ نقله بخطه من جريدة الأهرام .

ولما حدثت أستاذنا خير الدين الزركلي عن هذه المذكرات وعن رغبتي في نشرها في « العرب » أخبرني بأنه كان قد جمعها جذاذات من الأهرام ، ثم أفضل عليّ وعلى قرّاء العرب بتقديمها وها هي :

اقترحت « الأهرام » أمس على دولة سليمان شفيق باشا – بمناسبة انتشار صورة له أيام كان والياً على البصرة ، ومباشراً مفاوضة ابن سعود باسم الدولة العثمانية – أن لا يضن بنشر مذكراته عن الحوادث التي شهدها في بـــلاد العرب ، والوقائع السياسية والعسكرية التي باشرها بنفسه في تلك الأقطار . وسرعان ما لبّى دولته اقتراح الأهرام ، واعداً بموافاة قرائه بسلسلة فصول ممتعة بكل ما يستطيع نشره في هذا الباب . وبادر دولته في الحال إلى كتابة الحلقة الأولى من سلسلة تلك الفصول باللغة التركية .

ودولة سليمان شفيق باشا من رجال الدولة العثمانية وكبار قواد جيوشها . وقد تولى المناصب العليا في سوريا والعراق وعسير واليمن وأقطار عربية أخرى ، وتولى في العهد الأخير وزارة الحربية في سلطنة آل عثمان .

وإلى القراء المقــال الأول الذي تفضل بكتابته ، وهو معرب في قـــلم تحرير الأهرام :

إلى حضرة صاحب الأهرام المحترم ،

قرأت اليوم في العدد ١٤٥١٨ من « الأهرام » اقتراحكم عليّ أن أكتب مـــا لدي من المعلومات عن جزيرة العرب تنويراً للرأي العــام في الظروف الحاضرة . وفي الواقع انه قد سبق لي تقلد مناصب مهمة في بلاد العرب ، ولا سيما في اليمن وعسير وسوريا والعــراق ، فشهدت حوادث على غــاية من الخطورة ، وكان ذلك داعياً لي إلى اعمال الفكر بشأن تلك الديار .

فمن ذلك انني كنت في قيادة عسير من سنة١٩٠٨ إلى أواسط سنة ١٩١٢ فشهدت بنفسي وقائع الادريسي بأكملها من أولها إلى آخرهـــا ، ثم كنت في قيادة سوريا في الدور الأخير من حرب البلقان فاطلعت على وقائع سوريا

وعلى الرأي العام فيها . ثم توليت ولاية البصرة وقيادتها سنة ١٩١٣ وباشرت مفاوضة السلطــان عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود باسم الحكومة العثمانية للتوفيق بين الفريقين ، ووقعت على الاتفاقية بصفتي المفوض الأول عن الدولة العليــة ومن ذلك الحين وجهت الدولة إلى السلطان ابن سعود رتبة الوزارة السامية بفرمان سلطاني عال وولاية نجـــد وقيادتها وإمارتها على أن تنتقل بالإرث إلى أولاده ، وهي الخطوة الأولى لطريقة الحكم اللامركزي التي كان يجب أن تقرر في بلاد العرب ، وان المفاوضات والرسائل التي دارت في هذا الشأن محفوظة كلها عندي وسأعرضها فيما بعد على أنظار القراء .

وقبل هذا التاريخ بثمانية عشر شهراً كانت الاتفاقية التي عقدت بين الدولة وبين الإمام يحيى في اليمن علامة خير باهرة تدل على مــا للدولة من خطوة منوية بشأن بلاد العرب في المستقبل .

ولو أن الدولة العثمانية لم تدخل في الحرب العظمى ، واحتفظت بحيادها فقد كان في نية حكومتها وضع نظام خاص لطريقة الحكم في العراق وسوريا.

إن المعلومات التي رغبت إلي جريدة « الأهرام » في أن أنشرها عن بلاد العرب ذات فصول وتفرعات واسعة ، ويمكن تقسيمها إلى معلومات عامة ، ومعلومات خاصة ، ومعلومات علمية ، وذلك بحث طويل شامل اجتزيء منه الآن بالمواد الآتية على سبيل الإجمال :

إن المعلومات العامة والمعلومات الخاصة عن بلاد العرب – ولا سيما عن جزيرة العرب – ناقصة جداً . وان الاخصائيين لم يكتبوا عنها كتابات شافية تلم بالبحث من كل أطرافه على وجه يكفل الفائدة للجميع. وقد كان ولا يزال في خزائن الأوراق الرسمية سواء في تركيا ومصر مستندات ومعلومات مفيدة جداً غير انها لم تجمع وياللأسف حتى الآن بشكل كتاب يعرض على أنظار الجمهور فيستفيد منه . ومع انه قد نشر حتى الآن بعض رسائل في الموضوع فإنها خاصة بمسائل معينة لا تفيد في تنوير أفكار الناس بشأن الجزيرة العربية وعلى ذلك فليس في الأيدي الآن كتب تشفي الغليل عن أحوال جزيرة العرب

الجغرافية والتاريخية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية وغيرهـا . ولذلك نرى صحف الترك والعرب والافرنج تنخدع كثيراً في الحكم على ما يحدث في تلك الأقطار ، وكل مـا تنشره من آراء وأفكار عن بلاد العرب تنشره تحت تأثير الانخداع .

من أجل هذا أقول أن من الواجب أن أشفع مقالاتي هذه بخريطة للبلاد العربية صغيرة جامعة بقدر الإمكان تساعد القارىء على فهم ما أكتبه فيما بعد في هذا الموضوع .

والمعلومات التي سأقدمها للقارىء وإن لم تكن غاية في الكمال ، غير أنها على كل حال تستند إلى المشاهدات لا إلى المسموعات ، لذلك أنا مقتنع بأنها عارية عن الخطأ بقدر الإمكان ، وستكون مفيدة ، والنقائص التي قـد تقع فيها يمكن أن تتلافى بما يكملها به العارفون ممن يطلع عليها ، فيتسع البحث ويصبح كاملاً . والآن سأعرض على القارىء زبدة آرائي التي أعتمد فيها على تجـــاربي ومشاهداتي . وسأبحث فيها بقدر الإمكان عن شئون الإمام يحيى والسيد الإدريسي وأمير مكة وسلطان نجد مبيناً أسباب الحوادث في تلك الربوع ــ وهي الأسباب التي ظلت حتى الآن وراء ستار الخفاء ــ ورجائي أن يكون في عملي هذا خدمة للتاريخ .

وأستأذنكم الآن في الشروع ، واثقاً من أن القراء يرون ذلك صادراً مني بحسن نية ، وسيرون أن المعلومات التي أعرضها عليهم مؤيدة كلها بالمستندات الرسمية والوقائع الثابتة :

إن التقسيم السياسي الحاضر في جزيرة العرب هو بوجه عام غير طبيعي ، ولأنه غير طبيعي أدى إلى ظهور الحوادث الحاضرة. فجزيرة العرب لم تدخل تحت سلطان أمير واحد لمـــا فيها من اختلاف المذاهب واختلاف الرأي ، والتفاوت في مستوى الحضارة ، ولافتراق المصالح . ثم إن لكل واحد من زعماء العرب ميلاً خاصاً للانفراد بالإدارة والاستقلال بالحكم ، فلا يحتمل بوجه من الوجوه أن يطلق أيدي رجاله في العمل بحرية واستقلال ، إلا إذا حصل

كل منهم على استقلاله وحريته وكان مرتبطاً بمرجع أعلى . فما من أمير قام بدعوى القومية يستحق أن يقوم بأعباء الإدارة العظمى والخلافة ، لأن مقام الخلافة العظمى ملجأ لأكثر من ثلاثمائة مليون مسلم ، ومثل هذا المقام لا يبلغه رجل معلول بالأمراض الشخصية . أما لو وجد في الأمة العربية رجل سياسي رشيد يستطيع أن يجمع الأمة العربية حول غاية واحدة ويتولى من هذه الأمة مقام الهداية والإرشاد فيؤلف من البلاد العربية حكومة حلفية ، فإن اليوم الذي يظهر فيه للعرب ذلك الرجل سيكون بداية تاريخ جديد للحضارة العليا في جزيرة العرب .

إن الأفعال والحركات التي نشاهدها الآن من عبد العزيز بن سعود سلطان نجد تنم عن بداية انقلاب مهم سيحدث في جزيرة العرب ، وبرنامجه القائم باتفاقه مع الإمامة الزيدية في اليمن ، والإدارة التي يتصورها للحرمين الشريفين، كل ذلك من الأدلة المهمة الجديرة بإمعان النظر في الخطوات السديدة التي يخطوها السلطان ابن سعود .

ومما لا ريب فيه أن الخطة التي رسمتها الوهابية اليوم للسير عليها لا تشابه بوجه من الوجوه خطتها التي رسمتها في العصر الماضي .

إن في جزيرة العرب اليوم من الامارات : إمامة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن ، والإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير ، والسلطنة السعودية في جميع نجد وفيها اقليم عسير ، والحكومة الهاشمية التي انحصرت بين أسوار ثغر جدة . وثم إمارة آل الصباح في الكويت عند نهاية الخليج الفارسي وقبلها مشيخة حضرموت التي تحت الحماية الانكليزية يليها سلطنة عمان المستقلة التي يسكنها الإباضية وبين نجد وقحط(؟) من قبائل يام التابعين لإمامة المذهب الاسماعيلي .

وسأعرض أمام أنظار القراء فكرة عامة عن هذه الامارات والبلاد التي تبسط سلطانها عليها ، مبيناً ذلك بالخريطة التي وعدت بها ، أما الآن فأكتفي بعرض المعلومات الجغرافية الآتية بإيجاز :

إن سلسلة جبال طوروس تتشعب فروعها إلى أطنة [1] وحلب والشام فالعقبة ، ومن العقبة تأخذ في الارتفاع ممتدة إلى الطائف ، غير أن هذه السلسلة الجبلية ليس لها نجود فيما بين العقبة والطائف ، وإنما هي عبارة عن آكام ذات حزون وذات ذُرَى صخرية حادّة ، قد يبلغ ارتفاع بعضها ألفي متر وتسمى هذه الجبال بوجه عام باسم جبال السراة،فإذا بلغت الطائف تصبح هذه الجبال ذات نجود ، ومنها تتفرع نجود غامد وزهران في عسير ، ونجود اليمن وحضرموت ، وهذه السلسلة ترتفع هنا عن سطح البحر بين ألفين وثلاثة آلاف من الامتار، وتتسع عرضاً نحو مائتين إلى ثلاثمائة كيلومتر. وأقول باختصار : إن أرض تهامة – وهي الجانب الغربي من عسير واليمن – تشبه الاراضي المصرية في استوائها ، غير أنها شجرية ، والقسم الأعظم من جانبها الشرقي يسمى النفود ، وهي جزيرة طويلة من الصحارى الرملية التي لم تكتشف حقيقتها تماماً .

والنجود الصالحة للزراعة في عسير واليمن قد يبلغ ارتفاعها بين ثلاثمائةمتر وألفين وثلاثمائة متر ، وكلها منبتة ، وإقليمها معتدل بحيث لا تزيد درجة الحرارة بميزان سنتيفراد في زمن القيظ عن ثلاثين درجة في الظل ، والدرجة الستين بميزان الرطوبة (هيغرومتر) والامطار تهطل بانتظام،في مواسم معينة كما هي الحال في خط الاستواء

وسلسلة جبال السراة تمتد موازية للبحر الاحمر منذ العقبة ، فتتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مقتربة من البحر في بعض المواضع ومبتعدة عنه في البعض الآخر وهذا القرب والبعد يتراوح بين خمسين كيلومتراً ومائة كيلومتر . والاراضي الممتدة بين سلسلة الجبال وبين البحر تسمى (تهامة) وهي تضاف إلى القطر الذي تكون فيه فتسمى تهامة الحجاز ، وتهامة عسير، وتهامة اليمن . أما تهامة الحجاز فأكثرها ذات أراض رملية ، واما تهامة عسير واليمن فأكثرها ذات أراض جبلية فيها بقاع منبتة بما تحمله السيول

---

(١) الإسم العربي الصحيح : أذنة .

من الظمي ، وأكثرهـــا شجرية خصبة إلى درجة أن المزرعة الواحدة تأتي بمحصولين اثنين من بذرة واحدة وتزرع في السنة الواحدة أربع مرات .

والقسم الجبلي من اليمن وعسير على غاية من اللطافة وملائم للصحة كل الملائمة ، حتى أن الأمراض المعدية والعفنة تشفي بالانتقال من تهامة إلى البلاد الجبلية لأن مكروباتها تموت في جو تلك الأرجاء . وليس في جزيرة العرب مرض مهم غير مرض الجدري ، وهذا تمكن مقاومته بالتطعيم .

والامطار التي تنهمر في مواسمها بشدة تنحدر من الجبال إلى تهامة فتكون سيولاً تسيل بها الوديان الضيقة ذات الاحجار الغرانيتية ثم تنصب في البحر الاحمر ، واهضام هذه الوديان مزينة في بعض الاماكن بغابات شجر يشبه الصنـوبر .

ولما كانت أراضي تهامة لم تنهك ولم تتعب كما هي الحال في مصر فإن ترابها ذو قوة عظيمة في الإنبات ، ويمكن ري تلك الاراضي بإقامة سدود في بعض منافذ الوديان فتصبح تلك البلاد العربية أشبه بالجنان . وان القطن والفلفل والباذنجان يبلغ طول سوقه هناك ارتفاع الاشجار وترتفع الذرة في حقولها أربعة أمتار وخمسة أمتار ويبلغ قطر قصبتها سبعة سنتيمترات أو ثمانية . ونجود عسير واليمن كلها تقريباً مأهولة بالسكان ، والقرى في عسير متقارب بعضها من بعض وتكثر في الوديان ، وأما في اليمن فتراها منفردة في رؤوس الجبال الحـــادة كأن القرية بيضة نسر موضوعة في ذروة الجبل على انفراد. ومنازل القرى كلها مبنية بالحجر ، وهي ذات ثلاث طبقات أو أربع طبقات ، وجدرانها مطلية من الداخل بالكلس والجص ، ومنظرها من بعيد منظر شعري على غاية من اللطافة ، وهذا الرقي العجيب في عمـارة منازل القرى في اليمن دليل على حضارة قديمة منقرضة وهذا أمر لا شبهة فيه قط .

وكل منزل في اليمن ذو برج حربي، قائم إلى جانبه. وفي عسير ترى لكل قرية جامعاً ومـدرسة ومخزن مؤونة لأهـل القرية كلهم وبروجاً حربية للدفـاع عن القرية والشعب كله مسلح وهو متمرن على الحرب والضرب ،

ومتصف بالقناعة ويأنف الحيل والدسائس وفيه رجولة وكرم في قرى الضيف.

وثروة البلاد عبارة عن أراضيها ومواشيها ، وأستطيع أن أقول ان الأراضي مقسمة على نسبة العائلات قسمة التساوي بقدر الإمكان . فلا ترى هنالك شيخاً أو زعيماً يملك ألوف الفدادين ، ولا ترى فقيراً معدماً لا يجد له ملجأ يأوي إليه ، وجميعهم أهل قناعة وسعي وجد .

وبعد فقد كتبت ما تقدم كمقدمة لما أردتم أن أكتبه . فإذا وقع ذلك من القراء الكرام موقع الرضا فان هـــذا التشجيع يحملني على أن أتبع هذه المقدمة بمقالات في الموضوعات الآتية :

١ – ملاحظات عامة ، وجغرافية بلاد العرب .

٢ – مسألة نجـــد والمفاوضات التي دارت بين الدولة العثمانية والسلطان عبد العزيز بن سعود وأسبابها ونتائجها الحاضرة والمتنظرة .

٣ – إمامة اليمن وحروب الدولة العثمانية في اليمن والاختلاف وأسبابه ونتائجــه .

٤ – تحريض السيد محمد الادريسي الأهالي في عسير على الثورة – الحرب هناك – وأسبابها ونتائجها والاصابع الداخلية والخارجية في هذه المسألة والمقصد والغاية .

٥ – الوقعة التي نشبت بـــين الشريف حسين وابن سعود في الشرق (نجد) حملة عسير ، تأسيس حكومة الحجاز وكيفية تشكيل الحكومة الهاشمية ، الحالة الحاضرة والمستقبل .

٥ – صور فوتوغرافية للمستندات الرسمية المتعلقة بمسائل نجد وعسير والحجـــاز .

(للبحث صلة)

معجم المطبوعات العربية
المملكة العربية السعودية
- ٣ -

رجاء : إن ما يبديه القارىء من الملاحظات وإكمال النقص وتصحيح الاخطاء يقابل من كاتب البحث ومن « العرب » بالقبول مقرونا بالشكر والتقدير

أحمد زيني دحلان[1] :

أحمد بن زيني دحلان ، ولد سنة ١٢٣٢ = ١٨١٧ بمكة ، ونشأ فيها ودرس وتولى التدريس والإفتاء وكان مفتي الشافعية فيها وشيخ الاسلام .

وفي أيامه أنشئت أول مطبعة في مكة وقد تولى إدارتها وطبع فيها بعض كتبه .

مات في المدينة سنة ١٣٠٤ = ١٨٨٦ (قبل الحكم السعودي في الحجاز).

وإذ تحدث عنه سركيس في معجم مطبوعاته اعتمد كتاب « تحفة الرحمن في مناقب السيد أحمد زيني دحلان» لأبي بكر بكري بن محمد شطا الدمياطي . .

١ – الأزهار الزينية في شرح متن الألفية (نحو) .

ط ١ ، مصر ، بولاق ١٢٩٤ ، ٢١١ ص .

ط ٢ ، القاهرة ، الميمنية ١٣١٩ بهامشها « البهجة المرضية شرح الألفية » للجلال السيوطي .

٢ – أسنى المطالب في نجاة أبي طالب . مصر ، ١٣٠٥ .

طهران ، المطبعة الاسلامية ١٣٨٢ (؟) .

---

(١) هذا من دعاة التخريف – كما تدل على ذلك كتبه – والكاتب يتحدث عنه من الناحية التاريخية (العرب) .

٣ – تاريخ الدول الإسلامية في الجداول المرضية .

طبع على الحجر في جداول ، كذا ذكر زيدان . وفي معجم المطبوعات لسركيس : تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، طبع حجر ، مط . أبي زيد ، ١٣٠٦ ، ٢٣١ ص . أمـــا الزركلي في الأعلام فسماه : الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية – كأنه يختصر .

٤ – تقريب الأصول لتسهيل الأصول لمعرفة الرب والرسول (نصوص) رسالة ذكرها سركيس في معجمه .

٥ – تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين (مواعظ) ، رسالة ذكرها سركيس .

٦ – خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ط ١ ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٥ ، ٣٣١ ص . (وبهامشه كتاب الإعلام بأعلام بيت الله لقطب الدين الحنفي النهروالي المتوفى سنة ٩٨٨) .

وينتهي الكتاب –فيما وصفه لي بعض الإخوان – إلى زمن الخديوي توفيق ، ويذكر زيدان انه انتهى إلى خلع الخديوي إسماعيل (سنة ١٢٩٦) .

ط ٢ ، على هامش كتاب لأحمد زيني دحلان اسمه « الفتوحات الاسلامية » ينظر أحمد السباعي في كتابه « تاريخ مكة » هامش ٢ : ١٨٢ (ط ٢ ؟) ويجعل سركيس في معجمه هذه الطبعة بمكة سنة ١٣١١ . ومما يذكر أن سركيس يتحدث عن الكتاب بعنوان طويل هو : « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا بالتمام » .

٧ – الدرر السنية في الرد على الوهابية .

القاهرة ، المطبعة البهية بالكحكيين ، ١٢٩٩ « جمعه ... ... أحمد زيني دحلان » – تحدث في هذا الكتاب عن زيارة قبر النبي ﷺ و[قد ادّعى] مشروعيتها بالكتاب والسنة

وإجماع الأمة . ٣٦ صفحة . يليها رسالة النصر في ذكر وقت صلاة العصر ، ١٠ صفحات . ووردت إشارة إلى أن هذه الرسالة قد طبعت في مكة .. كما طبع رسائل أخرى .

وقد أثارت مناظرات السيد أحمد زيني دحلان ورسائله مناقشات وأدت إلى مؤلفات في الرد عليه . ومن ذلك ما ألفه « محمد بشير السهسواني الهندي (الشيخ محمد بشير الفاروقي بن الحكيم محمد بدر الدين ، ولد في وسط القرن الثاني عشر للهجرة ، قضى طفولته في لكهنوء .. ودرس .. واستجاز الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة .. توفي سنة ١٣٢٦ (واسم كتابه : « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » - طبع للمرة الأولى طبعة - حجرية بالهند - في عصر المؤلف .

وطبع ثانية في القاهرة - مطبعة المنار سنة ١٣٥١ على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين . كتب مقدمتها المؤرخة ١٣٥١ رشيد رضا ، فقال : « .. تصدى للطعن في الشيخ محمد عبد الوهاب والرد عليه أفراد من أهل الأمصار المختلفة ، منهم رجل من أحد بيوت العلم في بغداد قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والإلحاد .

وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ ، ألف رسالة .. أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة زمن هذا الرجل فطبع رسالته وغيرهـــا من مصنفاته فيها ، وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة .. » وممن وقف على تصحيح كتاب « صيانة اللسان » في هذه الطبعة : محمد عبد الرزاق حمزة (ينظر) .

ومن مصادر الشيخ محمد بشير « منهاج التأسيس » و « مصباح الظلام » من آثار الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ينظر) .

تقع طبعة المنار في ٥٧٦ صفحة .

٨ – رسالة في جواز التوسل .. بهامش مصباح الأنام وجلاء الظلام لعلوي ابن أحمد الحداد مط . الشرقية ، ١٣٢٥ .

٩ – رسالة في ذكر ما ورد في وعد الصلاة ووعيدها ـ طبعت في مجموع، القاهر ، الوهبية ، ١٢٩٢ .

١٠ – رسالة في الرد على الشيخ سليمان أفندي (وهو فقيه شافعي) ، مكة ، المطبعة الاميرية ، ١٣٠١ ، ١٢ ص .

١١ – رسالة في كيفية المناظر مع الشيعة والرد عليهم ـ طبع مع كتاب الحجج القطعية للسويدي البغدادي عبد الله .

١٢ – رسالة في معنى قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله » سنة ١٢٩٨ .

١٣ – رسالة النصر في ذكر وقت صلاة العصر ، ١٠ صفحات ـ طبعت ملحقة بكتاب « الدرر السنية » (ينظر) ، القاهرة ، المطبعة البهية بالكحكيين ١٢٩٩ .

١٤ – السيرة النبوية . طبع في جزءين ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، ج ١ في ٣٠٦ + ٤ ص . ج ٢ في ٣٥٠ ص .

١٥ – شرح الآجرومية . القاهرة المطبعة الخيرية ، ١٣٣١ ، ٤–٢٦ ص.

١٦ – الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشد وأهل البيت الطاهرين . القاهرة،المطبعة الأشرفية، ١٣٠٠، ١٧٠ص. ورأيت إلى ط. القاهرة ١٣٠٢.

١٧ – الفتوحات الإسلامية بعد الفتوحات النبوية . طُبع بمكة في جزءين سنة ١٣٠٣ ، « يتحدث عن الفتوحات الإسلامية منذ قتال أهل الردة .. ويذكر خبر سجاح وقتل مسيلمة الكذاب ، وفتح العراق ..

ويستمر في خبر الفتوحات ويذكر فتح فارس ويعقبه بالفتوحات التي حصلت في خلافة عثمان ، وينتهي الجزء الأول بخروج التتار وتملكهم بغداد . ويبدأ الجزء الثاني بتملك جنكيزخان بخارى وينتهي بولاية السلطان عبدالحميد. ويعقبها بخاتمة ذكر فيها ما كان من النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من الاقتصاد وحسن السيرة ويذكر معهم عمر بن عبد العزيز » .

نقل لي هذا الوصف أحد الإخوان عن طبعة القاهرة ، الشرقية ١٣٢٢، ج ١ ، ٤٣٢ + ٨ ص . ج ٢ ، ٣٥٦ + ٤ ص . وقد رأينا للكتاب طبعة أخرى – قبل هذه – لدى خبر كتاب « خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام » ، وقد جعلها سركيس في مكة سنة ١٣١١ (؟) . ورأيت الجزء الأول من طبعة أخرى باسم : « الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية »، القاهرة، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية ، سنة ١٤٥٤ ، ٧ – ٥٨٥ – ٥٩٦ ص ، أوله : بعث جيش أسامة بن زيد ، وآخره : ذكر سير صلاح الدين إلى القدس.. انتهى الجزء الأول ويليه الثاني .

١٨ – مجموع مشتمل على أربع رسائل :

١ – في الزجر عن ترك الصلاة

٢ – في فضل صلاة الجماعة مطلقا .

٣ – في الترغيب في جماعة العشاء والصبح .

٤ – في الترغيب في صلاة الجماعة من المأثور عن السلف الصالح .

د. ت ، د. ط ، ٣٢ ص (الناشر : المكتبة العلمية لأصحابها عبد الفتاح فدا وأولاده – مكة) .

من مراجعنا : الزركلي – الأعلام ، زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية، سركيس – معجم المطبوعات ..

أحمد السباعي (يرد على : أحمد سباعي)

أحمد بن محمد السباعي ، ولد بمكة سنة ١٣٢٣ ، ونشأ في مدارسها في أول ما أنشأ الشريف حسين بن علي مدرسة في مكة ، ثم استظهر القرآن غيبا وانتقل إلى المدرسة « الراقية » . ودخل مدرسة الأقباط بالاسكندرية ،

ومكث بها عامين – كما يذكر عدد مجلة المنهل الخاص ، رجب ١٣٨٦ / نوفمبر ١٩٦٦ – وعاد إلى مكة والتحق بالمعارف معلما في المدرسة التحضيرية وعدة مدارس ابتدائية حتى كان مـــديراً لمدرسة دار الفائزين – وفي هذه الأثناء تعشق الأدب وحاول الكتابة ، وكان أول ما نشر في جريدة «صوت الحجاز» في أيام رئاسة تحرير السيد محمد حسن فقي (ينظر) . وأصدر في هذه السنوات كتاباً للمطالعة سماه « سلّم القراءة العربيــة » من ستة أجزاء قررت مديرية المعارف آنذاك تدريسه في مدارسها – وكان أول مؤلف مدرسي في البلاد .

ثم اشتغل محرراً في « صوت الحجاز » يوم كان يصدرها الشيخ محمد صالح نصيف .

وعندما انتقل امتياز هذه الجريدة إلى الشركة العربية للطبع والنشر اختير مديراً لإدارتها (عام ١٣٥٤) ثم رئيساً للتحرير والإدارة معاً . ثم أضيفت اليه إدارة الشركة العربية للطبع والنشر . وظل على ذلك عدة سنوات .

ثم عنّ له أن يؤسس داراً للطباعة وأن يصدر جديدة ، واسم المطبعة « مطبعة قريش » – وتذكر الموسوعة الأدبية : مطبعة الحـــرم – واسم الجريدة : الندوة ، ثم قريش (وقد توقفت عندما أصبحت الصحف مؤسسات) ، وأصبح عضواً في مؤسسة الندوة الصحفية بمكة . كثير النشاط والكتابة والإذاعة . دعا مبكراً إلى تعليم المرأة ، ويدعو إلى إنشاء مسرح في البلاد .

له عدة مؤلفات ، اعتاد أن يعلن عنها في كتبه ويحدد مضمون كل كتاب في سطور سنفيد منها هنا .

يعده الشيخ حمد الجاسر من رواد الثقافة في هذه البلاد العاملين في حقلها في عصر مبكر (تنظر ، مجلة العرب ، ملحق الجزء ١٢ ، س ٤ ، جمادى الأولى ١٣٧٠ / سبتمبر ١٩٧٠) .

١ – **أبو زامل** : ط ١ ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٣٧٤ ، ١١٦ ص .

ط ٢ ، مكة ، مطابع دار قريش ، ١٣٧٩ ، ١٣٦ ص مصورة (قصة الجيل القديم وعرض لآرائه في التربية والتعليم ونظرته العامة في الحياة) .

ملاحظة : في طبعة ثالثة ، مكة ، مطابع قريش ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ؟ ، ٢٣٢ ص سماه : « أيامي » وقد توسع فيها ألم بحياته إلى جانب ما عرف من سمات الجيل فتمين عليه أن ينسى أبا زامل » .

٢ – **تاريخ مكة** : ط ١ ، القاهرة ، دار الكتاب العربي (أصدرتـــه مكتبة الثقافة بمكة) ١٣٧٢، ١ – ٤٣٨ – ٤٤١ – ٤٤٦ + ٢ – (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران من عهد إسماعيل إلى يومنا الحاضر) .

ط ٢ (في جزءين بعد التوسع والتنقيح والزيادة) ، ج ١، ١٢ – ٣٠١-٣٠٩ ، مكة ، مطابع دار قريش ١٣٨٠ . ج ٢ ، ٢٧١ – ٢٩٢ ، مكة مطابع دار قريش .

ط ٣ ، في جزءين، مكة، مطابع دار قريش ، كتب على الغلاف الداخلي عام ١٣٨٥ ، وعلى الغلاف الخارجي ١٣٨٧ .

ج ١ ، هـ – ك ، ١٤ – ٣٠٤ – ٣١٩ وقد أثبت فيه مقدمة الطبعة الأولى . وذكر في مقدمة الطبعة الثانية أنه تلقى ملاحظات من السيد هارون العطاس والأستاذ عبد الله المزروع والأستاذ عبد الله عبد الجبار والأستاذ إبراهيم فلالى على أمور تتعلق بالعهد الفاطمي والعصور المتأخرة والقرامطة والعهد الجاهلي « فأعرت جميع ذلك انتباهاً خاصاً فأصلحت ما تراءى لي ضرورة إصلاحه .. وحذفت فصولاً برمتها وكتبتها من جديد » .

ج ٢ ، ٣ – ٢٧١– ٢٨٥ – ٣٠٨ مصور ينتهي بنهاية الحكومة الهاشمية، وفي آخره يقول : «وفي الجزء الثالث نفصل الحديث عن السلطان عبد العزيز وبيعته بالملك ومـــا كان من أمر المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة وأهم الحوادث في العهد الأخير ومبلغ الخطوات التي خطتها البلاد » ولم يصدر الجزء الثالث هذا .

ملاحظة : عد الأستاذ الجاسر كتاب تاريخ مكة « من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ هذا البلد الكريم .. فهو في الحق عصارة فكرية لتاريخ ضخم فخم من أقدم العصور إلى العصر الحاضر » .

٣ — **خالتي كدرجان وقصص أخرى** : مكة ، دار قريش للطباعة ، د. ت (١٣٨٧ = ١٩٦٧ ؟؟) ٣ — ٩٥ .

« أردتها أقاصيص من صميم الحياة .. أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش !! وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بدواتنا الخاطئة !! » .

٤ — **دعونا نمش** : القاهرة ، دار ممفيس للطباعة ، د. ت ، ١٨١ ص + ٢ (مقالات) . (دعوة صارخة للعمل في نواحي الحياة بقوة الرجل المتوثب للنهوض فيها) .

٥ — **صحيفة السوابق** : القاهرة ، دار مصر للطباعة والنشر ، د. ت ، ٤ — ٧٢ ص ص .

(قصة الجريمة ، عرض لها وتحليل للظروف التي تهيء للإجرام ومدى مسؤولية الجمهور عنها) .

٦ — **فكرة** (قصة اسم بطلتها فكرة) : القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العربي . د. ت ، ٨ — ١٨٠ ص (لجنة النشر العربية — مكة المكرمة) (قصة الفتاة التي عاشت لآرائها الحرة في الحياة) .

على الغلاف : « كانت كاسمها فكرة . وكانت هازئة بقواعد الحياة، وكان لا يغريها من جمالها وفتنتها ما يغريها في الرأي مصدره المنطق الصحيح » .

الإهداء : « ولدي .. ستقرآن في قصتي نوعاً من الأفكار التي تساورني في حياتي ، وتجدان فيها مثلاً من المثل التي عشت أحلم بها ، ولم أحقق لنفسي شيئاً منها .. ذلك لأن في ملابسات تكويني وتربيتي ما لم يهيئني لها .. »

يبدو أن « فكرة » نشرت لأول مرة في مجلة المنهل .

٧ — **فلسفة الجن** : (مقارنات بين عالمنا في الأرض ومُثل الجن السامية وراء المجهول) .

٨ — **المرشد إلى الحج والزيارة** : القاهرة ، مطبعة العالم العربي ، ١٣٦٨، ٥ — ١١٠ + ٢ (مصور) . (حركة الحاج ومناسكه على المذاهب الأربعة بحوث تاريخية عن الحرمين ومحتوياتها من الآثار الإسلامية) راجع القسم الديني:

السيد علوي مالكي والشيخ حسن مشاط ، وراجع القسم الوصفي والتاريخي الشيخ عبد الوهاب الدهلوي .

على الغلاف الأخير : « هل تنوي الحج ؟؟ ان المطوف أحمـــد السباعي يسره أن تشرفه بخدمتك وأن تسأل في جدة عن اسمه ليتولى العناية بأعمال حجك .. سكناه بجوار الحرم .. »

٩ - **مطوّفون وحجاج** (قصة) : القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، ربيع الثاني ١٣٧٣ ، ١١٦ ص ص .

(دراسات تبحث شؤون المطوفين وتدلي بآراء جريئة في شؤون مهنتهم).

بطل القصة : « ولد حسن في بيت عريق الجد من بيوت المطوفين..وكان يرهقه ويعذب وجدانه محاولة التوفيق بـــين الماضي المجيد الذي كانت مهنته تتألق فيه وبين الحاضر الذي انحدرت اليه بفعل التنافس البغيض » .

١٠ - **يوميات مجنون** : القاهرة ، دار ممفيس ، د . ت ، ٣ - ١٤٨ - ١٥٢ ص ص . (بحوث في فلسفة الحياة تتناول ألوانا من غرائب المفارقات فيها كتبت على لسان مجنون) .

ملاحظة : صدر له : « قال وقلت » ضم مجموعة من مقالاته التي نشرت في بعض الصحف ، مكة ، مطابع قريش ، ١٣٨٨ (وينتظر أن يكون في عدة أجزاء) .

أحمد شطا (أحمد صالح شطا) .

١ - **النقوش والآثار في صخور الحجاز** : الفه بالانكليزية المهندس عثمان رفقي رستم رئيس مهندسي مصلحة الآثار في القاهرة وكان قد انتدب للاشراف على بعض الاصلاحات في المسجد النبوي ، وقدمه إلى مصلحة الآثار المصرية وكان ذلك سنة ١٣٧٠ = ١٩٥١ . ترجمه أحمد شطا إلى العربية بـ ١٦ صفحة واصدرته مجلة المنهل ضمن هداياها إلى قرائها .

أحمد بن صالح آل البسام (أحمد الصالح البسام) .

١ – **كتاب أسباب التقدم** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٣ ، ٦ – ١٠٢ – ١٠٦ ص . أعلن عنه بأنه « علم راقي ، قصص خلابة ، مع تعريف الكلمات العلمية الافرنجية .. »

فيه شعر ونثر ، ومنه :

برزت بعلمي لا برسمي وانما بعلم الفتى يعلو وتعلو مراتبه

ومنه ، النشيد :

ذلل الصعب وارتفع للمعالي واهجر العجز وانتسب للفعال

٢ – **الخلف الرباعي** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٦ ، ١٨٨ ص .

٣ – **النديم** : دمشق ، المطبعة العمومية ، ١٣٧٧ ، ١١ – ١٩٩ (؟) ص.

أحمد صلاح جمجوم

١ – **اقتصادنا القومي وكيف ندعمه** : جـدة السلسلة الثقافيـــة لجريدة « الأضواء » .

أحمد طاشكندي

١ – **أرامكو وامتيازات الزيت** : القاهرة ، دار ممفيس للطباعـــة ، ١٣٨٠ = ١٩٦١ ، ٨٣ ص ص. « مقالات سبق أن نشرها في جريدتي الندوة والخليج العربي محاولاً تسجيل اكتشاف الزيت السعودي بوساطة أرامكو في عام ١٩٣٣ وما استجد على الاتفاقيات المبرمة .

أحمد عبد الحميد

١ – **عاصفة في الأفق** : رواية من الأدب السعودي القاهرة، دار الكتاب العربي ، د. ت ، ٥ – ١٨٩ .

أحمد بن عبد الحميد العباسي – ينظر أسعد درا بزوني الحسيني .

– للبحث صلة –

بغداد – كلية الآداب

علي جواد الطاهر

مَعَ القُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

فروع قبيلتي غامد وزهران في الوقت الحاضر

أرجو إرشادي إلى كتاب يوضح نسب قبيلتي زهران وغامد ، وفروع القبيلتين
مكة – ربيع الحجون : سعيد غرم الله الغامدي

العرب : صدر هذه الأيام كتاب « في سراة غامد وزهران » يحوي الكثير عن هاتين القبيلتين وبلادهما ، وها هي فروع القبيلتين على ما كتب به الأستاذ محمد مسفر الزهراني لمؤلف ذلك الكتاب :

قبائل زهران – في السراة

١ – **دوس بني فهم** : وشيخها سعيد بن محمد الراموك .

وأهم قراها : آل نعمة – آل خاجة – الجحاف – الهرة – سيحان – السنة – عسيلة – الكاحدين – الكاحلة – حظوة – الجبور .

٢ – **دوس بني علي** : وشيخها عبد ربه بن فرحة .

أهم قراها : ١ – في السراة : رَمَس – الحبشة – الريحان .

٢ – في تهامة : الجرداء – القزعة – الفرعة – سوق السبت – السند – الكف – السعبرة – المربى – الحنكة – سند المليح – الجناب .

٣ – **دوس بني منهب آل عياش** : وشيخها عيسى بن مسفر بن عبد الله .

أهم قراها : ١ – في السراة : غدي – الحصنين – الزرقان .

٢ – في تهامة : العقب – أبي شوك – قرعة – الكلبات .

٤ – **دوس بني منهب** :

أهم قرى بني منهب : ١ – في السراة : عمضان – بدادا – الوكف – القرن – فريدة – القامة .

٢ – في تهامة : فضالة العليا – فضالة السفلى – عياس .

٥ – **بالطفيل** : شيخها مفرح بن خضران .
أهم قرى بالطفيل : ١ – في السراة : عويرة – المدى – سلامان – الكورس – الغرير .
٢ – في تهامة : آل حمامة.
٦ – **قريش** : شيخها جابر بن الحسين .
أهم قراها : الأطاولة – بني محمد – القهاد – الحسن – القسمة – منحل التوعاب – منضحة – القصصة – الرهوتين – آل دكان – القهبان – الهدوان .
٧ – **بني جندب** : شيخها فيصل بن زنان .
أهم قراها : الحكمان – المكاتيم – آل سرور – آل صقاعة – المظلمات – آل طاهر .
٨ – **بني بشير** : شيخها عبد الوهاب الصعيري .
أهم قراها : الشطة – الاشتاء – الوهدة – القامرة – القوارير – آل سلمان – الجدلان – آل زياد – العقاربة – أهل الرأس – الحضيري .
٩ – **بني حرير** : أهم قراها : محوية – المثيلة – الحبشة – المشارق – آل سعيدان – الدعبة – الريعة – الصمدان .
١٠ – **بني عدوان** : أهم قراها : الضحوات – الكرادسة – الكلبة – الشعبة – حُظَى .
وشيخ هاتين القبيلتين هو جمعان السُّبيحي .
١١ – **بني كنانة** : شيخها ذياب بن سعيد .
أهم قراها : مسيَّر – المندق – العنق – النصباء – بلحكم – عشبة – الوسط – أم عمرو – الحلاة – الحبارى – القرنطة .
ويتبع هذه القبيلة قرى وادي ثمران في تهامة .
١٢ – **بيضان** : شيخها خضران الصغير .

أهم قراها في السراة : قرى البارك – الدارين – بنـو هريرة – قراء – الحلاة – المصاعبة – الحناديد – المصاقير .

أهم قراها في تهامة : الصور – الصقران – العرباء – الواسطة – العين – قرى حصن الحبس – قرى الأصدار .

١٣ – **بلخزمر** : شيخها عِيضة بن صالح .

أهم قراها : القبل – الرخيلة – الفصيلة – ربوع الصفح – رسبا – أرَيمـة حديد – الطرف – الكمامير – مَولَـغ – عنازة – السّرفة – الجاجم .

ويتبعها في تهامة قرى واديي أشحط وسبة .

١٤ – **بنو حسن** : وشيخها منسي بن عصيدان .

أهم قراها : قرى وادي الصدر – العصداء – العفوص – الصفرة – رباع – الجوفاء – نعاش – قرن ظبي – خيرة – آل موسى – الأئمة – المشايعة – مراوة – شبرقة – مليكة .

ويتبعها في تهامة قرى الجمدة .

١٥ – **بنو عامر** : شيخها عبد المجيد أبَى الرُقـُوش .

أهم قراها : بني سار – الربيان – حميم – بروقة – المصرخ – الرومي .

ب – قبائل زهران في تهامة

١ – **بنو سُليم الشفيان** : وشيخها أحمد بن مفطي .

أهم قراها : الَحجْرة – آل مقبل – آل يسلم – آل سهلة – بنو عطا – المضحاة .

٢ – **بنو سُليم أولاد سعدي** : الشيخ رمضان بن أحمد .

أهم قراها : قرى وادي غليلة–قرى وادي الحبيبة – قرى وادي رَمَا – قرى آل بعاج – قرى وادي الزرعة–قرى وادي الخرايت – العصمة – ذنايب – قرى وادي لقط .

٣ – **بنو سُليم بالمفضل** : الشيخ مطر بن رزق الله .

أهم قراها : قرى وادي ريم – قرى وادي الشّعْراء – قرى وادي سمعة – قرى وادي بير الغميقة .

٤ – **بنو سُليم الجُبُّر** : الشيخ عبد الله بن احمد العواجي .

أهم القرى : النجيل – قرى وادي دو – الخليف – مضحاة المشاييخ – آل سويدي – آل بالريان .

٥ – **قبائل الأحلاف** : ولها ثلاثة مشايخ وهم :

أ – محمد أبو القرون

وتتبعه القرى التالية : الغبشة – المضحاة – الطـــولة – وادي يحر – النوزة – بالأسود – آل ظهيرة – آل فـلاح – بنو زرعة .

ب – مستور بن أحمد

وتتبعه القرى التالية : قِلْوَة – حبس ابن زينة – الحوية – بنو زهير – آل سلطانة .

جـ – محمد بن جمعان النفناف

وتتبعه القرى التالية : البدلة – كيدى – المعجزة – المرصاد – الرهفة – الذويب – الفرع – جبل أحمار – جبل الرهوة .

٦ – **بنو عمر الأشاغيب** : شيخهم محمد بن عبد الله بن موالي .

أهم القرى : الجوة – العياش – ذو عين – بنو عـــاصم – قرى وادي يمنى – قرى وادي منجل – قرى وادي شمـــاق – قرى وادي راش – قرى بني دحيم – قرى وادي الجنش وحواز .

٧ – **بنو عمر العلي** : الشيخ علي بن محمد .

أهم القرى : المخواة – المشايعة – العياش – ضيان – القرة – قرى وادي الأحسبة .

٨ – **ناوان** : الشيخ عبد الكريم بن هيال .

وتتبعه قرى وادي ناوان جميعها .

٩ – **دوقة المشاييخ** : تتبع إدارياً لإمارة القنفدة ولها أربعة مشاييخ .
وأهم قراها : مشرف – الفرع – آل ثواب – الوحشة – النقار – الصقعة .

ملاحظة هامة :

إنّ ٩٠ ٪ من سكان تهامة إمارة غامد وزهران من قبيلة زهران ، ولا يقطن تهامة من غامد إلا قبيلة واحدة هي قبيلة غامد الزناد بالإضافة إلى بعض القرى العائدة لبني عبد الله .

قبائل غامد وأهم قراها

١ – **قبيلة بني خثيم** : الشيخ هاشم بن عدنان .
أهم قراها : رغدان – الطويلة – الجادية – الرهوة – الجمرة – الحبشي – آل بلعلا – الغانم – الكراء – قمهدة – بني مشهور – المراصعة .

٢ – **قبيلة بني عبد الله** : الشيخ عبد العزيز عبد الهادي .
أهم قراها : الباحة – الظفير – الزرقاء – مسب – بني سعد – محضرة – الملد – الحمدة – قمبور – المريري – الراعب – السواد – بشير – بني فروة .

ويتبعها في تهامة : شدا غامد الأعلى – شدا غامد الأسفل – وادي قراما .

٣ – **قبيلة بني ظبيان** : الشيخ عبد الله بن صقر .
أهم قراها : الغمدة – حصن المضحاة – الجبل – الرمادة – بني حدة – خفة – عرا – حصن أبا الزين – العباس – الريحان – رحبان – المقاضية – الحلة – العبالة – الطرفين – الغشامرة – المفارجة – المطاردة – الخويتم – العشقان – غزير – بني سعيد – الأجاعدة – بني جرة – القرن – عالقة بني ظبيان .

٤ – **قبيلة بني كبير** : الشيخ عثمان بن سويعد .

أهم قراها : الغبر – الحبيس – الحدب – المبادل – بني والبة – الزرقاء – الفلاح – آل سالم – آل سرور – آل مرزوق – المزرعة .

٥ – **قبيلة الرهوة** : الشيخ حامد الكلي .

وأهم قراها : عالقة الرهوة – مقمور – المسلة – العذبـــة – الفرشة – الجرار – بالعذمة – الحالية – بني هلال – الطلقية .

٦ – **بلجرشي** : الشيخ عبد الله بن احمد بن مصبح .

وأهم قراها : البركة – العامر – بني عامر – الركبة – العوذة – الغازي – السلمية – الحصن – بني عبيد – المدان – حزنـــة – شعب الفقهاء – المصنعة – القريع – غيلان – الربقة – الصقاع – الحمرا – الجبل – الشعبة – الجلحية – المكارمة – العطاشين – البكير – جبر .

٧ – **بالشهم** : الشيخ أحمد بن عبد العزيز اللخمي .

أهم القرى : عبدان – الأبناء – الحلية – الجحافين – آل زارع – الحميد – الفريّة – الفرح – آل دكان – الازاهرة – القمع – قذانة – حوالة .

بادية غامد

١ – قبيلة رفاعة . ٢ – قبيـــلة الحلة . ٣ – قبيلة الزهْران .

٤ – قبيلةالهجاهجة. ٥ – قبيلة العبيدات. ٦ – قبيلة القنازعة .

٧ – قبيلة آل سلم . ٨ – بادية بني كبير . ٩ – الزوابع .

أغلب هذه القبائل رحل ، وبعضهم قطن العقيق ووادي معشوقة .

وتتبع قبيلة غامد : قبيلة (غامد الزناد) من تهامة وهم بادية وحاضرة ، وأهم مراكزهم : المطوة – بطاط . وشيخهم الزندي .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية :

وصدر من فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية :

١ – المنتخب من مخطوطات الحديث : وقد قام بعمل هذا الفهرس العالم الجليل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، فقد عكف على التنقيب بين مخطوطات هذه الخزانة ومنها قسم كبير غير مرتب ، فقام باستخراج ما يتعلق بالحديث النبوي وبترتيب ذلك وتنسيقه فجاء في مجلد بلغت صفحاته ٥١٥ صفحة ، وعثر الشيخ اثناء عمله على مخطوطات نادرة اشار إلى بعضها في مقدمة هذا الفهرس .

٢ – الجغرافية وملحقاتها : وقام الأستاذ ابراهيم الخوري بترتيب فهرس الكتب الجغرافية مضيفاً اليها كتب النسب وكتب الخواص ، خواص النبات والحيوان والأحجار ، وبعض المسائل تتعلق في علم المساحة ، وجاء هذا الفهرس في ١٩٢ صفحة .

٣ – علم الهيئة وملحقاته : وصنع الأستاذ ابراهيم الخوري فهرس علم الهيئة وملحقاته من مخطوطات الدار ، فجاء في ٣٧٤ صفحة .

● الطبقات السنية :

ومن كتب التي قامت لجنة إحياء التراث الأسلامي التابعة للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ، بنشرها كتاب « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » وقد صدر المجلد الأول من هذا الكتاب يحوي ٢٧٦ ترجمة ، ويقع في ٥٠٢ من الصفحات بالقطع الكبير وقام بتحقيق الكتاب الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو ، أما مؤلف الطبقات هذه فهو تقي الدين الغزي المتوفى سنة (١٠٠٥ هـ) .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا اجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء العاشر - السنة الخامسة - ربيع الثاني ١٣٩١ - حزيران (يونيو) ١٩٧١

مؤرخو نجد

من أهلها — ٢ —

١١ — ابن سند :

عثمان بن سند أصله نجدي وهو من قبيلة عنزة ولد في نجد سنة ١١٨٠ ويظهر ان والده انتقل إلى الكويت في عهد متقدم ، حيث عاش ابنه عثمان في جزيرة فيلكا على ما ذكر الأستاذ محمد بهجت الأثري في مجلة « العالم الإسلامي » وقد انتقل فيما بعد إلى البصرة ثم بغداد حيث أسند إليه واليها داود باشا التدريس في مدرسة أنشأها ، وألف باسمه كتاب « مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود » ، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وقد طبع مختصره للشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني ، وفي هذا الكتاب معلومات تاريخية تتعلق بالحوادث التي وقعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مما له صلة بالبلاد النجدية وبالقبائل العربية التي انتقلت منها إلى العراق ، غير أن مما ينبغي أن يلاحظ على ابن سند هذا عدم تجرده من الهوى فهو ممن عادى الدعوة الاصلاحية ومدح أعداءها وتقرب اليهم بما يرضيهم من الوقيعة فيها بغير حق ، وقد توفي سنة ١٢٥٠ — تقريباً — .

١٢ — ابن بشر :

وقبل وفاة الشيخ ابن غنام بعشر سنوات تقريباً (في حدود ١٢١٠) ولد في بلدة جلاجل من اقليم سدير أيضاً ، عالم كان له أكبر الأثر في تدوين

https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com

تاريخ نجد منذ قيام الحركة الاصلاحية إلى عام ١٢٦٨ هـ. هو الشيخ عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر ، من قبيلة بني زيد القضاعية ، القحطانية التي تسكن في بلدة شقراء . وقـــد جد هذا في طلب العلم، فقدم الدرعية في صغره وتلقى العلم عن مشائخها ومنهم الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد ، الذي درس عليه كتاب التوحيد في عام ١٢٢٤ ، ومن مشائخه الشيخ ابراهيم بن سيف ، الذي تولى القضاء في ذلك العهد في سدير ، وفي عمان وفي الرياض ، والشيخ عبد الكريم بن معيقل أمير بـــلدة القرائن .. الذي فضل الإمارة على تولي القضاء في عهد الامام سعود بن عبد العزيز ، والشيخ عثمان بن ساعد ، أحد قضاة سدير المعروفين ، ومن أشهر مشائخه وأقواهم صلة بـه الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور ، الناصري العمروي التميمى ، الذي تولى القضاء في حوطة سدير .

وقد تصدى الشيخ ابن بشر لجمع ما أمكنه جمعه من تاريخ نجد ، فوجد الحوادث من بدء قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مدونة مرتبة، ووجد أخبار حوادث أخرى قبل ذلك متفرقة لا يربطها زمن غير أن تدوينها مما لا بـــد للمورخ من القيام به ، فوضع كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد » ليجمع وقائع آل سعود وأخبارهم ، مرتبة مسلسلة على ترتيب السنين ، من السنة التي ابتدأ بها الشيخ ابن غنام القسم الثاني من تاريخه، وألحق بعد ذكر حوادث كل سنة من السنين المرتبة بعض أنباء الحوادث التي سبقت ذلـك العهد ، مميزاً لهـا بكلمة (سابقة) كأن يسرد حوادث سنة ١١٥٨ ثم يقول بعد انتهاء سردها (سابقة : وفي سنة ٨٥٠ : اشترى حسن ابن طوق ، جد آل معمر العيينة من آل يزيد) .

ولم يجد ابن بشر صعوبة في تدوين تاريخه هذا ، فقد عمد الى تاريخ ابن غنام فجرده من السجع ، وصاغه صياغة بدت أرق من أسلوب الشيخ بن غنام ذلك الأسلوب الذي كان من أثر حداثة عهد تلك الدعوة الاسلامية ، وشدة خصومها ، شدة تحمل على ارتكاب العنف قولاً وعملاً . كما وجد ابن بشر في المؤلفات الأخرى التي سبقت الاشارة إليها عوناً له في تدوين الحوادث التي دعاها بالسوابق .

ومما يؤخذ على ابن بشر محاولته إخفاء آثار من سبقه من المؤرخين ، فهو مع كونه نقل أخبار الغزوات عن ابن غنام فقد أورد خبر وفاته وأثنى عليه بالعلم وذكر أحد مؤلفاته ، ولكنه ضرب صفحاً عن ذكر تاريخه . كما نقل كثيراً مما أورده الفاخري. ولكنه لم يشر إلى تاريخه، بل ذكر اسم الفاخري عرضاً حينما ذكر حادثة الدرعية سنة ١٢٣٢ فقال:وقد أرخها بعض الاخوان من أهل سدير وهو محمد بن عمر الفاخري فقال :

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الأعادي فيه ما نالوا
قال الأخلاء: ارخه ، فقلت لهم : أرخت. قالوا : بماذا ؟ قلت: غربال

ويظهر أن بين الرجلين صلة قوية فقد كتب الشيخ الفاخري في طرة تاريخ ابن بشر مخطوطة المتحف البريطاني ما هذا نصه :

أقول قولاً بيناً ظاهر كم ترك الأول للآخر

كما كتب الفاخري أيضاً في هامش الورقة الـ ٨٨ من تلك النسخة في ذكر حوادث السنة الـ ١٢١٥ ما هذا نصه : (وفي هذه السنة توفي عبد الله بن عثمان بن بشر ببلدة جلاجل،وهو والد الشيخ عثمان مصنف هذا الكتاب وغيره).

ومع هذا فإن « عنوان المجد » هو خير كتاب ألف في موضوعه ، على ما فيه ، وقد قسمه مؤلفه الى قسمين ، يتضمن الأول تاريخ الفترة الواقعة بين قيام الدولة السعودية الأولى — ١١٥٧ — الى سنة — ١٢٣٧ — ويبتدي الثاني من أول ولاية الامام تركي بن عبد الله في سنة — ١٢٣٨ — إلى نهاية سنة — ١٢٦٧ — حيث وقف عن تدوين التاريخ مع أنه بقي حياً إلى سنة ١٢٩٠ حيث توفي في تاسع جمادى الآخرة منها .

وقد جاء في آخر نسخة المتحف البريطاني ما هذا نصه :

(تم الكتاب بعون الملك الوهاب ويتلوه ان شاء الله تعالى دخول السنة الثامنة والستون وفيها مغزا عبدالله بن فيصل على عمان وما جرا له فيه من الاكوان ، وما فتح الله على يديه من الفتوحات وما جبى منه من الخراجات وما اخذ من المخالفين من النكالات وبثـّه سراياه في اقاصيه وادانيه ومـدة مقامه فيه كما ستقف عليه مفصلا ان شاء الله تعالى في الكتاب بعد هذا) وهذه

الجملة تدل على ان ابن بشر لم يقف في كتابة التاريخ على سنة ١٢٦٧ بل سجل ما بعدها من الحوادث وقد ذكر فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله البسام أن احد الثقات رأى في بلدة الزبير نسخة خطية يكاد يجزم انها تزيد على هذه الموجودة (المطبوعة) كثيرا .

والف الدكتور عبد العزيز الخويطر عن ابن بشر كتاباً يحوي دراسة مستفيضة عنه وعن تأريخه ، ونشر ذلك الكتاب بعنوان « عثمان بن بشر – منهجه ومصادره » طبع في الرياض سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠ م) ومع تعدد طبعات تاريخ ابن بشر فإنه لا يوجد منها طبعة محققة ، ومنشورة نشراً علمياً صحيحاً .

١٣ – راشد بن جُرَيس :

والشيخ راشد بن علي بن عبدالله بن محمد بن سليمان بن جريس يعد ممن عني بكتابة التاريخ ولكن طريقته طريقة النسابين ، فقد وضع كتيباً دعاه «مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد » ، يحوي نسب الأسرة السعودية الكريمة منذ آخر القرن الثالث عشر فما قبله وقد الفه استجابة لرغبة الامير عبدالله بن عبدالله بن ثنيان آل سعود ، ألفه حول سنة ١٢٩٤ ، وكان إذ ذاك على صلة بهذا الأمير في مدينة اسطنبول ،وفي هذا الكتاب جمل تاريخية عن مشاهير هذه الأسرة الكريمة والشيخ ابن جريس كان ذا صلة بالعالم السيد صديق حسن خان ملوك بهوبال في الهند ، وجرت بينهما مكاتبات اشار اليها السيد صديق في كتابه « التاج المكلل » ونقل بعضها ومنها ما هو مؤرخ في ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ ، وقد ذكر في احدى رسائله للسيد صديق أنه ولد في قرية نعام البلدة المعروفة بقرب حوطة بني تميم بنجد وقد اثنى عليه السيد صديق وأجازه وكتاب « مثير الوجد » مطبوع ومن مقدمته اقتبسنا هذه المعلومات .

١٤ – ابن حميد :

وممن عني بالتاريخ أيضاً الشيخ محمد بن عبد الله بن حُميد العنيزي النجدي المولود سنة ١٢٣٦ في عنيزة والمتوفى في الطائف سنة ١٢٩٥ والذي انتقل إلى مكة وتولى إفتاء الحنابلة فيها كما تولى ذاك ابنه بعده ، وقد ألف ابن حميد هذا

كتاباً في تراجم الحنابلة هو « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة » ترجم فيه علماء الحنابلة المتأخرين في مختلف الأقطار ومن بينهم عدد غير قليل من علماء نجـد ، غير أن هذا الرجل كان منحرفاً عن قبول الدعوة السلفية ومتعصباً ضد دعاتها من علمـاء السلف الصالح تعصباً مبعثه الهوى، ولذلك ذكرهم في كتابه هذا أسوأ الذكر وتحامل عليهم ووصمهم بما هم برءاء منه والله حسيبه.

وقد قدم على ما قدم ، ورأيت الشيخ ابراهيم بن ضويان (١٢٧٥ — ١٣٥٣) يدعوه في كتابه الذي ألفه في تراجم الحنابلة واسمه «كشف النقاب في تراجم الأصحاب » يدعوه (العريمضي) فقد يكون أصله من قرية عُرَيمض ، مع أنه نصّ في كتابه على أنه ولد في عنيزة وانه عـامري النسب (من عامر بن صعصعة) وله مؤلف آخر في التراجم اسمه « النعت الأكمل في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل » .

١٥ — ضاري بن فهيد الرشيد :

وهذا من الأسرة الرشيدية التي حكمت الجبلين حقبة من الزمن ، التجـأ إلى الملك عبد العزيز في آخر عهد تلك الأسرة، ثم أصيب بمرض سافر لعلاجه إلى الهند ، وفي بمبي سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) اجتمع بالأديب المعروف الأستاذ وديـع البستاني فأملى عليه «نبذة تاريخية عن نجد» نشرتها (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وتحوي تلك النبذة معلومات تاريخية عن حوادث هذه البلاد في القرن الثالث عشر الهجري ، هي صدى لـما كان يُتناقل في المجالس ، ومليها محدث بارع وشاعر باللغة العامية ، ومع ما في تلك النبذة من معلومات جملت فلبي يتمنّى أنه اطلع عليها قبل تأليف كتابه عن تاريخ المملكة إلا أن مليها ليس صريحاً في كل ما أملى ، ولا يخلو من هوى وتعصب برز أثرهما في مواضع من أقواله ، وهذا لا يقلل من فائدة تلك النبذة .

١٦ — ابراهيم بن صالح بن عيسى

وقبل وفاة ابن بشر بعشرين سنة — ١٢٧٠ — ولد في بلدة — أشيقر — من اقليم الوشم عالم سار على منواله من حيث العناية بتدوين تاريخ نجد ، هو الشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم، بن عبد الرحمن بن عيسى، من قبيلة بني زيد

أهل شقراء ، وقد تلقى العلم عن مشاهير علماء بلدته ، ثم قام برحلات متعددة إلى الهند والاحساء والبصرة والزبير ، وجد في طلب العلم وممن أخذ عنه الشيخ عيسى بن عكاس الاحسائي ولازمه مدة عشر سنين ، وأخذ عن الشيخ صالح بن محمد المبيض أحد علماء الحنابلة وعن الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى وغيرهم ، وكان شغوفاً بنقل ما يطلع عليه من الفوائد العلمية ويقول عنه أحد تلاميذه فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر : (كان في بداية طلبه العلم يتجول في البلدان ، وإذا وجد ما يعجبه من الفوائد نقله بخط يده، وكان لا ينفك في غالب أوقاته من المطالعة ، حتى إذا خرج من بيته أخذ معه بعض المجاميع التي هي بخط يده ، وكان ذا قناعة في الدنيا ، ولا يرغب المناصب بل يتباعد عنها ، وقد طلب منه أعيان مدينة عنيزة في أيام الأمير محمد بن رشيد أن يتولى القضاء في مدينتهم فأبى ، وكان يجلس لطلبة العلم في أشيقر في المسجد الجامع بعد طلوع الشمس ، وفي المسجد الجنوبي بعد صلاة الظهر ، وقد كتب بخطه من الفوائد ما يقارب عشرين مجموعاً) .

لبث الشيخ ابن عيسى في بلدته ينشر العلم ويجمع ما يستطيع جمعه من أخبار بلاده حتى أرهقته الشيخوخة في عام ١٣٤٢ فانتقل الى مدينة عنيزة تلك المدينة التي اعتاد أن يجد لدى وجهائها كثيراً من الراحة ، مما يخفف عنه تعب الحياة ، وقد كان آل بسام ذوي حدب وعطف وشفقة عليه ، فعاش بقية أيامه في كنفهم حتى توفي في تلك المدينة في ٢٣ شوال سنة ١٣٤٣ وكان انتقل اليها في ١١ صفر ١٣٤٢ .

وللشيخ ابن عيسى تلاميذ من العلماء تولوا أرفع مناصب القضاء في عهدنا الحاضر وقد تصدى الشيخ ابن عيسى لكتابة التاريخ فكان مما كتبه :

١ ـ تتمة لتاريخ ابن بشر ألفها تنفيذاً لرغبة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله وسماها : « عقد الدرر » فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر ، وأول الرابع عشر وقد بدأ من السنة التي وقف الشيخ ابن بشر عندها سنة ١٢٦٨ . ولكن النسخة التي وصلت الينا من هذه التتمة لا تذكر من حوادث القرن الرابع عشر سوى ما وقع في السنتين الأوليين

منه ، ولا تقف عند بدء الاختلاف بين أبناء الإمـــام فيصل كما فهم فلبي بل تصل الى سنة ١٣٠٣[١] .

ويقول الشيخ عبد الله فلبي في مقدمة كتابـــه (العربية السعودية) في وصف كتاب ابن عيسى هذا (أما الجزء الثاني فمنصب على أحلك أيام التاريخ الوهابي ، وظاهر أن هـذا الجزء الأخير صودر في أحد العهود المشرقة ، بقصد سدل الستار على فـترة من التاريخ موصومة بالعار، ومشحونة بالمصائب وظاهر أيضاً أن الجزء الثاني هذا ظل سليماً،باعتباره مسودة أحد الموضوعات الأخرى المسمى «السعد والجد» الذي قام بجمعه وتنسيقه عبد الرحمن بن ناصر، وذلك بالشطب على الفقرات الغير مستحبة،واستبدالها بتصحيحات على الهامش ولحسن الحظ فانه بالرجوع الى المخطوط الذي كان من نصيبي والذي تسلمته من الأمير مساعد وجدت أن جميع الفقرات المشطوبة ظاهرة وفي الإمكان قراءتها بسهولة ، وعلى ذلك فالمخطوط يعتبر مرجعاً موثوقاً به للتاريخ في الفقرة الحاسمة التي امتدت زهاء العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر وسواء كان المخطوط بخط ابن عيسى نفسه أم بخط غيره، فإنه يسلسل الوقائع حتى سنة ١٩٣٦وبذلك يعتبر همزة وصل بين التاريخ الحديث والتاريخ الكامل والمسلسل للعهد الوهابي الجديد[٢]) .

ونضيف إلى هذا القول بأنه ليس من البعيد أن يوجد هذا الجزء المفقود في بلدة عنيزة . فقد سمعنا من بعض الباحثين أن كتب الشيخ ابن عيسى بعد وفاته — ومن بينها تاريخ مطول من تأليفه كانت في حوزة أحد أهل تلك المدينة ، وكان بها ضنيناً .

٢ — تاريخ موجز جرده من ذكر أخبار الحروب والفتن وبتدأه من سنة ٧٠٠ حتى انتهى فيه الى سنة ١٣٣٧ وكثير من السنين لا يذكر فيها شيئاً من الأخبار وقد رتب فيه الحوادث التي يسميها ابن بشر سوابق ، ولم يأت بشيء جديد زاعماً عما فيتاريخي ابنبشر والفاخري،سوى الحوادثالتيوقعت بعدهما.

ويؤخذ عليه ما يؤخذ على ابن بشر من عدم ذكره لتاريخي الرجلين من مصادره ، مع أن مقابلة ما جاء في تاريخه هذا بما ذكراه تثبت نقله عنهما .

ويعتبر الشيخ ابن عيسى المؤرخ الثاني لنجد ، بعد ابن بشر ، فبتأريخهما

يصح تاريخ هذه البلاد متصل الحلقات . من قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الى نهاية القرن الثالث عشر . ومتى أمكن العثور على الجزء المفقود من تاريخ ابن عيسى فإن الحلقة تعتبر متصلة إلى عهد قيام المغفور له الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في سنة ١٣١٩ وقد طبع كتابا ابن عيسى.

١٧ – ابن مطلق

وممن عني بتدوين بعض الحوادث المتعلقة بنجد الشيخ مطلق بن صالح بن مطلق المتوفى سنة ١٣٣٢ وهو من حوطة بني تميم ، وقد جمع ما كتبه في كراس اطلعت عليه كما اطلع عليه فيلبي وذكره في كتابه ، وقد قام صالح بن الشيخ مطلق بالتذييل على ما كتب والده وما كتبه الاثنان معلومات موجزة جداً تعرف باسم « شذى الند في تاريخ نجد » ، وجلها يتعلق بحوادث نجد في آخر القرن الثالث عشر أو الرابع عشر .

١٨ – عبدالله بن محمد البسام :

سبقت الاشارة إلى صلة المؤرخ ابن عيسى بالأسرة البسّامية الكريمة في مدينة عنيزة ، وكان من أثر تلك الصلة ان وجدنا أحد افراد هذه الأسرة يعنى بالتاريخ . فيجمع فيه كتاباً يصح القول بأنه يحوي خلاصة ما كتبه مؤرخو نجد عن تاريخ بلادهم ، ويضيف اليه ذكر حوادث تتعلق بمكة المكرمة في عهودها الأخيرة ، وبعض حوادث أطراف العراق مما جاء في المؤلفات النجدية ومن ثم يدعوه كتاب : « تحفة المشتاق من اخبار نجد والحجاز والعراق » .

هذا المؤرخ هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله بن الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام الوهيبي التميمي – وُلد – على ما كتب به إلى الوجيه الكريم الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سُليم سنة ١٢٧٠ هـ – أي في السنة التي ولد فيها المؤرخ ابن عيسى – وتوفي سنة ١٣٤٨ – عن ٧٨ عاماً ، وقال الشيخ عبدالرحمن عنه : (نِعْمَ الرجل دينا وعقلا وأدباً ، وكان يشتغل في التجارة في بمبي في الهند، ويقيم هناك سنتين وثلاثا ، ويزور وطنه عنيزة فيقيم فيهـا كذلك ، ويظهر أنه لم

يشتغل بطلب العلم متجرداً له ، ولكنه أديب مثقف، وربما نظم بعض المقاطيع الشعرية الفكاهية التي لها صلة ببعض أصدقائه) .

وقد ذكر الريحاني أنه استعان عندما مرّ بعنيزة سنة ١٣٤١ بالشيخ عبدالله ابن محمد بن عبد العزيز البسام فكتب له لائحة بأسماء بلدان القصيم وسُدير والعارض . وقبل الريحاني وردت إشارة اليه في رحلة (دوتي) الذي زار عنيزة سنة ١٢٩٦ تقريباً وهي كما نقلها الريحاني : (وكان لجُرْنه صوت شجي كأنه جرس الضيافة يدعو الناس للقهوة) وكان ثالث ثلاثة ساعدوا دوتي واضافوه فنعتهم بالفلاسفة ، وأثنى عليهم ثناء طيباً . ووصفه الريحاني بالعلم والأدب والروح العصرية، وانه ساح في مصر والعراق والهند ، وأنه يشتغل بالزراعة.

ذكر في مقدمة الكتاب مصادره وانها : -١- تاريخ الشيخ أحمد بن محمد ابن بسام ... -٢- تاريخ أحمد بن محمد المنقور ... -٣- تاريخ ابن يوسف من أهل أشيقر ... -٤- تاريخ حمد بن محمد بن لعبون . . -٥- تاريخ ابن بشر ... -٦- ثم بعد ذلك ما رأيناه وسمعناه من ثقات أهل عصرنا .

والمضحك حقاً أنه ترك أهم تلك المصادر وهي ما كتبه الشيخ ابن عيسى، وما جاء في كتابي مؤرخي مكة القطبي ودَحْـــلان ، فقد أكثر النقل عن هؤلاء الثلاثة ، بل نقل جلّ ما في كتب الأول وأكثر ما في كتابي الأخيرين من حوادث مكة وأمرائها في العصور الأخيرة ، وأغرب من هذا أنه نقل خطبة أحد كتابي ابن عيسى – وهو مطبوع – نقلاً حرفياً ، خطبة لكتابه ومصادره هي مصادره باستثناء ابن يوسف ، وكما قيل : (كما تدين تُدان) فابن عيسى عوّل على تاريخ ابن بشر كثيراً ، ومع ذلك لم يذكره في مصادره ، وابن بشر عول على تاريخ ابن غنام ، وتناسى ذكر هذا التاريخ ، فلماذا لا يتجاهل ابنُ بسام ابن عيسى مع نقل كل ما كتب ؟!، وليس من المستبعد أن تكون الأصول التي رجع إليها ابن عيسى، والمذكرات التي كتبها وصلت كاملة إلى الشيخ عبد الله بن بسام فأبرزها في هذا المؤلف ، وقد سبق القول بأن ابن عيسى عـــاش في كنف آل بسام سنيه الأخيرة ، وبقيت كتبه في حوزة أحدهم . وهذا القول لا ينفي عناية الشيخ ابن بسام بالتاريخ عناية مكنته من

تدوين أشياء كثيرة أضافها إلى ما نقله من مؤلفات من قبله . والغريب أننا نجد ابن بسام سجل حوادث ما يقرب من تسعين سنة فيما بين سنة ٩٥١ و ١٠٩٤ و ١٣٢١ و ١٣٤٤ لم نجد لها ذكراً فيما وصل إلينا مما كتبه ابن عيسى ، ولا نستبعد أن يكون أكثرها - إن لم يكن كلها - مما دوّنه ابن عيسى مما لم يصل إلينا ، وكثير من تلك الحوادث مما يتصل بقبائل نجد وما جرى بينها من فتن وحروب في القرنين التاسع والعاشر ، مما يعود بفائدة جُلى على من يعنى بدراسة أحوال تلك القبائل ، ومن تلك الحوادث ما يتعلق بالصراع العنيف في نجد في الربع الثالث من هذا القرن . ولقد حاول الشيخ ابن بسام أن يسلسل حوادث كتابه من سنة ٨٥٠ إلى سنة ١٣٤٣ هـ فرتبها على هذا الأساس بعد أن ذكر بعد الحوادث من أول الهجرة (على سبيل الايجاز) غير أن تلك السلسلة لم تكن متصلة الحلقات ، فهناك عدد من السنين يكتفي بأن يقول عنها : (لم نقف على حوادثها - لم نعلم بحدوثها - لم نعلم من حوادثها شيء (؟) وهي ٤١ سنة من سني القرنين العاشر والحادي عشر . وهو في كتابة الحوادث يفصّل في بعض الأحيان حينا تجود عليه المصادر كما فعل عند ذكر إجراء عين عرفات إلى مكة (الورقات ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ من الأصل) وتفصيل نسب آل لعبون (٩٩ - ١٠١ - ١٠٢) حيث يكمل النقص في تاريخ ابن لعبون ، ووقعة أم العصافير (١٩٥) وسطوة أولاد سعود على عمهم في الدلم (١٩٨) والقبض على سالم السبهان من قبل الامام عبد الرحمن (٢٠٠) ويوجز أحياناً كثيرة حتى في الحوادث التي يطيل فيها ابن بشر ، ويستشهد بالأشعار العامية في ذكر حوادث سني ١١٣٨ - ١١٥٨ - ١١٦٨ - ١١٨٠ فكلها أورد فيها شواهد من شعر حميدان الشويعر وفي حوادث سني ١١٨٩ - ١٢٠٠ - ١٢١١ - ١٢٨٧ أورد شواهد من شعر أحمد ابو عنقا ، محمد بن لعبون ، راجح بن عمرو الشنبري ، سليم بن عبد الحي ، راكان بن حثلين . وقد استشهد بشعره هو مرة واحدة فقال : (سنة ١٣٢٨ في يوم الخميس ١٨ ربيع الآخر توفي الشيخ عبد العزيز بن علي بن محمد بن ابراهيم - رحمه الله - وكانت وفاته في سَوْرة

من بلاد الهند ، وقد قلت فيه أبياناً بعد وفاته ، بيت التاريخ منها :

وقد قلتُ في هذا ختاماً مؤرّخاً : لعبد العزيز الفوز مُذْحم نقلهُ

ونقل المكاتبات التي جرت بين الامام عبدالعزيز وبين القائد التركي في سنة ١٣٢٤ عن جريدة « اللواء » العراقية . وعندما ذكر المعاهدة المعقودة بين الامام وحكومة الانجليز سنة ١٣٢٩ أورد ملخص بنودها.واسلوبه كأسلوب اكثر مؤرخي نجد لا يتقيد بالاعراب ولا بقواعد الصرف ويسجل الحوادث باسلو بسيط ومن أمثلة ذلك :

١ – في سنة ١٢٩٨ ابتدأنا نحن آل محمد بن عبدالعزيز بن حمد آل بسام في غرس قليبنا المسماة الموبهرية في بلد عنيزة .

٢ – سنة ١٢٩٩ : ابتداء حفر قلبان البدائع في وادي الرُّمة على مسافة ١٦ ميلا من عنيزة ، واول ما حفر فيها العميرية .

٣ – ١٣٢٤ : حبس الأخ عبد الرحمن بن محمد بن عبدالعزيز آل بسام في البصرة ثم في بغداد بتهمة أنه هو القاتل لرزوق الكورلي النصراني.

٤ – ١٣٢٦ : في صفر وصل إلى العارض مندوبين انكليز من طريق العُقير ، ومعهم تلغراف اللاسلكي .

٥ – في سنة ١٣٤٠ : في ٢٧ ربيع الأول عُزل ابن معمر عن امارة بُريدة ، وأقر فيها عبد العزيز بن مساعد .

٦ – في سنة ١٣٤٢ : في ١١ رمضان مشى عبد العزيزبن مساعد بن جلوي من بريدة بأمر الامام عبدالعزيز إلى حائل، ومعه أهل مائةوخمسين مطية ، وحط مكانه في بريدة بن مبيريك .

٧ – في سنة ١٣٤٢ : وصل عنيزة طبيب امريكاني اسمه ديم ، استقام نحو عشرين يوماً ، وأفاد في علاج البعوج والبواسير .

٨ – سنة ١٣٤٢ : في رمضان وصل الامام عبد العزيز عنيزة من الرياض ومعه ثلاثة موانر في ٢٥ ساعة .

هذه النماذج ليست كل ما دون من حوادث تلك السنين ، ولكنها توضح بساطة أسلوبه في الكتابة في غير ما ينقله، وقل ان يصرّح بنقل أو اقتباس وقد يضيف إلى ما ينقل ـ وإن لم يصرح بذلك ـ بعض آرائه وهذا نادر كأن يقول عندما ذكر أن آل زرعة من بني حنيفة :(وسمعت من بعض الناس أنهم من الدواسر) وعلى ذكر الأنساب فقد ألحق ابن بسام بكتابه هذا صفحتين لا صلة لها بالحوادث بل تتضمنان أسماء أشهر الأسر في مدينة عنيزة وذكر من ترجع أنساب تلك الأسر اليه من القبائل العربية ثم ذكر اسماء بعض قبائل نجد وبعض فروعها بإيجاز (٣) .

١٩ – ابراهيم بن محمد القاضي :

ذكر الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير في تاريخه – وسيأتي وصفه – أن من مصادره «تاريخ ابراهيم القاضي»وقال عند ذكر حوادث قتل أبناء سعود في الخرج من قبل ابن سبهان – أمير الرياض لابن رشيد – ما هذا نصه : (ويقول ابراهيم المحمد القاضي في تاريخه : إنها جرت بعد حادثة الرياض بثمانية أشهر ، وأن ابن سبهان خرج غارياً وأغار على غنم لأهل الخرج وأخذها ، وخرج إليه أولاد سعود وأهل الخرج ، وقاتلوه ، وهزمهم وقتل محمداً وسعوداً أولاد سعود) . وقال في الكلام على حوادث سنة ١٢٦٧ : (وبما أن تاريخ ابن بشر انتهى في حوادث هذه السنة ، فقد اعتمدنا على وريقات منسوبة لابراهيم بن عيسى ، فيها أربع أو خمس من حوادث القصيم فقط . وعلى تاريخ ألفه ابراهيم المحمد القاضي استخلصنا منه جزءاً قليلاً من حوادث البادية التي لم نقف عليها ، وهي قليلة جداً) .

وهذا كل ما نعرف عن تاريخ القاضي ، ويظهر أن القاضي هذا هو ابن الشاعر المعروف محمد بن عبد الله المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ. وهو شاعر كأبيه ، وتدلُّ أشعاره على سعة ثقافته وكان موجوداً إلى سنة ١٣٤١ – وكان في شعره يحرّض الملك عبد العزيز على غزو عبد العزيز بن متعب بن رشيد في حايل :

كَانِ ابُو تركي تَنَهَّضِ بْجِنْحَانِهْ وْقَامْ
وا عَذَابِ طْيُور (سَلْمَى) مْنَ الْهُولَ العَظِيْمْ

وقد علمت من ابنه الاستاذ عبد الرحمن القاضي أن جميع أوراقه – بما فيها ما جمعه من تاريخ ومشجّر لنسب أسرة آل قاضي – كانت في حوزة الشيخ محمد بن حمد بن محمد بن عبدالله القاضي المتوفى في البحرين قبل بضع سنوات – والشيخ محمد هو ابن أخي الشيخ ابراهيم .

٢٠ – ابراهيم بن ضويان :

الشيخ ابراهيم بن محمد بن ضويان ولد في بلدة الرس سنة ١٢٧٥ وتوفي فيها سنة ١٣٥٣ فجأة في ليلة عيد الفطر ، وهو من أفاضل العلماء زهداً وورعاً وصلاحاً وله مؤلفات في الفقه طبع بعضها ومن مؤلفاته في التاريخ « كشف النقاب في تراجم الأصحاب » ترجم فيه مشاهير علماء الحنابلة بما فيهم علماء نجد ويظهر أن الشيخ ابراهيم ذو عناية بالتاريخ فقد رأيت نبذة منسوبة اليه سجل فيها حوادث تقع فيما بين سنتي ٨٥٠ – ١٣١٩ بطريقة موجزة جداً وجل ما فيها – ان لم يكن كله – موجود في الكتب المعروفة وقد حدثني فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد وهو ممن أخذ عن الشيخ ابراهيم بن ضويان أن له مؤلفاً يتعلق بالانسان والتاريخ ، وقد أخذه الأستاذ رشدي ملحس .

٢١ – الاستاذ سليمان بن صالح الدخيل :

وهذا أديب نجدي اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها كلها آثار لا يسع الباحث في تاريخ نجد إهمالها ، لقد ولد الأستاذ سليمان في بلدة بريدة سنة ١٢٧٠ من أسرة كريمة النسب ، تنتمي إلى قبيلة (الدواسر) من همدان ثم من قحطان ، وقد ضاقت عليه أسباب المعيشة فانتقل إلى البصرة ، ثم إلى الهند حيث عمل كاتباً لدى التاجر النجدي المعروف عبد الله بن محمد الفوزان ، ثم عاد من الهند بعد أن أصبح عمه جار الله الدخيل وكيلا لامارة آل رشيد في بغداد ، فسافر إليه ، وأقام هناك .

وفي سنة ١٣٣٢ لما قامت الحرب العالمية الأولى هرب من العراق خوفاً من إلقاء القبض عليه وتسليمه لولاة الأتراك ، وواصل السفر إلى المدينة بعد أن وجد الأحوال في نجـد مضطربة ، فأقام فيها مدة نسخَ في خلالها بعض

الكتب الخطية النادرة ، المتعلقة بتاريخ العراق ، أو تاريخ العرب ، ثم عاد إلى بغداد ، وقويت صلته بعلامة العراق السيد محمــــود شكري الالوسي ، وبغيره من العلماء والأدباء كالاب أنستاس الكرملي ، واتجه إلى الاشتغال بالأدب والتاريخ ، وأصدر جريدة «الرياض» ، ثم مجلة « الحياة » وألف كتباً ورسائل تتعلق بتاريخ نجد منها :

١ – «القول السديد » في أخبار إمارة آل رشيد ». ألفه سنة ١٣٣٨ ﻫ (١٩١٩ م) ويقع في ١١٢ صفحة .

٢ – «البحث عن أعراب نجد ، وعما يتعلق بهم». واسم الكتاب لا يطابق مسماه ، فهو مجموعة تتضمن أشعاراً عامية لمشاهير شعراء نجد ، مثل رميزان ، والقاضي ، وعبد الله الفرج ، وعبيد بن رشيد وعبد العزيز بن جـاسر بن ماضي والهزاني ، وغيرهم ، ويقع في ٣٣٤ صفحة .

٣ – « تحفة الالباء في تاريخ الاحساء » وهي رسالة مختصرة مطبوعة ، وله مؤلفات أخرى لا أهمية لها . ويظهر في كثير مما كتبه الأستاذ الدخيل أثر التحامل وخاصة في كتابه « القول السديد » الذى هو من خير ما ألف ، على قلة جدواه .

وقد استوطن الدخيل في آخر عمره بغداد ، وتزوج من أهلها وأصيب في آخر عمره بالعوز الشديد ، حـــتى باع كتبه ، وكان يستعمل بعض الحيل ليظهرها بمظهر الندرة ، وقد آل كثير منها إلى مكتبة الأب الكرملي التي أضيفت إلى مكتبة (مديرية الآثار العراقية) .

وتوفي الأستاذ سليمان الدخيل في عام ١٣٦٤ (١٩٤٥ م) عن سبعين سنة وهو أول من نشر تاريخ ابن بشر ، فقد قام هو والشيخ محمد بن مانع بطبع الجزء الأول منه مختصراً ، وقام بطبع «نهاية الارب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ، و « الفوز بالمراد في تاريخ بغداد » . ونشر كتباً أخرى .

وقد نشر في صحيفته « الرياض » الاسبوعية التي عاشت سبع سنوات – ١٩٠٨ / ١٩١٤ – ومجلة « الحياة » الشهرية التي صدر منها أربعة أجزاء نشر فيها كثيراً من أنباء الحوادث التي وقعت في نجد ، في ذلك العهد .

٢٢ - مقبل الذكير :

الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير - بضم الذال وفتح الكاف بعدها ياء ساكنة فراء مهملة - من أسرة من أشهر أسر عنيزة تنمى الى بني خالد وعرف من هذه الأسرة الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير من أشهر تجار العرب في في أول هذا القرن وهو خال الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذي ولد سنة ١٢٩٩ تقريباً لأنه ذكر بأنه وصل الى الكويت من عنيزة في ٢٥ ربيع الثاني من سنة ١٣١٣ وعمره إذ ذاك ١٤ سنة ويقول بأن خاله مقبل بن عبد الرحمن الذكير أبقاه في بيت الشيخ يوسف بن إبراهيم لتعلم الكتابة .

وليس لدينا معلومات وافية عن الشيخ مقبل بن عبد العزيز سوى لمحات موجزة تبرز من خلال تاريخه الذي سنتحدث عنه فيما بعد ، ومعلومات أخرى استقيناها من بعث أدباء الكويت وخاصة الشيخ حجّي بن قاسم الحجي وندمج تلك فيما يلي :

سافر الشيخ مقبل الى الكويت في سنة ١٣١٣ وهو في الرابعة عشرة من عمره في كنف خاله مقبل العبد الرحمن الذي ضمه الى أبناء عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن علي بن ابراهيم ومصطفى ابن الشيخ يوسف آل ابراهيم صاحب القصة المعروفة مع أخوي مبارك الصباح أمير الكويت ولنستمع إلى ما يقوله مقبل نفسه : (وصلت الكويت مع خالي مقبل العبد الرحمن الذكير من عنيزة في ٢٥ ربيع الثاني من هذه السنة (١٣١٣) وعمري إذ ذاك بالرابعة عشر ، فأبقاني خالي في بيت الشيخ يوسف بن ابراهيم لتعلم الكتابة ، فأفردوا لي حجرة خاصة في المجلس ، وكنت في معية أولادهم عبد الرحمن ابن عبد العزيز بن علي بن ابراهيم ، وكان يومئذ في الكويت ، ومصطفى ابن الشيخ يوسف ، فكنا لدات في السن) ثم ذكر أنه توجه بعد أيام الى البحرين قال ذلك في سياق خبر قتل مبارك الصباح أخويه ، والظاهر أنه اشتغل مع خاله الشيخ مقبل العبد الرحمن في التجارة وأنه كان كثير التردد بين عنيزة والعراق والهند ، ثم بعد ذلك اشتغل وحده في التجارة وفتح محلا في البحرين للتصدير والاستيراد فيما بين الهند والبصرة والكويت ونجد ، واستمر في عمله الى سنة

١٣٤٣ (١٩٢٢) حيث اختاره الملك عبد العزيز - رحمها الله - مديراً لمالية الاحساء بعد وفاة مديرها محمد أفندي فقام الشيخ مقبل بتنظيم شؤون المالية هناك واختار عدداً من شبان الكويت أسند اليهم شؤون التنظيم المالية في تلك الجهة، منهم الشاعر عبد اللطيف بن ابراهيم النصف ويوسف بن عبد الوهاب العدساني والد الشيخ محمد سفير الكويت في لبنان الآن، وعبد العزيز بن عبد الله الحميضي وسلطان بن أمان وحمد المير (الأمير)، فرق هؤلاء في الاحساء والعقير والجبيل والقطيف وبقي الشيخ مقبل في عمله حتى عين وزير المالية مكانه الشيخ محمد الطويل سنة ١٣٥٠ (١٩٣١) - تقريباً - وعـاد الكويتيون بعد ذلك الى بلادهم وليس لدي عن الشيخ مقبل من المعلومات أكثر مما تقدم، ويظهر أنه عاش إلى ما بعد سنة ١٣٦٠ مع أن آخر ما سجل في تاريخه من الحوادث هو حادثة محاولة الاعتداء على الملك عبد العزيز - رحمه الله - في المطاف في يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ - وما يتصل بها. ولكن بين أوراق الكتـاب ورقة تحوي البيان الرسمي الذي أصدرته الحكومة في ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٥٩ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠م) في حادثة الذيب وقد اطلع عليه الشيخ مقبل كما يبـدو من تصحيح بعض كلماته.

لقد ألف الشيخ مقبل مؤلفاً شاملاً لتاريخ المملكة العربية السعودية منذ قيام الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعوته الاصلاحية ونشوء الدولة السعودية الأولى إلى منتصف قرننا الحالي وقد حاول في تاريخه هذا أن يتضمن معلومات عن المدن والقرى في بلاد نجد القديمة والحديثة، فأورد بيانات مفصلة عن كثير منها، يذكر البلدة ويتحدث عما يعرف من تاريخها هذا، مع ذكر الحوادث الواقعة في تلك الحقبة مفصلة، مستشهداً بكثير من الوثائق والبيانات الرسمية التي نقلها عن الصحف، وقد يتطرق لبعض الحوادث الخارجة عن المملكة كما فعل في ذكر قتل مبارك الصباح أخويه، فقد أورد الحادثة مفصلة مدعمة بوثائق تاريخية: كتب متبادلة بين يوسف آل ابراهيم ومقبل آل عبد الرحمن الذكير ومبارك الصباح وقاسم بن ثاني وعبد وعبد الرحمن الفيصل وعبد العزيز الدخيل، وهو في ذكره للحوادث لا يكتفي بمجرد النقل عمن تقدمه بل قد ينتقد بعض المؤرخين، كابن بشر والريحاني، في مواضع وخاصة ما يتعلق بتاريخ عنيزة [٤] والشيخ مقبل يستشهد بالشعر العامي في كثير من المواضع

وبالاجمال فإن كتابه من اوفى الكتب في موضوعها ، الى أنه بحاجة إلى التنقيح والترتيب ، فما وصل الينا منه مسودة المؤلف ويقع في ٣٣٢ صفحة في كل صفحة ما يقرب من ٣٣ سطراً . بخط دقيق وفي بعض الصفحات بياض ، والأسلوب تكثر فيه الأخطاء اللغوية والنسخة الأم من هذا التاريخ في مكتبة كلية الآداب في جامعة بغداد ، ويظهر أنه أراد أن يقسمه إلى ثلاثة أقسام يطلق على كل قسم اسماً خاصاً به ، كما يدل على هذا ما جاء في الصفحة الثانية منه وها هو بنصه :

[إذا كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت أمراً استقام بغير رأي ، وأعواناً جروا بغير نبل ، وعملاً أنجح بغير حزم ، فلا يغرّنك ذلك ، ولا تستنيم اليه ، فإن الأمر الجديد مما تكون له مهابة في أنفس أقوام ، وحلاوة في أنفس آخرين] . ابن المقفع

يتضمن هذا الدفتر حوادث عسير واليمن والحجاز ، جمعه مقبل العبد المزيز الذكير ، وهو أحد مسودات الجزء الثالث من تاريخ نجد ، ولم نرتبه بعد . على أنه لا يزال ينقصنا بعض المعلومات التي سنجتهد بالبحث عنها وإلحاقها به ، كما أننا سنعيد النظر في ترتيبه وتنقيحه ، حتى يكون بالحالة التي نرضاها . أما الكتاب فلم أحاول أن أقرر اسمه بعد ، وإنما لديّ الآن اسمين هل أختار أحدهما أو أتوفق إلى اسم أكثر ملاءمة :

(١) العقود الدريّة ، في تاريخ البلاد النجدية .

(٢) مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود .

(٣) تاريخ نجد القديم والحديث .

أحد هذه الأسماء يطلق على الكتاب جميعه .

الرأي الثاني في تسمية أجزاء الكتاب :

الجزء الأول: طوق الحمامة في أخبار اليامة . لأنه يختص بحوادث اليامة القديم .

الجزء الثاني : العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية . لأنه جامع أخبار نجد جميعها .

الجزء الثالث : العقد الممتاز في أخبار تهامة والحجاز . لأنه مختص بها .

أما مصادره فقد أوضحها في الصفحة الأولى حيث قال :

مصار هذا الكتاب بجميع أجزائه :

– تاريخ نجد الحديث : لأمين الريحاني – الكتاب الأخضر النجدي لمؤتمر الكويت – الكتاب الأخضر النجدي المختص بحرب اليمن – ملوك المسلمين وأمراؤهم المعاصرون ، لأمين سعيد – تاريخ ابن بشر – تاريخ ابن غنام – تاريخ ابن الأثير – تاريخ ابن خلدون – فجر الاسلام : لأحمد أمين – تاريخ ابن لعبون – تاريخ ابن عيسي – تاريخ ابراهيم القاضي – الكامل للمبرد – تاريخ الاستعمار الانجليزي في بلاد العرب : لأمين سعد .

الجرائد : – الأهرام – أم القرى – البلاغ – فتى العرب .

المجلات : المنار – الجامعه الهدية . ونقل عن صحف كثيرة غير هذه .

وقال عندما ذكر حوادث سنة ١٢٦٧ (وبما أن تاريخ ابن بشر انتهى في حوادث هذه السنة ، فقد اعتمدنا على وريقات منسوبة لابراهيم بن عيسى، فيها أربع أو خمس من حوادث القصيم فقط، وعلى تاريخ ألفه ابراهيم المحمد القاضي استخلصنا منه (جزءاً قليلاً) من حوادث البادية التي لم نقف عليها ، وهي قليلة جداً، إنما يلزمنا التنويه بذلك ، وما عدا ذلك من حوادث نجد فهو من روايتنا ومحفوظاتنا ، إذ أنني عاصرت الحوادث من العقد الثاني من القرن الرابع عشر ، وحرصت على حفظها وتدوينها من مصادر الحوادث نفسها، وتتبعت ما شذ عني فأخذته ممن شاهده و حضره من الثقات، وحرصت كل الحرص على تمحيص الحقائق كما هي ، لا كما أشتهي أن تكون ، ولم أرسم الا ما ثبت عندي صحته ، متجنباً الميل – جهد الطاقة ولم أبخس العدو حقه من الحقيقة ولا أعطيت الصديق منها أكثر مما يستحق ، لأنني أكتب للحقيقة، وللحقيقة وحدها ، وما توفيقي إلا بالله) .

(للحديث صلة)

الحواشي :

(١) علق فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله البسام على هذا بقوله :

ذكر الاستاذ تاريخ الشيخ ابراهيم بن عيسى المتمم لتاريخ ابن بشر فقال عند وصف نسخة التاريخ (وتقف عند بدء الاختلاف بين ابناء الامام فيصل سنة ١٣٠٣) والصواب انها لم تأت السنة المذكورة الا والخلاف بين ابناء الامام فيصل قد كاد ينتهي بموت سعود عام ١٢٩٣ هـ

وامتداد نفوذ محمد بن رشيد على نجد فان الشقاق قد بدأ فيهم حينما هرب سعود من الرياض مغاضباً لاخيه عبد الله في عام ١٢٨٣ هـ .

وكلام (فلبي) الذي نقله الاستاذ حمد في وصف تاريخ ابن عيسى حيث قال : (اما الجزء الثاني فمنصب على احلك ايام التاريخ الوهابي وظاهر ان هذا الجزء الاخير صودر في احد العهود المشرقة بقصد سدل الستار على فترة من التاريخ موصومة بالعار ومشحونة بالمصائب) والتاريخ الموصوف بالظلام والمشحون بالمصائب هو تاريخ الشقاق بين ابناء الامام فيصل وهو الذي قد ارخه ابن عيسى فانه لم ينته من كتابة تاريخه الا حين وقف النزاع بينهم بموت بعضهم وضعف امر الباقين اما التاريخ (المظنون) فان كان يوجد فهو تاريخ لحكم الرشيد وصراعهم مع اهل القصيم وآل صباح ولن يجد ما يقوله عن السعوديين حتى بداية تاريخهم الحديث بقيام جلالة الملك عبدالعزيز فما الذي يحمل ابن عيسى على اخفائه اذن؟ وافيد الاستاذ حمد الجاسر انني قد اطلعت على نسخة من تاريخ الشيخ ابن عيسى بقلم يده متفقة مع المطبوعة الا في الفاظ يسيرة لكنها تمتاز عليها بثلاثة اشياء :

١ – انها تزيد عليها بذكر بعض الحوادث والقصائد في أثناء تلك المدة المؤرخة .

٢ – لم يوجد في المطبوعة اخبار من عام ١٢٩٤–١٢٩٨ هـ بل قال (ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائتين والالف ولم يقع فيها بعدها الى تمام السنة الثامنة والتسعين بعد المائتين والالف ما يحسن ذكره) .

أما النسخة التي اطلعت عليها ففي كل هذه السنين المهملة حوادث واخبار .

٣ – تنتهي المطبوعة بنهاية عام ١٣٠٢ هـ وتمتد التي اطلعت عليها الى ١٣١٥ هـ وليست هذه النسخة عندي ولكني اعد الاستاذ ومحبي التاريخ بأني سأحاول استنئافها وتحقيقها والتعليق عليها وطبعها ان شاء الله تعالى والله الموفق .

(٢) كتب إلي الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ناصر كتاباً مطولا بتاريخ ١ / ٩ / ١٣٨٠ أجتزىء منه بما يلي :

(لقد وقع في يدي أحد أعداد اليمامة التي نشرتم فيها بعضاً من محاضرتكم القيمة عن مؤرخي نجد وقد لاحظت عند نقلكم كلام عبدالله فلبي عن تاريخ ابن عيسى أنه ذكر عن تاريخنا المسمى « عنوان السعد » أنه يعتبر مسودة للجزء المفقود من تاريخ ابن عيسى واننا شطبنا على الفقرات الغير مستحبة الى آخر كلامه . وأحب بهذه المناسبة أن أحيطكم علماً وابين لكم الحقيقة ان ما ذكره عبدالله فلبي غير صحيح اذ أنه مجرد ظن (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ولم يسبق لي ان اطلعت على الجزء المفقود من التاريخ المذكور ، وانما طريقتي في كتابة التاريخ انني عندما أردت ان اسوده التزم لي فضيلة الشيخ المنقري رحمه الله باملائه علي من موقف ابن عيسى الى وفاة محمد بن رشيد وقال انني أميز من ابن عيسى بما حدث في ذلك الوقت وأحفظ منه . واملاه علي من حفظه رحمه الله واما ما كان بعد وفاة محمد بن رشيد وكان غير خافٍ علي وعلى الشيخ فكنت أسعى في رقمه وأقرأه على الشيخ وأتراود أنا واياه فيما يشكل فاذا نقحه أثبتُّه ، وفيما تقدم طلب مني صاحب السمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن المسودة التي قد قرأناها على فضيلة الشيخ وبعثتها اليه وسلمها لفلبي ليشرف عليها) .

(٣) نسخة المؤلف من هذا الكتاب سيأتي وصفها ، وكان من هي تحت يده ضنينا بها غير ان احد الاساتذة المصريين ويدعى محمد نور الدين بن السيد بن عوض آل شريبة ندب للتدريس في مدرسة عنيزة سنة ١٣٧٥ (١٩٥٦) فاستعار الأصل من العلامة الشيخ عبد الرحمن آل سعدي (توفي رحمه الله سنة ١٣٧٦) فنسخه ووصلت نسخته الى الاستاذ الدكتور جورج رنس حينما كان رئيساً لقسم البحث والترجمة في شركة الزيت العربية الأميركية في الظهران ، وقد كرم فأتحفني بنسخة مصورة عن مخطوطة الاستاذ المصري الذي وصف الأصل بما هذا نصه :

● المخطوطة التي نقلت عنها هذا التاريخ محفوظة لدى ابن المؤلف - وهو لا يزال على قيد الحياة - في بلده وبلد أبيه عنيزة حتى سنة ١٩٥٥ = ١٣٧٥ هـ .

● ليس لهذا الكتاب أصول خطية غير هذه المخطوطة وهي تقع في ست عشرة ومائة ورقة من القطع المتوسط مسطرته مختلفة ، وقد كتب بأقلام مختلفة ورقمت صفحاته جميعاً ولم يكتب له تعقيب .

● بهامش الكتاب استدراكات كان يكتبها المؤلف وهي في الكتاب كله بقلم واحد ويبدو أنها بخط المؤلف نفسه وهي تكثر في القسم الأول من الكتاب — أعني حتى ص ٢٢٦ — وتقل في القسمين الأخيرين وبخاصة الأوراق الثلاثة الأخيرة فانها تنعدم .

● يبدو من الأوراق الثلاث الأخيرة أنها قد كتبت بعد القسم الأول الذي بدىء في تبييضه سنة ١٣٣٥ . كما كتب المؤلف ذلك في صفحة العنوان حيث قال : (قد تحرر هذا التاريخ في سنة خمس وثلاثين وألف وثلاث من المئين . وسميته تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق) .

● يمتلىء الكتاب - وخاصة في القسم الأخير - بالأخطاء اللغوية والإملائية ورسم بعض الكلمات كما يلفظها أهل نجد فيكتب (الحفض) بدل (الحفظ) لأن أهل هذه المنطقة يلفظون الضاد ظاء كما يستعمل كثيراً من الألفاظ العامية التي قلما يدرك مفهومها غير أهل نجد .

(٤) من أمثلة ذلك قوله: (وقد ذكرنا هرب خالد بن سعود إلى الحجاز في حوادث سنة ١٢٥٦، وبقي عند الشريف محمد بن عون، وأراد هذا مساعدة خالد ،وتثبيت مركزه في نجد، ويقال : إن ذلك بإيعاز من حكومة مصر التي كانت تميل إلى تأييد خالد ، فلما كانت سنة ١٢٦٣ خرج الشريف محمد بن عون ومعه قوة كبيرة حضر وبادية ، وبصحبته خالد بن سعود وبعض عسكر من الترك ، مما يدل على ما ذكرنا أن في خروج الشريف ، خلافاً لزعم ابن بشر بأن أهل القصيم هم الذين زيّنوا له الخروج لعدواتهم لآل سعود ، وما ذلك إلا من هذيان ابن بشر ومن نَحى منحاه . وإلا فما هي المصلحة لهم في خروج الشريف ، وما هي المداوة بينهم وبين ابن سعود ، وهم الذين وقفوا بوجه ابن ثنيَّان ولم يتابعوه ، وفي الوقت نفسه هم الذين أرسلوا وفدهم لفيصل عندما بلغهم وصوله حايل ، ودعوه للقدوم ، وأدخلوه بلادهم في الوقت الذي كان ابن ثنيّان محاصراً لهم ، وقاموا معه ، وجهزوا معه من الجند ما يعلمه ابن بشر ، ولم يرجعوا إلا بعد أن استتبَّ الأمر لفيصل ، فهل هذا عمل أعداء ؟ [وأطال في الموضوع] .

دارات العرب

- ١ -

كتب الأستاذ عبد الرحيم عسيلان بحثاً نشره في مجلة «العرب» في الجزئين الأول والثاني من السنة الرابعة ، وقد مهد لهذا البحث بمقدمة تحدث فيها عن أهمية معرفة الأعلام المكانية الوارد ذكرها في الشعر العربي ، ثم نبه على أهمية الدارات وعلاقتها بالبيئة العربية مبيناً أهمية القيمة الأدبية والقيمة الجغرافية والقيمة التاريخية لدراستها وعلاقتها بالأدب العربي ، ثم تطرق بعد ذلك لأهمية المادة المكانية للشعر الجاهلي ، وجاء هذا التمهيد بأسلوب أدبي ممتع ، ثم تلا ذلك بتعريف للدارات وبيان عددها ، وتحدث عن الكتب التي ألفت في موضوع الدارات ،وكذلك عن الدارات عند البكري وعند ياقوت ، وتحدث عنها في أشعار العرب ، وذكر طائفة من أسماء شعراء العرب ثم قال: ويحسن بنا أن نعرض لبعض هؤلاء الشعراء ما جاء عنهم من شواهد للدارات. وأورد طائفة من الشواهد من شعرهم ، لبعض الدارات ، ثم ختم بحثه بقوله : «وحسبي أنني – فيما أعلم – أول من تطرق إلى هذا الموضوع بالبحث والدراسة على هذا النحو » .

وحيث أن موضوع الدارات هو أحد المواضيع الجغرافية التي ما زالت في حاجة إلى البحث والتحقيق ، والاستقصاء ولما لبحث العسيلان من قيمة أدبية فانني سأستعرض ما كتبه على ضوء ما ورد في المعاجم القديمة مستعيناً بالدراسة الميدانية والمشاهدات ، وسأبين ما لاحظته فيه مستوفياً ما يمكن استيفاؤه ومما في استيفائه فائدة للقراء ، وبعد أن أفرغ من دراسة ما كتبه سأتلوه بدراسة البحث الذي كتبه الأستاذ العلامة حمد الجاسر في نفس الموضوع بعنون « دارات العرب » ونشره مسلسلا في نفس المجلة ، وسأربط البحث بالدراسة الميدانية موضحاً موضع الدارة الذي تعرف به في هذا العهد

والمجموعة الجغرافية التي تنسب إليها والوصف الجغرافي الذي ينطبق عليها ، ومن الله أستمد العون .

قال الأستاذ عسيلان في مقدمة بحثه : كسقط اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة ، وهي من منازل بني كلاب ، وكالدراج والمتثلم ، موضعان بالعالية ، وذكر أنه لا غناء لنا عن معرفة هذه المواضع إذا أردنا تفهم الشعر الجاهلي على وجه الخصوص .

والواقع أنه حدد هذه الخمسة المواضع الأولى بأنها من منازل بني كلاب وحدد المواضع الثانية بأنها واقعة في العالية ، وتحديده لهذه المواضع التي ذكرها على سبيل المثال لا يفيد القارىء في معرفتها وتحديد موقعها من بلاد بني كلاب ، وكذلك بالنسبة للمواضع التي قال إنها بالعالية ، ولم يشر إلى مصدر هذا التحديد الذي أورده ، ويبدو أنه أخذه نصاً من شرح التبريزي على المعلقات العشر ، إذ المواضع الخمسة الأولى جاءت في مطلع معلقة امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

أما الموضعان الآخران : الدراج والمتثلم ، فقد ذكرهما زهير في مطلع معلقته :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحومانة الدراج فالمتثلم

وما أورده العسيلان في ذكر هذه الأمكنة لا يعطي فكرة واقعية عنها، لا من حيث تحديدها ، ولا من حيث وصفها الجغرافي ، وهل هي جبال أو مياه أو أودية أو رياض ، وقال الأستاذ عسيلان بعد حديثه عن أهمية معرفة هذه الأمكنة : وليس من الصعب أن نصل إلى معرفة هذه المواضع والأماكن بعد أن قام بعض اللغويين العرب منذ القرن الثاني بجمعها في كتب ومؤلفات ذات إختصاصات مختلفة . وحبذا لو عرف بهذه المواضع ووصفها وصفاً جغرافياً ونسب كل موضع منها إلى المجموعة الجغرافية التي ينمى إليها ما دام الأمر ليس فيه صعوبة لديه ، فإن القراء ما زالوا في حاجة إلى دراسة

هـــذه المواضع وتحديدها تحديداً يمكنهم من معرفتها في هذا العهد .

قال الأستاذ عسيلان : وتتضح القيمة الجغرافية للدارات إذا علمنا أنها كانت تشغل أجزاء متفرقة من بلاد العرب حلوا في رحابها وأقاموا فيها ، فكان لهم منها ما هو ماء للضباب وبني جعفر ، وما هو جبل في بلاد بني أسد ، ومنها ما هو من منازل همدان ، ومنها ما فيه نخل لبني مرة بن عوف، فلا غناء إذن لدارس الجزيرة العربية في غابر عصورها عن الإلمام بمعرفة هذه الدارات لتكون دراسته شاملة ودقيقة .

ومن الملاحظ أنه ميز في هذه العبارات بين الدارات فقال : منها ما هو ماء ، ومنها ما هو جبل ، ومنها ما هو موضع نخل ، وهذا التعريف الذي ميّز به بين الدارات يتنافى مع تعريف الدارات الذي ذكر أنه استخلصه من مجموع التعاريف الواردة في كتب المعاجم القديمة ، والواقع أن الدارة المتعارف عليها عند العرب قديماً وحديثاً ليست جبلا ولا ماء ولا واحة نخل، فهي تكوين طبيعي يتميز بصفات خاصة ، وقد تنسب الدارة إلى جبـــل أو إلى ماء لوقوعها في ناحية الجبل أو قريبة منه ، وكذلك بالنسبة إلى نسبتها إلى ماء مشهور وقعت قريبة منه ، كما يقال : دارة دمخ ، لوقوعهـا في ناحيته ، ودارة سجا ، لوقوع الدارة بالقرب من ماء سجا . فهي تذكر مضافة إلى العلم المجاور لها أو المحيط بها ، ولا تذكر باسمه ، كأن يقال : جبل في بلاد أسد ، كما ذكره .

قال الأستاذ عسيلان : وقد ورد للدارة تعريفات كثيرة في كتب اللغة ومعاجم البلدان نعرض بعضها محاولين أن نوازن بينها لنستخلص منها تعريفاً نستقر عليه ، ثم أورد طائفة من التعريفات من كتب المعاجم القديمة ، وقال: ونستطيع الآن أن نستخلص تعريفاً للدارات نستقر عليه ، فالدارات إذن جمع دارة ، والدارة أرض واسعة على شكل جوبة ذات رمـــال مستديرة تحيط بها الجبال في حزن كان ذلك أو سهل .

وكان الأولى بالأستاذ عسيلان أن يذكر مثالاً من الدارات ينطبق عليه هذا التعريف الذي استخلصه من مجموع تعاريف الدارات ، والذي يبدو من

عبارته السابقة أنه كان يرى أن هذا التعريف الذي اختاره يصح أن يكون تعريفاً عاماً للدارات ، أي أن كل دارة تشكلها رمال مستديرة محاطة بجبال يتوسطها صحراء واسعة ، ويبدو أن الأستاذ عسيلان لم يشاهد معالم الدارات –التي تحدث عنها– ببصره وإلا لما كلف نفسه عناء المقارنة بين تعاريف الدارات والاستخلاص منهـا ، ولوجد لكل تعريف من التعاريف الوارة في كتب المعاجم القديمة شكلاً من الدارات ينطبق عليه . وسأذكر فيما يلي تعاريف الدارات الواردة في كتب المعاجم القديمة وأذكر لكل منها مثالاً من الدارات المعروفة قديماً وحديثاً .

قـال البكري [1] : قال أبو حاتم عن الأصمعي ، الدارة جوبة تحفها الجبال ، والجمع دارات ، وقال عنه في موضع آخر : الدارة رمـل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال . وهنا نجـد أن الأصمعي وصف الدارة بوصفين متقاربين ، وزاد في الثاني أن حدد مساحة الدارة بقدر ميلين ، والواقع أن الأصمعي ذكر هذين الوصفين لا لحصر صفات الدارة بهذين الوصفين ، وإنمـا عبر بهما على مـا يبدو عن الصفاة التي شاهدها لبعض الدارات . فالوصف الأول ينطبق على دارة دمخ الواقعة في ناحيته الغربية الشمالية ، فيما بـين ناصفة دمخ وماء الفضية ، وينطبق أيضاً على دارة ثهلان الواقعة في ناحيته الجنوبية فيما بين مريصيص من الشمال وماء دلعة من الجنوب ، وينطبق أيضاً على دارة جلجل الواقعة في وسط جبـال الهضب الأسمر ، المعروفة حالياً (روضة جَلاجل) في جبال جلاجل ، وهذه الدارات الثلاث ، من الدارات المعروفة قديماً وحديثاً ولم يحدث أي تغير في أسمائهـا ، أما الوصف الثاني الذي ذكره الأصمعي فإنه ينطبق على دارة رغبا (نملى) قـديماً ، الواقعة في ناحيتها الشرقية الجنوبية ، وينطبق أيضاً على دارة بدوة ، الواقعة في هضبة بـدوة الغربية ، الواقعة في ناحية هضب الدواسر ، هذا من ناحية الوصف الجغرافي ، أما ما يخص تحديد المساحة بقدر ميلين ، فالذي يبدو أنه أمر تقريبي لا يتأتى منضبطاً إلا نادراً .

---

(١) « معجم ما استعجم » ص ٥٣٣ .

وقال البكري أيضاً [١] : عن أبي حاتم وقال لي جعفر بن سليمان : إذا رأيت دارات الحمى ذكرت الجنة ، رمال كافورية . والذي يبدو أنه قصد بهذا القول دارة وسط ودارة شعبى ودارة شعر ، وهذه الدارات واقعة في الحمى ، وكلها دارات شهيرة ومحفوفة بالرمال والأرض اللينة البيضاء ومساحاتها واسعة .

وقال البكري أيضاً [٢] : وقال أبو حنيفة : الدارة لا تكون إلا من بطون الرمال المنبتة ، وهـــذا الوصف ينطبق على دارة رحمة ، الواقعة في نفيّد رحمـــة غربي صحراء الُحمي (تصغير حمى) وينطبق أيضاً على دارة البشارة .

وقال ياقوت [٣] : الدارة في أصـــل كلام العرب كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو سهل ، وقال أبو منصور حكاية عن الأصمعي: الدارة رمل مستدير في وسط فجوة ، وقال ابن الأعرابي : الدير الدارت في الرمـــل ، انتهى ما ذكر . وقد سبق ذكر نماذج من الدارات تنطبق على ما ذكره .

وقال الهجري [٤] : الدارة النبكة السهلة حفتها جبال ، ومقدار الدارة خمسة أميال في مثلها . في هذه العبارة نجد أن الهجري وصف الدارة بأنهـا نبكة سهلة ، وهذا الوصف يكاد يكون عاماً للدارات ، ثم ذكر أنها تكون محفوفة بالجبال ، وهذا الوصف لا ينطبق على جميع الدارت ، فهو وإن كان ملائماً لدارة دمـــخ ودارة ثهلان الجنوبية ودارة جلجل ودارة العرض ، فإنه لا ينطبق على دارة النشاش ودارة رحمة فالأولى محفوفة ببرقة والثانية محفوفة برمل ، وقال عن مساحة الدارة انها تكون مقدار خمسة أميال في مثلهـا ، وهذا القياس لا ينطبق إلا على عدد قليل من الدارات وعلى وجه تقريبي مثل : دارة خنزير ، وهذه الدارة محاطة من أكثر نواحيها برمال ، ودارة وسط ، فهاتان الدارتان من أوسع الدارات وأشهرها . وسأتحدث عن هذه الدارات وصفاً وتحديداً فيا بعد إن شاء بعد .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٥٣٣ .
(٢) معجم ما استعجم ص ٥٣٣ .
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٤ ،
(٤) أبحاث الهجري ، ص ٣٨١ .

قال الأستاذ عسيلان : وكل ما يمكننا بعد استقراء المرجع التي بين أيدينا أن نقدر عدداً تقريبياً يمكن أن نطمئن اليه ولو بعض الإطمئنان ، فربما بلغ عددها حسب تقديرنا ثمانين دارة ، ولسنا نجزم بذلك كحد فاصل في عدد الدارات ، فقد يكون أكثر مما قدرنا أو أقل . ويجدر بنا أن نذكر فيما يأتي ما ارتأيناه منها مع تحديد موجز لما نعرف له تحديداً ، ثم ذكر بعد هذه العبارة تسعاً وسبعين دارة .

والواقع أن العسيلان اتخذ التقدير طريقاً إلى معرفة عدد الدارات في بلاد العرب، ولم يأخذ في الاعتبار أن الدارات تكوين طبيعي ثابت لا يزيد عددها ولا ينقص عن المقدار الذي أوجده خالق الكون ، وليس كل باحث ملزماً بحصرها أو معرفتها جميعها . وإنما على كل باحث أن يتحدث عما يعرف مما وصل اليه علمه ، فعدد الدارات متعلق بما وجد منها غير خاضع للتقديرات والآراء التخمينية ، ولم يوضح الأستاذ عسيلان الأسس والاعتبارات التي بنى عليها تقديراته واختياره،ونجد أنه أهمل من الدارات الواردة في كتب المعاجم سبعاً وعشرين دارة بعضها من أشهر الدارات قديماً وحديثاً مثل دارة نملى ، ودارة العقر ، ودارة شعبى ، ودارة النشاش ، وذكر الدارات التي اختارها وذكر لبعضها تحديداً موجزاً مثل قوله . دارة أهوى ، من أرض هجر ، وذكر بعض الدارات ولم يحددها مثل قوله : دارة أحد ، لم أقف لها على تحديد ، وأخطأ في وصف بعض الدارات وتحديدها مثل : دارة الآرام : للضباب وهي إسم جبل بين مكة والمدينة ، ودارة عس : ماء بنجد في ديار بني أسد ، هكذا ذكرهما .

إذن فما هي القيمة العلمية التي تستفاد من سرد الدارات بأسماء بعضها قد اندرس ، والبعض الآخر قد وقع فيه تحريف ، والبعض أسماء لا تعرف مسمياتها في هذا العهد دون أن يتعرض لها بشيء من الدراسة والايضاح .

قال الأستاذ عسيلان : وإلى هذا الحد ينتهي القدر الذي نطمئن اليه من الدارات ، وقال انه كان مراعياً في الإخيار ما يتلاءم مع تعريف الدارة . ثم قال : فلم يبق معنا إلا أن نميل فيما أخذناه عن الفيروزبادي الى الاختيار

والتقدير على ضوء التعريف العام للدارة إذ أن كثيراً منها لا نجد له تعريفاً شافياً تحدد لنا بدقة معالمها بحيث نستطيع على ضوئه تميز ما هو بدارة وماليس بدارة .

والواقع أنه ذكر في هذه العبارة أنه كان مراعياً في الاختيار ما يتلاءم مع تعريف الدارة ، فهو يرى أن صفات هذه الدارات الجغرافية التي ذكرها تتلاءم كلها مع تعريف الدارة الذي استخلصه – كما ذكر – من تعاريف الدارات الواردة في كتب المعاجم بدليل أنه ذكر في آخر العبارة : (إذ أن كثيراً منها لا نجد له تعريفاً شافياً يحدد لنا بدقة معالمها بحيث نستطيع على ضوئه تميز ما هو بدارة وما ليس بدارة) والواقع أنه لم يحدد معالم أي دارة من الدارات التي ذكرها ، ولم يصف أياً منها وصفاً جغرافياً وما ام أنه نقلها من كتب المعاجم وحصرها كدارات ، إذن لا داعي لتمييزها عن بعض كدارات وغير دارات ، وأرى أن هذا التمييز لا يَتَأَتّى إلا لمن شاهدمعالمها بعينه أو نقل عمن شاهدها ووصف له ما معالمها، وان تعريف الدارات الذي استخلصه لا ينطبق إلا على القليل النادر منها ، فالدارت تختلف عن بعضها من حيث المساحة ومن حيث التكوين الطبيعي ، فبعضها محاط بجبال،وبعضها محاط ببرقة ، وبعضها محاط برمال، وبعضها محفوف بالجبال من ناحية وبالرمال من ناحية أخرى ، وبعضها تمر به سيول ، وبعضها فيه سيول الجبال المحيطة به ، وأغلبها تكون أرضه لينة سهلة أو رملية .

قال الأستاذ عسيلان تعليقاً على بحث الدارات عند البكري : ذكر شحى ووشجى وشجى بالجيم ، قلت : المواضع الثلاثة صحاح معروفة . وحبذا لو عرف هذه المواضع الثلاثة وحددها تحديداً تعرف به في هذا العهد ما دامت صحيحة ومعروفة لديه . والواقع أن جهوده ظاهر في مقدمة بحثه وفي ما كتبه عن كتب الدارات غير أن اثره مفقود فيما يتعلق بتحديد الدارات ووصف معالمها بحيث لا يجد القارىء مجالاً للدرس والمناقشة ، ويبدو أن الأستاذ عسيلان كان يعتز ويكفيه اعتزازاً أنه أول من كتب في الموضوع على هذا النحو ، فهو يختم بحثه بقوله : (وحسبي أنني – فيما أعلم - أول من تطرق

بلاد العرب

في مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا

- ٢ -

عسـير

ان في الجانب الشرقي من بلاد عسير المنتهي بالنفود قبائل تسكن الخيام ، غير ان هذه القبائل الرحالة تبلغ عشرين في المائة بالنسبة الى عدد السكان المتحضرين . وعدد النفوس في قسمي تهامة والجبال من بلاد عسير يزيد على مليون ، أكثرهم في القسم الجبلي .

إلى هذا الموضوع بالبحث والدراسة على هذا النحو) والواقع أنه — باستثناء— الكتاب المتقدمين بدأ قبل غيره في بحث هذا الموضوع ، ولكن العبرة ليست في السبق بالبحث ولكن الاعتبار باستيفاء البحث ومدى إفادته للقارىء وعرضه بصيغة ملائمة لقراء الوقت ، وبحثه قد يعتبر أولاً من نوعه لأن من كتب قبله كتبوا على نحو يختلف عنه ، ومن الأفضل أن لا يكتب من بعده على نحو ما كتب ، فإن ما يخص نفس الدارات من بحثه لا يتلاءم مع أجزاء بحثه الأخرى حيث برز فيها أثره ، وأما يخص الدارات فليس له فيه أي أثر يدركه القارىء غير سرد أسمائها وترقيم عددها ، كما هي في كتب المعاجم القديمة .

(للبحث صلة)

الدوادمي سعد بن عبد الله بن جنيدل

والعسيريون تابعون لمذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي ، غير ان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حلت محل الرضى والقبول في عسير ايام استيلاء آل سعود عليها في اوائل القرن الماضي . فمساجد عسير الآن مجردة من الزينة والزخرف ، ولا ترى عندهم قبابا ومزارات يعكف الناس عليها . وقبورهم دوارش غير معلمة بشارات او كتابة ، بل ان الامراء السالفين الذين حكموا عسير لا تعرف قبورهم ، فالناس في عسير يقصرون التوسل والاستغاثة على مالك الملكوت وأرحم الراحمين واجب الوجود جل شأنه . والطرق الصوفية مجهولة تماما في تلك الاصقاع. وصفوة القول ان البدع لم تعرف الى بلاد عسير سبيلا تدخلها منه ، فالقوم لا يزالون على الفطرة الاولى التي يذكرها التاريخ عن صدر الاسلام .

واذا كان سكان تهامة عسير قد فسدت لهجتهم بسبب اختلاطهم بالغرباء فان افصح اهل البلاد العربية بوجه عام سكان الجبال من بلاد عسير ، وهم اصح من عامة الاقطار الاخرى منطقاً . وقبائل (ربيعة)و(الجهرة) النازلين في وادي (ضلاع) ووادي (الردوم) يتكلمون باللغة الفصحى ، ولمنطقهم سلاسة ونغمة لطيفة كأنها الشعر المنظوم . ويبلغ عدد هؤلاء خمسة آلاف أو ستة آلاف فقط ، ووديانهم غزيرة الماء كثيرة الغابات ، غير أنهم لا يعانون الفلاحة بل يعيشون بتربية الابل والمعزى، ويجتنبون الحرب والقتال، وعليهم سمات الوقار والأنس وفيهم الكرم وقرى الضيف . ولا يعرضون قط لما بين القبائل من اختلاف وعداء ، ودأبهم التنقل في وديانهم الخاصة بهم فيتحولون من مكان الى آخر بمنازلهم السيارة المصنوعة من الحصير . وإلى القارىء قصة تدل على صفائهم وسلامة فطرتهم :

لقد كان من نصيبي انني كنت اول قائد عثماني دخل وادي ضلاع الذي تنزله قبيلة ربيعة ، فخالطتهم وكنت ضيفاً عليهم ، واكرمتهم ببعض الهدايا، فتحول تعارفنا الى تآلف . واتفق ان رزق شيخ ربيعة مولوداً فسماه باسمي واصبح سميي باصطلاحهم وان رابطة السمي عنـــدهم وثيقة العرى كرابطة الاخاء . ومن عادة القبائل ان يتبادل السميان الهدايا في ايام معينة .

واتفق ان قبيلة ربيعة بايعت في ذلك الحين السيد الادريسي واقرت له بالزعامة، فلما ثارت عسير علينا بقيادة السيد الأدريسي انضوت القبائل جميعها تحت راية الثورة ما خلا قبيلة ربيعة التي لي فيها سمي فان هذه الرابطة حملتها على التزام الحياد ، وقالت للسيد الأدريسي « أنت سيدنا ولكن سليمان سمينا. فنحن نعترف لك بالسيادة ونرعى له حقوق الرابطة» ولما كان السيد الأدريسي يعرف تقاليد العرب ارتضى منهم بهذا الجواب وتركهم وشأنهم .

ولون الأهالي يزداد اشراقاً كلما أبتعدت عن الساحل الى الداخل فبينا قبائل قحطان وسحار وسنحان – مثلاً – وجوههم سمراء واضحة وشعورهم ذات شقرة ، ترى مع ذلك سمرة وجوه اهالي الساحل قاتمة لكثرة ازدواجهم بالحبشيات والزنجيات اللائي يلقيهن البحر اليهم ، وقد تظن بعض القرويين من أهل تهامة عسير افريقيين تماماً .

ولقد كانت عسير في العصور القديمة ممراً لمن يقصد اليمن من الغرباء، لذلك قد ترى في قبائلها سحناً تحكم لأول وهلة أنها غير عربيــة . وأن في جوار (أبها) عاصمة عسير قبيلة اسمهـا (بللاحمر) أي بني الأحمر تشابه وجوه افرادها وجوه سكان الجبال الهندية ، وهناك قبيلة (بللسمر) أي بني الأسمر في وجوههم تقاطيع الجنس القوقاسي الاسيوي ولونه ، وهذا مشعر بوقوع هجرة من خارج اليمن الى داخلها، كما أنه قد وقعت في التاريخ هجرات عظيمة من داخل اليمن وعسير نحو الشمال، ولا سيما ايام كانت تجهز الجيوش الاسلامية من جزيرة العرب في زمن الفتح فقد كان لسكان عسير نصيب عظيم فيها ، وكانوا حيثما انتقلوا يحتفظون بعاداتهم القديمة وتقاليدهم الخاصة واسماء قبائلهم ويوجد حتى اليوم في مصر والعراق قبائل هي فروع من اصول موجودة بنفس الاسماء في بلاد عسير ، حتى أن اغاني الفريقين متشابهة تماماً .

معادن عسير :

في جبال (سودة) و (سوقة) الواقعة غرب (أبها) قاعدة عسير مناجم حديد غنية جداً . ومناجم الرصاص الفضي والمركبات الكبريتية كثيرة في

عسير . وفي جوار (بني شهر) منجم نحاس وفي السفوح الغربية من سلسلة جبال عسير وجد معدن الملح الصخري وهو من نوع نفيس جداً وفي جزائر (فرسان) على سواحل عسير مواطن البترول ومعدن الاسمنت .

وبالاجمال أن في عسير رجالاً صالحين لاعداد جيوش تفتح جزيرة العرب كلها ، وأراضي في غاية الخصب ، ومعادن غنية وكثيرة تقوم باعباء العمران والغنى لهذه البلاد في المستقبل ، وفي سواحلها موانىء جميلة واسعة مثل ميناء (الموسم) تصلح لأن تكون مراكز تجارية وحربية حسنة .

وفي بعض الساحل الشمالي من اليمن وعلى طول ساحل عسير توجد في البحر ستارة من مادة الشب ممتدة من (قمران) الى (الليث) موازية للساحل وعند جزائر (فرسان الصغرى) وجزائر (فرسان الكبرى) وما بينهما . وبين هذه الستارة البحرية وبين الساحل مضيق طوله ستمائة كيلو متر يمكن المرور منه . وعلى ذلك فالسفائن البحرية الكبرى لا تستطيع الاقتراب من ساحل عسير الا اذا دخلت من مضيقي الليث وقمران . فالحكومة التي تملك عسير اذا أقفلت هذين المضيقين بالوسائط الفنية تحافظ على سواحلها بسهولة عظيمة وتجعل سفن العدو في خطر لا يمكن اجتنابه .

وان شكل مدخل ميناء (الموسم) وسعته ووجــود جزيرة صغيرة من حجر الغرانيت تجاهه تسمى (كتنبل)، وامتداد شعبة من جبال السراة إلى الساحل بحيث تحيط بهذا الميناء ، ووجود المياه العذبة بكثرة ، وغنى عسير بمناجم الحديد في منطقة مساحتها ستون أو سبعون كيلو متراً ، وكون هذا الثغر ميناء لرجال المع الذين هم أكثر اهل عسير نفوساً وانشطهم اشتغالا بالتجارة كل هذا مما يجعل هذا الميناء مستعداً في المستقبل للعمران ولا بد أنه سيكون من أعظم المراكز التجارية والعسكرية في وقت قريب .

والذي يخترق تهامة قاصداً الجبال ينعم نظره بـــين كل خطوة وأخرى بمشاهدة الاشجار والنباتات الخاصة بالأقاليم المختلفة ،ويعجب بجمال تلك المشاهد وفي سفوح تلك الجبال يرى تحت اشعة الشمس الحامية النخيل وأشجار الدوم

والتمر الهندي والسدر ، ثم تظهر له بعد ذلك أشجار الموز والليمون ، واذا أرتفع في الجبال أكثر من ذلك يرى في اعاليها شجر اللوز وشجرا يشبه الصنوبر ولو ان في هذه الديار وسائل المواصلات الموجودة في البلاد الضاربة في المدنية بشوط لتمكن الانسان من اجتياز بضعة آلاف من المترات في هذه الجبال بساعة واحدة فيشاهد فيها المواسم الأربعة كلها واشجاراً ونباتات مما اختصت به الأقاليم المختلفة فوا اسفاه لبلاد كهذه تظل في عالم النسيان متروكة مجهولة .

انهـــار عسير :

من المعلوم ان جزيرة العرب ليس فيها انهار كبرى ، وانما هنالك ميـاه تجري في بعض المواسم وليس لها من الاهمية ما يصح ان تسمى معها نهراً . والناس يستفيدون من الامطار في مواسم الزرع ، ويستقون من الآبار على السواقي بالابل فيروون بذلك مزارعهم وحدائقهم. ويبلغ عمق الآبار في الجبال خمسة أمتار الى عشرة ، ومياهها عذبة وغزيرة ودائمة . واكثر القرى مبنية على جانبي مجاري السيول ، فحيثما يحفرون يجدون ماء ، لأن هـــذه المجاري رملية ومن تحت الأرض تجري دائماً المياه المترشحة من السيول .

السيول :

تنقسم السيول في نجود عسير واليمن إلى قسمين: السيول الشرقية والسيول الغربية . وبعض السيول الشرقية ينحدر إلى (النفود) وبعضها يصل إلى بلاد (نجد) . والسيول الغربية تنحدر إلى تهامة فتسقيها ثم تنصب في البحر .

فلو ان الوديان ذات الأحجار الغرانيتية اقيمت عليها السدود كما ذكرت في المقال السابق وحبست فيها المياه إلى زمن الجفاف والقيظ لكان من ذلك خزانات طبيعية تحيي بها البوادي الواقعة في الشرق والتهائم التي في الغرب ولامكن زرع الأراضي البور في كل مواسم السنة . وقد كان قدماء العرب صنعوا في الأزمنة السالفة مثل ذلك في (مأرب) الـــتي كانت عاصمة دولة الملكة بلقيس ، وهذه العاصمة واقعة على مسافة مائة وعشرين كيلو متراً من صنعاء إلى جهة الشرق فأقاموا السدود لخزن المـــاء والاستفادة منه في ري أراضيهم فأحيوا به جنات بديعة ، حتى إذا خرب سد مأرب لسبب من الاسباب بادت تلك العاصمة العظيمة وزال ذلك الملك المجيد .

وفي حوالي سنة ١٩٨٣ حضر إلى اليمن العالم المستشرق النمسوي (كليزر) فساح في ارجائها وجاء إلى صنعاء ومنها إلى مأرب . ولما عاد من مأرب إلى صنعاء عرض على الحكومة العثمانية اقتراحـــاً يتعلق باجراء التنقيب عن آثار الحضارة اليمنية في سبأ ومأرب ، وهو يجزم بان هنالك آثاراً تساوي ملايين الجنيهات . وقد تعهد بان ينفق هو على التنقيب وان يكتفي من الآثار الـتي يستخرجها بأخذ صور الفذ منها وما كان من نوع واحد يأخذ منــه واحداً غير أنه طلب إلى الحكومة أن تسعفه بقوة من الجنــد كافية للمحافظة على أعمال التنقيب . واني أقول بكل اسف ان الحكومة لم تلب طلبه ولم توافق على اقتراحه .

وجبال عسير كلها غرانيتية ، ولا يمكن ارتقاؤها من حيث شاء الانسان بل لا بد من سلوك منافذ معينة للوصول إلى قممها ، ومع ذلك فمن المتعذر ارتقاء العربات وما اشبهها في الطرق الجبلية ومن الصعب نقل الاحمال الثقيلة وعلى هذا فان مهاجمة القسم الجبلي في عسير من جانب الساحل غير ممكنة قط إلاّ لمن يستطيع قبل كل شيء الاستيلاء على ذرى الجبال وامتلاك منافذها ومن هنا يرى القارىء ان عسير محصنة بحصون طبيعية في البحر بسبب الستارة الموازية لساحلها كما تقدم وفي الداخل بسبب هذه الجبال الصعبة المرتقى .

وان ما امتازت به بلاد عسير مما أشرت اليه في هذا المقال ، وما لها من وضع جغرافي خاص ، اضف الى ذلك بسالة رجالها – كل ذلك قد جعل عسير مفتاحاً وثيقاً للحرمين الشريفين ، فمن لم تكن عسير في يده وتحت سلطانه لا يصلح لحماية الحرمين الشريفين وان يكون خادماً لهما . وقد انتبه إلى هــذا السر الدقيق ابن سعود سلطان نجد. فقبل ان يتعرض لأمر الحجاز حرص على ان تكون عسير في يده فتمكن من بسط سلطانه على جبالها وتهائمها . وفي استطاعته اليوم ان يجرد منها مائة الف مقاتــل مدربين على استعمال السلاح ومجربين في الحروب ومقتضياتها ومرتاضين على مشاق الاسفار. ولهذه الحكمة الدقيقة أيضاً مد الشريف حسين ملك الحجاز السابق عينيه إلى عسير منــذ سنة ١٩٠٨ متذرعاً إلى ذلك بالاستعانة بنفوذ الدولة العثمانية وجعل لنفسه علاقة بها . ولما جلت عنها الجنود العثمانية عقب الحرب العظمى بحكم شروط

المدنة بادر هو إلى وضع يده عليها بصفته ملك الحجاز ، غير أن السلطان ابن سعود كان مستيقظاً لمراميه فاستعمل السطوة والحكمة معاً في التفوق عليه حتى صارت (ابها) عاصمة عسير وكل ما جاورها وتبعها من بلاد عسير منضوية تحت لوائه واخيراً وصل حكمه إلى سيف البحر في (القنفذة) .

وهذا الفوز العظيم الذي حصل عليه السلطان ابن سعود في مثل لمح البصر من السرعة لا يجوز أن يحمل على قوة السيف وحدها ، فإن من يظن ذلك يدل على سذاجة متناهية وضعف في التفكير وبعد عن إدراك الحقائق .

إن من طبع البشر عامة وسكان جزيرة العرب خاصة أن يقيموا وزناً عظيماً لمن كان صادقاً في قوله موثوقاً من عمله . فإذا كان السيف في بعض المواقف قاهراً فإن إصابة الحز في القول وإصابة الغرض في التدبير كثيراً ما يكون ساحراً . والناس لا يذعنون للضرب والبطش فقط ، بل ينقادون أكثر من ذلك لما فيه حفظ مصالحهم البشرية المشروعة ولما يرجون أن يحيوا به حقوقهم الضائعة . والإنذار في الواقع يجدي في منع الاعتداء فيجب حينئذ الإذعان له. وإلا فإن البشر — حتى في حالة سذاجتهم الابتدائية — لا يساقون بشفرة السيف إلى الغرض الشخصي حتى النهاية ، ولو سيقوا إلى ذلك بالقوة والإرهاب فلا يدوم ذلك إلا إلى حين ثم يكون لذلك رد الفعل فتستيقظ روح معارضة القوة بمثلها . والناس في الحياة البدوية شديدو الإحساس دقيقو الشعور ، لأن أذهانهم رائقة لا تشغلها ألوف المشاغل التي تملأ أدمغة أهل الحضر. لذلك ترى البدو منتبهين إلى كل ما يهمهم أمره من الحوادث والأمور. وما من بدوي إلا وهو مدرك كل الإدراك وواقف تمام الوقوف على سياسة بلاده والمصالح الحقيقية لوطنه ، ومراقب بعين اليقظة لما يبدر من حكامه من أفعال وحركات ، فيحك الأوامر التي يتلقاها بمحك الانتقاد والاختبار حتى يميز بسرعة عظيمة مواطن الضعف والقوة فيها .

إن الأمراء الذين يجهلون هذه الحقائق في جزيرة العرب ، أو يهملون العمل بها ، تكون عاقبتهم الخذلان والفشل . وأما الذين يدركون سر هذه النكتة المهمة فما برحوا مؤيدي بالنصر والتوفيق .

(للبحث صلة)

«الكلم النوابغ»

-٢-

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ كلام سُلطَانِ الكلام ، فخر خوَارَزم ، جار الله العلاّمة محمُود الزّمخشري(١) . اللهُمّ إنّ مِمّا مَنَحتني من النّعم السّوابغ ، إلهام هَذهِ الكلم النوابغ ناطقَة بكلّ زَاجرةٍ وَموْعظة ، حاثّة على كل عِبرةٍ مُوقظة ، كأني ألقِنُ بها مجلّة لُقمان ، وأصف بها حِكمةَ آصف سُليمان .

ولكنْ ثَمّة آذانٌ عن استماعِ الحقّ مَسْدودة ، وأذهانٌ عن تدبُّرِه مَصدُودة ، وناسٌ لهم مَضجعٌ من الغفلة ممهود ، يقل في أجفانهم السُّهود ، كأنهم فهود فَهَب لي من يرغب في الآداب السّنية السُّنية(٣) ، والعِظات الحَسَنَة الحسنية ، ويهتزُّ للتزيُّن بما حيك مِنْ وَشيها ، وصيغ من حليِها ، وَخُذْ بأيدينا إلى كسب ما تُحبُّ وترضى ، وَوفقنا لمداواة هذهِ القُلوبِ المرضى ، إنك أقرب قريب ، وأجوبُ مجيب .

---

(١) من (من كلام سلطان) إلى (الزّمخشري) غير واردة في ن ، ش ، ق . وفي نسخة س (كتاب نوابغ الكلم للعلاّمة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري) .

(٢) كتب فوقها في ق : (ترغيب) .

(٣) في ق (السُّنيّة السّنية) . في س (السُّنيّة) غير مذكورة .

السُّنةُ منهاجي ، ومنها أجي (١) عَيني تقرُّ بكم ، عند تقرُّبكم (٢). المرءُ يُقدمُ ثمّ يُحجم ، والنَّوءُ يشجِمُ ثم يُنجِم . حبذا الوادقُ إذا رَعَد ، والصادق إذا وعد(٣). السُّوقيَّةُ الكلابُ السَّلوقيَّة . رب زعمات ، يسمين عزمات . سحابة وقفت تعلّة (٤) ، ووكفتْ تحلة ، الأبُ أعرف وأشرف ، والأمُّ أرْأمُ وأرْأفْ ، الكريمُ يُنشيءُ بارقة هَطلِه، ولا يُرسل صاعقة مَطْلِه . أرضى الناس بالخسار ، بائعُ الدّينِ بالدينار ، اللحية حلية، ما لم تطل (٥)عن الطلية . لم يبق في الناس ودك ، شرٌّ من الضّحاك ودّك ، أيُّ مالٍ أدّيتْ زكاته ، دَرّت بركاته . يا بني قِ فاكَ ، مما يقرع قفاك . من زَرَعَ الإحن ، حصد المِحَن . ما كثرة المقالة ، بمثرة مقـالة . الأمين(٦) آمن ،والخائن حائن(٧) . آنثُ من النسوة ، من اتخذ النسوة أُسوة. عيشُ المجاهِد جَهِنْد ، ورزق الزّاهد زهيد . متى أصبحُ وأمسي ، ويومي خير من أمسي . قد جمع الأصل والفرع،من تبع العقل والشرع، ما للفساق من حميم،غير غساق وحميم.المتقون في ظلال وسرر،والمجرمون في ضلال وسُعُر.ليس من الشرف والكرم،عادة الشره والقرم،كلُّ حيٍّ يحتضر(٨)،فطوبى لمن يُحْتَضَر

---

(١) في س يبدأ الكتاب بـ (آنث من النّسوة ، مَن اتّخذ النسوة أسوة) .
(٢) في س (الأئمة الجلة الحنفيّة ، أزمةُ المِلَّة الحنيفيّة) .
(٣) في س (اذلُ على مَنْ وَزَر ، كلاّ لا وزر) . واستشهد المحقق في الهامش بالبيتين التاليين :

(قالوا : فلانٌ قدْ وَزر فقلت : كلاّ لا وزر
الدّهــرُ كالدولاب لا يدورُ إلاّ بالبقــر)

(٤) في ق ، س (تجلة) : يُريد ما وقفت سحابةٌ إلاّ وقفة يسيرة مثل مقدار مدة التعليل.
(٥) في النسخة الاّم (تفارق) تصحيف .
(٦) في ق (الآمنُ) .
(٧) في النسخة الاّم (خائن) تحريف . وفسرها التفتازاني في النّعم السوابغ : « الحائن: بالحاء غير المعجمة خلاف الآمن . من حان يحين : إذا هلك » .
(٨) كتبت في النسخة الاّم (محصر) بـلا تنقيط ، والتصويب من باقي النسخ . وهي من قولهم : اختضرت الفاكهة . إذا أكلت قبل إدراكها . يريدُ : أي يموتُ شاباً .

إن شَجّ فقد أسا ، وإنْ شحّ فكم أسا ، الليالي مـــا خلدن لداتِك ، أفتخالهن مخلداتـك ؟ العَرَبُ نبع صُلْبُ المعـاجم ، والغَرَبُ [1] مثلُ الأعاجم . العربان غربان ، والسودان سيدان . إذا قلّت الأنصار ، كلّت الأبْصار ، مخائل الغـــمّ والمسرة ، تبكي وتضحك في الأسرة ، ما وراء الخلق الدميم ، إلا الخلق الذميم [2] . العمل مع فساد الاعتقاد ، مشبه بالسراب والرماد ، منْ كانتْ نعمتُه واصبة ، كانت طاعته واجبة ربّ صدقـــة من بين فكيك ، خـــير من صدقة من بطن كفيـــك لا تمس [3] بالريبة مهيمنا ، ولا تنسَ أن عليك مهيمناً . صنوان : مَن منَح سائــله ومنّ ، ومَن منـع نائله وضنّ . عضوك بالملامة ووعظوك ، لو عن رُقاد الغفلة أيقظوك . من لم يقوّمه التأنيب ، لم يقومه التأديب . إنْ جَمجم الباطل فأنت أسمع[4] من سِمـــع [5] ، وإن هَمهَم الحق فكأنك بلا سمع . خيّم النقص والجد طنيبه ، وسافر الفضل والحد جنيبه[6] رب قول ٍ أوْردك مورد القتال ، أو رَدّك مُورّد القَذال [7] . شِراك شراك ، وإن أردتَ الشراك . رب موهبةٍ للمـــروءة مذهِبة . لا تبادر بادي الرأى ، وانتظر

---

(١) في النسخة الأم (والعرب) ، والتصويب من باقي النسخ . وفسرها التفتـــازاني : (والغَرَبُ) : بالتحريك والغين المعجمة ، ضربٌ من الشجر . وهو بالفارسية « اسبيدار » ، والمعنى : ان العرب فصحاء أعزاء أقوياء دون الأعاجم .

(٢) هذا القول يأتي بعد (الأبصار) في ش ، ق .

(٣) في ق (لا تمشِ) . وفسَّرها التفتازاني : فهي من أمسى يمسي بمعنى صار . والمعنى : لا تضمر في فؤادك ريبة فإن عليكَ حافظاً يعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

(٤) في ش (اسمع له) .

(٥) (سِمع) : ولد الذئب من الضبع ، وفي أمثالهم (أسمعُ من سِمع) بالكسر .

(٦) يريد : ان ذا النقص والجهل محظوظ لا يفارقه الإقبـــال والبخت حيثما سار . وذا الفضل والعلم ممنوع لا ينفك عنه الحرمان أينما دار . وبهذا المعنى قال الزمخشري أيضاً في ديوانه ورقة : ٩٥ :

من الغبن ذو نقصٍ يصيبُ منازلاً   أخو الفضل محقوقٌ بتلك الفضائل

(٧) القـذَال : بالفتح ، هو من نقرة القفا إلى الأذن ، والجمع أقذلة وقُذُل .

البادي بعد لأي [١] . حرى [٢] غير مطور [٣] ، حرى [٤] أن يكون غير مطور . مَن صدقت قطاتُه ، قلّت سقطاتُه . صفدٌ فيه ليّان [٥] ، صفد فيه ليان [٦] . اكرمْ حديثَ أخيك بانصاتك ، وصُنْه عن وصمةِ التفاتِك . هذه طرائق ما فيها رائق ، وخلائق غيرها بك لائق . لا تكن مسلماً سريع التواني ، كمسلِمٍ صريع الغواني . مِخلبُ المعصية يقص بالندامة ، وجناحُ الطاعة يُوصل بالإدامة . وجد قريناً [٧] يُناصحه ، فظنه قرناً يناطحه . ما منَع قول الناصح أن يروقَك ، وهو الذي ينصح خروقك . لا خيرَ في وأي [٨] ، إنجازُه بَعدَ لأيٍ . الكتابَ الكتاب إنْ أردتَ العتاب ، فإن العتاب مسافهة متى كانت مشافهة . العلم جبل صعبُ المصعد ، ولكنه سهل المنحدر .. والجهل منهلٌ [٩] سهل المورد ، إلا انه صعب المصعد . لن يسود [١٠] النقار ، ما اسودَّ القار . استند أو استفد [١١] . أغارَ كالكردي [١٢] ، ثم طار كالكدري . عند يمين من يمين ، يزداد للمكذوب اليقين . إياك وفتاك المفتون ، وإن أفتاك المفتون . تفنّق [١٣] باللحم ، حتى تفتق بالشحم . هجوم الأزمات ، يُفسخ العزمات [١٤] . ما الجد

---

(١) الزيادة من باقي النسخ . (٢) (حرى) : ساحة الدار .

(٣) (مطور) : مأخوذ من طور الدار ، بالضم : وهو ما يمتد معها من فنائها وحدودها . يقال : انا لا أطور بفلان ولا أطور طواره أي لا أحوم حوله ، ولا أدنو منه .

(٤) (حرى) : خليق وحقيق : ومعنى القول : أية ساحة لا يحومُ حولها أحدٌ خليقةٌ بأن تكون خالية من الخصب والسعة .

(٥) (ليّان) : المطل من لوى الغريم الدين ليّاً وليانا أي مطله وأخره .

(٦) (ليان) : من لوى الحبل لياً إذا فتله . ومعناه : عطاء فيه مطل وتأخير من واعده قيدٌ قويّ مبرمٌ لا ينقطع لموعود .

(٧) في النسخة الأم (قرناً) تحريف . (٨) الوأي : الوعد ، مصدر وأيته .

(٩) الزيادة من ق . (١٠) في ق (يد) . (١١) في ب (استنده أو استفده) .

(١٢) الكردي : واحد الكَرد ، بالفتح وهو الطرد والدفع . والأكراد : جيل من الناس يقطعون الطريق .

(١٣) في ق (تفتق) تحريف . مأخوذ من تفنق الرجل : إذا تنعم ، ومنه ناقة فنقٌ ، وامرأة فنق بالضم أي فتية سمينة .

(١٤) في ش (تفسخ) .

إلا غريزة ، وهي في الناس عزيزة . ما لنفسٍ مسلمة ، وصفة[1] مسيلمة[2]. مَن كان آدب ، كان رحله أجدب . الحرُّ لا يدرُّ على العِصاب[3] ، ولا يذل إن مُني بالصِّعاب . صاحب القِمار يغتنم ضوء القمر ، ومحبُّ السمر لا يبالي بالسهر . أمُّ الزائر نزور ، وأم النابح نثور . الفرس لا بد له من السَّوط ، وإن كان بعيد الشوط . كم رأيتُ من أعرج ، في درَج المعالي أعرَج[4] . ومن صحيح القدم ، ليس له في الخـــير قدم . إن صحّ السرُّ صحّ العلن ، وإن لم يصحّ فلم ولن . من أرسل نفسه مع الهوى ، فقد هوى في أبعَـــد الهُـــوى . إن لم تملك فضلَ لسانك ، ملّكت الشيطانَ فضلَ عنانك . لا ترض عن نفسك تملكها ، وإلا لم تُمسكها . من حُسن سجية الحرّ : أن يسجي[5] معائب أخيه ، وأن يعتد بمساوئه في [جملة][6] مساعيه . خذ بما هو لدينك وعرضك أصون ، ولا تأخذ بما هو عليك أهون . اللئيم مَلوم بكل لسان ، والكريمُ مكرم في كل مكان . قُرنت المسرة والمساءة ، بالاحسان والاساءة . إذا سمعت بالمنادب فاحضر ، وإذا دعيت إلى المآدب فاحذر المرض والحاجة خطبان ، أمرُّ من نقيع الخطبان[7] من تنازحت أمواله ، تزازحت أحواله . دواءُ المتكبر في إطارة نعرته ، ونزْغ شيطانه

---

(١) في ب ، ش ، والنسخة الأم (ولصفة) .

(٢) يريد مسيلمة الكذّاب الذي ادعى النبوة في عهد الرسول (ص) وكتب : « من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله . أما بعد! فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك». فكتب رسولُ الله : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ! فإن الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتقين » . فحاربه أبو بكر (رض) بجنوده وقضى عليه .

(٣) في النسخة الأم (الغضاب) تحريف . (والعصاب) : اسم الحبل الذي تعصب به الناقة للحلب . وفي مثلهم (مثلي لا يدر بالعصاب) أي لا يعطي بالقهر والكُرْه .

(٤) من عرج في السلم يعرُج – بالضم – عروجاً : أي ارتقى اليه . أي كثير من الاعارج أصعد في سلالم العُلى .

(٥) يسجي : من سجى الميت يسجيه : إذا غطاه بثوب وستره ، وهو من « سجى الليل » لأنه إذا سكن غطى كل شيء بظلمته .

(٦) الزيادة من باقي النسخ .

(٧) الخُطبان : بالضم ، من أخطب الحنظلُ : إذا صار خطباناً وهو أن يصفر ويصير فيه خطوطٌ خضرٌ .

من نخرته . كل طريقة لم تقوّمها حجة ، فتلك طريقةٌ معوجة . لا تَقبل للحرام [١] عِلقٌ مَتاع [٢] ، فما هو إلا عَلق[٣] مُتاع [٤] . التاجر مجده في كيسه ، والعالم مجده في كراريسه . كم من مُسلم[٥] مسلَم ، وكم[٦] من كافر مُسلِم . من أخطأته المناقب ، لم تنفعه المناسب . مَثَلُ مذهبكم وقدره ، كمثل مذهبكم وقدره [٧] أنتم كبنات وردان يتمرغن في أبي المسك ، ويقلن : ما أطيب ريح المسك ! محك المودة والإخاء ، حالة الشدة دون الرخاء . ما العتيق المأثور [٨] ، بأقطع من الحديث المأثور [٩] من قرع باب اللئيم ، قلع ناب الكريم . حججُ الموحدين لا تدحض [١٠] بشبه المشبهة [١١] ، وكيف يضعُ ما رفع ابراهيم أبرهة ؟ وَيلٌ للساكين ، من المساكين . ما ذو همة مشمعلّة[١٢] ، كمن تشبث بكلّ عِلة . من أعظمِ النعم صحة الأبدان ، وهي علة الفسوقِ والعصيان . ما الضبعان الأمدر[١٣] ، من الإنسان بأغدر . يا أنيسان ! عادتك النسيان أذكر الناس ناسٍ ، وأرقُّ القلوبِ قاسٍ . قد أمِنَ الحرمان ، مَن سأل الرحمن . الناسُ أجناس ، وأكثرهم أنجاس .

---

(١) العِلْق : بكسر العين وسكون اللام : النفيس من كل شيء .

(٢) متاع : بالفتح واحد الأمتعة : السلعة .

(٣) عَلَق : بفتحتين ، الدم الغليظ ، والقطعة منه علقة . وقولهم : « نظرة من ذي علق » أي من ذي هوى .

(٤) مُتاع : بالضم : اسم مفعول من أتاع الرجلُ إذا قاء فهو متيع . وتاع الشيء يتيع : إذا سال على وجه الأرض .

(٥) مُسْلَم ، بفتح اللام : اسم مفعول من أسلمه أي خذله .

(٦) (من) غير مذكورة في ش . (٧) القول غير وارد في ش .

(٨) المأثور : السيف . (٩) الحديث المأثور . من اثر الحديث : رواه ، وهو ما ينقله خلف عن سلف . (١٠) الشبه : جمع الشبهة وهي ما اشتبهت عليك .

(١١) بالكسر طائفة من الناس يثبتون لله تعالى صفات يشابه بها الخلق. أو يشبهون الله تعالى بخلقه في صفاته [وليس من ذلك إثبات الصفات التي وردت في القرآن الكريم] .

(١٢) من اشمعلّ القوم في الطلب اشمعلالاً إذا بادروا فيه وتفرقوا . واشمعلّت الابل : إذا مضت وتفرقت مرحاً ونشاطاً .

(١٣) الأمدر : أي ضخم البطن ، منتفخ الجنبين . وضبع مدرىء لغبرة لونها . والضبع معروفة بالغدر والعبث . يقال : « اعبث من المدرىء » .

شيئان شينـان للاسلام : الرّشوة [١] ، والشفاعة في الأحكام . فالِقُ الحب والنـّوى ، خالق الحبّ والنـّوى . ما قدع [٢] السفيه بمثل الإعراض [٣] ، وما أطلق عنانه بمثل العِراض [٤] . طعم الألاء أحلى من المنّ ، وهي أمرُّ من الآلاءِ [٥] مع المنّ . رُبّ بُكاء وتصلية ، شرٌّ من مُكاءٍ [٦] وتصدية . ما ملأ البيادر إلا البذور ، وما مَلأ البدرَ إلا الشذور . الشحيح إذا رؤي زاده رؤي ، وإذا لـُقِي بالسؤال لـَقِي [٧] . الإسراف إتراف ، والإسلاف إتـلاف . أفلسُ القوم أفشلهم ، وأفسلهُم [٨] أسفلهم . مَثَلُ الصحابةِ وسابِعيهم ، مثَل أصحابِ الكهف ورابعِيهم . كم بين العارف والبارع في المعرفـة ، وما ليـلة المزدلفة كيوم عَرفة [٩] . ربمـا كانت الحيلة من القوةِ أغلـب ، والزُّبية يُصطادُ بهـا كـلُّ لـَيْثٍ أغْلب أصحابُ السُّلطان أعظمهم خطراً أعظمهم خطرا ، وأبعد الناس مرقى في الجبل أشدهم حذراً . قد يحدث بين الخبيثين ابن الابن [١٠] ، والفرث والدّم يخرج من بينهما اللبن . شيّع الحسنة بحسن الجزاء ، فما أحسن الشعرى خَلف

---

(١) أقتطف بعض ما قاله الزمخشري في كتابـه « أطواق الذهب » ص ٤٩ بحقّ القضاة المرتشين : « القاضي تعملُ فيه الرّشوة ، ما لا تعملُ في الشّاربِ النّشوة . إنْ أتتـْه فسكرانُ ميلا وطرباً ، وإن فاتتـهُ فثكلانُ ويلا وَحـرَبا » .

(٢) قدع : من قدعتُ فرسي أقدَعه – بالفتح – : أي كبحته وكففته . وقدعت فلاناً عنك أي كففته .

(٣) الأعراض : مصدر أعرض عنه يعرض إعراضاً .

(٤) بالكسر وهي المقابلة بالكلام . وفي أمثال العرب (الحلمُ قداع السفيه) .

(٥) (الالاء) شجر حسن المنظر مرُّ الطعم .

(٦) المكاء : الصفير من مكا الطائر يمكو : اذا صفر .

(٧) من اللقوة بالفتح : وهو داءٌ في الوجه . يقال لقي الرجل –بالضم– فهو ملقى .

(٨) (أفسلهم) : بالسين المهملة من فـَسـُل – بالضم – فهو فسل ، وقوم فسلى وأفسـال وفسول أي أردام وأحقرهم .

(٩) أي لا يستوي العارف والكامل في المعرفة ، بل البارع أفضل كما أن يوم عرفة أفضل من ليلة المزدلفة .

(١٠) من أبنه يأبنه: اذا عابه واتهمه، وفلان يؤبن بكذ أي يذكر بقبيح. وأبنه–بالتشديد– تأبيناً أي مدحه وعدّ محاسنه ، وقد غلب في مدح التأدب .

الجوزاء لا تصلح الأمور إلا بأولى الألباب [١] ، والأرحاء[٢] لا تدور على الأقطاب . الدائن والمديون مدبران ، ولا خَير في دال الدّبران [٣] . سَورة السفيه[٤] تكسرها الحلماء ، والنارُ المضطرمة يطفئها الماء . لا حنف في الدين الحنيف ، وما أغنى الصعدة [٥] عن التثقيف . ربّ زيادة هي نقصان فائدة، والكفُّ تنقصها الأصبع الزائدة . لا بُد مع ذا من ذيّا ، والدبران تلو [٦] الثُّريا . ربّ مستفتٍ أعلم من مفتي ، واللّتيا [٧] أكبر من التي . قد يصحب الجاهل أولى النهى [٨] ، والفراقد (معها السُّهى) يد البخيل لا تبض [٩] حتى تسلق بالمقول [١٠] ، ولا يستخرج ما في الجبل إلا الضرب بالمعول . لا تبلغ سوقةٌ شأوَملك ، ولا يجري كوكب جرْي فلك . الرّجل يترك برّ أدانيه وهو الى الأباعدِ محسن ، والنعامة تهجر بيضها وبيض أخرى تحضن . قد يلد مثل الحسن مثل الحجاج ، واللؤلؤ يخرج من الملح الأجاج [١١] ولد الشريف أولى بالشرف ، والدر أغلى من الصدف . لا غرو أن يرتفع أولو الجهل وينحط العالم ، فقد يتدلى سهيل وتستقل النعائم [١٢] (زينة [١٣]) الأرض بالعلماء ،

---

(١) الألباب : جمع لب : وهو العقل . (٢) الأرحاء : جمع الرحى .

(٣) الدبران : خمسة كواكب وهي من كواكب النحوسة على صورة الدال خلف الثريا .

(٤) سورة السفيه : سطوته واعتداؤه . يقال : رجل سوّار أي وثاب معربد . « وانّ لغضبه لسورة » .

(٥) الصعدة : القناة المسوية تثبت ولا تحتاج الى تثقيف . (٦) في ش (يلو) .

(٧) بالفتح تصغير التي على غير قياس ، وهما من اسماء الداهية .

(٨) النهى : بالضم جمع نهيه وهي العقل لانها تنهي عن القبائح . قال تعالى : « إن في ذلك لايات لأولى النهى » . ومعنى القول : قد يصحب الصغير القدر العظيم القدر كا صحب الكوكب الخفي الصغير الكواكب الظاهرة العظيمة .

(٩) يقال : بضّ الماء يبضُّ – بالكسر – بضيضاً أي سال قليلا قليلا . وفي المثل « ما يبض حجره » .

(١٠) المقول : – بالكسر – السان والمراد الكلام ، هذا القول نهاية مخطوطة س .

(١١) معنى القول : قد يلد الطالحُ الصالح ،وفيه اشارة الى قوله تعالى«يخرج الحي من الميت».

(١٢) النعائم : منزل من منازل القمر ، وهي ثمانية أنجم ، أربعة صادرة، وأربعة واردة .

(١٣) الزيادة من باقي النسخ إذ يوجد خرق في النسخة الأم .

والكوكب زينة السماء . شعاع الشمس لا يخفى ، وسراج الحق لا يطفى [1] .
رب قوم يلونكم [2] حبالا [3] ، ولا يألونكم [4] خبالا [5] . سوف ينفعك ما أنت معنط ، وإن دُفِعْتَ إلى ذئاب مُعْط [6]. العِلْمُ درسٌ وتلقين ، لا طِرْسٌ وترقين [7] . إذا أخذتك الزعازع ، لم تُغنِ [8] عنك الوعاوع [9]. كم لأيدي الركاب ، من أيادٍ في الرّقاب . الدُّخول في دارة الاسلام ، خلودٌ في دار السلام . إن البراطيل، تنصر الأباطيل . من مُني بالرَّهب [10] ، عني بالهرب . نقلُ الصخر من القُنَن [11] ، أهونُ من تَحمُّل المنن . أكثرُ الناس إلى المُلك تلفتاً ، أقلُّهم من الهلك تفلُّتاً . أهل الحربِ والجدل ، بين الحرب والجذل . أنتم الأوداء والأعزاء ، ما لم يُصبكم داءٌ أو عزاء . الفلاحة بالفلاح مصحوبة ، والبركة على أهلِها مصبوبة . المرءُ عنوان أمرِه ، عنفوان عُمرِه . ما مَن دأبَ في الأدب أبدا، كمن بدا فيه وشدا . مَنْ عرف المعارف ، عفَّر المراعف [12] . خفٌّ على الصدر السري [13] ، من ذوي

(١) طفأ : السراج بالهمز من باب علم يعلم ، وأطفأته أنا إطفاءً، قلب همزتها هنا الفاً ليوافق قوله : « لا يخفى » .
(٢) من وليه يليه – بالكسر – أي دنا منه وقرب .
(٣) حبالا : الوصل ، والأمان والعهد .
(٤) من ألا في الأمر يألوا أي قصر فيه فهو آلٍ أي مقصر . ويقال : آلاه يألوه : أي استطاعه يستطيعه .
(٥) الخبال : بالخاء المعجمة والفتح : الفساد ، وفلان خبالٌ على نفسه أي عناء .
(٦) معط : جمع أمعَط . يقال : ذئبٌ أمعط أي هو الذي تساقط شعره . ويقال : لصٌ أمعط ولصوص مُعط ، شبهت بالذئاب في جنسها فوصفت بصفتها .
(٧) الترقين : الكتابة الحسنة . (٨) في ق (ينفعك) .
(٩) الوعاوع : جمع وعوعة الذئب والكلب ، أي عواهما . ووعوعة الناس : أي ضجتهم .
(١٠) الرهب : بالتحريك مصدر رهبه بالكسر يرهبه أي يخافه . قال تعالى:« لربهم يرهبون»
(١١) القنن : بالضم جمع قنه وهي أعلى الجبل ، قال الشاعر :

لنقل الصخر من قنن الجبال أحبُّ إلي من منن الرجال

(١٢) المراعف : الانوف ، يقال : فعلت ذلك على الرغم من مراعفه ، وما أحسن مراعف أقلامه : أي مقاطرها . سميت الأنوف بالراعف لانها مقدمات الاعضاء ، من رعفه اذا سبقه .
(١٣) السري : السيد السخي ذو المروءة ، والجمع السَّراة . وهو جمع عزيز لأنه لا يجمع « فعيل » على « فعلة » .

القَدْر الزّري أيها القلّب الحول [١] أمِن حيلتك، أن تجمعَ المال لبعل حليلتك؟ في الأرض ناسٌ ونويس، ومنهم طـــاووسٌ وطويس [٢]. آمِنْ بالأمين «ابن آمنة»، تأتِ يومَ الفزع بنفسٍ آمنة. أكثر الناسِ عن الحقّ زور، ودَعْواهم باطلٌ وزُور. إذا أخبّ [٣] أخوك فحلّق على اسمه، وتحفظْ من كيدِه وطلّسمه [٤]. مِلاكُ حسن السمت، إيثــار طول الصمت. مَن لم تزنه السّير لم تزنه السيراء [٥]، ومَن لم يتق الحوب[٦] لم تنق له الحوباء [٧]. راقبِ القابضَ الباسط، وكن المقسِطَ لا القاسط [٨]. لا خيرَ في الزّمان، ما طلع المِرْزمان [٩]. كم أحدثَ بك الزمان أمراً إمراً [١٠]، كما لم يزلْ يضربُ زيدٌ عمرواً. الحيلُ معَ الحوَل، لا تبتغي عنه الحِوَل [١١]. إنْ لم تكن ذا عِرنين أشم، كنتَ لريحِ الذّل أشم. عملٌ فيه رياء، ما عليه ضياء. بربهِ فليثقْ مَن وثق، وإلا فليبق فيمن وَبَق[١٢]. رب زورة زائر، أشدُّ من زأرة زائر. زأرة الأسد في الزأرة،

---

(١) القلب الحول: بضم القاف وتشديد العين: أي محتال بصير بتقليب الأمور، من حال الرجل يحول: اذا احتال. وفي ق، ش (الحول القلب).

(٢) طويس: اسم مخنث كان بالمدينة. وفي أمثالهم: «أشأمُ من طويس».

(٣) أخبّ: بالخاء المعجمة من خبٍّ ـ بالفتح والكسر ـ وهو الرجل الخــداع الجريء، وقد خببه تخبيباً أي خدعه.

(٤) طلسمه: أي حيلته ومكره، من طلسم الرجل أي أطرق عينيه ينظر الى الأرض.

(٥) السيراء: بكسر السين وفتح الياء، برد فيه خطوط صفراء، قال النابغة:

صفراء كالسيراءِ قد خلقتها كالغصن في علوائه المتأود

(٦) الحوب: بالضم: الإثم. قال تعالى: «إنه كان حوباً كبيراً».

(٧) الحوباء: النفس والجمع الحوباوات.

(٨) المقْسِط: العادل، من أقسط فيه إذا عدل فيه، قال تعالى: «إن الله يحب المقسطين». «القاسط»: من قسط: إذا ظلم، قال تعالى: «وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا» أي الظالمون.

(٩) هما نجمان أحدهما في الشعرى، والآخر في الذراع. أي لا خير في الزمان أبداً لانهما يطلعان ما دامت الدنيا باقية،

(١٠) الإمر: بالكسر: الشيء المنكر. قال تعالى: «لقد جئت شيئاً إمرا».

(١١) المعنى: الحيل مع الحول لان الأحول على ما يقال يكون ذا حيل، وفي المثـــل: «كلُّ أحول فجوج».

(١٢) يريد: فليخص الواثقون ثقتهم بالله ربهم دون غيره وإلا فيهلكوا مع الهالكين.

أهون من زورة بعض الزارة. الناس أكثرُهم أغمار، وإن تنفستْ بهم الأعمار.
يا ذا الكِبر ائتِ بما هو بالعبدِ أجدر، وإن كنتَ أعزّ من الكبريت الأحمر.
نظرتْ إليك السبعون وأنت سبع، وتضبَع في الدنيا كأنك في ثلة ضبع.
ما زاد كِبْر قط في كِبَر، ما الكِبر إلا ريحٌ في كَبَر[1].
إنّ حُسْن السيمياء، جنسٌ من الكيمياء. إذا حصّلتك يا قوت[2]!، هانَ عليّ الدرُّ والياقوت. ما الثمرُ اليانع تحت خضرة الورق، بأحسن من الخطّ الرائع في بياض الورق. تسويد بخط الكاتب، أملح من توريد خدّ الكاعب.
لا ينشب ظفر الليث في الفريسة، ما دام رابضاً في العريسة. لا تجعل صندوق السر، إلا صدر الصدوق الحر. كونوا حنفاء لله، حلفاء في الله.
الجود والحلم حاتمي وأحنفي، والدين والعلم حنيفي وحنفي. وتدّ الله الأرض بالأعلام المنيفة، كما وطد الحنيفية بعلوم أبي حنيفة. الأئمة الجلة الحنفيّة، أزمة الملة الحنيفية. الشرائع بمسائلها[3] والشرائع بمسايلها. بلى من النكد بلاء، ولولا منه لأواء[4]. شتّان فلانٌ كالباقر، وفلان من الباقر. أعز الناس يبلى من الخطوب بالأعز، كأن العزاء أخت الأعز. وقع الباروخ[5] على اليافوخ[6]، أهونُ من ولاية بعض الفروخ. صحة النسخة حديقة الحدق،

---

(١) هو الطبل، والجمع أكبار أو كبار نحو جمل وأجمال.

(٢) يا: من حروف النداء. (قوت): ما يقوم به البدن من الطعام. في س، استشهد المحقق عند شرحه القول بالبيتين التاليين:

ثلاثةٌ يجهلُ مقدارها … الأمن والصحة والقوت
فلا يثق بالمال من غيرها … لو انها دُرٌّ وياقوت

(٣) يريد: اعتبار شريعة الماء باعتبار مسائلها كما ان اعتبار شريعة الاسلام باعتبار مسائلها واوامرها ونواهيها. كقول الرسول الاعظم: «إنما الأعمال بالنيات».

(٤) (اللأواء): الشدة والمشقة.

(٥) (الباروخ): الفأس. قيل هي عبرية، وقيل سريانية، وقيل عُمانيّة.

(٦) (اليأفوخ): حيث التقى عظم مقدّم الرأس وعظم مؤخره. قال الليث: من همز اليأفوخ فهو على تقدير يفعول. ورجلٌ مأفوخ إذا شُجَّ في يأفوخه. ومن لم يهمز فهو على تقدير فاعول من اليَفخ، والهمز أصوب وأحسن، والجمع يآفيخ. اللسان مادة «أفخ».

رثقة الرواية أروى من الغدَق . كم من مـؤد (١) ، في صدمة الحرب مود (٢) وكم من أكشف (٣)، لغماء الروع أكشف(٤) . تضرب في موج الضلال وتسبح، فما تغنى عنك الأحراز والسُبح . أهل الكفر والكفران أبعد من الغفر والغفران. الصناع جماهر ، وقل من هو ماهر . لا يزالون يركبون خطاياهم(٥) كأنها على الصراط مطاياهم . الخالي من الدين الخالص ، وإن قيل : ذو المناقب ذو المناقص . لياليك مومسات يرينك ، بعض ما تهوى ثم يرينك (٦) . من متون البيض (٧) تؤخذ بيضات الخدور ، ومن صدور المران (٨) تقطف رمان الصدور . الأيام سعدٌ وسعيد (٩) ، والناس عمرو وعبيد (١٠). لا بدّ للمنصل من قراب ، وللمخلب من قناب(١١). لا غرو من سباع في غياض، ومن حيات في رياض . إحذرْ مؤمناً يعذرك ، ولا تذر مؤمناً يذعرك . عليك بمن ينذرك

---

(١) (مؤد) يقال : رجلٌ مؤد : أي كامل الاداة ، تام السلاح .
(٢) (مود) : من أردى فلان اذا هلك .
(٣) (اكشف) : الرجل الذي لا ترس معه في الحرب ، والجمع الكشف .
(٤) (اكشف) : أفعل التفضيل من كشف الله غمه .
(٥) الخطايا : جمع خطيئة ، أصلها خطائي على مثال « فعائل » فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الهمزة الثانية ياءً لان قبلها كسرة ، ثم استثقلت والجمع ثقيل ، وهو معتل ، مع ذلك فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياءً .
(٦) (يرينك) : أي يوبقنك ويأكلنك أو يسحرنك من الرئـه – بالكسر والهمزة – وهو السحر .
(٧) (البيض) : السيوف ، بالكسر ، وأصله بالضم لكنه كسر لمكان الياء . كالعين في جمع الأعين .
(٨) (المـرّان) : بالضم والتشديد ، الرماح ، الواحدة مرّانة .
(٩) أي الأيام خيرٌ وشرٌ ، يوم يُمنه اكثر ، ويومٌ يُمنه أقل . وفي امثالهم « أسَعْدٌ أم سعيد » بلفظ التصغير أي هو ما يحبُّ أو يكره .
(١٠) وأراد بعمرو بن عبيد الذي يضرب به المثل في العفة والورع حتّى قيل فيه :

كلكم يمشي رويـد   كلكم يطلب صيـد
كلكم طالبُ دنيـا   غـير عمرو بن عبيد

(١١) مخلب السبعفي مقنب و «قناب» هو كمه وغطاؤه . ورجع الصائد وقد ملأ مقنبه وهو مخلاته التي يحمل فيه ا١ صيد . ومنه أضرب قنب فرسك ينج بك ، وهو جراب قضيبه .

الإبسال والإبلاس[1] ، وإياك ومن يقول [2] : لا بأس ولا تاس . ألقى عليك طمريه المشيب ، وعليك من الحرص رداء قشيب : تقول أنا صائم ، وأنت في لحم أخيك لسائم [3] . عضُّ العدو أفعالك ، أشد من عضّ الأفعى لـك . ويل لكل رئيس ، من عذاب بئيس . المؤمن للمؤمن طيّع سَلِس ، وهو على الفاسق جامح شرس . لا أدري أيها أشقى : أمن يعوم في الأمواج ، أم من يقوم على الأزواج . إذا وقعت سهام القضاء ، نثرت حلق النثرة القضاء . قـرّب ابن قريب بأصمعيه لا باصمعه ، وإلا لم يشر اليه الرشيد بأصبعه [4] في قَـرضِ الأعراض ، قرض الإعراض [5] . ضع الفرض مكان القرض ، فهو أروح للقلب وأسلم للعرض . أحصن من اللامة لبوس السلامة . من نضا هذا اللبوس ، لم يلق في زمانه إلا البؤس . افتخار الدني بشرف الآل ، كاغترارِ الظمآن بلمع الآل[6] . مالكم تجمحون في الحكمِ يا حكمة ! ، أما يقدعكم[7] من الحكمة حكمة ؟ إن واليت قرين السوء أعداك بدائه ، فكن من أعدائه تنج من إعدائه . أقرب شيء عند الله من العسر اليسران [8] ، وأبعد منها عنـــد صاحبه النسران [9] . فرقك بين الرطب والعجم [10]

---

(١) (الأبسال) : التحريم من البسل وهو الحرام . (والأبلاس) : اليأس .

(٢) في ش (يقول لك) .

(٣) في ق ، ش (سائم) . هذا القول مقتبس من الآية الكريمة [١٢ سورة الحجرات] : ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » . ومما قاله الزمخشري نفسه في المعنى نفسه في مقاماته ص (٤٩) : « فغيبـــة الأخ المسلم من تعاطي الكأس أحرم ، والأمساك عن عرضه من ترك المعاقرة الزم ، إن المغتاب فضّ اللهُ فمه يأكل لحم المغتاب ،ويشرب دمه ، ذاك لعمر الله شرّ من شرب ماء الكرم ، وأغمس لصاحبها في غمار الاثم والجرم » .

(٤) (بأصبعه) ساقطة في ش .

(٥) يريد الزمخشري : لا تتعرض أخاك وتوبخه فان القرض مقراض المحبة .

(٦) (الآل) : السراب .

(٧) في النسخة الأم (بقر علم) ، والتصويب من باقي النسخ . ومعنى (يقدعكم) : يمنعكم ويكفكم .

(٨) القول مقتبس من قوله تعالى : « إن مع العسر يُسرا » .

(٩) النَّسران : كوكبان .

(١٠) (العَجَم) : النوى ، والواحدة عجمة .

هو الفرق بين العرب والعجم[١]. يا دنيا تحلين لأولادك ثم تمرين وتحلّين بهم ثم تمرين. إن الذي سخر الفلك[٢] في الماء، هو الذي سيّر الفلك في السماء. إذا وقعت المحنة تواكلتم، وإذا كانت النعمة تآكلتم. طأ أعتاب العالمين، تطأ رقاب الظالمين. لا ترْض لمجالستك، إلا أهل مجانستك. رب زائر يراوحك ويغاديك، وهو ممن يكاوحك[٣] ويعاديك. وجه بلا حياء عود قشّر ليطه، أو سراج فني سليطه[٤]. كفاك عبرة أن صدّر فلان ثم صودر، واستؤسر فلان بعدما استوز. أمـد[٥] متقدم المعروف بقـادمه، فأن خوافي الريش مدد لقوادمه. طلب الثناء بالمجان من عادة المجّان[٦]. صعود الآكام وهبوط الغيطان، خير من القعود بين الحيطان. كن صاحب قرآن، ولا تكن صاحب قِران، كل قريب لك عليك رقيب، يود أن تقبر عما قريب. ولدك يقول: مالك إرثي[٧]، وأخوك يقول: مالك أرثي[٨]. أهيب وطأة من الأسد، من يمشي في الطريق الأسد[٩]. إذكر أخاك بأذكى من المسك السحيق[١٠]، وإن كان منك في البلد السحيق. لا مسك ولا أثاب[١١]، أطيب من نسك مَنْ أثاب[١٢]. ما مسك دارين[١٣]، أطيب من

---

(١) (العَجَم): جمعُ عجمي خلاف العربي.
(٢) (الفُلْك): السفينة، وهو واحد وجمع يؤنث ويذكر، باعتبار السفينة يؤنث، وباعتبار المركب يذكر. نظير الواحد قوله تعالى: «في الفلك المشحون». ونظـير الجمع: «حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم».
(٣) (يكاوحك): يشتمك، من كاوحته فكوحته أي غلبته.
(٤) (السليط) الزيت عند عامة العرب. وعند أهل اليمن دهن السمسم.
(٥) (أمِد): أمر من أمددتُ الجيش بمدد، ومنه قوله تعالى: «وامددناهم بفاكهة».
(٦) (المُجّان) جمع ماجن من مجن بالفتح يمجن مجوناً أي لم يبل بما صنع.
(٧) (إرثي): بالكسر. أي ميراثي.
(٨) (أرْثي): بفتح الهمزة حكاية عن نفسه من رثى له رثياً أي رحمه. معناه مالك يا أخي أو ما أرثي لك؟ أو لأي معنى أرثي.
(٩) (الأسد): من سدّ الأمر واستدّ: استقام. وتسدد علي الرمي: استقام.
(١٠) السحيق: المفتوت، المدقوق من قولك: سحقت الدواء فانسحق.
(١١) أثاب: المسك، تقول: بلد عبق الجناب كأنما ضمخ بالأثاب.
(١٢) أثاب الى الله: أقبل وتاب.
(١٣) دارين: بلدة ينسب اليها العطر.

نسك دارين[١]. لا يعبأ المؤمن بشغب كل منافق، فكم من غير شاهق (في جبل شاهق[٢]) كانوا يأخذون (رجال الفضل[٣]) بزناتهم[٤] دنانير، حتى فضلوا عليهم الكلاب والسنانير. حال العاقل الغافل، يبسط عذر الجاهل الذاهل. لحم الحر يأكله أهل الحسد، كما يأكل النمل ولد الأسد، حلّ الشيب بفوديك فحيّهل[٥]، وتبصّر هل تُدرك المهل؟ الدهر يهدم سور الخورنق[٦]، كما يمزق بيت الخدرنق[٧]. الشريف من إذا غيب عنه عيب، وإذا إيب اليه هيب. المقطعون مقطمون، والمناشير[٨] مناشير[٩]. من أكثر من سبحان[١٠]، فهو أبلغ من سحبان[١١]. الركوب على الخنافس، خير من المشي على الطنافس. من لم يركب الآذي[١٢]، لم يشرب الماذي[١٣]. كيف يثني عطف المرح الفخار، من أصله صلصال كالفخار. قيل لبني زياد: الكملة، وأكمل منهم الحلة العملة الضاحك من المؤمن مضحوك منه غداً، فليرسل عنانه في الضحك مقتصدا، لا خير في جود المطّال، وإن كان كالجود الهطال. لا خير فيمن إذا وعد تعرقب[١٤] وإذا عزم تعقرب. إذا كثر الطاغون، أرسل الله الطاعون، ما استهان قوم بالدين إلا

---

(١) دارين: جمع دار، وهو العالم.
(٢) الزيادة من باقي النسخ.
(٣) الزيادة من النسخ الأخرى.
(٤) بزناتهم: جمع الزنة. والهاء في الزنة عوض عن الواو المحذوفة من أوله لأنه من وزنه يزنه.
(٥) في ش صيهل: تحريف.
(٦) الخـوَرْنق: اسم قصر بالعراق فارسي معرب.
(٧) الخَـدَرْنق: العنكبوت فاذا جمعته حذفت آخره وقلت: الخدران.
(٨) المناشير، جمع منشور: وهو الكتاب.
(٩) مناشير: جمع منشار من نشر الخشبة: قطعها.
(١٠) سبحان؛ علم للتسبيح غير منصرف.
(١١) هو سحبان بن وائل يضرب به المثل في الفصاحة.
(١٢) الآذي: موج البحر والجمع الاواذي.
(١٣) الماذي: العسل.
(١٤) تعرقب: تشبه بمرقوب الذي يضرب به المثل في الخلف: « مواعيد عرقوب ».

حـاق [١] بهم الهوان ، ونفـاهم الزمان كما ينفى الزوان [٢] . ربّ تكلـيم بالمقول ، أشدُّ من تكليم بالمقصل . رُبَّ كلمة هي عند الناس نصيحة ، وهي عند الله فضيحة [٣] . أقلُّ من الهمج ، أكثرُ هذه المُهَج . ما لأحد في حُسن البزة من عزة ، فربَّ هيئة بذّةٍ بزّت كل بِزّة. يا طالب المال [٤] طال بك الرِضاع فمتى الفطام ، إحذر لا ينبذنّك في الحطمة هـذا الحطام لو لم يبقَ في ذمتك سوى دينار ، لم تؤمن أن يطرحَك في وادي نار. طهرتَ فاك بمساويك[٥] ، لولا انك نجسته بمساويك [٦] . الشره على الطعام ، من أخلاق الطغام . أعمالك نية [٧] ، إن لم تنضجها نية [٨] . لا تقع الأعمال سنيّة ، ما لم تقع سُنيّة . طوبى لمن خاتمة عمره كفاتحته ، ليست أعمـاله بفاضحته . المستهين بـدين الله يزيد ، على مـا فعل معاوية [٩] ويزيد . اطلب وجه الله في كل ما أنت صانع ، وإلا فعملك كله ضائع . عوّل [١٠] في السباق على دينك ، تسبقْ في جميع ميادينك [١١] كم قذف الموت في هوة ،

---

(١) حاق : به كذا : أي أحاط وانقلب عليـه قال تعالى : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

(٢) الزوان : حبة سوداء تكون في الطعام ولا تؤكل بل تلتقط وتلقى من الطعام . والمعنى أي نفاهم أهل الزمان بأنهم ليسوا من دائرة الاسلام واخرجوهم منها كما ينفى الزوان ويُلقى .

(٣) في النسخة الأم (عند الناس فضيحة ، وهي عند الله نصيحة) .

(٤) في ق التاع . (٥) المساويك : جمع المسواك . (٦) المساوىء : القبائح جمع سوء .

(٧) نيّة : يقال : لحم نيء أي غير نضيج .

(٨) النيّة : من نويت نية ، وفيه إشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم . «لاعمل إلا بالنية» .

(٩) في ش (على ما فعل ابن زياد) .

(١٠) عول : أمر من عولت بفلان وعلى فلان تعويلاً، اذا استعنت به ، وما له في القوم من معول . ويقال : « انما الدنيا دول ليس فيها معول » .

(١١) الميادين : جمع الميدان ، بالكسر والفتح ، والكسر أفصح ومما يجدد ذكره في هذا المقام المقامة الثالثة والأربعين من كتاب « اطواق الذهب » للزمخشري .

« والعلماء السوء جمعوا عزائم الشّرع ودونوها ، ثمّ رخصوا فيها لأمراء السوء وهوّنوها ، ليتهم إذ لم يرعوا شروطها لم يَعُوها ، وإذ لم يُسمِعُوها كما هي لم يسمعوها . انما حفظوا وعلقوا وصفقوا وحلّقوا ليقمروا المـال وييسروا ، ويفقروا الأيتام ويوسروا ، اذا انشبوا أظفارهم في نشب فمن يخلص ؟ وإن قالوا : لا نفعل أو يزادُ كـذا فمَنْ يُنـقص دراريع ختّالة ، ملئها ذاريح متّالة ، واكـامٌ واسعة ، فيها أصلال لاسعة ، وأقلامٌ كأنها أزلام ، وفتوى يعمل بها الجاهل فيتوى (اي فيهلك) .

مِن جمجمة مزهوة . لا فضل في التقوى لمالكٍ على مملوك ، ولا لغـــني على صعـــلوك . النساء متى عرفن قلبك بالغرام ، ألصقن أنفك بالرغام [1] . مشيُك في التيه [2] الخيزلى ، وقولك إن سُئِلت الخير : لا ! الأحمق لا يجد لذة الحكمة ، كما لا ينتفع بالورد صاحب الزكمة . ما للناس بلا خير جمال ، وما للخير في الناس مجال . عليك بالعمل دون التمني ، وإياك والعجل دون التأني . شقشقة [3] هدرت لعجلان [4] ، شنشنة [5] عرفهـــا من سحبان . أمارة إدبار الإمارة ، كثرة الوباء ، وقلة العمارة . إياك والإمارة فانها للدماء أمّارة ، وللبلاء إبّارة [6] . لن يُفلح وزير عند أمير ، ما طلع ابن جمير [7] وسمر ابنا سمير [8] . المبالغة في التدابير ، مغالبة في المقادير . دابة السوء إذا رُحِمتْ مَرِحت ، وإذا مرحت رحمت . ألا إن فوات الوُفاة ، أشدُّ على الحُر من الوَفاة . اتل على كلّ مَن وَزَر : (كلا لا وزر) كونوا براءكة ، فما دولتكم براءكة[9]. ألا أخبركم بالنفس الوزّارة ، نفس بلاها الله بالوزارة. كلُّ وزير موسى[10] ، إلا وزير موسى[11]. اللمحة اليسيرة يُزال بها الإبهام، وجعُ الكف يشدُّه على قِصره الابهام[12].أصحاب الأطمار، يدرّون سحائب

---

(١) الرّغام : التراب ، يقال : أرغم الله أنفه أي ألصقه بالتراب .
(٢) التيه : بالكسر ، مصدر تاه يتيه تيهاً اذا تكبر ، وهو أتيه النّاس .
(٣) شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج . وإذا قالوا للخطيب : « ذو شقشقة » فإنه يشبه بالفحل .
(٤) هو سحبان بن وائل .
(٥) شنشنة الرجل : غريزته ، وفي المثل : « من أبيه شناشن » . والمعنى : فصاحة عجلان وكثرة علمه من أبيه سحبان .
(٦) الإبارة : مصدر أباره الله فبارَ : أي أهلكه فهلك .وقوله تعالى : «ومكر أولئك هو يبور » أي يبطل .
(٧) ابن جمير : الشمس، وقيل: الهلال. (٨) ابنا سمير : الليل والنهار .
(٩) براءكة : أي بمقيمة ، تقول : رمك بالمكان يرْمُك رموكاً إذا أقام .
(١٠) موسى : الحديد الذي يحلق به الرأس .
(١١) موسى عليه السلام ووزيره أخوه هارون .
(١٢) في ق يليه القول (بذر في مطورة الخ) .

الأمطار . الدنيا مملوءة عِبراً ، مشحونة غِيرا . بذر في ممطورة [1] ، بر في مطمورة [2] .

انتهت النصائـــح ولله المنة [3]

الدكتورة بهجة الحسني

الأستاذة المساعدة في كلية الآداب – جامعة بغداد

المصـــادر

١ – أساس البلاغة ـ جار الله الزمخشري ، طبعة أولى سنة ١٣٧٢/١٩٥٣ م .

٢ – أطواق الذهب ـ جار الله الزمخشري ، طبعة باريس سنة ١٨٧٦ م .

٣ – إرشاد الأريب لمعرفة الاديب ـ ياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوت طبعة مصر سنة ١٩٢٥ .

٤ – إكتفاء القنوع بما هو مطبوع ـ أدورد فانديك ، مطبعة الهلال في مصر سنة ١٨٩٦/١٣١٣ هـ .

٥ – بغية الوعاة ـ السيوطي ، طبعة أولى بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .

٦ – تاريخ أدب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ، القاهرة سنة ١٩٥٧ م .

٧ – ديوان الأدب ـ جار الله الزمخشري ، مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت (أدب ٥٢٩).

٨ – ربيع الأبرار ـ جار الله الزمخشري ، مخطوطة الأوقاف في بغداد (٣٨٩ ـ ٣٨٦).

٩ – الزمخشري ـ الدكتور أحمد الحوفي ، طبعة أولى في مصر .

١٠ – الغيث المسجم في شرح لاميـــة العجم ـ صلاح الدين الصفدي ، المطبعة الوطنية ، الاسكندرية سنة ١٢٩٠ هجرية .

١١ – فهرس الخزانة التيمورية – محمد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

١٢ – فهرس الكتب المصرية ـ طبعة أولى القاهرة ١٣٤٥/١٩٢٧ .

١٣ – فهرست كتب خطي كتابخانة أساي قدس رضوي ـ طبعه أولى سنة ١٣٤٥/١٩٢٧ .

١٤ – الكشاف عن حقائق التنزيل ـ جار الله الزمخشري ، تحقيق ناسو ليس ، كلكتا ١٨٥٨ .

١٥ – كشف الظنون ـ حاج خليفة ، طبعة استانبول سنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٣ .

---

(١) من مطرتهم السماء . ومنه وادٍ ممطور ، و في المثل : « يحسب كل ممطور أن غيره ممطور » .

(٢) حفرة يطمر فيها الطعام أي يُخبأ .

(٣) في ق (تمَّ النوابغ نُصْحاً وعِبَراً على يدٍ فانية عبوراً) .
وفي ش (تمت الكتابة يغفر لنا الله الملك الوهاب) .

عند إقامتنا عاماً واحداً في جوار بيت الله الكريم ، في (أم القرى) سرنا في شعاب مكة المكرمة ودروبها ، نبحث عن شيء قد خفيت آثاره ، وطمست معالمه ، نسأل الباحثين من ذوي الألباب والآداب والمعرفة عنه . ونستفهم من المحققين عن شؤونه ، فكنا أحياناً ، نجد الضالة المفقودة ، وفي أكثر الأحايين لم نر شيئاً يغني النفس عن البحث ،أو يملأ السمع من الجواب .

وكانت شؤون المخطوطات تجذبنا إليها ، وتشدّنا إلى جوارها ، فعشنا في جوهـا اللذيذ ، وفي ذكرياتها المعطرة . وكنا نتنفس فيها عطر الأقدمين ، ونجد من خلال سطورها جمال علوم الأولين ، من أجداد مضوا بعد أن خلفوا في مسارب سعيهم النور ، والهدى ، والإرشاد ، والحقيقة ، والجمال !!

---

١٦ – الكلم النّوابغ ـ جار الله الزمخشري ، تحقيق محمـد الكسق البيروتي ، بيروت سنة ١٣٠٦ هـ .

١٧ – الكلم النّوابغ ـ جار الله الزمخشري ، طبعة باريس ١٨٧٦ .

١٨ – الكلم النّوابغ ـ جار الله الزمخشري ، مخطوطة المتحف العراقي رقم (٥٦٣) .

١٩ – الكلم النّوابغ ـ جار الله الزمخشري ، مخطوطة المتحف البريطاني رقم (Or. 3733)

٢٠ – مفتاح السعادة ـ طاش كبرى زادة ، طبعة أولى ، حيدر آباد الدكن سنة ١٩١١ .

٢١ – النعم السوابغ في شرح النوابـغ ـ سعد الدين التفتازاني ، مخطوطة مدرسة النبي شيت في الموصل ، العراق تحت رقم (١٦) .

٢٢ – نوابـغ الكلم ـ جمع الأديب عبد العال أحمد حمدان ، مطبعة محمد مطر في مصر .

٢٣ – هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادي ، استانبول سنة ١٩٥٥ م .

٢٤ – وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان – ابن خلـكان . دار الطباعة الأميرية ١٢٧٥ هـ.

٢٥ – The Encyclopaedia of Islam, pirst Edition .

٢٦ – C. Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden, 1943 - 1949. Supplement, Leiden, 1937 - 1942 .

والله ولي التوفيق

إن بقاءنا ونحن تحت ظـــلال رحمته وغفرانه ، وأستار كعبته ، نشاهد الآلاف من البشر الطائفين ببيته ، والمتعلقة أرواحهم برجاء رضاه .

كنا نتصور ونحن جلوس عند نافذة مطلة من (مكتبة الحـــرم المكي الشريف) على المتعبدين والمهرولين بـــين (الصفا والمروة) . نتصور قيمة ديمقراطية التعاليم الإسلاميـــة ، وكيف كان العلماء من حملتها ، قـــد جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وبأنفسهم لأجل غاية واحدة ، هي إسعاد الإنسان وإفهامه حقيقة نفسه ، والكشف عن أستار حجب الجهالة والغرور والادعاء في داخل ذاته !! إن قصة (المخطوطات) الباقية ليومنا هذا في خزائن مكتبة الحرم المكي ، ومكتبة بيت مولد الرســول الأعظم ﷺ . لذات فصول متعددة الصور ، منها المؤلم ، ومنها المفرح ، ومنها ، ومنها المضحك !!

كيف كان الحجازي ، والنجدي ، واليمني ، والعراقي[1] ، والمصري ، والسوداني ، والمغربي ، والأندلسي ، والبخاري ، والسمرقندي ، والهندي ، والصيني ، وغيرهم ... يفدون إلى (مكة المكرمة) و (المدينة المنورة) . كي يجدوا الراحة النفسية والاطمئنان القلبي ، والهناء الروحي . فـــتزول أتعابهم ويتجـــدد نشاطهم ، وتذهب آلامهم ، وتزداد معارفهم ، وتتوسع مداركهـــم . كل ذلك بقوة العقيدة ، وطهارة الايمان ، وصفاء القلب ، وحرارة الدعاء !!

فما أعظمه من دعاء حار ، وإيمان طاهر ، وقلب صاف . كنت أمـــني النفس في الحقيقة ، لا في العثور على المخطوطات وحدهـــا ، كنت أمنيها بمعرفة أثر من آثار بيوت الصحابة والتابعين ، ولست أريد بذلك أن أقف موضع العبادة للحجارة الدارسة ، ولا للطلل البالي ، ولكني كنت أريد أن

---

(١) عند عودتنا من الديار المقدسة ، نشرنا عدة بحوث عن مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ، وعن شاعر من الحجاز .

راجع مجلة « البلاغ » العراقية السنة الثالثة ، و « التراث الشعبي » السنة الأولى .

(١) هيأنا دراسة عن علماء العراق والأندلس الذين جاوروا وألفوا وماتوا في الديار المقدسة، وعسانا نتوفق لاخراجها .

أعرف أمكنتهم وديارهم ، وأماكن اجتماعهم ، ومواضع ندواتهم . كي تهزني ذكريات هذه الأماكن هزّاً فتبعث بي الشموخ والقوة ، والاندفاع، والارادة، والعزة العربية . حتى أسير على ضوئها ، وعلى هداها ، ولأشق الطريق إلى الهدف المجهـــول ، والعوالم الخفية . مثلما سار أبناء العروبة والاسلام ، من الروّاد الأوائل ، في ماضي تاريخهم الكبير ، ومجدهم التالد ، إلى عوالم كن خافيات مثلما يقول الشاعر (الجواهري) اليوم :

مجدت فيك (ثقافة) ومواهبا وقضيت فرضاً للنوابغ واجبا
بالمبدعين « الخالدين » تنوّرتْ شتى عوالم كن قبـل غياهبا

* * *

التعريف بمخطوطة درر الأصداف [1] وبصاحبها :

عثرت على هذه المخطوطة في خزانة (مكة المكرمة) مع مخطوطات أخرى درست بعضها ونشرته ، والبعض الآخر في دور الدراسة والبحث والتحقيق . ومن قسم الدواوين الشعرية ، التي وجدتها،ديوان «درر الاصداف» ليحيى بن ابراهيم الحجاف اليمني . وقد طلبت مخطوطاته في المظان الشرقية والأوربية وأنا الآن ساع في تحقيقه وردّ الحياة إليه .

يقع الديوان في مجلد واحد حسب الأوصاف التالية : الرقم ٤٣٤ / ٥ قسم الدووان الشعرية.تاريخ النسخ سنة ١١٥٧ هـ . عدد صفحاته ٢٤٠ صفحة قطع الوسط . عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً . طول الصفحة ٢٩ سم . عرضها ٢٠ سم .

وهو مذهب الجوانب ، ومزوق الكتابة ، يهمل بعض الكلمات ، التي هي معجمة .

---

(١) ورد اسمه في المخطوطة باسم (درّ الأصداف) لادرر الأصداف . راجع / معجم المؤلفين ج ١٣ ص / ١٨٢ ، والاعلام ج /٩ ص / ١٦١ . والبدر الطالع (الذيل) رقم ٤١٩ / ص ٢٢٥ ج / ٢ ، وحديقة الأفراح ص / ٢٦ .

في أوله قصيدتان الأولى : للسيد فخر الدين بن عبد الله بن علي الوزير ، مكاتباً للشيخ زين العابدين بن السيد المتوفى في أيام وزارته للامام المهدي ، وأرسلها إليه على يد الفقيه زيد بن صالح الشامي الكوكباني مطلعها :

آه ما أحلى التصابي وأمر   ما معانات الهوى الا خطر

أما جوابها فهو للشيخ زين العابدين ومطلعها :

أشموش أم نجـــوم أم درر   أم سحيق المسك أم عرف الزهر

وقد نسخ الديوان بقلم محمد بن علي بن محمد بن أحمد اليمني وحرره في محروسة (صنعاء) وأنهاه في العشر الأول من شهر رمضان عام ١١٥٧ هـ .

ومن الأشخاص الذين تملكوه ، القاضي محمد بن عبد القادر ، والمهدي عبدالله ابن الامام المنصور بن الامام المهدي العباسي ، ومحسن بن عبد الله بن الامام المنصور . وأخيراً وصل إلى مكتبة الأوقاف بمكة المكرمة . ومن التواريخ المثبتة عليه عام ١٣٣٦ هـ شهر محرم الحرام .

والديوان يقسم إلى قسمين : قسم خاص بالشعر العمودي مرتب على حروف الهجاء . وقسم يضم مجموعة من الشعر (الملحون) المسمى عند أهل اليمن بالشعر (الحُميـــني)[1] أو (الموشح) أحياناً . والذي يعتقد ويظن ان أهل اليمن هم أول رواده في العالم العربي ، لم يسبقهم إليه قطر من الأقطار المشرقية أو الأندلسية .

إن أغلب الديوان يضم المختلف من الأغراض الشعرية ، وفيه جوانب لطيفة من الاختراعات اللفظية ، وهو يمثل فترة من حياة (اليمن) السياسية . يستوجب الوقوف عندهـــا ودراستها على ضوء الأبحاث الأدبية والتاريخية الحديثـــة .

وبلاد اليمن السعيدة كما كانت تسمى في سالف أزمانها ، والبائسة الشقيقة

---

(١) راجع « قصة الأدب في اليمن » للأستاذ أحمد محمد الشامي ، ص ٢١٣ وما بعدها . ولا أزال أبحث كما بحث هو عن أصل تسميته بالشعر (الحميني) .

في حياتها المعاصرة. لم تلق هي، ولا آدابها الالتفات منا نحن إخوتها في العروبة والإسلام. وقد قال الشاعر أحمد محمد الشامي في مقدمة كتابه : (لعل الأدب اليمني هو الأدب الوحيد ـ بين آداب اللغة العربية ـ الذي لم يُعْنَ به الأدباء. لا أقول العناية التامة، بل حتى ولا القليل منها، لا من قبل أدباء اليمن، ولا من قبل أدباء العربية ومؤرخي آداتها في الأقطار الأخرى على السواء)[1].

ويعزو الأستاذ الشاعر ابراهيم الحضراني اختفاء تاريخ اليمن عن أبناء العروبة[2] : (واليمن مهدهم الأول، ومنشأ لغتهم، وموطن أجدادهم » يعزو ذلك لا إلى أبناء اليمن أنفسهم، وإنما مرجعه في الغالب إلى تقاصر الهمم، وتخاذل العزائم، عن اقتحام ذلك السور المنيع الذي نصبته الطبيعة دون هذا البلد الغامض، حتى عاشت اليمن في عزلة لا عن العرب فحسب، بل عن العالم أجمع، ولم يعد يعرف الناس شيئاً كثيراً عنها منذ أن تداعت حضارتها، وتهدمت سدودها، ودبَّ الشقاق والخلاف بين أبنائها).

إننا نجد في رحلات المستشرقين والباحثين منهم عن تاريخ اليمن وحضارتها الشيء الغريب النادر من الاستطلاعات، والدراسات، والتنسيقات، والأبحاث، ذات القيمة العلمية، والتاريخية، والاجتماعية.

ولقد صدرت مجموعة من المؤلفات الموضوعة والمترجمة عن بلاد اليمن، إلا ان أغلبها عالج القضايا التي تبحث عن المجتمع اليمني، أو في سياسة أبنائه. ويأتي من الشرقيين العرب الكاتب اللبناني الرحالة (أمين الريحاني) في كتابه « ملوك العرب »، والمؤرخ العراقي الدكتور (جواد علي) في موسوعته « تاريخ العرب ».

أما الأدب في اليمن فلم تنشر دراسات ذات بال عنه وعن رجالاته، إلا دراسة الشاعر (هلال ناجي) والشاعر (أحمد محمد الشامي)، إضافة إلى

---

(١) راجع قصة الادب في اليمن للاستاذ احمد محمد الشامي ص ٧، المقدمة.
(٢) راجع مقدمة تاريخ اليمن – بهجة الزمن – للشاعر ابراهيم الحضراني ص ٣ وما بعدها.

بحـــوث متناثرة هنا وهناك لا تروي ظمأ الصدي من المحققين والباحثين والدارسين [1] .

* * *

يبدأ الديوان في صميمه بقافية (الهمزة) وأولها قصيدته :

خير شعرٍ فاهت به الشعراءُ (كيف ترقى رقيك الأنبياء) [2]

ومنها :

إن تسلني عن الهوى يا بن ودّي فهـــو داءٌ له الوصال دواء
كل أمر ناب المحبـــين فالشد ة فيـــه محمودة والرخاء
وإذا سخّر الإله أناســـاً لسعيـــدٍ فـــإنهم سعداء

ومن قافية (الباء) [3] :

قد جاء من سبأ نشر الصبا بنبا عن فهمه مُرهف الذهن الصقيل نبا

ومنها :

هناك سرٌ خفي ليس يفهمه إلا شَجٍ بات عن مغناه مغتربا
مثلي فإني بعد البعد عن وطني ومن أقـــام به من جملة الغربا
برق الغمائم أو سجع الحمائم أو نشر النسائم أذكى في الحشا لهبا [4]
برق يلوح وقمريّ تنـــوح وأر ياح تروح وتغدو لم تجـــد تعبا

ومن قافية (التاء) قوله من قصيدة [5] :

وغنيت من طول الصبابة والهوى عليها كما غنّى الحمام وغرّدتُ

---

(١) راجع دراستنا عن الشاعر اليمني محمد محمود الزبيري في كتابنا (العراق في الشعر العربي والمهجري) ص ٣٢١ .
(٢) هذا من شعر (البوصيري) في مدح الرسول الاعظم (ص) راجع المخطوطة ص١
(٣) المخطوطة ص ٤ .
(٤) ورد البيت مغلوطاً من المخطوطة (برق الحمائم أو سجع الغمائم) والصحيح كما أثبتناه .
(٥) راجع المخطوطة قافية التاء .

وما ابتسم الروض الأريض الذي مق ... سرت نسمة فيه تذكرت واشتقتُ
إذا ما غدت فيه غدوت صبابة ... وشوقاً وإن راحت معطرة رحت
وإن غربت غرّبت شوقاً ولوعة ... وإن شرّقت من ذلك شرّقت (؟)
سقى مدمعي روضاً إذا ما ترنمت ... عليه الحمام الورق شدواً ترنمت
إذا طلعت شمس النهار فسلّموا ... عليّ فإني عند ذلك سلّمْتُ
أحنّ اليكم كل يوم وليلة ... فما حلت عن عهدي القديم ولا ملت

ومنها :

لها نفحة الفلّ الزبيدي ولونه ... لذلك نوّعتُ الكلام ولوّنتُ
ألا ليت اني من جناحي طائر ... طوى بها ثوب الهواء تمكنت
كأني بروح القدس فيما أقوله ... من النظم في وصف الكواعب أيدت
وكم لي من وصف يكاد لحسنه ... يحرّك عطفيه من الطرب الوقتُ

ومن قافية (الجيم) [1] .

قد أقبل الإقبال نحوك زائراً ... واللطف من أردانه يتأرّجُ
وافاك في حلل السعادة زانه ... طرف كحيل نرجسيٌ أدعج
واتاك في حلل السرور وثغره ... عذبٌ نظيمٌ لؤلؤيٌ أفلج

ومن قافية (الحاء) قوله :

شجى قلبي ترنمه ... حمام في الحمى صدحا
أتى بطريقة في السجـ ... ـع مثلي تعجز الفصحا
تثنى البان لما فا ... ح في أغصانه مَرحا
له الأوراق راحات ... تصفق مذ شدا فرحا
وريح نشرها عبق ... كثير المسك إن نفحا

ومن قافية (الخاء) قوله :

ما كان في ظني أن تشمخا ... عني وأن تنسى شروط الإخا
يا سورة للمجد آياتها ... محكمة يبعد أن تنسخا

(١) لم ينظم في قافية (الثاء) شعراً في المخطوطة المذكورة .

ويا هلالاً في سماء الوفا ... به زمان السعد قد أرّخا
ماذا على الريح التي سُخرت ... في الودّ لو تجري بامري رخا

ومن قافية (الدال) قوله : مداعباً لبعض اخوانه ومعرّضاً بذكر النقش في أيدي النساء :

للنقش في الأيدي عليّ أيادي ... بيض حكت في الحسن وجه سُعاد
أترى الملاح الغانيـــات مزجنـُه ... بسواد عيني أو سواد فؤادي
.. أحمامة الوادي لقد اطربتني ... طرباً تمايل منه بان الوادي
وجرت سيول مدامعي وسيوله ... فكأننا كنـّــا على ميعاد
إن السلام مع الوداع وإن حلا ... ممـــا يزيد حرارة الأكباد

ومن قافية (الراء) قوله – ولم يرد له شعر في قافية – (الذال) :

أحبـّتِي إن أتتكم نسمة السحر ... ففتشوها فقد أودعتها خبري
وكلما قد جرى لي من صفاتكم ... من كل معنى لطيف طيب عطر
سقى عهودي التي مرت بكم وخلت ... دمعي إذا ما كفاها واكف المطر
بالعدل قاماتكم(؟)ما بيننا اشتهرت ... ونحن من خوفها نمشي على حذر
لم يبق للجور في أيامنا أثر ... إلا الذي في عيون العين من حور

ومن قافية (الضاد) قوله :

في المنحنى من اضلعي نار الغضا ... أسفاً على عهـــد بكاظمة مضى
يا أهل ذاك البيت من شرقيّه ... كم عودة لي في الغرام إلى الرضا
.. قد صرت مقصوص الجناح فلم أطق ... والحال ما أوضحته أن أنهضا
من ذا يجود من الطيور بعرضه ... فأنا الضمين له بأن يتعوضا
بالله عجّل يا حمـــام بريشة ... منه فعادة ذي الوفا أن يقرضا
قالوا الخيـــال حياته لوزاره ... قلت الحقيقة قلـــتم لو غمضا

ومن قافية (العين) قوله :

أذال على فراقهـــم الدموعا ... وحنّ صبابـــة وبكى ولوعا
وذابت نفسه أسفاً إلى أن ... جرت في دمـــع عينيه نجيعا
وبين ضلوعـــه قلب شجي ... ويوم وداعهم هجر الضلوعا

محب أودع المحبوب قلبـاً   له وكفى بمن يهـوى وديعا
ولما سار عنهم قـدر ميل   تذكر عهدهم ولوى الرجوعا
ودار على المدائن وهو يسقى   بدمع العين هاتيك الربوعـا
ويبطي سيره عنهم ومهـما   ثناه الشوق وافـاه سريعا

ومن قافية (الفاء) قوله :

وغرفة تقصر عنها الغرف   واصفها يصدق فيما وصف
تبارك الرحمن كم زخرف   رتبه الصانع فـيما رصف
أقـرّ بالتقصير عن حسنها   كل مكان حسن واعترف
تريك زهـراً بعضه يجتنى   غضاً وبعضاً لم يكن يقتطف

ومن قافية (القاف) قوله وقد ضمنت بعض أبياتها من شعر (ابن زيدون) في قصيدته المشهورة :

يا ليت شعري أشعري رق أوراقا؟   فكم ملأتُ اليكم منه أوراقا
وكم نظمت على منوال ما نظمت   به الغواني أفواهـاً وأعناقا
تلك اللآلي تساوت في محاسنها   وقد يفضّل در الثغر من ذاقا
هي السعادة في كل الأمور وقد   وجدتها بعد طول البحث أرزاقا
.. هذا يشير إلى هذا وينشده   (إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا)
خصر الحبيب عليل حين عانقني   (كأنه رقّ لي فاعتل اشفاقا)

ومن قافية (اللام) قوله — وقد أرسلها إلى ابن عمه حسين بن زيد وقد خرج إلى نخل (زبيد) بأهله — :

كيف ظـل للباسقات ظليل   مستطيل يطيب بـه المقيل ؟
لو أطاع النخيل يوماً لسان   قال فيهم كما أقـول النخيل
ولأمست وأصبحت من هواهم   تتغنى أغصانـه وتميـل
صار ما بيننا النسيم رسولاً   غير أن الرسول هذا عليل
قلت لما رأيته وهـو مثلي   (ما لنا كلنا جوى يا رسول) ؟
إن مـا بيننا إختلافاً كثيراً   أنا أهوى وقلبك المتبـول

كلما عـــاد من بعثت إليهم　　غار مني وخان فيما يقول
.. ليت شعري ما باله رق شعري　　وحلا طعمـــه وكاد يسيل
ليت شعري يا من حلى فيه شعري　　(هل إلى نظرة اليك سبيل) ؟
فالقوارير اسكنته بفيهـــا　　يا نديمـــي لأنـــه سلسبيل
فتناول يا صاح منها كؤوساً　　كل كأس مزاجه زنجبيـــل

ومن قافية (المـــيم) جاء من قصيدة سار فيها على خطوات شاعر العروبة الكبير (أبي الطيب المتنبيء) ، ولكنه لم يتوصل إلى أقرب من ساحة مجده ، ولم يدخل إلى باحة عزّه ، ومنها قوله وقد أرسلها إلى اخوانه (بجبور) يتشوق إليهم وضمنها من شعر أبي المحسّد :

أين العهود من الأحباب والذمم ؟　　ما بالهم نثروا العقد الذي نظموا
يا ليت شعري أشعري في مسامعهم　　يحلو كما قد حلا في فيّ ذكرهم
لا أحفظ العهد إلا ضيعوه فما　　ذاك الذي نكروا مني وما نقموا
..في البعد والقرب قد أضحت محبتهم　　عندي سواء فهم في الحالتين هم
والله لولا سقام من جفونهم　　ومن خصورهم ما مسنى سقم
قد جزأوا والقلب أجزاء وما تركوا　　لي غير جزء يسير ليس ينقسم
.. إن قطعوا بسيوف الهجر حبته　　(فما بجرح إذا أرضاهم ألم)
أتهجرون فتى يهواكم أبداً　　(واحر قلباه ممـــن قلبه شبم)
(وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة　　إن المعارف في أهل النهى ذمم)

ومن قافية (النون) وسار بها على نهج (ابن زيدون) الأندلسي وضمنها من نونيته الشهيرة قوله :

ما رأيكم يا أهيل المنحنى فينا　　هل شاهد الحال يكفيكم ويكفينا ؟
أم لا فما قد رأيتم من ضمائرنا　　من الصبابـــة يغنيكم ويغنينا
حديثكم يشبه الأوتار إن ضربت　　بها الأنامل تحريكاً وتسكينا

فكل عينٍ وأذنٍ تجتني زهراً | هذي تفوز بها حيناً وذي حينا
وكلما رقصت أعطافكم طرباً | نقول من طرب ياسين ياسيا
أرواحنا بلغت مما نكابده | من طول أعراضكم عنا تراقينا
صرنا نعانق أغصان الرياض متى | تمايلت وحكت أعطافكم لينا
لم يجرِ منّا سوى الدمع الذي مزجت | به النفوس وسالت من مآقينا
وبات ينشدكم والعود في يده | (أضحى التنائي بديلاً من تدانينا)

* * *

ويستمر في شعره إلى آخر قافية (الياء) ومن بعد ذلك يأتي دور شعره (الحميي) الذي أسموه بغذاء الأرواح – أو (الموشحات ونوادر الأصداف).

إن هذه النماذج قد لا تعطي الصورة الواضحة عن هذا الشاعر اليمني المغمور في تيار هذه الحياة . ولكننا عندما نزيل آثار الزمن القاسي عن ملامح وجهه الشعري في ديوانه ، سنرى حينذاك أن في (اليمن) الشقيقة شعراء يعتز بآثارهم ، وبروائع عبقرياتهم. وإلى الدراسة القابلة عن عصر الشاعر (الحجاف) وعن حياته ، وخصائص شعره الفصيح والزجلي . والآتي قريب إن شاء الله.

بغداد – كلية الآداب | الدكتور محسن جمال الدين

أهم مصادر الدراسة :

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) قصة الآداب في اليمن – بيروت ١٩٦٥ م .
(٣) تاريخ اليمن – القاهرة – ١٩٦٥ م .
(٤) الأنباء عن دولة بلقيس وسبا – القاهرة ١٣٧٦ هـ .
(٥) البدر الطابع – القاهرة ١٣٤٨ هـ .
(٦) حديقة الأفراح – » ١٣٠٢ هـ .
(٧) نفحة اليمن – » ١٣٥٦ هـ .
(٨) الأعلام – » ١٩٥٩ م .
(٩) معجم المؤلفين – دمشق ١٩٦١ م .
(١٠) دامغة الدوامغ – لندن ١٩٦٦ م .

كتاب «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

للامام أبو اسحق الحربي – تحقيق الشيخ حمد الجاسر – ٨٢٤ من الحجم الكبير – منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض

لقد كنت أحسب – كما يحسب غيري من قراء الضاد في أرجاء العالم العربي كله – أن أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالماً محققاً فحسب ، إلى أن اكتشفت أن لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعده أيضاً عالماً من علماء الآثار وعلماً شامخاً من أعلامها المجيدين ، ورائداً من روادها القلائل . فهو – كما أرى – قد آلى على نفسه ألا يدخر وسعاً في العمل بجد وأمانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتنقيب في المناطق الأثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة في أية بقعة من البقاع وفي أي ركن من أرجاء المعمورة . وهو إذ يمارس هذا العمل الشاق إنما يمارسه بفطنة العالم ببواطنه وخوافيه، وبقدرة المتمكن من نفسه ومن عمله، والمقتدر على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر أن تتوفر لسواه من العلماء في استكشاف تلك الآثار الثمينة القمينة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن أن تقع عليها من قبل إلا عين بصيرة فاحصة كالتي يمتاز بها أستاذنا الكبير .

أما الآثار التي كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهي بالحق كنوز مليئة باللآلىء والدرر الغوالي . ثم هو – كما هي شيمته دائماً – لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد أن تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ في تنضيده وترتيبه وإزالة ما قد يكون عالقاً به من غواشي ويظل يتعهده بعنايته الفائقة الى أن يضع عليه لمساته الأخيرة ويغدو عملاً

منسقاً كاملاً فيضعه بين يدي مقدريه في تواضع جبل عليه . وكان ذلك عليه هين لأنه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .

واليوم يقدم لنا عالمنا الأثري كنزاً ثميناً من الكنوز القديمة التي عثر عليها وحققها ، يرجع أثره إلى أوائل القرن الثالث الهجري. فهو للامام أبي اسحاق الحربي عن « المناسك » وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

والإمام الحربي هذا هو العالم الجليل ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم أبو أسحق الحربي ، (١٩٨ — ٢٨٥ هـ) ، من أعلام العلم والثقافة في القرن الثالث الهجري، كان جديراً بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لعمق تأثيره في كثير من جوانب الحياة ، في ذلك العصر ، دينية كانت أو لغوية أو جغرافية. ولد ببغداد واتجه لطلب العلم في سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف أن المرء في ذلك العهد يبدأ أول ما يبدأ في الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للأخذ عنهم . وفي الثامنة عشرة من عمره بلغ في علم الحديث درجة لا يبلغها إلا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .

وفضلاً عن الصلة التي تربط بين الإمام ابن حنبل وبين الإمام الحربي من أنهما ينتميان في الأصل إلى بلدة واحدة هي (مرو) فإن نشاط الحربي ، وعلو همته ورغبته في تحصيل علم الحديث مما جعله يتصل بالامام أحمد بن حنبل بعد أن تلقى ذلك العلم على يد صغار الشيوخ ، فكان له ما أراد .

ولقد لازم الحربي الامام ابن حنبل من الثالثة والعشرين إلى الثالثة والأربعين في طلب علم الحديث . وعلى هذا يمكن القول بأن الحربي قد تأثر أبلغ الأثر في أفكاره وآرائه بشيخه الإمام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحاً فيما أثر للحربي من آراء وأفكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما أخرجت بغداد بعد الامام أحمد بن حنبل مثل الامام الحربي » .

وكان أبرز جانب نراه في حياة الحربي العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه

إلى اللغة العربية دراسة وتأليفا، ولهذا فاننا نرى من أبرز آثاره كتاب «غريب الحديث»، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه، ومحاولة إيجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار في كتابة اللغة متأثراً بطريقة المحدثين، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكان أبرز سمة من سمات حياة الحربي الخاصة اعتزازه بكرامته، وترفعه بها من أن تنال، انه يدرك أن العالم يجب أن يسمو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم، أو يحط بقيمته .

وكان رضي النفس كريما، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربي بمظهره الخارجي من حيث اللباس إلا أنه كان يحرص على أن يظهر بمظهر الكمال من حيث الصفات الفاضلة .

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه في التأليف إلى نواحي خاصة على نبله وكرم خلاله، فهو يؤلف عن اكرام الضيف، وعن ذم الغيبة، وعن الهدية والسنة فيها، وعن الحمام (بتشديد الميم) وآدابه .

ولقد ضاعت جل مؤلفاته، ولم يبق إلا اليسير منها مما نجد ذكره مفرقاً فيما وصل الينا من المؤلفات التي وصفها الخطيب بأنها كثيرة [١]، ومنها :

(١) كتاب « اتباع الأموات »، (٢) كتاب « الأدب »، (٣) كتاب « اكرام الضيف »، (٤) كتاب « التفسير »، (٥) كتاب « التيمم »، (٦) كتاب « دلائل النبوة »، (٧) الحمام وآدابه، (٨) ذم الغيبة، (٩) سجود القرآن، (١٠) كتاب السروى، (١١) كتاب « العلل »، (١٢)

---

(١) الجزء السادس من « تاريخ بغداد » ص ٢٨ .

غريب الحديث ، (١٣) القضاة والشهود ، (١٤) كتاب « المغازي » ، (١٥) كتاب « مناسك الحج » ، (١٦) كتاب « النهي عن الكذب »، (١٧) كتاب « الهدايا والسنة فيها » .

ولقد ترجم للامام الحربي كثير من المؤرخين منهم :

١ – علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه في كتابه « مروج الذهب » .

٢ – محمد بن اسحق بن النديم من أهـــل القرن الرابع الهجري ، ترجم الحربي في « الفهرست » .

٣ – الخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ في كتابه « تاريخ بغداد » .

٤ – القاضي أبو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلي المتوفي سنة ٥٢٦ هـ في « طبقات الحنابلة » .

٥ – ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ ترجمه في كتاب «معجم الأدباء».

٦ – ابن القفطي علي بن يوسف المتوفي سنة ٦٤٦ هـ ترجمـــه في كتاب « انباء الرواة » .

٧ – الامام محمد بن أحمد الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ ترجمه في كتبه : « سير أعلام النبلاء » و « تاريخ الاسلام » و « طبقات الحفاظ » .

ومما جاء في كتاب « مروج الذهب » ما نصه : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القيادة ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ؛ وربما مزح مع بعض أصدقائه بما يستحي منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين في وقته ، وظريفهم » ..

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير في نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم في جميع جوانب حياته ، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام أبو اسحق الحربي صاحب الأثر الذي نحن بصدده . أما الأثر نفسه الذي تركه لنا منذ قرون وكاد أن يندثر وتأتي عليه يد البلى لولا

أن وقع عليه أستاذنا الجاسر فانقذه من الضياع فهو كتاب «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ..

وهذا الكتاب الذي نقدمه للقراء يُعد منأنفس الكتب التي تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التي تضيف إلى ثقافتنا الجغرافيـــة أشياء نافعة حقاً . ولها في تراثنا العلمي العربي قيمة علمية كبيرة جداً . أما الميزات التي يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الذي تبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير – فهي كثيرة ، أهمها :

١ – إنه أثر ترجع نصوصه كلها إلى القرن الثالث الهجري فما قبله عن علماء ورواة ذوي خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه ومن هذا فانه يعتبر من أصول الدراسات القديمة في تحديد المواضع وفي مختلف النواحي الثقافية التي طرقها الكتاب .

٢ – وفي الكتاب تصحيح لمعلومات خاطئة ، واكمال لأخرى ناقصة .

٣ – يوضح لنا هذا الكتاب أصول أقوال وردت الينا في بعض المؤلفات بدون ذكر أصحابها .

٤ – ويورد معلومات أخرى وصلت اليـنــا من كتب نظنها سبقت إلى ذكرها ، فيوردها بطريقة أخرى تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك فيما أورده متعلقاً بتاريخ الآثار المقدسة بمكة .

٥ – وفي الكتاب نصوص مطولة ، من كتب مفقودة مثل كتاب « تاريخ المدينة » ليحيى بن الحسين العلوي الذي لم نعرفه إلا بواسطة السمهودي مؤرخ المدينة المتأخر .

٦ – أما النصوص الأدبية الشعرية ، فيوشك أن يكون هذا الكتاب هو الوحيد في جمع ما قيل من الأراجيز . فهو يمدنا بذخيرة طيبة من الأراجيز الطويلة الكاملة في تحديد طرق الحج من العراق إلى المدينتين المقدستين ، وهي أراجيز ذات قيمة كبيرة إذ أنها تحدد المنازل ، منزلة منزلة ، بحسب سير موكب الحج في ذلك العهد ، وتصف كثيراً من الأماكن وصفاً دقيقاً مما يزيد قيمتها اللغوية والأدبية .

وليس المقام مقام دراسة لمحتويات الكتاب ، وإنما المقصود الإشارة إلى أهميته إشارة نرجو أن يكون من ورائها ما يحفز الباحثين إلى دراسته من مختلف نواحيه . لا سيما وقد بذل أستاذنا العلامة الشيخ الجاسر في تحقيق هذا الأثر العظيم –الذي يتمثل في مخطوطة فريدة مشحونة بالتصحيف والتحريف– جهوداً يقصر دونها كل اطراء ولا يبلغ شكرها أي ثناء . فلقـــد سلك في التحقيق طريقاً قويما وبنى عمله في الكتاب على أسس موضوعية متوخيا عدة أمور منها :

١ – تقويم الأصل ما أمكن بالرجوع إلى المصادر التي لها صلة بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة إلى تلك المصادر .

٢ – اضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الأمكنة والمواضع ، وبعض الأعلام .

٣ – تقويم عبارة الكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الاشارة إلى ذلك في الهامش .

٤ – ترتيب الكتاب بحيث يفيد منه طلاب التاريخ والعلم والأدب أعظم فائـــدة .

وفي ختام هذا التحليل الموجز لكتاب « المناسك » ، لا يسعني إلا أن أسدي الشكر وافراً وجزيلا لأستاذي الجليل الشيخ الجاسر على ما بذل من مجهود صادق في سبيل تحقيق هذا الأثر الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة البالغة حد الكمال والجودة وحسن الترتيب وروعة الاخراج ، وعلى ما تفضل به علينا من زاد أدبي وعلمي ، داعياً له بطول العمر مـــع الصحة والعافية وراحة البال .

مجلة « الأديب »: نيسان ١٩٧١ الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

حول كتاب :

العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك (١) ونسبته للخزرجي

نشرتم في الجزء الخامس من السنة الخامسة من مجلتكم الغراء مقالاً للدكتور نوري حمودي القيسي عن كتاب : « **العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك** » .

وهذا كتاب هام في تاريخ اليمن الإسلامي عالج فترة طويلة من هـذا التاريخ الحافل. وقد كان هذا الكتاب من ضمن المؤلفات التي اختلف المؤرخون والنقلة في نسبته إلى مؤلف معين. فنسب تارة إلى المؤرخ ابن وهّاس الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ وتارة إلى الملك الأشرف اسماعيل بن الأفضل الرسولي المتوفى سنة ٨١٣ هـ.

ومن الكتاب مخطوطات عدة نسب بعضها إلى الأشرف والبعض الآخر إلى الخزرجي ، كما ورد عنوانها على كل منها بصيغة مخالفة الأخرى، كالآتي :

١ – **العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك فيمن ولي اليمن من الملوك :**

نسخة مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢٦٥ ب المصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٧٣٦ تاريخ . ونسبتها للخزرجي .

٢ – **العسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك :**

نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٨٦٣ تاريخ، المصورة بمعهد المخطوطات برقم ٧٣٦ تاريخ ، ومصورة بالفوتوستات في مكتبة المجمع العلمي العراقي، ونسبتها للخزرجي .

---

(١) جزء من كتاب « مصادر تاريخ اليمن » الذي أقوم بإعداده للنشر إن شاء الله .

٣ – **العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك :**

نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم ١٨ ، المصورة بمعهد المخطوطات برقم ١١٣٦ تاريخ . ومنسوبة للملك الأشرف الرسولي .

٤ – **العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك :**

نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ٤٧ ، المصورة بمكتبة ليدن Liden , Cat Voorh p. 25 ومنسوخة في مكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة . منسوبة للخزرجي .

٥ – **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك :**

نسخة مكتبة برلين رقم Berlin 1214 منسوبة للخزرجي .

٦ – **العسجد المسبوك في أخبار الخلفاء والملوك :**

نسخة الأستاذ قاسم محمد الرجب[١] ، منسوبة للخزرجي .

٧ – **العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك :**

نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، المصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٨٩ ميكروفيلم للاشراف الرسولي .

٨ – نسخة مكتبة الامام يحيى بصنعا رقم ٥١ تاريخ ، المصورة بدار الكتب برقم ٢١٥ ميكروفيلم ، وتنتهي إلى سنة ٨٠١ وبآخرها تكملة من كتاب : « الكفاية والأعلام » للخزرجي من ٨٠١ – ٨٠٢ وتكملة أخرى من ٨٠٢ – ٨٠٣ من كتاب « العقود اللؤلؤية » للخزرجي .

والنسخة منسوبة للملك الأشرف .

وذكر البغدادي الكتاب في « ايضاح المكنون » (٢/١٠١) باسم **العسجد المسبوك في أخبار الخلفاء والملوك** للأشرف الرسولي .

ونسبه السخاوي في « الضوء اللامع » (٢ / ٢٩٩) للأشرف الرسولي وسماه : « **العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك** ».

---

(١) كوركيس عواد : مجلة المكتبة العراقية ٧٠ – ١٩٧٠ – ، ١٠ – ١١ .

كما نسب اليه أيضاً « **العقود اللؤلؤية في أخبـــار الدولة الرسولية** » للخزرجي . ولم يذكره ضمن مؤلفات الخزرجي ولم يذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » :

* * *

ولنستطيع أن نحدد نسبة هذا الكتاب إلى أحد الرجلين يتعين علينا تعريف كل من المؤرخين ودراستهما .

فالخزرجي هو : موفق الدين أبو الحسن علي بن أبي بن بكر بن الحسن بن علي الخزرجي بن وهاس الزبيدي اليمني المتوفى سنة ٨١٢ هـ ١٤١٠ م [١] .

ألـّف ثلاثة كتب في تاريخ اليمن ، أحدها رتبه على السنوات ، والثاني على الأسرات ، والثالث حسب الأسماء على حروف المعجم .

الأول – **العسجد المسبوك** المشكوك في نسبته اليه .

الثاني – **الكفاية والأعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الاسلام** .

وهو كتاب في تاريخ اليمن وذكر ملوكه وعلمائه . [٢] ومنه نسخ كثيرة في باريس والفاتيكان والمتحف البريطاني وليدن وبانكبور واليمن وخدابخش بتنة وجامعة يايل بأمريكا ...

وأظن أنه أخرج من هـــذا الكتاب كتابه : « **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** » [٣] الذي يتضمن أخبار ملوك اليمن من أسرة

---

(١) ترجمته في : الضوء اللامع ٥ : ٢١٠ ، شذرات الذهب ٧ : ٩٧ ، أنباء الغمر بأنباء العمر «خ» وفيات سنة ٨١٢ ، أئمة اليمن لزبارة ١ : ٢٩٧ ، ملحق البدر الطالع ١٦١ ، معجم المطبوعات العربية ٨٢٢ ، الاعلان بالتوبيخ ١٣٤ ، الاعلام ٥ : ٨٣ ، معجم المؤلفين ٧ : ٦١ ، CAL . II , 235 (184) , 5II , 238

(٢) يرجح المرحوم الأستاذ فؤاد سيد أن هذا الكتاب هو القسم الخاص باليمن من كتاب المؤلف العسجد المسبوك « فهرس المخطوطات المصورة – التاريخ – ٣ : ٢٤٥ » .

(٣) طبع هذا الكتاب في مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٩١١ في جزءين بتحقيق محمد بسيوني عسل « ضمن مجموعة جب التذكارية » وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست ونقل الى الانجليزية بعنوان : The Karl - String a history of the Rasuliyy dinasty of Yémen (1 – 3) . Leiden 1906 .

بني رسول وتاريخ اليمن في عصرهم .

الثالث « **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن** » المعروف أيضاً باسم « **العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اليمن** » .

ويشتمل على مقدمة في سيرة رسول الله ﷺ مع تراجم للأعيان مرتبة على ثمانية وعشرين باباً على حروف المعجم ، ويلي ذلك بابان أحدهما للكنى والآخر لأسماء النساء ، احتذى فيه منهج البهاء الجندي المتوفى سنة ٧٣٢ في كتابه : « السلوك في طبقات العلماء والملوك » .

ومن الكتاب نسخ كثيرة في اليمن ودار الكتب المصرية والمتحف البريطاني وليدن وروسيا .

هذه هي مؤلفات الخزرجي الأساسية التي اشتهر بها . وقد أجمع من ترجموا له على أنه اعتنى بأخبار بلده فجمع لها تاريخاً على السنين وآخر على الأسماء وآخر على الدول . وهذا قول ابن حجر في معجمه الذي نقله تلميذه السخاوي في الضوء اللامع : (٥ / ٢١٠) كما أن ابن حجر اجتمع بالخزرجي في زبيد كما ذكر ذلك في « أنباء العمر » .

أما الأشرف الرسولي فهو: الأشرف أبو العباس اسماعيل بن الأفضل العباس ابن المجاهد علي بن المؤيد بن داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول الغساني المولود سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م المتوفى سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م .[١]

ولم ينسب اليه أحد ممن ترجم له كتاب « المسجد المسبوك » غير السخاوي في « الضوء اللامع » (٢ / ٢٩٩) والذي لم يذكر له كتابه الذي نسبه اليه باقي من ترجموه ومنه نسخ في مكتبات العالم وهو كتاب : « **فاكهة الزمن ومفاكهة [ذوي] الآداب والفطن في أخبار من ولي اليمن** » المعروف أيضاً باسم « **مرآة الزمن في تخالف أخبار اليمن** » ومنه نسخ في التيمورية ومكتبة مانشستر .

---

(١) ترجمته في العقود اللؤلؤية ٢ : ١٦٣ — ٣٢٠ ، الضوء اللامع ٢ : ٢٩٩ ، تاريخ ثغرعدن ٢ : ٢٢٠ ، الأعلام ١ : ٣١٣ ، معجم المؤلفين ٢ : ٢٨٥ ، ÇAL. SII 236 .

وترجمه العيني : بأنه كان مولعاً بالتاريخ مشتغلا بأخبار الناس وقد جمع تاريخا خاصاً في آخرين[1].

وقد ترجم با مخرمة في كتاب « تاريخ ثغرعدن » [2] الأشرف الرسولي ترجمة هامة ربما نخرج منها بشيء هام يفيدنا في نسبة هذا الكتاب فهو يقول: (... له مصنفات من النحو والفلك وأخبار الخلفاء والملوك وغير ذلك ، ويقال أنه يضع وضعا ويأمر من يتم على ذلك الوضع ثم يعرض عليه فما ارتضاه أثبته وما لا يرتضيه حذفه وما وجده ناقصاً أتمه) .

وكان الخزرجي معاصراً للملك الأشرف ، فربما أمره بتأليف كتاب في في تاريخ اليمن ، أو أن يؤلف له كتاباً في تاريخ اليمن على السنوات ، أو بدأ هو هذا الكتاب ثم أمر الخزرجي بإتمامه . أو أن يكون الخزرجي قد ألفه باسم الملك الأشرف تقرباً منه ! وتداول بعض الناس النسخ المثبت عليها اسم الأشرف فنسبوه اليه ، وتداول آخرون النسخ المثبت عليها اسم الخزرجي فنسب اليه .

وإذا رجعنا الى نسخة مكتبة الإمام يحيى بصنعاء، ربما نؤيد هذا الرأي، فالنسخة تنتهي بحوادث سنة ٨٠١ وبآخرها تكملتان من كتابي « الكفاية والأعلام » و « العقود اللؤلؤية » وكلاهما للخزرجي . والنسخة منسوبة للملك الأشرف . فإذا افترضنا أن الملك الأشرف بدأ الكتاب أو أمر الخزرجي بكتابته فانتهى فيه إلى سنة ٨٠١ ، وفي هذا الوقت كان الخزرجي قد أنجز كتاب « الكفاية والإعلام » فأضاف منـــه على الكتاب الى سنة ٨٠١ ، ثم استل منه كتابه « العقود اللؤلؤية » — كما ذكرت — فأضاف منه إلى حوادث ٨٠٣ وهي السنة التي توفي فيها الملك الأشرف ، وبالفعل تنتهي حوادث كتاب « العقود اللؤلؤية » إلى سنة ٨٠٣ .

وهذا الكتاب على الترجيح للمؤرخ الخزرجي للأسباب التي أشرت اليها

---

(١) الضوء اللامع ٢ : ٢٩٩ .
(٢) تاريخ ثغر عدن ٢٠ : ٢١ .

وكما أفاد مترجموه، ومن نقلوا عنه مثل ابن الدَّيبع الشيباني المتوفى سنة ٩٤٤هـ. وهو مؤرخ يمني ثقة له عدة مؤلفات في تاريخ اليمن ، ذكر في مقدمة كتابه : « **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** » أنه لخصه من كتاب « العسجد المسبوك » للخزرجي .

وورود كلمة (قال الخزرجي) في اغلب صفحات الكتاب وفي جميع نُسخِه مما يؤيد نسبة الكتاب الى الخزرجي .

أما ورود كلمة (قال المؤلف) رحمه الله التي ذكرت في نسخة مكتبة الحرم المكي كما ذكر الدكتور القيسي في مقاله فهي ولا شك من فعل أحد النساخ ، كما نلحظ ذلك في كثير من المخطوطات .

وقد أشار الأستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي في مقاله الى المصادر التي اعتمد عليها مؤلف كتاب « العسجد المسبوك » وذكر من بينها كتاب «العقد الثمين » للملك الحاتمي ولم يتوصل إلى معرفة مؤلف هذا الكتاب .

وأقول هو : بدر الدين ، محمد بن حاتم اليامي الهمداني ، ومعلوماتنا عنه قليلة فهو من أعيان اليمن في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وكان موجوداً الى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢ م يستدل على ذلك مما ذكره الخزرجي من كتابه « العقود اللؤلؤية » (١ / ٣٣٨) من أن السلطان المؤيد داود أرسله إلى حصن ظفار في تلك السنة (٧٠٢ هـ) للاتفاق نيابة عنه مع الأشراف الزيــــدية .

وهو من سلالة بني حاتم الهمدانيين ملوك صنعاء ، وكان مقرباً لدى سلاطين بني رسول كما يستفاد من كلام الخزرجي عنه في « العقود اللؤلؤية » . وقد ظل محتفظاً بمكانته عندهم حتى عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف . [1]

ومن مؤلفات ابن حاتم كتاب « **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن** » ذكر فيه تاريخ الدولة الأيوبية في اليمن من دخول الملك المعظم تورانشاه بن أيوب اليها سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م إلى نهايتها ، ثم من مبدأ الدولة

---

(١) محمد عبد العال أحمد: «الفتح الأيوبي لليمن» مجلة معهد المخطوطات ١٩٦٤/١ : ١٣٩-١٤٠

الرسولية الملك الأشرف عمر الرسولي اي إلى سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ . وقد نشر الأستاذ محمد عبد العال أحمد بجامعة الاسكندرية الصفحات الست الأولى من مخطوطة الكتاب المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٤١١ تاريخ والمتعلقة بالفتح الأيوبي لليمن في مجلة معهد المخطوطات ١٠ (مايو ١٩٦٤) ١٤٦–١٦٠ ويقوم بتحقيقه كاملا واعداده للنشر المستشرق الانجليزي G. Rix Smith بكلية تشرشل بكامبردج بإنجلترا. بمعاونة المستشرق الانجليزي الكبير الدكتور سرجنت Serjeant .

وكتابه الثاني هو : « **العقد الثمين في أسماء ملوك اليمن المتأخرين** » وهو الذي أشار اليه الدكتور القيسي . والكتاب يؤرخ فترة سابقة على الفتح الأيوبي لليمن ثم للعصر الأيوبي نفسه ، كما هو واضح من نقول الخزرجي وغيره عنه . ويذهب المستشرق الانجليزي هنري كاسل كاي H. D. Kay في مقدمة كتاب « تاريخ اليمن » لعمارة اليمني (طبعة ليدن والتي ترجمها الى العربية الدكتور حسن سليمان محمود ، القاهرة ١٩٥٧) إلى أن كتابي « العقد الثمين » و « السمط » كتاب واحد وان اختلفا في العنوان معتمداً على مقارنة نسخة المتحف البريطاني من كتاب « السمط » على النقول المنقولة عن كتاب «العقد» في كتب الخزرجي وغيره .

ولكن الأستاذ محمد عبد العال يرجح أن يكون لابن حاتم مؤلفان أحدهما وهو كتاب « السمط » وقد بدأه بالفتح الأيوبي وقصره على أخبار الغز باليمن والثاني كتاب « العقد الثمين » وقد ضمنه أحداث اليمن قبل الفتح الأيوبي وبعده وربما قصد به ذكر أخبار ملوك صنعاء من بني حاتم – وهم أجداده – وصراعهم مع بني مهدي أصحاب زبيد . »[1] .

ولا نعرف من الكتاب نسخاً مخطوطة لنتمكن من إجراء مثل هذه المقارنة.

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت للادلاء برأي حول نسبة كتاب هام في تاريخ اليمن إلى مؤلف معين .

القاهرة

أيمن فؤاد سيد

---

(١) نفس المرجع ص ١٤٣ – ١٤٤ .

ديوان أبي الهندي

صنعة عبدالله الجبوري

صوابٌ مـا قاله الجبوري في خاتمة مقدمته لهذا المجموع إذ صرح : (لا أدعي العصمة لي في العمل ولا الكمال ، إذ هما يتمردان على أي باحث يتصدى لجمع شعر شاعر من القدامى) .

وانطلاقاً من هذه المسلمة عنت لي بعض الاستدراكات ، بعضها يضيف جديداً ، وبعضها يقوّم معوجاً ، وبعضها الثالث يصحح نهجاً ، لقد بذل المحقق الفاضل جهداً ملحوظاً ومشكوراً في جمع شعر أبي الهندي من اثنين وستين مرجعاً . فمما فاته ويصح استدراكه عليه الأبيات التالية :

١ – جاء في « الإبانة » ص ١٦٢ : قال أبو الهندي صاحب نصر ابن سيار :

طال عتب الزمان ظلماً علينا   وجفانا فما له إعتابُ
فأجرنا من عتبه وأذاه   أنت ترجى لمثله وتهابُ
ما لنا منصف سواك فيشكى   أنت كالنصل والملوك قرابُ

٢ – وجاء في « قطب السرور » ص ١٢٧ : قال أبو الهندي :

أعاذل لو شربت الراح حتى   يكون لكل انملة دبيبُ
إذن لعذرتني وعلمت اني   لما أنفقت من مالي مصيبُ

٣ – وجاء في « قطب السرور » ص ٦١٨ – ٦١٩ : وقال أبو الهندي:

وقهوة كالعقيق صافية   يطير في كأسها لها شرر
زوجتها الماء كي تذلّ له   فامتعضت حين مسّها الذكر
كذلك البكر عند خلوتها   يظهر منها الحياء والخفر

٤ – وجاء في « الإبانة » ص ١٧٥ : قال أبو الهندي :

صيرتَ نفسيَ بالإحسان مُحْسَدَةً   لولا عطاياك لم يحسدني الناس

تردّد الشعراء المادحوك بما أبدعته فيك والمداح أجناس
ما سار مدحك في الآفاق مشتهرا إلا كما سار غيث منك رجاس
في كل يوم بإقبال خُصصت به لمن يعاديك إرغام وإتعاس

٥ — وجاء في « الإبانة » للعميدي ص ٦٥ : قال أبو الهندي الرياحي :

لا تغبطن ذليلاً في معيشته فالموت أهون من عيش على مضض
لا يوجع الصخرَ نحتُ المرء جانبَه ولا من الذل ذو لبٍّ بمتعض

ومما يقوّم معوجاً أورد الآتي :

١ — في البيت ٥ من القطعة (١) وردت كلمة (تنـّزو) بشدة فوق النون وهو غلط صوابه (تنْزو) بسكون النون .

٢ — في البيت ٦ من القطعة (١) وردت كلمة (يتقلـّب) وعلق المحقق في الهامش أن في البيت اقواء . وصواب الكلمة (بتقلب) بالباء الموحدة ، وبها يزول الاقواء .

٣ — في البيت (١) من القطعة (٥) ورد العجز كالآتي : — يضمهم بكوه زيّان راحُ ، والصواب : بكوى زيان . و (الكوى) بالفارسية : القرية ، و (زيان) بدون شدة .

قال أبو الهندي (انظر « طبقات ابن المعتز » ص ١٣٨) :

ثبت النـــاس على راياتهم وابو الهندي في كوي زيان

٤ — في البيت (٥) من القطعة (٥) وردت كلمة : فقال . وصوابها : فقالوا .

٥ — في الهامش رقم(٧)ص٣٠ ورد ما يلي : مشدودة بالقز وهو الحرية. وهو غلط صوابه : وهو الحرير ، وهو من تطبيعات المطبعة .

٦ — في البيت (٢) قطعة (١٥) وردت : بغية ، والصواب : بقيــة ، وهي فيما أظن من تطبيعات المطبعة .

٧ — في الهامش رقم (٤) من القطعة (١٧) ورد مـــا يلي نصاً :

« معنى هـــذا البيت ولفظ الصدر منه ، انظره في القطعة » وهو كلام مبتور تتمته فيما نرى : رقم ١٣ رقم الهامش ٧ ص ٣٠ .

٨ — في البيت رقم (٥) من القطعة (١٨) وردت كلمة : وحبذا ، وهي غلط صوابه : (حبذا) بدون واو .

٩ — في البيت (١٢) من القطعة (١٨) ورد الصدر مختـــلا هكذا : « أو كظبي وافى مرقبا » والصوب : أو كظبي اللصب وافى مرقبا (أنظر « قطب السرور » ص ٦١٨ ، و « طبقـــات ابن المعتز » ص ١٤٠) .

١٠ — في البيت (١٣) من القطعة (١٨) وردت كلمة : الطور (بالراء) وهي غلط صوابه : الطود (بالدال) .

١١ — في الهامش رقم (١٢) صفحة ٣٩ علق المحقق على البيت التالي :
أو كظبي (اللصب) وافى مرقبا حذر القانص صبحاً فنفر
فقال ما يلي بالحرف : (وفي « قطب السرور » : كفرخ المـاء في غيصته .. الصقر فأقعى) . وهو تعليق غير دقيق صوابه : (أو كفرخ الماء في غيضته حذر الصقر فأقعى ونظر) .

١٢ — يضاف إلى الهامش رقم (٤) صفحة (٤٦) ما يلي : وفي « قطب السرور » : فدعني .

١٣ — من هوامش القطعة (٢٩) صفحة (٤٨) سقطت سطور نتيجة خلط طباعي فانتقلت تلك الهوامش إلى الصفحة (٤٨) .

١٤ — ورد البيت رقم (٧) من القطعة (٣٢) صفحـة (٤٩) هكـذا :
وذوي سوقة فيه منالسيف خطة به رمق حامت عليه الحوائمُ
ورواية البيت على هذه الصورة فيها تصحيف وتحريف واقواء ، لأن روى القصيدة في كل أبياتها ميم مكسورة . والميم في هـذا البيت مرفوعة خطأ . وكلمة (خطة) خطأ صوابه : خبطة ، و(وذوي) غلط صوابه (وذى) فالرواية الصحيحة للبيت هي :
وذى سوقة فيه من السيف خبطة به رمق ملقى لحوم الحوائم

(انظر « الكامل » لابن الأثير ، ج ٥ ص ٢٠٦) .

* * *

ومما يصحح نهجاً ، أن المحقق الفاضل ترجم لأبي الهندي في صدر المجموع ترجمة طيبة ، ثم عاد فألحق مجموعة من أخباره بأشعاره .

وإثبات هذه الأخبار لا معنى له في رأينا . إذ المفروض أن يستخدمها المحقق ويفيد منها في ترجمة الشاعر ، أما وقد أفاد منها فلا معنى لتكرارها منفـردة .

ثم إن المحقق يفرد في مقدمته فقرة لعلاقة أبي الهندي بشعراء عصره وهذا حسن ، ولكنه لا يذكر في هذه الفقرة غير شاعر واحد اسمه عمرو الوراق كان قد هجا أبا الهندي بأربعة أبيات . في حين نرى المحقق الفاضل يغفل ما بين يديه من أخبار طريفة عن علاقة أبي الهندي بالأخطل مثلاً ، إذ جاء في « قطب السرور » ص ٣٦٢ – ٣٦٣ ما نصه: (ودخل أبو الهندي بيت خمار ، فوجد فيه الأخطل وقد سكر فلما رأى أبا الهندي استثقله ولم يعرفه فقال :

ألا فاسقياني وانفيا عنكما القذى   فليس القذى بالعود يسقط بالخمر
ولكن قذاهـــا زائر لا نريده   رمتنا به الأقدار من حيث لا ندري

فقال أبو الهندي :

إن كنت ندمـاني أبا مـالك   فـاسق أبا الهنديّ بالكنـدره

... إلى آخر القطعة .

فقام إليه الأخطل فاعتنقه ورحب ، وأقاما متنادمين أياماً كثيرة) .

فهذا الخبر على طرافته كان بين يدي المحقق الفاضل ولكنه لم ينتفع منه .

وبعد : فهذه كلمة على هامش « ديوان أبي الهندي » أسوقها وأنا معجب بنشاط الأستاذ عبدالله الجبوري وبطاقته التي لا تفتر ، آملاً أن ينتفع منها في طبعة قابلة إن شاء الله .

هلال ناجي — بغداد

الدكتور ورنر كاسكل

(١٣١٤ هـ. ١٨٩٦ - ١٣٩٠ هـ. ١٩٧٠ م)

في شهر جمادى الأولى سنة (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) كنت قابلت شيخ المستشرقين في روما «ج. ليفي دلاّ فيدا» فسألته عما عمل حيال نشر كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، فقال : لقد ضعفت عن العمل لكبر سني ، بعد أن عملت في سبيل تحقيق ذلك الكتاب عملاً يسيراً ، حيث هيأت له ما يقرب من ٣٥٠٠٠ بطاقة (فيشة) !! وقد وكلت الأمر لتلميذي (ورنر كاسكل WERNER CASKEL) وقد حرصت حينما مررت (كولون) في المانية في ذلك العام على الاتصال بالأستاذ كاسكل ، فلم يتيسر لي ذلك . وقبل ثلاث سنوات ، علمت بأن كتاب « الجمهرة » قد نشر ، بتحقيق الأستاذ كاسكل في مجلدين ولكن بغير اللغة العربية ، وأثناء ترددي على مكتبة المعهد الالماني للدراسات الشرقية في بيروت ، كنت أطالع ذلك الكتاب مطالعة المعجب بعالم غربي يتصدى لأثر من أهم آثارنا التاريخية ، يتصدى له بالدراسة فيهيىء لأبناء جلدته الاستفادة من هذا الكتاب بينما نحن الشرقيين لم نعره أي جانب من جوانب الاهتمام والعناية ، ولقد رأيت هذا العالم الألماني جديراً من كل عربي أن يذكر عمله في نشر ذلك الكتاب ذكر تقدير واعتراف بفضل ، فصرت أسارع إلى بعث ما أنشره من كتب أسارع ببعث نسخة من ذلك للأستاذ كاسكل . وكان كريماً حقاً ، فسرعان ما تصل إليه النسخة يبادر بالكتابة إلي مثنياً ومعبراً عن خلق كريم .

ومنذ عام كنت في المعهد الألماني ففوجئت بنبأ وفاة الأستاذ كاسكل ، وقد حرصت أن أكتب كلمة عن ذلك العالم الجليل ، وطلبت من الأستاذ الدكتور (ڤيلد) مدير المعهد ، إمدادي بترجمة موجزة للرجل ، غير أن الأيام مضت ويظهر أن الأستاذ (ڤيلد) لم يتكمن من الحصول على ما طلبت منه إلا بعد مرور أكثر من عام على وفاة الأستاذ كاسكل حيث بعث إلي بالجزء السادس عشر من مجلة « فكر وفن » وفيه كلمة موجزة عن الأستاذ كاسكل :

١٩٦٩/١٢/٨

Prof.Dr.Werner Caskel
5 Köln-Lindenthal
Kerpenerstraße 4
☎ 41 88 17

زميلي المحترم

بعد السلام والسؤال عن الصحة فأخبركم بأني تسلمت [illegible]
كتابكم الجديد وهو كتاب المناسك وسرّني ما دبّجتم سرورا
وأشكر لكم شكراً جزيلاً وقد اطلعت على الكتاب ودرسته [illegible]
وأنا متفق معكم على الطرائف في الترجمة وفي تحقيق
الكتاب بعينه كما القول ولم أستحسن على حواشي الكتاب بيان
ما وقع في مخطوطته من تحريف ووهم أثرني خاصة بعد
عن المؤلف؟! هذا الوصف الذي يهدينا من نقد الرواية الجغرافية
الى موقعه - لا يدع علّة للشك في شخص المؤلف ... وأما المحتويات
(محتويات الدفتر) فترتيبها مبهم لا من جهة التحديد فقط بل
من جهة التعريج كذلك .
وهل تعرفتم الى الاستاذ محمود علي غول (American University)
وهو يجيد علم الحديث واللغات اليمن العتيقة مع نقوشها
والنقوش عن قديم جغرافية جزيرة العرب وتاريخها .

ودمتم
المخلص
Werner Caskel

(نموذج من كتابة كاسكل)

ولد الأستاذ ورنر كاسكل في مدينة (دانزيج Danzig) في المانيا ، في ٥ مارس سنة ١٨٩٦م ، ودرس فيجامعة برلين ثم أصبح أستاذاً في جامعة كولون ونشر أبحاثاً تزيد على تسعين ، وألّف مؤلفات تبلغ ١١ ، وجل مباحثه ومؤلفاته تتعلق بتاريخ العرب ومن أشهرها :

١ – « مملكة لحيان » نشر في كولون سنة ١٩٥٠

٢ – « اللغة اللحيانية » نشر في كولون سنة ١٩٥٤

٣ – « أيام العرب » نشر في مجلة (إسلاميك) ١٩٣١

٤ – « جمهرة النسب » مجلدان ضخمان نشرا في لايدن سنة ١٩٦٦

٥ – « جزيرة العرب في عهد اليونان والفرس »

٦ – « جزيرة العرب قبل الإسلام وفي صدر الاسلام »

وله مؤلفات أخرى .

وقد كتب في دائرة المعارف الإسلامية عن : عبد القيس – أجأ وسلمى – عدنان – عك – عاملة – عامر بن صعصعة – عامر بن الطفيل – العرب – أسد – الأعشى – باهلة – بكر بن وائل – ضبة – وموضوعات أخرى .

ولعل أهم دراساته هو ما كتبه عن اللحيانيين وما شارك فيه المستشرق الألماني (فون اوبنهايم[١]) في كتاب «البدو» ، وهذا الكتاب يعتبر من أوفى الدراسات عن بدو شمال الجزيرة والشام والعراق وما حولها ، ويقع في خمسة مجلدات ضخام ، وضع فون اوبنهايم الثلاثة الأولى وأكمل الأستاذ كاسكل الكتاب .

أما عمله في « جمهرة النسب » لابن الكلبي فهو من أجل الأعمال ، ذلك أنه عمد إلى القطعتين الباقيتين من « جمهرة النسب » و « نسب معد واليمن الكبير » فاعتبرهما كتاباً واحداً مع تغايرهما ، فوضع دراسة عنهما في ١٣٢ صفحة رجع إلى مصادر كثيرة جاءت في ١٥ صفحة ، ثم عمد إلى القبائل فقسمها إلى قحطانية وعدنانية حسب تقسيم الكتابين ووضع لها مشجرات ، مجموعها ٣٣٤ : للعدنانية ١٧٤ ، وللقحطانية ١٩٥ وكل هذا خصص له المجلد الأول من الكتاب ، ثم خصص المجلد الثاني ويقع في ٦١٦ صفحة ، خصص القسم الاول منه لدراسات عامة عن القبائل من أوله حتى ص ٩٥ وخصص الباقي للفهارس الوافية ، فجاء هذا الكتاب جميعه في ١٠٨٢ صفحة ، وحرصاً

(١) Max Freihem V. Oppenheim .

أحمد عبد الغفور عطار :

ولد بمكة سنة ١٣٣٧ ، وتخرج في المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٥ ، وابتعث إلى مصر لاكمال دراسته في دار العلوم ، وحضر دروس كلية الآداب مستمعاً وعاد إلى بلاده دون أن يكمل دراسته لم يعمل لدى الحكومة إلا ثلاث سنوات قضاها بالأمن العام ثم استقال سنة ١٣٥٩ . وفي سنة ١٣٧٩ أصدر جريدة عكاظ ، وتوقفت في غرة ذي القعدة ١٣٨٣ .

منه على الدقة في كتابة الاسماء فقد كتبت الجداول كتابة باليد أولاً،ثم صورت لكي لا يحصل فيها خطأ عند الطبع .

والواقع أن عمل كاسكل في هذا الكتاب من أشق الاعمال ، وأن الجهد الذي بذله في خدمة التاريخ العربي ، لما يستحق التقدير ويستدعي الإعجاب.

وقد توفي الدكتور ورنر كاسكل في ٢٧/ ١ / ١٩٧٠ م .

ويحسن أن أختم كلمتي هذه بما كتبته المستشرقة الالمانية (أنا ماري شيمل) عنه ، وهي ممن عرفته حق المعرفة : (وقد عرف فيه تلاميذه استاذاً متعمقاً متواضعاً يحظى بتقدير وتبجيل الجميع . وإن من كان له حظ التعرف عليه سيذكر عنه طيبة شمائله ومـا كان يشعه من دف إنساني . أما من قرأ كتبه ومؤلفاته العلمية فسيلمس فيها تَبَحُّرِهِ في ميدان من أشق ميادين الدراسات العربية ، وسيجد في بحوثه منهلاً لا يجف من الافكار الباعثة على بحوث جديدة)..

١ – **آداب المتعلمين** : رسائل في التربية الإسلامية لإخوان الصفا والغزالي ونصير الدين الطوسي وابن جماعة وابن خلدون وابن حجر الهيثمي (اختيار وتحقيق) ، ط ١، القاهرة ١٣٧٦ = ١٩٥٧ . ط ٢،بيروت ١٣٨٦=١٩٦٧.

٢ – **آراء في اللغة** : جدة ، المؤسسة العربية للطباعـــة ، (طبع على نفقتها) ١٣٨٤ = ١٩٦٤ ، ٩ – ٢٢٢ – ٢٣٤ .

« .. هذه الآراء التي يضمها الكتاب سبق نشرها في صحفنا وبخاصة في جريدة « عكاظ » التي كنت أملكها ، جمعها صديق ودفع بها إلي لأنشرها في كتاب .. »

.. من موضوعاتها : اللغة الإنسانية ، العربية ، العامية ، عوامل ضعف..

٣ – **أريد أن أرى الله** : (قصص) القاهرة ، ١٣٦٦ = ١٩٤٧ بعض القصص مترجم وأكثرها موضوع ولكل قصة لوحة رسمت لها خاصة بريشة فنان إيطالي

٤ – **الاسلام خاتم الأديان** : بيروت ، ١٣٨٦ = ١٩٦٦ ، ٧٠ ص ص . محاضرة أعدها لدعوة إدارة التعليم بمكة .

٥ – **الاسلام طريقنا إلى الحياة** : جدة ، المؤسسة العربية للطباعة ، ١٣٨٤ = ١٩٦٤ ، ٩ – ٢٨٨ + ٣ . مقالات نشرت في الصحف المحلية . الإهداء : إلى زوجي العزيزة أم هشام .

٦ – **إنسانية الاسلام** : بيروت ، ١٣٨٦ = ١٩٦٦، ٥ – ١٤ – ١٥٠– ١٥٨ . « هذا الكتاب أعد محاضرة لتلقى في مقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة – حرسها الله – تلبية لدعوة معالي أمينها العام الشيخ محمد سرور الصبّان . ولما رأيت طول المحاضرة .. اختصرتها إلى الربع وألقيت ما اختصرت ليلة الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة ١٣٨٥ هـ = ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦٦ .

٧ – **البيان** : (نقد أدبي) القاهرة ، ١٣٦٩ = ١٩٤٩ .

٨ – **تهذيب الصحاح للزنجاني** : تحقيق بالاشتراك مع عبد السلام محمد هارون ، عني بنشره محمد سرور الصبّان . القاهرة ، دار المعارف، ١٣٧٢ = ١٩٥٢ ، ثلاثة أقسام (أجزاء) ١٣٨٣ ص مع مقدمة .

٩ – **حروب الأكاذيب** : القاهرة ، ١٣٧٧ = ١٩٥٧ .

١٠ – **الخرج والشرائع** : القاهرة، مطبعة الرسالة ، ١٣٦٥ = ١٩٤٦ ، ١٤٤ ص .

١١ – **الزحف على لغة القرآن** : بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٨٥ = ١٩٦٦ ، ٣٠٤ ص .

أهدى كتابه إلى أنصار الفصحى المجاهدين من أجل لغة القرآن وآدابها وعلومها وإلى محاربي دعاة المذاهب الهدّامة ومقوضي لغة العرب .. بإشاعة العامية .

١٢ – **الزنابق الحمر** : مسرحية عربها عن الشاعر الهندي رابندرانات تاغور . – القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٧١ = ١٩٥٢ . تصدير محمود تيمور من ص ١٣ – ١٩ كلمة المعرب من ص ١٤ – ٢٢ بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٣٦٨ ، المسرحية من ٢٣ – ٢٦١ ص ص أنيق .

١٣ – **سعود** (ولي عهد المملكة العربية السعودية) : القاهرة ، شركة استاندرد ، ١٣٦٦ = ١٩٤٧ ، ١٩٢ ص ، ٨ لوحات .

١٤ – **الشريعة لا القانون** : جدة ، ١٣٨٤ = ١٩٦٤ .

١٥ – **الشيوعية والاسلام** : القاهرة ، دار الفتوح للطباعة ، ١٣٧٦ = ١٩٥٦ ، طبع على نفقة السيد حسن الشربتلي. – ١٠ – ١٠٨ – ١٦٠ فصل اختاره العطار من كتاب للعقاد – والعطار معجب بالعقاد غـــاية الإعجاب ويعده أستاذه . كتب على الغلاف اسما المؤلفين هكذا : عباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور عطار .

١٦ – **الصحاح للجوهري** : تحقيق ، مطابع دار الكتاب العربي – القاهرة ، ستة أجزاء تنتهي بالصفحة ٢٥٦٣ ، سنة ١٣٧٧ = ١٩٥٧ (تنظر مقدمة الصحاح) . طبع على نفقة السيد حسن شربتلي .

١٦ – **صقر الجزيرة** : (الملك عبد العزيز آل سعود) .

ط ١ ، القاهرة ، مكتبة شركة استاندر ، ١٣٦٦ = ١٩٤٦ ، ثلاثـــة أجزاء ، قدم له محمد حسين هيكل بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٤٦ .

ط ٢ ، جدة ، مطابع المؤسسة العربية للطباعة ، ١٣٨٥ = ١٩٦٥ .

أ – ثلاثة أجزاء في مجلد واحد .

ب – ثلاثة أجزاء كل جزء على حدة .

في الأول : الأهداء ؛ مقدمة الطبعة الثانية وفيها : « .. نفدت الطبعة الأولى سريعاً ، وكان المطبوع منها في تلك الأيام خمسة آلاف نسخة ، وزاد طلب القراء إياه ومحافـل الأدب والتاريخ والوزارات ، وبخاصة وزارة الخارجية السعودية .. » مقدمة الطبعة الأولى ، وفيها يقول هيكل « هذا كتاب دون فيه الأستاذ .. سيرة صقر الجزيرة .. فتلوت فيها من أعمال «نابليون العرب» طرفاً جلت تفاصيله أمامي صورة هذا العاهل الذي تشرفت بلقائه غير مرة بالحجاز ومصر .. » ثم تمهيد الطبعة الأولى مؤرخ : مكة المكرمة : ٣٠ / ٤ / ١٣٦٤ ثم الكتاب من ص ٢٣ – ٢٢٤، ج ٢ من ٢٢٧– ٤٠٤ ، ج ٣ ص ٤٠٨ – ٥٦٣ + أ – ج .

١٧ – **عشرون يوماً في الصين** : الصين ١٣٨٣ = ١٩٦٣ .

١٨ – **الفصحى والعامية** : القاهرة ، ١٣٧٧ = ١٩٥٧ .

١٩ – **قطرة من يراع** : القاهرة ، المطبعة المنيرية ، ١٣٧٥ = ١٩٥٥ ، ٨ – ١٥٦ – ١٥٩ (مقالات في الأدب والإسلام) .

٢٠ – **كتابي** : طبع بمكةالمكرمة سنة ١٣٥٤ = ١٩٣٦ . مجموعة مقالات في الاجتماع والسياسة – وهو أول مؤلفات العطار .

٢١ – **كلام في الأدب** : جـــدة ، الناشر : المؤسسة العربية للطباعة ، ١٣٨٤ = ١٩٦٤ ، ٩ – ٢٢١ – ٢٣١ .

« .. نهض دعاة زعموا أن عصر الأدب ولى لأن عصر العلم قضى عليه .. وفي كتابنا هذا رد على هذه الدعوة » .

٢٢ – **ليس في كلام العرب** : لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ (تحقيق) القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦ ص .

٢٣ – **محمد بن عبد الوهاب** : ط ١ القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٣٦٢ = ١٩٤٣ (يطلب من مكتبة عبد الله فدا بمكة المكرمة)، تاريخ المقدمة ٨/٨/ ١٣٥٨ ، وفيه مقدمة بقلم طاهر الدباغ ، وأخرى لمحمد جميل شقدار بتاريخ ٢٧ / ٤ / ١٣٥٨ . الإهداء : « إلى حضرة صاحب الجلالة مليك المملكة

العربية السعودية المعظم » . وفيه شهادات وتقاريظ . ويقع صميم الكتاب بين ص ٢٦ — ١٩٠ — ٢٠٠ .

ط ٢ ، القاهرة ، دار الفتوح للطباعة ، ١٣٧٦ = ١٩٥٦ (طبع على نفقة السيد حسن شربتلي) ٣ — ١٦ — ١٧ — ١٣٦ ص .

ذكرت جريدة الجزيرة في ٨ / ١١ / ١٣٨٧ انه « أعاد طباعة كتاب محمد بن عبد الوهاب المرة الثالثة .

٢٤ — **المفتش** (مسرحية لجوجول عربها العطار) : دمشق ١٣٨٥ = ١٩٦٥ (دار اليقظة العربية ؟) .

٢٥ — **المقالات** (دراسات في الأدب والعلم والتاريخ والنقد) : القاهرة، شركة استاندر للطباعة ، ١٣٦٦ = ١٩٤٧ ، ٩ — ٢٨٨ + ٢ + ٦ ص .

« هذه فصول في الأدب والنقد نشر أكثرها في صحف الحجاز وبعضها في صحف مصر ، ومعظمها قديم .. » من تواريخ المقالات : ١٣٥٨ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ الإهداء : إلى الأمير عبد الله الفيصل .

٢٦ — **مقدمة تهذيب اللغة للازهري** : القاهرة ، ١٣٧٦ = ١٩٥٦ .

٢٦ — **مقدمة** : الصحاح دراسة لمعجم صحاح الجوهري جعلها مقدمة لتحقيقه هذا المعجم . القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي، ١٣٧٢=١٩٥٢، ٨ — ٢١٢ (مقدمة للعقاد) — طبع على نفقة السيد حسن شربتلي (ينظر الصحاح) .

٢٧ — **مقصورة ابن دريد** : (بحث تاريخي أدبي مقارن) القاهرة ١٣٧٦ = ١٩٥٦ .

٢٨ — **المنصور** : القاهرة ١٣٦٦ = ١٩٤٦ .

٢٩ — **الهجرة** : القاهرة ١٣٦٦ = ١٩٤٧ .

٣٠ — **الهوى والشباب** (شعر) : القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٣٦٥ = ١٩٤٦ ، ١٥٨ ص .

— **للبحث صلة** —

بغداد — كلية الآداب

علي جواد الطاهر

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول ديوان **عمرو بن قميئة**

نشرت « العرب » في الجزء السادس من سنتهـــا الخامسة الصادر في شهر (ذي الحجة ١٣٩٠هـ = فبراير ١٩٧١) كلمــة للدكتور علي جواد الطاهر بعنوان : « مـــا هذا يا مجلة معهد المخطوطات ؟ » وذلك بمناسبة نشرها « ديوان عمرو بن قميئة » بتحقيقي . وقد خرج الأستاذ الفاضل في كلمته عن حدود النقد المقوّم إلى شيء لا أستطيـع أن أسلكه في باب النقد .

فأما ما يختص بما وجّهه إلى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فأمر الإجابة عليه موكول إلى هذا المعهد . وأما مـــا يختص بي فإني أرجو أن تفسح المجلة صدرها لكلمة مني أدفع بها هذا التعريض .

على أنني أحب أن أسجّل هنا كلمة عتاب للأستاذ الفاضل راجيـــاً ألا تخوض أقلامنا في غير مـــا شرعت له ، وبخاصة والأمة العربية في محنتها الكبرى تلملم صفوفها ، فتطلق الصرخات المحمومة ، وتوجه السهام المسمومة ، ويتهم بعضنا بعضاً بما أسماه الأستاذ بالإقليمية . وحسبه أن يعـلم أن هذا المشروع الذي اتفق معي معهد المخطوطات عليه منذ أكثر من أربع سنوات أو خمس – متحيناً الظروف المالية التي تسمح بإعادة ظهور المجلة ، وعرض أمره على المسئولين في جامعة الدول العربية فووفق عليه ، كان قد احتضنه رجل نزيه من خيرة أبناء قطر عربي مؤمن بعروبته هو السودان الشقيق ، وهذا الرجل كان هو الشاعر العربي الأبيّ توفيق أحمد البكري رحمه الله . وكان تشريفاً لي أن حمّلني هذا المعهد هذه الأمانة في خدمة الشعر العربي . ومَن أجدر من جامعة الدول العربية على النهوض بهـذا الأمر وإظهاره في المظهر الجدير به . وليس للإقليمية ، ولا للأنانية ظلّ فـيما صنع المعهد ، وفيما صنعت أنا .

وإنني لأسجل هنا أن من بين ما كان قد اتفق المعهد معي عليه، وأشارت إليه مجلته قبل ظهور ديوان ابن قميئة : « ديوان الحادرة » ، ولكن عندما طلب أخي العالم الجليل – وهو من خيرة أبناء الأردن الشقيق – الدكتور ناصر الدين الأسد ، بواسطة بعض الأصدقاء رغبته في أن ينشر هو ديوان الحادرة إن لم يكن لديّ اعتراض ، رحبت بذلك كل الترحيب ، واتصلت بالأستاذ الدكتور مختار الوكيل مدير المعهد ، وأبديت له رغبتي في تحقيق رجاء الأستاذ الدكتور الأسد ، واجتمعنا معاً ، ونزلت له عن طيب خاطر عنه ، تقديراً لإخوّته ولعلمه ، على الرغم من الاتفاق الرسمي ، وعلى الرغم من إعلان المعهد في مجلته عن المجموعة الكاملة لتحقيقاتي،وعلى الرغم مما أشرت إليه أنا في مقدمة ديوان عمرو بن قميئة ، ثم أخيراً على الرغم من أني كنت قد أتممت تحقيق ديوان الحادرة .. فأين هي الأنانية ؟.. وأين هي الإقليمية ؟

وهل الإقليمية هي التي دفعتني إلى أن أنهض بتحقيق « طيف الخيال » للشريف المرتضى ونشرته وزارة الثقافة في مصر ، و « ديوان البحتري » الذي نشرته دار المعارف ، و « لطائف المعارف » للثعالبي الذي نشرته دار إحياء الكتب العربية ؟

أما التهمة القاسية – التي أرجو أن يعود الدكتور علي جواد الطاهر فيحاسب نفسه عليها – وهي عبارة « النفع والتنفيع » .. فهي تهمة ظالمة آلمت الذين يعرفون خلقي قبل أن تؤلمني . وحسب الاستاذ الفاضل أن يعلم أني أضحي بالكثير من العروض احتفاظاً بشيء أغلى من كل عرَض زائل . وحسبه أن يتصل بدار المعارف ليعرف أني لم أقدم لها أمر إعادة طبع الجزء الاول من ديوان البحتري إلا بعد عامين ونصف ، وبعد إلحاح ، ولم يكن امتناعي عن رغبة في زيادة أجر . وأني لم أقدّم لها حتى الآن أمر الموافقة على إعادة طبع الجزءين الثاني والثالث من هذا الديوان على الرغم من مضيّ عام على طلبها .

* * *

أما عن منهجي في التحقيق – ولست من المتطفلين على هـــذا الباب –

فهو منهج ارتضيته لنفسي على ما فيه من قسوة على صحتي ، ولن يعوضني عما أحتمله أي لقاء ماديّ . وقد قدّر لي كثير من المنصفين من العلماء هذا المنهج. سرتُ عليه في تحقيق ديوان البحتري ، فرحبت به أكبر دار نشر في العالم العربيّ .. وهي ليست في « دروب القاهرة » — على حسد تعبير الكاتب — هذه الدروب التي يشرفني هنا أن أسجل لها أثرها الذي لا يجحد في نشر كثير من روائع الفكر العربي ، وانطلاق إشعاع هذا الفكر منها إلى كل قطر . كما رحب بتحقيقي علماء لهم مكانتهم العالية ، وهيئات لها وجاهتها العلمية السامقة .

وهذا المنهج سار فيه قبلي كثيرون ، وكان لعالمين جليلين فضل وضع الاساس له منذ عشرة قرون ، وهما : الأنباريان : الاب والابن . فقد شرح الاب أبو محمد القاسم « المفضليات » ، وشرح الابن أبو بكر القصائد السبع الجاهليات ، فكان شرح كل منهما جامعة أدب وتاريخ ولغة . ولم يقدح فيما صنعا قادح ، ولا أساء إليهما إنسان .

وما كنت حين قلت في مقدمتي لديوان عمرو بن قميئة : « إنني سلكت في هذا التحقيق مسلكاً قد يظن بعض الناس أن فيه تزيداً » أتوقع أن يقع في هذا الظن أستاذ جامعيّ فاضل. فيطلق على منهجي متجنياً — سامحه الله — هذه الاوصاف : « القدوة السيئة » و « ليس أهلاً لأن يعدّ منهجاً علمياً » و« النهج غير السليم» إلى غير ذلك مما لا يعلم سر هذه الحملة إلا علاّم السرائر، وإن كانت قد ظهرت من بعض عباراته غضبات لأن الديوان كان سينشر في العراق !

لن يضير أي كتاب — يا سيدي — أن تظهر له طبعات متعددة متفاوتة في التحقيق في آن واحد ، وللقارىء أن يتخير منها ما يشاء . وليطمئن سيادته فلن يظل الديوان قابعاً بين أجزاء المجلة لأنه منشور ككتاب تتداوله الأيـــدي .

أما عن مؤاخذته عليّ في شرح كلمات يحسبها لا تحتـــاج إلى شرح ،

فإني كنت أود أن يتدبر الامر فسيجد أني قلت في مقدمة الديوان أني قصدت من ذلك تقريب هذا الشعر إلى أبناء العربية الذين بعدوا عن مناهل أدبهم وأصوله القديمة ، وليعايشوا الشاعر وشعراء عصره حين يقرأون له معايشة ظاهرة الملامح ، واضحة المعالم . ثم لو تروّى في الحكم لوجد الشارح القديم قد فعل ما فعلت .

إن تحقيق دواوين الشعر – يا سيدي – غير تحقيق أي كتاب آخر . وإني لأرى أن الامانة العلمية توجب على محقق الديوان أن يضم إليه كل ما اتصل بشعر الشاعر وبحياته وبأسلوبه ، وما تناول شعره من شروح مختلفة قد يشذّ فيها شارح عن غيره ، وقد يشطّ بعضهم في فهمه .

* * *

وإذا كان الدكتور الطاهر قد رأى الإقليمية فيما صنع معهد المخطوطات حين شرفني بهذا التكليف ، ورأى سيادته سوء القدوة فيما صنعت أنا ، فقد تفضل أديب كبير من أبناء العربية في الشقيقة سورية هو الاستاذ عدنان مردم بك ، فقال في « مجلة مجمع اللغة العربية» فيما قال : سلك الاستاذ الصيرفيّ في تحقيقه نهجاً لم يتأتّ لكثير غيره ، من حيث الدقة البالغة ، والعمق في الدراسة ، والامانة العلمية » . ولم يرَ في ذلك إقليمية ، ولا سوء منهج أو قدوة .

إنني لا أحجر على أي قلم، ولا أقيّد أي لسان . فليقلْ من شاء ما يشاء. فكلنا نعمل لخدمة لغتنا وتراثها . ولكن لا أحب أن يحجر عليّ في منهجي قلم ، ولا يقيدني لسان . فلست المتطفل على هذا الباب كما قلت ، ولست من مثيري الفوضى. فكما أن في الادب مدارس لكل منها منهج ، فإن للتحقيق مدارس أيضاً ويجب أن يكون لكل منها منهج . وإني ممن لا يرون الوقوف عند مقابلة نسخة بنسخة ، وبخاصة فيما يتصل بدواوين الشعر . وحسبي أن يكون ضميري راضياً عما أعمل . وقصدي من وراء ذلك نفعُ للأدب ، وليس انتفاعاً من ورائه . ولا أريد الجزاء إلا من عند الله،والله عنده حسن الجزاء .

حسن كامل الصيرفي

حول فوضى نشر المخطوطات

طالعت بالعدد ٦ فبراير ١٩٧١ ضمن مقالكم : فوضى نشر المخطوطات : أن كتاب «مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » لابن الخطيب الذي نشر بتحقيقي سبق أن نشره الاستاذ عبد المجيد التركي بمجلة (أرابيكا) عدد جوان ١٩٦٩

وتصحيحاً لذلك ، اسمحوا لي حضرة الاستاذ بلفت نظركم ونظر حضرات قراء مجلة « العرب » أن كتاب مثلى الطريقة نشر بمجلة المشرق البيروتية قبل أن يتولى نشره الاستاذ التركي وقبل أن ينشر بمجلة معهد المخطوطات بالقاهرة وقد تستغربون من نشرها في مكانين وفي مدة متقاربة ولمحقق واحد، وتوضيحاً لذلك علمكم :

أنني اشتغلت بمثلى الطريقة منذ سنة ١٩٦٦ ، ووقتئذ أرسلت نسخة مرقونة لصديقي الاستاذ يوسف شاخت الاستاذ بجامعة كولمبيا لاطلاعه عليها ولأخذ بعض ملاحظاته في طريقة عملي فيهـــا ، وكان أن ردّ برضاه عنها وتشجيعي على المضي والبحث عن نوادر المخطوطات والاشتغال بها ، وفي سنة ١٩٦٨ أرسلت بها لمجلة المشرق البيروتية قصد نشرها ، بعد أن نشرت بهـا كتاب المنصوري في البيزرة ، فصدرت مثلى الطريقة بعـدد فبراير ١٩٦٩ ، وأظن أن أربعة أشهر كافية ليطلع الاستاذ التركي وغيره على مجـــلة المشرق العلمية ، وليتمكن على الأقل من مراجعة عمله وملاحظة نشري لها ، ولو كان ذلك اعتماداً على نسختين فقط ، (وألاحظ هنا أن الاستاذ التركي كان يعلـم أنني أشتغل بمثلى الطريقة وأنوي نشرها منذ كان بتونس) .

وأما سبب نشرها بمجلة المعهد، فأنا شخصياً فوجئت بذلك حيث لم أرسل بها لمجلة المعهد ولا كلفت أحداً بذلك ، وتبين ان الاستاذ شاخت هو الذي أرسل بها للمجلة وتولت هذه نشرها بالجزء ٢ مجلد ١٢ .

فالرجاء افادة قراء مجلة العرب بهذا تصحيحاً لهذا الالتباس .

تونس ١٩-٤-١٩٧١ **عبدالحفيظ منصور**

الافلاج

ما معنى الأفلاج – الاقليم الواقع في جنوب نجد ؟ – فقد أكثرتم الحديث عنه وهل التسمية قديمة .

الرياض محمد البشر

الجـــواب الأفلاج جمع فلج – بفتح اللام – وهو النهر الصغير وعرفت الأفلاج بسبب كثرة أنهارها، وهي من أغزر مياه الجزيرة ومن المعروف أن الجفاف كثيرا ما يعتري المواضع المعروفة بكثرة مياهها ، ومع ذلك فقد بقي منها في هذه البلاد أنهار صغيرة نذكر بعضها – حسبما أفادنا الشيخ سعود بن رشود أحد قضاة الرياض رحمه الله –

انهار الافلاج وسكانهـــا

١ – الوجّاج لآل فهيد (من آل مغيرة) وآل عمار من الدواسر وغيرهم
٢ – المنجور لآل رشود (من النبطة من سبيـــع) وغيرهم .
٣ – السابر » » » » ») واناس غيرهم
٤ – موافق لآل حمدان من الفرجان من الدواسر وآل مفلح (من آل كثير) وغيرهم
٥ – المدسوس لآل حامد (من الاشراف انتقلوا من جوف آل ناصر من اليمن)
٦ – برابر لأناس من آل حامد وآل رشود وآل عمار وغيرهم
٧ – نبّاع للغييثات من الدواسر وآل حامد الاشراف وغيرهم
٨ – العُويند لآل حامد وأتباعهم
٩ – سمحان لآل حامد والغييثات وغيرهم
١٠ – سويدان لآل عمار
١١ – ساقي خريزان لآل ناهض من الصّخابرة من الدواسر

قبيلة الخماميش من عتيبة

لما كتبت مقالي المنشور في مجلة « العرب » الغراء الجزء الخامس من السنة الثانية ص ٣٩٠ وما بعدها وذكرت فيه قبيلة « عدوان » وبطونها وقراها إنهالت عليّ الاستفسارات والاحتجاجات من قبائل « عدوان » و « عتيبة » لماذا لم أذكر « الخماميش » فيمن ذكرت ؟ فوعـــدت بالكتابة عنهم حين سنوح الفرصة .

وحيث توفرت لديّ المعلومات الكافية عنهم فأقول : إن قبيلة «الخماميش» التي تسكن شمال الطائف بقرى : الحوّية وشرب والحُصين وشُويحط ، قبيلة عربية في أرومتها وتنحدر من « عدوان » .

وقـد بينا سابقاً أسباب تفرق « عدوان » في بطون القبائل لمنازعاتهم ، وكثرة خلافاتهم ، فيما بينهم .

وقبيلة « الخماميش » اليوم تعد رأساً بذاتها ، وإن كانت متحالفة مـع القَشْمة وقريش حلفاء عتيبة حتى لكأنهم أصل واحد ، ثم يتسع هذا الحلف فيشمل عدا من تقدم ذكرهم : العصَمَة والدّعاجين والدغالبة ثم يتسع حتى يشمل بطون عتيبة كلها .

وسكناهم : أي الخماميش بالقرى التي ذكرناها . أما بطونهم ويسمونها الخوامس فهي : ١ – الهريسات . والنسبة اليـــه هُريسي ٢ – اللهامقه . والأنتساب اليه ابن لهمق ٣ – ذوي سنان . والانتساب اليه ابن سنان ٤ – ذوي مبارك والانتساب اليه ابن مبارك ٥ – ذوي سعد والانتساب اليه ابن سعد ٦ – ذوي مسيعيد والانتساب اليه ابن مسيعيد .

والنسبة الى « الخماميش » خماشي بفتح الخاء وتشديد الميم .

وقد رأيت حجة شرعية صادرة من رئيس المحكمة الشرعية في الطائف والشيخ محمد علي سراج بعـــدد ٥٩ وتاريخ ١٨ – ٨ – ٣٥١ هـ من صحيفة ٥٠و٥١ من دفتر الضبط للعام المذكور بنى فيها حجته هذه على حجة صادرة من قاضي الطائف إذ ذاك :أحمد بن عبدالعزيز المغربي في شهر رجب عام١٠٩٧هـ سبع وتسعين بعد الألف . ومختومة بختمه ، وفيها وقف لجـار الله بن حمود

العدواني الملقب بالحماش بفتح الحاء وتشديد الميم. وأخبرني أحد أحفاد جارالله ابن حمود العدواني الملقب بالحماش ، وهو سالم بن مطلق الحماش العدواني حينما طلبت منه معرفة اتصاله بجـــار الله المذكور فانتسب قائلاً : « أنا سالم بن مطلق بن عبد الرزاق بن سليمان بن سالم بن حسن بن محمد بن جار الله بن حمود العدواني الحمّاش، أحد المستحقين في الوقف المشار إليه بالحجة المذكورة . كما وجدت حجة صادرة من قاضي الطائف مصطفى بن عبد الوهاب الدّرّهُ بتاريخ ١٣ من شهر صفر من عام ١٢٤٩ تسع وأربعين بعد المائتين والألف وبها « أنه حضر اليه حويمد بن سعد الحماش وهو الناظر على وقف جده جارالله بن حمود العدواني الحماش الكائن بوادي شرب ونواحيه » .

هذا ومن المعلوم أن الخاميش بطن من قبيلة « عدوان » لا ينكر هـذا أحد مطلقاً وانما خرج هذا البطن وانفصل عن عدوان للخـلاف الذي جرى بينهم حتى اضطر ان يلتحم ويتحالف مع القثمة ، وقريش : سكان القرشية قرب ركبة الذين هم حلفاء عتيبة وأصبح أكثر أخوال الحماميش وأصهارهم ممن ذكرنا . وزاد هذا التحالف قوة: دخول العصمة والدعاجين والدغالبة فيه معهم.

وتلمح على اسرة جباههم وقسمات وجوههم ، واعتدال قامتهم ، وبريق أعينهم ، شارات الهيبة والجمال والذكاء كما هم في البطولة والفصاحة والمروءة والكرم والترفع كما قال القائل :

أولئك أقوامي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا ـ يا جريرُ ـ المجامعُ

الطائف   محمد سعيد كمال

وفاة الاستاذ ريتر

في شهر ربيع الأول ١٣٩١ هـ . (ايار) الماضي توفي العالم الألماني هلموت ريتر من أعلم العلماء بالمخطوطات العربية ومؤسس (النشرات الإسلامية) التي تقوم جمعية المستشرقين الألمانية بإصدارها ، فصدر منها ٢٤ جزءاً من نفائس المخطوطات العربية ومنها كتاب « الوافي بالوفيات » الذي صدر منه سبعة مجلدات وسنتحدث عن ريتر فيما بعد .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
المراسلات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان سعوديان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الحادي عشر - السنة الخامسة - جمادى الأولى ١٣٩١ - تموز (يوليو) ١٩٧١

مؤرخو نجد

من أهلها — ٣ —

٢٣ — محمد بن مانع :

ولد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع الوُهَيْبي التميمي في مدينة عنيزة سنة ١٣٠٠ وهو من أسرة علمية تولى بعض أفرادها التعليم والتدريس ، وقد سافر من عنيزة ولما يبلغ العشرين من عمره وتنقل بين العراق والبحرين وعدن ودمشق ومصر وقد أقام بعد ذلك برهة من الزمن في بغداد ، ودرس على علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي وشارك في جانب من النشاط الثقافي هناك حيث اشترك مع الأستاذ سليمان الدخيل في نشر بعض الكتب ، ثم استقر ما يزيد على عشرين عاماً في بلاد قطر قاضياً ومدرساً ، وبعد ذلك أسند اليه الملك عبد العزيز - رحمها الله - الإشراف على الدروس الدينية في الحجاز ، ثم ولاه إدارة المعارف العامة فرئاسة محكمة التمييز بمكة ، وأخيراً عاد إلى قطر مستشاراً لحاكمها سنة ١٣٧٧ وأصيب في شهر رجب سنة ١٣٨٥ بمرض في المثانة فأجريت له عملية جراحية في بيروت وتوفي على أثرها في ١٧ رجب ١٩٦٥/١١/٨ م ونقل جثمانه إلى قطر حيث دفن هناك - رحمه الله - وللشيخ محمد بن مانع مؤلفات دينية مطبوعة ومعروفـــة ، أما من الناحية التاريخية ، فقد جمع نبذتين تتعلقان بمدينة عنيزة احداهما عن أمرائها والأخرى عن قضاتها ، وقد طبعتا ملحقتين بكتاب «المنتخب في أنساب قبائل العرب» المغيري وفي آخر كتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لابن عيسى وجل مافيهما

منقول من كتب من تقدمه من المؤرخين أضاف اليها الشيخ رحمه الله معلومات يسيرة تتعلق بالأزمنة الحديثة . وقد أطلعني ابنه الصديق الجليل الأستاذ أحمد المانع المراقب العام للبعثات السعودية في مصر على دفتر لوالده يضم مذكرات تتعلق بالتاريخ مما سجله والده ، وكثير منها منقول عن كتب التاريخ التي تقدم ذكرها وفيها أشياء وقعت في قرننا الحالي ، لا توجد فيما اطلعت عليه من الكتب ومنها ما يتعلق بتاريخ عنيزة وغيرها ، وفي وصف بعض الحوادث الهامة التي وقعت في نجد عند بدء قيام الملك عبد العزيز – رحمه الله –

إن ما كتبه أولئك العلماء الذين تقدم ذكرهم يسجل حوادث نجد منذ القرن التاسع الهجري إلى سنة ١٣٤٣ ، وما كتبوه وإن كان بعضه مستقى من بعض إلا أن بعضهم قد يذكر أشياء لا يذكرها الآخر وتلك وإن كانت يسيرة إلا أنها لا تخلو من فائدة . وقد تصدى للسير على منوال أولئك المؤرخين علماء أرادوا إكمال ما بدأ به من سبقهم وهؤلاء وإن كانوا كلهم على قيد الحياة ومنهم من قد نشر مؤلفه إلا أنه يحسن أن لا يخلو هذا البحث من ذكرهم ولو بطريقة موجزة وها هو ما عرفتهعن أولئك المؤرخين وقد رتبت أسماءهم حسب ترتيب الحروف الهجائية :

٢٤ – ابراهيم بن عبيد :

الشيخ ابراهيم بن عُبيد بن عبد المحسن آل عبيد من علماء مدينة بريدة ولد فيها سنة ١٣٣٤ ودرس على علمائها واشتغل في التدريس في أحد جوامعها فانتفع به عدد من الطلاب ، وألف مؤلفات في الوعظ طبع بعضها. ولا يزال الشيخ سائراً على نهجه الحميد في التدريس والوعظ . أما في التاريخ فقد الف كتاباً طبع منه ثلاثة أجزاء انتهى ثالثها عند ذكر حوادث سنة ١٣٥٢ في العلاقات بين المملكة وبين اليمن، وفيها بأن المجلد الرابع أوله بيعة ولي العهد سعود واسم الكتاب « تذكرة أولى النهى والعرفان ، بأيام الله الواحد الديان، وذكر حوادث الزمان » وقد قال الشيخ في مقدمته مـا هذا نصه : (لقد كنت أتشوقلوضع تاريخ في ذكر حوادث ما جرى من الوقعات من لدن سنة سبع وستين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية إلى زمننا هذا ، بحيث ما وجدت أحداً أتى بالمقصود ولم أجد ما يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً) .

وصدّر الكتاب بترجمة مطولة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ثم بكلمة موجزة عن المملكة العربية السعودية وأقاليمها وأهم مدنها ثم ابتدأ بتسجيل الحوادث من سنة ١٢٦٨ وهو لا يقتصر على حوادث نجد بل قد يذكر أشياء تتعلق بغيرها من البلدان من الحوادث العامة أو ذكر وفيات بعض المشاهير ، والشيخ يتوسع في تراجم العلماء وخاصة علماء القصيم أو غيرهم من المشاهير من العلماء في نجد .

٢٥ – سعود بن هذلول :

سمو الأمير سعود بن هذلول بن ناصر من الأسرة السعودية الكريمة ، يجتمع نسبه بنسب جلالة الملك فيصل في الأب السابع له سعود بن محمد بن مقرن ، وقد ولد الأمير ابن هذلول في مدينة الرياض سنة ١٣٢٤ ، وتولى إمارة ينبع ثم إمارة القصيم إلى عهد قريب ، وقد ألف كتاباً عن «تاريخ ملوك آل سعود» عول فيه على المؤلفات المتعلقة بتاريخ نجد وعلى غيرها ، كما اعتمد على ما سجله هو من الحوادث الأخيرة التي أدركها ، وانتهى في تدوين تاريخه الى سنة ١٣٧٣ حيث ذكر وفاة الملك عبد العزيز وولاية الملك سعود رحمهما الله ، ويحوي الكتاب معلومات وافية عن مشاهير الأسرة السعودية الكريمة وإيضاح كثير من الحوادث في جميع الأطوار التي مرت بها الدولة السعودية منذ نشأتها ، غير أنه لم يفصل في ذلك إلا من عهد الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير (سنة ١٢١٨) وقد طبع تاريخ الأمير سعود بن هذلول سنة ١٣٨٠ .

٢٦ – عبد الرحمن بن قاسم :

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني نسبا المولود في بلدة البير من اقليم المحمل في نجد كان في أول أمره ذا عناية بتدوين الحوادث التاريخية المتعلقة بنجد وقد اطلعت على كتاب ألفه في هذا الموضوع قبل أربعين عاماً يقع في مجلدين سار فيه على طريقة المتقدمين من تدوين الحوادث من عهد آدم إلى هذا العصر بإيجاز غير أنه توسع فيما يتعلق بتاريخ نجد أو سكانها أو بذكر بلدانها وتواريخ انشائها ، وفي تراجم الأعيان من أهلها والشيخ عبد الرحمن كان من تلاميذ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ويعتبر هذا من أوسع المعاصرين اطلاعاً على حوادث نجد في العهود الأخيرة بحيث أن

الملك عبد العزيز رحمه الله أمره بأن يكمل تاريخ ابن بشر ويستمر في تدوين الحوادث التاريخية إلى العصر الحاضر على ما جاء في جريدة «أم القرى»[1] .

ولكن يظهر أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في سنيه الأخيرة انصرف عن التاريخ ويتناقل المعاصرون قصة يقولون أنها هي التي حملته على ذلك ومما لا شك فيه أن القسم الذي سجله من تاريخه ذو فائدة لمن يعني بتاريخ هذه البلاد في عهودها الأخيرة، أما انا فأرى أن سبب انصرافه هو اهتمامه بجمع مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية وترتيب فتاواه ورسائله هذا الجهد العظيم الذي أثمر ثمرة مباركة ، حيث قدم للباحثين وللعلماء من فتاوى هذا العالم الجليل ورسائله غير الكتب الكبيرة المطبوعة قدم ما يزيد على ثلاثين مجلداً .

٢٧ – عبد الرحمن بن محمد بن ناصر :

الشيخ عبد الرحمن بن محمد ناصر بن علي بن محمد بن ناصر بن حماد بن شبانة بن محمد ممن عني بالتاريخ، وألف كتاباً سماه «عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد » . جعله ذيلاً لتاريخ ابن عيسى « عقد الدرر » الذي انتهى فيه إلى سنة ١٣٠٢ غير أن الشيخ عبد الرحمن بدأ من أول القرن واستمر في تدوين الحوادث الى وقتنا الحاضر ، وقد سبقت الإشارة إلى أن فلبي كان يظن أن هذا التاريخ يعتبر مسودة للجزء المفقود من تاريخ ابن عيسى وقد أوضح مؤلفه خطأ هذا الرأي وانه كان يعتمد على ما أملاه الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري من أول القرن إلى سنة ١٣١٥ زمن وفاة محمد بن رشيد وما بعد ذلك كان المورخ المذكور يدونه من حفظه ثم يعرضه على الشيخ لتصحيحه . وقد اطلعت على قسم من هذا التاريخ ينتهي إلى سنة ١٣٥٥ ، وفيه جل الحوادث الهامة التي وقعت في هذه الفترة ، وتراجم مشاهير علماء نجد وأعيانها عند ذكر وفياتهم وعني خاصة بما يتعلق ببلدته المجمعة . والشيخ عبد الرحمن من أهل هذه البلدة وقد ولد والده في بلدة أشيقر وتوفي الوالد سنة ١٣٣٨ في المجمعة والشيخ عبد الرحمن يناهز الآن السبعين من عمره وقد اعتمد في تاريخه على معلوماته الخاصة مضافاً اليها أشياء مما ذكرها الريحاني في «تاريخ نجد» ومما نشر في جريدة «أم القرى» من البلاغات والبيانات الرسمية.

---

(١) ٢٦/٤/١٣٤٩ .

دارات العرب

- ٢ -

فرغنا من دراسة ما كتبه الأستاذ عسيلان عن دارات العرب ، وسنأتي في هذه الحلقة على دراسة ما كتبه الشيخ حمد الجاسر ، في نفس الموضوع ، ونشره مسلسلاً في السنة الرابعة من مجلة « العرب » وسنناقش ما يبدو لنا من الملاحظات .

بدأ الشيخ حمد بحثه بمقدمة وجيزة عرّف فيها : لماذا حفل الشعر القديم بذكر الدارات ؟، ثم أشار بعد ذلك إلى ما دخل على أسماء الدارات وغيرها من المواضع الواردة في الكتب الجغرافية من التحريف والتصحيف ، والأجدر بالباحث أن يأخذ في اعتباره ما ذكره الشيخ حمد في هاتين الملاحظتين لما للأولى من صلة في الوصف الجغرافي للدارات ، وما للثانية من أهمية في التثبت والتعرف على الأسماء الصحيحة لكل موضع ، وسيتضح لنا كثير من الأمثلة لهاتين الملاحظتين من خلال دراستنا للبحث ، وسنلاحظ بجلاء ما وقع في كثير من الأسماء من التصحيف والتحريف كما أشار إلى ذلك الشيخ حمد ، ويبدو أن الأستاذ حمد ذكر هاتين الملاحظتين في مقدمة بحثه لينبه الباحث والقارىء على أهمية التحقق من صحة الأسماء ومطابقة الوصف الجغرافي ، وسيلاحظ القارىء أيضاً أن بعض الدارات وبعض المواضع الأخرى قد تغيرت أسماؤها القديمة ، وأصبحت تعرف بأسماء غيرها في هذا العهد ، وأن التعرف عليها إنما يأتي بواسطة حدودها ووصفها الطبيعي مثل : دارة الأسواط ، الواقعة بظهر المضجع (المجضع) في هذا العهد ، ومثل (نملى) قديماً (رغبا) في هذا العهد .

أما فيما يخص تعريف الدارة قديماً ، فقد ورد في الكتب الجغرافية القديمة طائفة منها ، نقل المسيلان جملة منها في بحثه واستخلص منها ما رآه مطابقاً

للواقع ، وقـــد بحثت ما ذكر منها في الحلقة السابقة ، ويبدو أن لا فرق ولا اختلاف بـــين العرب المتقدمين والمتأخرين في تعريف الدارة غير أن المتأخرين في هذا العهد يسمون الدارات بأسماء قد تكون ذات علاقة بوصفها الطبيعي، فهناك نوع من الدارات وهو ما كان منها محاطاً بجبال وأرضه نبكة سهـــلة ، مثل دارة ثهلان ، فإن بعضهم يسميها الدويرة ، تصغير دارة ، وبعضهم يسميها ، المنزلة ، والبعض يقولون : المنيزلة ، تصغير منزلة لأنهـا ليست من الدارات الكبار ، ومثلها الدارة الواقعة في ناحية صفراء الوشم الغربية ، غربي بلدة القراين وشمالاً من وادي النميري ، على يسار طريق السيارات المعبد ، وهي محفوفة بالجبال من كل النواحي وناحيتها الغربية تحف بها برقة رقيقة، وتعرف عند سكان تلك الناحية باسم (المنزلة) والبعض يقولون (المنيزلة) تصغير منزلة ، ويبدو أنهم يسمون بعض الدارات بهذا الاسم لأنهم يرتادونها للنزول فيها ويفضلونها على ما حولها من أجل الخصائص التي ذكرها الشيخ حمد في مقدمته ، أما الدارات التي تحف بها رمال (صياهد) أو بُرَق من كل جهاتها ، مثل دارة رمحة ودارة شعر ، فانهم غالباً ما يسمونه (محامة) وذلك يعني أنها مدار للسيول التي تنحدر فيها من المرتفعات المحيطة بها ، ومثل ذلك دارة عسعس ، التي يدخلها السيل من ناحية واحـــدة فتحجزه الرمال ويستقر فيها . وهناك نوع آخر من الدارات ، وهو ما تحيط به جبال أو تلال ، وأرضه غير رملية ، وهذا النوع يكون على هيئة روضة واسعة ، وتكثر فيه الأشجار والأعشاب مثل دارة جلاجل ، الواقعة في جبال الهضب الأسمر ، والبعض يسمونها (روضة جلاجل) .

ومن حيث العموم فإنهم في كل الحالات يسمونها (دارات) غير أن قولهم روضة أو محامة أو منزلة، ما هو إلا تمييز بين تكوين الدارات الطبيعي وصفاتها ، ومـــدى صلاحيتها للنزول فيها في وقت الشتاء والربيع حيث احتمال نزول الأمطار ، وصلاحيتها للنزول فيها في فترة القيظ (الصيف) ، التي لا يحتمل فيها نزول الأمطار ، وكذلك لبيان مدى دخول السيول إليها، واستقرارها فيها ، فإن ما كان منها يسمى (محامة) يكون غالباً مداراً للسيل

وتكاثر فيه النباتات كالمضيد والرمث وقد يكون في بعضها مرخ وسلم ، وما كان منها يسمى (روضة) فانه غالباً ما يكون مقراً للسيول وتكثر فيه الأعشاب ، وبعض العضاه .

وقد ذكر الشيخ حمد في بحثه مائة وثماني دارات ، وردت كلها في كتب المعاجم القديمة ، وبحثهـا بحثاً وافياً وناقش ما أورده من الشواهد وأقوال أصحاب المعاجم القديمة ، وبين وجهة نظره على ضوء ما أورده من الشواهد وأقوال أصحاب المعاجم ، وقد أطال على ذكر بعضها كدارة هضب القليب ودارة اليعضيد ، حيث تطلب البحث الإطالة لاستخلاص الحقائق العلمية في تحديد الدارة ، وقد أوجز في ذكر بعضها كدارة أجد ، حيث ذكرت في كتب المعاجم بدون شاهد أو تحديد ، وقد أهمل ذكر بعض الدارات الـتي ذكرت في كتب المعاجم ، كدارة الثلماء ودارة الأرجام ، وقد سار الشيخ حمد في بحثها مرتبة ترتيباً هجائياً على النحو الذي سار عليه أصحاب المعاجم تسهيلاً للباحث والقارىء .

وكان لا بد لنـا من إيراد هذه المقدمة لبيان أنواع الدارات ومميزاتها الجغرافية ولبيان الأسماء والصفات المتعارف عليها في هذا العهد، وذكر بعض الأمثلة لها قبل أن نوافي بها القارىء في سياق البحث .

أما كاتب البحث ، وهو الشيخ حمد الجاسر ، فإن ما يتمتع به من المكانة العلميـة لم يمنعه أن يقـول : ولا غضاضة أن يرجع المرء إلى الصواب ، وأن يصحح أخطاءه ، إذ الحق الضالة المنشودة ، ولقد وقعت في أخطاء كثيرة ومن ذا الذي لا يخطىء[(١)] ؟ .

ولعل هذا التجرد وهذا الاعتدال اللذين يتمتع بهما شيخنا في منهجه العلمي، هما من جملة الخصال التي هيأته لمكانته العلمية ومركزه الأدبي اللذين يحتلهما بين كتاب هذا العهد .

وحبذا لو حذا أدباؤنا الآخرون حذوه فأفادوا واستفادوا وغنموا ثقـة

---

(١) العرب ، ملحق الجزء (١٢) السنة (٤) ص ١١٧٠ .

قرائهم ، وتفادوا وتداركوا كثيراً من الأخطاء التي لا يخلو منها أي قلم مهما بلغ صاحبه من المعرفة وبذله من جهد ، وليس مهمة القراء مقصورة على القراءة فحسب ، فالقارىء ما قرأ إلا ليستفيد ومن واجب من يستفيد من قراءته أن يفيد الآخرين .

ومما لا شك فيه أن بلورة الأفكار وتمحيص الحقائق العلمية ، ما هي إلا سبل للوصول إلى الغاية التي هي الفائدة العلمية الصحيحة ، وليس في مقدور أي فرد مهما بلغ بمعرفته أن يلم بكل صغيرة وكبيرة ، وأن يهيمن على كل ما يتعلق ببحوثه وأن يظهر بمنجاة من الأخطاء والهفوات ، إذ الكمال صفة لا يتصف بها أي مخلوق ، والأمر الذي لا أشك فيه هو أن شيخنا يحق من الباحثين الذين روّضوا –بضم الراء– ترويضاً كافياً على طرق البحث والتدوين والإعداد ، عن خبرة وإدراك ومقدرة ، وبعد هذه المقدمة نأتي على دراسة بحث الدارات إن شاء الله .

١ – دارة الآرام : قال الشيخ حمد: هذه الدارة تقع بين العراق والشام، وليست في بلاد الضباب ، كما ذكر ياقوت .

والواقع أن ياقوتاً لم يذكر أنها في بلاد الضباب ، وإنما الذي ذكر أنها في بلاد الضباب . هو صاحب «التاج»[١] .

قال الشيخ حمد: أما الجبل المسمى بآرام، فهو في بلاد بني سليم، وللضباب قنة سوداء في بلادهم ، تدعى ذات آرام .

والواقع ان الجبل الواقع في بلاد بني سليم لا يزال معروفاً باسمه ، أمـا القنة السوداء الواقعة في بلاد الضباب ، فإنني لم أطلع لها على ذكر بهذا الاسم (ذات آرام) في هذا العهد .

قال الشيخ حمد : ومما يلاحظ أيضاً وجود موضع يدعى (ذات آرام) بقرب نملى ، ورد في قول الشاعر :

وفي ذات آرام خبوء كثيرة ... وفي نملى – لو تعلمون – الغنائم

(١) تاج العروس ، ج ٣ ص ٢١٣ .

والواقع أن هذا البيت أورده أصحاب المعاجم عند ذكر (نملى) ونسبه كل من ذكره إلى هاتف من الجن ، ولم يحدد أحد منهم ذات آرام الواردة في ذكره في هذا البيت ، وقد ورد ذكره مقروناً مع ذكر العناب وخنثل في شعر ابن مرخية ، وذكره في «المغانم المطابة» شاهدا على ذكر العناب ، [1] قال ابن مرخية :

أرقت بذي الآرام وهنا وعادني عداد الهوى بين العناب وخنثل

ولم يحدد صاحب «المغانم» موقع ذات الآرام ، والواقع أن خنثلا قريب من (نملى) وأورد الأصفهاني بيت ابن مرخية عند ذكر العناب وخنثل ، وقال : وهما بالمضجع ، أي العناب وخنثل [2] والواقع أن وادي خنثل لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، غير أنه خارج عن حدود (المضجع) المعروف حالياً باسم (المجضع) والبعض يقولون (المجاضع) ، جمع مجضع ، وهو بلاد واسعة ، أي المجضع ، سناتي على ذكره عند بحث دارة الأسواط ، أما موقع خنثل بالنسبة لبلاد المجضع فإنه غير بعيد منها ، فهو موال لناحية المجضع الشمالية ، لا سيا أعلاه ، فوادي خنثل قريب من نملى من ناحية وقريب من المجضع من ناحية أخرى ، أما ما يخص (ذات آرام) فإنه لا يوجد بقرب نملى موضع يعرف بهذا الاسم في هذا العهد ولا ما يقرب من اسمه إلا موضع يقع في بطن المجضع ، بينه وبين خنثل أكثر من مسافة يوم للابل يسمى (الرومي) ويحتمل أن يكون هذا الإسم محرفاً عن (ذات آرام) ، وهو هضيبات حمر صغار يحف بها أبرق كبير مشهور ، يسمى (أبرق الرومي) ، والبعض يقولون (هضيبات الرومي) ، لأن الهضيبات صغار ، وتغلب عليها ذكر الأبرق عند البعض من سكان تلك الناحية وهذا الموضع واقع في ناحية (المجضع) الشمالية ، بين هضبة (كبد) من الغرب وهضبة المنخرة من الشرق ، في منقطع نفيّد – تصغير نفود – الحريريّة من ناحية الجنوب الشرقي يمر به العابر بين الدخول والأيسري . وهذا الموضع لا يوجد فيه دارة .

---

(١) المغانم المطابة ، ص ٢٨٤ . (٢) بلاد العرب ، ص ١٦٢ .

٢ـ **دارة الأسواط** : قال الشيخ حمد نقلاً عن معجم البلدان إنها بظهر الأبرق بالمضجع ، وأنها برقة بيضاء لبني قيس بن جزء بن كلاب .

قلت : وهذا التحديد صواب إلا أنه لم يوضح موقعها من بلاد المضجع ، وقد ذكر لها ياقوت علما – حمة سوداء – غير أن الشيخ حمداً اختصر عبارة ياقوت ، والواقع أنها تقع في حد المضجع الشرقي الجنوبي ، جنوباً من الأروسة بميل يسير إلى الغرب ، وشرقاً من الدخول ، وتقع في برقة بيضاء يحف بها – أي الدارة – من ناحية الجنوب الغربي حمة سوداء تسمى (حمة الشّهد) ، والشهد ، بفتح الشين المشدّدة بعدها هاء مفتوحة فدال مهملة (قهب) [(١)] أبيض له ظهر مرتفع يحف بالحمة من الجنوب ، وفي ناحيته الجنوبية تقع خباري (الشّهديّات) ، وهي خبارى مشهورة تحفظ مياه الأمطار مدة طويلة ، ويحتمل أن تكون هذه الخباري هي الاسواط التي نسبت الدارة إليها ، وقد ذكر ياقوت في معجمه أن الاسواط مناقع المياه . أما في هـذا العهد فإن الدارة تنسب إلى حمة الشهد .

المضجع : (المضجع) في هذا العهد ، قال الشيخ حمـد : يفهم من كلام مؤلف كتاب « بلاد العرب » بأنه أرض واسعة ، فيها جبال ورمال ومياه وأنه لبني أبي بكر خاصة ، كما يفهم من تحديده أنه يقع في عالية نجد غرب جبال عرض شمام (القويعية) وشرق أودية سبيع ، أي في مفيض وادي الخرمة ، وما حوله ، وجنوب غرب منهل عفيف ، ويقع منهل سجا ومـا حوله في المضجع ، ثم قال أيضاً : وللهجري كلام يوضح موقع المضجع ، فقد قال : العظاة : بئر بعيدة القعر ، عذبة ، بالمضجع ، بـين رمل السرة وبيشة ، وإلى جانبها الأروسة ، والكهفة قربها ، اهـ . ثم قال : ومن أودية المضجع خنثل على ما ذكره مؤلف كتاب « بلاد العرب » وخنثل واد عظيم لا يزال معروفاً جنوب غرب سجا . اهـ .

---

(١) القهب : يعنى الجبل الذي يتكون من سلسلة واحدة غير مرتفعة ، ولا يكون إلا أحمر أو أشقر أو أبيض .

وسأناقش ما أورده بشأن تحديد المضجع أولاً ثم أتلوه بذكر خنثل ، إن شاء الله .

المضجع : قال في القاموس : ضجع كمَنَعَ ضجعاً وضُجوعاً وضع جنبه بالارض كانضجع واضطجع ، واضجع والطّجع ، والمضجع كمقعد موضعه كالمضطجع ، ووادٍ فيه بروث بيض لبني أبي بكر بن كلاب ، ويقال له المضاجع . ا هـ .

المجضع : في لغة عامة أهل نجد بمعنى (المضجع) قال سعد بن حمد بن ضويان من قصيدة شعبية :

يا حسين لكنّي على النار مجضوع من فقد خلاني وفقدي ربوعي

ويطلق هذا الإسم على بلاد المضجع الواقعة في عالية نجد ، ويقال المجاضع ، ومـا ذكره الشيخ حمد عن الوصف لبلاد المجضع ينطبق عليه ، فهو بلاد واسعة ، لينة التربة تكثر فيها الرمال والبرق ، وفيه جبال كثيرة، أما قوله : أن منهل سجا وما حوله يقع في المضجع ، فإن هذا غير صواب وذلك لأن (منهل سجا) واقع في بلاد (العبلة) وصحراء العبلة تجاور المجضع من الشمال غير أنها تتميز عنه بصفات طبيعية خاصة ، أما ما ذكره عن المجري فهو تحديد صائب ، فطريق القوافل القديم التي تتنقل بين أواسط نجد وبيشة تنفذ نفود السرة مما يلي ماء (الصخة) ، ثم ترد (الدخول) أو (الكبدي) وكلاهما ببطن المجضع ، ثم ترد ماء (ورشة) وهو في حد المجضع الجنوبي ، أما ماء (الأروسة) فهو في حدود (المجضع الشرقية) ويصدر فيه . أما (الكهفة) المعروفة بهذا الاسم في هذا العهد في تلك الناحية فهي (خبراء) مشهورة ، تقع جنوباً من مـاء (البُديعة) في ناحية المجضع ، في حد رمل (الحريرية) من الشمال وعندها أبرق مشهور يسمى (أبرق الكهفة) وفي ناحيتها الشمالية ماء مرٌ جاهلي يسمى (ملحة) لقبيلة النفعة ، وفيما بينها وبين (الحريرية) ماء مر جاهلي يسمى (ُخويتمة) نسبة إلى الرجل الذي احتفره ، من قبيلة النفعة ، اسمه (خويتم) تصغير خاتم .

وقال الشيخ حمد : ومن أودية المضجع خنثل على ما ذكره مؤلف كتاب « بلاد العرب » . والواقع أن (خنثلاً) لا يقع في بلاد المجضع ، بل هو يقع شمالاً منهـا ، فهو واد مشهور ، يبدأ من هضبة (البجادة) ومن حـــد (مُرَيْطِبَة) شرقي هضاب الحَوَم ؛ في جنوب العبلة ثم يتجه غرباً شمالياً تاركاً ماء (حيزان) شمالاً منه، وماء (مامون) يساراً منه، وماء (القطان) غرباً منه ، ويفيض في أرض فيها قرار تسمى (عايرة سويقة) شرقي سويقة ، ثم يتسرب ماؤه في سبخة عباب .

أما بلاد المجضع : فهي تتميز عن بلاد العبلة بأنها صحراء رملية لا ينبت فيها شيء من أنواع الحمض بخلاف العبلة التي تنبت كل أنواع الحمض وأرضها حزوم وعبل متصلة مرتفعة تكثر فيها السبخات ، والحدين المجضع والعبلة (صعوان الديعة) و (أبرق برة) و (العوشزية) و (الحصية) هضبة ، و (هضبة الرزيزا) وهي آخرها غرباً ، أما ناحيته الشرقية فتحف به (البديِّعة) و (الأروسة) وما والاها ، وحدوده الجنوبية (حوضَى) وأطراف هضب الدواسر الشمالية الغربية ، ويحف به من الغرب عرق سبيع وأعظم نباته (النصي) و (الخصاب) و (الثمام) وفي ناحيته الجنوبية ، تقع جفرة الصاقب ، أرض منخفضة ، تحيط بها التلال والصحاري الرملية وتنزل فيها سيول ما حولها من المرتفعات ، ويتوسطها جبل (الصاقب) قمة حمراء عالية، وهي من أطيب المراعي ، ويشترك في بلاد المضجع قبيلة المقطة، والنفعة ، والشيابين وكلها من برقا من عتيبة .

٣– دارة الأكوار : قال الشيخ حمد: قال عنها ياقوت : إنها فيملتقى دار ربيعة بن عُقيل ، ودار نهيك ، وذكر أن الأكوار جبال . هـ.

والواقع أن الأكوار جبال سود واسعة في ناحية رنيــة معروفة بهذا الإسم في هــذا العهد ، وقال الهمداني [١] : الكور جبل رنية . أما موقع الدارة منهذه الجبال فإنني لم أطلع عليه بعد، وهي واقعة في بلاد بني عقيل.

٤ -–دارة الأسود : قال الشيخ حمد : هذه الدارة تقع بقرب بلدة ضرية ،

تبعد عنها على طريق المدينة بـ ١٩ ميلا ، وذكر عن الهجري أنها تقع بين جبل عظيم أسود ورملة . والواقع أن هذا التحديد وهذا الوصف الجغرافي ينطبقان تماماً على دارة القطّار ، وهي دارة واسعة معروفة في هذا العهد ، يحف بها جبل القطار من ناحية ، ويحف بها رمل عريق شعبَى من ناحية، أما جبال القطار فهي جبال سود عظيمة ، تقع في ناحية شعبى الجنوبية الغربية ، غرباً من بلدة ضرية وفيها مياه ورسوس عذبة ، وهو الذي ذكره الشاعر الشعبي سرور الأطرش من سكان بلدة الرس بقوله : [٢]

يا ليتني من قبل عرفه توفيت والموت ينسيني عجايب دلاله
يذكر بوادي شعر شيّد له البيت من دونه القطار زمت جباله [٣]
يا لله عسى القطار يا والي البيت يمحل ثمان سنين ما اخضر جاله

والواقع أن جبال القطار واقعة بين جبل شعر والرّس ، مع ميل يسير صوب الغرب ، ويبدو لي أن جبال القطار ، هي الجبال التي كانت تسمى قديماً (أسود العين) وذلك أن التحديد والوصف الجغرافي الواردة في كتب المعاجم له ينطبق على جبال القطار ، قال البكري [٤] : ثم جبل من أجبل الحمى على طريق الحاج للمصعد ، جبل أسود ، يقال له أسود العين ، وقال بينه وبين الجديلة خمسة أميال من دونها، وبينه وبين (ضريّة) سبعة وعشرون ميلاً ، وذكر أنه في أرض بني وبر بن الأضبط .

٥- دارة أهوى :قال الشيخ حمد ذكرها ياقوت وقال بأنها من أرض هجر ، وأورد من الشواهد قول الرعي :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل بدارة أهوى أو بسوفة حائل

وقال أيضاً : وأورد عن نصر أنها من المروت ، والقول الأخير هو الصواب ، وهو الذي ينطبق عليه الشاهدان اللذان ذكرهما ياقوت للنابغة الجعدي وللراعي . هـ

قلت : ما ذكره الشيخ حمد عن تحديد (أهوى) ووقوعها في المروت

(١) صفة جزيرة العرب ، ١٢٥ .
(٢) شعراء الرس النبطيون ، ص ١٧ .
(٣) زمّت : إرتفعت .
(٤) معجم ما استعجم ص ٨٦٨ .

تؤيده شواهد وأقوال كثيرة في كتب المعاجم، ولكن اللاحظ هو أن ياقوتاً ذكر دارة أهوى باعتبار ذكرها في البيتين اللذين أوردهما ، والواقع أن هذين البيتين أوردهما البكري برواية تختلف عما ذكره ياقوت وقد أوردهما ياقوت عند ذكر دارة أهوى أحدهما للجعدي هكذا :

تدارك عمران بن مرة سعيهم بدارة أهوى والخوالج تخلج

والثاني قول الراعي :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل بدارة أهوى أو بسوفة حائل

بينا نجد أن البكري أورد البيت الأول شاهداً على ذكر أهوى هكذا:[١]

تدارك عمران بن مرة ركضهم بقارة أهوى والخوالج تخلج

وأود البيت الثاني للراعي شاهداً عند ذكرها حائل هكذا : [٢]

تهانفت واستبكاك رسم المنازل بقارة أهوى أو ببرقة حائل

ولم يذكر البكري لأهوى دارة ، وإنما ذكر لها جبلاً ، وبالنظر إلى الاختلاف الواقع بين البكري وياقوت في رواية الشـــاهدين فإني أشك في وجود هذه الدارة في ناحية المروت ، وليس لدينا ما يويد احدى الروايتين إلا البحث الميداني عن هذه الدارة ، ولم نعثر عليها بواسطته بعد ، أما القور في تلك الناحية فإنها كثيرة ومن اللاحظ أن أهوى القارة والماء لا يعرف شيء منهما بهذا الاسم في هذا العهد .

٦- دارة بدوتين : قال الشيخ حمد: ذكر ياقوت أنها لربيعة بن عقيل، وأن بدوتين هضبتان بينهما ماء ، وتقـدم ذكر بلاد ربيعة بن عقيل عند ذكر دارة الأكوار . هـ

وأقول : ان هذا التحديد الذي ذكره الشيخ حمد عن ياقوت صائب ، غير أنه لم يحدد موقع بدوتين من بلاد ربيعة بن عقيل ، وبدوتان هضبتان حمراوان ، واقعتان في ناحية هضب الدواسر الغربية الشمالية . وتسميان في هذا العهد ، (بدوات) وإذا أفردوا واحدة قالوا بدوة الغربية أو بدوة

(١) معجم ما استعجم ص ٢٠٦ . (٢) معجم ما استعجم ص ٤١٤ .

الشرقية ، وبينهما ماء يسمى بـ «الفقا» قريب من ناحيةبدوة الغربية من الشرق. وفي بدوة الشرقية ماء يسمى (ماروك) والدارة تقع في بدوة الغربية ، في ناحيتها الغربية الشمالية ، تحف بها أطرف الهضبة من ناحية وتحيط بها البرق من نواحيها الأخرى ، وهي مشهورة في هذا العهد ، وبدوات لا تزال مشهورة بهذا الاسم قال شاعر من قبيلة عتيبة :

وصلت بدوة وهضاب السخال وشفت شعاب

وودّي أرجع ولالي بالديار اللّـي وراهـا

٧- **دارة البيضاء** : قال الشيخ حمد: قال عنها ياقوت الجثوم ماء لبني الأضبط يصدر في دارة البيضاء ، وإذن البيضاء هذه بقرب الجثوم ، وجثوم بـني الأضبط هؤلاء منهل غرب بلدة ضرية لا يزال معروفاً . هـ

قلت : هناك محامة واسعة على شكل دارة تحيط بها جبال سوداء، تسمى (حمة الدليبيسية) والدليبيسية ، ماء مر للعواجي الجذع الروقي واقع في ناحية هذه المحامة، وهي واقعة في مصادر الجثوم من الناحية الغربية الجنوبية وليس في مصادر الجثوم ما تنطبق عليه صفاة الدوة الدارة غير هذا الموضع ، فهو دارة محاطة بسلاسل حمة تكتنفها صياهد برقة بيضاء .

٨ – **دارة تيل** : قال الشيخ حمد : ذكرها ياقوت، وأورد تعريفاً لتيل ، وشدأ من قول ابن مقبل :

لمن الديار بجانب الأحفار فبتيل دمخ أو بسفح جرار

والذي يظهر لي : أن تيلا ، هو تحريف بتيل . وقال في تعليقه على مـا ذكره ياقوت ، ان الوصف الذي أورده ينطبق على جبل البتيل الذي لا يزال معروفاً ، وإن الشاعر أضاف الإسم إلى دمخ ، والقريب من دمخ هو البتيل، ولا يزال معروفاً ، كأنه انبتل من دمخ ، أي انقطع . قلت : الواقع أنـه لا يوجد ناحية دمخ موضع أو جبل يسمى (البتيل) أو (البتيلة) في هذا العهد ، وليس في جنوب نجد أو عاليته ما يسمى بهذا الاسم إلا موضع واحد يقع بعيداً عن دمخ ، وهو هضبة سوداء ملتفة حول نفسها عالية المناكب ،

تقع في ناحية (حضن) الشرقية الشمالية منقطعة منه تسمى (البتيلة) ومن الملاحظ في هذا العهد أن بعضاً من بادية نجد يقولون للهضبة الفارغة المرتفعة بتيلة كصفة لكل هضبة من هذا النوع ، وليس علماً ، ما عدا هذه الهضبة الواقعة في ناحية حضن ، قال الشاعر عسكر بن جويعد الغنـــامي يذكر بتيلة حضن :

إن متّ يا عايض تراني قتيله   أنا قتيل الزّين لوما استنى بي
وإن متّ حطوني مع أيسر مخيله   بين شعفين وبين هاك الهضاب
ويا صاحبي برني رنيه مكيله   ولا يشرب إلادرّ شول عراب
وحب البني منسوق مكه يجي له   وحساوة الوادي لخليّ شراب

إلى أن قال :

ويا خل أبا ابدي لك براس البتيله   وأنته تعدّي في طويل الهضاب

وقد لاحظنا أنه ذكر شعفين مع ذكر البتيلة ، وهمـــا في أسفل وادي الخرمة ، يراهما الرائي من هضبة (البتيلة) .

أما ذكر البتيلة كصفة ، فهو كقول عبد الهادي بن جويعد المضيّاني :

وقت الضحى عدّيت عالي البتيله   واعذل على عين تزايد عبرها
أخيل ربان تحـــدّر مخيله   عني على خشم العرايس مطرها
عساه يسقي لي شعيب الثميله   لين ان شعيب غثاه يشبك زهرها

وقد سألت هذا الشاعر نفسه عن البتيلة التي ذكرها ، فقال : كل هضبة مزمومة بتيلة، والمزمومة ، هي المرتفعة الفارغة ، وإذا عدنا إلى جبل (دمخ) وما حوله من الجبال التي يمكن أن ينطبق عليها الوصف الذي ذكره الشيخ حمد عن ياقوت، أي ما هو الجبل القريب من دمخ ، والذي يشبهه في تكوينه الجيولوجي ، فكأن انبتل منه ، إذن لا نجـــد حول دمخ إلا هضبتين ، إحداهما هضبة حمراء تشبه دمخاً تكويناً ، حمراء صغيرة، واقعة غرباً من دمخ في عبلة مرتفعة ، على ضفة وادي قحقح ، تسمى (وتدة) وهذه الهضبة ليس حولها دارة ، ولا ينطبق عليها ما ذكره ياقوت ، والقانية : هضبة

كبيرة تقع جنوباً من دمخ ، يحف بها وادي السرة من الجنوب وهي تشبه جبل دمخ تكويناً ولونا ، وكأنها منقطعة منه ، إلا أنها لا تسمى (البتيل) في هذا العهد ، ولكنّها تسمى (فريدة دمخ) مشهورة بهذا الإسم ، أما فيما يخص الدارة ، فهناك محامة واسعة على شكل دارة – وإن كانت معالمها غير واضحة كدارة – تحف بها من الجنوب الغربي جبيلات حمر تميل إلى السواد تسمى (ضليعات المداوير) ومن النواحي الأخرى تحف بها مرتفعات عبلة مرتفعة ، وهي أشبه بشكل الروضة المنخفضة ، وفيها أنواع من الحمض، وسيلها يفيض جنوباً ، وهي واقعة في الناحية الغربية من فريدة دمخ ، غير بعيدة منها ، وفي ناحيتها الجنوبية بئر جاهلية قديمة مرة ، قد احتفرها ابن عميش الشيباني ثم هجرها فتهدمت وهي بعيدة القعر ، وموقعها فيما بين هذه الدارة وبين وادي السرة ، ولا شك أن عوامل الزمن لها أثر كبير في تغيير معالم كثير من البقاع وتشكيلها جغرافياً بأشكال تختلف بعض معالمها عن شكلها القديم .

٩ – دارة الجأب : قال الشيخ حمد : الجأب لبني الهجيم بن عمرو بن تميم ، ومنازل هؤلاء في شرقي القصيم ، وذكر من منازلهم (حنيظل) والعوسجة (العوشزية) و (السمينة) . وقال : الجأب في اللغة ، المغرة – الطينة الحمراء التي تصبغ الثياب – وهكذا طبيعة كثير من القرى الواقعة في تلك الجهات .

قلت : هذه الدارة ذكرها الأصمعي في كتابه (دارات العرب) وأورد لها شاهداً من الشعر ، وقد ذكرها البكري وحددها تحديد أدق مما ذكره الشيخ حمد وأورد شواهد على ذكرها ، قال البكري : الجـأب ، مهموز ، بالباء المعجمة بواحدة ، هو الذي تنسب إليه دارة الجأب ، وقال : الجأب بين المغرة الحمراء وعقدة الحبل ، وأورد قول عنترة :

فكأن مهري ظلّ منغمسا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ بشبا الأسنة مغْرة الجأب

فوجد الجأب في ديار بني تميم اهـ. قلت : ذكره البكري مع عدة مواضع في شرقي القصيم وقد حددها ، ولم أطلع على معالم هذه الدارة بعد .

١٠- دارة الجثوم : قال الشيخ حمد : قال ياقوت : عن هذه الدارة أنها لبني الأضبط بن كلاب ، وأن الجثوم ماء لهم ، يصدر في دارة البيضاء ، ولهذا أرى أنها هي دارة البيضاء المتقدم ذكرها . ا هـ.

قلت : دارة البيضاء قد تقدم الحديث عنها، أما دارة الجثوم : فهي واقعة بين هضاب الجثوم دارة واسعة يحف بها صيهد أبيض ، والهضاب حمر كبار تكتنفها ، أما ماء الجثوم فهو ماء عذب ، واقع في ناحية الدارة الجنوبية ، بين الهضاب ، وهو تحت يد ابن مسيلم السيحاني الروقي ، تقع غرباً من المكلاة ، وشمالاً من الستار .

١١- دارة جلجل : ذكرها الشيخ حمد وأورد في ذكرها كثيراً من الأقوال ، ورجح قول الهجري في تحديدها ، وقال : على أن الهجري ، وهو ممن عرف نجداً معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل : وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب ، وأرى أن الصواب مع الهجري ، وعلل ما قاله تعليلاً يُطمأن له . ا هـ

قلت : والمعروف في هذا العهد أنه لا يوجد في عالية نجد أو ناحيته الجنوبية موضع بهذا الاسم أو قريب منه إلا موضع واحد ، هو جبال (جَلاجِل) الواقعة في الهضب الأسمر ، هضب الدواسر ، ويحتمل أن كلمة جلاجل محرفة من كلمة جلجل ، ويؤيد ذلك قرب هذه الجبال من المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في شعره مثل : الدخول وحومل وصاحتين وعمايتين وغاضر والقمرى ، وكلها في جنوب نجد ، وفي جبال (جلاجل) دارة واسعة واقعة في وسط الجبال تحيط بجهاتها سلاسل سوداء ، وهي من أوسع الدارات وأطيبها تربة وأكثرها نباتاً ، ولهذا نجد بعضاً من البدو يسمونها (روضة جلاجل) بينا الآخرون يسمونها (دارة جلاجل) ومعالمها الجغرافية قد أعطتها صفاة الدارة الكاملة .

١٢- دارة الجد : ذكرها الشيخ حمد، وأورد شاهداً من قول عمارة وشاهداً من شعر طفيل الغنوي ثم قال: ولا أعرف شيئاً عن تحديد هذه الدارة . ا هـ.

قلت : هذه الدارة ذكرها الأصمعي في كتابه الدارات ، وأورد شاهداً :

ما أنس لا أنس ثم موقفنا يوم التقينا بدارة الجـــد

وقال البكري[1] : دارة الجد ، بضم الجيم والميم ، وقال [2] : الجـد ، بضم أوله وثانيه ، وهو جبل تلقاء أسنمة ، قال النُّصيب:

وعن شمائلهم أنقاء أسنمة وعن يمينهم الأنقاء والجد

وقال أرطأة بن سهية :

عوجا نلمّ على أسماء بالثمد من دون أقرن بين القور والجد

فالثمد غير مضاف ماء لبني حريرة بن التيم [3] ا هـ ويبدو ممـا ذكره أنها في بلاد تميم ممـا يلي أسفل الدهنا ، ولم أطلع على معالم هذه الدارة وحدودها في هذا العهد .

١٣ـ دارة الخرج : قال الشيخ حمد: أرى صواب الاسم هنا بضم الخاء - لا كا ذكره ياقوت - ما دام شاهده قول المخبل السعدي التميمي :

محبّسة في دارة الخرج لم تذق بلالا ولم يُسمح لها بنجيل

قلت : هذه الدارة ذكرها البكري فقال : قال الأعشى :

ويومَ الخرج من قرماء هاجت صباك حمامة تدعو حماما

فالَخرج من قرماء ، قال تأبط شرا :

على قرمـــاء عالية شواه كأن بياض غرته خمـــار

وللخرج دارة تنسب إليه . ا هـ [4] . وقد ذكر البكري هنا أن (الَخرج) بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، وذكر أن (الخرج) من قرمـاء ، وهو الذي تنسب إليه الدارة ، وقال ياقوت[5] : قرماء ، قرية بوادي قرقرى باليمامة ، وقال عن أبي زياد ، أنها لبني ظالم من نمير ، وأنها قرية كثيرة النخل، وأنها التي ذكرها جرير في هجاء بني نمير ، حيث قال :

(١) معجم ما استعجم ص ٥٣٤ .
(٢) معجم ما استعجم ص ٣٩١ .
(٣) معجم ما استعجم ص ٣٤٥ .
(٤) معجم ما استعجم ص ٤٩١ .
(٥) معجم البلدان ، ج : ص ٣٢٩ .

سيبلغ حائطيّ قرماء عني قواف لا أريد بهـــا عتابا

وقال الأعشى :

عرفت اليوم من تيّا مقاما بجوّ أو عرفت لها خياما
فهاجت شوق محزون طروب فأسبل دمعه فيهـــا سجاما
ويوم الخرج من قرماء هاجت صباك حمامة تدعو حماما

قلت: ما قاله البكري عن هذه الدارة وما أورده من الشواهد ، يفيد أن (الَخرج) الذي تنسب إليه الدارة واقع في ناحية (قرماء) ومـــا ذكره ياقوت يؤيد ذلك ، كما يفهم منه أن (قرماء) هي المعروفة اليوم باسم (ضرما) من نواحي اليمامة .

١٤- دارة دمخ : هذه الدارة ذكرها الشيخ حمد ، وحدّد (دمخاً)تحديداً صائباً ، ثم قال : وبقربه – أي دمخ – أمكنة كثيرة تنطبق عليها أوصاف الدارات . قلت : جبل دمخ معروف بهذا الاسم قديماً ولا زال يعرف به ، أما دارته ؛ فانها تقع في ناحيته الغربية ، معروفة في هذا العهد ومشهورة تسمى (دارة دمخ) والبعض يقولون (الدّويرة) تصغير دارة ، وهي دارة محاطة بجبال دمخ العالية من كل جهاتها ، وسيلها يفيض غرباً ، فيما بين ناصفة دمخ من الجنوب وفيضة الفضية من الشمال ، أما الفضية ، تصغير فضية فهي بئر عذب في جهة دمخ الغربية ، وكل مياه دمخ تحت قبيلة الشيابين من عتيبة .
١٥-دارة الدور : ذكر الشيخ حمد هذه الدارة ، وأورد ما ذكره ياقوت في ذكرها ، ثم أورد البيتين الآتيين :

اوحشت من سروب قومي تعار فأروم فشابة فالستار
فإلى الدّور فالمرورات فيهـم فحفير فناعم فالديـــار

ثم وجه رأيه على ضوء ما أورده من الشواهد توجيهاً مقبولاً فقال : إنها في أسافل الحجاز ، من بلاد غطفان . ا ه .

قلت : جميع المواضع الواردة في البيتين السابقين لا تزال معروفة بأسمائها ، تعار ، أروم ، شابة ، الستار ، الدّور ، مرورات ، حفير ، وكلها بلاد

متقاربة واقعة في أيمن وادي ساحوق ، بعضها في بلاد حرب ، وبعضها في بلاد مطير بني عبدالله والبعض يشتركون فيه ، أما الدّور : فانها هضاب حمر منتظمة على شكل دائري إلا أن بعضها غير متصل ببعض ، تحف بها صحراء دكاك ، وما بينها من الصحراء منخفض تكتنفه صياهد ، وتسمى في هـذا العهد (الديّر) وهي واقعة في أيمن ساحوق ، غرباً من الهميج ، وغرباً منها (الزعفرانة) ماءعدٌ ، لحرب ، وقد أقاموا عليه قصيرات قليلة ، وهي قريبة من (مرورات) ومن حفير ، المعروفة في هذا العهد باسم (الحفيرية) .

١٦-دارة الذئب : ذكر الشيخ حمد هذه الدارة ،وذكر دارة الذؤيب ، وأورد ما ذكره ياقوت في تحديد كل منها ، وقال فيما نقله عن ياقوت : الذؤيبان - تثنية ذؤيب - ماءان لبني الأضبط حذاء الجثوم ، ثم حدّد موضع الجثوم ، وذكر عن شارح القاموس أنه قال : إن الذؤيب دارتان لبني الأضبط ، وقال : ومنازل بني الأضبط في نواحي الجثوم .

قلت : الذئب والذؤيب جبلان معروفان بهذا الاسم حتى هذا العهد ، وهما جبلان أغبران يميــلان إلى السواد ، الذئب ، أكبر من الذؤيب وهو الشمالي منهما ، والذؤيب يشبهه إلا أنه أصغر منه ويقع جنوباً منه ، تفصل بينهما صحراء ، وتحف بهما برق ، وأرض دكاك . وهما يقعان في الجهة الغربية الشمالية من الجثوم ، إلا أن بينهما وبين الجثوم بلاد واسعة ، فهما في بلاد مطير بني عبد الله ، والجثوم في بلاد الروقة من عتيبة ، ويقع ماء (ثرب) في ناحية الذيب الشمالية ، والصفرة شرق منه - صفرة ثرب - قال عسكر بن جويعد الفنامي الروقي :

وخشم القياسر من عشيري حريّه واقصى حراويهم من الذيب ويسار
والنير تدنيهم خشومــه عليّه وابوي يا مال الحيا، مير من دار

وقد ذكر الذئب مع القياسر ، لأنهما متقاربان وكلاهما في بلاد بني عبد الله مما يلي الروقة ، وقال عسكر الفنامي أيضاً :

لا بد من يوم عليكم نغيره   من والفة يشبك نفلها على الذيب[١]
لياجوها قشمان راعي الجريره   بأولاد روق معلقين الأصاويب[٢]

والفة : واد يقع غرباً من الذيب ، ويفيض فيه وادي ثرب ، وقال سعد ابن مزين العضياني :

الليله القلب بأطرافه مناديب   هنداب قوم تقفوا حاكم عادي
سارين من ثرب وأيمنهم وطا الذيب   يبون جبار والا الشظو ميراد

أما الدارات المنسوبة للذئب والذؤيب ، والقريبة منها :

دارة الذيب : تقع هذه الدارة غرباً من الذيب والذؤيب ، بينهما ، تحف بها برق ، وهي من الدارات المعروفة في هذا العهد ، وهي أدنى إلى الذؤيب يسيراً ، ولكنها تنسب للذئب .

١٧-دارة سمران بن مرعي : سمران بن مرعي تقع شمالاً من الذيب ، جبال سود في وسطها دارة محفوفة بالجبال ، وبينها وبين الذيب وادي (والفة) وقد نسبت إلى ابن مرعي ، رجل من حرب أغار على قبيلة من مطير فقتلوه في هذه الجبال ، وسموها بهذا الاسم نسبة إليه .

١٨-محامة مُخَرْجَة : تقع صوب مطلع الشمس من جبل الذؤيب ، وهي محامة واسعة مزدحمة بشجر الرمث ، وتحف بها برق الذؤيب من ناحية ونواحيها الأخرى جذيب أسود وعبلة ، أما ماء الذيبيّة : فإنه ماء جاهلي ، عِدّ قديم يقع في ناحية جبل الذيب مما يلي مطلع الشمس .

(للبحث صلة)

الدوادمي   سعد بن عبد الله بن جُنَيدِل

(١) النفل : العج الكثيف .
(٢) قشمان : ضيف الله بن عميرة أمير الغنايرة .

بلاد العرب

في مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا

- ٣ -

المسألة الأدريسية :

عرضت على انظار القارىء في المقالين السابقين معلومات موجزة عن (عسير) التي لها مقام رفيع في جزيرة العرب ، وان الخريطة التي وعدت بها القراء ستتم بعد بضعة ايام فأنشرها مع الفصول التالية لتساعد على معرفة البقاع التي اتكلم عليها .

أظن ان البيانات التي تقدمت كافية لتكوين فكرة اجمالية عند القارىء عن مقاطعة عسير . ولما كانت وقائع السيد الأدريسي في عسير هي من مقدمات الحوادث الحاضرة في الحركات العربية العامة التي كنا نستشعر بوادرها قبل الحرب العظمى ثم رأيناها تدخل في دورها العملي بعد عقد الهدنة لذلك احصر البحث في مقال اليوم بالمسألة الأدريسية وكيفية حدوثها ، جاريا مع الوقائع بحسب تسلسلها .

على أثر اعلان الحكومة العثمانية النظام الدستوري عهد الي في قيادة منطقة اسكدار في الاستانة ، ثم لما حدثت ثورة ١٣ ابريل المعلومة وقع علي الاختيار لاكون متصرفاً على لواء عسير وقائداً لجنوده . وقد كانت لي صلة ود قلبي مع الامة العربية من حداثة سني ، لأن والدي المرحوم علي كمالي باشا كان والياً على طرابلس الغرب وبني غازي أيام فتوتي، ثم تولى امارة الحج الشامي — وكنت ضابطاً في مقتبل العمر — فصحبته من دمشق الى مكة المكرمة من طريق البر

ووجدت ضابطا في اليمن برتبة قائد الف بين سنتي ١٨٩٣ و ١٨٩٥ - فهذه الاواصر ربطتني بالامة العربية وجعلتني افهم لغتها. وكان السبب في اختياري لهذا المنصب في عسير وقوفي كثيراً أو قليلاً على احوال البلاد العربية وأهلها ورغبتي الشخصية في العمل ببلاد العرب . ومما حمل الباب العالي على التعجيل في تعييني لمتصرفية عسير وارسالي اليها على جناح السرعة ظهور السيد الأدريسي في ذلك الحين في عسير واعماله يـــد التحريض من وراء ستار في شعب ألف السكينة والدعة، فاراد الباب العالي ان استكشف مقاصد السيد الأدريسي وحركاته وان اتعرف درجة تأثيره في الأهالي ، وان اختبر عوامل مساعيه ، وأدرس الوسائل والتدابير التي يجب على الدولة ان تقوم بها تجاه ذلك .

وقبل ان أبرح الاستانة زرت الصدر الأعظم ووزيري الحربية والداخلية واطلعت على الملفات والدوسيهات الخاصة بعسير في تلك الوزارات ، غير اني لم أجد فيها معلومات صحيحة تشفي غلة الباحث ، بل فيها معلومات تدل على سذاجة وجهل ، مثل دعوى ان الأدريسي يطلي وجهه بالفوسفور ويستعمل الاهتزازات الكهربائية مخادعا الشعب بذلك ومدعياً الولاية والمهدوية .

وكان الصدر الأعظم يومئذ المرحوم حسين حلمي باشا ، فاجتمعت به للمرة الثانية وذاكرته في موضوع المسألة الأدريسية واعربت له عن اعتقادي بان ما احتوته ملفات الباب العالي من المعلومات عن عسير كلها من قبيل الاراجيف ، وقلت انه لا يجوز ان نبادر الى حركات نبنيها على مثل هذه المعلومات ، ولا بد من الاطلاع على حقيقة الحال في موضعها وبعد ذلك استطيع ان ابدي في الموقف الرأي الصواب .

وكان الباب العالي قد تلقى من اليمن تقارير ألجأته الى اتخـــاذ قرارات مستعجلة، ومن هذه القرارات أنه قد وضع تحت تصرفي قوة عسكرية بالمقدار الكافي ، وقد ابلغوني ذلك رسمياً . فكان جوابي عن ذلك انني لا أرى من الصواب ان اصحب معي تلك القوة ، وأنه لا بد قبل كل شيء من ان اصل إلى هناك واكون على صلة بزعماء البـــلاد ومشايخها ، وأتعرف حقيقة الفساد ومصادره . غير اني طلبت استكمال نواقص الفرق العسكرية الموجودة في سير ، وأخذت معي – لأجل ذلك – بلوكا واحداً من جنود الرشاشات .

الوحيدة ، وما برحت منذ ستمائة سنة تجاهد بسيفها لإحياء وإعلاء وحماية دين جدك المحترم المكرم ، وهي في حاجة إلى المظاهرة والمعاونة من أمثالك سادات العلماء الذين يفكرون في خير الأمة ولا تنتظر منك غير ذلك . وإني أؤمل فيك أن تتكاتف على العمل لسعادة هذا الشعب البائس الغارق في بداوته فإن لم تفعل تبوء بغضب الدولة وقهرها وتقع عليك مسئولية دماء المسلمين التي ستسفك في هذا السبيل .

وأرسلت إلى الاستانة بخبر الوقائع التي حدثت على وجه التفصيل ، وذكرت التدابير التي اتخذتها ، ومما قلته في عريضتي إلى الاستانة :

« يجب أن لا يتدخل أحد من الخارج في شؤون عسير ولا سيما أمراء مكة الذين يجب أن تنقطع كل علاقة لهم بهذه الجهة . وان الذي يشكوه الأهالي هنا هو عدم وجود حكومة . والسبب الأعظم في شهرة السيد الادريسي هو أنه قبض في صبيا على بضعة أشخاص من القتلة المجرمين فنفذ فيهم حكم الإعدام ، وعالج مسألة الدماء السابقة بين القبائل فأعلن إسقاط حقوق الثارات كلها برضى جميع القبائل ، وأزال ما بين الناس من تنافس وغل ، وخلصهم من جميع الضرائب فاقتصر على أخذ الزكاة الشرعية منهم فكانت أعماله هذه مما حببه إليهم ، ورفعه في عيونهم . لذلك ألتمس من الباب العالي أن يأذن لي بتنفيذ أحكام الشريعة والعمل بعرف البلاد وعاداتها وأنا الضامن لحل مشكلة عسير واستمالة الشعب وتأليف قلوبه . وإذا لم يوافق الباب العالي على ملتمسي هذا فإني مضطر إلى تقديم استقالتي » .

أما المشايخ فأجابوني على منشوري قائلين :

« ما دمت عازماً على العمل باحكام الشرع فإنه لم يبق بيننا وبينك خلاف » .

وأما السيد الادريسي فجاءني منه جواب على رسالتي يقول فيه أن حادثة محايل وقعت على غير علم منه وان القبائل علمت بخبر بلوك المدافع الرشاشة الذي حضر من الاستانة ، فظنت أن في النية استعمال ذلك في قتال محلي ، فحركتها الغيرة الجاهلية ، وحدث ما حدث بسبب ذلك . قال : ولما بلغني الأمر كتبت

إلى القبائل الثائرة أنصح لها بالإخلاد إلى السكينة فأذعنت لنصيحتي وستعاد لكم الأسرى وكل ما أخذ من المخازن . وأعرب السيد الادريسي عن امتنانه مما ورد في رسالتي إليه ، ووعد بأنه سيساعد ما استطاع إلى المساعدة سبيلاً لإصلاح عسير ، وصرح بأنه لا رغبة له في رياسة أو حكومة وإنما يريد الخير لهذه الأمة حسبة لله تعالى ، وهو يدعو للخلافة الإسلامية بالخير والإصلاح . ثم قال : وقد فهم بعضهم أن الحرية التي هي من لوازم الدستور ستحدث فوضى في علاقة الزوجات بأزواجهن وتزيل أحكام الشرع ، وان جنوداً من الأجانب سيدخلون سواحل عسير بدعوى انهم جنود عثمانيون ، وأن الدولة ستقضي على سلطة المشايخ ، وان هؤلاء لبساطتهم وجهلهم يصدقون ما يقال من هذا القبيل ولعل ذلك من أسباب هياج الناس وثورتهم .

وعلى أثر هذا الكتاب من السيد الادريسي عادت السكينة إلى تهامة عسير ، وسكنت نار الثورة سكوناً موقتاً . وأنا أرى أن الادريسي كان يخادعني بكتابه ، وانه إنما نحا هذا المنحى فيما كتبه إلي لأنه أدرك ما كان لمنشوري على الأهالي من حسن الوقع في قلوبهم ، لأن المنشور ذهب بجميع الوسائل التي كانت تدعو إلى الثورة .

ولكن الناس كانوا بعد أن سمعوا مني هذه الأقوال ينتظرون تحقيقها بالعمل .

إن الدولة العثمانية التي احتلت عسير منذ أربعين عاماً اكتفت بأن اتخذت لنفسها بضعة مراكز عسكرية ، وكانت صلتها بالأهالي مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية بين حين وآخر لجباية الزكاة ، أما اختلافات الاهالي فيما بينهم فكانت الحكومة في معزل عنها ويالأسف ، فكان الناس يرون أنهم لا حكومة لهم ، وانهم مسلوبو الراحة والأمن العام وهم ينتظرون الفرج بظهور رجل مصلح يتولى فيهم أمر الحكم . إذن فالعسيريون لم يكونوا يشتكون من الحكومة بل من عدم وجود حكومة . وقد شعر الادريسي بهذا النقص ووقف على هذا السر ، فبادر إلى موافاة الناس بما كانوا يشكون حاجتهم إليه ، واكتسبت شهرته الأولى حتى فوزه الأخير بسبب ذلك .

ولما علمت ذلك بادرت إلى اختيار مفتي عسير الذي هو موضع ثقة الشعب فوليته القضاء وجعلت أستعمل جنودي في القبض على من يحكم عليهم القاضي من القتلة فأنفذ فيهم حكم الإعدام الذي يحكم به الشرع عليهم . وقد كان لذلك وقع عظيم عند الأهالي الذين لم يسبق لهم أن رأوا مثل ذلك في السابق. حتى أن السيد الادريسي نفسه كتب إلي رسالة شكر ختمها بالدعاء لي .

وكان قد جاءني من الباب العالي جواب التامي ، وفيه أن مجلس المبعوثان قرر العمل بأحكام الشريعة في عسير ، وصدرت الإرادة السنية بأن تكون أحكام المحكمة الشرعية نهائية في ذلك وان لنا أن ننفذ تلك الأحكام دون أن نستأذن من الاستانة ، وان من الواجب أن نضع الأنظمة الموافقة لعرف البلاد وعاداتها ونرفعها إلى الباب العالي للموافقة عليها .

إن السلطة التي منحتني إياها الدولة كانت واسعة النطاق ، غير أن المهمة التي أخذتها على عاتقي كانت مشكلة جداً . نعم إن أهالي عسير أهل فطرة وصفاء وإخلاص ، ولو كان الأمر بيني وبينهم فقط لكان التفاهم معهم سهلاً ، غير أن هنالك رقيبين مدهشين أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب – الشريف حسين والسيد الادريسي – وان مقارعة شباكهما مما يدعو إلى التفكير . فالأول من هاتين الشخصيتين المهمتين قد توشح بالراية العثمانية من جهة الشمال معتمداً على رجال في عاصمة السلطة ينخدعون بالظواهر ، وأما الثاني المقيم في الجنوب فانه ارتدى برداء الزهد والتقوى والتزوير معتمداً على أصدقائه في الخارج وكنت أنا بين هذا وذاك في وجل من الألعاب التي سيلعبانها وما سيأتي منها من ضربات مدهشة. وان الزمان والتاريخ قد أظهرا انني كنت محقاً في جميع مخاوفي .

لعلي أتعبت القارىء بسرد ما تقدم ، غير أني اضطررت إلى ذلك لبيان الأسباب الحقيقية لثورة عسير الكبرى التي سنأتي في المقال التالي على تفاصيلها وعن حملة شريف مكة على عسير .

سليمان شفيق كمالي

مؤرخو اليمن في القرن السادس الهجري

لم يلق تاريخ اليمن الاسلامي نصيبه بعد من الدراسة، رغم ازدهار حضارته وكثرة الدول التي حكمته وتعدد مذاهبها بين أهل السنة والاسماعيلية والشيعة الزيدية والمطرفية .

وأقوم منذ فترة بمتابعة البحث عن المؤلفات التاريخية اليمنية وحصرها تمهيداً لإخراجها في كتاب عنيت فيه بدراسة مصادر تاريخ اليمن ومراجعه المخطوطة والمطبوعة ، ومؤلفات المحدثين ورحلات ودراسات المستشرقين ، مع دراسة لعصوره التاريخية .

وقد سعدت أخيراً بلقاء الأستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر فعرضت عليه نتيجة عملي ، فرحب مشكوراً بأن ينشر في مجلة « العرب » قسما من هذا العمل ، وترك لي اختيار هذا القسم .

وقد وجدت أن أقدم القسم الخاص بمؤرخي اليمن في القرن السادس الهجري لما فيه من مؤلفات قيمة وإن كانت قليلة العدد ، حتى لا أطيل بذكر أسماء الكتب ، محيلا القارىء الكريم إلى هذا البحث الذي سأقدمه إلى المطبعة قريباً إن شاء الله .

* * *

... اليمن في القرن السادس الهجري كانت تحكمها خمس حكومات بعضها في وقت واحد وبعضها في فترات متتالية . فكانت هناك « دولة الصليحيين» (٤٣٩ — ٥٣٥ هـ — ١٠٤٧ — ١١٤٢ م) في صنعاء ، ودولة « بني زريع » (٤٧٠ — ٥٦٩ هـ — ١٠٧٨ — ١١٧٤ م) في عدن ودولة « بني مهدي » (٥٥٣ — ٥٦٩ هـ — ١١٥٨ — ١١٧٤ م) في زبيد ، ودولة « بني أيوب » (٥٦٩ — ٦٢٦ هـ — ١١٧٤ — ١٢٢٩ م) في اليمن الجنوبي بأكمله حتى صنعاء في الشمال . وفي نفس الوقت كانت « دولة اليمن الزيدية » ، أو « دولة

الإمامية » (٢٨٤ – ١٣٨٢ – ٨٩٨ هـ – ١٩٦٢ م) مستمرة في صعدة منذ أن دخلها الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي سنة ٢٨٤هـ.

فكانت اليمن في هذه الفترة في صراع قائم بين الاسماعيلية وأهل السنة في الوسط والجنوب ، وصراع آخر بين الزيدية والمطرفية في الشمال . وكانت اليمن تدين بالولاء للدولة الفاطمية في مصر في عهد الصليحيين ، ثم دانت لدولة الأيوبيين بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ وخروج الملك تورانشاه أخو صلاح الدين إليها في سنة ٥٦٩ هـ

هذا بإيجاز الوضع في اليمن إبان القرن السادس الهجري ، أردت به توضيح وضع اليمن من الناحية السياسية والعقائدية تمهيداً لذكر المؤرخين اليمنيين ومؤلفاتهم التي عالجوا بها هذه الفترة من تاريخ اليمن .

وسأبدأ بذكر مؤرخ ليس من القرن السادس ولكن من العشر الأواخر للقرن الخامس .

١ – أبو الطامي جيّاش بن نجاح نصير الدين ملك زبيد المتوفى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م .

[أنظر : « تاريخ ثغر عدن » ٢ : ٤٧ ، « فرجة الهموم والحزن » ١٥٣ – ١٥٤ ، « خريدة القصر وجريدة العصر» (قسم شعراء الشام) ٣: ٢٢٣، المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد » ٢٩٥، « الأعلام » ٢ : ١٤٧ « معجم المؤلفين، ٣ : ١٧٢] .

« المفيد في أخبار زبيد » . يقول بامخرمة :« .. ومن مصنفاته [جياش] كتاب «المفيد في أخبار زبيد » ويعرف بمفيد جياش للاحتراز عن مفيد عمارة [الآتي ذكره] . وهو كتاب متسع الإفادة إلا أنه عزيز الوجود بل هو من زمن مفقود [توفي بامخرمة سنة ٩٤٧ هـ] واختلف في سبب عدمه ، فقيل : لأنه كشف أنساب عدة من الناس كانوا يعتزون إلى العرب فحكى عنهم غير ذلك ، فبالغوا في إعدامه من أيدي الناس . وقيل أن جياشا لما قتل الحسن ابن أبي عقامة نقم عليه الناس ذلك ، وذكره بنو أبي عقامة بما لا يحب ،

فأودع في كتابه كثيراً من مثالبهم ، فما زالوا يسعون في عدمه ، ويشترون ما وجدوه منه بأعلى ثمن ثم يتلفونه حتى فقد وعز وجودة . (تاريخ ثغر عدن ٢ : ٤٧) والكتاب غير موجود .

٢ – **أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي أصلا ، الصنعاني اليمني مولداً ، أبو العباس** المتوفى نحو سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م .

كان إماماً عارفاً بالفقه والحديث . مولده بصنعاء ، يقول الجندي في « السلوك » (مخطوط لوحة ١٠٣ نسخة كوبريلي) « ولكن أظن أهله من الريّ فنسب إليها وكان فقيهاً سنّياً ، وكتابه يدل على ذلك وعلى سعة نقله وكال عقله ، وحققت أنه قارب في تاريخه إلى آخر المئة الخامسة » .

[« السلوك في طبقات العلماء والملوك » – خ ، « تذكرة النوادر » ٨٣ ، « الأعلام » ١ : ١٥١ و ١٠ : ٢١ – ٢٢ ، « معجم المؤلفين » ١ : ٢٩٤ ، SI 570 (333), Gal I, 406] .

تاريخ صنعاء اليمن :

في تاريخ مدينة صنعاء ، قاعدة اليمن ومـــا جاورها من البلدان وذكر حوادثها ووقائعها وملوكها وولاتها من جهة النبي ﷺ والخلفاء بعـــده . « تذكرة النوادر » ٨٣ ، وذكر الجندي في « السلوك » أنه لم يقف إلا على الجزء الثالث منه فقط ، ويبدو أن مؤلفه جعله ذيلاً لكتاب في جزئين أو لكتابين سابقين عليه من تاريخ اليمن .

[Br Mus. Suppl. 583 ، (مصورة بمكتبة جـــامعة القاهرة برقم ٢٦٠٥٧) ، paris 5824 , 1643 ، والنسخة رقـــم 1643 (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٩٦٠ تاريخ) كوبرلي ١٠٥١ ناقصة من الآخر في ١٢٤ ق (مصورة في معهد المخطوطات برقم ١١٩ تاريخ) (Rso iv , 1035) Ambro D 466 كتبت سنة ١١٤٢ هـ بخط يمني رديء في ١٤٣ ق (مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٩٦٠ تاريخ) ، الجزء الثالث ضمن مجموعة كتب سنة ٩٦٧هـ آيا صوفيا ٣٠٤٨ (مصورة في دار الكتب المصرية بالفوتو ستات

٢٨٠٣ تاريخ ، وبمعهد المخطوطات برقم ٦٠٠ تاريخ) ونسخة منسوخة عنها في دار الكتب برقم ٥٣٧٨ تاريخ ، الجزء الثالث بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ١١٧ تاريخ متوكلية (ذكر الجرافي في كتاب تحفة الاخوان ، ص ٤ ، أن منه نسخة كاملة في مكتبة الجامع الكبير) ، caitani, cat, Traini 75 ، مكتبة جامعة بايل بنيوهامن بأمريكا Yale 687 ، الآصفية ١٢ تاريخ (مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٩٦٠ تاريخ) نسخة بقلم معتاد يليها نبذة في تاريخ اليمن مرتبة على السنوات تبدأ من سنة ٩٠٧ إلى سنة ٩٦٢ (لصلاح ابن داود بن داعر) كتبت سنة ١١٣٨ هـ في ٢٠١ ص . وذكر بروكلمان Gal SI, 218 (الترجمة العربية ٣: ٥١) أنها تنسب إلى محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ] .

٣ – مُسَلَّم بن محمد بن جعفر بن الحسن اللحجي [١] : المتوفى سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م .

[« الطبقات الزهر » – خ ، « طبقات الزيدية » – خ ، « مطلع البدور » – خ ، « معجم البلدان » « مادة لحج » ، « هدية العارفين » ٢ : ٤٣٢ ، « الأعلام » ٨ : ١٢٠ ، « معجم المؤلفين » ٢ : ٢٣٢ ، Gal, SI, 587] .

١ – تاريخ مسلم اللحجي :

جعله طبقات وأكثره في ذكر حال المطرفية من الزيدية أصحابه ، وذكر أولاد الهادي . وهو أربعة أجزاء . ويأتي جميع الكتاب في مجلدين متوسطين. وجعله خمس طبقات . الأولى : في أحوال ابني الهادي ، استوفى فيه ذكر الحروب بين الناصر وبين القرامطة وغيرهم . الثانية : في ذكر أحوال المختار وأولاده ، وبني الضحَّاك ، وذكر فيه ترجمة وافية للشيخ أحمد بن موسى الطبري . الثالثة : من أخذ عن الطبري مثل مُطرِّف بن شهاب ، وابن أبي الفوارس ، والإمام القاسم العياني ، وسائر العلماء ممن أخذ عن الطبقة الثانية ،

---

(١) في « هدية العارفين » : مسلم بن أسعد بن عثمان العمراني . ونقلها كذلك صاحب معجم المؤلفين .

واختلاف الزيدية . الرابعة : من أخـــذ على مطرف بن شهاب مثل نهد بن الصبّاح وابن صمتر وغيرهما . الخامسة : فيمن عاصر مسلم من العلماء المطرفية (« الطبقات الزهر » – خ ، ورقة ٥٨ ظ). وهذا الكتاب من أهم المراجع عن الفرقة المطرفية الزيدية [١] فالمؤلف مطرفي المذهب .

[paris 5982 ، الجزء الرابع فقط (مصور في ليدن cat, Voorh, 372 Leiden ,] .

٢ – كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية في اليمن :

ربما كان جزءاً من الكتاب السابق . [Berlin 9664 (مصور في ليدن Leiden, cat, Voorh‘ 372] .

٣ – الأُتـْرُنـْجَة [٢] في شعراء اليمن :

وقف عليه القفطي ونقل عنه في « أنباه الرواة » ١ : ٣٢٦ ، في ترجمة الحسن بن خالويه وقال عنه : « هو كتاب قليل الوجود ، اشتمل على ذكر شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام إلى قريب من زماننا هذه [توفي القفطي سنة ٦٤٦هـ] وما رأيت به نسخة ولا من ذكره ، إلا نسخة واحدة جاءت في كتب الوالد ، أحضرت بعد وفاتـــه من أرض اليمن » وذكر في كتاب « المحمدون من الشعراء » ونقل عنه .وقـــال ياقوت في « معجم البلدان » : (لحج) : له كتاب سماه « الاترنجة في شعراء اليمن » أجاد فيه .

٤ – عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمـــد الحَدَقي الحكمي اليمني ، الشافعي ، أبو محمد نجم الدين .

مولده سنة ٥١٥هـ / ١١٢١ م ووفاته سنـــة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

[« وفيات الأعيـان » ١ : ٣٧٦ ، « السلوك » للمقريزي ١ : ٥٣ ، « مفرج الكروب » ١ : ٢١٢ – ٢١٦ ، « البداية والنهاية » ١٢ : ٢٧٤ – ٢٧٧ ، « النجوم الزاهرة » ٦ : ٧٠ ، « الروضتين » ١ : ٢١٩ ، « خريدة

---

(١) وضع والدي المرحوم الأستاذ فـؤاد سيد بحثاً مستفيضاً عن الفرقة المطرفية في اليمن والصراع بينها وبين الأئمة الزيدية وباقي المذاهب في اليمن . وسننشره في القريب إن شاء الله .

(٢) اسم ثمرة من الحمضيات معروفة في الجزيرة وغيرها .

القصر » (قسم الشام) ٣ : ١٠١ – ١٤٤ ، « تاريخ ثغر عدن » ٢:١٦٥ – ١٧١ ، « العقد الثمين » للفاسي ٧ : ٣٢ – ٣٤ ، « شذرات الذهب » ٤ : ٢٣٤ ، « السلوك » للجندي – خ ، « طراز اعلام الزمن » للخزرجي – خ ، « أعــلام الإسماعلية » ٤٢٠ ، « في أدب مصر الفاطمية » ٣٤٨ – ٣٥٤ ، مقدمة كاي Kay لتاريخ عمارة ، مقدمة حسن سليان محمود لتاريخ عمارة ، ومقدمة الأكوع أيضاً ، وللدكتور ذى النون المصري كتاب عمارة اليمني (القــاهرة ١٩٦٦ Derenbourg, 'Oumara du Yémen , Sa vie et son Oeuvre (paris, 1904) (أعــادت مكتبة المثنى طبعه ببغـــداد) ، Krachkouski, E, I, 3 : 1057 (الطبعة الفرنسية) ، معجم المطبوعات العربية ٧٩ – ١٣٧٧ ، « الأعلام » ٥ : ١٩٣ / ١٠ : ١٥٨ ، « معجم المؤلفين » ٧ : ٢٦٨ ، Gal, I, 406 (333) , sI' 570 ، وانظر مجـــلة « العرب » ٣ : ٨٤ – ٩٠ عمارة اليمني على حقيقته ، ٣ : ١٣٠ – ١٥٢ ، عمارة اليمني عند المؤرخين] .

١ – أنموذج ملوك اليمن (ذكره الداعي إدريس في « نزهــة الأفكار » لوحة ١٣ أ) .

٢ – تاريخ اليمن المسمى « المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيان أدبائها » :

وهو كتاب في تاريخ اليمن سهلاً ووعراً ، براً وبحراً ، ومــدن ممالكها وابعاد مسالكها وحروب أهلها ووقائعهم ومآثرهم وصنائعهم وأخبار قضاتها ودعاتهـا وأخبار أعيانها وأمرائها وشعرائها . ألفه للقاضي الفاضـل وزير صلاح الدين (راجع مقدمة القاضي الأكوع) . نشره لأول مرة المستشرق الانجـليزي (هنري كاس كاي H. C, Kay) باسم « تــاريــخ اليمن » « Yemen its early medieval history » (London 1892) مذيلاً بنص عن تاريخ اليمن منقول من كتاب « العبر » لابن خلدون ، ويليه أخبار القرامطة من كتاب « السلوك » للجندي ، وقدم له بمقدمة علمية ،

ثم أعاد نشره في القاهرة الدكتور حسن سليمان محمود مترجماً مقدمة كاي وحواشيه ومضيفاً إليها بعض التعليقات (القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٧) . ثم وقف القاضي محمد بن علي الأكوع على نسخة أثرية ، من كتاب عمارة مثبت عليها أنها « المفيد في أخبار صنعاء وزبيد » وبها أخبار الشعراء والأدباء اليمنيين ، وهو قسم ساقط من طبعة أوربا ، وطبعة مصر ، وإن كان العماد الأصفهاني قد ضمنها كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » عند ذكر شعراء الحجاز واليمن ، ونشرها الدكتور شكري فيصل سنة ١٩٦٤ في دمشق ضمن قسم شعراء الشام (الجزء الثالث) . وقد أعاد القاضي محمد الأكوع نشر الكتاب في القاهرة سنة ١٩٦٥ . (انظر JRAS (1893) p. 181 - 207) .

ومن الكتاب نسخة مصورة بالفوتوستات عن نسخة خطية كان يملكها أحد علماء المغرب بقلم معتاد (دار الكتب المصرية ٨٠٤٨ ح) لم تستعمل في التحقيق .

٣ – النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية :

صَدَّر الكتاب بتاريخ حياته ، وذكر أخبار الوزراء سواء أكانوا معاصرين له أو غير معاصرين . وكان معاصراً لكثير من الحوادث التي وجدت بمصر في أواخر أيام الفاطميين . فكان شاهد عيان لها . وأمدنا بمعلومات قيمة عن الخليفة الفائز والخليفة العاضد وعن الوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة . وللكتاب قيمة كبيرة في معرفة الدور الذي قام به الشعراء في نشر تعاليم الفاطميين ، وفي معرفة العوامل الحقيقية لسقوط الدولة الفاطمية . نشره في شالون سنة ١٨٩٧ Hartwig Derenbourg ، وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست .

٥ – نشوان بن سعيد بن سلامة الحميري : المتوفى سنة ٥٧٣ هـ/١١٧٧م .

[« معجم الأدباء » ١٩ : ٢١٧ ، « انباه الرواة » ٣ : ٣٤٢ ، « بغية الوعاة » ٢ : ٣١٢ ، « معجم البلدان » (مادة صبر) ، « خريدة القصر » (قسم الشام) ٣ : ٢٦٨ – ٢٧١ ، « تاريخ عمارة » (طبعة الأكوع)

٣٢٠ – ٣٣٣ ، « الطبقـات الزهر » – خ ، « طبقـات الزيدية » – خ ، « مطلع البدور » – خ ، وللمستشرق سترستين بحث بعنـوان « نشوان بن سعيد الحميري علامة اليمن » (نشره الدكتور المنجد في المنتقى من دراسات المستشرقـين ١ : ٧٥ – ٨٣) ، مقدمة « الحور العين » ، مقدمة القصيدة الحـيرية ، مقدمة شمس العلوم ، « معجم المطبوعـات العربية » ١٨٥٧ ، Lichtenstädtes, EI, 3 : 914 ، « الأعلام » ٨ : ٣٣٥ ، « معجم المؤلفين» ١٣ : ١١١ ، CAL, I, 364 (301), SI, 527] .

١ – **خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة** ، وتعـرف **بالقصيدة الحِميَريّة** : ومطلعها :

الأمر جِدٌّ وغير هو مزاح   فاعمل لنفسك صالحًا يا صاحِ

خدابخش بتنة ٢٣١٦ (مصورة بمعهد المخطوطات ١٠٣٨ تاريخ) ، البلدية بالاسكندرية ٢٠٧٨ د (مصورة بمعهد المخطوطات ٦٤٨ تاريخ) ، دار الكتب ١٣٥٩ تاريخ و ١٦ تاريخ ش و ١٤١ مجاميع تاريخ و ٨٢٩٧ ح و ٥٨٠ لغة (الشرح) ، Camb. 348, Berlin 9736, 7, 8 Vatican 1150 (7), Lund . Brill 688, Br. mus. 1008 (Br mus, Suppl, 584, Wien 482, Ambro C 92 (RSO, Leidon, Cat. Voorh. 270 , 1120 (18) Colombia N 17 X 893. 7 VII, 59, 592) . Caitani, Cat, Traini 108. نسخة فرنلك الدكتور خليل يحيى نامي بالقاهرة ، نسخة في ملك القاضي أحمد الكهالي بصنعاء . نسخة لدى حمد الجاسر مخطوطة سنة ١٠٢٩] .

طبعت في ليبزج ١٨٦٥ باعتناء المستشرق فون كريمر Kremer ، وترجمها بريدو prideaux إلى الانجليزية ، Prideaux, The lay of the Himyarites (London 1879) وطبـع متن القصيدة في الجزائر سنة ١٩١٤ بعناية R, Basset ونشر المتن والشرح في القاهرة بعناية العالمين اليمنيين المرحوم السيد علي المؤيد المتوفى سنة ١٣٩١/١٩٧١] والقاضي اسماعيل الجرافي (المطبعة السلفية ١٣٧٨ هـ) .

٢ – **قصيدة يائية في تاريخ اليمن وأنسابه :**

مطلعها ذكرت ديارا دارسات خواليا رسوما وأطلالا عفت ومغانيا

خدا بخش بتنة ٢٨٨٣ (مصورة بمعهد المخطوطات ١١٨٢ تاريخ)، 9740 Berlin ، دار الكتب ٢٠٥٦٤ ز (ولدى حمد الجاسر نسخة مشروحة منها مخطوطة سنة ١٠٢٩ هـ) .

٣ – **منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم :**

جمعها وحققها عظيم الدين أحمد خان ونشرت في ليدن ١٩١٦ .

٤ – **أحكام صنعاء وزبيد :**

الجزء الثاني : Ambro C 9 (RSO VI, 1314) .

٥ – **رسالة الحور العين :**

تكلم فيها على معتقدات الفرق الاسلامية ، وذكر أول من دعا إلى مذهب الامام زيد باليمن، وأول من نشر النحلة الاسماعيلية ، وبداية الصلة بين المعتزلة والزيدية حققها كال مصطفى (القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٤٨) .

ولنشوان مؤلفات أخرى في اللغة والتفسير .

٦ – **الحسين بن علي بن محمد بن مويه، أبو عبد الله القمي اليماني** المولود سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م المتوفى سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م رئيس ديوان الانشاء في عهد الصليحيين . [معجم الأدباء ١٠ : ١٣٠ – ١٤٧ ، فوات الوفيات ١ : ١٤١ (تحت اسم الحسن) ، تاريخ عمارة ٢٥٧ – ٢٦٩ ، خريدة القصر (قسم الشام) ٣ : ٧٤ – ١٠٠ ، الاعلام ٢ : ٢٦٨] .

مجموعة رسائل كتبها سلاطين الصليحيين إلى الفاطميين بمصر :

وكتب القمي بعض هذه الرسائل بلسان السلاطين الصليحيين موجهة إلى الفاطميين بمصر (الصليحيون لحسين الهمداني ، المقدمة ص ٦) .

نسخة خطية في المكتبة المحمدية الهمدانية (الصليحيون، المقدمة ص ٦ ، حاشية ٢) .

٧ – عمر بن علي بن سمرة بن الحسين بن سمرة بن أبي الهيثم بن أبي العشيرة الجعدي :

ولد سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢م وتوفي بعد سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م .

[طبقات فقهاء اليمن (Autobiographie) ١ – ٤ ، تاريخ ثغر عدن ٢ : ١٧٩ ، السلوك للجندي – خ لوحة ٢١٨ ، فؤاد سيد : مقدمة طبقات فقهاء اليمن ، الاعلام ٥ : ٢٥١ ، معجم المؤلفين ٧ : ٢٩٩ – ٣٠٠، GAL, I, 491 (391) SI, 570, 676,] .

طبقات فقهاء اليمن :

قصد المؤلف بتصنيفه : « أن يعرف كل فقيه يمني حال اليمن منذ الرسول ﷺ إلى وقته هو » [الكتاب ١٤٢] . وتضمن ذكر كل من تولى الأحكام والقضاء والفقه ، في هذه الفترة من الزمان ، مع إيراد ما أمكنه الحصول عليه من أخبارهم وحياتهم ومصنفاتهم، وأهم الحوادث التاريخية المتصلة بذلك، معتمد على ما حصله من بطون كتب التاريخ والفقه والحديث ، وما نقله عن طريق شيوخه ،ومروياته من الأخبار، حتى إذا ما وصل للحديث عنمعاصريه كانت تراجمه في هذا الباب ، تحوي معلومات وأخبارا هامة ، اعتبرت أساساً لجميع من ترجموا لهؤلاء الاعلام بعده (مقدمة المحقق) .

نشره نشرة علمية المرحوم الأستاذ فؤاد سيد ، وهو الكتاب الأول ضمن مجموعة المكتبة اليمنيّة التي بدأها (القاهرة،مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧) . وعن الكتاب أنظر G. C, Anawati, Midea 4 (1957) pp, 236 - 38, H. Ritter, Oriens 2 (1958) p. 307 - 308 وتضمن كتـــاب « السلوك » للجندي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ أكثر ما في كتاب ابن سمرة ، وقد وضع محمد ابن الحسن بن علي المتوفى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ، ذيلا على طبقات ابن سمرة « العقود اللؤلؤية » ١ : ١٧٢ ، ١٧٣) .

٨ – أحمد بن علي بن أبي بكر العرشاني اليمني صفي الدين : المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م .

[تاج العروس ٤ : ٣٢٣ ، هدية العارفين ١ : ٨٨ ، الاعلام ١ : ١٦٩ ، معجم المؤلفين ١ : ٣٢٠ من دخل اليمن من الصحابة (هدية العارفين ١ : ٨٨)] .

٩ – حاتم بن ابراهيم الحامدي : المتوفى سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م .
أعلام الإسماعيلية ١٩٧ – ٢٠٠ .

تحفة القلوب في ترتيب الهداة والدعاة في الجزيرة اليمنية ، من وقت المستنصر الى وقت المؤلف وأسماء حدوده (راجع ايفانوف Ivanov 216 ، فهرست المجدوع ٧٩) .

* * *

وحرصاً على النفع سأضيف إلى هذا الفصل بعض ما جمعته من الدراسات الحديثة العربية والأجنبية حول هذا الموضوع .

١ – **الدولة الصليحية :**

– حسين بن فيض الله الهمداني : **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن** (مكتبة مصر ١٩٥٥)

– حسن سليمان محمود : **الصليحيون وعلاقاتهم بالفاطميين في مصر** (رسالة دكتوراه، بمكتبة جامعة القاهرة)
علاقة الفاطميين بالدول الاسلامية (رسالة ماجستير ، بمكتبة جامعة القاهرة) .

– حسن سليمان محمود **الملكة أروى سيدة ملوك اليمن** (القاهرة ، مكتبة مصر د. ت) .

H. al - Hamdani , « The life and times of Oueen Sayidah Arwa the Sulaihid of the Yemen ».
JRCAS , XVIII (1931) , pp. 305 - 315 .
The cultural Heritage of the Fatimids in the Yemen
محاضرة ألقيت في معهد الآداب الشرقية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (١٢ ديسمبر ١٩٥٥).

محمد جمال الدين سرور ، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب** (دار الفكر العربي ، ١٩٦٤)

سياسة الفاطميين الخارجية (دار الفكر العربي ١٩٦٧)

— F Krenkew , SULAIHEDES ET 4 : 540 – 542

دولة بني مهدي :

— Strothmann , MAHDIDES EI 3 : 126 - 127

دولة بني أيوب :

محمد عبد العال أحمد : **دولة بني أيوب في اليمن** (رسالة ماجستير بمكتبة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨) .

الفتح الأيوبي لليمن نص من مخطوط مجلة معهد المخطوطات ١٠ (١٩٦٤) ، ١٣٧ — ١٦٦ .

دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأيوبي لبلاد اليمن : مجلة معهد المخطوطات ١٣ (١٩٦٧) ٣١٩ — ٣٣٨ .

Bolog , p «Dinars of al Mu'zzaam shams al - din Turanshah and al - Aziz Tughtegin , Ayyubid Princes of the Yemen » Amer ,Num, Soc, Museum notes 9 (1960) , pp; 237 - 240 ,

Beeker, C. H. Aiyubides EI 1:225(٢٢٥ —٢٢١ : ٣ الترجمة العربية)

وعن الزيدية أحيل القارىء إلى الكتاب إن شاء الله لأن مراجعها كثيرة ومتنوعة .

وبعد فهذا جزء من نتاج قرن من مؤرخي اليمن . وبعض المراجع الحديثة التي كتبت حوله . وهي فصل من البحث الذي أقوم بإعداده عن « **مصادر تاريخ اليمن** » مما أرجو أن أوفق به إلى لفت الأنظار إلى العناية بتاريخ اليمن ودراسته .

القاهرة

أيمن فؤاد سيد

أضواء على كتاب :

-١-

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

الدكتور جواد علي من المهتمين في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام ، كما أنه ألف جزءاً واحداً في تاريخ الاسلام ، ولكنه لم يستمر بعد ذلك لأسباب لا نعرفها ، وتفرغ لاعادة طبع كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » بعنوان: « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، بعرض جديد، وإن كان لا يختلف كثيراً عن عرضه السابق إلا بإضافة مادة جديدة نشرت بعد أن طبع الكتاب الأول ، إذ أنه استفاد من مقالات وكتب لم يطلع عليها سابقاً وإن كانت هناك مقالات وكتب لم يستفد منها في طبعته الأولى الجديدة .

ولا يخفى على دارسي تاريخ العرب قبل الاسلام صعوبة الخوض في بحر من الروايات العربية التي هي أقرب الى الأساطير والخرافات منها إلى الحقائق التاريخية ، وان كان في بعضها شيء من الحقيقة ، ومع ذلك فمادتها مبعثرة في عشرات من كتب التاريخ والأدب واللغة والشعر والتفسير . كما أن هناك آلاف النقوش نشرت عن كتابات عربية جنوبية ، وثمودية وصفوية ، بالإضافة إلى نقوش اغريقية وآشورية وحبشية لها علاقة بالعرب قبل الاسلام . والإلمام بما نشر عن كل هذه النقوش، ليس سهلاً أنه يتطلب وقتاً طويلاً وتخصصاً في فترة ما ، أو في جزء من تاريخ الجزيرة العربية، أما الخوض في جميع النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لتاريخ العرب قبل الاسلام فمسألة فيها شيء من الصعوبة في جمع المادة وكتابتها وخاصة في فترة قصيرة .

وعلى الرغم من الصعوبات التي تعترض الباحث ، فإن المام الدكتور جواد علي بالالمانية والانكليزية جعله يستفيد استفادةواسعة بما نشر عن تاريخ العرب القديم بهاتين اللغتين فقد ترجم فصولاً من كتب أو مقالات ، وأضاف اليها معلومات من كتب أخرى ، كما استعمل المصادر العربية بنطاق واسع وعرض المادة بأسلوب طيب ، مع أنـــه في بعض الأحيان لم يحاول ربط الروايات العربية بالمصادر الأخرى والنقوش. والحقُّ يقال أن كثيراً من المؤرخين العرب المحدثين لم يستفيدوا من معظم المصادر المنشورة كما استفاد منها الدكتور جواد علي . وكتابه كما وصفه : « (هو جمعي وترتيبي.. وليس فيه غـــير الجمع والتأليف) » .. وقد بذل جهوداً طيبة في اخراجه ، ولم يسبق لأحد من المؤرخين أن خاض في جميع جوانب تاريخ العرب قبل الإسلام وكتب عنه المجلدات .

وعندما أتكلم هنا عما نشر إلى الآن – وهو خمسة مجلدات من عشرة – فسأقتصر على الاشارة إلى ملاحظات عامة عن أسلوب العرض والاستفادة من المصادر وكتابة الهوامش،ومن ثمّ سأشير إلى الإرباك في الروايات التي يكتبها، وعدم دقة المعلومات في بعض الأخبار ، أو التي أعتقد بأن المؤلف لم يتوسع فيها ، أو هناك خطأ في النقل أو في فهم النص ، أو الآراء التي لا أتفق معه فيها . وفي ملاحظاتي سأقتصر على المواضع التي يعالج فيها تاريخ الجنـــوب العربي بصورة خاصة ، لأنني لا أستطيع في الوقت الحاضر – وأنا بعيد عن مكتبات غنية بالكتب والمجلات – أن أعلق على كل ما جاء في الكتاب . وسأترك لغيري ممن لهم اطلاع في المواضيع التي لم أتطرق اليها تقدير هذه الكتابات :

١ – يتفق معي المؤلف وكل من يدرس التاريخ أن الكتاب يجب أن يقدم بقائمة من المختصرات التي استعملها المؤلف ليسهل على القارىء تتبع المصادر والاستفادة منها إذا أراد التوسع والتأكد من صحة الروايات . كما يستحسن وضع قائمة بأسماء الأعلام والأماكن في نهاية كل جزء .

٢ – لم يضع المؤلف قائمة بمصادره في نهاية كل جزء ذاكراً اسم المؤلف

الكامل وعنوان الكتاب ومحل وسنة الطبع ، وهذا شيء مهم لا يختلف فيه اثنان ، وأعتقد أن المؤلف لن يفعل ذلك في الأجزاء القادمة ، لأنه لم يشر إلى ذلك في مقدمته ، كما أنه وعدنا بوضع قائمة بالمصادر يضعها في الجزء الأخير من كتابه السابق « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ومع ذلك فقد صدر الجزء الأخير بدون قائمة المصادر . وأعتقد أن السبب في ذلك أنه نقل أخباره من مؤلفات حديثة واستعمل الهوامش نفسها ، وبهذا يصعب عليه وضع قائمة بالمصادر ، وهكذا سيكون القارىء في حيرة عندما يريد التأكد من خبر ما، لأن كثيراً من الكتب لها عدة طبقات .

٣ — الهوامش : وهنا يجب القول أن بعض الهوامش مطبوعة بصورة غير متفق عليها لدى الباحثين وخاصة في الغرب ، وفي الهوامش إرباك ، إذ تصعب الاستفادة منها . وسأسرد جزءاً من هـــذا الإرباك على سبيل المثال لا الحصر :

أ — هامش رقم ٤ ج ١ ص ٦٣ : الهامش مطبوع بصورة مربكة ، ولا يستطيع القارىء التمييز بين اسم المقال واسم المجلة ، كما أن هناك أخطاء مطبعية في بعض الكلمات . والصواب :

I. Guidi , « La Lettera di Simeone Vescovo di Both - Arsâm sposra i matiri Omeriti » , Atti della R. Accademia dei Lincei , e filologiche . VII , (Rome . 1881) , pp. 471 - 515 .

هذا وان رسالة شمعون مترجمة الى العربية والانكليزية كما سأذكر فيما بعد ولم يطلع المؤلف على الترجمتين .

ب — هامش ١ ج ١ ص ١٩٧ ، Discoveriesp . 35 وهنا كيف يعرف القارىء ماذا يقصد المؤلف بهذا المختصر الذي ليس فيه اسماً للمؤلف .

جـ — هامش ٢ ج ١ ص ٣٨٧ : رقم الصفحة خطأ لأن ترقيم كتاب History of the Wars بالأرقام اللاتينية ، والصواب I , p . xx , 9 - 12 .

د — هامش ١ ج ١ ص ٥٣٤ : يفهم أن المصدر كتاب ، إذ لم يذكر اسم المجلة والسنة ورقم الصفحة . والصواب هو كما يلي :

P. B. Corwall , « Ancient Aarbia : Explortions in Hase . 1940 - 41 » , GJ , CVII (1946) , pp. 28 - 50 .

هـ — هامش ٤ ، ٥ ج ٢ ص ٧٦ : يأتي المختصر BOASOOR في

أماكن عديدة . ومختصر المجلة متفق عليه لا يجوز تغييره والصواب هو كما يـلي : BASOR .

و – هامش ٣ ج ٢ ص ٨٣ : يرد الملخص Rep Epig. والملخص المتفق عليه هو RÉS كما أن المؤلف أحياناً يضع رقم النقش أمام الملخص ، وهذا المتفق عليه وأحياناً يكتب الجزء والصفحة ، ولا يذكر رقم النقش .

ز – هامش ١ ج ٢ ص ٩٠ : يرد 1155 . Glaser . ويفهم من الرقم أنه يشير الى رقم الصفحة والواقع أنه يشير إلى رقم النقش .

ح – هـامش ٦ ج ٢ ص ١٠٧ . يرد CIH , IV , II , pp. 22 - 33 . والمتفق عليه أن يكتب رقم النقش أمام الملخص لأنه قد يكون في الصفحة الواحدة أكثر من نقش .

ط –هامش٢ ج٢ ص٣٣ ملخص اسم المجلة BSORS وليس BOASOOR .

ي – هامش ٣ ج ٣ ص٤٦١ هل أن Theophanes كتب في ZDMG؟ هكذا يفهم من الهامش، وهذا خطأ. كما أن المؤلف يشير في بعض الأحيان الى اسم المجلة بدون أن يذكر صاحب المقال وعنوان المقال، كما أن هناك إشارات إلى كتب ومقالات لا يذكر فيها رقم الصفحة. أما ملاحظاتي على الكتاب فهي كما يأتي:

١ – ج ١ ص ٢٤ : يذكر المؤلف أن كلمة الأعراب وصلت الينا في نقوش الجنوب العربي قبيل الاسلام بقليل (٤٤٩ م) (٥٤٢م) . والحقيقة أن كلمة الأعراب وردت في نقوش الجنوب العربي في القان الثاني قبل الميلاد ، أي منذ حكم نشأ كرب يهنعم صاحب نقش Ja 560 [١] .

٢ – ج ١ ص ٣٣٧ : يمكن إعادة النظر في تاريخ طسم وجديس ، طالما لدينا الآن النقش Ry 509 الذي يذكر حسان يهنعم مع أبيه أبي كرب أسعد، وهما في (ماسل الجمح) ، وبهذا فليس من المستبعد أن يكونا بو كرب أسعد قد أرسل ابنه حساناً ، وهو قريب من اليامة ، لغزو طسم وجديس عندما امتنعت جديس من دفع الأتاوة، كما يذكر حماد الراوية[٢] . ولما كان أبو كرب قد حكم في بداية القرن الخامس للميلاد فهذا يعني أن كلاً من طسم وجديس كانتا حوالي هذا التاريخ ، أي أنهما لم تكونا من العرب البائدة .

(١) أنظر عن النقوش التي تذكر الأعراب، العسلي : « الأعراب في النقوش العربية الجنوبية مجلة العرب . ج ٥ (١٩٧١ م / ١٣٩٠ ه) ص ٤٠١ – ٤٢٤ . (٢) ابن بدرون ص ٥٧ .

٣ – ج ١ ص ٢٥٧ : يرد اسم قبيلة قحطان [قحطن] في نقش Ja 635/27 ويعتقد المؤلف أن قحطان هذه لها علاقة بالقحطانيين . وقحطان المذكورة في النقش هي نفس قبيلة قحطان التي كانت تسكن زمن حوادث النقش المشار اليه أعلاه وفي صدر الاسلام أطراف خميس مشيط . ولما تزل محافظة على هذا الأسم وهي الآن تعيش في أماكنها السابقة ذاتها وهذه القبيلة لا علاقة لها بقحطان الجد المزعوم لقبائل الجنوب العربي .

٤ – ج ١ ص ٢٨٧ : بعد أن يتكلم المؤلف عن وساطة القيصر بين سمويفع [يسميه المؤلف السميذع ، ولكنه يرد في نقش Ja 1028 , ry 507, 508 سمويفع اشوع] وقيس قد نجحت، والحقيقة أن بروكپسيوس الذي ذكر هذه السفارة يقول إنها لم تنجح ، إذ لم يَفِ سمويفع بوعده كما نلاحظ في نص بروكپسيوس (١) أدناه :

« ... and it seemed to Homéritae a difficult thing to cross a country which was a desert and which extended so far that a long time was reguired to cross it , and to go a gainst a people more warlike than themselves .

٥ – ج ٢ ص ٣٩٠ – ٤١٥ . الفصل السادس والعشرون : إن دراسة القبائل الجنوبية ناقصة لأن هناك أسماء قبائل وردت في النقوش لم يتطرق اليها ، بالإضافة إلى أن المؤلف لم يعتمد علـــى ما نشر من نقوش من قبل G· Ryckmans و A. Jamme وهي كثيرة ، وقد اقتصر بحثه على ما نشر من مقالات في الألمانية كتبت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وقد نشر بعد هذه المقالات عدد كبير من النقوش(٢) .

٦ – ج ٢ ص ٤٣٢ : ان المعلومات التي يذكرها المؤلف عن حوادث الشرح يحضب ناقصة ، لأنه اعتمد على جام فقط . لقد درسها G. ryckmans و Pirenne ونقش Ja 576 [= وهو نفس نقش Ry 535 . وقـد أشار

---

(١) Procoplus , Historly of the wars , with an English translation by H. B. Dewing , (I , Vols, London , 1914) I.XX 12 ,

ويعود المؤلف في ج ٣ ص٤٧٣ ليصلح خطأه بدون الإشارة الى ما ذكره أعلاه .

(٢) أنظر على سبيل المثال اسماء القبائل الواردة في Ry 506 , 507 , 508 , 509 , 510 وقائمة جام في :

A. Jamme, Sabaean Inscripitions from Mahram Bilqis (Màrib) (Baltimove . 1962) , pp. 412 - 18 .

المؤلف إلى الرقم الأخير في ص ٤٤٢ بدون أن يذكر أنه نفس Ja 576] .
ونقش Ja 576 يذكرحرباً بين [أ ل ش ر ح/ي ح ض ب / و أ خ ي هـ و ي أ ز ل / ب ي ن / م ل ك ي / س ب أ / و ذ ر ي د ن] وبين م ل ك م / م ل ك / ك د ت / و ش ع ب ن / ك دت / . . . . / م ر أ ل ق ي س / ب ن / ع و ف ن / م ل ك / خ ص ص ت ن] .

لقد استعمل المؤلف كلمة « شقيقة » ، ومن الأحسن ذكر كلمة أخيه كما وردت في النقش . كما أن [خ ص ص ت ن]ليست بعدن كما يذكر المؤلف نقلاً عن جام . ولا بد من الإشارة الى أن كلاً من G. Ryckmans [1] و J. Pirenne [2] وتبعهما Vonwissmann [3] قد ذهبوا الى أن خصاصة يقصد بها الحيرة . ولكن من الصعب قبول آرائها أو رأي جام أيضاً . إذ أن خصاصة مكان كان معروفاً في صدر الإسلام ، فقد حارب عكرمة بن أبي جهل المرتدين في خلافة أبي بكر (رض) في خصاصة [4] .

كما أن الهمداني يذكر في « أرجوزة الحج » [5] اسم خصاصة ، وخصاصة العرفج ، وهي لا تبعد كثيراً عن بيشة [6] ، وعلى هذا تكون خصاصة في أطراف بيشة . وهكذا تكون مساكن كندة أيضاً حول هذه المنطقة وليس«جنوبقشم » كما يقترح المؤلف نقلاً عنجام. هـذا وأن قشم اسمقبيلة ولذا فالتعبير غير صحيح. إذ لا يذكر المؤلف مساكن قشم والتيحددها جام.

كلية الآداب — جامعة الرياض الدكتور خالد العسلي

---

(١) G. Ryckmans . «Inscriptions sud arabes Le Muséon. LXIX (1956), P. 153.

(٢) J. pirenne, « L'inscription Ryckmans 535 ... » Le Muséon , LXIX (1956) , p. 167 ,

(٣) Vonwissmann , « Zur Kenntis von Ostarabien .« .. , Le Muséon LXXX (1967) , p. 508 . Foot note 40 ,

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٨ .

(٥) الهمداني : صفة الجزيرة ، ص ٢٥٨ .

(٦) اول من لفت النظر الى موقع خصاصة قرب بيشة الدكتور محمد علي الفول ، الاستاذ في الجامعة الاميركية في رسالة خاصة بعثها الى الاستاذ H. Vonwissmann في ١٠ شباط ١٩٦٨ .
[«العرب»]: هي حصاصة ـ بالحاء المهملة ـ انظر «صفة الجزيرة».

حول كتاب :

تاج العروس

من جواهر القاموس

ردّ وتعقيبٌ

[صديقنا الأستاذ عبـد الستار أحمـــد فراج محقق المجـلد الأول من « تاج العروس » والمشرف على تحقيق أجزاء أخــرى منه ثائر ، ثائر حقاً ، للكلمة التي نشرتها في « العرب » ص ٤٧٩ السنة الخامسة ؛ فقد وجّه إلي كتاباً في ١٢ صفحة، وصلت إليّ نسخة منه مصورة من « مجمع اللغة العربية » بدت آثار الثورة في كل جملة من جمله. وقد استهله – أول ما استهله بعد الغمز واللمز والتلميح بالتجريح – بأنه فضّل أن يؤدي حقّ العلم على أن يرعى حق الصداقة . كأن الأمر الأخير في رأي الأخ الطيب القلب لا يمكن أن يتفق مع الأمر الأول وأنهما :

ضِدّانِ ما اجتمعا ولن يتقاربا حتى تشيب مفارق الغربان

وعلى هذا ضرب بالأمر الأول عرض الحـــائط ، وجرد قلمه السيال ، ولسانه القوّال ، وفكره الجوال ، لتؤدي كلها ، أو كما قال (لنؤدي حـق العلم الذي هو يعلو على كل الحقوق) !.

هوّن عليك يا حبيبي ، فأنا أحبك حقاً ، أحبك لما أعرفه فيك من خلال أبرزهـــا طيب قلبك كطيب قلوب الأطفال ، وكبرائتها من كل سوء ، وأحبك لأنني أعتبرك من بقية (سلفنا الصالح) الغُيُر على تراثنا غيرة برز

أثرها في المجامك لدراسة هذا التراث دراسة نافعة ، وقد أشرت إلى هذا في كثير من المناسبات فيما كتبت عنك ، ومن آخر ذلك ما قلته في مقدمة المقال الذي جعلته أنت حداً فاصلاً بين رعاية حقوق الأخوة ، وتأدية حق العلم ، أو اتخذت منه سبباً لوضع هذا الحد .

لن أقول معك – أيهــا الصديق الطيب القلب ، الحبيب إلى النفس – ما قلته مع غيرك مستشهداً : (إن قول الحق لم يدع لي صديقاً) بل أقول مبتدئاً : (إن قول الحق سيبقي لي كل صديق قامت صداقته على الصفاء والصدق والمحبة) أما من تزيّى بزيّ التظاهر بالصداقة ، فسرعان ما يتمزق ذلك الزي عنه ، ولا يضيرني أمره في شيء ولن أنشد :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي　　فلا زال غضباناً عليّ لئامها

فأنت – وأقولها عن ثقة واطمئنان – من كرامها ، مهما غيرت نظرتك نحوي ، ما دمت تريد تأدية حق العلم ، فليزدك الله قوة وتوفيقا ، وليكن هذا أقوى شفيع لإبقاء ما أكنه لك من ود . لن أسير على نهجك في الفصل بين الحفاظ على الصداقة وبين أداء حق العلم ، ذلك انني أراهما أمرين متفقين كل الاتفاق ، بل إن أحدهما متمم للآخر ، فصديقي من صدقني أي اتخذ من العلم الصحيح وسيلة لبقاء ما بيننا من صداقة ، وهذا ما سأحرص عليه فيما أكتبه تعقيباً على كتاب الأخ الحبيب ذلك الكتاب الطويل ، الواسع الانتشار !! ويعلم الله انني – لو كان لي في الأمر يد – لرأيت من الخير للأستاذ عبدالستار أن لا ينشر ذلك الكتاب ، لأنه وليد ثورة عاطفية ، لا بد لكل من قرأه –وسيكون من بينهم كاتبه ولو بعد حين– من أن يأسى ويأسف، ولكن ليس لي في نشره من يد ، فأخونا وحبيبنا عبد الستار يرى من حقه أن ينشر ، فهل يسعني عدم الوفاء بذلك الحق ؟ لقد انتشر الكتاب ، ونشر على غير صفحات الصحف ، ووصل إليّ – وأنا في القاهرة – من «مجمع اللغة العربية» بعد أن وصلت نسخه إلى أيد كثيرة . فأصبح أمر انتشار ذلك الكتاب ونشره ليس في يدي وحدي ، فها هو ، وهي تعليقات وجيزة حول مــا أثاره ، وقد أطلعت الأخ عليها قبل نشرها وقلت في كتاب بعثته إليه ،

وتمنيت أن يخفف من لهجة كتابه لئلا أجاريه مجاراة قد تؤذيه ، فظن قولي هذا وعيداً فحَسْبَلَ وتوكّلَ ، وأوْعـــد ، وأمر بألا أحذف من كتابه حَرْفاً . ورعاية لحق الأخوة أنشره معلقاً عليه ، وسأنشر من كلامه كل ما له صلة بالنقد] .

كتاب الأستاذ عبد الستار فراج :

سرّنا أنكم ذكرتم صديقكم على صفحات مجلتكم « العرب » وتقبلنا التحية شاكرين ، غير ناسين ما كان لكم من قبل من أياد ومن كرم ، وغير ناسين ما كنا نتقبله مما تبدون من أقوال تتعلق ببعض التراث ، ثقة منا أنها لا شك صادرة عن تأكد واستيثاق ، ولم يكن يدور في خلدنا أن نبحث بعد ذلك عما جزمتم بصحته أو خطئه .

وذلك بالطبع كان فيما يتعلق بالأنساب والأماكن الواقعة في شبه الجزيرة العربية ، لكثرة ما سمعنا منكم أنكم تتطلبون كل ما له عناية بهذين الأمرين ، ولكثرة ما سمعناكم تذكرون أنكم مررتم بذلك المكان أو أقمتم بذلك الموضع ، وقد ترددنا بين أن نرعى مـــا لصديقنا الشيخ حمد الجاسر من أياد شخصية سلفت ، وبين أن نؤدي حق العلم الذي هو يعلو على كل الحقوق .

وآثرنا أخيراً أن نكتب . ومن حقنا وقد عرضتم لبعض ما عملنا أن تنشروا في مجلة « العرب » ردنا على بعض ما كتبتم فيها عنا .

لقد لاحظنا أنكم تقولون عن نفسكم : (إن ما علقته في الهوامش ليس صحيحاً كله ، ولهذا فأنا بحاجة إلى أن أتبين الصحة من الخطأ ، وقد لا أعدم من القراء من يبين لي وجه الصواب فيما أخطأت به ، فليس الحافز هو مجرد النقد ، ولا أقول هذا من قبيل المواربة ، ولكنني أعتقده حقا) .

ألستم ترون معنا أنه كان من المستحسن أن تنشروا ما تأكدتم من صحته ، أما الذي لا تعرفون وجه الصواب فيه فقد كان في الإمكان أن ترسلوا الينا ،

فإما أجبناكم ، وإما سكتنا وتركناكم تخاطبون القراء مستفسرين [1] .

إن كثيراً من القراء حينما يرون أرقاماً كثيرة في نقد كتاب لا يعنيهم أن يتأكدوا من صحة ما قيل . وسيحملون كثرة الأرقام على كثرة العلم من جهة ، وعلى كثرة الجهل أو الغفلة من جهة أخرى ، ولا يعلق في أذهانهم أن هذا استفهام للاستفادة .

ولاحظنا من جانب آخر أن أسلوب العرض لم يكن استفهاماً ، بل فيه قطع بالتخطئة في حين أن النص المخطأ هو الصواب ، وأن الخطأ فيما كتبتموه ولاحظنا أنكم نقلتم بعض تصحيحات الآخرين دون أن تتأكدوا من صحتها .

والحق أنني حينما أطلعني بعض الأصدقاء على مجلة « العرب » ورأيت عنوان حديث الكتب : « تاج العروس من جواهر القاموس » وقرأت أنه من من عملكم جرى إلى ذهني مـــا كنت أعتقده — دون تحرٍّ مني — أن ما ستقولونه مبنيّ على الثقة في المراجعة والدقة في المطالعة . وأنتم أدرى الناس بذلك،فما سبق أن نشرت كتباً بعد معرفتي بكم وقدّمتم إليّ بعض الملاحظات إلا دوّنتها في التعقيب مقرونة باسمكم . وكنت حين أقرأ نقدكم لأحد الكتب لا أكلف نفسي عناء التأكد [2] من صحة ما قلتم ، لأن عقيدتي كانت مبنية

(١) وهذا دليل واضح على طيب قلب الاستاذ عبد الستار ! فهل اذا أقنعني بأن له القول الفصل في معرفة الخطأ من الصواب في استطاعته أن يقنع غيري من القـــراء ، وهل أبدى لي الأستاذ رأيه الصائب فيما قدمته له من ملاحظات حينما كرم فاتحفني بنسخة من الجزء الأول من « تاج العروس » وقت صدوره حينما زارني في (مستشفى جاردن ستي) قبل أربع سنوات ؟ ثم كلمات : (ان ترسلوا إلينا ! فإما أجبناكم وإما سكتنا وتركناكم !) هل المقصود أن أرسل كل ما يتعلق بأجزاء الكتاب المطبوعة لحبيبنا الأستاذ عبد الستار ، أم لكل أستاذ تولى تحقيق أحد الأجزاء ؟ ثم ألا يعلم الأخ الطيب القلب أن كلمة (تركناكم) من الكلمات التي يشق على النفس الأبية تحملها ولو كانت من الاستاذ الجليل عبد الستار احمد فراج ! ولئن اسفت للثورة القوية التي أحدثها المقال في نفس الصديق فلن آسف لكوني لم أبعث بذلك المقال إليه ، ومن يدري ؟ فقد تكون منزلته لديه الترك والإهمال ، ومن لي بنفس ترضى بهذا أو تقبله ؟ .

(٢) ودليل آخر على طيب قلب الأستاذ عبد الستار انه لا يتحرى ولا يتأكد من صحة ما يقال له ممن يثق به بل يقبل ذلك على علاته ، فهو إذن يعتقد العصمة من الخطأ في كل من يثق به .

على أن ما تقولونه صحيح ، ولأن الكتاب غالباً ليس كتابي ، وأنه لا يكون أمامي ، لا هو ولا المرجع الذي عولتم عليه في النقد ؟ .

وبدأت أقرأ المقال حتى وصلت قولكم : (وكان العمل في تحقيق « التهذيب » على درجة من الكمال يسر بها كل غيور على تراث أمته ، بحيث أضيف إلى كل جزء من أجزاء الكتاب فهارس دقيقة وافيـــة) [إذا أحببتم أن تنشروا مقالات عن التهذيب فإني أدلكم على الأستاذة درية الخطيب أستاذة الأدب بثانوية حلب بسوريا فخاطبوها وستكتب لكم عنه مقالات ، أما الذي عندنا فكثير] ..

والحق أني حينما قرأت ذلك ، منتهياً بالجملة الأخيرة ، صدمت صدمة عنيفة ردت إليّ صوابي [١] ، وجعلتني لا أثق بكل ما يقال ، حتى ولو كان من الصديق الأستاذ حمد الجاسر ، وأنني يجب أن آخذ الحذر فيما يأتي من نقد وأتأكد من صحته . إن الفهارس الدقيقة الوافية تعني أن يكون للكتاب فهرس للآيات وللأحاديث ، وللحكم والأمثال ولأيام العرب وللقوافي ، وللشعراء وللأعلام ..

والذي يؤسف له حقاً أنه ليس لأي جزء من أجزاء التهذيب فهرس من هذه الأنواع المعروفة . فهل يا ترى قرأتم كتاباً آخر غير التهذيب فاختلط عليكم الأمر حين كتابة المقال [٢] ؟ إن كل ما هو موجود في التهذيب المطبوع هو فهرس للكلمات اللغوية ، ويبدو أنكم لم تتنبهوا إلى الحكم في ذلك . ذلك أن « العـــين » و « التهذيب » و « المحكم » ويضاف إلى ذلك « الجمهرة » لا يمكن أن تعرف المادة اللغوية في أي صفحة وفي أي جزء منها تقع . لاعتماد مؤلفيها على تقليب الكلمات ، وللثلاثة الأول نظام . وللجمهرة نظام يعرفه

---

(١) ورب ضارّة نافعة ، فهذه الصدمة العنيفة لو لم يكن من فضلها الا انها ردت الى الصديق الكريم صوابه ، واية فائدة يتطلع إليها أعظم من رده إلى الصواب ؟ .

(٢) أما عن فهارس كتاب « التهذيب » فقد أخطأ حمد وأصاب الأستاذ عبد الستار فراج ، ففهارس الأجزاء المطبوعة منه ليست وافية . ومع قصورها ونقصها هي خير من لا شيء - كالحال في أجزاء « تاج العروس » .

كل قرأ شيئاً عنها أو رآها ، لكن العارف بالنظام ، مع معرفة للضوابط التي تسير عليها هذه الكتب ، يعجز في أغلب الأحوال أن يصل إلى ما يريد، ولهذا افرض على كل جزء أن يكون له قائمة بترتيب المواد . وفي المحكم مثل ذلك . وكذلك الجمهرة . أمـــا اللسان والتاج والصحاح وأساس البلاغة والمصباح ، وكل المعاجم الحديثة فلها نظام معروف لا يشق على المبتدئين . فكيف يا ترى أرسلتم قولكم وأنتم لم تطلعوا على هذه الأجزاء من«التهذيب» وهي خالية كل الخلو من الفهارس الدقيقة الوافية بل إن بعضها مثل الرابع عشر ليس له فهرس للمواد اللغوية وإنما هو فهرس لا يفيد شيئاً . أكرر عجبي من قولكم :(بحيث أضيف إلى كل جزء من أجزاء الكتاب فهارس دقيقةوافية) وأؤكد لكم أنكم لم تطلعوا على التهذيب . أو اطلعتم على غلافه ولم تقرءوا فيه شيئاً ، لما يأتي .

ذكرتم في الرقم ٣٣ من نقدكم مـــا يأتي « قاله ابن بزرج » وعلقتم عليه بقولكم: (قال الدكتور مصطفى جواد : الصحيح أنه بزرج لا ابن بزرج تقريب بزرك الفارسية، ومعناه الكبير ، وهو أبو محمد بزرج بن محمد العروضي له تآليف منها تفسير غريب اللغة،وأشار إلى معجم الأدباء ٢/٦٦م والفهرست ص ١٠٧ وقد تصحف فيها إلى برزح) .

الحق أنها أسطر فيها شطحات وادعاء عريض . ونـقل ذلك كله دون تحرّ أو اطلاع واسع . وأضيف إلى معلوماتكم ان مادة (بزرج) في تاج العروس فيها الكلام نفسه عن بزرج لا ابن بزرج .

يا ترى إذا كان هناك من اسمه بزرج بن محمد العروضي هل يمنع ذلك من وجود عالم آخر اختصر اسمه إلى كنيته فصار « ابن بزرج » .

لو أنكم كنتم قرأتم التهذيب للأزهري أو مقدمة التهذيب للأزهري نفسه وكلها علم وتراجم، لعرفتم مدى ما انزلق فيه وادعاه الدكتور مصطفىجواد، ولا أريد أن أعرض له بأكثر من ذلك بعد أن انتقل إلى رحمة الله .

إن ابن بزرج الموجود في اللسان والتاج والتهذيبهو عبد الرحمن بن بزرج، ترجم له في إنباه الرواة . وهو من طبقة سيبويه ، والذي ترجم له أولاً هو الأزهري صاحب التهذيب الذي لم تقرءوا منه شيئاً ، فقال عنه :

« ومنهم عبد الرحمن بن بزرج ، وكان حافظاً للغريب والنوادر ، وقرأت له كتاباً بخط أبي الهيثم الرازى في النوادر فاستحسنته ووجدت فيه فوائد كثيرة . ورأيت له حروفاً في كتب شمر التي قرأتها بخطه . فما وقع في كتابي لابن بزرج فهو من هذه الجهات » :

لو أن إنساناً قرأ في اللسان والتهذيب والتاج لوجد في أكثر من ألف موضع « قال ابن بزرج » تارة كتب صواباً ، وتارة كتب محرفاً إلى « ابن برزح » وكان عليه أن يقف طويلاً ، وأن يراجع نفسه ويحاسبها أشد الحساب وأعسره قبل أن يعرف بقوله إنه خطأ وان صوابه بزرج بن محمد العروضي .. لأنه رأى ترجمة فيه « بزرج » فقطع بأن العالم كله ليس فيه إلا بزرج بن محمد .

وأراكم انسقتم إلى كل ما قاله الدكتور مصطفى جواد فنقلتموه دون أن تكلفوا أنفسكم عناء المراجعة . فمثلاً في الرقم ٣٥ (الصفاقس) كتبتم ما يأتي : « قال الدكتور مصطفى جواد : المعروف السفاقسي نسبة إلى سفاقس مدينة من نواحي افريقية . » لأنه قرأ « معجم البلدان » وحده .

وما كنا نحب لكم أن تنقلوا كل ما يقال ، فلو رجعتم إلى القاموس نفسه لرأيتم أنه ذكر « صفاقس » في حرف الصاد ، باب السين مادة (صفقس) ولم يذكرها في حرف السين باب السين مادة (سفقس) . ولا ندعي أننا نعلمكم حين نذكركم أن بعض الحروف في بعض الكلمات إدا وقعت بعد السين أو الصاد سواء باشرتها أو فرق بينهما بعض الحروف ، تنطق في بعض القبائل سيناً وتنطق في بعضها صاداً وتنطق في بعضها حرفاً بين السين والزاي . من ذلك حرف القاف ، يقال : صَقْر ، وسَقْر ، وزَقْر . ومن ذلك الطاء يقال : سراط ، وصراط ، وزراط بحرف بين السين والزاي ، وقرىء في القراءات الصحيحة بهذه الثلاث ، وكذلك مسيطر ومصيطر ومزيطر . وبالطبع إني لا ألقي القول على عواهنه كما قد يلقيه بعضهم فيخطّىء ويصوّب [1] .

---

(١) حسن ان يبرىء المرء نفسه مما يشينها،وغير محمود أن يبلغ الغرور بالمرء الى درجة—

وإليكم بعض النصوص الصريحة في « اللسان » مادة (سقع) .

قال الخليل : « كل صاد تجيء قبل القاف وكل سين تجيء قبل القاف فللعرب فيه لغتان، منهم من يجعلها سيناً ، ومنهم من يجعلها صاداً. لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة ، بعد أن يكونا في كلمة واحدة إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن » . ولا نريد أن نزحم المجلة بما هو معروف من النصوص التي يجدها كل من قرأ كتب النحو والقراءات عن باب الإتمام .

ومثل هذا يقال أيضاً في الرقم ١١ عن كلمة بغض وأبغض . ولم يقل أحد ان بغض لغة رديئة إلا إذا كان متفيهقاً ، وما دامت كل منها وردت في كتب اللغة فما الداعي إلى تكثير الأرقام والمفروض أن الناقد يذكر الخطأ المقطوع بخطئه لا ما يقوله كل متعالٍ متجرىء على القول . ومما يؤكد صحة بعض ما جاء منها البغض وبغوض وباغض ، مثل ما جاء حبّه وأحبّه ، ومن حَبّه الُحب والحبيب والمحبوب .

ورقم آخر انسقتم فيه وراء ما قاله الدكتور مصطفى جواد من غير أن تتنبهوا إلى النص الذي علقنا عليه والنص الذي علق هو عليه وخلطتم بين التصريف اللغوي في النصين ، وذلك في الرقم ٢٧ (وجزأتها تجزيئا) وعلقتم عليه بقولكم : وفي الطبعة الأولى تجزئا . وعلق الدكتور مصطفى جواد عليها: (هكذا ورد في طبعة بولاق ، والصواب : تجزؤا ، وعند التسهيل تجزيا). وكم آلمنا أنكم لم تتنبهوا إلى سبب تعليق المرحوم الدكتور مصطفى جواد .

← الثناء على النفس ، وأسوأ من ذلك أن يرمي الآخرين بما ينزه نفسه منه وقول الاستاذ عبد الستار: (وبالطبع اني لا ألقي القول على عواهنه كما قد يلقيه بعضهم فيخطيء ويصوب ، حوى سوءات ثلاثاً تشين العالم ، بل تزري بقدر المرء أياً كان . ١ – الجزم في موضع الظن . ٢ – والثناء على النفس . ٣ – والغمز واللمز . وما للقراء وللاسترسال في بيان ما إذا كان الاستاذ عبد الستار مصيباً في قوله هذا أو مخطئاً ، وكل ما يعنيهم معرفة المغموزين الملموزين : انهما الدكتور مصطفى جواد الذي ألف مؤلفاً في نقد الطبعة الكويتية من « التاج » وكاتب هذه الكلمات الذي نشر ملاحظات عامة عن الكتاب ، لا تقف عند حد اخطاء المطبوع بل قد تتصل بالمؤلف نفسه ، وببعض من نقل عنه .

ولم تتنبهوا إلى الهامش الذي وضعناه في أسفل الصفحة، ولم تتنبهوا إلى هامش الطبعة القديمة . والمفروض في الناقد أن يقرأ النص بعناية .

لقد كان في الطبعة السابقة : (وتجزأتها) تجزئا » فعلق عليها الدكتور مصطفى جـواد فقال « هكذا ورد في طبعة بولاق ، والصواب تجزؤا .. » ذلك أن تَـفعَّل مصدره التفعُّل مثل تجرّأ تجرُّؤا ، وتقوّل تقوُّلا ، وتعلّم تعلما .. » أما نحن فقد اعتمدنا نص القاموس والصحاح واللسان ، وهو الذي علق عليه في الطبعة القديمة بهامشها ، ونحن جعلناها كالكتب السابقة ونبهنا على ذلك بهامشنا ، فصار النص عندنا (وجزّأتها) تجزيئا . وأشرنا إلى كل ذلك ، ومعلوم أن فَـعّل مصدرها التفعيل، مثل قدّم تقديما ، وعلّم تعليما ، وأدّب تأديبا .

ومثل ذلك الرقم ٤٥ « الوَجْأ» لو تنبهتم لرأيتم أننا ضبطناها ضبطاً لغويا صحيحاً وتركنا رسمها الإملائي كما رسمه المؤلف . وليس « تاج العروس » لمن يتعلمون التهجي والمطالعة ما دام الضبط صحيحاً كل الصحة [1] .

وننتقل بعد هذا إلى بعض ما قطعتم بخطئه دون سند أو دليل ، بل دون الرجوع إلى المصادر والنصوص . مع مراعاة أن الناس دائماً يحبون أن يستوثقوا مما قيل لهم إنه خطأ أو خطأ فاحش .

قلتم في الرقم ١٩ : (استدرك الزبيدي البثاء ممدوداً وقال بأنه موضع في ديار بني سليم) ثم عقبتم على ذلك بقولكم « والذي في « معجم البلدان » انه في ديار بني سعد .. » إلى آخر ستة أسطر تدللون بها على رأيكم .

والذي لا شك فيه أنكم لم تطلعوا على «معجم البلدان» في رسم (البثاء)

---

(١) ويريد الأخ وضع طريقة جديدة تتعلق بالاملاء العربي ، تلك اننا اذا وجدنا عالماً جليلاً عظيماً في نفوسنا ! قد كتب كلمة كتابة تخالف ما اتفق عليه جميع علماء الفن نفسه فيجب الابقاء على تلك الصورة (وترك رسمها الاملائي كما رسمه المؤلف) وخاصة في الكتب التي لم تخصص لمن يتعلمون التهجي والمطالعة ، ثم استدرك (ما دام الضبط صحيحاً كل الصحة) ! ما هذا التناقض؟ كيف يكون الضبط صحيحاً كل الصحة ، والكلمة قد رسمت بصورة غير صحيحة . ولماذا نفعل هذا ؟ لأن صاحب « التـــاج » بلغ منزلة من العلم في نفس الأستاذ عبد الستار يصدق عليها (سيئات المقربين حسنات الأبرار) .

لأنكم لو اطلعتم عليه لرأيتم أنه قال في (باب الباء والثاء وما يليهما) : البثاء بالفتح والمد موضع في بلاد بني سليم، قال أبو ذؤيب يصف عيراً تحملت :

رفعت لها طرفي وقد حال دونها رجال وخيل بالبثاء تغير

(وبالطبع نتجاوز عن التحريف المطبعي في كلمة تغير) . وكنت أحب أيضاً بعد إيراد بيت أبي ذؤيب أن تطلعوا على شرح أشعار الهذليين صفحة ٦٥ إذ قال السكري : « وخيل بالبثاء وهى من بلاد بني سليم » وهذا نص له أكثر من ألف عام ، ولا نحب أن نزيد أكثر من هذا رداً على ما قلتم . ويكفي أنكم لم تقرؤوا « معجم البلدان » في هذه المادة وقررتم أمراً لم تروه (١) .

وأعجب من هذا ، ما جاء في الرقم ٢٢ (بواء واد بتهامة ، كذا في العباب والتكملة) وعقبتم على ذلك بقولكم :(وأقول وادي بواء من الأودية التي تنحدر من السراة .. فهو من أودية السراة المشرقة إلى نجد وليس من أودية تهامة) ..

ويبدو أنكم تريدون أن تحكموا على وضع الأماكن وتحديدها بما هو واقع الآن وعلى هذا القياس إذا قال أحد عن البحرين ما قيل في القديم

---

(١) أورد الأستاذ كلاماً يتعلق بـ (البثاء) مبتوراً ناقصاً ، وأتى بدليل في غير محله . فصاحب « التاج » قال ـ ص ١٣٧ : (البثاء ممدوداً موضع في ديار بني سليم ، وانشد المفضل :

بنفسي ماء عَبْشَمْسِ بن سعد غداة بثاء إذ عرفوا اليقينا

فقلت : ـ وأنا أقصد موضع الشاهد : (الذي في « معجم البلدان » انه في ديار بني سعد) ذلك أن صاحب « المعجم » نقل عن الأزهري وهو الخبير ببلاد بني سعد ـ كلاماً طويلاً عن ذلك الماء . وفضلاً عن ذلك فالشاهد نفسه يؤيد ذلك ، وعبشمس هؤلاء من سعد بن زيد مناة بن تميم ومنازلهم شرق الجزيرة وبلاد بني سليم في غربها . ثم ان صاحب « التاج » قال في مادة « بشأ »: (بشاءة بالمد موضع في جبال بني سليم) وأورد شاهداً لشاعر هذلي ، مما يدل على شكه هل الاسم بالثاء أو بالشين ، ونحن لا يعنينا إلا الموضع الأول الذي أورد شاهده المفصح بانه في بلاد بني سعد . أما كوني قررت أمراً يتعلق بكتاب « معجم البلدان » لم أره فإن أخانا عبد الستار أتي من سوء فهمه ، فانا لم أنف وجود موضع في ديار بني سليم يسمى البثاء ، وإنما نفيت أن يكون المقصود في الشاهد الذي أورده . ومن ذا الذي يجهل ان الاسم قد يطلق على مسميات كثيرة .

تقولون له : إن البحرين هي في جزيرة أوال وليست كما يزعمه السابقون . وإذا قال عن اليمامة ما يقوله الأقدمون تقولون له : كلا هذا خطأ ، فاليمامة قرية ، وانكم دخلتموها منذ عهد قريب .

ما كنا نحب للصديق الأستاذ حمد الجاسر أن تكون أحكامه هكذا [1] ، ولسنا نقبل ما يقوله في عهدنا هذا ونكذب ما قاله الصاغاني وهو من الأئمة

---

(١) أطال أخونا الحديث عن وادي (بواء) فعجب من قولي انه ليس في تهامة بل من أودية السراة المشرّقة إلى نجد ، ونصحني - أكرمه الله وجزاه خيراً - بأن لا تكون أحكامي هكذا ، وقرر بأنه لن يقبل ما أقول ، ويكذب الصاغاني وياقوتاً وصاحب « التاج » ، وأشار إلى كثرة الاختلاف في تحديد الحجاز وتهامة ونجد ، وختم قوله بذكر الاختلاف في تحديد الأمكنة بين الزمن القديم والزمن الحديث :

١ - ليس عجيباً أن يعجب الأستاذ من شيء لا يعرفه ، فهو لا يعرف عن وادي بواء أكثر من أن يكون قرأ اسمه عند تحقيق الجزء الأول من «التاج» أو عرض له في بعض ما قرأ من الشعر القديم ، ولكن هذا العجب لا يغير من الواقع شيئاً . وإذا أراد أن يقف على تحديد هذا الوادي فليقرأه في كتاب « في سراة غامد وزهران » ص ١٢/١٢٤/٣٥٩ .

٢ - حبذا قبول تلك النصيحة الصادرة من قلب صديق طيب لو استطعت قبولها ، ولكنني يا أخي الاستاذ الجليل لا أقدر على قبولها ، وأحمد الله على عدم القدرة هذه ، ذلك انني أعتقد أنه لا ضلال أضل من طريقة أولئك الذين قالوا : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ». واعلم علم يقين واطمئنان أن تقديس العلماء له حدود ، إذا تجاوزها صار كفراً وزيغاً ، وإن من تعظيمهم السير على النهج القويم الذي سنوه وساروا عليه وهو انهم بشر يصيبون ويخطئون ، وليسوا رسلاً معصومين ، وإنهم لا يرضون من أحد أن يقلدهم تقليداً أعمى ، فيقبل جميع أقوالهم قبل أن يزنها بميزان يوضح صوابها من خطإها ، ومن الوفاء للعلماء ، ومن تقديرهم بيان ما في أقوالهم من خطإ ، لئلا يكثر متابعوهم على ذلك ، فيكثر الضلال وهذا يتنافى مع وظيفة العلماء في هذه الحياة .

لا أقول بأن نصحك لي مبنيٌ على غش وخداع ، لأنني لو عملت به والعياذ بالله من ذلك لضللت الحق ، ولكنه صادر عن قلب طيب لم يدرك حامل هذا القلب ما وراء ذلك النصح ! .

٣ - للاستاذ عبد الستار أن يقبل قول من شاء فيما شاء ، ولكن ليس له ، بل لا يستطيع أن يغير الحقائق عما هي عليه ولو اتخذ من الصاغاني والرومي والبلجرامي وأمثالهم أساتذة وهداة ومرشدين وخاصة فيما هم بعيدون عن إدراكه من تحديد معالم الجزيرة ، ولا يتنافى هذا مع الاعتراف لهم بالفضل ، وبأنهم صانوا قدراً وافراً من ثقافتنا اللغوية والتاريخية والأدبية ، فطوقوا بذلك جيد كل عربي يداً يجب أن يقابلها بالشكر والاعتراف لهم بفضل التقدم ورسم الطريق للسائرين .

←

الأعلام ، ثم إن الصاغاني في « التكملة » و « العُباب » لم ينفرد بما قيل عن (بواء) فياقوت في « معجم البلدان الذي تحتجون به مرة وتكذبونه مرة قال عن (بواء) إنه واد بتهامة . ومع ذلك فالتحديد قديماً للحجاز وتهامة ونجد كثير الاختلاف ، ونحن الآن لا نؤلف عما هو محدد حديثاً ، والكتب التي تنقل إنما تنقل عن العلماء السابقين وما قالوه في حينه لا في حينكم .

وقلتم في الرقم ٢٣ (نقل الشارح عن ياقوت تلأ قرية من قرى ذمار) وعقبتم على ذلك بقولكم : لم يذكر ياقوت في«معجم البلدان»تلأ في موضعها..

← ٤ – المتقدمون عرفوا الحجاز ونجداً وتهامة تعريفاً واضحاً،وإنما اختلفوا في حدود كل مسمى من هذه المسميات ، فقد عرفوا الحجاز بأنه هذه السلسلة الجبلية العظيمة الواقعة في غرب الجزيرة الممتدة بامتدادها بين الشمال والجنوب ، وإنما الخلاف من أين تبتديء وإلى أين تنتهي التسمية ، وان تهامة هي السهل الواقع غرب الحجاز ، والممتد بامتداده على ساحل البحر ، وان نجداً هي الأرض المنبسطة الواقعة شرق الحجاز، وهم لم يختلفوا في إطلاق تلك الأسماء على مسمياتها فإذا قال أحدهم : مكة في تهامة فليس معنى هذا انها تقع شرق الحجاز ، بل هي واقعة في جانب من الاقليم الممتد غرب الحجاز ، المعروف باسم تهامة . وإذا قال أحدهم أوكلهم : ان وادي بواء يقع في تهامة فإن المقصود بذلك انه في ذلك الاقليم الواقع غرب الحجاز المعروف بهذا الاسم . فإذا وجدنا هذا الوادي يفصل بينه وبين تهامة تلك السلسلة الجبلية التي دعاها المتقدمون الحجاز فما هو موقفنا من قولهم هذا ؟ . إذا سرنا على طريقة الأستاذ عبد الستار فإننا سنقول : إن ما قاله الصاغاني وياقوت والبلجرامي أصح من مشاهدتنا وعلمنا ، فهم أعلم منا ، وقولهم الفصل والخروج عنه جهل على طريقة المثل النجدي : « جاءنا من هو أصدق منك ! » ذلك أن رجلاً سافر من من بلاده فغاب غيبة طويلة ، وبلغ أهله أثناءها انه مات ، ثم عاد فقابلته زوجته وقد تزوجت غيره ، فقالت له مستغربة : لقدْ متّ ! فقال : ها أنا حي ! فأجابت : دعنا من هذا لقد جاءنا من هو أصدق منك ! .

٥ – نحن الآن لا نؤلف عما هو محدد حديثاً ! أليست الغاية من العلم كله العمل ؟ أليست هذه المعلومات التي تضمها هذه الكتب التي يصرف الجهد والمال لتقريب مآخذها ، وتيسير الاستفادة منها . أليست هذه المعلومات تيسر وتقدم ليستفاد منها ؟ وكيف نستفيد منها . إذا قلنا : يجب أن تبقى جامدة كما وضعت لنا قبل مئات السنين ؟ المجرد التبرك والتمسح بها ؟!.

٦ – أما ان الكتب تنقل معلومات عن علماء سابقين قالوها في زمنهم لا في زمننا ، فهذا صحيح ولكن هل حدثت زلازل أثرت في مواقع الأمكنة والبقاع التي حددوها لنا فنقلت بعضها من تهامة الى شرق الحجاز كالحال في وادي بواء ، ونقلت ضرية من قلب نجد إلى الحجاز ؟ في منطق حبيبنا عبد الستار : نعم فتحديد العلماء لتلك الأمكنة كان في زمنهم وتحديدك أنت كان في زمنك ، وقد يأتي محدد ثالث بتحديد يخالف التحديدين ولكنه يتفق مع زمنه .

إلى آخر الأسطر الأربعة التي كتبتموها دون أن تتأكدوا من نص « تاج العروس » ، ما لم تكونوا تريدون أن تملئوا الصفحات بما قيل وبما لم يقل ، وأن تحذفوا من النص شيئاً لتقولوا أشياء .

إن أصحاب كتب اللغة يذكرون رأس المادة اللغوية . والزبيدي ذكر رأس المادة اللغوية فقال : تلأ . وعقب بعد ذلك بقوله : (وجاء منه الأتلاء كأنصار . قال ياقوت في معجمه : قرية من قرى ذمار باليمن) .

فأنتم ترون أنكم قطعتم كلام المؤلف ، وحذفتم منه [1] جملة « وجاء منه الأتلاء كأنصار » وهي المرادة من كلامه ، ثم كتبتم تكذبونه . والزبيدي صادق في قوله عن الأتلاء المرادة . وليس المراد (تلأ) . التي هي رأس مادة لغوية ، ويعرف ذلك كل من يقرأ كتب اللغة ، أنظروا معجم البلدان ففيه (الأتلاء بالفتح ثم السكون قرية من قرى ذمار اليمن) .

وقلتم في الرقم ٢٤ (ضرية بئر بالحجاز) وعقبتم عليها في يقين وثقة بقولكم (هذا من أفظع الخطأ ، فضرية في سرة نجد وهي قرية كبيرة ..) إلى آخر السطرين في مجلتكم .

إننا لا نريد أن نبحث في أيها المسمى قبل الآخر أهي القرية أم هي البئر ؟ وبأي شيء كانت تسمية حمى ضرية ويكفينا ما ينقله ياقوت في معجم البلدان ، ومهما تنكروا بعد ذلك أو تكذبوا أقوال القدامى فلا يضير النص الصّريح . قال ياقوب في رسم (ضرية) : « قال الأصمعي يعدد مياه نجد قال : الشرف كبد نجد وفيها حمى ضرية وضرية بئر ، ويقال ضرية بنت نزار قال الشاعر :

فأسقاني ضريّة خير بئر تمجّ الماء والحبّ التؤاما

(لعل كلمة الحب : الحبب) .. قال الأصمعي : خرجت حاجا على طريق البصرة فنزلت ضرية .. » وإذن فالأصمعي زار المكان منذ أكثر من ألف

---

(١) لا يا أخانا ليس من عادتي أن أحذف من النص شيئا لأقول أشياء ، وإنما يفعل ذلك غيري ولا أزيد ...

ومائة وخمسين عاماً. وهو الذي ذكر أنها بئر وأن البلد قد تكون سميت باسمها أو أن البئر أو البلد سميت باسم ضرية بنت نزار ؛ فكيف كنتم من الثقة بحيث تقولون الآن بعد ألف ومائتي عام إن هذا من أفظع الخطأ وإذا كانت هذه النصوص الصريحة في تراثنا . والشاهد الشعري يقول : (ان ضرية خير بئر) فكيف بعد مئات السنين يشككنا فيها من لم يحضر تسميتها دون سند او دليل بل لا يكتفي بذلك وإنما يقول انه من أفظع الخطأ . لا أعتقد أن أي محقق أو قارىء يأخذ بهذا الذي تقولونبعد أن يقرأ صريح النصوص (١)

والرقم ٣١ (القرية المعروفة بالصفراء) علقتم عليها واثقين لا مستفهمين فقلتم أيضاً : (هذا من أغلاط الشارح فالصفراء ليست قريةبل واد فيهقرى . الى آخر الأسطر الثلاثة .

وأولاً إذا كانت الصفراء الآن وادياً فيه قرى فهل يمنع ذلك أن الوادي سمي في القديم باسم قرية كانت فيه قبل أن تنتشر فيه قرى أخرى ؟ وهل كنتم حاضرين منذ مئات السنين سبب التسمية له .

والأهم من كل هذا هو أن نرجع إلى معجم البلدان في رسم (الصفراء) قال عرام بن الأصبغ السلمي : الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها .. ولنرجع أيضاً الى رسم (غرىء) وهي التي فيها النص الذي في التاج .. وقال ياقوت : « قال ابن اسحاق : لما توجه رسول الله ﷺ إلى

---

(١) صاحبنا – وقد كتب ما كتب تحت تأثير نوبة عاطفية حادة – لا يريد أن يفهم ما يقرأ ، فإذا قلنا له : ان قول : « ضرية بئر بالحجاز » من أفظع الخطأ ، لأن ضرية في سُرَّة نجد ، يصمنا بوصمة إنكار أقوال القدامى ، وبتكذيبهم ، ثم يذهب في سرد أقوال يستدل بها أن ضرية بئر لا قرية ، على حدّ المثل : (أريه السُّها ويريني القمر) . يا أخانا أخذنا على شيخك انه وضع ضرية في الحجاز وليست فيه ، أما الأقوال التي سردتها وحاولت أن تصحح بعضها فأخطأت فإنني قد قرأتها وحققت بعض نصوصهـا قبل بضع سنوات (انظر كتابي : « بلاد العرب » و « أبو علي الهجري » من منشورات دار اليمامة) .

وما الذي يضيرني أو يضير القراء من وقوفك على حافة البئر التي قال شيخك انها بئر منذ ألف ومائتي عام ، ولو كنت كتبت مـا كتبت غير متأثر بالعاطفة لأدركت أن البيت الذي استشهدت به مضى له أكثر مما ذكرت بمائتي عام . فقف حيث وقف شيخك ، وقل عند ذكره :

ودع كل قول غير قولي فإنني أنا الصائت المحكي والآخر الصدى

بدر فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماهما .. وإذن فمن يقبل أن تقولوا أن هذا من أغلاط الشارح وقد ذكر النص ابن إسحاق منذ أكثر من ألف ومائتي عام . ومع هذا فالشارح نقل من مصادر صحيحة [1] . وفي الرقم ٤٨ أورد الشارح بيت جرير :

أوتيت من حدب الفرات جواريا منها الهنيء وسائح في قرقرى

وقال : قرقرى قرية باليمامة فيها سيح لبعض الملوك ، ثم قلتم : وعلق الدكتور مصطفى جواد .. إلى آخر سبعة أسطر .

أما نص الزبيدي مع الشاهد فهو من اللسان ، وصاحب اللسان ينقل عن التهذيب والمحكم فلترجعوا اليهما لتتأكدوا من أن الكلام صواب لا يحتاج إلى تشويه . وجرير لم يقل منها الهنيء والمريء . وإنما قال : وسائح في قرقرى. وبهذا صح قول قرقرى قرية باليمامة فيها سيح لبعض الملوك ، ولو راجعتم مادة (قرقرى) لما نقلتم ما يقوله الآخرون دون تأكد ، وتأملوا قول ياقوت : « وكان يشتري غلات السلطان بقرقري وإذن فقد كانت قرقرى مما للسلاطين فيها غلات [2] .

---

(١) أما سبب تسمية وادي الصفراء بوقوع قرية فيه بهذا الاسم فليس موضع الحديث ، وما كتبته أنت حول هذا هو من قبيل المغالطة ، فأنا فيما كتبت عن « تاج العروس » أوضحت في أوله الغاية منه ، وانني قد أقصد إيضاح المعنى وأربط ما ورد من التعريف للموضع قديماً وما هو عليه ، ولقد أخطأت في تعليل التسمية وفي إيراد شواهد في غير محلها ، وبترت بعض النصوص وحذفت منها ما يبطل رأيك ولن أزيد على هذا فكل من قرأ ما في « معاجم الأمكنة » يدرك ما ذكرت .

وما أسهل من أن تقول لمن قال لك : القاهرة مدينة عظيمة ممتدة على ضفاف النيل : لا إن الشيخ فلاناً والعالم علاّناً قالا : انها قرية صغيرة في الصحراء وهما أعلم منك فهم قبلك بمئات السنين ، فهل هذا يغير من الحقيقة شيئاً . وهب ان ابن اسحاق أو من هو أقدم منه أخطأ ثم جاء شيخك صاحب « التاج » فنقل الخطأ ألا يكون مخطئاً وان يصح أن يقال : هذا من أغلاطه .

(٢) ليست قرقرى قرية وإنما هي أرض واسعة فيها قرى ، فأضف - إذا شئت - هذه إلى أخطاء شيخك ومشائخه ، وأعد نظرك في « معجم البلدان » بعد التجرد من الهوى المعمي المصم تَرَ أنّ الضَّيْعَاتِ التي للسلطان في قرقرى كانت في عهد هارون الرشيد كما في قصة يحيى بن طالب الحنفي التي أوردها ياقوت وغيره . أما البيت الذي دار الحديث حوله فلجرير في مدح هشام بن الملك حينما أجرى نَهْري الهني والمريء من الفرات: اوتيت من جذب الفرات) فهل ←

والوقم ٤٩ أنتم معذورون فيما فهمتم منه ، لأن الطباع جزاه الله خيراً أوقع في اللبس بتقديمه وتطبيفه وحذفه . والحق أن أي انسان يريد تلمس الصواب لفهم مقصودي يعرف أن في الهـــامش خطأ مطبعياً وبخاصة أننا تتورع أشد التورع ونحذر أشد الحذر أن نقطع بأن شيئاً غير موجود دون التأكد من ذلك . وما بلغنا جرأة العلماء الذين تكثر لديهم المعلومات فتختلط في أدمغتهم وينسبون ذاك الى هذا وهذا الى ذاك ويحذفون أو يزيدون .

ان نص الأصل الذي أورده الزبيدي جاء في (يرنا) أما (تاراء) فلم يرد فيها الاسم (يرنا) على الرغم من قوله هو وياقوت « وقد ذكر يرنا مع تاراء » فأردت التنبيه على ذلك وما كتبه هو «في معجم البلدان » (يرنا)هذا النص، وأما تاراء منفصلة فلا توجد فيها يرنا « ولكن حدث من الطباع ما حدث من تحريف وحذف . ولم ينتبه التصحيح الى ما فعل ، بل أن هذا الطباع قد طُرِدَ بعد أن ثبت لقسم التصحيح أ نه لم يُدخِل ما يصحح في التجارب وحدثت بسببه عدة أخطاء مطبعية لم يدخل تصحيحها في الحروف المصفوفة وجزى الله الأساتذة الأفاضل الذين أرسلوا الينا ونبهونا إلى ما جاء من بعض أخطاء التطبيع الي ذكرتم بعضهـا مثل الرقم ١٠ والرقم ١٣ وغيرهما . وبالطبع أنتم تعرفون ما يعانيه المؤلفون والمحققون والمصححون من فلتات التطبيع . ولا أدل على ذلك مما جاء في مقالكم نفسه في الرقم ١٥ (وأقوال

←استطاع هشام ان يجذب نهر الهنيء من الفرات إلىقرقرى فيوسطاليمامة مجتازاً صحاريالجزيرة من الصلب فالصهان فالدهناء فمارض اليمامة حتى يسيح الـــاء في قرقرى الأرض المتاخمة لجبل العارض غرباً .

أما كون صاحب « التاج » نقل قوله عن « اللسان » وهذا نقله عن غيره فلن يقلب الخطأ إلى صواب ، وأنت قد ملأت عشرات الصفحات من « مجلة مجمع اللغة العربية » في تصحيح اللسان ، وقبلك الأستاذ أحمد تيمور باشا – رحمه الله – كتب في تصحيح أخطائه رسالتين طبعت أولاهما في سنة ١٣٣٤ في ٥٩ صفحة ، وطبعت الأخرى في سنة ١٣٤٣ في ٤٠ صفحة كما نشر الأستاذ عبد السلام هارون بحثاً طويلاً في الموضوع في مجلات « المجلة » و « مجلة مجمع اللغة العربية » في القاهرة و « البيان » في الكويت . فليضف خطأ صاحب « التــاج » إلى صاحب « اللسان » أو غيره . إذا كان لصاحب « التاج »من القداسة في نفس أخينا عبد الستار ما يحمله على أن يعتقد فيه العصمة من الخطأ .

الصواب) وهذا لا يمنع أن ما جاء في الرقم ١٥ عن قبل أنه جبل قرب دومة الجندل هو صحيح في نصوصه . ولا نأخذ بقولكم أن الصواب قيال . فكم تغيرت التسميات وتحرفت وتنقلت ، وكم قال أناس عن شيء صحيح أنه غير صحيح ، ولن يستطيع أحد أن يقنع المحققين أن ما قيل عنه أنه « اسم جبل عال بالبادية» هو نفسه صحة ما قيل عنه أنه جبل قرب دومة الجندل (١).

لقد طال الرد ، وهناك بعض ملاحظات أخر ، ولا ننكر أنكم بينتم لنا أخطاء مطبعية فاتتنا أو فاتت علينا فلكم الشكر الجزيل على جهدكم الكبير . إلا أننا نحب أن نتساءل ؟ :

لقد مضى على الكتاب منذ صدر أكثر من خمس سنوات وسبق أن قدمتم إلينا بعض ملاحظاتكم ، ثم بعد مدة أبلغتم الأستاذ عبد المنعم النمر أن لكم ملاحظات ، ولا أدري أيضاً عدد من أبلغتموهم في مجالسكم ، وقد كتبنا إليكم نطلب موافاتنا بما لكم من ملاحظات ، راجين أن تتفضلوا بها مشكورين . ولكنكم لم تردّوا علينا ، ولم ترسلوا شيئا (٢) .

---

(١) وهل يضيرني في شيء عدم أخذك يا صديقي بقولي بأن اسم جبل دومة الجندل قيال – بالياء المثناة التحتية – لا كما جاء مصحفاً في كتابك وغيره ؟ أو هل يغير من الحقيقة شيئاً ؟. إنني يا صديقي لا أكتب لكي أجد لما أكتب موقعاً وحسن قبول لدى أحد ، ولكنني أكتب متلمساً وجه الصواب في ذلك ، وتلك غايتي ولا شيء وراءها ، فخفف من غلوائك – يا رعاك الله – واستعمل مع صديقك القديم لا العبارات الرقيقة المهذبة ، فقد وضعت بينك وبين استعمالها حداً فاصلاً . هو أداء واجب العلم – على زعمك – فليحل اداء هذا الواجب بينك وبين عبارات التهكم والوقعية مثل (جرأة العلماء) و (اختلاط الأدمغة) و (نسبة ذاك إلى هذا) و (الحذف والزيادة) فلن تعدم إذا أردت – ومسا أسهل ما تريد – من قد يصفك ببعض ما وصمت به غيرك أو كله أو أكثر منه فلا يذهب بك الغرور إلى اعتقاد براءتك من كل عيب :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تُعَدّ معايبُهْ

(٢) أما الحديث عن « المنجد » ونقده . فإن أخي عبد الستار – وأقولها صريحة – لم يتأدب بأدب القرآن الكريم عندما عرض لذكره وعرّض بي ، لقد أمرنا الله جل ذكره قائلاً : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إنّ بعض الظن إثم) وحفاظاً على ما أحل للأخ الكريم من مودة حذفت الكلام المتعلق بذلك الكتاب لعدم صلته بما كتبته عن « التاج » إلا إذا قصد الأستاذ عبد الستار مجرد الوقعية فيّ فله ذلك :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامِرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلت ←

ونطمئنكم أن «تاج العروس» ماض باذن الله في طباعته وفي جمعه وورقه ومحققيه الكرام المخلصين المتواضعين ومراجعيه الدائبين في تحري الحق ، ولا يعقل أن يغير الآن أو يُلغي ما جاء عليه الثناء من كل الأصدقاء وغير الأصدقاء ممن قارنوا العمل بما عمل في غيره ومن قدروا الجهود الصادقة المبذولة في إعداده ونشره [1] .

وأكرر القول فأذكر أنني أكون من المخطئين إذا ادعيت الكمال وهذا ينطبق على كل انسان ولو كان صديقنا الأستاذ حمد الجاسر .

← ومن الذي أنكر على الأستاذ غيرته ودفاعه عن العروبة والإسلام حتى يقف موقف قاضي جُبَّل فيصف نقده للمنجد بأنه فعل كيت وكيت و(انه يضطرهم الى أن يقلبوا عملهم رأساً على عقب) وإن وزارات التربية أصدرت نشرات - الخ - أي متأثرة بنقد حبيبنا وأخينا الطيب الطاهر القلب . أما الذي ينبغي أن يذكر به الاستاذ فهو ان كثيرين قبله بسنين كتبوا عن أوهام « المنجد » وأوضحوا كثيراً من أخطائه اللغوية فقد نشرت صحف في بلادنا في الموضوع وأنا ممن كتب فيه ، وقدم بعض العلماء تقارير (رسمية) منهم الاستاذ سعيد الأفغاني حينما كان عميداً لكلية الآداب في جامعة دمشق ، فخفف من غلوائك يا أخي ، ولا تخرجك نزوة العاطفة فتجردك من أجمل زيٍّ وهو التواضع ونكران الذات ، وطالما رأيتك متصفاً بهاتين الصفتين الحميدتين .

وأما الذي يجب أن ينكر أشد الانكار فهو محاولة الصلة بين ما كتبت عن « التاج » وبين ما كتب الصديق عن « المنجد » وقد كفانا حبيبنا نفي هذه الصلة من حيث لم يشعر :- ١ - ذكر انني قدمت له بعض الملاحظات وازيد ان ذلك - كما يذكر - حينما كرم فزاري في مستشفى جاردن سيتي وقت صدور الجزء الأول فقدمه إليَّ فدونت تلك الملاحظات وأنا في فراش المرض وقدمتها في اليوم الثاني عندما زارني مرة اخرى (حول عام ١٣٨٧ هـ) قبل اربع سنوات ، والاستاذ نقد المنجد منذ عام واحد - ٢ - ذكر الصديق ان الاستاذ عبد المنعم النمر أبلغه بان لديَّ ملاحظات أي حينما كان الاستاذ النمر في الكويت ، وقد غادر الاستاذ تلك البلاد قبل ثلاث سنوات - ٣ - قال الصديق : (وهيهات ففرق كبير بين ما كتبنا وما كتب عنا) وحقاً ما قال فما كتبت قد قلت عنه : (ليس صحيحا كله) واظهرت حاجتي لمعرفة الصحيح ، وطلبت من القراء ارشادي الى الصواب ، فانا مسترشد مستفيد ، فكيف يجيز لنفسه ان يوجد صلة بين امرين مختلفين اشد الاختلاف كما قرر واوضح، وبين وافصح ؟ المُجرد الرقيمة في عرض اخيه؟!

(١) ويأتي الحديث عن مطبوعة « التاج » التي (جاء عليها الثناء من كل الاصدقاء وغير الاصدقاء) وعن تقدير (الجهود المبذولة فيه) ؟ ومن الذي ينكر ما للنفط من اثر فيما هو أعظم واضخم من طبع كتاب ، من صنع المعجزات ، وفي تغيير نواميس الحياة ؟. ومن الذي لا يسر بما بشر به الصديق الكريم من الاستمرار في طبع ذلك الكتاب بالحالة التي ارتضاها واختارها

وهذا مثلاً كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي الذي تذكرونه في كل نقد ، ولعل نصوصه صارت كلها محفوظة لديكم ، حينما نشرتم في مجلة « العرب » : من شعراء « جمهرة النسب » وقعتم في أخطاء علمية وأخطاء مطبعية وأخطاء تحتمل الأمرين ، أنظروا عدد العرب محرم ١٣٨٨ .

فمثلاً رقم ١١ الأحوص بن عمرو اليربوعي . وهذا خطأ وصحة لفظه الأخوص، بالخاء المعجمة . ولا يحمل على الخطأ المطبعي ، لوضعه قبل أحوق، ولو وضع بعد الأخنس وكتب الأحوص لقلنا إنه خطأ مطبعي .

ومثلاً رقم ٧١ (ابن الحادرة) وإنما هو « الحادرة » وتكرر الخطأ في الرقم ٢٨٦ ولو قال ابن الكلبي إنه «ابن الحادرة» لقلنا له قد خالفت المعروف لدى الناس وشككنا فيما الفت

ومثلاً الرقم ٢٧٥ (الفرثع التغلبي) وهذا خطأ وصحته القرثع الثعلبي من بني أوس بن ثعلبة وبالقاف لا بالفاء حيث، وضعتموه وحرفتموه .

ومثلاً الرقمان ١٩٩ و ٢٠٠ هما لشخص واحد لم تتنبهوا إلى ذلك فيهما لأن الرقم ٢٠٠ أضيف فيه ، ابن محصن» والرقم ١٩٩ أضيف فيه الثعلبي » .

أما ما يحمل على الخطأ المطبعي وقد يحمل على الخطأ في النقل فكثير من

← الصديق واخوته الكرام المخلصون (المتواضعون) ! وان كنت لم افهم لاقحام هذا الوصف معنى؟

لقد اردت -- أيها الاخ الطيب القلب -- ان استفيد انا ومن هو في مثل سني من ذلك الجهد المظيم الذي صرف وسيصرف في طبع « التاج » غير ان اصرار اخي وصحبه على رأيهم سيحرمني ويحرم لداتي وقد يحرم ابناءنا ، فهل سيستفيد منه احفادنا ؟ أرجو ان يحقق الله امنية الاستاذ عبد الستار ، ولا اطلب مستحيلا على الله حينما ادعوه صادقاً ان يطيل عمره حتى يكمل عمله في هذا الكتاب بوضع فهاوسه الوافية المفصلة بعد انتهاء طبع آخر جزء منه .

واقولها كلمة حق بدون مواربة ولا مجاملة لقد كان اختيار الاخ الاستاذ فراج واخوته العلماء الذين شاركوا في تحقيق هذا الكتاب ، اختياراً موفقاً ، ولقد أوضحت هذا للاستاذ الجليل السيد وكيل وزارة الاعلام التي تشرف على نشر الكتاب ، حينما كرم بزيارتي هو والاستاذ عبدالعزيز المنصور في شهر صفر (نيسان) من هذا العام ، وقلت لذلك الاستاذ : إنكم لن تجدوا خيراً من الاستاذ عبد الستار ، هو واخوانه الذين قاموا بتحقيق الاجزاء التي طبعت من ذلك الكتاب ، فهم من الصفوة الممتازة من علمائنا ، ومن قال غير ذلك فقد هضمهم حقهم ، وظلمهم ، غير ان اعتقاد براءة عملهم من كل وصمة امر لا يقبله عاقل .

ذلك « أبو دؤاد » وصحته « أبو دواد » و « أبو خراش الهندلي » وصحته « أبو خراش الهذلي » بالذال لا بالنون والذال و « الصلتات العبدي » وصحته « الصلتان العبدي » آخـــره نون لا تاء . و « عبد الله الحشرج » وصحته « عبد الله بن الحشرج » . و «العديل : الفرخ » وصحته «العديل بن الفرخ». والرقم ٣٠٢ « كثير بن عبد الله الرامي » وصحته « الدارمي » . والرقم ٣١٢ « الأيادي» وصحته « الإيادي » بكسر الهمزة . والرقم ٣١٤ «السياق» وصحته « السبّاق » بالباء المنقوطة بواحدة ومشدّدة ...

وكل الأعلام التي أوردتموها لم تضبط . ولسنا ندري ما هي الأخطاء التي كانت تحدث لو أنها ضبطت ضبطاً كاملاً ، وهذا المكان ينبغي أن يفعل في مثل هذا لكي تنطق الأعلام صحيحة ، وبخاصة أنها تنقل من كتاب مخطوط تقولون إنه بالغ الصحة في ضبطه . وفي رأينا أنّ نشر مثل هذا دون ضبط صحيح لا قيمة له ولا ينفع أحدا [1] . ←

---

(١) رب ضارة نافعة — كما يقولون — فإن كان اخوننا غضب بما كتبنا، وثارت ثائرته ، وهذا ما لم اردْه وما آسى وآسف لحدوثه ، فإن تلك الثورة لم تعدم أثراً حسناً، فقد نشرت في «العرب» قبل ثلاث سنوات اسماء شعراء ورد ذكرهم في مخطوطة « جمهرة النسب » كما وردت تلك الاسماء في مخطوطة المتحف البريطاني ، واقولها صادقا : انني اقل دربة ومعرفة للشعراء من صديقنا الاستاذ عبد الستار الذي نشر اربعة كتب أو اكثر عن الشعر والشعراء . وقد وقع فيما نشرت كثير من الخطأ وها هو الصديق الكريم يصحح بعضها ، ولن ادعو عليه فاقول : زادك الله ثورة وغضبا لكي تصحح الباقي ، ولكني اقول : منحك الله حياة الاستقرار وراحة الضمير واطمئنان البال لتؤدي للعلم حقه وافياً غير منقوص . غير انني لا ادري علام اعجب ؟ أمن وصمه لي بما وصمني به مما يراه القارىء في ثنايا كلامه أم وصفه لي بالحفظ بقوله عن كتاب « جمهرة النسب » : (لعـــل نصوصه صارت كلها محفوظة لديكم) !

لقد جبرت خاطري — جبر الله خاطرك ايها الحبيب —

وإذا الحبيب اتى بذنب واحـــد جاءت محاسنه بألف شفيـــع

اما كونه نسب الي انني قلت عن ذلك الكتاب : (انه بالغ الصحة في ضبطه) فهذا من : (جراءة العلماء الذين تكثر لديهم المعلومات فتختلط في ادمغتهم ، وينسبون ذاك الى هذا ، وهذا الى ذاك ، ويحذفون او يزيدون) كما عبر اخونا وحبيبنا . فمتى قلت هذا ؟ لقـــد اختلطت المعلومات لدى الاستاذ في هذا الموضوع وفي غيره ، وسأترك الامر له حق يصفو الذهن ، ويزول الاختلاط فيذكر الكتاب الذي وصفته بالضبط ، وان عجز فليرجع الى مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق ففيها الخبر اليقين .

حول كتاب :

في شمال غرب الجزيرة

أطرى صحفيّنا اللبق الأستاذ محمد عبد الله مليباري كتاب « في شمال غرب الجزيرة » وقال في يوميات جريد عكاظ تاريخ ١٣٩١/١/٢٠ :(والواقع أنه كتاب جدير بالاقتناء .. جدير بالقراءة ، ومن رأيي أن لا بد لكل مثقف عربي الإلمام ببعض مضمون الكتاب بل الإلمام به جزء من الثقافة التاريخية التي ينبغي أن تكون جانباً من ثقافة أي مثقف عربي خاصة في بلادنا) .

وسار الاستاذ المليباري في استعراض الكتاب ، ووقف وقفات قصيرة عند مسائل أثارها الكتاب أو أشار اليها ، وقف وقوف الباحث المتعمق ، وأبدى آراء وجيهة حول بعض ما عن له من ذلك .

ولو أردنا أن يطبع تاج العروس خالياً من الضبط أو مضبوطا ضبطاً قليلا كما يفعله كثير من المحققين تهرباً من معاناة البحث وراء صحة الضبط ، لكان الكتاب أو أغلبه بين أيدي الناس ، إن تجارب الطبع تقرأ أكثر من مرة ومع ذلك تمر بعض الغلطات المطبعية رغم أنف التصحيح ، وهذا كتاب «شرح أشعار الهذليين» الذي حققته كنت أقرأ تجاربه ثلاث مرات ، وكان الأخ الأستاذ العلامة الجليل محمود شاكر يقرأ تجاربه أيضاً ثلاث مرات ومع هذا غلبتنا بعض الغلطات المطبعية مما ترونه في آخر الجزء الثالث . وما زلت في كثرة رجوعي إليه أجد بعض ما لم نتداركه ، فمعذرة إذا كنا قصرنا رغم أنوفنا ، وشكراً على ما حييتمونا به بعد حين ، بلغ حوالي خمس سنين ولكم أطيب التحيات ..

الكويت — **عبد الستار أحمد فراج**

والواقع انني أنظر إلى إطراء الأستاذ المليباري نظرة تغاير نظرة غيري ، فأنا مع ما أحمل له من تقدير ، أرى في هذا الإطراء معنى آخر ، معنى يبعث على التفاؤل ، ويدعو للاستبشار ، ذلك أن أدباءنا الشبان ورجال الصحافة في بلادنا يوجد من بينهم من يقرأ كتباً أقل ما توصف به الجفاف وعدم ملاءمتها لمزاج كثير من القراء في هذا العصر ، فشاب صحفي له من أعماله ما قد يشغله عن مطالعة كثير من الكتب ، يلتهم كتاباً تزيد صفحاته على ٦٨٠ صفحة ، أقل ما يوصف به عمله الجلد والصبر والرغبة في الاستزادة من العلم ، وكما جاء في الخبر المأثور : (منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال) .

ويتجلى نهم أديبنا الكريم الأستاذ المليباري في الوقفات القصيرة التي ناقش فيها بعض الآراء الواردة في الكتاب ، وهي مناقشة أدخلت على نفس كثيراً من السرور،لا أقول هذا مجاملا أو مبالغاً في القول بل هو شيء أعتقده اعتقاداً جازماً وسجلته في كثير من كتبي ومنها هذا الكتاب الذي قلت فيه بالنص الحرفي : (وممن زارني أديب ينبعي يدعى حمد القبساوي ، يشغل وظيفة تفتيش في الجمارك ، وكان قد طالع كتابي عن « بلاد ينبع » وأتى به معه ، وأبدى لي كثيراً من اللاحظات القيمة وصحح لي أخطاء وقعت فيها في ذلك الكتاب من ذلك أنني نسبت الشيخ محمد بن جبارة الى الأشراف وليس منهم بل هو من الصراصرة من جهينة ، ولكن هذا نشأ من كون أحد الأشراف ، وهو جابر بن جبارة كان رئيساً من رؤساء ينبع في القرن الثالث عشر الهجري ، فظننت أن ابن جبارة محمداً هو من ذرية الذي قبله ، ومن هنا وقع الوهم ، وقد طلبت منه أن يقرأ الكتاب قراءة كاملة ، وأن يوضح لي كل ما يراه بحاجة الى التوضيح ، ووعدته بنشر ما يبعث به إليّ في مجلة « العرب » .

وبالمناسبة – لا تفوتني الإشارة إلى انني عندما مررت بمدينة جدة – وزرت الأستاذ علي حافظ في عمله ادارة مطابع المدينة . وهو باحث أديب له مؤلف في التاريخ « فصول من تاريخ المدينة المنورة » تحدث عن « المغـانم

المطابة في معالم طابة » الجزء الذي قمت بتحقيقه ، وكأن الأستاذ يريد أن يعرف رأيي ، فقلت له : أرجو أن تكتب كل ما تراه حول الكتاب من نقد ، وثق بأنك ستجد في « العرب » أرحب مكان لنشره ، ومني أوفى تقدير وشكر لأنني أبحث عن الحقيقة ، ورايي هو خاص بي عندما يبقى دفيناً في صدري ، ولكنني حينما أفضي به بأية طريقة من طرق النشر ، فإنه يكون غير خاص بي . ومن حق كل انسان ان يبدي رأيه،وأنا بحاجة إلى من يقوّم أودي ويصحح ما أخطيء به أكثر مما أنا محتاج إلى الثناء ، إذ الثناء لا لا يفيدني شيئاً فأنا أعرف بنفسي ، ولكن النقد يفيدني ويفيد غيري ، وقد وعد بأن يبعث ما يراه ، ووعدته بنشره كاملاً .)

لقد أصدرت الدار منذ أنشأتها وهي (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سبعة عشر كتاباً منها ما ألفته ، ومنها ما حققته ومنها ما أشرفت على طبعه فشاركت مؤلفه فيه ، ولكني لم أقرأ نقداً لواحد من هذه ، لواحد من القراء فيبلادنا وقد يكون ذلك ناشئاً عن عدم اطلاعي ولكني تلقيت كتابات كثيرة ومنها ما نشر في صحف تصدر خارج بلادنا ، فنشرت كل ذلك في مجلة « العرب » لأنني أستفيد من النقد أكثر مما أستفيد من التقريظ وقاريء يرشدني الى ما أخطات فيه هو خير لي من قاريء يدفعه تقديري إلى مجاملتي بالثناء ، وأذكر مرة أنني تحدثت مع أخي الأستاذ عبد الله الخياط رئيس تحرير هذه الصحيفة وكان مما قلت له : ان أعمق ناقد في بلادنا هو الاستاذ عبد العزيز الربيع ، وحبذا لو تناول بعض تلك الكتب أو كلها ان قدر على تناولها بالنقد، وأظهرت لأخي عبد الله الخياط عندما كرم بزيارتي في مكتبي رغبتي في ارسال مجموعة من الكتب معه للأستاذ الربيع ، ففضل أن ترسل اليه من الرياض وفعـــلا كتبت إلى دار العرب لكي تبعث الى الأستاذ الربيع بذلك .

لقـد خرجت عن الموضوع ، وكما قيل : (الحديث ذو شجون) ، فلابدأ مع أخي الأستاذ المليباري متعرضاً لما رأيت الأمر يدعو لأن أبدي رأيي فيه .

(١) لقد وقف أخي الأستاذ عند جملة جاء فيها (. من أول ما لفت نظري .. ان شاهدت) وقال بأن هذا التعبير لم يرق له ورجا أن يجد له تعليلاً عند المهتين باللغة من أمثال صديقنا الأستاذ أبي تراب ، وكأن الأستاذ رأى أن بين ما يلفت النظر وبين المشاهدة اتفاقاً يجعل أحدهما يغني عن الآخر وحقاً ما رآه الأستاذ وهو ولا شك أن يدرك أيضاً الفرق بين النظر والمشاهدة فهما وان اتفقا في كثير من المعاني إلا أن بينهما اختلاف ، فالنظر يقصد به الفكر أيضاً والتقدير والقياس والانتظار وغير ذلك من المعاني الواسعة كما أن المشاهدة لا يقف معناها عند حد رؤية الشيء ، بل يتعدى ذلك إلى معان أخرى أوضحتها كتب اللغة ، ومع كل ما تقدم فأنا أعترف بأن العبارة ركيكة وغير فصيحة ولكنها صحيحة وظاهرة المعنى .

(٢) ومما عرض له الأستاذ المليباري في حديثه عن هذا الكتاب أصل الكتابة الصفوية ، وقال : (كنت في استقراء رأي الأستاذ الجاسر آملاً أن أجد تحقيقاً علمياً يدلنا به على أصل الكتابة الصفوية، وانها من الجزيرة ولكنه وقف بالقاريء عند مقارنة أسماء معبودات بني كلب بمعبودات المعينيين) .

أنا واثق بأن الناقد الكريم يدرك أن هذا الكتاب عني أكثر ما عني بناحيتين هما الناحية الجغرافية والناحية التاريخية للبلاد التي ورد الحديث عنها وشاهدها مؤلف الكتاب ، ويدرك الأستاذ أيضاً أن الخط (الكتابة) علم قائم بذاته ، ألفت فيه المؤلفات الكثيرة ، وأنا حينما أوردت بعض النقوش الموجودة في البلاد التي مررت بها ذكرت الأمم التي تنسب اليها وحاولت أن أبين أصل تلك الأمم وأوضحت ذلك بالقدر الذي يسمح بمثله في كتاب قصد منه أن يكون وصفاً جغرافياً لمسافر شاهد أشياء فحاول التعبير عما شاهد .

والمعينيون لم ير لهم ذكر في هذا الموضع، ولا أدري هل هذا سبق قلم من الأستاذ المليباري ، مع أنه كرر اسم هؤلاء في ناحية أخرى سأتحدث عنها .

(٣) أما القول بأن الكتابات الصفوية والثمودية واللحيانية والمسندية غير عربية كما يرى الأستاذ فأنا أجهل علم الآثار وأجهل أصول تلك الخطوط

ولكنني أكاد أجزم بأن الأمم التي كانت تستعمل تلك الخطوط أمم عربية ، فلماذا لا توصف كتاباتهم ونقوشهم وآثارهم بأنها عربية لا سيما وانها كلها وجدت في بلاد العرب وأكثرها مما وجد في قلب الجزيرة التي لا يشك أحد بأنه لم يستوطنها منذ أن عرف التاريخ إلا العرب . ومع تقديري لرأي الأستاذ المليباري فانني أرى أن هذا الموضوع من اختصاص علماء الآثار وهم قـــد أوضحوا آراءهم في مؤلفات كثيرة معروفة ولم يقل أحد منهم ممن يعتمد على قوله فيما أعلم بأن تلك الخطوط والآثار أو النقوش ليست عربية . أما خبر تعليم بشر أخي الأكيدر صاحب دومة الجندل الكتابة لجماعة من أهل مكة والشعر المقول في ذلك فأنا مع الأستاذ المليباري في الشك في عدم ثبوته ولكنني أوردت الخبر والشعر ، لاتفاقهما مع رأي ورد في كثير من الكتب عن أصل الكتابة العربية ، ففي كتاب « الفهرست » لابن النديم ، إن أول من وضع الكتاب العربي (نفيس ونضر وتيما ودومة) والمتقدمون ينسبون هؤلاء إلى اسماعيل ويقولون ان تيما ودومة نسبت إليهما وإذا صح قول صاحب « الفهرست » فاصل الكتابة العربية من هذين البلدين، وأنا لم أورد هذا القول جازماً به ولكن لأدلل على أن بلدتي تيماء ودومة الجندل لهما تاريخ عريق في القدم .

(٤) وأما القول بأن بني كلب ليسوا من مهاجري الجنوب، فانا لم أقل هذا كما جاء في نص كلام الأستاذ وهو : (أما موضوع توافق أسماء دومة الجندل المعينيين فليس فيه أي استدلال على تفرغ الخط العربي من الخط الصفوي وليس دليلاً على أن بني كلب من مهاجري الجنوب كما مضى إليه الأستاذ جاسر إذا عرفنا أن دولة معينية ظهرت في الجوف بل ان النفوذ السيامي للمعينيين وصل إلى شمال الحجاز ودخلت معان وديدان (العلا حاليا) وإن هناك رأياً يقول به بعض الباحثين الأوربيين من أمثال «جويدي » وبعض المؤرخين العرب من أمثال حسن ابراهيم حسن ، مؤلف كتاب تاريخ الإسلام السياسي مفادة أن المعينيين ينسبون إلى عمالقة العراق ، تدل على ذلك دراسة أحوالهم السياسية والاجتماعية وأسماء رجالهم .. وسواء لدينا أصح هذا الرأي أم لم

يصح ، فإن الذي نستنبطه أن توافق أسماء المعينين وبني كلب أمر طبيعي طالما أن دولة معينية قامت في ديارهم) .

وأعلق بما يلي :

١ – قبيلة كلب قبيلة قحطانية النسب من قضاعة من حمير ، وبلاد القحطانيين كانت اليمن جنوب الجزيرة ، باتفاق علماء النسب ، وعلماء التاريخ المتقدمين ، وهذا أمر معروف .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

٢ – المعينيون باتفاق علماء الآثار في العهد الحاضر وجدوا وانقرضوا في اليمن ، وكونوا دولة ازدهرت بـــين (١٣٠٠ – ٦٣٠) ق. م [١] وكل ما عرف عن هذه الدولة كان مما عثر عليه علماء الآثار منذ ١٠٠ سنة إلى عهدنا الحاضر وقد ألف عن هذه الدولة من المؤلفات والأبحاث ما هو معروف ، وإذا كان الدكتور حسن ابراهيم حسن أو الأستاذ جويدي يريان أن المعينين ينسبون إلى عمالقة العراق فهذا رأي غريب حقاً فلعل الأستاذ المليباري سبق قلمه مرة أخرى أو انصرف ذهنه فوضع اسم المعينين مكان اسم أمة أخرى ممن اكتشفت آثارها في الشمال لا في اليمن مثل الصفويين أو الانباط مع أن الرأي الراجح أن الأمتين من العرب وهاجرتا من جنوب الجزيرة ومن السراة وهذا ما أشرت إليه في كتابي « في شمال غرب الجزيرة » .

وأكرر القول بأن هذا الكتاب ما هو سوى مشاهدات عابرة ولمحات موجزة ومعلومات تتعلق بتاريخ البلاد التي تحدثت عنها ، أو بجغرافيتها وأنا وإن حاولت التفصيل في الأمرين الأخيرين فقد تركت أشياء أخرى لم أوفها حقها من البحث ، وما ذلك إلا أنني قدمت ما استطعت ومن منحك ما يجد لم يبخل عليك ! .

وللأستاذ الكريم أطيب تحية ، وأعمق تقدير ، وأجزل شكر .

---

(١) « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي ج ٢ ص ٧٣ وما بعدها .

رجاء : إن ما يبديه القارىء من الملاحظات وإكمال النقص وتصحيح الاخطاء يقابل من كاتب البحث ومن « العرب » بالقبول مقرونا بالشكر والتقدير

يذكر العطار قائمة بمؤلفاته المطبوعة والمعدة للطبع في أكثر كتبه . وقد ذكر من هذه الأخيرة في آخر كتابه « إنسانية الإسلام » : ١ — المكتبات ٢ — أتفي العربية بحاجة الإنسان في العصر الحديث ؟ ٣ — مئة كلمة ٤ — المسيحية والمسيح ٥ — اليهودية ٦ — ديانات الهند ٧ — ديانات مصر ٨ — ديانات فارس ٩ — ديانات الصين واليابان ١٠ — ديانات التوحيد ١١ — ديانات الشرق الأوسط ١٢ — ديانات افريقية ١٣ — لا أؤمن بالاشتراكية لأني أؤمن بالاسلام ١٤ — مع الكتب والمؤلفين ١٥ — الأسرة ١٦ — نقد كتاب كشف الظنون ١٧ — مذكرات لارا ١٨ = قال بيدبا ١٩ — خمس دقائق قبل الفطور ٢٠ — وراء القضبان ٢١ — ورود من كلام ٢٢ — صديقي العقاد ٢٣ — مسلمة من سيبريا ٢٤ — مع الملوك والرؤساء ٢٥ — الأدب الضاحك ٢٦ — الرحلات . وكتبت جريدة الجزيرة في ١٣٨٧/١١/٨ أنـه « يعكف ... عطار ... على إنهاء موسوعته عن الديانات في مختلف العصور هذا الى جانب إنهائه كتابه عن أم المؤمنين عائشة الذي وسمه (عائشة نموذج للمرأة الفاضلة) .

وذكر العطار نفسه في قائمة كتب محققه معدة للطبع : ١ — شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي ٢ — الأزمنة لقطرب ٣ — ما اتفق لفظه واختلف معنـاه لأبي العميثل ٤ — كشف الظنون لحاجي خليفة ٥ — مجموعة المعاني (مختارات شعرية ، طبعة الجوائب) .

أحمد عبد الغني بنونة :

١ – براعم وأشواك (بدلالة «مجموعة من كتب المؤلفين الوطنيين بالمملكة المطبوع على الرونيو صادراً عن وزارة المعارف سنة ١٣٦٣) .

أحمد عبد القادر الحفظي العسيري :

١ ــ النفحة القدسية والتحفة الأنسية : (منظومة) عملها ليناشد عامة الناس في الترغيب والحث على قيام الليل .

ط ١ ، القاهرة ، ط . المنار ، ١٣٤٦ ، ٣١ ص .

(مطبوعة على نفقة عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) .

أحمد بن عبد اللطيف الخطيب :

هاجر جده عبد الله إلى أندونسيا ، ورزق هناك – فيمن رزق – عبد اللطيف ، وولد لعبد اللطيف أحمد . ثم عاد بهم الى مكة .

بلغت مؤلفات الشيخ أحمد ستة وأربعين لا تخلو منها مكتبة في أندونيسيا (وفيها ما كتب بالجاوية) منها :

١ -- النفحات : حاشية الورقات ، طبع عام ١٢٠٦ .

٣ – روضة الحساب طبع عام ١٣١٠ (ينظر ــ عمر عبد الجبار. دروس من ماضي التعليم ص ٣٨ – ٤٥) .

أحمد عبد الله الفاسي :

ولد سنة ١٣٤٣ في بيئة حجازية ونشأ في بطحاء مكة وتلقى علومه الابتدائية والثانوية بهـــا ، وتلقى دراسته العليا في كلية الشريعة بالقاهرة .

ابوه عبد الله الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية في التصوف .

من طبيعته القلق ، يدعو الى التجديد .

١ ــ الاطياف العائدة (شعر) ، ١٩٦٠ (؟)

٢ ــ اللحن الأول (شعر) ؛ جدة ، مطابع دار الأصفهـاني وشركاه ، ط ١ ، فبراير ١٩٦٠ ، ١١ – ١٠٢ ص ص + ١ . يكتب بعض الأبيات على شكل أفقي قاصداً الى التجديد وما يدخل في الشعر الحر . يعلن أن له

تحت الطبع ١ - اللهب المقدس (شعر) . ٢ - آراء في التربية . ٣ - دراسات في الأدب والنقد .

أحمد عطية الغامدي :

١ - كتـــاب أشعار ومقالات ٢٠ ص ، د ، ت ، د ، ط ، باللهجة الدارجة وفيها محاورة الجمل والسيارة .

أحمد علي :

السيد أحمد علي بن السيد أسد الله بن السيد ولد علي الكاظمي ينتهي نسبه من ناحية أبيه إلى الإمام موسى الكاظم ومن ناحية الأم إلى أبي بكر الصديق. نزح جدوده من بلاد العرب إلى ايران ومن ثم إلى الهند ثم هاجر أبوه بجميـــع أفراد أسرته إلى مكة المكرمة قبل الحرب العظمى الأولى أي سنة ١٣٢٩ . ولد السيد أحمد سنة ١٣٢٥ هـ بالهند ونشأ في مكة وتعلم القراءة والكتابة على يد والده أولاً ثم في المدرسة العادلية بمكة المكرمة . ودرس على يد والده اللغة الفارسية والأدب الفارسي .. وأخذ النحو .. وعلوم الحديث عن المحدث الهندي.. الشيخ مظهر حسين .. وانضم سنة ١٣٤٧ إلى المعهد العلمي السعودي وتخرّج منه سنة ١٣٥٠ . اشتغل بالتعليم .. وفي سنة ١٣٥٦ ، انتقل مدرساً بمدرسة الأمراء أنجال الملك عبد العزيز بالرياض ، ثم وكيلا لمديرها حتى سنة ١٣٧٢ فقد عين مفتشاً فنياً في وزارة المعارف ثم مترجماً للغة الانكليزية بادارة الترجمة في وزارة المعارف . ثم عميداً لكلية الشريعة بمكة فمستشاراً فنياً للتعليم الجامعي بمكة .

١ - « آل سعود » بحث يشتمل على :

١ - تاريخ آل سعود قديماً وحديثاً .

٢ - « الحركة الإصلاحية التي قام بها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب

٣ - منشأ كلمة الوهابية وتاريخها . طبع في بيروت ، دار العباد للطباعة والنشر ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م (أشرف على الطبع والتصحيح الأخير : عبد الحليم محمـــد حمزة - مدرس بالمعارف) ٥ - ١٩٢ + ملاحق وفهرس بالمصادر ٢٢٤ ص .

من المقدمة : كان عهد إليّ – وأنا بمدرسة الأمراء آل سعود بالرياض سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م – بالقيام بدرس التاريخ الإسلامي . وكان الأمراء الطلبة يقصون ما يأخذون في المدرسة من التاريخ على جلالة أبيهم الملك عبد العزيز ، وكنت أجد في هذه الطريقة خير عون لي في تصحيح ما أكتبه عن آل سعود وتاريخ نجد على أصدق مصدر موثوق به .. وتمكنت بهذه الطريقة من عرض جزء كبير من تاريخ ملخصاتي عن آل سعود – ولا أقول كلها – على جلالته في شكل قصص تاريخي ولم يبد جلالته – رحمه الله – أية ملاحظة على ما كان يسمعه من أبنائه الأمراء النجباء . ٢٧ / ١١ / ١٣٧٦ .

ملاحظة . لأحمد علي تعليقات على الطبعة الثانية من كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب تأليف عمر رضا كحالة .

وله – بهذا الصدد – بيان نشره في جريدة المدينة : غرة شعبان ١٣٨٦ ١١ – ١٩٦١ :

« قام مدير مكتبة النهضة الحديثـــة بمكة بنشر كتاب « جغرافية شبه جزيرة العرب ، للاستاذ عمر رضا كحالة ، وكان الاستاذ عبد الشكور قـــد عهد اليّ بمراجعته سنه ١٣٨٤ وقد وجدت في تعليقاتي أخطاء بعضها كانت سهواً مني وبعضها محرّفةعن كتابتي وثم تعليقنسب اليّ وهو ليس منتعليقاتي.

١ – في ص ٩ ما جاء في الهامش رقم ٣ خطأ مني ، والصحيح ما كان موجوداً في أصل الكتاب .

٢ – ص ١٤٩ ما ذكر في الهامش رقم ٤ لا يخلو من تحريف واضح .

٣ – ص ٢٢٥ في الهامش رقم ٣ في السطر الاخير وقع سقط وهو (فاذا تمت تلك المشاريع) وكلمة (فسيكون) صحتها (سيكون) .

٤ – ص ٤٠٤ ، الهامش رقم ٣ نسب الى المعلق وهو ليس من تعليقاتي ولا اعرف عنه شيئاً .

احمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي النجدي الأحسائي (المعروف بابن مشرف) ينتهي نسبه إلى تميم ولدفي اوائل القرن الثالث عشر للهجرة..

درس وتعلم ، ومن مشائخه الشيخ حسين ابن غنام صاحب كتاب « روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام » وعد من العلماء ودّرس بالأحساء ونظم رسالة ابن ابي زيد القيرواني في فقه المالكية واختصر صحيح مسلم (ومن هذا المختصر نسخة بمكتبة الرياض العلمية) وله منظومة طويلة سماها « جوهرة التوحيد » في أكثر من ثلثمائة بيت ، وأخرى في الرد الجهمية وأهل الاعتزال في نيف ومائة بيت ، كما نظم المولد النبوي وتاريخ الخلفاء الأربعة وبني أمية وبني العباس ، وله منظومة في عشرة الإخوان وأدب الصحبة . توفي ابن مشرف بالإحساء سنة ١٢٨٥ .

١ – ديوان ابن شرف: طبع لأول مرة في الهند ، ثم طبعه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بمطبعة جريدة أم القرى بمكة في ١٧٩ص + ١ .ونشره ابراهيم الحمد الضبيعي ومحمد العبد الله الحواس : التوقيع : الرياض ١٣٧٠/٧/٢ . وطبع على نفقة آل ثاني – مطابع العروبة – الدوحة ، قطر في ٢ – ٢٣٥ ص. د. ت . وطبع بالقاهرة ، مطبعة السنة المحمدية د. ت. (لعله ١٣٨٦) لحساب مكتبة في الرياض هكذا !

ديوان ابن مشرف : (عقائد ، توحيد ، فقه ، حديث ، تاريخ) (ويليه شعر خاص لشاعر نجد الشيخ محمد بن عبد الله بن عثيمين . لغة ، علم ، مديح ، رثاء ...) .

يحتل شعر ابن مشرف ما بين الصفحة ٦ – ١٢٣ يلي ذلك قصائد كأنها مختارات لابن الوردي وقطرب حتى ص ١٨٠ . ثم شعر لابن عثيمين – بعد مقدمة بثلاث صفحات بين ١٧٣ – ١٩١ – ينهي الكتاب بصفحة للفهرس .

أحمد الغزاوي : (ينظر أحمد ابراهيم الغزاوي) .

أحمد القاري :

حجازي ولد سنة ١٣١٠ وتوفي سنة ١٣٥٩ جاء عنه في كتاب « ماذا في الحجاز ؟» لأحمد محمد جمال : « صاحب مجلة الأحكام على مذهب الإمـــام

أحمد ومحاضرة التشريع الإسلامي الطويلة الجليلة وشتى الرسائل والتعليقات والبحوث » ـ ص ٤١ ، وينظر كتاب دروس ماضي التعليم ص ٤٦ — ٤٨ .

أحمد قنديل : [توفي في شعبان ١٣٩٩هـ]

جاء في كتاب وحي الصحراء ص ١٢١ أنه ولد بجدة في أواخر عام ١٣٢٩ هـ ، وذكر عبد السلام طاهر الساسى في كتابه « شعراء الحجاز في العصر الحديث » أنه ولد عام ١٣٢٩ . ولكنه ذكر في الموسوعة الأدبية » أنه ولد عام ١٣٣٠ . نشأ بجدة وتعلم في مدرسة الفلاح منذ عام ١٣٣٦ ثم صار معلماً فيها سنة ١٣٤٥ . وفي أوائل عام ١٣٥٥ ، انتقل الى مكة المكرمة واشتغل بتحرير « صوت الحجاز » وصار رئيساً لتحريرها . وتقلب في عدة مناصب بوزارة المالية ، وكان آخر وظيفة له مدير إدارة الحج العامة بجدة ، تقاعد بعدها واشتغل بالأعمال الحرة . اعتزم أن يصدر سلسلة من من الكتب والدواوين بعنوان عام : الحجازيات صدر منها : ١ — كما رأيتها ٢ — أغاريـــد ٣ — أصداء ٤ — الأبراج . وذكر ٥ — تحت الطبع : الصواريخ ، ديوان فكاهي تحلى بالصور الكاريكاتورية .

١ — الأبراج (شعر) : من الفن .. وللفن وحده — الحجازيات ٤ . بيروت ، ط ١ ، مطابع نصار ، دار المكشوف رجب ١٣٧٠ / ابريل ١٩٥١ ، ٧ — ٢٤٠ ص .

٢ — أصداء (شعر) من الحياة واليها . بيروت ط ١ مطابع نصار ، دار المكشوف ١٣٧٠ / ١٩٥١ ، ٧ — ١٥٧ ص .

٣ — أغاريد (شعر) بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٢ (؟) .

٤ — كما رأيتها : القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧، ٩٤ ص«يوميات عن حياة المؤلف في زيارته لمصر سجل فيها مشاهداته وأثرها في نفسه»«من أدب الرحلات ».

٥ — المركاز (شعر شعبي) : ج ١ ، القاهرة ، مطبعة المدني — شارع العباسية ، د. ت (١٣٨٥ / ١٩٦٥) ٩ — ١٥٩ ص .

فيه نكت وفكاهة ، وكثيراً ما يبدأ القصيدة ببيت من الشعر العربي ثم يسير باللهجة الدارجة ، وفيه شكوى ، وقد جاء على الغلاف :

هوامش على :

ديوان ديك الجن

نشر الاستاذان عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش ، مجموعة من شعر ديك الجن الحمصي في حمص بسوريا سنة ١٩٦٠ وقد ضم المجموع في دفتيه (٤١٧) بيتاً جمعاها من شتيت المظان .

وقد استطاع الاديبان العراقيان الدكتور احمد مطلوب وعبدالله الجبوري ان يعيدا نشر المجموع بعد ان اضافا اليه اضافات مهمة ابرزها زيادة (٢٢)

حرامٌ علينا أن تباع مكانس وليست تباع الكتب وهي عقول

ج ٢٢، القاهرة ، مطبعة المدني، د،ت ، ٢٣ قصيدة، ٥ — ١٢٦ — ١٢٨ .

٦ — نار (شعر) : ط ١ ، منشورات مؤسسة قنديل التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة — بيروت .

المقدمة ١٣ — ١٤ ص ، ١٥ — ١٩٠ ص + ٢ . شعر نظمه في مواكبة الحرب الفلسطينية الثانية ٥ حزيران ١٩٦٧ . موزون ولكن تفعيلاته موزعة على الأسطر مع تنويع في القافية . نشر كله — أو معظمه — في جريدة البلاد التي تصدر بجدة ، جاء فيه : (طبع من هذا الديوان أربعة آلاف نسخة على ورق هولزفراي ١٠٠ غرام في مطابع دار الكتب ببيروت) .

أعلن أحمـــد قنديل في صدر ديوانه نار : له تحت الطبع : ١ — نقر العصافير . ٢ — الجبل الذي صار سهلا . ٣ — قناديل . ٤ — أطياف . ٥ — الديك الأحمر. ٦ — يوم وراء يوم. وقرأت في مكان ما له: انتصار وكفاح.

احمد بن محمد بن احمد الحضراوي : (ينظر أعلاه : أحمد الحضراوي .

— للبحث صلة —

بغداد — كلية الآداب

علي جواد الطاهر

قصيدة وقطعة تقع في (٢٢٤) بيتاً،اضافاها الى مطبوعة الملوحي والدرويش وعملها العلمي هذا جدير بكل تقدير ، ويمثـــل في رأينا اضافة قيمة للتراث العربي المنشور .

وقد احببنا ان ندلي بدلونا بين الدلاء فنستدرك علي الجبوري ومطلوب بعض ما فاتها من شعر ديك الجن آملين ان ينتفع بها المحققان الفاضلان في طبعة قابلة . واجمل هذه المستدركات في الآتي :

١ – قال ديك الجن :

لا مت قبلك بل أحيا وأنت معا ولا بقيت الى يوم تموتينـــا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله ويرغم الله فينا أنف واشينـا
حتى اذا ما انقضت ايام مدتنـا وحان من يومنا ما كان يعدونا
متنا كلانا كغصني بانة ذبلا من بعد ما استورقا واستنضرا حينا

أنظر « الحماسة البصرية » ١ – ٢٦٥

٢ – وقال ديك الجن :

ليس يخشى جيش الحوادث من جنـــداه وفـــدا صبابة ودموع
قمر حين رام ان يتجـــلى سار فيه المحـــاق قبل الطلوع
فـــلذة من صميم قلبي وجزؤ من فؤادي وقطعة من ضلوعي
لصغير أعـــار رزء كبير وفريد أذاق فقد جميـــع
ان تكن في التراب خير ضجيع كنت لي في المعاد خير شفيع

انظر « الحماسة البصرية » ١ – ٢٧٢

٣ – وقال ديك الجن :

وليس المرء ذو العزمات الا فتى تلقـــاه كل غد بـــلادُ
فتى ينصبّ في صدر الفيافي كما ينصبّ في المقـل الرقـادُ

انظر «الحماسة البصرية» ج ١ هامش الصفحة ١١٥و«حماسة ابن الشجري» ص ٢٦٩ وفيها : (فتى ينصب في ثغر الليالي)وقد ورد البيت الثاني منهافقط في الديوان وروايته :

فتى ينصب في ثغر الليـــالي كما ينصب في المقـــل السواد

٤ – وقال ديك الجن :

غراء جاءت وافواه الثرى يبس لكنها انصرفت والنور منفمس
تسري وللريح في حافاتها زجل يريك ذهنك ان الرزق ينبجس
في مأتم للحيا ما انهلّ عارضه إلا وفيه لأبكار الثرى عرس

انظر «الحماسة البصرية» ٢ – ٣٤٩ – ٣٥٠

٥ – وقال ديك الجن :

وكم قربت من دار عبلة عبـــلة كجندلة السور المقابـــل تشرفه
فيرى الفلا ما قد رعته من الفلا وينحفها المرت القفار وتنحفه

انظر«الحماسة البصرية» ٢ – ٣٦٠ و«الاشباه والنظائر» للخالديين ٢–٢٨١

٦ – وقال ديك الجن وهو من الطف انواع التخيير ، (وهو أن يـــأتي الشاعر ببيت يسوغ ان يقفي بقواف متعددة فيختار منها قافية مرجحة على سائرها ، تدل على حسن اختياره) :

قولي لطيفــــك ينثني عن مضجعي عند المنام
عند الرقاد – عند الهجوع – عند الهجود – عند الوسنْ

فعسى انام فتنطفـــي نار تأجج في عظـــامي
في فؤادي – في ضلوعي – في كبودي – في البـــدنْ

جسد تقلبــــه الأكف على فراش من سقـــام
من القتاد – من الدمـــوع – من الوقود – من الحزنْ

امـــا أنا فكما علـــ ت فهل لوصلك من دوام
من معـــاد – من رجوع – من وجود – من ثمنْ

انظر «انوار الربيع» ٢ – ١٥٠ و«خزانة الادب وغاية الارب» لابن حجة الحموي ص ٧٨ .

٧ - وكتب ديك الجن الى بعض اخوانه :

لك عنـدي من طيّب الورد أطباق ملاح تدني بعيـد سرورك
وشراب كطيب نشرك يلقي فوق أيدي السقاة نوراً كنورك
فبحقي ، أهد السرور الى من لا يلذُّ الدنيـا بغير حضورك

انظر - « قطب السرور » ص ٣٥١

٨ - وقال ديك الجن :

وليلة بات ظلُّ الغيث ينسجها حتى اذا كمُلت أضحى يدبجها
يبكي عليها بكاء الصبّ فارقـه إلفٌ ويضحكها طوراً ويبهجها
اذا يُضاحك فيها الورد نرجسَها باهى زكيٌ خزاماها بنفسجُها
فقلت فيها لساقينا وفي يده كأس كشعلة نارٍ بات يوهجها
لا تمزجنها بغير الماء منك فإن تبخل يداك فدمعي سوف يمزجها
اقلُّ ما بي من حبّيك ان يدي إذا سمت نحو قلبي كاد ينضجها

انظر « قطب السرور » ٥٤٨

٩ - وقال ديك الجن :

خليليّ هُبّا علّلاني مدامةً معتّقةً ممـا تخيّر نوحُ
فما العيش إلاّ أن أفوز بسكرة وما الغبن إلا أن يقال صحيح
سأجمح في حب البطالة والصّبا وإن لام فيـه عاذل ونصيح

أنظر « قطب السرور » ص ٥٦٠ .

١٠ - وقال ديك الجن :

وقنانٍ زواهرٍ هـن بالشمـس من الشمس بالقلائد احكى
يتبسمن قائمـات صفوفـا فإذا ما ركعن قهقهن ضحكا
قلت : خذها وعاطنيها سلافا ذهبا في الزجاج يسبك سبكا

أنظر « قطب السرور » ص ٦٥٨ .

١١ — ومما يستدرك على الفائية المنشورة في الصفحات ١٧٧ — ١٧٩ البيتان التاليان :

كأنما التف من هُدّاب راهبة يستوحش الأنس إلا بيعه أنفا
فكان في ضوئها إذ قام مصطبحاً وضوء وجنته ما عمّنا وكفى

أنظر « قطب السرور » ٦٤٧ — ٦٤٨ .

١٢ — وفي الديوان ورد البيت الثالث ص ١٨٩ بالرواية التالية .

صفراء(. .)فاصفرت فأنت ترى ذوباً من التبر رصوا فوقه الشرفا

وصواب الرواية :

صفراء أو قل ما اصفرت فأنت ترى ذوباً من الدر رصوا فوقه صدفا

أنظر « قطب السرور » ص ٦٤٨ :

١٣— ومما يستدرك على البيتين المنشورين في الصفحة ١٨١ من الديوان قوله :

ومن عرف الأيام لم يغترر بها وبادر باللذات قبلو العوائق

أنظر « قطب السرور » ص ٦٥١ .

١٤ — وفي مواضع غير قليلة لاحظت عدم دقة في التحقيق . فالغرض الأول من ذكر مراجع القصيدة ومصادرها هو إثبات الاختلاف في الروايات أو في النسبة — إن وجدت — ، لكن المحققين الفاضلين أغفلا ذلك في مواضع عديدة . من ذلك مثلاً القطعة المنشورة في ص ١٠٧ — ١٠٨ ، فالبيت الثاني منها روايته في الديوان :

وقم أنت فاحثث كأسها غير صاغر ولا تسق إلا خمرها وعقارها

وذكر المحققان في الهامش رقم (٣) ص ١٠٧ ما نصه : « شرح المقامات — فقم » فهذا هامش مبتور وغير علمي ، مبتور لأن النص الوارد في « شرح المقامات » ج ٤ ص ٢٣٦ يختلف عجزه اختلافاً كلياً عن النص الوارد في الديوان فراوية العجز في شرح المقامات كالآتي : ولا تسق مطبوخاً واسق عقارها

فالهامش مبتور إذن ، وهو غير علمي إذ لم يذكرا رقم الجزء والصفحة من شرح المقامات . وهناك أيضاً نقص في تخريج القطعة فالأبيات ٢و٣و٤و٥

منها وردت أيضاً في «التشبيهات »لابن أبي عون ص ١٨١ ثم إن القطعة كاملة مع اختلاف جوهري في الرواية مثبتة في «قطب السرور » ص ٦٢٣ — ٦٢٤ وهي أيضاً في «أنوارالربيع» ٤ / ٦٣ والأول والرابع منها في «خزانةالأدب» لابن حجة الحموي ص ٢١٠ وكلها مراجع لم يقف عليها المحققان الفاضلان .

مثال آخر على عدم الدقة يتجلى في القطعة رقم ٢٣ المنشورة في الصفحتين ١١٦ — ١١٧ فمن مطالعة الهامش رقم (١) ص (١١٦) نجد أن هذه القطعة قد وردتفيالمصادر التالية — الأصل: «نهاية الارب» ٤/١٥٩ والديوان المطبوع ١٠٩، «والمصون»١٥٩ ، ويتبادر الى الذهن أن المحققين سيشيران إلى اختلاف الروايات بين هذه المصادر في الهامش حتماً . ومن الأمانة أن نقول أنهما أثبتا بعضها فعلاً ، ومن الأمانة أن نقول أيضاً : أنهما أهملا أبرزها . من ذلك أنك تقرأ البيت الثاني وروايته :

قامت مذكرة وقام مؤنثا فتناهبا الألحاظ بالنظرين

وذكر في الهامش رقم (٢) ما نصه : (في الأصل و«نهاية الأرب»:قامت مؤنثة ، والتصحيح من الديوان والمصون) . ولكن هل هذه رواية «المصون» حقاً ؟؟ دعنا نرجع إلى المصون للعسكري ص ١٥٩ فماذا نجد ؟ نجد العجز برواية أخرى تماماً هي : فتنازعا المهجات باللحظين .

بل ونجد بيتاً آخر يليه لا وجود له عند المحققين ونصه :

لا زال من بغض الصيام مبغضا يوم الخميس إليّ والاثنين

أكثر من ذلك أن الأبيات الأولىوالثاني والسابع من هذه القطعة موجودة في «قطب السرور» ص ٧٠٣ برواية أخرى لم يقف عليها المحققان الفاضلان . ومن ذلك ما أثبته في الهامش رقم (١) ص (١٧٥) ونصه:(البيتانفي «سحر البيان» ١٦٤ ونهايةالأرب٣/٩٨والديوان ٦٧.والأولفي «خاص الخاص»١٠٢). والصواب والبيتان في خاص الخاص ص ١٢٨ .

ثم ان القطعة (٧) المنشورة في ص ٩٠ — ٩١ موجودة في مراجع أخرى غير التي ذكرها المحققان الفاضلان هي:«أنوار الربيع» ٤/٦٢ — ٦٣ و «امالي الزجاجي»١٠٢—١٠٣منسوبة لديكالجنو«ذمالهوى»لابن الجوزي ٤٦٩—٤٧١

مع اختلاف في الرواية ولعل في الرجوع اليها فائدة ثم ان الكلام حول هذه النقطة كثير لا تتسع له مثل هذه الكلمة المقتضبة .

١٥ — في المقدمة التي عقدها المحققان الفاضلان للحديث عن « ديك الجن . حياته وديوانه » ذكرا في الصفحة التاسعة ما قاله النواجي في «حلبة الكميت» من أمر لقا أبي تمام مع ديك الجن في حمص ، وقالا : (وهذه رواية انفرد بها الشيخ النواجي ، وقد لا تكون صحيحة ، لأن أبا تمام كان يختلف الى ديك الجن في حمص ابان نشأته الشعرية ويستفيد منه ، فكيف يتخفى عنه ؟) .

ويبدو لي من هذا الكلام أنه قد فاتها الاطلاع على نص بالغ الأهمية ذكره ابن ظافر الأزدي في « بدائع البدائه » ص ٦٨ ونصه : (ان أبا تمام لقي ديك الجن وهو طفل يلعب ، ويدعي قول الشعر ، فقال : إن كنت شاعراً كا تقول ، فأجز : فرقوا بين من أحب وبيني

فقال : أبعّد أم قرّب ؟ فقال أبو تمام : بعّد ، فقال :

مثل بعد السماك والفرقدين

فقال له : قرّب ، فقال :

مثل ما بين حاجبيَّ وعيني) .

وعلى أية حال فبين هذا النص ونصوص أخرى ذكرت أستاذية ديك الجن لأبي تمام تعارض ظاهر . وهو تعارض كان يستوجب التدقيق والتحقيق .

بغداد — هلال ناجي

القلزم ليس البحر الأسود : ورد في مقال الاستاذ علي التاجر عن ابن ماجد فيما نقل عن البشاري : (ودرت على الجزيرة كلها من القلزم [البحر الأسود] إلى عبادان) . انتهى ومعروف أن بحر القلزم هو البحر الأحمر وما ورد في النص المتقدم تطبيع ونص كلام الاستاذ : (البحر الأحمر)

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

ورقان والاشعر ...

ذكرني الصديق الكريم الأستاذ محمد حسين زيدان – ذكره الله بكل خير – في حديثه (مع الأيام) في جريدة « البلاد » ٢٤ ذي القعدة ١٣٩٠ هـ ١٢ – ١ – ٧١ م فقال : بعد أن أورد حديثاً جاء في مجلة « العرب » ص ٨٥٥ السنة الأولى كنت قلت عنه : (والحديث من رواية ابن زبالة ومعروف مقامه عند المحدثين) علق الأستاذ محمد حسين قائلا : حين قرأت هذا المقال علمت أن الشيخ يضعف هذا الخبر ، فقلت لأكثر من تلميذ له : أرجو أن تكتب للشيخ تخبره بأن خبر عيسى بن مريم في هذا الحديث صحيح أخرجه مسلم ، ولا أدري هل كتبوا إليه ، فحسن ظني فيه أنه حريص على الحق . فلو علم بذلك لنشر التصحيح ..

وتركت الموضوع لم انشر عنه شيئاً غير ان سائلا من اخواننا سألني عن (الروحاء) وألح علي أن أجيب .. وكان ذلك في منزل صديقنا الشيخ حسين شبكشي .

ان الامام مسلم قد اخرج هذا الحديث في باب الحج ج ٨ ص ٢٣٤ بشرح النووي . ثم اورد حديثا عن حج عيسى بن مريم عليه السلام وكلاما طويلا في الموضوع وختم المقال بهذه الجملة : ورقان (حمت) يسمى الان الاشعر .. ورقان يقابله رحقان ، سمي ورقان لكثرة الورق والشجر..اذا اعتليت القمة رأيت البحر والمآذِنَ في المدينة ،اما رحقان فسمي لكثرة الرحيق فيه ،عسله هو عسل (الغفرة) ، كعسل الشفا كلاهما شفاء وهما من السراة (ساق الغراب) وهما مصيف جميل رقيق يتمعنا رحقان برطب بعد نفاد الرطب من المدينة . انتهى وعناية الاستاذ حسين بالحديث النبوي الكريم امر لا أحمده عليه وحدي بل كل مسلم ، غير ان ما جاء في كلامي عن الحديث الذي أوردته يتعلق بالروحاء

وان واديها يسمى سجاسج ، فلقد قلت في البحث الذي اشار اليـــه الاستاذ ما هذا نصه : يحدد المتقدمون مراحل هذا الطريق على النحو الآتي :

– من المدينة الى الشجرة ٦ اميال ومعروف ان الشجرة في ذي الحليفة مكان الاحرام المعروف الان بأبيار علي .

ويستمر الطريق القديم مع الطريق الذي تسلكه السيارات الآن الى المسيجيد ومن اشهر المواضع القديمة فيه (الروحاء). ولا تزال معروفة وكانت لها شهرة قديمة . ثم أوردت الحديث الذي ذكره الاستاذ وها هو بنصه بعد ان اذكر هنا مصدره ورواته ..

روى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزني قال: اول غزوة غزاها النبي ﷺ وأنا معه غزوة الابواء ، حتى اذا كنا بالروحاء عند عرق الظبية قال : هـل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟. – يعني ورقان – قالوا : الله ورسوله اعلم .قال هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيـــه ، وبارك لأهله فيه ، اتدرون ما اسم هذا الوادي ؟ . يعني وادي الروحاء – هذا سجاسج لقـد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً ، ولقد مر بها – يعني الروحاء – موسى ابن عمران في سبعين الفا من بني اسرائيل ، عليه عباءتان قطوانيتان ، على ناقة له ورقاء ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا او معتمراً ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبراني ، وفيه كثير بن عبدالله حسَّن الترمذي حديثه وبقيـــة رجاله ثقات [(١)] .

وأقول : كثير بن عبدالله هذا هو ابن عمرو بن عوف بن زيد المزني المدني وجده عمرو بن عوف صحابي جليل ، اما هو فقد طعن فيه كبار العلماء وها هو طرف مما قالوا فيه :

١ – قال الامام الشافعي : احد اركان الكذب .

٢ – وقال الامام احمد : منكر الحديث ليس بشيء .

---

(١) وفاء الوفاء ص ١٠٠٩

٣ – وقال عبدالله بن الامام احمد : ضرب ابي على حديث كثير بن عبدالله في « المسند » ولم يحدثنا عنه .

٤ – وقال يحيى بن معين : ليس بشيء .

٥ – وقال أبو داود : أحد الكذابين .

٦ – وقال ابن حبان : روي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب .

٧ – وقال له عبد العزيز بن عمران قاضي المدينة : يا كثير أنت رجل بطال تخاصم فيما لا تعرف ، وتدّعي ما ليس لك ، وليس عندك مطلب [١] .

ومحمد بن الحسن بن زبالةهو مؤرخ المدينة المعروف وكما قلت عنه فالمحدثون يطعنون في روايته مع أن هذا الحديث رواه آخرون في طريق ابن زبالة وممن رواه ابن شبة حيث قال : [٢]

حدثنا محمد بن حاتم قال : حدثنا الحزامي قال : حدثنا معن بن عيسى عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ في أول غزوة غزاها الابواء نزل بعرق الظبية وهو المسجد الذي دون الرحاء قال: «اتدرون ما اسم هذا الجبل » ؟ قالوا « الله ورسوله أعلم قال هذا خبت [٣] جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك فيه وبارك لأهله » . ثم قال « هــذا سجاسح – للروحاء – وهذا واد من أودية الجنة ، وقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً » انتهى .

ولكن الروايات التي اطلعت عليها ، كلها تدور على كثير هذا عن أبيه عن جده .

حج الأنبياء : أما حج الأنبياء فهذا مما لا يمارى فيه مسلم يومن بقول الله عز وجل مخاطباً ابراهيم عليه السلام: (وأذّنْ في الناس بالحجيأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقد استجاب لدعوته عليه السلام صفوة الخلق من الأنبياء وغيرهم وهذا أمر لا يجهله مسلم .

---

(١) تهذيب التهذيب ٨ – ٤٢٢ .

(٢) « تاريخ ابن شبة » الورقة الـ ١٥ مخطوطة رباط مظهر في المدينة المنورة .

(٣) كذا في المخطوطة ، والصواب (حمت) .

الأشعر والأجرد : هما سلسلتان عظيمتان من جبال سراة الحجاز الشمالية أحدهما غوري – أي يطل على الغور – لجهينة وهو الأشعر والثاني جلسي وهو ورقان لمزينة وتفصل بينهما أرض واسعة تقع في شمالها المدينة وفي جنوبها الأودية التي يمر بها الطريق من المدينة إلى مكة ، وقد فهمت من كلمة الأستاذ محمد حسين عدم التفريق بينهما وقد يكون فهمي خاطئاً فرأيت إيراد طرف مما ذكر المتقدمون عنها .

قال عرام بن الأصبغ : (ولمن صدر من المدينة مصعداً أول جبل يلقاه من عن يساره (ورقان) وهو جبل أسود عظيم كأعظم ما يكون من الجبال ، ينقاد من سيالة الى المتعشى بين العرج والرويثة ، ويقال للمتعشى : الجيّ . وفي ورقان أنواع الشجر المثمر كله وغير المثمر، وفيه القرظ والسماق والرمان والخزم ، وأهل الحجاز يسمونه السماق « الضمخ » وأهل نجد يسمونه«العرتن» واحدته عرتنة . والخزم : شجر يشبه ورقة ورق البردي ، وله ساق كساق النخلة تتخذ منه الأرشية الجياد وفيه أوشال وعيون وقلات . سكانه أوس من مزينة ، أهل عمود ويسار ، وهم قوم صدق . وبسفحه من عين يمين (سيالة) ثم (الروحاء) ثم (الرويثة) ثم (الجيّ) ويفلق بينه وبين قدس الأبيض ثنية بل عقبة يقال لها (ركوبة) و (قدس) هذا جبل شامخ ينقاد إلى المتعشى بين العرج والسقيا ، ثم يقطع بينه وبين قدس الأسودعقبة يقال لها (حمت) ونبات القدسين جميعاً العرعر والقرظ والشوحط ، والشقب : شجر له أساريع كأنها الشطب التي في السيف يتخذ منها القسيّ . والقدسانِ جميعاً لمزينة ، وأموالهم ماشية من الشاة والبعير ، أهل عمود، وفيها أوشال كثيرة.

ولورقان هذا شهرة عند علماء المواضع ويوردون من فضله أحاديث ولكن بعضها يدور على كثير بن عبد الله المتقدم ذكره ، ويحسن أن نوردها على جهة التعجب كما قال ابن حبان فمن ذلك : وما ليس من روايته فللعلماء فيه مطعن .

١ – أنه من جبال الجنة : أورد ابن شبة في تاريخه[١] بسنده إلى كثير

---

(١) الورقة ـ اله ١ ـالمخطوطة .

ابن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « أحد وورقان ولبنان والطور من جبال الجنة » .

٢ – وانه خير الجبال : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير الجبال أحد والأشعر وورقان »[١] .

٣ – وانه من الجبال التي بنيت منها الكعبة : قال السمهودي[٢] نقل الحافظ ابن حجر اختلاف الروايات في الأجبل التي بني منها البيت الحرام ، وفي بعضها أنه أسس من ستة أجبل أبي قبيس والطور ، وقدس ، وورقان ورضوى وأحد .

٤ – وأنه من الجبال التي طارت لعظمة الله : قال ابن شبة في تاريخه[٣] حدثنا محمد بن يحي قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله الأودي عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قرة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما تجلى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاث بالمدينة ، وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حراء وثبير وثور » .

موقع ورقان : وينقاد من سيالة إلى الجي وبسفحه عن يمينه سيالة ثم الروحـــاء ثم الرويثة ثم الجي يفصل بينه وبين قدس عقبة ركوبة – كما تقدم عن عرام . وهذا أعدل الأقوال في تحديد جبل ورقان من الشمال إلى الجنوب أما القول بأنه يتصل بجبال مكة فهذا يقصد به سلسلة الجبال التي منها ورقان.

وعلى التحديد المتقدم فإن هذا الجبل يقع بين ١٥َ و ٢٤ْ – و ٤٥َ و ٢٣ْ درجة طولاً تقريباً . أما من العرض فلم أر من حدده ، وإذا اعتبرنا وادي العقيق – وأودية ورقان المشرفة تنحدر فيه – هو حده الشرقي واعتبرنا المناهل

---

(١) « وفاء الوفاء » – ٩٢٧ .

(٢) « وفاء الوفاء » – ٩٢٧ (٤) الورقة الـ ١٥ من مخطوطة رباط مظهر .

(٣) الورقة الـ ١٥ و « المناسك » ٤٠ – و « تاريخ بغداد » ج ١٠ ص ٤٤١ .

التي ذكرها السمهودي وقال انها بسفحه هو الحد الغربي فانه يقع بين الدرجة ٣٠َ ر٣٩ْ درجة و ١٠َ ر ٣٩ْ درجة تقريباً .

وعن الأشعر :

٢ – ورد في الحديث المتقدم : خير الجبال أحد والأشعر وورقان – وهذا نص في التفريق بينهما ، وان كان الحديث غير صحيح ، ولكن يؤيد التفريق الواقع والمشاهـدة .

٢ – وأورد البكري في « معجم ما استعجم » [١] عن عبد الله بن عمر ان رسول الله ﷺ قال : إذا وقعت الفتن فعليكم بجبلي جهينة . ونقل السمهودي . [٢] عن الهجري قال : وجدت صفة الجبلين الأشعر والأجرد جبلي جهينة ومن أخذ من قريش أرضا (فيهما) فنقلته للحديث الذي جاء فيهما عن النبي ﷺ في الأمان من الفتن .

٣ – ويحد الأشعر من شقه اليماني وادي الروحاء ، ويحده من شقه الشامي بواطان الفورى والجلسي [٣] أي أنه يفصل بينه وبين ورقان وادي الروحاء وما بقربه من الأودية والجبال كوادي الفريش (فرش ملل) وجبال شنوكة وغيرها وعلى أساس تحديد الهجري لجبل الأشعر فإن ما يعرف قديماً باسم (القبَلية) وهي الأودية التي تقبل الى جهة المدينة تنحدر منه .

وعلى هذا التحديد فإن الأشعر يقع بين ١٠َ ر٢٤ْ و ٤٥َ ر ٢٤ْ درجة طولاً تقريباً ومن العرض يمتد من ٥َ ر٢٩ْ درجة إلى أن يشرف على البحر بحيث يفصل بينه وبين البحر سلسلة جبال رضوى وما بقربها .

٤ – أما تفصيل الحديث عن هذا الجبل العظيم – أو السلسة الجبلية الطويلة – ففي كتابي « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحـــديد المواضع » و « بلاد ينبع » ما قد يفي بالغرض والكتابان مطبوعان .

---

(٩) « وفاء الوفاء » ١٣٣١ .
(١٠) ص ١٥٤ .
(١) أبو علي الهجري – ١٩٢ .

حول مدينة « عنيزة »

... ذكرتم ص ٥٨٠ ج ٦ س ٥ من العرب أن عمدة المقرئين العلامة محمد ابن الجزري مر بعنيزة سنة ٨٢٣ أفلا يكون تحدث عنها في شيء من مؤلفاته؟

عنيزة　　　　　**محمد الصالح العلي**

العرب

قد يكون ذلك وكل مـــا نعرفه هـــو :

١ – ذكر في كتابه « غاية النهاية » : ٢–٢٥٠ :

أنه توجه من البصرة ومعه المولى معين الدين بن عبدالله ابن قاضي كازرون فوصلا إلى قرية عنيزة من نجد ، وتوجها منها فأخذهم الأعراب من بني لام بعد مرحلتين فرجعا إلى عنيزة ،فنظم بها الدرة في قراءات الثلاثة وعرض المولى معين الدين ختمة بقراءة ابي جعفر ختمها بالمدينة ،ثم ختمة لابن كثير ختمها بمكة ، وكان يقرأ عليه في أثناء الطريق قراءة عاصم فأتمها ، وحفظ أكثر الطيبة . وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة وبمكة في سنة ثلاث وعشرين بعـــد أخذ الاعراب له ورجوعه الى عنيزة . وفي إقامته بالمدينة قرأ عليـــه شيخ الحرم الطواشي ،والف في القراءات «نشر القراءات العشر» في مجلدين ومختصره التقريب وتحبير التيسير في القراءات العشر ، وهذا الكتاب وهو تاريخ القراء وطبقاتهم مختصر من أصله .

٢ – وقال في « الدُّرة » :

غريبة أوطانٍ بنجد نظمتهـــا　　وعظم اشتغال البال وافٍ وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزوري الـ　　مقام الشريف المصطفى أشرف العلا
وطبقني الأعراب في الليـــل غفلةً　　فما تركوا شيئاً وكدت لأقتــــلا
فأدركني اللطف الخفيُّ وردني　　عنيزة حتى جاءني من تكفـــلا
بحملي وإيصـــالي لطيبة آمنـــاً　　فيـــا ربّ بلغني مرادي وسهلا
ومُنَّ بجمع الشمل واغفر ذنوبنـــا　　وصل على خـــير الأنام ومن تـــلا

حول جرش وبلجرشي

كتب الأخ سعد بن أحمد الغامدي ـ من مكة ـ رسالة مطولة يحاول أن يثبت أن بلدة جرش هي بلجرشي ، لا كما جـــاء في « العرب » ص ٥٩٣ مستدلا بما يلي :

١ – جبل شكر يقع بعد قرية قذّانة للمتجه الى بلاد خثعم وهو غـير شكران ، وهو جبل يبعد ٢٠ كيلا عن بلجرشي .

٢ – بلاد خثعم مجاورة لبلجرشي من الجنوب الشرقي بمسافة ٣٠ كيلا .

٣ – يوجد بقرب قذافة آثار بناء قديم،وجد فيه أواني حجرية وبعض آثار

٤ – يوجد بقرب بلجرشي جبل يدعى يَحْمُوم . وما دام الهمداني ذكر ان بقرب جرش جبل حومة فقد يكون هو يحموم .

إلى آخر ما ذكر الكاتب الكريم، غير أنني أود أن يعيد قراءة ما كتبت في كتاب « سراة غامد وزهران » ص ٤٢/٤٩ وله أطيب تحية .

عن كتاب « في شمال غرب الجزيرة »

وكتب الأخ مزعل بن عبدالله العنزي يقول : ان ما جاء في ص ٥٩٥ من كتاب « في شمال غرب الجزيرة » من نسبة مشاش العود ومشاش القراوعـة للشرارات غير صحيح وأن الصواب : ان كل الأمشة (جمع مشاش) لولد سليمان من عنيزة، فمشاش العود شرق العسافيةهو مشاش ابن دابس منالجعافرة من عنزة ومشاش القراوعة شرق العسافية لفخذ من الجعافرة من عنزة .

العـــــرب اعتمد صاحب كتاب « في شمال غرب الجزيرة » على معلومات استقاها من أحد كبار موظفي امارةالجوف وللاخ مزعل أجزل الشكر على ملاحظاته .

حول بيشة ايضا

في الجزء الرابع لشهر شوال ١٣٩٠ نشرت (العرب) ص٣٠٥ تحت عنوان (خصائص بعض المدن والقرى في أمثالها وما يقال عنها) وعلى ذكر بيشة فقد أورد البكري في «معجم ما استعجم» كلاماً طويلاً حول بيشة غير أنه ذكر ان الاسم يطلق على موضعين وهو الوادي المعروف وقال عنه : إنه من أودية تهامة ثم نقل في تعريفه أقوالاً منها قول ريطة بنت عباس الرعلي ترثي أباها وكانت خثعم قد قتلته – وخثعم تقطن في الناحية الغربية من وادي بيشة الآن – أو قول الخنساء :

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة إلى هضب أشراك أقام فألجما

وهنا أقول : أن وادي بيشة يتفق هو ووادي بَيْش ووادي نجران في جبال مترادفة في بلاد بني عامر من قيوان من القوراء ودَفا في شمال بلاد خولان.

فوادي بيشة يتجه شمالاً متعرجا مغرباً ومشرقاً يسير في مضايق جبلية وتارة في فسحات قليلة لا تتعدى في اتساعها نصف الكيل تارة يكون هذا الاتساع في ناحية واحدة وتارة في الناحيتين من المجرى ، ولا يزيد بأية حال إلا في بلاد رفيدة وبالأخص في بلاد جماعة ابن سالم ثم في بلاد خميس مُشيط حيث يتسع في بعض الأماكن إلى كيل ثم يتجه غرباً فيعود شمالاً وينحدر شرقاً حيث يظهر من السروات في سهول تدعى بيشة وهي أرض خصبة تجود بأنواع المزروعات ، ثم ينحدر شرقاً ليلتقي بوادي تثليث فيصبان في وادي الدواسر . وله من الروافد أودية كثيرة .

أما وادي بيش فهو : ينحدر شمالاً غربياً حتى يتجاوز جبال السراة فيتجه غرباً في إنحدار شديد ويرفده عدد من الأودية والشعاب .

والثالث وادي نجران ويتجه شرقاً إلى حيث يفيض في الربع الخالي .

ومن هذا نرى أن أعلى مكان تقريباً في جبال عسير هو المكان الذي تنقسم فيه مياه هذه الأودية الثلاثة . وثانياً أن ما ذكره البكري من أن هذا الاسم

يطلق على موضعين هما الوادي المعروف الذي هو في تهامة من أدلته الأشعار التي أوردها ، والوادي الآخر الذي امتد أكثر من وادي تهامة وسمي في متسعاته بيشة كما في وادي بيش توجد قريتان تحملان بيش قديماً إحداهما قد جرفها الوادي والأخرى ما زالت مسكونة وعدد سكانها يقارب خمسة آلاف نسمة . وفي وادي بيشة حواضر كما ذكرتم ولكن الاسم عامٌ للوادي ولا غرو أن يقطن في وادي بيشة قبائل عديدة ولا ننسى أنه يفيض هو وأودية أخرى في المَهْمل في نجد ، والسؤال هو : هل يصح الجزم أن المهمل هو بيشة السماوة أي بيشة الرعي ، وهذا المكان يماثل مناطق الاقليم السوداني حيث تكثر فيها الحيوانات الكاسرة ، ولذا فكل ما عبر بها الوادي من أرض تسمى بيشة غير أن الأعم في التسمية حيث النفع والجمع كما في بيشة النخل ، وبيشة خميس مشيط ، وبيشة ابن سالمن رفيدة ،أما بيش تهامة فهو وادٍ معروف يسقي ما يقارب ٦٠ كيلاً طولاً و ٣٠ كيلا عرضاً .

ونستدل على امتداد روافد هذا الواديين أن في بعض الأحيان تأتي سيول بدون أن يرى الناس السحب وليس في وقت نزول المطر مما يدل على بعد مجاريها . أما عن وجود الأسود في الجزيرة وفي بيشة فإنه في عام ١٣٧٨ هـ ادّعى « عبد الله الذيب » بأنه قتل أسداً في فج خُلب في أحد أودية منطقة جازان،وقد شاهده كثير من الناس وأهل النجوع في السلب من قبائل المسارحة وكانوا في كل صباح يسمعون زئير الأسد فيجبل يسمى الديك له مغارة مشهورة يهابها الناس ولهذا فما دامت موجودة في العصر الحاضر فلا بد أن تكون موجودة غابراً ، لذا كتبت هذا رجاء نشره لعله يثير مناقشة ينبثق عنها ما ينفع ويفيد ، كما يقول (أرسطو) : من المناقشة ينبثق النور .

جازان — عبدالله بن مبارك القحطاني

العَرَبُ : السماوة هي المفازة الواقعة في شمال جزيرة العرب ، بين الشام والعراق ونجد ، ولا صلة لها ببيشة المعروفة وكثيراً ما خلط المتقدمون في تعريف المواضع ، وما أوضحه الكاتب الكريم عن وادي بيشة من المعلومات على جانب كبير من الفائدة ، فله أجزل الشكر .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد، ٢٥ ريالاً للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الثاني عشر ـ السنة الخامسة ـ جمادى الآخرة ١٣٩١ ـ آب (اغسطس) ١٩٧١

أبو علي الهجري

وأبحاثه في تحديد المواضع

تطلُّب الكمال من المحال ، إذ النقْصُ طبيعةٌ بشرية . ولقد جمعت قبل بضع سنوات معلوماتٍ عن الهجريّ أبي علي ، العالم المغمور ، ضممت بعضها الى بعض ، وقدّمتها للقراء بعنوان « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحقيق المواضع » (١) على أن سأتبعه بمعلومات أخرى دعوتها « الهجريُّ النسّابة » إذ هو يضيف جديداً إلى ما في مؤلفات الكلبيَّيْنِ المتقدمين عليه في الزمن في أنساب سكان الجزيرة .

وما جمعته عن الهجري لا يزال ناقصاً – وسيبقى ناقصاً – حتى يُهيّئ اللهُ الاطلاع على كتابه « النوادر والتعليقات » كاملاً – ولقد كان معروفاً الى القرن التاسع الهجري – .

ولقد عوّلت – أكثر ما عوّلت – على قطعتين من «النوادر والتعليقات» قديمَي الخط ، قِدَماً يحول بين القارىء وبين الانتفاع بهما في كثير من المواضع . ومع ذلك فقد كان ما قدمته للقراء يحوي علماً بخلت به معجمات الأمكنة على كرمها .

---

(١) كانت الحلقة الـ (٨) من الكتب التي نشرتها بعنوان « أبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب » .

ومن يُمْن الطالع لي – إن صحّ هذا التعبير – أن أزور القاهرة بعد غيبة عشر سنوات أو نحوهـا فأعاود ذكرياتي المحبّبة بين خزائن كتبها ، وزيارة إخواني وأساتذتي من علمائها ، فأجد خلال ذلك مما يتعلق بالهجري ما أرى في إضافته ما يكمل جزءاً من نقص ، أو يَسُدُّ فراغاً في ثغرة ، أو ثلمة لا تزال بحاجة الى أن تُسَدّ من ثغرات ما كتبته ونشرته ، فاهتبلتها فرصة طيبة سجلت خلالها ما أمكنني تسجيله ، وها أنا أقدمه لقراء ما نشرته ، راجياً أن يجدوا فيه ما قد يكون حافزاً لهم للزيادة والإفادة ، ولي بإكمال ما أنا بحاجة الى استكماله .

ولم أجد – من ذلك ما أضيفه إلى ترجمة الهجري – سوى بعض النصوص التي أشرت اليها من صلة قاسم بن ثابت بن حزم السرقُسْطي بالهجري ، مما ورد ذكره في كتابه « الدلائل في غريب اللغة » مما قرأته في نسخة « الخزانة الظاهرية بدمشق » ولم أجد زيادة عليها فيما يماثلها في نسخة « خزانة الرباط » في المغرب ، مع قراءتي تلك النسخة أنا وأم محمد زوجتي قراءة كاملة – وها هو ما في نسخة الظاهرية :

١ – سمعت الهجريّ بمكة يقول : اعترف الرجل إذا أخبرك باسمه ، وأطلعك على شأنه ، وأنشد :

فأبْدِ سِيْماكَ يعرفوكَ كما يبدون سيامهم ليعترفوا

وقال الهجري : والإسم منه العَرْفة وكان ينشد :

إنْ كنت ذا عَرْفةٍ بشأنِهِمُ تعرفُ ذا حَقّهم ومن ظَلَما

وأنكره غير الهجري (الورقة الـ ٥٦ نسخة الظاهرية) .

٢ – وسمعت أبا علي الهجري ينشد لعبد العزيز بن زرارة الكلابي :

لمّا رأيت المائرينَ تلثموا كشفت قناعي ، واللثام لئيمُ

قال : وهؤلاء قوم امتاروا فتلثموا خيفة أن يعرفوا فيلزمهم القرى (الورقة الـ ١٢٣) .

٣ – وقال في حديث عبدالعزيز بن عبد الله بن أبي سلمة – رحمه الله – قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع ، يحمل حَماماً قال : فقلت له :

أمثلك يحمل الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنتَ به ! قال : أجلْ وما بـأس ذلك ؟! قلت : إنه حرام . قال : فهذه الخيل يُرَاهَنُ بها ؟ قال : قلت : تلك سُنّة . قال : وهذه رعلة ! ثم انصرف . قال قاسم : سألت أبا علي الهجري عن هذا الكلام ، قال : قَلَب عليه الجواب لاشتراك المعنيين في اللفظ ، والسُّنّة من جيّد رطب المدينة ، والرعلة لونٌ من الرطب دونه)

– (الورقة الـ ١٧٤) –

٤ – وروي عن قاسم من النصوص ما لم نرَ له ذكراً في كتابه «الدلائل» مع أن البكري أبا عبيد نقل طرفاً منه في شرحه لأمثال أبي عبيد القاسم بن سلّام ، مع اشارات موجزة إلى أقوال أخرى في كتابه « معجم ما استعجم لم يذكر مصدرها ، أشرت اليها في كتابي عن « الهجري » [1] .

٥ – أما بعض الأنساب التي أوردها الرشاطي الأندلسي في أنسابه فكثير منها موجود في القطعتين اللتين وصلتا الينا من كتاب « النوادر والتعليقات » للهجري نفسه ، مما يدل على أن الرشاطي اطلع على نسخة كاملة من الكتاب.

وأضيف إلى ما تقدم معلومات قيمة وردت إليّ من كاتب كريم رمز لاسمه بـ (م . ي . قسطر) ولا أدري في أي البلاد هو لأوجه له الشكر

٦ – قال حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وقد قال بعض النسابين في نسبه قولا آخر ، وهذا أحب اليّ لأنني رأيت أبا علي الهجري يرويه عن شيوخه الأعراب وكان الهجري أعلم المتأخرين بالنسب ، وغير الهجري أيضاً يرويه عن أبي عمرو وغيره من الرواة :

رَعين المرار الجون من كل باطن ... دميث جمادى كلها والمحرما
إلى النير واللعباء حتى تبدلت ... مكان رواغيها الصريف المسدما

(الوزير المغربي : « أدب الخواص » ورقة ٦٩ ب – ٢٧٠ راجع أيضاً : ديوان حميد ص ٩ ، وياقوت مادة اللعباء) .

٧ – وفي نوادر علي الهجري (كذا) ولد عوف بن نصر جريبة بجيم

(١) انظر مطبوعة « معجم ما استعجم » ٣٥٨ / ٥٦٤ / ٧٦٥ / ١٠١٧ – تحقيق الاستاذ مصطفى السقا .

مرفوعةوراء—وفيه العدد والاضافة اليه جربيّ فعليّ. وهذه النسبة لم يذكرها الرشاطي ولا ابن السمعاني .

(مغلطاي : «الزهر الباسم» .ليدن — المخطوطات الشرقية رقم ٣٧٠ ، ورقة ٧ ب — ١٨ أ) .

٨ — وفي نوادر الهجري : قال أبو سليمان:اللام من مزدلفة مجرورة . قال وآخر مزدلفة محسر وأول منى بطن محسر . وقيل : وسميت مزدلفة لاجتماع الناس فيها ، والازدلاف الاجتماع . قال جلّ وعزّ : « وأزلفنا ثم الآخرين » وقيل لاقتراب الناس فيها من منى والازدلاف الاقتراب وقيل النزول بها بالليل في زلفة منه . (نفس المصدر ورقة ٦٠ ب) .

٩ — وقوله المسد حبل الدلو فيالعرف صحيح فإنا لم نجده في كلام العرب إلا كذلك . فيه نظر من حيث أن الهجري ذكر في نوادره المسد محور من حديد كبير. قال الشاعر « ان رسف الحوض اتكا على المسد » وبنحوه ذكره في «المحكم» . وفي «الجامع» المسد في الآية الكريمة نار . وفي «تفسير الطبري» عن ابن عباس . المسد العصا التي تكون في البكرة .. الخ .

الهجري : المسد بكرة منخشب، يتكلم به فصحاءأعراض المدينة ويتكلم به بنو أسد وغيرها مشدد الدال . ومنه الحديث : الا لمسد محالة أو لعصفور قتب . (نفس المصدر ورقة ١٥٢ أ) .

وذكر أبو علي الهجري في أماليه برك في اليمامة قال سباق الباهلي :

حموا ما في ديار بني سليم إلى ما رَدَّ فيد إلى طميه
إلى دار الحريش فبطن برك بلاد لا تعنفها الرعية

(نفس المصدر ورقة ١٢٥ أ — ٢١٥ ب) .انتهى ما بعث الأخ الكريم.

أما ما يتعلق بقاسم نفسه ، فقد ورد في مخطوطة الظاهرية من ذلك ما يحدد زمن اجتماعه بالهجري واكتفي بايراده :

(قال) ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة في شهر

رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها ، ومولده سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي للحج سنة ثمان وثمانين ومائتين فسمعا بمكة من ...)الخ وذكر شيوخه (الورقة ١٨٠ من الدلائل نسخة الظاهرية).

ويأتي دور الحديث عما يتعلق بتحديد الأمكنة والمواضع ، وذلك ما خصصت له البحث الذي سبقت الاشارة اليه .

إن الهجري – كالهمداني – لم يعرف أهل المشرق مؤلفاته إلا في وقت متأخر ، عن طريق الأندلس وعلمائه من أهل المغرب ، ولهذا فإن الباحث لا يجد شيئاً مما ينسب اليه إلا في كتب متأخرة ، إما منقولة عن الأندلسيين كما في « لسان العرب » و « تاج العروس » وأصلها مؤلَّفا ابن سيدة « المحكم » و « المخصص » ، أو ما ورد في كتاب « وفاء الوفا » بأخبار دار المصطفى» للسمهودي ومختصراته ، وهذا اطلع على بعض مؤلفات الهجري – وأشرت إلى ذلك فيما كتبت ، كما أشرت إلى أن ما اطلع عليه السمهودي قد يكون احترق أثناء احتراق مكتبته وغيرها في حريق المسجد النبوي ، ولهذا فإن الأمل في العثور على زيادة معلومات عن الهجري يكاد ينحصر في مؤلفات المغاربة كابن سِيدة والبكري والرشاطي وابن دحية الكلبي وأمثالهم .

وهذا البحث – إن صحّ أن يسمى بحثاً – يدور حول :

١ – استدراك جمل من تحديدات الهجري لمواضع في جزيرة العرب ، وكلمات أخرى لغيره ألحقتها بهامش كلامه .

٢ – تصحيح بعض كلمات وردت في نسختي « النوادر » بغير الصورة التي وردت في غيرها .

٣ – الاستزادة مما عسى أن يكون لدى اخواننا من علماء المغرب أو غيرهم من الباحثين من معرفته ما يضيف إلى ما عُرف عن الهجري ،مما يتعلق بحياته ، أو بمؤلفاته ، أو بتحديد الأمكنة أو في الأنساب مما ورد في المؤلفات المغربية باستثناء المفردات اللغوية التي ورد كثير منها في مؤلفي ابن سيدة اللذين وصلا الينا .

وتحسن الاشارة إلى مصدري الزيادات التي عثرت عليها بعد نشر كتابي عن « الهجري » وهما :

١ – نسخة من كتاب «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري، مخطوطة سنة ٥٩٦ ، في خزانة الأزهر ، رقمها ٢٦٢ – جغرافية . وعلى هوامش كثير من صفحاتها تعليقات من كتب مختلفة . ومنها مـــا هو من نوادر الهجري ، وكتابة الهوامش يظهر عليها آثار القدم . وقد نقلت منها ما صرح الـكاتب فيه بأنه من كلام الهجري ، ورمزت الى ذلك بـ [مع] أي « معجم ما استعجم » وأوردت رقم الجزء متبعا له برقم الصفحة كأن أقول: [مع : ٢ / ٣] أي الجزء الثاني الصفحة الثالثة . وقد انقل جميع كلام المحشي وان كان فيه ما ليس من كلامه الهجري ، لزيادة الايضاح ، كما في (حلية) مثلا[١] .

٢ – كنت طالعت القسم الموجود في دار الكتب المصرية من « نوادر الهجري» مطالعة سريعة نقلت أثناءها ما عثرت عليه من تحديد الهجري لبعض المواضع . ولقدم النسخة وصعوبة قراءة كثير من صفحاتها فاتني مما أردت نقله أشياء كثيرة، وأثناء زيارتي للقاهرة في شهر المحرم ١٣٩١ وجدت أستاذنا العالم الجليل محمود بن محمد بن شاكر قد نقل تلك النسخة بخطه الجميل الواضح وأخبرني بأنه عثر على تحديد مواضع في نوادر الهجري لم ترد في كتابي عنه. وقال بأنه سيجمعها ويقدمها لي .. وقد استعرت نسخته فأعدت مطالعتها فعثرت على ذكر مواضع أوردتها مشيراً اليها بحرف [م] أي النسخة المصرية ، مع ذكر رقم الصفحة في الأصل .

١ – وهذه أسماء مواضع لم ترد في كتاب « أبو علي الهجري، وأبحاثه في تحديد المواضع » أو وردت بألفاظ مخالفة لما فيه :

إبان :

ألا هل إلى بيضاء من آل خِصَيْلَ ... أغـالي بها قبل الممات سبيل ؟

---

(١) : النسخة الأزهرية من كتاب «معجم ما استعجم» تنقص قرابة نصف الكتاب ، ولهذا فلو هيأ الله العثور على بقيتها لازددنا معلومات عن الهجري ،ويظهر ان ناسخي هذا الكتاب عنوا باضافة كثير من اقواله في هوامش هذا الكتاب ، كما في هذه النسخة ، وكما في نسخة مكتبة راغب باشا في اصطنبول وغيرهما حيث نجد في النسختين كثيراً من التعليقات عن الهجري .

رأيتُ أخاها يمنع القومَ نَهْبَــهُ بشطّ إبانٍ والدماء تسيل [1]

[في الهامش : من الضباب بن كلاب ، بزيع بن جيهان منهم] .

(٨١ : م)

أحَاوِسُ : من قصيدة طويلة لعسكر بن عقبة اليحياني السلمي يمدح بها يحيى بن مصعب والي الجار :

تذكَّر حَمْض الريف بين أحاوس وبين تفاليــل التي كان يَعْلَمُ

تفاليل عقد بين غمرة وبين الفشاش ، رياض تصب من الحرة نحو غمرة ، وهي تفاليلات (٤٤٧ م) .

الأخرُبُ : سَلْم بن رماح الأسيدي من لَـبَيْنَى [2] .

تمنيــتُ عمراً لا يسير لنجمه يردد بين النعف والأخربُ الحمر

[في الهامش: هضاب حذاء بتران : جبل قرب الرّبيب] [١١٠ م]

الأرْحَضِيّة : (هامش « معجم ما استعجم » مخطوطة الأزهر – بعد بيت غير واضح) :

خليليّ بَـلْ بي هوى سَلميّة شطون النوى بالأرحضية دارُها

بدت لي وبين القوم بيض كأنها مصــابيح شبّتها بليل تِجارها

أُشيٌّ : قال الهجري بلدٌ بين صدّيْن من العارض ، بلد الأحمال من حنظلة ، وبلعدوية من حنظلة . [مع : ١/١٧]

الإصاد : قال الهجري : وسألت الحرملي عن ذات الإصاد – على وزن عماد – فقال : هي عقدة بين قباء ومران . [مع : ١ / ١١]

أُصاف : وقال أبو نجدة السلولي : العَيْكان جبل دون الهجيرة بينها وبينه ببيشة علم من الأعلام إلى الحرة . والبردان شعاب تحت وادي بيشة . وأُصاف–غير معجمة الصاد – دون الشقرات بلد خثعم ثم لقحافة به نخل.

[٤١١ م ومع ١ / ١١]

أُضاخ : لرجل من نمير ، وباع ناقة له بأضاخ فلما أدخلت الدرب حنت فشاقه حنينها فقال :

---

(١) لم يذكر القائل .

(٢) من أبيات يجيب بها ابن الثغاء (أنظر : الشوران) .

حلفت يميناً للوضاخي بتـلة　　وإني على أمثال تلـك لحالف
لقد راعني ترجيـع عجلى ودونها　　من الدرب باب موثق وسقايف
فحيِني فقد أصبحت في دار غربة　　يغنيك بالأسحار ديك قراقف
فلن تردي ماء الطوي ولن تري　　أبانين ، ما غنىّ الحمام الهواتف
فكم من حبيب قد أزرت حبيبه　　وذي كُرْبة جنبته وهو خائف
فكل المطايا بعد عجلى ذميمة　　قلائدهـا والمُقْرَبات الطرائف

[٢٢٩ م]

إضم : الهجري من انشاد أبي طلحة الباهلي :

تربعت مـــا بين أقطار إضم　　فالقف قُنُف الحلتين ذي الثـُلم

إضم: ماء بالحلة شمال النباج ، وليس باضم الحجاز ، والحلتّان حلة النباج ، وحلة الشّر.[مع: ١/ ١٢] (*)

أُكمة : نوال بن الثغا الليبني ثم أحد بني حبيب واحتربت قشير وجعدة :

بأكمة يوم لا تغـور نجومـــه　　عظيم أشاب الرأس من كل مرضع (١)

[١٦٤ م]

أكنان : قال الهجري : وسألت ابن الرحال السدري عنقول عمر : مدفع أكنان فقال هي (...) مدفع ملكان ... [مع : ١ / ٢٥]

ألاب — كسراب — : واد معروف عده الهجري في أودية الأشمر ،

(*) أطْلَحَى : ابن خالويه: ليس أحدٌ ذكر أطلحى ـ اسم وادٍ ـ إلا في بيت لثامة وهو:

فلن أشرب المرّاء فيمن يذوقها　　ولو سال منها أطلحى وقُرَاقِرُ

[هامش مخطوطة « معجم استعجم » الأزهرية ١/ ٥]

الأغدَف : ماء بين أرض بلقين وفزارة . قال أبو الفرج ـ يذكو هشام بن عبد الملك للوليد ابن يزيد : فبعث به وبخاصته ، فنزل الأزرق بين أرض بلقين ونزارة على ماء يقال له الأغدف .

[هامش المخطوطة الأزهرية من « معجم ما استعجم » ١/ ١٢]

الأفعاة : لما أنشد الزرباني لعبد السلام بن القتال الكلابي :

وهل أشرَبن الدهر صوبَ سحابة　　على ثَمَدِ الأفعاة حاضره أهلي

قال : الافعاة برقة عند التنوفة .

[هامش معجم البكري ١/ ١٣]

(١) من خمسة أبيات .

قال : ويلتقي مع مضيق الصفراء أسفلى من عين العلا [1] . (وفاء)

أنْفُ : ثنية قرب حنين[2] . [١٠٦ م]

أوانفُ : لما أنشد الهجري :

تربّع الرُّبد إلى المداهف فالرضم فالاسعع من أوانف

قال : الأوانف : جمع آنفة لهضبة عن العقيق بيوم .[3] [مع : ١٩/١]

أورق : لما أنشد الهجري :

جنبنا من القاع المطـايا على الوجى بنـا اتخذت أوقاً وبيشته أرضا

قال : القاع : جرع من أجراع تربة وأوق جبل علم . وأنشد أيضاً :

جلبنا لهم من أوق بيشة شزّبا سباط النواحي والعقيلية الصُّهْبَا

[مع ١ ١٨]

أيد : لما أنشد الهجري للرقيطاوي رقيطاء بني عبادة :

مراتعها في الصيف . قال : أيد واد ذو حراج وعضاه غور دون الفرع بعدوة جيدة . [مع ٢٠/١]

بِحَار : لما أنشد الهجري لابن أحمر :

يبادِرْنَ البديّ فذا بحار غطاطا [...] من جمران جونا

قال : بحار واد من خُشَنٍ[4] من دار صاهلة ، والبدي ركايا ببطن ذي بحار ، بين الخنوقة ونضاد . وذو بحار واد به أحساء وعضاه وسدر . وجمران – بالجيم – جبل بشط الشربة ، دونه غُرّبٌ . [مع ٢٢/١]

البردان : قال أبو نجدة السلولي : البردان شعاب تحت وادي بيشة ذكره الهجري . [مع : ١ / ٢٥]

برقاءُ الدخول : حبيب بن يزيد أحد بني معاوية بن قشير :

---

(١) كذا ولعل الصواب : العلاة وانظر وصفاً مطولاً لوادي ألاب للدكتور منصو الحازمي في « مجلة كلية الآداب » – جامعة الرياض – م ١ ص ٩٩ (١٣٩٠/١٩٧٠) .

(٢) : أنظر الخرماء . (٣) الأسعع (بدون نقط) آنفة كتبت هكذا [انفة] .

(٤) وكذا انظر (حشن) .

يقول عليٌّ والمطـــيُّ كأنه بنا يوم برقـاء الدخول جهام :
قطعت القوى من حبل جُمل فأصبحت كأن لم يكن منها عليك ذمام [1]

في الهامش : برقاء بئر بالعارض نجدية . [٧٩ م]

بُرْمة :

نظرت وقد حالت بلاكث [2] دونهم فبطنان وادي بُرْمَـــةٍ وظهورها
إلى ظعن بالنعف نعف مياسرٍ حدتهـا تواليها ومارت صدورها

[٢٦٨ : م]

بُغمَةُ : موضع من رمل بحتر قالت رَملة أختُ مُشيّع -ومات ببغمة- :

ألا أيها الناعي سحيراً مشيما لعمري لقد صبحتنا ببلاء
تركنا لواء العزّ والمجد ثاويا ببغمة مبنيّاً عليه بنـــاءُ

ذكره الهجري . [مع ١ / ٣٣]

بَلْـمَدُ : [الخطم] .

بَوْباةُ قرنٍ . لمزاحم العقيلي :

ونحن على بَوْباةِ قرنٍ كأنّما سقانا ولم يذُق لنا الخمرَ ماذقُهْ

[٢٤٤ م]

البوران (أنظر ص ٣٢٧ الهجري) :

قال المضاء بن هشام :

ومن نظري إلى البورين شرقاً كأنهما حـــوار مستفيق

قال الهجري : ورواية الزهيري : البلقين، وكلا الروايتين معناهما قرينان كالعلمين .[مع : ١ / ٣٨]

بولان : الهجري : بولان عن ساحل الجار ستة أميال قال أبو طالب :

غفارية حلت ببولان حلّة فينبع أو حلّت بهضب الرجائم

قال : وهضبة الرجائم من أسفل ينبع بواد على حيق البحر أسفل من هضب الشارف . [مع ١ / ٣٧]

---

(١) من ٤ أبيات .
(٢) في الأصل (بلاك) والشعر لكثير (ديونه) ص : ٣٤١ .

بُوَيٌّ : وأنشدني لمزيد بن حارث أحد بني مالك بن سلمة بن قشير :

تطاللت في أعلى بُويٍّ عشيّةً ... وقد فرطت من مقلتيَّ غُروبُ

لأونس في الحبطانِ ريّا ودونها ... طوالُ الأعالي فوقهنّ لهوبُ (١)

[٧٣ م]

بَيدان : لما أنشد الهجري قول نهار بن سنان :

وينفح أثوابي صبا مشرقيــة ... بريح الغضا من رمل بيدان فالعُزْل

قال : بيدان طورٌ كبير بالحمى — حمى ضرية — ومعنى الطور أكبر ما يكون من القِرّان في سواد . وقال في موضع : قال الكلبي : بيدان علم أسود يسار ضرية . للحرشي يمدح آل منين من عامر بن عُقيل :

رحلنا وودّعنا بطخفة جيرةً ... من آل منين كلُّ جارٍ مودّعُ

(في الهامش : الرواية : ببيدان) . [مع ١ / ٣٩ و م]

بيضان : وقال الهجري في موضع آخر : بيضان واد يصب على صُفينة ، قال :

سَرتْ من رُبا بيضان ليلا فأصبحتْ ... بِقَوْران قوران الرساس واكـله

قال : قوران واد يدفع من الحرة في السوارقية ، وبيضان جبل غامد لا أعرف في الأرض غير هذين . قال بعضهم في جبل غامد :

لو أن الذي لي من هوى أم مسلم ... ببيضان زالت من ذراه القُدامس

وموضع آخر ، ولمعاوية بن الحكم قُطيّمة من النبي عليه السلام ، بيضان منجد يصب في صفينة . [مع ١ / ٣٩]

تِبَارُ : الهجريُّ : تِبّار وعُيّال : جبلان بخيبر . [مع : ١ \ ٤١]

تِعْدَة : لما أنشد الهجري لابن الدُّمينة :

فشُهْدَا رَنومٌ فالأشاعرُ كلها ... فعِبْران دوني ، رُمْدُه فكلاكله

قال : تعدة وعبران جبلان جانب بيشة مطلع الشمس .[مع : ٤٥/ ١]

تغرة : (انظر الهجري ص ٣١٨) كذا كتبت في هامش « معجم ما استعجم » .

---

(١) من ٧ أبيات .

التغاليل : وقال الهجري في موضع آخر : تغاليل ُعقَدٌ بين غمرة وبين القشاش ، رياض تصب من الحرّة نحو غمرة ، وهي تغاليلات[مع ١ / ٤٦]

تقيد : بالياء والتي في دار مزينة ، َتقـتَد ُ ماءة قرب الوَقـبًا مفتوحـة الواو في محجة البصرة الى مكة عن ثلاث من البصرة . [مع ١ /٤٦]

تهامة : الهجري وحدثني الثالي وكان من الأوعية قال : آخر تهامة أعلام الحرم الشامي وذلك أن لبوسهم وشكلهم وآنيتهم مخالف لأهل الغور وأهل النجد إذا أغاروا لم يتركوا تهامة أيضاً ، ولم يقولوا إلا غربا (؟) وأما منزلهم دون مَرٍّ إلى الحورا ، والحجاز ما لصق بالطود من جانبيه النجدي والبحري من أول الأرض إلى آخرها وهو من شق البحر . وتهامة والغور ، وكل واحد أقله يومين وأكثره خمسة أيام وهو من شقّ النجد مضحاة الشمس خمسة أيام فأكثر . والحجاز المنجد داخل في النجد ، والحجاز الغربي داخل في تهامة والغور ، فإن سميت الغور بتهامة وتهامة بالغور كان كل ذلك جائزا .

[مع ١ / ٤٦]

َثا : قال الهجري ولما نزل النبي ﷺ ببني قريظة نزل ببئر يقال لها بئر َثا معجمةبثلاث نقط مقصورة . قاله مديني من أهل تلك الناحية ، وزعم أن البئر عطل لا زرع عليها ولا ماء فيها وهي بير ثا . [مع ١ / ٤٨]

ثافل : لما أنشد الهجري :

وتلعات رابغ وودَانْ والجبلان ثافل ونهبان

قال : قال النبيُّ ﷺ : أحد وقدس وورقان ورضوى من جبال الجنة ، وثافل ونهب من جبال النار ، وهما لمزينة عن يمينك وأنت تريد العرج إلى السقيا وأنت تريد مكة . [مع : ١ / ٤٩]

َثبَل : قال الهجري : ثبَلُ ومبلاءة .[أنظر الهجري ص ٢١٧]

َثمينة : حدثني أبو ُقبَيس الصاهلي قال : ثمينة الذي يذكرها ساعـدة بن جؤيّة هي شعبة من الصُّفـْر ، تدفع في مِلـْك وادي المُهَلْ من ألم وأقرب.

[٣٤ م]

ثَهْمَد : (يضاف الى ص ٢٢٠) : وأنشدني مواز بن خرشة الحمالي لزهير بن أحمد الحمالي ، وكل من عُقَيل :

أتعرف أطلالاً يُقابلنَ ثَهمَدا   وخَيْماً عفا عن أهله فتبدّدا

[أنساب السمعاني ج ٤ / ٢٣٢ هامش]

جاش : قال الهجري : سألت سليمان بن بريد عن قوله :

جرى منه جاش فالربوض فما رأت   هويل ، فإرعيلاء فالبردان

فقال : جاش لبني مرة ، والربوض : قنة حمراء سوداء غربي تثليث . وارعيلاء قنة أيضاً من (...)   قال أبو علي الهجري : وروى غيره : ارعيلان - بالنون . [مع٢/٢]

جبِبر [(١) (؟) هذا بالجيم ، وهو بلد ، قال بلعاء بن قيس :

كأن جيادهم بقفا جبِر   قطا   ...   .

وأما حبِبر فمن حجاز سُليم ، قرب أبلى ، منجد . ذكره الهجري.

[مع ٢/٣]

الجُبَيْب : بلد من حضن ، قال الشاعر - أنشده الهجري - :

كريم ترى جيرانه يألفونه   كما ألفتْ جِزْعَ الجبيب هوامله

[مع ٢/٣]

الجُثُوم : وأنشدتني أمُّ قريد لطارق بن ظَهْر الخصافي يرثي ابن أخيه:

دُعينا فجئنا وابن ليلى بلا دمٍ   ولا بسلاح بالجثوم قتيل (٢)

الجذاة : وأنشد الهجري لابن أحمر :

جررن بذي الجذاة فضول ريْطٍ   لكيما يحتوين ويرتدينا

قال : الجذاة واد وماء حذاء الذريعين هضبات مطلع الشمس من معدن الأحسن بالحزيز الأبيض . [مع ٢ / ٥]

جَرْبان : قال [الهجري] : وجربان سائلة الى قرب ذَهْبى وملك الوادي الذي يملأ سيله ، قالت الأنعمية ، وتزوجت بالعراق :

---

(١) كلمة غير واضحة (ناهلي) .

(٢) من قصيدة .

ألا حبّذا من مِلْك جربان نظرةٌ وجربان من أهل العراق بعيد

[مع ٢ / ٢]

الجُرَد : وأنشد الهجري لشبل بن عاصم القشيري في نوادره :

كأنه جاعلا تِبْراك مرفقه بالرق حيث التقى المرّوت والجرد

قال : الجُرد بضم الجيم واد بعينه ، ولم يُرِد الجَرَد لما رقّ من الرمل.

[مع ٢ / ٦]

الجريب : قال الهجري : واد يقطع... [1] الربذة وبين ضرية ، ثم تمده سيول حرة النار ثم ينتهي في الرّمة . [مع : ٢/٥]

الجَرّن : قال الهجري : الجرن واد بالريب حرل ، أي ذو حجارة ، قال ميمون بن عامر القشيري :

مما تمكن بالجرن وانسكبت جون الغمام عليه يردف الحلقا

الجرّن : واد بالريب حرك أي ذو حجارة .

[١٣١ م] و [مع : ٣/٧]

جَزالاءُ : قال الهجري : بنو عصم من باهلة أهل سواد باهلة ، وكانوا يأكلون عرضا لهم نخل يدعى جزالآء ، ممدود ، بسواد باهلة — وجزالاء أيضا ساحل من حد البصرة إلى البحرين ، بين الظلليفين ، وليس في أرض العرب غيرهما . قال النميري :

ألا يا بني عَصْمٍ جزالاء قرية مراطيب تبغي كل عام لكم حربا

فلولا مرادٍ من جزالاء دُلج وهدل الثريا ما وجدنا لكم ذنبا

[مع ٢/١٠]

جفاف : أورد من قصيدة للصمة بن عبد الله في خروجه إلى الثغر :

فلله دري أي نظرة ذي هوى نظرت ضحاً والشمس يستن آلها

إلى رأس طود من جفاف كأنه قرا فرسٍ ، تنصيبها واحزلالها

فكبرت لما أن بدت لي بلدة بها سكنت طيًا ؟ وطال احتلالها

[٢٨٦ م]

(١) كلمة غير واضحة وهي (بين) .

جِلدّان : قال الهجري : — جيمه مكسورة — بين القنن وتربة . وفي موضع آخر : جلدان : إذا خرجت ودبرت ليّة تعدّيت في جلدان ، غائط أبيض ، رقة بيضاء آخره كلاخ . [مع ٢/١٠]

الجموم : قال الهجري :بلد دمثٌ ،وليس بجموم قباوالخال وإذا قربت (؟) البصرة من مكة كان الدّوْ عن يمينك والجموم عن يسارك ، والبصرة بطرف الدّوّ . [مع : ٢ / ٩]

جَنَاحُ : أنشد الهجري :

أو العمق أو كنافه من عريقةٍ أو الحزم ، أو ترعى جناحا فصمعرا

وقال : جناح قرْن أسود قرب الريب . [مع ٢ / ١٠]

جُوثة : في نوادر الهجري :جوثة بلد بالريب قال صاحب جدوى النميري :

سقى الله مسقي الغيث جوثة إنها مبادِ لجدوى أو فروع حزُوم

وأنشدني لصاحب جدوى من بني نمير :

سقى الله مسقي الغيث جوثة إنها مبادِ لجدوى ، أو فروع خزوم

جوثة : بلد بالريب . وفروع خزوم : جبال بالريب أيضاً .

إلى ذات أبواب فحزم ذريرة فبطن عنان من ربا وحزوم

أغرّ سماكيّاً كانّ ربابــه سفين على مرخ الفرات يعوم (١)

[٧١ م] و [مع ٢ / ١٢]

الجوفانِ : أنشد الهجري قول ضبارة بن زيد الخثعمي :

أمنا إليك السير فيه على الوجا تجوب بنا الفيطان جوفيّةٌ صُعْرُ

قال : هما جوفان: جوف المحورة به أرحب، وجوف مراد به الصّداوية، وكلٌ نجيبٌ . [مع : ١٢ \ ٢]

حَبونا : لما أنشد أبو عبيدة قول الفرزدق :

وأهل حبونا من مراد تداركت وجوما بوادِ خالط البحر ساحله

قال : أراد حبونن من أرض مراد ، فلم يمكنه . وقال النجيرمي : قال

---

(١) من قصيدة ..

لي من رآى حبونن واد باليمن لما أنشد الهجري بيت تميم [1] هذا قال : كل ما سُمّي من دار بني الحارث بن كعب . [مع ١٦/٢]

حُمَيِّط : سعدي :

فليس ليالينا بِحَبْلِ حُمَيِّطِ وبالجزْعِ مردودٌ علينا قصيرها

[٣٦٧ م]

الدّخول قال النميري : في وهب بن العملس أحد بني جعفر بن كلاب :

فما كان يخشى أن تخطّى ركابنا إليه كلاباً بالدخول ولا كعبا

[١٤٣ م]

دَلاميس : للأبرق الحري من بني مالك بن سلمة وأخذ ناقة مسلمة الجعدى :

يا ناق مسلمة الجعدي إن تخدي فقد رميت بماضي الهمّ جواب

ألْقِي خداجاً فلا إتمام واحتسي حوضي دلاميس ، واغدي أيها الناب

[١٣٦ م]

الحُبيب قال الهجري : ذو الحبيب واد من تربة ، مراة عذاة . ومعنى قول العجير : كما ألفت جزع الحبيب هواملُهْ

ومعنى ذلك أنه مريء طيّب ، فالمال يألفه لعذاته ومراته .[مع : ١٩/٢]

حثن : يضاف إلى ص ٢١٩ بعد [حدثني أبو ...] :[وأقرب المواضع اليها حثن ، وهي غورية ، وثمينة فعيلة . قال الهجري : كلما جاءك في حرف ضمتان فلك فيه واحدة أيضاً . يريد حُثُن وحُثْن . [٥١/١]

حرتا سلامان : قال الهجري : حرتا سلامان من وراء وادي القرى ، وليس وراءهما شيء وقال زبان بن سيّار :

لعلي أرى برقاً وان كان دونه ذرى المشرفات الشم من حرّتي بهل

[مع : ٢١/٢]

حَرّة بني هلال : في نوادر الهجري : حرة بني هلال مُعترضة من أسفل سُقْف الطود الى مَهبّ الشمال أرجح من ستة أيام ، ومن الشرق الى الغرب

---

(١) يعني أقربه نجران ثم حبونن وهو في « معجم ما استعجم » .

شطر ذلك ، قال : وليس للعرب حرة إلا مُحجزة في حجاز النجد والغور ، وأكثرها غور لأنها وصلت الطور فحجزت من النجد والغور إلا حرة بـــني هلال التي برَدْئة فإنها منجدة محجزة ، فأما حرة بني سليم وحرة النار وحرة بهل وحرة ليلى وحرة سلامــان بن زيد من قضاعة وحرة الكُرَيْتيم فكلهن قبليات غوريات .

قال أبو علي : الكريتيم طريق النبي عليه السلام الى تبوك ، وبه مسجده وإذا قالوا : حَرَّة رجلاء فهي الممتنعة من أن يطأها سائر ولا مـــال لغِلَظِها وفرط لهبها في الحر [مع ٢ / ١٢] .

حُفَارة : ماء دون العقيق ، قال يزيد بن الطثرية ، أنشده الهجري :

يقول خليلي باللوى من حُفـــارة وقد قفَّ تارات من الخوف جانبه

[مع : ٢ / ٢٧]

الحُلوَةُ : قال الهجري : وسألته - يعني الخاصيَّ - عـــن الحلوة بئر مزينة ، لبني صخر من مزينة فقال : هي بالصرف ، تدفع في غيقة ، وليست بالجيّ ، وللنبي ﷺ بالحلوة مسجدٌ ، ومسجد بالبـضَة [١] ، وهي تلعة بيضاء أسفل من ركوبة بميل ونصف ، والبُضَةُ بالجيّ ، والجيُّ ما بين ركوبة إلى الرُّويثة . قال الهجري : عين ضبعة : بئر يقال بها البُضة .[مع : ٢ / ٢٢]

حِلّيت : لما أنشد الهجري بيت حماد بن مهدي - ورأى امرأة له تبكي ابنة لها بالريب :

نظرت بحلّيتٍ إلى أم صبيق ترقرق دمع العين من شهوة التمر

قال : حليت جبل بين ضرية والحزيز حزيز رامة أشهب يخرج من الحزيز وينشب حمى ضرية ، فقالت امرأته :

نظرت بحليت مع العصر نظرة وللعين من فرط [الصبابة] مائحُ .

[مع : ٢ / ٢٣]

حُلية : لما أنشد الهجري بيت ابن أحمر [٢] في « نوادره » قال : حلية

---

(١) فوق الضاد (خف) اشارة الى تخفيفها .

(٢) يعني : تتبع أوضاحاً بسرّة يذبل .. وهو في « معجم ما استعجم » .

بيذبل بضم الحاء ، وكذا قاله أبو زياد الكلابي في كتاب « اللبن » تأليفه : زاد : ماء لباهلة .

حمى فيد : (يضاف إلى ص ٢٨٠ س ٣) . وقال الهجري : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول من أحماه ، ولا كم كانت سعته أول ما أحمي ، إلا أن فيدا كان موضعه الذي هو به اليوم فلاة من الأرض بين بني أسد وطيء ، وكانت إلى جبل طيء أقرب ، فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركيتان كانتا جاهليتين التقطها أناس من بني أبي سلام ومعهم نفر من طيء ، وهم يرعون هناك في ولاية بني مروان ، وان أول من حفر به حفرا في الاسلام أبو الديلم مولى لفزارة ، فاحتفر العين التي هي اليوم قائمة وأساحها وغرس عليها وكانت في يده حتى قام بنو العباس فقبضوها ، فهي اليوم في أيديهم (١) . [وفاء]

الخَرْماء(*): قال الهجري ، ثم اشتريت من ولد حكيم . وحكى في موضع آخر عن الأنعمي: وقعة أنف بين بني سُليم [وهذيل] وبينهم بالخرماء حائط هو اليوم خراب فيه قنة بيضاء كأنها أنف فسمى بذلك ، وأنشد لرافع :

سلو عنا العَدى ببطن أنف ارحنا بالصريدحة اليَباب

ولعبد مناف بن ربعى :

فدىً لبني قِرد غداة لقوهم بمهبط أنف فديـــة غير باطل

[مع ٢ / ٣٣]

خَسْفَة : الهجري : خسفة ماء غزير ، يقولون : هي رأس مُحَلّم. قال: وقال الأضاخي : خشاخش : حبل من حبال الدهنا . [مع : ٢/٣٨]

خشاخشُ : [خسْفة] .

خِصلِف : لما أنشد الهجري :

سقى حاضراً بالمهد من بطن خصلف أحم روايا المزن دهم الغفـــار

---

(١) أنظر كتاب « المناسك » ص ٣٠٦ / ٣١١ ففيه تفصيل عما هنا .

(*) خازم . اسم واد : أنشد المرزباني للرقاص الكلبي واسماه خيثمة :

حملت على الرقاص حملا ولم يكن ليحمله مـــا دام يدفع خازم

[هامش معجم البكري ٢/٣٠]

قال خِصْلِفُ : شعب بالهدّة عنْ مَرٍّ بأميال . [مع : ٢/٣٧]

خَطْباء . قال الهجري : خطباء ثنية عند واسط وهو وادٍ قال كثير :

كأني وقد جاوزت خطباء واسط   صوادر عن ماء النُّجيل ظمين

[مع : ٢/٣٤]

الخَطْمُ : قال الهجري : الخطم وبَلْمَدُ والقَوْس ، وقراس ومايد ، وعادة وقاوة ، ويمنية كل ذلك من دار هذيل جبال ، وهضاب.[مع:٢/٣٥]

خلص آرة : قال الهجري : خلص آرة جبال قال غزلان :

فخلص الى الرنقاءِ من وَبعَان

الرنقاء ها هنا قاع . وبعان بالحرة . [مع : ٢/٣٥]

الخليج : ذكره الهجري في صدقات علي بينبع ، وقال : أجراه الحسن ابن زيد – رضي الله عنهما – وهو من البُغَيبغات . [مع : ٢/٣٥]

الخنزرة : الهجري : دارة الخنزرة عن يمين سواج المرْدمة. [مع : ٢/٤٢]

خوعى . وأنشد الهجري :

نظرت وصحبتي بجنوب خوعى   إلى نار تعلـل مواقدها

قال : خوعى قُرب دومة كلب قال : والخوع معدن فضة في جبل بين اليامة وضريّة . [مع :٩٢ / ٣]

خيف ليلى : من البغيبغات صدقات علي بالمعلاة من ينبع قاله الهجري .

[مع٢/٤٠]

الدّاث : لما أنشد الهجري لعمرو بن أحمر :

يُرِدْنَ متالعاً أو هضْبَ غوْلٍ   أو الدّاثا ، وأيّاً ما هَوِينا

قال [قال]أبو علي:هي الداث بلا ألف،وبالألف جاء بها على لغته – وادٍ حذاء أبانين به ماء وأحساء . [مع٢/٤٢]

الدارة : الهجري : النبكة السهلة حفّتها جبال ، ومقدار الدارة خمسة أميال في مثلها وتسمى دارة نمَلى . ومن الدارات دارة العُقْرِ أقرن بين رنثة وتُرَبة ، ونَملى مقصورة جبال يمين النير .[مع٢ / ٤٢]

دِبَرَاء [1] : قال الهجري : دبراء وادٍ من أرض جهينة وراء العِيص ، بين مغرب الشمس وبين العِيص . [مع ٢ / ٥٨]

الدَّبِيل : بين العارض والرَّيْب . قال المُنَيْخِيس اللُّبَيْني :

وأن تؤنسي بطن الدبيـل وحائل ويبدو لنا من ركن صاحة جادل

وقال في موضع آخر ، لما حدَّد صاحة وأنها بين دَبيل والقِمْرَى قال : ولا دبيل غيره بلد . [مع ٢ / ٤٣]

دخوخ [2] : قال الهجري : رمل دخوخ (؟) وهي شرقي تيماء ، تسكنه بطون من معن وفرير وبحتر ، من طي ، تحفه الجرع . [مع ٢ /٤٤]

دَرّ : الهجري : دَرّ واد يدفع في الشعبة ، وتدفع الشعبة في قناة . [مع ٢ / ٤٥]

دَفَّان : الهجري : دفان وادٍ يصب في سواد باهلة جلواخ .[مع ٢/٤٧]

الدَّوُّ : قال الهجري : أنشدني البُريدي للشهابي – كلابيّان :

يسلني بالدَّوِّ اين حَجْرُ ؟ ودون حَجْرٍ فلواتٌ غُبْرُ

ليس لمن مات بهنَّ قبْرُ

وزعم أن البصرة بطرف الدو . [مع / ٤٩٢]

دُومة الجندل : [رَضْوَى] .

الدُّونكان : الهجري : وسألتُ الخُميريين عن الدونكين فقالوا : همـا هضبتان بِالنُّمْرُف [3] ، عن العَمْق بيوم . [مع ٢ / ٤٩]

الدَّهْنا ... وحضرموت من هذا لأنها في طرف الدهنا ، وفيهـا رمل حارّة في القيظ .

ثم تمنَّت ، والمنى لا تجدي بئر بني ضُمَيْرة بن سعـد

من بني زعب بن مالك بن خُفَاف ، من مكافيء الحرة المنجدة :

بئر ميامينَ عظـام الرفد في مستقر الماء بعد الحشد

[م ٥]

---

(١) كذا . (٢) كذا ، والمعروف دجوج – بالجيمين .

(٣) كذا وردت الكلمة مشكلة .

ذِقان : قال الهجري : ذقان – يعني الذي ذكرته أخت وهب بن العَمَلَّس :

جزى الله شرّاً والجوازي كثيرة عبادة شرّاً يوم سفح ذقان

جبل قرب الدَّخول ، شِقّ حوضيّات . والدخول محجة أهل العقيق والأفلاج الى مكة . [مع ٢ / ٦٠]

رَايَان : قال الهجري : وسألت الدبابي عن رايان فقال : جبل بالطائفة ، بجانب يَرَمْرم ، أقرب المزالف اليه المعدن ، معدن بني سليم . [مع ٢ /٦٢]

الرُّبوض : لما أنشد الهجري قول ابن الدُّمينة :

جرى منه جاش والربوض فما رأتْ هويل فـإرعيلان فالبردان

قال : قال الهلالي : الربوض ملتقى وادي تثليث وأودية العضاه والأراك.

[مع ٢ /٦٣]

وانظر : جاش .

الرُّحا : من قصيدة للتميمي في ماعز بن مالك البكّائي :

أبعد الطوال الغُرّ من آل ماعزٍ يرجّي بمَرّان القرى ابن سبيل

[وكنا نرى]الوُفّاد حول ابن ماعز بمرّان أو بين الرُّحا وكتيل

(في الهامش : الرحا : أرض مرتفعة على ما حولها من الأرض . وكتيل : طود). [٢٣٩ م]

رَحَب : الهجري وسألته – يعني الباهلي – عن رحب بفتح الراء ، فقال : هو بجرد القصيم ، وعَزْلج وماء آخر ، ومبين ، والبباء . [٦٥ م]

رحب : بئار في حساء قرب عزلج ، وليزيد الصلائي أحد بني دلم النميري الفاتك وماح بئراً من بئار رحب فانهار عليه خبر ، قاله الهجري .

[مع ٢/ ٦٦]

الرَّدْهُ : سَوّار بن المُضَرِّب السعدي سعد تميم :

فلو أضْحَتْ بباب الرَّدْهِ سلمى وكنت بباب مكة حضرميّا

لجُبْنَا بالمطيّ إلى سُليمى خلالَ الدور ، والبلدَ القَصِيّا

[٣٦٨ م]

الرَّس : الهجري : وسألت الخلصي عن الرس منـــازل بني القاسم بن ابراهيم الحسنيين قـــال : هو دابر ثنية ركوبة من الأبيض جبل العرج ، به بثار ومزارع ، ويدفع سيله في العقيق . [مع ٢ /٧٢]

رَضْوَى : الهجري : كلُّ العرب على فتح الراء من رَضوى ، وضم الدال من دُومة الجندل . [مع ٢/ ٤٨]

الرقاشان : قال الهجري : وسألت جماعة من بني عُقيـــل عن الرقاشين فقالوا : هما أبرقان في مَرْت بين المضاجع وبيشة . [٧١]

رَقية : من قصيدة لسفيان بن زيد الهلالي زُغبي :

تهلّـل في أشراف رقية وَبلُـهُ فجلـّل جُودى ذو غزال يُميرُهـا

[٣٣٧ م]

رَكَـكُ : الهجري : سألت الأشجعي عن ركك فقال : مـاء في شعب سَلمى من رمّان شرقياً . [مع ٢ / ٦٧]

رملة العَزّاف : الهجري : رملة العزاف بين الربذة ونخل .[مع ٢/٧١]

روض القطا : الهجري : وسألته – يعني القُريْعي – عن رومن القطـــا الذي يذكره ابن الخطيم الأنصاري فقال : هُنَّ في إقبال الملمين علمي نخل ، يعني الملمين يساراً وأنت تريد القبر (؟) عن نخل بأيام (؟) .[مع ٢/ ٧٤]

الرَّوْضة : من عمل علي وصدقته بالبغيبغات من ينبـع ، ذكره الهجري .

[مع ٢/ ٧٤]

رهاط : من قصيدة طويلة لمعن بن ابي فهيرة السلمي :

وفي ظَفَرٍ والي القطيعة راشد له العين أجراها فسَحّ انسيابُهـــا

القطيعة برهاط – هامش – [٢١٧م]

الرَّيب : بلد مُريح من بني قشير به نخل ومزارع وكل قليل وهو أقرب البلاد إلى ثهلان ذكره الهجري وقال : أنشدني شيخ من أهل الريب :

لا بأس بالريب إلا أن ساكنه يمشون طلحى من الأنباض أحيانا
ظل ظليل ومـــاء لا نحاسبه وبعد ذلك مثل السكر يغشانا

قال وأنشدني أبو نافذ الخفاجي للقرطي من بني مالك بن قشير :

خليليَّ ممن يسكن الريب مذ بدا هواي فلا أدري علام هـواكا
[مع : ٢ / ٧٥]

ريم : الهجري وأدرك علي والزبير رسول حاطب المـرأة وهي مزنية ببطن ريم فأخذا الكتاب . [مع ٢ / ٧٥]

الزّنج : جبل الزنج هو المشرف على نجد الحقابة ، عن يسار الذاهب إلى عرفة ذكره الهجري في نوادره عن أبي سليمان . [مع : ٢ / ٧٧]

السّرداح : النميريُّ سعيد بن أشلخ (؟) القطني يرثي حميد بن أبي لطيفة وقتلته بنو قشير ثم بنو قرّة :

عَسى أن يروع اللهُ قُرّةَ روعَةً بجيش من السرداح تهفو عصائبُهُ
تزّى بأكناف السواد ابن دلهم بقتل حميدٍ حينأخلت حوانبه[1]
[١٥٠ م]

السّرو : لمسلّم بن عسكر اللُّبيني :

عقيليّة بالسّرو أدنى محلّها وفي النفس منها حاجة لا تنالها

(في الهامش: يعني سرو ربيعة بنت عقيل أسفل بيشة ، بلد مراةٌ عذاة).
[٢٦٣ م]

سَكب : أورد من قصيدة لعطية بن أبي شجرة :

رميتهمُ بطرف العين حتى أجازوا بطن ذي سكَبٍ ظلاما
[٣٠٥ م]

السّليلُ : لحميد بن ثور :

عفت المنازل بالسّليل خريقُ ومغاربٌ وروامسٌ وشُرُوقُ
[١٧٦ م]

السّليل : أورد من قصيدة للصمة :

رمتني بالسّليل غـداة بانوا على حذَرٍ وما رَمتِ اغترارا
[٢٩٠ م]

السّمَار : نوال بن الشّغثاء :

---

(١) من ٩ أبيات .

فلما بـــدا رأس السمار تخوّنوا وأرسل فيهم ربنا بالمشاعُب[1]

في الهامش : السُّمار : قرن حذاء الريب .

[١٢٢ م]

السّواد : وأنشدني لمعروف بن قدامة القرّي – قشيري – في مُنَيمة – جمدية :

إذا حلّتْ منيمـــة بطن برك وأهلك بالرعان من السّواد

وحاربتِ الجعادبُ – غير شكٍّ – وسيـرٌ حاربتْ وبنـو مَصَادِ

فأهْدِ مــع الرياح لها سلاماً وعَزِّ النفسَ ، عن تلك البـــلاد

[في الهامش : سواد باهلة . هذه بطون كلها من جمدة] .[٦٩ م]

سُوَاس : معن بن أبي فهيرة اليحياني المرداسي السلمي :

تأبّدَ من جُمْلٍ معارفُ واسطٍ فأطلالها من قنّةٍ فشعابُهـــا

فبطن سُواسٍ فـــالخيام فمنثنى لواءِ فذات العصل قفرٌ يبابُهـا

فروضةُ عوّامٍ فهَضْبا يُنابـعٍ فبطن ريام سهلهـــا وظِنابُهـا

إلى عرفطاناتٍ فجزْعُ مقنّـعٍ إلى عقد الزوراء أقوَتْ سهابهـا

فسبرات أعلى موتغا[..] فجرعها الى الرخل فالحرّات خالٍ جنابهـا

[٢١٢ / ٢١٣ م]

سُوَيقة : لحميد بن ثور :

ان اللتـــين لقيت يوم سُوَيقةٍ لو تلعـان بعاقـــل الأوعـالِ

لاختار سهلها لحزن مـكانه وانظلّ يطمــع منهما بوصال

[١٧٣ م]

شعبعب : ميمون بن عامر ، وله في أسد بن عاصم سيّد بني يزيد من آل عمرو بن معاوية :

لو اشبهت شيخاً قبره بشعبعب أبى دقّة الأخلاق وهو وليد[2]

[١٠١ م]

---

(١) من ٦ أبيات . (٢) من ٤ أبيات والممدوح قشيري .

الشُّوْران : ابن الثفـّاء ، ونجموا الشورَين وهما ُقفـّان من أطراف شرقي الحلة من دار بني نمير :

هبطنا بلاداً مات يا َعمرو أهلهـا ولو يشعر المقبورُ ثار من القبرِ
بها البقر الوحشيُّ حوراً عيونه بنا الذُّعرُ منه ، ليس بالبقر الذعر

أخبر أنه يخاف في هذا الموضع ، وأن البقر غير خائف .

فلما بدا الشوران َشوْرٌ به الردى وشورٌ به القَلعانِ كرٌ بنا جبر [1]

شريح وصلاءة ابنا عبد الله بن الحـارث بن نمير . [١٠٩ م]

عادة : (الحطم) .

عِبْران : (تعدة) .

العَبَوْقرة : قال كثيّر : أشاقك بالعبوقرة الديارُ

وفي « اللسان » : قال الهجري : هو جبل في طريق المدينة من السيّالة ، قبل َملَلِ بميلين .

ُعرَيقة : ُحباب بن بكير القُريّ إلى سلمة بن ُقشَير :

صدعَ الظعائنُ قلبك المشعوفـا بلوى ُعريقة إذ أردن خفوفـا
ولقد أقمن فما قضيت ُلبانـةً بلوى عريقة َمرْبعـاً ومصيفا

[١٣٤ م]

العزّاف : (رملة العزاف) .

ُعيَال : (تِبَار) .

الغُرابات : وأنشدني للمختار بن وهب أحد بني عبيدة ثم أحد بن عطارد من معاوية بن قشير :

يا دار سلمى بالكثيب الأهيم بين الغرابات وبـين المصرم

[في الهامش : الغرابات – معجمة – أُقيرن بأطراف الحلة – والمصرم : الحبل من الرمل . [٦٥ م]

الفَرْشان : وأنشدني للفزاري يمدح كلثم بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ..

---

(١) من ٥ أبيات .

ألا إنَّ بالفرشين داراً كريمة لكلِّ يُزهى للضيوف وقودها (١)

[٣٦ م]

قاوة : [الخطم] .

قراس : [الخطم] .

قوٌّ : لكاهل صاحب سلمى وهو من عامر بن ربيعة :

كأنَّ الأقحوان ببطن قوٍّ غداةَ الطلّ قارنه لماها

[٤٤٩ م]

القوس : [الخطم]

كشبٌ : بزيع بن علي ردّاديٌّ من بني معاوية :

فما أنس مِ الأشياء لا أنسَ منظراً بمرّان أسفته بكوراً صبيرها
رأيتُ غزالا واقفاً تحت سدرة بمرّان والواشون مُلهىً بصيرها
رأيتُهُ مغترّاً وذو العين ناظر على عجل والوحش تغترُّ نورها

إلى أن قال :

فمن لامني في حُب كشْبٍ وأهلها أصابته حُمّىً لا يغِبُّ فتورها
ولا اكتحلت عيني بطمّةِ نخلها على آلةٍ إلا عصاني يديرها

[٣٧٨ م]

مأزِما عرفة : وقال أبو سليمان : المصابيح بمأزمي عرفة – الزاي من مأزمي مجرورة ، واللام من مزدلفة مجرورة – وهو نجد الحقابة ، ومعنى النجد ما علا من الأرض ، وتهبط منه إلى مزدلفة ، وآخر مزدلفة محسِّر ، وأول منى بطن محسِّرٍ ، وقال : نمِرَةُ جبل عن يمينك وأنت بعلمي عرفة ، به غيرانٌ وجبل الزّنج : الجبل المشرف على نجد الحقابة عن يسار الذاهب إلى عرفة ، ووادي وسيق الذي يدفع في نعمان ، مشقه من كبكب ، يدفع منه حيث يدفع رهجانُ .

وقال الهذليُّ : وصيق – بالصاد – وقال : هو مَوطِن . [٣٥ / ٣٦ م]

مايد (الخطم) .

---

(١) من أبيات أربعة .

مُحَلّم : (خَسَفَة) .

المُدَاهِف : دون جبل [...] وحراض : الشعب الذي بحذاء الحفيرة عن عشرة أميال من المدينة . قال :

يا رب شاة فادر لم تألف تربع الرَّبْد إلى المداهف

ذكره الهجري . [مع ٢ / ٤٢]

مُرَامِرَات : وأنشدني أبو الميمون في كلمة ابن ثومة :

سُليمى لو شهدتِ مُرَامَراتِ وقد حشد القبائل يَنظرانِ [1]

[١٤٠ م]

مَسلَحان : وادي مَسلحان عن يمين الكوفة بشق البصرة ، ورواه المطرفي : مسحلان ، وهو خطأ وتصحيف . [١٨٢ م]

مُوَيْسِل : المرضي أحد بني معاوية بن معاوية بني حزن بن عقيل لبعض بني...

خلا من ديار الحيّ شطّا مُوَيْسِلٍ فأصبح مُغبرٌ الجوانب أقتما

وعهدي به جعدُ الثرى طيّب الرُّبا شفاء المراضى ريحُهُ إن تنسّما

منازل أم العَمْر حين تحله وتجتاب فيه الحَنْذليّ المنمنما [2]

[٣ م]

النّير : زيد الخيل :

جلبنا الخيل من أجإٍ وسلمى تخبُّ جنائبا خَبَب الرِّكاب

إلى أن قال :

كأنّ مَجَرّها بالنير حَرْثٌ أثارته بمُجمَرةٍ صلاب

[٤٠٩ م]

يُمْنِيَة : (الخطم) .

---

(١) لناهض بن ثومة قصيدة طويلة في القطعة الهندية .

(٢) من قصيدة .

٢ – تصحيح وإضافة :

وردت كلمات في كتاب « أبو علي الهجري » مصحفة أو محرفة ، وجُمل تنقص كلمات ، وها هو بعض ما عثرت عليه مما يتعلق بها :

صفحة	سطر		
٢٢٥	٣ / ٤	معلاوتين..بمعلى الحكومة	مغلاوين (بالغين المعجمة كما
٣٦٩	٧		يفهم من « وفاء»)
٢٣١	١٠	ضفن	(ضغن بالغين وانظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة» ص ٥٥٩)
٣٣٤	٦ / ٩ / ١٠	الضفن	الضغن
٢٣١	١٢	الفرس	الغرس (بالغين وانظر « في شمال غرب الجزيرة» ص٥٦٩)
٢٤٩	٣	الحمى	الحيّ
٢٧٢	٧ / ١٠	الهدر	الهزر (قبيلة في أكلب لا تزال معروفة في جهات بيشة)
٢٨٨	٤	تذيبع	تزيع (الأغاني ١٢ / ١١٧)
٢٨٩	١٥	وفيه يقول مصعب	وفيه يقول ابن نمير الخضري « أخبار المدينة لابن شبّة »
٢٩٣	١	سيل النقيع ومراح	سيل النقيع والصحرة ومراح
٢٩٨	٢١	على ميمنة	على محجة
١٩٠	٤	مدرج	مدرح (بالحـــاء والقصيدة حائية منها : كأنّ دويّ الرعد في حجراته دويُّ مخاضٍ ترتعي الرمل قُرَّح [مع : ١ / ١٦]

صفحة	سطر		
٢٠٩	٧	العارض وبه القرى	العارض مطلمياً من بلاد امرىء القيس بن زيد مناة ، وبه القرى [مع ١ / ٣٧]
٢١٦	١١	الذرو ذرو الشريف	الذرو ، وذرو الشُّرَيف [كذا في هامش مع ١ / ٤٨]
٢١٦	١٧	وكل ما أسمينا الشريف	وكل ما أسمينا بالشريف [كذا في هامش مع١/٤٨]
٢١٩	٢	من الملم	يضاف : (وأقرب المواضع اليها حُشُن ،وهي غورية ، وثمينة فميلة .قال الهجري: ما جاءك في حرف ضمتان فلك فيه واحدة أيضاً يريد حشُن وحشْن [مع١/٥٢]
٢١٩	٧	ثهلان بسرة	ثهلان بسرة نجد..وأقرب البلاد منه [مع ١/ ٥٢]
٢٢٣	٧	حول	حَرِل [مع ٢ / ٧]
٣٠٣		امراق	مراق(كذا كتبها الاستاذ محمود شاكر في نسخته).
٣١٠	١٢	بالغرب	بالعرف [مع ١ / ١٨]
٣١٢	١	عقدتان	هضبتان [مع ٢ / ٤٩]
٣١٧	٤	عبرات	عبران [مع ١ / ١٧]
٣١٨	٣	بأن قرانا	بأنّ ُقرّانَ

بلاد العرب

في مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا

– ٤ –

مقدمات الثورة في عسير :

عادت السكينة إلى عسير على أثر الحادثة الأخيرة ولكن طرق ابهـا والقنفذة لم يبسط الأمن ظله عليها تماماً . أما الأسرى فزعم السيد الادريسي انهم ممتنعون من العودة الى مركزهم لأنهم يخافون أن يقعوا تحت طائلة العقاب لأنهم استسلموا للثوار دون استقتال في الدفاع عن مركزهم . وأما المؤن التي أخذت من مخازنها فقد تعلل السيد بمعاذير واهية في أمر إعادتها الذي وعـد به . والسبب الحقيقي في توقفـه عن إعادتها انه لا يريد أن يفهم القبائل انه نزل على ارادة الدولة واذعن لطاعتها ، وكنت أعلم انــه يرى الاستمرار في معارضته للحكومة . من أجل ذلك تظاهرت بتجاهل خطته ، وكتبت إلى

صفحة	سطر		
٣٥٧	٣	سراة عروان	سراة عدوان
٣٦٧	٧	غدات	غداة
٣٧٣	٩	الضرابية	الضبابية
٣٨٩	١٣	أيله	أبلة (بالباء الموحدة وانظر « في شمال غرب الجزيرة » ص ٤٧٣)

مركز السلطة أصف لهم الحالة ، وقلت : ان إثبات حسن نية الحكومة الدستورية الجديدة للاهالي والإعراب عن مقاصدها الخالصة لا يمكن انيكون قط بالكلام ، ولا بد من تأكيده بالأعمال . ولما كان كل من الظلم والعدل إنما يقوم ويدوم بالسيف فأنا أقترح أن يعزز الباب العالي القوات الموجودةفيعسير بفرقة جديدة لا لأجل استعمالها في حرب بل لاستعمال سطوتها وهيبتها في نشر العدل وتوزيعه ، ويجب أن تنزل هذه الفرقة في ثغر (جيزان) الذيهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً فقط من (صبيا) مركز الادريسي . وبعد ذلك أستطيع أن أتكلم مع الادريسي بلا برقع وأسعى لتأليف قلوب الأهالي بكل إخلاص تحت ظلال السيوف .

وفي الوقت نفسه كنت أتصل بالأهالي ، وأستمع شكاويهم ، وأعدهم بأن الحكومة ستجيب المعقول من طلباتهم بنية حسنة تامة ، وانها لن تجعل مجالاً لوقوع شيء من الظلم والاستبداد .

ان القوة التي كانت معي في مدينة (ابها) يبلغ عددها ألفين من الجنود، وكانت القبائل تستخف بهذه القوة ، ولا تقيم وزناً للمواعيد التي أعدهم بها ، وتعتبر ذلك من حيلة الضعيف ، مع اني مفطور على كره الحيل والدسائس .

أسفت لما علمته من نظر الأهالي الى قوتي نظر الاستخفاف ، غير ان ذلك لم يبعث اليأس في نفسي فآليت أن أقابل الحالة الحاضرة بعزيمة وثبات .

وفي خلال ذلك جهزت لي الاستانة فرقة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي ، ولكن بالرغم من التماسي أن يكون إنزالها في ثغر (جيزان) القريب من الادريسي تقرر نزولها في ثغر (القنفذة) البعيد عنه . وفضلاً عن ذلك فقد علمت ان بعض رجال اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي أرسلوا منالاستانة الى عسير بعض أشخاص غير مسؤولين ليكونوا على صلة بالادريسي ويقفوا مباشرة على مقاصده منعاً من سفك الدماء في عسير بلا سبب على زعمهم ، وكانت المراسلة جارية بيني وبين الادريسي على غاية من الصداقة والوداد ، فلما علم الادريسي بوصول قوة جديدة الى القنفذة حسب لها حساباً وازداد في

في رسائله تظاهراً بالود والصداقة ، وكتب لي : ان الاهالي مرتاحون الى عمل الحكومة بأحكام الشرع الشريف في عسير . ثم كتب لي كتاباً آخر يقول فيه: انه قد وصل اليه أشخاص قادمون من الاستانة وانه تفاوض معهم في شكل الادارة التي ينبغي تقريرها في عسير ، وانه أبلغهم اقتراحاته في ذلك ، فاذا وافق الباب العالي على هذه الاقتراحات فإن ذلك سيكون من بواعث الراحة لي وله . قال : وأما إذا لم توافق الاستانة على تلك الاقتراحات فإنه يتنصل من تبعة كل ما يقع من الحوادث في المستقبل . ولما قرأت كتابه علمت ان لعب الايدي الغير المسؤولة في مستقبل عسير يدل على مستقبل محزن . وكتبت الى الاستانة تقريراً ذكرت فيه ان مثل هذه المساعي والمحاولات لن تأتي بنتائج مثمرة ، وان الأنظمة الجديدة التي يراد وضعها لعسير وغيرها من البلاد العربية يجب أن يرجع فيها الى الرجال المسؤولين لا الى الاشخاص الذين يرمون الى مقاصد مخصوصة . وما دمت أنا القابض على زمام الادارة في عسير وتقع مسؤوليتها على عاتقي فليس من الصواب أن يرجع في مثل هذه الأمور الى غيري . وفي أثناء ذلك وصلت الفرقة الجديدة الى قنفذة بكل ما معها .

وجاءني أمر من وزارة الداخلية قيل فيه ان قائد الفرقة التي وصلت إلى القنفذة وأن أشخاصاً آخرين سيذهبون إلى (صبيا) لمقابلة السيد الادريسي وانه يجب أن أكون أنا أيضاً معهم في هذه الزيارة لمفاوضة السيد في الحالة الحاضرة فاضطررت الى الموافقة على ذلك اضطراراً ، وفي يوم ٤ كانون الأول سنة ١٣٢٥ (١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩) بارحت (أبها) الى (صبيا) من بلاد تهامة عن طريق وادي ضُلَع فوجدت زملائي قد سبقوني الى هناك .

أما السيد الادريسي فانه دعا الى صبيا من القرى المجاورة لها نحو أربعة آلاف رجل مسلحين لاستقبالي وإكرامي في الظاهر ، وليفهمني في الباطن ان لديه قوة . وأرى انه هو الذي خدع مندوبي (جمعية الاتحاد والترقي) الذين حضروا اليه من الاستانة وأقنعهم بدعوتي الى صبيا ، لأفاوضه في الأمر ، فاستصدر مندوبو الجمعية أمراً من الباب العالي بتوجهي إلى صبيا . وغرض الادريسي من ذلك أن يوهم الأهالي ان متصرف عسير وقائدها حضر الى صبيا

لمبايعته فيزداد الادريسي بذلك نفوذاً . وكنت أنا مدركاً مثل هذه الدسائس في حينها غير انني لم أكن مطلق اليد في اتباع الخطة التي أريدها .

وأفهمت الادريسي في اجتماعاتنا معه ان الحكومة حسنة النية ، وانها تجتنب سفك الدماء وتريد راحة الناس ورفاههم . وقلت له : اننا نود الاستفادة من سيد عالم مثله تلقى العلوم في مصر زمناً طويلاً ، وأحاط بمغازي السياسة العامة ، وان من الواجب أن نتكاتف على إسعاد عسير وإعمارها ، غير انه لا يمكن الجمع بين سيفين في قراب واحد ، وان بلاداً واحدة لن تكون ذات حكومتين ، وان في الامكان أن توجه الدولة إليه عنوان رئيس المحاكم الشرعية مثلاً ، وأن تصدر الأحكام باسم الخليفة ويزول بذلك كل اختلاف ويقضي على ما كان بيننا من سوء تفاهم .

فأجابني على ما تقدم قائلا : انه لا طمع له برياسة ، وان القبائل اعتادت ان تلجأ اليه برضا منها لحل ما بينها من مشاكل ، وانها تطلب اليه أن يسعفها بالمرشدين لإزالة ما بينها من ضغائن ، فهو يخدم الأمة بذلك مكتفياً بما يرجوه من ثواب الله في الآخرة .

وفهمت أنا ان الادريسي يريد مخادعة المندوبين الذين حضروا من القنفذة وإقناعهم بأنه لا حاجة الى الفرقة العسكرية التي أرسلت من الاستانة ليرفعوا تقريرهم بضرورة إعادتها ، ففكرت بأن أختصر القول معه وأقترح عقد اتفاق ولو كان موقتاً . وعلى ذلك قلت له : حسن ما تقولون ، وأنا أوافق على مباشرة من ترسلهم الى القبائل من المرشدين لحل مشاكل تلك القبائل صلحاً ، ولكن أشترط أن يكون مع المرشدين المذكورين موظف أندبه أنا لمرافقتهم وتكون له الرياسة عليهم . فوافق الادريسي على ذلك وانتهت المفاوضة دون أن أفتح مجالاً لبحث آخر .

وعلى أثر ذلك نشرنا منشوراً على جميع القبائل موقعاً عليه باسمي واسم السيد الادريسي معاً أوصيناهم فيه بالتزام السكينة ، وقلنا لهم : إذا ظهر أي اختلاف فإننا سنوفق بينهم على أحسن حال .

وكتبنا الى الباب العالي بصورة ما دار في المفاوضة وبالنتيجة التي توصلنا

اليها ، وقلنا بضرورة إرجاع الفرقة العسكرية التي وصلت أخيراً الى القنفذة. غير اني مع ذلك كتبت الى الباب العالي أبلغه ان هذا الاتفاق لم يكن صادقاً وانه ينطوي على زغل . وعادت الفرقة العسكرية الى الاستانة ورجعت أنا الى أبها .

ان من دأب الادريسي أن يلجأ دائماً الى طرق الحيلة والتزوير ،ويخلف المواعيد التي يعد بها ، ويحاول الاستفادة من كل وسيلة لتقوية مركزه وزيادة نفوذه . ومن ذلك انه بعد هذا الاتفاق كان كثيراً ما يرسل رجاله الى القبائل بلا علم مني ودون أن يكون مع رجاله موظف من قبلي.وإذا ارتكب أحد جريمة القتل في جهاتنا وفرّ الى صبيا فإنه لا يجيب طلبي بتسليمه بل يعتذر بأن الرجل دخيل عليه وان تسليم الدخيل لا يجوز في عادات العرب ، ويطلب ان ترسل ورثة القتيل الى صبيا ليحاكم المتهم ويقيم عليه الحد الشرعي إذا ثبت عليه الجرم . مع ان المقتول قد يكون من أفراد الجند ، وقد يكون الشهود في أبها فيتعذر انتقالهم الى صبيا . وفضلاً عن ذلك فان الاتفاق المعقود بيننا يقضي بأن أحكام محكمة صبيا لا يمكن إنفاذها ما لم يصادق عليها مني ، نيابة عن مقام الخلافة ، فكان ينبغي له بناء على ذلك أن يرسل القاتل الى محكمة أبها الشرعية ، ولكن السيد الادريسي كان لا يجيب الى ذلك .

ومن غلطات الحكومة من قبل ومن بعد انها اتخذت القنفذة ثغراً لأبها ، وهي واقعة في شمالها الغربي في طريق ملتفة طولها مائتان وخمسون كيلومتراً، مع ان في الغرب الجنوبي من أبها ثغر اسمه (الشُّقيق) على مسافة مائة كيلومتر فقط منها . فعزمت أن أتخذ الشقيق ثغراً لأبها ، وأرسلت جنداً للنزول فيه . فاعترض السيد الادريسي مدعياً أن القبائل لا تسمح بارسال الجند من ذلك . فأجبته ان للحكومة الخيار في سلوك أقرب الطرق الى مقاصدها في بلاد هي ملكها الصريح ، ولا يضير القبائل أن يتنقل جند الحكومة حيث شاءوا . أما إذا طلبت القبائل طلباً غير معقول لمقصد غير مشروع فينبغي أن تسدى اليهم النصائح منكم ومني ، وإذا لم يصغوا إلى

نصائحكم ونصائحي وجب تأديبهم، ويقوم كلانا حينئذ بواجب تأديبهم . وقد فهمت أن الذي يسوءه سلوك الجنود ورجـــال الحكومة هذا الطريق هو الادريسي نفسه لأننا نتصل حينئذ برجال القبائل الذين في هـــذه الجهة ونستميلهم الينا .

وفي ذلك الحين علمت أيضاً أن هناك اتصالاً بين الادريسي والايطاليين . وان أولاد أخيه الذين في مصر يترددون على مقام سام فيها لعقد الأواصر بينه وبين السيد . فلفت أنظار الباب العالي إلى كل ذلك ، وطلبت أن يوعز إلى (القوميسيرية العثمانية) في القاهرة بأن تراقب الأمر وتوافيني بالمعلومات في حينها.

وفي ذلك التاريخ كان الادريسي يراسل القبائل سراً ويقول لهم: انه لا يبغي لنفسه رياسة ولا سلطة ، وإنما يريد أن يبقى كل شيخ على رأس قبيلته ، وأن لا يكون بين قبيلة وقبيلة تنافس ولا عدوان ، ليتمكنوا من اخراج الأجنبي من ديارهم . ومع أن كثيراً من المشايخ كان فاهما أن الأدريسي يسعى لنفسه في أمر عظيم فانهم كانوا يلبون دعوته إلى الوحدة بين القبائل لأن فيها قوة لهم تجاه الدولة ، فتواطأوا جميعاً على الاتحاد العام ضد الحكومة ، واتفقوا هم فيما بينهم متى تمكنوا من اخراج الترك من عسير وصفى لهم استقلالهم فان من السهل عليهم اخراج الادريسي أيضاً لأنه غريب عن بلادهم فليس له عصبية تحميه وتثبت له مركزه وقد أكد لي ذلك بعض أصدقائي من المشايخ أنفسهم

ولما كانت مقدمات ثورة عسير هي مبتدأ الحوادث الأخرى في بلاد العرب اضطررت إلى اثبات هذه التفاصيل توطئة لما بعدها .

(للحديث صلة)

سليمان شفيق كمالي

دارات العرب

- ٣ -

١٩ – **دارة رفرف** : قال الشيخ حمد : ذكرها ياقوت وغيره، وزاد شارح القاموس بأن ياقوتاً نقل عن ابن الأعرابي : لبني نمير، ولم أرَ هذا في المعجم ، ولعل شارح القاموس استنتج ذلك من إيراد ياقوت شاهدها من قول الراعي النميري :

فدع عنك هنداً والمنى إنما المنى ولوع، وهل ينهى لك الزجر مولعا
رأى ما أرته يوم دارة رفرف لتصرعه يوماً هنيدة مصرعـــا

وقال إنه لم يرَ (رفرف) في أسماء بلادهم . ا هـ

قلت : هذه الدارة ذكرها الأصمعي في كتاب الدارات وأنشد :

فقلت:عدي.قالت:إذا الليل جننا فموعدنا أقـــوز دارة رفرف

وجاء في حاشية الكتاب تعليقاً . قال الزمخشري ، في كتاب « الجبال والمياه » (ص ٦٣) دارة رفرف في أرض نمير ، وجاء في «مراصد الاطلاع » رفرف : بفتح أوله وسكون ثانيه وتكرير الراء والفاء ، موضع في ديار بني نمير ، وذات رفرف واد لبني سليم . [١]

وقال في القاموس ، مادة (رف) ذات رفرف ويضم : واد لبني سليم ، ودارة رفرف وتضم ، لبني نمير ، والواقع أن ياقوتا لم يذكر أن (رفرف) في بلاد بني نمير عند ذكر الدارة ، وإنما ذكر ذلك في موضعه من معجمه ،فقال: رفرف ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، وتكرير الراء والفاء ، وهو موضع في ديار بني نمير ، وذات رفرف : واد لبني سليم ، ا هـ [٢] .

وقال البكري : دارة رفرف : براءين مهملتين مفتوحتين ، وفاءين ،وقال كراع : رفرف بضم الراءين [٣] .

---

(١) مراصد الاطلاع ٢ / ٦٢٣ . (٢) معجم البلدان ، ٣ / ٥٥ .
(٣) معجم ما استعجم ٣ / ٥٣٥ .

قلت : ذكر أصحاب المعاجم (رفرف) مضبوطاً ، وورد في الشواهد بهذا الترتيب ، براءين مهملتين ، وفاءين ، وهذا يجعلنا نطمئن إلى صحته، أما فيا يخص نسبة هذا الموضع إلى بلاد بني نمير ، فان ما أوردته من عبارات أصحاب المعاجم ليس فيه خلاف بينهم في ضبط الإسم ونسبة الدارة إليه ، وكذلك نسبته إلى بلاد بني نمير ، ويفهم من شاهد الأصمعي أن هذه الدارة تقع في أقواز رمل ، وبلاد نمير فيها مواضع ، فيها برق ، وأقواز ، غير أنه لا يعرف فيها موضع بهذا الاسم أو قريب منه فيا أعلمه، من مواضعها وداراتها.

٢٠– دارة رُمح: قال الشيخ حمد: عدّها ياقوت في ديار بني عمرو بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وقال : أورد أيضاً : – يعني ياقوتاً – ذات رمح أبرق أبيض في ديار بني كلاب ، لبني عمرو بن ربيعة ، ثم ذكر الشيخ حمد أقوالاً أخرى عن ياقوت ، وقال : ويفهم مما تقدم أن هذه الدارة قريبة من (دمخ) وهو جبل عظيم يقع غرب عرض شمام . هـ .

قلت : الواقع أن هذه الدارة ليست قريبة من (دمخ) فهي تقع في (نُفَيّد رمحة) ويتضح من تحديد (رمح) في كتب المعاجم أنه هو الذي يعرف في هذا العهد باسم (رمحة) ، وهو نفيّد تصغير نفود ، يمتد من أيسر دغانين – جنوب النير – ويسير جنوباً حتى يتصل بنفود الثامية غربي العلم ، وتحف به من الشرق صحراء الحمي – تصغير حمى – وفي ناحيته الشرقية ، مما يلي الحمى أبرق بارز كبير ، في أسفله معدن ملح صلب يسمى (أبرق الملح)، أما الدارة التي تنسب اليه فإنها تقع في ناحيته الشمالية ، تحيط بها أقواز الرمل وهي جوبة واسعة وفيها ماء جاهلي من قديم يسمى (هُمَيج رمحة) تصغير همج ، وهو غير ماء الهميج الواقع في حد نفود رمحة مما يلي (الحمي) فهذا الأخير آبار غير قديمة ، وكلاهما تحت يد قبيلة الشيابين من عتيبة . قال شاعر من قبيلة الشلاوى يذكر هميج رمحة ، من قصيدة طويلة :

من عقب ذا يا راكب عِمْلِيّه حرّه وكل جدودها حرار [1]

---

(١) العملية : النجيبة من الابل .

إنشر عليها الصبح من قاعة العلم   . ووْط الهميـــج وثايف الزبار [1]
وتاطا رقايب ظلم زرقا مشيحه   وفي دربها خلّ الحمار يسار [2]

٢١–دارة سعر: ذكر الشيخ حمد هذه الدارة، وقال: هكذا أوردها ياقوت وغيره، بالسين المهملة، المفتوحة والمكسورة، وقال عن ياقوت: انها لبني وقاص من بني أبي بكر، ثم تحدث عن منازل بني وقاص من بني أبي بكر ابن كلاب ليميز وجه الصواب في الاسم – سعر – بالسين المهملة، وذكر من بلادهم (دغانين) وقال: إن دغانـــين لا تزال معروفة في طرف النير الشمالي، ثم أورد نقلاً عن الهجري، وناقش كل ما أورده من الأقوال حتى وصل الى هدفه، وهو تصحيح كلمة (شعر) التي جاء في ذكر الدارة بالسين المهملة، ثم حدد جبل شعر تحديداً صائباً، وقال: شعر، جبـــل يقع في الشمال الشرقي من عفيف، يشاهده المتجه الى الحجاز شماله قبل أن يصل منهل عفيف بأميال قليلة يشاهده رأي العين، وبقربه منهل (الأشعرية) منسوب اليه؛ وجواره جبيل صغير يدعى فريدة شعر.

قلت: ذكر الشيخ حمد أن (دغانين) في طرف النير الشمالي، والواقع أنها جبال سود، تحف بها برقة بيضاء تقع في ناحية النير الجنوبيـــة، مما يلي صحراء الحمي، وبين شمالي النير وجنوبه بلاد واسعة. أما شعر الذي تحدث عنه الشيخ حمد وحدده فإنه جبل أسود كبير يمتـد من الشرق صوب الغرب واسع الأنحاء يحف به رمل (العُريق) من الشمال، وفي جبهتـــه الشمالية الغربية (حِشَّة) سوداء واسعة تسمى (مصودعة). ودارة شعر جوبة واسعة محاطة بسلاسل سوداء وتكتنفها برقـــة بيضاء واقعة فيما بين شعر ومصودعة، وهي بالنسبة للأشعرية صـــوب الشمال الغربي، وتسمى (دارة مصودعة) أو (محامة الخيل) وذلك ان غزاة من شمر أغاروا على فريق من قبيلة العِضْيان من الروقة من عتيبة حول شعر، فانحازت إبل العتبان الى هذه

---

(١) إنشر: إذهب صباحاً مبكراً، الزبار: الأطماس.
(٢) الحمار: موضع معروف، جنوب ظلم.

الدارة وجرى القتال عندها ، فقتل فيها عدد كثير من الخيل ، ومنذ ذلك الحين سميت (محامة الخيل) .

أما ماء الاشعرية فانه يقع في واد في ناحية شعر الشرقية الجنوبية داخل في أعلا الوادي بين الجبال ، وهو ماء عذب جاهلي قديم ، وقد أسّست عليه هجرة لقبيلة الحفاة الروقة من عتيبة - حبيليص ابن هثيلة وجماعته ، أما فريدة شعر ، فإنها هضبة سوداء كبيرة منقطعة منه ،واقعة في ناحيته الشمالية الشرقية ، وقد اكثر الشعراء قديماً وحديثاً من ذكر شعر بهذا الإسم ، قال فيحان الرقاص يذكر فريدة شعر :

لیا رکبتوا خلّوا الهجن زوماع　　سجّوا ولجّوا ،والركايب زرافيل
ولهن صلاة العصر بغثـــاة منشاع　　منشاع مرميات خطو المفازيـــل
والدرب من بين العرايس ليـا تاع　　وعصير يمْ الخنفسيّه مخـــاليل
عدّوا فريدة شعر حيث انها اسناع　　وإن ما كفاكم شوف مدّوا درابيل
لزمٍ يبين لـكم مع الصبح فقـاع　　نار يجذّب جمرهـــا للمعاميـل

وهذه المواضع التي ذكرها : غثاة ، العرايس ، الخنفسية ، فريدة شعر ، كلها متقاربة ، يرى بعضها من بعض ، ومن الملاحظ أن ياقوتاً قد ذكر (شعر) في كتابه ، في موضعه ، وقال عن ابن الفقيه : جبل في الحمى ، وأورد له شواهد ، وقال : ويوم شعر بني عامر وغطفان. وذكر الشيخ حمد أن صاحب القاموس وشارحه قد ذكرها كل منها باسم (دارة سعر) وأن الأخير ، أشار إلى أنها وردت في شعر خفاف بن ندبة السلمي ، والواقع أن البكري ذكر شعراً في معجمه ، وضبطه بكسر الشين المعجمة ، وقال : وكذا روى عن أبي عبيدة في شعر خفاف بن ندبة ، قال :

تطاول ليــــله ببراق شعر لذكرهم ، وأيّ أوان ذكر [1]

وينبغي أن نلاحظ التمييز بين شعر ودارته المنسوبة إليه ، هذا الذي بحثه الشيخ حمد وبين موضع آخر يسمى في هذا العهد بهذا الاسم ، وله دارة تنسب إليه، لئلا يقع اللبس بينهما عند من يعرفون الأخير ولا يعرفون الأول،

---

(١) معجم ما استعجم : ٣ / ٨٠١ .

وشعر الأخير ، جبال سود تقع في ناحية وادي الخرمة الغربية فيما بينها وبين (تربة) فوق قرى الغريف ، وقد عمرت فيه في هذا العهد قرى ومزارع ، وفتحت فيه مدرسة إبتدائية ، وفيما بين (شعر) وبين ضفة الوادي تقع دارة واسعة ، محاطة بمرتفعات رملية تسمى (الدّوارة) أو (دوارة شعر) ، نسبة إلى الموضع الذي عندها ، ولم أر لشعر هـــذا ذكراً في كتب التاريخ القديمة فيما اطلعت عليه .

٢٢-**دارةشبيث**:قال الشيخ حمد:عنياقوت أنها لبني الأضبط ببطن الجريب، ونقل خبراً ببيان منازل ربيعة، ذكر من بينها شبيثاً وبطن الجريب ،ونقل عن صاحب بلاد العرب وهو يعدد مياه بني ربيعة بن الأضبط ، أنه قال : ومن أوديتهم ذو لباح ، وماؤه شبيث ، ثم قال : ويفهم مما تقدم أن منازل بني الأضبط بقرب وادي الجريب (الجرير الآن) ، ويسمّى وادي المياه ، غرب حمى ضرية .

قلت : المعروف في هذا العهـــد في هذه الناحية ماء جاهلي قديم يسمّى (شبيبة) مؤنث شبيب مصغرا، ويحتمل أن يكون محرفاً من (شبيث)وهو واقع في عبلة المشفّ غرباً من منهل سجا ، في محامة فيها شجر كثير يحف بها سناف أحمر ، على شكل دارة وناحيته الشمالية الشرقية محفوفة بعبلة وسيله يتجه غرباً صوب (دعيكان) ، وفي الجهة الشمالية الغربية من شبيبة ، في صحراء مستوية تقع دارة صغيرة محفوفة بجذيب سنفان سود تسمى (الدويرة) تصغير دارة وماء (دعيكان) منها جنوب غربي ، وهذان الموضعان قريبان من أعالي روافد الجرير ، ولا يعرف في هذه الجهات في هذا العهد موضع قريب من إسم (شبيث) إلا هذا الموضع ، أما ما ذكره الشيخ حمد ، أن وادي الجرير يسمى (وادي المياه) ، فإنني لا أعـــلم أحداً يذكره بهذا الإسم ، فإن (وادي المياه) بينه وبين (وادي الجرير) بـــلاد واسعة ، وأودية . فوادي المياه ينشأ من هضيبة (فايزة) وما حولها شرقاً شمالياً من بلد (عفيف) ويتجه شمالاً ويلتقي بوادي الجرير غرباً من جبال (النجج) ، وفيه مياه قديمة متعددة ، من أشهرها ، ابتداء من أعلاه : (أبرقيـــة)

و (ظفرة) و (الورقية) و (داحمة) و (الصفوية) و (المكـــلاة) و (صقرة) ، وغيرها . وقد أقيم على بعض هذه المياه هجر لقبائل الروقة من عتيبة ، ووادي المياه معروف بهذا الاسم . قال عسكر بن جويعـــد الفنامي الروقي يخاطب رجلاً من برقا من عتيبة :

تكفى يا بن سحمان حامي الدبيله   يا خالط العيـــدي بردم العزاب
حدّر بهم حسبة ليـــال قليله   حدّر بهم من يمّنـــا لا تهـاب
حنـــا الى كلّ تحصّل حصيله   لنا على وادي الميـــاه انقلاب
وأنـتم إلى كلّ تحصّل حصيله   لـكم على الزّيدي وصبحا مساب

أما وادي الجرير ، (الجريب) قديماً فانه لا يزال معروفاً ، يقـع غرباً من عفيف ، يمر أعلاه ، فيما بين جبال الشعب وبين مثلثة وتدفع فيه روافـد كثيرة ، منها الثمل ، والشبرم ، ومبهـــل ، والسرحي ، والبحرة . وكلما اندفع شمالاً التقت به أودية ، ومن أكبر روافده شعيب (ساحوق)ووادي المياه الذي تحدثنا عنه ، ولم أسمع أحداً في هذا العهد يسميه (وادي المياه) بل انه مشهور باسم (الجرير) ، وأعاليه لقبائل الروقة من عتيبة ،وأسافله لقبائل مطير بني عبد الله وقبائل حرب ، وقد أكثر الشعراء من ذكره باسم (الجريب) قديماً و (الجرير) حديثاً ، وذكرت معالمه في كتب المعـاجم القديمة ، أما وادي المياه فقد تحدث الهجري عن مياهه فقال : ولبني محارب من المياه في الحمى ماء يقال له غُبير ، في وادي المياه ، بين شعبى وبين رملة بني الأدرم ، وماء يقال له غبار ، وأحساء كثيرة في وادي المياه . هـ [1] .

وبهذا يتبين قرب وادي المياه من رملة بني الادرم التي هي في الواقع ناحية من رمل (العريق) ، والواقع ان رمل (العريق) عريق شعبى – عريق الدسم – كما يسميه البعض ، يحف بوادي المياه على مقربة منه . وبهذا يتضح الفرق بين (وادي الجرير) و (وادي المياه) .

٢٣–**دارة شعبى**:قال الشيخ حمد:وقد ذكر هذه الدارة : شعبى من أعظم الجبال الواقعة بجوار قرية ضرية في الشمال الغربي منها ، وينسب الى هذا الجبل دارة من أشهر دارات العرب ، ذكرها الهجري ، هـ .

---
(١) أبحاث الهجري ص ٢٦٤ .

قلت : هذه الدارة تفرد الهجري بذكرهـــا ، رغم شهرة شعبى ، ومواضعها ، والواقع أنه يوجد في شعبى دارتان ، إحداهما ، دارة ثريان ، وبعض البدو يسميها (حجرة ثريان) وهي دارة واسعة مشهور في هـــذا العهد ، تقع في فيضة ثريان غربا ، تحف بها هضاب ثريان من نواحيهـــا إلا ناحيتها الغربية فإنها محفوفة برمل (العُريق) ، أما ثريان الذي تنسب اليه الدارة فإنه ماء يقع في ناحية ماء (ثريا) الغربية ، في جهـة شعبى الغربية ، أما الثريا ، فإنها عد قديم معروف بهذا الإسم قديماً وحديثاً ، ولها ذكر في المعاجم القديمة بهذا الإسم . قال ياقوت عن أبي زياد : الثريّـا : مياه لمحارب في شعبى [1] . وقال صخر بن الجعد الخضري :

فارتقبت العشاء وهـــو يسامي ... شعبى بارزاً لعين البصير
يحضر العصم من جبال (الثريا) ... ويرامي شمابـــه بالصخور

وقال عبد العزيز بن محمد القاضي [2] :

أقفن بنا عوص المراسيل كنّهن ... نعام حداه بصحصح البيد خيـال
وقبل ما يميل الفي (صبر) سهجنّه ... وعشّن في وادي المضيّح ورا الجال
وسرّبنا وعرسنا بريــع (الثريا) ... مطبّ العريق وقايد الفجر منشال
وسرحنا من لهوب شعبى تنهم النضا ... وحطّن طخفه خلفهن الضحى العال

أما الدارة الثانية فإنها تقع في وسط شعبى ، وهي محاطة بالجبال من كل جهاتها ، وأرضها جوبة فسيحة ، وبعض البدو يسميها (روضة حسحوس) وتقع شرقاً من ثريان .

أما شعبى : فان طرفها الجنوبي الشرقي ، كما ذكر الشيخ حمد ، يرى من (ضرية) في الشمال الغربي ، وطرفها هذا يسمى (حمرّة) وهو جبال حمر ، وتمتد شعبى منها شمالاً وتنتهي بجبال عالية تسمى العساكر ، ومـــاء الثريا وثريّان واقعان في وسط شعبى ، وهي جبال واسعة فيها أودية وأمـــواه كثيرة ، وقد أنشأت فيها قرى ومزارع وغرست فيها نخيل للقبائل حرب ، وبعضها لقبيلة هتيم ، وما زال يطلق على مجموع الجبال ومواضعها اسم (شعبى) .

(للبحث صلة) الدوادمي سعد بن عبدالله بن جنيدل

---

(١) معجم البلدان ٢/٧٧ . (٢) ديوان النبط ، ص ٢/٢٧٠ .

-٢-

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

١ – ج ٢ ص ٥٢٦ يقول المؤلف : (وفي هذا العهد دخل ملك حمير في النصرانية بتأثير ثيوفيلوس عليه ، وبنيت عدة كنائس في ظفار وعدن) .

إن دخول المسيحية إلى الجنوب العربي في هذه الفترة صحيح ، ولكن دخول ملوك حمير في النصرانية لا تؤيده النقوش المتوفرة لدينا عن ملوك هذه الفترة (٣٤٠ – ٣٦٠ م) لأن ملوك هذه الفترة ، وخاصة الملوك الذين حكموا قبل ملكي كرب يهأمن كانوا يعبدون الاله المقة . كما أن ملكي كرب يهأمن نفسه ذكر في ثلاثة نقوش مع أبيه تأرن يهأمن على أنهم يعبدون [ا ل م ق ه ب ع ل أ و م] : المقة اله أوام[١] .

وحتى إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن ملكي كرب يهأمن [حكم حوالي ٤٧٠ م] أول من دون [ب م ق م / م ر أ ه م و / م ر أ / س م ي] فإن [م ر أ / س م ي][٢] هنا لا تعني التوحيد المطلق ، أو أنه اعتنق اليهودية كما يذهب فلبي[٣] أو المسيحية كما أشار المؤلف لأن [ذ س م و ي] يوصف

(١) لقد أعاد المؤلف الكرة لدراسة هذا النقش في ج٣ص ٣٧٩ وبتفسير آخر ولم يشر إلى التناقض الموجود بين ما كتبه في ج ٢ ص ٥٨٩ وفى ج ٣ ص ٣٧٩ . ولعل السبب في ذلك أنه اعتقد بأن النقش Ry 510 لا علاقة له بـ Philby 228 . وهما نقش واحد .

(٢) انظر النقوش Ja 669 ; 670 , 671 .

(٣) أنظر (GI. 389 - Rés. 3383) وقد نشر هذا النقش مرة من قبل :
J. M. Solà Solè , « L'inscription GI . 389 ... » , Le Musèon . LXXII (1959) , p: 198 .

(٤) Philby , The Background of Islam, p. 117 .

في النقوش على أنــه [ا ل ه / أ م ر م] : اله أمرم . في حوالي سبعة نقوش و [أ م رم] هنا تشير إلى قبيلة أو مجموعة من الناس [١] .

٢ – ج ٢ ص ٥٣٠ عنوان الفصل الحادي والثلاثين : « سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت » . بينما يتكلم المؤلف في نهاية الفصل الـ ٣٠ عن أبي كرب أسعد ، وهو ممن حمــل لقب « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت والأعراب في الطود وتهامة » وكم كنا نود أن يجمع المؤلف كل ما كتب عن اليمن في جزء واحد وأن يراعي فيه التسلسل الزمني ، ويتجنب ذكر الحادث الواحد عدة مرات .

٣ – ج ٢ ص ٥٤٩ يقــول المؤلف : (ولا يستبعد اصطدام (امرىء القيس) بـ شمر يهرعش ، أو بأي ملك آخر ملك (نجران) ، ما دام ذلك الملك قد حكم قبائل (معد) النازلة في الحجاز وفي نجد والتي تتصل منازلها بحدود نجران ، وقد خضعت (معد) لحكم ملوك الحيرة ، كالذي يظهر من نص كتاب شمعون الذي هو من بيت أرشام) .

وهنا يجب أن نقول : إن حوادث نقش النمارة كانت قبل سنة ٣٢٨ م ، بينما كان شمعون في الحيرة في سنة ٥٢٤ م ، فكيف يستطيع المرء أن يستشهد بذلك . هذا وإن حوادث نقش و Ry 509 تذكر أن معدّاً كانت تحت سيطرة الجنوب العربي في زمن أبي كرب أسعد ، أي في بداية القرن الخامس . كما أن حوادث Ry 510 تذكر كيف ثار الأعراب في ماسل الجمح على حكم معدي كرب [سنة ٥٢١ م] فاستطاع أن يعيد سيطرته عليها على الرغم من تدخل المنذر ملك الحيرة ، ثم نعرف من مصادرنا العربية أن قبائل معد كانت تُحكم من قبل ملوك كندة الممثلة لحكومة الجنوب العربي إلى سنة ٥٢٥ م . وعلى هذا فإن شمعون عندما يذكر معدّاً فهو يقصد الأعراب في أطراف الحيرة لأن كلمة معدايا كان يقصد بها الأعراب . ويظهر ان قبائــل وسط الجزيرة خضعت للملوك الحيرة بعد سنة ٥٢٥ م . وحين قام ابرهة سنة ٥٥٢ م بغزوته

---

(١) M. A. Ghúl , « New Qatabàni inscription-II» , BSOAS, XXII (1959) , P: 434 .

ضد معدّ في حلبان في وسط الجزيرة اعترف لعمرو بن هند بحكم معدّ ، بعد أن سلم الأخير رهائن لأبرهة .

أمـــا عن احتمال اصطدام بين امرىء القيس وشمر يهرعش – كما يرى المؤلف فإن ذلك غير وارد ، لأنه لو حدث ذلك لدوّن امرؤ القيس ذلك في نقشه ، ولم يذكر فقط أن جيوشه وصلت أسوار نجران .

٤ – ج ٢ ص ٥٥٠ – ٥٥٣ : هنا لا أعرف كيف فهم الدكتـور جواد علي « نقش شرف الدين ٤٢ » . إذ يفهم من هامش ١ ص ٥٥٢ بأنـــه قرأ النقش . يقول الدكتور جواد : (إن قائداً من قواد شمر كان قد قاد أعراباً غزا بهم ملك أسد) . والحقيقة أن النقش لا يذكر كلمة الأعراب إطلاقـاً ، ولا إسم أية قبيـلة شاركت القائد . كما أن المؤلف يذكر « ملك (أسد) » وكأنّ الحـَرْب مع ملك اسمه أسد ، بينما المدوّن في النقش « مالك بن ... ملك الأسد » [م ل ك م / ب ن / ك [.] م / م ل ك ل أ س د] والأسد هنا يقصد بهم أزد عمان ، كما يفهم من تسلسل الحوادث ، فقائـــد شمر غزا مالك ملك الأزد ثم سار الى القطيف ثم الى سوك [١] ، ثم إلى أرض تنوخ .

ويقول المؤلف : (وأرض (تنخ) (تنـــوخ) التي تخص (الفرس) (فرس) أي فارساً) . وذكر ان أرض (تنخ) (تنـوخ) ، كانت تحت حكم مملكتين ، يقال لاحداهما (قطو) وللأخرى (كوك)أو كوكب ..). والصواب [ق ط و ف] و [س و ك] وليس كوكب أو كوك .

هذا وان أرض تنوخ لا تخص الفرس ثم ان أرض تنـــوخ لا علاقة لها بالملكتين أبـــداً إذ أنّ الحرب كانت توجه ضد ق ط و ف / و س و ك / م م ل ك ت ي / ف ر س / و أ ر ض / ت ن خ] أي أن قائد الحملة غزا « القطيف وسوك مملكتي فارس وأرض تنوخ » . وهكذا يفهم من النقش ان القطيف وسوك كانتا مملكتي فارس وليس أرض تنوخ ،وبعبارة أخرى إن أرض تنوخ لا علاقة لها بالقطيف أو سوك مملكتي فارس . وعلى هـذا فقراءة الدكتور جواد للنقش لا تمت الى الأصل بصلة .

(١) انظر الحاشية ص (٨٢٦) من هذه المجلة .

وبعد أن يذكر حوادث [تسعة أسطر] لا علاقة لها بالنقش – يرجع ليعيد الخطأ نفسه فيقول : (... واتجهت منها نحو (قطوف) أي القطيف، حتى بلغت موضع (كوكبن) (كوكبان) (كوكب) ثم ملك فارس وأرض تنوخ ، (ملك الفرس) أي (الأرض التابعة للفرس) وأرض تنوخ). وهنا أترك للقارىء مقارنة ما جاء في هذا النص والنص الذي قبله وقد وردا في صفحتين متقابلتين [ص ٥٥٠ – ٥٥١] .

هذا ولا بد من الاشارة الى أن سوك هي أم الساهك [1] القرية التي تبعد حوالي ١٤ كم الى الشمال الغربي من القطيف [2] .

٥ – ج ٢ ص ٥٥٣ : يقول المؤلف : (ذهب ريكمنس إلى أن الحبشة احتلوا العربية الجنوبية حوالي سنة ٣٣٥ بعد الميلاد ، ودام احتلالهم هذا إلى حوالي السنة ٣٧٠ م ...) وهنا كان يجب أن يذكر أن ريكمنس كتب كتابه في سنة ١٩٥١ م ، حيث لم تكن هناك نقوش تذكر أسماء ملوك بعد شمر يهرعش إلى زمن ملكي كرب يهأمن . أما وقد اكتشفت نقوش[3] تذكر أسماء ملوك حكموا بعد شمر يهرعش وأكثر من ذلك أن ملكي كرب يهأمن ذكر مع أبيه في ثلاثة نقوش [J A. 669, 670، 671] . كما أن نقوش هذه الفترة لا تذكر أي حرب مع الأحباش ، لذلك أصبحت نظرية ريكمنس ومن قال بها لا أساس لها من الصحة كما أن فقرة المؤلف لا علاقة لها بسير الحوادث التي يذكرها لأنه يتكلم عن شمر يهرعش ويستمر بعد ذلك في الكلام عنه .

٦ – ج ٢ ص ٥٧٦ : عندما يتكلم المؤلف عن حوادث نص J.a 660 ، يقول : (عن غارة قام بها رجل اسمه حرثن بن كعبم (الحارث بن كعب) ورجل اسمه (سددم بن عمرم) سداد بن عمرو : (سدد بن عمر) .

---

(١) أنظر الحاشية ص (٨٢٦) من هذه المجلة .

(٢) انظر : العسلي : حملة شمريهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت على شرق الجزيرة محاضرة القيت مساء السبت ١٩٧١/١/٢ في قاعة المحاضرات في جامعة الرياض ، وستنشر في مجلة جمعية التاريخ والآثار في كلية الآداب ، جامعة الرياض .

(٣) أنظر النقوش المرقمة Ja 664 - 671 .

والحقيقة أن النقش لا يصف الحارث بن كعب على أنه رجل أو سودم [وليس سددم] بن عمرو. أما أتباعها فهما النخع وجرم وهما قبيلتان وليس [مُحَارَبين] كما ذكر المؤلف . فالحارث بن كعب اسم قبيلة لما تزل تحمل هذا الاسم باسم بني الحارث أو بلحارث ، وبنو الحارث بن كعب من مذحج ومساكنهم أطراف نجران [٢] .

أما سودم بن عمرم : فعلى الأكثر هم قبيلة أسودان بن عمر من جرم [٣] . ونخمن : فهي قبيلة النخع [٤] بن عمرو بن عُلة بن جلد من مذحج والتي كانت تسكن أطراف بيشة[٥]. وجرم : فهي قبيلة جرم ، أخوة أسودان[٦] ، والتي كانت تسكن نجران وتثليث [٧] ، وكانوا أحلاف لبني الحارث [٨] ، وعلى هذا فإن الغارة قامت بها قبائل متجانسة لا أشخاصاً .

٧ - ج ٢ ص ٥٧٤ يذكر : (ولدينا كتابة وسمت Ryckmans 534 ، ورد فيها اسم الملك أو كرب أسعد وأشير إلى ستة أولاد من أولاده) . والحقيقة أن النقش [أعتقد من الأفضل أن نطلق كلمة نقش بدل كتابة] لا يذكر ستة أو سبعة أولاد كما يقترح J. Ryckmans ، بل إن هناك فراغاً في النقش ناشئاً عن تآكل فملأه J. Ryckmans ، بأسماء ستة أو سبعة أولاد وهو اجتهاد منه ، كما أن نقش Ry. 534 هو نفس نقش Rossi 24 [٩] وليس نقشين مستقلين كما يذكر الدكتور جواد علي ..

ثم أن المؤلف يتكلم عن أبي كرب أسعد من نقش Philby 227 في صفحة ٥٧٣ ، وبعد ذلك يذكر في نهاية صفحة ٥٧٤ : (وتشير الكتابة المرسومة و Ryckmans 50 إلى حملة قام بها الملك أبو كرب أسعد ..) اعتقاداً منه

---

(١) ابن حزم: جمهرة ص ٤١٦ ؛ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ص ٤٧.

(٢) البكري : معجم ما استعجم ص ٦٠٣ . (٣) ابن حزم ص ٤٠٠ .

(٤) القلقشندي ص ٧٦ يدعوهم جسر بن عمرو بن عمر بن علة بن جلد .

(٥) البكري ص ٦٣ . (٦) ابن حزم ص ٤٠٠ .

(٧) البكري ص ٤٠٠ . (٨) البكري ص ٤٢ .

(٩) أنظر : J. Ryckmans . « Les corégents du roi himyarite Abukarib As'ad d'après Le texte Rossi 24 » , RSO . XXXVII (1962) , pp. 219—221 .

بأن النقشين مختلفان . والحقيقة همـــا نقش واحد درسه فلبي ونشره ، [Ry 509] والرقم الأخير هو المتفق عليه كما نشره وترجمه إلى الألمانية Caskel وأعطاه أيضاً رقم و Ry509 [1].

٨ – ج ٢ ص ٥٧٥ ينقل المؤلف عن كروهمن : (يجعل أيامه في السنين الثمانين فما بعد من القرن الخامس) والصواب أن تكون من القرن الرابع . وجملة المؤلف هنا تحتاج إلى اعادة كتابة .

٩ – ص ٥٨٢: في هذه الصفحة إرباك في المعلومات،فبينما يكتب الدكتور جواد علي عن حوادث سنة ٥٦٥ سبئي ويتكلم عن التوحيد ، إذ يقفز إلى حوادث نقش Ry 507 والمؤرخ في سنة ٦٣٣ سبئي فيقول : (وفي جملة (الهن ذلهو سمين وارضن) الواردة في النص Ryckmans 507 ومعناها : (الإله الذي له السماوات والأرض) . تعبير عن التوحيد أيضاً وهي من نص يرجع الى هذا الملك [يقصد المؤلف شرحبيل يعفر] فنحن إذن في عصر أخذت عقيدة التوحيد تنتشر فيه .

وهكذا يقفز في سرد الحوادث . ثم ان نقش Ry 507 مؤرخ في سنة ٦٣٣ سبئي وهذا النقش لا يعود الى الملك شرحبيل يعفر بل يعـــود الى الملك يوسف [ذي نواس]،وهو يهودي تتفق عليه كافة المصادر العربية والسريانية والرومانيــة والحبشية . كما ان نقش Ja 1028 [2] ، الذي يعـود الى يوسف أيضاً ، لا يترك مجالاً للشك بأنه غير يهودي إذ ينتهي النقش بديباجة يهودية [ذ ح ض ي ت / ر ب هـ د / ب ح م د] . وهنا كان على المؤلف أن يميز بين ديانة هي نوع من التوحيد وبين دين يهودي ، وبين نقش يعود الىشرحبيل يعفر وآخر يعود الى يوسف .

١٠ – ج ٢ ص ٥٨٥ : عندما يتكلم الدكتور جـواد علي عن شرحبيل

---

(١) Caskel , Entdeckungen in Arabien . Westdeutscher Verlag , Koln und Opladen . 1954 .

(٢) A. Jamme , Sabaean and Hasaean Inscriptions from Saudi Arabia , Rome : Università di Roma , 1966 . p. 40 .

ايل يكف ينقل نصاً : (رحمن وبنهوكرشتش) . وفهم المؤلف ان التعبير اليوناني قد دخل اليمن ، وينسب الى هذا الملك انـه كان نصرانياً . والحقيقة ان النقش الذي ترد فيه هذه الفقرة هو Cih 644 ، ولم يشر المؤلف الى رقم هذا النقش . وينقص هذا النقش بعض الكلمات وقد تآكلت منـــه حروف كثيرة . وقد أعاد جام نشره ، واقترح ملء الفراغ بالفقرة المتقدم ذكرها ، وجاء بهذه القراءة الغريبة ، علماً بأنه لا يعرف عن ملوك هـــذه الفترة انهم تنصروا وزيادةللايضاحأدونأدناهصورةلكيفيةإعادة جام قراءة هذا النقش[١].

١ ــنيثهمو / يرس / بر [دأ / رحمنن / وبنهوك رس ت س]

٢ ــ [غ ل ب ن / و ب م ق م / م ر أ هـ م و / ش ر ح] [ب أ ل/ يكف / ملك / س ب أ / و ذ / ريدن / و ح ض رموت /و ي م ن ت]

٣ ــ [و أ ع ر ب هـ م و / ط و د م / و ت هـ م ت / ب و] ر خ ن/ ذ ح ج ت ن / ذ ل خ م س ت / و] س ب ع ي / و خ م س/ م أ ت م]

والأحرفالتيبينالأقواسالمكروفةمنوضعجام وأعتقد أنفيهامجازفة كبيرة.

١١ ــ ج ٢ ص ٥٨٩ : يتكلم المؤلف عن الأسمـــاء الواردة في نقش Philby 228 وعن ثورة تصورها المؤلف في اليمن ضد الملك معـــدي كرب يعفر . وكلام المؤلف عن محتويات هذا النقش وتفسيره إياها لا أساس لها من من الصحة ، فالنقش Philby 228 نشره مع ترجمة فرنسية G.Ryckmans [٢] ونشره أيضاً مع ترجمة ألمانية Caskel [٣] وترجم الى الانكليزية من قبـــل S . Smith [٤] ، كما درسه [٥] J.Ryckmans .

---

(١) A.Jame, La Dynastie de Sarahb'il Yakuf et la Documentation Epigraphiqne Sud arabe . Istanbul . 1961 , p. 4

(٢) G. Ryckmans, « Inscriptions sud arabes » . Le Muséon . LXVI (1954) p. 446 .

(٣) أنظر كتاب كاسكل المشار اليه سابقاً .

(٤) S. M. Smith , Events in Arabia ., » . BSOAS . XVI (1954) p. 446 .

(٥) J. Ryckmans, «Inscriptions historigves ... » Le Muséon , LXVI (1953) , pp 328—30 .

ويستطرد المؤلف في ذكر قبيلة ثعلبة ويعتبرها قبيلة يمانية ، ثم بعد ذلك يقع في خطأ ناتج عن عدم فهمه للنقش إذ يقول : (ويفهم من هذا النص أن حربا أو فتنة كبيرة كانت قد حدثت في أيام هذا الملك أسهمت فيها القبائل المذكورة ، وهي : سبأ وحمير وكدت [كندة] ومضر وثعلبة [ونسى المؤلف أن يذكر اسم قبيلة أخرى وردت في النقش هي (س ب ع) سبع] وذلك قبل الاحتلال الحبشي لليمن بقليل وقد مهدت هذه الفتنة الطريق للأحباش أن يدخلوا الى العربية ويحتلوها بسهولة .

إن كلام المؤلف هذا ليس له أصل ، لأن النقش اكتشف في وادي ماسل الجمح ، وأكثر من هذا فإن النقش يذكر أنه كُتِب في ماسل الجمح .وحوادث النقش واضحة إذ تذكر بأن الأعراب ثاروا ضد حكومة الجنوب العربي فحارب هؤلاء، الأعراب المنذر [ملك الحيرة] . ويظهر ان المنذر انسحب من هذه المنطقة حال مجيء معدي كرب اليها ؛ إذ لا يذكر النقش أي اصطدام مسلح بين معدي كرب والمنذر وربما عقدا معاهدة أصبحت السيادة لمعدي كرب على وسط الجزيرة ، أما شمالها فربما كان تحت نفوذ المنذر .

ولنعد الى موقف القبائل المذكورة في النقش فإن سبأ وحمير ورحبة وحضرموت و [ي ح ن] وأعراب كندة ومذحيج كانوا بجانب الملك لا ضده كما يذكر الدكتور جواد علي . ونحن نعرف أن هذه القبائل هي مكونات الجيش الحميري ، فإذا علمنا ان الملك من حمير فكيف يستطيع أن يقضي على ثورة هذه القبائل ومن ضمنها سبأ وحمير ؟ ثم كيف تثور هذه القبائل في وسط نجد أي في ماسل الجمح وهي قبائل نعرف أنها كانت تسكن في الجنوب العربي ؟!

أما ثعلبة ومضر وسبع فإن هذه القبائل الشمالية ، والتي يصفها النقش بالأعراب ، هي التي ثارت على الملك . وقبيلة ثعلبة الواردة في النقش ربما كانت من بكر بن وائل والتي كانت تحت حكم كندة في هذه الفترة [1] . أما قبيلة سبع [س ب ع] فلعلها كانت قبيلة سُبيع القبيلة العربية الشمالية [2].

---

(١) الأغاني ج ٨ ص ٦٣ (ط دار الكتب) .

(٢) أنظر : W. Caskel , Gamharat An - Nasab das Genealogische Werk des Hisam Ibn Muhammad al Kalbi . I , p. 5,

حول نقش :

يدع ال بين ملك حضرموت

لبعض المستشرقين يد بيضاء في علم بعض اللغات أو بالاصح اللهجات العربية القديمة ، وذلك بما لهم من اطلاع واسع على اللغات السامية القديمة ، الأمر الذي مكنهم من نشر صفحات مشرقة من تاريخنا الحضاري القديم ، استناداً على مصادره الأصلية مباشرة .

ولعل من المناسب أن أشير بايجاز إلى تاريخ العثور على نقش (يدع إل بين ملك حضرموت بن رب شمس) ، فقد قام المستشرق عبد الله فلبي المعروف في الغرب بـ H. SI. J. B. Philby برحلة علمية من نجران مخترقاً (رمــــلة السبعتين) : رملة صيهد إلى أن وصل إلى (شبوة) و « العُقلة » وذلك عام ١٩٣٦ ، وفي العُقلة عثر على مجموعة قيمة من النقوش عن ملوك (شبوة) وقد سجل انطباعاتة في كتابه القيم . بنات سبأ — Sheba's Daughters .

وبعد أن عــــاد إلى انجلترا قدم تلك النقوش إلى عالم الآثار (بيستن

أما تاريخ هذه الحملة فهو سنة ٦٣١ سبئي أي ٥٢١ م على اعتبار ان بداية التقويم السبئي هو ١١٠ ق . م كما سأبين فيما بعد . وعلى هذا يظهر أن مركز معدي كرب كان قوياً في الجنوب العربي ، وعندمـــــا ثارت عليه قبائل وسط الجزيرة ، التي كانت تحت نفوذ الجنوب العربي ، إذ كانت تحكمها كندة ممثلتها في حكم قبائل معد ، استطاع أن يقضي على هذه الثورة .

(للبحث صلة)

الدكتور خالد العسلي

كلية الآداب — جامعة الرياض

A. F. L. Beeston الأستاذ في جامعة أكسفورد. ثم قام هذا العالم الجليل بترجمة تلك النقوش إلى اللغة الانجليزية حيث ألحقت بكتاب « بنات سبأ » من ص ٤٤١ — ٤٥٤ .

وأخيراً قـــام المستشرق الأمريكي (أ . جام A. Jamme) الأستاذ (بالجامعة الكاثوليكية بواشنطن) برحلة إلى حضرموت في شتاء عام ٦٢ و ١٩٦٣ ضمن بعثة معهد « Smithsonian institution » حيث اشترك مع البعثة في اجراء مسح أثري سطحي لوادي حضرموت ، وزار منطقة «شبوة» بما فيها « العقلة » وأخذ صوراً لكثير من النقوش الأثرية البالغة الأهمية. وبعد أن عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على ترجمة الكثير من تلك النقوش، ومنها نقش (يدع إل بين بن رب شمس) وأصدر كتاباً قيما بعنوان « The Al - Uqla Texs » طبع في مطبعة الجامعة الكاثوليكية بواشنطن عام ١٩٦٣ م .

وبالرغم من المجهود العلمي الكبير الذي قام به فلبي، وبيستن وجام وغيرهم في نقل وترجمة نقش (يدع إل بين بن رب شمس) الذي وسم بـ(Philby, 84) كما وسم أيضاً بـ (Ja. 949) إلا أنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث . وسوف أحاول القيام بدراسة جزئية لهذا النقش تتناول الأمور الآتية :

١ — مقارنة بين نقل فلبي ، ونقل جام للنص المذكور، ومدى الاختلاف بينهما في بعض الكلمات .

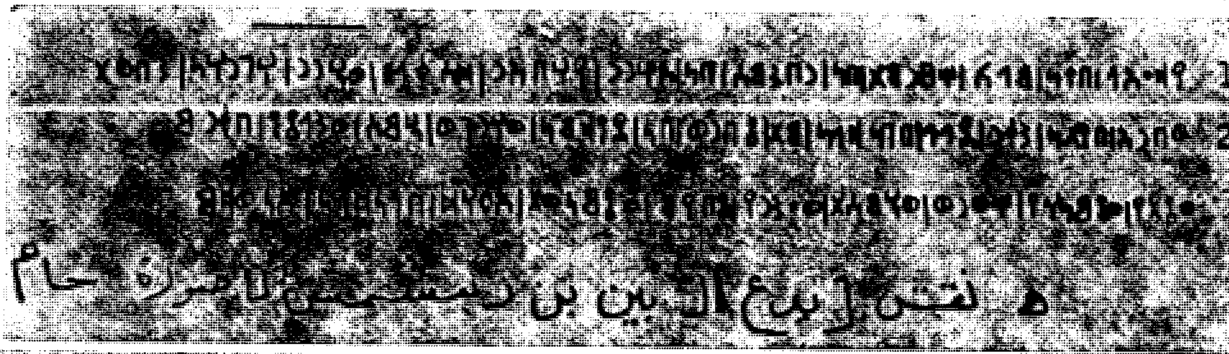
٢ — ترجمة بيستن وجام لبعض فقرات النص ومدى صحتها .

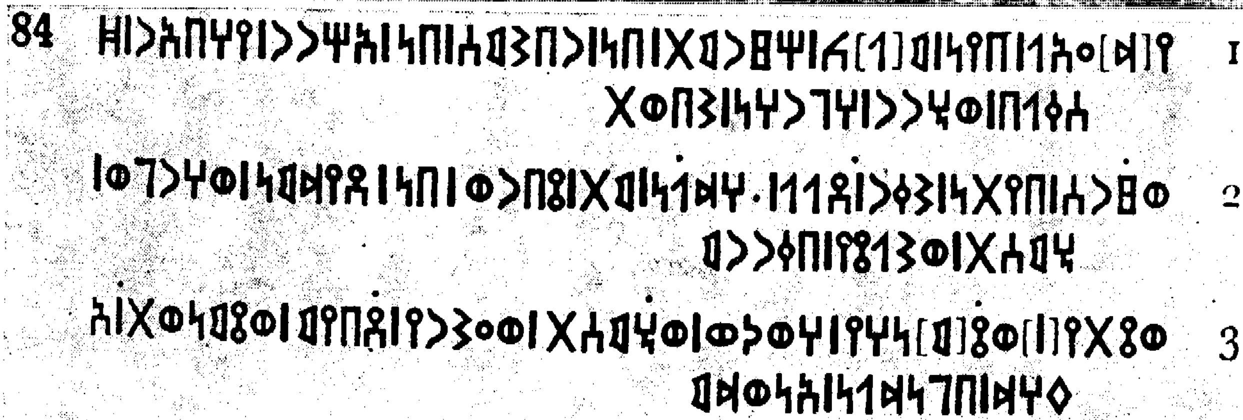
٣ — هل يفهم من النص أن (ربشمس) والد (يدع إل بين) قام بعمل ما في (شبوة) و (أنودم) ؟ .

٤ — في أي عصر عاش (يدع إل بين بن ربشمس) ؟

ولنبدأ بعرض صورتين للنقش، إحداهما نقلها (فلبي) والأخرى صورها جام :

أ — يمكن القول على ضوء المقارنة بين الصورتين للنص أن السطر الأول لا يوجد أي اختلاف في نقله بين (فلبي) و (وجام) .





نص نقش [يبدع ال بين بن ربشمس كما نقله [فلبي]

أما السطر الثاني فقد نقل (فلبي) الكلمات الآتية كما يلي :

الكلمة الأولى (و ض ر س) (وضرس) والكلمة الخامسة « ه د ل ن » (هدلن) كما نقل الكلمة الحادية عشر « خ م س ت » (خمست) والكلمة الأخيرة من هذا السطر « ب ق ر ر م » (بقررم) .

بينما نقل (جام) نفس الكلمات على النحو الآتي :

« و ب ر أ » (وبرأ) « ب ج ن د ل ن » (بجندلن) « خ م س » (خمس) « ب ق ر م » (بقرم) .

أما السطر الثالث من النص فالاختلاف بينهما في كلمة واحدة فقط ، فقد نقل « فلبي » الكلمة (الثالثة) « ه و ر و » (هورو) بالهاء . بينما نقلها « جام » (ح و ر و) « حورو » بالحاء المهملة . ومما تقدم نرى أن الاختلاف كبير في لفظ الكلمات الثلاث ومعانيهن كما سبق ، وقد ترتب على هذا مفارقة تامة في ترجمة تلك الكلمات بين (بيستن) و (جام) .

أما الكلمتان الحادية عشر والثالثة عشر وهما الأخيرتان من السطر الثاني فبالرغم من الاختلاف في بعض الحروف إلا أن المعنى لم يتغير في الحالتين ، وسوف نتناول معاني كل هذه الكلمات في دراستنا للسطر الثاني والثالث من النص ، كما سيأتي .

ب – وحرصاً على وضوح معالم الدراسة يحسن أن ننقل السطر الأول من النص إلى حروف أبجديتنا، وكنت في مسودة المقالة قد كتبت النص بحروف المسند وبجانب كل حرف مماثله من حروفنا العربية ، لولا أن أحد الاخوان أخبرني بأنه لا توجد في المطابع العربية حروف أبجدية المسند ، لذا فسوف اقتصر على النقل بالحروف العربية فقط .

وأحب أن أنبه إلى أني سوف أجعل نقل (جام) للنقش هو الأصل في دراستي نظراً لأنه أخذ للنقش صورة شمسية ، بينما نقله فلبي بالقلم .

السطر الأول :

(ي د ع إ ل / ب ي ن / م ل ك / ح ض ر م ت / ب ن / ر ب ش م س / ب ن / اح رر / ي ه ب أ ر / ذ س ق ل ب / وخ ر ر / ه ج ر ه ن / ش ب و ت) .

السطر الأول بحروف متواصلة :

(يدع إل بين . ملك ، حضرمت ، بن ، رب شمس ، بن احرر ، يهبار، ذسقلب ، وخرر هجرهن ، شبوت) .

وأبادر بالقول بأن في السطر الأول ثلاث كلمات لا تخلو من غموض وهي (يهبار) و (ذ سقلب) و (خرر) ، أما باقي كلمات السطر فواضحة كل الوضوح .

أما وقد حددنا الكلمات الغامضة في السطر الأول فأرى أن نستعرض بايجاز خلاصة ترجمة (بيستن Beeston) للسطر الأول ، قال : « يدع إل بين ملك حضرموت بن رب شمس من احرار (يهبار) الذي أسس وعمّر مدينة شبوة [١] .

---

(١) Beeston Appendix p. 451, Sheba's Daughter, Philby

وجدير بالذكر أن بيستن حاول أن يخرّج كلمة (يهبار) وهي قبيلة (يدع إل بين) فقال ما خلاصته: (ومن المحتمل بأن جذرها له صلة بالبئر)(١) ومع تقديري لهذا الإفتراض فإن بيستن لم يقدم أيّ دليل مقنع يؤيد رأيه ، ولست أدري على أيّ أساس فهم بيستن من السطر الأول من النص بان (يدع إل بين بن رشمس) أسس وعمّر مدينة شبوة ؟ .

أما (جام) فيمكن اجمالاً تلخيص ترجمته للسطر الأول بما يلي : « يدع إل بين ملك حضرموت بن رب شمس من احرار يهبر ذلك الذي طور وحور مدينة شبوة (٢) » .

ومرة أخرى أجدني متسائلا : أين الكلمات التي يمكن أن يفهـــم منها التطور أو التعمير والتحوير ؟ أو نحو ذلك ؟ في السطر الأول :

ولعل ما تقدم أهم ما كتبه (بيستن) و (جام) عن السطر الأول من النص ، وأحب أن أضيف بأن كلمة « بين » لقب ملكي وليست من أصل الاسم ، كما أن كلمة « بن » التي جاءت في السطر الأول من النص قبل كلمتي (أحرر) و (يهبار) ترجمها كل من بيستن وجام بمعنى (من أحرار يهبار)(٣).

وهذا صحيح لموقع الكلمة في هذا السطر ولكن بالنسبة لروح النص وهدفه فإن كلمة (بن احرار يهبار) أكثر ملاءمة لروح العصبية القبلية فكأن الملك (يدع إل بين بن رب شمس) أحب أن يفتخر بأنـــه (أبن) (أحرار يهبار) (صلبة) ، وليس عن طريق (الحلف) أو بواسطة فرض سيادته على تلك القبيلة بقوة السلاح ، كما يحدث لدى العشائر في كل زمان إذا ضعفت قبيلة اندمجت في قبيلة أخرى أكبر وأقوى منها ، ولا يزال إلى يومنا هذا في اليمن وحضرموت نسمع رئيس العشيرة يقول (أنا ابن همدان أو كندة) مثلاً ، وهذه البنوة العامة الخيالية لكل القبيلة لها قيمتها في العرف العشائري قديماً وحديثاً ، ولهذا فإني أفضل الابقاء على كلمة (بن أحرار يهبار) كما جاءت في النص .

---

(١) Beeston Appendix, p. 451. sheba's Daughters, philby.

(٢) Jamme. W. F. The Al - Uqlah Texts p. 49

(٣) Beeston Appendix, P. 451. sheba's Daughters. Philby· Jamme. W. F. The Al - Uqlah Texts. 16. p. 49.

أما قبيلة « يهبر » (يهبار) فقد كانت مثار نقاش أيضاً ، وكتب عنها ، وسجلت حولها بعض الآراء نكتفي بما يلي :و (يهبار) (يهبر) من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية ، ولا يستبعد أن تكون قبيلة Iobaritai التي ذكرها بطليموس ، وكانت منازلها على ما يظهر من جغرافية على مقربة من الموضع الذي سماه (sachilitai) أي الساحل أو السواحل، فهي من القبائل العربية الجنوبية التي لا تبعد منازلها عن الساحل كثيراً وقد كان : (يدع إيل بين ابن رب شمس) من (أبنائها الأحرار) [1] .

قلت لأرى أية صلة بين قبيلة « يهبار » وبين هذه القبيلة (Iobaritai) لا من حيث مدلول اللفظ ولا من ناحية منازل القبيلة ، والطريف أن هذه الآراء التي يرتجلها بعض المستشرقين قد تصبح بعد مدة وجيزة لها وزنها وقيمتها عندنا . وأحب أن أذكر أني راجعت بعض المصادر عن أنساب قبائل الجنوب العربي فلم أجد اسماً ينطبق تماماً على اسم قبيلة « يهبر » ولكن ربما ان اسم قبيلة « يهر » وهي من القبائل الحميرية التي تسكن (سرو حمير جبل يافع) أقرب إلى اسم (يهر) ولعل اسم (يهر) وهي إحدى قبائل يافع محرف عن يهبر ، ومما هو جدير بالذكر ان قبيلة (يهر) معروفة ببسالتها في القتال وكثرة عددها قديماً وإلى يومنا هذا ، ! وعلى كل فهذا رأي أقدمه بتحفظ ، إذ لم أعثر على مصدر يؤيده .

ج — أما كلمة « ذسقلب » فان (ذ) اسم موصول بمعنى الذي [2] .

وليس من أصل الكلمة ، واسم الموصول يعود على الملك « يدع إل بين ابن رب شمس » . وكلمة « سقلب » تفيد معاني منها (سقلبه صرعه) « لسان العرب » لابن منظور ج ١ — ٤٦٩ ط . بيروت « تاج العروس » ج١ — ٣٠٠ ط . القاهرة) ولكن ليس هذا المراد هنا ، بل ان الكلمة التي جاءت في النص بعد (سقلب) وهي (وخرر) حددت المعنى المقصود من (سلقب) (وخرر) أصل الكلمة «خر» والواو حرف عطف ، والراء الثانية للتشديد، (وتضعيف الحرف يدل على التشديد) « تاريخ اليمن الثقافي » ج ٣ — ١٠ .

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي ج ٢ ص ١٥٦ .
(٢) (تاريخ اليمن الثقافي) ج ٣ / ٢٢ للأستاذ أحمد شرف الدين ، ط القاهرة .

إذ أن أبجدية المسند لا يوجد فيها نقط ولا شكل ، ومعنى خر سقط يقال : خر البناء إذا سقط (« تاج العروس » للزبيدي ج ٣ - ١٧٢) . وفي محكم التنزيل (فخرّ عليهم السقف) (سورة النحل الآية ٢٥) أي انهار وانهدم ، وبناء على ذلك يمكن قراءة السطر الأول من النص على النحو الآتي: « يدع إل بين ملك حضرموت بن رب شمس بن احرار يهبار الذي دمر وخرب مدينة شبوة » . أما الأسباب التي حملته على تدمير شبوة والاشادة بذلك العمل فلم يشر اليها النص . وقد أثار خراب شبوة تساؤلات كثيرة وكتب عنه باسهاب ، وإني ألخص ذلك فيما يلي :

(وقد فسر بعض الباحثين خراب شبوة باستيلاء أحد ملوك سبأ وذي ريدان عليها ، فلما نهض (يدع إل بين) لاستردادها من السبأيين وقع قتال شديد فيها بينه وبينهم في المدينة نفسها لم ينته إلا بعد خراب المدينة وتدمير معبد الاله (سين) .

ورأى فريق آخر أن في خراب شبوة سبباً من سببين ، فإما أن يكون (يدع إل) من أحرار قبيلة يهبار ، قد أعلن الثورة على السبأيين الحميريين الذين كانوا قد استولوا على شبوة وقاومهم مقاومة عنيفة أدت إلى الحاق الأذى بالمدينة ، فلما تركها السبائيون الحميريون كانت ركاما ، فأعلن (يدع إيل) نفسه ملكا على حضرموت بعد أن ظلت المملكة بدون ملك ، واما أن يكون ذلك الخراب بسبب عصيان (يدع إيل) على السلطة الحاكمة في (شبوة) ومقاومته لها مما أدى إلى إنزال التلف في المدينة [1] .. الخ .

ومما تقدم نرى أي (يدع إيل بين بن رب شمس) قام بدور فعّال في تدمير وخراب شبوة وهذا يؤيد ما جاء في السطر الأول من النص تماماً . !

وطبعاً لم يدمر (يدع إل بين) شبوة عبثا لمجرد التخريب والتدمير ، بل كان أمراً فرضته الظروف العسكرية أو متطلبات النصر ، ومثل هذا يحدث في الحروب حتى في عصرنا الحاضر لهذا نرى (يدع إل بين بن رب شمس) افتخر بهذا العمل البطولي الجدير بالخلود والبقاء .

مكة المكرمة — هادون أحمد العطاس

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» للدكتور جواد علي ج ٢/ ١٤٨ - ١٤٩ . بتصرف.

مراجعات وملاحظات حول :

دمية القصر للباخرزي

هذا كتاب من الكتب النافعة التي ألفت في القرن الخامس ، لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي نسبة إلى باخرز احدى نواحي نيسابور في خراسان ، المقتول سنة ٤٦٧ ﻫ .

والكتاب في الأصل ذيل يتيمة الدهر للثعالبي (ت ٤٢٩ ﻫ) ألفه على غراره في تبويبه وفق الاقاليم ، وقد ترجم واختار للادباء والشعراء الذين عاصرهم ، ولم يعن بتدوين سني الوفاة ،وانما كانت عنايته منصرفة إلىالاختيار وقد وصف الباخرزي مادة كتابه قائلا : « اودعته من روائع الحكم نهزا لأولى الألباب ، وضمنته من بدائع الكلم نزها للارباب ، واخذت فيه ولمسك الشباب لطخة في الوفرات، وفرغت منه ولكافور المشيب لطمةعلىالقسمات..

وقد قدم كتابه هذا لنظام الملك فأثابه ، واحتفل به معاصروه فأثنوا عليه ونظموا في مديحه شعرا.وألف ابو الحسنعلي بن زيد البيهقي (ت٥٦٥ﻫ) ذيلا للدمية اسماه : « وشاح الدمية » وتتمة لهذا الوشاح اسماهـــا : « درة الوشاح » . وللدمية نسخ خطية كثيرة منها النسخ الكاملة ومنها المنقوصة .

وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات :

١ – الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠ بعناية محمد راغب الطباخ بالمطبعة العلمية بحلب ، وهذه الطبعة رديئة وناقصة وكثيرة الغلط .

٢ – وطبعت ثانية في مصر بتحقيق الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو بمطبعة المدني سنة ١٩٦٨ وقد صدر الجزء الاول فقط ، وهي طبعة جيدة اعتمـد المحقق في تحقيقها على عدة نسخ خطية ،وقد نبه الى المصحفوالمحرف والمخطوء والناقص ، وترجم للاعلام وذكر مصادر وافية لكل ترجمة ، وفسر الغريب وعيّن المواضع وضبط النص وقوّمه .

٣ – واخيراً صدرت طبعة ثالثة في بغداد (الجزء الاول) بتحقيق الدكتور الدكتور سامي مكي العاني مطبعة المعارف ١٩٧١ ، وقد حصل المحقق بهذا التحقيق رسالة الدكتوراه بالمرتبة الثانية من كلية الآداب جامعة القاهرة، ولما كان هذا العمل رسالة جامعية فقد املت ان تتوفر على كل اسباب التحقيق العلمي ووسائله ، من الدقة والشمول والتثبت والامانة العلمية وما إلى ذلك .

وبهذه النظرة الجليلة تصفحت هذه الطبعة الاخيرة على انها – وهذا مجرد فرض – الاحسن والانضج والا كمل ، وبديهي ان المتأخر يفيد من جهد السابقين ويسد ما لديهم من نقص . وقد اعتدت – فيما اعتدت – عند قراءتي في امثال هذه الكتب أن أدون ملاحظاتي وأسجل ما أراه استدرا كا أو تصويباً ، وأقارن عملا بعمل وطبعة بأخرى وفكرة بمثيلتها ، وفيما انا اقرأ واراجع واقابل واستوضح اثار انتباهي امران :

١ – الاول ان الدراسة التي تقدمت اصل الكتاب وصلبه ، ذكرتني باسلوب اعرفه ومادة قرأتها فلما رجعت الى المظان ، وجدت كلام المحقق هو نفس الكلام الذي كنت قرأته سابقاً بنصه وفصه واسلوب صاحبه ، نُقِل نقلا كاملا حيناً ، ومشوها في حين آخر، وملخصاً في بعض الاحايين . وهذه دعوى – من قبلي – تحتاج إلى برهان ودليل ثابت لا سبيل الى الشك فيه : فأما الكلام المنقول بنصه وفصه ، فهذا ماسأثبته تحقيقاً للحق، ودفعاً للغبن ، وحماية لحق التأليف وغيرة على التراث وحرصاً على سمعة المستوى الجامعي . وأما الكلام الذي نقل ملخصاً أو المقتبس معنى ، فهذا امر اشير اليه ولا اطيل بذكر تفاصيله رغبة في الإيجاز ودفعاً للتطويل واعتماداً على نباهة القارىء عند المقابلة والمراجعة .

٢ – والأمر الثاني الذي لفت انتباهي : ان المحقق الفاضل اغفل اغفالاً تاماً أمر الطبعة الثانية بتحقيق الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو ، ولم يشر اليها اطلاقاً مع انها صدرت قبل ما يزيد على الثلاث سنوات (طبعة الحلو سنة ١٩٦٨ وطبعة العاني ١٩٧١) مع ان آثار الطبعة الثانية في الطبعة الثالثة واضحة كل الوضوح فقد افاد الاخير من شروح السابق وتعليقاته ومصادره وتراجمه ..الخ

فأما ما يخص هذه النقطة وما يتعلق بالتحقيق فسأرجئه إلى قابل من الزمان بعد ان يصدر العاني الجزء الثاني ويذكر مصادره وطبعاتها ويكون النص بعد ذلك كاملا .

وأما الأمر الاول فسأحاول ان أجعل النصوص هي التي تتحدث، واكتفي بالتعليق الموجز القليل [1] .

الكتاب الذي ذكرتني دراسة العاني لعصر «الدمية» هو « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » طبع الجزء الاول منه في مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٨ والجزء الثاني في مطبعة العاني بغداد ١٩٦١ تأليف الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ في كلية الآداب – جامعة بغداد ، والدكتور الطاهر استاذ العاني درّسه في دار المعلمين العالية سابقاً . وقد كنت احب ان يفيد الطالب من نهج استاذه فيتابعه في اسلوب البحث العلمي وما يقتضيه من الامانة العلمية والدقة والتثبت وتحقيق النص ونسبته لأهله ، ويكون من برّ التلمذة وحق العلم ان يضع الأمور في نصابها فينوه بجهد الآخرين وينسب الكلام إلى اصحابه ، او ان يترك كتب الآخرين وشأنها، اما ان يكون السطو والاغارة اسلوبا من اساليب رسائل الدكتوراه ، فهذا امر فيه العجب كل العجب .

ولنتابع المقابلة خطوة خطوة :

١ – الشعر العربي ١–٤٤ ﻫ (أي في الهامش) : كان الحاكم البويهي يسمى ملكا ، ولكن الحكام السلاجقة كانوا يسمون سلاطين .

الدمية (تحقيق سامي مكي العاني) ص ١١ ﻫ : كان الحاكم البويهي يسمى (ملكا) ولكن الحكام السلاجقة كانوا يسمون (سلاطين) .

أ – العبارة نفسها اخذها العاني ولم يغير فيها شيئاً، وهي ليست من كتب القدماء وانما هي من استنتاجات الطاهر ، فتابعه محقق «الدمية» دون ان يشير اليه .

---

(١) واكتفى هنا بالمنقول عن كتاب واحد ، واتجاوز عما اخذه من الكتب الاخرى لأن لتلك الكتب شأنا آخر .

٢ – الشعر العربي ١ – ٤٨ : والقاعـدة ان السلطنة العظيمة تكون لملك العراق .

الدمية ص ١٢ : والقاعدة ان السلطنة العظيمة تكون لملك العراق .

أ – ان لفظ « القاعدة » هو للطاهر ، ثم جاء بعده نص نقله عن اخبار الدولة السلجوقية للحسيني ص ٨٨ . وحصر النص بين قوسين .

ب – اخذ العاني لفظ « القاعدة » ثم ادمج به نص الحسيني دون ان يهمل النص المنقول بين قوسين ، وهو كذلك يفعل في كل النصوص المنقولة .

جـ – اخطأ العاني في قراءة « السلطنة » فجعلها « السلطة » .

٣ – الشعر العربي ١ – ٤٨ : وقد اتسعت سلطةنظام الملك حتى امتدت الى وزير الخليفة يعينه ويعزله كما يشاء ، وامتدت إلى السلطان نفسه . ويأتي بعد الوزارة ديوان الاستيفاء – وله الأمور المالية – .

الدمية ص ١٢ : وقد اتسعت سلطة نظام الملك حتى امتدت الى وزير الخليفة يعينه ويعزله كما يشاء ، وامتدت إلى السلطان نفسه . ويلي الوزارة اهمية ديوان الاستيفاء وله الأمور المالية .

أ – العبارة نفسها نقلها محقق الدمية عن الطاهر لم يغير فيها إلا قوله : (ويلي الوزارة اهمية) .

٤ – الشعر العربي ١ – ٤١ : توفى طغرلبك عام ٤٥٥ في الري وهو في السبعين وقبض السلطة بعده الب ارسلان ابن اخيه داود ... ثم اوغل فيبلاد الخزر ووطد سلطانهفي ديار بكر وآمد وحلب ، واسر ارمانوس ملكالروم. وفي اوائل عام ٤٦٥ توجه لقصد بلاد الترك وعبر جيحون فانتصر ثم قتل .

الدمية ص ١٤ : توفى طغرلبك عام ٤٥٥ في الري وخلفه الب ارسلان ابن اخيه داود ... فأوغل في بلاد الخزر وبسط سلطانه على ديار بكر وآمد وحلب واسر ارمانوس ملك الروم وفي اوائل عام ٤٦٥ توجه الى بلاد الترك وعبر نهر جيحون فانتصر ثم قتل .

أ – الطاهر يرشد إلى مصادر نصوصه في الهامش ، أما العـــاني فلم يشر إلى أي مصدر .

ب – لم ترد الفقرة السابقة في مصدر قديم بهذه الصياغة ولا بهذا الترتيب ولا مجموعة هذا الجمع ، وانما هي صياغة الطاهر وتابعه محقق الدمية دون ان يشير اليه أو إلى غيره .

٥ – الشعر العربي ١ – ٥٤ : يحتل القادريون من بني العباس،وعلى رأسهم الخليفة ، المنزلة الأولى في المجتمع .

الدمية ص ١٥ : كان بنو العباس ، وعلى رأسهم الخليفة ، يحتلون المنزلة الاولى من المجتمع .

أ – مصدر الاول ابن الاثير ١٠–١٢ وما بعدها .

ب – الثاني بلا مصادر ، والعبارة نفسها ولا يطمسها حذف (القادريون) لأن بني العباس في هذه الفترة كلهم قادريون ، وقد ابدل (يحتل ..) بـ (كان بنو العباس .. يحتلون) .

٦ – الشعر العربي ١ – ٥٤ : ومنذ العصور الاولى للخلافة العباسية كان أهلها « طبقة مقفلة » لا يتحدث الآخرون بالزواج من بناتها ، ولكن طغرلبك حاول كسر هذه القاعدة بزواجه « الاسمي » من ابنة القائم .

الدمية ص ١٥ : ومنذ العصور الاولى للخلافة العباسية ، كون الخلفاء وذووهم طبقة خاصة ،لا يتحدث الآخرون بالزواج من بناتهم ولكن طغرلبك خرق هذه القاعدة حين تزوج من ابنة الخليفة القائم .

أ – مصدر الاول (الطاهر) : «زبدة النصرة» وابن الاثير وابن الجوزي ثم «سيدات البلاط العباسي» وصياغة العبارة لم ترد في هذه المصادر وانما هي للمؤلف .

ب – مصدر الثاني (العاني) أو مرجعه على الدقة : «سيدات البلاط العباسي» ولم ترد هذه الصياغة فيه .

جـ – ترجم الثاني (الطبقة المقفلة) عند الاول الى (طبقة خاصة) وغير (كسر) القاعدة الى (خرق) .

٧ – الشعر العربي ١ – ٥٥ : أما الخلفاء انفسهم وكانوا يتزوجون من

يشاؤون ، فقد تزوج القائم ارسلان خاتون بنت داود السلجوقي ، وتزوج المقتدى – وهو ولي عهد – بنت ملكشاه .

الدمية ص ١٥ – ١٦ : أما الخلفاء فكانوا يتزوجون بمن يشاؤون ، فقد تزوج القائم ارسلان خاتون بنت داود السلجوقي ، وتزوج المقتدر – وهو ولي عهد – بنت ملكشاه .

أ – مصدر الاول ابن الاثير والكامل و «سيدات البلاط» .

ب – مصدر الثاني سيدات البلاط ، وقد اخطأ بالمقتدى فجعله(المقتدر).

ج – العبارة للطاهر ، ونقلها محقق الدمية دون ان يشير اليه بل اشار الى سيدات البلاط ص ١٠٨ وهو خطأوصوابه١٣٩ كما في هامش«الشعرالعربي»

٨ – الشعر العربي ١ – ٥٥ : ولا يعني «الشرف» الثراء فلم يكن الخليفة وآله من كبار الاثرياء ولا سيما اذا قوبلوا بالسلاطين والملوك والامراء وغيرهم فقد كان الرجل الاغنى هو الاكثر نفوذا وسلطة .

الدمية ص ١٦ : ولم يكن الشرف يعني الغنى والثراء ، إذ لم يكن الخلفاء وذووهم من كبار الاثرياء اذا قيسوا بالسلاطين والملوك ، فلقد كان الاغنى هو الاكثر نفوذا .

٩ – الشعر العربي ١ – ٥٥ : ثم ان الحدود الطبقية مهما تبلغ ، لم تكن لتعوق الطمّح من أهل الطبقات الدنيا من امثال الكندري ونظام الملك وابن هبيرة من ان يبنوا مجداً جديداً يضاهي الامجاد التليدة أو يبزها .

الدمية ص ١٦ : ولم تمنع الحدود الطبقية ان يبني ابناء الطبقات الدنيا امجاداً شامخة بفعل القوة والدهاء كما فعل الكندري ونظام الملك وغيرهما .

أ – بدأ الثاني يتصرف في العبارة بنقل كلمة مكان أخرى أو حذف كلمات ، أما الصياغة فنفسها ، وأما التسلسل فتتابع امين .

١٠ – الشعر العربي ١ – ٥٥ : من الممكن ان ننسب الىالطبقة المتوسطة العمال وقادة الجيوش والتجار والاطباء ورجال الدين والتعليم والادب .

الدمية ص ١٦ : أما الطبقة المتوسطة فهم من العمال وقادة الجيش والتجار والاطباء ورجال الدين والتعليم والأدب .

أ - لاحظ المتابعة بذكر تسلسل الفئات ، وقد ابدل (الجيش) بالجيوش وحرص محقق الدمية ان يبدأ بالعمال وينتهي بالادب كما فعل الطاهر .

١١ - الشعر العربي ١ - ٥٦ : وأما العامة -وهم السواد الاعظم- فكانوا مادة الجيش ومنهم الفعلة والصناع والفلاحون،وكانت كلمة « عامي »و«سوقي» سبّة ولعل مرد ذلك ما كان عليه هؤلاء من جهل وفقر وسوء سلوك احياناً .

الدمية ص ١٦ : وكان العامة يشكلون السواد الأعظم ، فكانوا مـــادة الجيش ومنهم الفعلة والصناع والفلاحون والخدم ، وربما عدت كلمة (عامي) و (سوقي) سبة لما كان عليه هؤلاء من جهل وفقر وسوء سلوك احيانا .

أ - مصدر الاول ابن الجوزي ٨ - ٢٩٢ و « زبدة النصرة » .

ب - مصدر الثاني كتاب « العامة » للاستاذ بدري محمد فهد ص ١٨

جـ - وترجع الى كتاب « العامة » فتجده يتحدث عن الخدم وتقسيمهم إلى « الجواري والرقيق والخصيان » ولا يجوز اطلاقا (ويحسن هنا ان تضغط على كلمة اطلاقاً) للعبارة السابقة التي هي من صياغة الطاهر .

د - اخطأ محقق الدمية هنا مرتين الاولى حين نقل استنتاجا عن الطاهر حرفياً ولم يشر اليه ، والثانية حين نسب المأخوذ (ولا اقول المسروق) إلى بدري محمد فهد ، والاخير لم يقل ذلك ولا شبيهاً بذلك .

هـ - بدأ الطاهر جملته بـ « أما العامة » فاحتاج إلى الفاء في « فكانوا » أما العاني فإنه حين اثبت الفاء في « فكانوا » نسي أنه حذف « أما » .

١٢ - الشعر العربي ١ - ٥٦ : والعاطفة الدينيةمن أهم ما يحرك العوام.. وتدينهم هذا هو الذي جعل عواطفهم إلى جانب الخليفة اذا هاجمه السلطان.

الدمية ص ١٦ : ولهؤلاء العامة عواطف دينية كثيراً ما جعلتهم يقفون إلى جانب الخليفة اذا اختلف مع السلطان .

١٣ - الشعر العربي ١ - ٥٧ : والعياررون - وفيهم المدني وغير المدني - طراز آخر تمتد جذوره لعصور سبقتالعهد السلجوقي .. وجهة نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقا وقتلة وفساقا .

الدمية ص ١٦ : العيارون وترجع جذورهم إلى العصر البويهي ، وصفهم المؤرخون بأنهم سراق وفسقة وقتلة .

أ ـ مصدر الاول:«المنتظم» لابن الجوزي في صفحات متعددة ٨ ،٤٤، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، استنتج المؤلف الفكرة وصاغها في عبارته ، أما نص العبارة فلا يوجد في المنتظم .

ب ـ الثاني : اخذ العبارة واشار إلى المصدر نفسه ودون الصفحات نفسها.

جـ ـ قول الشعر العربي : « تمتد جذوره لعصور سبقت العهد السلجوقي» صحيح علميا لأنه يعني أنهم كانوا في العصر البويهي وما قبل البويهي. أما قول محقق الدمية : « وترجع جذورهم إلى العصر البويهي » فهو غير صحيح ، أي ان محاولة التحريف في عبارة الاول لطمس معالمها اوقعته في خطأ تاريخي .

١٤ ـ الشعر العربي ١ ـ ٥٨ : في كلامه المتصل عن العيارين : فقد كانت لهم منظمات ، وكان لهم رؤساء نعرف منهم « البرجمي » وقد ثاروا عام ٤٢٤ في جامع الرصافة ببغداد ورجموا الخطيب والقاضي قائلين : أما ان تذكر اسم البرجمي في الخطبة أو انك لا تذكر اسم الخليفة والملك .

الدمية ص ١٧ : وكانت لهم منظمات وخطط ورؤساء عرف منهم (البرجمي) وقد ثاروا سنة ٤٢٤ في جامع الرصافة ببغداد ، ورجموا الخطيب والقاضي قائلين : اما ان تذكر اسم البرجمي في الخطبة او انك لا تذكر اسم الخليفة والملك .

أ ـ الاول مصدره ابن الاثير ١١ ـ ٤٣ سنة ٥٣٣ .

ب ـ الثاني مصدره « الملل والنحل » للشهرستاني ١ ـ ١٤٧ ، ولم يحصر النص بين قوسين ، وليس في المصدر المشار اليه هذه الرواية ، وانما هي من الشعر العربي .

١٥ ـ الشعر العربي ١ ـ ٦٠ : والمجتمع اسلامي قبل كل شيء و«السنية» مذهبه « الرسمي » والحنفية مذهب الخلفاء والسلاطين والوزير الكندري ، ولكن الشافعية لم تلبث ان « استبدت » وكان نظام الملك من اعاظم معتنقيها والمدافعين عنها والعاملين على تأسيس مدارسها ، وللحنابلة اثرهم البين .

الدمية ص ١٧ : وكان المجتمع اسلامياً ، والسنة مذهب الدولة الرسمي ، أما المذهب الحنفي فكان مذهب الخلفاء والسلاطين الى ان وزر نظام الملك فغلّب الشافعية لأنه من اكابر معتنقيها والمدافعين عنها والعاملين على نشرها ، وكان للحنابلة بعض الشأن أيضاً .

أ – الاول مصدره ابن الجوزي ٨ – ٣١٢ أخذ قوله : « كان مذهب ابن حنبل الغالب في بغداد » .

ب – الثاني اشار إلى المصدر نفسه وكذلك الصفحة ، وليس فيه الكلام المنقول .

جـ – عبارة « مذهب الدولة الرسمي » لا يمكن ان تكون من لغة ابن الجوزي لأنها من مستخدمات العصر الحديث ، وقد اراد الطاهر ان يشير إلى ذلك فحصرها بين الاقواس .

١٦ – الشعر العربي ١ – ٦٠ : وكان المعتزلة يلقون عنتا، وينسبهم الناس إلى الكفر ، وكانوا يلعنونهم في الجوامع ، وكادوا يقتلون احد مدرسيهم .

الدمية ص ١٧ : أما المعتزلة فكان رأي الناس فيهم سيئاً جداً اذ نسبوهم الى الكفر وربما فتكوا ببعض مدرسيهم .

أ – مصدر الاول ابن الجوزي ٨ – ٢٣٥ وفيه : ان قوما هجموا على احد مدرسيهم فسبوه وشتموه وجرحوه ثم تركوه بعد صياحه خوف اجتماع أهل الموضع معه عليهم .

ب – الثاني يشير إلى المصدر نفسه ويتابع الاول في صياغته وتسلسل أفكاره ، وحرف عبارة الاول بان قال : « وربما فتكوا ببعض مدرسيهم » وهذا خطأ تاريخي ، اذ انهم لم يفتكوا بل « كادوا يقتلون » كما يقول الطاهر.

١٧ – الشعر العربي ١ – ٦١ : والصوفية منتشرة وكثيراً ما اتصلت بالشافعية .. وقد اعلن نظام الملك أنه صوفي .

الدمية ص ١٨ : وانتشرت الصوفية في هذا العصر، واتصلت بالشافعية.. حتى أعلن نظام الملك أنه صوفي .

أ – لاحظ متابعة الثاني للاول صفحة صفحة ، وفكرة فكرة، واستنتاجا بعد استنتاج

١٨ – الشعر العربي ١–٦١ : وكانت الشيعة منتشرة كذلك وكان منهم

في خراسان وفي استراباذ والري وطوس .. وكانت المنازعات بين السنة والشيعة تكاد تكون متصلة وفي الكرخ خاصة ، وكانت الشعائر من الاسباب المباشرة في ذلك .

الدمية ص ١٨ : ووجد الشيعة في خراسان واستراباذ والري وكرخ بغداد ولم تنقطع منازعاتهم مع السنة ، وكانت الشعائر من المناسبات التي لتثير هذه المنازعات .

أ – مصدر الاول المنتظم لابن الجوزي ٨ – ٢٣٩ وقد حصل خطأ طباعي فصارت الصفحة ٨ – ٤٣٩

ب – مصدر الثاني المنتظم أيضاً وقد تابع الاول فأخذ عنه الرقم المخطوء ٨ – ٤٣٩ لأنه لم يرجع الى الأصل وانما اخذ عبارة الأول وحاول التغيير فيها والتلاعب بها .

جـ – اهمل الثاني ذكر طوس وهي من مراكز الشيعة .

١٩ – الشعر العربي ١ – ٦٣ : ونظامية بغداد التي افتتحت في ١٠ ذي القعدة من سنة ٤٥٩ أهم هذه المدارس ، وهي تهيىء للطالب حاجاته من سكن وما الى السكن ، وتقدم له أربعة أرطال من الخبز في اليوم .

الدمية ص ١٩ : وتعد نظامية بغداد التي افتتحت في ١٠ ذي القعدة من سنة ٤٥٩ أهم هذه المدارس ، وكانت تهيىء للطالب حاجاته من سكن وما الى السكن ، وتقدم له اربعة ارطال من الخبز في اليوم .

أ – مصدر الاثنين المنتظم لابن الجوزي ٨ – ٢٤٦ وفيه : « واجرى للمتفقهة لكل واحد أربعة ارطال خبز كل يوم » .

ب – صياغة الفكرة للاول ، والاغارة عليها للثاني .

جـ – كيف اتفق الاثنان على « من سكن وما إلى سكن » و « من الخبز في اليوم » فلو كان محقق الدمية قد رجع الى المنتظم نفسه لنقل عبارته وقال : « خبز كل يوم » ولم يقل « الخبز في اليوم » .

٢٠ – الشعر العربي ١ – ٦٤ : وفي السنة التي بوشر فيها بتشييد النظامية

وصل بغداد شرف الملك ابو شجاع محمد بن منصور مستوفى السلطان وكان حنفياً شديداً في حنفيته ، فشيد مدرسة عند قبر ابي حنيفة .

الدمية ٢١ — : ففي السنة التي بوشر فيها بتشييد نظامية بغداد ، شيد شرف الملك ابو شجاع محمد بن منصور مستوفى السلطان وكان حنفياً شديداً في حنفيته ، مدرسة عند قبر ابي حنيفة . وبوشر في التدريس بها قبل نظامية بغداد .

أ — مصدر الاثنين المنتظم ٨ – ٢٤٥ والعبارة كلها بأسلوب الاول .

ب – زاد الثاني « وبوشر التدريس بها قبل نظامية بغداد » وعزا هذا القول الى المنتظم ٨ – ٢٤٥ وليس في المنتظم هذا الكلام ولا ما يشبه هذا الكلام

جـ – الرأي الاخير للمرحوم الدكتور مصطفى جواد نقله الطاهر في هامش الصفحة ٦٤ قائلا : « ويرى الدكتور مصطفى جواد ان الدراسة في هذه المدرسة سبقت الدراسة في النظامية » (المعلم الجديد جـ ٢ عام ١٩٤٠) فجاء العاني محقق الدمية فأخذ الخبر وخلطه بالخبر الاول ونسبه إلى المنتظم – وليس فيه – واغفل الطاهر ومصطفى جواد .

٢١ — الشعر العربي ١ — ٦٤ : وطبيعي ان تلحق بالمدارس مكتبات وقد كان للنظامية مكتبة ، وكانت المدن تضم عدداً من دور الكتب العامة التي تحتوي على أحسن المجلدات .

الدمية ص ٢٢ : وكان من الطبيعي ان تلحق بهذه المدارس مكتبات كبيرة ، ويقال : انه كان لنظامية بغداد مكتبة كبيرة .. احتوت على كل نفيس ومفيد من الكتب والمخطوطات .. وكانت المدن تضم عدداً من دور الكتب العامة التي تحتوي على أحسن المجلدات .

أ — المصدر المنتظم لابن الجوزي ، والعبارة للطاهر .

ب - زاد الثاني : «احتوت على كل نفيس ومفيد من الكتب والمخطوطات»

جـ — هل كانت الكتب قبل عصر الطباعة غير مخطوطات ؟ وهل كانت لديهم كتب مطبوعة وأخرى مخطوطة ؟ ومن أين جاء بالمخطوطات هذه ؟

٢٢ — الشعر العربي ١ — ٦٤ : وقد ورث العهد السلجوقي دور كتب

سابقة عليه مثل دار سابور ، ودار في البصرة احرقت عام ٤٨٣ وهي أول دار كتب عملت في الاسلام .

الدمية ص ٢٣ : وقد ورث العهد السلجوقي دور كتب سابقة عليه (محلية بالاصل تطبيع) إزدهرت في هذا العصر منها دار سابور . ودار في البصرة قيل أنها أول دار كتب عملت في الاسلام .

٢٣ – الشعر العربي ١/٧٠ : وكان عمر الخيام والاسطرلابي ممن زاول الفلك وعرف به ، والخيام هو الذي عمل التقويم الجلالي « نسبة إلى جلال الدين ملكشاه » .

وفي الهامش: وجاء في حتي ٢/٤٦١ : « أن هذا التقويم أكثر ضبطاً ودقة من التقويم الغريغوري ..

الدمية ٢٤ : فوضعوا أصول (التقويم الجلالي) المشهور الذي سمي بالجلالي نسبة الى السلطان جلال الدين ملكشاه ، وهذا التقويم في عرف أحد الثقات المصريين (ادق في بعض الوجوه من التقويم الذي نتبعه) .

أ – فكرة الأول وعبارته أخذها الثاني وخلط بها هامش الأول .

٢٤ – الشعر العربي ١/٦٥ : وكان العصر « يعج » بالفقهاء والمحدثين وللمرء أن يتصفح مصادر العصر ليرى ذلك بارزاً فمن فقهاء الشافعية :

الدمية ص ٢٤ : وعج القرن بالفقهاء والمحدثين والعلماء نورد بعضاً منهم على سبيل المثال ، فمن علماء الشافعية ...

أ – الأول استعمل « يعج بالفقهاء والمحدثين » ورأى في العبارة استعمالاً غير مألوف فوضع « يعج » بين قوسين .

ب – جاء الثاني فأخذ التعبير وما بعده دون تحفظ .

جـ – يبدأ الأول بذكر أسماء الفقهاء ويتابعه الثاني بذكر الأسماء نفسها دون تغيير مع العلم أن العصر (يعج بالفقهاء) .

٢٥ – الشعر العربي ١/٦٥ : ومن فقهاء الشافعية : (ويعرف المؤلف بالفقهاء حسب وفياتهم وهم عنده كالآتي) : الماوردي توفي ٤٥٠ ، والقشيري ٤٦٥ ، والشيرازي ٤٧٦، والجويني ٤٧٨ ، وابن الصباغ ٤٧٧، والشاشي٥٠٧.

الدمية ص ٢٤ — ٢٥ : فمن علمـــاء الشافعية : (ويسرد أسماء العلماء أنفسهم مع تغيير في ترتيبهم على هذا النسق) : الجويني ، والماوردي ، والشيرازي ، وابن الصباغ ، والشاشي

أ — نقل الثاني معلومات الأول نفسها وغيّر ترتيبهم ، والأصل أن يرتبوا حسب الوفيات .

ب — الأول يدرس عصراً أدبياً كاملاً فاحتاج الى هؤلاء العلماء وغيرهم ، أما الثاني فينتهي اهتمامه بالعصر الى سنة ٤٦٧ هـ ، وفيها قتل الباخرزي صاحب الدمية ، فما علاقة الشاشي وغيره ممن توفوا بعد الباخرزي ؟

جـ — لعل المتابعة غير الواعية ساقت الثاني هذا المساق ، أو لعل له عذراً.

٢٦ — ما قلناه في الشافعية يصدق على ما جاء عن الحنابلة والحنفية والشيعة والمؤرخين . انظر الشعر العربي ١/٦٥ — ٦٦ وقابل ذلك بالدمية ٢٤—٢٥ ، علماً بأن محقق الدمية ذكر من علمــاء الشيعة الطبرسي المتوفي ٥٤٨ هـ . فما أبعده عن عصر الباخرزي ٤٦٧ هـ ؟

٢٧ — الشعر العربي ١/٦٧ : وكان للنساء مشاركة في العلوم الشرعيـة ولا سيما الحديث والوعظ ، ومن أولئك خديجة بنت موسى المعروفة ببنت البقال توفيت ٤٣٧ .. وخديجة الشاهجانية المتوفاة ٤٦٠ .. كريمة بنت أحمد المروزي .. وشهدة فخر النساء بنت أحمد .. سمع عليها خلق كثير وكان لها السماع العالي .

الدمية ص ٢٦ : وشاركت النساء في النهضة العلمية أيضاً فبرزت منهن فقيهات وواعظات كخديجة بنت موسى المعروفة بابنة البقال المتوفاة ٤٣٧ وخديجة الشاهجانية المتوفاة سنة ٤٦٠ .. كريمــة بنت أحمد المروزي .. وشهدة فخر النساء بنت أحمد.. سمع عليها خلق كثير وكان لها السماع العالي.

أ — الاول مصدره ابن الجوزي في مواضع متفرقة حسب وفيات النساء

ب — الثاني لا مصدر له ، ومتابعته للطاهر حاصلة والنقل الأمين موصول.

٢٨ — الشعر العربي ٢ — ١٢٤ : يعرض الشاعر في الشكوى واقعه وآلام

واقعه ، فينفجر غضبا وسخطا ويتحرق اسى ومرارة لما هو عليه من إهمال وهوان مع ما له من مواهب ومعارف ومطامح .

الدمية ص ٢٨ : فكان الشاعر يعرض في شكواه واقعه وآلامه، فينفجر غضبا وسخطا ويتحرق اسى ومرارة لما هو عليه من اهمال وهوان مع ما له من مواهب ومعارف .

٢٩ – الشعر العربي ٢ – ١٢٨ : السخف والهجاء والغزل بالمذكر والخمر.

الدمية ص ٢٨ : وعرف شعر السخف والغزل بالمذكر في هذا العصر ايضاً

أ – السخف ليس من الموضوعات المعروفة وانما هو مما توصل اليه الطاهر في دراساته الخاصة في هذا الموضوع ولا سيما دراسته لابن الحجاج، انظر الشعر العربي ١ – ٧٣ .

٣٠ – الشعر العربي ٢ – ١٧٣ : يجد الباحث مختلف وجوه البلاغةالعربية في المعاني والبيان والبديع .

الدمية ص ٢٨ : وقد استغلوا مختلف وجوه البلاغة العربية من معان وبديع وبيان .

أ – المستعمل : اغراض أو موضوعات البلاغة ، وافتن الطاهر فاستعمل « وجوه البلاغة العربية » ولعل كلمة « وجوه » عند الطاهر من اثر ثقافته الفرنسية .

ب – أخذ محقق الدمية هذا الاستعمال وغيره دون تحفظ .

٣١ – الشعر العربي ٢ – ٢٠٥ : وليس بين العدد الضخم ممن رأينا من شعراء هذا القرن من يبلغ صف شعراء العرب الكبار من اعلام العصورالسالفة

الدمية ص ٢٩ : فمع وجود العدد الضخم من شعراء هذا القرن ، لا ترى شعراء كبار كالذين ظهروا في القرون السابقة .

٣٢ – الشعر العربي ١ – ٧٠ : فكان النثر مثقلا بالصناعة اللفظية وما تقتضيه هذه الصناعة من تكلف الجناس والطباق والسجع.. وتتضمن مقامات الحريري اشهر نصوص الانشاء الأدبي في العصر .

الدمية ص ٢٩ : أما النثر .. لتحل مكانها الصناعة اللفظية وما تقتضيهمن

تكلف في انواع الجناس والطباق والسجع .. وتتضمن مقامات الحريري ... نصوصاً كاملة للانشاء الأدبي الذي عرف في هذا العصر .

٣٣ – الشعر العربي ١ – ١٥٤ : الرئيس الأديب ابو القاسم – أو ابو الحسن – علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخرزي السنجي . (وفي الهامش) : وقد وردت النسبة في طبعة ماركليوث لمعجم الأدباء السنخي وذلك تصحيف وقعت فيه ايضاً الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية ٤ – ٤٦٢ ولا غرو لأن كاتب المادة الأصلية هو ماركليوث نفسه ، وتنبهت طبعة دار المأمون من الارشاد إلى التصحيف .

الدمية ص ٣١ : هو الرئيس الأديب ابو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي السنجي (وفي الهامش) : وقد وردت التسمية في معجم الأدباء طبعة ماركليوث (السنخي) وهو تصحيف وقع في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية أيضاً ٤ – ٤٦٢ لأن كاتب المادة فيها هو ماركليوث نفسه وتنبهت طبعة دار المأمون الى التصحيف .

٣٤ – الشعر العربي ١/١٥٨ : ومن ماجريات حياته بهذا الصدد ما رواه هو نفسه عن صلته بالكندري فقال :

الدمية ص ٣٣ : ومن ماجريات حياته بهذا الصدد ما رواه هو نفسه عن صلته بالكندري قال :

أ – النقل هنا أمين لم يغير فيه غير حذف الفاء من (فقال) .

ب – ليت شعري هل ال (ماجريات) هذه من « التحف » التي يحرص محقق الدمية عليها ؟

٣٥ – الشعر العربي ١ / ١٦٠ : ويروي البيهقي حكاية اللقاء على شكل آخر فيقول : « ورد عليه وهو في صدر الوزارة .. » والمعقول أن نصدق الباخرزي في ذلك وأن نتخذه حجة تضعف قول العماد .

الدمية ص ٣٣ – ٣٤ : ويذكر البيهقي حكاية اللقاء على شكل آخر فيقول : ورد عليه وهو في صدر الوزارة .. والمعقول أن نصدق الباخرزي في ذلك وأن نتخذه حجة تضعف رواية العماد .

أ – هناك رأيان رأي البيهقي ورأي الباخرزي ، ولذلك يجب أن يقول محقق الدمية : تضعف حجة البيهقي » وليس العماد لأن الرواية منقولة عن البيهقي ولا ذكر للعماد هنا،ولكنه رأى الطاهر ذكر العماد فاتبعه دون وعي.

ب – كان لذكر العماد لدى الطاهر ما يسوغه إذ ذكر رأياً للعماد بعد ذلك هو قوله : « ورد بغداد مع الوزير الكندري » أما محقق الدمية فحين أخذ عبارة الأول نسي أن ينقلها كاملة فوقع في الخطأ .

٣٦ – الشعر العربي ١٧٢/١ : ولم تختلف أحكام النقاد الفرس عن أحكام العرب ، فقال عوفي مثلاً : لقد أصبح – الباخرزي – في اللغتين علماً يرتفع فوق أرجاء العالم ، وتمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين » .

الدمية ص ٤٠ : وجاءت أحكام الفرس موافقة لهذا الكلام فقال عوفي : لقد أصبح – يعني الباخرزي – في اللغتين علماً يرتفع فوق أرجاء العالم وتمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين .

أ – مصدر الأول تاريخ الأدب في إيران لبراون ترجمة ابراهيم الشواربي صفحة ٤٥٢ .

ب – الثاني أخذ عبارة الأول والنص ونسب ذلك إلى العوفي « لباب الألباب » ص ٤٧ .

ج – كتب العوفي كلامه بالفارسية فمن أين لمحقق الدميـــة هذه الترجمة وبهذه الصياغة .

٣٧ – الشعر العربي ١٦٥/١ : ويقال أنه أنشأ بالفارسية وهو في حالة النزع هذه الرباعية :

انني ذاهب ... فتعال الآن وانظر قبل الرحيل
وإلى فراق الأحبة .. والى سيف الأجل القاطع الوبيل

في الهامش (الشواربي في ترجمته لبراون ص ٤٥٣ نقلاً عن العوفي).

الدمية ص ٤٣ : ويقال انه أنشأ وهو في حالة النزع :

انني ذاهب .. فتعال الآن وانظر قبل الرحيل

وإلى فراق الاحبة .. والى سيف الأجل القاطع الوبيل .

أ – لقد وقع خطأ في نقل النص عند الاول في البيت الاخير ، وصوابه كما في براون :

« ... وإلى سيف الأجل القاطع الثقيل »

ب – جاء محقق الدمية – ولم ينقل عن براون كما زعم في الهامش – وانما نقل عن الأول فأخطأ مثله فوقع في (الوبيل) .

وبعد فقد قرأت سبعا وثلاثين صفحة (ص ١١ – ٤٨) من كتاب دمية القصر بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني، وتجمعت لدي سبع وستون ملاحظة من مثل الملاحظات السابقة غير الملاحظات الاخرى، التي لا تدخل في باب النقل الحرفي ، واخترت منها سبعا وثلاثين نقطة بعد الصفحات التي قرأتها وراجعت عليها ، وأوثر ان اقف عند هذا الحد ، تخفيفاً عن القارىء ، وطرداً الملل الذي اعتراني قبل غيري ، وقد تجاوزت عن كثير من النقاط التي فيها اقتباس أو تلخيص أو تبديل أو استفادة، وانما اهتممت بالنقل المباشر باللفظ والمعنى(١).

وبعد فإننا حين نلزم الطلبة والناشئين بأصول البحث العلمي تثبيتاً للقواعد الجامعية وإحياء لسنة الأجداد في امانتهم في البحث والتأليف ، أفليس من الأولى ان يلتزم المؤهلون بكل ذلك ؟ فالاستاذ – مهما تكن حقيقة منزلته ومرتبته – قدوة لغيره من الأدباء والباحثين والطلبة ، واذا كان المحقق لا يعرف حق البحث في رسالة جامعية أشرف عليها اساتذة افاضل هي رسالة الدكتوراه فكيف حاله في كتاباته الاخرى التي لم يشرف عليها أحد ؟!.

إن للبحث أصوله ، وللتحقيق أسبابه ، وللتراث حرمته ، فلنتق الله – جميعاً – في كل اولئك .

الدكتور يحيى الجبوري

---

(١) وتسأل هل ذكر محقق الدمية كتاب الشعر العربي في العصر السلجوقي ؟ فأقول نعم ذكره ثلاث مرات فقط ص ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، لم تدخل في اللاحظات التي ذكرتها .

أحمد محمد جمال :

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣ ، تخرج في المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٩ ، عين كاتباً في المحكمة الشرعية ، ثم صار سكرتيراً لتحرير جريدة « البلاد السعودية » ثم شغل وظائف في التعليم والجوازات والإذاعة .

وفي سنة ١٣٧٥ عين عضواً في مجلس الشورى . ويقوم إلى ذلك بتدريس مادة الثقافة الاسلامية بالجامعة الأهلية بجدة ..

١ - استعمار وكفاح : بيروت مطابع دار الكشاف ، ط ١ ، رجب ١٣٧٤ / فبراير ١٩٥٥ ، الناشر : مكتبة الثقافة - مكة المكرمة ، ٩ - ٢٢٢ - ٢٢٧ ص . فيه معلومات ومطالعات سياسية عن هيئة الأمم، الجامعة العربية .. ومعظم فصوله كانت تذاع من محطة الإذاعة السعودية تحت عنوان: ثقافتك السياسية ، وكان بعضها ينشر بالصحف : (إنني في سبيل هذه الفصول لقيت عنتاً من احتجاجات بعض السفارات الأجنبية على مـــا تضمنته هذه البحوث التاريخية السياسية من فضائح الاستعمار ومجازره ... واتهمت أخيراً بالشيوعية) . ينظر أدناه « نحو سياسة عربية صريحة » للمؤلف نفسه .

٢ - الإسلام .. أولاً : ط١ ، دار الثقافة للطباعة والزنكوغراف (بمكة) ١٣٨٤ / ١٩٦٥ ، ٥ - ٣٤ + ٢ ص . هي المحاضرة الأولى في الموسم الثقافي لمديرية التعليم بمكة ١٠ / ٨ / ١٣٨٤ .

٣ — تاريخ البلد الحرام : الكتاب معروف بإعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام . اختصار عبد الكريم بن محب الدين القطبي .

الأصل : إعلام الأعلام بأخبار المسجد الحرام لقطب الدين بن علاء الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٩٠ . حققه وعلق عليه أحمد محمد جمال الدين وعبد العزيز الرفاعي . ط ١ مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ — يطلب من مكتبة الثقافة بباب السلام — مكة (لجنة النشر العربية — مكة المكرمة — كان أول اجتماع للجنة في ١٢ / ٣ / ٦٦ ، وكان أول كتاب أصدرته قصة « فكرة » للأستاذ أحمد السباعي) .

٤ — تاريخنا لم يقرأ بعد : مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٧ / ١٩٦٧ ، ٣ — ٣١ + ١ ص . نص المحاضرةالتي ألقيت بدعوة من رابطة العالم الاسلامي في موسمها الثقافي بمكة المكرمة ٢٥ / ١١ / ١٣٨٥ — المحاضرة الخامسة . — دين ودولة ينظر أدناه : « على مائدة القرآن » .

٥ — رفقاً بالقوارير : مكة ، مطابع دار الثقافة ١٣٨٥ / ١٩٦٥ ، ٩— ٤٤ + ٥ ص.المحاضرة الثالثة في الموسم الثقافي لمديرية التعليم بمكة ١٣٨٤/٩/٦.

٦ — سعد قال لي: (قصص اجتماعية ، انتقادية على شكل حديث أماسي — ١٢ مساء) . القاهرة ، طبع بدار الكتاب العربي ١٠ — ٩١ — ٩٥ ص ١٣٦٦ . يقول المؤلف ص ٦ :(يجب أن نعتذر — سلفاً — عما عساهم يفتقدونه في هذه القصص التي رويناها عن سعد ، من الفنية القصصية التي يجدونها في قصص الكتاب المصريين ، فلسنا — بحمد الله — ممن يتوفر على قراءة القصة وكتابتها ، ويعنى بحفظ شرائطها .. وإنما القصة عندنا : الحديث الذي له بدايةونهاية، وفيه رمز مفهوم ، وعبرة متناولة ، وهذا غاية ما يفترضه المذهب الأدبي القائل : بـ (الفن للحياة) أما التجميل والتهويل والتطويل وافتراء الخيال التي هي بعض مطالب المذهب الأدبي الآخر القائل بـ (الفن للفن) ، فليس ذلك بسجية من يكتب للإصلاح المفهوم ...)

٧ — الطلائع (شعر) : القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٣٦٦ ، ٨ — ١١١ ص (يطلب من مكتبة الثقافة بمكة) .

٨ — على مائدة القرآن (تفسير موضوعي صدر في سلسلة بأربعة أجزاء ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٨١ لكل جزء اسم .

ج ١ : ما وراء الآيات . ط١ ، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ١٣٧١ / ١٩٥٢ (ملتزم النشر : مكتبة الثقافة بمكـــة) ، (أصلها أحاديث أذيعت بين عامي ١٣٦٩ — ١٣٧٠) ٧ — ١٠ — ١٧٧ — ١٨٠ص.

جاء في المقدمة : (أول بحث من نوعه يجمع أشتات القصص والأحداث الرائعة الشائقة التي سبّبت نزول آيات القرآن الكريم ... بأسلوب عصري مع تعقيبات حـــرة جريئة بأحداث المسلمين اليوم على ضوء تلك القصص والأحداث التي لم تذكر صريحة في القرآن وإنما جاءت وراء آياته وحفظتها كتب التفسير والسنة والتأريخ .

... تلبعت دعوة الإخوان المسلمين بضع سنين قبل صداقتي للإمام الشهيد حسن البنا .. ولا أجد اليوم غير هذا الكتاب الذي هو دعوة من دعوتهم وقبس من فكرتهم ، أقدمه ترحماً على الإمام الشهيد تحية للعاملين بعده على نهجه الرشيد) .

ج ٢ : دين ودولة . القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .

ج ٣ : مع المفسرين والكتّاب (نقد ودراسات لآراء ومذاهب من المحدثين الباقوري ، العقاد ، قطب ، من القدامى : الطبري ..) . القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ، ١٩٦ ص + فهرس .

ج ٤ : مبادىء ومثل . القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، ١٣٨١ ، ٢٧٧ ص .

٩ — ماذا في الحجاز؟ (دراسة لحالة الحجاز الأدبية والثقافية) القاهرة ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٦٤ / ١٩٤٥ ، ٩ — ٦٢ + ٢ ص ص (يطلب من مكتبة الثقافة بمكة).

ملاحظة : أعلن في « الطلائع » سنة ١٣٦٦ ، أن الجزء الثاني يصدر قريباً باسم (جيل مجهول) .

– ماذا وراء الآيات ينظر أعلاه : على مائدة القرآن للمؤلف نفسه .

– مبادىء ومثل – ينظر أعلاه : على مائدة القرآن للمؤلف نفسه .

١٠ – مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون : ط١ مكة المكرمة ، مطابع دار الثقافة ، ١٣٨٤/ ١٩٦٤ (منشورات رابطة العالم الاسلامي). (محاضرة القاها بجدة بدعوة من منطقة التعليم في حفل الموسم الثقافي ١٢/٣/ ١٣٨٤) : ٣٤ص.

١١ – مسؤولية العلماء في الإسلام مكة ، مطابع دار الثقافة ، ٣ – ٣١ (المحاضرة السادسة التي ألقيت في الموسم الثقافي لنادي الوحدة الرياضي بمكة المكرمة ليلة ٢٧ / ٧ / ١٣٨٦ . وفيها إعلان : المحاضرة السابعة : مهمة الحاكم المسلم تصدر قريباً .

– مع المفسرين والكتاب ينظر أعلاه على مائدة القرآن للمؤلف نفسه .

١٢ – مكانك تحمدي : بيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، (طبع على مطابع دار لبنان للطباعة والنشر ١٣٨٤ / ١٩٦٤ ، ٨ – ٢٥٢ – ٢٦٢ (تحيات وتعقيبات) + ١ .

من المقدمة : (هذا الكتاب أعددته من أجل الفتاة العربية في كل بلد عربي ومن أجل الفتاة السعودية بخاصة .. طبيعة المرأة ووظيفتها ... ان الكتاب في جملته دعوة صريحة مخلصة للمرأة العربية المسلمة إلى معرفة حقيقتها ... في طبيعتها كأنثى ووظيفتها كزوجة وأم .. وهو – أي الكتاب – نذير عاجل صارخ للفتاة السعودية أن تعود إلى قواعدها سالمة ، بعد أن بدأ التحلل والتفسخ يجرفها إلى الهاوية ... ويخرجها عن طبيعتها ووظيفتها .. ١٠ / ٤ / ١٣٨٤ = ١٨ / ٨ ١٩٦٤) .

١٣ – من كشمير إلى فلسطين وخطر الصهيونية والصليبية على الاسلام ، مكة ، مطابع دار الثقافة د. ت. ٥ – ٣٣ – ٣٥ (المحاضرة الرابعة في الموسم الثقافي لمديرية التعليم بمكة في رمضان ١٣٨٥ .

١٤ – نحو سياسة عربية صريحة : مكة ، مطابع دار الثقافة ١٣٨١ / ١٩٦٢ (مطالعات ودراسات حول السياسة العربية الحاضرة وقضايا العرب ومشاكلهم ، وجامعة الدول العربية والاشتراكية الناصرية ومسؤولية الزعماء

العرب والخلاف بين الاسلاميين والقوميين والوحدة العربية لماذا فشلت وكيف تنجح »، ٣ - ١٧٩ - ١٨٠ ص . ويذكر المؤلف : هذا الكتاب هو الجزء الثاني للكتاب الأول : « استعمار وكفاح » الذي صدر سنة ١٩٥٥ ينظر استعمار وكفاح في أعلاه .

١٥ - واجب المسلمين في نشر الإسلام : ط ١ ، مكة ، مطابع دار الثقافة ، ذو الحجة ١٣٨٥ ، ٤ - ٥٥ (محاضرة ألقيت في مقر رابطة العالم الاسلامي بمكة في ٢٩ / ١١ / ١٣٨٥ .

ملاحظة : في اعلان له عن كتبه في ديوان الطلائع ذكر: ١ - أبو العلاء فريسة حرمان .. ٢ - التاريخ يكذب .. ٣ - جهاد قلم .. ٤ - الحب الحائر (قصة نثرية شعرية) .. على أنها تصدر قريباً .

أحمد بن محمد المنقور (التميمي النجدي) : توفي سنة ١١٢٥ ، والمنقور لقب له لأنه من قبيلة قيس بن عاصم المنقري الصحابي- ترجم للمنقور صاحب السحب الوابلة .

١ - جامع المناسك الثلاثة الحنبلية : دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، تحقيق محمد زهير الشاويش ، ١٣٧٩ ، ن - ١ - ١٥٩ - ١٦٨ ص ص.

٢ - الفواكه العديدة في المسائل المفيدة : دمشق ، منشورات المكتب الإسلامي ؛ مجموع فقهي طبع على نفقة الشيخ علي آل ثاني- حاكم قطر بمشورة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع واهتمام المحسن الفاضل قاسم بن درويش فخرو. ج ١ ، ط١ ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ ، ٦ - ٥٥٩، ٥٨٩ ص. ج ٢ ، ط ١ ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ ، ٥ - ٣٩٢ - ٤٥٠ . الكتاب مشهور في البلاد النجدية باسم «مجموع المنقور » . جاء في مقدمته : (.. هذه مسائل مفيدة وقواعد عديدة ، وأقوال وأحكام مهمة ، لخصتها من كلام العلماء ، ومن كتب السادات القدماء وأجوبة الجهابذة الفقهاء بعد الإشارة من شيخنا وقدوتنا عبد الله بن محمد بن ذهلان ، نزيل الرياض وقاضيها . وقد ظن بعض طلبة العلم أن هذا المجموع حاشية لمتن « الإقناع » وليس كذلك . في الجزء الأول : كتاب الطهارة . كتاب الحج ... في الثاني : الوصايا ..

٣ – تاريخ الشيخ احمد بن محمدالمنقور – تحقيق ونشر الدكتور عبدالعزيز الخويطر – ط ١ الرياض (١٣٩٠/١٩٧٠) ١٠٨ ص ، دراسة ونصوص .

أحمد الناصر الشايع :

١ – نسمات الربيع (شعر) : ط ١ ، الرياض مطابع نجد التجارية ، ١ محرم ١٣٨٤/١٩٦٥ ، ١٣ – ١٨٥ + ٤ ص .

ولد المؤلف في الزلفي سنة ١٣٣٩ .

أحمد بن ناصر بن غنيم :

١ – « الكمال في نهي المسلم عن الأكل والشرب بالشمال » و« مختصر كتاب اليمين » . كلاهما تأليف أحمد بن ناصر .. ط ١ ، الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٨٠ ، ١ – ٤١ + ٣ ص .

٢ – فضل العمل وقيمته في أجر المسلم وغنيمته : ط ١ ، منشورات دار الثقافة الإسلامية بالرياض ، د. ت، د. ط، ٣ – ٤ – ١١٩ – ١٢٤ .

أحمد ياسين أحمد الخياري الأزهري : ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢١ . درس على والده .. ثم التحق بالأزهر ونال شهادة العالمية – ومن هنا يلقب أحياناً بالأزهري .. أنشأ عام ١٣٥٣ مدرسة التجويد في المدينة .. عين مديراً عاماً لمكتبات المدينة . توفي في ١٧ رجب من سنة ١٣٨٠ .

١ – أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم : ط١ ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٣٨٢ / ١٩٦٢ ، ٣ – ٥ – ٢١ + ٣ ص فيها ترجمة المؤلف وأسماء مؤلفاته الأربعة والعشرين . طبع الكتاب على نفقة الورثة .

٢ – التحفة الشمّاء في تاريخ العين الزرقاء : ط ١ ، مطبعة مجلة هدى الإسلام ، ١٣٥٤ ، ١٠ – ٤٠ ص . ورد اسم المؤلف على الكتاب : أحمد يسن أحمد الخياري المدني .

٣ – السر الموصول إلى آثار الرسول : ط١ ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، ١٣٨٢/١٩٦٢ ، ٣ – ١٣ + ٣ ص ، لترجمة المؤلف وأسماء مؤلفاته.

طبع على نفقة الورثة . من كتبه المخطوطة : تاريخ المدينة قديماً وحديثا . تاريخ المدينة المنورة في الشعر العربي قديماً وحديثا ..

ملاحظة :

أحمد بن يوسف قستي : ولد سنة ١٢٩٦ ، توفي سنة ١٣٦٧ بمكة . ترجم إلى الجاوية : طوالع الهدى والفصل بتحذير المسلمين عن الإعلام بوقت الصلاة بضرب الناقوس أو الطبل تأليف الشيخ محمـــد علي بن حسين مالكي (ينظر – كتاب دروس من ماضي التعليم ص ٥٣ – ٥٦ ، ٢٣٣ – ٢٤١).

ادارة « أم القرى » :

١ – البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد : أصدرته ادارة أم القرى، طبع بمكة المكرمة في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٤، ٢٤ ص .

إدارة المعاهد والكليات :

.. . . لم أجد بين أوراقي ما أدرجه هنا . وأتذكر من مطبوعاته كتاباً مدرسياً في تاريخ الأدب لمؤلف مصري ، وكراسة لمفردات المناهج ، العقيدة الواسطية ، لمحقق مصري (لعله أحمد شاكر) .

إدارة الحج العامة – تنظر وزارة ...

أدباء وشعراء في المملكة العربية السعودية :

١ – شاعر الإسلام محمد إقبال : مجموعة ما كتبه أدباء المملكة العربية السعودية وشعراؤها لمناسبة يوم إقبال ٢٤ مايس ١٩٥٧ ، من مطبوعات قسم الصحافة والثقافة في سفارة الجمهورية الإسلامية الباكستانية . جدة – مطابع دار الأصفهاني وشركاه ، ١٩٥٧ ، ٩ – ٨٠ ص .

أرامكو = (شركة الزيت العربية الأميركية) :

١ – صناعة الزيت في المملكة العربية السعودية : الظهران ، ١ مقدمة ، ٢ – ٣ فهرس ، ٤ – ٨٠ ص مصور . د. ت .

٢ ـ مختارات من قافلة الزيت : « هذا الكتيب .. يحتوي على مختارات مما نشر في « قافلة الزيت » منذ صدورها عام ١٣٧٣ حتى عام ١٣٨٠ .د.ط د.ت، وقافلة الزيت المجلة التي تصدرها بالعربية الشركة بالظهران ، والكتيب هدية من المجلة ـ ادارة العلاقات العامة : ٤ + ١ ـ ١٨٧ ص .

ملاحظة : تصدر الشركة تقارير لم أطلع عليها ، منها : ١ ـ صناعة الزيت في المملكة . ٢ ـ الغاز الطبيعي ـ٣ ـ موارد المياه في المنطقة الشرقية ٤ـالزراعة في المنطقةالشرقية ـ٥ ـ قبائل المنطقةالشرقية ـ٦ـالتقرير السنوي

اسعد درابزوني (طرابزوني) الحسيني المدني (ناشر)

١ ـ التعريف بما أنست دار الهجرة من معالم دار الهجرة .تأليف جمال الدين ابي عبدالله محمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٤١ .

تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال قاضي المستعجلة بالمدينة ٢٤ـ٧ـ١٣٧٢ ٨٢ ص ـ ٨٥ ، نشره أسعد ، ناشر كتاب:عمدة الأخبار ، عبث الوليد

٢ ـ عبث الوليد وهو شرح المعري لشعر البحتري طبع بدمشق .

٣ ـ عمدة الأخبار في مدينة المختار للمحقق العلامة الشيخ أحمد بن عبدالحميد العباسي [السندي] . قام بتصحيحه وتحرير ألفاظه مولاي الجليل العلامة محيي السنة المحمدية الصالح السلفي الشيخ محمد الطيب الأنصاري .

« أوضح غوامضه وأضاف اليه ابحاثاً علمية .. ناشره السيد أسعد »

طبع مراراً ، أربع مرات (أو أكثر) من دون تاريخ . وقد اهدى الناشر الكتاب : (الى صاحب السمو سيدي ومولاي الامير فيصل الذي أعانني مادياً وشجعني أدبياً وقد مد إلي يد المساعدة اولا في اصدار كتاب « عبث الوليد » الذي اصدرته قبل عام .

وربما كانت هذه الطبعة الاولى مكتبة ومطبعة الشيمي ـ الاسكندرية ١١ ـ ٤٠٠ ـ ٤ + ٦ + ١١

وكانت الطبعة الثانية بمكتبة ومطبعة الشيمي بالاسكندرية ، ١٠ـ٣٧٥ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٢ + ١١ وفيها اهداء الى الامير طلال بتاريخ ٣ـ١١ـ١٣٦٧

وكانت الطبعة الثالثة بمطبعة المدني بالقاهرة .

وتطلب الرابعة من المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٨-٤٧٠-٤٧٢ص

وفي الكتاب خوارط ولوحات .

ذكر مرة ان المؤلف متوفى في القرن العاشر وذكر في أخرى ان زمن المصنف وتأليفه لهذا الكتاب كان في عام ١٠٣٥

أسعد محمد سعيد الحبال – مكتبة ،أسعد ... الحبال وأولاده بجدة . من مطبوعاته :

١ – أهم الأحكام في مناسك الحج والعمرة .

٢ – الحب الخالد قيس ليـــلى ط . القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٤ (سيصدر مجامع العشاق) .

٣ – ضياء السالك ، ١٣٥٤ .

٤ – قصة الزير سالم الكبرى (أبو ليلى المهلهل)،مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ، ١٥١ ص .

٥ – ملحة الإعراب للحريري . القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح،٤٨ص.

اسماعيل الانصاري – ينظر الآتي :

اسماعيل بن محمد الانصاري : ١ – الارشاد في القطع بمقبول الآحاد :

الرياض ، مؤسسة النور ، ٤ – ٢٠ ص ١٣٨٥ (؟). نشر اولا فيجريدة الدعوة التي تصدر بالرياض . في الرد على ما نشرته الجريدة في ١٠-٥-١٣٨٥ العقيدة الاسلامية للشيخ أبي زهرة .

٢ – **الإلمام بشرح عمدة الأحكام** – ج ١ ط١ دمشق ، مطابـــع دار الفكر ، ١٣٨١ - ١٩٦٢ ، ٦ - ٢٥٢ - ٢٥٤. الناشر دار الثقافة الاسلامية والمكتبة السلفية – الرياض .

الأصل : العمدة .. شرح الأحكام للجماعيلي (عبد الغني بن عبد الواحد)

واصل هذا : احكام الاحكام لمحمد .. بن دقيق العيد .
ورد أسم مؤلف الإلمام .. علي اسماعيل الأنصاري .

٣ — **التحفة الربانية** : في شرح الأربعين حديثاً النووية ومعها شرح الاحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي .

ط ١ ، مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٣٨٠،٥–١٠٤ص(طبع على نفقة عبد الرؤوف المليباري صاحب المكتبة السلفية بالرياض)

ط ٢ القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٣٨٠ ، ١٢٦ ص (طبـــع على نفقة عبد الرؤوف ..)

جاء في مقدمتها : « ما إن فرغنا من طبعه الأول ومضت عدة اسابيع حتى نفدت النسخ .. »

٤ — **تصحيح حديث ابن أبي خصيفة في التراويح** :

ط ١ ، مطابع العلم بالرياض ، ١٣٨٤ ، ٣ — ٣٠ ص

٥ — **من آثار رمضان** :

موضوعه: عدد ركعات صلاة التراويح ، جواز زيادتها الى العشرين ١٣٨٤ ١٩٥٦ لم أطلع عليه ، لعله الكتاب السابق نفسه .

٦ — **النبذة النحوية في أسئلة الأجرومية** :

ط ١ ، الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٧٦ — ١٩٥٧ ، ٤ — ٦٤ — ٦٦.
جمعها ورتبها الشيخ اسماعيل.. المدرس بمعهد إمام الدعوة في الرياض) .

ام القرى : تنظر إدارة أم القرى .

أمانة مدينة الرياض : تنظر المملكة ..

— **للبحث صلة** —

بغداد — كلية الآداب

علي جواد الطاهر

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول نسب قبيلة عائذ

كتب إليّ فضيلة النسابة الشيخ حمد الحقيل بأنه قرأ في العرب ص ٧٩٦ س ٥ أن الشيخ ابن خنين تميمي النسب وانه ذكر في كتابيه « زهر الادب » ص ٩٩ و « كنز الأنساب » ص ١٤٠ ، ان هذه الأسرة تنتسب إلى عائذ اعتماداً على ما استفاض وسمعه الشيخ في مجالس التعليم من الشيخ عبد الله العنقري وغيره وانه اتصل هاتفياً بالشيخ راشد بن خنين وكيل وزارة العدل فقرر بأنهم من عائذ ويطلب الشيخ حمد مني تقرير الصحيح الثابت ببرهان . وبعد أن أقدم لشيخنا الجليل الشكر محضاً خالصاً أوضح ما يلي :

١ – من المعروف أن قبيلة عائذ وان كانت صريحة النسب الا أن الأصل الذي تنمى اليه قديماً قد جهل ومن ثم جاء المثل : (عايذ عنه الأصل لايذ) وليست هي وحدها بين القبائل في ذلك فأعظم قبائل نجد وأكثرها عدداً تشاركها في هذا مثل عتيبة ومطير وغيرهما من القبائل التي ترجع الى أصول متفرقة قحطانية وعدنانية .

٢ – ومن المعروف أيضاً ان انتساب قبيلة عائذ إلى جنب جاء متأخراً ناشئاً عن أمرين أحدهما ضعف القبيلة وتفرقها وثانيهما انتشار قبيلة جنب في أطراف البلاد التي كانت قبيلة عائذ من بين سكانها ، ومن هنا ينبغي لنا أن نبحث عن زمان انتشار جنب .

٣ – أنا لا أستبعد أن قبيلة جنب انتشرت في وسط نجد في الخرج ونواحيه حوالي القرن العاشر الهجري وما بعده ، ذلك اننا حينما نبحث عن ذكر لهذه القبيلة بين قبائل نجد قبل ذلك الزمن لا نجد لها ذكراً وان كانت المصادر التي توضح هذا لا تزال تنقصنا .

٤ – اننا نجد بين قبائل نجد في القرن الثامن الهجري بل فيما قبله الى آخر القرن السادس ذكراً لقبيلة عائذ فنجد ابن فضل الله العمري وهو يذكر

عرب العارض يقول : (عائذ: بنو سعد دارهم من حرمة الى جلاجل والتويم ووادي القرى وليس بالوادي المقارب للمدينة النبوية زادها الله شرفاً ويعرف بالعارض ، ورماح والحفر ، وحدثني أحمد بن عبد الله الواصلي أن بلادهم بلاد خير ذات زرع وماشية ،بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعم سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة قال : وكان المظفر بيبرس الجاشنكير همّ بقصده واللحاق به والمقام فيه وأن يكون فيه كواحد من أهله مرتزقاً من سوائم الابل والشاء قال : ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت ولو وجه اليه وجهه كان أحمد لمنتجعه وأدنى لعوده إلي صلاح الحال ومرتجعه [1] ويورد ابن فضل الله اشارة تدل على قوة قبيلة عائذ بحيث أن بعض قبائل العارض تنتمي اليهم فحينما يعدد الذين ينضافون الى أمرة آل فضل يقول (وفرقة من عايذ وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس والمزايدة وشيخهم ابن أبي محمد [2] .

وحينما يتحدث عن منازل بني يزيد يقول : (دارهم ملهم وبنبان وحجر ومنفوحة وصياح والبرة والعويند وجو . ويقول عن المزايدة : دارهم البخراء وحرمة وهي حرمة أخرى غير التي تقدم ذكرها . وسيحة الدبيل والهريم والبريك ونعام والخرج [3] انتهى ، ومن المعروف ان آل يزيد وآل مزيد من بقايا بني حنيفة ولعلهم انضووا الى عائذ عند ضعفهم .

٥ — ان المصادر التي اطلعت عليها عندما تذكر قبيلة عائذ تقف عند قول (عائذ بطن من سعد) ويرد في بعضها من بني سعيد واعتقد هذا تحريفاً قديماً لعله جاء في احدى مخطوطات « مسالك الأبصار » ومصدر هذا الكتاب هو الحمداني الذي كان يوماً ما مديراً للضيافة عند سلاطين المماليك في القرن السابع الهجري والذي عني عناية فائقة بتسجيل أنساب من يرد الى مصر من العرب في عهده ، وعن كتاب ابن فضل الله العمري نقل من جاء بعده كالسيوطي في « قلائد الجمان » والقلقشندي في « نهاية الأرب » وغيرهما ، وورد الأسم

---

(١) مسالك الأبصار ج ٤ الورقة ٩١ نسخة أياصوفيا رقم ٣١٧ ٤ .
(٢) الورقة ٧٧ المصدر المتقدم .
(٣) الورقة ٩٢ المصدر المتقدم .

في كتابي الاخيرين بالصورتين المتقدمتين أي سعد وسعيد وكذا في « تاريخ ابن لعبون » الذي نقل طرفاً مما ذكره من اشرنا اليهم وزاد على ذلك قوله : واما بنو عائذ فقال في شرح ذات الفروع : (بنو عائذ بن ربيعة بن عقيل قال : كان سعيد بن فضل الطائي قد غزاهم في الف وخمسمائة فارس فوافاهم خلوفا قد غزوا ربيعة الفرس فأخبروا ان طيا قد استاقت اموالهم فرجعوا وادركوهم فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل سعيد بن فضل واسر ولده وأخذ من خيلهم الف قليعة وقتلوا قتلاً ذريعاً . انتهى

وذكر أن آل يزيد والمزايدة والدواسر يعدون من عائذ وأضاف بأن الذي استفاض في منازلهم انها ما بين العيينة الى حدود الدرعية وهو بهذا يعني آل يزيد وقد وهم حيث عدهم من عائذ فآل يزيد من بني حنيفة والدواسر كما هو معروف من الأزد من قحطان ولا صلة لهم بعائذ وبالإجمال فإن انتساب عائذ الى ربيعة عقيل أقرب إلى الصحة من عدهم في عبيدة من جنب لأن ربيعة عقيل كانت منتشرة في المواضع القريبة من البلاد التي تسكنها عائذ منذ العهد القديم بخلاف جنب .

٦ – أما القول بأنهم بطن من بني سعد – وأرجحها على سعيد – فذلك أن منازل بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانت منتشرة في وسط نجد في اليمامة في وادي سدير وفي الخرج وغير ذلك من المواضع ولهذا فأنا لا أستبعد أن قسماً من عائذ تميمي النسب .

٧ – لقد أورد شيخنا الشيخ حمد في كتاب « كنز الأنساب » ما هذا نصه : وفي (عائذ ربيعة) يقول صاحب ذات الفروع في الأنساب :

و (عائذ) الشم الذين اليهمُ ... من المجد غايات العلا تتأوب
وقائعهم مشهورة فسلوا بها ... (سعيد بن فضل) والذين تألبوا

وهذا نص صريح على أن قبيلة عائذ ليست قحطانية النسب لأن القصيدة في نسب بني اسماعيل ومعروف أن قبيلة جنب من قحطان .

هذه الملمة موجزة حول الاختلاف في أصل هذه القبيلة وقد نتبعها بما نعرف عن انتساب آل خنين إلى تميم متى تيسر ذلك .

حول بيشة

ويتابع الأخ الأستاذ جابر الطيب بن علي حديثه عن وادي بيشة باعتباره أهم وديان المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، مبتدئاً بنهاية العامر منه من الجهة الشرقية فيقول : آخر قرية تقع على عدوة الوادي من الجهة الشرقية هي قرية الجنينة تصغير جنة ، تقع على ربوة تحيط بها الحدائق الجميلة من جميع الجهات ، بينما كانت في الماضي تنحصر بساتينها في الجهة الغربية بينها وبين الوادي عندما كانت الفلاحة تعتمد على الحيوانات في اخراج الماء ، أما بعد توفر الآلات التي بواسطتها يستخرج المـــاء ، فقد ازدهرت هذه القرية بحيث أصبح القادم إلى بيشة يعجب بما يراه من كثرة الآبار والنخيل والأراضي المزروعة .

ووادي بيشة بالقرب من قرية الجنينة يقارب عرضه كيلاً ونصفا ، لأنه استوعب معظم روافده مثل ترج وهرجاب وتبالة ، وماء الوادي قريب من سطح الأرض بحيث لا يزيد على أربعة أمتار وهو عذب وغزير في بعض الآبار وتتأثر المياه قوة وطعماً عند تأخر نزول الأمطار ، وقرية الجنينة تقع على حدود أرض تدعى (المهمل) وليس وراءها شيء من القرى وسكانها بنو سعد من قبيلة أكلب ، وأكلب من خثعم ، وسكان وادي بيشة وروافده معظمهم من شهران وأكلب .

ويلي قرية الجنينة قرية المحتجبة ، – بضم الميم وكسر الجيم – وتقع على عدوة الوادي من الجهة الغربية ، ولعلها سميت بذلك لوقوعها في أسفل جبل يحجب رؤيتها،فلا يراها القادم من بعد ، وسكانها من بني سعد أيضاً .

ويليها قريتا الشقيقة السفلى والعليا لآل منيع وبني سعد من أكلب .

ثم قريةالخرسعة– بفتح الخاء والسين – وسكانها من آل منيع .

ثم قرى عطف الجبرة ، وهى أربع : عطف الجبرة والدوار والديلمي السفلى والديلمي العليا والسقيفة، وسكان هذه القرى يقال لهم الجبرة وآل سمرة، والجياهين وكلهم من أكلب أيضاً ، وكل هذه القرى في أسفل وادي بيشة .

وأما سكان الثّنية – ثنية الوادي فهم بنو هزر من أكلب وقريتهم شديق تصغير شدق ، والمطاوين وقريتهم ضُريب تصغير ضريب ، وآل

حول « تاريخ نجد » للفاخري

كتب إليّ الأديب الكريم عبد الرحمن بن ابراهيم آل ضحيان ـ المكتبة ـ وزارة المالية الرياض – يقول : اطلعت الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الفاخري على ما جاء في ص ٧٩٧ من مجلة «العرب» ونصه : وقام ابنه عمر بن محمد بإكمال تاريخ أبيه حتى سنة ١٢٨٨ هـ فقال الشيخ عبدالله انجده الذي قام بإكمال ذلك التاريخ هو عبـد الله بن محمد بن عمر – لا عمر بن محمد كما جاء فيا ورد في « العرب » وتأكيداً لذلك أطلعني على مخطوطة من كتاب « فتح المجيد » بشرح كتاب التوحيد » بخط محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر – وهو أبو الشيخ عبد الله الوارد ذكره في اول الكلام) اهـ .

وأضيف : لقد كتب الى الأخ عبد الله بن محمد بمضمون ما ذكره الأديب الكريم كتاباً مطولاً بتاريخ ٢٢–١٠–١٣٨٠ . وقد أشرت إلى ذلك في بعض ما نشرت . وجلّ من لا يدركه السهو والنسيان .

وعلى كل حال فما ذكره الأخ هو الصواب إذ (أهل مكة أدرى بشعابها، وللأخوين الكريمين عبد الله بن محمد الفاخري وعبد الله الضحيان أجزل شكر وأطيب تحية .

رسالة اليها « قصيرة »

* بعث الأخ الكريم مفرج السيد في المهد معدن بني سليم قديماً بباقة من مطلعها : (رسالة اليها) مشحونة بالتعبير عن الأشواق ،وألم الفراق ، وآثار الذكريات ، واللقاء الأخير. وحبذا لو كان في «العرب» من المجال الرحب ما يتسع لما يداعب المشاعر . ولكن (ضاقَ ِفترة عَن مسير) فمعذرة وشكراً.

بالشنين وقريتهم المخرم والحرمل والنشاوى وقريتهم الغدنة – بضم الغين – ومنهم الأعامشة .

ويوجد فخذ من الجنبة بدو رحل لهم نخيل في الوادي، ومنهم قبيلة المزايدة.

ومن قرى أكلب في الثنة : القوزية ومصر ، ولا أعرف لم سميت هذه القرية باسم مصر .

للحديث صلة جابر الطيب بن علي

أنساب سكان مدينة عنيزة

.. ذكرتم (ص٨٩٢) أن المرحوم الشيخ عبدالله بن محمد البسام ألحق بكتابه نبذة عن أنساب سكان عنيزة فهل تتفضلون بنشرها للإستفادة منها ؟

عنيزة – عبدالله الصالح الفوينم

« العرب » : حباً وكرامة وها هي بعد أن اطلع عليها الوجيه الكريم الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن زامل آل سليم فأضاف اليها إضافات جعلناها بين مربعين [...] وعسى أن نجد من أحد القراء ما قد يضيف جديداً أو يصحح خطأ:

عنيزة قاعدة بلاد القصيم [1] والرئاسة فيها الآن لآل سليم من بني ثور من سبيع

١ – وآل سليم هم من اولاد سليمان بن يحيى بن علي [عبدالله] بن عبدالله [بن محمد] بن زامل ، وسليمان هو الملقب سليم .

وفيها من بني ثور من سبيع : آل زامل المعروفين ومنهم : الأشقر ، وابن روق وآل بكر منهم : السحاما وآل اسماعيل المطاوعة ، وخليف آل صالح .

ومن سبيع ايضاً : ابو غنام ، وآل حميد والسلمي والدويس والكميد [هولاء من العويمر أحد أفخاذ سبيع من بني زهري بن جراح] والجمالة والشلالي والطريف ، والدبة وآل ابا الشحم منهم : آل جبرين ، وابن مهيزع ابا الشحم .

ومن سبيع أيضاً : السنانا ، وآل ماضي ، والسباعا ، والشنافا ، والرميح ، والدخيل وبنو عمهم آل ابن صالح المعروفين بالرس .

٢ – وفيها من الوهبة من تميم : آل بسام والقضاة وآل مانع وآل شيحة وآل مسند وآل ابن ناصر منهم : عبدالله بن محمد بن ناصر المعروف بالدكاري.

ومن الوهبة أيضاً آل خراز والوزان وآل شبل الذين منهم : آل خروب وهم غير آل شبل الذين منهم : الشبيلي فان آل شبل الذين منهم الشبيلي من آل ابو عُليّان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

ومن الوهبة أيضاً : آل عُثيمين ، وآل ابن سليمان المعروف بالحاصل ، وآل مليبس وآل سلوم ، وآل خليفة وآل يوسف وابن لهيب وابن أُحميد وسألت ابن سحيم عن نسبهم فقال : اننا من الوهبة من تميم وان جدنا سمير انتقل من بلد اشيقر وسكن في وادي عنيزة ، واننا من آل يوسف المعروفين في اشيقر وفي عيون القصيم .

---

(١) كان ذلك قبل ان تتسع مدينة بريدة .

وسألت فوزان القريشي عن نسبه نقال : إننا من الوهبة من تميم من أهل اشيقر ، والقريشي لقب جدنا، والا فنحن من الوهبة وأقرب من لنا من الوهبة آل سحيم وآل عُويّد. [آل عويد الشعيبي سكان البصرة سابقاً هؤلاء من أبا الخيل]

٣ – وفيها من آل أبو عُليّان من المناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم : عبدالمحسن بن عبدالعزيز آل محمد آل أبو عليان، وبني عمه عيال حسن آل عبد المحسن آل أبو عليان ، وعيال عبدالله آل حسن آل عبدالمحسن آل محمد، وابن عرفج والشبالى ، وبنو عمهم آل شبل والمَسّاني وآل حسون وعثمان آل فريح وعياله.

٤ – وفيها من النواصر من بني عمرو بن تميم : العقالى ، والخُريدلي وآل عُضيب ودخيل بن محمد بن دخيل وعياله . وعيال محمد بن عبد الجبار .

٥ – وآل خشيبان [آل خشيبان من الفداغمة أهل المذنب] من بني عمرو ابن تميم أيضاً آل سِعْدي منهم عبد العزيز بن سعدي الملقب العنسي ، والختاتا وآل ادريس وآل دامغ ، والله اعلم .

٦ – وفيها من الاساعدة من الروقة من عتيبة : الذكران وآل سلمان والشريان ومساعد بن عبد المنعم ، ومحمد بن صفر (؟) في بريدة .

٧ – وفيها من بني خالد : آل تركي وآل خويطر وآل نعيم والمطاريد وآل بريكان منهم : حسن بن علي آل بريكان، وصالح الجفالي، وآل براك وآل فياض ومنهم : سليمان الريس مؤذن الجامع ، وآل مكتوم ، وآل شوشان والطعامى ، وآل صخيبر والهطلان [الهطلان من شمر] والحميدي وآل صعب وآل قاشان (؟) ، وآل كنعان وابن ملوح [1] وآل مشاري المعروفين في بجي والربيعي والدماشا (؟) .

٨ – وفيها من عنزة على اختلاف قبائلهم : العواهلة والقراوعة والدُّبيّان وآل ابا الخيل ، والشعابا [هم العويد] والصيريـع وآل شقير بن جلالي ، ومنهم عقيل آل محمد والحيمدي ، وسليمان بن سلطان وحمد الربع والرسيس وآل هويشان منهم دخيل بن مطر آل هويشان .

٩ – وفيها من آل كثير آل ابا الغنيم أهل الضّبط منهم الحميدي والسويل وآل شايع والمعروف بين النسابين ان آل كثير من الفضول من قحطان .

١٠ – وفيها من بني زيد أهل شقراء : آل حماد وآل راجحي وآل منيفي والضراريب وعيال عبدالله بن صالح بن عيسى وآل قنيبط والسبيل .

---

(١) انظر ص ٧٨ من « العرب » حيث تجد أن آل ملوح من النواصر من بني تميم .

١١ ـ وفيها من العفالق من قحطان : آل مصيف والسكيته وآل سحيباني وآل مانع المعروفين بالبويطن . وهم غير آل مانع الذين منهم الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع فأنهم من الوهبة كما تقدم في نسبهم .

١٢ ـ وفيها من الفضول : آل شملان وآل مطير .

١٣ ـ وفيها من حرب آل تميم .

١٤ ـ وفيها من آل سرحان آل عليان وآل خليل من السقيان من عنزة من السرحان ومنهم : السباعا الذين منهم عثمان آل سبيع .

١٥ ـ وفيها من السعيد [شيخهم ابن حلاف من الظفير : آل جليدان وآل عمرو وآل مزيد بن عمرو ، وآل عامر بن عمرو والزغابا [ينتسبون الى الاشراف] من آل عفيصان منهم علي آل سالم آل رمخ (؟)

١٦ ـ وفيها من البقوم : البقاما والمرزوقي .

١٧ ـ ومن بني حسين من الاشراف : آل عرينان .

١٨ ـ ومن الدياحين آل عقلا : من بريْه ، عيال فوزان العميريني .

١٩ ـ ومن شمَّر : العبادى وآل غرفين (؟) وآل عمير وآل بادي والجنيفي ، وآل جريفان وآل غذامي والسواجا (؟)

٢٠ ـ وفيها من البواهل : آل عبد اللطيف وآل رميحي .

[ذرية زهري بن جراح جد سبيع أهل عنيزة له أربعة أولاد ـ ١ ـ علي و ـ ٢ ـ غنام و ـ ٣ بكر و ـ ٤ ـ عويمر .

أما بنو علي فهم الاكثر والرياسة فيهم ،منهم الرشيد آل معمر والمشاعيب انقطعوا لم يبق منهم الا ذرية محمد الجارالله وابن نصار بالزبير ، ومنهم آل زامل جميعهم وهم عدة بطون منهم السليم ومنهم المنصور العلي ومنهم ذرية محمد الحمد ومنهم ذرية عثمان . ويلتحق بهم الطريف من بني علي ويلتحق بهم الجمعي ويلتحق بهم الجالة .

أما ذرية غنام فهم ال أبو غنام سكنوا الهلالية انتقلوا من عنيزة ومنهم اليحيا الصالح الغانم الذين الآن في حايل ومنهم العثمان الحميد ومنهم الغانم .

وأما ذرية بكر فمنهم السحيمي والخليف وآل اسماعيل والمطاوعة والزريطي وابن ماضي المعروف بابن قاعان .

وأما العويمر فمنهم السلمي والدويس والشلالي والسنانا وفي قول أن الجمعي منهم والجميع لهم لحاقات] .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● مختارات من الشعر الأندلسي :

وقام الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية باختيار مجموعـــة من الشعر الأندلسي ومن شعر المغرب وصقلية ، وأضاف اليهـــا موشحات وأزجالاً ودراسات لبعض مشاهير الادباء والشعراء ، وبهذا قدم للقارىء كتاباً ممتعاً في موضوعه يقع في ٢٥٦ صفحة ، بطباعة حسنة .

● – ديوان كثير عزة :

وأضاف الباحث المحقق الجليل صديقنا الدكتور احسان عباس إلى الخزانة العربية أثراً جليلاً من تراثنا هو « ديوان كثير عزة» ضَمَّ إلى ما سبق نشره قصائد ومقطوعات من الشعر جمعها من مختلف المصادر وأوفاهـــا تحقيقاً وإيضاحاً ، فجاء هذا الديوان في ٦٠٨ من الصفحات ، مصدراً بدراسة وافية عن الشاعر وشعره في ٧١ صفحـــة وبتحقيق كثير من المواضع التي ذكرها الشاعر موضحاً ذلك بمصور جغرافي (خريطة) للأمكنة الواردة في الشعر مستعيناً بما جاء في معجمات الأمكنة وببحث خاص كتبه صاحب هذه المجلة فجاء الديوان على خير ما تتوق إليه رغبة الباحثين جمعاً وتحقيقاً وحسن طباعة .

● – عطا رنامة :

فريد الدين العطار النيسابوري من كبار أدباء الفرس وشعرائهم ، وقد تصدى لدراسته العالم الجليل الأستاذ أحمد ناجي القيسي ، عميد كلية الشريعة في جامعة بغداد ، فترجم هذا الشاعر وترجم كتابه « منطق الطير » وأوفى الموضوعين دراسة قل أن نجد لها مثيلاً بين أعمال المحققين ، وجاء عمله هذا في مجلدين صفحاتهما تبلغ ٩٩٢ ، ولا يدرك ما بذله هذا المحقق من جهد في عمله الا من عانى تحقيق المخطوطات ثم قارن ما عرف بما شاهد من عمل المحقق الأستاذ القيسي من عمق في التحقيق ودقة في العمل واستقصاء وشمول للموضوع .

● – نزهة الألباء :

صديقنا الدكتور إبراهيم السامرائي العالم العراقي المعروف له عناية بارزة بكتاب « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » لعبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري المتوفي سنة ٥٧٧ هـ ، هذا الكتاب الذي طبع طبعة حجرية قديمة في سنة ١٢٩٤ ، فحققه الدكتور السامرائي ونشره بعد ذلك ، ثم أعاد النظر مرة أخرى فنشر الكتاب سنة ١٩٧٠ وأضاف إلى مطبوعته الجديدة تحقيقات واضافات فجاءت هذه الطبعة في ٣٧١ صفحة هي خير من الأولى والثانية إخراجاً وتحقيقاً وحسن ترتيب .

● – معجم أعلام الجزائر :

وقام الأستاذ الكريم عادل نويهض بتأليف سفر نفيس عن أعلام القطر الجزائري في السياسة والعلم والأدب ، جاء في ٢٦٩ صفحة ، والأستاذ عادل أقام في تلك البلاد ردحاً من الزمن وعرف الشيء الكثير عن أدبائها وعلمائها فكان عمله يحق على درجة من الفائدة والامتاع قل أن تهيأ لغيره .

● – عنوان الدراية :

مدينة بجاية من المدن المشهورة في المغرب الأوسط تقع شرق الجزائر على شاطيء البحر الأبيض المتوسط،أنشئت سنة ٤٦٠ هـ وحفل تاريخها بالكثير من مختلف أنواع التقدم العمراني علماً وثقافة وحلها وعاش فيها عدد غير قليل من أقطاب العلم والسياسة والقادة ، وقد تصدى عالم جليل هو أحمد بن عبد الله الغبريني (٦٤٤ هـ – ٧١٤ هـ) بتسجيل تاريخ من عرف من علمائها في القرن السابع الهجري وقد تصدي الباحث المحقق الأستاذ عادل نويهض وهو إذ ذاك رئيس مصلحة الصحافة والنشر في الجزائر فحقق كتاب الغبريني ونشره في مجلد بلغت صفحاته ٤٦٠ فيه الممتع وفيه كثير مما لا نجده في كتب التراجم الشرقية فأضاف بعمله هذا عملاً لا يستغني عنه أي باحث في المجال الثقافي التاريخي لأمتنا الكريمة .

● التحفة النابلسية :

الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي الدمشقي يعتبر علماً من أعلام العرب في القرن الحادي عشر ، وهو القرن الذي طغت فيه على الأمة تيارات

غريبة من الأفكار الدينية ، فتأثر بها الشيخ النابلسي تأثراً عظيماً أشرنا اليه في الجزء الثاني من مجلة العرب حينما بدأنا نشر ملخصاً من رحلته « الحقيقة والمجاز » ورغم ذلك فإن النابلسي في رأينا تمثل مؤلفاته صورة واضحة لما كان يسيطر على العالم الاسلامي في ذلك القرن من آراء وأفكار مهما كانت فإنها هي واقع ذلك العالم ولو أراد باحث متعمق أن يصور العالم الإسلامي لما وجد في غير مؤلفات النابلسي ما يفي بغرضه .

وقد قام برحلات متعددة الى مصر والحجاز والاجزاء التي كان يشملها اسم الشام قديماً فعرفت بأسماء متعددة في عهدنا ومن بين رحلاته ما قام به الى طرابلس الشام واصفاً بيروت وغيرها من القرى الواقعة بقرب تلك المدينة وقد دعا تلك الرحلة « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية » التي قام المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت بنشرها بتحقيق الأستاذ هربيرت بوسه ، وطبعت في بيروت في كتاب بلغت صفحاته ١٣٣ اضيف اليها ١٠ صفحات باللغة الألمانية دراسة عن النابلسي وعن رحلته هذه ، ولن نزيد القول فأدب الرحلات أدب قائم بذاته وموضوع الرحلة موضوع طريف حقاً وأسلوب النابلسي من الأساليب المملوءة أدباً ولغة وتنوع معارف .

● – رباعياتي :

ديوان شعر جديد للصديق الأستاذ سعد البواردي يحوي رباعيات من الشعر الرقيق الحلو الإيقاع في طباعة أنيقة، صفحاته ١٤٤ من القطع الصغير، وشعر الأستاذ سعد ليس بحاجة الى اطراء، فدارسو الأدب في بلادنا قد أوفوه حقه.

● بلاد زهران في ماضيها وحاضرها :

هذا كتاب ألفه الأستاذ محمد مسفر بن حسين الزهراني عن بلاد قبيلة زهران الأزدية القحطانية التي تحل جزءاً من سراة الحجاز ومن تهامة وقد حاول الكاتب الكريم أن يتحدث عن هذه البلاد في ماضيها وحاضرها ، وأن يبرز ما استطاع ابرازه من مظاهر الحياة فيها ، فجاء كتابه على درجة من الإمتاع والفائدة لا يستغني عنه أي باحث في أحوال هذه البلاد في شتى النواحي ، والكتاب في ١٤٠ صفحة من القطع الصغير ، أخرجته مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة .

● – «الطرق الشرعية» :

فضيلة الأستاذ الشيخ سليمان بن محمد الحميضي قاضي المحكمة المستعجلة الثانية بمكة المكرمة من خيرة قضاة البلاد وأوسعهم اطلاعاً ، وقد ألف رسالة دعاها « الطرق الشرعية في حل المشاكل الزوجية » وهي رسالة على درجة كبيرة من التحقيق في موضوعها مما دعاني عند مطالعتها أن أتمنى أن يعمم تدريسها في مدارس البنات في بلادنا ، وتقع في ٤٨ صفحة .

● – كتاب « الأمثال » :

مؤرج السدوسي المتوفي سنة ١٩٨ هـ ، من أوائل المؤلفين في تاريخ العرب أنساباً وأمثالاً ولغة وأدباً ، وقد قام الدكتور أحمد بن محمد الضبيب الأستاذ المساعد بكلية الآداب في جامعة الرياض بنشر كتاب « الأمثال » من تأليف مورج ، ولا أكون مغالياً إذا قلت بأن هذا أول كتاب رأيته بلغ درجة عالية من التحقيق في مطبوعاتنا ، بل لعله أول كتاب يحققه شاب في طليعة مثقفي بلادنا من الجامعيين ، وقد طبع طباعة جميلة في ١٦٣ صفحة مصدراً بدراسة عن السدوسي ، وعن الأمثال ، وقد ازدانت حواشيه بتحقيقات ممتعة .

● – « محمد فريد ابو حديد – كاتب الرواية » :

الاستاذ الدكتور منصور بن ابراهيم الحازمي الاستاذ المساعد بكلية الآداب في جامعة الرياض ، من شبابنا المثقف الواعي ، وقد نال اجـــازة الدكتوراه برسالة كتبها عن الاديب العربي المصري الاستاذ محمد فريد ابو حديد ، وقد نشر الدكتور الحازمي رسالته عنه ، فجاءت في ١٣٤ صفحة ، والمتصفح لها يعجب بسعة اطلاع الدكتور الحازمي ، وتعمقه في موضوعه ، واحاطتـــه بنواحيه المتشعبة .

● – « كفاح وحب »

الاستاذ ابو القاسم محمد كرّو ذو شهرة بين ادباء العربية ليست بحاجة إلى الحديث وقد أتحف مجلة العرب عندما كرم بزيارتها قبل بضعة شهور بمجموعة من مؤلفاته من بينها كتابه « كفاح وحب » وهو كتاب يتجلى فيه جمـــال الاسلوب ، المعبر عن سمو الخيال ورقة العاطفة ، يحوي فصولا ممتعة تصور خلجات نفس طيبة ونبضات قلب شاعر. ويقع في ١٣٠ صفحة بطباعة جميلة.

فهارس السنة الخامسة

١ ــ الكتاب والمعلقون

(١) كل ما ليس موقعاً فهو من كتابته .

٢ ـ الموضوعات العامة

٣ _ المواضع

[لم يذكر مـــا هو خارج جزيرة العرب ، ولا المواضع المشهورة كمكة والرياض واليمن ..] .

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

---

(١) وردت في كثير من المؤلفات (ثبار) بالمثلثة .

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

٤ ـ الكتب والصحف

٥ ـ القبائل العربية وفروعها

[احـــذف : آل – الـ – ذوي – بنو – بـ
من مثل : آل عامر – الحويطات – بنو زيد –
بالشهم] .

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

٦ ـ الاعلام

(ممن استشهد بكلامهم أو تحدث عنهم)

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

بعض الاخطاء الواقعة في المجلد الخامس

ص	س	خطأ	صواب
١	٨	قول الطيب ..	قول أبي الطيب ..
٨	١٠	فالعتيق	فالعقيق
٥٣	٢٤	مرطب ن	مرطبان
١١٨	٧	مننح	منشح
٢٩٨	٦	للسفر	السفر
٢٩٨	٢٠	الصدقة	الصدفة
٣٨٧	حاشية[٢]	بلاد ينبه	بلاد ينبع
٤٠٤	٢	دويه	دونه
٤٢٧	١١	سكب	سكت
٤٣٢	١٣	مقتصوا	مقتصراً
٤٣٧	١١	ييدو	يبدو
٦٣٠	حاشية[١]	Rycbiman	Ryckman
٦٥٩	١٠	الثلوت	الثلبوت
٦٨٧	حاشية[١٣]	تاريخ المتبصر	تاريخ المستبصر
٦٨٨	٨	خيير	خيبر
٧٥٥	٦	أرض بلا مصر	أرض بلا مطر
٧٧١	١٩	والوقعة	والواقعة
٨٠٦	الأخير	يمكننم	يمكننا
٨٠٨	الأول	لبجبلة	لبجيلة

ص	س	خطأ	صواب
٨١٠	١٨	الجلندي	الجلندى
٨١٠	٢٢	الغلطفاني	الغطفاني
٨١٣	حاشية ٢	البلاذي	البلاذري
٨١٦	٤	بنو	بنوا
٨١٧	٢٠	الحطاب	الخطاب
٨٢٣	حاشية ١	Arabla	Arabia
٨٢٣	حاشية ٢	Inseriptions	Inscriptions
٨٢٤	حاشيه ٣	Inscaription	Inscription
٨٢٥	حاشية ١	Lemuséonr	Le Muséon
٨٢٦	٢٠	نيسان ١٩٧٠	نيسان ١٩٧١
٨٢٦	٢٧	النفش	النقش
٨٣٢	١٧	كثراء	كثرى
٨٢٢	١٧	دبيس	الربيس
٨٣٢	٢١	المختتف	المختلف
٨٣٤	حاشية ٨	وسائل	رسائل
٨٥٢	٢٢	رأيب	رأيت
٨٥٣	١٧	عتيية	عتيبة
٨٧٠	١٣	هارون	هادون
٨٧٧	١٧	الأشاغيب	الأشاعيب
٨٧٨	٢٢	العشقان	العقشان
٩٠٤	١٤	الصفاة	الصفات
٩٠٧	٢١	تحريداً	تحديداً
٩٣٣	حاشية ٢٥	Pirst	First
٩٤٣	١٨	تاويخ اليمن	تاريخ اليمن
٩٤٣	٢٠	البدر الطابع	البدر الطالع

ص	س	خطأ	صواب
١٠٢٢	حاشية ١	Historiy	History
١٠٢٣	حاشية ٦	محمد علي	محمود علي
١٠٣٦	١٨	ياقوب	ياقوت
١٠٣٨	٨	االسان	اللسان
١٠٣٩	١	والوقم	والرقم
١٠٣٩	٤	تتورع	نتورع
١٠٤٦	١٧	واتذكر	وأذكر
١٠٨٩	٢	الطور	الطود
١٠٨٩	١٦	يقال بها	يُقال لها
١٠٩٤	١٤	رومن	روض
١٠٩٧	١٩	أحد بن عطارد	أحد بني عطارد
١٠٩٩	١١	احد بن معاوية بن معاوية	أحد بني معاوية
١١٦١	١٧	بباقة من مطلعها	بباقة من الشعر ، مطلعها
١١٦١	٢٠	فترة	فتشر
١١٦٤	٢٤	انتقلوا	وانتقلوا

تصحيح : حول كتاب محمد فريد ابو حديد

وقع خطأ في صفحة ١١٦٨ جملة : « وقد نال إجازة الدكتوراه برسالة كتبها عن الأديب العربي المصري الأستاذ محمد فريد أبو حديد » والواقع ان هذا الكتاب ليس موضوع إجازة الدكتور الحازمي بل موضوعها : « الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث » .